
Bibliotheca Alexandrina
0120111
المصرية العامة للكتاب

تأملات
في ثورات مصر

على ضوء قراءات تاريخية
ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

تأليف
محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

تأملات
في ثورات مصر

على ضوء قراءات تاريخية
ثورة ٢٣ يوليو

مقــــدمة

ان ثورة ٢٣ يوليو فى حقيقتها كانت مرحلة من مراحل كفاح الشعب المصرى لتحقيق الاستقلال التام والعدالة الاجتماعية وذلك منذ أيام الخديوى اسماعيل الذى انفرد بالتصرف فى مصر وثروتها ومقدراتها لمصلحة الأجانب ٠ وفى غفلة من أى محاسبة أو مراجعة شعبية ثم حدثت ثورة عرابى أثناء حكم خليفته الخديوى توفيق وكانت ثورة شعبية فى وجه التحكم الخديوى متعاونا مع القلة الحاكمة ومندوبى الدول الأجنبية بامتيازاتها المتعددة والتى كانت تتدخل فى صميم شئون مصر المالية والداخلية وبعد هزيمة جيش مصر على يد الجيش البريطانى ثم احتلال مصر منذ عام ١٨٨٢ ونكل الخديوى توفيق والمحتل البريطانى وزمرة الحكام بالشعب المصرى لدرجة التشويه واعتقدت القلة الحاكمة أن هذا التشويه وصل الى درجة القضاء على الشخصية الوطنية المصرية ولكن سرعان ما تكونت المؤسسة الوطنية المصرية والتى واصلت الكفاح والنضال حتى قامت ثورة ١٩١٩ وسط ذهول الاحتلال البريطانى والمتعاونين معه اعتقادا منهم أن الشعب المصرى أصبح جثة هامدة غير قادرة على الحركة ٠ وبعد أن حققت ثورة ١٩١٩ جانبا من الحرية السياسية تحت ظل دستور ١٩٢٣ وجانبا آخر من مظاهر الاستقلال المنقوص بموجب تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فقد استمرت المؤسسة الوطنية بزعامة سعد زغلول فى تحقيق جانب من الحرية السياسية أملا فى تحقيق الجلاء فى النهاية عن طريق الشعب المصرى وتمسكه بدستوره الذى يرفع شعار أن مصر للمصريين رغم الوجود العسكرى البريطانى على أرض مصر ٠ وسرعان ما انتكست ثورة ١٩١٩ بعد حادث مقتل مفتش عام الجيش المصرى (السيرلى ستاك) فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وتم انسحاب الجيش المصرى من السودان وفرضت انجلترا سيطرتها الكاملة على مصر والسودان وأعادت مصر الى حالة ما قبل ثورة ١٩١٩ ٠ ومع ذلك استمر كفاح الشعب المصرى رغم قسوة القهر والاذلال الى أن توفى زعيم ثورة ١٩١٩ سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ٠

ودخلت مصر فى ارهاصات (١) وطنية ولكن بقايا المؤسسة الوطنية المصرية تمكنت بعد طول كفاح يفتقر الى الوحدة الوطنية ويميل الى تفرق الصف • تمكنت من الاتفاق مع انجلترا على معاهدة سنة ١٩٣٦ والتى حققت بها جانبا من الجلاء الجزئى عن جانب كبير من الأراضى المصرية ولكن استمر الجيش البريطانى يحتل منطقة القناة وتأكدت الحرية السياسية والحرية الشخصية بالغاء الامتيازات الأجنبية •

ومنذ ما قبل معاهدة سنة ١٩٣٦ بقليل تكونت مؤسسة وطنية داخل الجيش المصرى وبين ضباطه وتفاعلت مع شباب المؤسسة الوطنية المدنية واحتكت بأحزابها المتنافرة وعاصر تكوينها الحرب العالمية الثانية ووعت تماما مكان مصر فى منطقتها فى الشرق الأوسط فى هذا الصراع الدولى • وأخذت هذه المؤسسة الوطنية العسكرية الجديدة تعد نفسها بين شباب ضباط الجيش المصرى انتظارا للقيام بمرحلة العمل الايجابى القادر على تغيير الأوضاع للقضاء على الملك وأعوانه من الحكام المتمسحين بالشعب المصرى من جانب وبالمحتل والملك من جانب وفى داخل صفوف الأحزاب المتعاركة من جانب آخر • ورغم أن هذا البحث سيتناول هذه الثورة بجميع ايجابياتها وسلبياتها وما لها وما عليها فانها كباقى ثورات مصر السابقة وكجميع الثورات فى العالم مرت بمراحل تطابق علميا جميع مراحل العمليات الايجابية الجديرة بأن يطلق عليها ثورة رغم صوت أعدائها المرتفع بانكارها للثورة ، ولذلك يجدر بى أن أتناول بالمنطق التعريف بجميع أشكال الأعمال الايجابية التى قامت بها هذه المؤسسة الوطنية المصرية العسكرية بالمساهمة فى تغيير الأوضاع بنفس الأساليب التى قامت بها مثل هذه الثورات فى البلاد التى كانت مقهورة وتحررت بمثل هذا العمل الثورى فكانت جديرة بأن يطلق عليها ثورة •

ما هى ظاهرة ٢٣ يوليو ؟

ان كل الثورات فى العالم بصفة عامة لها أعداؤها وثورة ٢٣ يوليو وباقى ثورات مصر كان لها أيضا أعداؤها • فثورة عرابى بعد هزيمة الجيش المصرى من الجيش البريطانى واحتلال مصر عادت جميع السلطات لأعداء ثورة عرابى على يد الاحتلال البريطانى بدءا من الخديوى توفيق ومرورا بجميع المستوزرين من أبناء العائلات الكبيرة التى طال استفادتها

---

(١) المعجم الوجيز اصدار مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية طبعة ١٩٩١.
الارهاص بالمطر أى الايذان به ومنه الارهاصات المؤذنة بعمل ما خارق للعادة كما حدث النبى قبل بعثته فهو ارهاص – وهى الصخور المتراصة الثابتة والواحدة رهصة وجمعها رواهص ، ص ٢٧٩ عمود ٤ •

من حكم الخديويين ثم الخونة الذين خانوا ثورة عرابى وخانوا بلدهم بحيث تمكنوا من أن يجعلوا الشعب المصرى عن بكرة أبيه يطلق عليها « هوجة عرابى » بدل « ثورة عرابى » حتى يترسخ فى أعماق شعب مصر أن ثورة عرابى لم تكن بأى حال من الأحوال ثورة بل كانت هوجة أى فوضى وتمرد وعمل صبيانى لم يخرج عن زوبعة هبت لفترة وتسببت فى الاضرار ثم هدأت الحال ، وقد استمع جيلنا الى هذا التعريف « هوجة عرابى » من أهلنا ومواطنينا كما قام بعض المؤرخين المصريين للأسف المتأثرين بنفوذ الخديوى توفيق وثورنه وتمكنوا من التأثير فى عقول شباب هذه الأجيال حتى تفتر حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطانى ٠

وبنفس الاسلوب كان هناك أعـداء كبيرون لثورة ١٩١٩ وزعيمها سعد زغلول وكلهم كانوا يرددون أن سعد زغلول زعيم مستبد برأيه وأنه قام بثورته لحساب الاحتلال البريطانى ولدرجة أنه أشيع عنه أنه كان صنيعة اللورد كرومر وهو الذى زوجه كريمة مصطفى باشا فهى رئيس الوزراء ورجل الانجليز فى مصر وأن ثورة ١٩١٩ قامت بمباركة الانجلبز ٠ ونظرا لقوة شخصية سعد زغلول وبما كان يتمتع به من الجاذبية والصدق فى الجهاد وقوة الحجة فقد أمكنه التغلب على جانب كبير من هذه الادعاءات ولكن مع مضى الوقت وضراوة الاحتلال البريطانى وعملائه المحليين فقد توقفت فعلا ثورة ١٩١٩ بقبول الاستقلال المنقوص عند الاعتراف بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٤ فى غيبة من زعيم ثورة ١٩١٩ سعد زغلول فى منفاه للمرة الثانية ٠ وبنفس الاسلوب فان ثورة ٢٣ يوليو لها العديد من الأعداء بحكم التغيير الذى أحدثته بما أثر على مصـالح كبـار رجال الأحزاب التقليدية السابقة ٠ ومصالح الأغنياء فى مصر وكانت كلهـا تحقق مصالحها عن طريق الملك أو حاشيته أو السفارة البريطانية وبيوت المال الأجنبية ٠ ورغم ما تحقق فى عمر الثورة من تحرر مصر وجـلاء المستعمر والقضاء على سيطرة رأس المال على الحكم والقضاء على الاقطاع وتحقيق قدر كبير من العدالة الاجتمـاعية وانشاء جيش مصرى حديث وتنفيذ برامج جادة فى التنمية الصناعية والزراعية وبناء السد العـالى وتأميم قناة السويس وتمصير البنوك الأجنبية ٠

الا أنه بعد وفاة عبد الناصر انتهز أعداء الثورة تجاوزات وسلبيات جمال عبد الناصر ومعاونيه وأخذوا يجهرون علنا بأن ثورة ٢٣ يوليو لم تكن ثورة ولكنهـا كانت انقلابا وأخذوا يتهكمون عليهـا ويستعرضون مساوئها وينكرون ايجابياتها حتى أخذوا يتفهمون نطقهم بوصفها الحركة المباركة تهكما عليها وتنزيلا من شأنها ٠

الأعمال الايجابية لتغيير الأوضاع

يجدر بنا أن نقوم بتحديد أبعاد جميع أشكال الأعمال الايجابية للشعوب المقهورة فى سبيل تحقيق حريتها وأمالها للقضاء على معاناتها من الأقلية الحاكمة والمتحكمة وهى كالآتى : ـ

أولا : الحركة أو الانتفاضة :

هى الظاهرة التى تحدثها المؤسسة الوطنية باعتبارها طليعة الأغلبية المقهورة وذلك باحداث حالة من التظاهر أو التمرد أو الاحتجاج أو حتى المقاومة الايجابية العلنية والعنيفة دون أن تتمكن من ازاحة المؤسسة الحاكمة المستغلة القديمة من مراكزها السيادية وغالبا ما يكون ذلك نتيجة امتصاص السلطة السياسية للقلة الحاكمة للغضب الشعبى اما بمزيد من القهر والعنف والردع حتى تمل وتضعف وتتخاذل المقاومة الشعبية بفعل مرور الزمن ، أو بتعمد السلطة الحاكمة المستبدة الى احداث بعض التغييرات الشكلية والمظهرية لخداع الحركة أو الانتفاضة الوطنية وغالبا ما تنخدع المؤسسة الوطنية القائدة ولكن الغالبية الشعبية لا تنخدع أبدا فقد تغلب على أمرها لبعض الوقت فتهدأ فورة الكفاح ولكن لا يعتبر هذا نهاية الكفاح بل هو فى الحقيقة نواه لاستئناف النضال والجهاد من جديد ومثل هذا العمل الايجابى الذى يتسبب فى بعض التغيير الادارى لا يمكن أن يطلق عليه ثورة ولكنه حركة أو انتفاضة لأنه لم يغير فى أسباب المعاناة ولم يقض عليها .

ثانيا : الانقـــلاب :

اذا تمكنت المؤسسة الوطنية المتجاوبة مع الأغلبية المقهورة بحركتها الايجابية من احداث التغيير فى الهيكل الادارى فقط فى مؤسسة الأقلية الحاكمة السابقة وذلك بازاحة الحكومة السابقة عن مراكزهـا الادارية والسياسية والسيادية وتتبوأ المؤسسة الوطنية الجديدة بنفسها أماكن الحكام السابقين دون احداث أى تغيير فى اسلوب الممارسات الاستبدادية السابقة طمعا فى بقائها فى هذه المراكز المميزة وذلك بالابقاء على علاقات الانتاج والنظام الاقتصادي والسياسى والاجتماعى الذى كان سائدا قبل هذه الحركة على ما هو عليه وبذلك تستمر حالة القهر والمعاناة للأغلبية المحكومة رغم تغير شخصيات الحكام فان هذا العمل الايجابى الذى أحدث هذه الحركة المحدودة هو ما يطلق عليه انقلابا وهو بهذا الشكل والاسلوب بالقطع ليس بثورة لأن عناصر المؤسسة الوطنية لم تحدث شيئا الا انها تمكنت من احتلال المراكز السيادية ثم تحولت الى أصحاب وظائف رتيبة ٠

ثالثا : الثـورة :

أما اذا تمكنت المؤسسة الوطنية المعبرة عن أمانى وتطلعات الشعب من التحرك الايجابى ضد ممثلى الأقلية الحاكمة والمتحكمة وأحدثت التغيير الكامل فى قمة السلطة القديمة وأزاحت هيكلها الادارى بكامل مؤسساته من سلطة السيادة ثم بادرت باصدار النظم والتشريعات والقوانين واللوائح التى تحقق وتؤكد على العلاقات الادارية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة وعلاقات الانتاج ويتحقق بفضلها التغيير المطلوب لرفع القهر والظلم أى اعادة تسليم السلطة كاملة للشعب ، فان مثل هذا العمل الايجابى المتكامل هو ما يستحق أن يطلق عليه « ثورة » ٠

تعريف الثـــورة :

وتبعا لهذا المفهوم ٠ فان الثورة تعنى قيام الأغلبية (الساحقة) المقهورة وعلى رأسها المؤسسة الوطنية بتنحية الأقلية الحاكمة والمتحكمة فى الأغلبية واحداث التغيير المنشود فى العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة بعد طول المعاناة التى سبق وأحس بها الشعب وتألم منها ٠ ويشترط فى هـذا التغيير أن يصحبه ضوابط وتشريعات تحقق تسليم السلطة الجديدة للشعب نفسه لضمان استمرار الحرية السياسية والرفاهية الاجتماعية وما يستلزمها من نظم اقتصادية ٠

ومراحل العمل الثورى هى :

أولا : مرحلة شعور الأغلبية المقهورة باستغلال وتحكم واستبداد وظلم الأقلية الحاكمة ٠

ثانيا : مرحلة تكوين وتخليق المؤسسة الوطنية التى تخطط وتقود وتنظم العمل الايجابى القادر على أحداث التغيير المنشود ٠

ثالثا : العمل الايجابى الكفيل باحداث التغيير ٠

رابعا : مرحلة اصدار المؤسسة الوطنية للتشريعات والقوانين والضوابط الكفيلة بتسليم السلطات الى الشعب (الدستور) ٠

خامسا : مرحلة النتائج أو الأشكال السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة التى أحدثها هذا العمل الثورى ٠

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

وقت إغتيال سردار الجيش المصرى السيرلى ستاك الانجليزى الجنسية فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ كان زعيم ثورة سنة ١٩١٩ سعد زغلول رئيسا للوزارة واضطر تحت ظروف قسوة الانذار البريطانى الى الانسحاب من رئاسة الحكومة وشكل الحكومة زيور باشا وخضعت مصر لجميع مطالب الانذار البريطانى وعادت مصر مرة أخرى الى حالة قهر كامل اسوأ مما كانت عليه قبل ثورة سنة ١٩١٩ ولكن المؤسسة الوطنية كانت لاتزال قائمة متمثلة فى الزعيم سعد زغلول وحزب الوفد المصرى ولم تنقطع هذه المؤسسة الوطنية عن ممارسة دورها الوطنى رغم حالة القهر الكامل وبذلك بدأ الشعب المصرى يعانى من الظلم والاستبداد والقهر مرة أخرى وبدأت مصر من جديد تمر بمراحل ثورة جديدة يمكن اعتبارها بداية خطوات ثورة ٢٣ يوليو ولكن على يد المؤسسة الوطنية القديمة حيث استمر الزعيم سعد زغلول وحزبه يناضلان حتى وفاته فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ومرت مصر من جديد بمراحل ثورة جديدة .

أولا : مرحلة استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المقهورة :

بعد ان قبلت الحكومة المصرية برئاسة زيور باشا شروط الإنذار البريطانى كانت صورة مصر المقهورة كالآتى :

١ ـ قامت مصر بدفع غرامة باهظة باسعار (١) وقتها الى الحكومة البريطانية وكان قدرها نصف مليون جنيه رغم ان مصر كانت لاتزال فى ضائقة مالية لخضوعها لشروط الأجانب فى تسديد ديون الخديو اسماعيل ٠

٢ ـ تم سحب الجيش المصرى من السودان وتحولت الوحدات السودانيه التى كانت تابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية خاضعة للحكومة السودانية تحت سيادة الانجليز أى تحقق انفصال مصر عن السودان بالكامل ٠

٣ ـ حرمت مصر من حصتها الكبيرة فى مياه النيل فى السودان ومن سيطرتها على هذه المياه وذلك بعد ان أطلقت بريطانيا يد حكومة السودان الغير محدودة فى الجزيرة (مشروع الجزيرة) والتى لم تكن السودان فى حاجة اليها ٠

وكانت ادارة مياه النيل فى السودان قبل حادث اغتيال السردار سنة ١٩٢٤ فى يد وزارة الأشغال المصرية وحدها اسوة بأعمال الرى فى مصر وكان مما قررته وقتها التصريح برى ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة ألف فدان فقط بأرض الجزيرة فى السودان الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ٠

٤ ـ قامت الحكومة المصرية كطلب الانجليز باعادة منصبى المستشار المالى والقضائى الأجنبيين وخضعت وزارة الداخلية المصرية الى أوامر مديرها العام البريطانى ٠

٥ ـ خضعت الحكومة المصرية الى السياسة البريطانية الاستعمارية بالاعتراف (٢) بحماية السلطة البريطانية للأجانب المقيمين بمصر ومصالحهم وتأكيدا على الامتيازات الأجنبية فكانت هذه الامتيازات تسبب المهانة لمصر وشعب مصر ٠

٦ ـ الامتيازات الأجنبية :

اقتحمت الامتيازات (٣) الأجنبية مصر وهى ولاية عثمانية عندما بدأت الامبراطورية العثمانية تدخل فى مراحل الضعف حيث تفشت الرشوة

---

(١) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء أول ، طبعة أولى للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

(٣) كتاب المؤلف عن الثورة العرابية من ص ٤٣ الى ٤٨ ٠

بين سلاطينها وبعد أن سمحوا للنفوذ الأجنبى والأوروبى بالتغلغل داخل امبراطوريتهم بما فيها البلاد التابعة لهم ٠

وتحت ظل الامتيازات الأجنبية استفحل استغلال الجالية الأجنبية فى مصر لخيرات وثروات مصر وأهلها وشعبها تحت ظل حماية القانون المصرى للأجانب وخاصة بعد أن احتضن الاحتلال البريطانى جميع الأجانب وأخذت هذه الامتيازات يستفحل أمرها فى عصر الخديوى اسماعيل حتى أصبح فى مصر محكمة قنصلية تتحكم كلها فى فض جميع المنازعات بين الأجانب المقيمين فى مصر من جانب وبين المصريين أو الحكومة المصرية من جانب وطبقا لقوانين بلاد هؤلاء الأجانب أما استئناف أحكام المحاكم القنصلية فكان ينظر فيها فى دول هذه القنصليات ٠

وخولت الامتيازات للدول الأجنبية حق التدخل فى أى تشريع مصرى يمس رعاياهم وكذلك حق الغاء أى تشريع مصرى ٠

واستمرت السلطات البريطانية فى هذا الوقت تساند الجاليات الأجنبية المقيمة فى مصر تحت ظل هذه الامتيازات الأجنبية المهينة للمصريين ٠

٧ ـ الملك فؤاد :

انتهز الملك فؤاد فرصة هذا القهر والغطرسة البريطانية وهدوء المقاومة السياسية لحزب الأغلبية وتمادى الملك فى التلاعب بالدستور وأخذ جانب الاحتلال البريطانى وينفذ رغباته مستعينا بأحزاب الأقلية المعارضة للمؤسسة الوطنية المتمثلة فى حزب الوفد ورغم ذلك فقد استمر حزب الوفد وزعيمه يمارسان دورهما الوطنى الى ان توفى سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ٠

---

(١) فى أعقاب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ جزء ثانى للأستاذ الرافعى ، ص ٣١ ، ٤٧ ـ

الارهاصة الأولى

بعد وفاه سعد زغلول فى سنة ١٩٢٧ وتحت الضغط الشعبى الذى أوصل حزب الوفد بقيادته الجديدة الى الأغلبية البرلمانية اضطر الملك فؤاد الى اصدار مرسوما لرئيس الوفد مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة فى ١٧ مارس سنة ١٩٢٨ وسرعان ما انزعجت السلطات البريطانية من ممارسات الحكم الوطنى المتمثل فى حزب الوفد ويقوم الملك بايعاز من سلطات الاحتلال باقالة الوزارة وبشكل مهين ومخالفا للدستور مستعينا أيضا بأحزاب الأقلية المتعاونة مع سلطة الاحتلال البريطانى ويلى ذلك سلسلة من الممارسات التعسفية لهذه الوزارات دون أى سند دستورى أو شعبى وقامت بالتنكيل بالمواطنين وبرجال حزب الوفد ٠

ثانيا : تكوين مؤسسة وطنية جديدة

بعد الذى أحدثه التعاون بين الملك والاحتلال البريطانى وأحزاب المعارضة من آثار معطلة لمسيرة النضال الشعبى للحصول على الاستقلال الكامل فقد كاد (١) حزب الوفد والحزب الوطنى يتوقفان عن كفاحهما ودخلا فى دوامة الصراع الحزبى بعد أن تعمق الخلاف وعاد الشعب بالمعاناة ليس فقط من الاستعمار والملك ولكن من مؤسسته الوطنية القديمة نفسها — وقام الضغط الشعبى بتكوين قوة وطنية جديدة من شباب الطلبة والعمال

(١) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل جزء أول من ص ٣١٤ الى ٣٢٥ ٠

كانت بمثابة نواة لمؤسسة وطنية جديدة وأخذت هــذه القــوة بتنظيم صفوفها وتمكنت من الضغط على أحزاب الأقلية وعلى حزب الوفد فكونت جبهة وطنية من جميع الأحزاب وتوحدت كلمتها وتمكنت من اعادة الحياة الدستورية وكانت هذه الجبهة بالاضافة الى تنظيم الطلبة والعمال بمثابة المؤسسة الوطنية الجديدة لهذه المرحلة ·

ثالثا : مرحلة العمل الايجابى :

وتمكنت هذه المؤسسة الوطنية الجديدة من فرض ارادتها فسرعان ما تم التفاوض بين الأحزاب المؤتلفة وبين الجانب البريطانى وتم توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ وكانت الفترة من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ بمثابة ارهاصة تمكنت فى النهاية من تحقيق انتفاضة وطنية ولكنها (١) لم تكن ثورة بأى حال من الأحوال لأن الهيــكل الادارى الســيادى المصرى كان لا يزال ممثلا فى الملك وسلطة الاحتلال ونفس الأحزاب ســواء الأقلية أو الأغلبية بنفس وجودها وأشخاصها وبنفس أسلوب ممارساتها التى تعمل كلها شعوريا أو لا شعوريا لتثبيت الوجود البريطانى العسكرى والمدنى فى مصر ·

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ جزء ٣ ، طبعة اولى من ١٨ الى ٣٠ ، للأستاذ الرافعى ·

الارهاصة الثانية

أولا : مرحلة استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المقهورة :

التجاوزات التى كان يمارسها الملك ورجال الأحزاب عندما يكونون فى الوزارة وأحزاب المعارضة والبرلمانات المتعاقبة وتدخلات السفارة البريطانية كانت كلها فى فترة الارهاصة الثانية [سنة ١٩٣٦ ـ سنة ١٩٥٢] بمثابة استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة • فقد كانت تصرفات غير دستورية ومخالفة للعرف والأخلاق والقانون لكل سلطة من سلطات الدولة الدستورية المعروفة • وكلها كانت الأسباب الرئيسية لبقاء الاحتلال البريطانى جاثما على أرض مصر مستغلا أطماع الملك من ناحية وأطماع رجال الأحزاب ونشاطهم وصراعهم من أجل الوصول الى كراسى الحكم من ناحية أخرى بالاضافة الى فساد معظم أعضاء البرلمانات الذين تفرغوا لمصالحهم الشخصية على حساب مصلحة البلاد •

وقد كان تهاون أى سلطة من سلطات الدولة فى حقها الدستورى أو تجاوزهم عن الدستور هو علة العلل فى حالة مصر المتردية نحو التبعية والشعور بالمهانة •

فقد جاءت معاهدة سنة ١٩٣٦ تحدد العلاقة بين مصر كدولة مستقلة وأخرى كبرى مستغلة رغم نص هذه المعاهدة على بقاء قوات عسكرية بريطانية فى منطقة القناة • وجانب من محافظة الشرقية •

(١) نفس المصدر السابق •

فقد كان من المفروض أن تكون علاقات بريطانيا بمصر عن طريق سفير بريطانيا في القاهرة ووزارة الخارجية المصرية وأن يوقف أي اتصال مباشر بين سفير بريطانيا والملك أو بينه وبين السلطة التنفيذية المصرية (الوزارة) . وكان الشعب المصري منذ حصوله على دستور سنة ١٩٢٣ قد حرص على التمسك بنصوص هذا الدستور التي أكدت على حريته في التعبير عن معاناته من جميع أنواع الاستغلال والقهر وكان ذلك مكسبا من مكاسب نضاله منذ اندلاع ثورة سنة ١٩١٩ . ومع ذلك فانه رغم ما أعلنته المؤسسة الوطنية والملك وممثلو الشعب المصري بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ من الآمال العريضة نحو تحقيق الحرية والاستقلال الكامل خالصة من أي تبعية لسلطات الاحتلال البغيضة وبنفس القدر لأي تبعية أو خضوع أو استغلال من جميع عناصر سلطات السيادة الداخلية ، فقد تحقق جانب قليل من هذه الوعود ولكن سرعان ما عاد الشعب المصري للمعاناة من جديد من تدخلات السفارة البريطانية في كل شئون مصر بمباركة الملك من جانب ومن السلطة التنفيذية متمثلة في الوزارات المتتابعة وما كان يساندها من أحزاب بالاضافة الى السلبية الكاملة من ممثلي الشعب أعضاء البرلمانات المتتابعة وذلك بتخليهم عن أساس وجودهم وهو مراجعة باقي السلطات لاحداث التوازن بينها ولايقاف أي استغلال لأي سلطة من السلطات السيادية وكان من أهمها هو تدخلات السفارة البريطانية وكانت هذه الأوضاع غير السليمة تمثل عودة الى ممارسة استغلال من الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة مما دعا الى تكوين مؤسسة وطنية جديدة تتطابق أهدافها مع أسباب معاناة الشعب سواء من المحتل أو من الحكام أو من ممثلي الشعب المتواطئين بشكل أو بآخر مع مخططات الاحتلال البريطاني .

تكوين المؤسسة الوطنية الجديدة :

أخذ الشعب المصري يتفاعل ذاتيا في مواجهة تدخلات السلطات البريطانية واستغلال أحزابه السياسية التقليدية وبنفس القدر حتمت الظروف الجديدة تكوين مؤسسة وطنية جديدة من قوى الشعب الجديدة التي تكونت بموجب الظروف الجديدة . وكانت عبارة عن جماعة الاخوان المسلمين ومنظمات شيوعية سرية وجماعة مصر الفتاة والجناح اليساري من حزب الوفد ومؤسسة وطنية جديدة من منظمات سرية لضباط الجيش الوطنيين وكل هذه القوة أخذت مع شعب مصر تراقب وتحاسب وتراجع وتسجل وتختزن في ذاكرتها أسباب هذه المعاناة وكل ذلك كان بفضل اطلاع الشعب على مجريات الأمور عن طريق جلسات البرلمان العلنية وعن طريق الصحافة والشائعات التي كانت تصل اليه مؤكدة على كل هذه

الممارسات والتجاوزات والمخالفات سواء من السلطات البريطانية أو من الملك أو من زعماء الأحزاب وممثلى الشعب والتى أصبحت كلها مجندة لصالح الطبقات المستغلة وأصبح الوزراء أصحاب وظائف رتيبة تعمل جميعها لمصلحة المستغلين وخاصة بعد احتكارهم لعناصر الانتاج متمثلين فى ملاك الأراضى الزراعية وأصحاب المصانع والشركات التجارية وبنوك أجنبية ٠

المؤسسة العسكرية الوطنية :

كان الضباط الوطنيون الشبان بالجيش فى مقدمة أفراد الشعب شعورا بالمهانة ـ نتيجة التدخلات المهينة لسلطات الاحتلال البريطانى فى كل كبيرة اوصغيرة فى الجيش وكانت معظمها مجمله فى الصورة الآتية وبخاصة منذ الاحتلال البريطانى لمصر عام سنة ١٨٨٢ ٠

١ ـ عمل الاحتلال البريطانى على اضعاف (١) الجيش المصرى وتحطيمه وتجريد مصر من أى قوة حربية وتتابعت مؤامرات الانجلبز على الجيش المصرى لمحو صبغته القومية بالقضاء على ما تبقى من قوات عرابى وذلك يجعل هذه القوات تقوم بمقاومة الثورة المهدية فى السودان والتى كان يقودها القواد البريطانيون الغير أكفاء أمثال الجنرال هكسلى والذى تسبب بجهله العسكرى فى ابادة معظم الجيش المصرى فى واقعة شيكان فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ٠

٢ ـ بعد انتهاء حملة الجيش المصرى فى السودان أنشأت بريطانيا جيشا مصريا هزيلا يفتقر الى الروح الوطنية ومن القوة المادية والمعنوية وكان يرأس الجيش المصرى قائد انجليزى سردار (قائد عام) وتولى قيادته ضباط انجليز وهبط عدد الجيش الى عشرة آلاف ضابط وجندى واستبعد الضباط الوطنيون وتفشى النفاق بين الضباط المصريين أنصاف المتعلمين المفتقرين للكفاءة ٠

٣ ـ امعن الانجلبز فى الحط من وطنية وكرامة جنود الجيش المصرى وبايحاء من السلطة البريطانية تقرر البدل النقدى بمبلغ قدره عشرون جنيها للاعفاء من التجنيد وذلك منذ سنة ١٨٨٦ وبذلك أصبح التجنيد تكليفا يختص به أبناء الطبقات المصرية الفقيرة والتى لا تستطيع دفع العشرين جنيها للبدل العسكرى فكان نمطا لا مثيل له فى أى أمة تحترم نفسها

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، من ص ١٥٨ الى ص ١٦٦ ٠

وخرج بالجندية المصرية عن معناها السامى الى اعتبارها عبئا تقع على كاهل الفقراء فقط وبموجب ذلك حرمت البلاد من روح الجندية المتصفة بالشجاعة والكرامة والتضحية وحرم الجيش من الفئة المثقفة والمتعلمة التى يمكنها النهوض بمستوى الجيش ·

٤ ـ منذ احتلال مصر سنة ١٨٨٢ أغلق الاحتلال البريطانى المدارس الحربية والبحرية واقتصر على مدرسة واحدة يلتحق بها أعداد قليلة من المتخلفين فى التعليم بدون مؤهلات واقتصر التعليم بها على معلومات لا قيمة لها تتناسب مع مستوى جهلهم ويقوم بالتعليم فيها معلمون معظمهم من الانجليز ·

٥ ـ تعمدت السلطات البريطانية ابعاد تدخل السلطات المصرية فى شئون الجيش وكانت الكلمة العليا فى كل ما يخص الجيش فى القيادة البريطانية المتمثلة فى سردار الجيش (القائد العام) البريطانى الجنسية وفى نفس الوقت يقوم بأعمال الحاكم العام للسودان والذى كان ينفذ سياسة حكومته متخطيا حتى أكبر رأس فى مصر لدرجة أنه عندما حاول الخديوى عباس خديوى مصر التدخل للنهوض بالجيش تدخلت السفارة البريطانية ومارست بريطانيا ضغوطا على الخديوى لدرجة التهديد بعزله·

٦ ـ بعد اعلان بيان ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ والذى اعترف صوريا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة تعمد الانجليز جعل الجيش المصرى يستمر تحت قيادة السردار الانجليزى ويخضع لسيطرته واستمرت بريطانيا محتفظة بحقها فى الدفاع عن مصر وتأمين سلامة المواصلات البريطانية فيها وصار لها الاشراف الكامل على الجيش المصرى وكان آخر سردار انجليزى هو السير لى ستاك الذى قتل فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وأطاح ذلك بوزارة الزعيم سعد زغلول وأعقب ذلك الانذار البريطانى الذى قضى باقصاد الجيش المصرى عن السودان ·

٧ ـ عملت السلطات البريطانية على مقاومة حق البرلمان المصرى فى مراجعة ميزانية وزارة الحربية واعتبرت ذلك حقا ينفرد به الجانب البريطانى فقط وبذلك انهار أهم مظهر من مظاهر السيادة المصرية متمثلة فى الحقوق الدستورية للبرلمان المصرى وذلك عندما قام أعضاء البرلمان المصرى سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ واقترحت اللجنة البرلمانية المصرية على زيادة وحدات الجيش المصرى وأسلحته فقامت حكومة بريطانيا بمظاهرة تهديدية لمصر يتحرك اسطولها بثلاث بوارج هددت الشواطىء المصرية بحجة ان فريقا من السياسيين المصريين أرادوا استعمال الجيش المصرى

لمعاداة بريطانيا وعقب ذلك فرضت السلطات البريطانية اشرافها الكامل على الناحية العســـكرية وحتمت على وزارة الحربية المصرية الخضـــوع لهذا النظام كالآتى :

(أ) وافقت وزارة الحربية المصرية على منح القائد البريطانى أكبر رتبة عسكرية فى الجيش المصرى وهى رتبة الفريق ·

(ب) وفرض على وزارة الحربية المصرية تنفيذ طلبات وتوصيات السلطات البريطانية المتعلقة بالتعيينات والترقيات ومنح الأوسمة وتقرير النظام الذى تقترحه السلطات والقادة البريطانيون دون سواهم ·

(جـ) تعيين ضابط بريطانى كبير برتبة لواء ليكون مساعدا للمفتش العام للجيش المصرى وينوب عنه فى غيابه ·

(د) صار ادماج مصلحة الحدود مع مصلحة خفر السواحل تحت اشراف المفتش العام البريطانى وجواز أن يكون المدير العام لهذا التشكيل ضابطا بريطانيا وتستمر الوظائف التى يشغلها ضباط أو موظفون انجليز محفوظة لهم ولاتمس اختصاصاتهم بأى حال ·

وعلى ان يبقى الاختصاص القضـــائى فى مناطق الحدود وخفر السواحل تحت اشراف السلطات البريطانية وتخضع للنظام العرفى وبذلك أحكمت قبضها على مقدرات الجيش المصرى ·

٨ ـ اشترطت بريطانيا فى معاهدة سنة ١٩٣٦ على الجانب المصرى ان تكون أسلحة الجيش المصرى ومعداته من الطراز البريطانى واشترطت بعد الغاء وظيفة مفتش عام الجيش (البريطانى) ايجاد بعثة عسكرية بريطانية تشرف على تدريب وتنظيم الجيش المصرى وتتحكم فى كل شئونه واشترطت أيضا الا توفد مصر الى الخارج أى بعثات عسكرية الا الى بريطانيا وعملت السلطات البريطانية على تعطيل أى مشـــاريع لاقامة صناعة حربية مصرية وجعلت الجيش المصرى يعتمد اعتمادا كليا على التسليح البريطانى ·

وعندما اشترك الجيش المصرى فى حملة فلســـطين رفض الانجليز تزويد الجيش المصرى بالسلاح والذخيرة كما تقضى معاهدة سنة ١٩٣٦ وكان ذلك من أسباب هزيمة مصر فى فلسطين ·

وبذلك دعت المؤسســـة العســـكرية المصرية الجديدة ان الانجليز وبمباركة الحكام المصريين بشـــكل أو بآخر كانوا يعملون على اضعاف الجيش المصرى وتجريده من القوة الحربية وكانت تجاوزات القصر الملكى وأحزاب مصر التقليدية وما كانت تقرره من رؤساء وزارات ووزراء وأعضاء

برلمانات كان كل همهم الوصول الى الحكم وتحقيق مصالحهم على حساب مصلحة الوطن وكانت هذه التجاوزات هى نفس ما يعانى منه الشعب المصرى وكانت كالآتى : ـ

(أ) تجاوزات القصر الملكى :

١ ـ لم يمض على تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية ثلاثة أشهر حتى كان رجال القصر والحاشية الملكية قد تمكنوا من السيطرة على الملك وبدأت المشاكل التقليدية بين القصر والسلطة التنفيذية وتخطى الملك الدستور ففى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ عين الملك (١) على ماهر باشا رئيسا للديوان وكان يجب ان يتم ذلك بموافقة الوزارة حسب التقليد الدستورى وكان التعيين على غير رغبة رئيس الوزراء النحاس باشا فاعترضت عليه الوزارة ثم تنازلت وأذعنت لرغبة الملك وسلمت له بالأمر الواقع واعتبر ذلك تجاوزا من الملك وتجاوزا من الوزارة بالتهاون فى التمسك باختصاصاتها الدستورية وعدوانا على الدستور ـ واستمر الملك فى هذه اللعبة وطالبت السراى بأن تكون المرجع النهائى فى تعيين كبار الموظفين بمراسيم ملكية وأن تكون احالتهم الى المعاش أيضا وفق الارادة الملكية وطالب القصر أيضا بحق تقديم مشروعات القوانين الى البرلمان وأن ينفرد الملك بتعيين كبار موظفى القصر وكان هذا بمثابة عدوان صارخ على الدستور الذى حلف الملك يمين الولاء له منذ أقل من ثلاثة أشهر ٠

٢ ـ فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ تجاوز الملك الأصول الدستورية باسلوب عدوانى فلما أراد التخلص من النحاس باشا رئيس الوزراء استخدم أسلوبا مهينا فى التخلص منه وذلك (٢) باصدار خطاب اقالة وكان من الواجب أن يطلب منه تقديم الاستقالة حفاظا على كرامة كبار رجال الدولة كالمعتاد وبخاصة أنه وقتها كان النحاس يمثل زعامة أغلبية الأمة المصرية ويعد هذا مخالفة صارخة لأصول التعامل بين الكبار ٠

٣ ـ فى سنة ١٩٤٠ يستجيب الملك لطلب السفير (٣) البريطانى وتدخله بتغيير وزارة على ماهر باشا ٠

٤ ـ فى ربيع سنة ١٩٤٤ يطلب القصر على لسان رئيس الديوان حسنين باشا من السفير البريطانى ليستأذنه فى أن يتخلص الملك (٤) من

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ جزء ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ للأستاذ الرافعى ٠
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٥ ٠
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٨٤ ٠
(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٨ ٠

وزارة النحاس باشا والوفد على أثر ما جاء فى الكتاب الأسود الذى كتبه ووزعه مكرم عبيد بعد أن طرده النحاس باشا من الوفد ومن عضوية البرلمان . واعتزام الملك تكليف حسنين باشا رئيس الديوان بتأليف الوزارة وكان الملك يبغى التخلص من النحاس باشا وعلى الأقل تاويث سمعته وبهذا الاستئذان من السفير البريطانى بما فى هذا التصرف من مهانة لمصر نفسها قبل أن تكون لتشخصه الملكى الذى يتبوأ عرش دولة المفروض أنها مستقلة .

ويرد السفير البريطاني على الملك (١) بوقاحة استعمارية أن التغيير الوزارى فى مصر مرهون برأى حكومة بريطانيا ويقبل الملك هذا الرد المهين له ولمصر بالمقام الأول .

٥ ـ فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ كان أقطاب (٢) الحلفاء روزفلت رئيس أمريكا وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا وشان كاى شيك رئيس الصين يعقدون مؤتمرا فى القاهرة لتنسيق وسائل الحرب بعد ظهور بوادر النصر ، ويستدعى الملك فاروق زعماء المعارضة متخطيا رئيس وزرائه النحاس باشا ويتفق مع زعماء المعارضة على كتابة مذكرة للثلاثة الكبار لتبليغهم مطالب مصر الوطنية نظير معاونتها للحلفاء أثناء الحرب ، وكان هذا تجاوزا من الملك علما بأن هؤلاء الزعماء الكبار كان من المفروض أنهم ضيوف حكومة مصر أى ضيوف الوزارة وكانت حكومة الأغلبية البرلمانية والشعبية وكانت كل أحزاب المعارضة تمثل الأقلية ولأن الملك نفسه حسب الدستور كان يتولى سلطانه بواسطة وزرائه .

٦ ـ فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وللمرة الثانية وعندما أراد الملك التخلص من وزارة النحاس باشا أرسل له خطابا مهينا لاقالة وزارته رغم أنه زعيم الأغلبية وكان تجاوزه هذا لعدم التفاهم معه على تقديم الاستقالة يحمل معنى اهانة شعبه المصرى الذى كان النحاس باشا يتمتع حتى هذا الحين بثقته وأصبح منذ (٣) هذا التاريخ هذا الأسلوب تقليدا ملكيا فى معاملة رؤساء الوزارات رأس السلطة التنفيذية .

٧ ـ فى سنة ١٩٤٦ كانت بداية الانحدار الأخلاقى للملك فاروق وبداية سلوكه المستهتر فأخذ (٤) يحيط نفسه بحاشية فاسدة امعنت فى

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للرافعى ، جزء ٣ ، ص ١٣٥ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٣ .
(٣) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى ، جزء ٣ ، ص ٢٣٦ .
(٤) مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ للاستاذ الرافعى ، ص ١٩٥ . ص ٧٧، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

التدخل فى شئون السلطة التنفيذية وتمادى الملك فى الانحدار لدرجة انه سمح لأفراد حاشيته بطلب الرشوة علنا لحساب الملك ولحسابهم أو يتخطون الدستور فى كل كبيرة وصغيرة وأخذ الملك يتسلى بلعبة التغييرات الوزارية لأتفه الأسباب .

استولى على كثير من الأوقاف بطرق غير مشروعة وطرد نظارها من ادارتها وانتزع من (١) وزارة الأوقاف أراضى تبلغ مساحتها ٤٥١٥٩ فدانا منها وقف الأميرة زينب كريمة محمد على المعروف بوقف شاوة ومساحته ٩٣٨٠ فدانا وانتزعه سنة ١٩٤٨ ووقف الخديوى اسماعيل المعروف بتفتيش الوادى ومساحته ١٥٦٣٩ فدانا سنة ١٩٤٥ ووقف آخر للخديوى اسماعيل مساحته ٥٠٥٠٠ فدانا فى المنتزه والمنصورة والمعتمدية سنة ١٩٤٨ وكان هذا الانتزاع بموجب أوامر شفوية (نطق سام) أبلغته الخاصة الملكية لوزارة الأوقاف .

وتمادى فى تجاوزاته المالية بامتناعه عن دفع الضرائب وحتى على سيارته وكذلك الرسوم الجمركية على متعلقاته رغم عدم اعفاء القانون له وبلغت مجموع الضرائب المستحقة عليه والمتهرب منها أكثر من مليون من الجنيهات - ثم سخر الدولة للصرف على قصوره وصيانتها وتأثيثها وبلغت الملايين من الجنيهات .

٨ - فى آخر سنة ١٩٤٧ كان اللواء أحمد عطية وزيرا للدفاع والمهندس عبد المجيد بدر وزيرا للمالية ومعهما وزيرين آخرين (٢) يسهرون فى ملهى حلمية بالاس والذى اعتاد الملك فاروق السهر به . ورآهم الملك فى الملهى وغادر الوزيران الآخران المكان بمجرد أن شعرا بأن الملك رآهما ولكن أحمد عطية وعبد المجيد بدر لم يبرحا المكان واعتبر الملك ذلك تحديا له . وطلب من رئيس الوزراء والنقراشى باشا اخراجهما من الوزارة ونفذ له ذلك وافتعل النقراشى باشا تعديلا وزاريا واستبعدهما وفرض الملك دخول حيدر باشا الوزارة الجديدة ليكون وزيرا للحربية محل محمد عطية حيث كان حيدر باشا من المقربين للملك وكل ذلك فى غيبة من مساءلة البرلمان .

٩ - فى عهد وزارة النقراشى باشا سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ وجرت العادة أن تقوم وزارة الأوقاف بادارة الأوقاف الخيرية بموجب (٣) توكيل يصدر بتوقيع الملك . وأراد الملك فاروق أن ينتزع أطيان الأوقاف الخيرية

---

(١) مقدمات ثورة سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢)فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى ، جزء ٣ ، ص ٢٢٦ .

(٣) مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ للاستاذ الرافعى ، ص ١٩٥ .

من تحت اشراف وزارة الأوقاف لتكون تحت ادارة الخاصة الملكية ورفض وزير الأوقاف تنفيذ ذلك حرصا على أموال المسلمين وأبلغ رئيس الوزراء ولم يتخذ النقراشي باشا أي اجراء ضد القصر خشية التسبب في أزمة ووقف البرلمان متفرجا ٠

١٠ ــ في عهد وزارة النقراشي باشا الأخيرة سنة ١٩٤٧ ، ١٩٤٨(١)٠
طلب الملك فاروق أن يتم اصلاح الباخرة المحروسة على حساب الدولة بحوالى مليون ونصف المليون جنيه رفض النقراشي باشا هذا الطلب وبعد مقتل النقراشي باشا عاود طلب هذا المبلغ من الحكومة وأجيب الى طلبه وذهب معظم المبلغ عمولة للملك ولرجل حاشيته انطونيو بوللى وللسمسار الملكى أدمون جهالان ٠

وكان للملك يخته الخاص (فخر البحار) اشتراه سنة ١٩٤٣ من الأمير يوسف كمال بمبلغ ٧٦ ألف جنيه وباعه الى الحكومة بمبلغ ١٧٦ ألف جنيه بحجة ضمه للاسطول المصرى ولكنه خصصه لرحلاته الخاصة دون دفع نفقات رحلاته واستعماله وصيانته ٠

وكل هذه تجاوزات ملكية مالية لا تليق بملك ينتهز كل فرصة لاستغلال أموال الدولة ٠ لاشباع نهمة الى المال العام ٠

١١ ــ من تتابع تصرفات الملك الغير دستورية اعتاد الوزراء الاستجابة لرغباته ولرغبات الحاشية تقربا وزلفى لدى القصر فكان كبار رجال الدولة الذين يحتاج التعيين فيها الى اصدار مراسيم ملكية كالحركات القضائية أو المديرين في وزارة الداخلية فلا تعرض على مجلس الوزراء الا بعد موافقة القصر ٠

١٢ ــ وفى نفس الوقت كانت (٢) العلاقات الزوجية قد ساءت بين الملك والملكة فريدة وبدأت الحاشية الفاسدة تغريه وتشجعه على السهر فى الكباريهات وصالات القمار وشاعت استهتاراته والتى بالتالى تؤثر على شعوب العالم الاسلامى عامة والشعب المصرى خاصة فزاد السخط والاحتقار وكانت تصل اليه هذه المعلومات فكان يستهين بذلك معتقدا أنه محصن بولاء ضباط الجيش وخاصة بعد حادث ٤ فبراير ٠ كما كان يعتقد أن الدستور يحميه بموجب « أن الملك ذاته مصونة لاتمس » « وهو أسوأ نص فى الدستور » ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ٠
(٢) من باب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ٠

١٣ ـ فى سنة ١٩٤٨ يشكل الملك حرسا (١) مسلحا خاصا أسماه الحرس الحديدى أخذ يرهب ويهدد به رجال الحكومة والأحزاب الذين يعارضـــوه ٠

١٤ ـ فى نفس عـــام ١٩٤٨ فجـأة وفى ١٢ مايو (٢) على وجه التحديد يصدر الملك أمره الى الجيش المصرى باجتياز حدود فلســطين متخطيا بذلك البرلمان والحكومة وبصفته القائد الأعلى للجيش وذلك دون تبليغ رئيس الوزراء النقراشى باشا ويكلف حيدر باشا وزير الحربية بابلاغ النقراشى باشا بذلك وكان هذا يعنى اعلان الحرب وهى مخالفة دستورية صارخة ٠

١٥ ـ ســنة ١٩٥٠ يقوم الملك فى ظل وزارة (٣) النحاس باشـــا باستبدال رئيس ديوانه حافظ عفيفى باشا بحســـين سرى باشا دون استشارة الوزارة وهذا غير دستورى ٠

١٦ ـ وفى نفس عام سنة ١٩٥٠ يتمادى الملك فى سلوكه الفاضح وتبذيره الأموال على موائد القمار ومغامراته النسائية مع ساقطات أوروبا ويصبح هدفا للنشر والسخرية فى جميع صحف العالم ٠

١٧ ـ فى ســـنة ١٩٥٠ أثناء التحقيق مع مجلة روزاليوسف عن مقالاتها عن الأسلحة الفاسدة التى استعملت فى حرب (٤) فلسطين تظهر اشتراك رجال القصر والحاشية فى تجارة السلاح وحصولهم على عمولات كبيرة كوسطاء للجيش المصرى ٠ وتدخل الملك أثناء التحقيق والمحاكمات بشكل سافر معتديا على اختصاصات السلطة القضائية وتسبب هذا التدخل فى عدم انتهاء المحاكمات وانحصر الاتهام وقتها فى كبار رجال الجيش المسئولين عن شراء واستلام وتخزين هذه الأسلحة والذخائر دون الوصول الى المتهمين الأصليين من رجاله ٠

١٨ ـ فى عام ١٩٥٠ ٠ تنـــاولت الصحافة العالمية ابتذال الملكة الأم نازلى فى أمريكا وتزويج احدى بناتها الى موظف مصرى مسيحى فى أمريكـــا ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٤٥ ٠

(٢) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ٢٩٧ ٠

(٣) مقدمات ثورة سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ٠

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ١٤٧ ٠

١٩ - في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ يصدر (١) فاروق مرسوما ملكيا بتعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان دون الرجوع الى الوزارة وبعد هذا نجاوزا عن العرف الدستوري وأصدر أمرا بتعيين الياس أندراوس أحد رجال حاشيته محل حافظ عفيفي في مركز محافظ بنك مصر وكان اندراوس أداة الملك في اختلاساته وسرقاته ٠

وفي نفس الوقت أيضا أصدر مرسوما بتعيين عبد الفتاح عمرو سفير مصر في لندن ليكون مستشارا للديوان في الشئون الخارجية متخطيا بذلك اختصاصات رئيس الوزراء النحاس باشا وقد لزمت الوزارة الصمت تجاوزا عن اختصاصها ٠

٢٠ - في ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ يكلف الملك على ماهر باشا (٢) بتأليف الوزارة لتحقيق استقرار البلاد بعد حريق القاهرة وبمجرد أن يبدأ في الحكم يصطدم مع رغبات الملك وتدخل الحاشية فيرغمه الملك على تقديم استقالته بعد أقل من خمسة أسابيع من تشكيل الوزارة ٠

٢١ - في أول مارس سنة ١٩٥٢ وعقب استقالة على ماهر يكلف الملك نجيب الهلالي بتأليف الوزارة متجاهلا البرلمان (٣) وبعد أربعة أشهر أي في آخر يونيو سنة ١٩٥٢ يرغمه على الاستقالة ٠ وعلم أن عبود باشا دفع رشوة كبيرة في الخارج الى كريم ثابت أسوأ رجال الحاشية للتخلص من الهلالي باشا ٠

٢٢ - في أول يوليو سنة ١٩٥٢ يكلف الملك (٤) حسين سرى باشا بتأليف الوزارة ويفرض عليه الملك كريم ثابت بسمعته السيئة ليكون وزيرا للدولة ٠

وفي نفس الوقت يتم انتخابات مجلس ادارة نادى ضباط الجيش وينتخب محمد نجيب رئيسا على غير رغبة الملك وينصح رئيس الوزراء حسين سرى باشا الملك بتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ترضية للضباط بعد نكشف عدم رضائهم عن الأحول أثناء الانتخابات ويغضب الملك من رئيس وزرائه لهذه النصيحة ويرغمه على الاستقالة بعد ثلاث أسابيع فقط من تشكيله للوزارة وكأن تشكيل واقالة الوزارات لعبة في يد طفل غرير ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ ٠
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ٠
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٥ ٠
(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ٠

٢٣ ـ يتدخل الملك فى انتخابات نادى ضباط الجيش متحديا اللوائح ويصدر أمرا بحل مجلس الادارة المنتخب ويصدر أوامره بتعيين مجلس آخر يختاره بمعرفته ٠

٢٤ ـ بعد استقالة (١) حسين سرى فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢ يكلف الملك الهلالى باشا مرة ثانية بتشكيل الوزارة ويفرض عليه تعيين زوج شقيقة الملك (اسماعيل شيرين) ليكون وزيرا للحربية دون أى مؤهلات عسكرية أو مدنية تحديا للجيش ويقبل الهلالى باشا ٠

تجاوزات التوجيهات الملكية :

٢٥ ـ منذ تشكيل وزارة النحاس باشا سنة ١٩٥٠ ابتدعت وزارة الوفد أسلوبا جديدا مخالفا للدستور وأسمته « التوجيهات الملكية » وتمادى الملك فى استخدام هذا الأسلوب فى الحكم المطلق ٠ فكانت هذه التوجيهات أوامر لا تقبل المناقشة وتسللت هذه التوجيهات الملكية الى مختلف الوزارات بل الى الجهاز التشريعى نفسه ٠ وكأن أمر التعدى على الدستور لا يعنى أعضاء البرلمان ٠

تجاوزات السلطة التنفيذية والأحزاب :

كانت تجاوزات الملك سواء عندما كان يتخطى السلطة التنفيذية والاتصال بالسفارة البريطانية لتنفيذ رغباته وسكوت الوزارة عن هذا التجاوز يعتبر فى نفس الوقت تجاوزا من السلطة التنفيذية نفسها كما ان تخطى الملك للوزارة وسلبها اختصاصاتها فى اصدار المراسيم الملكية بتعيين كبار موظفى القصر أو الدولة مباشرة وسكوت الوزارة على هذه التجاوزات الملكية يعتبر فى نفس الوقت تجاوزا من السلطة التنفيذية نفسها على شكل تنازلها عن اختصاصاتها التى أعطاها لها دستور الشعب كما أنه بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ واعلان استقلال البلاد وتوقف تدخل السفير البريطانى فى شئون مصر الداخلية كان من المفروض ان تتمسك السلطة التنفيذية بمقتضيات هذا الاستقلال المنصوص عليه فى المعاهدة فكأن على الأحزاب ان تلزم زعماءها بهذا الموقف الاستقلالى ولكن الوزارات المتعاقبة دأبت على مداومة الاتصال بالسفارة البريطانية لأخذ رأيها للتصرف فى صميم اختصاصها ٠

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ٠
(٢) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، طبعة ١٩٥٧ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ ٠

فكانت تجازات السلطة التنفيذية فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٦ ــ سنة ١٩٥٢ كالآتى :

١ ــ بعد أن تصور النحاس باشا رئيس وزعيم حزب الأغلبية أنه بحصوله على معاهدة سنة ١٩٣٦ قد حقق آمال مصر وأوهم الشعب أن هذه المعاهدة هى وثيقة الشرف رغم الوجود العسكرى البريطانى على جزء من أرض مصر فقامت الجماهير بتأييد النحاس بشكل مبالغ فيه شجعته على الغرور والتعالى على زملاء كفاحه • وكان أربعة من وزرائه يعارضونه خاصة فى أسلوب تنفيذ مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان حيث شاب هذا شبهه انحراف وزير أشغاله عثمان محرم باسناده هذا المشروع الى شركة كهرباء انجليزية دون العرض فى مناقصـــة عامة كما تقضى الأصول المالية •

فما كان من النحاس باشا إلا أنه فى (١) ٣١ يوليو سنة ١٩٣٧ انتهز فرصة التغيير الوزارى بمناسبة تولى الملك سلطاته الدستورية واستبعدهم من التشكيل الوزارى وهم من أنزه رجال حزب الوفد وهم زملاء كفاح منذ تشكيل الوفد معتمدا على تأييده المطلق من البرلمان والشعب وتحوله منذ هذا التاريخ الى ديكتاتور • ثم يقوم بعد ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٣٧ بفصل النقراشى باشا من الهيئة الوفدية وفى أول يناير سنة ١٩٣٨ وكان النحاس خارج الحكم يقوم بفصل الدكتور أحمد ماهر من الوفد وكان من أبرز رجال العمل الوطنى فقط لأنه لم يكن من الموافقين على فصل النقراشى ومحمود غالب ومحمد صفوت واستمر أحمد ماهر يؤيدهم ضد المحسوبية والاستثناءات والفساد والذى بدأت تسرى بين صفوف رجال حزب الوفد وكل هذه تجاوزات مارسها النحاس كرئيس وزراء ورئيس حزب الوفد الذى قام أساسا على وجوب احترام الأسلوب الديمقراطى والدستورى ومنذ ذلك الوقت انقلب النحاس الى صورة الزعامة المقدسة التى لايصح أن تراجع فى أى أمر أو تصرف •

٢ ــ فى سنة ١٩٣٧ شكل النحاس باشا فرقا من (٢) الميلشيات أسماها فرقة القمصان الزرقاء ومارس بهذه الفرق الشبه عسكرية أرذل وأسخف أنواع الارهاب ضد معارضيه سواء من رجال السياســـة أو الشـــعب •

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، جزء ٣ للاستاذ الرافعى ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٩ •

٣ ـ فى أثناء تولى النحاس باشا وزارته الرابعة انتشرت سياسة المحسوبية فى مجال الوظائف العامة لكل من يمت الى الوفد بصلة وقابل ذلك اضطهاد للموظفين والعمد والمشايخ الذين لهم صلة بالأحزاب المعارضة واشتركت معه الهيئة الوفدية فى هذا الطغيان ٠

٤ ـ اعادت وزارة النحاس العمل بقانون رقم (١) ٢٢ لسنة ١٩٢٩ الذى يقضى بالعنف مع الطلبة لأجل حفظ النظام بمعاهد التعليم وكان الوفد قد رفضه سنة ١٩٣٠ واعتبره قانونا باطلا ومخالفا للدستور ٠ وقامت وزارة النحاس فى آخر أيامها بالقبض العشوائى على كثير من الطلبة الأبرياء بحجة اشتراكهم فى التآمر على حياة النحاس باشا ٠

٥ ـ وفى عهد وزارة محمد محمود الثانية أثناء اجراء الانتخابات تدخلت الوزارة تدخلا سافرا لصالح مرشحيها (٢) وأنصارها ٠ وفصلت وأبعدت كثيرا من كبار الموظفين بالدولة المنتمين للوفد متخطية بذلك حقوق الموظفين والتى يحميها الدستور والقانون ٠ ولجأت الى أسلوب النحاس والوفد فى الاستثناءات لمؤيديها والتنكيل بخصومها ٠

٦ ـ فى عهد وزارة محمد محمود الثانية أبرمت الحكومة (٣) اتفاقية روما فى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ بدعوى حسن الجوار بين ايطاليا ومصر ٠ وكانت تتعلق بأملاك ايطاليا فى شرق افريقيا (ليبيا) وكينيا والصومال البريطانى والسودان بحجة أن مصر مسئولة عن السودان والحقيقة أن هذه الاتفاقية كانت بايعاز من بريطانيا ولم تكن وقتها لمصر أى سيادة على السودان ٠

فكان توقيع مصر على هذه المعاهدة ـ تأكيدا بتبعية مصر لبريطانيا وسياستها وكاعتراف شبه دولى على ان مصر تشترك فعلا مع بريطانيا فى تمثيل السودان وكل ذلك تم بمعرفة الحكومة دون الرجوع الى البرلمان ٠

٧ ـ فى عهد وزارة على ماهر باشا سنة ١٩٣٩ وتحت الحاح وطلب السفير البريطانى يقوم على ماهر بالتخلص من عزيز المصرى باشا (٤) رئيس أركان هيئة أركان حرب الجيش المصرى بعد أشهر قليلة من تعيينه ويعد ذلك خضوعا لطلبات السفير البريطانى ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٦٨ ٠
(٤) كتاب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ،

٨ ــ سنة ١٩٤٠ تدخل السفير البريطانى وطلب من الملك (١) وضع حد لموقف حكومة على ماهر العدائى لحكومة بريطانيا وجمع الملك زعماء الأحزاب وضغط على على ماهر باشا لتقديم استقالته خضوعا لارادة الانجليز وتجاوزا من زعماء الأحزاب ·

٩ ــ فى سنة ١٩٤٢ وفى عهد وزارة النحاس باشا (٢) يطلب السفير البريطانى من النحاس باشا اعتقال على ماهر رئيس الوزراء الأسبق وعضو الشيوخ ويقوم النحاس باشا باعتقاله بتحديد اقامته فى قصره (بالقصر الأخضر) خارج القاهرة وفى حراسة مشددة من البوليس ويتمكن على ماهر من الهروب الى مجلس الشيوخ ولجأ اليه مستخدما الحصانة البرلمانية ولكن رئيس الشيوخ الوفدى محمد محمود خليل يخذله هو وأعضاء المجلس وتم القبض عليه واعتقاله على بوابة البرلمان وكان تجاوزا صارخا من الحكومة ورئيسها ومن أعضاء البرلمان ورئيس مجلس الشيوخ ومخالفة للدستور ·

١٠ ــ فى سنة ١٩٤٢ فى عهد وزارة حسين سرى (٣) وفى شهر يناير تستجيب الحكومة لطلب السفير البريطانى وتقطع علاقات مصر مع حكومة فيشى الفرنسية بحجة تعاونها مع الاحتلال الألمانى لفرنسا وكان من الواجب الا يقبل رئيس الوزراء هذا الاتصال المباشر والذى كان يجب ان يكون عن طريق وزارة الخارجية المصرية وعلى الا يتخذ هـــذا القرار الا بعد العرض على الملك وعلى البرلمان · وعندما يبلغ الملك بهذا التجاوز ويجد نفسه غير قادر على مؤاخذة رئيس وزرائه والذى له صداقات مع السلطات البريطانية يقوم الملك بالتنبيه على وزير الخارجية المصرى صليب سامى باشا والذى لم يكن يملك من أمره شىء بملازمة منزله تمهيدا لاقالته · وتحتج السفارة البريطانية عن تصرف الملك مع وزير خارجيته ، فسرعان ما يتراجع الملك بعد أن يغير رئيس الوزراء حسين سرى القرار ليجعله وقف العلاقات بدلا من قطعها مع حوكة فيشى الفرنسية ·

١١ ــ وقائع وملابسات ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ (وتجاوزاتها) (٤)

يوم ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ قدم رئيس الوزراء حسين سرى استقالته تحت ضغوط من الملك فاروق لتنفيذه مطالب السفارة البريطانية على غير رغبة منه ·

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى جزء ٢ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ·
(٢) مذكرات د· محمد حسين هيكل ، جزء ١ ، ص ٢١٧ ــ ٢٢٠ ·
(٣) كتاب حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د· محمد انيس ، ص ٥٨ ·
(٤) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء ٢ للأستاذ الرافعى من ص ١٠٢ الى ص ١٠٨ ومن كتاب الدكتور ميشى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ·

وفى يوم ٣ فبراير يقابل السفير البريطانى الملك ويلمح له أن حكومة بريطانيا منزعجة من الشعور العدائى لبريطانيا من مصر وبالذات فى هذا التاريخ الذى كان موقف بريطانيا العسكرى على حدود مصر مشحونا بأخطر الاحتمالات ولذلك يشير على الملك بأن بريطانيا ترشح النحاس باشا لتولى رئاسة الوزارة لقدرته وقدرة حزبه على تحقيق الهدوء والاستقرار فى البلاد ٠

وفى نفس اليوم ٣ فبراير ورغم وضوح الظروف للملك ولمستشاره حسنين باشا رئيس ديوانه يعاند الملك ولا يعمل على التفاهم مع النحاس باشا للاسراع فى تشكيل الوزارة ولكنه يقوم بالاجتماع مع جميع رؤساء الأحزاب كل على حدة ويرفض النحاس باشا تأليف وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب كما أشار الملك ويصر على تأليف وزارة وفدية صرفة ٠ ويؤيد (١) رؤساء أحزاب الأقلية رأى الملك وتبدأ الأزمة وتتصاعد بعد أن تسلم السفارة البريطانية يوم ٤ فبراير انذارا واضحا الى الملك بوجوب تأليف النحاس الوزارة وفيه جانب كبير من التهديد وفى نفس يوم ٤ فبراير يجتمع الملك مع رؤساء الاحزاب ومع رؤساء الوزارات السابقين وبعد قراءة صيغة الانذار عليهم تركهم للمشاورة والتفاهم ورفض النحاس باشا اقتراحات الجميع بامكان تأليف وزارة ائتلافية وأصر على أن تكون وزارة وفدية ولم يتفقوا على شىء ٠ ووقع الجميع على مذكرة على شكل احتجاج للحكومة البريطانية واضطرت السفارة البريطانية لتنفيذ الانذار باقتحام القوات العسكرية البريطانية لبوابات قصر عابدين وتهديد الملك بعزله ، فتراجع الملك فاروق وقبل تكليف النحاس بتأليف وزارة وفدية وينفذ رغبة السفير البريطانى وارادته فى جو مشحون بالتجاوزات من جميع الأطراف المصرية فالملك تجاوز بتمسكه برأيه رغم احاطته بجميع الظروف ورئيس الديوان حسنين باشا الخبير بالعقلية الاستعمارية البريطانية وحتى اذا أرجعنا ذلك الى قلة خبرته وصغر سنه فكان على مستشاره أن يتحاشى الأزمة ٠

أما النحاس باشا باعتباره زعيم الحزب والأمة ولخبرته الطويلة مع الانجليز وتوقع العنف منهم فكان واجب عليه أن يتنازل بعض الشىء عن التصلب فى رأيه ويقبل تشكيل وزارة ائتلافية ويرضى بذلك جميع الأطراف وفى نفس الوقت يضمن اجراء انتخابات جديدة فى ظل رئاسته وبذلك يمكن أن يحصل بالقطع على الأغلبية التى ينشدها ويجنب بلاده مثل هذه المواقف الصعبة ٠

(١) وقائع وملابسات أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ مذكورة بالتفصيل فى كتاب المؤلف ارهاب ثورة سنة ١٩١٩ ٠

أما باقى جميع رجال الأحزاب والسياسين ورؤساء الوزراء السابقين فقد تجاوزوا بموقفهم المتشدد مع النحاس رغم تأكدهم من خطورة وجديه الانذار البريطانى ٠

كانت مظاهرات الابتهاج من أنصار الوفد بعودة النحاس الى الحكم مأساة حيث استقبلت جماهير المهنئين من أنصار الوفد السفير البريطانى لدى وصوله لتهنئة النحاس بمجلس الوزراء بالترحيب وحملته على الأكتاف وكان الشعب قبل اقل من شهر يقوم بالهتاف فى المظاهرات ضد بريطانيا دولة الاحتلال ٠

١٣ ـ **قامت حكومة الوفد تمهيدا** لاجراء الانتخابات بأن (١) فصلت كبيرا من العمد والمشايخ الذين لا يدينون لحزب الوفد بالولاء ٠ وقامت لجان الوفد فى الأقاليم بالتحكم فى رجال الادارة وكان هذا هو نفس أسلوب جميع الأحزاب المصرية عندما تكون فى الحكم مما جعل الشعب يسخط على جميع الأحزاب ٠

رفض النحاس باشا الاتفاق مع باقى الأحزاب على تقسيم الدوائر بحيث يكون لجميع الأحزاب عدى الوفد ثلث المقاعد وكانت حجة النحاس أنه يبغى الحصول على ثلاثة أرباع المقاعد على الأقل حتى تكون له ولحزب الوفد السلطة الدستورية التى تبيح اسقاط العضوية عن أى نائب يفكر فى معارضته وكان هذا اعتراف باتباع الأسلوب الدكتاتورى فى الحكم ٠ هذا بالاضافة الى انفراد النحاس بالسلطة المطلقة بموجب اعلان الأحكام العرفية تمشيا مع حالة الحرب فى المنطقة تبعا لارادة الجيش البريطانى ولكونه الحاكم العسكرى للبلاد وقد ساعد هذا الأسلوب فى اسكات أى أصوات علنية أو سرية أو صحفية لانتقاد تصرفات النحاس أو الوفد أو مأساة ٤ فبراير ٠ وتمادى فأصدر مرسوما بالغاء التعيينات التى أجرتها وزارة حسين سرى لبعض أعضاء مجلس الشيوخ فى مايو سنة ١٩٤١ وبذلك أمكنه التخلص من جميع الشيوخ المعارضين وأصبحت الهيئة التشريعية العليا فى البلاد بيد السلطة التنفيذية وهذا يعتبر تجاوزا صارخا ٠

١٤ ـ التخلص من معارضى النحاس باشا من حزب الوفد :

فى يولبو سنة ١٩٤٢ وبعد حصوله على الأغلبية الكاملة والتأييد (٢) الحزبى قام بالتخلص من مكرم عبيد سكرتير عام حزب الوفد لمجرد معارضته

---

(١) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى جزء ٣ ، ص ١١٣ ـ ١٢٠ ٠
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ٠

لتنفيذ رغبات المقربين للنحاس الاستثنائية وكل ذلك فى غيبة من حريه النشر بحجة الرقابة على الصحف من أجل الضرورة الحربية ٠

١٥ ـ القبض على المواطنين لمجرد الشبهه :

قام ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء سنة ١٩٤٩ وعلى أثر مقتل النقراشى باشا باضطهاد كل من يشتبه فيه وبخاصة من أعضاء جمعية الاخوان المسلمين قبل اثبات أى دليل وقامت الوزارة بالعديد من الاعتقالات وأساءت معاملة المعتقلين أساءات بالغة وتعدى الاضطهاد الى ذويهم وأسرهم الأبرياء وقد أثارت هذه الاضطهادات شعور المواطنين ٠

١٦ ـ مجاملة الملك على حساب الدستور :

فى عام سنة ١٩٥٠ عندما يتصدى أحد أعضاء مجلس الشيوخ بالمعارضة بتقديم استجواب يتعلق بفساد ذمة بعض المقربين للملك وهو كريم ثابت وخاصة فى موضوع عمولات شراء الأسلحة للجيش المصرى فيقوم سكرتير الوفد فؤاد سراج الدين وبصفته وزيرا فى الوزارة الوفدية ويدافع عنه ترضية للملك ٠

من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥٢ تخضع السلطة التنفيذية المتمثلة فى الوزارات التى تشكلت من الأحزاب المتتابعة لارادة الملك وحتى البرلمانات وأعضائها وبذلك أصبحت التجاوزات سواء من الملك أو السلطة التنفيذية أم أعضاء البرلمان متداخلة ٠

(جـ) تجاوزات ممثلى الشعب من أعضاء البرلمان :

لم يتصد أعضاء البرلمان لتجاوزات الملك والحاشية والأحزاب والوزراء بالمساءلة أو المراجعة أو الاستجواب ٠ فتسبب ذلك فى تفاقم حالة السخط من الشعب ومن طليعة المؤسسة الوطنية الجديدة من التنظيمات الوطنية بين ضباط الجيش ٠

١ ـ فى عصر وزارة محمد محمود الثانية سنة ١٩٣٧ وما قبلها (٣) لم يتوافر عنصر الاستقلال وحرية الرأى بين نواب الشعب فلم يكن لمجلس الشيوخ أو النواب رأى فى أخطر المواضيع أو الأزمات تبدأ وتنتهى ثم تعدل الوزارة أو تستقيل أو تقال أو تؤلف الوزارة الجديدة ٠ فكان

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للرافعى جزء ٢ ، ص ٢٨٢ ٠

(٢) مقدمات ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ للرافعى ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ٠

(٣) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، جزء ٣ ص ٥٧ ٠

الأعضاء شيوخا أو نوابا وهم مصدر السلطات يذعنون لأى وضع مخالف للدستور تريده السراى دون احتجاج وهو من صميم اختصاصاتهم فى مساءلة باقى السلطات مهما علت ٠

٢ ــ سنة ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٢ تصاعدت وتكررت تدخلات السفير البريطانى فى جميع أعمال الوزارات وحتى فى صميم (١) تخصصات الملك ولم يحاول أعضاء البرلمان فضح هذه التدخلات برلمانيا ولم يتقدموا بأى استجواب أو حتى مساءلة الجهات المصرية التى تخضع لهذه التدخلات البريطانية أو حتى احتجاج على هذه التدخلات البريطانية وبذلك ساعدوا على ايجاد وضع سيادى مميز للسفير البريطانى فى مصر ٠

٣ ــ فى يناير سنة ١٩٤٢ وبعد اشتراك السعديين (٢) فى الوزارة استقال عبد الحميد بدوى وزير المالية وعين بدلا منه حسين سرى مع بقائه وزيرا للداخلية دون عرض الموضوع على البرلمان ودون تقديم استجواب من أى عضو حتى ولو لمجرد سؤال رئيس الوزراء عن أسباب هذا التعديل وعرف وقتها أنه أجبر على الاستقالة ٠ وقد كانت كل التعديلات الوزارية تحدث بعيدا عن توجيه البرلمان ٠

٤ ــ فى سنة ١٩٤٢ لم يسأل البرلمان الحكومة بعد قطعها العلاقات مع حكومة فيشى ولو حتى على أساس استكمال الشكل الدستورى ٠

٥ ــ فى يونيو سنة ١٩٤٣ يعتقل النحاس باشا رئيس الوزراء عضوين من أعضاء مجلس الشيوخ هما على ماهر باشا ومحمد طاهر باشا رغم الحصانة البرلمانية ولا يتحرك المجلسان فى مواجهة هذا الاعتداء الدستورى ٠ وعندما يلجأ على ماهر الى مجلس الشيوخ لشرح موقفه وفضح التدخلات البريطانية يمنعه رئيس مجلس الشيوخ من الكلام ويساعد على اعتقاله على أبواب البرلمان ٠

٦ ــ سنة ١٩٤٣ يصدر مكرم عبيد سكرتير حزب الوفد السابق وأحد أعضاء البرلمان الكتاب الأسود يفضح فيه سياسة حكومة الوفد وتجاوزاتها ويقوم سكرتير الوفد الجديد فؤاد سراج الدين بصفته الوزارية بالرد على بيان مكرم عبيد فى البرلمان ويستهين بعقول جميع أعضاء البرلمان والشعب بتبرير كل هذه المخالفات بذكر كثير من التصرفات المفضوحة على مرأى

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ ومن ص ٧٢ الى ١٠٩ ٠

(٢) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للرافعى جزء ٣ ، ص ١١٧ ٠

ومسمع من نواب الأمة ومع ذلك يقوم أعضاء المجلس بالتصفيق للوزير سراج الدين مؤيدين المغالطات على طول الخط . وعندما يطلب سراج الدين موافقة الأعضاء على اسقاط العضوية البرلمانية عن مكرم عبيد يحصل على تأييد الجميع ثم تقوم الوزارة باعتقال مكرم عبيد الوزير السابق ١٩٤٤ وكأن الدستور المصرى والبرلمان اصبح أداة للتنكيل حتى بأبرز رجال السياسة بدل أن يكون أداه لرفع الظلم والباطل واظهار الحقائق وحتى للمراجعة .

٧ ـ فى سنة ١٩٤٨ تخطى الملك (١) للبرلمان وللسلطة التنفيذية باعطاء الأوامر للجيش المصرى باجتياز الحدود المصرية الفلسطينية أى اعلان الحرب ثم يقوم رئيس الوزراء النقراشى باشا بعد ذلك وذرأ للرماد بجمع البرلمان لأخذ موافقته ويحصل عليها دون أن يرفع أى عضو صوته ولو بأى صورة من الصور .

٨ ـ فى سنة ١٩٥٠ وفى ظل وزارة النحاس باشا (٢) سمح الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ لأحد الأعضاء بتقديم استجواب عن تصرفات رجال الحاشية الملكية المتسينة فى حقهم وفى موضوع صفقات الأسلحة للجيش المحارب وحول تقرير ديوان المحاسبات الذى يؤكد على فساد رجال القصر . يقوم البرلمان بتدبير مع الحكومة لمؤامرة ضد دكتور هيكل بالايعاز لأحد الأعضاء فى نهاية الجلسة باقتراح بتنحية رئيس مجلس الشيوخ نفسه والعضو المستجوب وثمانية عشر عضوا آخرين من الذين انضموا أثناء المنافسة لاظهار حقيقة الفساد بين رجال القصر ، وقام أغلبية أعضاء المجلس بالموافقة على طرد كل هؤلاء الأعضاء ويعد هذا تجاوزا صارخا من الأعضاء جميعا للاشتراك فى مثل هذه المؤامرة والمفروض أنهم حماة هذا الدستور .

(١) فى اعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ٢٥٢ الى ٢٥٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

بوادر تكوين المؤسسة الوطنية المصرية الجديدة

كشف حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ المؤسسة الوطنية متمثلة فى حزب الوفد والحزب الوطنى وبعض أحزاب المعارضة وكلها أثبتت من خلال ملابسات هذا الحادث أنها تعودت على الخنوع للسفارة البريطانية رغم استقلال البلاد بموجب معاهدة ١٩٣٦ وتوج بعض أتباع حزب الوفد (١) هذا الخنوع بحمل السفير البريطانى على الأعناق والهتاف بحياته وحياة بريطانيا فى ساحة مجلس الوزراء عند قيامه بزيارة النحاس باشا مهنئا بعد تشكيل الوزارة طبقا لارادة بريطانيا · من وقتها فقدت الجماهير الثقة الى حد كبير فى الأحزاب عموما ومن ضمنها حزب الوفد وبدأ شباب الجماهير المصرية يتطلعون الى تكوين مؤسسة وطنية جديدة فانضم كثير من المنظمات والأحزاب والجماعات الوطنية الجديدة والتى لم يمارس الحكم بعد وكانت تتمثل فى جماعة الاخوان المسلمين وحزب مصر الفتاه الاشتراكى والجناح اليسارى من حزب الوفد كما لجأ بعضهم الى التنظيمات السرية الشيوعية غير المسموح بانشائها ورغم شبهه ارتباطها بجهات أجنبية لمجرد أنها ترفع شعارات الحرية ومكافحة الاستعمار ومن ضمن شباب المصريين الذين توجهوا الى هذه التنظيمات لفيف من شباب ضباط الجيش · وتسللت عناصر منها داخل صفوف الاخوان ومصر الفتاه والتنظيمات الشيوعية لضم شبان آخرين من الجيش اليها ·

---

(١) من كتاب فى أعقاب ثورة ١٩ جزء ٣ للأستاذ الرافعى ·

وفى آخر عام ١٩٤٤ جمعت الصدافه عددا محدودا من الضباط الشبان ومن مختلف الأسلحة فى حضور (١) فرقة دراسية فى مدرسة الاشارة ٠ وسرعان ما تكونت خلية تناولت الأحاديث الوطنية التبرم من حالة البلاد المتدهورة وأحزابها وتجاوزات وزارة النحاس الأخيرة والتى بدأت عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وبعد وعود النحاس باستئناف الجهاد ودفاعه عن موقفه فى حادث ٤ فبراير ووعوده بتأجيل مطالبة الانجليز الجلاء الى ما بعد نهاية الحرب ولكن من تصرفاته حتى آخر ١٩٤٤ كان هناك كثير من المآخذ قد سجلت عليه منها توقفه الكامل عن مطالبة الحكومة البريطانية ولو بوعود لاستخلاص حقوق البلاد مقابل الخدمات غير المحدودة التى قدمنها لهم الحكومة المصرية والشعب المصرى أثناء الحرب وكذلك سكوت النحاس باشا وحزبه عن تصرفات الحكومة البريطانية فى السودان والعمل على فصله عن مصر ١٩٤٣ كما استند النحاس باشا على الأحكام العرفية واتخذ منها وسيلة لاضطهاد المواطنين واعتقال زعماء البلاد المعارضين له ، على ماهر ، ومكرم عبيد وغيرهم ٠ وتوسعت حكومة الوفد فى الاستثناءات والوساطات لأتباعها وتفاقمت المحسوبية وتمادت الحكومة فى فصل الموظفين واحالتهم الى المعاش لمجرد الاشتباه فى عدم ولائهم لحزب الوفد ٠

مرحلة تكوين المؤسسة الوطنية بالجيش (١) :

فى أواخر عام ١٩٤٤ وقبل اقالة وزارة النحاس باشا تم عقد اجتماع لمجموعة صغيرة من شباب الضباط السابق تكوينها فى فرقة الاشارة وغيرهم فى منزل أحدهم وكانوا من أسلحة مختلفة وكان منهم مصطفى نصير وعبد الحميد الكنافى وجمال منصور وسعد عبد الحفيظ ومصطفى كمال صدقى ومحسن عبد الخالق وفتح الله رفعت ومحمد ابو الفضل الجيزاوى وعبد الله أباظة وأحمد عبد الدايم ومحمد عبد الفتاح ابو الفضل وعباس رضوان ومحمد هاشم حسين والسيد جاد عبد الله سالم والطيار عبد المحسن الوسيمى وكان اجتماعا سريا ولكن موسعا وتوالت الاجتماعات وأصدروا بعض المنشورات وازداد عددهم خاصة بعد نجاح توزيع المنشورات ووصولها الى عدد كبير من الضباط ٠

وكانت هذه الاجتماعات تتم فى منزل أحدهم بشارع البرمونى بحى عابدين بالقاهرة وكانت اجتماعاتهم تتم تحت شعار التخلص من الاحتلال

---

(١) كتاب المؤلف كنت نائبا لرئيس المخابرات ، من ص ٣٨ الى ٤٢ ٠

البريطانى ومن معوقات هذا التحرر وهو الملك وحاشيته وطبقة الحكام بما يحمويها من أحزاب سياسية ثبت فشلها فى الجهاد .

تنظيم حامية مرسى مطروح (١) :

وتكون أيضا من أوائل الحرب العالمية الثانية تنظيم آخر من ضباط المدفعية فى حامية مرس مطروح تكون من الضباط عبد المنعم أمين وابراهيم حافظ عاطف وأحمد فؤاد ومنصور المغربى وحافظ اسماعيل ومصطفى لطفى وحسين الهادى وعلى لبيب حسنى وتكون هذا التنظيم أساسا بغرض مقاومة تسليم أسلحة الجيش وبخاصة المدفعية الى القوات البريطانية عندما أصبحت فى شدة الحاجة اليها فى أوائل عام ١٩٤١ وبخاصة ان مصر لم ترض بالاشتراك فى الحرب العالمية مع الحلفاء وبعد ان صرف الجيش البريطانى النظر عن فكرة استخدام هذه الأسلحة توقف نشاط هذه المجموعة ولكن بعد حملة فلسطين اجتمع شمل بعضهم مرة أخرى فى عام ١٩٥١ فى القاهرة وتطور هدفهم بما يتمشى مع الأهداف الوطنية للشعب المصرى مما كان يعانيه وقتها وينطلع لجلاء الجيش البريطانى بالكامل عن البلاد وقام هذا التنظيم باصدار منشور وصل الى عدد كبير من ضباط الجيش وعلى أثر صدوره اتصل بهذه المجموعة (مجموعة ابراهيم عاطف) كمال الدين حسين وعلى فوزى يونس .

وفى نفس الوقت فى أواخر عام ١٩٤٤ تم لقاء بين الضباط عبد المنعم عبد الرءوف المنتمى لجماعة الاخوان وبين خالد محيى الدين وجمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر ثم تعرفوا على الضباط محمود لبيب المسئول العسكرى بجماعة الاخوان المسلمين وتم ضمهما الى الجهاز السرى للاخوان والذى كان يشرف عليه عبد الرحمن السندى وكان هذا الجهاز السرى يضم مجموعة أخرى من ضباط الجيش الشبان منهم صلاح خليفة وحسين حمودة وفى وقت لاحق كان عبد الناصر جادا ونشيطا فى تكوين مجموعة من الضباط لم يشأ ان يجعلها تنضم رسميا للاخوان وكانت المجموعة تجتمع فى منزل مجدى حسنين أو منزل أحمد مظهر (٢) .

وفى آخر ١٩٤٥ كانت علاقة الاخوان المسلمين بمجموعة عبد الناصر تتسم بالحساسية والحذر بعد أن تبين لعبد الناصر أن الهدف الأساسى

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مذكرات خالد محى الدين ، الحلقة الأولى أهرام ١٩٩٢/١١/٥ .

هو الاستفادة بتكوين تنظيم وطني داخل الجيش · يعمل لحسابهم وكان معظم هؤلاء الضباط وعلى رأسهم جمال عبد الناصر يرفضون ذلك ·

وفى نفس الوقت من عام ١٩٤٤ :

كان الضـــباط عبد الحميد بكير ومعه مجموعة من شباب ضباط الجيش ، متضمين الى حزب مصر الفتاه ولكن نشاطهم داخل الجيش كان محدودا ·

وحول عام سنة ١٩٤٦ (١) :

انضم عدد من ضباط الجيش (١) الى منظمة حدتو السيوعية (الحركة الديمقراطية للحزب الوطني) وكان أحمد فؤاد وكيل النيابة مسئولا عن هذا التنظيم ·

معاناة الشعب المصرى من حالة الحرب (٢)

تسببت حالة الحرب فى احداث حالة شبه حصار بحرى فرض على مصر واقتصرت تجارة مصر على التعامل مع بريطانيـــا فقط فى تصريف انتاجها · وتحكم الانجليز فى أسعار المحصول المصرى الرئيسى وهو القطن وكذلك المحاصيل الزراعية الأخرى فنشتريها بأقل كثيرا من الســـعر العالمى فمثلا فى سنة ١٩٤٠ اشترت انجلترا القطن بعشرين ريالا للقنطار فى الوقت الذى كان يباع فيه فى الأسواق الخارجية بخمسة وثلاثين ريالا للقنطار · بالاضافة الى أن معظم تموين جيوش الحلفاء بمصر كان يعتمد على المنتجات المصرية وأدى هذا الى غلاء الأسعار وعانى الشعب المصرى من هذا الغلاء ومن نقص المواد ولم تدفع بريطانيـــا عن تموين جيوشها نقدا بل كانت بحكم سيطرتها على مالية البلاد بامتلاكها للبنك الأهلى فيقوم البنك باصدار أوراق البنكنوت (العملة الورقية) بكميات كبيرة التى تطلبها بريطانيا ودون أن تدفع مقابلها بالذهب للخزانة المصرية حسب اتفاقية ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٦ منذ الحرب العالمية الأولى لضمان بقاء جانب من كمية الذهب فى خزانة البنك الأهلى يعادل على الأقل نصف قيمة أوراق البنكنوت · وبذلك قامت بريطانيـــا بشراء كل ما يلزمهـــا للمجهود الحربى فى مصر بهذا البنكنوت · حتى تفاقمت الأرصـــدة الاسترلينية وسببت التضخم النقدى · واشتد التضخم فى عهد وزارة

(١) مذكرات خالد محى الدين ، حلقة ٢ ، أهرام ١٩٩٢/١٢/٩ ·

(٢) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ جزء ٣ للأستاذ الرافعى من ص ١٣٨ الى ١٤٠ ·

الوفد . ولم يفكر النحاس باشا فى أن يضع حدا لاصدار البنك الأهلى أوراق النقد بهذه الكثرة التى فرضتها الحكومة البريطانية على أمل أن تعاود الحكومة المصرية المطالبة بهذه الديون على الحكومة البريطانية والتى بلغت ٤٥٠ مليون جنيه ضمن مطالبتها مستقبلا وبعد نهاية الحرب بحل القضية الوطنية وكان هذا المبلغ الضخم فى هـذا الوقت يعتبر كافيـا لانعاش مصر والقضاء على النضخم الذى تسبب فى الغلاء الفاحش فى أسعار المواد الضرورية . وأحدث فى آخر أيام وزارة النحاس باشا سخطا شعبيا متزايدا .

اقالة وزارة النحاس (٨ أكتوبر ١٩٤٤) :

انتهز الملك فاروق حالة الضيق المالى التى شعر بها الشعب المصرى نتيجة الغلاء المتزايد فى أواخر عام ١٩٤٤ وبموجب خطاب منه الى النحاس باشا فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ مشيرا فيه الى هذا الضيق الشعبى والسخط . وما كاد ينتشر نبأ اقالة وزارة النحاس حتى شمل البشر أرجاء البلاد

وزارة أحمد ماهر ونهاية الحرب على الأبواب : (أكتوبر ١٩٤٤ - فبراير ١٩٤٥) .

بعد اقالة وزارة النحاس تم تشكيل وزارة برئاسة الدكتور أحمد ماهر وفى فبراير ١٩٤٥ تأكدت بوادر انتهاء الحرب العالمية الثانية وتم اغتيال أحمد ماهر بعد القاء بيانه فى البرلمان باعـلان مصر الحرب على المانيا واليابان وذلك يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ .

انتهاء الحرب العالمية الثانية : (أول سبتمبر ١٩٤٥) (١) .

اعلن عن انتهـاء الحرب العالمية الثانية بعد توقيع اليـابان وثيقة الاستسلام فى أول سبتمبر ١٩٤٥ . وتم توقيع مصر على ميثاق الأمم المتحدة فى ٢٦ يونيو ١٩٤٥ وتم رفع الأحكام العرفية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٥ وفى ظل وزارة النقراشى باشا والتى تم تأليفها يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ عقب اغتيال الدكتور أحمد ماهر .

تحرك القوى الوطنية المصرية :

سرعان ما تكونت جبهة من الطلبة والعمال وتجاوبت معها حكومة النقراشى وطلبت رسميا من بريطانيا الدخول فى مفاوضات لاعادة النظر

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى جزء ٣ ، ص ١٥٣ .

فى معاهدة ١٩٣٦ بما يحقق الجلاء الكامل وخاصة بعد معاناة الشعب المصرى من الغـلاء نتيجة المعونات المتعددة التى قدمتهـا مصر للانجليز وللحلفاء أثناء الحرب وتنفيذها لكل تعهدالها المنصوص عليها فى معاهدة ١٩٣٦ وتباطأت الحكومة البريطانية فى ردها الى هذا الطلب وجاء ردها فى ٢٦ يناير ١٩٤٦ وغير مقنع للمؤسسة الوطنية الجديدة من اخوان وحزب مصر الفتاة وبصفة رئيسية من الطلبة والعمال حيث كانت المذكرة البريطانية تهدف الى تمييع القضية وسرعان ما قامت المظاهرات على أثر اذاعة مذكرة الحكومة المصرية ورد الحكومة البريطانية عليها باصرارهم على التمسك ببقاء قواعد معاهدة ١٩٣٦ كأساس للعلاقات بين البلدين ٠

المظاهرات (١)

وفى يوم السبت ٩ فبراير سنة ١٩٤٦ قامت فى القاهرة مظاهرات من طلبـة الجامعة وخرجوا متجهين بالآلاف قاصـدين قصر عابدين وعند وصـولهم الى كوبرى عبـاس وجدوه مفتوحا ومعطلا لاستئناف مسيرتهم فاقتحموه فى قوارب من النيل وأغلقوه وتصدت لهم قوات البوليس وأسفر التصادم عن اصابة ٨٤ من الطلبة وتجددت المظاهرات يوم ١٠ فبراير ثم حدثت مظاهرات أخرى فى الاسـكندرية وفى الزقازيق والمنصـورة وأسيوط وقتل ثلاثة بالأسكندرية وثلاثة فى الزقازيق وواحد فى المنصورة واشتد سخط الرأى العام ٠

استقالة وزارة النقراشى باشا (٢) ١٥ فبراير ١٩٤٦ ٠

على أثر الحوادث استقال النقراشى باشا يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ ٠

تاليف وزارة اسماعيل صدقى (١٧ فبراير ١٩٤٦) ٠

وتم تأليف وزارة اسماعيل صدقى وفى ظلها وفى ٢١ فبراير ١٩٤٦ استأنفت الجماهير المصرية المظاهرات مطالبة بالجلاء ووحدة وادى النيل وأضربت جميع الطوائف وبرز فى هذه المظاهرات دور الطلبة والعمال بعد تكوين لجنة منهما سميت « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » وانتشرت هتافات « لا حزبية بعد اليوم » واصطدمت المظاهرات فى ميدان الاسماعيلية مع القوات البريطانية وأسفرت المصادمات عن ٢٣ قتيل و ١٢١ جريح وعمت المظاهرات الاسكندرية وفى جميع عواصم المديريات وانتشرت عملية الاغتيالات من الانجليز ٠

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، جزء ٣ ص ١٨٠ ـ ١٨١ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٥ ٠

توالى الأحداث

نتيجة لمظاهرات شهر فبراير وما حدث خلالها من مصادمات بترتيب من المؤسسة الوطنية الجديدة المتمثلة فى جبهة الطلبة والعمال وأخذت فى الضغط على الأحزاب لمطالبتها بوحدة الصف ٠

وفى ٧ مارس ١٩٤٦

اضطرت وزارة اسماعيل صدقى تحت الضغط الشعبى لمطالبة الجانب البريطانى للتفاوض من أجل تعديل معاهدة ١٩٣٦ وتحقيق وحدة وادى النيل وفى نفس الوقت تشكل وفد المفاوضات من جبهة تمثل الحكومة بما تشمله من أحزاب الحكم ورفض الوفد (والذى كان خارج الحكم) الاشتراك فى وفد المفاوضات بعد ان طالب بأن تكون له أغلبية أعضاء الوفد ٠

سافر رئيس الوزراء رئيسا للوفد ومعه وزير الخارجية ابراهيم عبد الهادى الى انجلترا ٠

تقارب الاخوان مع اسماعيل صدقى (١) :

وفى هذا الوقت بالذات ظهرت معالم بعض التعاون بين جماعة الاخوان المسلمين وبين اسماعيل صدقى فأخذت العلاقات بين مجموعة عبد الناصر والاخوان تفتر وتقل الاجتماعات وبخاصة بعد ان وقفت جماعة الاخوان ضد اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بغرض تشكيل لجنة أخرى بالتعاون مع اسماعيل صدقى ٠

— تم فى لندن فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٦ التوقيع بالحروف الأولى للطرفين معاهدة أجراها الجانب المصرى مع مستر « ببفن » ٠

وسميت (بمعاهدة صدقى بيفن) وكانت تقضى :

١ ـ بتكوين لجنة دفاع مشترك بين السلطات العسكرية المصرية والبريطانية ٠

٢ ـ وبأن يتم الجلاء التام عن جميع الأراضى المصرية فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٩ وعلى أن تعود قوات بريطانيا للأراضى المصرية فى حالة الحرب والتى تقررها لجنة الدفاع المشترك ٠

---

(١) مذكرات خالد محى الدين حلقة أولى اهرام ١٩٩٢/١٢/٥ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

٣ ـ وينص بروتوكول السودان فى المعاهدة على الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى على أن يعطى للسودان بعد ذلك حق تقرير المصير ٠

— بعد عودة صدقى باشا من لندن أصدر باقى أعضاء وفد المفاوضات الذين لم يذهبوا الى لندن أعلنوا فيها رفضهم لهذه المعاهدة ٠

— وعلى أثر ذلك تكهرب الجو وقامت المظاهرات فى مصر والسودان ٠

— فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ استقال اسماعيل صدقى وتنكرت بريطانيا لما اتفقت عليه وتوقفت اتفاقية صدقى بيفن ٠

— وفى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ تم تأليف وزارة النقراشى باشا الثانية وتم فى أوائل أيامها انسحاب القوات البريطانية من كل من القاهرة والاسكندرية الى منطقة القناة ٠

— وفى ظل وزارة النقراشى الثانية من (٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ الى يوم اغتياله فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨) توالت الأحداث السياسية على مصر فى سرعة ٠

وقام النقراشى باشا بالسفر لعرض قضية مصر على مجلس الأمن بعد فشل المفاوضات مع انجلترا ولكن خذله مجلس الأمن ٠

عودة الى التنظيم الموسع للضباط الوطنيين (١) :

فى هذا الوقت من عام ١٩٤٦ توسع تنظيم الضباط الوطنيين الموسع فى نشاطه بعد اصدار عدة منشورات سرية وتم توزيعها على عناوين الضباط بالمنازل متضمنة الوقائع المنيرة لتجاوزات الملك والوزارات وعنادها فى وحدة الصف والكلمة وقام هذا التنظيم بجمع الاشتراكات من أعضائه وكان أول عمل ايجابى له هو ارسال تلغراف باسم الضباط المصريين تأييدا للنقراشى باشا قبل سفره لعرض القضية المصرية على مجلس الأمن ٠

اعتقال بعض أفراد هذا التنظيم (٢) (أكتوبر ١٩٤٧) ٠

قام أحد ضباط التنظيم وهو مصطفى كمال صدقى بتصرف منه بتكوين مجموعة جديدة ضم اليها بعض أفراد التنظيم الموسع وضم اليها

---

(١) كتاب المؤلف « كنت نائبا لرئيس المخابرات » ، ص ٤٠ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٣ ٠

بعض الصولات وقام أحد الصولات بعد أن ألم ببعض المعلومات وأبلغ وزارة الداخلية عن أسماء بعض الضباط وذلك فى أكتوبر ١٩٤٧ وأبلغهم أيضا أن هذا التنظيم يتآمر لاغتيال الملك أثناء موكبه الى البرلمان عند الافتتاح ولم يستجب وزير الداخلية لهذا البلاغ فقام بتبليغ ذلك الى ابراهيم باشا عطا الله رئيس أركان حرب الجيش وتم اعتقال هؤلاء الضباط فى ميس المشاة وكان على رأسهم رشاد مهنا وقام النائب العام بالتحقيق معهم ولم يثبت ضدهم أى شىء وتم الافراج عنهم .

تكوين الحرس الحديدى (١)

بعد أن تم الافراج عن رشاد مهنا ومن معه أعاد مصطفى كمال صدقى تشكيل مجموعة سرية من بعض هؤلاء الضباط وغيرهم تابع للقصر الملكى وتحت اشراف يوسف رشاد طبيب الملك الخاص وسمى بتنظيم الحرس الحديدى وانصرف باقى أعضاء التنظيم الموسع عن الارتباط بتنظيم الحرس الحديدى لصلته بالملك وباعتباره السبب الرئيسى فى التدخلات البريطانية وكذلك انصرفوا عن التنظيمات والأحزاب والجماعات السياسية الأخرى كالاخوان ومصر الفتاة والشيوعيين وحصروا نشاطهم فى المؤسسة الوطنية العسكرية .

فى نهاية عام ١٩٤٧

كانت مصر تعيش فترة مد وطنى وقلق وتحت الشعور الوطنى رحل الانجليز عن المدن ولكنهم استمروا فى مدن القناة واستمر نفوذهم وسيطرتهم على الدولة ولم تحل القضية كما أراد رئيس الوزراء النقراشى وكانت القضية الفلسطينية تتفجر هى الأخرى لتثير مشاعر المؤسسة الوطنية الجديدة وبالتالى مشاعر المصريين .

---

(١)كتاب المؤلف « كنت نائبا لرئيس المخابرات » ، ص ٤١ .

حملة فلسطين

في نوفمبر سنة ١٩٤٧ صدر قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين ٠ وأعطى هذا القرار جزءا من فلسطين العربية كأرض تمثل وطنا قوميا لليهود تحقيقا لوعد بلفور البريطانى الظالم وأعلنت بريطانيا أنها ستنهى انتدابها على فلسطين يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ٠

وهبت الحركات الوطنية فى فلسطين وفى باقى العالم العربى لمقاومة هذا الاعلان وباسلوب مريب أصدر الملك أمره دون الرجوع الى البرلمان أو الوزارة للجيش المصرى بصفته القائد الأعلى له باجتياز حدود فلسطين أى اعلان الحرب وبنفس الأسلوب الملكى المصرى زج زعماء العالم العربى دولهم لدخول جيوشهم الحرب وكل هذه الدول لم تكن على استعداد لهذه الحرب٠ واشترك الجيش المصرى فى هذه الحرب بالأسلوب القتالى التقليدى ضد قوات الارهاب الصهيونية المتشكلة على شكل حرب العصابات وانتهت بهزيمة الجيش المصرى هزيمة غير مشرفة بسبب جهل القيادة العسكرية والمدنية المصرية ٠ واضطرت مصر تحت ضغط الهزيمة وفساد القيادتين المدنية والعسكرية الى توقيع هدنة حققت شيئا من الهدوء دون أن تنهى حالة الحرب مع اسرائيل بل حققت تكوين دولة اسرائيل وأعطتها هذه الهدنة الفرصة لاعادة تنظيم جيشها وقوانها لتتفوق بفضل معونات الاستعماريات الكبرى وعلى رأسها أمريكا بالاضافة الى معونات الكتلة الشرقية كل ذلك عمل على تعميق المرارة فى نفوس الضباط الشبان الذين اشتركوا في حملة فلسطين بجانب السخط الشعبى من سلبيات المسئولين المصريين فى حملة فلسطين الفاشلة سنة ١٩٤٨ ٠

حل جماعة الاخوان المسلمين (١) (٨ ديسمبر ١٩٤٨) ٠

فيما قبل وقف القتال فى فلسطين (٧ يناير ١٩٤٩) وفى ظل وزارة النقراشى باشا تصاعدت عمليات الارهاب وخاصة ضد اليهود ومحلاتهم فانفجرت قنبلة شديدة الفتك فى محل عدس بشارع عماد الدين وحدث انفجار فى حارة اليهود وأسفر عن ٢٠ قتيلا واصابة ٦١ وانهيار أربعة منازل وتصدع ستة منازل ٠

— وفى نوفمبر ١٩٤٨ هاجمت سيارة مسلحة دار النحاس باشا ليلا وأصيب حارسان ونجا النحاس باشا ٠

— وفى نفس الشهر حدث انفجار فى شارع جلال فى مبنى شركه الاعلانات الشرقية أدى الى تخريب مبنى الشركة ومطبعتها ٠ وفى ١٥ نوفمبر ضبطت فى حى الوايلى سيارة جيب مملوءة بمواد النسف وأسلحة ومسدسات وضبط ركابها وأشارت أصابع الاتهام الى عناصر من جماعة الاخوان العائدين من حرب فلسطين ٠ وفى ٤ ديسمبر ١٩٤٨ القيت قنبلة من سطح كلية الطب على قوة من البوليس كان على رأسها اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة وأودت بحياته واضطربت الدراسة فى الجامعة وأضرب طلبة المدارس وأخذوا يستخدمون القنابل اليدوية فى مظاهراتهم وأصدر النقراشى باشا بصفته حاكما عسكريا أمرا عسكريا يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ يقضى بحل جماعة الاخوان المسلمين وشعبها ومصادرة أموالها وأملاكها ٠

مقتل النقراشى باشا (٢) (٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) ٠

قبل وصول النقراشى باشا الى المصعد الخاص بوزارة الداخلية وكان يحيط به الحرس صوب اليه شاب متخفى فى زى ضابط بوليس وأطلق عليه ثلاث رصاصات من مسدسه قضت عليه فى الحال ، وكان الجانى طالبا بمدرسة الطب يدعى عبد المجيد أحمد حسن واعترف أنه من جماعة الاخوان المسلمين وأنه قام بهذا العمل انتقاما من تصرفات النقراشى ضد هذه الجماعة ٠

تشكيل وزارة ابراهيم عبد الهادى (٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) ٠

الف ابراهيم عبد الهادى الوزارة الجديدة فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ وفى عهد وزارته تم التحقيق واستخدام العنف مع كل من حامت حوله

---

(١) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى ، جزء ٣ ، ص ٢٦٧ الى ص ٢٧٠ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ٠

الشبهات من الاخوان · وانتهى الأمر بقتل الأستاذ حسن البنا مرشد عام الاخوان وذلك فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ ·

التحقيق مع جمال عبد الناصر (١)

فى أثناء التحقيق مع أعضاء جماعة الاخوان المنحلة بمعرفة رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى عثر البوليس على أحد كتيبات الجيش الممنوع تداولها لدى أحد أعضاء الجهاز السرى للاخوان وكان عن استخدام القنابل اليدوية ووجد فى أول الصفحة الأولى للكتـــاب اسم اليوزباشى جمال عبد الناصر واستدعى جمال عبد الناصر ومع الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش ليحقق معه رئيس الوزراء بنفسه والوقوف على مدى علاقته بالاخوان وانتهى التحقيق بدون توجيه أى اتهام حيث اعترف عبد الناصر أنه أعار هذا الكتاب للضابط الشهيد أنور الصيحى منذ ما قبل حملة فلسطين ·

اعادة تنظيم جماعة عبد الناصر السرية

على أثر هذا التحقيق جمع عبد الناصر جماعته بصفة عاجلة وبعد أن توقع ان تكون السلطات قد ارتابت فى أمره وأنه سوف يكون هو أو أى من يتصلون به تحت المراقبة فى البوليس السياسى وتكلم جمال عبد الناصر طويلا فى هذا الاجتماع عن مغزى مقابلته مع رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى وأنه أصبح من المحتم عليهم أن يعيدوا تنظيم أنفسهم بأسلوب يحقق الأمن وكان المجتمعون هم عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال حسين وحسن ابراهيم وخالد محى الدين ولم يحضر الاجتماع عبد الحكيم عامر واعتبر هذا الاجتماع هو الاجتماع الأول للجنة القيادية وظهرت فى هذا الاجتماع الشخصية القيـادية لجمال عبد الناصر لتنظيم الضـباط الأحرار ·وفى مجال التنظيم الواجب اتباعه واتفق على ان يقوم كل واحد من أعضاء هذه الخلية الستة بتكوين مجموعة فى سلاحه وكل واحد من كل خلية فى السلاح يبدأ بتجنيد خلية أخرى وهكذا وبذلك يمكن أن يصبح الضباط الأحرار قوة منظمة يصعب التعرف عليها ويصبح التنظيم بذلك قوة منظمة قادرة على عمل أى شىء وبذلك أصبح جمال عبد الناصر منذ هـذا الاجتماع يعتبر الموجـه لأعمال النظم دون تكليفه بذلك من الآخرين وكان عبد الناصر فى هذا (٢) الاجتماع مدركا لأهمية وجود تنظيم مستقل عن جميع الهيئات والأحزاب وكان عبد الناصر وهو صاحب الدعوة

---

(١) الحلقة الاولى من مذكرات خالد محى الدين ، أهرام ١٩٩٢/١٢/٥ ·

(٢) الحلقة الثانية من حلقات مذكرات خالد محى الدين عن أهرام يوم ١٩٩٢/١٢/٩ ·

للاجتماعات وبصفة عامة تولى القيادة دون قرار منه أو من المجتمعين وأكد في حديثه ان مصر بحاجة الى قوة منظمة فى الجيش تكون قادرة على الدفاع عنها وعن استقلالها ٠

تأليف وزارة حسين سرى (٢٦ يوليو ١٩٤٩) :

ألف حسين سرى وزارته المحايدة وفى عهدها أجريت الانتخابات وحصل حزب الوفد على أغلبية المقاعد ٠

اللجنة القيادية ولجان المناطق والأسلحة

نشط أفراد الجماعة القيادية كل فى سلاحه (١) لتحقيق أكبر عدد ممكن من الموثوق فيهم فكان جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرؤوف وعبد الحكيم فى المشاة وكما حسين مدفعية وحسن ابراهيم طيران وخالد محى الدين فرسان وتم اجتماع فى آخر أكتوبر سنة ١٩٤٩ بعد ضم كل من صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وتم فى هذا الاجتماع مراجعة نشاط أعضاء اللجنة فى مجال التجنيد فكانت لجنة (٢) القاهرة من جمال عبد الناصر وزكريا محى الدين الطحاوى ومجدى حسين وأمين ساكر وعلى مطاوع وحسين الشافعى وخالد محى الدين ورشاد مهنا ٠ وتعمد عبد الناصر عدم ضم رشاد مهنا الى اللجنة القيادية لتجنب تطلعاته القيادية ورشاد نفسه تصور أن لجنة القاهرة هى اللجنة القيادية وكان هناك لجنة فى رفح ولجنة بالاسكندرية وكل لجنة منطقة يمثل فيها الأسلحة المختلفة ويظهر جليا من التحكم فى هذه التنظيمات وتكوينها واختيار أفرادها مدى الروح القيادية المنظمة لعبد الناصر وأهدافه البعيدة بمحض موافقة زملائه ودون تفويض منهم له بذلك وحتى دون اختياره ٠

استقالة حسين سرى باشا ٢٢ يناير سنة ١٩٥٠ :

— وأعلن استقالة وزارة حسين سرى فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٠ بعد الانتخابات التى فاز فيها حزب الوفد بالأغلبية ٠

— وألف النحاس باشا الوزارة فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٠

وفى ظل هذه الوزارة تدهورت سمعة الملك والملكة الأم نازلى ٠

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ، جزء أول ص ٣٣ ٠

(٢) مذكرات خالد محى الدين الثالثة ذ اهرام ١٩٩٢/١٢/١٢ ٠

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٠

أصدرت المعارضة وثيقة الى الملك (١) جاء فيها تعريض بحكومة الوفد ويلمح بتصرفات الملك وحاشيته الفاضحة ٠

صدور أول منشور للضباط الأحرار آخر أكتوبر سنة ١٩٥٠ :

بعد تدبير الآلة الكاتبة وآلة الطباعة مع احتياطات الأمن اللازمة صدر منشورباسم الضباط الأحرار فى آخر أكتوبر سنة ١٩٥٠ وتناول المنشور موضوع الأسلحة الفاسدة وتدخل الملك فى التحقيق وحذر الملك من هذا التدخل وتدخل رجال حاشيته وبمجرد وصول هذا المنشور الى أيدى بعض الضباط انتشرت أخباره بين جميع ضباط الجيش وبدأ الكثير منهم يبحث عن مصدر هذا المنشور راغبين فى الانضمام الى هذه المجموعة عن اقتناع وبذلك أصبح من السهل التوسع فى ضم أعداد أكثر من الضباط ووقع المنشور الأول فى أيدى البوليس السياسى واتخذت المجموعة احتياطات أمن لتفادى الكشف عن المجموعة التى تصدر المنشورات ولقطع خط الرجعة على البوليس السياسى لجمع المنشورات من البريد قبل وصولها الى أيدى الشعب ورجال الجيش والصحافة وأعضاء البرلمان ومنذ تحرير المنشور الأول ظهرت كلمة الضباط الأحرار فى ذيل المنشور وأصبحت هذه التسمية منذ هذا التاريخ يطلق على التنظيم (الضباط الأحرار) ٠

اتصال مجموعة عبد الناصر بالحركة الشيوعية المصرية (٢)

فى أواخر عام ١٩٥٠ تم اتصال عبد الناصر بالأستاذ أحمد فؤاد وكان بدرجة قاض وهو المسئول فى تنظيم حدتو الشيوعى ٠ وتم ذلك عن طريق خالد محى الدين ومنذ اللحظة الأولى لهذا اللقاء تجاوب عبد الناصر مع أفكار أحمد فؤاد وتوالت اجتماعات أحمد فؤاد (٣) مع خالد محى الدين من ناحية ومع جمال عبد الناصر من ناحية أخرى وفى وقت لاحق عندما اشتدت رقابة البوليس المصرى السياسى على عملية اصدار المنشورات تكفل أحمد فؤاد بمسئولية اصدار المنشورات عن طريق منظمة حدتو بعد الاتفاق على صياغة المنشور ٠

---

(١) وثيقة المعارضة منشورة بالكامل ، كتاب الأستاذ الرافعى « فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، جزء ٣ ص ٣٢٥ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى . ص ٣٢ ٠

(٣) مذكرات خالد محى الدين الحلقة الثالثة أهرام ١٩٩٢/١٢/١٢ ٠

وازاء بعض الصعوبات التى لقيها تنظيم عبد الناصر (١) فى عملية اصدار وتوزيع المنشورات وتعثر اصدارها صار الاتصال بين عبد الناصر وأحد أفراد تنظيم الضباط الموسع واستعان عبد الناصر بامكانيات هذا التنظيم فى اصدار أحد المنشورات وحدث أثناء كتابه المنشور على ورق الاستنسل من واقع المسودة المسلمة من عبد الناصر ان داهم البوليس العمارة الكائن بأحد أدوارهـا ولحسن الحظ ان البوليس كان يقتحم احدى الشقق التى كانت تدار للدعارة وكان موقفا غاية فى الحرج حتى اجتازت القوات المهاجمة السلالم المؤدية للشقة الموجود بها الآلة الكاتبة . وكان حلقة الاتصال بين التنظيم الموسع وتنظيم عبد الناصر هو الضباط أمين مصطفى الخشاب وجمال منصور ولما اقترح على عبد الناصر ان يضم التنظيم الموسع لتنظيم الضباط الأحرار رفض عبد الناصر ان ينضموا كمجموعة ولكنه وافق على اندماجهم فرادى وخاصة ان معظمهم تم اعتقالهم سابقا مع رشـاد مهنا ونفس الشىء عندما عرض خالد محى الدين ضم ضباط الجيش الموجودين فى تنظيم حدتو رفض عبد الناصر أيضا ان ينضموا كمجموعة ولكنهم انضموا كأفراد وقد انضم فعلا أفراد منهم وكانوا هم محمود المانسترلى وصلاح السحرتى وجمال علام وآمال المرصفى وأحمد قدرى وغيرهم كما انضم للضباط الأحرار الضابط الشيوعى عثمان فوزى وكان على اتصال سابق ومستمر مع خالد محى الدين وتم ضمه الى الضباط الأحرار فى عام ١٩٥١ .

ـ وقبل نهاية سنة ١٩٥١ انضم الى تنظيم الضباط الأحرار جمال سالم ثم أنور السادات رغم اعتراض بعض الأعضاء عليهما وقل حضور عبد المنعم عبد الرؤوف عن الاجتماعات وفترت علاقته مع التنظيم لنشاطه الاخوانى ولمحاولاته المتكررة لادماج تنظيم الضباط الأحرار الى الجهـاز السرى فى الاخوان المسلمين وكان مبدأ عبد الناصر هو التعاون مع الاخوان دون الادماج .

اعلان الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ :

بعد أن فشل النحاس باشا فى مفاوضاته مع الانجليز ولم يمكنه الحصول منهم حتى على ما حصل عليه صدقى باشا فى تفاوضه مع مستر بيفين وبذلك أصبح موقف حكومة الوفد حرجا للغاية داخليا وخارجيا فاضطرت فى النهاية الى اعلان الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن جانب واحد هو مصر وذلك فى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ وأيدته جميع أحزاب المعارضة فى ذلك وأعلن حزب الوفد والحكومة المقاومة فى منطقة القناة وبدون أى استعداد سابق .

---

(١) كتاب المؤلف ـ كنت نائبا للمخابرات العامة .

على الطريق الى مرحلة العمل الايجابى

الدور الايجابى للمؤسسة الوطنية الجديدة

بمجرد اعلان المقاومة بادر الشعب المصرى ودون تنظيم أو اعداد سابق ودون أى توجيه رسمى واتخذ الاجراءات الذاتية للكفاح سلبيا ثم ايجابيا فقد امتنع عمال ومستخدموا السكة الحديد من التعامل مع القوات البريطانية فتوقفت حركتها وكذلك عمال الشحن والتفريغ بما أربك العمل فى الجيش البريطانى ثم أضرب العمال المصريون بالمعسكرات البريطانية وحتى العمال الذين كانوا يعملون لدى المتعهدين وتوقفت الورش والمصانع الحربية عن العمل وأصبحت القاعدة محفوفة بالمخاطر ٠

وتدفقت أعداد كبيرة من شباب الشعب المصرى الى منطقة القناة استعدادا للكفاح دون أى قيادة أو اعداد ٠

وبادرت عناصر من القوى السياسية الجديدة وهى مصر الفتاة والاخوان المسلمين والشيوعيين الى المنطقة لأجل المقاومة (١) ٠

وقام كثير من ضباط الجيش ومعظمهم من تنظيم الضباط الوطنيين بقيادة هذه المجموعات والقيام بمهام التدريب وجمع السلاح والذخائر التى أمكن الحصول عليها من الحكومة ثم بالتخطيط للعمل الايجابى ضد قوات الاحتلال فى منطقة القناة وكانت هذه الجماعات بقيادتها تمثل المؤسسة الوطنية الجديدة والتى قامت باحداث كثير من الخسائر فى أرواح ومعدات ومعسكرات الجيش البريطانى ٠

وكانت هذه بمثابة عملية على درجة من الثورية لأنها كانت مقاومة لقوات الاحتلال ٠

أزمة نادى ضباط الجيش (١٩ أكتوبر سنة ١٩٥١) ٠

فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ وبين أحداث ما بعد اعلان(٢) الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وكان ميعاد تجديد عضوية مجلس ادارة نادى الضباط قد اقترب فقد دعى البكباشى رشاد مهنا الى اجتماع لمجموعة من الضباط يمثلون الأسلحة المختلفة **فى نادى الضباط بالزمالك** وقام الحاضرون وكانوا أكثر من عشرين عضوا بالتوقيع على طلب دعوة لعقد جمعية عمومية أرسلت الى ادارة الجيش وكان الطلب فى حدود اللائحة والقانون ٠

---

(١) مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل ، ص ٧٥ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ص ٨٨ ٠

اجتماع الجمعية العمومية العادية لنادى (١) ضباط الجيش (٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١) :

وقبيل اجتماع الجمعية العمومية حدث اجتماع بين رشاد مهنا وبين تنظيم جمال عبد الناصر فى منزل مجدى حسنين فى عابدين وحضر الاجتماع كل من زكريا محى الدين وجمال سالم وحسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى وكان رشاد مهنا مستمعا فقط وفى نهاية الاجتماع اقترح عليهم أن يتضافر جميع الضباط للتركيز على عملية انتخابات نادى الضباط وبذلك يمكن اثبات قوة تنظيم الضباط فى مواجهة الفساد الملكى واقترح أن يتفق الجميع على انجاح محمد نجيب ليكون رئيسا لمجلس ادارة النادى وهو المنافس لحسين سرى عامر قائد سلاح الحدود ومرشح الملك لرئاسة النادى وبذلك يظهر الضباط تحديهم لارادة القصر ·

وفى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ تم اجتماع الجمعية العمومية العادية لنادى ضباط الجيش فى المكان والزمان المحددين فى خطاب الدعوة وحضر حوالى ٤٥٥ ضابط وهو أكثر من العدد القانونى الذى يقتضيه اجتماع الجمعية العمومية العادية (أكثر من ١٠٪ من مجموع أعضاء النادى ·

وكان رئيس ادارة الجيش ورئيس (٢) هيئة أركان حرب عثمان المهدى باشا خارج قاعة الاجتماع ونبها على رشاد مهنا بعدم اعتلاء المنصة لاعطاء الفرصة للمجلس القديم بادارة الجلسة وافتتح رئيس اللجنة التنفيذية للنادى الأميرالاى جلال صبرى الجلسة ولما تليت مقترحات تعديل اللائحة كما أراد رشاد مهنا اختلفت الأراء وكاد الاجتماع يفشل لكثرة الجدل وهنا طلب رئيس هيئة أركان حرب من رشاد مهنا أن يعتلى المنصة انقاذا للموقف وسيطر رشاد مهنا على الموقف حيث اقترح مباشرة وفى الحال عرض مشروع اللائحة الداخلية المقترحة (وكانت المقترحات تتضمن صراحة على ضرورة اجراء الانتخابات) وعرضها للتصويت دون مناقشة وكانت نتيجة التصويت أنها حازت الموافقة بأغلبية الأصوات وبالتصفيق المتواصل من أغلبية الحاضرين وطالب أحد ضباط سلاح الحدود من أعوان حسين سرى عامر بضرورة تمثيل سلاح الحدود بعضو فى مجلس الادارة الذى سينتخب فورا وعارض رشاد مهنا بالحجة القوية بأن سلاح الحدود لا يعتبر سلاحا

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، ص ٨٩ ، ٩٠ والمصدر الرئيسى لهذه المعلومات هو حديث فى لقاءات متكررة مع الضابط السابق ابراهيم حافظ عاطف مساعد سكرتير عام مجلس ادارة نادى الضباط ومع رشاد مهنا سكرتير عام مجلس ادارة النادى ·

(٢) نفس المصدر السابق ·

قائما بذاته لأن جميع ضباطه منتدبين من أسلحة مختلفة وأن لكل منها مكان فى مجلس الادارة والمقترح انتخابهم فى نفس الجلسة وانتقل رشاد مهنا مباشرة الى طلب اجراء عملية الانتخابات وتمت عملية الانتخابات. وكانت النتيجة كالآتى : —

لواء أركانحرب	محمد نجيب	رئيس مجلس الادارة
أميرالاى أركانحرب	حسن حشمت	عضوا عن الفرسان
قائمقام أركانحرب	رشاد مهنا	عضوا عن المدفعية
بكباشى	ابراهيم حافظ عاطف	عضوا عن المدفعية
قائد جناح	بهجت مصطفى	عضوا عن الطيران
قائد أسراب	حسن ابراهيم السيد	عضوا عن الطيران
بكباشى أركانحرب	زكريا محى الدين	عضوا عن المشاة
بكباشى	حمدى عبيد	عضوا عن المشاة
صاغ	جمال حماد	عضوا عن المشاة
قمائمقام بحرى	أنور عبد اللطيف	عضوا عن البحرية
يوزباشى بحرى	أحمد عبد الغنى مرسى	عضوا عن البحرية
يوزباشى	أمين شاكر	عضوا عن الاشارة
بكباشى أركانحرب مهندس	ابراهيم فهمى دعبس	عضوا عن المهندسين
بكباشى مهندس	عبد العزيز الجمل	عضوا عن الصيانة
صيدلى	عماد صليب	عضوا عن الخدمات الطبية
بكباشى	عبد الرحمن أمين	عضوا عن خدمة الجيش
بكباشى متقاعد	جلال ندا	عضو جمعية المحاربين القدماء
قمائمقام	عبد الرحمن فوزى	عضو عن المهمات
يوزباشى	يحيى الحرية امام	(معين) عن الحاشية العسكرية

أول اجتماع لمجلس الادارة الجديد (١ يناير سنة ١٩٥٢) :

في هذا الاجتماع تم اختيار رئيس وأعضاء المكتب التنفيذي لمجلس الادارة كالآتي :

أميرالاي أركانحرب	حسن حشمت	نائب رئيس
بكباشي	عبد الرحمن أمين	سكرتير عام
قائد سرب	حسن ابراهيم السيد	سكرتير مساعد
يوزباشي بحري	أحمد عبد الغني مرسي	سكرتير مساعد
يوزباشي	أمين شاكر	سكرتير مساعد
بكباشي أركانحرب مهندس	ابراهيم فهمي دعبس	أمين صندوق

المعنى الصريح لنتيجة الانتخابات الجديدة

وجاءت نتيجة انتخابات مجلس ادارة نادي ضباط الجيش وقرار الجمعية العمومية بأن تكون رئاسة النادي وعضوية مجلس الادارة بالانتخاب وليس بالتعيين كعمل ايجابي لتنظيم الضباط السري لأن الملك ووزالة الداخلية كانا قد عرفا بما لا يدعو لأي شك بأمر الضباط الأحرار وجانب من تنظيماتها داخل الجيش وكان في ذلك خطورة كبيرة على التنظيم بالكامل لأن الملك نفسه كان وراء ترشيح عدد من الضباط الموالين له وعلى رأسهم اللواء حسين سري عامر كرئيس لمجلس ادارة النادي والذي لم يكن يتمتع بسمعة طيبة بين الضباط وأصبح من الطبيعي أن يسعى الملك وأجهزته البوليسية الخاصة بالأمن الى التعرف على من وراء هذا التنظيم العسكري ومن هم أفراده للقضاء عليهم بأي وسيلة قبل استفحال خطرهم.

وفي خلال هذه الأحداث القلقة يتصرف الملك بعصبية ويتحدى فيصدر مرسوما بتعيين أحد الشخصيات البغيضة للشعب والمعروفة بميولها الودية للانجليز في مركز رئيس الديوان رغم ان الملك نفسه لا يحمل أي ود للانجليز .

تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان الملكي (٢)

في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ عين الملك متجاوزا الوزارة والدستور حافظ عفيفي مدير بنك مصر رئيسا للديوان الملكي وكان حافظ عفيفي

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادي جزء أول ، ص ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) مذكرات محمد على علوبة ، ص ١٢٨ .

أصلا طبيبا للأطفال ثم قام بمغامرات فى شبابه لمساعدة الثوار فى ليبيا ثم توجه للعمل السياسى واشترك فى تأسيس حزب الأحرار الدستوريين فى العشرينات وكان من القلائل الذين ينق الانجليز فيهم واشترك فى وفود مفاوضات عديدة كما كان سفيرا لمصر فى لندن وأخيرا كان قد عين رئيسا لبنك مصر خلفا لطلعت حرب بعد أزمة البنك الشهيرة ـ وحيث أنه كان قد أدلى بحديث له فى الأهرام وقتها أنه لا يوافق على الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ (١) فقد اعتبر الوفد هذا التعيين تحدى لموقفه من الملك . فقابل الوفد تعيين حافظ عفيفى فى هذا المركز الحساس بهجوم عنيف عليه فى الصحافة الوفدية واستمر هذا الهجوم زمنا وتناول بين سطور هذا الهجوم تعريض مستور بالملك . وكان فى استطاعة النحاس باشا التمسك بالمادة ٤٨ من الدستور التى تثبت حقه فى التدخل فى هذا التعيين بضرورة موافقته عليه قبل صدور المرسوم ولكنه اكتفى بهجوم صحافة الوفد لسابق تناوله عن هذا الحق عند تعيين حسين سرى رئيسا للديوان فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥٠ واعتبر ذلك وقتها أنه حق من شئون الملك الشخصية وهى وجهة نظر ابتدعها الوفد فى مجال التسليم للقصر بحقوق السلطة التنفيذية والدستورية .

الثورة على الأبواب

لا شك أن الحكم فى مصر عند الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ أصبح فى أزمة سياسية عامة وبخاصة بعد حريق القاهرة مباشرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ حيث لم تستطع التيارات السياسية الشعبية وتنظيماتها أن تتجمع عقب اعلان الغاء المعاهدة فى أى شكل من أشكال الجبهات التى تستطيع تجميع الرأى العام السياسى وراء الأهداف الوطنية التى يتفق عليها .

فيوم الحريق نفسه كادت مصر أن تكون بدون سلطة سياسية (١) وانفلت زمام الأمور ومع ذلك لم تستطع حتى التنظيمات الجديدة خارج القوى البرلمانية كالاخوان ومصر الفتاة أن تنتهز الفرصة وتنظم صفوفها استعدادا لمواجهة الاحتمالات . وأصبح من الطبيعى أن يسعى الملك وأجهزته البوليسية الخاصة بالأمن الى التعرف على من وراء هذا التنظيم ومن هم أفراده للقضاء عليهم قبل استفحال خطرهم .

---

(١) مذكرات محمد حسين هيكل ، جزء ٢ ص ٣٠٨ .

(٢) نفس المصدر السابق .

مساهمة تنظيم الضباط السرى فى معارك المقاومة :

قامت جماعات من تنظيم الضباط الأحرار بالمساهمة بدور كبير (١) مع مجموعات الفدائيين بمنطقة القناة وقام بعض الضباط الشبان بالتطوع لقيادة جماعات الفدائيين فى غارات حرب العصابات ضد المعسكرات وبعضهم لتدريبهم على حرب العاصابات وأمدوهم بالأسلحة والذخيرة التى أمكن الحصول عليها من مخازن الجيش وأعدوا الخطط لمعظم عمليات الفدائيين الهجومية كما أعدت رئاسة تنظيم الضباط الأحرار لغما ضخما أطلق عليه اسم « التيتل » لاستخدامه فى اغراق أى سفينة فى مجرى القناة لتعطيل الملاحة فيها عند اللزوم وساعد فى نقل هذا اللغم فؤاد سراج الدين وزير الداخلية . أما المواد الناسفة الخاصة بهذا اللغم فقد قام تنظيم (٢) الضباط الأحرار بالسلاح الجوى بنقلها الى مطار العريش .

كما تم تدريب الفدائيين على كيفية صنع القنابل . وقام بتجهيز هذا اللغم والاشراف على نقله الضابط الكيماوى صلاح هدايت .

تصاعد العمل الفدائى فى منطقة القناة (٣)

نسف قرية كفر عبده

قامت الكتائب الفدائية المشكلة من الجامعات والاخوان ومصر الفتاة باغتيال كثير من العسكريين البريطانيين .

وقابل الانجليز ذلك بمنتهى العنف الى أن أعلنوا فى أحد الأيام أنهم سيدمرون قرية « كفر عبده » القريبة من السويس بحجة أنها تأوى الفدائيين الذين يحاولون نسف محطة المياه الموجودة بهذه القرية والتى تغذى المعسكرات البريطانية بالمياه . ولما وصل التهديد الى الحكومة أمر وزير الداخلية قوات البوليس بالسويس بالمقاومة والدفاع عن القرية وانضمت قوات البوليس للفدائيين وقاموا بتقوية الدفاع عن القرية متحدين للانذار البريطانى وقامت معركة غير متكافئة بين المصريين والانجليز وقام الانجليز بنسف قرية كفر عبده وازالتها بمن فيها ممن تبقى من الأهالى ورجال المقاومة .

معركة زيتية شل :

فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ نشبت معركة بين المقاومة المصرية والقوات البريطانية عند المنطقة المعروفة « بزيتية شل » وتحصن الفدائيون

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، ص ٤٠ .

(٢) كتاب المؤلف ، ص ٧٥ .

(٣) مقدمات ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، جزء ٣ ، ص ٩٠ .

بالمنازل وانضم اليهم رجال البوليس وقامت القوات البريطانية بمحاصرة المقاومة بالدبابات التى انتشرت حول معمل تكرير البترول الأميرى وتقدمت الجنود البريطانية تطلق نيرانها فى جنون ولكن المقاومة استطاعت أن نقضى على معظم الجنود المحملة فى السيارات وعلى رأسهم قائدهم الضابط ٠ وعندما وصلت أخبار هذه الخسائر الى القيادة البريطانية قررت الانتقام بعنف ٠

مذبحة الاسماعيلية :

تحرش الانجليز برجال البوليس فى مدينة الاسماعيلية فأمرت القيادة البريطانية قوات بلكوات النظام المصرية الموجودة فى دار المحافظة بالاسماعيلية بالجلاء عن الدار ٠ وأمر وزير الداخلية فؤاد سراج الدين هذه القوات بالمقاومة وعدم الاستسلام ٠

وفى يوم ٢٥ ينـاير سـنة ١٩٥٢ أطلق الانجليز المحاصرون لدار المحافظة مدافعهم على الدار وقاوم جنود البوليس عن مواقعهم فى بسالة واستخدم الانجليز جميع أنواع الأسلحة الحديثة ٠ واستشهد عدد كبير من البوليس لا يقل عددهم عن ثمانين جنديا فكانت مذبحة بكل أبعادها ٠ وسرعان ما انتشرت أخبار هذه المذبحة الغير متكافئة عن طريق الاذاعة والصحافة فى المجتمع المصرى وكان لهذا العدوان أثار داخلية عميقة دلت على استهانة حكومة النحاس بأرواح الأهالى ورجال البوليس الهزيلة فى مواجهة حجافل قوات الجيش البريطانى وأسلحته واستخدام اسلوب الارتجال وتصنع الصمود والجهاد على بعد مئـات الأميـال من ميادين النزال ٠ كما كان له آثار خارجية اذا أطلع العـالم الخارجى على مدى وحشية جيش الاحتلال البريطانى ضد الأهالى ومساكنهم ٠

حيث قد أبلغت وزارة الخارجية المصرية ممثلى دول العالم المجتمعين وقتهـا فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بمذكرة عن هـذه الفظائع ٠ واستدعت مصر سفيرها فى بريطانيـا احتجاجا على تصرفات السلطات البريطانية فى القنال ٠

حريق القاهرة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ :

فى صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ساد البلاد موجة من الغضب وقامت قوات بلوك النظام الموجودة بمنطقة القاهرة بالتجمع لاظهار سخطهم على مذبحة الاسماعيلية والتى حدثت لاخوانهم الجنود وتحركت هذه القوات فى شبه مظاهرة واتجهت الى جامعة فؤاد واجتمعوا بالطلبة هناك وخطب البعض معبرين أن البوليس مهمته هو حفظ النظام والأمن وليس من واجبها

محاربة الجيوش المسلحة • ثم اتجه جميع الطلبة ورجال البوليس فى شكل مظاهرة الى مبنى مجلس الوزراء ثم الى قصر عابدين وكان معظم ضباط الجيش مدعوين فى ضيافة الملك فاروق لتناول الغداء احتفاء بمولد ولى عهده •

وكانت هذه المظاهرات تنذر بالخطر وبخاصة أن بها جانبا كبيرا من رجال البوليس المفروض فيهم حفظ الأمن والنظام ، ولكن الاستياء كان قد بلغ مداه • كل هذا كان يحدث على مرآى من الملك ومعظم ضباط الجيش وعدد كبير من الوزراء الموجودين بالوليمة بالقصر ولم تتحرك لا وزارة الداخلية ولا القيادة المسئولة عن الجيش لانهاء هذا التجمهر ولو بالتفاهم •

وتجمع الأهالى حول هذا التجمهر وزاد عددهم وفلت النظام عندما بدؤوا يتحركون صوب ميدان الأوبرا وفجأة فى ميدان الأوبرا وبعد انضمام كثير من عناصر المخربين الى المتظاهرين ، بدأ الاعتداء على الممتلكات ومحطات الوقود والمحلات التجارية واشتعلت النيران فى كل شيء فى وسط البلد ولم يتعرض لهذا التخريب رجال الشرطة الآخرين • فما هى الا لحظات حتى عم النهب والسلب والتخريب وانتشرت الحرائق حتى وصلت الى شارع الهرم وحتى ساعة متأخرة من الليل •

اجتماع التنظيم السرى للضباط (مساء ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢)

وفى نفس مساء يوم حريق القاهرة تم اجتماع بعض أعضاء اللجنة (١) التأسيسية للضباط الأحرار لدراسة الموقف واتضح أن الأحداث وتطورها فى البلاد تسير بخطى سريعة نحو حالة من التدهور التى لم يسبق لها مثيل • وأن الزمام ربما يفلت فى أى لحظة ويحدث انفجار من الشعب المتذمر وتصبح البلاد فى حالة من الفوضى التى لا يمكن التكهن بنتائجها •

ووجد المجتمعون أنه من الواجب التحرك بسرعة خاصة وأن الملك قد عرف بأمر بعض الضباط الأحرار وتنظيماتها • وكان جانب من أعضاء التنظيم يجدون أن الفرصة كانت متاحة فى هذه المرة خصوصا عندما اضطرت السلطات الى تكليف الجيش بالنزول الى شوارع القاهرة • ولكن الأغلبية كانت ضد هذه الفكرة قبل أن يستكمل التنظيم قوته واستعداده فى جميع قطاعات الجيش حتى تكون الضربة حاسمة ومؤثرة • ومنذ هذا

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى • جزء أول • ص ٤٣ •

الاجتماع (١) توالت المنشورات وتأكد لجميع ضباط الجيش الوجود الفعلي والنشط للضباط الأحرار ٠

تدخل الجيش :

وأخيرا وفي الليل صدرت الأوامر الى الجيش بالنزول الى الشوارع وصدرت أوامر منع التجول وسيطر الجيش على الموقف ولكن مر الليل وسماء القاهرة يملؤها دخان الحرائق ينعكس عليه لون اللهيب الأحمر في جميع الأحياء والفوضى والضياع يعمان البلاد ٠

نهاية الارهاصة :

وكان يوما ٢٥ ، ٢٦ يناير بمثابة انتكاسة لانتفاضة وطنية هبت فجأة تحت نداء « الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ » والتى لم تنه الاحتلال البريطانى ٠

فكانت بمثابة حركة على طريق الثورة ولكنها لم تبلغ مستوى العمل الثورى لأنها أعادت البلاد الى نفس الحالة فيما قبل الغاء المعاهدة ٠

ولكنها كانت بداية لمرحلة جديدة لمعاناة الشعب المصرى من المحتلين ومن الحكام المصريين وهى الحالة التى مهدت وبسرعة فائقة لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

اعفاء وزارة النحاس باشا (٢٧ يناير سنة ١٩٥٢) :

وقبل منتصف ليل ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ تسلم النحاس باشا فى منزله خطاب اعفاء وزارته موقعا عليه من الملك فاروق ٠ وفى هذه المرة أراد الملك أن تكون الاقالة فى صيغة مخففة ٠ وأعفيت وزارة الوفد بعد أن استمرت في الحكم نحو عامين وتركت فى الساحة السياسية المصرية أغلبية برلمانية وفدية كسيف مسلط على رقبتى القصر وأى رئيس وزراء قادم ٠

من الذى يحل محل وزارة النحاس ؟ (١)

من الذى يحل محل هذه الوزارة ٠

---

(١) مذكرات خالد محى الدين الحلقة الرابعة . أهرام ١٩٩٢/١٢/١٦ ٠
(٢) مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل جزء ى ، ص ٢١٢ ٠

وأصبح الملك مرغما على تكليف تشكيل الوزارة الى شخصية بعيدة كل البعد عن الأحزاب المعارضة التى أرسلت له منذ مدة وجيزة عريضتها المهيئة للملك والتى كان يحتفظ بصورة منها فى جيبه حتى لا ينسى الانتقام من الموقعين عليها ٠

ولذلك عهد الملك الى على ماهر بتأليف الوزارة وكان على ماهر يشيع أنه سيستعين بخمسة من شخصيات المعارضة بصفتهم الشخصية ورفضت المعارضة هذا المبدأ ولكنه فى قرارة نفسه كان يفضل وزارة مستقلة ٠

تأليف وزارة على ماهر (٢٧ يناير - أول مارس سنة ١٩٥٢

عهد الملك الى على ماهر تأليف الوزارة فى مساء ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ واختار على ماهر أعضاؤها من معارفه عدى اثنين فرضهما الملك عليه وهما « مرتضى المراغى ، وزكى عبد المتعال » ٠

وتقدم على ماهر بوزارته الى البرلمان الوفدى وتملق الوفد حيث قال فى كلمته التى ألقاها فى البرلمان « ان سياستى ستكون استمرارا لسياسة سلفى العظيم » ٠ وبذلك ضمن تأييد البرلمان لوزارته للاستمرار فى الحكم ٠ فى الوقت الذى قام فيه بتحطيم كل ما بناه الوفد من آمال لاستئناف الجهاد ٠ ففى عهد وزارة على ماهر ومدتها القصيرة زهاء أربعة وثلاثون يوما فقط توقف الكفاح فى القناة توقفا تاما وانسحب الفدائيون واعتقلت الحكومة كثيرا منهم فى الاسماعيلية وبورسعيد والسويس والتل الكبير وعاد كثير من العمال الذين كانوا قد انسحبوا من المعسكرات البريطانية ٠ واستؤنفت أعمال الشحن والتفريغ للقوات البريطانية فى موانىء القناة وعاد تموين معسكرات الانجليز من خيرات مصر وصمت البرلمان الوفدى الذى أصدر التشريعات من مدة قريبة جدا لأجل الكفاح والمقاومة والجهاد بل بالعكس أيد البرلمان وزارة على ماهر التى ذبحت هذا الكفاح ووأدته فجر ولادته فكانت فترة عصيبة وهى فترة التغييرات الوزارية المتلاحقة وأخذت وزارة على ماهر تقوم بجهود لتحديد المسئوليات فى (١) حريق القاهرة ٠

وفى اليوم الأخير من شهر فبراير طلب على ماهر مقابلة الملك فلم يستجب لطلبه بل قيل له « ان كان لديك ما تريد أن تقوله فرئيس الديوان عندك » ٠ فذهب الرجل الى القصر يحمل استقالة الوزارة ٠

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يولية ٠

استقالة وزارة على ماهر (أول مارس سنة ١٩٥٢)

تأرجح على ماهر بين محاولة تحالفه مع الوفد غريم القصر طمعا فى مساندة البرلمان الوفدى لوزارته وبين ترضية القصر وبين القضاء على كل أمل فى استئناف الجهاد بما قد يغضب الأمة كما أنه كان قد حصل على مرسوم ملكى نسر بالصحف لأجل حل البرلمان ولكنه ناقض نفسه ولم يجرؤ على تنفيذه وأحرجه الوزيران المفروضان عليه من القصر وهما مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال باستقالتهما يوم أول مارس سنة ١٩٥٢ وازاء ذلك أرغمه الملك على تقديم الاستقالة فى نفس اليوم وقبلهـا الملك فى الحال وكلف أحمد نجيب الهلالى فى اليوم نفسه بتشكيل الوزارة .

وزارة نجيب الهلالى (أول مارس ـ ٢٨ يونيو سنة ١٩٥٢) ٤ أشهر

شكل نجيب الهلالى وزارته فى أول مارس سنة ١٩٥٢ وأربعة وزراء من وزارته كانوا فى وزارة على ماهر وكان الهلالى هو المرشح لرئاسـة الوزارة بعد حريق القاهرة واعتذر وأشار باختيار على ماهر وحاول فى وزارته أن يقوم بالتفاوض مع الانجليز ولكنه فشل لتجاهل بريطانيا لهذا الطلب . وباشر العمل على تطهير الأداة الحكومية من جميع الاستثناءات الوفدية وغير الوفدية بأثر رجعى ثم قام باستصدار مرسوم فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ بحل مجلس النواب وتحدد يوم ١٨ مايو لاجراء الانتخابات على أن يجتمع المجلس الجديد يوم ٣١ مايو ولكنه تراجع فى تاريخ لاحق وأجلها الى أجل غير مسمى وذلك باستصدار مرسوم بذلك يوم ١٢ أبريل ومن المعروف أن نجيب الهلالى كان وفديا ثم اختلف مع الوفد ورفض الاشتراك مع النحاس فى وزارته الجديدة .

عودة الى انتخابات نادى ضباط الجيش (١)
فرض عضو عن سلاح الحدود

فى يناير صدر خطاب من رئاسة هيئة أركانحرب الجيش الى رئيس مجلس ادارة نادى الجيش المنتخب اللـواء محمد نجيب وموعز به من القصر الملكى وينص الخطاب على ضرورة تمثيل سلاح الحدود بعضو فى مجلس ادارة النادى الجديد بحجة أن سلاح الحدود أصبح سلاحا قائما بذاته وأن ضباطه أصبحوا من قوته فعلا وعرض محمد نجيب هذا الخطاب على مجلس الادارة الجديد وقد كان هذا الخطاب يعتبر تحديا صـارخا لقرار الجمعية العمومية يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وبعد المناقشة

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ص ٩٠ .

قرر مجلس الادارة أن خطاب رئاسة هيئة أركانحرب يعتبر مخالفا لنص المادة ٨ من اللائحة المصدق عليها من الجمعية العمومية واقترح الموافقة على تعيين عضو من سلاح الحدود كمستمع فقط وليس له صلاحية العضوية على أن يعرض الأمر برمته على جمعية عمومية غير عادية ثم تحديد موعد انعقادها فى شهر فبراير سنة ١٩٥٢ وبلغت بذلك رئاسة هيئة أركانحرب · ولكن نظرا لاحداث حرائق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وماتبعها من طوارىء فقد تأجل ميعاد اجتماع الجمعية العمومية غير العادية الى وقت لاحق ·

استقالة سكرتير عام المجلس (١) التنفيذى لمجلس ادارة النادى :

على أثر ظهور هذه المشكلة · قدم عبد الرحمن أمين استقالته من مركز سكرتير عام المجلس فى أوائل فبراير سنة ١٩٥٢ وفى نفس الجلسة تم الاتفاق على اختيار البكباشى ابراهيم حافظ عاطف (قائد مدرسة المساعدة الجوية) ليكون سكرتيرا عاما للمجلس وبقى عبد الرحمن أمين عضوا عاديا بالمجلس ــ وفى هذه الأثناء كان رشاد مهنا قد تم نقله كطلبه الى أحد تشكيلات المدفعية بالعريش فى مارس سنة ١٩٥٢ ليكون فى المنطقة التى بها معظم وحدات الجيش ويمكنه ممارسة نشاطه السياسى فى وسطهم وفى نفس الوقت يكون بعيدا عن أى شبهات حيث كان نشاطه بالقاهرة محل اشتباه وخاصة انه سبق اعتقاله مع مجموعة الضباط الوطنيين ·

نشاط الضباط الأحرار

ومنذ حريق القاهرة حتى ما قبل اجتماع الجمعية العمومية (٢) غير العادية لمجلس ادارة نادى ضباط الجيش فى منتصف يونيو ١٩٥٢ نشطت جماعات الضباط الأحرار وانضم لها أعداد كبيرة من الضباط بحيث أصبح التنظيم قويا وقادرا على أن يثير اهتمام القوى الداخلية وحتى الخارجية المهتمة باستمرار نفوذها فى مصر وفى هذا الوقت وصلت معلومات لتنظيم الضباط الأحرار من الاخوان المسلمين ان الانجليز أبلغوهم انهم يريدون التخلص من الملك حيث أصبح مكشوفا ومكروها من الشعب ولا يضمن مصالحهم وان الانجليز طلبوا من الاخوان اغتيال الملك ·

كما وصلت معلومات أخرى عن طريق الملحق العسكرى الأمريكى المتصل بعلى صبرى مدير مخابرات الطيران « ان فى حالة تحرك الجيش

---

(١) نفس المصدر السابق ·

(٢) مذكرات خالد محى الدين الحلقة الرابعة ، أهرام ١٩٩٢/١٢/١٦ ·

المصرى لأى حركة تغيير فان الأمريكان سيطلبون من الانجليز عدم التدخل اذا كانت هذه الحركة غير شيوعية ولا تهدد مصالحهم واستقر رأى الضباط الأحرار على التحرك فى شهر نوفمبر ١٩٥٢ وحول هذا التاريخ أيضا حاول الوفد ان يستعين بشباب ضباط الجيش وقام الضابط حسن علام لحساب الوفد بطبع منشورات وقبض عليه وقامت الحكومة بتحديد اقامة فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وعلى أثر ذلك قام الضباط الأحرار بالاتصال بأحد أقارب النحاس باشا لمحاولة الاتفاق مع الوفد والتعاون معه ورد النحاس باشا بأنه لا يستطيع أن يدخل لعبة الضباط ولأنه لا يريد أن يخسرأوراقه مع الأمريكان ·

انعقاد الجمعية العمومية غير العادية (١٦ يونيو سنة ١٩٥٢) :

وفى ظل وزارة الهلالى وفى مساء يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٥٢ (فى شهر رمضان) تم عقد اجتماع الجمعية العمومية غير العادية لنادى الضباط والتى سبق ودعى لها مجلس الادارة منذ أوائل يناير سنة ١٩٥٢ لمناقشة موضوع فرض عضو من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى (١) رغم مخالفة ذلك للائحة وافتتح الجلسة البكباشى ابراهيم عاطف ثم ترك المنصة للقائمقام أركانحرب رشاد مهنا ليقوم بأعمال مقرر الجلسة ـ وأعلن رشاد مهنا عن الغرض من الاجتماع وملابسات الموضوع ثم فتح باب المناقشة · وكان أول المتحدثين المهندس جمال علام حيث استهل كلامه بمطالبة المجتمعين بالوقوف حدادا على روح الشهيد عبد القادر طه (رغم أن عبد القادر طه كان من ضباط الحرس الحديدى الذى شكله الملك لحسابه من الضباط وعندما اختلف عبد القادر طه مع الملك أمر باغتياله على يد الحرس الحديدى نفسه وكانت هذه المعلومات معروفة تماما فى وسط جميع ضباط الجيش) ·

ووقف المجلس وجميع الضباط المجتمعون حدادا · وكانت هذه الاستجابة الاجماعية من الضباط بمثابة تحدى للملك وأعوانه فى الجيش بصفة خاصة ·

وتعاقب المتكلمون بعد ذلك وكان الكل يؤيد رفض خطاب رئيس هيئة أركانحرب ويعارضون تمثيل سلاح الحدود بعضو فى مجلس ادارة نادى ضباط الجيش · وحاول ضباط من السلاح البحرى منهم أنور عبد اللطيف وكلهم من المؤيدين للملك باعلان انسحابهم من الاجتماع · ورد عليهم رشاد مهنا بحسم أن أمر انسحابهم أو وجودهم سيان حيث

---

(١) نفس المصدر السابق ·

انهم مفيدون من بدء الجلسة فى دفتر الحضور فى محضر الجلسة حتى ولو لم يصوتوا فهذا لا يؤثر على رأى الأغلبية ·

ثم عرض رشاد مهنا مقرر الجلسة وبأسلوب مباشر وحاسم قرار رئيس هيئة أركانحرب للتصويت وجاء التصويت (١) بالاجماع برفض القرار - وانتصر الحق على الباطل وسقطت محاولة الملك بتمثيل سلاح الحدود بعضو فى المجلس الجديد · وقام سكرتير المجلس التنفيذى ابراهيم حافظ عاطف مع السكرتير المساعد قائد الاسراب حسن ابراهيم بتحرير كل ما جاء بالجلسة على شكل محضر جلسة وبذلك أضاعوا الفرصة على أى تلاعب من أعوان الملك ·

وبعد هذا الانتصار بالاسلوب الشرعى المهذب جدا ظاهرا والمتحدى بعناد لمحاولات الملك زاد تجاوب جميع ضباط الجيش لهذا الموقف وزاد اقبال الضباط على ارتياد النادى واعتبروه مركزا وطنيا ورمزا ، وكانوا قبل ذلك متحفظين ومتباعدين عن ارتياد النادى عندما أشيع بأن مجلس الادارة وافق على الرضوخ لطلب رئيس هيئة أركانحرب ·

اصرار الملك على التحدى :

قام أعوان الملك الموجودون فى مجلس الادارة بتقديم استقالتهم من عضوية المجلس بالتتابع ، وكان غرضهم وغرض القصر أن تكون هذه الاستقالات بمثابة حل للمجلس خصوصا اذا زاد عدد المستقيلين وقدم الآتين بعد استقالاتهم : -

أميرالاى	حسن حشمت	نائب رئيس مجلس الادارة ورئيس المجلس التنفيذى
يوزباشى بحرى	أحمد عبد الغنى مرسى	عضو عن البحرية
قائمقام بحرى	أنور عبد اللطيف	عضو ومدير مكتب حيدر باشا
أميرالاى صيدلى	عياد صليب	عضو الخدمات الطبية
يوزباشى	يحيى الحرية امام	العضو المعين عن الحاشية العسكرية
بكباشى أركانحرب مهندس	ابراهيم فهمى دعبس	عضو عن المهندسين

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ·

وقام كبار ضباط قيادات الجيش بالضغط على باقى أعضاء مجلس الادارة لتقديم استقالاتهم حتى يصبح مجلس ادارة النادى المنتخب فى حكم المنحل ويكون هذا الحل سلميا دون اللجوء الى اسلوب اصدار قرار حل قد يثير النفوس ·

ولكن الباقين كان معظمهم من التنظيم السرى فلم ينفع معهم الضغط أو التهديد وبذلك بقى مجلس الادارة سليما رغما عن ارادة القصر ·

وكانوا دون ذكر الألقاب محمد نجيب ، رشاد مهنا ، ابراهيم حافظ عاطف ، زكريا محيى الدين ، حمدى عبيد جمال حماد ، بهجت مصطفى ، حسن ابراهيم ، عبد الرحمن فوزى ·

آخر أيام وزارة الهلالى الأولى :

وعلى اثر صدور مرسوم بتأجيل الانتخابات البرلمانية فى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٢ · أخذت المشاكل تتوالى أمام وزارة الهلالى سواء من حزب الوفد أو الأحزاب الأخرى وزاد ذلك مركزها ضعفا خصوصا وأن الهلالى تمادتى فى تملق الملك والاستجابة لطلباته وكان فى مختلف المناسبات يضفى على فاروق سيلا من عبارات التقديس · كما أنه فى هذا العهد نشر فى الصحف أن وزير (١) الأوقاف السابق فى عهد وزارة الوفد حسين الجندى رفع الى الملك فاروق يوم ٥ مايو سنة ١٩٥٢ تقريرا اشترك فى وضعه مع نقيب الأشراف محمد الببلاوى « أثبتنا فيه (كذبا) نسب فاروق الى السلالة النبوية . وزعما أن نسبه من جهة الأم (نازلى) ينتهى الى الامام الحسين ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » ·

وأخيرا عندما شعر نجيب الهلالى أن الملك شرع فى استخدام هوايته فى تغيير الوزارات ، وكان لحاشيته دخل كبير فى ذلك لأنهم خشوا أن ينالهم اجراءات التطهير التى كان الهلالى جادا فى تنفيذها فأدخلوا فى روع الملك أن حركة التطهير هذه التى يمارسها الهلالى قد تمتد الى ذاته فتغير الملك على الهلالى وشرع الملك فى العبث بالوزارة وأدرك الهلالى ذلك خصوصا بعد أن تأكد أن كريم ثابت وأحمد عبود وأنطون بوللى اجتمعوا فى سويسرا وأن مليونا من الفرنكات السويسرية دفعها عبود لهم للتخلص من الوزارة ·

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ص ١٣٨ الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ·

استقالة الهلالى (٢٨ يونية سنة ١٩٥٢)

وقدم الهلالى استقالة وزارته الى الملك فى ٢٨ يونية سنة ١٩٥٢ ٠

وزارة حسين سرى (٢ ـ ٢٠ يولية سنة ١٩٥٢)

استمرت هذه الوزارة فى الحكم تسعة عشر يوما فقط وبذلك كانت مظهرا من مظاهر العبث الملكى الأخيرة الصارخة ٠

فبعد استقالة نجيب الهلالى كلف (١) الملك فى وقت واحد اثنين لتأليف الوزارة الجديدة وهما بهى الدين بركات ، وحسين سرى ٠ وأخذ كل منهما يجرى مشاوراته فى تأليف الوزارة دون أن يعلم أحدهما أو كلاهما أن الآخر مكلف أيضا بتأليف الوزارة ٠ وكان هذا اجراءا فريدا من نوعه سواء فى تاريخ مصر أو فى تاريخ أكثر الدول تخلفا فى العالم ٠ واعتبر هـذا فى مناقشات التنظيم السرى للضباط مظهرا سافرا لعـدم الاستقرار بل لانهيار نظام الحكم ٠ وأخيرا وقع الاختيار على حسين سرى باشا وكان لرجلين من رجال الحاشية دخل كبير فى هذا الاختيار وهما الياس اندراوس المستشار الاقتصـادى للملك وكريم ثابت المستشـار الصحفى للملك ومنظم سهراته وعلاقاته المتدهورة ٠ وألف حسين سرى وزارته فى ٢ يوليو سـنة ١٩٥٢ ومكافأة لدور كريم ثابت جعله وزير دولة فى تشكيله للوزارة ٠ وكان دخول كريم ثابت وزيرا بالوزارة من علامات انحدار المنصب الوزارى لأن الملك سبق وحاول فرضه كوزير على رؤساء وزارات سابقة ورفضوا جميعا ـ وجاء تعيين كريم ثابت وزيرا دليلا على صحة ما وصـــل للهلالى من معلومات عن تآمر كريم ثابت فى سويسر ٠ ولكن سرعان ما ظهر الخلاف بين الملك والوزارة عندما تحرجت الأمور فى أزمة نادى ضـباط الجيش وكان ذلك قرب منتصف يوليـو سنة ١٩٥٢ ٠

رعب السلطة :

ومنذ ٢٦ يناير وحتى هـذا التاريخ فقد (٢) تملك فاروق وزمرة الباشوات الرعب من ظهور تضامن الشعب وتماسكه وسخطه وأن هذا

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٤٩ ، ١٥٠ ٠

(٢) كتاب العلاقات البريطانية المصرية من عام ١٨٠٠ حتى عام ١٩٥٢ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ لجون مارلو ٠

التضامن أصبح وجها لوجه مع أدوات السياسة المصرية ولو أن السياسيين وعلى رأسهم الملك والحاشية لم يدركوا مدى تردى النسيج الاجتماعى الذى هم على قمته والأدهى من ذلك أنهم لم يدركوا أن الوطنية المصرية التى كانت تثور على البريطانيين تحولت أيضا للثورة على القهر والفساد وعليهم هم أنفسهم .

عودة الى أزمة نادى ضباط الجيش :

حل مجلس ادارة نادى الجيش المنتخب

فى ١٦ يوليو سنة ١٩٥٢ طلب أركانحرب قسم القاهرة من سكرتير عام المجلس التنفيذى لمجلس ادارة نادى الضباط ابراهيم عاطف بالانتظار فى نادى الضباط بالزمالك فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر لمقابلة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة (شقيق اللواء محمد نجيب) وعلم ابراهيم عاطف بعد عدة اتصالات أن المقابلة ستكون بخصوص صدور أمر من رئاسة هيئة أركانحرب الجيش بحل المجلس وبلغ ابراهيم عاطف الخبر لمحمد نجيب رئيس مجلس الادارة وتأكد محمد نجيب من صحة الأمر وكلف ابراهيم عاطف بالتصرف بما يتراءى له فى مقابلة على نجيب . فاتصل ابراهيم عاطف بالطيار حسن ابراهيم مساعد سكرتير عام المجلس التنفيذى ، واتفق معه على الحضور فى الميعاد المحدد فى النادى وعلم من حسن ابراهيم أن هناك أوامر صدرت باشارات الى جميع الوحدات بعدم مغادرة المعسكرات الى حين صدور أوامر بحجة أن رئاسات الجيش العليا ستمر على الوحدات والمعسكرات وكان ذلك لضمان عدم تجمع أى ضباط فى النادى) . وحضر اللواء على نجيب فى الميعاد فى النادى وكان معه مجموعة من الضباط (أميرالاى محمد حسنى ، وأميرالاى جلال صبرى ، وقائمقام مصطفى كمال عبد الرازق ، وبكباشى يوسف العجرودى ، وصاغ حافظ صدقى ، وقائد أسراب على صبرى وضابط من البحرية وآخرين) وأبلغ على نجيب ابراهيم عاطف أنهم حضروا لاستلام النادى بأوامر من جهة عليا فقد صدرت أوامر بحل مجلس الادارة وعارض هذا ابراهيم عاطف بأنه لا يملك حل مجلس الادارة المنتخب الا بالعرض على الجمعية العمومية التى انتخبته . واستمرت المناقشة الى قرب الغروب بدأ الزوار من الضباط وبأعداد كبيرة تفد الى النادى وتحرج الموقف وأجل على نجيب المناقشة الى اليوم التالى ولم يجرى أى تسلم أو تسليم .

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

وفى صباح اليوم التالى اتصل محمد نجيب بابراهيم عاطف وكلفه بتنفيذ التعليمات بالتسليم وكلفه أيضا بمقابلة شقيقة على نجيب بقسم القاهرة · وقابله هناك فى مكتبه وعلى انفراد وبلغه أن جميع اعتراضاته وكلامه فى اليوم السابق قد بلغت الى الجهات العليا وأن اللواء حسين فريد رئيس هيئة أركانحرب كان موقفه مشرفا جدا حيث كان يدافع عن ابراهيم عاطف كأنه أحد أبنائه ـ ونصح على نجيب ابراهيم عاطف بأن يجعل العاصفة تمر ويجب أن نميل معها حتى لا تنكسر وبعد أن تمر العاصفة يمكن استعادة الموقف واستئناف العمل ·

وانتشر خبر محاولة حل مجلس الادارة بين جميع ضباط الجيش بسرعة مذهلة وقابله فى النادى يوم ١٧ يوليو سـنة ١٩٥٢ (١) ومعه اللجنة السابق ذكرها عدا قائد الأسراب على صبرى وتم تسليم أعمال مجلس الادارة لهذه اللجنة وبذلك تمت اجراءات حل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش بتحدى سافر من الملك بغير سند من أى شرعية أو قانون أو لائحة ·

اجتماع الضباط الأحرار (٢) ١٧ يوليو ١٩٥٢ :

فى مساء ١٧ يوليو سنة ١٩٥٢ عقدت اللجنة القيادية للضباط الأحرار اجتماعا عاجلا حضره الجميع عدا السادات وصلاح سالم وذلك بعد ان وصلتهم معلومات عن نية الملك حل مجلس ادارة النادى تحديا لهم وعلم أيضا ان هناك أخبارا تسربت بأن الحكومة سوف تعتقل أى ضابط يعارض قرار الحل واقترح سرعة التحرك بالقيام بعده اغتيالات لشخصيات عسكرية حسين سرى عامر وحسين فريد رئيس أركا حرب الجيش وحسن حشمت قائد المدرعات وكلهم من رجال الملك وانصرف المجتمعون على ان يجهزوا أنفسهم لهذه العملية واقتصر الاجتماع فى اليوم التالى لمناقشة الخطة والامكانيات قبل التنفيذ ·

اجتماع يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ :

حضر هذا الاجتماع لأول مرة يوسف منصور صديق وبعد مناقشات طويلة صرف النظر كلية عن عمليات الاغتيال واقترح جمال عبد الناصر وضع خطة تفصيلية لبدء التحرك الايجابى بالسيطرة على القوات المسلحه

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٩٥ ، ٩٦ ·

(٢) والآن أتكلم للاستاذ خالد محمد الدين ص ١٣١ ·

وحدد الهدف بالاستيلاء على المنطقة العسكرية (رئاسة الجيش) ونحدد توقيتا لذلك يوم ٢ أو ٣ أغسطس ١٩٥٢ ٠

اجتماع محمد نجيب مع الوزير محمد هاشم (١) ١٩ يوليو ١٩٥٢ :

وأثناء اجتماع الضباط الأحرار يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ على شكل مجموعات عمل للاعداد للتحرك على ان يكون التحرك فى أول شهر أغسطس ١٩٥٢ استدعى محمد نجيب لمقابلة الوزير محمد هاشم وفى هذه المقابلة بعد مناقشة حول أسباب تذمر ضباط الجيش اقترح محمد هاشم للقضاء على هذا التذمر ان يصدر مرسوم بتعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ورفض نجيب ولكنه فوجىء أثناء الحديث ان فلتت من الوزير محمد هاشم وبدون قصد تبليغ بأن السراى لديها قائمة بأسماء ١٢ ضابطا هم المسئولون عن تحريك الضباط الأحرار وبعد انصراف نجيب أبلغ ذلك الى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بمنزله ٠

اجتماع عاجل يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢ :

وعلى أثر سماع هذا التبليغ الخطير عقد اجتماع اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار وقرروا بسرعة التحرك ليكون ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ٠ ثم أصدر عبد الناصر أمره بتأجيل هذا التحرك الى ليلة ٢٣ يوليو انتظارا لحشد قوات أكبر وكان هذا هو الموعد النهائى ٠

عودة الى وزارة حسين سرى :

فى هذه الفترة من الزمن كان الخاصة والعامة يتهامسون (٢) عن اتجاهات لبعض ضباط الجيش يتحدون الملك وخاصة أن بعض المنشورات قد وصلت الى أيدى المسئولين وبعض قيادات النقابات العمالية والمهنية ورؤساء الصحف وكانت هذه المنشورات تشير الى حرب فلسطين والى صفقات الأسلحة المشبوهة والى الفساد الذى استشرى فى الجيش وفى مختلف مرافق الدولة ــ وأراد حسين سرى أن يهدىء الموقف بين الملك وضباط الجيش وعرض على الملك امكان اسناد وزارة الحربية الى اللواء محمد نجيب رئيس مجلس ادارة النادى ليكون ذلك ترضية للضباط وكان حسين سرى قد سبق ورشح محمد نجيب لهذا المنصب عند تأليفه

---

(١) مذكرات خالد محى الدين ، الحلقة الرابعة ــ أهرام ١٩٩٢/١٢/١٦ ٠

(٢) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل جـ ١ ص ٣١٤ ٠

الوزارة وقبل قرار حل المجلس المنتخب ولكن الملك (١) رفض وتولى حسين سرى وزارة الحربية مع رئاسة الوزارة ، ولما اشتدت الأزمة والقصر فى شأن أزمة نادى ضباط الجيش قدم حسين سرى استقالته ، عندما حاول الملك فرض تعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية ٠

استقالة وزارة حسين سرى (٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢) :

وقدم حسين سرى استقالة الوزارة يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢ واستمرت حكومته فى الحكم تسعة عشر يوما فقط وقبل الملك استقالته يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

اجتماع يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ (٢) :

عقدت لجنة القيادة اجتماعها الأخير ظهر هذا اليوم وحضره جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وعبد الحكيم عامر وكمال حسين وعبد اللطيف البغدادى ، وخالد محى الدين وزكريا محى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين وابراهيم الطحاوى لأنه كان سيقود تحرك سلاح خدمة الجيش وكان الهدف الأساسى من هذا الاجتماع هو الاطلاع على الخطة النهائية للتحرك والعمل الايجابى بالاستيلاء على القوات المسلحة ٠ وتغيب عن هذا الاجتماع جمال سالم وصلاح سالم وأنور السادات ــ وتقرر فى هذا الاجتماع توزيع مسئوليات القيادة كالآتى :

الفرسان : حسين الشافعى ــ خالد محى الدين ــ ثروت عكاشة ٠

المدفعية : كمال الدين حسين ــ عبد المنعم أمين

الطيران : حسن ابراهيم ــ عبد اللطيف البغدادى ٠

خطة الاستيلاء على القوات المسلحة (٣) :

شارك زكريا محى الدين فى وضع خطة التحرك النهائية مع جمال عبد الناصر وكانت خطة بسيطة للغاية تحمل فى طياتها عوامل نجاحها لبساطتها وتحقق السيطرة الكاملة على القوات المسلحة وبالتالى بالاستيلاء على سلطة السيادة فى البلاد وهو ما كان يهدف اليه جمال عبد الناصر

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ص ١٥٠ للأستاذ الرافعى ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ج ١ ص ٤٦ ٠

(٣) والآن أتكلم للأستاذ خالد محى الدين ص ١٣٣ ٠

مذكرات خالد محى الدين الحلقة الرابعة عدد أهرام ١٩٩٢/١٢/١٦ ٠

بالذات منذ اجتماع يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ مع اللجنة القيادية • وقام زكريا محى الدين بقراءة وشرح الخطة على اللجنة القيادية بعد ظهر ٢٢ يوليو ١٩٥٢ وكانت مقسمة الى مراحل •

المرحلة الأولى (١) :

١ ـ السيطرة على القوات المسلحة بالاستيلاء على مبنى القيادة العسكرية بمنطقة كوبرى القبة باقتحامها والاستيلاء عليها بمجموعة من الضباط الأحرار •

٢ ـ تقدم مجموعة أخرى من الضباط الأحرار باعتقال بعض كبار ضباط الجيش والطيران من منازلهم لضمان عدم امكـــان تحرك قوات عسكرية • وكانت مهام الأسلحة فى هذه المرحلة •

● **الفرسان** : اغلاق المنطقة عن شارع الخليفة المأمون بجوار محطة البنزين واغلاق المنطقة عن المستشفى العسكرى وعند باب ستة بالعباسية وبوابة العباسية ومجموعة من المدرعات بالسيطرة على مطارات ألماظة ومصر الجديدة وغرب القاهرة •

● **المدفعية** : عزل منطقة ألماظة وهاكستيب والطرف المؤدية لمبنى القيادة بكوبرى القبة والطرق المؤدية لوحدات الجيش المختلفة •

وأن يقوم تعاون بين المدفعية ووحدات من الفرسان بدبابات وعربات مصفحة •

● **الطيران** : القيام بطلعات استكشاف للتأكد من عدم تحرك قوات بريطانية من قاعدة القنال وطلعات استكشاف فوق القاهرة والاسكندرية ومنع الملك من الهروب سواء عن طريق الجو أو البحر •

● **المشاة** : مقدمة كتيبة مدافع ماكينة يقودها البكباشى يوسف منصور صديق تتوجه الى مبنى القيادة العامة ومساعدة قوة مشاة أخرى فى الاستيلاء (٢) على مبنى القيادة بمن فيها من قيادات •

ـ كتيبة مشاة رقم ١٣ تحت قيادة صلاح نصر ومعه مجموعة من تسعة ضباط أحرار (وقد انضم لهم فى آخر لحظة القائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة متضامنا مع الضباط الأحرار) وتقوم بمعاونة يوسف منصور

---

(١) مذكرات صلاح نصر ص ٨٩ •
(٢) الآن أتكلم للأستاذ خالد محى الدين ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ • •
(٣) مذكرات صلاح نصر ، ص ٨٩ •

صديق في السيطرة على القيادة العامة وجزء من الكتيبة ١٣ للسيطرة على رئاسة سلاح الحدود فى كوبرى القبة وجزء منها للسيطرة على مبنى الاذاعة والقاء بيان من الاذاعة فى الصباح الباكر ٠

المرحلة الثانية :

العمل على السيطرة على جهاز الحكومة المدنى وانزال قوات الى الشوارع للسيطرة على عدد من المواقع المدنية الحيوية ٠

المرحلة الثالثة :

التحرك لمحاصرة الملك ومنعه من الاتصال بأى وحدات من القوات المسلحة أو القوات البريطانية كل ذلك تمهيد لعزله ولكن فى سرية تامة حتى لاتتسرب معلومات للانجليز أو لغيرهم ٠

وزارة نجيب الهلالى الثانية (٢٢ يوليو ـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) :

عهد الملك الى نجيب الهلالى فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ بتأليف الوزارة وألفها ولم تدم الا بضع ساعات وبنفس أعضاء وزارة حسين سرى السابقة عدا أربعة وزراء فرض الملك منهم واحدا هو اسماعيل شيرين زوج شقيقته الأميرة فوزية ليكون وزيرا الحربية وليكون أداة الملك فى السيطرة على الجيش فى الوقت الذى قويت فيه حركة الضباط الأحرار ونشطت ، واشتدت أزمة الجيش ٠ واسماعيل شيرين شاب لم يدخل الكلية الحربية وجعله الملك ضابطا لمجرد مصاهرته له واعطاه رتبة القائمقام ٠ وكان قبول الهلالى لهذه الأوضاع اشتراكا منه بارادته أو بغير ارادته مع تفاقم تدهور الأحوال الداخلية للدولة ٠

مرحلة العمل الايجابى (١) :

بعد اجتماع لجنة القيادة بعد ظهر ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ والتى تم فيها شرح ومناقشة خطة التحرك للاستيلاء على قيادة الجيش ، تحدد لبدء التحرك ساعة الصفر فى منتصف ليلة ٢٢ يوليو أى الساعة ٢٤٠٠ وقام

---

(١) قصة ثورة مصر للأستاذ أحمد حمروش جزء ٢ من ص ٢١ الى ص ٤٥ ٠
ـ ومن كتاب ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير للسيد صلاح نصر جزء أول من ص ٨٩ الى ص ٩٧ ٠
ومن كتاب والآن أتكلم للسيد خالد محى الدين من ص ١٣٣ الى ص ١٥٥ ٠

حسين الشافعى بالاجتماع مع الضباط الأحرار للفرســـان كما توجه عبد المنعم أمين وكمال الدين حسين للاجتماع بالضباط الأحرار لسلاح المدفعية أما عبد الناصر فقد تولى بنفسه الاجتماع مع لجنة الضباط الأحرار بالمشاة عصر ذلك اليوم ومنذ غروب شمس يوم ٢٢ يوليو كان معظم الضباط الأحرار المكلفون بمهام التحرك موجودين بمعسكراتهم تحسبا لأى مفاجآت ·

وقامت مجموعة من الضباط الأحرار كمال رفعت ومحمد البلتاجى وغيرهم بالاستعداد لمهمة القبض على عدد كبير من كبار قادة الجيش المصرى من منازلهم ·

وفى نفس الوقت قام جمال عبد الناصر بنفسه ومع كمال الدين حسين بالاتصال باثنين من أهم أعضاء جمعية الاخوان حسن عشماوى وصالح أبو رقيق وأبلغاهما بموعد تحرك الجيش واتفقا معهما على أن يسهم بعض الاخوان فى مســـاندة حركة الجيش بعد انتصـــارها فى الصباح ·

تسرب خبر التحرك (٢) :

فى الساعة السابعة مساء يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ أبلغ الملازم أول حسن محمود صالح من ضباط أحرار سلاح المدفعية زملاءه فى السلاح انه عندما كان يغادر منزله مرتديا الزى العسكرى ومسلحا بطبنجيته شكت والدته فى الأمر وخاصة أن بعض زملائه الضباط كانوا يصحبونه بملابسهم العسكرية وأسلحتهم فأبلغت شقيقه اللواء جوى صالح محمود صالح بشكوكهم وقام بدوره بالاتصال بحيدر باشا فى الاسكندرية معتقدا أن بعض الضباط ينوون عمل شىء ما فى هذه الليلة وفى الحال تصرف ضباط أحرار المدفعية وقاموا بابلاغ ذلك لمسئول المدفعية وأعادوا الضابط الى منزله حتى تطمئن والدته وتكف عن انزعاجها ·

ولكن الخبر كان قد وصل الى الملك وتأكدت السراى أيضا من الخبر بعد أن وصلها معلومات من اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة بعد أن أبلغه يوزباشى الفرسان فؤاد كرارة بأن أحد زملائه الضباط ممدوح شوقى (وهو من الضباط الأحرار) قام بمحاولة ضـــمه للحركة وعلى ذلك تم

(١) نفس المصادر السابقة ·

(٢) نفس المصادر السابقة ·

استدعاء اللواء حسين فريد رئيس أركان الجيش وتكليفه بالتوجه الى القيادة للقضاء على أى حركة ٠

وأصبح بذلك واضحا أن العجلة أخذت تدور متأثرة بتيارين معاكسين وكانت الخلية ستكون لأسرعهما فى التحرك وبخاصة ان اللواء حسين فريد كان قد استدعى قادة الأسلحة والمناطق بالقاهرة عدا اللواء محمد نجيب مدير المشاة الى مؤتمر فى العاشرة مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبرى القبة ٠

وقبل ان يتوجه القادة الى مبنى القيادة اتصل على نجيب وكان قائدا لقسم القاهر بأخيه محمد نجيب وأبلغه بهذه التطورات وقام نجيب بدوره بالاتصال بعبد الحكيم عامر بسرعة وأبلغه بهذه التطورات الخطيرة وأوصاه باستغلال هذه الفرصة الفريدة لاقصى حد بالتعجيل بوصول قوات الحركة الى مقر القيادة والاستيلاء عليها واعتقال جميع القادة المجتمعين قبل امتلاك قدرتهم على التصرف والتحرك لاجهاض حركة الضباط الأحرار فى معسكراتهم قبل تحركهم ٠

الاستعداد للتحرك

فى سلاح الفرسان :

قبل التاسعة والنصف مساء ٢٢ يوليو كان جميع الضباط الأحرار بسلاح الفرسان مع جنودهم بوحداتهم تحت حجة حالة طوارىء وفى التاسعة والنصف وصل حسين الشافعى وثروت عكاشة ٠ وخالد محى الدين ٠ وكان حتى هذا الوقت يوجد تحت قيادة حسين الشافعى ٣٢ ضابط من الأحرار وكانت قواته تسيطر على ٤٨ دبابة ، ٤٨ سيارة مدرعة والآلاى الأول سيارات مدرعة وكتيبة ميكانية عربات نصف جنزير محملة بالمشاة بالاضافة الى آلاى خياله تحت قيادة عثمان فوزى والآلاى الثانى سيارات مدرعة بالاضافة الى سيطرة كاملة على مركز تدريب الفرسان ومدرسة الفرسان فكانت هذه القوة قوة قادرة على القيام بأصعب المهام وكان هناك كشف بأسماء وعناوين ضباط الفرسان الواجب اعتقالهم فى منازلهم ومنعهم من دخول القشلاقات ٠ وتم اعطاء الأوامر بالاستعداد للتحرك فى الساعة العاشرة وقام حسين الشافعى بالتنسيق (١) لاستكمال توزيع الذخائر على القوات بعد أن وصلت عن طريق الضباط الأحرار قبل

---

(١) نفس المصادر السابقة ٠

الساعة ١١ مساء وفي هذا الوقت حضر اللواء حسين حشمت قائد اللواء المدرع الى القشلاق وقام ثروة عكاشة باعتقاله والتحفظ عليه ٠

وصدر الأمر بالتحرك فى الساعة ١١ وتحركت قوة من الفرسان تقدر بمائة القوة وقامت بسد الطريق والكوبرى الذى يفصـــــل المستشفى العسكرى عن منطقة كوبرى القبة والحدائق وهى نقطة حاكمة فى المنطقة العسكرية وباقى قوة الفرسان بمدرعاتها وسياراتها المدرعة تحركت فى اتجاه مدخل مصر الجديدة أمام محطة بنزين موبيل أوبل بمحاذاه خط المترو وقامت بسد الطريق القادم من مصر الجديدة والذى يمر من أمام نادى سبورتنج وكان معها وحدات ميكانيكية وعربتين مصفحتين وفصيلة خياله وبذلك تم قطع المواصلات وعزل المنطقة العسكرية عن مصر الجديدة وعند هذا الحد أعلن قادة هذه التشكيلات الجنود بأنهم يقومون بحركة عسكرية ضد قادة الجيش (١) من أجل الوطن والشعب المصرى وتقبل الجنود هذا الاعلان بحماس وارتياح ٠

وقبل مغادرة قسلاقات الفرسان (٢) حضر مهندس الصيانة جمال علام وانضم لضباط احرار الفرسان وبايحاء منه أشار الى أهمية الاستلاء على محطات القوة والبث اللاسلكى للاذاعة فى أبى زعبل وقام مع تروب سيارات مدرعة وتحت قيادة مجدى حسنين ووصلوا فى الوقت المناسب وبالتعاون مع مهندس الاذاعة الشاب الجارحى القشلان ثم السيطرة على المحطات وأمكن اعادة توصيل التيار للأجهزة والتى قطعها المسئول بأوامر من كريم ثابت (وزير الاعلام) ٠

وقام اليوزباشى أحمد المصرى من السوارى وتحت قيادة قوة من السيارات المدرعة بالسيطرة والاستيلاء على مبنى الاستوديوهات فى شارع الشريفين وتم ذلك فى الساعة الرابعة والربع صباحا يوم ٢٣ يوليو بعد ان تمكن من صرف قوات البوليس البسيطة التى كانت تحيط بهذا المبنى بعد اقناعهم أنه حضر لهذه المأمورية موفدا من السراى وأن أحمد طلعت هو (٣) الذى أصدر لهم هذه الأوامر ثم سافر بعدها الى الاسكندرية لمقابلة الملـــك ٠

(١) نفس المصادر السابقة ٠

(٢) مذكرات محمد عبد الفتاح ص ٩٩ ، ١٠٠ ٠

(٣) قصة ثورة مصر للأستاذ أحمد حمروش جزء ٢ من ص ٢١ الى ص ٤٥ - ومن كتاب ثورة ٢٣ يوليو جزء أول للسيد صلاح نصر من ص ٨٩ الى ٩٧ ٠
ومن كتاب والآن أتكلم للسيد خالد محى الدين من ص ١٣٣ الى ص ١٥٥ ٠

وقام حسين الشافعي وثروة عكاشة بالاشراف على وحدات مدرعة أخرى أرســـلت الى مطار ألماظة ومصر الجديدة وغرب القاهرة ومدخل العباسية وحول رئاسة سلاح الحدود وقوات أخرى مدرعة لمعاونة المدفعية فى مواقعها الدفاعية على طريق تقدم أى قوات بريطانية تتقدم عن طريق القناة وجانب آخر من المدرعات لمعاونة قوات مشاة الكتيبة ١٣ كطلب السيد زكريا محى الدين ٠

فى ســـلاح المدفعية (١) :

قام عدد كبير من الضباط الأحرار بســـلاح المدفعية بالوجود فى معسكراتهم بألماظة منذ غروب شمس يوم ٢٢ يوليو وتم تجمعهم مع باقى الضباط فى ألماظة فى رئاسة المدفعية فى تمام الساعة ٩ مساء وسيطروا على رئاسة المدفعية مبكرا ثم قامت قوة كبيرة من قوات المدفعية باحتلال مواقع دفاعية مسيطرة على طرق اقتراب أى قوات بريطانية يحتمل تقدمها من منطقة القنال الى القاهرة وقبل ساعة الصفر وهى منتصف الليل وصلت قوات مشاة من الكتيبة ١٣ ومعها جانب من قوات مشاة مدافع الماكينة وكذلك انضم اليها جانب من المدرعات ٠ وقامت قوات المدفعية فى ألماظة باعتقال قائد المنطقة المركزية اللواء على نجيب واللواء حافظ بكرى قائد المدفعية والبكباشى عبد الفتاح كاظم أركان غرب سلاح المدفعية ٠

المشـــــاة :

كانت قوات المشاة المتوفرة والمضمونة للقيام بالانقلاب (٢) هى كتيبة المشاة رقم ١٣ وكان معظم ضباطها من تنظيم الضباط الأحرار وحتى قائدها الرسمى القائمقام أحمد شوقى فقد انضم ليلة الانقلاب للضباط الأحرار وكذلك كانت (٣) مقدمة كتيبة مدافع ماكينة عبارة عن سرية الرئاســـة وسرية أخرى تحت قيادة يوسف منصور صديق ومعه الضباط عبد المجيد شديد وكلا القوتين كانت بدون سيارات أو ذخائر كافية ولذلك فقد صار استكمال احتياجاتهما من ضباط أحرار خدمة الجيش بعد غروب شمس يوم ٢٢ يوليو كما قام مركز تدريب المشاة بمدهما بالذخائر الكافية وكانت

---

(١) نفس المصادر السابقة ٠

(٢) كانت هذه الكلمة (انقلاب) هى التعبير المبكر لحركة الجيش سنة ١٩٥٢ حيث لم تكن معالم الثورة قد ظهرت مراحلها بعد وحتى لا تؤخذ على الثورة كما يحلو لبعض المعارضين للثورة ٠

(٣) نفس المصادر السابقة ٠

ساعة الصفر للتحرك لهذه القوات فى منتصف ليل ٢٢ يوليو سعت ٢٤٠٠ وتحددت هذه الساعة فى آخر اجتماع لضباط أحرار المشاة مع جمال عبد الناصر بعد عصر يوم ٢٢ يوليو فى منزل صلاح نصر أركان حرب الكتيبة ١٣ مشاة ـ وتواجد جميع ضباط أحرار المشـاة مع قواتهم فى الساعة التاسعة مساء ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ قبل ساعة الصفر بثلاث ساعات .

وقامت قوة سرية يعاونها تروب دبابات بالتحرك ساعة الصفر تحت قيادة صـلاح سعدة الى مبنى سلاح الحدود فى كوبرى القبة لمحاصرته ومنع أى تحرك منه خشية امكان سيطرة اللواء حسين سرى عامر مدير السلاح ورجل الملك واستخدامه لقوات الحدود ضد الانقلاب قامت سرية مشاة بقيـادة يوزباشى عمر محمود على ومعه ثلاثة ملازمين بالتحرك الى رئاسة أركا ن حرب الجيش (مبنى القيادة العامة) ولكنه وصل بعد ان تمكن القائمقام يوسف منصور صديق من اقتحامه وساعد فى السيطرة عليه وبخاصة ان جانبا من المدرعات كانت تتعاون معه .

ـ توجهت قوة فصيلة الى مبنى الاذاعة وسيطرت عليها بالتعاون مع قوة المدرعات .

ـ قامت سرية بتوزيع فصائلها على بوابات معسكر العباسية لمنع دخول أو خروج أى أفراد عسكريين لا ينتمون الى الضباط الأحرار وكانت تحركات واستعدادات جنود الكتيبة ١٣ بحجة ان الانجليز يتحركون من منطقة القناة وأن الكتيبة مكلفة بواجب دفاعى عن البلاد وتقبل الجنود هذا التفسير بحماس .

ـ أما قوات مدافع الماكينة التى كانت بمعسكر هاكستب فكانت قوات مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة عبارة عن سرية الرئاسة وسرية أخرى وكانت هذه المقدمة تحت قيادة البكباشى يوسف منصور صديق وحدث خطأ بسيط ولكنه كان عظيم الأثر وهو أن يوسف صديق تصور خطأ ان ساعة الصفر هى الساعة الحادية عشر مساء وليست الساعة الثانية عشر واستعد للتحرك وخطب فى ضباطه وجنوده ولم يخف عنهم الموقف وقال لهم أنهم سيفخرون بما سينجزونه فى هذه الليلة وتحركت قواته قبل الميعاد بساعة وكان هو يركب عربة جيب فى مقدمة القوة المحملة على العربات وفوجىء فى طريقه باللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة وهو يقترب من المعسكر فاعتقله وعندما وصل الى مداخل مصر الجديدة اعتقل الأميرالاى عبد الرؤوف عابدين قائد الفرقة قبل ان يتمكن من السـيطرة على معسكرات هاكستيب وفى تقدمه نحو قيادة الجيش توقف قليلا فى مصر الجديدة واعترض جنوده شخصين فى ملابس مدنية كانوا يحومون

حول عربات قواته وتبين انهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى ملابس مدنية وأبلغاه بالموقف فى رئاسة الجيش كما بلغ لهما من محمد نجيب واتفقوا الثلاثة على ضرورة الاسراع باقتحام قيادة الجيش مبكرا واستأنف التحرك وكانت قواته فى هذا الوقت هى الوحيدة التى تتحرك فى شوارع القاهرة فى جرأة نحو مركز رئاسة الجيش وفى الحال نفذ حطة جريئة وأرسل فصيلة لتقطع الطريق عند مستشفى الجيش أمام كوبرى القبة وفصيلة أخرى تقطع الطريق عند كوبرى السبوف أمام رئاسة سلاح الحدود واقتحم بباقى القوة رئاسة الجيش وقبل الاقتحام اعتقل الأميرالاى سيف اليزل خليفة · وقام بقواته بتفتيش الدور الأرضى وكان خاليا واعترضه أحد الحراس عند صعوده الطابق الأعلى واضطر لتوقيفه باطلاق النيران عليه ليتمكن من سرعة اقتحام غرفة القيادة بعد اطلاق النيران على الباب عندما استعصى فتحه وهناك كان يقف اللواء حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبة وضابط آخر يرفع منديلا أبيض وطلب منهم الا يتحركوا وسلمهم لليوزباشى عبد المجيد شديد ليذهب بهم الى معسكر الاعتقال فى مبنى الكلية الحربية وبذلك سقطت قيادة الجيش وبسقوطها سقط أخطر مركز للسلطة فى مصر فلم يكن فى القاهرة فى هذا الوقت أى مركز يستطيع ان يعطى أوامر مضادة لحركة قوات الضباط الأحرار ·

وحضر بعد ذلك جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعـــد ارتداء ملابسهما العسكرية وشرعا فى استدعاء قائد الحركة المعد لهذا المركز محمد نجيب ولكنه كان متعجلا فقد حضر فى عربته الخاصة واتخذ مكانه الرئاسى المعد لذلك والمخطط له ·

ســـلاح الطيران :

فى الساعة السادسة صباحا ظهرت الطائرات الحربية فى سماء القاهرة ومصر معلنة ليس فقط السيطرة على الطائرات وعلى سلاح الطيران وانما سيطرة الضباط الأحرار على سماء مصر ·

استقالة وزارة الهلالى (٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) :

واتصل رئيس الوزراء نجيب الهلالى تليفونيـا من الاسكندرية فى الصباح بمحمد نجيب وأبلغه أنه مستعد لاجابة طلبات الجيش ولكن محمد نجيب أجابه بأن الجيش يريد تغيير الوزارة وفهم الهلالى من حديثه ان الجيش يريد تنحيته فقدم استقالته الى الملك يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

وقبلها فاروق وكان هذا هو أول خضوع من الملك للسلطة العليا الجديدة وهى قيادة الجيش الجديدة فى مصر والتى أصبحت تمثل فى هذه اللحظة ارادة الأمة ·

السيطرة على القوات المسلحة في سيناء

وكان أول عمل لقيادة الحركة هو الاتصال بأعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بجمال سالم فى العريش وصلاح سالم برفح وقام بعد استقبال كلمة السر بنجاح الانقلاب بالسيطرة الكاملة على القوات الموجودة بسيناء وكانت جميع الوحدات بضباطها وجنودها جاهزة نفسيا للتأييد الكامل لهذا الانقلاب ·

البيان الأول للثورة :

وكان البيان الأول الذى أذاعه أنور السادات فى الساعة السابعة والنصف صباح ٢٣ يوليو باسم اللواء محمد نجيب كالآتى :

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون فى هزيمتنا فى حرب فاسطين · وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره اما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها · وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب · وانى أذكر للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح **يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور** مجردا من أى غاية · وأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة أن يلجأ الى أعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر · وانى أطمئن اخواننا الأجانب على مصالحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق » ·

لواء أركان حرب محمد نجيب

القائد العام للقوات المسلحة

---

(١) نفس المصدر السابق ·

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، ص ٥٤ ·

تبليغ السفير الأمريكى صباح يوم ٢٣ يوليو (١) :

وتأمينا للمرحلة الأولى من الانقلاب أو الحركة فقد قام على صبرى صباح ٢٣ يوليو تليفونيا بابلاغ السفير الأمريكى عن طريق الملحق الجوى الأمريكى بأن الجيش المصرى قد تحرك **لأمور داخلية وبغرض مطالبة** السلطات المصرية ببعض المطالب الخاصة به وأن الحركة حريصة على صون مصالح الأجانب وحماية أرواحهم — ومحذرين فى نفس الوقت من أى تدخل من القوات البريطانية وأن مع ضباط الحركة منظمات وهيئات شعبية ستشترك مع ضباط الحركة والتصدى لأى تدخل بريطانى . كل ذلك كان لتجنب الصدام مع القوات البريطانية ومحاولة تجميدها . وعلى أن يقوم السفير الأمريكى بابلاغ السفير البريطانى بتلك الرسالة .

وقام عبد المنعم أمين بعد موافقة (٢) مجلس القيادة بالتوجه فى الساعة ٩ صباح ٢٣ يوليو لمقابلة القائم بالأعمال الأمريكى لأن السفير الأمريكى كان موجودا بالاسكندرية وشرح للقائم بالأعمال أهداف الثورة وهى القضاء على الفساد فى الجيش فقط .

ولم تتحرك القوات البريطانية بالقنال للتدخل ولكن فى صباح ٢٣ يوليو أرسل ممثل الحكومة البريطانية انذارا الى قيادة الجيش المصرى يهدد بتدخل القوات الانجليزية برا وجوا وبحرا لحماية الأرواح والممتلكات الأجنبية فى مصر ، اذا ما وقع عليها أى اعتداء .

اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة (٣)

اشتهر محمد نجيب منذ عمله بالقوات المصرية فى السودان وهو لايزال ضابطا صغيرا بتحمسه الوطنى ووعيه السياسى ومناصرته للمناضلين السودانيين الذين يؤمنوا بوحدة وادى النيل وبغضه للتسلط البريطانى الذى يحتل مصر والسودان واشترك فى كثير من المنظمات العسكرية السرية فى الجيش المصرى فى السودان وفى الجمعيات الوطنية السودانية . وكان أول دفعته فى التخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩١٨ وحصل على ليسانس الحقوق من الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ . وعقب حادث ٤

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى .

(٢) ثوار يوليو والوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى (من اقوال عبد المنعم أمين) ، ص ١٣٥ .

(٣) ملخصه من مذكرات محمد نجيب (كلمة للتاريخ) من ص ٧ الى ص ٣٦ .

فبراير سنة ١٩٤٢ والذى حاصرت فيه الدبابات البريطانية قصر عابدين وهدد فيه السفير البريطانى الملك فاروق بالعزل اذا لم يستجب لطلباته بصدور المرسوم للنحاس باشا بتشكيل الوزارة أعتبر محمد نجيب ذلك اهانة لرمز البلاد وحيث انه ضابط بالجيش المصرى المنوط به الدفاع عن هذا الرمز وأصبح غير قادر على حماية رمز بلده فهو لايستحق الرداء العسكرى لذلك قدم استقالته ولكن الملك لم يقبلها تقديرا لوطنيته وكان هو الضابط الوحيد الذى قدم استقالته ـ ولما وصل الى الرتب الكبيرة فى الجيش لم تخمد جذوة نضاله القديم ـ وقد روى فى مذكراته أنه فى أحد أيام سنة ١٩٤٧ اسعده كثيرا عندما سمع أن مجموعة من الضباط بقيادة البكباشى رشاد مهنا قد اعتقلت لأنها شكلت تنظيما وطنيا معاديا للملك واعتبر هذا بمثابة بعثا للحركات الوطنية وتعجب لأن جميع المعتقلين كانوا من صغار الضباط وفسر هذا أن كبار الضباط كان معظمهم وقتها بعيدين عن الارتباط بحضارة العصر بالعلوم الحديثة التى تحتم الشعور بالانتماء لوطنهم وبالتالى الشعور بآلامه ومعاناته من القهر والظلم ٠

وحارب محمد نجيب وهو برتبة أميرالاى فى فلسطين وأصيب ثلاث مرات ـ واختلف مع قائد الحملة اللواء المواوى فى ٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ بعد معركة « اسدود » لسوء القيادة واستدعى على أثر ذلك الى القاهرة ليعمل قائدا لمعهد دراسات الضباط العظام بعيدا عن الميدان ولثورته على الأوضاع فى الجيش وبخاصة القوات التى فى الميدان وأخذ ينتقد هذه الأوضاع بين من يثق فيهم من الضباط ووصلت هذه المعلومات الى المسئولين وشكلت لجنة تحقيق وذهبت لتقصى الحقيقة فى الميدان من الجنود والضباط وكان نتيجة ذلك أن استبعد القائد المواوى واستبدل باللواء أركانحرب فؤاد صادق والذى بادر باستدعاء محمد نجيب واسند له قيادة القوة الضاربة فى فلسطين وهى قيادة اللوائين العاشر والرابع وقاتل محمد نجيب بشجاعة أدت لاصابته وطلب له القائد العام ترقية استثنائية ولكن حيدر باشا حرمه منها واستبدلها بوسام نجمة فؤاد الأول العسكرية وهى أعلى وسام عسكرى ٠

وأثناء قيادته هذه القوات المهمة فى فلسطين كان دائم التوعية الوطنية للمحيطين به من ضباطه ٠ ومن كل هذه الظروف وكذلك شجاعته فى القتال وتقدمه صفوف جنوده ووحداته فقد ذاع صيته واكتسب شهرة ومحبة وتقدير من ضباطه وجنوده بل فى الجيش كله ٠ وكان يحض الضباط على اجادة القتال ويوصيهم بالاهتمام بما يدور فى العاصمة ٠

وكان الصاغ أركانحرب عبد الحكيم عامر قد عين أركانحرب اللواء

الذى يقوده محمد نجيب وكان ممن يرتاح لهم محمد نجيب وقد أبلغ عبد الحكيم البكباش أركانحرب جمال عبد الناصر أنه عثر للحركة الوطنية فى الجيش على كنز عظيم يتمثل فى محمد نجيب واشتهر بعد ذلك محمد نجيب فى الجيش بأنه الضابط الكبير الذى لا يهاب الحق الذى يجعله دائما يتخذ موقف المجابهة الصريحة مع قيادات الجيش الخاضعة لنفوذ القصر واسس أدل على شهرة محمد نجيب السلوكية والوطنية والجسارة فقد رشحته لانتخابات مجلس ادارة نادى ضباط الجيش كرئيس للنادى وبذلك كان اللواء محمد نجيب أهم عنصر فى المؤسسة الوطنية المصرية والتى أطلقت على نفسها اسم « الضباط الأحرار » وأصبح محل شبهة من القصر ومن المسئولين عن أجهزة الأمن ٠

وفى ١٨ يوليو سنة ١٩٥٢ وفى عهد وزارة حسين سرى طلب وزير الداخلية محمد هاشم مقابلة محمد نجيب وسأله عن أسباب تذمر رجال الجيش وعن مطالبهم ـ وشرح له محمد نجيب بصراحة الموقف وذكر فى النهاية أن أسباب التذمر أن البلاد تحكم حكما ديكتاتوريا وليس حكما ديمقراطيا يعبر عن ارادة الشعب ٠ ولما سأله الوزير محمد هاشم عما اذا كان يرضى أن يعين وزيرا للحربية واذا كان هذا التعيين يوقف التذمر فى الجيش رفض قبول هذا المنصب لأنه يفضل أن يبقى بالجيش ٠ وأفصح محمد نجيب فى مذكراته أنه تأكد من هذا العرض أنه كان بمثابة ابعاده عن الجيش وعن الضباط المتذمرين وأنه كان متأكدا أن لا حيدر باشا ولا الملك موافقان على تعيينه وزيرا ٠

موقف الجمـــاهير :

استيقظ المواطنون فى صباح يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فوجدوا أن انقلابا قد حدث وأن قوات الجيش تحتل بعض مرافق القاهرة وشوارعها واستمعوا فى الساعة السابعة والنصف الى محطة الاذاعة تذيع البيان الأول للحركة باسم محمد نجيب الى الشعب المصرى ٠

وأظهر الشعب منذ سماع البيان الأول تأييده التلقائى لحركة الجيش متطلعا لتحقيق كل آماله مما عاناه ولكن الشعب اعتبر الجيش المصرى هو المنقذ الذى طال انتظاره منذ الاحتلال البريطانى لمصر سنة ١٨٨٢ ٠ فقد أيد هذا الشعب هذه الثورة عفويا لتيقنه أنها ستخلصه من الاستعمار ومن الأحزاب والقصر ٠

البيــان الثــانى :

وفى الساعة الثامنة والنصف صباح ٢٣ يوليو أذيع البيان الثانى موجها الى ضباط القوات المسلحة معلنا فيه بدء عملية تطهير القوات المسلحه من الخونة والمستضعفين ردا على التأييد الذى وصل الى القيادة العامة من الضباط والوحدات .

البيــان الثــالث :

ثم أذاع القائد العام للقوات المسلحة البيان التالى :

« باسم القوات المسلحة أبعث بتحيتى الى جميع الذين توجوا بهدوئهم ونباتهم العمل الذى قمنا به لمصلحة الوطن دون اراقة دماء - لقد طفت بشوارع القاهرة فى صباح اليوم وسرنى كل السرور أن وجدت الأمن يسود كافة أرجائها والهدوء يملأ قلوب كل سكانها والتعاون لانجاح مهمة القوات المسلحه يربط الجميع من رجال الأمن والمدنيين واخواننا الأجانب والعسكريين برباط قوى متين ورجائى الى المواطنين الا يستمعوا الى الاشاعات المغرضة فالحالة هادئة فى كل مكان حقق الله لمصر ما تصبو اليه من آمال وجعل النصر حليفها » .

وقابل الشعب هذه البيانات بالبشر والارتياح والتأييد متطلعا للخير على يد هذه الحركة المفاجئة والتى قلبت الموازين حيث كان فساد الحكم قد بلغ ذروته .

الملك يطلب السفـير الأمريكى :

وفى صباح يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وبعد اذاعة (١) بيان الجيش الأول أرسل الملك رسوله الخاص ايلى عامل باللاسلكى بالقصر للمستر جفرسون كافرى السفير الأمريكى يدعوه لمقابلة الملك - وحضر كافرى الى قصر المنتزه وقابل الملك وبعد حديث وجيز انتهى بقول السفير انه سيتصل بحكومته ويبلغه بنتيجة اتصاله . وكان هو السفير الوحيد الذى حضر الساعات الأخيرة لفاروق قبل أن يغادر بلاده .

وفى نفس الوقت اتصل فاروق تليفونيا (٢) بالانجليز .

وأعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن السفير الأمريكى أبلغ الحكومة المصرية أن الولايات المتحدة تعتبر الأحداث التى وقعت فى مصر مسـألة داخليـة .

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٣٧ .
(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى صص ١٣٦ ، ١٣٧ .

بيـــان الثـــورة رقم ٤ :

وفي اليوم التالى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢ أذاع اللواء محمد نجيب البيان التالى عن أسباب الثورة وأغراضها ـ جاء فيه :

« اخوانى أبناء وادى النيل

لشد ما سرنى أن أتحدث اليكم ۰۰۰۰ فقد حرصت على أن أحدثكم بنفسى ۰۰۰۰ لقد أعلنا منذ البداية أغراض حركتنا التى باركتموها من أول لحظة ذلك لأنكم لم تجدوا فيها ظلما لأحد ولا كسبا لفرد ، بل اننا ننشد الاصلاح والتطهير فى الجيش وفى جميع مرافق البلاد ، ورفع لواء الدستور ، ان حركتنا قد نجحت لأنها باسمكم ومن أجلكم وبهديكم وما يملأ قلوبنا من ايمان انما هو مستمد من قلوبكم ۰

بنى وطنى ۰۰۰۰ سيروا خلفنا الى الأمام

وانتهز هذه الفرصة لأؤكد لكم أن كل شىء يسير على ما يرام والسلام عليكم ورحمة الله » ۰

المرحلة الثانية :

تشكيل وزارة على ماهر (٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢) :

بدىء فى تنفيذ المرحلة الثانية بالعمل (١) على تشكيل وزارة مدنية تحظى بثقة الشعب ۰

وفى صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ذهب وفد من « كمال حسين وأنور السادات ورافقهما الصحفى احسان عبد القدوس » الى منزل على ماهر وعرضا عليه تشكيل الوزارة ووافق بشرط أن يكلف رسميا بتشكيل الوزارة من الملك ـ وتم اتصال مع نجيب الهلالى بالاسكندرية وعلم منه أنه تمت الموافقة على تعيين محمد نجيب قائدا عاما للجيش وكلف بتبليغ الملك أن الجيش يطلب تشكيل وزارة برئاسة على ماهر وقبل الملك ۰

وذهب على ماهر وقابل الملك بالاسكندرية وكلف فاروق على ماهر بتشكيل الوزارة نزولا على طلب قيادة حركة الجيش وكان هذا هو ثانى تنازل ملكى خضوعا لارادة الجيش والشعب ۰

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى جـ ١ ص ٥٧ ۰

طلبات الجيش من الملك :

وبعد أن كلف الملك على ماهر بتأليف الوزارة (١) وبلغ على ماهر طلبات الجيش (كانت كلها بغرض تغطية الهدف من المرحلة الثالثة وهى التخلص من الملك نفسه) وكانت تتلخص فى عدة مطالب مرتبطة بتحسين أحوال الجنود ولتحسين أحوال الشعب ـ ثم طلب خاص بطرد بعض أفراد الحاشية الملكية سىء السمعة وقد تحددت أسماؤهم وفى مساء يوم ٢٤ يوليو بلغ على ماهر قيادة الحركة من الاسكندرية تليفونيا أن الملك وافق على بعض المطالب ولكنه لم يوافق على طرد أفراد حاشيته وبلغ على ماهر أن محمد نجيب القائد العام سيقوم بالسفر الى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو وسيعلم منه الرد ٠ وعلى أثر هذا التبليغ الذى علم منه معانى لم تخف على على ماهر وأذعن الملك لمطالب الجيش الخاصة بابعاد (انطون بوللى . ومحمد حسن (خادمه) الخاص والياس اندرواس المستشار الاقتصادى ، ويوسف رشاد كبير أطباء اليخوت الملكية ، وحسن عاكف طيار الملك الخاص ، والامرالاى محمد حلمى حسين مدير ادارة السيارات الملكية وكان المطلوب أبعاد كريم ثابت أيضا وتبين أنه استقال) ٠

حضور رشاد مهنا من العريش :

كان رشاد مهنا هو الذى أشار بفكرة اشتراك الضباط الأحرار فى انتخابات (٢) النادى وهو المحرك الأساسى للانتخابات وهو الذى رشح محمد نجيب ليوضع على رأس قائمة المرشحين (٣) وليكون هو الرئيس اذا نجحت الثورة وهو الذى فاتحه فى أمر الترشيح لرئاسة النادى ٠ وكان بالعريش يوم ٢٣ يوليو يوم التحرك للثورة ٠ واتصل به صباح ٢٣ يوليو صلاح سالم (٤) من رفح وأخبره بقيام الثورة وانه سيكون مسئولا عن رفح ورشاد مهنا يكون مسئولا عن العريش وكان بحكم مركزه مالكا لزمام السيطرة على جميع قوات العريش ٠ ومع ذلك فانه استمر فى قيادته لهذه القوات الى أن تلقى ثلاثة اشارات من البكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة من القاهرة تطلب حضوره الى القاهرة ٠ ويبدو أن هذا كان ينصرف من عبد المنعم أمين فقط ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨ ٠

(٢) ثوار يوليو والوجه الآخر ، تأليف حمدى لطفى ، ص ١٩٣ ٠

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩٤ ٠

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٨ ٠

وسافر الى القاهرة يوم ٢٥ يوليو ونظرا لمكانته بين ضباط المدفعيه بصفه عامة وبين ضباط أحرار سلاح المدفعية بصفة خاصة فقد استقبله عدد كبير منهم عند وصوله الى مطار القاهرة بالاحترام والحماس وتوجه معهم الى مقر القيادة فوجد فتورا من أعضاء مجلس القيادة اعتقادا منهم أنه حضر بدون استدعاء وبشكل مظاهرة من ضباط المدفعية ٠

المرحلة الثالثة من الثورة :

وبدىء فى تنفيذ المرحلة الثالثة من خطة الثورة وهى التخلص من الملك فاروق نفسه ٠ فلما علم على ماهر فى الساعة الأولى من صباح ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٢ بوصول قوات بعدد كبير الى الاسكندرية اتصل متسائلا عن أسباب وصول هذه القوات الى الاسكندرية فقيل له انها بغرض تعزيز القوات المصرية هناك للمحافظة على أرواح وممتلكات الأجانب بالاسكندرية خوفا من حدوث فتنة متشابهة للفتنة التاريخية أيام الثورة العرابية وعاود على ماهر الاتصال بالقيادة فى القاهرة عندما لاحظ تزايد عدد القوات لانه تولاه القلق ٠

ووصل محمد نجيب الى الاســـكندرية ومعه بعض أعضاء اللجنة التأسيسية وفى سرية تامة وبهدوء تم حصار القصرين الملكيين بالمنتزه ورأس التين فى صباح ٢٦ يوليو المبكر وقامت الطائرات الحربية بعملية استكشاف دائمة فوق البحر لمنع فاروق من الهروب باستخدام يخته الخاص المحروســـة وبعد تمام السيطرة على المدينـــة بدىء فى تنفيذ خطة خلع فاروق ٠

خلع فاروق (٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢) :

فى يوم السبت ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ذهب القائد العام محمد (١) نجيب يصحبه البكباشى أنور السادات الى دار الوزارة ببولكلى وقابلا على ماهر صباحا وسلماه انذارا الى الملك فاروق بالتنازل عن العرش وقد وضع مجلس قيادة الثورة صيغة هذا الانذار ونصه :

« من اللواء أركانحرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الأول » « انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لايطمئن على حياته

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ٤٠ ٠

أو ماله أو كرامته . ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير .

ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذا الخطر فأثرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١ هـ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج .

الاسكندرية في يوم السبت ٤ ذو القعدة سنة ١٣٧١
الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

محمد نجيب

لواء أركانحرب

وذهب على ماهر الى سراى رأس التين في الساعة العاشرة وقابل فاروق وأبلغه بالانذار ونصحه بقبوله .

وفي الظهر ذهب وكيل مجلس الدولة سليمان حافظ يحمل وثيقة التنازل عن العرش ووقعها فاروق بامضائه وهذا نصها :

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ .

« نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان »

لما كنا نطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها في هذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب .

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد . وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ هـ ـ ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

انذار من الحكومة البريطانية :

فى صباح ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ أرسلت الحكومة البريطانية الى مجلس (١) القيادة انذارها الثانى تهدد بالتدخل ضد القيادة فى حالة حدوث سفك أى دماء ٠

مغادرة البـــــلاد :

غادر فاروق قصر رأس التين وكان فى وداعه على ماهر رئيس الوزراء ومستر جيفرسون كافرى سفير أمريكا وأنزل العلم الخاص بالملك السابق من فوق سارية القصر وطوى ثم سلم الى رئيس الوزراء على ماهر وسلمه بدوره الى فاروق ـ ثم استقل فاروق لنشا أوصله الى اليخت المحروسة وحضر محمد نجيب ومعه قائد الجناح جمال سالم وحسين الشافعى واليوزباشى اسماعيل فريد فى زورق خاص وصعدو الى المحروسة ومن معه وودعوا فاروق على ظهر اليخت وصافح فاروق نجيبا وقال له « وفقكم الله فى مهمتكم الصعبة » وفى تمام الساعة السادسة من مساء ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ غادرت الباخرة المحروسة الميناء تقل الملك المخلوع الى ميناء نابولى فى ايطاليا بعد أن تولى الملك خمسة عشر عاما الا ثلاثة أيام ٠

ونادى مجلس الوزراء يوم ٢٦ يوليو بأحمد فؤاد بن فاروق ملكا ٠ وأعلن على ماهر أن مجلس الوزراء سيباشر سلطات الملك الدستورية الى أن يسلمها الى مجلس الوصاية وأذاعت وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ بيانا رسميا قالت فيه :

« ان بريطانيا ترقب بحذر شديد الموقف القائم فى مصر فى الوقت الحاضر ولكنها لا تنوى أن تتدخل فى هذه الحركة التى تعتبرها من صميم شئون مصر الداخلية ولن تتردد بريطانيا فى اتخاذ الاجراءات اللازمة فى حالة تعرض الأرواح والمصالح الحكومية للخطر ولم تبد صحف العالم أى عطف على فاروق » ٠

---

(١) ثورة يوليو والوجه الآخر ص ١٣٧ (لمن أقول عبد المنعم أمين عضو القيادة) للأستاذ حمدى لطفى ٠

عودة الى موقف الجماهير :

الى أن غادر فاروق أرض مصر بارادة الشعب فقد أفاق الشعب على أن خطوات حركة الجيش بتكتمها لآخر لحظة لخطوة التخلص من الملك بهذا الأسلوب المحكم كانت خير معبر عن آمال الشعب · وتوقع الشعب أن يقوم هؤلاء الضباط بالخطوات الوطنية التى طال للشعب فى التطلع اليها وأهدافهم وأغراضهم تطابق أهداف وأغراض عامة الشعب ولذلك كان التأييد الجماهيرى دون حدود وبذلك تخطى الشـــعب الأحزاب القديمة وسياساتها ومخططاتها · وبدأ التجاوب المتبادل بين الشعب ورجال الانقلاب والحركة حين أدرك الشعب أنها مصممة على احداث التغيير الكامل لصالح الجماهير من كافة الوجوه وبأسلوب الثوار ·

مولد قوة وطنية جـديدة :

قامت حركة الجيش فى ظل ترقب ورغبة جماهيرية مصرية اختمرت عبر سنين الكفاح السياسى من أجل الاستقلال · فقد تحركت هذه الهيئة السياسية الجديدة بصورة منفردة وبعدد محدود من أعضائها فنالت التأييد الشعبى المشوب بالاعجاب والتقدير حيث أمكن ضرب النظام القائم والسيطرة عليه فى ساعات قليلة دون أى بادرة مقاومة حقيقية · واختفت عزيمة المقاومة لهذا العمل الثورى الذى اكتسب اعجاب الجماهير بعد أن ظهر فى ساعاته الأولى أنه لابد يستهدف كيان القوى القائمة ومع اعلان البيان الأول أخذ النظام السياسى والاجتماعى فى التفكك اذا اعتلى ضـــباط الحركة السلطة وأرغموا الملك باختيارهم على ماهر السياسى المخضرم لتشكيل الوزارة ، فتمت هيمنتهم · ثم قاموا بخلع فاروق بعد ٤ أيام فبدا للكافة أن نظاما جديدا قد قام ·

تمت هذه الخطوات فى سهولة ويسر ودون دماء فأنجزت ما كان يتصوره الجميع أنه من المعجزات · فشاعت بين الجماهير وحتى بين الأحزاب التقليدية وكذا القوى السياسية الجديدة [مصر الفتـــاة ـ الاخوان ـ الشيوعيين وبعض عناصر الوفد الشابة] التى كانت تتمنى هذا الحدث دون القدرة على تنفيذه ، أشاعت جوا من الابتهاج والأمل فى تحقيق الهدف والمطلب الشعبى ·

وتجدد لدى الكثيرين الأمل للنهوض بالمجتمـع والانفراج لتحقيق الرفاهية والحرية للأمة المصرية ·

قاعـــدة ثورية :

ورغم ما قيل وأعلن عن لسان ضباط الثورة من أنهم قاموا لاحداث التغيير ثم أنهم سيعودون الى الوحدات مرة أخرى فان طبيعة الأمور تاريخيا ومنطقيا أثبتت غير ذلك لأنه كقاعدة من قواعد الثورات « أن القوى (١) التى تساهم فى صناعة حدث تاريخى فانها تصير هى ذاتها القوى التى تتولى صياغة المجتمع بعد تداعيه » ٠

المعنى البعيد لخلع الملـك :

جاء خلع الملك بعد أربعة أيام من قيام الانقلاب دليلا قاطعا على الاخلال الجذرى بشكل التوازن والصراع القائم عليه دستور ٢٣ ٠ فرغم أن البيان الأول لحركة الجيش جاء تأكيدا بوقوف الجيش بجانب مصلحه الوطن فى ظل الدستور فلم يكن واقع الحال من شأنه أن يستقيم مع سريان دستور سنة ١٩٢٣ (٢) لأن حركة الجيش ذاتها وخروج الضباط الأحرار كتعبير سياسى جديد نجم عن ضرورة ازالة الأحزاب القديمة وخرج معبرا عن أفكار التيارات والتكوينات السياسية الجديدة ٠

تأييد الأحزاب للـثورة

فى يوم ٢٦ يوليو بعد الظهر قام ممثلوا أحزاب السعديين والدستوريين والمستقلين بزيارة القائد العام محمد نجيب فى ثكنات مصطفى باشا للتأييد ثم ذهب مكرم عبيد عن حزب الكتلة ٠ وفى يوم ٢٧ كان النحاس باشا رئيس الوفد فى أوروبا وحضر وذهب مباشرة مع فؤاد سراج الدين الى مقر محمد نجيب أيضا للتأييد ثم حضر الأستاذ عبد الرحمن الرافعى عن الحزب الوطنى ورد عليهم محمد نجيب جميعا شاكرا ٠

مجلس وصاية العرش المؤقت

فى ١٢ أغسطس صدر قرار من مجلس الوزراء بتأليف هيئة الوصاية المؤقتة للعرش من الأمير محمد عبد المنعم ، وبهى الدين بركات ، ومحمد رشاد مهنا ٠ وكان هذا القرار بناء على فتوى من الجمعية العامة لقسم الرأى بمجلس الدولة تحت رئاسة الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس

(١) الديمقراطية طنظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ٣٧ ٠

(٢) العلاقات الانجليزية المصرية ص ١٨٠٠ الى ١٩٥٣ جون مارلو صدر من كريستا دريس لندن سنة ١٩٥٤ ، ص ٤٠٣ ٠

مجلس الدولة · لأن فاروق كان قد ترك مظروفا مختوما بأسماء الأوصياء ولكن مجلس الثورة لم يأخذ به · واستقر الرأى على تشكيله كما ذكرنا ولكن الدستور المصرى كان ينص فى حالة وفاة الملك على « حتمية تأدية الأوصياء اليمين أمام مجلسى البرلمان مجتمعين » · ولم ينص الدستور على الاجراءات فى حالة عزل الملك · كما أن البرلمان كان منحلا وكانت الأغلبية من الوفد · ولـــكن على ماهر وكل الأحزاب الأخرى كانت تكره الوفد ولم يكونوا يريدون دعوة البرلمان الوفدى المنحل ·

وجاءت الفتوى بهذه الصورة · وصـــدر قرار مجلس الوزراء بها وحولها كل هذه المؤامرات الخفية والمهم أنها حلت المشكلة مؤقتا ·

ابعاد رشاد مهنا عن الجيش

نظرا لقوة شخصية رشاد مهنا وشهرته بين الضباط وماضيه الوطنى فقد كان من وجهة نظر جمال عبد الناصر يمكن أن يلعب دورا رئيسيا منافسا ومناوئا له · ويكون الشخصية المحورية فى اجراءات تأمين الثورة وتنفيذ مخططها بعد أن تم لجمال عبد الناصر اعتراف جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بمكانته القيادية والتنظيمية منذ نجاح الحركة فجر يوم ٢٣ يوليو ولذا كان من الطبيعى أن يعمل ترتيب ابعاد رشاد مهنا بما تحمله هذه الشخصية المنافسة من احتمالات المعارضة والتى لم يكن لها محل فى نظر مجلس الثورة بصفة عامة بحكم الغيرة وجمال عبد الناصر بصفة خاصة بحكم تمهيده للامساك بجميع خيوط(١) السلطة للتفرغ لأصعب المهام وكان على رأسها انهاء الاحتلال فقد صدر قرار تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات بصفة شكلية يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٢ لاستيفاء شروط عضوية مجلس الوصاية ثم صدر قرار تعيينه عضوا فى مجلس الوصاية المؤقت يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ ·

التعريف برشاد مهنا :

رغم أن سمعة رشاد مهنا بين ضباط الجيش (٢) عموما كانت معروفة جيدا وانتشرت شهرته كأخ أكبر لغالبية الضباط الصغار وبخاصة بعد اعتقاله مع عدد من الضباط سنة ١٩٤٧ ثم لدوره البارز فى تحدى القصر فى معركة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط الا أنه لم يكن معروفا جماهيريا وقتها حتى فوجىء بقرار تعيينه عضو مجلس الوصاية ولذا وجب

---

(١) مذكرات صلاح نصر ، ص ١٠٣ ·

(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى ص ١٨٧ ، ١٨٨ ·

المعريف به فقد ولد رشاد مهنا فى سنة ١٩٠٩ بعزبة التوفيقية بالبحيرة ووالده من خريجى الأزهر الشريف ولذا فقد تأثر بهذه البيئة الدينية كما تأثر بثورة سنة ١٩١٩ حيث كان تلميذا بالابتدائى وسمع بهذه الثورة من رجال أسرته ثم انتقل الى طنطا فى التعليم الثانوى وحصل على شهادة البكالوريا سنة ١٩٢٩ والتحق مدة بكلية الطب على غير رغبته ثم وافق والده على التحاقه بالكلية الحربية وتخــرج منها سنه ١٩٣١ بســلاح المدفعية ثم نقل للعمل بالعريش سنة ١٩٣٢ ثم بالصحراء الغربية سنه ١٩٣٥ ثم حضر بعثة دراسة عسكرية فى انجلترا ١٩٣٧ وكان ترتيبه الأول وعاد عام ١٩٣٨ مدرسا فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات وفى هذه المدرسة ظهر نشاطه الوطنى وكان يقوم مع طلبه المدرسة بعمل حوارات وطنية سياسية دينية واكتسب ثقة عدد كبير من صغار الضباط الدارسين من مختلف الأسلحة فكان الزميل الوفى وعرف عنه التدين والتمسك بتعاليم الدين كما كان قارئا لعديد من العلوم العسكرية والمدنية جريئا لايتردد عن قول الحق واشتهر بوطنيته ووعيه السياسى الغير حزبى لايساير الخطأ أو صاحبه ، مستقيم الحكم والرأى فكانت له شعبية واسعة فى سلاح المدفعية وفى بقية أسلحة الجيش لمواقفه الصلبة والشهيرة من كبار الرتب ومن أشهر هذه المواقف أنه عندما طلب رئيس أركانحرب الجيش عطا الله باشا من الأميرالاى المحبوب من الضباط عبد الواحد سنبل أن يوقع زورا بالموافقة على شهادة بصلاحية صفقة عربات للجيش وهى غير صالحة ورفض التوقيع وكان جزاؤه الاحالة الى الاستيداع . وقام رشاد مهنا مستغلا مركزه كأركان حرب قسم القاهرة وجمع تبرعات من الضباط عامة ومن ضباط الاميرالاى عبد الواحد سبل واستصدر تصديقا باقامة حفل توديع وتكريم له بنادى الضباط وقام فى الحفل هو ويوسف صديق بالقاء كلمتين يحضان على الطهارة والوطنية وضرورة التصدى للانحرافات والفساد فى كل مكان وحماية الجيش من التلوث الاخلاقى . وآثار الخطاب ضجة كبيرة من ضباط الجيش واستدعاه عطا الله للتحقيق معه ولم يتمكن من اتخاذ أى اجراء معه لأن كلمته لم يثبت أنها تحض أى انسان بالذات والحفل كان مصدقا عليه .

وفى فترة ما بين سنة ١٩٤٦ ، سنة ١٩٤٧ زاد نشاط رشاد مهنا الوطنى وكان يجتمع مع اعداد من الضباط الوطنيين ووشى بهم أحـد الصولات لدى عطا الله باشا وصار اعتقاله مع ١٧ ضابطا وأجرى تحقيق تحت اشراف رئيس الوزراء النقراشى باشا ولم يجد ما يدينهم فأصدر قراره بالافراج عنهم وعزل الملك عطاالله باشا لأنه ظهر من التحقيق مع المعتقلين كره الضباط لتصرفاته . وبعد عودة جمال عبد الناصر من حصار

الفالوجة اتصل برشاد مهنا لضمه الى تنظيم الضباط الأحرار ولم يشأ أن ينضم اليهم لأن تنظيمهم كان سريا وهو يحب العمل فى الضوء · وكان هذا رأيه حتى فى عملية تزعمه لانتخابات نادى الضباط ولكنه بارك (١) حركتهم وحضر عدة اجتماعات معهم كان على رأسها اجتماعه فى منزل مجدى حسنين فى عابدين مع جمال عبد الناصر وزكريا محى الدين وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم وجمال سالم واقترح عليهم يومها ضرورة اشتراكهم بتنظيم الضباط الأحرار فى معركة انتخابات النادى لاختبار مدى قوتهم وجدوى هذا العمل فى تحدى الملك وحاشيته العسكرية وكان رشاد مهنا من أول المتحمسين لأعمال تنظيم الضباط الأحرار السرى — وبفضله كمقرر لعملية الانتخابات فاز محمد نجيب والضباط الوطنيون ·

هو الذى رشح اللواء محمد نجيب (٢) لعبد الناصر لأسباب عددها رشاد مهنا وهى :

١ — أنه رجل معروف بوطنيته ·

٢ — أنه ليس عميلا للسراى ·

٣ — أنه يحوز على تأييد جميع ضباط الجيش كبيرهم وصغيرهم كرها فى الملك وحاشيته التى استبعدوه من رئاسة سلاح الحدود تلبية لرغبة الملك ليحل محله اللواء حسين سرى عامر أحد أعوان الملك ورجاله فى الجيش ·

٤ — أنه رجل أمين يمكن التفاهم معه والاتفاق معه على أى خطوط ويمكن الاعتماد عليه ولانه لن يستقل بنشاطه على الاطلاق ·

رابعا : اصدار الأوامر والقوانين لتثبيت الثورة :

تطهير الجيش :

بعد أيام قليلة من نجاح الحركة بذل مجلس القيادة جهدا كبيرا فى اعادة تنظيم الجيش وتطهيره باستبعاد بعض القيادات العسكرية واستبدالها بقيادات جديدة معروفة بكفاءتها وقدرتها وولائها لأهداف التغيير والثورة ونقل بعضهم الى وظائف أخرى مدنية بنفس المرتب والدرجة وأحيل البعض الى المعاش · وكان هذا الاجراء يراه مجلس القيادة من أهم الاجراءات لضمان استمرار السيطرة على الجيش وتأمينه وضمان ولائه لهم باعتباره السند الرئيسى والأساسى لمجلس القيادة فى قراراتها ·

---

(١) مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل ص ٨٥ الى ص ٩٦ ·

(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى ص ١٩٤ ، ١٩٥ ·

مرحلة الانقــلاب :

حتى هذا اليوم ٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ وهو يوم تعيين بديل فاروق متمثلا فى مجلس الوصـــاية ومن شخصياته رشاد مهنا وهو الشخصية العسكرية الثائرة على جميع الأوضاع وبعد التخلص نهائيا من الملك فاروق وكان على رأس السلطة التنفيذية الظاهرة رئيس الوزراء على ماهر ٠ أما الأحزاب فكانت لازالت قائمة ، حزب أغلبية ممثل فى الوفد وأحزاب أقلية وبرلمان معطل يمثل حزب الأغلبية الوفدية فان الصورة العامة الظاهرة للعمل الايجابى لم تكن قد أخذت أكثر من ظاهرة انقلاب عسكرى أحدث تغييرا كبيرا فى شكل رأس الدولة وهو الملك ، ومجلس وصاية مفروض أن يخضع خضوعا كاملا لارادة ضباط الجيش وكذلك كان هناك رئيس وزراء يحاول قدر المستطاع الخروج من ظاهرة الخضوع للضباط الثوار ٠ وحتى الصفوة العسكرية التى قامت بهذا الانقلاب لم تكن تطلق على نفسها أكثر من هذين التسميتين الانقلاب أو الحركة ولأجل أن تتحول الى ثورة يلزمها أن تحدث تغييرات جذرية فى الهيكل الأساسى للدولة اداريا واجتماعيا واقتصاديا حتى تقطع خط الرجعة على عودة حالة استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة ثم فى النهاية تسليم هذه المكاسب للشعب ٠

موقف الاخــــوان :

من قبل قيام الثورة كان هناك اتصال (١) قائم بين الاخوان والثورة وكان لدى الاخوان علم بحركة الضباط قبل قيامها ــ وقد رحبت جماعة الاخوان المسلمين بالثورة عند قيامها وكانت العلاقة طيبة فبادر الاخوان وأصدروا بيانا فى أول أغسطس سنة ١٩٥٢ رحبوا فيه بالثورة وأبدوا أملهم بأن تقوم الثورة بتصحيح ما أفسده العهد السالف وطالبوا بعد عزل الملك بتطهير كل من شاركه فى افساد الحكم وملخص بيانهم « لقد أصبح لزاما أن تمتد يد التطهير الى هؤلاء الحكام ٠ فالواجب المبادرة الى تنحيتهم عن الحياة العامة وحرمانهم من مزاولة النشاط السياسى حتى يقدموا للمحاكمة عن كل ما يوجه للملك السابق من اتهامات ، وما يعاب عليه من تصرفات ، وما تظهره الملفات الحكومية ٠ وحتى يكونوا عبرة لكل من يتولى أمور هذه البلاد اذ يوقنون أن عقاب الشعب المتربص أحق بأن يأخذ مجراه » ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر ، الجزء الأول ص ٢١١

كما طالب الاخوان بتغيير جذرى فى المجتمع ورفضوا فكرة عودة البرلمان الوفدى المنحل وطالبوا بعودة الحياة النيابية **على أساس دستور جديد** تقوم بوضعه جمعية تأسيسية ٠

ومعظم ما نادى به الاخوان وقتها كان هو مخطط الثورة ٠ فلم يكن هناك خلاف جذرى الا محاولة الاخوان أن يكون لهم شىء من الوصاية على أعمال مجلس الثورة ٠

(ثالثا) مرحلة اصدار التشريعات لاستقرار الثورة :

التحضير لتقرير شكل الحكم (ملكى أم جمهورى)

منذ يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٢ بدأ عبد الناصر وحده التحضير للبحث القانونى لاختيار النظام البديل عن النظام الملكى رغم أن موضوع من يحل محل الملك بعد رحيله مباشرة تم دراسته وتقريره بمعرفة مجلس القيادة مجتمعا وباستشارة المستشارين القانونيين لأجل الاعــلان عن مجلس الوصاية على ولى العهد الطفل وذلك من الناحية الشكلية فان عبد الناصر كان يحضر فى السر لاعلان النظام الجمهورى فى الوقت المناسب وظروف هذا الموضوع أن على ماهر فى اليوم الأول للثورة يوم ٢٣ يوليو طلب الأستاذ محمود رشيد المحامى تليفونيا (١) ورجاه ألا يتركه هذه الأيام حيث طلب منه ضباط الانقلاب أن يقوم بتأليف الوزارة ويريده بجانبه وأن يتعاون معه لتحقيق مطالبهم ٠

ومحمود رشيد هذا من مواليد سنة ١٩٠٤ وتخرج من كلية الحقوق سنة ١٩٣٥ وكان من زعماء الطلبة بالجامعة لاشتغاله بالعمل السياسى ٠ وبعد تخرجه مباشرة التحق بوظيفة حكومية بوزارة الداخلية عام ١٩٣٠ ثم عمل سكرتيرا لوزير الداخلية اسماعيل صدقى باشا وفصل من الخدمة سنة ١٩٣٣ لأسباب سياسية وعاد الى المحاماه وقام بنشاط سياسى بارز أيام الائتلاف الحزبى عام ١٩٣٦ تمهيدا لتوقيع اتفاقية سنة ١٩٣٦ ٠ بعد ذلك وحتى قيام الثورة سنة ١٩٥٢ شغل وظيفة مدير مكتب لثلاثة من رؤساء الحكومات أحمد ماهر ، وحسين سرى أثناء الحرب ثم مع اسماعيل صدقى ٠ وكان صديقا لعلى ماهر باشا ٠

---

(١) ثورة يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى حديث مع الأستاذ محمود رشيد بعد الافراج عنه ص ٢١٢ الى ص ٢١٦ ٠

بعد أن قبل محمود رشيد التعاون مع على ماهر باشا وفى ثانى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢ وبعد متابعته لتصرفات ضباط الانقلاب قال لعلى ماهر « هذه ثورة يارفعة الباشا وليست مطالب للجيش فقط وأعتقد أن حكاية المطالب التى قدمها اللواء محمد نجيب وزملاؤه ليست كل شيء والمسألة أكبر من ذلك وأخطر » • ولم يؤيد رأيه رئيس الوزراء على ماهر وكان مقتنعا بأن المسألة لا تعدو أن تكون مجموعة مطالب عسكرية وأنه سيعمل على تحقيقها لدى الملك حرصا على انهاء الزوبعة • ولكن حين طالب الثوار باقالة الملك فوجيء على ماهر بهذه الحركة الجريئة والمنفذة بدقة واحكام وكانت المفاجأة مذهلة ، وبعد أن عاد الى القاهرة قال على ماهر لجمال عبد الناصر وكان يبدو لعلى ماهر أنه العضو البارز فى مجلس قيادة الثورة قال له « لقد صدق رشيد » فسأله عبد الناصر « ومن هو محمود رشيد هذا » وانقطع الحديث ولكن فى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٢ بعد رحيل الملك بيومين فقط استدعى عبد الناصر الاستاذ محمود رشيد بواسطة الصاغ سعد توفيق وكان بمكتبه بشارع شريف ، وقابل الاستاذ محمود رشيد جمال عبد الناصر بمقر القيادة صباح يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٥٢ وتحدث جمال عبد الناصر مع الاستاذ رشيد وأخبره بأنه سمع عنه وعرف عنه ماضيه السياسى وخبرته وأنه فى حاجة الى خبرته لأنه هو وضباط القيادة العسكرية ليس لهم صلات قوية بالحياة المدنية ومحتاجين لتجاربه وطلب منه العمل معه هو شخصيا كمستشار ووافق لأنه يؤيد الثورة بكل مشاعره وكلفه عبد الناصر بعمل بحث دستورى كامل لتحويل مصر الى جمهورية وظل الاستاذ رشيد يعمل مع جمال عبد الناصر حتى منتصف يناير سنة ١٩٥٣ وقدم له رأيه وخبرته فى كل الموضوعات الحزبية والسياسية ولكنه لاحظ بعين المدقق الخبير أن عبد الناصر كان يخشى زملاءه بل كان يتوجس منهم الشر وكانوا هم يعاملونه بكل احترام ولكن كواحد منهم • وكانوا هم الآخرون يحاولون فرض سيطرتهم وايجاد مكان قوى لهم فى مجلس القيادة وكان أبرزهم فى هذا المجال وهذا الصراع الصامت والمقنع هو زكريا محى الدين وذات يوم سأله جمال عبد الناصر فجأة :

« هل صحيح أن على ماهر سألك : من ياترى هو قائد هؤلاء الضباط فى اليوم الأول للثورة » • وأجابه بصراحة أنه خمن أن يكون أنور السادات لأنه هو الذى أذاع البيان الأول للثورة •

وفى أحد الأيام طلب من الأستاذ محمود رشيد أن يقوم معه بالتحضير للدراسة عن بحث قانونى فى غاية السرية يضع فيه كل امكانياته القانونية والثقافية السياسية حول شرعية اسقاط النظام الملكى واقامة الجمهورية •

على أن يقوم بهذه الدراسة في سرية تامة وأن زملاءه أعضاء مجلس القيادة لا يعرفون عنها شيئا وطلب منه عدم التحدث فى هذا الموضوع حتى مع زوجته أو أقاربه · وبدأ الاستاذ رشيد يعمل سرا وكل ما ينجز جانب من البحث كان يعرضه مكتوبا على جمال عبد الناصر شخصيا فكان اذا قدم أحد زملائه عليهما يتوقف عن الحديث ويغطى الأوراق · ولكن زكريا محى الدين الوحيد الذى كان يتابعهما باهتمام ويتعمد الدخول كلما حضر الاستاذ رشيد ويسأل عما ينجزانه أكثر من مرة وكان عبد الناصر يبلغه أنه فقط يستزيد من الاستاذ رشيد بخبرته السابقة عن الأحزاب والحكومات السابقة · وبعد أن انتهى من بحثه ودراسته هنأه جمال عبد الناصر عليه ولما سأله الأستاذ رشيد عما اذا كان ينوى اعلان الجمهورية رد عليه عبد الناصر « انها مسألة خطيرة جدا وهو يريد تأمين الثورة حتى تقوم بهذه الخطوة داخليا وخارجيا » ·

وبعد ذلك بعدة أيام استدعاه زكريا محيى الدين فى مبنى المخابرات وطلب منه معلومات عما كان يدور بينه وبين عبد الناصر وعما قدمه له من أوراق ورفض الاجابة بحجة أنه عليه أن يسأل زميله جمال عبد الناصر اذا أراد ·

المهام الوطنية التى واجهت ضباط الحركة :

طبقا لقاعدة وجوب أن تقوم القوى التى أحدثت التغيير أو جزءا منه بالدفاع عن هذا التغيير ثم تدعيمه ثم العمل على تغيير مسبباته وتفسيرا لذلك فان قيادة حركة الجيش كجانب رئيسى من كيان المؤسسة الوطنيه المصرية التى تشتمل الهيئات والأحزاب غير البرلمانية (الحزب الاشتراكى والشيوعيين والحزب الوطنى الجديد والجناح التقدمى من حزب الوفد ـ وجماعة الأخوان) ·

كان لدى هذه المؤسسة الوطنية الثائرة من الأحوال قبل الثورة برامج وأفكار لاحداث التغيير وها قد نجحت الثورة · ودون الدخول فى جدل لا لزوم له بالنسبة لمبادىء الثورة هل نودى بها قبل الثورة من عدمه ، فان المؤسسة الوطنية متمثلة فى قيادة حركة الجيش أصبح يواجهها بعد رحيل الملك المهام الوطنية الحيوية الآتية : ـ

التخلص من الاحتلال البريطانى من أرض مصر :

كان هذا هو هدف الثورة الأول فى بدايتها وهذه المهمة كانت مؤجلة بعض الوقت للاستعداد الكامل لها · وكان من الواجب أن يسبقها خطوة

هامة هى التخلص من الأحزاب السياسية المصرية التقليدية والتى تعودت على التعاون مع السفارة البريطانية والملك ولو أن هذه الأحزاب ابتهجت بالتخلص من الملك ولكن لم يصل هذا الابتهاج لدرجة التأييد المطلق لهذه الحركة ٠

وبنفس القدر من الضرورة فان قيادة حركة الجيش كانت على وعى كامل بأن جلاء القوات البريطانية عن أرض الوطن سوف يتم خلال أسلوب التفاوض الذى يحتم عودة المقاومة الايجابية لهذا الاحتلال البريطانى بالاضافة الى ان هذه المفاوضات تاريخيا كانت العقبة أمامها هى المسألة السودانية لذلك كان يجب الانتهاء أولا من الاتفاق مع انجلترا على ابرام اتفاقية تحقق مصلحة السودانيين بعيدا عن أى وجود انجليزى بالسودان سواء بتحقيق أمل شعبى مصر والسودان بالاستقلال تحت مظلة مصر والسودان أو الاستقلال التام خالصا من أى وجود أو سيطرة أو سيادة بريطانية ٠

٢ ــ تحقيق التغيير الاجتماعى فى مصر :

واعادة ترتيب المجتمع لتحقيق شىء من العدالة الاجتماعية وذلك بالتفكير الفورى فى الغاء الرتب والألقاب ثم فى اصدار تشريع لاعادة توزيع الملكية التى طال تحكمها فى مصير الفقراء تحت سيطرة الأغنياء المحتكرين لحكم البلاد ٠

٣ ــ اعادة تنظيم المؤسسات الاقتصادية والتوسع فى انشاء المؤسسات الانتاجية صناعية وزراعية لتحقيق الرفاهية لمصر التى طال استغلال الأجانب والمحتل البريطانى لخبراتها ٠

٤ ــ محاولة احداث هذه التغييرات الثورية الضرورية تحت مظلة التشريع والقوانين القائمة وعلى رأسها الدستور القديم وفى حالة الفشل فقد كان من الواجب ايقاف دستور سنة ١٩٢٣ واستبداله بدستور آخر يتطابق مع المجتمع الجديد لصالح الجماهير أو النظر فى العمل بدستور مؤقت يحقق سرعة اتخاذ هذه التغييرات دون الدخول فى دوامات المحاكم والدعاوى التى ستحاول جاهدة العودة بمصر الى الخلف تمسكا بالقديم لمصلحة قلة مستفيدة على حساب أغلبية مقهورة وفقيرة ٠ وبالفعل حدث ما كان متوقعا ولجأت العناصر المضادة الى المحاكم لابطال تنفيذ هذه الاجراءات الضرورية والحيوية ٠

تطهير الأحزاب

فى ٣١ يوليو سنة ١٩٥٢ أذاع القائد العام بيانا دعا فيه الاحزاب والهيئات الى تطهير صفوفها كما فعل الجيش وأن تعلن الأحزاب برامجها واضحة حتى يكون الشعب على بينة من أمره ولم تقابل الأحزاب هذه الدعوة بالجدية — وحمل على ماهر رئيس الوزراء على الأحزاب وعلى النظام البرلمانى بحجة أنه لم يستطع خدمة البلاد لتأثره بمناورات الأحزاب ٠

وأذاعت قيادة الثورة بأن الانتخابات ستجرى فى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ ودعت الأحزاب للاسراع فى تطهير صفوفها لكن الأحزاب تباطأت فى عملية التطهير ولم تلق دعوة التطهير استجابة وصرح القائد العام أن تدخل الجيش فى عملية موضوع تطهير الأحزاب أصبح ضرورة اذا فشلت الأحزاب فى تطهير نفسها بابعاد عناصر الفساد عنها لأجل العودة للحياة البرلمانية ٠

وقام حزب الوفد باعلان تطهير صورى لم يتخلص فيه من عناصر الفساد وبعد أن أعلن الحزب السعدى التطهير تراجع مرة أخرى أما الأحرار الدستوريين فقد أعلنوا أنهم ليسوا فى حاجة الى التطهير ٠

وأعلن القائد العام مهددا بحل الأحزاب لأن برامجهم بغير التطهير واحدة وتقوم على الأشخاص دون المبادىء وأن حكم البلد لا يمكن يقوم على أكتاف طبقة محترفى السياسة والحكم وهم أعمدة الأحزاب جميعها ٠

الغاء الرتب والألقاب

فى ٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ قرر مجلس الوزراء الغاء الرتب والألقاب فلم يعد هناك بك أو باشا وكانت هذه هى أول بادرة تدل على اتجاه حركة الجيش فى سبيل اتباع مخطط للسير فى طريق التغيير الاجتماعى ووضح جليا أن هذه الحركة (١) لم تحقق انقلابا ناجحا فقط ولكنهم تطلعوا للقيام بثورة اجتماعية ٠

الاتصــــال بالأمريكان :

ومنذ بداية الثورة أظهر الجانب (٢) الأمريكى استعدادا لمعاونة الثورة المصرية وبعد مناقشة هذا الأمر فى مجلس القيادة صار عمل ترتيب

---

(١) مارلو ص ٣٨٦ ، ٣٨٧
Anglo Egyptian Relations 1800-1953 By John Marlowe.

(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى ص ١٣٧ ، ١٣٨ (اقوال عبد المنعم أمين) ٠

لعقد لقاء تمهيدى مع السفير الأمريكى واللواء محمد نجيب . وتم اللقاء فى منزل عبد المنعم أمين عضو القيادة . وتعددت اللقاءات فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٢) بعد ذلك وحضر مندوب خاص أمريكى من الولايات المتحدة تم اللقاء معه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد المنعم أمين فى منزل القائم بالأعمـــال الأمريكى وكان حوارا طويلا . وحدد الجانب المصرى امكانيات التعاون وكان التركيز أولا على امكان الحصول على السلاح من أمريكا للنهوض بالجيش وتم الاتفاق . وسافر على صبرى عن الطيران والنكلاوى عن المدرعات من أجل صفقة سلاح ومكثا هناك مدة ١٥ يوما دون استجابة لأن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا طلب من ايزنهاور عدم اجابة مصر لطلبات التسليح لأن الجيش المصرى اذا استلم هذه الأسلحة فسوف يقتل بها جنود بريطانيا فى القتال وفشلت هذه المحاولة .

حوادث كفر الـدوار

فى ١٢ ، ١٣ أغسطس سنة ١٩٥٢ قام بعض (١) العمال الصناعيين بشركة الغزل والمنسوجات فى كفر الدوار بالاضراب بحجة رفع أجورهم ثم تدخلت عناصر مشاغبة فتطورت الاضرابات الى أعمال العنف وقام العمال بتحريض العناصر (٢) المضـــادة للثورة بمهاجمة مكاتب الشركة والمصنع واشعال النار فى سيارات الشركة ومكاتبها واســـتنجدت ادارة الشركة بالجيش الذى أنقذ الموقف وقد قتل المتظاهرون عشرة من جنود الشرطة وعمال وظهر أيامها أن مثل هذه الأعمال العنيفة كان منتظرا أن تحدث فى المصانع الأخرى فى المحلة الكبرى وشبرا الخيمة أعلن وقتها أن الغرض من هذه الحركة كان هو تشريد آلاف العمال لتحريضهم ضد الجيش والقيام بثورة مضادة .

فرأت قيادة الثورة وقتها ضرورة مقابلة هذا الشغب بالحزم والشدة لايقاف مثل هذه الاتجاهات وتشكلت محكمة عسكرية برئاسة عبد المنعم أمين وعضوية حسن ابراهيم وأحد الضباط الأحرار عبد العظيم شحاته والمدعى كان عبده مراد وأجريت المحاكمة بقانون الأحكام العرفية الذى كان معمولا به منذ حريق القاهرة . وأصدرت المحكمة حكمها بالاعدام فى العاملين خمس والبقرى ونفذ الحكم . ووصل الى مجلس الثورة برقيات عديدة من الهيئات السياسية والعمالية من دول الكتلة الشرقية تهاجم الأحكام والقيادة المصرية وأن الفاشية العسكرية المصرية تنفذ تعليمات المخابرات الأمريكية .

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ٥٤ .

(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى (من اقوال عبد المنعم امين) ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

مشروعات قانون الاصلاح الزراعى وقانون العمل :

بعد اجراءات تطهير الجيش كان أهم عمل اتجهت اليه (١) اهتمامات مجلس قيادة الثورة هو اصدار قانون الاصلاح الزراعى (رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢) واصدار باقى القوانين التى تؤمن العامل الصناعى وتوفر له الضمانات فى مواجهة أصحاب الأعمال وتحدد العلاقة بين صاحب العمل والعامل وذلك لتوفير الأمن والاستقرار والحياة الكريمة للعامل والفلاح وهى الغالبية العظمى للشعب المصرى وتألفت لجنة لذلك برأسها أحد أعضاء مجلس الثورة جمال سالم استعانت بالمتخصصين وكان على رأس القانونيين المصرى الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة — وكان مجلس الثورة مقتنعا تماما بأهمية هذه القوانين لتحقيق الثورة الاجتماعية وبخاصة أن قانون الاصلاح الزراعى كان سبق عرضه على البرلمان قبل الثورة ورفضه مجلس الشيوخ والبرلمان لانتماء أغلبهم للطبقات التى يضرها اصدار هذا القانون ٠

فى سنة ١٩٥٢ كان عدد سكان مصر ٢٢ مليونا والأرض المزروعة لا تزيد عن ستة ملايين من الأفدنة ٠ ومن كان يملك ٥٠ فدانا الى ٢٠٠ عددهم ٩٥٠٠ مالك ومن كان يملك ٢٠٠ فدان فأكثر فعددهم لا يزيد عن ٢٣٠٠ مالك أما المزارعون من الفلاحين وصغار الملاك فكان لا يقل عن عشرة ملايين شخص يعيش معظمهم فى بؤس وفقر من سنة لأخرى ٠ وكان مالك الأرض الكبير له السيطرة الكاملة على سكان منطقته سواء السياسية أو الاقتصادية ويسانده المسئولون الحكوميون بحكم مراكز هؤلاء الملاك فى الأحزاب السياسية المختلفة والتى بدورها تعتمد عليهم فى مدها بالمال اللازم لتمويل نشاط الأحزاب والسيطرة السياسية على مناطق نفوذهم ٠ ومن هنا بدأت الاجراءات الثورية لاحداث التغيير الجذرى فى الحياة (٢) الاجتماعية ٠

استقالة على ماهر (٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢)

كان من ضمن أسباب اختيار على ماهر لتشكيل أول وزارة بعد الانقلاب لأنه لم يكن ينتمى لأى حزب من الأحزاب — كما أنه كان الوحيد من رجال السياسة الذى يمكنه اقناع الملك بالتنازل عن العرش دون مقاومة لأن الثورة لم تكن تريد سفك الدماء وكان نتيجة ذلك أن قبل فاروق

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو حتى ١٩٥٩ للأستاذ الرافعى ص ٥٩ ، ٦٦ ٠

(٢) العلاقات الانجليزية المصرية من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩٥٣ لجون مارلو اصدار ١٩٥٤ ، ص ٣٨١ ٠

التنازل بهدوء وحمل معه كل ما يريد من مقتنيات · ولعب على ماهر بعد ذلك دورا بارزا فى مساندة الثورة على غير عادته التى مارسها أيام الملك فقد كان يسير أمور مصر من خلف ستار كمستشار للملك ، أما هذه المرة ولأول مرة كان رجال الثورة يمارسون أساليب سلطة جديدة ذات صبغة ثورية من خلف ستار رئيس الوزراء على ماهر فصدرت أوامر تطهير الأحزاب وأخذ على ماهر يهدد ويتوعد الأحزاب عندما تباطأت فى اجراء التطهير وعندما مارسته بصورة مظهرية وعندما ازدوجت التصريحات والبيانات · وكانت الأقوى هى الصادرة عن مجلس الثورة ولطول خبرته وذكائه أدرك أن مجلس الثورة هذا هو صاحب الحجم الأصلى فى تسيير الأمور وليس هو وبخاصة عندما فوجىء بعد يومين من رئاسته للوزارة (١) كطلب مجلس الثورة فى اقناع الملك بالتنازل عن العرش دون سابق معرفة بهذه الخطة كرئيس وزراء مكلف بأهم جانب من الخطة فى التنفيذ · رغم أنه اشترط يوم تكليفه برئاسة الوزارة أن يصدر له مرسوم ملكى بذلك وليس من أى جهة أخرى · كل هذا جعلت مقاييس ممارسات على ماهر تختل وبفطرته آثر الانسحاب من هذا الميدان فاستقال فى ٧ سبتمبر سنة ٩١٥٢ وصرح للصحفيين عقب الاستقالة « أن الوقت أصبح (٢) مناسبا لأن تجتمع السلطة فى يد واحدة وفى قوة واحدة وأن استقالته تمت بالاتفاق التام مع قيادة الثورة » ·

وقد كان من ضمن أسباب استقالته أيضا وليست السبب الرئيسى هو معارضته لتطبيق قانون الاصلاح الزراعى بالاسلوب الذى اقترحه مجلس قيادة الثورة لأن اقتراحه كان تعديلا وليس رفضا للفكرة الأساسية من مشروع القانون المقترح وهى تحقيق جانب من **العدالة الاجتماعية** ·

تأليف وزارة محمد نجيب (٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢)

بعد استقالة على ماهر وفى نفس اليوم شكل محمد نجيب وزارة شغل هو مركز رئاسة الوزارة والحربية والبحرية وكل أعضائها مدنيون وكان أبرزهم هو سليمان حافظ فشغل مركز نائب لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية أما محمد نجيب فقد احتفظ بمركز القيادة العامة للقوات المسلحة فى مرسوم تأليف الوزارة وجاء فى كتاب قبوله تشكيل الوزارة « ولكن اقتضت ضرورات الاسراع بالأعمال التى استهدفتها الحركة أن تنسق بين

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٣٦ ·

(٢) جاء هذا التصريح مطابقا لكتاب محمد نجيب لتشكيل الوزارة بعد على ماهر نفس المصدر السابق ، ص ٥٩ ·

الجيش والسياسة . فقبلت أن أرأس الوزارة وأن أنهض بأعباء وزارة الحربية والبحرية مع احتفاظى بالقيادة العامة للقوات المسلحة حتى لا يضيع الوقت فى مشاورات بين القيادة والوزارة » .

وبذلك أصبحت الثورة فى الحكم وكان أمامها برنامج ثورى تنفذه باجراءات ثورية استثنائية للتعجيل باحداث التغيير الذى طال للشعب انتظاره . فلأجل البدء فى التخطيط للتخلص من الاحتلال البريطانى فكان من الواجب احداث شىء من التضامن والتحالف بين قوى الشعب التى لها مصلحة مباشرة فى التخلص من هذا الاحتلال وكان هناك استحالة لتحقيق ذلك دون تجميد أو ايقاف أو انهاء النشاط الحزبى والألاعيب الحزبية والفرقة والخلاف الحزبى الذى قضى على ثورة سنة ١٩١٩ . كما أن اعادة تنظيم المجتمع بابراز دور أصحاب المصلحة الأولى بعيدا عن كبار الملاك والرأسماليين وهم الأساس فى تكوين الأحزاب . ولذلك سنجد هذه الوزارة بعد ذلك ستقوم بممارسات استثنائية ثورية بأسلوب سلمى وبدون سفك دماء كما حدث فى كل الثورات فى العالم وكانت كلها اجراءات وقرارات لازمة ولو لفترة حتى يحدث التغيير الكامل الذى يقضى على استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة . وكان أول هذه الاجراءات هى العمل على اصدار قانون الاصلاح الزراعى .

قيادة الثورة والحكم :

لم تتول قيادة الثورة الحكم فور نجاح (١) حركتها فى ٢٣ يوليو . انما كانت بيانات الثورة تصدر موجهه للشعب باسم القائد العام ، أما ارادة الثورة فى القرارات والتنفيذ فانها كانت تظهر من خلال وزارة على ماهر ، ثم شكلت هيئة وصاية مؤقتة على العرش ، وكانت القرارات تصدرها الوزارة أو مراسيم من مجلس الوصاية مع الالتزام الشكلى بالقنوات التقليدية .

وأجرى تحويلا دقيقا على يد المشرع عبد الرازق السنهورى فى قنوات السلطة لتفادى أى احتمال لعودة مجلس النواب الوفدى المنحل منذ وزارة نجيب الهلالى قبل الثورة .

ثم اقتربت قيادة الثورة من السلطة فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ عندما شكل محمد نجيب الوزارة برئاسته وفى نفس الوقت استمرت قنوات السلطة على سابق عهدها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

---

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ٩٢ .

بداية الصراع مع جماعة الاخوان المسلمين :

عقب استقالة وزارة على ماهر ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ظهر أول صراع حقيقى بين الثورة والاخوان بعد أن كان عبد الناصر دائما يرحب بالتعاون معهم وقرر مجلس القيادة اشراك بعض الاخوان المسلمين فى وزارة محمد نجيب واتصل عبد الناصر بالهضيبى المرشد العام للاخوان وعرض عليه اشتراك الاخــوان فى الوزارة بثلاثة من الوزراء على أن يكون الشيخ الباقورى واحدا منهم فوافق المرشد ورشح هو اثنين آخرين هما أحمد حسنى وكمال الديب ثم فوجىء عبد الناصر بترشيح اثنين من المرشــد هما حسين عشماوى ومنير دله ولم يقبل عبد الناصر هذا التغيير لأنه كان قد تم الاتصال بالشيخ الباقورى وأحمد حسنى وكان رد الاخــوان على رفض عبد الناصر أن رفض مكتب الارشاد للاخوان الاشتراك فى الوزارة وأصر عبد الناصر على اشتراك الباقورى وأحمد حسنى فجاء رد فعل مكتب الارشاد عنيفا بأن قام بفصل الشيخ الباقورى من هيئة الاخوان لقبوله الاشتراك فى الوزارة · ومع كل ذلك استمرت قيــادة الثورة تجامل الاخوان وبخاصة عندما أفسح المجال أمام الاخوان كى لا ينطبق على جماعتهم قانون تنظيم الأحزاب السياسية فقد نصت فقرة فى المادة الأولى من هذا القــانون ١٩٥٣/١٧٨ « على أنه لا تعد الجمعية أو الجماعة التى تقوم بممارسة أغراض علمية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية حزبا سياسيا ولكن جماعة الاخوان كانت مصرة على أن تعمل فى السياسة على أساس أنه لا يمكن الفصل بين الدولة والدين وكان هذا أيضا من عناصر الصراع مما سنعرض له فيما بعد ·

الاعداد لحل المســألة الوطنية :

كانت المسألة الوطنية هى أهــم هدف للثورة ولذلك بعد أن حقق الضباط الثوار جانبا من الأهداف السياسية والاجتماعية بازاحة الملك والسيطرة على السلطة وأصبحت قادرة على احداث باقى التغييرات فكان فى مقدمة أعمالها هو الاعداد لجولة المطالبة بالاستقلال التام بجلاء القوات العسكرية البريطانية عن أرض البلاد بالكامل ولما كانت الوسيلة المتاحة هى المفاوضات فلم تشأ قيادة حركة الجيش أن تلجأ الى أسلوب المفاوضات بنفس أسلوب السياسيين منذ تعثر ثورة سنة ١٩١٩ بالوسائل السلمية المشروعة ولكن اتباع أسلوب نجح سابقا فى بعض مراحل ثورة سنة ١٩١٩ وهو الايحاء وباستخدام أسلوب المقاومة والكفاح المسلح والذى حقق جانبا من النجاح فى الحركة الوطنية فى عام ١٩٥١ بعد الغاء معاهدة ســنة

١٩٣٦ ٠ وحيث أنه كان من الواجب حل المسألة السودانية أولا لذلك فانه فى نفس الوقت الذى بدأت فيه قيادة الثورة فى اتخاذ الخطوات الايجابية الأولى لحل المسألة السودانية مع السودانيين أنفسهم أخذت تحضر وتمهد وتحضر لأجل المقاومة فى منطقة القتال ضد القوات العسكرية البريطانية فى القاعدة حتى تكون هذه المقاومة مستعدة للعمل المؤثر بعد الاتفاق الكامل مع الانجليز على انهاء الوجود البريطانى بالسودان ٠

ففى سبتمبر سـنة ١٩٥٢ بدأت مصر الترتيبـات (١) لمطالبة البريطانيين بجلاء قوتهم كلية عن الأراضى المصرية وذلك بتكليف جهاز من أجهزة الثورة السابق تدريبه على عملية المقاومة وهو جهاز المخابرات الجديد الناشىء ليساهم على رأس المتطوعين على عملية الكفاح المسلح بأسلوب جدى ومنظم وبما لديه من العناصر البشرية والمادية وأساليب العمل السرى الغير مسئول ظاهريا واستعان جهاز المخابرات بالتعرف وبتجنيد عدد كبير من الفدائيين المصريين الذين سبقوا وعملوا بالمنطقة بعد الغاء معاهدة ٣٦ وكان معظمهم من الاخوان المسلمين والفلسطينيين العاملين داخل المعسكرات البريطانية كما تم تجنيد عدد من شباب المصريين من أهالى منطقة القناة الذين تخصصوا فى الاغارات المنظمـة على مخازن ومعسكرات الجيش الانجليزى بغرض الاستيلاء والسـطو على المهمات والمعدات والذخائر والمواد الغذائية ومعهم كثير من المهارات الجاهزة للعمل الفدائى بديلا عن أعمال السطو وكلها ممارسات مشروعة ضد الأعداء فى ميادين الكفاح الشعبى ـ كما تم اعداد شبكة داخل معسكرات الجيش البريطانى من العاملين فى المعسكرات لجمع الوثائق والمعلومات وتحديد المراكز الحيوية داخل المعسكرات لسهولة الاعتداء عليها وقت اللزوم وصار تحديد هذه الأهداف بدقة عندما تبدأ عمليات المقاومة ـ كما تم دراسة الطرق الغير مطروقة للوصول الى أماكن تجمعات وتموين ومعسكرات ومعدات الجيش البريطانى لاستخدامها أيضا فى عمليات الكفاح عند اللزوم وبدأت هذه المجموعات فى ممارسة عمليات السطو على مخازن أسلحة وذخيرة وجانب من عربات الجيش البريطانى بأسلوب العصابات ولكنه كان منظما وبشكل متصاعد وذلك منذ آخر سنة ١٩٥٢ ٠

وفى مرحلة متقدمة صار تقسيم منطقة القناة وجانب من محافظة الشرقية المتاخم للمعسكرات البريطانية الى أقسام يخصص لكل قطاع أو قسم مسئول متخصص فى عمليات المقاومة تخطيطا وتنظيما وتنفيذا ومدعما بكل الامكانيات ومباركة جميع أجهزة الدولة له ايجابيا ومعنويا ٠

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل ، ص ١١٣ ٠

اعتقـــالات :

بعد استقالة علي ماهر قامت قيادة الثورة باعتقال عدد من رجال السراى ومن رجال الأحزاب وكان منهم عباس حليم وسعيد حليم والهامى حسين من أسرة محمد على وابراهيم عبد الهادى وأحمد نجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وحافظ عفيفى ومرتضى المراغى ووحيد شوقى وحسن يوسف وغيرهم من الأحزاب ٠

وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانا قالت فيه أن الأحزاب تقاعست عن تنفيذ التطهير ولجأت الى التحايل فاضطرت القيادة العامة الى القبض والتحفظ على بعض الأفراد ممن تحوم حولهم الشبهات حتى يمكن اتمام عملية التطهير بعيدا عن نفوذهم وحتى يمكن تشجيع من لديه معلومات أو بيانات ضدهم أن يدلى بها فى جو من الطمأنينة ٠

وفى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٥٢ أفرج عن بعض المعتقلين ثم أفرج عن الآخرين بعد ذلك ٠

وظهر جليا أن مجلس قيادة الثورة كان يدعى بأنه لا هدف له فى الحكم ولكن الحقيقة أنه كان متأكدا من عدم صلاحية الأحزاب للحكم ولا مؤمنا بعودة البرلمان الموقوف ويعتقد أن أسلم طريقة للاصلاح وتنفيذ الخطوات الثورية هو تحمل مسئوليته كاملة فى حكم البلاد ٠

(رابعا) مرحلة التشريعات لتثبيت التغيير الثورى :

(أولا) عودة الى قانون الاصلاح الزراعى وقانون تنظيم الأحزاب :

فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ صدر قانون الاصلاح (١) الزراعى وهو القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ وفى نفس اليوم صدر قانون تنظيم الأحزاب السياسية وهو القانون رقم ١٧٩ لسنة ١٩٥٢ ٠

وقانون الاصلاح الزراعى حدد نصاب الملكية الزراعية بأن لا يجوز لأى مصرى أن يمتلك من الأراضى الزراعية أكثر من مائتى فدان ويتصرف الى أولاده فى مساحة أخرى لا تزيد عن مائة فدان كما حدد ثمن الأراضى بما يعادل عشرة أضعاف القيمة الايجارية وحدد القيمة الايجارية بما يعادل سبعة أمثال الضريبة المفروضة على الفدان ـ وهذا النظام الجديد ساعد بالتالى على انتشـــار التعاون الزراعى لأنه ينجح بين ملكيات صغيرة أو

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعى ص ٥٩ ، ٦٠ ٠

متوسطة وبذلك حقق القانون الوسائل الناجحة فى سبيل التقدم الاجتماعى وعلى الطريق الى الثورة الاجتماعية .

(ثانيا) قانون تنظيم الأحزاب السياسية :

نص بأن من يرغب فى تكوين حزب سياسى أن يخطر بذلك عاما وزير الداخلية بخطاب موصى عليه بعلم وصول ويشفع هذا الخطاب ببيان عن نظام هذا الحزب وأعضائه المؤسسين وموارده المالية ولوزير الداخلية حق الاعتراض على تكوين الحزب فى خلال شهر من تاريخ الاخطار وفى حالة الاعتراض يعرض الأمر على محكمة القضاء الادارى ليفصل فى جلسة تحدد بعد أسبوعين من تقديم الاعتراض والزم القـــانون الأحزاب على ايداع أموالها فى المصارف وحظر القانون على رئيس الحزب أو الأعضـــاء ألا يكون عضوا أو مديرا فى مجلس ادارة أى شركة من الشركات المساهمة وبلغ عدد الأحزاب التى قدمت اخطاراتها ستة عشر حزبا وهيئة منها حزب الوفد والذى اكتفى فيه النحاس بالرياسة الفخرية ومن الهيئات تقدم الاخوان المسلمون بأخطارهم .

وقد ارتاح الشعب لهذين القانونين لأنهما كانا مطلبا حيويا من مطالب الشعب وبالتالى كان محل تأييد من القاعدة العريضة لضباط الجيش دون الحاجة الى الولاء لمجلس الثورة لأن معظم ضباط الجيش كانوا أبناء للطبقة الفقيرة والمتوسطة من أهل الريف أو صغار ومتوسطى الموظفين .

الغـاء الوقف :

ثم صدر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٣ قانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بالغاء الوقف على غير الخيرات وكان هذا بمثابة أمنية عامة للعامة والخاصة كل ذلك ساعد على التأكيد على التأمين الشعبى لهذه الحركة الثورية التى أثبتت قدرتها على احداث التغيير الذى طال انتظاره .

ردع مقاومة قانون الاصلاح الزراعى :

فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٢ بعد أربعة أيام فقط من صدور قانون الاصلاح الزراعى قامت حركة تمرد على القانون بزعامة عدلى لملوم المالك لما يقرب من الفى فدان من أجود أراضى منشـــأه لملوم على مسافة عدة كيلومترات من مغاغة بالصعيد . وكانت منشأة لملوم عبارة عن اقطاعية

---

(١) مارو ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

داخل دولة وكان أبوه قبل ذلك حاكما مستقلا بها ويقضى بين الناس ولديه سجن خاص يعاقب فيه من يخرج عن طاعته وورث عدلى عن والده هذه المظاهر فكيف يصدر قانون الاصلاح الزراعى وكله تهديد لهذه السلطة وهذا السلطان ٠ وقام عدلى لملوم باندفاع الشباب وظنا منه أنه يمكنه أن يقف أمام الحكومة كما كان يفعل والده فقام بعملية غزو لمغاغة فى الساعه الثامنة مساء وقاد خمسة عشر رجلا مسلحا من أتباعه على جيادهم ودخلوا المدينة وخطب فى المقاهى متحديا الحكومة وهدد من يحاول أن يأخذ شبرا واحدا من أراضيه وكاد الأهالى يصدقونه لسابق معاصرتهم لجبروت والده قبل الثورة ـ وعاد عدلى لملوم فى اليوم التالى واتجه نحو مركز الشرطه وأطلق هو ورجاله على المركز نيران مدافعهم الرشاشة والبنادق فى الهواء للارهاب ٠

وصدرت الأوامر الى مركز البوليس بالتصدى لهذا التحدى وهذه الفوضى وتم تبادل اطلاق النيران وخر بعض رجاله قتلى واستنجد بقوة أخرى من رجاله وحاول قتل ضباط الشرطة فأسرعت الثورة وبحزم قامت بالقضاء على الفتنة بقوة وتم اعتقال عدلى لملوم ورجاله وقدموا الى محكمة عسكرية عاجلة فى المنيا العاصمة وقضت بسجنه ١٥ سنة بالاشـــغال الشـــاقة ٠

وكان هذا بمثابة ردع ودرس لمن يفكر فى التمرد من كبار الملاك ٠ وأيقن الجميع أن لا سبيل الى استعمال العنف ضد القوانين ٠ وبخاصة أنه كان أول قانون لمشروع اصلاحى للثورة ٠

اقالة رشاد مهنا من وصاية العرش (٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٢)

فى ١٤ أكتوبر أقيل القائمقام محمد رشاد مهنا من منصب الوصى على العرش وأصدر القائد العام بيانا بأسباب اقالته بأنه يتدخل فى شئون الحكم وكان يتصل رأسا بالوزراء لتنفيذ مطالبشتى ٠

ومن هذه اللحظة بدأت شخصية جمال عبد الناصر القيادية تظهر وتفرض وجودها ٠

مرسوم بقانون بشأن تدابير حماية الثورة (١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٣)

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢ صدر مرسوم بقانون يقضى باعتبار كل التدابير التى اتخذها القائد العام للقوات المسلحة بقصد حماية الحركة ونظامها تعتبر من أعمال السيادة وذلك فى مدة محدودة بستة شهور من

٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ولا يجوز الطعن فيها أمام القضاء ثم مدت هذه المدة ستة شهور أخرى بمرسوم فى ١٨ يناير سنة ١٩٥٣ ونص المرسوم باعادة النظر فى هذه الاجراءات لايقاف ما تزول دواعيـــه ٠

(رابعا) مرحلة الأجراءات لتثبيت الثورة :

اهتمام الثورة بالتنمية :

لما كان من أهم أهداف الثورة (١) هو تحقيق الحرية السياسية والرفاهية الاجتماعية وما يستلزمها من تنظيمات اقتصادية وبخاصة أنه حتى أواخر الثلاثينات لم تعرف مصر ضرائب الدخل والأعمال والميراث وكان معظم الايراد العام يحصل من الضرائب الجمركية وايراد السكك الحديدية ورسوم الانتاج والضرائب العقارية ويؤلف هذا نسبة ضئيلة جدا من الدخل القومى ولذلك قرر مجلس الثورة ضرورة زيادة الانتاج والاستثمار كشرط واجب لزيادة الدخل واستلزم ذلك محاولات ثورية جادة للقضاء على حالة التفاوت فى توزيع الثروة والدخل ، وزيادة الخدمات الاجتماعية لمحدودى الدخل وبدأ الاستثمار العام فى أعقاب الثورة ولكن بخطى بطيئة نظرا لتتابع انشغال الثورة بالكفاح الداخلى والخارجى مع معاملة القطاع الخاص بنوع من المهادنة وفى نفس الوقت ابتدأت الثورة فى تشجيع الاستثمار الأجنبى ٠

ولما كان من أهم مراحل أى ثورة بعد نجاحها هو اصدار التشريعات والقوانين والنظم التى تحقق تثبيت الثورة والحفاظ على مكاسبها فقد بادرت الثورة باصدار مرسوم يعكس الاهتمام بالتنمية كما بادرت بالبدء فى انشاء الهياكل اللازمة لهذه التنمية ومشاريعها ٠

انشاء مجلس تنمية الانتاج القومى (١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢)

فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢ صدر مرسوم بقانون بانشاء المجلس القومى مهمته بحث المشروعات الاقتصادية الخاصة بتنمية الانتاج القومى فى مجال الزراعة والصناعة والتجارة وما يتعلق بها جميعا ومشروعات توليد الكهرباء وانشاء الطرق وتحسين وسائل النقل ٠ والبحث عن أسواق خارجية للصادرات والبحث عن وسائل تمويل لهذه المشروعات بالاستعانة

---

(١) ٢٥ عاما دراسة تحليلية للسياسات قلاقتصادية فى مصر من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٨٨ للدكتور على الجرتلى ، ص ١٧ ٠

بالمصارف الدولية والبحث عن البترول والمعادن وانشاء صناعات جديدة وبحث نظام الضرائب واقتراح ما يلزم من المشروعات لتحقيق هذه الأهداف بأسلوب عملي بعيدا عن التعقيدات البيروقراطية وايجاد الحلول الثورية للاسراع فى هذه النهضة اللازمة لتنمية المجتمع ٠

توليد الكهرباء من خزان أسوان وصناعة (١) السماد :

كان قد بدىء التفكير فى ذلك منذ سنة ١٩١٢ وعادت الفكرة للظهور فى سنة ١٩٣٢ عقب التعلية الثانية لخزان أسوان ثم توقفت الخطوات عند هذا الحد ثم أعيد اثارة الفكرة سنة ١٩٤٥ ولكن لم يتم أى شىء الى أن جاءت الثورة فقررت احياءه وتنفيذه سنة ١٩٥٢ وبدىء العمل فيه على يد احدى الشركات الفرنسية فى أغسطس سنة ١٩٥٣ واستمر العمل به الى أن تم تنفيذه سنة ١٩٦٠ وتقرر فى نفس الوقت منذ البداية فى اقامة مصنع للسماد فى أسوان بالقرب من محطة كهرباء الخزان ليتم تشغيله من هذه الكهرباء ٠

انشاء صناعة الحديد والصلب (٢) :

من أهم ما فكرت فيه ثورة يوليو استكمالا لبرامج التنمية التى اعتبرتها الثورة كأساس للتحرر من أى صورة من صور التبعية هى اقامة مصنع الحديد والصلب كدعامة أساسية للصناعات الثقيلة وكمصدر أساسى لامداد المصانع الحربية بما يلزمها من خامات ضرورية تحقق أمن مصر القــومى ٠

وكانت فكرة هذه الصناعة قد ظهرت سنة ١٩٣٢ بعد أن ثبت وجود خامات الحديد الجيدة فى أسوان وفى الواحات البحرية وفى بعض مناطق البحر الأحمر ، وتشكلت لجنة لبحث امكان تنفيذ هذا المشروع عام ١٩٣٦ ولكن المشروع تعثر وأهمل حتى قامت ثورة ٢٣ يولبو فاهتمت بتنفيذ المشروع وتمت دراسات وأبحاث انتهت باستقرار الرأى على اقامة هذا المصنع فى منطقة حلوان على أن يتم اســتيراد الفحم اللازم حيويا لهذه الصناعة من الخارج كما هو جارى فى بعض الدول الصــــناعية الكبرى كايطاليا واليـــابان ، ووقع الاختيـــار فى مناقصـــة عالمية على شركة (ديماج Demag) الألمانية ٠ وفى عام ١٩٥٤ تعاقدت الحكومة المصرية

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٩ ، ص ٨٧ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ ٠

مع هذه الشركة وكانت شروط مصر أن تبعث فور اتمام التعاقد وقبل البدء فى اقامة المصنع بعدد كاف من المهندسين والملاحظين المصريين الى الشركة فى ألمانيا للتدريب على جميع أعمال وادارة هذا المصنع وتشغيله عند بدء عمله وعلى أن يتولى المصريون الأعمال الهندسية الانشائية بالكامل ، ووضع حجر الأساس فى يوليو سنة ١٩٥٥ وبدىء العمل فى سنة ١٩٥٧ وأفتتح رسميا سنة ١٩٥٩ .

التنمية الزراعية :

اهتمت الثورة بالتنمية الزراعية (١) أملا فى رفع مستوى المعيشة واتجه الاستثمار الزراعى الى تحقيق التوسع الرأسى والأفقى فى وقت واحد ، ومع تطبيق قانون الاصلاح الزراعى منذ ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ وقد ساعد هذا النطام الجديد على تنفيذ نظام التعاون الزراعى لأنه بحقق النجاح بين الملكيات الصغيرة بجانب تحقيق **العدالة الاجتماعية** وقد حقق الاصلاح الزراعى والتعاونى معدل نمو فى الزراعة فى أول سنين تطبيقهما بما لا يقل عن ٣٫٥٪ سنويا ولو أنها كانت نسبة متواضعة لا تعادل الزيادة المقابلة فى الزيادة السكانية نظرا لضيق الرقعة الزراعية ولذلك اعتبرت الثورة أن تنفيذ مشروع السد العالى هو من أهم عناصر الاستثمار للتنمية الزراعية المنشودة لتحقيق الرفاهية الاجتماعية ولذلك أسرعت الثورة فى اخراج وتنفيذ مشروع بناء السد العالى مهما كانت التكاليف والظروف .

مشروع اقامة السد العالى (٢) :

لما كانت مصر فى شدة الحاجة بعد الثورة الى زيادة الرقعة الزراعية لمقابلة الزيادة السكانية وحيث كانت مياه النيل لا تفى بحاجة الرى للأراضى الصالحة للزراعة كان هذا هو السبب فى سرعة التفكير الجدى فى تنفيذ مشروع انشاء السد العالى ، لأن مياه الخزانات المقامة على النيل كان الغرض منها هو حجز جزء من مياه الفيضان فقط لاستغلالها فى نفس السنة وقت التحاريق وكان مشروع السد يحقق نظام تخزين مستمر لكل ما يزيد عن الاحتياجات السنوية للسحب منه فى السنين الواطية . ولذا فكرت الثورة جديا فى تنفيذ مشروع السد العالى الذى يوفر مياه الرى

---

(١) ٢٥ عاما للسياسات الاقتصادية فى مصر سنة ١٩٥٢ ، ١٩٧٧ ، د. على الجرتلى ص ٢٧ .

(٢) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ من ١٩٥٢ الى ١٩٥٩ للأستاذ الرافعى ص ٤٨٨ الى ص ٤٨٤ .

اللازمة للتوسع فى التنمية الزراعية كما أن السد يوفر المياه بدلا من تدفقها فى البحر وقت الفيضان بالاضافة الى أنه يحمى البلاد من الفيضانات العالية . كما يكون مصدر لتوليد الكهرباء اللازمة للحياة اليومية والحيوية للتنمية الصناعية المطلوبة للتقدم .

وشرعت الثورة بتكليف الخبراء المصريين والعالميين من مختلف الدول لعمل الدراسات والأبحاث ، وأخيرا فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ أقرت هيئة الخبراء العالميين اختيار مكان السد وأقرت المشروع نفسه وذلك باقامة هذا السد العالى من ركام حجر الجرانيت المتوفر فى المنطقة وذلك بارتفاع ١١٠ متر فوق قاع النهر وطوله ٥٠٠٠ متر ويعطى مساحته نحو ٥٠٠٠ كيلومتر مربع ويشمل المشروع اقامة محطة توليد كهرباء وخطوط كهربائية تمتد من أسوان وبطول البلاد وبكل ذلك يمكن تحويل حياض الوجه القبلى الى نظام الرى الدائم أملا فى التوسع الزراعى لمساحة اضافية من الأرض الزراعية قدرت وقتها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ بمليون ومائتى ألف فدان . وفى ديسمبر سنة ١٩٥٥ تلقت مصر عرضا من أمريكا وانجلترا لتمويل المرحلة الأولى لانشاء السد العالى .

الغاء مجلس البلاط الملكى (٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢) :

فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ صدر مرسوم بقانون بالغاء مجلس البلاط الملكى المختص بنظر الأحوال الشخصية لأفراد الأسرة المالكة على أن تحال القضايا المنظورة أمامه الى القضاء العالى .

تعديل وزارة محمد نجيب (٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٢) :

فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٢ حدث تعديل فى وزارة محمد نجيب بعد أن استقال أربعة وزراء هم عبد العزيز عبد الله سالم وزير الزراعة وأحمد فراج طايع وزير الخارجية وعبد العزيز على وزير الشئون البلدية والقروية وفريد انطون وزير التموين وحل محلهم محمود فوزى للخارجية وحلمى بهجت بدوى للتجارة والصناعة وعباس عمار للشئون الاجتماعية وعبد الرازق صدقى للزراعة .

(رابعا) مرحلة التشريع للثورة :

تعارض قرارات قيادة الثورة مع الدستور :

مع توالى القرارات الثورية الجذرية كقانون الاصلاح الزراعى وكذلك قانون فصل الموظفين فى التطهير عن غير الطريق التأديبى وكقانون تنظيم

الأحزاب وكانت كلها تتعارض مع دستور سنة ١٩٢٣ رفعت دعاوى قضائية من المتضررين عن هذه القوانين والقرارات أمام المحاكم وبدأت المحاكم تنظر هذه الدعاوى بعدم دستوريتها ٠

مبررات اعلان سقوط دستور سنة ١٩٢٣ (١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢)

رغم أن دستور سنة ١٩٢٣ صدر محققا لجانب كبير من الرقابة على تصرفات الملك وعلى تصرفات السلطة التنفيذية وقراراتها وفيه جانب من الفصل بين السلطات لتحقيق جانب من المنافع العامة للشعب الا أن النظرة الوطنية المصرية لهذا الدستور أنه صدر الاعلان عنه متلازما مع تصريح ٢٨ فبراير الصادر(٢) من جانب واحد وهو المحتل البريطانى ومن واقع تجارب الشعب المصرى ومؤسسته الوطنية منذ اصـــداره أنه تأكيدا على الهاء المصريين بأسلوب الديمقراطية الغربية ولكنها ديمقراطية منقوصة حققت الفرقة فى صفوف الوطنيين لأن الصراعات الحزبية الحادة بين الأحزاب شغلت مصر عن الجهاد والمطالبة بجلاء جيوش الاحتلال وهى الأساس فى عملية الاستقلال ٠

كما أنها صرفت نظر حتى حزب الأغلبية ممثل المؤسسة الوطنية وهو الوفد عن الجهاد (١) بالوســـائل السلمية المشروعة كالمقاطعة والمقاومة السلبية وتركز الجهاد فى امكان التفاوض مع الانجليز للمســـاومة على الاستقلال وليس فى يد المفاوض المصرى الا التنازلات تلو التنازلات علاوة على أن هذا الدستور كان معبرا عن تحقيق مصالح الطبقات الحاكمة والتى لها مصلحة فى استمرار وجود الاحتلال البريطانى ٠ كما أن هذا الدستور كان معبرا عن تحقيق مصالح الطبقات الحاكمة والتى لها مصلحة فى استمرار وجود الاحتلال البريطانى ٠ كما أن هذا الدستور تناول ثلاثة سلطات سيادية فى مصر وهى الملك والحكومة والبرلمان وكلها سلطات مصرية علما بأن سلطة الاحتلال البريطانى والتى كانت لها اليد العليا فى حكم مصر لم يكن من الممكن أن يتناولها رغم أنها الأساس فى السيادة على مصر ويرجع بعض ذلك الى ما حققه تصريح ٢٨ فبراير من استقلال منقوص أو معدوم لتأكيده على بقاء القوات العسكرية الانجليزية على أرض مصر والسيطرة الكاملة على السودان وفصلها عن مصر ٠ وبذلك كان دستورا يلائم ظروف مصر الوطنية سنة ١٩٢٣ ولا يتلاءم مع ظروفها سنة ١٩٥٢ بعد حركة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

---

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للاستاذ طارق البشرى ملخص من الفصل الأول (الأوضاع السابقة على ٢٣ يوليو) ٠

(٢) كان الزعيم سعد زغلول فى منفاه وقت تشكيل لجنة وضع الدستور وأسماها « لجنة الأشـــقياء » معبرا عن عدم رضاؤه عن هذا الدستور ٠

أما من الناحية التاريخية لظروف صدور هذا الدستور :

فمنذ الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ كان في مصر سلطة الخديوى الشرعية وسلطة الانجليز الفعلية المدعمة بالاحتلال العسكرى ومنذ سنة ١٨٩٤ كانت الجماعة الوطنية التى أيدت الخديوى عباس فى موقفه ضد الاحتلال البريطانى مرتبطة فكريا بالاتجاه الديمقراطى فكانوا يطالبون بالدستور وكان ذلك منذ ظهور الحزب الوطنى والذى تميز برنامجه بالدعوة الى عدم عودة الاستبداد الذى تحملته مصر من الخديويين السابقين ومن الاحتلال البريطانى فكان مطلبهم هو الحكم بالشورى والعمل على تحرير مالية بلادهم من أيدى الأجانب وبعد أن نقارب الاحتلال البريطانى مع الخديوى عباس قامت الحركة الوطنية بمظاهرات سنة ١٩٠٩ ، سنة ١٩١٠ مطالبة بالدستور .

وكان فى الساحة مع الحزب الوطنى حزب الأمة المقرب من الانجليز ولكن الحزبين رغم اختلاف لونهما الوطنى أيدا سعد زغلول فى انتخابات الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ (البرلمان المصرى) والذى لم يكن ينتمى لأى منهما ولكنه كان يعبر عن التيار الوطنى الجديد ـ وأعلنت الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ كما أعلنت الأحكام العرفية وتوقف عمل الجمعية التشريعية . ونظرا للدور الوطنى الحيوى للجمعية التشريعية لدى العناصر الوطنية فى ذلك الوقت فان الثلاثة الزعماء الذين وقع اختيار الحركة الوطنية عليهم لمقابلة المندوب السامى البريطانى سيرونجت للمطالبة بالاستقلال سنة ١٩١٨ كان أحدهم سعد زغلول بصفته الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية والاثنان الآخرين عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى بصفتهما أعضاء بالجمعية التشريعية رغم توقف عمل الجمعية التشريعية وقتها بموجب الأحكام العرفية البريطانية كما أنه روعى بعد ذلك فى تشكيل باقى أعضاء الوفد أنهم جميعا كانوا أعضاء فى الجمعية التشريعية (البرلمان المصرى) وهذه الحركة الوطنية الجديدة المطالبة بالاستقلال والتى حصلت بعد ذلك على التفويض من الأمة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركة الديمقراطية لتمسكها واصرارها حتى فى مكاتباتها الى المندوب السامى فى الانتماء الى الجمعية التشريعية .

وتفجرت ثورة سنة ١٩١٩ واعتلى صفوفها العناصر الوطنية المرتبطة بالأسلوب الديمقراطى الى حد كبير وبخاصة بعد الحصول على توكيلات الأمة ورغم أن صيغة توكيل الأمة كان هو « السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما » .

فان التطور الثورى جعل الشعب يضيف الى أسلوبه السلمى أساليب المقاومة الايجابية تدعيما لأسلوب التفاوض الى أن صدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من جانب الانجليز فقط معلنا استقلال مصر (ودستور سنة ١٩٢٣) كعملية سياسية متصلة محققين للمخطط البريطانى فى امتصاص ثورة سنة ١٩١٩ واستمرار السيطرة البريطانية على مصر ولأطول مدة تحت ظل استقلال يعترف بوجود قوات عسكرية بريطانية على أرض مصر ودستور سنة ١٩٢٣ يحقق الصراع الدائم بين سلطات الملك والحكومة بأحزابها المتصارعة والأمة ولم يكن من الممكن أن يتبادل هذا الدستور ذكر دور السلطة السيادية الفعلية وهى الوجود البريطانى فى ظل قوات الاحتلال العسكرى وهذه السلطة الأخيرة كانت كلما قامت الحكومات المتعاقبة بمحاولة التفاوض مع بريطانيا تمعن فى التشدد لافشال هذه المفاوضات . وقد ساعد هذا الدستور على تحويل الجهاد الايجابى للأمة المصرية الى أسوأ أسلوب جهادى الا وهو الاعتماد الأساسى على المفاوضة دون تواجد أى قوة ضاغطة .

وبهذا يكون دستور سنة ١٩٢٣ حقق ظاهريا حركة ديمقراطية ولكنها ليست حقيقية . وكان دستورا يعبر عن السلطات السيادية الوطنية وفى نفس الوقت يعبر عن قصورها وسلبيتها أمام السلطة البريطانية المتفوقة سياديا فى مصر .

كما أنه منذ مجلس نواب سنة ١٩٤٥ (وكان الوفد قد قاطع انتخاباته (١) واقتصر على ١٢٥ سعديا ٧٤ دستوريا ، ٢٩ كتلة وفدية ، ٧ من الحزب الوطنى ، ٢٩ مستقلا) رغم ما كان يسوده من هدوء مريب داخل ردهات المجلس الا أنه خارج المجلس وبين الجماهير كان هناك فوران وتفجر من جماعات وأحزاب وهيئات سياسية غير ممثلة فى المجلس ولكنها كانت ذات فاعلية كبيرة بين الجماهير وهى التنظيمات الشيوعية من الشباب وجماعة مصر الفتاة المطورة باسم حزب مصر الاشتراكى والحزب الوطنى الجديد وجماعة الاخوان المسلمين .

وبذلك فان ساحة دستور سنة ١٩٢٣ لم تكن قادرة ولا منتظرا أن تعبر أو تحتوى هذه التيارات الجديدة بالاضافة الى التغييرات الاجتماعية التى حدثت فى المجتمع منذ سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٥٢ والتى آن الأوان لبضمها دستور جديد للبلاد يعبر عن مصالح جميع هذه الأطراف .

---

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ٢٠ ، ٢١ .

رابعا : مرحلة التشريع للثورة

ثورة ٢٣ يوليو والديمقراطية :

اعلان سقوط دستور سنة ١٩٢٣ (١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢)

فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢ أعلن محمد نجيب (١) باسم الشعب سقوط دستور سنة ١٩٢٣ وأعلن فى بيانه ان « دستور سنة ١٩٢٣ يجب أن يستبدل به دستور آخر يمكن أن تصل به الأمة الى أهدافها حتى تكون بحق مصدرا للسلطات وأنه أصبح لزاما أن تغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد ، وأن الحكومة آخذة فى تأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد » • يتجنب (٢) تخلف دستور سنة ١٩٢٣ عن مسايرة الحياة التى تساير التغيير الثورى •

لجنة الدستور (لجنة الخمسين)

فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٣ صدر مرسوم بتأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد وقد ألفت اللجنة من خمسين عضوا •

وقامت القيادة نفسها باختيار لجنة الخمسين ولم يشارك فى ترشيح الأسماء لهذه اللجنة أى حزب أو أى هيئة ينتمى اليها أى عضو من اللجنة واختارت القيادة هؤلاء الأعضاء من الأشخاص التى كان لها وضعها البارز فى هيئاتهم السابقة حتى ولو كانوا من العناصر المعارضة للثورة فكانوا يمثلون التيارات السياسية السابقة للثورة أصدق تمثيل فكان **من أعضاء هذه اللجنة ثلاثة** من أعضاء لجنة دستور سنة ١٩٢٣ هم على ماهر رئيس اللجنة الجديدة ومحمد على علوبة وعلى المنزلاوى **ومنهم أربعة** من كبار رجال الوفد وهم عبد السلام فهمى جمعه ، وعلى زكى العرابى ، ومحمد صلاح الدين وعمر عمر ، **واثنان من الدستوريين** وهما أحمد خشبة ومحمود محمد محمود ، **واثنان من السعديين** وهما محمود غالب وعبد الحميد الساوى ، **وثلاثة من الاخوان المسلمين** وهم عبد القادر عودة وصـالح العشماوى ، وحسن محمد العشماوى ، **وثلاثة من الحزب الوطنى** منهم عبد الرحمن الرافعى وفكرى أباظة ، **واثنان من الحزب الوطنى الجديد** وهما عبد الرحمن بدوى ، ويواقيم غبريال ، **وثلاثة رؤساء قضاء** هم أحمد محمد حسن رئيس محكمة النقض وعبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة والشيخ حسن مأمون رئيس المحكمة العليا الشرعية ، **وثلاثة من رجال الجيش** والبوليس المتقاعدين وهم اللواءات أحمد حمدى همت وأحمد

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للاستاذ عبد الرحمن الرافعى ص ٧٩ •

(٢) من محاضرة لعلى ماهر يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ •

فؤاد صادق ،وعلى حلمى وقد انتخبت اللجنة على ماهر رئيسا لها وقدمت اللجنة مشروع الدستور فى أغسطس سنة ١٩٥٤ ولم يعمل به وقدمت اللجنة الخماسية تقريرها (١) وينضمن قرارها بالاجماع أن يكون نظام الحكم جمهوريا على أن يكون تقرير هذا النظام عن طريق استفتاء شعبى أما مشروع لجنة الخمسين فلم يكتب له أن يولد بالعكس فقد أصدرت القيادة فى فبراير سنة ١٩٥٣ دستورا مؤقتا ليجرى العمل به ثلاث سنوات كفترة انتقال حددتها الثورة اولم تنجز اللجنة مسودة مشروع الدستور الا بعد عام ونصف من تشكيلها وهى المدة التى تم فيها حسم الصراع السياسى لصالح القيادة ضد الحركة الحزبية والتى جاء مشروع دستور لجنة الخمسين مؤيدا ومؤكدا على اطلاق حرية العمل السياسى والشعبى لصالح النظام الحزبى بصورته التقليدية القديمة وهذا ما جعل قيادة الثورة تنظر اليه نظرة الريبة والتحفظ من مسودة مشروع هذا الدستور فلم ير هذا المشروع النور ودفن حيا ولا يوجد من أثره الا نسخة مودعة فى مكتبة معهد الدراسات العربية تحت رقم ٢١ ، ٩٦٢ ، ٢١ .

وقد تبنى مشروع لجنة الخمسين مبدأ « الجمهورية البرلمانية » ثم أورد المواد الخاصة بالحريات العامة وضمانات الأفراد فأطلق هذه الحريات والضمانات ولم يقيدها الا فى حالات مخصوصة كالقبض فى حالة التلبس ، واشترط لذلك سماح القانون واذن القاضى دون أن يخول السلطة التنفيذية وحدها أمرا ما . وبالنسبة للحريات الجماعية أطلق المشروع حرية الصحافة والطباعة ومنع تقييدها بأى قيد ومنع فرض الرقابة عليها ، وحظر انذار الصحف أو وقفها أو الغاءها أو مصادرتها بالطريق الادارى (المادة ٢٦) وأباح حرية الاجتماع ومنع الشرطة حضور الاجتماعات . ولم يجز الاخطار مقدما عن الاجتماعات الا بالنسبة للاجتماعات العامة ، ولم يقيد الاجتماعات العامة الا بأن تكون لغرض سلمى ودون حمل السلاح وألا تتنافى مع الآداب . وأباح المواكب والمظاهرات فى حدود القانون (المادة ٢٩) وأباح تأليف الجمعيات والأحزاب دون سابق اخطار أو استئذان ، مادامت الغايات والوسائل سلمية . واشترط للقانون الذى يصدر بتنظيم الأحزاب أن تجرى أحكامه على أسس ديمقراطية دستورية ، وعلى أساس الشورى وحرية الرأى ، وأن تكون الأحزاب بعيدة عن النفوذ الأجنبى وخص المحكمة الدستورية بالفصل فى كل ما يتعلق بهذه الأوضاع من منازعات (مادة ٣٠) وبالنسبة لسلطات الحكم أكد على السلطة المتفردة

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ١٩٧٠ للأستاذ طارق البشرى ص ٨٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

للأمة وللجهاز النيابى على أجهزة الحكم وحرص على استبعاد أى امكانية دستورية تسمح بقيام كيان أوقطب دستورى يناوىء سلطة الأمة (تجنبا للوضع الدستورى المميز للملك فى دستور سنة ١٩٢٣) ٠

ونص مشروع دستور لجنة الخمسين على أن يشكل البرلمان من مجلس للنواب وآخر للشيوخ ولا يحل أى من المجلسين مرتين لنفس السبب ، واذا حل ولم تجر انتخابات المجلس الجديد خلال ستين يوما عاد المجلس المنحل للانعقاد بقوة الدستور فى اليوم التالى (مادة ٥٦) (تحاشيا لسوء التطبيق) ومجلس الشيوخ يتكون من ١٥٠ عضوا ثلاثة أخماسهم تنتخب بالاقتراع السرى العام المباشر والخمس الرابع تنتخبه النقابات والغرف والجمعيات والخمس الأخير يعينه رئيس الجمهورية ٠

ورئيس الجمهورية رئيس برلمانى وليس رئاسيا تختاره هيئة تتشكل من أعضاء البرلمان وبعض الهيئات المحلية لخمس سنوات لا تتكرر أكثر من مرة واحدة وللرئيس أن يحل مجلس النواب بشرط أن يترتب على المجلس سقوط الوزارة تلقائيا وبحكم الدستور ، وأن يشكل رئيس مجلس الشيوخ وزارة محايدة تجرى الانتخابات ثم يعود الى منصبه فور انتهاء هذه المهمة وتطرح الثقة بالوزارة الجديدة أمام المجلس الجديد (مادة ١٠٣) (تلافيا لسوء استخدام رئيس الدولة حق الحل) ٠

ثم أن رئيس الجمهورية لا يملك سلطة منفردة بأى حال وهو يتولى سلطاته بواسطة وزرائه وتوقيعاته لا تنفذ الا اذا وقع معه رئيس الوزراء والوزير المختص وهو لا يستقل بأمر الا أن يولى رئيس الوزراء وهذا الأمر محكوم بثقة مجلس النواب والوزارة مسئولة عن الهيمنة على مصالح الدولة وتوجيه السياسة العامة ومسئولياتها تضامنية أمام مجلس النواب وهى خاضعة للمساءلة أمام المجلس ولطرح الثقة فيها أو فى أحد وزرائها ٠

أما بالنسبة للسلطة القضائية يؤكد مشروع الدستور على استقلالها فى ادارة شئونها وينظم مجلس القضاء الأعلى عملية تعيين أعضائه بالتفضيل من بين رؤساء الهيئة القضائية بحكم وظائفهم (مادة ١١٦) ومنع تولى القاضى الوزارة قبل مضى عام على تركه منصبه القضائى ٠ وأكد على عدم خضوع النيابة للسلطة التنفيذية وجعل النائب العام منتدبا من مستشارى محكمة النقض ، وأوجب أن يتولى التحقيق فى الجنايات والجرائم السياسية والرأى والصحافة قضاة ، كما خول السلطة القضائية الاشراف على رجال الضبط القضائى جعل لمجلس الدولة ولاية عامة فى المنازعات الادارية وأوجد المشروع محكمة عليا دستورية تتألف من تسعة

أعضـــاء ثلثهم يختاره رئيس الجمهورية وثلثهم يختاره البرلمان وثلثهم تختاره السلطة القضائية (المواد ١٨٧ ، ١٩٣) ٠

تقييم مسودة مشروع دستور لجنة الخمسين :

بمراجعة مواد هذا الدستور على (١) ضوء باب التجاوزات فى هذا الكتاب والتى كانت ملخصا لأسباب ما كانت تعانيه المؤسسة الوطنية لهذا الشعب الممثلة فى القوى السياسية الجديدة من اخوان وشيوعيين وحزب وطنى جديد ومصر فتاة ومجموعة الضـــباط الوطنيين ثم تنظيم الضباط الأحرار واعتبر هؤلاء جميعا أنها الأساسات الرئيسية لقيام ثورة ٢٣ يوليو ٠ ومجمل مشروع دستور لجنة الخمسين يحتوى على المواد التى تؤكد على القضاء على مثل هذه التجاوزات من أى سلطة من ســلطات الدولـة ٠

ومعظم مواد هذا المشروع للدستور بل كلها تعبر تعبيرا صادقا عما كان يتمناه الشعب المصرى ومؤسساته الوطنية بصـفة عامة ومجموعة الضباط الشبان الوطنيين والأحرار وما كانوا يتطلعون اليه من قبل الثورة بل بمجرد نجاح الثورة بدليل ما جاء بالبيان الأول للثورة « ان الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أى غاية » وهذا الدستور بمواده جاء محققا لحفظ التوازن بين السلطات وعدم السماح بانفراد أى شخص أو عنصر من عناصر الأمة بالسلطة المطلقة ، كما يحقق عدم تكوين قطب ينفرد بالسلطة سواء على شكل ملك أو حتى رئيس جمهورية ، ولو أن هذا الدستور وضع على أساس التكوين الحزبى ٠

وهو ما كانت تتخوف منه قيادة الثورة نتيجة ما قاسته البلاد من فساد تجاوزات (٢) هذه الأحزاب السابقة ومع ذلك فان مواد المشروع المتوازنة بدقة فيها جميع الضمانات الكافية لمصلحة المحكومين ـ كما أن هذه المجموعة من أعضاء اللجنة كان قد تم اختيارها بدقة بمعرفة قيادة الثورة ومما لا شك فيه أن هذه القيادة كانت تتوقع أن تفرز هذه التشكيلة المنتقاه من أعضاء لجنة الخمسين مثل هذا الدستور المتكامل والذى جاء مطابقا لما كان فى نفوس الثوار ومجلس القيادة حتى قبل أن يصبحوا حكاما لأنه كان معبرا عن معاناتهم (ومعاناة الشعب) وآلامهم وبما يتفاعل فى

---

(١) الرجا الرجوع الى الكتاب من ص ٢٢ الى ص ٤٥ باب التجاوزات ٠

(٢) يرجع لباب التجاوزات (تجاوزات السلطة التنفيذية والاحزاب من هذا الكتاب ص ٣١ ٠

نفوســـهم منذ تحضيرهم للثورة · وحتى بعد أن تحولوا الى حكام رغم التناقضات البشرية التى تؤمن بأشياء ومبادىء عندما تكون بعيدة عن ممارسة الحكم ولكنها غالبا ما تجد المبررات سواء الواعية أو الغير واعية التى تجعلها عند الممارسة تتصرف بما يتناقض مع ما تؤمن به سابقا ـ وفى حالة رجال ثورة ٢٣ يوليو قد تكون الظروف التى أحاطت بقيادة الثورة سواء من داخل التنظيم نفسه أو من داخل الجيش أو من القوى السياسية الجديدة (أخوان وشيوعيين وحزب وطنى جديد ومصر فتاة) ووقوفها فى صف المعارضين للثورة كل ذلك قد يكون قد أملى على هذه القيادة تأجيل العمل بمثل هذا الدستور القريب جدا من المثالية والمبنى على أسس من واقع التجربة المصرية الديمقراطية منذ أواخر عصر الخديوى اسماعيل ·

واذا كان هناك ما يؤخذ على مشروع هذا الدستور فقد كان يمكن تصحيحه على ضوء الممارسة بعد العمل به على أن تتضمن أحدى مواده النص الصريح على وجوب هذا التصحيح بضـــمانات واجبة الاحترام بما لا يجعله ألعوبة فى يد أى سلطة أو انسان ·

فكرة حل دستور سنة ١٩٢٣ :

رغم أن البيان الأول لحركة الجيش كان قد أكد على وقوف الجيش لصالح الوطن فى « ظل الدستور » وذلك فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فقد ظهرت بوادر فكرة التخلص من هذا الدستور فى مقالات بصحيفة الأهرام للدكتور سيد صبرى أستاذ (١) القانون الدستورى بدءا من يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٥٢ بعنوان الفقه الثورى على أساس أن دستور سنة ١٩٢٣ قد سقط تلقائيا بنجاح ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ورد عليه الدكتور وحيد رأفت فى مقالات بالأهرام فى ٢٤ أغسطس ، ٥ ، ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٢ لم يعارض فيها سقوط دستور سنة ١٩٢٣ ولكنه بنى هذا السقوط على أساس التغيير الاجتماعى الذى شرعت فيه قيادة الثورة · وبنظريته أنه من يشرع يحكم · فى نفس الوقت ترحم على دستور سنة ١٩٢٣ · ولم يكن فى ذاك الوقت أى قوة سياسية تدافع عن دستور سنة ١٩٢٣ ويعمل لها حساب الا حزب الوفد والذى كان الهيئة السياسية الوحيدة التى يمكنها الاستفادة بتأكيد استمرار وجودها بفضل دستور سنة ١٩٢٣ ·

---

(١) الديمقراطية وثورة ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ٧١ ، ٧٢ ·

وعلى هذا الأساس كان أحمد أبو الفتح يؤكد فى صحيفة المصرى الوفدية على أن الثورة قامت لحماية الدستور ، وكان بجانب وفديته له صلات بالضباط الأحرار من قبل قيام الثورة ٠

ومما يؤكد أن قيادة الحركة فى بداية أيامها كانت مقتنعة بمدى المتاعب التى قد تواجهها سياسيا فى الداخل من دوام سريان دستور سنة ١٩٢٣ وكانت تبحث عن البديل والوسيلة التى تستكمل بها ، سيطرتها الكاملة على الساحة السياسية والاجتماعية فى البلاد بدليل أن أحد أهم أعضاء مجلس القيادة يوسف منصور صديق (١) كان يميل أن ترث الثورة حزب الوفد بتنظيمه رغم أنه كان يساريا ولكنه كان وطنيا جريئا فى آرائه ٠

ولما كان من طبيعة الأمور وفى حكم القاعدة فى حياة الأمم أن القوى التى تساهم فى صناعة حدث تاريخى تصير هى ذاتها القوى التى تتولى صياغة الأمور المتغيرة نتيجة زوال الأمور قبل الحدث أى أن نظام ٢٣ يوليو كان يجب أن يسود ويسيطر ليتمكن من صياغة حدود المجتمع الذى تغير ٠ وعليه فان اصطدام قيادة حركة الجيش مع حزب الوفد أصبحت حتمية ولا مفر منها فاذا صار التخلص من نفوذ حزب الوفد فانه من اللازم التخلص بالجملة من جميع الأحزاب التقليدية التى شاركت وساهمت فى الخلل السياسى والاجتماعى والاقتصادى لمجتمع مصر السابق عن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بالاضافة الى كل ما سبق فانه بعد أن اقتربت قيادة حركة الجيش من السلطة بعد سبتمبر سنة ١٩٥٢ تكشفت الأمور لهم أن الاجراءات الثورية اللازمه لتغيير المجتمع بتنفيذ برامج التنمية والاصلاح استوجبت قيام جهات قضائية خاصة لتحاشى المحاكم من نظر المنازعات وبخاصة عندما عرضت هذه على المحاكم بدفع عدم دستوريتها ، لأن هذه القوانين الثورية وعلى رأسها قانون الاصلاح الزراعى كانت تصدر بمراسيم ملكية (من هيئة الوصاية) دون عرض على مجلس النواب الموقوف ٠ فلم يكن أمام مجلس الثورة الا أمر من ثلاثة اما اجراء انتخابات جديدة سريعة وبالقطع سيسود حزب الوفد برغم ما كان يشوب تصرفاته السابقة واما دعوة مجلس النواب الوفدى السابق وهذا أمر أسوأ من الأول واما حل حزب الوفد ومعه حل باقى الأحزاب ٠

ولما بدأت المحاكم تنظر طلبات مرفوعة ضد القوانين الثورية مما سوف يهدد هذه القوانين جميعا لكل ذلك ألغت القيادة دستور سنة ١٩٢٣ وتبع ذلك اجراءات التخلص من الأحزاب التقليدية ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر ص ١٨٨ ، ٩٢ ٠

حل الأحزاب السياسية :

(وفترة انتقال من ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ الى ١٦ سنة ١٩٥٦).

فى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ أذاع القائد العام للقوات المسلحة بيانا ندد فيه بالأحزاب القديمة التى أفسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩ والتى أصبحت تسعى ثانية للتفرقة للرجوع بالبلاد الى حالة الفساد السابقة وأعلن حل الأحزاب السياسية من يوم ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ واعلان فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ومصادرة جميع أموال الأحزاب لصالح الشعب .

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٥٣ صدر مرســـوم بقانون بحل الأحزاب السياسية ومصادرة أموالها واستثنيت جمعية الاخوان المسلمين من قانون. حل الأحزاب رغم أنها كانت تقوم بالنشاط السياسى منذ دعوتها .

اعلان الدستور المؤقت (١٠ فبراير سنة ١٩٥٣) :

وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ أصدر القائد العام للقوات المسلحة وقائد الثورة (١) النظام الدســـتورى المؤقت الذى يجرى العمل به لمدة ثلاث سنوات هى فترة الانتقال ويحوى المبادىء العامة الآتية : ـ

« جميع السلطات مصدرها الأمة » .

« المصريون لدى القانون سواء ، فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبـــات » .

« الحرية الشخصية وحرية الرأى مكفولتان فى **حدود القانون** » .

« للملكية والمنازل حرمة وفق أحكام القانون » .

« حرية العقيدة مطلقة » .

« تسليم اللاجئين السياسيين محظور » .

« لا يجوز انشاء ضريبة الا بقانون » .

« القضاء مستقل ولا سلطان عليه لغير القانون ومصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الأمة » .

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ص ٨٩ ، ٩٠ .

ويقضى هذا النظام الجديد بأن يتولى قائد الثورة بمجلس الثورة أعمال السيادة العليا وبخاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها وحق تعيين الوزراء وعزلهم ، ونصت المادة ١١ من النظام على تشكيل مؤتمر من مجلس الثورة ومجلس الوزراء ينظر فى السياسة العامة للدولة ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير ٠

وبهذا الدستور المؤقت مادتان تخولان مجلس الوزراء السلطة التشريعية وأعمال السلطة التنفيذية ٠ ويظهر من ذلك أن السلطة (١) التشريعية قد فقدت استقلالها بل فقدت وجودها واندمجت فى السلطة التنفيذية التى يتولاها مجلس الوزراء الذى يعين أعضاء الوزارة ويعزلهم قائد الثورة وكلاهما يمثلان الاختصاصات السياسية المطلقة لقائد الثورة ولا رقابة على هذه الاختصاصات الا عن طريق المؤتمر العام الذى يشكل منهم أنفسهم ومعهما مجلس الثورة ولا يملك المؤتمر العام حق اصدار القرارات بل فقط حق النظر فى السياسة العامة ومناقشة تصرفات الوزراء ٠

أما بالنسبة للقضاء الذى اعترف الدستور المؤقت باستقلاله فان نفس هذا الدستور اختار عبارة « لا سلطان لأحد على القضاء بغير القانون » ويعنى ذلك امكانية قيام « السلطان » عليه بواسطة القانون وذلك بخلاف أن تكون العبارة « لا سلطان على القضاء لغير القانون » كما أن هذا الدستور أطلق اليد فى تشكيل محاكم خاصة لنظر قضايا معينة ويمنع المحاكم من النظر فى قضايا معينة كمحكمة الثورة فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ كمحاكمة بعض السياسيين ، ومحاكم الشعب سنة ١٩٥٤ لمحاكمة الاخوان المسلمين ، ومحاكم عسكرية كمحاكمة الخصوم فى قضايا محددة ٠ كما أصدر التشريعات التى تحرم بعض الطوائف من حق اللجوء الى المحاكم ٠

العمل الجماهيرى

انشاء هيئة التحرير

عقب قرار حل الأحزاب يوم ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ والسير قدما فى اصدار قرارات ثورية تحتاج الى اقناع الشعب بها لتأييدها لاحداث التغيير الذى بالضرورة كان يتضرر منه الأحزاب المنحلة وأتباعهم أصحاب المصلحة

---

(١) الديمقرطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ص ١٠٥ ، ١٠٦ ٠

التى أضرت بمصر منذ ما قبل الثورة فقد فرضت الضرورة انشاء تنظيم سياسى يسد الفراغ الذى سيعقب حل الأحزاب وأعلنت قيادة الثورة عن انشاء تنظيم أطلق عليه هيئة التحرير وذلك فى آخر سنة ١٩٥٢ ٠

وكان برنامج هيئة (١) التحرير هو :

« التحرر من جميع أنواع الاستعمار واجلاء القوات الأجنبية عن وادى النيل ٠ وتمكين السودان من تقرير مصيره دون أدنى تأثير خارجى ودعم الصلات مع الشعوب العربية للوصول الى تحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى (الميادين) وتقرير ميثاق جامعة الدول العربية » ٠ أما فى المجال الداخلى فقد تضمن « توجيه النظام الاقتصادى الى ما فيه تحقيق الرفاهية والعدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة ووسائل الانتاج ، واستغلال موارد البلاد الطبيعية وتشييد الصناعات فى نطاق واسع وتشجيع استثمار رؤوس الأموال فيها ٠ وكفاية الحقوق والحريات الأساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية وتأمين المواطنين ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة » وكان هذا البرنامج يعتبر وقتها منهاج الثورة ٠ ونظام هيئة التحرير بموجب لائحتها الداخلية فانها قسمت أعضاء الهيئة الى ثلاث مراتب منضمين وعاملين ومنتسبين وأنشأت منظمة للشباب ينضم اليها من لم تعد أعمارهم ثمانية عشر عاما وقد أبعد عن الاشتراك فى هيئة التحرير محمد نجيب نفسه ٠ وتم انتخاب جمال عبد الناصر سكرتيرا عاما لهيئة التحرير وعين مراقبون من أعضاء مجلس الثورة وابراهيم الطحاوى سكرتيرا عاما مساعدا وأحمد طعيمة مسئولا للنقابات ووحيد رمضان لمنظمات الشباب وهؤلاء الثلاثة من الضباط الأحرار وبموجب هذا أصبحت السيطرة كاملة لمجلس القيادة عليها ٠

وأصبحت هيئة التحرير بعد انضمام عدد كبير من الشخصيات السياسية من الأحزاب السابقة المختلفة من أساتذة الجامعات مجالا خصبا للتقرب الى السلطة ٠

وسيطرت اداريا على نقابات العمال ٠ ولم تكن بديلا كاملا عن الأحزاب السياسية المنحلة بدليل أن محمد نجيب بعد رفضه اقتراحات دالاس بدعوة مصر لدخولها فى اتفاقية دفاع مشترك مع انجلترا وأمريكا كبديل للاحتلال البريطانى اذا ما تمت اتفاقية الجلاء علق منتقدا لم تقم هيئة التحرير لا من نفسها ولا بايعاز (٢) من قادتها بأى دور جماهيرى

---

(١) مذكرات صلاح نصر ج ١ ص ١٢١ ، ١٢٢ ٠

(٢) كلمة للتاريخ لمحمد نجيب ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ٠

فى الاحتجاج فى وجه دالاس على محاوله أمريكا جر مصر للأحلاف الاستعمارية فى حين أن دالاس بعد مغادرته مصر سافر الى لبنان وكان كميل شمعون رئيسا لجمهورية لبنان واستقبل دالاس فى لبنان شعبيا بمظاهرات معادية وهتافات صاخبة تضامنا مع معارضة الجماهير العربية السياسية للأحلاف العسكرية ٠

ويقول محمد نجيب « أنه كان مفروضا أن تكون هيئة التحرير هى أساس وحدتنا الوطنيه فى مواجهه قوات الاحتلال ودليلا على أن الثورة لم تستطع خلق تنظيم قوى يكتسب ثقة الناس » ٠

اتفاقية السودان

بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير

قبل أن يتحرك الضباط الأحرار ليلة (١) ٢٣ يوليو فان الموقف فى السودان كان يجتذب اهتمامهم وبخاصة محمد نجيب ٠ أما بعد الثورة مباشرة فكان من المفروض حل مشكلة السودان مع الانجليز قبل الدخول فى التفاهم على الجلاء ٠

وبمراجعة الوثائق التاريخية لمشكلة السودان وجدت قيادة حركة الضباط أنه جاء فى مشروع معاهدة صدقى/بيفن والتى وقع عليها بالأحرف (٢) الأولى من الجانبين المصرى والبريطانى فى يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وفى البروتوكول الخاص بالسودان ٠

« يتعهد الطرفان المصرى والبريطانى ٠٠٠٠ باتباع سياسة هدفها الأساسى تحقيق رفاهية السودان وتهيئتهم للحكم واعطائهم حق اختيار نظام الحكم فى السودان مستقبلا ٠٠٠٠ ولتحقيق هدف تقرير المصير والى أن يتم الاتفاق على ذلك يصير العمل طبقا لما جاء باتفاقية سنة ١٨٩٩ ٠ وكذلك جاء فى محضر جلسات المفاوضات بين الجانب المصرى والجانب البريطانى فى ظل (٣) وزارة الوفد يوم ٨ يونيو سنة ١٩٥١ ٠ بملحق

---

(١) كلمة للتاريخ مذكرات محمد نجيب ، ص ١٠٢ ٠

(٢) ص ٧٧ من الكتاب ٠

(٣) الكتاب لأخضر المطبعة الأميرية ١٩٥٣ من رياسة مجلس الوزراء السودان من ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ الى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، ص ٢٥٨ ٠

(بيان المبادىء) بالفقرة (ب) « أن الهدف المشترك لمصر وبريطانيا العظمى هو أن يمكنا الشعب السودانى من بلوغ الحكم الذاتى الكامل فى أقرب فرصة عملية ومن أن يختار لنفسه بعد ذلك بملء حريته شكل حكومته وعلاقته بمصر على خير وجه يحقق حاجاته حينذاك » .

وتوقفت المفاوضات ولكن فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥١ أصدر مستر موريسون المتحدث باسم حكومة بريطانيا فى مجلس العموم « نحن نأمل أن نرى الشعب السودانى يختار نوع العلاقة التى تقوم بينه وبين مصر على ما يحقق حاجاته على أحسن وجه وتهدف الى أن يصل الشعب السودانى بأسرع ما يمكن الى درجة من التقدم يستطيع معها البت فى هذا الاختيار بكامل حريته » .

وكانت بريطانيا فى كل ذلك تستهدف (١) أن يتم تقرير المصير فى السودان فى ظل سيطرة الحكم البريطانى حتى يمكن توجيهه الوجهة التى يرتضيها الاستعمار البريطانى .

فكرة اشراك مصر فى منظمة الدفاع المشترك :

لم يغب عن بال مجلس الثورة فكر الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة فى محاولة جر مصر الى نظام الدفاع المشترك عندما ربط المفاوض الانجليزى مستر « بيفن » فى مباحثاته مع اسماعيل صدقى فى مارس من سنة ١٩٤٦ بين امكان اعتراف بريطانيا بملك مصر ملكا على مصر والسودان مقابل موافقة الجانب المصرى على فكرة الاشتراك فى منظمة الدفاع المشترك .

وتكرر نفس الشيء فى مباحثات حكومة الوفد مع الجانب البريطانى الى ما قبل اعلان النحاس باشا الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وبعد اعلان الغائها قدم سفراء الدول الغربية فى مصر وعلى رأسهم السفير الأمريكى مقترحات لمصر بفكرة اشتراكها فى منظمة الدفاع المشترك فى نظير العودة للمفاوض لحل المسألتين المصرية والسودانية على أساس موافقة مصر على المشروع البريطانى الخاص بتقرير مصير السودان والحكم الذاتى ولم يصل النحاس باشا مع الجانب الغربى الى حل .

وكان هناك أيضا أمام مجلس الثورة مشروع دستور الحكم الذاتى فى السودان والذى قام حاكم عام السودان فى ٨ مايو سنة ١٩٥٢ بتسليمه

---

(١) كلمة للتاريخ محمد نجيب ص ١٠٣ .

الى كل من بريطانيا ومصر فى ظل وزارة نجيب الهلالى باشا وحتم هذا المشروع على الجانبين البريطانى والمصرى بضرورة الرد بالموافقة او بالتعديل أو بالرفض بعد سته أشهر والا أصبح المشروع نافذ المفعول ·

وكان هذا المشروع يدعو الى اقامة برلمان سودانى يقرر مصير السودان ولم يرد رئيس وزراء مصر الهلالى باشا على هذا المشروع على اساس ان تشريعات الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ تمنعه من الرد ·

وبقى هذا المشروع معروضا على الجانب المصرى حتى قامت الثورة قبل نهاية المهلة ، وقام مجلس الثورة المصرية وعلى رأسه محمد نجيب بتحريك الموضوع تمهيدا لمحاولة حل المسألة السودانية بأسلوب عملى وعصرى بموافقة مصر على استقلال السودان واستغلال نقط الضعف فى مشروع الحاكم العام للسودان وحتى تتفرغ مصر بعد ذلك للمطالبة جديا بالجلاء ·

ويقول محمد نجيب القائد العام ورئيس(٣) مجلس الثورة وبصفته خبيرا فى شئون السودان « وكانت نقطة الانطلاق فى تفكيرى هى أن أحول بين السودان وبين الارتباط ببريطانيا عند تقرير المصير · فاذا تحقق ذلك فانه لا يكون أمام السودان الا أحد حلين اما الارتباط بمصر فى صورة وحدة أو اتحاد ···· واما الاستقلال والوصول الى هذه النتيجة فى أى صوره من صورها بنزع أقدام المستعمر من وادى النيل ···· وهى خطوة سياسية عظمى » ·

رغم أن فكرة تقرير المصير كانت تعارضها فى الماضى جميع الأحزاب السياسية المصرية منذ سنة ١٩١٩ وكانت دائما المفاوضات المصرية لأجل الجلاء تتحطم على صخرة السودان وتتوقف وقد درس الساسة البريطانيون العقلية السياسية المصرية جيدا واستغلوا هذا الموقف لصالح استدامة احتلالهم لمصر والسودان لأطول مدة منذ اتفاقية سنة ١٨٩٩ (١) ·

وقام محمد نجيب بدور بارز بالمبادرة (٢) بالتحرك قبل التفاوض مع الانجليز لقطع خط الرجعة على الجانب البريطانى ولتحقيق هذه المناوره فكانت الخطوة الأولى هى جمع شمل السودانيين بمختلف أحزابهم على

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠٩ · كلمتى للتاريخ لمحمد نجيب ·

(٢) يرجع الى هاتين الاتفاقيتين فى كتاب المؤلف عن ثورة ١٩١٩ من ص ٤٩٨ الى ٤٧٢ (ط ١) ·

(٣) كلمة للتاريخ محمد نجيب ص ١١٠ ، ص ١١١ ·

موقف موحد تعاونهم فيه مصر . فدعى جميع زعماء الأحزاب السودانية الى القاهرة ومعهم الزعيمان المهدى والميرغنى وجاءت وفود الأحزاب وحضر السيد عبد الرحمن المهدى واعتذر السيد الميرغنى وبدأت مصر معهم المفاوضات وكان وفد المفاوضات المصرى برئاسة محمد نجيب ومعه على ماهر وعبد الرزاق السنهورى وصلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى ومعهم نخبة من الخبراء فى شئون السودان » .

ووافق مسبقا السيد عبد الرحمن المهدى على فكرة الاتفاق وقبول نتيجة الاستفتاء على تقرير المصير .

وكانت الخطوة التالية هى اقناع الأحزاب الاتحادية بالتوحيد حتى تجتمع كلمتها على رأى واحد وتم وضع ميثاق بتأليف حزب واحد من الوحدويين أطلق عليه « الحزب الوطنى (١) الاتحادى » وتم اختيار اسماعيل الأزهرى رئيسا له . ونص دستور الحزب على جلاء الانجليز عن السودان وقيام اتحاد مع مصر بعد تقرير المصير .

واتفقت كلمة جميع الأحزاب السودانية على أن يقتصر السودان عند تقريره لمصيره على الخيار بين الاتحاد مع مصر أو الاستقلال عنها دون الارتباط بدولة أخرى وأن يكفل للسودان حرية الاختيار بتحديد سلطات الحاكم العام وسودنه الادارة وجلاء القوات البريطانية والمصرية قبل اجراء الانتخابات لجمعية تأسيسية يناط بها تقرير المصير وبارك المهدى والميرغنى الزعيمان الكبيران هذا الاتفاق .

وبذلك فوجىء الانجليز بأن الأمر الذى استعدوا لتدبيره منذ سنوات قد انقلب عليهم فى مدة قصيرة جدا .

وكانت بريطانيا تستخدم سابقا كل مهارتها وفكرها السياسى من أجل استمرار سيطرتها على السودان باثارة مسألتين كان دائما يرفضهما حكام مصر ومفاوضوها وهما :ـ

١ ـ فصل المسألة السودانية عن المسألة المصرية .

٢ ـ حق السودانيين فى تقرير مصيرهم .

وبعد ذلك بادر الجانب المصرى بعد أن تهيأت هذه الظروف المبشرة الى ارسال مذكرة فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣ الى حكومة بريطانيا تقترح فيها مصر :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١١٢ ، ص ١١٣ .

١ ـ تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى ·

٢ ـ تهيئة الجو الحر المحايد الذى لابد من توافره لتقرير المصير ·

وفوجئت الحكومة البريطانية بهذا الموقف من الجانب المصرى الذى دأب تاريخيا على رفض هذين الشرطين وأسقط فى يد بريطانيا لأنها كانت دائما هى التى تقترح ذلك ويعارضها الجانب المصرى فلم تملك بريطانيا سوى الموافقة وتمحكت للمراوغة باظهار ضرورة حماية الجنوبيين من الشماليين ·

وبدأت المفاوضات بين الجانب المصرى والجانب البريطانى من يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ وكان الجانب المصرى برئاسة محمد نجيب وعضوية صلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى والدكتور محمود فوزى والدكتور حامد سلطان وعلى زين العابدين · وبعد مباحثات على مدى ١٩ جلسة تم توقيع اتفاقية السودان على أساس المشروع المصرى المعدل فى صباح يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٣ وجاء **فى نصوص هذا الاتفاق : ـ**

١ ـ أن هناك فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات تمهيدا لانهاء الادارة الثنائية (المصرية والانجليزية) وتصفيتها وفى هذه الفترة يحتفظ السودان بسيادة السودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير ·

٢ ـ واتفق على أن يكون الحاكم العام هو السلطة الدستورية العليا داخل السودان فى فترة الانتقال وذلك وفقا لقانون الحكم الذاتى وتعاونه لجنة خماسية تسمى « لجنة الحاكم العام » من اثنين من السودانيين وعضو مصرى (حسين ذو الفقار صبرى) وعضو بريطانى (جرافتى سميث) « وعضو باكستانى » ولهذه اللجنة حق الاعتراض على قرارات الحاكم العام ·

٣ ـ وشكلت لجنة للانتخابات من ثلاثة سودانيين وعضو مصرى (عبد الفتاح حسن) وعضو هندى وعضو بريطانى ·

٤ ـ وتشكل لجنة لسودنة الادارة باحلال السودانيين محل البريطانيين والمصريين فى الوظائف الهامة وهى البوليس والادارة وقوة الدفاع ·

٥ ـ تضع الحكومة السودانية مشروعا بقانون لانتخاب جمعية تأسيسية للقيام بواجبين : ـ

(أ) أن تقرر مصير السودان كوحدة لا تتجزأ ·

(ب) أن نعد دستورا للسودان يتواءم مع القرار الذى يتخذ (وحدة أم استقلال) كما نضع قانونا لانتخاب برلمان سودانى ·

(جـ) اما أن نختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أى صورة ·

(د) واما أن نختار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام ·

٦ ـ تقرر سحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور صدور قرار البرلمان السودانى فى الشروع فى اتخاذ تدابير تقرير المصير فى فترة لا تتعدى ثلاثة شهور بعد تمام السودنه وهكذا أسقطت هذه الاتفاقية أى فرصة لبريطانيا لربط السودان بالانجليز ولم يبق الا اما الارتباط بمصر أو الاستقلال التام ·

وكان هذا يعد انتصارا على محاولات بريطانيا لامتداد سيطرتها على السودان والذى امتد منذ احتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ ·

وفى هذا الوقت بعد الانتخابات كان الحزب الوطنى الاتحادى ينادى اما بالاتحاد الفيدرالى مع مصر أو الاستقلال وكان حزب الأمة ينادى باستقلال السودان بعيدا عن مصر وبريطانيا · وفى النهاية تم استقلال السـودان ·

الدور الأمريكى مع الثورة :

تمشيا مع سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية بسد الفراغ فقد اهتمت بما يجرى فى مصر اهتماما بالغا وزاد هذا الاهتمام بعد نجاح الثورة ولم تقف أمريكا منها موقفا عدائيا بل موقف الترقب والأمل فى امكان التعاون مع هذا النظام الوطنى الجديد فى مصر فحرصت على اتمام خطوط الاتصال مع رجال الثورة وتم لقاء بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر (١) وصلاح سالم فى دعوة عشاء مع مستشار السفارة الأمريكية لويس جونس والمستر روبرت ماكلنيتوك الوزير المفوض ومستر ويليام ليكلاند وكان ذلك ليلة ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ وكان لدى الجانب الأمريكى أسئلة كثيرة عن سياسات النظام الثورى الجديد ونواياه وأهمها ما يتعلق بمشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط وأوضح عبد الناصر للجانب الأمريكى أنه لا يمكنه الاقتراب من مسألة الدفاع عن الشرق الا بعد أن تتم تسوية القضية المصرية بشقيها السودان

---

(١) عدد الأهرام ١٩٨٦/١٠/١٢ حلقات ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل حلقة ١٨ ·

والجــلاء • وبعد ذلك وعد الأمريكان بأنهم ســيقومون بتحريك عملية التفاوض مع الانجليز ودفعها الى الأمام •

وفى هذه المرحلة المتقدمة أثار عبد الناصر موضوع تسليح الجيش المصرى ـ استجاب الجانب الأمريكى لمطالب الثورة وساعدوا فعلا فى اتمام مفاوضات اتفاق السودان لدرجة قيام السفير الأمريكى بدور نشط فى كل مراحل المفاوضات الى حد استفز وفد المفاوضات البريطانى وجعل رئيسه سيررالف استيفنسون يشكو لوزير خارجيته انتونى ايدن قائلا « ان كافرى أثار أعصــابى حين قال أن هناك كثيرا من النقاط أثناء المفاوضات قبلها نجيب من أجل خاطره هو فقط (كافرى) » •

وفى آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ وصل الى مصر مستر كيرمت روزفلت تحت ستار أنه أحد مستشارى الرئيس ترومان والحقيقة أنه من المخابرات الأمريكية وهو حفيد للرئيس تيودور روزفلت وكان لقاء أسريا حتى لا يعرف الانجليز به ويرتابوا وكان على معرفة كاملة بأحوال منطقة الشرق الأوسط وظروفها ورجالها وقابله جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وعبد المنعم أمين وظهر من حديثه أنه ملم بجميع ظروف مصر وأفصح أن مأموريته تنحصر فى مواضيع محدودة يريد الحصول على رأى رجال الثورة عنها وهى تهم الرئيس الأمريكى والتى عليها يتوقف التعاون بين البلدين وكانت هى مدى تصور القيادة المصرية لفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط بعد الفراغ الذى سيحدث اذا ما جلت القوات البريطانية عن مصر باعتبارها أكبر قاعدة فى سلسلة الــدفاع الغربى عن الشرق الأوسط والموضوع الآخر كان هو مسألة اسرائيل ونوايا النظام الجديد حيالها وكان رد الجانب المصرى على موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط لا يمكن لمصر أن تتناوله الا بعد انهاء حل قضيتى السودان والجلاء عن مصر مع بريطانيا •

أما مسألة اسرائيل فلا يمكن لمصر وحدها أن تبت فيها دون اشتراك باقى الأطراف العربية الأخرى •

وفى نوفمبر سنة ١٩٥٢ اتصل الجانب المصرى مع مساعد وزير الدفاع الأمريكى والذى حضر خصيصا لهذا اللقاء ، وأعاد نفس مواضيع الدفاع المشترك ومسألة اسرائيل وركز الجانب المصرى على شراء السلاح من أمريكا وأبدى مساعد وزير الدفاع الأمريكى ترحيبا بذلك لدرجة طلب تسليمه كشفا بما هو مطلوب مصحوبا بخطاب من رئيس حكومة مصر يشير فيه الى اهتمام الحكومة المصرية بمسألة الدفاع عن الشرق الأوسط واستعداد مصر لمناقشة هذا الموضوع بعد الانتهاء من المفاوضات مع بريطانيا •

وسمحت أمريكا بأن نحضر بعثة مصرية لشراء السلاح من أمريكا وطال بقاء هذه البعثة برياسة علي صبري دون أن تحصل على أي أسلحة أو حتى عقود بحجة أن الوقت لم يكن مناسبا وكان ذلك نتيجة تدخل بريطانيا بكل نفوذها حتى لا يتم تسليم مصر أي أسلحة قبل أن يقرر حكام مصر موقف بلادهم نهائيا من موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط (حاف عسكري) . كما كان لفرنسا دور في تعطيل صفقات الأسلحة بحجة أن هذا السلاح ستستخدمه مصر في تدعيم الحركات الوطنية ضد فرنسا في شمال افريقيا ورغم نجاح المساعي البريطانية الفرنسية الا أن العلاقات الأمريكية المصرية استمرت تعمل لصالح مصر في موضوع الجلاء وجانب كبير من المعونات الاقتصادية والثقافية مع استمرار المحاولات الأمريكية لمحاولة ادخال مصر في فلك مشروعات الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ومحاولة الاقتراب بالصلح مع اسرائيل كثمن لامكان مساعدة مصر في مشروع اقامة السد العالي ، وفي مدها بالسلاح الأمريكي وكلما رفضت مصر وعاندت كلما تكررت الهجمات الاسرائيلية على الدفاعات المصرية في مواجهة اسرائيل وكلما تقترب أي اتفاقات دولية حول اعطاء مصر قروضا غربية لاقامة مشروع السد العالي .

الخطوات الايجابية للمطالبة بالجلاء :

وفي ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣ صدر قانون الحرس الوطني (١) وجاء في اعلان تشكيله أنه لأجل تحقيق أماني الوطن وفيه تلميح مكشوف الى ممارسته للمقاومة بانشاء جيل متعود على الحياة العسكرية حياة البذل والفداء وفي مقابلة لرجال الثورة وعلى رأسهم (٢) محمد نجيب مع السفير الأمريكي جيفرسون كافرى على العشاء لمح كافرى الى امكان تأييد مصر في مطالبها بالتفاوض لتحقيق الجلاء خلال حديثه عن ضرورة ارتباط مصر بأحلاف العالم الحر وأن كل ما تخشاه حكومته هو تسلل الشيوعية الى مصر .

لذلك تعمد محمد نجيب أن يصرح لوكالة يونيتد برس أن مصر على وشك التفاوض مع الانجليز « أن مصر تصر أن يكون الجلاء غير مشروط بشرط سواء كانت حلفا ... أو ميثاقا أو تحت أي اسم تطلقه عليها » .

وكان الأمريكان في هذه الفترة يظهرون بصورة الدولة التي تريد مساعدة مصر في التخلص من الاحتلال البريطاني وكان الجانب المصري في

(١) ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعي ص ١٠٥ .
(٢) كلمة للتاريخ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

المقابلات الرسمية يثير مع الأمريكان الحديث عن ضرورة اقناع بريطانيا بقبول مبدأ الجلاء بدون شروط .

أما من جهة أسباب قبول مصر مبدأ المفاوضات فهو أولا لأن مصر أعدت وسائلها الايجابية التى تحقق نجاح المفاوضات بمكاسب لمصر عن طريق الكفاح المسلح فى نفس الوقت كما أنه بعد نجاح مباحثات السودان فانه لم يكن يجوز بحكم العرف الدولى (١) أن ترفض مصر المفاوضات بداية وذلك حتى نكشف للعالم تعنت الانجليز .

وفى ربيع عام ١٩٥٣ قام جون فوستر دالاس (٢) وزير خارجية أمريكا بزيارة القاهرة لبحث الخطة الأمريكية لاقامة حزام شمالى دفاعى على طول حدود الاتحاد السوفيتى الجنوبية وقابل دالاس عبد الناصر واستمع عبد الناصر الى الوزير الأمريكى ورد عليه فى حزم « أننا نعارض الاشتراك فى أية أحلاف مع أى دولة أجنبية لأن لدينا أسبابا قوية تدفعنا الى الشك فيها كما أن شعوبنا لا تؤيد أية حكومة تشترك فى مثل هذه الاحلاف . فالدفاع عن هذه المنطقة يجب أن ينبثق من داخلها وهذه الجبهة الداخلية هى قوميتنا واصلاحنا الاجتماعى وتقدمنا ... فان الخطر الأكبر من الشيوعية عن هذه المنطقة يكمن فى داخلها ولا يأتى من خارجها ... فما قيمة الخطوط والأحزمة الدفاعية المشتركة اذا كان هذا الهجوم سيشن من الداخل لا من الخارج » وأضاف عبد الناصر « أنه لزاما على الغرب لأجل تقوية الجبهة الداخلية لدول الشرق الأوسط أن يدعمها بالأسلحة الحديثة دون أى شروط سياسية لتكون هذه الجبهة الداخلية مصحوبة بطاقات دفاعية قوية قد تتشكل عن طريق ميثاق ضمان جماعى عربى مستقل » .

المفاوضات :

وبدأت المفاوضات بين الجانب المصرى والجانب البريطانى (٣) يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٣ وكان الوفد المصرى « برئاسة محمد نجيب وعضوية جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وعبد اللطيف بغدادى ووزير الخارجية محمود فوزى » .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٥ .

(٢) الطريق الى السويس تأليف أرسكين تشيلدز تعريب خيرى حماد ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) كلمة للتاريخ محمد نجيب ص ١٢٩ .

وكان تشكيل الوفد المصرى من العسكريين عدا وزير الخارجية لأن الجانب المصرى أصر أن تقتصر المحادثات على تنظيم تفصيلات الجلاء فقط .

قطع المباحثات :

وبعد أيام قليلة أعلن الجانب المصرى قطع المباحثات فى مايو سنة ١٩٥٣ بعد أن لمس مراوغة الجانب البريطانى باستغلال مسألة الفنيين اللازمين للقاعدة لجعله وسيلة لجعل الاحتلال البريطانى الغير مشروع لمصر احتلالا شرعيا وأبديا . وأعلن الجانب المصرى أن المفاوضات قطعت نتيجة محاولة الجانب البريطانى العبث بالمبدأ الذى جعلته مصر أساسا للمفاوضات وهو جلاء جنود الاحتلال عن أرض مصر جلاء كاملا دون أى شرط .

وبعد هذا الوقت تصاعدت عمليات المقاومة المسلحة(١) فى منطقة القناة بشكل ظاهر أزعج القوات البريطانية بالقناة والحكومة البريطانية فى لندن . فكان توقف المفاوضات بمثابة النور الأخضر لتحرك عمليات المقاومة والعمليات الفدائية فى منطقة القناة والتى كانت تحت اشراف وقيادة ضباط من المخابرات المصرية .

وأخذت السفارة البريطانية تقدم الاحتجاجات الى الحكومة المصرية وكان رد محمد نجيب أنه سيعمل على حفظ الأمن مع تقديره للشعور الوطنى .

وبلغت الحكومة الأمريكية على لسان سفيرها جيفرسن كافرى الى محمد نجيب أن حوادث الصدام بين الحكومتين المصرية والبريطانية تهدد اضطراب منطقة الشرق الأوسط والتى يهم أمريكا استمرار الهدوء فيها فى هذه الفترة وكان الرد عليه « أن مراوغة الانجليز كانت هى السبب الرئيسى فى قطع المفاوضات وفى عودة حرب العصابات » .

وعرض كافرى وساطة الأمريكان واقترح اشتراكهم فى المفاوضات كطرف ثالث ولكن محمد نجيب رفض هذا الاقتراح — ثم اقترح كافرى وساطة الأمريكان لتقريب وجهات النظر .

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل باب عمليات المقايضة فى القناة من ص ١١٢ . حتى ص ١٤٦ .

التآمر الانجلو أمريكى :

فى هذا الوقت تسربت أخبار الخلافات من داخل (١) مجلس القيادة وأصبحت حديث الكثيرين وبطبيعة الحال وصلت هذه المعلومات الى الانجليز وبدأ تلاعبهم واتصالهم (٢) بالاخوان ٠

وكذلك قام الأمريكان بدور بالغ الخطورة لتسجيع (٣) الفتنة داخل مجلس القيادة نفسه وذلك فى أواخر سنة ١٩٥٣ ٠ فقد اتصل المليونير أحمد عبود (٤) بمحمد رياض قائد حرس محمد نجيب بعد زيارة لعبود للولايات المتحدة الأمريكية وهو يملك عددا من المشروعات الصناعية الكبرى وعلى رأسها مصنع السماد الوحيد بمصر والذى يمد مصر بأكبر جانب من احتياجات البلاد وكان قد حصل على قرض أمريكى كبير لتطوير مشروع الأسمدة ٠ وعبود يمت بصلة القربى لمحمد رياض ٠ وكانت الرسالة تقول أن عبود مفوض من المسئولين الأمريكان لابلاغ نجيب بأن جمال عبد الناصر يتآمر ضده هو وبعض أعضاء مجلس القيادة وأن الأمريكيين مستعدون ليقفوا بجانب اللواء نجيب للتخلص من جمال عبد الناصر ومجلس الثوره وقد حمل محمد نجيب عبود برسالة للأمريكان فحواها « أنا أعرف أنك صديق الأمريكان ولا أسمح لك بمزاولة هذا النشاط مع رفضى البات لهذا العرض وأحذرك بأننى سأصدر أمرا باعتقالك اذا واصلت هذا النشاط » ٠ وكنت نسبه متأكدا أن الأمريكان برفضى سوف يجعلهم يتصلون بنفس الأسلوب بجمال عبد الناصر لتأليبه ضدى ، لأن الأمريكان عاودوا المحاولة عدة مرات أخرى عن طريق بعض الشخصيات العربية ويدعون الى نفس المخطط » وكان الرفض البات وأن نجيب لا يسمح بالاستعانة بالأجنبى على أبناء بلده ولا يستبعد على أجهزة أمريكا السرية أنها لا تيأس بسهولة وتعاود الاتصال بالجانب الآخر (عبد الناصر) ٠

وهذا الحادث له دلالة على أن الأمريكان يبحثون عن منفذ يتسربون به الى عنق السلطة منذ الأيام الأولى للحركة ٠

---

(١) مذكرات محمد نجيب (كلمة للتاريخ) ص ١٥١ ٠

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ١٨٨ ٠

(٣) كلمتى للتاريخ لمحمد نجيب ص ١٥٤ ، ١٥٥ ٠

(٤) ولأحمد عبود سابقة دفع رشوة الى حسين سرى فى عهد الملك فاروق ليتخلص من نجيب الهلالى وحسين سرى كان عضوا دائما فى مجالس ادارات شركات عبود ٠

نشاط المخابرات البريطانية :

وفي الفترة التي شهدت اصرار الجانب (١) المصرى وتشدده في المباحثات حاول الانجليز استخدام قوى أخرى للضغط على رجال الثورة ووقع اختيارهم على الاخوان المسلمين كقوة سياسية لها وزنها في ذلك الوقت بعد صدور قانون حل الأحزاب ففي أثناء المرحلة الأولى من المفاوضات قام مستر جراهام من السفارة البريطانية بالاتصال بالدكتور محمد سالم الموظف في شركة النقل والهندسة وعرض عليه رغبة المستر ايفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية (وهو من رجال المخابرات البريطانية المتستر في أعمالهم تحت ستائر معينة) في الاجتماع ببعض أقطاب الاخوان · وبعرض الأمر على المرشد العام وافق على أن يقوم صالح أبو رقيق بمقابلة ايفانز · وتمت المقابلة في منزل محمد سالم بالمعادى وتحدث مستر ايفانز وعرض استعداد الانجليز للجلاء بشروط أن تكون في مدة معينة وتسلم قاعدة منطقة القناة للمصريين مع الاحتفاظ بخبراء انجليز فيها وحق العودة الى القاعدة في حالة هجوم معاد على أحدى الدول العربية ولم تتعد هذه الشروط ما عرضه الجانب البريطاني في المحادثات مع الجانب المصرى الرسمي سوى في تفاصيل بسيطة ، والغريب في الأمر أن تحاول بريطانيا عن طريق رجال سفارتها في القاهرة وأثناء تفاوضها مع السلطة الشرعية أن تناور وتتصل بقوى أخرى لا تملك سلطة المحادثة أو توقيع القرار ·

وبعد هذه المقابلة تمت المقابلة الثانيه بين المرشد العام للاخوان حسن الهضيبي ومستر ايفانز في منزل الهضيبي وعرض نفس المسألة التي عرضها في الاجتماع الأول ·

وتمت مقابلتان أخريان بين ايفانز (٢) وأبو رقيق ولم يجد فيهما جديد وقام أحد أعضاء الاخوان حسن عشماوى بتكليف من المرشد العام وكان محل ثقة عبد الناصر بابلاغ عبد الناصر عن هذه الاتصالات وأبلغه أن المرشد سوف يتحدث معه في هذا الأمر عند التقائه به ولم يخف الاخوان هذا الاتصال عن قيادة الثورة ولكن الغرابة في ذلك أن الاخوان سمحوا لأنفسهم بهذا الاتصال دوون تفويض من السلطة الشرعية ·

وعقب تبليغ عبد الناصر تم اجتماعه وبعض أعضاء مجلس الثورة مع حسن الهضيبي وصالح أبو رقيق ومنير دله وحسن عشماوى وقدم في

---

(١) مذكرات صلاح نصر ، جزء أول ص ١٨٨ ·

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٨٩ ·

هذا اللقاء حسن الهضيبي تقريرا مكتوبا عن تفاصيل هذه اللقاءات مع مستر ايفانز وحذر عبد الناصر المرشد من خطورة أى اتصالات جانبية مع الانجليز لبحث أية مسائل تتعلق بالقضية الوطنية وقال للهضيبي أن الانجليز سيحاولون الاتصال بالناس كى يأخذوا منهم موافقات ويجابهونى بهذه الموافقات ويحرجونى - وكان عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة على علم باتصالات الاخوان لأنها كانت تبلغ اليهم أولا بأول من أجهزة الدولة .

وثبت من (١) التفاصيل التى ذكرها الهضيبي فى تقريره أن ايفانز ناقش مع الاخوان مسائل تفصيلية لم يصل اليها الوفد البريطانى الا بعد أن عادت المفاوضات الرسمية .

اعلان الجمهورية (١٨ يونيو سنة ١٩٥٣) :

فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣ قرر (٢) مجلس قيادة الثورة اعلان الجمهورية وتضمن القرار تولى اللواء محمد نجيب رئاسة الجمهورية وأن يكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس وبموجب هذا الاعلان احتفظ محمد نجيب بسلطانه السابقة فى ظل الدستور المؤقت على أن يستمر هذا النظام طول فترة الانتقال .

عودة الى توقف المفاوضات :

وحضر نهرو الزعيم الهندى ومعه محمد على جناح رئيس وزراء باكستان الى مصر فى طريق عودتهما من مؤتمر الكومنولث وحضرا احتفال ميلاد الجمهورية وكان ذلك فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٥٣ بعد أسابيع من قطع المفاوضات وعندما شاهد نهرو الشعب المصرى المحتشد فى ميدان الجمهورية وكانت تهدر بالهتاف مؤيدة للثورة قال « ان المفاوضين الانجليز سوف يجبرون على العودة الى مائدة المفاوضات وقبول الجلاء غير المشروط مادامت صلة الجماهير بقيادتها بهذه الصورة الوثيقة .

وحضر فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا الى مصر فى زيارة ضمن عدد من دول المنطقة وقابل اللواء محمد نجيب وقبل المقابلة كان مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا قد أدلى بتصريح يوم وصول دالاس قال فيه « يبدو أن مصر تقبل أن تكون أمريكا طرفا ثالثا فى مباحثات الجلاء » وكان ملخص كلام دالاس هو الافصاح عن اهتمام أمريكا من محاولات روسيا

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٢) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٩٧ .

السيطرة على المنطقة بنشر الشيوعية وحيث أن الشرق الأوسط يمثل جزءا هاما فى النزاع فان أمريكا ترغب فى استكمال حزام الدفاع فى الشرق الأوسط بواسطة الدول العربية بزعامة مصر بالاشتراك مع بريطانيا وأن هذا الموضوع الدفاعى من المسائل التى تعنى بها الحكومة الأمريكية ورد عليه اللواء نجيب « بأن الخطر الشيوعى فى هذه المنطقة هو خطر محتمل ولكن الانجليز يحتلون بلادنا رغم ارادتنا فهم الآن أعداء لنا ولا يمكن التحالف مع أعدائنا وان جلاء الجيوش البريطانية أجمع عليه الشعب المصرى » • ولمح دالاس أن أمريكا تؤيد مصر فى طلب الجلاء بشرط أن ينظم هذا الجلاء حتى تظل القاعدة الحربية البريطانية فى أمان تام وجاهزة لاستخدام العالم الحر فى حالة نشوب حرب • ولمح أيضا بأن الهدوء فى المنطقة يجب أن يسود حتى يعود للاجتماع بالرئيس ايزنهاور ولما سأل محمد نجيب دالاس عن تصريح مستر تشرشل أفاد بأنه أطلع عليه ولكنه لم يعقب • وكل ذلك يدل على قلق الحكومة البريطانية وتؤيدها أمريكا الى الحد الذى تحقق مصالحها مع مصر وذلك من مبادرة مصر بقطع المفاوضات مع انجلترا وتصاعد عمليات الفدائيين بالقنال بما تحدثه من خسائر ضد القاعدة البريطانية فى القناة •

تصاعد المقاومة فى القناة :

فى يوليو سنة ١٩٥٣ قام بعض الفدائيين فى منطقة القناة باختطاف جندى بريطانى وقام الجنرال فستنج قائد القوات البريطانية بانذار الحكومة المصرية « بأنه اذا لم يعد الجندى (١) ريجدن المخطوف فى موعد أقصاه الساعة ٩ من صباح الاثنين ١٣ يوليو سنتخذ اجراءات شديدة من شأنها احداث حالة ذعر خطرة قد تصيب المدنيين فى الاسماعيلية » •

ورفضت حكومة مصر هذا الانذار وأذاعت هذا الرفض — وأحدث كل ذلك ضجة فى مصر وفى الخارج واستعدت مدينة الاسماعيلية استعدادا كاملا للدفاع عن المدينة شعبيا وبأسلوب المقاومة الشعبية المسلحة وتعمد المسئولون عن المقاومة ابراز هذا الاستعداد للانجليز وبشكل واضح تسبب فى احداث توتر للقوات البريطانية القريبة من مدينة الاسماعيلية واحتل الانجليز بعض نقاط على مداخل الاسماعيلية وفتشوا المواطنين المدنيين القادمين ، وتراجع الانجليز عن تنفيذ انذارهم ثم ظهر الجندى المخطوف فجأة فى باريس ثم فى لندن •

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل من ص ١٣٩ الى ١٤١ •

وفي أغسطس سنة ١٩٥٣ خطب جمال عبد الناصر في جموع الشعب في بور سعيد داعيا الى التضحية والكفاح ومن ضمن ما قال (١) : « أن مصر معكم لاجلاء الغاصب حتى يغادر بلادنا أخر جندى أجنبى ولابد من تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال » ٠

وازدادت حوادث المقاومة المنظمه ضد الانجليز ٠

عدوان اسرائيل على العوجة واحتلالها :

مع توقف المفاوضات وتصاعد العمليات الفدائية وتمسك مصر بموقفها من معارضة الاشتراك فى مشاريع الدفاع المشترك المعروضة عليها كتنازل لأجل استئناف المفاوضات قامت اسرائيل فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ بالاعتداء على منطقة العوجة واحتلتها وهى منطقة بجوار الحدود المصرية منزوعة السلاح ومحظور على كل من المصريين والاسرائيليين احتلالها أو القيام بأى عمليات عسكرية فيها وهى مكان محايد تجتمع فيه لجنة الهدنة ويرفع عليها علم الأمم المتحدة ٠ وكان هذا العدوان بمثابة الضغط على مصر بعد قطع مصر المباحثات ٠

تحركات مضادة للثورة :

منذ توقفت المباحثات مع الجانب البريطانى ظهرت تحركات داخلية مناوئة للثورة من بعض السياسيين القدماء وبعض من عملاء الانجليز الذين تخصصوا فى نشر الشائعات والتجسس لحساب الجانب البريطانى وهو نفس أسلوب بريطانيا مع مصر تاريخيا منذ المطالبة بالجلاء والتفاوض من سنة ١٩١٨ ٠ ولذلك حسمت قيادة الثورة الموقف وقامت بتشكيل محكمة الثورة فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ برئاسة قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وعضوية البكباشى أنور السادات وقائد الأسراب حسن ابراهيم وعقدت أولى جلساتها يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٣ وكان من أبرز المتهمين ابراهيم عبد الهادى (رئيس وزراء سابق) وابراهيم فرج (وزير سابق) ومحمود صبرى على (الشهير بصبرى كنج) ، كريم ثابت (المستشار الصحفى لفاروق) ، محمود سليمان غنام (وزير سابق) ، محمد حلمى حسين (من حاشية الملك السابق) ، محمود كامل القاويش (محافظ القاهرة السابق) أحمد عبد الغفار (وزير سابق) ، عباس حليم (من أسرة محمد على) ، فؤاد سراج الدين (وزير سابق) ، محمود أبو الفتح وحسن

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ٢١٥ الى ص ٢٢١ ٠

أبو الفتح (صحفيان) ، قائمقام أحمد شوقى (عضو مجلس ثورة سابق) ٠

عودة الى شخصية محمد نجيب :

كان من أبرز معالم ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ (١) أنها كانت مجموعة من الشباب لم يبلغ أى منهم الأربعين من عمره ولكن كان على رأسهم رجل مكتمل الحنكه فى رتبة اللواء وهى أعلى رتب الجيش حتى سنة ١٩٥٥ ٠ باستثناء حيدر باشا الذى قضى معظم عمره فى وظائف البوليس وكان اختيار محمد نجيب اختيارا موفقا فقد أثبتت الايام بعد ذلك أنه كان يتمتع الى جانب شجاعته الفائقة ونزاهته الكاملة الى جاذبية لا تقاوم فما كاد يقع نظر الشعب عليه وهو يلوح بقبعته العسكرية حتى تعلق به وأصبح منجذبا اليه مشدودا بشخصيته الطيبة وحتى توليه رئاسة الجمهورية ازدادت الجماهير تمسكا به واعجابا بالخطوات الحاسمة التى حققها بفضل قرارات مجلس قيادة الثورة باعتباره قائد هذه الثورة ٠ فقد استطاعت شخصية محمد نجيب كزعيم تتخطى شخصية زعيم مصر وزعيم حزب الاغلبية مصطفى النحاس باشا فكانت بديلا أمام الشعب لهذه الزعامة التى كانت محل قلق لمجلس قيادة الثورة ولذلك وفى بادىء الأمر كان هذا التأييد والانجذاب الشعبى بمحمد نجيب محل سعادة أعضاء مجلس القيادة بصفة عامة وجمال عبد الناصر بصفة خاصة وهو الوحيد الذى يعتبر ندا فى مجال الزعامة والقدرات الزعامية لأن عبد الناصر بالذات من هنا كان يهمه بالمقام الأول التخليص على مكانة حزب الأغلبية (الوفد) بين الجماهير وبخاصة أنه كان مع مجلس قيادة الثورة يحضر لاتخاذ خطوات ثورية اجتماعية وسياسية جماهيرية ستؤثر على مصالح الطبقة القيادية لحزب الوفد وينتظر موقفها العدائى من الثورة ٠

وفى نفس الوقت كان الحب الشعبى الجارف لمحمد نجيب بمثابة شهادة لمجلس الثورة بحسن اختيارهم لنجيب ودليلا على نجاح ثورتهم واستقرارها وعلى أن المنافسة بين الثورة وخصومها قد حسمت لصالح الثورة بهذه الشعبية الضخمة التى ظفر بها محمد نجيب ٠ ولكن لم يكن ممكنا أن يبقى محمد نجيب على رأس قيادة الثورة ٠ فقد كان الفارق فى السن غير قليل بين شباب فى حدود الثلاثين ودون الأربعين وبين محمد نجيب الشيخ فى حدو الخمسين ومشهورا عنه حظه المحدود من الدهاء

---

(١) ٧٢ شهر مع عبد الناصر للأستاذ فتحى رضوان ، ص ١١ الى ص ١٥ ٠

السياسى مع حظه الوفير من الطيبة والصراحة المتناهية والبعد عن الصغائر ولم يكن يتقن المناورة والصراع على المراكز ليستمر على رئاسة الأغلبية أو النضال لأجل السلطة بالاضافة الى أنه من بدء الثورة وحتى بعد توليه رئاسة الجمهورية استغرق فى التنقل بين الجماهير وبين وحدات الجيش وأماكن تجمع دون أن يستقر فى مكتبه ليتابع تطورات الأمور والتعرف على مراكز تمكين السلطة فلم يحسن الاتصال بذوى المكانة أو المؤثرين فى المجتمع المصرى ولم يلتفت الى وضع خطة عمل لحماية الثورة وحماية مركزه كقائد للثورة شعبيا وبذلك لم تكن زعامته ترتكز الى قوة أو أنصار بصفة خاصة فى الجيش يستندونه أو يخيفون أعداءه • وفى نفس الوقت لم يكن يرتكز جماهيريا على تنظيم شعبى قادر على المناورة والتحرك عند اللزوم واكتفى بحب الشعب وهتافه له فكان حتى هذا الوقت شعب الثورة المصرى غير منظم وغير مستعد للنضال والقتال من أجل محمد نجيب • كل ذلك بعكس شخصية جمال عبد الناصر كان يرغب فى التنظيم الدقيق فأخذ ينظم فى أناة وصبر قواعد قادرة على التحرك بين بعض الضباط الأحرار وغيرهم فى مختلف أسلحة الجيش منذ أول يوم للثورة بعد أن اختار لنفسه مركزا هاما وهو مدير مكتب القائد العام وكرس كل وقته للتنظيم داخل الجيش وتفرغ لهذا وللاتصال بجميع خيوط الاتصال مع العناصر المؤثرة فى الدولة سواء من بين عناصر الأحزاب التقليدية أو بين القوى الشعبية وتنظيماتها الوطنية كالاخوان والشيوعيين : الاشتراكيين كما أنه بدقة تخطيطه أمكنه السيطرة على جهاز الدولة الادارى وبالتالى على العمل السياسى الوطنى وأمكنه استغلال قدرات هذا الجهاز الادارى العريق فى مجال التنظيم السياسى بديلا عن الضرورة الحزبية والتى كان قد بدأ تكوينها تحت سيطرته الكاملة على شكل تنظيم هيئة التحرير والذى لم يشغل فيها محمد نجيب أى مركز •

كل ما سبق ذكره يعتبر معالم على طريق الصراع الحتمى والذى قد ينتهى بالغلبة لأحدهما على الآخر كما ستظهره الأحداث والأيام المتتالية على طريق تحقيق أهداف الثورة الهامة •

ومع الشعبية الجارفة لمحمد نجيب الا أن أساس القوة السياسية فى هذا الوقت كان هو رأى أغلبية الجيش وخاصة الشباب منهم الذين عاصروا محمد نجيب فى القوات المسلحة ويعلمون قدرة محمد نجيب المحدودة فى تنظيم وادارة شئون دولة بقيام الثورة رغم شجاعته وأخلاقياته وطيبته التى حببت الشعب فيه بالمقارنة بما يكنه هؤلاء الضباط من تقدير لقدرات جمال عبد الناصر فى هذا الباع والتى كانت قراراته خلف كل خطوات

النجاح التى حققتها الثورة وكلهم يعلمون ذلك رغم خفائها عن الجماهير حتى مع وجود محمد نجيب بشعبيته فى صدارتها .

التصدع داخل المؤسسة الوطنية :

من قبل أن تبدأ مباحثات الجلاء فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٣ ثم توقفها بعد أقل من أسبوع فى مايو سنة ١٩٥٣ كان الجانب البريطانى يتشدد لأمله فى فرض ارادته بعد أن أحس ببوادر تصدع فى الجبهة الداخلية المصرية وهذا هو الموقف التقليدى للسياسة البريطانية فى جميع المباحثات مع المؤسسة الوطنية المصرية منذ ثورة سنة ١٩١٩ وقد كان فعلا فى الساحة السياسية المصرية خلافات :

أولا : الخلافات التى بين جانب من الضباط الأحرار وبين مجلس القيـــادة .

ثانيا : الخلافات التى بدأت معالمها تظهر داخل مجلس القيـــادة نفســـه .

ثالثا : بوادر الخلاف داخل المؤسسة الوطنية نفسها أى بين مجلس القيادة والقوى الوطنية التى كانت معادية لنظام ما قبل الثورة وهو الاخوان المسلمين والشيوعيين الشبان والجانب اليسارى فى حزب الوفد والحزب الاشتراكى والحزب الوطنى الجديد .

مقال مصطفى أمين بالأخبار يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٢ :

كان بين ضباط الثورة اتفاق بالترفع عن المظاهر (١) ورفض الأضواء والدعاية والاكتفاء بقائد الثورة الظاهر محمد نجيب الى أن قام الصحفى مصطفى أمين بنشر مقال بعنوان « سر الضباط التسعة » فى الصفحة الأولى صباح ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٢ بايحاء من جمال عبد الناصر ولم يوقع المقال مصطفى أمين وموجز المقال أن عبد الناصر هو القائد الفعلى للثورة وأن الذين ساعدوه فى ذلك هـــم باقى الضباط جمال سالم (١) وأنــور السادات (٢) ، وعبد الحكيم عامر (٣) ، وعبد اللطيف بغدادى (٤) ، وحسن ابراهيم (٥) ، وصلاح سالم (٦) ، وكمال حسين (٧) وخالد محى الدين (٨) ونشر المقال صورة كبيرة فى الصفحة الأولى لجمال عبد الناصر وصور الثمانية الآخرين فى الصفحة الثالثة ولم ينشر صورة محمد نجيب.

---

(١) كتاب نهاية ثورة يوليو للأستاذ عادل حمودة ومعها صورة المقال ص ٢٤٩ الى ص ٢٥٦ .

ولم يشر المقال الى باق الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة ولا حتى صورة زكريا محى الدين عضو القيادة وتعمد المقال ذكر أن رشاد مهنا ليس منهم ٠

وهذا المقال فجر الخلاف بين باقي الضباط الأحرار ومجلس القيادة وبين محمد نجيب ومجلس القيادة من جانب آخر ٠ وكان من أسباب تصدع العلاقات ٠

الاخـــوان المســـلمون :

بعد الثورة مباشرة فى ٢٣ يوليو أيد الاخوان المسلمون الثورة وخطواتها ورغم تقدير الثورة لدورهم الوطنى والجهادى فى حملة فلسطين وفى مكافحة الاحتلال سنة ١٩٥١ ورغم مجاملة الثورة لهم عند حل الأحزاب كما بينا سابقا واعادة محاكمة المتهمين فى مقتل حسن البنا وعلى رأسهم ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء السابق ٠ فقد كان فى نفوس زعماء الجماعة الكثير من الغيرة لأن الثورة بايجابيتها حققت ما لم تستطعه سلبية الاخوان فى أحداث الثورة ولم يعترف الاخوان بحق الســـيادة لصاحب المبادأه وطالبوا مجلس القيادة صراحة أن تكون لهم الوصاية على أعمال مجلس القيادة ٠ وأن تعرض على مكتبهم القرارات الثورية قبل اصدارها ورفض كل ذلك جمال عبد الناصر فى حزم فتكونت فى نفوسهم جوانب التمرد ٠

ففى صباح يوم صدور قرار حل (١) الأحزاب فى يناير سنة ١٩٥٣ قابل جمال عبد الناصر فى مكتبه ممثلى الاخوان الصاغ صلاح شادى وهو ضابط بوليس والاستاذ منير دله وقال لجمال « أنه بعد حل الأحزاب لم يبق من يؤيد الثورة الا جماعة الاخوان وأنهم يريدون تكوين لجنـة منهم تعرض عليها القوانين قبل صدورها للموافقة عليها حتى يمكنهم الرد على تساؤلات الجماهير وهذا هو السبيل الى تأييد الثورة ورد عليهم جمال بأن قيادة الثورة لا تقبل الوصاية ٠

وفى شهر يونيو سنة ١٩٥٣ ثبت لقيادة الثورة أن نشاط الاخوان تزايد داخل قوات الجيش والبوليس بعمل تنظيمات سرية داخلها بالاضافة الى ما هو أخطر من ذلك بنشاط الاخوان فى وســـط ضباط الصف بالجيش ٠

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ١٢٦ الى ص ١٣٦ ٠

وفى صباح ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ انتهز الطلبة الاخوان فى الجامعة فرصة احتفال الجامعة بذكرى شهداء القنال وأحدثوا شغبا فى صفوف الطلبة ومعهم زعيم ارهابى ايرانى (نواب صفوى) واعتدوا على فريق منظمة الشباب الجامعى استخدم فيه الطلبة الاخوان العصى والكرابيج وأحرقوا سيارة عليها ميكروفون للطلبة وبعد أن هدأت الحال وبدأ حفل ذكرى الشهداء وتبادلوا الهتافات العدائية مع الطلبة الآخرين وأعـادوا الاعتداء على الطلبة بقسوة ٠

ولما كانت البلاد في سبيل التفاوض مع الجانب البريطانى لأجل الجلاء وكانت القلاقل والتصدعات قد ظهرت فى داخل مجلس القيادة نفسه وتصاعد الخلاف بين الضباط الأحرار وقيادة الثورة فان قيادة الثورة وجدت لأجل استقرار الأمن اللازم أن تخمد مثل هذه الفتنة وكان على رأسها تحركات الاخوان فقد أصدرت قيادة الثـورة قرارا بحل جماعة الاخوان فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٤ وبعد حلهم اتسـع نطاق أعمالهم السرية ٠

عودة الى الاخوان :

فى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤ دبر مشاغبون فى أوساط طلبة الجامعة مظاهرات مسلحة خرجت من جامعة القاهرة وساروا قاصدين ميدان الجمهورية ورددوا هتافات عدائية ضد الثورة ولما تصدت لهم قوات الأمن عند كوبرى قصر النيل حدث احتكـاك أطلق على أثره رجال البوليس الرصاص ارهابا عندما حاول المتظاهرون انتزاع أسلحة البوليس وأصيب ثلاثة عشر شخصا ولم تحدث وفيات وتفرق المتظاهرون ولكن جانبا منهم توجه الى فندق سميراميس بجوار الكوبرى وأثاروا فيه الفزع فتبعهم ملازم بوليس لاخراجهم من الفندق فأطلق عليه أحد المتظاهرين عيارا ناريا أصابه أصابة بالغة وقبض فى هذا اليوم على اثنين من جماعة الاخوان المسلمين المنحلة أحدهم وهو يطلق النار فى الشوارع والثانى كان يتزعم مظاهرة أخرى راكبا عربة عليها ميكروفون يردد بواسطتها الهتاف ــ وتقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث القاهرة وعين شمس والاسكندرية وتم القبض على ١١٨ شخصا منهم ٤٦ من زعماء الاخوان ، ٢١ من الحزب الاشتراكى ، ٥ وفديين ، ٤ شيوعيين ، ٤٢ آخرين ٠

وأوقفت الفتنة عند هذا الحد وتبين آن جماعة الاخوان المسلمين هم المدبرون لهذه الفتنة ٠

الخلافات بين جانب من الضباط الأحرار ومجلس قيادة الثورة :

كان الشعور العام بين الضباط الأحرار بعد نجاح الثورة أنهم هم صانعوا الثورة وأن الثورة قامت على أكنافهم وبالتالى كانوا يرون أن لهم الحق فى معرفة ما يدور داخل القيادة من أمور والأسباب الخلفية لكل القرارات الثورية المتلاحقة وكان جمال عبد الناصر يراعى مشاعرهم على الأقل لاستقطابهم لشخصه فسمح بعمل « مؤتمرا أسبوعيا » بين ممثلى الأسلحة من الضباط الأحرار وبينه وكان يناقشهم فى هذه المؤتمرات عن السياسة العامة للثورة والمشكلات التى تواجهها وقد استمرت هذه المؤتمرات مدة طويلة ثم أخذت تتباعد بحكم مشغوليات جمال عبد الناصر المتصاعدة الى أن ألغيت كلية وقد كانت هذه المؤتمرات ومناقشاتها المفتوحة تمتص جانبا من الجوانب الاجتماعية والنقدية من الضباط الأحرار على تصرفات مجلس القيادة بعد أن بدأت المشكلات الناتجة عن تسيير الأمور محل نقاش بينهم داخل التشكيلات المختلفة وذلك بحكم شعورهم بما لهم من حقوق على مجلس القيادة ٠ وأوجد هذا الوضع الغير مألوف فى الحياة العسكرية يتطور الى شكل ظاهرة تنذر بالخطر على الأقل بالنسبة لأوضاع أعضاء مجلس القيادة أنفسهم وبخاصة عندما تطورت المناقشات داخل تكوينات الضباط الأحرار فى الوحدات والتشكيلات العسكرية تتناول أعمال وقرارات وتصرفات مجلس القيادة ككل ويتناول كل من أعضائه كأفراد مما ولد جانبا لا يستهان به من الاستياء وبخاصة عندما توقف اجتماع المؤتمر الأسبوعى وبين ممثليهم وبين جمال عبد الناصر ٠ وقامت مجموعة منهم بتقديم مطالب الى مجلس القيادة تتلخص فى المطالبة بتنظيم الجيش بوحداته وأسلحته فى صورة سياسية وتشكيل جمعية (١) عمومية للضباط الأحرار تعرض عليها القرارات الكبيرة وتمثل أسلحة الجيش فتنتخب القيادة كما طالبوا أن يكون تشكيل مجلس القيادة نفسه يجب أن يقوم عن طريق الانتخابات من بين الضباط الأحرار حتى لا ينفرد عشرة أو أكثر من الصف الأول باصدار القرارات وظهر تياران من هؤلاء الضباط ينادون بضرورة اجراء انتخابات لمجلس قيادة الثورة على أن يشمل أعضاء دائمين وآخرين منتخبين وطالب بعضهم أن يكون مجلس ادارة نادى الضباط هو الممثل المنتخب لحركة ضباط الجيش ٠ وهذه المقترحات أو المطالب كان من شأنها أن يتحول الجيش المحارب الى مؤسسة حكم سياسية كما أن أسلوب الانتخابات أسلوب خطير فى النظام العسكرى

---

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ المستشار طارق البشرى ، ص ٧٨ ٠

والمبنى على طاعة الرئيس لاتسيير الرئيس بواسطة الرتب الأصغر علما بأن القوة السيادية وهى مجلس قيادة الثورة قد قامت بحسم المواجهة مع الأحزاب القديمة وما يتبعها من أصحاب مصالح وسيطرت بسرعة على جهاز الدولة ولم يكن لباقى الضباط الأحرار فضل فى ذلك . فليس لهم حقوق على الأمة وبخاصة بعد أن أخذ مجلس القيادة وضعه السياسى(١) . والسيادى ولكنها كانت فترة التناقضات قبل استقرار الأوضاع .

هذه المطالب والمقترحات المقدمة من الضباط الأحرار أثارت زوبعة داخل المجلس وأحسوا بخطورة ذلك على كيان الأمة وعلى كيانهم بدرجة لا يمكن تجاهلها وبخطورة على مراكزهم أنفسهم وبخاصة أن بعض مقدمى المطالب كانوا يتمتعون بشخصية قوية ولهم شعبية كبيرة بين الضباط الصغار فى أسلحتهم .

وعقد مجلس الثورة اجتماعا عاجلا لبحث هذا الأمر . وتراءى لهم أن ثمة انقلابا على وشك أن يحركه رشاد مهنا لأن الأخبار وصلتهم أن الكلام على رشاد مهنا يتداوله جموع الضباط فى المدفعية وبين بعض ضباط المشـــاة .

ولم يجد مجلس القيادة بدا من القضاء على هذه الحركة فى مهدها وبخاصة أن المهيمنين عليها من الضباط الأحرار .

اعتقال ضباط المدفعية (١٥ يناير سنة ١٩٥٣) :

فقام المجلس باعتقال ضباط من المدفعية يوم ١٥ يناير سنة ١٩٥٣ وعلى رأسهم رشاد مهنا وقليل من ضباط المشاة أودعوا سجن الأجانب .

استقالة يوسف صديق وهو أبرز الثوار :

واحتج على هذا الاعتقال يوسف منصـــور صديق واستقال لعدم الاستجابة لاحتجاجه وقيل لأنه هو الآخر كان يؤيد فكرة الانتخابات .

اعتصام ضباط المدفعية :

وعلى أثر اعتقال ضـــباط المدفعية ورشاد مهنا تجمهر فى ميس المدفعية ما يقرب من خمسمائة من ضباط المشاة والبكباشي النكلاوى من المدرعات وقاموا بالاعتصـــام تضامنا مع ضباط المدفعية وقرر الجميع الاستمرار حتى يطلق سراح زملائهم .

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول من ص ١٣٧ الي ص ١٤٠ .

وقام عبد الناصر بامتصاص سخط ضباط المدفعية بواسطة مجموعة من الضباط الأحرار المؤيدين لموقف مجلس القيادة وذلك حتى لا يستفحل الأمر وأمكنهم فض الاعتصام بعد اقناعهم بخطورة ما قام به زملاؤهم ولكنه كان حاسما مع حركة المشاة والمدرعات وأجرى محاكمة سريعة أمام محكمة مشكلة من مجلس القيادة يوم ١٠ يناير سنة ١٩٥٣ وأصدرت حكمها باعدام كل من الدمنهورى والنكلاوى ولم ينفذ (١) الاعدام لمعارضة باقى الضباط الأحرار وخشية حدوث انقسام داخل مجلس القيادة ٠

محاكمة الضباط المعتقلين (١٩ مارس سنة ١٩٥٣) :

وتم محاكمة قيادة حركة المدفعية أمام محكمة خاصة من مجلس القيادة حكمت بالسجن المؤبد على رشاد مهنا وبالسجن مدد متفاوتة على تسعة من الضباط على تهمة تدبير مؤامرة لاحداث فتنة بين القوات المسلحة والاستيلاء على قيادة الجيش (١) ٠

دور عبد الناصر فى هذا الحدث :

ثبت من وقائع أقوال المتهمين من ضباط المدفعية فى مجلس التحقيق الذى أجرى معهم أن جمال عبد الناصر نفسه كلف محسن عبد الخالق بوضع مشروع (٢) باقتراحات لتنظيم حملة القيادة والسيطرة على الحكم والعلاقات بين الضباط الأحرار ومجلس القيادة وأسلوب مساءلتهم لهم وتخفيض عدد مجلس القيادة الى خمسة ٠ والذى تمخض عن المشروع الذى انزعج منه مجلس القيادة وأحدث زوبعة رغم موافقة عبد الناصر بالذات على وضع المشروع دون علم باقى مجلس القيادة فقد لمح بذلك (٣) جمال سالم أثناء محاكمة ضباط المدفعية أمام مجلس القيادة بأنه كان مشتركا مع ضباط المدفعية فى وضع هذا المشروع ٠

---

(١) واعترض محمد نجيب على حكم الاعدام وبخاصة عندما بلغه أنهم عذبوا حسن الدمنهورى بشكل وحشى لأجل أن يعترف زورا وبالاكراه امام لجنة التحقيق بأنه كان يدبر مؤامرة ضد مجلس القيادة ، مذكرات محمد نجيب ص ٨٧ ، ٨٨ ٠٠

(٢) نهاية ثورة يوليو لعادل حمودة ص ١٠٦ ٠

(٣) نهاية ثورة ٢٣ يوليو ص ١٠٤ ، ١٠٥ لعادل حمودة ٠

الصراع داخل مجلس الثورة :

(أ) دور محمد نجيب :

بعد سيطرة الضباط الأحرار على القيادة العامة للجيش ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حضر محمد نجيب واستلم قيادة المؤسسة الوطنية العسكرية كجزء هام من خطة الانقلاب أو الحركة وكما كان متفقا عليه . وأرادت المؤسسة الوطنية أو تنظيم الأحرار أن يبعد الشبهات عن محمد نجيب وعدم اتصال التنظيم به وبخاصة بعد انتخابه رئيسا لمجلس ادارة نادى ضباط الجيش فأصبح من وقتها الجانب الظاهر والعلنى من حركة التذمر فى أخطر مؤسسة فى الدولة وهى الجيش وجاء الدليل على صواب هذا الاجراء بقطع الصلة بين تنظيم الضباط الأحرار العلنى وبين محمد نجيب . فالمعلومات التى علمها محمد نجيب من وزير الداخلية محمد هاشم يوم ١٨ يوليو عندما قابله فى منزله قبل الثورة بخمسة أيام من أن السلطات المسئولة عرفت أسماء ثمانية من الضباط المتآمرين وهم ضمن اثنى عشر فلم يكن من الكياسة أن يكون محمد نجيب المختار لرئاسة المؤسسة الوطنية الثائرة ويكون له دور فى العمل التنفيذى يوم ٢٣ يوليو الا بعد نجاح التنظيم فى الاستيلاء على القيادة .

ورأس محمد نجيب المؤسسة الوطنية العسكرية وبالتالى كان هو القائد العام للقوات المسلحة وأذيعت جميع بيانات الثورة باسمه وبصفته هذه القيادية عسكريا وسياسيا وأصبح له حق ادارة القوى السيادية فى الدولة رغم أن عبد الناصر كان منذ مرحلة التحضير للثورة هو الرئيس المعترف به من تنظيم الضباط الأحرار من قبل انضمام اللواء محمد نجيب برتبته وسنه الكبير ومنذ انضمام محمد نجيب للتنظيم لم يحسم موضوع رئاسة اللجنة التأسيسية . أما بعد الثورة وبعد تصدره للعمل السياسى والسيادى فقد اعتبره الشعب هو الزعيم الحقيقى للثورة ، ومع مرور الأيام الأولى للثورة ومع تغير الأحداث السريع بما كان يتطلبه الموقف من مواجهات ثورية كثيرا ما كانت تتعارض فيها وجهات النظر بين أفكار شباب التنظيم وبين محمد نجيب .

وكان هذا التعارض مركزا فى شخص جمال عبد الناصر رئيس اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وبالتالى فان شرعية هذه الزعامة لم تحسم واعتبرها الجميع عملية مؤجلة على أساس أن أسلوب العمل واتخاذ القرارات داخل مجلس الثورة كان يتبع الأسلوب الديمقراطى فقد كان فى الأمور العادية كفيلا لازالة أى تناقضات حيث كانت القرارات

تخضـــع للتصـويت بالأغلبيـــة على أن تتحمس الأقلية للقرارات بعد التصـــويت ٠

وتوالت الانجازات الوطنية والاصلاحات الهيكلية بالأسلوب الثورى وواجهت مجلس الثورة كمجموعة شتى الصراعات وبخاصة مع الحركة الحزبية القديمة ومع القوى المتضررة من الثورة كل ذلك بعد قرارات استلزمت مناقشات تمخض عنها كثيرا من اختلاف وجهات النظر ٠

ولكن نظرا للميول القيادية لجمال عبد الناصر وممارسته لها منذ اختياره رئيسا للجنة التأسيسية فقد بدأ دوره القيادى يبرز منذ تبنى مجلس الثورة تحقيق الأهداف الاجتماعية الوطنية لصالح الأغلبية الشعبية ولكنها فى نفس الوقت كانت تمس مصالح الطبقة الحاكمة السابقة بأحزابها وتنظيماتها والتى كانت لاتزال موجودة فى الساحة بامكانياتها التنظيمية والمادية السابقة ، وبالتالى فان مجلس الثورة كان فى شدة الحاجة للسيطرة الحاسمة والسريعة على السلطة التنفيذية فى الدولة واجراءات محكمة وبقيادة ادارية قادرة ومتميزة كانت هذه الصفات متوفرة تماما فى شخصية عبد الناصر وأظهر تفوقه الكامل فى هذا المجـــال التنظيمى والادارى والسياسى وأمكنته السيطرة على أجهزة الادارة والتنفيذ وعلى تعبئة الرأى العام ومقاومة القوى الاجتماعية والسياسية المناهضة للثورة والتربص بما عسى أن يتخذه الانجليز من اجراءات معاكسة للثورة بأســـاليبهم الخاصة ، واعترف له زملاؤه فى مجلس قيـادة الثورة بهذه القدرات فى الوقت الذى كانت فيه مكانة محمد نجيب الشعبية كرمز للزعامة أخذت فى الاستقرار وذلك على ضوء شخصيته الجذابة جماهيريا وســـمعته السابقة وتاريخه النظيف وبخاصة أن الشعب كان منبهرا بجميع القرارات الثورية الحاسمة والجريئة والناجحة والتى كانت تصدر باســم مجلس الثورة الذى يرأسه اللواء محمد نجيب ٠ وفى غيبة من وجود تنظيم شعبى للثورة يساعد فى تسهيل الاجراءات التنفيذية فى وسط الجماهير فقد اكتفى مجلس الثورة بسيطرة عبد الناصر الكاملة على الجهاز الادارى للدولة ٠ وأعطوه تفويضا بذلك ٠

وفى هذه الظروف لم يكن هناك بديل عن الزعامة الفردية والتى تفتقت عنها الحاجة السياسية فى ظروف القصور التنظيمى الحزبى وبذلك ارتفعت هامة الزعامة ٠ وتفتقت الضرورة عن ظهور قدرتين زعاميتين داخل مجلس الثورة ، احداهما هى زعامة محمد نجيب والذى اكتسبها بالدرجة الأولى بفضل المنجزات الأولى للثورة وأما الزعامة الثانية فكانت هى زعامة عبد الناصر المحرك الأول لثورة ٢٣ يوليو والذى استمرت علاقاته الوثيقة بالضباط سواء فى قيادة الثورة أو بين الضباط الأحرار وحتى بين ضباط

الوحدات ونظرا لقدراته الشخصية التى مكنته من السيطرة على جميع الخطوط السيادية فى الدولة سياسيا واداريا والالمام الكامل بالتيارات الخفية فى المجتمع المصرى كل ذلك جعل له التفوق والقدرة على مواجهة كافة المشاكل داخل السلطة التنفيذية والادارية والأهم من كل ذلك أن عبد الناصر (١) منذ نجاح الثورة ومواجهتها لبعض المشاكل قرر أن الثورة لابد أن يحميها الجيش ولذا بدأ فى تكوين خلايا داخل القوات المسلحة كان هو المسئول عنها فى بادىء الأمر ثم انتقلت مسئوليتهم الى عبد الحكيم عامر ولما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما فى أول يونيو سنة ١٩٥٣ أصبح صلاح نصر مسئولا عن هذا التنظيم الذى أصبح قادرا على القضاء على أى فتنة طارئة وبذلك أصبحت فى يد عبد الناصر جميع خيوط السيطرة وتحت كل هذه الظروف نشأ الصراع بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وفى فترة حساسة جدا وهى فترة المباحثات مع الجانب البريطانى لتحقيق الجلاء أثناء المباحثات وبعد توقفها مما جعل لدى الجانب البريطانى الأمل فى امكان فرض ارادته فى المباحثات لصالح السياسة البريطانية ٠

ابعاد عبد المنعم أمين (٢) :

كان لعبد المنعم أمين دور هام يوم الثورة وكان من المتحمسين للثورة بمجرد تكليفه فى وقت متأخر بها وقام بالاتصال بالجانب الأمريكى لتأمين الثورة من التدخل البريطانى ولكنه كان أقدم من القائد الفعلى للثوار عبد الناصر فقد تخرج من الكلية الحربية سنة ١٩٣٤ وعبد الناصر تخرج سنة ١٩٣٨ وانتهز عبد الناصر فرصة قيام حملة اشاعات عليه من ضباط أحرار المدفعية وتناول موضوعه مع مجلس القيادة فى مايو سنة ١٩٥٣ وكان يتزعم الحملة عليه صلاح سالم ولم يمكنهم اقامة أى دليل ضده وقدم استقالته ولم تقبل ثم عرض عليه منصب سفير لمصر فى هولندا وقبله بعد رفض وتم التخلص منه كعضو فى القيادة ٠

عودة الى عمليات الكفاح ضد الاحتلال البريطانى :

– فى نوفمبر سنة ١٩٥٣ قدمت السفارة البريطانية بالقاهرة احتجاجا لحكومة مصر على تزايد عدد الحوادث فى منطقة القناة ٠

---

(١) من مذكرات صلاح نصر ج ١ ص ١٤١ ٠

(٢) ثوار يوليو الوجه الآخر للأستاذ حمدى لطفى ص ١٤١ ، ١٤٢ (من أقوال عبد المنعم أمين)

ـ وفى أواخر نوفمبر سنة ١٩٥٣ حدثت عمليات تخريب ونسف(١) وتدمير فى المراكز الحيوية الحساسة فى داخل معسكرات القناة .

ـ وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ بعد أن تم تحديد الأهداف الحيوية فى جميع معسكرات الجيش البريطانى بالقناة على الخرائط وبعد تجنيد عدد كبير من عمال الجيش البريطانى داخل المعسكرات أمكن للفدائيين فى يوم واحد احداث عملية واسعة للنسف والتدمير لعدد كبير جدا من المنشآت الهامة فى داخل المعسكرات من مخازن ومستودعات الوقود وبعض مخازن الذخيرة ومحولات الكهرباء ولوحات الكهرباء وكان ذلك بفضل أجهزة قنابل زمنية أمكن الحصول عليها بالسرقة من داخل مخازن ذخيرة التل الكبير (أقلام زمنية) مما أحدث هزة عنيفة لجميع المعسكرات البريطانية فى وقت واحد . وعلى أثر ذلك قامت السلطات البريطانية بالاحتجاج المذكور. وكان كل ذلك فى فترة توقف المباحثات وفى نفس الوقت الذى كانت الخلافات على أشدها فى مجلس قيادة الثورة وخاب ظن الانجليز من امكان احداث تصدع داخل أجهزة الثورة .

وفى يناير سنة ١٩٥٤ تصاعدت أعمال المقاومة فى منطقة القناة وبصفة خاصة عمليات اغتيالات وخطف وقتل الجنود الانجليز فصرح وزير خارجية بريطانيا سلوين لويد فى مجلس العمـوم « أنه من المستحيل الوصول الى اتفاق مع مصر مادامت هذه الحوادث مستمرة .

ـ وفى أول فبراير سنة ٩١٥٤ صرح أيضا وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم باختفاء جنود بريطانيين .

ـ وفى مارس سنة ١٩٥٤ تجددت حوادث المقاومة وبخاصة عمليات نسف الأهداف الحيوية فى المعسكرات وقدم السفير البريطانى فى مصر احتجاجا على مصرع ضابط بريطانى كبير واصابة زميل له .

بداية النزاع مع محمد نجيب (٢) :

بينما كان عبد الناصر يحرك الأمور من وراء الكواليس كان نجيب بحكم رئاسته يجول فى البلاد وتستقبله الجماهير استقبال الأبطال وأصبح نجيب بطل الثورة فى أعين الشعب .

وكانت الصحف والاذاعـة تمشيا مع مجريات الأمور تبرز نشاطه وخطبه وأحس عبد الناصر أن زمام الزعامة القادرة على التصرف الثورى

---

(١) مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٣ .
(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ١١٤ الى ص ١٤٧ .

بدأ يفلت من يده وبحكم الدوافع البشرية والنفسية أيده أعضاء مجلس الثورة فى مظهرية هذا الدور بدافع التسابق على مظاهر السلطة الى حد بعيد بل ان بعض أعضاء مجلس الثورة وبالذات صلاح سالم وجمال سالم كانا أكثر عداوة لنجيب من عبد الناصر نفسه لأن عبد الناصر لم يشأ أن يفجر الصراع المحتوم بصورة عنيفة حتى لا تستغل الأحزاب التقليدية وجماعة الاخوان المسلمين والشيوعيين هذه الخلافات فى تهديد أمن الثورة .

ـ وفى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ قام نجيب كرئيس جمهورية برحلة الى بلاد النوبة وكلف مستشاره الصحفى بالاتصال بموظفى الاذاعة والصحف ليقوموا باذاعة ونشر رحلته . واستاء لذلك صلاح سالم وزير الارشاد واعتبر هذا تحديا لاختصاصاته لهذا الاتصال بدون الرجوع اليه واعتبر ذلك تحديا من نجيب له وأخذ يؤلب عليه مجلس قيادة الثورة .

ـ وفى آخر نوفمبر قرر عبد الناصر السفر مع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم للاسكندرية بالقطار لحضور مؤتمر شعبى ـ ولما علم عبد الناصر أن محمد نجيب قرر السفر معهم بالقطار استقر رأيه هو واخوانه السفر بالسيارات وترك نجيب يسافر وحده بالقطار .

وفى الاسكندرية لم يستقبل محمد نجيب بنفس الحفاوة التى كان يستقبل بها من قبل وفى أثناء المؤتمر تناوله عبد الناصر فى كلمته بالتلميح فناشد الحاضرين « الا ينخدع الشعب وراء أى منافق أو مخادع » .

وفهم نجيب أنه هو المقصود بذلك وكان هذا من ضمن بداية الصراع الخفى بين نجيب وعبد الناصر .

ـ كان المجلس يجتمع فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وكان عبد الناصر يجتمع قبل الجلسة مع أعضاء مجلس الثورة وحدهم دون محمد نجيب ليتفقوا على القرارات وعند الاجتماع الرسمى مع محمد نجيب كان يفاجأ بتكتل المجلس ضد آرائه .

ـ وفى اجتماع مجلس الثورة فى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٥٣ أثار أعضاء المجلس مع نجيب ما يسىء الى نجيب وأخذوا يحاسبونه حسابا عسيرا ووجه اليه جمال سالم نقدا مريرا وطلبوا منه التخلص من بعض المحيطين به بدعوى أنهم يسيئون للثورة وحددوا له أسماء معينة وأصر نجيب على رفض تنفيذ هذا الاقتراح لأنهم لم يرتكبوا أى أخطاء . وتطاول

عليه معظم الحاضرين وطالبهم بألا يجعلوا منه دمية تضحك عليها الناس واستمر الحال على ذلك حتى شهر يناير سنة ١٩٥٤ بعد الاجراءات الحاسمة التى اتخذها مجلس قيادة الثورة فى حل جماعة الاخوان المسلمين فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٤ والذى شمل اعتقال مرشدهم حسن الهضيبى وأعضاء القسم الخاص وحوالى خمسمائة عضو وشمل القرار أيضا فصل الطلبة والموظفين واحالة ضباط الشرطة الاخوان للتقاعد وكان عبد الناصر قد أعلن فى مجلس الثورة أنه لا يستطيع التعاون مع نجيب وأنه قرر التنحى عن مجلس الثورة والعودة للثكنات وكان كل ذلك على سبيل المناورة لأن جانبا من أعضاء مجلس الثورة عارضوه فى ذلك بحجة أن البلاد كانت تمر بظروف عصيبة فى الداخل والخارج وبخاصة أن مسألتى الجلاء وتقرير المصير فى السودان لم يكن قد تحقق منها أى شيء بعد .

استقالة محمد نجيب (٢٤ فبراير سنة ١٩٥٤) :

وفى يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٤ ذهب محمد نجيب الى مبنى مجلس الثورة بالجزيرة لحضور الاجتماع وكان من المعتاد أن يحضر جميع أعضاء مجلس القيادة الى حجرة محمد نجيب قبل انعقاد الجلسة ويتوجهوا جميعا الى قاعة الجلسة .

وفى هذا اليوم طال انتظار محمد نجيب فى غرفته ليحضروا كالمعتاد ولكنه عندما استفسر على سبب تأخرهم قيل أنهم مجتمعون فعلا دونه وشعر بالاهانة وآثر مغادرة مبنى المجلس احتراما لنفسه وتكرر هذا التصرف .

وأخيرا قرر مجلس الثورة حسم الموقف بأسلوب مخفف تحاشيا من ردود فعل تنحية نجيب وهو فى قمة شعبيته فأرسل مجلس قيادة الثورة وفدا منهم الى محمد نجيب لاقناعه بمنصب رئيس الجمهورية فقط على أن يتولى عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء ورفض نجيب ذلك .

فى جلسة اجتماع مجلس الثورة يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤ والذى لم يحضره نجيب أرسل نجيب مظروفا مع سكرتيره اسماعيل فريد باسم كمال حسين سكرتير المجلس وسرى للغاية وشخصى ولما فضه كان به استقالة محمد نجيب من جميع المناصب والسلطات المخولة له مؤكدا أن مصلحة الوطن أملت عليه ذلك لأسباب لم يذكرها الى حين .

واجتمع مجلس الثـــورة للنظر فى أمـر هذه الاستقالة وانقســم الرأى الى فريق على رأسه جمال عبد الناصر رأى قبول استقالة محمد نجيب وفريق آخر مع جمال وصلاح سالم رأى اقالة محمد نجيب واعلان ذلك للشعب ٠

أما خالد محى الدين فقد اعترض على تنحية محمد نجيب بأى شكل لأن ذلك سوف يؤدى الى تمرد فى الجيش ٠

وكان خالد (١) من مدة سابقة وبوصفه ضابط مخابرات ســـلاح الفرسان وفى غفلة من قيادة حسين الشافعى للسلاح قد أمكن أن يبث فى عقول الضباط مناقشـــات عن الديمقراطية وأن مجلس الثورة متجه نحو الديكتاتورية وتشبعت نفوس الضباط بالنفور من مجلس الثورة والتفوا حول خالد محى الدين فلما ظهر الصراع بين نجيب وباقى أعضاء المجلس انضم خالد الى جانب نجيب لأن نجيب منذ بداية الصراع مع مجلس الثورة أخذ ينادى بالديمقراطية وضرورة ابعاد الجيش عن الحكم بينما كان فى بادىء الثورة يهاجم الأحزاب ٠

واستقر الرأى على قبول استقالة محمد نجيب وبعد عرض المشكلة على بعض الضباط الأحرار وفى صباح يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤ نشرت الصحف القرار ٠

قرار بالاجماع (قبول استقالة محمد نجيب ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٣)

اليوم قرر مجلس قيادة الثورة بالاجماع على ما يلى :ــ

أولا : قبول اســـتقالة اللواء أركانحرب محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها ٠

ثانيا : يســتمر مجلس الثـــورة بقيـــادة البكبـاشى أركانحرب جمال عبد الناصر فى تولى كافة سلطاته الحالية الى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو جلاء المستعمر عن أرض الوطن ٠

ثالثا : تعيين البكباشى أركانحرب جمال عبد الناصر رئيسا لمجلس الوزراء ٠ ونعود فنكرر أن هذه الثورة ستستمر حريصة على مثلها العليا مهما أحاطت بها من عقبات وصعاب والله كفيل برعايتها انه نعم المولى ونعم النصير والله ولى التوفيق ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر ج أول ص ١٤٨ ٠

وقد واصل مجلس الثورة اجتماعة بعد اصدار هذا البيان وظل منصب رئيس الجمهورية شاغرا ٠

اعتصام ضباط الفرسان :

وقام الضباط الأحرار وباق الضباط بسلاح الفرسان بالاعتصام وقرروا عقد اجتماع لضباط الفرسان يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤ وطلبوا حضور حسين الشافعى لمناقشته فى موضوع استقالة نجيب وتوجه عبد الناصر بنفسه الى سلاح الفرسان وسمع من المجتمعين نقدا لاذعا وركزوا مناقشتهم حول الديمقراطية ورفضوا ديمقراطية الصفوة التى ذكرها عبد الناصر أنها هى المتبعة داخل مجلس الثورة ٠

وقام ضباط الفرسان بنقد تصرفات أعضاء مجلس الثورة وبخاصة عصبية جمال سالم واعتدائه بالضرب على بعض الضباط وكذلك تصرفات صلاح سالم وترقية عبد الحكيم عامر من صاغ الى رتبة لواء مرة واحدة ٠ وطالبوا بعودة محمد نجيب كرئيس جمهورية واستعجال صدور الدستور وطلبوا الرد من جمال عبد الناصر فغادر السلاح الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة واجتمع مع مجلس الثورة وطال الاجتماع ولخص عبد الناصر للمجلس (١) مادار فى اجتماع سلاح الفرسان وأن مطالبهم هى عودة محمد نجيب كرئيس لجمهورية برلمانية واستعجال مجلس الثورة للجنة الدستور كى تنتهى من وضع الدستور الجديد ٠

وفى أثناء اجتماع مجلس الثورة وصلت الأخبار أن ضباط الفرسان المعتصمين كانوا فى انتظار رد عبد الناصر على مطالبهم ولكنهم احتسابا لأى مفاجآت أمروا وحداتهم بالاستعداد للتحرك وأن الموقف كاد ينفجر داخل سلاح الفرسان ٠

ـ وفى حوالى الساعة الواحدة صباح يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٣ أعلن مجلس الثورة أنه قرر عودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية وتعيين خالد محى الدين رئيسا للوزراء وعودة رجال الثورة الى ثكناتهم ٠

ـ وحدث على أثر ذلك هرج ومرج بين الضباط الأحرار المنتشرين فى المبنى وكلهم يعارض هذا القرار الذى فيه معنى تسليم مقاليد الحكم الى محمد نجيب وخالد محى الدين ٠ وكلف مجلس الثورة خالد محى الدين بالتوجه الى منزل محمد نجيب لابلاغه قرار المجلس وأوفد معه ثلاثة من الضباط الأحرار ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر ص ١٥١ ، ص ١٥٢ ٠

وكان الاجهاد قد حل باعضاء القيادة وتدهورت معنوياتهم وقبل أن يتم تدهور الموقف بالكامل قام صلاح نصر فى هدوء الى غرفة منعزلة وبصفته مديرا لمكتب القائد العام المسئول عن التنظيم المشكل من بعض الوحدات لحماية الثورة وقام بالاتصال بقائد الكتيبة ١٣ الموالية تماما لمجلس الثورة وهى كتيبة صلاح نصر والتى اشتركت فى تنفيذ الثورة يوم ٢٣ يوليو وأمر قائدها بالتحرك بالكتيبة لمحاصرة مبنى الفرسان عند بوابات شارع الخليفة المأمون والعباسية وكلف الصاغ سعد زايد بتحريك وحدات المدفعية المضادة للدبابات لقفل البوابات والمنافذ التى تخرج منها الدبابات واتصل بعلى صبرى فى سلاح الطيران وطلب منه أن تخرج طلعة جوية فوق سلاح الفرسان دون أى اشتباك . وتحركت كل هذه القوات بسرعة وسيطرت على الموقف - وسرعان ما سمعت أصوات أزيز الطائرات وبسرعة استسلم ضباط الفرسان وسط ذهول الجميع وتغير الموقف تماما وفى هذا الوقت كان خالد محيى الدين قد عاد بعد أن أبلغ محمد نجيب بقرار مجلس الثورة ولم يتم اتخاذ أى اجراءات مع ضباط الفرسان .

وبعد أن تحول الموقف كلية لصالح مجلس الثورة تم نقل محمد نجيب الى ميس المدفعية بألماظة حتى لا يناله سوء من الضباط الأحرار الغير موافقين على تصفية الثورة ، والى هنا وقد كان الارهاق الشديد قد حل بأعضاء القيادة دون أن يصلوا الى قرار بعد تغير الموقف وانفض الاجتماع طلبا للراحة ثم استؤنف الاجتماع فى الصباح .

تفويض عبد الناصر سلطة اتخاذ القرار (١) :

وقبل أن ينفض المجلس طلب عبد الناصر من أعضاء المجلس تفويضه سلطة اتخاذ القرار بما تقتضيه الظروف بعد ذلك وبهذا التفويض سيطر عبد الناصر على كل خيوط الحكم والسلطة فى البلاد من هذا الوقت بهذا التفويض .

الضغط الشعبى (٢) :

وفى الصباح المبكر كانت قد تسربت الأخبار وقامت مجموعات ليست قليلة من الشعب بالتجمع والتظاهر احتجاجا على عزل محمد نجيب ومطالبة بعودته ومع مرور الوقت تزايد عددها وأخذت تنادى بالهتافات العدائية لمجلس الثورة ، وعندما رأوا صلاح سالم فى سيارة عائدا

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ١٤٠ .

(٢) مذكرات صلاح نصر ج ١ أول ص ١٥٧ .

الى اجتماع مجلس الثورة اعتدوا على عربته وكادت تتصاعد الأمور وعاد صلاح لينقل هذه الصورة بأن الشعب لا يريد الا نجيب وأن مجلس الثورة مكروه من الشعب وأخذ ينادى بضرورة عودة محمد نجيب واصدار القرار بذلك ، وثبت لأعضاء المجلس أن نجيب لازال يحظى بشعبية قادرة على الضغط لمصلحته خاصة وأن فلول الأحزاب المنحلة وجماعة الاخوان المنرنحة ومعها التنظيمات الشيوعية المتحفزة سوف لا يتركون هذه الفرصة دون استغلال للتخليص على الثورة وكانت نداءات المظاهرات التى ظهرت فجأة ودون انتظار وبهذا الشكل العدائى نذير خطر فى الأفق ٠

عودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية (٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤) :

واجتمع مجلس الثورة فى الصباح وقرر عودة محمد نجيب ليتولى رئاسة الجمهورية البرلمانية وأوفد خالد محى الدين لتبليغه بذلك وفى بادىء الأمر رفض نجيب أن تكون الجمهورية برلمانية حتى لا تتكرر « دمية بلا سلطة » ثم عاد ووافق على قرار مجلس الثورة ٠

وقبل عودة محمد نجيب الى رئاسة الجمهورية أذاع مجلس الثورة البيان الموجز الآتى :ـــ

« حفظا لوحدة الأمة يعلن مجلس الثورة عودة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيسا للجمهورية المصرية وقد وافق سيادته على ذلك » ٠

وفى الصباح خرجت الصحف كلها ونشرت القرار وذكرت أن مجلس الثورة دعا محمد نجيب الى تولى منصب رئيس جمهورية برلمانية ٠

استقالة خالد محيى الدين :

قرر مجلس الثورة أيضا أنه مادام محمد نجيب قد عاد لرئاسة الجمهورية فيتحتم أن يقدم خالد استقالته فقدمها وتقرر فى نفس الوقت سفره خارج البلاد وقضى على التمرد فى سلاح الفرسان وتوقفت المظاهرات وهدأت الحال ولكن النفوس كانت مشحونة لتفجير الصراع فى أى وقت مع الاحتمال المؤكد بأن القوى السياسية القديمة ستنتهز الفرصة التى لا تتكرر بالخلاف الحاد بين محمد نجيب الزعيم الشعبى وبين مجلس الثورة الذى اضطر تحت شعبية محمد نجيب للتراجع فى أخطر قراراته وهو عزل محمد نجيب ٠

واحس عبد الناصر بهذا التربص ولذا حصل على (١) تفويض زملائه بالتصرف المتفرد وكان مقتنعا تماما أنه ليس هناك قوة تستطيع ضرب هذه القوى المتربصة سوى القوات المسلحة والتى أثبتت دورها الحاسم فى فض اعتصام وتمرد سلاح الفرسان ٠

فعندما أصدر مجلس الثورة قراره مساء يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٤ بعودة محمد نجيب بنى قراره على أساس ثلاث اعتبارات ٠

أولا : أن يكون نظـــام الحكم فى مصر على أســـاس جمهورية برلمانيـــة ٠

ثانيا : اجراء انتخابات لاعادة الحياة النيابية فى مدة أقصاها فترة الانتقال التى تنتهى فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٦ (لمدة ثلاث سنوات) ٠

ثالثا : تشكيل جمعية تأسيسية تمثل قوى الشعب المختلفة وتقوم بمهمة البرلمان المؤقت لتراجع نصوص الدستور بعد وضعه ٠

الموقف على الساحة المصرية بعد عودة محمد نجيب :

لقد تم عزل محمد نجيب وعودته تحت ضغط شعبى متأثرا بشخصية نجيب فقط والتى لا ترتكز الى تنظيم شعبى صلب مستعد للتضحية من أجله أو من أجل ما ينادى به رغم أنه تبنى فى هذه الأزمة هو وضباط الفرسان والمدفعية المؤيدون له قضية الديمقراطية والتى كانت الكارث الرابح وقتها والذى اتقنت الأحزاب القديمة اللعب به ولازالت حتى بعد حلها ٠ وثبت أن شخصية نجيب وحـــدها كان لها الفضل فى الضغط الجماهيرى الغير منظم ٠

ـ فى نفس الوقت كان مجلس الثورة قد أقام تنظيم هيئة التحرير بأسلوب السلطة الفوقية وكان حتى هذا الوقت لا يعتمد عليها لمساندة مجلس الثورة لأن كل المنتمين اليه كانوا يتطلعون للوصول للسلطة عن طريقه ولم تكن عضويته عن ايمان وعقيدة راسخة ولكن فى نفس الوقت كان عبد الناصر بالذات له قواعد بين ضباط الجيش نظمها منذ أول يوم بعد نجاح الثورة ومن موقعه كمدير مكتب القائد العام وبعد أن ترك هذا المكتب لعبد الحكيم عامر وظل بذلك على اتصال مستمر بهؤلاء الضباط فى مختلف الأسلحة عن طريق هذا المكتب الذى أداره صلاح نصر وأصبح هذا التنظيم هو القوة المؤثرة فى قمة السلطة ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٨ ٠

القوى السياسية فى مواجهة مجلس الثورة (١) :

ونظرا لسيطرة جمال عبد الناصر على الجهاز الادارى للدولة سيطرة كاملة فقد كان ملما تماما بجميع القوى المحتمل تحركها ضـــد الثورة للاجهاز عليها وقت اللزوم وقد كانت : —

أولا : الشيوعيون :

وكانوا منظمين تنظيما جيدا رغم قلة عددهم وزاد من قوتهم تحالفهم مع الاخوان المسلمين وكانوا تعرفوا على بعضهم فى المعتقلات والسجون ، وكانوا حتى هذا التاريخ يؤيدون موقف نجيب فى الأزمة دون الاتفاق معـــه .

ثانيا : جماعة الاخوان المسلمين وكان قد صـدر قرار من مجلس الثورة بحلها فى ٢٤ يناير سنة ١٩٥٤ وكان عبد الناصر على علم بتحركهم التنظيمى بين ضباط الجيش والبوليس وحذرهم من ذلك كما أنهم سبق وساوموه عنـد حل الأحزاب على أن يكون للاخـوان الحق فى مراجعـة قرارات مجلس الثورة ورفض ذلك عبد الناصر متمسكا بمبدأ عدم خضوع الثورة لأية وصاية وكانوا يؤيدون حتى هذا التاريخ موقف نجيب من الأزمة الأخـــيرة .

ثالثا : الأحزاب التقليدية التى أصدر مجلس الثورة قرارا بحلها فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ وتضم **حزب الوفد** والذى كان يمثل الأغلبية وأحزاب الأقلية الأخرى مثل **الحزب الوطنى** والسعديين والكتلة .

وبالمنطق فان هذه الأحزاب كانت بعد قرار الحل لا تحمل أى ود للثورة متمثلة فى مجلس الثورة وحيث أن الظروف خدمت هذه الأحزاب فقد تبنى الضباط المتمردون ومعهم محمد نجيب شعار عودة الديمقراطية والحياة البرلمانية والدستور وهذه كانت لعبتهم التقليدية منذ اعلان دستور سنة ١٩٢٣ واعتبروا العمل الوطنى منذ هذا التاريخ هو لعبة شعارها الديمقراطية وقد لعبوها على حساب قضية التحرر والاستقلال والتعاون مع بريطانيا والقصر . وقد كان هـذا هو الشبح الرئيسى لثورة وثوار ٢٣ يوليو وفى هذا الوقت وفى هذا التاريخ كانت الظروف حرجة جدا حيث كانت مباحثات الجلاء متوقفة وأسعد الجانب البريطانى جدا هذه الخلافات وكان على الجانب الوطنى ضرورة ملحة هى حسم الموقف بالتأكيد على وحدة الأمة لأن مصر كانت منذ ثورة سنة ١٩١٩ قد قاست من هذه الفرقة التاريخية التى أنهت ثورة سنة ١٩١٩ لصالح الاحتلال البريطانى والذى استمر جاثما على مصر زهاء ٧٠ سنة .

---

(١) مذكرات صلاح نصر ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٧ .

مجلس الثــــورة :

أصبح فيه تياران (أ) **تيار على رأسه** محمد نجيب رئيس الجمهوريه البرلمانية والذى يرأس ولا يحكم ورئيس مجلس الثورة الذى لا يملك أغلبية الأصوات وبيده خيوط القوة وبالتالى فالقرار لم يكن فى يد محمد نجيب رغم تمتعه بالتأييد الشعبى بدون حدود وتأييد الأحزاب القديمة والقوى السياسية الجديدة المعـــادية هى الأخرى للثورة وبصفته رئيس مجلس الثورة كان مضطرا للأخذ بقرارات مجلس الثورة والتى لا يتمتع فيها بأصوات الأغلبية خصوصا ولو كان يعارضها ·

(ب) **أما التيار الآخر** فكان عبد الناصر وهى القوة المقابلة لقوة محمد نجيب وكان يتمتع بأغلبية داخل مجلس الثورة والتى لها حق تعيين واقالة رئيس الجمهورية حتى ان كان رئيس مجلس الثورة كما كان المسيطر على جميع وحدات الجيش بصرف النظر عن وجود ضباط أحرار على قمته وكثيرا من الضباط الموالين له شخصيا ومن غير الضباط الأحرار ويمكنه بهذا التنظيم أن يحول الموقف الســـيادى بالكامل فى الوقت المناسب لصـــالحه ·

أما الموقف الوطنى فكان فى انتظار الزعيم الأكفأ اداريا وسياسيا والذى يمكنه تصفية جميــع المعوقات وبأسرع ما يمكن ليتفرغ لمواجهــة الجانب البريطانى للحصول منه على الاستقلال والجلاء والحرية المنشودة منذ ثورة ١٩١٩ فى ظروف تكون مواتية للجانب المصرى ·

سير الأحداث التى حســمت الموقف :

رغم توقف المباحثات بين الجانبين المصرى والبريطانى منذ ٧ مايو سنة ١٩٥٣ ورغم الخلافات الحادة فى قمة السلطة الحاكمة المصرية ورغم تلاعب الأحزاب المنحلة بالموقف الداخلى لصالحها وبشكل يضر بالقضية الوطنية ويجدد الأمل لدى الجانب البريطانى ، حتى هذا التاريخ ، فان المقاومة المسلحة المنظمة ضد الجيش البريطانى فى القنـــال وقد ازدادت عنفـــا ·

٢ ـ عودة الى المقاومة فى معسكرات جيش الاحتلال (١) :

تصاعدت المقاومة بشكل أعنف فى جميع مناطق الاحتلال البريطانى فى القنال فقد ازدادت عمليات اغتيال الضباط والجنود وخطف الجنود وقتلهم وكذلك اتسعت عمليات توزيع المنشورات داخل مكاتب القيادات

---

(١) مذكرات عبد الفتاح ابو الفضل · ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ·

البريطانية وفى منازل عائلات الضباط كما صار التوسع فى عمليات نسف وحرق وتدمير المراكز الحيوية فى المعسكرات البريطانية . وتعطيل المولدات الكهربائية ونسف وتدمير محطات مياه الشرب واقتناص العربات التى تنقل الجنود والضباط على الطرق العمومية بين المدن الرئيسية فى القناة .

عودة الى سير الأحداث :

فى أول مارس سنة ١٩٥٤ وصل اللواء محمد نجيب الى الخرطوم لحضور حفل افتتاح البرلمان السودانى (١) ودبر أنصار الانفصال مؤامرة واسعة عند نزول محمد نجيب بالمطار بغرض اظهار الروح العدائية لمصر حتى باغتيال محمد نجيب ، ووقع اشتباك دموى عنيف بين أنصار عبد الرحمن المهدى وقوات البوليس السودانى أسفر عن مقتل ٣٠ شخصا واصابة ١١٧ بجراح وكان بين القتلى مدير البوليس الانجليزى وحكمدار المدينة السودانى وكان رئيس الوزراء السودانى وقتها هو اسماعيل الأزهرى وظهر من التحقيق أن المدبرين الرئيسيين كانوا كلهم من أنصار عبد الرحمن المهدى وحكم بالسجن على أغلبهم وكان من المتهمين رئيس تحرير جريدة الأمة لتحريضه على الفتنة وصحفى آخر من أتباع المهدى وعلى عدد من جماعة الأنصار التابعة لحزب الأمة وكانت هذه المؤامرة بغرض القضاء على فكرة الوحدة مع مصر .

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث كان لها تأثير بالغ السوء على القيادة المصرية التى كان أملها كبير فى اتمام الوحدة مع السودان . كما أن الخلافات الداخلية فى مصر هى التى شجعت على أحداث مثل هذه الأحداث الدامية فى السودان .

فى يوم ٤ مارس سنة ١٩٥٤ :

أصدر مجلس الثورة برئاسة محمد نجيب قرارات فيها معنى التنازلات الثورية وبأسلوب طبيعى تمشيا مع الأحداث الأخيرة لمحاولة امتصاص الاستياء الشعبى من مجلس الثورة وفى نفس الوقت تفويتا للفرصة على محمد نجيب والذى يحمل شعار الديمقراطية وكانت هذه القرارات هى :—

أولا : اتخاذ الاجراءات الفورية لعقد جمعية تأسيسية تنتخب عن طريق الاقتراع العام المباشر وتجتمع خلال شهر يوليو سنة ١٩٥٤ على أن تتولى المهام الآتية : —

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ١٤٤ .

أولا :

(أ) أن تناقش مشروع الدستور الجديد ونقره ٠

(ب) أن تقوم بمهمة البرلمان المؤقت الى أن يتم عقد البرلمان الجديد وفقا لأحكام الدستور الذى نقرره الجمعية التأسيسية ٠

ثانيا : الغاء الأحكام العرفية قبل اجراء الانتخابات بما لا يقل عن شهر ٠

ثالثا : الغاء الرقابة على الصحف والنشر ابتداء من مارس سنة ١٩٥٤ فيما عدا الشئون الخاصة بالدفاع الوطنى ٠

فى يوم السابع من مارس سنة ١٩٥٣ :

قرر مجلس الثورة الافراج عن المعتقلين (١) وتم الافراج عن بعض الضباط الأحرار الذى حكم عليهم بالسجن فى قضية مؤامرة المدفعية وصدر عفو صحى عن ابراهيم عبد الهادى وسمح لفؤاد سراج الدين بالعلاج فى مستشفى مجدى بالدقى ، وأعلن أنه سيعاد النظر فى أحكام محكمة الثورة وأن الذين لم يحاكموا أمامها لن يقدموا للمحاكمة ٠

فى يوم ٨ مارس سنة ١٩٥٤ :

فى الاجتماع المشترك بين مجلس الثورة ومجلس الوزراء تقرر أن تعود جميع الأوضاع الى ما كانت عليه قبل استقالة محمد نجيب وأسند الى محمد نجيب قيادة مجلس الثورة ورئاسة مجلس الوزراء بالاضافة الى رئاسته للجمهورية واعتبرت القوى المعادية للثورة أن هذا القرار بمثابة الاستسلام من مجلس قيادة الثورة الى مطالب ونداءات محمد نجيب بعودة الحياة النيابية وعودة الضباط الى الثكنات ٠

ـ أخذ بعض رجال الثورة ورجال الأحزاب القديمة ورجال القانون يديرون مناقشات قانونية على صفحات الجرائد حول مستقبل الحياة الحزبية فى مصر رغم أن غالبية أعضاء مجلس الثورة كانوا يؤمنون بأن الحياة الحزبية القديمة كانت وبالا على مصر ٠ وكان هذا هو سر غرابة هذه الحملة ٠

ـ قامت القوى المعادية للثورة علنا وصراحة برفع شعارات عودة الجيش الى الثكنات واعادة الحياة النيابية وتأليف وزارة مدنية مكان وزارة الثورة وانتشرت حملات التشكيك فى نوايا الثورة ٠

---

(١) صلاح نصر ص ١٦٦ ٠

فى ٢٠ مارس سنة ١٩٥٤ :

أعلن فى الصحف أن الثورة تعمل على اعداد مشروع برنامج حزب جديد يتكلم باسم مجلس الثورة ٠

فى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ :

أصدر محمد نجيب بيانا فى جريدة الأخبار أعلن فيه أنه ليس فى نيته انشاء حزب جديد ٠

قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ :

ـ فى يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ أصدر مجلس الثورة باسم محمد نجيب وبعد تدبيرات ومقابلات سابقة بين الكواليس وخارج الاجتماع قرارات مفاجئة فيها كثير من التظاهر بالتنازلات للقوى المعادية للثورة :

١ ـ السماح بقيام الأحزاب ٠

٢ ـ لا يؤلف مجلس الثورة حزبا

٣ ـ لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا تؤثر على حرية الانتخابات ٠

٤ ـ حل مجلس الثورة اعتبارا من يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ وتسلم البلاد الى ممثلى الأمة ٠

٥ ـ تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا حرا مباشرا ويكون لها السيادة الكاملة والسلطة الكاملة ويكون لها سلطة البرلمان كاملة وتكون الانتخابات حرة ٠

٦ ـ تقوم الجمعية التأسيسية بانتخاب رئيس للجمهورية بمجرد انعقادها ٠

معنى قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ :

وكان معنى هذه القرارات بوضوح كامل أنها اذا نفذت تماما تكون تصفية للثورة والمجلس الثورة لأن حل مجلس الثورة وعودة الأحزاب للساحة السياسية المصرية بكل مواصفاتها وممارساتها السابقة على ٢٣ يوليو والتى تسببت فى كل الفساد التى قامت من أجله الثورة وقبل ان تتمكن قيادة الثورة حتى من تحقيق الجلاء واحداث التغييرات الاجتماعية والسياسية التى كان من الضرورى استبعاد وتنحية أصحاب المصالح

الفاسدة كما أن هذه القرارات كانت سيؤدى الى اقامة دستور جديد على نفس نمط الدساتير السابقة على الثورة والتى أدت الى فساد الحياة السياسية والاجتماعية فى البلاد ٠

وقد انخدعت القوى المضادة للثورة بهذه القرارات وتبدى لها أن مجلس الثورة جاد فى الخضوع لها تحت ظروف صراعها مع الرئيس نجيب وافترضت أن مجلس الثورة من السذاجة بحيث يسلم بهذا الأسلوب المتخاذل لمطالب نجيب من مؤيديه من عسكريين ومدنيين حزبيين وفاتهم الدروس القريبة التى أعطاها مجلس الثورة فى تصرفاتهم الحاسمة فى الاستيلاء على السلطة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والتخلص من الملك يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ وقد كانت جميع القوى السياسية القديمة من رجال أحزاب تقليدية على رأسها الوفد والقوى الجديدة من شيوعيين واشتراكيين واخوان مسلمين تقف مذهولة وغير مصدقة لأسلوب التدبير والتنفيذ الثورى لمجلس الثورة والذى بالتأكيد كان يتظاهر فى قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ بغير ما يبطن فى مواجهة اللعبة التقليدية التى لعبتها الأحزاب السابقة لمدة سبعين عاما بغرض تثبيت شخصياتهم فى حكم مصر دون تحقيق جلاء أو استقلال ٠

فى نفس يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ :

قام عبد الناصر بمحاولة لمهادنة الاخوان (١) المسلمين وأرسل وفدا برئاسة وزير الارشاد فتحى رضوان للتفاوض مع أقطابهم المعتقلين فى السجن الحربى على أساس التعاون مع مجلس الثورة وانهاء الخلافات وعلى أساس أن الاخوان ومرشدهم لا يطيقون مجرد احتمال عودة الأحزاب الى الحكم وبخاصة حزب الوفد أو السعديين وتم الاتفاق معهم على الآتى :

أولا : الافراج فورا عن جميع المعتقلين من الاخوان سواء مدنيين أو عسكريين ٠

ثانيا : عودة الجماعة الى ممارسة نشاطها بحرية كاملة واعادة أموالها المصادرة ومبانى فروعها ومركزها العام ٠

ثالثا : أن يصدر مجلس الثورة بيانا ملطفا يبين الأسباب التى دعت المجلس لحلها ٠

---

(١) من مذكرات صلاح نصر ص ١٧١ ، ١٧٢ ٠

وزيادة في ارضائهم قام عبد الناصر بزيارة مرشدهم حسن الهضيبى في منزله بعد الافراج عنه فورا وقام الهضيبى بالتصريح بأن جماعة الاخوان ستكون عونا للحكومة على طرد الانجليز من قناة السويس ورد عدوانهم واعتداءاتهم وأخذ الاخوان ينهربون من مقابلة محمد نجيب ·

وعقب صدور قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ سارعت جميع القوى المضادة للثورة من أحزاب وجماعات وهيئات بالعودة الى النشاط الحزبى ونادوا جميعـــا بضرورة عـــودة مجلس الثـورة وجميـع الضباط الى الثكنات وتشكيل وزارة مدنية ، وعودة الحياة النيابية بأسرع ما يمكن وتعجلوا الأمور بالافصاح عن تنمرهم برجال الثورة اذا ما عادت الأمور الى أيديهم كسابق عهدهم فى ظل الحكم الملكى وسلطات الاحتلال واعتبروا بسذاجة أن قرارات ٢٥ مارس قد جددت الأمل لديهم فى امكـان العودة للحـــكم ·

فى يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ :

دعا أحمد طعيمه مسئول النقابات بهيئة التحرير الى اجتماع فى هيئة التحرير لاتحاد العمال العام ورؤساء النقابات العمالية وبعد مناقشة أبعاد قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ اذا نفذت بحذافيرها سيكون بمثابة تصفية للثورة ونتيجة ذلك ستلحق الأضرار بمكاسب العمال وبخاصة لو عادت الأحزاب القديمة وتم فى هذا الاجتماع (١) الاتفاق على عمل اضراب واعتصام تأييدا للثورة وأن يتولى اتحاد عمال النقل العام نزعم حركة الاضراب نظرا لأنه يملك فى يده شرايين البلد وكان رئيسه هو صاوى أحمد صاوى ·

ومنذ قبل ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ :

كان عبد الناصر يعتمد على القوات المسلحة لحسم النزاع الدائر فكان تنظيم الضباط الأحرار والضباط الموالين له ينتشرون داخل الوحدات وكان المسئول عن هذا التنظيم هو نفس المسئول عن أمن القوات المسلحة وعن نشر الوعى السياسى فى القوات المسلحة وكان قد أعد العدة داخل الأسلحة المختلفة لمواجهة أى موقف عدوانى من أعداء النظام كما حدث فى أزمة سلاح الفرسان ·

---

(١) مجلة الطليعة العدد ٦٨٧ فى ١٩٨٩/٢/٢٤ مقال دكتور عبد العظيم رمضان ·

وكان عبد الناصر فى نفس الوقت قد قرر الكفاح فى سبيل الثورة لآخر رمق فى حياته مع اخفاءه لهذه النوايا حتى لأقرب المقربين اليه بصبر وأناة ٠

فى يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ :

اجتمع مجلس نقابة الصحفيين وطالب بالغاء الأحكام العرفية فورا وكذا الأحكام التى صدرت من غير القضاء العادى وطالب أيضا بالافراج عن المعتقلين ٠

فى نفس يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ :

قامت مظاهرات فى حى شبرا قبل صلاة الجمعة وكانت تضم عمالا من منطقة شبرا الخيمة الصناعية ويشترك فيها عناصر شيوعية من تنظيم طليعة العمال واستمرت طوال النهار وكانت تؤيد محمد نجيب ٠

وفى نفس يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ :

قامت مظاهرات من عمال منطقة حلوان وكانت هى الأخرى مؤيدة لموقف محمد نجيب ونطالب بعودة الحياة النيابية ٠

فى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

قام أحمد شوقى بمهاجمة مجلس الثورة فى صحيفة المصرى وجاء فى هجـــومه :

« هل من أهداف الثورة حكم البلاد ؟؟ » ٠

« هـل » كان من أهـداف الثـورة أن تكمم الأفواه ٠ وتقيـــد الحريات ؟؟ ٠٠٠ الخ ٠

وفى نفس يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

اجتمعت هيئة تدريس جامعة الاسكندرية (١) وأصدرت بيانا طالبت فيه بالغـــاء الأحكام العرفية وحـل مجلس الثورة فورا وتأليف وزارة مدنية تتولى المسئولية لحين اجتماع الجمعية التأسيسية ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٥ ٠

وفى مساء يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

فى الساعة السابعة مساء بدأ اضراب عمال النقل بالسيارات والترام وكذا عمال المحال التجارية وتم استدعاء مجالس ادارات النقابات الأخرى لتشارك فى الأحداث وقامت الاذاعة المصرية باذاعة بيانات المضربين بالتنسيق مع هيئة التحرير واذاعة قراراتها ومنها أن هذه النقابات قررت الاضراب عن الطعام وعن العمل والاعتصام حتى تجاب مطالبهم التالية :ـ

١ ـ استمرار مجلس الثورة فى مباشرة سلطاته حتى يتم جلاء المستعمر ·

٢ ـ عدم السماح بقيام الأحزاب ·

٣ ـ قيام هيئة تمثل النقابات والاتحادات والجمعيات والمنظمات الى جانب مجلس الثورة بمثابة جمعية وطنية تعرض عليها القرارات التى يرغب المجلس فى اصدارها ·

٤ ـ عدم الدخول فى معارك انتخابية ·

وفى نفس يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

نشطت الأحزاب وبخاصة فلول حزب الوفد وأخذوا يجتمعون ويوزعون المقاعد النيابية فيما بينهم وظنوا أن الدنيا والسلطة قد عادت لهم مرة أخرى ·

فى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

بدأ اعتصام عمال السيارات والنقل العام فى مقر دار الاتحاد وذلك فى الساعة السابعة مساء وصار استدعاء باقى نقابات العمال الأخرى لتشارك فى الاضراب ·

وقامت الاذاعة المصرية باذاعة أنباء حركة الاعتصام وأخذت تذيع قرارات النقابات بالاعتصام وتأييد مجلس الثورة ومعارضة قيام الأحزاب ·

وفى بادىء الأمر لم يضرب عمال الترام بتحريض من بعض العناصر المعادية ولكن باقى العمال أوقفوا مركبات الترام بالقوة وقاموا بالاعتداء على محمد فرغلى الشيوعى والذى تزعم حركة الاستمرار فى العمل ولم يأت صباح ٢٨ مارس حتى كانت جميع المواصلات قد توقفت تماما فى القاهرة ·

قام المرشد العام للاخوان المسلمين حسن الهضيبى بالتصريح بأن جماعة الاخوان ستكون عونا للحكومة على طرد الانجليز من القناة والتصدى لاعتداءاتهم وفى نفس الوقت تخلت الاخوان كلية عن التعاون مع محمد نجيب وبخاصة بعد تظاهر الأحزاب القديمة بتأييد محمد نجيب والتعاون معه ضد مجلس الثورة ٠

وفى نفس يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ :

تحرك الضباط الأحرار واستطاعوا (١) أن يسيطروا على الموقف داخل التشكيلات وجذبوا اليهم أغلب الضباط وبدأت كفة عبد الناصر أن تكون الراجحة وانقلب الميزان مثلما حدث فى أحداث اعتصام ضباط الفرسان ٢٨ ، ٢٩ فبراير سنة ١٩٥٤ وأيد جميع ضباط الجيش هذا الاعتصام عدا عدد من الضباط الموالين لمحمد نجيب وكان أغلبهم من سلاح الفرسان وتم اعتقالهم ومحاكمتهم أمام محكمة عسكرية وحكم عليهم بالسجن ٠

وفى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٥٤ :

عقدت الجمعية العمومية غير العادية (١) لنقابة المحامين واتخذ المجتمعون قرارا بالاضراب فى هذا اليوم استنكارا لحوادث اعتداء السلطات على المعتقلين والمسجونين وطالبو بالغاء الأحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة مدنية فورا لاجراء انتخابات والغاء الأحكام الاستثنائية وما ترتب عليها من أثار وحاولت التلاعب بحرفية قرارات ٢٥ مارس لأجل تحقيق أهداف القوى المعادية للثورة بغرض التخليص على الثورة ومجلس قيادتها ٠

وفى نفس يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٥٤ :

عقد طلبة جامعة القاهرة مؤتمرا فى حرم الجامعة أعلنوا فيه تأليف « جهة الاتحاد الوطنى » من الطلبة الوفديين والاشتراكيين والاخوان المسلمين والشيوعيين وكان هدفهم هو اجهاض الثورة لأنهم طالبوا بالغاء مجلس الثورة فورا ودون انتظار الجمعية التأسيسية ، كما طالبوا بتأليف وزارة ائتلافية لاجراء الانتخابات والافراج عن المعتقلين فورا والغاء الأحكام العرفية ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر ج ١ ص ١٧٦ ٠

كما اجتمعت هيئة التدريس فى كل من جامعة القاهرة وعين شمس واتخذت قرارات طالبت فيها الغاء الأحكام العرفية وعودة الحياة النيابية والافراج عن المعتقلين ٠

فى ٣٠ مارس سنة ١٩٥٤ :

وصـــل تأييد الاخوان المسلمين لمجلس (١) الثورة الى القمة حيث قام المرشد العام حسن الهضيبى بعقد مؤتمر لجماعة الاخوان فى ٣٠ مارس وقام بالتنديد بالأحزاب القديمة وبالآراء التى تنادى بعودتها ٠ وأخذ يندد بالهيئـات النيـابية والأحزاب السابقة متهما اياها بالفساد والمحسوبية والأنانية ووصفها بأنهـا كانات تعمل لوجـه الشيطان ـ وقال أنه ينادى بالحياة النيابية على أساس أن تكون حياة نيابية نظيفة تكفل فى ظلها حرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلمة ٠

وقامت مظاهرات في القاهرة معادية لنجيب خلال زيارة الملــك ســـعود ٠

وبذلك تكون القوى المعادية للثورة فى غمرة حماسها لقرارات ٢٥ مارس على أمل أن توصلهم الى اجهاض الثورة والانتقـــام من مجلس الثورة ورمزه جمال عبد الناصر بالذات قد كشفت فى هذه الفترة القصيرة عن مدى حقدها على الثورة وعلى مدى خطورة ما كانت تضمره للتنكيل برجالها اذا ما وصلت الى سلطة السيادة ولكن بحسن تدبير الأمور بعد نجاح عبد الناصر فى استقطاب الاخوان وضمهم الى جانبه وتحرك ضباط الجيش بالغاء قرارات ٢٥ مارس وموقف السواد الأعظم لنقابات العمال المؤيد للثورة واضرابهم المؤثر فى استقرار الأوضاع فقد كانت الفرصة ومعها المبرر لعبد الناصر لكى يوجه ضربته الحاسمة لكل القوى المعادية للثورة للتفرغ بالكامل للاحتلال البريطانى وهو الذى من أجله قامت ثورة سنة ١٩١٩ ووليدتها ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

اجتمـــاع مجلس الثـــورة :

أسرع مجلس الثورة للانعقاد (٢) يوم ٢٩ مارس واتخذ قرارا بارجاء تنفيذ القرارات التى أصدرها المجلس فى ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال وأسقط فى يد محمد نجيب كما أسقط فى يد القوى المضادة للثورة ــ

---

(١) مذكرات صلاح نصر ، ص ١٧٢ ٠

(٢) ثورة ٢٣ يوليو ص ١٩٥٢ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ص ١٤٨ ، ١٥٠ ٠

وقرر مجلس الثورة تحمل المسئولية كاملة على عاتقه مرة أخرى ـ كما قرر تشكيل مجلس وطنى استشارى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة .

وانتهى الاضراب العام فى تمام الساعة الخامسة من صباح يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٥٤ .

رابعا : مرحلة تامين الثورة :

قرارات تأمين الثورة (٥ ابريل سنة ١٩٥٤) :

فى ٥ ابريل سنة ١٩٥٤ أصدر مجلس الثورة القرارات الآتية : ـ الآتيــة :ـ

١ ـ محاسبة المسئولين عن الفساد السياسى فى العهود الماضية وابعادهم عن العمل السياسى وحرمان عدد منهم من حقوقهم السياسية .

٢ ـ تطهير الصــحافة .

٣ ـ منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام الدراســـة فيهـــا .

٤ ـ البحث فى اصدار قانون لحماية الثورة والأسس التى يقوم عليها المجلس الوطنى .

٥ ـ مشروعات هامة لمصلحة مختلف طبقات الشعب وتنشيط الاقتصاد القومى والقضاء على الكساد .

٦ ـ اختيار عناصر صالحة فى مجالس البلديات وحل مشكلة المواصلات فى القاهرة .

وكانت الفترة القصـــيرة بين قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ وبين استعادة مجلس الثورة للموقف بالعدول عن هذه القرارات يوم ٥ ابريل سنة ١٩٥٤ حافلة بالصراع الخفى والعلنى بين مجلس الثورة والتى يسيطر عليه جمال عبد الناصر مؤيدا من التنظيمات النقابية ومعظم ضباط الجيش وبين محمد نجيب ومن يناصره من بعض ضباط الجيش وفلول الأحزاب السابقة وبعض عناصر من النقابات والشيوعيين وكانوا يرفعون شـعار الديمقراطية .

ثم توالت قرارات اجراءات حماية الثورة (١) :

١ - ففى ١٥ ابريل سنة ١٩٥٤ ·

قـرر مجلس الثورة الحرمان من حق تولى الوظائف العـامة ومن كافة الحقوق السياسية وتولى مجالس ادارة النقابات والهيئات لمدة عشر سنوات لكل من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ الى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وكان منتميا الى حزب الوفد أو حزب الأحرار الدستوريين أو الحزب السعدى وصدرت كشوف باسمائهم ·

٢ - حل مجلس نقابة الصحفيين ١٥ ابريل سنة ١٩٥٤ :

وقـرر مجلس الثورة أيضا حل مجلس نقابة الصحفيين لأن أغلب أعضائها تقاضوا فى العهد الماضى مبالغ كبيرة من المصاريف السرية - كما تقرر تأليف لجنة يحل محلها مجلس النقابة حتى يصدر قانون الصحافة الجديد (الذى يصدر فى ٣٠ مارس سنة ١٩٥٥) ·

٣ - وزارة جديدة برئاسة جمال عبد الناصر :

تخلى محمد نجيب عن رئاسة الوزارة واقتصر على رئاسة الجمهورية ومجلس الثـورة وقرر المجلس فى ١٧ ابريل سـنة ١٩٥٤ قبول هذا التخلى وتكليف جمال عبد الناصر بتشكيل الوزارة فألفها برئاسته ومن معظم الوزراء السابقين ودخل فى هذه الوزارة من مجلس الثورة حسين الشافعى للحربية وحسن ابراهيم وزير دولة لشئون رئاسة الجمهورية ، ومن المدنيين محمد عوض محمد للمعارف ، وعبد الحميد الشريف للمالية ، وحسن مرعى للتجارة والصناعة ، وجندى عبد الملك للتموين واستقال عبد الحميد الشريف فى ٣١ أغسطس ومحمد عوض محمد وعين جمال سالم نائبا لرئيس الوزراء ، فتحى رضوان وزيرا للمواصلات ، وحسين الشافعى وزيرا للشـئون الاجتماعية ، وكمال الدين حسين للمعارف ، وعبد الحكيم عامر للحربية بالاضـافة الى منصب القائد العام للقوات المسلحة ، وأنور السادات وزير دولة ، عبد المنعم القيسـونى للمالية والاقتصاد ·

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ·

عودة الى المقاومة فى القناة (١١ ابريل سنة ١٩٥٤) :

قامت المقاومة فى منطقة القناة (١) بتنظيم عمليات اعتداء على المنشآت والمخازن ومستودعات الوقود وخزانات المياه ثم سرقات على أوسع نطاق للذخائر والمهمات وحتى مواد التموين وسرقة بضائع للجيش البريطانى من القطارات المتجهة الى مخازن الجيش البريطانى ثم عمليات ازعاج مسلحة على النوادى وأماكن التجمعات وأماكن وشواطىء الترفيه والاستحمام .

وارهاب دوريات حراسة الشخصيات العسكرية الكبيرة فى تنقلاتها بين مدن القناة ولكن دون احداث خسائر فى الأرواح على قدر الامكان وذلك منذ ابريل سنة ١٩٥٤ فصاعدا وبشكل مبالغ فيه .

وفى مايو سنة ١٩٥٤ أعلن وكيل وزارة الخارجية فى مجلس العموم البريطانى أنه وقع (٢) ٤٢ اعتداء على الرعايا البريطانيين فى القناة .

وفى يونيو سنة ١٩٥٤ صرح سلوين لويد فى مجلس العموم أن مستقبل المفاوضات بين مصر وبريطانيا يتوقف على مدى تعاون مصر فى الكشف عن المسئولين عن الحوادث التى وقعت فى منطقة القناة .

وفى يونيو سنة ١٩٥٤ أعلنت أمريكا أنها تؤيد موقف بريطانيا فى مصر وأنها لا تستطيع انتهاك سياسة مستقلة عن بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط .

وفى منتصف يونيو سنة ١٩٥٤ توقفت تماما جميع عمليات المقاومة فى القناة بأوامر من **القيادة السياسية لأن بوادر** استئناف المفاوضات كانت قد ظهرت فى الأفق .

الرأى العـــام :

آن لنا أن نتساءل أين كان الرأى العــام المصرى بين هذه الأمواج المتصارعة على السلطة وبخاصة أنه منذ أقل من شهر كان الشعب فى جانب محمد نجيب مؤيدا له بدون حدود والحقيقة أنه ما بين صدور

---

(١) مذكرات المؤلف كنت نائبا لرئيس المخابرات ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ .

(٢) ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ للاستاذ الرافعى .

قرارات (١) ٥ مارس و٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ وقرارات ٥ ابريل سنة ١٩٥٤ وبمجرد أن ألغيت الأحزاب القديمة وحوصرت القوى السياسية التى عاصرت نهاية الملكية كانت بداية نجاحات ثورة ٢٣ يوليو ووقف الشعب المصرى محاذرا ومتشككا من نوايا هذه الأحزاب التى أتقنت النفاق السياسى سابقا فاتخذ موقف الترقب رغم رضائه عما كانت تنادى به هذه الأحزاب من المطالبة بالديمقراطية وعودة الحياة البرلمانية والافراج عن المعتقلين بالسجون والغاء القوانين الاستثنائية وكلها شعارات تستهوى قلوب وأفئدة الأحرار • رغم كل ذلك وقف الرأى العام مترقبا ومنتظرا خوض تجربة الثورة التى حققت له نجاحات خرافية منذ يومها الأول ومراقبة تصرفات هذه القيادة الثورية فى كفاحها الجدى والمنظم مع الاحتلال البريطانى وصراعها مع القوى السياسية المصرية القديمة ، ولكل ذلك اتخذ الرأى العام المصرى الموقف المحايد مع محمد نجيب الذى تطابقت نداءاته مع نداءات هذه الأحزاب المرفوضة من الشعب سابقا ومنتظرا نتيجة الصراع فى النهاية •

استئناف المباحثات (يوليو سنة ٩١٥٤) :

واستؤنفت المباحثات فى يوليو سنة ١٩٥٤ وحضر (٢) المباحثات فى المرحلة النهائية المستر انطونى هيد وزير الحربية البريطانية والمستر شاكبور وكيل وزارة الخارجية البريطانية المساعد لشئون الشرق الأوسط •

اتفاقية الجلاء الأول (٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤) :

وقعت الاتفاقية بالحروف الأولى فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ جمال عبد الناصر عن الجانب المصرى والمستر انطونى هيد وزير الحربية البريطانى عن الجانب البريطانى •

الاتفاق النهائى على الجلاء (١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤) :

وفى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عقد الاتفاق النهائى التفصيلى المتضمن تنظيم عملية الجلاء وخلاصته :ـ

أولا : تقرر جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال فترة عشرين شهرا من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق •

ثانيا : انتهاء معاهدة التحالف الموقع عليها فى لندن فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وكذلك ملحقاتها والمذكرات المتبادلة والاتفاق الخاص بالاعفاءات والميزات لقوات الاحتلال وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى •

---

(١) هذا كان رأى المؤلف وقت الازمة حيث كان مستغرقا فى المشاركة مع المقاومة الشعبية ومع قيادة الكفاح المسلح المنظم فى منطقة القناة •

(٢) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الرافعى ص ٢١٨ •

ثالثا : تبقى أجزاء من القاعدة التى كانت لبريطانيا فى قناة السويس فى حالة صالحة للاستعمال معدة للاستخدام وفى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا ٠

وتقدم مصر من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وادارتها وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانى المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا ويجرى التشاور فورا بين مصر وبريطانيا ٠

رابعا : تقرر الحكومتان أن قناة السويس البحرية التى هى جزء لا يتجزأ من مصر هى طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية ، وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة والموقع عليها فى الأستانة فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٨٨ ٠

خامسا : هذا الاتفاق لا يجوز تفسيره على أنه يمس بأى حال حقوق الطرفين والتزاماتهما بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة ٠

سادسا : مدة هذا الاتفاق سبع سنوات من تاريخ توقيعه وتتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق وعلى بريطانيا أن تنقل أو تتصرف فيما يتبقى لها وقتئـذ من ممتلكات فى القـــاعدة ما لم تتفق الحكومتان على مد هذا الاتفـــاق ٠

وتم التوقيع على هذه الاتفاقية فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عن مصر جمال عبد الناصر رئيس الوزراء وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادى وصلاح سالم ومحمود فوزى ٠

وعن الجانب البريطانى أنطونى ناتنج وزير الـــدولة بالخارجية البريطانية ورالف استيفنسون السفير البريطانى وميجر جنرال بنسون كبير المفاوضين العسكريين ٠ وأعلن وقتها وزير الخارجية انتونى ايدن « أن الجلاء عن قاعدة قناة السويس أفضل بكثير من الابقاء على ثمانين ألف جندى بريطانى محاصرين من شعب معادلهم » ٠

وتم الجلاء بالكامل فى ١٣ يونيه سنة ١٩٥٦ (وهو نفس تاريخ حادث دنشواى (١٣ يونيه سنة ١٩٠٦) بعد خمسين عاما على هذه الحادثة وأصبح عيد الجلاء يوم ١٨ يونيه من كل عام عيدا وطنيا ٠

اعفاء محمد نجيب من رئاسة الجمهورية (٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤) :

وكان قمة الصراع على السلطة هو قبول ممحد نجيب التخلى(١) عن رئاســـة الوزارة والاكتفاء برئاسته للجمهورية ومجلس السـورة فى ١٧ ابريل سنة ١٩٥٤ وكلف مجلس الثورة جمال عبد الناصر بتشكيل الوزارة ومنذ هذا التاريخ استحوذ جمال عبد الناصر على كافة السلطات بتفويض من مجلس الثورة ٠

وأخـيرا وفى ١٤ نوفمبر قرر مجلس الثورة اعفـــاء محمد نجيب من جميع المناصب التى كان يشغلها ، كما قرر أن يبقى منصب رئاســة الجمهورية شاغرا على أن يستمر مجلس الثورة فى تولى كافة ســلطاته برئاسة جمال عبد الناصر ٠

ومنذ هذا التاريخ بدأ عبد الناصر بالذات يتفرغ كلية لمعركة التنمية معتمدا على رئاسته للثورة وكان من أهم المشروعات التى آمنت الثـورة أنها تحقق الخطوات الأولى نحو التنمية لتحقيق الرخاء هو مشروع السـد العـــالى ومن هنا بدأت مصر تدخل فى دوامة الصراع الدولى فى الشرق الأوســـط ٠

التحول فى سياسة حكومة الحزب الوطنى فى السودان :

اتفاقية السودان بين مصر وبريطانيا الموقعة فى فبراير سنة ١٩٥٣ كانت تنص على تحديد فترة انتقال ثلاث سنوات تنتهى فى فبراير سنة ١٩٥٦ وبموجبها يتم اجراء انتخابات للبرلمان فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ تحت اشراف لجنة دوليـة وتكوين لجنة للسودنة من ثـلاث سوادنيين يختارهم الحاكم العام بترشيح حكومة السودان البرلمانية وعضو مصرى وآخر بريطانى وعلى لجنة الســودنة أن تهىء الجو الحر المحايد لتقرير المصير ٠

ــ وفى ديسمبر سنة ١٩٥٣ تمت انتخابات البرلمان تحت اشراف لجنة دولية وفاز الحزب الوطنى الاتحادى فى مجلس النواب ٥١ مقعدا من ٩٧ مقعدا وهو حزب الأزهرى الذى كان ينادى بالوحدة مع مصر وحصـــل حزب الأمة المعارض للوحدة والذى يدعو للاستقلال بعدد ٢٢ مقعد ٠

أما فى مجلس الشيوخ ومقاعده ٣٠ مقعد فقد فاز الحزب الوطنى ب ٢٢ مقعدا وحزب الأمة بثلاثة مقاعد فقط ٠

---

(١) ص ٢١٧ من الكتاب (تخلى محمد نجيب عن رئاسة الوزارة) ٠

بعد هذه النتيجة التى جاءت فى صالح الحزب الذى يدعو للوحدة مع مصر ألقت مصر بكل ثقلهـا السياسى والدعائى على الحزب الوطنى أملا فى أن يتقرر مصير السودان فى النهاية بالوحدة مع مصر واعتبرت مصر الأمر منتهى بالوحدة وبخاصة أن اسماعيل الأزهرى المتفاهم مع مصر قد شكل الوزارة عقب هذه الانتخابات ٠

ـ فى خلال عام ١٩٥٤ وبعد تشكيل لجنة السودنة تم انهاء خدمة جميع الموظفين الرسميين البريطانيين والمصريين من حكومة السودان ومن البوليس ومن قوة الدفاع السودانية ومع ذلك استمر أفراد من البريطانيين يعملون فى خدمة الحكومة السودانية وبخاصة فى مجال التعليم والرى ٠

ـ فى مارس سـنة ١٩٥٤ كانت العـلاقات بين الحزب الوطنى والمعارضة بزعامة المهدى قد وصلت الى ذروة الخلاف وتم فى هذا الشهر افتتاح الدورة البرلمانية الثانية للسودان وحضرها مندوب من بريطانيا ووفدا من مصر برئاسة محمد نجيب يرافقه صلاح سالم عضـو مجلس الثورة والذى كان له دورا بارزا فى العلاقات السودانيـة المصرية ونحو الوحدة بالذات ولكن الوفد المصرى قوبل بمظاهرات عدائيـة مدبرة من المعارضة حيث أحضر المهدى أعدادا كبيرة من أفراد القبائل وعمت المظاهرات والعنف وقتل عدد من الأفراد من بينهم ضابط سودانى وآخر انجليزى وتأجل افتتاح البرلمان الى يوم ١٠ مارس سنة ١٩٥٤ وأعلن الحاكم العام حالة الطوارىء ٠ وكانت جموع المعارضة تنادى بالاستقلال وهتافات أخرى ضد الوحدة مع مصر ٠

ـ ومنذ هذه الأحداث فتر حماس حكومة الحزب الوطنى للوحـدة مع مصر ويرجع ذلك الى : ـ

١ ـ نجاح المعارضة والداعية للاستقلال فى احداث حالة خطرة من الفوضى والذعر فى المجتمع السودانى مع رفعها شعار استقلال السودان وعدم الوحدة مع مصر ٠ كل هـذا جعل رئيس الحكومة الأزهرى يعيد حساباته السياسية اذا ما تبنى فكرة الوحدة مع مصر الى آخر المدى فلابد أن ذلك سيكبد السودان مخاطر قد تؤدى الى حرب أهلية ٠

٢ ـ انتهازية اسماعيل الأزهرى رئيس الحزب الوطنى الاتحادى تبعا لانتهازية زعيم طائفة الختمية التقليدية والذى ينتمى الحزب له بشكل أو بآخر ٠ حيث أن الختمية دأبت تاريخيا على تأييد مصر فقط عندما تكون فى حاجة الى هذا التأييد وفى الحقيقة كان الميرغنى يستغل مصر لمصلحته ومصلحة طائفته فى مجال منافسته للمهديين وبنفس الأسلوب فقد استطاع اسماعيل الأزهرى بمساعدة مصر أن يزيل سيطرة الانجليز

عن السودان وبعد أن أمسك بزمام السلطة يفتر ميله للاتحاد مع مصر . والفضل يرجع الى أصابع السياسة البريطانية الحقيقية فى السودان والتى نجحت الى حد بعيد أن تصور اتحاد السودان مع مصر أنه سيكون بمثابة خضوع السودان لمصر .

٣ ـ انتشار اشاعات سادت السودان تشير الى أن مصر تقوم برشوة السياسيين السودانيين لأجل تأييد الوحدة عند تقرير المصير مما جعل أى سودانى شريف يختشى الاتصال بأى مصرى خشية أن يتهم بهذه التهمة . وشجع على انتشار هذه الاشاعات سوء تصرف المحيطين بصلاح سالم المسئول عن سياسة مصر مع السودان .

٤ ـ فقدان السودانيين الثقة فى نظام مصر الثورى لأن الصراع الذى حدث بين محمد نجيب ومجلس الثورة كان على أشده فى هذه الفترة . فحيث كان محمد نجيب على رأس هذه الثورة كان يتمتع بشعبية ضخمة لدى السودانيين الذين كانوا ينظرون اليه كبطل يقود ثورة مصر بالاضافة الى انتمائه بصلة الرحم الى السودان وكان هذا يرضى الوطنية السودانية بأن قائد ثورة مصر نصف سودانى . وأخذ السودانيون يراقبون ما يجرى فى مصر بكثير من القلق وعدم الارتياح فلما تم ابعاد محمد نجيب عن الحكم نهائيا فى ١٤/١١/١٩٥٤ نظر كثير منهم الى هذه المسألة على أن الثورة المصرية ليست عملا بطوليا وطنيا بل مجرد ديكتاتورية عسكرية لا تقارن بالديمقراطية البرلمانية السائدة فى السودان واحتمال تصرفها مع السودانيين بنفس أسلوب تصرفها العنيف مع محمد نجيب .

٥ ـ كان للنشاط البريطانى السرى والعلنى دور كبير فى نشر روح كراهية السودانيين للمصريين وليس أدل على ذلك من تدخل الانجليز فى فشل اتفاقية مياه النيل بين مصر والسودان . ففى ابريل سنة ١٩٥٥ قطعت المفاوضات مع مصر وبصورة سافرة ونادى الأزهرى على أثر ذلك علنا بضرورة استقلال السودان وحينما قام الوزير السودانى محمد نور الدين وزميل آخر له يؤيدان الوحدة بادر الأزهرى بطردهما من الوزارة فى يونيو سنة ١٩٥٥ .

بحلول شهر يونيو سنة ١٩٥٥ كانت فترة الانتقال قد وصلت الى ما بعد ميعادها فاجتمع ممثلون عن مصر وانجلترا فى القاهرة لمناقشة تشكيل اللجنة الدولية التى ستشرف على انتخابات المجلس التأسيسى .

ـ فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٥ أصدر البرلمان السودانى اعلانا بانتهاء جلاء القوات المصرية والبريطانية عن أرض السودان وطالب رئيس الحكومة السودانية عن أمله فى أن تجرى انتخابات المجلس التأسيسى فى شهر ديسمبر .

ـ فى ١٩ أغسطس أصدر البرلمان السودانى قرارا يطالب دولتى الحكم الثنائى السماح بعمل استفتاء عام لتقرير المصير بالوحدة مع مصر أو الاستقلال ٠

ـ فى ٣ أكتوبر أعلنت مصر موافقتها وتلى ذلك موافقة بريطانيا فى ٧ نوفمبر ٠

ـ فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٥ طلبت حكومة السودان من دولتى الحكم الثنائى عمل استفتاء وانتخابات جمعية تأسيسية ٠

ـ فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٥ تمت الموافقة على ذلك على أن تشرف لجنة دولية على هذه الاجراءات ٠

ـ فى منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ تم انسحاب القوات المصرية والبريطانية ٠

ـ أعقب انسحاب القوات مغادرة الحاكم العام البريطانى السودان ٠

ـ فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٥ أصدر البرلمان السودانى قرارا يعلن استقلال السودان بدون اجراء الاستفتاء وطلب من بريطانيا ومصر الاعتراف بهذا الاستقلال وانتقلت السلطات الدستورية من الحاكم العام الى لجنة عليا تتكون من خمسة من السودانيين واحد منهم من الجنوب ٠ (وسميت مجلس السيادة) ٠

الصراع فى منطقة الشرق الأوسط

بنهاية الحرب العالمية الثانية وباحتواء الحليف السوفيتى لدول وسط أوروبا التى احتلها الألمان أثناء الحرب نتيجة للاستراتيجية الغربية بالاصرار على خطة التسليم غير المشروط من ألمانيا Unconditional Surrender

أصبح العالم ازاء قوتين عظيمتين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ٠ ومع الاختلاف السياسى والاقتصادى والاجتماعى بين هاتين القوتين وازاء خوف دول غرب أوروبا من تعاظم وسيادة الاتحاد السوفيتى العسكرية فى أوروبا تشكل حلف الاطلنطى تحميه المظلة النووية للولايات المتحدة ٠ وفى الشرق الأوسط كان البترول وقناة السويس يشكلان عصب الوضع الاستراتيجى للغرب ، ولكن ظهور الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال فى الوقت الذى أخذ فيه الاستعمار البريطانى والفرنسى يضعف نتيجة الحرب العالمية الثانية فقداتجه الاستعمار الجديد بالزعامة

الأمريكية عموما الى تكوين حلقة من المحالفات الاقليمية تحت رعايته وسيطرته بهدف تطويق واحتواء الاتحاد السوفيتى مع ضمان بقاء النفوذ الغربى فى جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط حماية لمصالح الغرب الاستراتيجية وبالتالى فكر الحلفاء فى ايجاد حزام دفاعى فى مواجهة الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط .

وقام حلف بغداد لهذا الغرض بين تركيا وايران المتاخمة حدودهما للاتحاد السوفيتى ، ثم العراق كبداية لضم دول عربية أخرى . وعندما حاولت الولايات المتحدة وانجلترا مفاتحة باقى الدول العربية لأجل انضمامها لهذا الحلف كانت مصر بثورتها وقيادتها تعارض بشدة هذا الحلف بحجة أنه ليس لديها حدود مع الاتحاد السوفيتى وعارضت أيضا باقى الدول العربية وحيث كانت مصر تفضل اقامة دفاع عربى مشترك قائم بذاته خارج عن الصراع الدولى وكان هذا مبدأ سياسيا مصريا منذ معارضة القوى الشعبية والسياسية المصرية لاتفاقية صدقى - بيفن ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

مصر ودوامة الصراع الدولى

منذ عام ١٩٥٤ حاول دالاس وزير خارجية (١) الولايات المتحدة ثم ايدن وزير خارجية بريطانيا فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٤ اقناع مصر بضرورة وأهمية قيام حلف عسكرى دفاعى لمنطقة الشرق الأوسط لتسد الفراغ بعد جلاء القوات البريطانية عن مصر على أن يقوم العرب بمساندة الحلف وعارضت مصر ورفضت هذا الحلف بشدة وبكل وسيلة وفى جميع وسائل اعلامها وبخاصة فى اذاعة صوت العرب المسموعة فى العالم العربى كله بالاضافة الى الاذاعات الموجهة لدول العالم الثالث وهى مناطق نفوذ الاستعمار القديم .

فوجئت مصر بالدول الغربية العظمى تحاول استئناس مصر وتطويقها لتفرض عليها التبعية بعد تخلصها من الاحتلال البريطانى مباشرة .

كلما كانت مصر تعارض فى قبول ما رسمه الاستعمار الجديد لادخالها فى أحلاف عسكرية لأجل احتواء مصر فكانت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة كوسيلة ضغط على مصر المتخلفة التسليح بالنسبة لاسرائيل .

- وتطلب مصر السلاح من الغرب وبخاصة من أمريكا لتواجه الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ويمعن الغرب فى الرفض .

(١) مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل ص ١٨٠ .

– وتطلب مصر من الغرب المعونات الاقتصادية للصرف على مشاريع التنمية الضرورية ويصر الغرب على فرض الشروط المجحفة ٠

– تحاول مصر طلب المعونات الاقتصادية والعسكرية من روسيا وتلقى مصر التهديد والوعيد من الغرب وبذلك دخلت مصر فى دوامة ثلاثية لا ينقذها من هذه الدوامة الا البدء فى تنفيـذ مشـاريع التنمية الحيوية والاصرار على رفض الدخول فى أحلاف غربية تفرض عليها دخول دوامة الصراع بين القوتين العظيمتين – وكذلك ضرورة الحصـول على السلاح المتطور الذى يحمى كيانها وحدودها وأمنها من اسرائيل التى تهددها وتهدد الدول العربية جميعها بتوجيه ودعم الدول الغربية العظمى ٠

مسير الضغوط الغربية على مصر ومقاومتها

١ – كانت العـلاقات بين ثورة ٢٣ يوليو والولايات المتحـدة فى البداية (١) على ما يرام واستمرت ثلاث سنوات عقـدت خلالها اتفاقية ثقافية ومالية وقد ظلت الصـداقة فى جميع المجالات فيما عدا مجال الأسلحة فقد رفضت واشنطون مد مصر بالأسلحة تمشيا مع اتفاق كانت قد عقدته الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ وعلقت الولايات المتحدة امكانها مد مصر بالسـلاح فى حالة موافقتها على الدخول فى مشروعات الدفاع الغربية عن الشرق الأوسط ٠ ولأجل حصول مصر على تأييد الولايات المتحدة فى الضغط على بريطانيا لاتمام الجلاء عن مصر عن طريق المفاوضة أعلنت القاهرة فى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ عن استعدادها للتعاون مع الدول الغربية وبحكم أن الولايات المتحدة كانت وقتها قد بدأت فعلا فى سياسة سد الفراغ فى منطقة الشرق الأوسط لتحل محل الاسـتعمار البريطانى والفرنسى فقد قامت الولايات المتحدة بدور ايجابى فى نجاح اتفاقية السودان ومفاوضات الجلاء والتى كانت قد توقفت يوم ٦ مايو سنة ١٩٥٣ بسبب تمسك كل من الجانبين بموقفه حيث تمسكت بريطانيا على الاحتفاظ بقواتها فى منطقة القناة وأصرت مصر على ضرورة جلاء هذه القوات من أراضيها ٠

وفى النهاية وبعد تغلب مصر وثورة مصر على مشاكلها الداخلية التى تتابعت بعد الثورة تم الاتفاق النهائى على الجلاء فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ على أن يتم الجلاء الكامل فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ وفى هذه الفترة بين أكتوبر سنة ١٩٥٤ ، يونيو سـنة ١٩٥٦ مارس الغرب متمثلا فى

(١) فخ السويس لهنرى آرو ص ٨٥ ، ٨٦ ٠

انجلترا وفرنسا وأمريكا ومعها اسرائيل ضغوطا وافتعل أحداثا أدخلت مصر فى دوامة لمحاولة ابقاء مصر داخل دائرة التبعية للغرب ٠

٢ ـ فى ٢ ابريل سنة ١٩٥٤ تم توقيع معاهدة (١) بين تركيا وباكستان ٠

ـ فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ انزعجت اسرائيل من انسحاب انجلترا عسكريا من مصر وأخذت اذاعتها وصحافتها يحذران بريطانيا والغرب من خطر انسحاب القوات البريطانية من الشرق الأوسط ٠

وفى ديسمبر سنة ١٩٥٤ حضر وفد تركى لمصر لاقناعها بالانضمام الى المعاهدة التركية الباكستانية للدفاع عن الشرق الأوسط وكان رد مصر أنها لا يمكن دخولها أى حلف قبل أن تجلوا القوات العسكرية البريطانية تماما عن أرضها ٠ وقبلها حضر نورى السعيد رئيس وزراء العراق ولم يتمكن من اقناع مصر بالسماح ببقاء القوات البريطانية فى منطقة القناة ٠

ـ فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ تم توقيع ميثاق بغداد بعد انضمام العراق للمعاهدة التركية الباكستانية وتضمن الميثاق دعوة الدول العربية للانضمام لهذا الحلف حتى تصبح مصر فى عزلة فتضطر فى النهاية للاذعان وقبول الشروط التى تملى عليها ٠

ولم تشترك كل من بريطانيا وأمريكا فى توقيع (٢) هذا الميثاق لخداع العالم العربى ولتوهمه أنه حلف اقليمى بين دول اسلامية ولا دخل للغرب فيه ومع ذلك فقد انضمت انجلترا رسميا للحلف فى أبريل سنة ١٩٥٥ ٠

٣ ـ بعد اعلان ميثاق حلف بغداد فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٥ (٣) يشعر الاتحاد السوفيتى بالضيق لهذه المحاولة التى تهدف الى استكمال تطويق أراضيه فأسرع (دانييل سولود) السفير السوفيتى بمصر الى جمال عبد الناصر يعرض عليه تزويده بالسلاح الذى منعه عنه الغرب وبحذر لم يعط ناصر ردا مفيدا ٠

---

(١) حرب السويس سنة ١٩٥٦ ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ (دكتور محمود فوزى)

(٢) ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعى ص ١٦٥ ٠

(٣) فخ السويس لهنرى آزو ص ١٠٣ ، ١٠٤ ٠

٤ ـ هجوم اسرائيلي على غزة ٣٠ مايو سنة ١٩٥٥ ٠

فى ٣٠ مايو سنة ١٩٥٥ قام الجيش الاسرائيلى فجأة (١) بغارة عنيفة على قطاع غزة وخلف وراءه ٤٣ قتيلا مصريا وتبين لناصر أنه ليس لديه الوسائل اللازمة للرد على هذا الهجوم وأن سكوته على رفض الغرب تزويده بالسلاح ووجود العرض الروسى فى متناول يده يعد تهاونا فى مصلحة بلاده بينما ارتفعت أصوات الغضب من جانب الجماهير المصرية ٠

ـ وقام ناصر أولا بتكرار محـــاولة طلب الســـلاح من الأمريكان وأوضـــحت واشنطون أنهـــا لن تستجيب لما يطلبه الا اذا أذعن لوجهات نظرها واشترك فى منظمات الدفاع الغربية فى نفس الوقت الذى زودت فيه العراق بالأسلحة وزودت فرنسا اسرائيل ٠

٥ ـ مؤتمر باندونج (١٨ ـ ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٥) (٢)

فى الفترة التى كانت فيها مصر فى قمة صراعها مع الغرب الذى يريد اعادة مصر الى نفوذه واحكام حلقة التبعية له بعد حصولها على الاستقلال الكامل بتوقيع اتفاقية الجلاء أخذ التدخل الأمريكى السابق يقوم بضغوطه المستمرة على مصر لضمها الى حلف الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط كتمن لدور أمريكا فى الضغط على انجلترا لانهاء اتفاقية الجلاء وبرز دور مصر المتميز كدولة صغيرة حديثة الاستقلال تحاول بكل ما تملك من مبادىء ووطنية صادقة وثورة على الاستعمار بعد أن طال معاناتها منه وأخذت مصر تقاوم هذه المحاولات الغربية وحدها كدولة صغيرة تتطلع حولها تنشد المساعدة من الدول الأخرى وفجأة ظهرت فكرة عقد مؤتمر فى أندونسيا لدول آسيا وأفريقيا فى باندونج عاصمة جاوة الغربية لتوطيد صلات الود بين هذه الدول المستقلة حديثا ليسمعوا العالم أن دول القارتين لم تعد حقلا ولا ميدانا للنفوذ الاستعمارى وكانت هذه الدعوة صادرة من الدول الخمسة الآسيوية وهى الهند وباكستان وسيلان وأندونيسيا وبورما عقب اجتماعهم فى كولومبو عاصمة سيلان فى مايو سنة ١٩٥٤ وكانت أهدافهم هو محاربة الاستعمار وتحرير الشعوب الآسيوية الأفريقية بالاضافة الى أن فكرة الحياد كانت متسلطة على معظم زعماء هذه الدول البارزين وكان هذا المؤتمر سيعقد فى شهر ابريل سنة ١٩٥٥ ولبت الدعوة ٢٩ دولة تمثل أكثر من نصف سكان العالم (١٣٠٠ مليون نسمة) واشتركت فيه مصر حيث أن هذا المؤتمر كان له الصيغة الدولية الرسـمية ولأن

---

(١)ثورة ٢٣ يوليو للرافعى ص ١٩١ ٠

(٢) ثورة ٢٣ يوليو سنة١٩٥٢ للإستاذ الرافعى ص ١٧٠ ٠

أهدافه كانت تتطابق مع مبادىء ثورة مصر واعتبرته مصر (١) بمثابة العون الذى كانت تتطلع اليه فى أزمتها مع دول الغرب وأمريكا وتوسمت مصر أنه سيكون لقرارات هذا المؤتمر ومشاركتها فى صياغتها الأمل فى تحقيق أهدافها الثورية بهذا الأسلوب الجماعى للانطلاق فى سياستها دون أى قيد خارجى - وأثارت مصر فى هذا المؤتمر وجهة نظرها كدولة صغيرة ضد فكرة الأحلاف العسكرية المنحازة وبخاصة ضد حلف بغداد الحديث الولادة • ولفتت وجهة نظر مصر انتباه زعماء هذا التجمع مما جعل مصر تأخذ مكانها المرموق فى هذا المؤتمر الذى جاءت قراراته مؤيدة لسياسة الحياد بين الكتلتين الكبيرتين المتنازعتين فكان ضربة لحلف بغداد ونجح المؤتمر نجاحا فاق كل الحدود بفضل أقطابه الثلاثة نهرو وشوان لاى وجمال عبد الناصر (٢) •

فكان لهذا المؤتمر الفضل فى توجيه الدول الأفريقية والآسيوية الى الحرية الحقيقية والاستقلال الصحيح وأوجد كتلة حيادية لا تقبل الخضوع للأحلاف العسكرية الاستعمارية - كما جاءت قراراته تحمل الطابع الانسانى لأنها كانت تحاول تفادى حدوث حرب عالمية جديدة وبذلك يتحقق السلام العالمى •

وبرغم محاربة الدول الاستعمارية الغربية لهذا المؤتمر فقد حاز على تأييد الرأى العام العالمى ورفعت مصر صوتها فى هذا المؤتمر منادية بحقوق الشعوب فى الحرية والاستقلال • وكان هذا بمثابة تحد سافر للاستعمار الغربى الذى يحاول شد مصر الى دوائر نفوذه •

٦ - قبل منتصف عام ١٩٥٥ تطلب مصر رسميا من الاتحاد السوفيتى مدها بالسلاح •

٧ - وفى يونيو سنة ١٩٥٥ يوافق الاتحاد السوفيتى على مد مصر بالسلاح •

٨ - فى ٢٢ أغسطس (٣) سنة ١٩٥٥ قامت قوة اسرائيلية بمهاجمة قطاع غزة واستمرت المعركة ساعتين واستشهد فيها ٣٥ وجرح ١٥ •

- وفى ٢٨ أغسطس ، ٣٠ أغسطس سنة ١٩٥٥ تكررت هذه الاعتداءات على قطاع غزة ثم فى أول سبتمبر ١٩٥٥ •

---

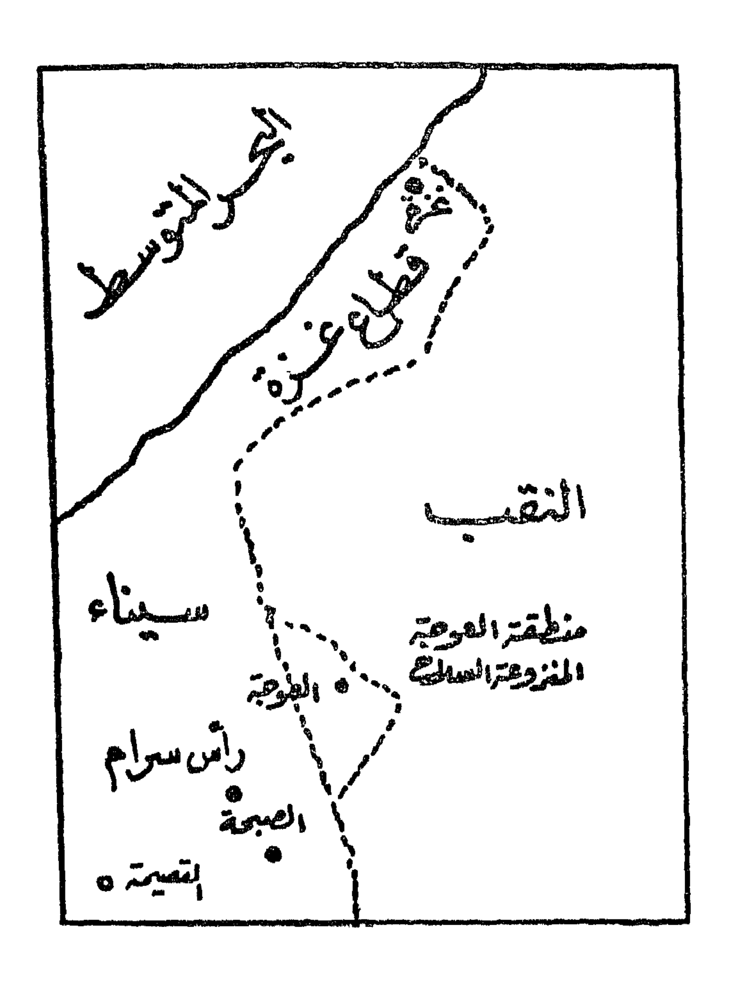
(١) حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، د• محمود فوزى من ص ٢٤ الى ص ٢٩ •

(٢) أثير بين هؤلاء الأقطاب الثلاثة امكان مد مصر بالسلاح السوفيتى لامكان الدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات الاسرائيلية وتم اتصال الزعيم الصينى بالاتحاد السوفيتى لذلك - ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعى ص ١٩١ •

(٣) فخ السويس ص ١٠٤ ، ١٠٥ •

احتلال العوجة ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥ ٠

فى ٢٠ سبتمبر تحتل اسرائيل العوجة المنزوعة (١) السلاح والموضوعة تحت اشراف هيئة الأمم بموجب اتفاقية الهدنة المصرية الاسرائيلية وتقف المحافل الدولية موقفا سلبيا من هذا الاحتلال بل بالعكس تحظى بتأييد من انجلترا وأمريكا ٠



(١) ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعي ٠

وصول اول شحنة من الأسلحة السوفيتية (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥) :

في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥ يعلن عبد الناصر عن وصول أول شحنة من الأسلحة الروسية ٠

الهجوم على الكونتلة (٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥) :

في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥ قامت اسرائيل بمهاجمة نقطة الحراسة المصرية في الكونتلة جنوب سيناء واستشهد ١٢ جندى مصرى من سلاح الحدود وجرح ١١ ٠

الاعتداء على الصابحة (٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥) :

في مساء ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ قامت قوة اسرائيلية كبيرة ثلاثة آلاف مقاتل بهجوم مفاجىء على موقع مصرى بسيط في الصابحة ثم ارتدت القوة الاسرائيلية بعد قتال متلاحم وكانت خسائر المصريين ٨٠ شهيدا من جنود الحدود ٠

الاعتداء على شاطىء طبرية السورية (١١ ديسمبر سنة ١٩٥٥) :

في مساء ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ قامت قوة اسرائيلية بالهجوم على الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية ودار قتال عنيف لعدة ساعات وانسحبت القوات الاسرائيلية واستشهد من السوريين ٤٢ شهيد ا من بينهم خمسة ضباط ٠

وبذلك أصبحت الاعتداءات الاسرائيلية المستترة والمتتابعة بمثابة العصا الغليظة للغرب تؤدب بها مصر العنيدة وحليفتها العربية سوريا بمواقفها المتشددة في موضوع الاشتراك في الأحلاف الغربية ٠

ـ وردا على هذه الاعتداءات بدأت مصر تشن حرب العصابات للثأر من هذه الهجمات فكان الفدائيون يقومون بغارات داخل حدود اسرائيل ٠

انضمام ايران الى حلف بغداد :

وفي مجال تصاعد الضغوط على مصر فقد انضمت ايران الى ميثاق بغداد في ١١ أكتوبر سنة ١٩٥٥ ٠

ـ وردت مصر على هذه الخطوة بتوثيق علاقاتها السياسية بكل من سوريا والسعودية وقامت مصر بعقد اتفاقية عسكرية مع سوريا يوم

٢٠ أكتوبر ثم مع المملكة السعودية يوم ٢٧ أكتوبر فكان الهجوم على الكونتلة يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٥ .

بوادر تحسن الموقف مؤقتا (١) :

عقب اعلان عبد الناصر عن اتمام صفقة الأسلحة مع الكتلة الشرقية حضر جورج ألين المبعوث الخاص لدالاس لمصر وكانت المقابلة مثمرة رغم أنه حضر للاحتجاج على صفقة الأسلحة وكانت فرصة لناصر لطلب مساعدة البنك الدولى لتمويل مشروع السد العالى بأسوان وبدأت المحادثات المالية بين مصر وبين الانجليز والأمريكان ووصل الوئام لدرجة توسط انجلترا فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ لاجراء محادثات بين العرب واسرائيل ولأول مرة بدأ الغرب يضغط على اسرائيل وقد كان بن جوريون داعية الحرب قد صار رئيسا لحكومة اسرائيل وصرح بأنه مستعد للتفاهم مع جميع العرب .

— وبدأت المفاوضات بين الحكومة المصرية (٢) وبين شركة القناة بين عامى ١٩٥٥ — ١٩٥٦ لزيادة حصة مصر من الرسوم الضخمة التى تحصل عليها الشركة . وكانت الحكومة المصرية فى نفس الوقت تأمل أن تستثمر شركة قناة السويس جانبا كبيرا من الأموال التى تربحها فى مشروعات مصرية وأن تستخدم جانبا منها فى مشروعات التنمية الاقتصادية فى مصر ووصل الطرفان الى اتفاقية وقعت فى شهر مايو سنة ١٩٥٦ (قبل شهرين من تأميم القناة) وتقضى الاتفاقية بأن تستثمر الشركة فى مصر كل عام ثلاثة ملايين جنيه وذلك لمدة سبع سنوات — ولكى تدلل الشركة على حسن نيتها دفعت للحكومة المصرية فى شهر يونيو سنة ١٩٥٦ أربعة ملايين جنيه لأغراض الاستثمار .

شركة القناة تفكر فى مد الامتياز (٣) :

فى زيارة لمستر داج همرشلد سكرتير عام الأمم المتحدة لمصر قابل عبد الناصر على عشاء يوم ٢ مايو فى منزل الرئيس وفى سياق الحديث وفجأة أبلغ همرشولد عبد الناصر أن رئيس مجلس ادارة شركة القناة قابله فى نيويورك ومعه مجموعة من رجال البنوك وشركات الملاحة وطلب منه أن يبحث مع مصر امكان موافقتها على مد امتياز شركة القناة الى ما بعد

---

(١) فخ السويس لهنرى أزو ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) فخ السويس لهنرى أزو ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) الاهرام عدد ١٩٨٦/١١/١١ حلقة ٢٢ من كتاب ملفات السويس للاستاذ محمد حسنين هيكل .

سنة ١٩٦٨ ، أو أن تسمح مصر بعد انتهاء مدة الامتياز لتقوم الشركة بادارة القناة بتوكيل من مصر لمدة أربعين أو خمسين سنة .

وكان رد عبد الناصر بأنه كممثل لحكومة شعب مصر فانه لا يملك أن يمثل هذا الشعب اذا ما سلم بذلك لأن جميع المصريين ينتظرون موعد انتهاء امتياز شركة القناة التى سرعان ما قطف ثمارها الغرب بمجرد أن انتهى شعب مصر من تحمل مشاق وتضحيات حفرها ـ أما موضع التوكيل فانه لم يسمع بمثله قط لأنه غير منطقى وغير معقول .

تدهور العلاقات المصرية البريطانية

فى نهاية عام ١٩٥٥ يئس الانجليز والأمريكان من ظهور أى استجابة من عبد الناصر بالتسليم لضغوطهم بمحاولتهم الامتناع عن بيع السلاح لمصر والتردد فى مساعداتهم المالية لتمويل مشروع السد العالى وبعد ان رفضت مصر الانضمام الى (١) الأحلاف الغربية (حلف بغداد) .

ـ وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ قام رئيس (٢) جمهورية تركيا بزيارة للأردن وكانت الزيارة فى الوقت الذى تمت فيه اتفاقية تمهيدية بين انجلترا والأردن لضم الأردن الى حلف بغداد وقام رئيس تركيا جلال بايار أثناء الزيارة بنشاط واسع باصدار بيانات تؤكد على انضمام الأردن لحلف بغداد وكانت الأردن قد أتمت اتصالات مع الانجليز على أمل أن تمد انجلترا الأردن بالأسلحة وكان محور الاتصالات هو الجنرال (جون باجيث جلوب) القائد البريطانى للجيش الأردنى والسيد سعيد المفتى رئيس الوزراء ، وأخذت اذاعات القاهرة ودمشق وصحفهما تفضح نشاط جلال بايار رئيس تركيا . وعندما ترددت الأردن بعض الوقت بادر (ايدن) بارسال المارشال (جيرالد تاميلر) رئيس أركانحرب الجيش البريطانى الى عمان لوضع الخطوط النهائيـــة لخطة تسليح الجيش الأردنى نظير الانضمام الى حلف بغداد ورفض (٣) أربعة وزراء أردنيين هذه الاتفاقية واستقال رئيس الوزراء سعيد المفتى وتشكلت حكومة برئاسة هزاع المجالى وقام بتحدى الشعور العام بتصريحه بأن حكومته لن تخضع لأى ضغوط حتى ولو من الرأى العام الأردنى . وقام الشعب الأردنى مستنكرا انضمام الأردن لهذا الحلف ونودى بهتافات عدائية لبعثة تمبلر واجتاحت الأردن المظاهرات الصاخبة ضد هذا الحلف .

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ، ص ٢٥٠ .
(٢) فتح السويس لهذرى آزو ، ص ١١٥ .
(٣) نفس المصـــدر .

ولما فشل البوليس الأردنى (١) فى صد المتظاهرين قام جلوب باشا باصدار الأوامر للجيش الأردنى باطلاق النيران ورفض ضباط الجيش وجنوده تنفيذ هذه الأوامر وقام هزاع المجالى بتقديم استقالة وزارته ، واستمرت المظاهرات وهرب مجلس الوزراء الى لبنان وغادر (الجنرال تمبلر) الأردن وعاد الى لندن دون أن يحقق أى شيء اللهم الا اثارة شعوب العالم العربى كله ضد فكرة الأحلاف العسكرية الغربية بصفة عامة وضد حلف بغداد بصفة خاصة ، وبادر الوطنيون الأردنيون وطالبوا حكومة الأردن بالغاء المعاهدة الانجليزية الأردنية وقطع العلاقات مع العراق ونادت بالتحالف مع مصر والسعودية ٠

انهاء خدمة جلوب باشا (أول مارس سنة ١٩٥٦)

بعد أن ظهر جلوب للشعب الأردنى بأنه العدو الرئيسى للشعور العربى فقد هدد الشعب الملك حسين وطالبوه بضرورة التخلص من جلوب — وقام الملك حسين يوم **أول مارس سنة ١٩٥٦** باصدار أمرا ملكيا بانهاء خدمة الجنرال (السيرجون باجيت جلوب باشا) على أن يغادر الأردن فورا ٠

احتجاج بريطانيا وحقيقة أوضاع الأردن

وعلى أثر ذلك قامت بريطانيا بتهديد الأردن بسحب المعونة البريطانية منها ، وبادر عبد الناصر بالاتفاق مع سوريا والسعودية ليقوم الثلاثة بالمساهمة فى دفع مبالغ(٢) للأردن توازى مبالغ المعونة البريطانية للأردن ٠ واحتجت بريطانيا عن طريق سفيرها فى القاهرة على هذا التصرف المصرى واعتبرته بمثابة تدمير للمعاهدة البريطانية الأردنية وتعديا من مصر على المصالح البريطانية فى المنطقة ٠ كما نظر ايدن الى عملية طرد جلوب على أنها نتيجة مباشرة لدسائس عبد الناصر فى المنطقة وسيتبعها تدمير شامل للمصالح البريطانية فى الشرق الأوسط ٠ وغاب عن نظر ايدن أن معظم ضباط الجيش (٣) الأردنى من المتأثرين بسياسة عبد الناصر الوطنية وأن السهولة التى تتساقط بها الحكومات الموالية للانجليز فى الأردن ترجع أساسا الى التكوين الحقيقى لشعب الأردن لأن ثلثى سكان الأردن يتألفان من أصل أجنبى عن البلاد وبخاصة بعد ضم الجزء العربى

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١١٦ ، ١١٧ ٠

(٢) مكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ٠

(٣) فخ السويس « لهنرى آزو » ص ١١٦ ، ١١٧ ٠

من فلسطين والذى لم تحتله القوات الاسرائيلية فى حرب فلسطين وهم من اللاجئين الفلسطينيين أى من العرب الذين قاسوا من آلام الاحتلال الاسرائيلى وهؤلاء الفلسطينيون قوم نشطون سرعان ما اندمجوا فى الشعب الأردنى بما فيه الجيش الأردنى والذى يعتبر مجالا طيبا لشعارات عبد الناصر الوحدوية .

أما بالنسبة لفرنسا ..

ففى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤ فقد هب الشعب (١) الجزائرى ليحصل على استقلاله وقدمت مصر لثورة الجزائر معونات فعالة وأمدتها بالسلاح والذخائر وعاونتها فى تدريب الثوار وفى الدعاية لكفاحهم وكانت عملية نقل السلاح الى الجزائر من أخطر وأدق العمليات وسقط فيها شهداء من المخابرات المصرية فى عرض البحر نتيجة اغراق فرنسا لاحدى سفن نقل السلاح لثوار الجزائر . وفى ذلك الوقت الذى كانت تنظر فيه فرنسا الى الجزائر على أنها جزء من أرض فرنسا وردا على موقف مصر المتعاطف مع ثورة الجزائر تعاطفت فرنسا مع الحركة الصهيونية اغاظة فى العرب وساهمت فرنسا فى تدريب الهاجاناه (جيش اسرائيل السرى) وقامت بامداده بالسلاح وكانت فرنسا متحيزة لاسرائيل وقامت قبل عقد صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر بتزويد اسرائيل بكمية ضخمة من الأسلحة مخالفه بذلك اتفاقها مع بريطانيا والولايات المتحدة بعدم اعطاء أسلحة لدول الشرق الأوسط من أجل حفظ التوازن فى المنطقة ، وبالغت فرنسا فى مضاعفة كميات المعونة العسكرية لاسرائيل وكانت فرنسا فى هذا الوقت قد فقدت ممتلكاتها فى آسيا وشمال أفريقيا نتيجة ثورة أهلها على فرنسا ولم يبق لها سوى الجزائر واعتبر (جى موليه) رئيس وزراء فرنسا أن عبد الناصر بمساعداته غير المحدودة لثوار الجزائر بمثابة تهديد خطير لمصالح فرنسا المتبقية فى المنطقة ، ولذا ينبغى القضاء على عبد الناصر قبل أن يستفحل خطره ، بعد أن اعتبرته المسئول الرئيسى عن قيام ثورة الجزائر الوطنية .

وفى الفترة التى شرعت فيها فرنسا فى التفاهم مع قيادة ثوار الجزائر ومنحت زعماء جبهة التحرير الجزائرية طرانا آمنا بين الرباط وتونس ، فجأة غدرت فرنسا بوعدها وأجبرت احدى الطائرات والتى عليها الزعماء الجزائريين بالهبوط فى الجزائر واعتقلتهم فى سجون فرنسا واشتد القتال نتيجة هذا الغدر وكان ذلك فى أوائل عام سنة ١٩٥٦ .

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

واشتعلت المقاومة الجزائرية من جديد وقامت القاهرة بالدعاية بجميع الوسائل لثوار الجزائر ونددت بالفرنسيين • وفقد عبد الناصر الثقة فى الفرنسيين وبالغ فى تقديم المعونات لجبهة التحرير الجزائرية وللثوار وصمم على الاستمرار فى ذلك حتى يتم تحرير الجزائر العربية فتدهورت العلاقات بين فرنسا ومصر الى أقصى حد •

وفى أوائل عام ١٩٥٦ عندما حشدت فرنسا معظم امكانياتها العسكرية فى مواجهة الجزائر ، كان رأى المخابرات الفرنسية هو ضرورة تسخين الموقف فى جبهة مصر مع اسرائيل (١) واستحدثت فرنسا حماس اسرائيل وكان بن جوديون رئيسا لوزرائها ومتشوقا لهذا التسخين لدرجة القتال مع مصر وقبل أن يمر الوقت الكافى لاستيعاب الجنود المصريين للأسلحة السوفيتية الجديدة • وفعلا بدأت سلسلة الاعتداءات الاسرائيلية الى أن اجتمع مجلس الأمن فى ٤ ابريل سنة ١٩٥٦ فى نيويورك لبحث الموقف المتدهور فى الشرق الأوسط وبخاصة بعد أن اضطر عبد الناصر للرد على هذه التحرشات والاعتداءات بقيام الفدائيين بالعديد من الغارات داخل اسرائيل يوم ٥٦/٤/٧ وعلى المستعمرات داخل النقب وعلى أثر ذلك وصل همرشولد سكرتير الأمم المتحدة الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر يوم ١١ ابريل سنة ١٩٥٦ لمحاولة تهدئة الموقف •

تطور العلاقات المصرية الأمريكية (والسد العالى) •

— كان مشروع السد العالى وقتها بالنسبة لمصر يعتبر أهم وأكبر مشاريعها الضرورية واعتبرته ثورة ٢٣ يوليو فى مقدمة مهامها لتحقيق التنمية الزراعية لتحقيق الرخاء بعد توفير مياه (٢) الفيضان التى تلقى فى البحر وبذلك يمكن زيادة الرقعة الزراعية المحدودة بالاضافةالى تفادى الجفاف وتوليد الطاقة الكهربية لاستخدامها فى تصنيع البلاد •

وقامت الثورة فى السنين الأولى بتكليف الخبراء الألمان باعداد الدراسات عن هذا المشروع وظهرت من الدراسة مشكلة التمويل لضخامتها فاتجهت مصر الى الولايات المتحدة وانجلترا والبنك الدولى •

— فى سنة ١٩٥٥ أقر خبراء البنك الدولى المشروع وسافر دكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ الى واشنطون

---

(١) عدد الأهرام يوم ١٩٨٦/١١/١١ حلقات كتاب ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل •

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٥٣

ليبدأ المفاوضة مع رئيس البنك الدولى يوجين بلاك ومع ممثلى الحكومتين الأمريكية والبريطنية ٠

ـ فى ديسمبر سنة ١٩٥٥ أعلن البنك الدولى أنه سوف يقوم بالتمويل اللازم لمشروع السد العالى بالاشتراك مع بريطانيا والولايات المتحدة ٠

وفى نفس الوقت قدم الغرب مذكرة تفسيرية بها شروط مجحفة كأساس لتنفيذ المشروع وكانت الشروط هى : ـ

١ ـ أن تتعهد مصر بتركيز تنميتها على مشروع السد العالى فقط وتخصص ثلث دخلها لمدة عشر سنوات لهذا الغرض ٠

٢ ـ أحقية البنك الدولى فى مراجعة ميزانية مصر ٠

٣ ـ مراجعة ميزان مدفوعات مصر حتى لا يحدث تضخم ٠

٤ ـ أن تجرى عقود الانشاء على أساس المنافسة مع استبعاد الكتلة الشرقية كلية من المشروع ٠

٥ ـ أن تتعهد مصر بألا تبرم أى اتفاقات مالية أو تحصل على أى قروض دون موافقة البنك الدولى ٠

الرفض

ورفضت مصر هذه الشروط لأنها قد تؤدى الى سيطرة الغرب على اقتصاد مصر ثم تنتهى بالاطاحة فى النهاية باستقلالها كما حدث لمصر فى عهد الخديوى اسماعيل وضخامة قروضه ٠

وحضر يوجين بلاك رئيس البنك الدولى الى مصر لمحاولة اقناع عبد الناصر بقبول هذه الشروط ٠

ورفض عبد الناصر هذه الوساطة فأوفد دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة كيرمت روزفلت رجل المخابرات والذى سبق ودبر انقلابا بايران أطاح فيه بحكومة محمد مصدق ٠ وكان سبق اجتماعه مع عبد الناصر منذ آخر سنة ١٩٥٣ وكانت بينهما علاقات صداقة ٠

تعديل الشروط

وبعد عدة مقابلات بين عبد الناصر ويوجين بلاك واشتراك كيرمت روزفلت أمكن الوصول الى اتفاق بعد موافقة الجانب المصرى على الاكتفاء

بشرط واحد وهو حق البنك الدولى فى الاشراف على الاجراءات المصرية التى تكفل عدم حدوث تضخم فى مصر ٠

ـ فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥٥ أعلن البنك الدولى انه بالاشتراك مع انجلترا وأمريكا سيقومون بتمويل مشروع السد العالى بقروض على أن يقوم البنك الدولى بدفع نصف العملات الصعبة التى يحتاجها المشروع وتقوم حكومتا واشنطون ولندن بدفع النصف الآخر وكان دالاس وايدن يبغيان من ذلك ابعاد الروس عن المنطقة رغم شكهما فى عدم قدرة الروس المالية على تمويل مثل هذا المشروع ببنما كانت الولايات المتحدة تتوق الى اكتساب شعبية فى مصر والتى كانت قد فقدتها منذ رفضها امداد مصر بالسلاح الذى تطلبه ٠

وهكذا كان عبد الناصر دائم المحاولة (١) للحصول على السلاح من الروس بعد يأسه من الأمريكان ٠

ـ وفى نفس الوقت الحصول على معونة بناء السد العالى من الغرب وأمريكا ٠

ـ وفى نفس هذه الفترة كان الرئيس الأمريكى ايزنهاور يتطلع الى قيام الولايات المتحدة منفردة بدور متميز فى منطقة الشرق الأوسط تمشيا مع سياسة سد الفراغ (٢) ودعا كبار مستشاريه لدراسة تمويل السد العالى وشرع فى التقدم الى الكونجرس يطلب الاعتمادات المالية اللازمة وبعث الى الكونجرس يقترح دراسة امكانية تقديم قرض بمبلغ مائتى مليون دولار لتمويل مشروع السد العالى ٠

مشروع أمريكى للصلح مع اسرائيل :

ـ وفى ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٥ أرسلت حكومة واشنطن الى مصر (٣) مبعوثا خاصا هو (مستر اندرسون) المليونير الأمريكى صديق الرئيس ايزنهاور وذلك فى مهمة سلام وحضر الى مصر يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٥ وقابل عبد الناصر وبعد تبليغ الرئيس عبد الناصر عن الدور المؤثر للولايات المتحدة والرئيس ايزنهاور فى تمويل مشروع السد العالى انتقل فجأة بعرض امكانية التوسط فى مشروع صلح بين مصر واسرائيل وأجاب عبد الناصر أنه رغم انه غير مخول للتحدث فى موضوع الصلح مع اسرائيل لأنه مرتبط بجميع الأطراف العربية الا أنه لم يكن لديه مانع من قبول

---

(١) كتاب فخ السويس لهنرى ازو ص ١٣٦ ٠

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٩٨٦/١١/٣ حلقة ١٩ من كتاب ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل ٠

(٣) نفس المصــــدر الســــابق ٠

هذا الصلح على أساس ضرورة قبول اسرائيل بقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ لأنه يحقق اعادة منطقة النقب للعرب وبذلك يتم الاتصال بين المشرق العربى والمغرب العربى أرضيا وبذلك يمكن لمصر أن تقنع باقى العالم العربى بهذا المشروع • واضطر عبد الناصر الى توضيح هذه الفكرة الى مستر اندرسون على الخرائط وظهر الارتياح على مستر اندرسون بل والاقتناع حيث قال (It is Quite Fair) (طلب عادل جدا) دليل على عدالة المطلب وقام مستر اندرسون بعد ذلك مباشرة بزيارة اسرائيل ومقابلة بن جوريون – وطلب بن جوريون كشرط للصلح أن يتقابل الطرفان المصرى والاسرائيلى وجها لوجه فى مباحث وحضر أندرسون وأبلغ ذلك الى عبد الناصر ورفض عبد الناصر ذلك وكانت اسرائيل قبل حضور أندرسون للمرة النافذة الى مصر من اسرائيل قد قامت بهجوم مسلح على سوريا مما جعل عبد الناصر يبلغ المبعوث الأمريكى مستر اندرسون استحالة جلوس مصر مع اسرائيل على مائدة واحدة وهى تقوم من وقت الى آخر بالاعتداء على الأراضى العربية – وسافر مستر اندرسون الى الولايات المتحدة لحضور أعياد رأس السنة على أن يرجع مرة أخرى الى مصر مزودا برأى حكومته وكانت (١) الادارة الأمريكية ميالة الى اجابة طلب ناصر لتمويل مصر لانشاء السد العالى ولكن أى معونة وقتها للعرب كانت تلقى دائما معارضة من وراء ستار من دوائر واشنطون حيث يحرص أعضاء الكونجرس دائما على الشعور بالعطف على اسرائيل • وكان دائما بالكونجرس المندوبون المتيقظون للجماعات المنظمة من اليهود ومن أنصار اسرائيل والتى كانت دائما تقف الى جانب اسرائيل وبما لها من نفوذ فى الادارة الأمريكية وكانت دائما هى العامل الفعال فى أى قرار حكومى أمريكى خاص بالشرق الأوسط •

اعلان دستور ١٦ يناير سنة ١٩٥٦

فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وهو تاريخ انتهاء فترة (٢) انتقال (٣ سنوات) أعلن الرئيس عبد الناصر قيام دستور ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وذلك فى مؤتمر شعبى فى ميدان الجمهورية وهو ليس مقتبسا من دستور سنة ١٩٢٣ ولا من المشروع الذى وضعته لجنة الدستور (الخمسين) وكان له ديباجة بليغة ولكنها لا تمثل محتوياته من مواد كانت كلها تؤكد

---

(١) كتاب First Handbook تاليف شرمان آدمز مساعد الرئيس ايزنهاور من سنة ١٩٥٠ ، ص ١٧ •

(٢) ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعى ص ٢٤٧ ، ٢٤٩ الى ٢٥٢ •

وتعطى مزيدا من السلطات لرئيس الدولة . على حساب باقى السلطات رغم أنها كانت مقدمته توضح فى كلماتها أهداف الثورة على أنها تعبير عن ارادة الشعب وكان من أهم أهداف الثورة التى تلاعبت بها صياغات دستور ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ هى هدف « اقامة حياة ديمقراطية سليمة » .

وجاء بالمادة الأولى : أن مصر دولة عربية مستقلة ـ ذات سيادة وهى جمهورية ديمقراطية والشعب المصرى جزء من الأمة العربية .

والمادة الثانية : نصت على النظام الجمهورى الرياسى ويكون رئيس الجمهورية هو فى نفس الوقت رئيس الوزراء . فكان مقتبسا من نظام الجمهورية الرئاسية من دستور الولايات المتحدة الأمريكية مع التوسع فى اختصاصات الرئيس . ودون أى مسئولية لرئيس الجمهورية أمام أى سلطة .

وجعل اختيار رئيس الجمهورية بواسطة الشعب فى استفتاء عام ويرشح مجلس الأمة رئيس الجمهورية ويعرض الترشيح على المواطنين لاستفتائهم فيه .

ـ ونص الدستور على أن يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويجتمع معهم فى هيئة مجلس وزراء كرئيس لمجلس الوزراء .

وفى البند السابع : جعل لرئيس الجمهورية سلطة حل مجلس الأمة .

وفى البند العاشر : ينص الدستور على أن يؤلف المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق أهداف الثورة على أن يتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الأمة .

(والحقيقة أن المواطنين لم يكن لهم أى دور فى تأليف الاتحاد القومى لأنه صادر من رئيس الجمهورية نفسه) .

ونص البند الحادى عشر : على اجراء الاستفتاء على الدستور وعلى رئيس الجمهورية يوم السبت ٢٣ من شهر يونيو سنة ١٩٥٦ وأن يعمل به من تاريخ اعلان موافقة الشعب عليه .

الاستفتاء

وقد تم الاستفتاء العام فى المواعيد المحددة ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٦ وأسفر الاستفتاء على الدستور وعلى انتخاب رئيس الجمهورية معا وبشبه اجماع من الشعب وبخاصة أنهما تما بعد جلاء الاحتلال فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ وكان مفروضا أن ينعقد مجلس الأمة فى نوفمبر سنة ١٩٥٦

ولكن أحداث تأميم القناة والعدوان الثلاثى أجلت الانتخابات حتى يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٧ ٠

قانون الانتخابات وقانون مجلس الأمة

في ٣ مارس سنة ١٩٥٦ صدر القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية (قانون الانتخابات) وفيه خفض سن الناخب الى ثمانى عشرة سنة ميلادية لاعطاء فرصة للشباب وكانت ٢١ سنة كما اعترف للمرأة لأول مرة بحق الانتخاب وأعطى لأفراد القوات المسلحة حق الانتخاب وكذلك المعتمدين بالخارج والموجودين على السفن المصرية ٠

وفى ١١ يونيو سنة ١٩٥٦

صدر القانون رفم ٢٤٦ لسنة ١٩٥٦ بعضوية مجلس الأمة ونص على أن محكمة النقض تقوم بالتحقيق فى صحة عضوية أعضاء المجلس لمجرد التحقيق أما الفصل فى صحة العضوية فهو من اختصاص مجلس الأمة ذاته ٠ وأنه لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة وتولى الوظائف العامة ولا العمل فى مجالس ادارات الشركات المساهمة وحذر القانون ترشيح رجال القضاء والنيابة وضباط البوليس والقوات المسلحة لعضوية مجلس الأمة قبل قبول استقالاتهم وعهد القانون بالترشيح لمجلس الأمة الى الاتحاد القومى ٠

عودة الى تطور العلاقات المصرية الأمريكية والسد العالى

ومنذ ديسمبر سنة ١٩٥٥ علمت أمريكا ان الاتحاد السوفيتى وافق (١) بصفة مبدئية على تمويل مشروع السد العالى لمدة ١٠ سنوات واستخدمت أمريكا مخططها من خلال مهمة المبعوث مستر اندرسون بمحاولة ابعاد النفوذ السوفيتى (٢) ٠ وعاد المبعوث اندرسون الى القاهرة فى الاسبوع الأول من يناير سنة ١٩٥٦ وقابل عبد الناصر ومعه مشروع أمريكى للصلح بين مصر واسرائيل على ٣ ورقات على شكل خطابات ثلاثة على أنها صادرة من الرئيس المصرى لتوقع منه : الورقة الأولى والثانية عبارة عن صياغة دقيقة تحمل معنى موافقة مصر على الصلح مع اسرائيل وكلها اجحاف بحقوق مصر وتحقيق مكاسب لاسرائيل ٠ والورقة الثالثة فهى عبارة عن رسالة مفروض انها صادرة من جمال عبد الناصر وعليه أن يوقعها دون أى تعديل فى صياغتها يبلغ فيها عبد الناصر البنك الدولى

---

(١) كتاب فخ السويس هنرى آرو ، ص ١٣٥ و ١٣٧ ٠

(٢) جريدة الأهرام عدد ١٩٨٦/١١/٤ حلقة ١٩ من كتاب ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل ٠

بقبول مصر صراحة على اشراف البنك الدولى فعليا على موارد مصر المالية وأوجه صرفها فى سنوات تنفيذ مشروع السد العالى • وبعد ان اطلع عبد الناصر على هذه الورقات الثلاث رفض مقابلة مستر اندرسون مرة أخرى وأحاله على السيد على صبرى وفشلت مهمة اندرسون وغادر القاهرة غاضبا أما ايزنهاور فقد كان شديد الغضب وكذلك مستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية وأصبح يكن عداوة شخصية لعبد الناصر وأخذ رجال المخابرات الأمريكية (١) بالاشتراك مع نظرائهم البريطانيين فى تدبير انقلاب فى مصر يطيح بعبد الناصر ونظامه • ومع ذلك أعلن البنك الدولى فى ٨ فبراير سنة ١٩٥٦ انه تم الاتفاق مع مصر على ان يقوم البنك الدولى بمد مصر بقرض قدره ٢٠٠ مليون دولار •

وفى ابريل سنة ١٩٥٦ قام مستر خروتشوف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى وبولجانين بزيارة لندن وخلال الزيارة وفى احدى اللقاءات عرض ايدن على خروتشوف ان يشارك الاتحاد السوفيتى دول البيان الثلاثى أمريكا وانجلترا وفرنسا فى موضوع تحديد صادرات السلاح الى منطقة الشرق الأوسط ورد خروتشوف « ان الاتحاد السوفيتى يتمنى أن يشارك فى هذا البيان لو انه لم تكن هناك شحنات أسلحة تصدر لآخرين فى الشرق الأوسط (يقصد الى اسرائيل من دون الغرب)» • وخشى عبد الناصر ان تكون هناك نية اتفاق غربى ـ سوفيتى على حساب العلاقات السوفيتية المصرية وبخاصة فى موضوع مد مصر بالسلاح وتكون هذه مقدمة لمنع السلاح السوفيتى عن مصر فبادر بالاعتراف بالصين الشعبية فى ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ معلنا تبادل السفراء بين حكومتى بكين والقاهرة وفى نفس الوقت قطعت مصر علاقاتها مع حكومة فرموزا (الصين الوطنية) والتى تؤيدها أمريكا • وباعتراف مصر بالصين الشعبية ضمنت مصر حليفا جديدا يمكنه أن يمد مصر بالسلاح فى حالة تنكر الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى اذا ما تم الوفاق بينهما على حساب الأمن المصرى وبهذه الخطوات الايجابية ظهرت مصر أمام العالم الثالث وأمام العالم العربى بمظهر الدولة الصغيرة المثالية فى علاقاتها مع الدول العظمى على أساس التمسك بالسياسة الاستقلالية الكاملة دون الخضوع لأى ضغوط من الدول الكبرى التى تحاول احتواء الدول الصغرى داخل أى نوع من أنواع التبعية • وبذلك حازت مصر على اعجاب شعوب دول العالم الثالث التى طال انتظارها للزعيم الوطنى الذى يمكنه الوقوف فى وجه الغطرسة والعنجهية الاستعمارية للقوى العظمى وأصبح عبد الناصر رمزا لهذه الزعامة •

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٥٤ •

وفى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ وفى خلال أعياد الاستقلال (١) بعد مغادرة آخر جندى بريطانى أرض مصر حضر شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى (والذى سبق وأجرى مفاوضات مع عبد الناصر بشأن ارسال أسلحة الى مصر) فقد قام أيضا هذه المرة بالاتفاق على صفقة سلاح ثانية مع عبد الناصر وتابع الأمريكيون هذه المحادثات عن كثب ٠ وكانت هذه الصفقة تسمل قاذفات قنابل طويلة المدى (٢) الغرض منها هو تهديد مقصود لقاذفات القنابل الأمريكية التى تريد وضعها فى القواعد الغربية بالدول الأعضاء فى حلف بغداد لكى تهدد المراكز الحيوية فى الاتحاد السوفيتى ٠

تدهور العلاقات بين مصر والولايات المتحدة

فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥٦ وصل الى القاهرة يوجين بلاك رئيس البنك الدولى وأحد أساطين رجال المال الأمريكان الذين يدورون فى فلك «روكفلر» وشركات سفن ناقلات البترول الكبرى والتى تعتمد فى تمويلها على البنك الأمريكى « شيزمانهاتن » ٠ وأبلغ يوجين بلاك فى لقائه مع عبد الناصر ان العرض الأمريكى بتقديم المعونة الى مصر والخاص بمشروع السد العالى والمتفق عليه فى فبراير سنة ١٩٥٦ سيسحب اذا لم توافق مصر قبل أول يوليو سنة ١٩٥٦ على المشروع بالكامل ٠ وكانت الولايات المتحدة متعجلة للحصول على موافقة مصر قبل أن يوقع عبد الناصر مع الاتحاد السوفيتى عقود الأسلحة الجديدة فى ٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أبلغت الحكومة الأمريكية الحكومة المصرية ان المبلغ الذى وعدت به الحكومة المصرية (٥٤ر٦ مليون دولار) بالمساهمة فى مشروع انشاء السد العالى قد أعيد الى الخزانة الأمريكية وبررت الولايات المتحدة هذا الاجراء بأن مصر لم تعلن قبولها للعرض الأمريكى حتى يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٦ وهو تاريخ انتهاء السنة المالية ١٩٥٥/١٩٥٦ ٠ وكان هذا بمثابة انذار من أمريكا للحكومة المصرية والتى أصبح عليها أن تختار بين انشاء السد العالى وبين الحصول على الأسلحة السوفيتية ٠ وكان الأمريكيون فى هذه الفترة يعتقدون ان الروس ليسوا جادين فى القيام بعملية السد العالى لأنها فى غير طاقتهم وكل ما يهمهم هو بيع الأسلحة الهجومية لمصر ٠ ومما أظهر نية الولايات المتحدة فى تشديد الضغط على عبد الناصر ولأقصى حد انها فى هذا التاريخ قامت بابعاد الدبلوماسيين الأمريكيين واللذين كانا على علاقة ودية

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ص ١٣٠ ، ١٣٣ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٣٤ و ١٣٥ ٠

طيبة جداً مع عبد الناصر وهما جورج ألين وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وهنرى بايرود السفير الأمريكى فى القاهرة وأبعدتهما عن دوائر الاتصال بعبد الناصر مما يظهر الحكومة الأمريكية بهذه التصرفات وكأنها تتعمد تحدى مصر وعبد الناصر بالذات وكانت هذه التنقلات الدبلوماسية محل تساؤلات فى العالم • وتأكد عبد الناصر ان أمريكا سوف لا تمده بالسلاح ولا بالقرض اللازم لمشروع السد العالى بأى حال من الأحوال ما دام ان مصر لم توافق على الصلح مع اسرائيل بما يتمشى مع مصلحة اسرائيل وما دامت مصر ترفض الانضمام لشبكة الأحلاف العسكرية الغربية فى المنطقة بل وانها تحرض باقى الدول العربية بما يتعارض مع المصالح الغربية بصفة عامة ومع المصالح الأمريكية بصفة خاصة ومع ذلك فانه عندما حضر السفير المصرى لدى الولايات المتحدة الدكتور أحمد حسين الى مصر (١) تقابل مع عبد الناصر يوم ٨ يوليو سنة ١٩٥٦ وألح على عبد الناصر فى قبول شروط البنك الدولى فان عبد الناصر رد عليه بما يفيد أنه حتى لو قبلت مصر الموافقة على هذه الشروط فان دالاس وزير خارجية أمريكا لأشياء فى نفسه من جهة عبد الناصر فسوف يرفض هذه الموافقة من مصر أيضا • وأخيرا سمح للسفير المصرى بالسفر بسرعة الى الولايات المتحدة وتبليغ وزير خارجية أمريكا بموافقة مصر •

البيان وتعمد اهانة مصر

وعاد الدكتور أحمد حسين سفير مصر لدى الولايات المتحدة وتحدد له موعد مع دالاس وزير الخارجية مساء الخميس ١٩ يوليو ١٩٥٦ وأبلغه دالاس فجأة وقبل ان يتكلم الدكتور أحمد حسين « ان الولايات المتحدة غيرت رأيها فى موضوع السد العالى وتعتذر عن المضى فى أية مفاوضات تتعلق بتمويل المشروع وانه سيجد التفاصيل فى البيان الذى أصدرته الحكومة الأمريكية » وبعد ان أصيب السفير المصرى بصدمة خرج واطلع على البيان الرسمى فكانت الصدمة أشد وكان نص البيان بما يحوى من اهانة متعمدة لمصر والحط من سمعتها : ــ « ان الولايات المتحدة أصبحت مقتنعة ان الحكومة المصرية ليس فى استطاعتها ان تقدم النقد المحلى اللازم لتمويل مشروع السد هذا المشروع العملاق سوف يؤدى تنفيذه أن يفرض على الشعب المصرى تقشفا لمدة تتراوح ما بين ١٢ ، ١٥ سنة وان الشعب

---

(١) كتاب حرب السويس ٩٥٦ ــ دكتور محمود فوزى ، ص ٤٤ ، ٤٥ •

المصرى لا يستطيع تحمل ذلك . ثم ان الحكومة الأمريكية لا ترغب فى أن تتحمل هذه المسئولية . وان مصر رهنت محصولها من القطن فى مقابل السلاح السوفيتى الذى تحصل عليه (وهذا غير صحيح بالمرة لأن أقساط السلاح التى كانت تدفعها مصر للاتحاد السوفيتى لم تكن تتجاوز ثمانية ملايين جنيه مصرى سنويا .

ـ أبلغ عبد الناصر بفحوى البيان وهو فى طريقه على الطائرة عائدا من زيارة ليوغوسلافيا لحضور اجتماع قمة مع الرئيس تيتو والزعيم نهرو وكان يرافقه على نفس الطائرة الزعيم نهرو وذلك يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ .

ـ فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٦ وفى خطاب (١) لعبد الناصر فى حفل افتتاح خط أنابيب بترول قرب السويس قال « اننى اليوم حينما أرى هذا العمل الذى وضعت حجره الأساسى منذ عام مضى أشعر فعلا ان مصر تتجه قدما فى سياستها التقدمية نحو البناء والانتاج ، نحو التصنيع ، ونحو تحقيق استقلال اقتصادى ، ما دامت مواردنا وامكانياتنا تمكننا من ذلك .... فاذا قامت فى واشنطن ضجة تعلن ، وقد تجردت من الحياء بل تجردت من أى مبدأ من المبادىء التى تقوم على أساسها علاقات الدول ، وتعلن كذبا وخداعا وتضليلا ان الاقتصاد المصرى قاصر ويدعو الى الشك . اننى أقول لهم موتوا بغيظكم فلن تستطيعوا أن تتحكموا فى مصر .... لأننا نعرف طريقنا .... ونقول لهم ان مصر تشعر ان اقتصادها سليم وقد زاد انتاجنا فى الأربع السنوات الماضية ٢٠٪ تقريبا فى كل النواحى والدخل القومى زاد فى عامين ١٦٪ وكذلك مشروعاتنا .... واننا لن نمكن أى مستعمر أو مستبد من السيطرة علينا سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا ... اننا اليوم أيها الاخوة أشد ايمانا وعزما وصلابة لأننا نعتمد على أنفسنا ... وستنجح مصر دائما باذن الله والله الموفق » . وكانت هذه الخطبة بمثابة مقدمة لاجراء آخر ايجابى سيتخذه عبد الناصر .

ـ ولم يضيع عبد الناصر وقتا (٢) وبادر بالاتصال بسفير الاتحاد السوفيتى فى مصر « كيسيليف » طالبا منه رد موسكو على امكان حصول مصر على معونة لتمويل مشروع السد العالى . وجاء رد موسكو بأسرع مما يتوقع وبأنها على استعداد لتمويل مشروع بناء السد العالى .

---

(١) مجموعة خطب وتصريحات جمال عبد الناصر القسم الأول من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى يناير ١٩٥٨ اصدار الهيئة العامة للاستعلامات ص ٥٤٥ الى ٥٤٧ .

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٥٧ .

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بمدينة الاسكندرية فى الاحتفال السنوى بذكرى خـروج الملك فاروق من مصر قام عبد النـــاصر بالقاء (١) خطابه السنوى ولم يكن هناك ثمة اهتمام فى بدء خطابه حيث أشـار الى ان « معاركنا لم تنته وليس من السهل أبدا ان نبنى أنفسنا فى وسط الأطماع الدولية والمؤامرات الدولية وأمامنا معـارك طويلة لنعيش أحرارا كرماء أعزاء ٠٠٠٠ وسنعمل حتى يمتد الوطن العربى من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى ٠٠٠٠ واننا لن نهمل العمل من أجل الاستقلال الاقتصادى لأننا نؤمن بأن الاستقلال الاقتصادى مكمل للاستقلال السياسى لأن التحكم الاقتصادى يستخدم فى الضغط ٠٠٠ وان سياسة مصر يجب ان تنبع من مصر لا من لندن ولا من واشنطن ولا من موسكو » ٠ وأخذ يستطرد فى خطابه بأسلوب عادى ويسرح فيه ملابسات وعد أمريكا وانجلترا بتمويل السد العـالى ثم المساومات الأمريكية التى ربطت فيهـا التمويل الغربى لمشروع السد العالى والحصول على السلاح بالصلح مع اسرائيل أو بفرض رقابة مالية على مصر وفرض شروط بعدم لجوء مصر لطلب أى نوع من المعونات سواء العسـكريه أو المالية من الكتلة الشرقية وكذا الرضـوخ لضرورة اشتراك مصر فى الأحلاف العسكرية الغربية الى أن قال « أما عن أمريكا فانهم يريدون أن يعاقبوا مصر لأنهـا رفضت أن تقف بجـوار التكتلات العسكرية٠٠٠٠ثم وصل يوجين بلاك الى مصر وهو مدير البنك الدولى وبدأ يتكلم معى فى تمويل السد العالى وقال اننا بنك دولى ولسنا بنكا سياسيا » ٠٠٠ قلت « كيف يكون مجلس ادارة هذا البنك ممثلا لدول ولا يكون بنكا سياسيا « وابتدأت أنظر الى بلاك وهو يفرض شروطه وشروط أمريكا وهو جالس على الكرسى وأتخيل اننى أجلس أمام فيردناند ديليسبس « كررها عدة مرات وبصوت عال وكانت كلمـة « فرديناد ديليسبس » (٢) هل كلمة السر التى على أثرها تم التحرك الذى دبره عبد الناصر منذ وصوله الى القاهرة يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ ٠ وبسماع كلمة « ديليسبس » بدأت قوات البوليس والجيش المعهود لها بتنفيذ المهمة عملها واحتلت مكاتب شركة القناة فى الاسماعيلية والقاهرة وبورسعيد وبورتوفيق والسويس فى آن واحد وسيطرت على المنشئات والموظفين وكانت هناك مجموعة أخرى عن الفنيين تحت اشراف البكباشى المهندس محمود يونس جاهزة لادارة القناة فنيا ضمانا لعدم توقف الملاحة ٠ ويستطرد عبد الناصر

---

(١) مجموعة خطب وتصريحات جمال عبد الناصر القسم الأول من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى يناير ١٩٥٨ اصدار الهيئة العامة للاستعلامات ٠

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٥٧ ٠

فى خطابه والشعب والحاضرون ينصتون له وغير مدركين لما يحدث فى نفس اللحظة فى منشئات شركة القناة وكان يقول « ونتيجة الكلام الذى قاله ديليسبس للخديو سنة ١٨٥٦ كانت الديون ثم كان احتلال مصر عام ١٨٨٢ ... واستدانت مصر بسبب هذا الموضوع ... فهل يكون التحكم الاقتصادى سببا للقضاء على حريتنا السياسية ؟ فلا يمكن أن يعود التاريخ مرة أخرى .... واننا لن نكرر الماضى بل سنقضى على الماضى بأن نستعيد حقوقنا فى قناة السويس ... فهذه الأموال هى أموالنا وهذه القناة ملك لمصر وسوف نبنى السد العالى كما نريد من أموال قناة السويس المصرية وسنعتمد على سواعدنا ولهذا وافقت اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتى :

(وبصوت جهورى وببطء أخذ عبد الناصر يقول) .

« قرار من رئيس الجمهورية

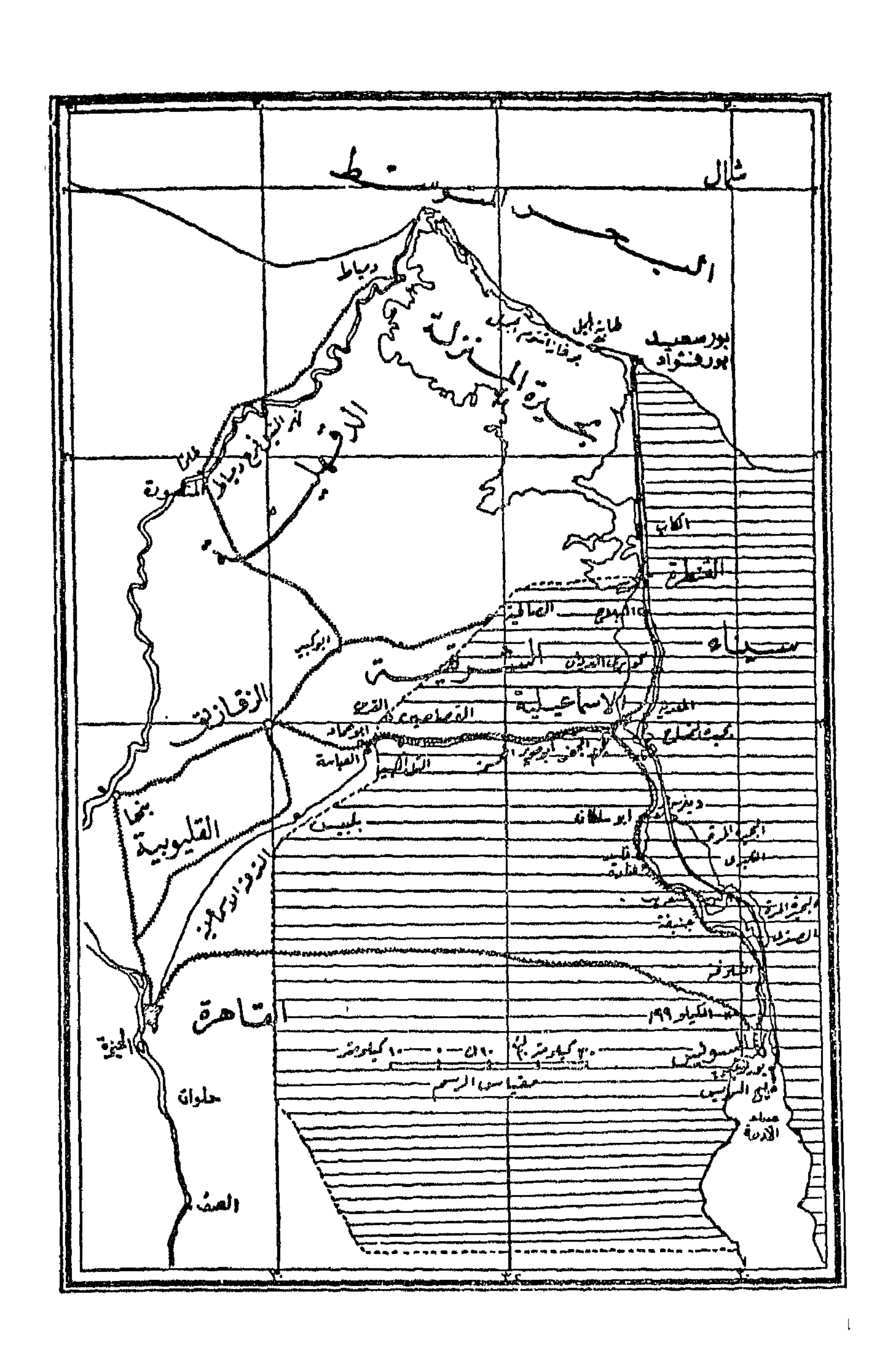
بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس »

باسم الأمة

رئيس الجمهورية

مادة ١ ـــ تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية ـــ وينتقل الى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات وتحل محل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا على ادارتها .

ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس مما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها مقدره بحسب سعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الأوراق المالية فى باريس ويتم دفع هذه التعويضات بعد استلام الدولة لجميع أملاك وممتلكات الشركة المؤممة » .



شمال
البحر المتوسط
دمياط
بورسعيد
بورفؤاد
بحيرة المنزلة
الدقهلية
المنصورة
الكاب
القنطرة
سيناء
الصالحية
الشرقية
أبو كبير
الزقازيق
الإسماعيلية
القصاصين
أبو حماد
العباسة
التل الكبير
ديفرسوار
أبو سلطان
البحيرة المرة الكبرى
فايد
جنيفة
البحيرة المرة الصغرى
الشلوفة
الكيلو ١٩٩
السويس
القليوبية
بنها
بلبيس
القاهرة
الجيزة
حلوان
الصف
مقياس الرسم
خليج السويس

صدى اعلان مصر تاميم القناة

كان اعلان تأميم شركة القناة بمثابة فرحة عمت مصر كلها وامتدت الى العالم العربى والى دول العالم الثالث وعبأ الشعب المصرى والأمة العربية لآخر مدى وكان التأييد من كل عواصم الأمة العربية بمثابة بعث لأمة حققت ارادتها ٠

ـ وكان عبد الناصر قد تحمل مسئولية هذا (١) القرار بالكامل وأبلغ به الوزراء وزملاءه أعضاء مجلس الثورة قبل اعلانه بساعات فقط يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ رغم أنه وضع الخطوط الرئيسية مع عدد محدود جدا من المختصين القانونيين والفنيين فى الأيام بين وصوله الى مصر قادما من يوغوسلافيا يوم ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ وبين يوم ٢٦ يوليو وكان تقديره للموقف « أن قرار التأميم سوف يؤدى الى تعبئة الشعب المصرى وجماهير الأمة العربية وسوف يثبت للعرب أننا قادرون على رد الاهانة وعلى الحركة وتحمل المسئولية ولكن الغرب لن يسكت وسوف يواجه مصر بالتهديدات العسكرية التى قد تتحول الى حرب وأنه من اللازم أن نتخذ حذرنا » ٠ وقدر عبد الناصر أن الدول الغربية سوف تفكر فى التدخل الى حد الحرب وقد استعرض موقف كل طرف كالآتى : ـ

١ ـ **الولايات المتحدة** : سوف تتردد فى الغالب فى تدخلها العسكرى لأن ذلك يعتبر افلاسا سياسيا من دولة كبيرة كما يؤدى الى احراجها مع الأطراف العربية الصديقة لها فى المنطقة ٠

٢ ـ **فرنسا** : لا تستطيع أن تتدخل بمفردها لأنها مشغولة بثورة الجزائر وتدهور أوضاعها بعد هزيمة الهند الصينية ٠

٣ ـ **اسرائيل** : قد تفكر فى التدخل عسكريا ولكنها لا تستطيع أن تتخذ من التأميم ذريعة لشن حرب لأن تدخلها عسكريا ضد مصر سيكون بمثابة حرب ضد الأمة العربية كلها وهذا يفرض على أمريكا محاولة مراجعتها بالاضافة الى أنه من مصلحتها أن تنتظر حتى ينتهى صراع مصر مع الغرب ٠

٤ ـ **بريطانيا** : فانها الطرف الذى يخشى عبد الناصر من تدخله وموقفها هو مفتاح العمل العسكرى لأن ضعف ايدن الظاهر داخليا وخارجيا قد يغريه باستخدام العنف وخاصة أن صراعه مع عبد الناصر كان قد

---

(١) عدد الأهرام ١٩٨٦/١١/١٤ الحلقة ٢٤ من كتاب ملفات السويس للاستاذ محمد حسنين هيكل ٠

وصل الى القمة وخاصة بعد خروج جلوب من الأردن وتصوره بأن السبب فى ذلك هو عبد الناصر • وبذلك أصبح عبد الناصر هو عدوه فى المنطقة ويدفعه ذلك للتفكير الجدى فى اختيار العمل العسكرى ضد مصر ويساعد على ذلك أن الجو الدولى الغربى وقتها كان ممهدا دعائيـا بعد الصدمة الدولية بمفاجأة اعلان مصر تأميم القنـاة • وكان رأى عبد الناصر أن الرأى العام الدولى هذا هو نفسه الذى يتحتم على مصر استغلاله والاستفادة منه بحسن ادارة القناة بعد التأميم مباشرة سواء بأيدى المرشدين الأجانب أو بالمصريين • وكانت المعلومات المتوفرة لدى الأجهزة المصرية أن انجلترا لا يمكنها بحجم قواتها المتاحة فى قواعدها فى الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض أن تحقق التدخل العسكرى بالسرعة اللازمة لتحقيق هزيمة حاسمة لمصر وبذلك سوف ينتظر ايدن بعض الوقت ، وهذه الفترة من الانتظار يجب أن تستغلها مصر الى أقصى حد بالنجاح فى ادارة الملاحة فى القناة لتثبت للعالم أن مصر قادرة على ادارة هذا المرفق الدولى وبذلك تفوت الفرصة على أهم ادعاءات الغرب بأن مصر أممت القناة دون أن تكون قادرة ومعدة لادارة القناة •

ـ وفى صباح يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٦ أى فى (١) اليوم التالى لاعلان مصر التأميم توجه أحد المحامين البريطانيين الى مكتب رئيس الوزراء ايدن وعرض عليه تقرير الادارة القانونية لوزارة الخارجية البريطانيـة يفصح فيه « أنه بفحص ودراسة اعلان مصر تأميم قنـاة السويس من جميع الزوايا فان عملية التأميم تعتبر خطوة قانونية وشرعية ما لم تغلق مصر القناة فى وجه الملاحة الدولية » ولكن ايدن بعد أن استلم التقرير وقرأه رمى به أمام المحامى •

قرار مصر بخصوص رسوم القناة

فى يوم ٢٨ يوليو وبعد أن أحس (٢) عبد الناصر أن هناك شيئا يجرى فى الخفاء بين الدول المعادية لمصر أعلن « سـوف نرد على القوة بالقوة » وفى نفس الوقت أرسل انذارا الى الشركات الملاحية التى تستخدم القناة بوجوب التزام التعليمات الخاصة بضرورة دفع رسـوم المرور للحكومة المصرية ، وتتوقف جميع الصادرات المصرية الى بريطانيا الا اذا دفعت بريطانيا رسوم المرور عن طريق دولة تقبل مصر عملتها •

---

(١) حرب السويس سنة ١٩٥٦ للدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية ، ص ٦١ •

(٢) كتاب فخ السويس (هنرى ازو) ص ١٥٦ •

– وفى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٥٦ أى اليوم التالى تعلن مصر عن عدم تمسكها بقرار ٢٨ يوليو السابق سخصوص الرسوم وذلك اثباتا لحسن النية ٠

التحضير للمقاومة

بعد اعلان التأميم بعدة أيام (١) توقع جمال عبد الناصر أن الغرب وبخاصة انجلترا وفرنسا سوف يثيران المشاكل فى وجه مصر وأن هذه المشاكل قد تصل الى درجة الاعتداء وتوقع بتقديره للموقف أن يوجه هذا العدوان الى منطقة القناة لذلك صدرت الأوامر لتنظيم المقاومة فى منطقة القناة وتحددت قياداتها من العناصر الوطنية والفدائية من ضباط الجيش والمدنيين السابق اشتراكهم فى مقاومة الانجليز فى منطقة القناة منذ بدء ثورة ٢٣ يوليو حتى اتفاقية الجلاء وجندت هذه القيادات الفدائية عناصر من شعب منطقة القناة وصـار تدريبهم وتم تخزين مواد وعتـاد وأسلحه المقاومة لدى هذه العناصر الشعبية فى المنطقة فى القرى وفى الكفور ٠ وحيث أن قرار التأميم كان قد حاز على التأييد الاجماعى من الأمه وبحماس فقد كان من المؤكد أن الشعب المصرى اذا ما تأزمت الحال ووقع العدوان الأجنبى على مصر فان هذا الشعب سوف يعيد التاريخ ويشـارك تلقـائيا فى مقـاومة هذا العدوان وبنفس الأسلوب التاريخى الذى جعل شعب مصر يشارك عن بكرة أبيه فى مقاومة الغزو الفرنسى لمصر عام ١٨٧٩ ٠

رد فعل اعلان مصر تأميم قناة السويس فى العالم

فى باريس

أثنـاء اجتماع الجمعية الوطنية الفرنسية وكان يحضرهـا رئيس الوزراء (جى موليه) ووزير الخارجية الفرنسية (٢) (بينو) علم بالخبر عن طريق أجهزة وكالات الأنباء ووجه النواب النقد اللاذع فى شكل أسئلة بعبارات ساخرة حـول قيمـة المخابرات الفرنسية بصـفة عامة ووزارة الخارجية الفرنسية بصفة خاصة ٠

– وفى نفس يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ يصل شيمون بيريز مبعوث خاص من بن جوديون الى باريس ويجرى محادثات مع الدوائر الحكومية بقصد توريد أسلحة لاسرائيل ٠

---

(١) مذكرات المؤلف (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ص ١٨٣ ٠

(٢) فخ السويس (هنرى آزو) ص ١١٤ الى ١٥٤ ٠

ـ واخـــذت باريس تتـــابع أخبـــار لنـــدن باهتمـــام وكانت فرنسا تريد السير الى نهاية الشوط لتأديب مصر عسكريا • وترى أنه يمكنها أن تجر معها اسرائيل لذلك يتصل موليه رئيس الوزراء فى صباح ٢٧ يوليو بايدن رئيس وزراء انجلترا ويبلغه رغبة فرنسا فى الاشتراك فى الهجوم الذى يعتزم ايدن أن يشنه على مصر ويعرض عليه اشراك اسرائيل ، ويرفض ايدن فكرة اشراك اسرائيل •

ـ ويتم الاتفاق على أن يسافر وزير خارجية فرنسا (مسيو بينو) الى لندن لاجراء مباحثات ثلاثية مع سلوين لويد وزير خارجية انجلترا ومع ممثل أمريكا فى فرنسا الى أن يحضر وزير خارجية أمريكا دالاس •

ـ وقررت فرنسا أن اشعال الحرب فى مصر هو أقصر الطرق لانهاء ثورة الجزائر وانه ما أن يقضى على مصر وعبد الناصر حتى تنتهى الثورة فى الجزائر • اعتمدوا فى هــذه الأفكار على التأييد الشـعبى الفرنسى للحكومة فى حالة اعلانها الحرب على مصر (ولكن سرعان ما انقلب الشعب الفرنسى ضد هذه الفكرة بمجرد أن قررت الحـكومة الفرنسية توزيع البنزين على الناس بالبطاقات) •

ـ فى يوم ٢٨ يوليو تنشر شركة القناة من باريس بيانا غير متوقع لأنه لم يتمسك باسلوب العنف بل بالعكس جاء بيانا مهدئا حذر فيه من حدوث انسحاب جماعى من جانب موظفى الشركة والمرشدين حتى لا يثير حنق ناصر ـ واكتفى البيان بالاحتجاج وأن التعويض الذى أعلنته مصر يشكل قصورا على مصالح المساهمين ـ وكان البيان أيضا يتضمن تعليمات للبنوك المودع بها أموال الشركة باعتبار أن أى أمر من الحكومة المصرية يعد باطلا •

ولم يذكر البيان أى كلمة عن ادارة العمل بالقناة أو التعليمات التى ستوجه الى المرشدين بالتوقف عن العمل •

ـ وأخذت الشركة تشجع مرشديها على البقاء فى أعمالهم وعلى ادارة القناة بكل ما لديهم من قوة •

وقد اتخذت الشركة هــذا الموقف المتعادل اســـتجابة لطلب من الحكومتين الفرنسية والبريطانية فلم يكن حتى هذا الوقت قد اتخذ أى اجراء عسكرى ولا ينتظر أن يتخذ قبل بضعة أيام وعلى أساس أنه اذا أثارت الشركة قضية تعطيل الملاحة فى القناة بسحب المرشدين فانهما سيضعان أنفسهما فى موقف يضرهما وأيضا لأن احتيــاطى البترول كان وقتها فى كل من فرنسا وانجلترا لا يكفيهما لعدة أيام وكان أيضا عليهما

مد الوقت حتى يمكنهما اتمام استعداداتهما العسكرية ولتمرير أكبر كمية من البترول الى فرنسا وانجلترا عبر القناة استعدادا للطوارىء .

ـ فى ٢٨ يولو سنة ١٩٥٦ أيضا (١) حدث اجتماع سرى فى شقة فاخرة فى غابة بولونيا وكانت بين شخصيات كبيرة رسمية ومتآمرة فرنسية وبين ما يقابلهم من الاسرائيليين وكان العنوان الرئيسى لهذا الاجتماع هو « أن تأميم قناة السويس قدم ذريعة غير متوقعة لعمل عسكرى ضد عبد الناصر على أن تكون اسرائيل شريكة فى الضربة مع فرنسا وانجلترا وأخذ الجانب الفرنسى على عاتقه عملية اقناع الجانب الانجليزى .

ـ وفى نفس يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٦ تنشر الحكومة الفرنسية فى الجريدة الرسمية اعلانا لادارة النقد الفرنسية بايقاف المعاملات المالية مع مصر مع السماح باستثناءات ما دامت تحقق الصالح العام القومى كشراء الأقطان طويلة التيلة مثلا .

ـ وفى يوم ٣٠ يوليوقابل رجال البنوك الفرنسيون بارتياح ما أعلنته مصر يوم ٢٨ يوليو بالاجراءات الغير متشددة فى دفع رسوم المرور فى القناة .

ـ وفى نفس يوم ٣٠ يوليو طالبت الجمعية الوطنية الفرنسية فى جلستها باتخاذ اجراء حاسم ضد مصر وقامت الصحافة الفرنسية بتأييد هذا الطلب والسخرية من تباطؤ الوزراء المسئولين فى اتخاذ هذا الموقف .

فى انجلترا

فى ١٠ داونينج استريت مقر الحكومة كان (٢) رئيس الوزراء ايدن يدعو فيصل ملك العراق ورئيس وزرائه نورى السعيد وعددا محدودا من البريطانيين سلوين لويد وزير الخارجية ولورد سالسبورى ولورد هيوم وزير شئون الكومنولث الى وليمة وقبل انتهائها حمل الى ايدن أحد أفراد السكرتارية خبر تأميم القناة فقرأه وظهر عليه الغضب والانفعال ولما استشار نورى السعيد رد عليه قائلا « أنه يجب ضرب عبد الناصر بشدة وفى الحال » وتنفض الوليمة وينتقل الجانب البريطانى الى غرفة اجتماعات مجلس الوزراء وتم استدعاء حامل الأختام ورؤساء أركانحرب الامبراطورية واعتبر ايدن أن اعلان عبد الناصر للتأميم ردا على سحب أمريكا عرضها بتمويل مشروع السد العالى بمثابة تهديد لكيان بريطانيا فى العالم العربى

(١) نفس المصدر السابق من ص ١٤٥ الى ١٤٨ .

(٢) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ص ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٥ .

ـ وتم استدعاء (مسيو شوفيل) سفير فرنسا وفوستر القائم بالأعمال الأمريكى وكان يرافق مسيو شوفيل (جورج بيكو) مدير عام شركة قناة السويس ولم يسمح له بدخول قاعة الاجتماعات ـ وفى هذا الاجتماع كان رأى بريطانيا هو ضرب مصر دون اثارة عداء العرب مع استعراض القوة ، أما الجانب الفرنسى فكان لديه الرغبة فى ضرب مصر بغرض انقاذ الجزائر .

وأعد ايدن بيانا قصيرا لالقائه فى مجلس العموم فى اليوم التالى وأبلغ نصه الى مسيو شوفيل قبل سفره الى فرنسا ، وكذلك القائم بالأعمال الأمريكى وطالب فرنسا وأمريكا باتخاذ اجراءات موحدة ردا على التهديد الموجه ضد مصالحهم المشتركة وامتد الاجتماع الى بداية صباح يوم ٢٧ يوليو فى صباح يوم ٢٧ يوليو القى ايدن بيانه أمام مجلس العموم وقال فيه « أن القرار الذى اتخذته مصر يؤثر على مصالح كثير من الدول وأن حكومة انجلترا تجرى مشاورات مع حكومات أخرى يمسها القرار المصرى مباشرة وأن حكومته عقدت العزم على حماية مصالح انجلترا الجوهرية فى هذه المنطقة من العالم بعمل عسكرى وقد قررت اتخاذ الاستعدادات اللازمة لذلك ـ وأن رؤساء أركان الحرب قد تلقوا تعليمات باعداد خطة العمليات اللازمة وأن انجلترا تنتظر أن تتخذ الولايات المتحدة موقف الحياد على الأقل وأنه اذا لم يمكن الحصول على المساعدات من أصدقائنا فعلينا أن نعمل وحدنا » . ثم قام ايدن بارسال برقية الى الرئيس الأمريكى ايزنهاور أبلغه فيها أنه مقتنع هو وزملاؤه بأنهم على استعداد لاستخدام القوة كحل أخير لاعادة عبد الناصر الى الصواب .

ـ ثم قامت الحكومة البريطانية باحتياطات لازمة فأمرت بتجميد الحسابات والأرصدة المصرية وأصدرت حظرا على تصدير الأسلحة والمعدات الحربية الى مصر ـ ومنعت خروج أربع مدمرات من الموانىء البريطانية سبق وتعاقدت عليها مصر مع انجلترا ـ ثم أرسلت مذكرة احتجاج الى الحكومة المصرية ولكن حكومة مصر أعادت هذه المذكرة الى الحكومة البريطانية دون الرد عليها وتعمد ايدن عدم عرض النزاع على الأمم المتحدة حتى لا يضع حكومته تحت رحمة الفيتو السوفيتى فتزداد المسألة تعقيدا وحتى يكون لديه حرية للعمل بالتدخل العسكرى والذى كان قد أصبح أمرا مقررا .

ـ ويتلقى ايزنهاور خطاب ايدن وتصله المعلومات عن مدى الاستعدادات العسكرية البريطانية ويرد على ايدن ويقترح عليه عقد مؤتمر للدول البحرية .

وفى ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٦ تجتمع اللجنة الوزارية البريطانية وتناقش رد ايزنهاور وتقرر الاستجابة بعقد مؤتمر للدول البحرية وتضيف أن هذا القرار سوف يناقش مع الجانب الفرنسى (بينو) والجانب الأمريكى (مورفى) ·

وفى نفس الوقت كان الجانب البريطانى يدبر منفردا مؤامرة احداث ثورة فى مصر تطيح بنظام عبد الناصر وذلك بالتعاون مع بعض العرب الموالين ·

— **وفى يوم الأحد ٢٩ يوليو** تبلور شكل العمل المشترك مع فرنسا ووصل (كريستيان بينو) فى الصباح واجتمع مع ايدن ومورفى وظهر ضيق الفرنسيين والانجليز من وجود مورفى بدلا من دالاس وزير الخارجية الأمريكية واعتبروا هذا دليلا على الموقف الأمريكى المتحفظ · وأعلن مورفى فى الاجتماع أن حكومة أمريكا لن ترتبط بفكرة الالتجاء الى فرض القوة — وتعمد الفرنسيون والبريطانيون عدم ذكر أى تفصيلات عن الاجراءات العسكرية أمام مورفى وطالب الجانب البريطانى ضمان التأييد المعنوى والعلنى من الأمريكان والتغطية الاستراتيجية من الأسطول الأمريكى ·

— وفى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٥٦ تشكل انجلترا وفرنسا لجنة تخطيط مشتركة وذلك ازاء الموقف الأمريكى ·

— فى يوم ٣٠ يوليو يتسلم ايدن رسالة ممن سفير انجلترا بواشنطون يؤكد فيها الموقف الأمريكى برفض فكرة القيام بالعمل العسكرى، وفى نفس اليوم يلقى ايدن بيانا فى مجلس العموم يؤكد فيه أن حكومته لن تقبل أى تسوية تستهدف ترك ادارة القناة فى يد دولة واحدة ·

فى الولايات المتحدة

ثبت أن الولايات المتحدة كانت تتوقع بما سيقوم به عبد الناصر باتخاذه من مواقف بعد عملية اعلان أمريكا سحب وعدها بتمويل اقامة السد العالى لأن الادارة الأمريكية استدعت بعد سحب التمويل مباشرة عميلها رجل المخابرات مايلز كوبلان (١) والذى كان على علاقة عمل مع عبد الناصر منذ سنة ١٩٥٣ وسألته الادارة الأمريكية عما يتوقعه من عبد الناصر بعد اعلان أمريكا سحب تمويلها للسد ، فكان رده دقيقا للغاية وبعد أن تقمص شخصية عبد الناصر لدرجة تقليده لصوت عبد الناصر

---

(١) كتاب لعبة الأمم « مايلز كوبلن » ·

وتنبأ « بأن ناصر سوف يقوم بتأميم القناة » ومع توقع هذا التصرف من ناصر فان دالاس بعد اعلان قرار سحب المعونة المهين لمصر تعمد الاختفاء بأن سافر خارج بلاده وعلم بقرار مصر وهو بالخارج كما أن ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة نفسه تعمد بعد اعلان قرار التأميم يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ألا يعلق رسميا على هذا القرار حتى آخر نهار يوم ٢٧ يوليو ، وخيم على الادارة الأمريكية جو من السلبية المتعمدة رغم أن أمريكا هى السبب الرئيسى فى الرد المصرى بهذا العنف ٠

ــ وفى آخر الاجتماع الذى عقده ايدن مع سفير فرنسا فى لندن والقائم (١) بالأعمال الأمريكى فوستر مساء ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أرسل برقية للرئيس ايزنهاور يذكر فيها صراحة فكرة استخدام القوة ضد مصر كما يقوم فوستر القائم بالأعمال الأمريكى بارسال خطاب لايزنهاور يشرح فيه ما دار فى هذا الاجتماع يبلغه أن ايدن ينتظر من أمريكا اعلان تضامنها مع انجلترا وفرنسا بالوقوف الى أقصى مدى فى وجه قرار التأميم ٠ كما أبلغه بأن فرنسا وانجلترا يطمعان فى حضور وزير الخارجية الأمريكى دالاس ومع ذلك وبعد اطلاع ايزنهاور على ردود أفعال انجلترا وفرنسا الهسترية فى الصحف والاذاعات فانه قال فى أحد مؤتمراته الصحفية :

« أن قيام (٢) أى عمليات عدوانية فى منطقة الشرق الأوسط ستكون نكبة للعالم كله لأن غرب أوربا تحول كلية لاستخدام البترول بدلا من الفحم للحصول على حاجته من الطاقة وكل هذا البترول يرد من الشرق الأوسط ٠

ــ وكان موقفه من برقية ايدن وخطاب فوستر القائم بالأعمال الأمريكى فى لندن قد تعمد ألا يزعج وزير خارجيته ويستدعيه من رحلته فى أمريكا اللاتينية واكتفى بأن اجتمع مع هربرت هوفر مساعد وزير الخارجية وهو خبير متخصص فى الشئون البترولية ، ومع روبرت مورفى المتخصص فى الشئون العربية فى الفاتيكان وأرسل الى القائم بالأعمال الأمريكى فى لندن مستر فوستر يطلب منه تبليغ الحكومة البريطانية والجانب الفرنسى أن ايزنهاور (٣) سيرسل مبعوثه مستر مورفى لحضور اجتماعات لندن وأن ايزنهاور يقترح على الجانبين الفرنسى والانجليزى

---

(١) كتاب فخ السويس ، هنرى آزو) ص ١٤٧ ، ١٤٩ ٠

(٢) كتاب First Handbook فى الفصل الخاص « من السويس الى مشروع ايزنهاور لمؤلفه مستر Sherman Adam مساعد ايزنهاور من سنة الى سنة ١٩٥٣ الى ١٩٥٨ ص ٢٣ ٠

(٣) حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، د٠ محمود فوزى ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

أن يقبلا فكرة عمل مؤتمر دولى يجتمع فيه الدول البحرية المستفيدة من القناة لمواجهة قرار مصر بتأميم القناة .

وفى هذا التصرف والرد من الرئيس ايزنهاور (١) دليل على موقف الادارة الأمريكية الذى ينبنى الوسائل السلمية مخالفا موقف حكومتى انجلترا وفرنسا والذى ينادى باستخدام القوة وفى نفس الوقت قطع خط الرجعة على الحكومتين البريطانية والفرنسية فى موضوع اعتقادهما أن دالاس وزير الخارجية الأمريكى هو الوحيد الذى بيده مفتاح التصرف الأمريكى الخارجى ولبس فى يد الرجل الطيب ايزنهاور ، والحقيقة أن دالاس كوزير خارجية فى ادارة ايزنهاور كان لا يحيد عن تعليماته وزمرته المحدودة من المستشارين الخاصين وكان كل ما يتصــل بالعلاقات بين أمريكا والدول الغربية الكبرى كان ايزنهاور يتخذ من دالاس فى بعض المناسبات دليلا لاستهلاك الصدمات بين الرئاسة والعالم الخارجى لتنفيذ سياسته والى سبق لايزنهاور تحديد مبادئها وتطبيقاتها .

ـ وأخيرا حضر (مورفى) الى لندن مبعوثا للرئيس ايزنهاور (٢) لحضور الاجتماعات وكانت تعليمات ايزنهاور له قبل سفره هى : ـ

- تعطيل الوصول الى أى قرارات الى أن يحضر دالاس اليهم فى لندن .
- تبليغ ايدن أن ايزنهاور لا يرى أى داعى للهستيريا التى تبدو فى التصرفات البريطانية والتى تفضح فى الصحف والاذاعات العالمية عن الاستعدادات العسكرية لأن هذا يؤثر على أى قرارات مطلوب اتخاذها مستقبلا .
- لا ينبغى أن يبدو أى عمل يتقرر بصورة وكأنه تجمع عدوانى من الثلاثة الكبار ضد عبد الناصر ولا يصح أن يتصرف الثلاثة وحدهم فى هذه المشكلة .
- تحذير الفرنسيين من محاولة خلطهم بين استيلاء ناصر على القناة وبين الصراع العربى الاسرائيلى .
- تبليغ المجتمعين عن اقتراح ايزنهاور بدعوة كل الدول البحرية لمؤتمر دولى موسع لدراسة مستقبل القناة .

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى ازو) ص ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) عدد جريدة الأهرام يوم ١٩٨٦/١١/١٦ الحلقة الخامسة من كتـاب ملفـات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل .

● وبمراقبة مورفي لمداولات الاجتماعات ولآراء كل من سلوين لويد وبيتوه ، يرسل الى الرئيس ايزنهاور بملاحظاته عما اذا كانت الحكومة البريطانية تتصرف باسلوب غير عاقل • وايدن بالذات كان ينصرف بحماقة فهو يدق طبول الحرب دون أن يكون جاهزا لها ويريد التدخل العسكرى فى مناطق انتاج البترول وليس لديه الاحتياطى الكافى منه للعمليات الحربية وللاستهلاك المدنى •

دالاس يصل الى لندن

وأخيرا وصل جون فوستر دالاس الى لندن يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٦ عاد من احتفالات بيرو وانضم الى مورفي ليشارك سلوين لويد وكريستيان بينو كما التقى مع رئيس الوزراء ايدن ، وكاتفاقه مع الرئيس ايزنهاور أمكنه بعد مناقشات طويلة اقناع لندن باقتراح ايزنهاور عن اجتماع الدول البحرية لأن انجلترا وفرنسا كانتا متخوفتين من دخول أطراف غير مرغوب فى وجودها فى هذا الاجتماع كالاتحاد السوفيتى والهند ــ وأخيرا انتهت اجتماعات وزراء الخارجية الثلاثة فى لندن •

الدعوة الى مؤتمر دولى

وصدر بيان الثلاثة المجتمعين بالدعوة الى مؤتمر دولى حول قناة السويس تدعى اليه ٢٤ دولة من بينها مصر وتحدد له يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ للاجتماع فى لندن وأشار بيان الدعوة لهذا المؤتمر الى أن استخدام القوة ضد مصر مستبعد الا كملجأ أخير •

محاولة عزل مصر عن السعودية

قبل أن يغادر دالاس لندن استقبل فى مبنى السفارة الأمريكية مستر كيرمت روزفلت رجل المخابرات وأوفده لمهمة فى السعودية لمحاولة عزل ناصر عن السعودية تمشيا مع اقتراح للرئيس ايزنهاور (١) فى اجتماعه معه قبل سفره الى لندن •

حل أمريكى مقترح

وفى نفس الوقت كلف دالاس السفير الأمريكى فى مصر مستر « بايرود » بمقابلة الرئيس عبد الناصر وأكد له على لسان دالاس أن

---

(١) نفس المصدر السابق •

الولايات المتحدة جادة فى التصدى لحلفائها الانجليز والفرنسيين لمنعهم من أى اجراءات عسكرية لحل الأزمة رغم أنهما يحملان أمريكا مسئوليتها الكاملة عن الأزمة وأن الولايات المتحدة مع ذلك مستعدة لاعادة النظر فى تمويل السد العالى اذا وافقت مصر تكوين هيئة دولية من المنتفعين من القناة تتولى مسئولية حرية الملاحة فى قناة السويس ٠

ورد عليه عبد الناصر بلباقة كانت مطلوبة بشدة وقتها « أنه قد يكون مستعدا للنفكير فى تكوين هذه الهيئة اذا تقرر أن تكون هيئة استشارية في موضوع مستقبل القناة ، تتشاور مع الادارة المصرية فيما ترى أخذ رأيها فيه كمشروع توسيع القناة وتعميقها وزيادة كفاءتها لاستقبال الناقلات الأكبر » ٠

ـ وبعد تأميم القناة بعدة أيام كلف ايزنهاور(١) لجنة فنية بترولية برئاسة أرثر فلمنج وهو من كبار خبراء شركات البترول الكبيرة لتشكيل لجنة فنية لوضع خطة دقيقة وكاملة لمواجهة نقص البترول المحتمل فى العالم الغربى فى حالة قفل عبد الناصر لقناة السويس وفى مواجهته لأى عدوان على مصر ٠

ـ فى ٣١ يوليو سنة ١٩٥٦ تعلن وزارة الخزانة الأمريكية أنها تخضع مؤقتا (٢) لنظام التراخيص فى أموال شركة قناة السويس وأموال الحكومة المصرية الموجودة فى الولايات المتحدة ٠ وكانت تمثل ثلث مجموع أموال الشركة وذلك انتظارا للفصل فى موضوع ملكية هذه الأموال لأجل تسوية الوضع برمته وكان هذا الموقف الأمريكى يمثل نوعا من أنواع الحياد ويدل على فتور في تضامن أمريكا مع من يسمون أنفسهم حلفاؤها (انجلترا ، فرنسا) ٠

وفى هذا الوقت كان التحسن مستمرا بالنسبة لموقف مصر حيث بدأ بنك انجلترا يخفف من حدة الاجراءات التى سبق واتخذها عندما جمد أموال المصريين المقيمين فى بريطانيا ٠

كما أن مصر نفسها فى مجال التهدئة أعلنت أنها تقبل الشيكات المسحوبة على البنوك البريطانية لسداد رسوم المرور فى القناة وبذلك أثبتت للعالم أن سياسة مصر تتسم بالمرونة ٠

---

(١) كتاب First Handbook فى الفصل « من السويس الى مشروع ايزنهاور للمؤلف ستيرمان ادفر مساعد الرئيس ايزنهاور سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٨ ص ١٦ ٠

(٢) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ، ص ١٦٤ ٠

بيان الحكومة المصرية

بعد اعــلان بيان الثلاثة المجتمعين فى لندن بدعوة ٢٤ دولة من المنتفعين بالقناة منهم مصر لعقد مؤتمر دولى فى لندن يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ أصدرت الحكومة المصرية بيانا رسميا بشــأن وضع قنــاة السويس حددت فيه التعهدات التى تعهدت بها مصر عند التأميم وأظهر البيان أن قناة السويس شركة مصرية من حق مصر تأميمها وأن هذا التأميم لا يؤثر مطلقا على التزامات مصر الدولية وأن مصر مصممة على الوفاء بجميع التزاماتها الدولية وباحترام الوضع الدولى للقناة أى أنهــا ملتزمة بكل ما يزمع الحلفاء عقد مؤتمر لندن من أجله وبلغ هذا البيان الى الأمم المتحدة ٠

موقف مصر

وعندما تسلم وزير الخارجية المصرية دعوة لندن يوم ٣ أغسطس أعلن على صبرى مدير مكتب الرئيس السياسى « أن التوفيق بين المصالح المصرية واستخدام قناة السويس كطريق مائى ليس أمرا مستبعدا » ٠

وأشيع من مصر وقتها أن عبد الناصر نفسه يزمع الذهاب الى لندن ليعرض وجهة نظر مصر فى مؤتمر لندن ٠ ولكن ازاء بيانات ايدن المهينة وبيان وزير خارجية فرنســا المتحدى فقد صرف عبد الناصر النظر عن الذهاب لحضور مؤتمر لندن ٠

توقعات مصر بعد وضوح الموقف الأمريكى :

لم يستبعد عبد الناصر امكان حدوث (١) عدوان مسلح ٠ وقد كان من الناحية العسكرية يخش خطورة الأسلحة الفرنسية والبريطانية فضلا عن الخطر الاسرائيلى رغم المعلومات التى وصلته عن قصــور الامكانيات العسكرية الفرنسية والبريطانية ٠ وكان يدرك تماما أن ايدن لا يتوانى عن استخدام أى وسيلة حتى اللجوء الى الحرب للقضــاء عليه وتجنب عبد الناصر فكرة اشراك الدول العربية فى حرب لا طاقة لهم بها ولذلك فقد قرر أن يفوت (٢) الفرصة على الغزاة اذا ما قاموا باحتلال القنــاة فسوف يبقى فى القاهرة يمارس سلطته ٠ أما اذا تقدم الغزاة فقد كان فى مخططه أن ينسحب الى الصعيد بحكومته وجانب من القوات المسلحة مع تنظيم مقاومة شعبية لضمان استمرار المعركة ووضع فى حســـابه استخدام أسلوب حرب العصابات ضد الغزاة ٠

---

(١) فخ السويس (هنرى ازو) ص ٢٠١ ، ص ١٩٩ ٠
(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ، ص ٢٦٢ ٠

وقام فى اليوم التالى من اعلان تأميم القناة باصدار الأوامر بتشكيل المقاومة الشعبية وبخاصة فى (١) منطقة القناة واستمرت استعدادات مصر العسكرية والمقاومة ونظمت بصورة جيدة ٠

الاتحاد السوفيتى

وأخيرا وفى يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٥٦(٢) أعلنت الحكومة السوفيتية رأيها وكان بيانها : « يجب العمل على ايجاد حل سلمى ، فليس هناك من حل آخر والشعب السوفيتى لا يريد أن ينتهك التعايش السلمى ٠ وأن الاتحاد السوفيتى سوف يعارض أى محاولة لتسوية المشكلة باستخدام القوة » وهذا الموقف السوفيتى كان بمثابة تأييد مباشر لخط أمريكا وكخطاب مفتوح الى دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفيتى سوف لا يكون فى موقف مضاد لأمريكا الا اذا منحوا تأييدهم للحملة العسكرية الفرنسية البريطانية كما أنهم يرحبون بعقد المؤتمر الدولى ولن يلجأوا الى الأمم المتحدة ٠

رد الفعل فى اسرائيل

منذ اللحظة الأولى توقعت اسرائيل مدى ردود أفعال اعلان التأميم على أعداء مصر التقليديين انجلترا وفرنسا وأمريكا وكانت توقعات اسرائيل مبنية على نتيجة مراقبتها الدقيقة لتصرفات النظام الجديد فى مصر بالنسبة لمحاولات الغرب ضمها الى سلسلة أحلاف الدفاع عن الشرق الأوسط ورفض مصر لكل هذه المحاولات وعلى موقف مصر من ثورة الجزائر ومبالغتها فى مساعدتها لها ، وكانت اسرائيل متأكدة أن فرنسا سوف يكون رد فعلها ضد مصر ، أما انجلترا رغم نقمتها على عبد الناصر باعتباره العامل الأساسى فى تصفية نفوذها فى الشرق الأوسط وفى العالم العربى ومع حرصها على ما بقى لها من مصالح فيه فانها سوف تتردد فى موضوع التدخل العسكرى السافر ضد مصر وبالتواطؤ مع الآخرين وبالذات مع اسرائيل حتى لا تفقد ما تبقى لها من نفوذ وعلاقات مع العالم العربى وبخاصة مع الذين يحققون مصالحها البترولية والاستراتيجية ٠ أما اسرائيل نفسها فمنذ اعادة تسليح الجيش المصرى بالأسلحة الحديثة والمتطورة من الكتلة الشرقية فقد كانت تتطلع وبحماس زائد الى الفرص المتاحة لتبرير ضرب النظام المصرى وبأسرع ما يمكن قبل أن يتمكن جيشه

---

(١) مكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ٠

(٢) فخ السويس (هنرى آزو) ، ص ١٦٥ ٠

لمن استيعاب هذا التسليح الذى يهددها فى الصميم وهو فى أيدى هذا الشعب العربى الوحيد المعبأ عدديا ووعيا وعلما لامكان التغلب على اسرائيل ولكل ذلك فان اسرائيل لم تضيع الوقت وسرعان ما اتصلت بالجانب الفرنسى للاشتراك فى خطه لردع مصر وبخاصة أن اسرائيل لم تكن بعيدة عن المعلومات التى تؤكد على الاتصالات الفرنسية البريطانية منذ ليلة ٢٦ يوليو يوم اعلان التأميم واتصالاتهما بالجانب الأمريكى .

وتوالت الاتصالات بين اسرائيل والجانب الفرنسى سريا وشعرت اسرائيل بالمرارة من التحفظ البريطانى واشتراطهم مع الجانب الفرنسى بأنه اذا كان ولابد من اشراك اسرائيل فيجب أن يكون باسلوب يحقق أبعاد الشبهة عن انجلترا حتى لا تظهر بشكل المتواطىء مع اسرائيل فى خطة هذا العدوان .

أمريكا تخذل حلفاءها :

كان الانجليز والفرنسيون يأملون (١) كثيرا من حضور دالاس فالانجليز كانوا يعتمدون على العلاقات الخاصة بينهم وبين الأمريكان سواء من الناحية العرقية أو للعلاقة الحميمة أيام أن كان يقيم الرئيس ايزنهاور كقائد عسكرى فى لندن أما الفرنسيون فكانوا يأملون فى رد جميلهم عندما أخلصوا للأمريكان فى حلف الأطلنطى كنظام دفاعى ضد الاتحاد السوفيتى وكانوا يأملون معاملة بالمثل من الأمريكان وأن يكونوا أكثر ايجابية فى مواجهة ناصر فى عملية تأميمه للقناة وخصوصا أن فرنسا كانت مهددة من القومية العربية فى شمال افريقيا . وكان يؤلمهم أن يقرءوا فى الصحافة الأمريكية أن عبد الناصر له حق من الناحية القانونية فى عملية التأميم للقناة والاستيلاء على الأموال الفرنسية .

واستعاد الانجليز شعورهم بالمرارة من الأمريكان ومنافستهم لها فى وراثتها لهم فى نشاط اقامة شركات البترول الأمريكية فى المنطقة العربية والتى كانت حتى ذلك الحين وقفا على شركة البترول الانجليزيه الايرانية السابقة .

وبعد اجتماع لندن مع دالاس أصيب الفرنسيون والانجليز بخيبة أمل كبيرة من الأمريكان .

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى ازو) ص ١٦٧ الى ١٧٦ .

ايزنهاور يعقد اجتماع

بعد عودة دالاس من اجتماع (١) لندن دعا ايزنهاور لمؤتمر فى البيت الأبيض يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٦ وقبل مؤتمر لندن بأربعة أيام حضره زعماء الكونجرس وذلك لاجراء مناقشة كاملة لأزمة السويس وكان هذا الاجتماع على درجة عالية من السرية ولم يكشف الغطاء عنه الا بعد صدور كتكاب شيرمان آدمز مساعد ايزنهاور والذى شارك فى كل هذه المؤتمرات السرية لأن كتابه First Handbook لم يصدر الا فى ابريل سنة ١٩٦٢ ٠

وكل ما دار فى هذا الاجتماع من حوار يفصح عن وجهة النظر الأمريكية الحقيقية فى نظرتها الى عملية اعلان عبد الناصر لتأميم القناة والى أسباب تصرفات الادارة الأمريكية التى كانت تبدو أنها غامضة فى هذا الوقت وأبعاد ما كان فى يد عبد الناصر من عناصر قوة كانت محل حساب فى ذهن الادارة الأمريكية رغم الأعاصير التى كانت تحيط بمصر ٠

ــ وجاء فى هذا الاجتماع على لسان فوستر دالاس وزير الخارجية : « أنه بعد اعلان ناصر أنه لن يحضر اجتماع لندن فان الأمل فى حل المشكلة أصبح مشكوكا فيه ٠ وأن ثلثى البترول الذى يعتمد عليه غرب أوروبا للتدفئة والانتاج الصناعى يمر من قناة السويس فى سفن أما الثلث الباقى فيمر عبر أراضى الشرق الأوسط فى أنابيب الى موانىء البحر المتوسط مما يمكن للعرب أن يدمروه ومن أجل ذلك فان الانجليز والفرنسيين لا يستطيعون السماح لعبد الناصر بالسيطرة والاستيلاء على قناة السويس » ٠

ــ وأن دالاس قام بتحذيرهما من استخدام القوة بالاسلوب المباشر لأنها ستقلب الرأى العام العالمى عليهما وبخاصة الرأى العام الأمريكى علاوة على اعتبار هذا خرقا لارتباطهما داخل منظمة الأمم المتحدة ٠

ــ ثم أوضح دالاس « أنه هو شخصيا يشارك الانجليز والفرنسيين شعورهم بأن عبد الناصر يعتبر تهديدا خطيرا ضد الغرب وأن عمله يعتبر أكثر من مجرد عرض قومى وأنه يعتقد أن ناصر يستهدف جمع وتوحيد العالم العربى بل واذا أمكن العالم الاسلامى كله ووقتها سيستخدم بترول الشرق الأوسط وقناة السويس كسلاح ضد الغرب » ٠

---

(١) First Handbook للمستر Sherman Adams ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ صادر عن شركة Harber and Brothers نيويورك سنة ١٩٦٢ ٠

ـ وأجاب ايزنهاور على سؤال عما اذا كان ناصر قد قال أنه سيغلق القناة قال « ان ناصر لم يذكر شيئا عن ذلك (١) حتى الآن ولكن الانجليز والفرنسيين لا يثقون به وهنا المشكلة » .

وردا على أسئلة حول دور هيئة الأمم أجاب ايزنهاور « أنه يؤكد أن وزارة الخارجية الأمريكية ستعجل بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة . ولكن قد تكون الأزمات السريعة فى أوقات لا يمكن معها الاعتماد على جهاز الأمم المتحدة البطىء » .

ولما أراد (سام رايبورن) أحد الفنيين المجتمعين بأن يعرف له دالاس « ما هو مدى التحرش والاستفزاز الذى يعتبر لازما حتى يبدأ الانجليز والفرنسيون العمل ضد ناصر » نظر اليه دالاس فى دهشة وخبت من أسفل نظارته وقال « أعتقد أنه قد تم ما يكفى من التحرش والاستفزاز » .

وأهم ما فى هذا الاجتماع أن ايزنهاور طلب من أرثر (٢) فلمنج رئيس لجنة بترول الشرق الأوسط أن يشرح للمجتمعين الخطة الأمريكية التى كلف بها بالاشتراك مع الادارة الداخلية لحصر موارد البترول فى كتلة واحدة عند حدوث طارىء وذلك بغرض سد الاحتياجات الى أقصى حد ممكن .

وكانت هذه اللجنة قد انتهت من وضع هذه الخطة (الضافية) فى الليلة السابقة للاجتماع ووافق على هذه الخطة النائب العام ولجنة التجارة الفيدرالية وأوضح « أرثر فلمنج فى شرحه للمجتمعين » أنه قد أتم عمل دراسات وافية للاجراءات القانونية والاقتصادية والهندسية والنقل ووافقت جميع شركات البترول الرئيسية على قيام سيطرة حكومية تطوعية فى حال الطوارىء واتفق على زيادة انتاج **الولايات المتحدة** وأمريكا الجنوبية من البترول حتى يمكن تعويض الدول الغربية فى حالة الطوارى.

وقد تم رسم طرق ملاحية جديدة اذا استمرت الاضطرابات فى الشرق الأوسط ، وكذلك تجهيز أسطول (٣) من ناقلات البترول الكبيرة

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) خبير بترول .

(٣) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ، ص ٢٠٦ .

أفصح هذا الكتاب فى ص ٢٠٦ بأن نقص البترول فى اوربا يمكن ان يهيىء فرصة طيبة جدا للصناعة الامريكية .

والتى لا تمر بقناة السويس بسبب حجمها لنقل البترول الى الغرب عن طريق الدوران حول رأس الرجاء الصالح » وقال أرثر فلمنج أيضا :

« أن بريطانيا ودول غرب أوروبا تستهلك ۲۰۰٫۰۰۰ر۱ برميل يوميا من الـ ۵۰۰٫۰۰۰ر۱ برميل التى تمر بقناة السويس وأنه اذا أغلقت القناة فقد يكون من الممكن حسب هذا المشروع للطوارىء امداد غرب أوروبا ب ۸۰۰ ر ۰۰۰ برميل يوميا من ساحل الخليج ومن موانى البحر الكاريبى ٠ أما اذا سدت القناة ثم قطعت خطوط أنابيب البترول عبر الدول العربية ففى هذه الحالة فانه من الواجب وضع برنامج يؤكد ضرورة تخفيض استهلاك البترول فى هذه المناطق بنسبة لا تقل عن ۲۰٪ مع ضرورة انتاج البترول الأمريكى والا سيكون موقفا سيئا للغاية ٠ (بالطبع بالنسبة لانجلترا وفرنسا وغرب أوروبا) ٠

وفى ختام هذا المؤتمر قال الرئيس ايزنهاور « أن هناك فى يد ناصر احتمالات كثيرة بالنسبة للبترول واجراءات يحتفظ ناصر لنفسه بها لاستخدامها وقت اللزوم يرتعد (ايزنهاور) عندما يفكر فيها » (ومن أخطرها هو امكان تدمير جميع خطوط أنابيب البترول المارة بالأرض العربية) ٠

نجاح مصر فى ادارة القناة

وحتى آخر يوليو سنة ١٩٥٦ كانت مصر قد نجحت فى عدم توقف الملاحة فى القناة بعكس ما كانت تروجه انجلترا وفرنسا فى دعاياتهما منذ اعلان التأميم أن مصر ستفشل فنيا فى ادارة القناة ومع ذلك ورغم انسحاب عدد كبير جدا من المرشدين فقد استمرت الملاحة منتظمة وبكفاءة ورغم الزيادة المفتعلة فى عدد السفن العابرة للقناة والتى تعمدت انجلترا وفرنسا تمريرها فى القناة منذ بدأ اعلان التأميم ٠ كل هذا جعل الرأى العام الغربى وبالتالى الرأى العام الأمريكى بعد أقل من أسبوع يتحول لصالح الموقف المصرى ويتحفظ ازاء تبريرات انجلترا وفرنسا لتأييد استخدام القوة ضد مصر ومما كان يؤكد على ذلك ما كتبه ايزنهاور فى مذكراته بعد ذلك فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٩ اذ يقول : « من سوء الحظ أن ناصر كان يدير القناة بطريقة أحسن وأكفأ من الانجليز والفرنسيين ولذلك فان تفكير ايدن فى استخدام القوة ضد مصر يبدو سخيفا » (١) ٠

---

(١) كتاب فخ السويس لهنرى آزو ، ص ١٩٠ ٠

عبد الناصر يفكر فى حضور مؤتمر لندن

كان عبد الناصر حتى هذا الوقت مؤيدا من أهم الدول العربية من سوريا (٢٩ يوليو) ومن السعودية (١) (٣٠ يوليو) ومن لبنان (٣٠ يوليو) وحتى من شعب العراق ثم أيدته الصين الشعبية ٠

ولكل ذلك يعلن بطريق غير مباشر أنه سيشارك فى مؤتمر لندن بعد أن أعلنت الحكومة المصرية أن هذا التأميم لا يؤثر مطلقا على جميع التزاماتها الدولية وأكدت على احترامها للوضع الدولى ٠

ثم يقوم عبد الناصر باجراء محادثات مع سفراء الاتحاد السوفيتى والهند والولايات المتحدة للتمهيد لحضور المؤتمر وعقب ذلك يعلن السيد على صبرى مدير مكتبه السياسى « أن التوفيق بين المصالح المصرية واستخدام القناة كطريق دولى ليس أمرا مستبعدا » ٠

عندئذ شعر رئيس وزراء بريطانيا ايدن بما يهدف اليه عبد الناصر ونيته فى مواجهة ايدن فى هذا المؤتمر وخشى أن يقلب له مشروعاته رأسا على عقب بحضوره الى لندن فعمل بكل قوته لمنع حضوره وليحقق ذلك يعلن ايدن فى خطابه للشعب البريطانى يوم ٨ أغسطس ويقول « أن عدونا ليس مصر ولا العالم العربى ولكنه الكولونيل ناصر ٠٠٠ انظروا الى سوابقه ، لقد أظهر أنه شخص لا يمكن الثقة به وهو لن يحترم أى اتفاق » ٠

واعتبر عبد الناصر أن هذه اهانة وجهت اليه على مسمع من الشعب البريطانى فاذا حضر بعدها الى بلادهم فسوف يحضر وكأنه متهم لذلك أعلن رفضه اشتراك مصر فى هذا المؤتمر ٠

ــ وبعد أن اطمأن عبد الناصر تماما الى موقف الولايات المتحدة المحايد والغير عدوانى أراد أن يحقق مكسبا للرأى العام الأمريكى فأدلى بتصريح للصحفيين الأمريكيين قبل انعقاد مؤتمر المنتفعين بأيام قال فيه « أن قرار تأميم القناة كان يراوده منذ سنين وأنه لم يعلنه كمجرد رد على اعلان دالاس سحب معونة مشروع السد العالى ــ وأنه مع رفضه الموافقة على فكرة عقد مؤتمر لندن التى أعلن دالاس عن أهدافه قبل انعقاده للبحث فى تكوين هيئة دولية لادارة القناة فقد أوفد مندوبا عن مصر هو السيد على صبرى ليكون مراقبا عن كثب وليتصل بأعضاء الوفود الصديقة فى المؤتمر من خارج قاعات الاجتماعات ويحاول خدمة الخط المصرى عن طريق هؤلاء الأصدقاء من الخارج ٠

---

(١) كتاب فخ السويس لهنرى آزو ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ٠

المؤتمر (١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦) :

اجتمع المؤتمر فى لندن يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ وكان رئيس الوفد السوفيتى هو ديمترى شبيلوف وزير الخارجية ، ورئيس الوفد الهندى هو وزير (١) خارجيتهـا كريشنا مينون · ثم قدم دالاس وزير خارجية أمريكا ورئيس وفدها مشروعا يؤدى الى اسناد ادارة القناة الى مجلس دولى ينشأ بمعاهدة ويلحق بالأمم المتحدة كما ينص مشروعه على انشاء هيئة للمنتفعين بقناة السويس تشرف على ادارتها وتقوم بتحصيل رسوم المرور مع تأكيده على حق مصر فى الايرادات ومراعاة جميع سلطاتها المشروعة وسيادتها وأن يقرر تعويضا عادلا للشركة العالمية وأن يعهد الى لجنة تحكيم تعينها محكمة العدل الدولية بتسوية كل الخلافات التى يمكن أن تنشأ بشأن تعويض الشركة العالمية والتأكيد على حق مصر فى نصيب عادل من الايرادات ·

أما شبيلوف رئيس وفد الاتحاد السوفيتى فقد حذر فرنسا وانجلترا من استخدام القوة ضد مصر وأن فرض مشروعات مثل المشروع الأمريكى على مصر بالقوة سوف يعنى انتهاك السلام فى الشرق الأدنى والأوسط ·

ودعا شبيلوف فى آخر خطابه الى المقترحات التى سبق وأعلنهـا الاتحاد السوفيتى يوم ٨ أغسطس وهى دعوة مؤتمر دولى واسع النطاق (٤٨ عضوا) من أجل عقد اتفاق جديد أو اتفاق مكمل لاتفاقية القسطنطينية المعقودة فى عام ١٨٨٨ ·

وفى اليوم التالى قدم مندوب الهند كريشنا مينون مشروعا هنديا تحتفظ فيه مصر بالسيادة على القناة وادارتها مع تقرير رقابة دولية ·

ـ والمشروع الأمريكى يقول للمصريين أنتم أصحاب القناة (٢) ولكنكم غير قادرين على ادارتها لذلك فستؤجرونها الى شركة دولية تتولى ادارتها بكفاءة وتدفع لكم جزءا من الأرباح ·

ـ بينما المشروع الهندى يقول للمصريين أنتم أصحاب القناة تولوا ادارتها كما تريدون على شرط أن يكون ذلك لمصلحة الجميع وأن الرقابة الدولية لضمان أنكم تتصرفون على نحو مرض وباختصـــار فان مينون وشبيلوف يريدان اعادة القناة لمصر أما دالاس فيريد انشاء شركة جديدة محل الشركة القديمة وبالطبع ستكون خاضعة للنفوذ الأمريكى ·

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ص ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ·
(٢) كتاب حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، محمود فوزى ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ·

انتهاء المؤتمر (٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٦) :

وفى نهاية جلسة المؤتمر يوم ٢١ أغسطس يحظى مشروع دالاس على موافقة ١٨ دولة أما المشروع الهندى فقد حظى بخمسة أصوات الاتحاد السوفيتى والهند وأندونسيا وسيلان وأسبانيا • وكان يوم الخميس ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ هو آخر أيام المؤتمر ولم يمكن اصدار بيان لاختلاف وجهات النظر الحادة •

وانتهى المؤتمر دون نتيجة وكان هذا الخلاف هو الدليل على فشل مؤتمر لندن الأول وكانت الفرصة بذلك مواتيه لعبد الناصر ليرفض مقترحات قدمها أشخاص لم يستطيعوا أن يتفقوا فيما بينهم ، وتم الاتفاق على أن يرسل محضر مداولات مؤتمر لندن الى القاهرة •

لجنة الخمسة

وتكونت لجنة خماسية من كل من استراليا وأثيوبيا وايران والسويد والولايات المتحدة للذهاب الى القاهرة برئاسة رئيس وزراء استراليا وهو الصديق الشخصى والحميم لمستر ايدن والأكثر تطرفا منه •

وتتعمد لجنة الخمسة التاخر فى لندن بضعة أيام لاعطاء الفرصة للعسكريين (٢) فى دولتى التآمر انجلترا وفرنسا لاتمام تجهيزاتهم العسكرية للتدخل العسكرى فى مصر والدليل على ذلك أن يبرق ايدن الى ايزنهاور ويقول فى صراحة « يبدو أنه ستمر بضعة أيام قبل أن يعطى ناصر رده النهائى الى منزيس وبعد ذلك سوف نكون على استعداد للقيام بعمل سريع » ويقوم منزيس من انجلترا بتصريحات صحفية مستفزة لمصر• والى هذا الحد تكون مصر قد حققت الكثير بموقفها من المؤتمر •

● فقد ضمنت مصر رأى عام عالمى لسياستها المرنة التى اتخذتها وبخاصة أن الملاحة فى القناة كانت قد انتظمت منذ شهر تقريبا بدءا من ٢٦ يوليو اليوم الذى تسلمت فيه مصر الادارة الكاملة للملاحة عبر قناة السويس •

● وداخل المؤتمر أمكن لمصر أن تستغل لأقصى حد جهود أصدقائها من أعضاء المؤتمر وبخاصة الاتحاد السوفيتى والهند بجانب أسبانيا وأندونسيا وسيلان •

---

(١) كتاب حرب السويس ، محمود فوزى ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ •
(٢) كتاب حرب السويس د• محمود فوزى سنة ١٩٥٦ ، ص ٦٦ •

● وبفضل المشروع الهندى ومساندة الاتحاد السوفيتى له أمكن اطالة مدة المؤتمر كسبا للوقت الذى كان عاملا أساسيا بالنسبة لنجاح مصر فى الأزمة [وللأسف انه عامل مهم لدولتى العدوان فى نفس الوقت لاعطائهما فسحة من الوقت للاستعداد] ٠

بعثة منزيس

وصلت بعثة منزيس برئاسة منزيس رئيس وزراء استراليا الى القاهرة يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٦ وفور وصولها قام العضو الأمريكى « لوى هندرسون » وكان يعتبر صديقا للعرب بمقابلة جمال عبد الناصر بحضور السفير بايرود وبلباقة أمكنه اعطاء عبد الناصر فكرة عن منزيس وأنه ليس فظا متغرطسا كما يعتقد عبد الناصر وبخاصة بعد تصريحات منزيس الصحفية المستفزة من لندن ضد مصر وقبل حضوره ومن سياق الحديث بين هندرسون وعبد الناصر أفصح عبد الناصر أنه ليس مستعدا لسماع أى تهديدات من منزيس الذى يرسله ايدن ٠

وفى صباح يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٦ استقبل عبد الناصر بعثة « منزيس » كزوار وليسوا كوفد مفاوضات وأفصح منزيس أنه سبق وتعرف على عبد الناصر لمدة سبع ساعات شاهد خلالها جميع الأفلام المسجلة لعبد الناصر وخطاباته والمحفوظة فى اذاعة لندن قبل لقائه ٠

اللقـــاء العاصف

وفى اليوم التالى ٤ سبتمبر تم (١) اللقاء الثالث وانتهت مقدمات اللقاء الى أن قال منزيس « أن هناك فكرة تدويل القناة يقصد فصلها عن سياسة أى دولة واحدة » ورد عبد الناصر « ان فصل القناة عن السياسة المصرية غير ممكن لأن القناة فى أرض مصر وخاضعة للحكومة المصرية منذ انشائها ولا يمكن فصلها عن سياسة الدولة التى تملكها الا اذا فصلناها عن سيادة هذه الدولة ثم لماذا لم تر هذا الموضوع قبل ذلك أيام شق قناة السويس » وعقب منزيس « ان الغرض هو ازالة التوتر وأن هذا الموضوع أثير وهذه حقيقة لذلك يجب ايجاد حل » ٠

ورد عبد الناصر « ان ايجاد حل رغم ارادة الشعب المصرى غير عملى ولذلك لا يمكنه فرض هذا الحل على الشعب المصرى الذى يرفضه » ثم

---

(١) عدد الاهرام يوم ٨٦/١١/١٩ حلقة ٢٧ من كتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكل ماخوذ من أرشيف منشية البكرى ونص محادثات منزيس عبد الناصر ٠

رد منزيس على عبد الناصر بأسلوب تهديدى قائلا (*) « ان عدم الوصول الى اتفاق هو الذى سيكون بداية المشاكل » ٠

حرك جمال عبد الناصر يده وأغلق الملف الذى كان أمامه مفتوحا وقال « اذا قبلت وجهة نظركم فسوف نبدأ المشاكل من الشعب المصرى واذا لم أقبلها فسوف تبدأ المشاكل من جانبكم واذا كان ولابد فلنواجه هذه المشاكل من الآن ونحن مستعدون لمواجهتها والآن فاننى أحسست بالتهديد فمن واجبى أن أطلب وقف هذه المحادثات » ورغم محـــاولة المجتمعين تهدئة الجو فقد انتهت المحادثات الى هذا الحد دون حل واستمرت بعثة منزيس فى القاهرة حتى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٦ ووصل منزيس الى لندن يوم ٩ سبتمبر ٠

مؤامرة سحب المرشدين من العمل فى القناة

ويوم ١١ سبتمبر دبر جى موليه وايدن مؤامرة سحب المرشدين بعد اعداد (١) خطة الغزو كانت مؤامرة سحب المرشدين بمثابة مبرر لها بالعدوان اذا ما تسبب هذا السحب فى تعطيل الملاحة فى القناة كما كانا يقدران ٠ على أساس امكان ادعائهما أن مصر غير قادرة على ادارة القناة وتشغيلهـا وهى حجـة لتبرير العدوان المعد ٠ وقام ايدن وجى موليه بتحريض (٢) ادارة شركة قنـــاة السويس بتشجيع المرشدين الأجانب ٢٢١ مرشدا (٦١ بريطانيا ، ٥٣ فرنسيا ، ١٤ هولنديا ، ١١ نرويجيا ، ١٣ يونانيـــا ، ٣ دانمركيين ، ٢ ايطاليين ، أمريكان ، ٣ بلجيكيين ، ٢ سويديين واسبانى واحد ويوغسلافى واحد وبولندى واحد) ترك العمل فى القناة وعرض عليهم رئيس الشركة جاك جورج بيكو مرتب آخر ثلاث سنوات مقدما لو رفضوا العمل مع الشركة المؤممة ٠

وفى صباح يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦ توجـه بول (٣) ريموند مدير ادارة الملاحة بشركة القناة الى المهندس محمود يونس رئيس هيئة قناة السويس وأبلغه أن جميع المرشـدين الأجانب وغيرهم من الفنيين والعمال ما عدى اليونانيين منهم قد أعربوا عن رغبتهم فى التقاعد ابتداء من ١٤ ، ١٥ سبتمبر لعدم رضائهم عن المعاملة التى تعاملهم بها الادارة العربيـة للقنـاة ٠ وفى هدوء قال له يونس أنه يوافق على استقالاتهم

(*) كتاب حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، د٠ محمود فوزى ص ٧٦ ، ٧٧ ٠

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٦٥ ٠

(٢) فخ السويس ص ٢٦٤ ، لهنرى آزو ٠

(٣) حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، د٠ محمود فوزى ، ص ٥٨ ٠

وكذلك ريموند نفسه وودعه الى الباب مجاملا وعندما علم ايزنهاور (١) بهذه المؤامرات ومن قبل تنفيذها استاء لذلك واعتبر أن هذا التحريض يعتبر غلطة كبيرة من انجلترا وفرنسا لأن الرأى العام العالمى والأمريكى سيعتبرون أن المحرضين هما انجلترا وفرنسا وسيكونان هما المسئولين عن توقف الملاحة فى القناة اذا ما تعطل مرور السفن فى القناة ، أما دالاس فكان ينتظر ما تتمخض عنه الأحداث والتصرفات • فكان ينتظر مؤملا نجاح الخطة الفرنسية البريطانية وفشل مصر لأنه فى قرارة نفسه كان يتمنى تأديب عبد الناصر ولو أن سياسة الادارة الأمريكية كانت خطتها خلاف ذلك لتحقيق أهداف أمريكية مرسومة • وقد غادر جميع مرشدى القناة الأجانب مصر عدى الثلاث عشرة يونانيا رفضت حكومتهم الاذن لهم بالاستقالة ونجحت مصر فى استعواض المرشدين الذين تركوا العمل بالمرشدين المصريين الأربعين الذين كانوا بالشركة القديمة ، ال ١٣ يونانيا ، ٥٣ مرشدا جديدا منهم ٤٧ مصريا ، ١٥ مرشدا روسيا •

وقامت الادارة المصرية للقناة خلال الأسابيع السابقة باستعارة عدد من الضباط البحريين المصريين ودربتهم بسرعة على عملية الارشاد فى القناة وحققت مصر نجاحا فاق كل الحدود وبخاصة أن المخطط الغربى تعمد دفع عدد كبير جدا من السفن للمرور فى القناة فى هذا الوقت لتصعيب الموقف بالنسبة لادارة القناة المصرية وارباكها •

ولأجل اغاظة المتآمرين تعمد محمود يونس أن يعلن فى الصحف فى الأسبوع الأول من سحب المرشدين الأجانب « أرسلوا الينا سفنا أكثر فاننا نستطيع أن نتعامل معها وكلما ازدادت السفن لدينا سنحصل على أرباح أكثر » •

وعندما وصلت أخبار نجاح مصر فى اجتياز هذه المحنة والتغلب على المؤامرة أبدى ايزنهاور (٢) اعجابه بعبد الناصر اذ قال فى حضور مساعده « شيرمان آدمز » لابد أن نسلم أن عبد الناصر زعيم جدير بالزعامة فلديه أعصاب ولديه الكفاءة وللأسف أنه ليس فى صفنا » •

وفشل بذلك مؤتمر المنتفعين كما فشلت مهمة منزيس وأخيرا فشلت مؤامرة ايقاف الملاحة فى القناة بعملية انسحاب المرشدين الأجانب مرة واحدة من العمل فى هيئة القناة المصرية •

---

(١) فخ السويس ، لهنرى آزو ص ٢٦٤ •

(٢) كتاب F r t Handbook شيرمان ادمز مساعد ايزنهاور من سنة ١٩٥٣ الفصل الرابع اصدار Harber and Beather نيويورك أبريل سنة ١٩٦٢ •

وكان أثناء هذه (١) المؤامرة خمسة من المرشدين المصريين فى أجازة قطعوا أجازتهم وعادوا الى العمل فورا • كما كان للمرشدين اليونانيين دورهم المشرف والذى كان محل تقدير مصر كلها •

حول مؤتمر لندن الأول (١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦) •

منذ اليوم الأول من اجتماعات لندن عقب اعلان تأميم القناة تعمد الانجليز والفرنسيون تضييع الوقت فى محادثاتهم بينما كانوا يعدون قواتهم للعدوان • وبعد اجتماع دالاس معهما فى لندن (٢) وبعد اعلان الدعوة لاجتماع الدول المنتفعة للقنال على شكل مؤتمر يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ قام ايدن فى لندن باصدار أوامره لاستدعاء خمسة وعشرين ألف جندى احتياطى للقوات البريطانية ويتحرك قوات من البحرية والطيران والجيش من انجلترا الى قاعدتى قبرص ومالطة •

وفى ١٣ أغسطس اختلف حزب العمال البريطانى مع الحكومة فى موضوع استخدام القوة •

ـ أما انجلترا وفرنسا فقد أرادتا اعتبار المؤتمر (٣) مجلس تأديب لمصر وتزعم هذا الموقف (كريستيان بينو) وزير خارجية فرنسا فبمجرد نزوله من الطائرة فى لندن أبدى أسفه على تخلف مصر عن الحضور فقال « أن المتهم ينبغى له أن يدافع عن نفسه » واعتبر المؤتمر بمثابة جلسة محكمة سوف تفرض حكمها على مصر •

أما الموقف الأمريكى قبل انعقاد المؤتمر فان تصريحات المسئولين الكبار فيها كانت تتأرجح تبعا لأنواع (٤) الضغوط المتناقضة التى كانت تتعرض لها سواء من المصالح البترولية ورجال المال والصناعة أو من الرأى العام الأمريكى أو الرأى العام لحكومات الدول العربية البترولية وشعوبها المشتعلة بتأييد عبد الناصر فتارة تعد بتأييد المشروعات الحربية الفرنسية البريطانية وتارة أخرى تجدد تأييدها لعبد الناصر أما الرئيس ايزنهاور نفسه بعد أن ضيق عليه الخناق مراسل رويتر البريطانية يوم ٨ أغسطس يصرح فى كثير من الحيرة بأنه وان كان لا يزال يؤيد حل المشكلة بالمفاوضات فانه لا يعارض استخدام القوة فى ظروف معينة ولكن

---

(١) كتاب حرب السويس سنة ١٩٥٦ د• محمود فوزى ، ص ٦١ •

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٦٤ •

(٣) فخ السويس ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ •

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٤ •

الحقيقة أنه هو ووزير خارجيته دالاس قررا حل المشكلة بالمفاوضات رضوخا لمستشاريهما .

خطة التواطؤ

منذ اعلان مصر تأميم القناة في ٢٦ يوليو (١) سنة ١٩٥٦ بدأت انجلترا وفرنسا مباشرة في التحضير للتدخل العسكرى وسارعت اسرائيل بالاتصال بفرنسا للاشتراك في التخطيط لهذا العدوان وكانت المشكلة الرئيسية في أن فرنسا وانجلترا لم تكن قواتهما الموزعة على المواقع جاهزة كما لم تكن مستعدة للقيام بمثل هذه العملية وتحتاج الى وقت لا يقل عن عدة شهور للتجهيز فاستخدما أسلوب التطويل في اجراءات المحاولات السلمية كتغطية للاستعداد العسكرى وكانت أمريكا تبارك هذا التطويل بحجة أنها وسيلة لاستعادة أنفاس الأطراف للوصول الى حل سلمى فكانت مؤتمرات لندن ثم بعثة منزيس الى القاهرة ثم اجتماعات مجلس الأمن التى انتهت في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وكانت الاستعدادات العدوانية قد قاربت على الانتهاء .

وكانت جميع الملابسات من واقع الاتصالات والبيانات والاعلانات للادارة الأمريكية بما فيها الرئيس ايزنهاور نفسه ووزير خارجيته فوستر دالاس على علم كامل بتفاصيل هذا الاستعداد والتدبيرات الفرنسية البريطانية للتحضير لهذا العدوان على مصر .

وفى نفس الوقت كان الاتحاد السوفيتى (٢) حليف مصر على علم ايضا بأبعاد هذا التواطؤ الفرنسى الانجليزى الاسرائيلى بدليل أن بولجانين ارسل الى ايدن في منتصف أغسطس سنة ١٩٥٦ خطابا على شكل تحذير تبين منه أن موسكو على علم بالتدبيرات العسكرية ضد مصر .

وقد جاء في مذكرات كريستيان بينو بعد انتهاء جلسات مجلس الأمن في ١٤ أكتوبر « أن جميع خطط العدوان كانت جاهزة وأن والاسرائيليين كانوا حتى هذا الوقت على استعداد للعملية » .

مشروع خطر

وفور عودة بينو (٣) وزير خارجية فرنسا من اجتماعات مجلس الأمن انعقد اجتماع بين الجانب الفرنسى والجانب الاسرائيلى في باريس وفى

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ص ٢٨٣ .

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٣) فخ السويس ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ عن مذكرات كريستيان بينو .

آخر هذا الاجتماع اتفق على خطة وضعها جنرال (موريس شال) قائد الطيران الفرنسى حازت رضاء بريطانيا وترفع عنها الحرج اذا ما اشتركت اشتراكا مباشرا مع اسرائيل فى العدوان على مصر وحرصا من بريطانيا على الابقاء على علاقاتها المتشعبة ومصالحها المتعددة مع عدد من الدول العربية والتى أيدت ناصر فى عملية التأميم وتطوع جنرال شال بالسفر الى لندن لعرض هـذه الخطة على مستر ايدن وكانت الخطة « أن تقوم اسرائيل بالبدء فى الهجوم على مصر فى سيناء متجهة الى قناة السويس وعندما (١) تصل هذه القوات الاسرائيلية بالقرب من قناة السويس تطلب بريطانيا وفرنسا من الطرفين المتحاربين اسرائيل ومصر أن يسحبا قواتهما لمسافة عن منطقة قناة السويس لتأثير هذه العمليات الحربية على الملاحة فى القناة ويعلنان فى نفس الوقت أن انجلترا وفرنسا سوف تقومان باحتلال القناة لحمايتها لصالح المنتفعين والعالم ويأخذ التدخل الفرنسى البريطانى شكل فض اشتباك بين طرفين متحاربين ·

ورحب ايدن بحماس على هذه الخطة لتحقيقها كل تحفظاته وفى نفس هذا التاريخ من مرحلة وضع الخطط كانت اسرائيل تقوم بهجوم واسع على الجبهة الأردنية كتغطية وخداع عن الخطة الرئيسية للعدوان على مصر·

التنسيق العسكرى الاسرائيلى الفرنسى

وتم فى باريس التنسيق العسكرى بين كولونيل نشرى (٢) الملحق العسكرى الاسرائيلى فى باريس وبين الجنرال بوفر الفرنسى :

١ ـ أن يلقى الفرنسيون للقوات الاسرائيلية التى ستحارب فى سيناء أسلحة مضادة للدبابات بالمظلات وكذلك مواد التموين والماء وبخاصة للقوات التى تحارب فى الصحراء وهى الفرقة الاسرائيلية التى ستهاجم موقع متلا بسيناء ·

٢ ـ يقدم الفرنسيون للاسرائيليين المساعدات البحرية التكتيكية بضرب مواقع رفح المحصنة ·

٣ ـ أن تتواجد طائرات المستير الفرنسية بالأراضى الاسرائيلية لتعاون الهجوم الاسرائيلى فى سيناء وضرب أى دفاعات مصرية تقاوم الهجوم أو تستعصى عليه ، أى القيام بوظيفة المظلة الجوية للقوات الاسرائيلية أثناء زحفها عبر سيناء ·

---

(١) مذكرات صلاح نصر ، ص ٢٧١ ·

(٢) فخ السويس ص ٣١٠ ، ٣١١ ·

طلبات اسرائيلية من الجانب البريطانى (١)

وبعد موافقة الجانب البريطانى على خطة التواطؤ العامة طلب الجانب الاسرائيلى من الجانب البريطانى أن تقوم طائرات الكامبيرا البريطانية بحماية اسرائيل ضد تهديد مصر الجوى من الطائرات الأليوش والتى لا تصلح طائرات المستير الفرنسية لمواجهتها ويكون هذا الاشتراك حاسما فى المعركة اذا قام الجانب البريطانى بوضع نظام محكم للرقابة فوق المطارات المصرية وبالتالى يستطيع هذا النظام وبفضل كفاءة الطائرات الكانبيرا القاذفات البريطانية الخفيفة ان تتحول الى جهاز للهجوم · بحيث يحطم جميع الطائرات المصرية وهى على أرض مطاراتها ومنعها من الطيران الى المدن الاسرائيلية · على ألا يتم هذا الاشتراك الجوى البريطانى الا بمجرد دخول القوات البريطانية مسرح العمليات ، كل ذلك لأن الجانب الاسرائيلى كان يعتقد أن عبد الناصر بمجرد شعوره بالعدوان الاسرائيلى سوف يستخدم فى الحال جميع قاذفاته على المدن الاسرائيلية ·

اخطر ما فى التواطؤ

وبالغ بن جوريون (٢) فى طلباته من الجانب البريطانى وحصل فى النهاية على وعد من ايدن بأن تطير الطائرات البريطانية القاذفة الخفيفة (كانبيرا) قبل ميعاد تحرك القوات الاسرائيلية باثنتى عشرة ساعة وتنفذ العمل فوق المطارات المصرية ثم تكون مستعدة للضرب الشامل بمجرد أن تجتاح القوات الاسرائيلية الأراضى المصرية ·

وبذلك تحول هذا التواطؤ الى تدخل فرنسى بريطانى مباشرة لمساندة اسرائيل منذ الدقيقة الأولى للهجوم ·

الدور الأمريكى الخفى

وأثناء صيف سنة ١٩٥٦ ومنذ ما قبل (٣) اجتماعات مؤتمرات لندن وبعدها قام جنرالات وزارة الدفاع الأمريكية بأكبر التسهيلات للفرنسيين والبريطانيين وحصلا منهما على أحدث المعدات والتى لم تكن فى حوزتهما ولكنها كانت ضرورية لهما للصمود أمام أحدث المعدات الروسية والتى كانت ستصادفهما فى مصر ولم يبق فى يد أمريكا أخيرا الا انذارها الذى قدمه دالاس الى أبا ايبان يوم ١٧ أكتوبر كما جاء فى

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٧١

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣١٤ ، ٣١٥ ·

(٣) فخ السويس ص ٣٢٨ ·

مذكرات (١) ايزنهاور فى ٢٧ أكتوبر أنه عندما بلغه من دالاس أن هناك ما يؤكد أن بريطانيا وفرنسا سوف يتورطان فى الشرق الأوسط وسوف تكون نتيجة ذلك توقف الملاحة وبذلك تحقق أمريكا دخلا كبيرا من بيع بترولها الى انجلترا وفرنسا ورد عليه ايزنهاور « ومن أين سيأتون بالمال لكى يدفعوا لنا ثمن هذا البترول » • وليس أدل على تأكد الادارة الأمريكية من خطط العدوان الثلاثى قبل أن يبدأ لأن ايزنهاور أصدر قرارا يوم ٢٧ أكتوبر بترحيل جميع الرعايا الأمريكيين من مصر •

دالاس يخذل ايدن

فى أغسطس ألحت المعارضة البريطانية (٢) العمالية على ضرورة اجتماع مجلس العموم اجتماعا عاجلا وبعد مناقشات حامية فى هذا الاجتماع اتهمت فيها المعارضة ايدن بفقدان صوابه وأن حماقاته سوف تقضى على الكومنولث وبخاصة بعد أن هددت الهند بالانسحاب من الكومنولث اذا اعتدت انجلترا على مصر وأعلن ايدن فى مجلس العموم أن هيئة المنتفعين التى اقترح دالاس تشكيلها سيكون لها الحق أن تشق طريقها بالقوة المسلحة فى القناة •

وفى اليوم التالى أدلى دالاس بتصريح قال فيه « أنه لا يتصور أن هيئة المنتفعين يمكن أن يكون لها الحق فى شق طريقها بالقوة المسلحة فى القناة » •

استمرار استعداد انجلترا وفرنسا

وفى يوم ٣٠ أغسطس أعلنت بريطانيا عن نقل قوات فرنسية الى قبرص لتعزيز القوات البريطانية وكان هذا فى نفس الوقت بمثابة تهديد مسموع الصوت الى مصر ليسبق بعثة منزيس رئيس لجنة الخمسة حتى تكون تفسيرا مكملا لأى صيغة من صيغ التهديد أثناء الكلام مع عبد الناصر •

مؤتمر لندن الثانى (١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٦)

بعد انتهاء رحلة منزيس الفاشلة الى القاهرة وما تبعها من فشل عملية انسحاب المرشدين الأجانب • توصل ايدن مع دالاس لفكرة دعوة مؤتمر لندن الى الاجتماع مرة ثانية لكى يعرض عليه تقرير لجنة منزيس عن مقابلات القاهرة •

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٢ •

(٢) عدد جريدة الأهرام يوم ١٩٨٦/١١/١٨ •

ـ ويوم ١٩ سبتمبر اجتمع مؤتمر لندن (١) مرة ثانيـــة وكانت مباحثاته تدور حول هل سيكون تسديد رسوم المرور فى القناة لحساب جمعية المنتفعين اجباريا أو اختياريا وكان الانجليز والفرنسيون منفقين على أن تكون اجبارية باعتبارها السلاح الوحيد المتبقى ما دام سلاح استخدام القوة لم يقرر بعد ـ ولكن دالاس قبل أن يغادر واشنطون أعلن أنه لن يحاول فرض حل على مصر بل سيبحث فى المؤتمر عن حل يكون مقبولا بالنسبة لعبد الناصر حيث أن ناصر أعلن فى نفس التاريخ لوكالة الأنباء التشيكية « أنه من الممكن قبول حل مرضى » .

وأمكن لأمريكا تمييع الموقف داخل المؤتمر بالاتفاق على أن المنتفع يستطيع أن يدفع الرسوم الى الجمعية ولكن ليس هناك ما يلزمه بذلك مع امكان اقتسام الايرادات مع مصر اذا ما أرادت ذلك وعندما سئل دالاس عما اذا كان سيلزم أصحاب السفن الأمريكية الذين يسددون حتى وقت انعقاد المؤتمر مدفوعاتهم الى مصر بتسديدها من الآن الى جمعية المنتفعين أجاب « أنه لا يملك سلطة تسمح له بذلك » .

ومعنى هذا أن المؤتمر انتهى فى جو كله غموض ، واتفق على أن تبدأ الجمعية عملها فى بداية شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ ولم يحدد بوضوح سلطاتهـــا واعتقد الجانب الانجليزى والفرنسى بأن الأمريكيين أخـذوا يطورون الفكرة حتى أصبحت جمعية المنتفعين مسخرة لتنظيم المدفوعات لحســاب مصر كل ذلك ومصر ملتزمة الصمت ودعت الأمور تجرى فى مجاريها ما دامت لصالحها الى حد ما . وأصدر المؤتمر بيانا بالدعوة الى عرض الأزمة على الأمم المتحدة لأن الاتصال بمصر لم يسفر عن حل . وبيان آخر بأن تعاود هيئة المنتفعين محاولة التفاوض مع مصر اذا أمكن ذلك كما أعلن عن رغبة الولايات المتحدة فى الانضمام الى هيئة المنتفعين .

المخطط الأمريكى لمحاولة عزل مصر عن العرب

كان عبد الناصر منذ تأميمه للقناة على علم بالمحاولات الأمريكية التى تبذل للتفريق بين العرب ومصر بصفة عامة وبينه وبين السعودية بصفة خاصة بعد التأييد الرسمى والشعبى العربيين لعملية التأميم كما كان يعلم بتحركات مندوبى الادارة الأمريكية السريين والعلنيين ونشاطهم فى المنطقة العربية أمثال كيرميت روزفلت وكبــار رجال البترول الأمريكان أمثال ثيرى ديوس رئيس مجلس ادارة شركة أرامكو ، وقد شعر جمال عبد الناصر بالضغوط العربية التى بدأت تظهر فى الجو السياسى بشكل

---

(١) كتاب فخ السويس ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

سافر بعد مقابلة منزيس العاصفة فى القاهرة فى أول سبتمبر سنة ١٩٥٦ فى وسط غيوم كثيرة من التهديدات العلنية والتلويح باستخدام القوة من انجلترا وفرنسا فقد أخذت بعض هذه الدول العربية تتراجع فى موقفها باسلوب الضغط على مصر بقبول الحلول السلمية ولو على حساب بعض التنازلات وكان أبرز هذه الدول السعودية حيث بدأ سعود يتصل بعبد الناصر ليقوم بدور الوسيط بعد أن كان حليفا وقد أثمرت الاتصالات الأمريكية فى غرز بذور الشك وقام عبد الناصر فورا بزيارة مفاجئة للسعودية يوم ٢٣ سبتمبر وأمكن عن طريق المصارحة التامة الوقوف على أبعاد المخطط الأمريكى واسلوبه فى اقناع الكبار وتم اعادة المياه الى مجاريها لامكان الوقوف فى جبهة صلبة أمام ضراوة الغرب المتنمر ٠

مجلس الأمن ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٦

قدمت كل من بريطانيا وفرنسا شكوى ضد مصر الى مجلس الأمن بسبب تأميمها لقناة السويس ٠

وردت مصر بشكوى مقابلة ضد الدولتين على أنهما يهددانها بالعدوان المسلح عندما مارست حقها فى السيادة وأممت شركة تجارية مصرية ٠

وقد تصرفت انجلترا وفرنسا خلافا (١) لما كان يراه دالاس وأثناء عودته الى أمريكا ٠ فكان مفاجأة له وقد استاء دالاس لذلك لأن اللجوء الى مجلس الأمن لم يكن من رأيه ولكن الحليفتان أرادتا اعطاء المبرر للعدوان باستنفاد كل الوسائل وآخرها اللجوء لمجلس الأمن ٠

ـ وفى أكتوبر اجتمع مجلس الأمن وكان الوفد المصرى برئاسة وزير الخارجية محمود فوزى وعضوية دكتور حلمى بهجت بدوى رئيس مجلس ادارة هيئة قناة السويس والسيد على صبرى ٠

وقدم الوزيران سلوين لويد الانجليزى وكريستيان بينو الفرنسى اقتراحا بمشروع قرار فرنسى بريطانى لم يخرج عما قدمه منزيس لمصر ورفضته مصر ولكنه يخلو الى حد ما من صيغة الانذار واعتبرا هذا هو الأساس للمفاوضة مع مصر ولمحا فى المشروع أن هذه الاقتراحات تم اعدادها على أساس اقتراح أمريكى وأعلن الجانبان الانجليزى والفرنسى أنهما سيرفضان أى وساطة أو حل وسط يبتعد عن نص الاقتراح ٠

---

(١) كتاب لغز السويس (هنرى آزو) ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ٠

ـ فى يوم ٨ أكتوبر تكلم وزير الخارجيـة المصرى محمود فوزى رافضا الاقتراح الفرنسى البريطانى وطالب بانشاء هيئة للمفاوضة والتى يجب أن يكون أساسها الحرية التـامة للملاحة فى القنـاة واقامة نظام للملاحة يشترك فى وضعه المنتفعون وهيئة قناة السويس المصرية ·

ـ أما رئيس الوفد السوفيتى ووزير خارجيتها ديمترى شبيلوف فقد انتقد بشدة موقف انجلترا وفرنسا ورفض فيه الاقتراحات الفرنسية البريطانية معلنا أنها تعتبر بمثابة انذارا جديدا لمصر ·

ـ وكذلك كان رئيس الوفد اليوغسلافى ورفض المشروع البريطانى الفرنسى وأيد مصر بفكرة التمسك بتكوين لجنة للمفاوضة ·

ـ أما دالاس رئيس الوفد الأمريكى فقد عوم الموضوع باعلان أن المشروع الانجليزى الفرنسى يؤدى للحل · وفى نفس الوقت الاقتراح المصرى له وجاهته وظهر الموقف أنه لا مخرج له · وتلافيا لكثرة الجدل اقترح همرشولد أن تعقد اجتماعات مغلقة بين مندوبى انجلترا وفرنسا ومصر فقط وبحضـوره كحكم وتوصل أخيرا همرشولد مع مستر لويد الى مبادىء (١) ستة لأجل الوصول الى تسوية لقناة السويس وكانت هذه المبادىء الستة هى :

١ ـ حرية المرور فى قناة السويس لجميع السفن دوون تمييز ·

٢ ـ احترام سيادة مصر ·

٣ ـ تأكيد استقلال القناة عن سياسة أية دولة ·

٤ ـ الانفاق بين السلطات المصرية والمنتفعين بالقناة على قيمة رسوم المرور ·

٥ ـ تخصيص نسبة معقولة من الرسوم لتحسين القناة ·

٦ ـ الاتفاق على مسائل التحكيم فى أى منازعات بين الشركة المنحلة ومصر وحصـلت هذه المبادىء السنه (٢) على الاجماع حين أخذت الأصوات عليها يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ·

أما بالنسبة للجزء الثانى من المشروع والمقدم من انجلترا وفرنسا والذى يؤكد على المبادىء التى تبنتها لجنة منزيس الخمسة فقد سقط بالفيتو السوفيتى · واتفق على التفاوض داخل لجنة خاصـة تعقد فى جنيف بعد اسبوعين يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ·

---

(١) مذكرات صلاح نصر الجزء الاول ، ص ٢٦٩ ·

(٢) كتاب فخ السويس ، ص ٢٨٩ ·

غرابة التصرفات الأمريكية

وفى وسط كل هذه الدوامات كانت(١) الادارة الأمريكية وما يتبعها من كواليس المؤسسات المسيطرة على السياسة العليا للدولة تقوم طوال فصل الصيف بعمليات منتظمة لشراء أسهم قناة السويس من البورصة على دفعات يبلغ كل منها ٢٠٠ سند وكان الجميع يعلمون أن هذه العمليات تتم لحساب الأمريكيين · وفى نفس الوقت كانت كبرى شركات البترول بما يوجد (٢) بين كواليسها من كبار مسئولين فى جهاز المخابرات الأمريكى .C.T.A ويتطلعون الى آفاق البترول الواسعة وكمياتها الهائلة والتى تم معرفة أبعادها فى صحراء مصر الغربية والموجودة بجوار الفالق الجرانيتى أسفل منخفض القطارة والذى قسم بئر البترول الشاسع بين ليبيا ومصر ·

تصرفات دول التآمر الثلاثى

توالت الاجتماعات السرية بين الجانب الفرنسى والاسرائيلى عسكريين وسياسيين فى غيبة من الجانب البريطانى الذى كان يتحفظ منذ البداية للتعاون مع اسرائيل فى هذا العدوان ووضعت الخطط وعدلت عدة مرات كما توالت الاجتماعات السرية والعلنية بين الفرنسيين والبريطانيين العسكريين والسياسيين وقامت القيادات العسكرية فى كلا الدولتين بتحرك وجمع قواتهما وأغلب هذه التحضيرات والتحركات لم تخف على مصر ·

وعندما وصل المخطط العدوانى بين (٣) فرنسا واسرائيل الى ما قبل النهاية وكان الجانب الاسرائيلى مندفعا بكل حماس لوضع اللمسات الأخيرة حتى يمكنه الحصول على الموافقة النهائية للتنفيذ وبخاصة من الجانب البريطانى المتردد فقد كانت اسرائيل تخشى من (خطر السلام) الذى ظهر على أثر تقدم المحادثات التى جرت فى مجلس الأمن فى مكتب همرشولد السكرتير العام بين الانجليز والفرنسيين والمصريين وكان المعتقد حتى يوم ٢٣ أكتوبر أن الانفاق كان على وشك التوقيع وبخاصة بعد أن حرر السكرتير العام خطابا يلخص فيه نتائج المباحثات المشجعة على الحل السلمى ولم ينقص هذا الخطاب غير الموافقة المصرية عليها حتى تتم تسوية المشكلة عن طريق المفاوضات وكان يكفى فى هذا الوقت اشارة عبد الناصر لكى تنهار خطة الحرب الاسرائيلية وكان الجانب الاسرائيلى والفرنسى يطلقون على هذه المرحلة الحرجة اصطلاح « حظر السلام » ، حيث كانوا

(١) كتاب فخ السويس ص ٢٨٩ ·

(٢) جريدة الاهرام عدد رقم ٢٩٦٤ بتاريخ ١٩٦٨/٣/٢٩ من مقال النصر والأمل لهيكل ·

(٣) فخ السويس (هنرى آزو) ص ٣١٣ ، ٣١٤ ·

يخشون استقرار السلام · خشيت اسرائيل هى بالمقام الأول من تردد انجلترا حتى آخر وقت ولذلك قام بن جوريون بالسفر فجأة الى فرنسا يوم ٢٢ أكتوبر وأمكنه التغلب على التردد البريطانى وفى نفس الوقت أتم اللمسات الأخيرة فى خطة التواطؤ ·

ومنذ ١٤ أكتوبر فى اجتماعات الجانب الفرنسى مع الاسرائيلى فى باريس أصبح واضحا أن اسرائيل مصممة على الحرب ضد مصر مع الجانب الفرنسى حتى ولو لم تشترك انجلترا وظهر أن الجانب البريطانى كان تردده يرجع الى محاولة البحث عن ذريعة وسبب معقول لدخول الحرب خشية الرأى العام عامة والرأى العام للشعب البريطانى بصفة خاصة والمعارضة المشاكسة التى رفعت صوتها عاليا وبوضوح ضد فكرة العدوان كما أن ايدن بالذات كان حريصا على ألا تظهر انجلترا وكأنها متواطئة مع اسرائيل بالذات فى حرب مع عبد الناصر لما له من تأثير جماهيرى فى شعوب الدول العربية وبخاصة البترولية ·

العدوان

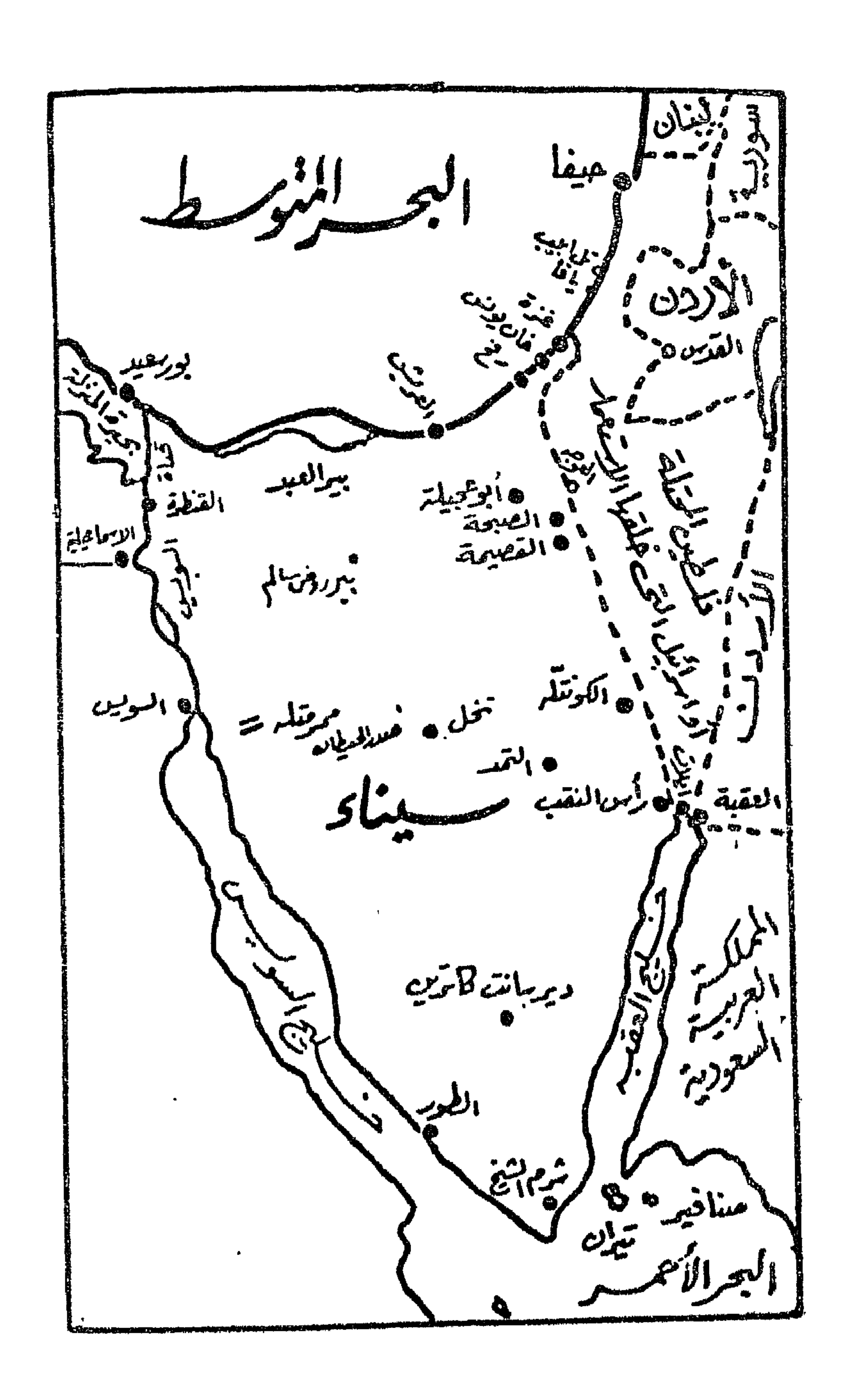
فى الساعة الخامسة من مساء (١) يوم ٢٩ أكتوبر أنزلت عند مدخل ممر متلا على مسافة ٤٠ كم من مدينة السويس كتيبة من مظلات الجيش الاسرائيلى وأنزلت بالقرب من البناء المقام لذكرى الكولونيل (٢) باركر الحاكم الانجليزى السابق لسيناء وانتشر جنود المظلات بين الصخور الوعرة فيما بين هذا البناء وممر متلا لمسافة ٣٠ كيلو متر وقضوا الليل وجزءا من النهار ٣٠ أكتوبر بعد حفر بعض الخنادق بصعوبة فى الصخور وكانت منطقة ممر متلا خالية من القوات المصرية المقاتلة وكان بها فقط بعض جنود الحدود المصرية • وفى نفس الوقت تحرك طابور اسرائيلى (٣) مجتازا الحدود المصرية على أربعة محاور اندفع المحوران الأولان فى اتجاه قناة السويس بهدف السيطرة عليها وكان (٤) التحرك غربا والى الكنتلة وتمد ونخل وممر متلا المحتل مسبقا بقوات المظلات الاسرائيلية • ودل حجم هذه العملية على انها مقدمة لهجوم شامل تقوم به اسرائيل وكانت كل التوقعات المصرية انه اذا حدث عدوان على مصر فسيكون من جانب بريطانيا وفرنسا ولذلك كانت القوات الرئيسية المصرية مركزة كلها فى الاسكندرية والقاهرة وليس فى سيناء الا ست كتائب موزعه على طول خطوط الهدنة مع اسرائيل منها كتيبتين فى أم كتاف وكتيبتين فى الشيخ زويد وكتيبتين فى العريش بالاضافة الى قوات من الحرس الوطنى موجودة فى قطاع غزة

وصدرت الأووامر فى الحال للقوات المصرية (٥) فى سيناء أن تصمد فى مواقعها بكل الطرق لمدة ٤٨ ساعة الى أن تصل التعزيرات كما صدرت الأوامر للفرقة الرابعة المدرعة بالعبور لقناة السويس وتتجمع فى موقع بير روض سالم فى قلب سيناء لضرب الهجوم الاسرائيلى • ودافعت القوات المصرية فى منطقة نخل واستطاعت ايقاف القوات المعتدية • كما هاجم العدو المواقع المصرية فى شمال سيناء ولكن القوات المصرية ردته •

فى صباح يوم ٣٠ أكتوبر رصدت وحدات الدفاع الجوى المصرى طائرة نفاثة بريطانية من طراز كانبيرا كانت تحلق على ارتفاع شاهق فوق بورسعيد ومنطقة الزعفرانه •

---

(١) مذكرات المؤلف ص ١٨٤ •
(٢) كتاب فخ السويس ٣١٩ ، ٣٢٠ •
(٣) مذكرات صلاح نصر جزء أول ، ص ٢٧٤ •
(٤) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٢٧٨
(٥) عدد جريدة الأهرام يوم ١٩٨٦/١١/٢٣ حلقة ٢٩ من كتاب ملفات السويس للأستاذ هيكل •


البحر المتوسط
لبنان
سوريا
حيفا
تل أبيب
يافا
غزة
خان يونس
رفح
العريش
بورسعيد
القنطرة
الإسماعيلية
السويس
بير العبد
أبو عجيلة
الصبحة
القصيمة
الكونتلا
نخل
التمد
رأس النقب
العقبة
سيناء
الأردن
القدس
البحر الميت
دير سانت كاترين
الطور
شرم الشيخ
تيران
صنافير
خليج السويس
خليج العقبة
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر

وفى يوم ٣٠ أكتوبر تسلم سفيرى مصر فى كل (١) من فرنسا وانجلترا انذارا بريطانيا فرنسيا يطالب الجانبين المصرى والاسرائيلى بايقاف القتال برا وجوا وبحرا وأن يسحب كل قواته بعيدا عن القناة بمسافة عشرة أميال على الأقل وعلى أن توافق مصر على احتلال القوات البريطانية والفرنسية مؤقتا للنقط الرئيسية فى كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة فى القناة على أن تنفذ ذلك خلال ١٢ ساعة تنتهى فى الساعة ٦½ من صباح يوم ٣١ أكتوبر والا فان الدولتين انجلترا وفرنسا تتدخلان بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان اجابة طلبهما • واجتمع مجلس الوزراء المصرى ورفض هذا الانذار وأعلنت اسرائيل انها تقبل هذا الانذار اذا ما قبلته مصر • وكان جمال عبد الناصر فور وصول الأخبار قد انتقل الى مبنى القيادة وأشرف بنفسه على العمليات ضد العدوان • واستمر الطيران المعادى فى ضرب القوات المصرية طوال نهار يوم ٣٠ أكتوبر وتبين لقوات الطيران المصرية المشتركة فى المعركة شبه استحالة لضرب الطيران الاسرائيلى ومطاراته لتأكدهم من أن الطيران الفرنسى (بطائرات المستير) كان مشتركا فى الدفاع عن أرض اسرائيل بمظلة جوية من كل هذه الملابسات تأكد عبد الناصر (٢) منذ وصول الانذار الانجليزى الفرنسى من المؤامرة الثلاثية وان دور اسرائيل التى بدأت الهجوم لا يتعدى أن يكون مبررا لتدخل انجلترا وفرنسا كما تأكد ان الانجليز والفرنسيين سيبدءون غزوهم خاصة بعد أن وصلت الأنباء ان الطيران البريطانى قام بغارة جوية على القاهرة مساء ٣١ أكتوبر بينما كان الطيران الفرنسى يعمل فوق سيناء •

وقبل أن يتمكن العدوان الاسرائيلى الانجليزى الفرنسى من عزل القوات المصرية شرق القناة للقضاء عليها فى سيناء تقرر سحب القوات المصرية من سيناء وصدرت الأوامر بذلك فى العاشرة مساء ٣١ أكتوبر • وفى صباح ٣٠ أكتوبر سافر الى موسكو رئيس الجمهورية السورية شكرى القوتلى وتفاهم قبل سفره مع عبد الناصر للوقوف على مدى تأييد الاتحاد السوفيتى لموقف مصر من هذا العدوان المدبر من ثلاث دول وعبرت دمشق عن غضبها البالغ وتحرك الضباط الوطنيون لمطالبة حكومتهم فى سوريا بمشاركة مصر فى الدفاع وبخاصة بعد ان ظهرت قطع بحرية

---

(١) من كتاب محمد عبد الفتاح ابو الفضل ص ١٨٥ •

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٧٤ حيث كان بحكم مركزه مديرا لمكتب القائد العام حاضرا اجتماعات جمال عبد الناصر مع القيادة العسكرية فى مبنى القيادة المشتركة يوم ٣٠ وفى مبنى القيادة العامة بكوبرى القبة يوم ٣١ كتوبر •

أجنبية تهدد سوريا أمام ميناء اللاذقية وبنياس وهى نهاية خطوط الأنابيب التى تنقل بترول العراق الى البحر المتوسط ليصل الى فرنسا وانجلترا وغرب أوروبا والتى تعتمد عليه غرب أوروبا فى صناعاتها ومعيشتها اجتمع مجلس الأمن مساء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ وقدمت الولايات المتحدة مشروع قرار يدعو الجانبين الى وقف اطلاق النار فورا والزام اسرائيل بسحب قواتها خلف خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ • وأعلن المندوب السوفيتى انه يؤيد الموقف الأمريكى وكذلك المندوب اليوغسلافى وسقط مشروع القرار باستخدام انجلترا وفرنسا لحق الفيتو وذلك أغضب الحكومة الأمريكية •

فى ٣٠ أكتوبر طلبت مصر عقد مجلس الأمن للنظر فى أمر هذا العدوان ثم أعلنت التعبئة أيضا فى ٣٠ أكتوبر •

– ثم قامت مصر بقطع علاقاتها السياسية مع كل من بريطانيا وفرنسا •

– وعرف وقتها أن الجنرال تشارلس كتيلى هو القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط والأميرال الفرنسى بيير بارجوهو قائد القوات الفرنسية •

– وبلغ عدد الجنود الفرنسيين والانجليز المشتركين فى المعركة حوالى ١٦٠ ألف مقاتل ومعهما أسطول حوالى ١٣٠ قطعة حربية •

موقف رجال البترول الأمريكيين

كان رجال البترول الأمريكان فى حالة قلق خوفا من اعادة سيطرة الانجليز والفرنسيين على القناة حتى لا يعودوا الى الاستغلال السلمى لمنابع بترول الجزيرة العربية وخوفا من قيام الاضطرابات المتتابعة وحرب عصابات لا نهاية لها من العرب كانتقام منهما – كما أن التعامل مع مصر وحدها بقيادتها الجديدة أضمن لهم وبخاصة بعد (١) ما ظهر من أبحاثهم البترولية السرية أن مصر تقوم على بحيرة من البترول •

وكان لكبار رجال البترول موقف مؤثر فى موقف الادارة الأمريكية للعمل على ايقاف القتال •

---

(١) مقال نشر فى مجلة رجال الاعمال الامريكان فى شيكاغو سنة ١٩٥٦ •

الرأى العام العالمى

عبر الرأى العام العالمى عن غضبه ضد المؤامرة على مصر وعم الغضب القارات وهوجمت المنشآت والسفارات البريطانيــة والفرنسية فى معظم العواصم الأفريقية والآسيوية وفى أمريكا اللاتينية وحتى باكستان هددت بالانسحاب من الكومنولث كما قام الشعب العراقى بشبه ثورة ضـــد حكومته ونظامه المتعصب للسياسية البريطانية وتعرضت فيها المؤسسات البريطانية ومقار الشركات والبنوك وغيرها لهجمات متواصلة من الجماهير العراقية ـ كما قامت فى معظم البلاد الأوربية حركات تعبر عن السخط ضد فرنسا وانجلترا وحدث ذلك فى كل من اليونان وايطاليا وأسبانيا وألمانيا الغربية وحتى فى انجلترا فقد احتشد أكثر من ٣٠ ألف متظاهر فى ميدان الطرف الأغر يطالبون بطرد ايدن ويستنكرون العدوان على مصر .

عملية ممر متلا :

ظلت طلائع قوات المظلات الاسرائيلية (١) بقيادة شارون بلا حراك أمام ممر متلا منذ صباح ٣١ أكتوبر وفى أثناء الليل وصلها امدادات من العتاد والطعام تحملهــا الطائرات الفرنسية ، ووصــــلت قوات مصرية اســـتطاعت احتلال الممرات الجبلية ودارت معركة عنيفــة بين المصريين والاسرائيليين منذ الحادية عشرة صباحا يوم ٣١ أكتوبر ونسفت الطائرات المصرية سيارتين اسرائيليتين لنقل البترول على الطريق وسدته تماما بعد ان احترقتا ـ وانتهى النهار وفشل التقدم الاسرائيلى بسبب المقاومة المصرية وتشتت قوات اسرائيل شرق الممر بعد ان تعرضت لهجمات مصرية جوية ـ وفى صباح يوم أول نوفمبر سنة ١٩٥٦ تجمعت القوات الاسرائيلية ثانية استعدادا لمواجهة الهجمات المصرية بالمصفحات التى وصلتهم قادمة من الشمال ولكن القوات المصرية أخلت مواقعها أثناء الليل بعد ان تلقت أوامر قيادتها بالقاهرة بالانسحاب بعد أن تأكدت القيادة المصرية من اشتراك بريطانيا وفرنسا فى العدوان واستأنف الجيش الاسرائيلى زحفه من ممر متلا متقدما نحو القناة .

معارك سيناء (٢)

فى أثناء معارك متلا تقدمت قوة اسرائيلية هى اللواء التاسع الميكانيكى وبه أكثر من مائتى سيارة ، ٨٠٠ مقــاتل وزحفت جنوبا على الطريق

---

(١) فخ السويس (هنرى آدمز) ص ٣٢٨ .

(٢) كتاب فخ السويس فى ص ٣٢٨ الى ص ٣٤٩ .

الوعر حتى وصلت الى رأس النقب يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ فى السابعة صباحا ثم استأنفت زحفها الى الجنوب فى اتجاه شرم الشيخ -

أما فى الجبهة الوسطى من سيناء

بعد اشتباك القوات المصرية الصغيرة العدد والتسليح من القسيمة بعد اشتباكها مع القوات الاسرائيلية المنهكة من تقدمها فوق الرمال الهشة وفقدها الكثير من معداتها بعد اجتيازها الحدود الاسرائيلية ٠

أما فى الجبهة الشمالية

ففى مساء ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حاولت عناصر فدائية من اللواء الاسرائيلى المدرع فتح ثغرة فى حقول الألغام المصرية أمام خطوط الدفاع المصرية فى رفح وفشلت فى ذلك مما تسبب فى تكبد الكتائب الاسرائيلية المشاة لخسائر شديدة أثناء زحفها مساء ٣١ أكتوبر كما كانت المواقع المصرية المحصنة فى أبو عجيلة قد صمدت هى الأخرى أمام الهجوم الاسرائيلى الذى بدأ فى فجر ٣١ أكتوبر واستمر حتى بعد الظهر ، وبعد أن تعرضت الى ضربات من طائرات المطاردة المصرية ٠

وفى الساعة الثامنة مساء سقط مركز « الجسر » المصرى وبعدها مباشرة قامت باقى القوات فى باقى الدفاعات المصرية بالانسحاب بعد صدور الأوامر من القاهرة ٠

فى نفس الوقت الذى كانت فيها قوات اللواء المدرع السابع المصرى قد عبرت الى شرق القناة ، ووصلت مقدمتها الى « بئر روض سالم » فى مساء ٣١ أكتوبر فكانت الشواهد تدل على ان هذه المنطقة سيحدث بها معركة عنيفة للدبابات ٠ ولكن فجأة صدرت الأوامر المصرية بانسحاب هذه القوات المدرعة الى غرب القناة مرة أخرى ٠ وهى لم تكن قد اتخذت مواقعها بعد فى الشرق فى بئر روض سالم ٠ وسادت الفوضى فى مناطق العبور المصرية حيث كانت تقوم باقى قوات المشاه التى وصلت حديثا الى شرق القناة بالعودة الى غرب القناة ٠

وألحقت خسائر جسيمة بالمصريين أثناء هذ االعبور الغير مستقر من غرب القناة الى شرقها وبالعكس ٠

وبسبب الغارات الجوية التى وقعت على المدرعات المصرية ومعدات وجنود الوحدات والذى قامت به الطائرات الفرنسية من طراز « مستير » كل ذلك قبل انقضاء مهلة الانذار ٠

العمليات البحرية

رغم ان التسليح البحرى المصرى كان متواضعا (١) حيث كان مكونا من بعض المدمرات والفرقاطات فقد كانت اسرائيل تعتبر انه يشكل تهديدا لأراضيها لأن الجزء الآهل بالسكان من اسرائيل كان معرضا لضربات مدافع البحرية المصرية • ولذلك قامت فرنسا بدعم القوات البحرية الاسرائيلية وزودتها باسطول خفيف من المدمرات « سوركوف » ، « بوفيه » ، « كيرسانت » بالاضافة الى المدمرة الفرنسية « جازيل » •

وفى عصر يوم ٣٠ أكتوبر عندما كانت المدمرة المصرية « ابرهيم » تسلل وسط دورية من الأسطول الأمريكى قامت المدمرة الفرنسية « كيرسانت » بالضرب على المدمرة المصرية « ابرهيم » واستمر اشتباكها معها حتى مطلع الفجر وأمكنها فى النهاية أسر المدمرة « ابرهيم » بمساعدة الفرقاطات وسفن المراقبة الاسرائيلية والطائرات الفرنسية بعد توقف حملة قبادتها •

بينما كانت سفينة التدريب « دمياط » فى طريقها الى شرم الشيخ (٢) اعترضها ثلاث قطع من الأسطول البريطانى وأمرتها بالتسليم ورفض قائدها وقاتلت ثم غرقت بعد ان أصابت احدى سفن الأعداء واستشهد قائدها الصاغ محمد شاكر حسنين واليوزباشى البحرى مدحت الزيات •

فى ٣ نوفمبر حاولت قوات بحرية بريطانية النزول الى البر بالقرب من (٣) ميناء السويس وقامت زوارق الطوربيد المصرية باصابة احدى قطع البحرية البريطانية وعاونتها مدفعية السواحل المصرية وفشل نزول المعتدين الى البر •

وفى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ بعد الظهر وعلى بعد عشرة أميال من بحيرة البرلس أغرقت زوارق الطوربيد المصرية طرادا فرنسيا «جان بارت» وعليه سبعمائة بحار فرنسى وتعقبت طائرات العدو زوارق الطوربيد المصرية واستشهد أبطالها وهم صاغ جلال دسوقى ، يوزباشى اسماعيل عبد الرحمن فهمى ، يوزباشى صبحى معز ، ملازم أول على صالح ، ملازم أول مصطفى طبالة ، ملازم أول عادل مصطفى شوقى ، ملازم ثان ياقوت عطية قنانة ، ملازم ثان جمال رزق الله الفسخانى ، م ثان محمد البيومى الطبلاوى ، ملازم ثان (سورى) جول جمال •

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى آزو ، ص ٣٤٢ •

(٢) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٣٠٣ •

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٤ •

وقامت طائرات حاملات الطائرات البريطانية بمهاجمة قطع البحرية المصرية بميناء الاسكندرية هجوما مستمرا لاغراقها ولكنها فشلت بفضل دفاع المدفعية المصرية المضادة للطائرات والتى تمكنت من اسقاط بعض هذه الطائرات ٠

الانسحاب المصرى من سيناء لتجنب الفخ

منذ تسلم « عبد الناصر » الصيغة الكاملة للانذار (١) البريطانى الفرنسى مساء يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وبتحليل كلماته تبقن « عبد الناصر » من الفخ الذى أعده المتآمرون (فرنسا وانجلترا واسرائيل) وهى محاولة استدراج معظم وأقوى الوحدات المصرية الى سيناء لصد الهجوم الاسرائيلى الذى بدأ مبكرا ومنفردا ودون ظهور أى بوادر عدوان من دولتى انجلترا وفرنسا وقد كانت خطة التآمر قد نجحت (٢) حتى لحظة اطلاع ناصر على صيغة الانذار وكان عبد الناصر قد نقل الى شرقى القناة اللواء الأول المدرع واللواء الأول المشاة الخفيف واللواء الثانى المشاه حتى انه لم يبق لديه قوات خفيفة للدفاع عن باقى الأراضى المصرية ٠ وقد تحمل عبد الناصر وحده مسئولية قرار الانسحاب حيث كان منذ بداية العدوان متوليا زمام القيادتين الاستراتيجية والسياسية ومع ذلك فانه عند تقديم اقتراحه بهذا الانسحاب الضرورى وهو فى اجتماع بمركز القيادة العامة للقوات المسلحة مساء ٣١ أكتوبر وقرر فى هذا الاجتماع التصميم على استمرار القتال والمقاومة(٣) ولو حتى بالانسحاب الى الوجه القبلى واللجوء الى حرب العصابات وعارضه فى هذه القرارات صلاح سالم واقترح على عبد الناصر أن تستسلم الحكومة وتأتى حكومة جديدة يمكنها التفاوض مع الغزاة ٠ وأيد عبد الحكيم عامر وجهة نظر صلاح سالم لأنه كان يخشى مواجهة الدولتين الكبيرتين انجلترا وفرنسا ولمح هو الآخر بالاستسلام ٠

وطلب سليمان حافظ مقابلة عبد الناصر ليعرض على القيادة فكرة الاستسلام ورفض عبد الناصر مقابلته ٠

وحذر عبد الناصر المجتمعين من اظهار الفرقة فى الرأى لأن الأعداء فى انتظار هذا الخلاف لتحقيق أهدافهم بالكامل بتحقيق الانهيار من الداخل ٠

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للاستاذ الرافعى ، ص ٢٩٠ ٠

(٢) فخ السويس (هنرى آزو ، ص ٣٤٩ ٠

(٣) مكرات صلاح نصر جزء أول ، ص ٢٧٦ الى ص ٢٨٠ ٠

وتم الانسحاب العسكرى المصرى بالكامل من سيناء وبغاية السرعة فى ليلتى ٣١ أكتوبر وأول نوفمبر سنة ١٩٥٦ وقبل ان نقوم القوات (١) الجوية الفرنسية والبريطانيـة بضرب ونسف كوبرى الفردان والمعديات وبدلك أنقذ هذا الانسحاب معظم القوات المصرية قبل ان تحجز فى سيناء ونصبح فى صميم الفخ وفى مصيدة كبيرة ويصبح طريق القاهرة وطريق القناة ممهدا وسهلا لتقدم القوات المعتدية ٠

التعامل مع الأحداث

وفى نهاية اجتماع عبد الناصر فى مبنى القيادة (٢) مساء ٣١ أكتوبر وبعد ما اتخذ فيه من قرارات الانسـحاب من سيناء حـدد عبد الناصر الاستراتيجية المصرية فى مواجهة هذا العدوان المدبر والذى يحظى ظاهريا بمعارضة الدولة العظمى أمريكا وفى الحقيقة مباركة له ٠ وتمنيات غير طيبة لمصر كما يحظى بجانب من الحرص المبـالغ فيه من الدول العظمى الأخرى الاتحاد السوفيتى والمفروض انها حليفة لمصر الى حد بعيد وخصوصا بعد ما وصل عبد الناصر من معلومات من سفارة مصر فى موسكو ومن الرئيس شكرى القوتلى أثناء زيارته لموسكو بأن القادة السوفيت ينتظرون من مصر أن تحارب بنفسها معركتها وتأكدهم من أن مصر ستحقق النصر وحدها فى النهاية ٠ بالاضافة الى تيقنه من بعض المواقف المتخاذلة من جانب بعض القريبين من اتخـاذ القرار من السلطتين العسكرية والمدنية فى مصر ومن بعض بقـايا محترفى السياسة السـابقين لكل ذلك قرر الآتى : ـ

اعلان المقاومة

فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر (٣) ذهب جمال عبد الناصر فى سيارة جيب مكشوفة الى حى الحسين الشعبى وسط الجماهير وأدى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر وأمام جموع الشعب المصلين أعلن فى خطبة له بعد الصلاة من على المنبر ونقلتها الاذاعة «انه قد تم انسحاب جميع القوات المصرية

---

(١) كتاب فخ السويس ، ص ٢٤٩ ، ٣٤٩ ٠

(٢) رجاء الرجوع الى كتاب من السويس الى مشروع ايزنهاور الذى كتبه مساعد ايزنهاور « شرمان آدمز » ويفصح فيه عن رأى الادارة الأمريكية عن تصرفات عبد الناصر أثناء العدوان ٠

(٣) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الأول من ٢٣ يوليـو سنة ١٩٥٢ الى يناير سنة ١٩٥٧ اصدار الهيئة العامة للاستعلامات من خطاب عبد الناصر القاه فى الأزهر الشريف يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ص ١٦٠٥ ٠

من سيناء للدفاع عن قناة السويس وقبل ان تقع هذه القوات فريسة فى فخ المعتدين وان الجميع سوف يقاتلون ولن نستسلم وسوف نقاتل مع الشعب الذى أصبح السلاح فى يده » وعندما خرج عبد الناصر من الجامع الأزهر كانت القاهرة كلها قد زحفت الى طريق موكبه وأخذت تهتف فى صيحة واحدة مدوية « حنحارب ·· حنحارب » وقد جمعت هذه الصيحة شعب مصر على هدف واحد فى مواجهة المعتدين وبعد ان تم توزيع نحو مليون قطعة سلاح على أفراد الشعب للذود عن البلاد وانضم الكثيرون الى صفوف المقاومة ·

وكان عبد الناصر يعلم انه اذا قاتل وطلب المساعدة فى الوقت نفسه فمن المحتمل أن يكون لندائه صدى وهذا تصديقا لنصيحة خروشوف للسفير المصرى القونى « لا تعتمدوا على غير أنفسكم ونحن واثقون انكم قادرون على تحقيق النصر » وذلك فى حفل عشاء أقامته حكومة الاتحاد السوفيتى للرئيس شكرى القوتلى فى الكرملين · لذلك(١) بادر عبد الناصر بتنظيم قواته فى القاهرة لتقوم بحرب عصابات طويلة الأمد وأغلق قناة السويس وجعلها غير صالحة للملاحة لمدة طويلة ، وعمل على نسف أنابيب شركة البترول العراقية التى تخترق سوريا ولبنان ووقعت بريطانيا وفرنسا تحت رحمة أصحاب شركات البترول الأمريكيين ولقلة كميات البترول المخزون فى فرنسا وانجلترا كان بمثابة تأكيد (٢) على استمرار المعركة حتى يمكن اثارة الأمم المتحدة ولذلك صدرت الأوامر لقيادة المقاومة بالقناة بالاستمرار فى المقاومة بعنف فى بور سعيد وبأى ثمن ·

تدهور الجنيه الاسترليني

ومما ساعد مصر فى معركتها مع العدوان هو التدهور المستمر فى قيمة الجنيه الاسترلينى وبخاصة فى سوق نيويورك حيث كانت الحكومة البريطانية تقوم بشراء الدولارات بكميات كثيرة عندما عرضت أمريكا فى سوقها كتل قيمة كل منها خمسة ملايين من الدولارات وكان بنك انجلترا يسرع الى شرائها بالاسترلينى بمبالغ من المال تبلغ قيمة كل منها ما يعادل مليونا من الدولارات وفى اليوم التالى كانت انجلترا مضطرة الى توفير ٣٠٠ مليون دولار لمنع انهيار الثقة فى النقد البريطانى — وتبين أن الحكومة الأمريكية قد سمحت للبنك الفيدرالى ببيع ما يريد بيعه من جنيهات استرلينية كما قامت الحكومة الأمريكية بعملية سحب جزء من الودائع البريطانية ·

---

(١) فتح السويس ص ٤٠٠ ·

(٢) مكرات عبد الفتاح ابو الفضل ص ١٨٦ ·

الانتقام من الانسحاب المصرى

وطوال يومى ٢ ، ٣ نوفمبر قامت الطائرات البريطانيه بالانتقام من القوات المصرية التى تمكنت من الافلات من فخ سيناء بانسحابها دون خسائر تذكر وقامت هذه الطائرات البريطانية بقذف وضرب طوابير الجيش المصرى المنسحبة على الطرق المصرية وتسببت فى كثير من الدمار لجانب من الدبابات والمدافع وأحرقتها وأحرقت بعض السيارات العسكرية على طول الطريق من الاسماعيلية الى القاهرة · وأصابت الغارات كوبرى الفردان ولكن عملية الانسحاب كانت قد تمت فى وقت مبكر وتمكنت القوات المصرية من النجاة من الوقوع فى هذه المصيدة فى سيناء الى حد بعيد ·

فى الأمم المتحدة

فى الساعة الأخيرة من يوم ٢ نوفمبر صدر قرار الأمم المتحدة بالموافقة على مشروع الولايات المتحدة بعد التصويت عليه (١) ويقضى القرار ان تقبل الأطراف المتنازعة وقف اطلاق النار والامتناع عن ارسال أى قوات عسكرية أو أسلحة الى المنطقة وسحب جميع قواتها الى خلف خطوط الهدنة (الهدنة بين مصر واسرائيل الموقعة فى رودس ١٩٤٩) والامتناع عن أى غزو · وكان فى هذا النص ادانة سابقة لأى عمليات يتخذها الفرنسيون والانجليز لانزال جنودهما فى مصر ورفضت اسرائيل وفرنسا وانجلترا التصويت · وعندما أعلنت كندا استعدادها لارسال قواتها تحت علم الأمم المتحدة للاشتراك فى عمليات ايقاف القتال بعد اقتراح انشاء قوة دولية تبدأ فى عملها صباح ٦ نوفمبر ١٩٥٦ رفضت انجلترا وفرنسا ذلك · ولما كانت اسرائيل تشرف على شبه جزيرة سيناء بالكامل وبشكل يتسم بالأنانية وافقت على قرار الأمم المتحدة بايقاف القتال واجابت السكرتير العام للأمم المتحدة بأنها مستعدة للدخول مباشرة مع مصر لاقرار السلام مع رفضها لانشاء قوة دولية · أما انجلترا وفرنسا فقد أزعجهما قرار تكوين القوة الدولية فلم يردوا على القرار ودبرا الاسراع فى استمرار العدوان قبل تكوينها فى ٦ نوفمبر ·

وفى صباح ٣ نوفمبر أعلن ايزنهاور (٢) فى خطاب له ان أمريكا لا تستطيع أن تبرر أى عدوان مسلح مهما يكن المعتدى ومهما تكن الضحية ·

---

(١) فخ السويس ص ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٦١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ·

(٢) نفس المصدر السابق ·

وفى الوقت الذى كانت فيه حكومة بريطانيا تتابع تطور المناقشات فى الأمم المتحدة كانت مظاهر السخط الشعبى البريطانى تزداد حدة واتساعا فى كل مكان فى انجلترا وفى العالم ٠

وفى الرابعة صباحا كانت القوات السوفيتية تزحف على المجر لاخماد الثورة الشعبية بها ٠

الدور الأمريكى المتواطىء

أبلغ « ايدن » رئيس وزراء بريطانيا الرئيس الأمريكى ايزنهاور ان انجلترا (١) لا تسمح بوجود فراغ عسكرى فى المنطقة وستستمر فى اجراءات السيطرة على الموقف حتى يمكنها تسليم مسئولياتها الى الأمم المتحدة وان عملياتها سوف نقف بعد الاستيلاء على بور سعيد ٠ وصدرت الأوامر فور ذلك للأسطول السادس الأمريكى باخلاء شرق البحر الأبيض المتوسط ٠ وتعمد ايزنهاور أن يغمض عينيه عن عملية العدوان على أساس الالتزامات التى تعهد بها ايدن بالاكتفاء باخضاع بور سعيد فقط وهذا التسامح الأمريكى كان فى مستوى التواطؤ وليس أدل على ذلك من أن قائد الأسطول السادس الأمريكى الأميرال براون أرسل برقية للانجليز والفرنسيين « عمل أطيب تمنيات الأسطول السادس لنجاح العملية التى تقومان بها » ٠

سد قناة السويس

قامت مصر بسد مدخل القناة عند بور سعيد كما قامت باغراق كثير من السفن القديمة بعد ان حملتها بالأسمنت وذلك على طول القناة بغرض تعطيل الملاحة لأكبر مدة ممكنة حتى لا يستفيد العدو من استخدام القناة بسفنه الحربية لمساعدة قواته الكبيرة البرية ٠ وقامت احدى الطائرات البريطانية باصابة السفينة المصرية « عكا » بالقرب من بحيرة التمساح (٢) فى الممر المائى ونتج عن ذلك المساهمة فى تعطيل الملاحة فى القناة فكانت خدمة للمخطط المصرى ٠

استمرار الغارات المعادية

فى ٢ نوفمبر قذفت الطائرات المعادية محطة الارسال المصرية فى أبى زعبل وسقط سبعة شهداء من العاملين بالمحطة وانقطعت الاذاعة وأعيد تشغيلها بعد مدة قصيرة فى يوم ٣ نوفمبر ٠ وفى فترة الانقطاع قامت

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ٠

(٢) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للا الرافعى ص ٢٩١ ، ٣٦٢ ٠

محطة أخرى مخبأة فى مغارة للطوارىء بعملية البث الاذاعى الى أن أصلحت المحطة الرئيسية ٠

فى صباح ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ قام الانجليز بغارة جوية (١) شديدة على مطار ألماظة وعلى الثكنات العسكرية بها ، واستمرت الغارات على طريق انسحاب القوات المصرية المتجهة الى القاهرة ٠

العمليات فى سيناء

فى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ فى الساعة الثانية بعد الظهر وصل اللواء ٢٠٢ الاسرائيلى أمام حقول البترول المصرية على رأس سدر واحتلها بسهولة وكانت سيناء كلها فى هذا الوقت خالية من القوات المصرية بعد انسحابها ووصلت قوات اسرائيلية من المظلات الى الطور ٠ وفى ٣ نوفمبر وصلت قوات أخرى اسرائيلية مكونة من ٩ سيارات الى مشارف شرم الشيخ ٠

وفى الجبهة الوسطى توقفت المعارك تماما بعد انسحاب القوات المصرية وفى الشمال احتلت القوات الاسرائيلية العريش بعد الانسحاب المصرى واستولت القوات الاسرائيلية على مخازن ضخمة مصرية مكدسة بالمعدات الحربية والبترول وأجهزة الرادار ٠

التمهيد للنزول فى بور سعيد :

فى صباح يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بدأ الهجوم (٢) المركز من العدو وكانت القطع البحرية الفرنسية والبريطانية قد دخلت الغاطس أمام بور سعيد حتى وصل بعضها الى مسافة ٤٠٠ متر من الشاطىء ووجهت مدافعها على شواطىء بور سعيد وبو فؤاد وكانت تسقط ألف دانة مدفعية فى الدقيقة على ساحة بور سعيد والتى كانت تبلغ آنذاك ٤ كيلومتر مربع وبذلك فاقت كثافة النيران المعادية أكبر تركيز لأى معركة من معارك الحرب العالمية الثانية ، فدمرت معظم الأسلحة المصرية الثقيلة المضادة للسفن والطائرات ٠ وأمست بور سعيد خالية من الأسلحة الثقيلة وأحترقت جميع الكبائن الخشبية الموجودة على شاطىء بور سعيد وقامت قوات المقاومة الشعبية المصرية بالتنسيق مع رجال الجيش المدافعين عن بور سعيد وانضمت اليها وبين صفوفها لسد الثغرات الدفاعية وأقامت معها فى

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٧٧ ٠

(٢) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ٠

خنادقها وبين دفاعاتها واشترك فى هذه المقاومة شعب بور سعيد بأكمله شبابه وشيوخه وصبيانه وحتى نساؤه الذين كانوا يعاونون بنقل الذخائر ومياه الشرب لهم .

واستمرت الغارات الجوية ومدفعية الأسطول فى الضرب وأجهزت على بطارية الصواريخ المصرية والتى استشهد عدد كبير من جنودها . ونظمت المقاومة الشعبية طريقة لترحيل كبار السن والأطفال عبر البحيرات الى دمياط والمطرية .

وفى مساء ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٦ كانت وحدات الجيش المصرى المتبقية فى المدينة كلها من المشاة فقط بأسلحتها الصغيرة والعادية وكانت قاصرة على الكتيبة ٢٧٥ فى بور فؤاد والكتيبة ٢٩١ والكتيبة الرابعة وبطارية مدافع صاروخية فى حى المناخ وكتيبة حرس وطنى بين مطـــار الجميل والبـــلاح .

وفى نفس يوم ٤ نوفمبر(١) قامت الطائرات المعادية بغارات متواصلة على تجمعات الدبابات المصرية بجانب الاسماعيلية وعلى الطرق بجانب أهرامات الجيزة ــ وقامت بضرب مجمـــوعة من الطائرات المصرية كانت بمطار الأقصر . ولكن معظم هذه الطائرات أفلتت من الضرب واتجهت للسعودية والسودان .

يوم ٥ نوفمبر صباحا تم اسقاط كتيبة مظلات بريطانية (٦٠٠) مظلي ومعهم القيادة وعلى رأسها جنرال (بتلر) وذلك فى منطقة مطار الجميل وكان بالمنطقة كثير من المواقع عبارة عن براميل مملوءة بالحجارة والرمال واسقطت المدافع المصرية المضادة تسع طائرات أما المقاومة المصرية المشتركة مع رجال الجيش المدافعين فقد انهالت نيرانها على رجال المظلات واحدثت فيهم أفدح الخسائر .

أما فى منطقة بور فؤاد (شرق القناة) فقد قامت الطائرات الفرنسية بضرب وتدمير جميع الأهداف المصرية الموجودة فى مناطق انزال الفرنسيين ــ ثم تم اسقاط كتيبة مظلات فرنسية وأحدث فيها المدافعون المصريون من مقاومة رجال الجيش بعض الخسائر وحيث ان بور فؤاد نفسها كانت شبه خالية من الجيش فقد تمكن بعض جنود المظلات الفرنسيين من احتلال بعض المناطق المتفرقة بها . وتم انزال فوجين من المظليين الفرنسيين فى منطقة رملية جنوبى بور ســـعيد وفتحت عليهم المقاومة نيران المدافع

---

(١) فخ السويس ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٠ .

الرشاشة المصرية والأحياء من المظليين أعادوا تنظيم صفوفهم وبدءوا يزحفون في اتجاه كوبري السكة الحديد وكانت المقاومة المصرية متحصنة أمام الجسر ومعهم قوات من المدفعية والأسلحة الصغيرة السريعة وأمكن للمقاومة المصرية القوية ايقاف هذا الزحف وسرعان ما حضرت الطائرات المعادية ، وأغارت على المقاومة المصرية المدافعة عن الجسر وأحدثت فيها كثيرا من الخسائر بما ألقته الطائرات المعادية من صواريخ وقذائف ·

وفي النهاية تم استيلاء الفرنسيين على الجسر · وتمكن جزء آخر من المظليين الفرنسيين من الوصول الى حديقة وابور المياه واستولوا عليه بعد قتال من شجرة الى شجرة وأقام الكولونيل شاتو مركز قيادته في فيلا مدير وابور المياه ·

في نفس يوم ٥ نوفمبر وبعد الخسائر الكثيرة للعدو (١) في الجنود الهابطين بالمظلات في مناطق الجميل وعلى طول الشاطىء وعلى بور فؤاد وتعقبت المقاومة الشعبية الهاربين من جنود المظلات فقد أسقط العدو موجة جديدة من جنود المظلات بشكل مكثف على المناطق الخالية من الدفاعات وتمكنت من تكوين رأس كوبري في بور فؤاد وعلى الشاطىء في منطقة الجميل ولكن كان لا يزال يفصلهم عن بور سعيد عشرة كيلومترات كان يصعب الاستيلاء عليها لانتشار المقاومة فيها · وتمكنت قوة من الجيش البريطاني بمساعدة الطيران والسلاح الجوي للأسطول من الاستيلاء على مبنى البوليس البحري المصري بعد معركة أرضية عنيفة · والى هذا الحد كان الموقف بالنسبة للمعتدين يحتاج الى اعادة تنظيم الصفوف قبل النزول الأساسي من البحر فقام الجنرال شاتو من تليفون وابور المياه بالاتصال بالسلطات المصرية وكان قد أرسل ضابطا انجليزيا للاستكشاف في القناة ووصل الى الكيلو ٢٥ وعاد وقدم تقريره بعدم وجود قوات مصرية حتى هذا الحد ووصلت المعلومات الى باريس بانهم تجاوزوا الخطة بأمان ·

طلب عقد هدنه :

ووصلت أخبار هذه المحاولة (٢) لعقد هدنة مع المصريين الى القيادة البريطانية للحملة في قبرص ونشرتها خطأ بأنها عملية تسليم رسمي من المصريين علما بأن اللواء الموجي وهو ممثل الجانب المصري عندما أطلع على

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل ص ١٨٨ ·

(٢) كتاب لغز السويس ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ···

شروط الهدنة المساحة فى عبارة تطالب من الجانب المصرى بالتسليم فقد طلب مهلة للاتصال بالقيادة السياسية فى القاهرة • وفى هذه الفترة وبناء على التفسير الخاطىء من القيادة البريطانية فقد نقلت أخبارها الى لندن وباريس أنها أنباء النصر واستخدم ايدن فى الحال هذه الأنباء لاظهار تفوقه خصوصا وانه كان يواجه رأيا عاما بريطانيا متصايا ضـــده من المعارضة ومن مجلس العموم •

وأعلن ايدن أن بور سعيد قد استسلمت ــ وبعد مدة اتصل الموجى بقيادة الاحتلال وابلغها رفض القاهرة لهذه الهدنة •

الانزال والاحتلال (١) :

بعد فجر يوم ١٩٥٦/١١/٦ وعلى أول ضوء كانت شوارع بور سعيد مملوءة بجثث الشهداء من المدنيين والعســكريين وكانت المدينة مشــتعلة بالحرائق نتيجة الضرب الجوى المركز على مخــازن الأخشاب ومستودعات البترول والكبائن الخشبية وحى المناخ وكل ما هو قابل للاشتعال واستأنف العدو منذ الصباح ٦ نوفمبر العمليات الجوية والضرب على المدينة من مدفعية الأسطول وبشكل مركز ومتصل الى ان احدثوا ستارة كثيفة من الدخان على طول الساحل استطاع تحتها العدو من الاقتراب والتقدم بقوارب انزال الجنود المحملة ونجح فى انزال قوة من مشاة الأسطول وعدد من العربات وتمكنت هذه القوات المعادية من احتلال مناطق متفرقة على الساحل •

وفى نفس الوقت تمكنت قوات (٢) الأسطول المعتدى من احتلال ميناء بور سعيد وانزل فيها العدو جميع وحداته ودباباته ومعداته وتقدمت الدبابات بعد احداث ثغرة فى سور الميناء الى المدينة وخلفها الجنود المترجلون• وانتشرت الجنود فى أنحاء المدينة وكانت تقابلهم الجموع الشعبية المسلحة وحدثت خسائر بين الطرفين ولكن خسائر المقاومة الشعبية كانت أفدح ودخلت القوات الشوارع ودارت المعارك العنيفة مع الشعب الرابض فى كمائن فوق أسطح المنازل وفوق أشجار الحدائق وخلف البواكى ومن داخل المنازل وتمكن العدو بدباباته ومدافعه من هدم كثير من المنازل واستمرت المقاومة •

وفى مساء يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ قطعت القوات المعتدية مياه الشرب عن المدينة بعد تحكمها فى محطة وخزان المياه •

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، ص ١٨٩ •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٠ ، ١٩١ •

الانذار الروسى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ :

فى مساء ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ (١) أرسل الاتحاد السوفيتى أربع رســائل :ـ

الرسالة الأولى : موجهه من الجنرال جوكوف الى الرئيس ايزنهاور زميل الحرب القديم وفيها تلميح بارع الصياغة فيه معنى التدخل السوفيتى وفى هذه الرسالة اقترح الجنرال جوكوف على ايزنهاور أن يتحلى بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى باجراءات سريعة وحاسمة لوضع حد للعدوان ومنع الحرب وقال أيضا ان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية دولتان عظيمتان ولديهما جميع أنواع الأسلحة الحديثة بما فيها الأسلحة النووية والهيدروجينية ٠

أما الرسالة الثانية : فكانت موجهة من بولجانين الى جى موليه وجاء بها انه يعتبر ان من واجبه ان يحيطه علما بأن الحكومة السوفيتية مصممة تصميما تاما على استخدام القوة لسحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق الأوسط وأن الوقت لازال سانحا لتحكيم العقل لتجنب الطريق المحفوف بالمخاطر ولمح الى أن فرنسا وبريطانيا ليستا بعيدتين عن مدى الصواريخ النـــووية ٠

أما الرسالة الثالثة : فكانت موجهة من بو لجانين الى انطونى ايدن وكانت مشابهة للرسالة الموجهة لفرنسا وألمح فى رسالته هذه الى امكان استخدام الصواريخ كقوة سوفيتية لسحق المعتدين ٠

رد فعل الانذار الروسى :

فى واشـــنطن (٢) :

عندما تسلم ايزنهاور رسالة بولجانين وكان عليها تعليق السفير يوهلين سفير امريكا فى موسكو وفى نفس الوقت تسلم رد وزارة الخارجية الأمريكية المقترح ليصدر عن البيت الأبيض ظهر الانزعاج على الرئيس ايزنهاور وعبر عن هذا الانزعاج بأنه يخشى أن يقوم الروس بمغامرة مجنونة بتنفيذ انذارهم رغم استحالة اســتخدام السلاح النووى فى أى

---

(١) فخ السويس (هنرى آزو) ص ٤١١ ، ٤١٢ ٠

(٢) عن مذكرة سرية سجلها الكولونيل (أ٠ ج جود باستر) السكرتير العسكرى للرئيس ايزنهاور الحلقة السابعة من كتاب سنوات الغليان أهرام يوم ٢٤/١٠/١٩٨٨ للاستاذ حسنين هيكل ٠

طرف ولكن روسيا كانت فى موقف حرج فى أوروبا الشرقية لتدخلهم المسلح ضد الثورة فى المجر وقد يضطرهم ذلك الى الخطأ فى الحساب والمغامرة اليائسة وفى الحال أمر بدعوة مجلس الأمن القومى لبحث الموقف ٠

ووجدت الادارة الأمريكية (١) نفسها أمام رسالة روسية مزعجة ومعها صوره من برقيات التهديد التى أرسلها بولجانين الى باريس ولندن وتل أبيب وطلب فرنسى انجليزى بطلب حماية اطلنطية وتم اعداد تقدير موقف وكان من المعروف عن المجلس الأمنى العمومى الأمريكى أن القوتين الجويتين الهجوميتين الروسية والأمريكية انهما متعادلتان تقريبا فيما عدا خفة الحركة الأمريكية وتعادل هذه الميزة التقدم الروسى فى ميدان الصواريخ حيث كانت الصواريخ الروسية تعمل رغم انها بدائية أما الأمريكية (٢) فكانت لازالت فى دور التجربة والرعاية ، أما من ناحية القوات البرية فكان الأمر مخيفا حيث كان لدى الروس وقتها ٣٠ فرقة تكون جاهزة فى ساعات بعد انتهائها من مأمورية القضاء على الثورة فى المجر وهذه كافية لتهديد الغرب بأسره فى خلال بضعة أيام ـ ويقابل ذلك قوات لا يعتد بها فى حلف الأطلنطى وقوات انجليزية فرنسية مجمدة ومشغولة فى عمليات الشرق الأوسط وبعض فرق ألمانية فى وسط أوروبا لا يعتمد عليها ولا أمل منها ٠

وبناء على كل ما سبق فقد فضل ايزنهاور عدم الانسياق فى مغامرة الحرب النووية واتخذ قراره وهو التوقف عن تقديم أى نوع من أنواع المساعدات الى دول العدوان فى محنتها فى مواجهة الانذار الروسى الا بعد اعلانها الموافقة على ما جاء بهذا الانذار من ناحية ايقاف القتال والانسحاب من الأراضى المصرية ـ وجاء فى قوله على التليفون « لها رولد ماكميلان » الوزير البريطانى (٣) لينقل الى « ايدن » على لسانه انه مادام « ايدن » وقد تصرف وحده خارج حلف الأطلنطى فليس من حقه أن يلجأ الى حماية مظلة حلف الأطلنطى عندما تتعقد الأمور ٠

أما الرسالة الرابعة : فكانت موجهة من بولجانين الى بن جوريون وعباراتها جافة وجاء بها « ان أعمال العدوان التى تقوم بها حكومة اسرائيل تثبت بوضوح خداعها بالادعاء بأنها دولة ترغب فى السلام وفى التعايش السلمى مع جيرانها العرب وهى لا تهدف الا تخدير الشعوب الأخرى فى الوقت الذى تستعد فيه لمهاجمة جاراتها بالتوجيهات الأجنبية ٠ وان

---

(١) كتاب فخ السويس (هنرى آزو) ، ص ٤١٢ ، ٤٠٩ ٠
(٢) المصدر السابق ٠
(٣) اهرام ١٩٨٨/١٠/٢٤م حلقة ٧ من سنوات الغليان للأستاذ هيكل ٠

الحكومة الاسرائيلية المجرمة تفتقر الى الشعور بالمسئولية وتتلاعب بأقدار العالم وبمستقبل شعبها .. وأن هذا العمل يجلب على اسرائيل كراهية شعوب الشرق .

أما في لنـــدن :

فقد تم عقد مجلس الوزراء في منتصف (١) الليل واستقر الرأى على طلب ضمانات من الولايات المتحدة بموجب ميثاق حلف شمال الاطلنطى وحاول « ايدن » الاتصال تليفونيا بايزنهاور شخصيا ورد عليه مساعده « شرمان آدمز » وعلم منه ان ايزنهاور يرفض الكـــلام معه وان المعتدين تصرفوا من خلف ظهر الولايات المتحدة لذا يجب ان يتحملوا عـــواقب تصرفهم وطلب « ايدن » باريس (٢) تليفونيا ليحيط « موليه » علمـا بالقرارات التى اتخذها مجلس الوزراء البريطانى بالموافقة على قرار وقف النيران والانسحاب من مصر وحاول « موليه » ان يقنع ايدن بالتأخير فى اعلان قرار ايقـــاف النيران والانسحاب لأن القوات الفرنسية البريطانية كانت قد قاربت الانتهاء من احتلال كل القناة تقريبا ، ولكن ايدن لم يقتنع وكل ما فعله انه أخر توقيت اعلان القرار لمهلة لكى يعطى للقوات المتحالفة مزيدا من الوقت ليتقدم الى أبعد ما يمكن على طول القناة ، وقام الجنرال (كيتل) باصدار أوامره بالاستيلاء على أكبر مساحة من الأرض على القنـــاة .

وفطنت مصر الى تباطؤ انجلترا وفرنسا فى اعلانهما قرار الموافقة على ايقاف النيران فقامت قوات المقاومة الشعبية المصرية (٣) بنسف طريقى المعاهدة والقنال المقـابل لمنطقة جسر الحرش وهى أرض مرتفعة تصلح للمواقع الدفاعية بين الكاب والقنطرة غرب القناة وكان هذا النسف كافى لتعطيل تقدم الدبابات والمصفحات والعربات وحتى المشـــاة من بورسعيد الى الاسماعيلية وتم احتلال مرتفعات جسر الحرش بالمتطوعين من شباب الجامعة وكلية البوليس والحربية وفعلا سرعان ما حدث اشتباك بينهم وبين القوات المعتدية التى كانت فى ســبيل تقدمها الى الاسماعيلية وانسحبت هذه القوات المعتدية على أثر هذا الاشتباك شمالا الى قرية الكاب وتوقف تماما تقدمها جنوبا .

---

(١) فخ السويس (لهنرى ازو) ص ٤٠٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢٤ ، وكتاب

(٣) مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل المؤلف (كنت نائبا مرئيس المخابرات) ، ص ١٩١ . حيث كان من المشتركين فى قيادة هذه المقاومة .

وفى باريس :

أثارت رسائل بولجانين بعض القلق ورغم تظاهر القيادة الفرنسية بالهدوء فقد كانت الوزارة الفرنسية فى مقر الحكومة وقت تسليم الانذار فى حالة وجوم وتم اتصال بين (جى موليه) رئيس الوزراء الفرنسى وبين ايدن فى لندن وعلم (جى موليه) من (ايدن) ان ايزنهاور رفض الحديث معه تليفونيا · واقترح (جى موليه) على ايدن ان يتصل موليه بواشنطن لتحديد موعد لهما لمقابلة ايزنهاور وأبرق موليه الى ايزنهاور بطلب موعد له ولايدن وبعد ساعة جاء الرد بان الرئيس الأمريكى يأسف لانه لايستطيع ان يقابل أيهما ·

وفى تل أبيب :

بعد ان تسلم بن جوريون الانذار الروسى (١) مساء ٥ نوفمبر عقد اجتماعا مع كبار مستشاريه وتقرر سفر وفدا اسرائيليا الى فرنسا للتشاور معهم فى صباح اليوم التالى ٦ نوفمبر ـ وعندما وصلت تقارير الوفد بعد ظهر يوم ٧ نوفمبر ومعها اضافة جديدة عبارة عن نسخة من تقرير أرسله السفير الأمريكى من موسكو · والذى قال فيه :ـ

« ان السوفيت يعتزمون تسوية اسرائيل بالأرض » ·

وكان الفرنسيون قد حصلوا على نسخة منه أعطوها للوفد الاسرائيلى · وبعد فترة وجيزة من اطلاع مجلس الوزراء الاسرائيلى على هذه التقارير وصلته انباء عن اسقاط طائرة بريطانية من طراز « كانبيرا » فوق الأراضى السورية وأغلب الظن ان هناك شبكة رادار روسية مشتركة مع قوات سوريا العربية ـ كما وصلت بعد ذلك أخبار أن الأتراك اكتشفوا ان طائرات سوفيتية تخترق مجالهم الجوى على ارتفاع عالى · وان الروس طلبوا من الحكومة التركية الاذن بدخول خمس قطع بحرية سوفيتية عبر مضيق الدردنيل للبحر الأبيض ·

وقرر مجلس الوزراء أثر ذلك وقف اطلاق النار وقبول مبدأ الانسحاب من سيناء ·

---

(١) عدد اهرام ١٩٨٦/١١/٢٥ م من حلقات ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل ·

انذار أمريكى :

عندما حدث تباطؤ من انجلترا وفرنسا واسرائيل (١) فى اعلانهم الموافقة على ايقاف العدوان والانسحاب ، أرسلت أمريكا مذكرات لهم صادرة من الرئيس « ايزنهاور » وبشكل انذار نهائى حقيقى حدد فيها مهلة من الزمن لقوات العدوان لوقف اطلاق النار فى مصر فى خلال ١٢ ساعة وكانت من المفروض أن تنتهى هذه المهلة فى الخامسة من مساء يوم ٦ نوفمبر ٠

لكل (٢) ذلك قرر عبد الناصر الآتى : -

١ - استغلال الرأى العام العالمى فى جميع القارات وفى معظم بلدان العالم الذى وقف ضد العدوان بمجرد ان ظهرت معالم التآمر ومتابعة اتخاذ المواقف الجريئة والعادله التى تساعد على تغذية هذا الموقف العالمى ٠

٢ - حرمان الاعداء من تحقيق أى نتيجة من أهداف تآمرهم وهو اعادة السيطرة على قناة السويس وذلك بتنفيذ خطة سدها بالسفن الغارقة حتى ما اذا تم فرضا تمكنهم من احتلال مدن القناة فان القناة نفسها تصبح غير صالحة للملاحة ولأطول مدة ويمكن لمصر حتى فى حالة تطهيرها وبفضل المقاومة الشعبية أن تستمر فى حالة تعطيل الملاحة وبذلك تثبت للعالم عدم جدوى احتلال الدول القوية للقناة مادام أهل مصر غير راضين عن ذلك ورافضين لهذه السيطرة الأجنبية ٠

٣ - تعطيل الملاحة عبر قناة السويس باغراق كثير من السفن المحملة بالأسمنت يحرم دولتى العدوان من البترول اللازم لصناعتهم ولحياتهم المعيشية وبنفس القدر من المعاناة فانه يجعل باقى دول العالم المنتفعة بالقناة وبترول الدول العربية تستمر فى موقفها ضد العدوان وتحملهم مسئولية التسبب فى تعطيل الملاحة ٠

٤ - استخدام سلاح ايقاف توصيل البترول من منابعه فى الخليج والسعودية الى الدول الغربية وبخاصة الى انجلترا وفرنسا وذلك بنسف خطوط نقل هذا البترول الى موانى البحر المتوسط وذلك بفضل تأييد شعوب الدول العربية فى هذه المناطق لموقف مصر وسخطهم على دول العدوان وبذلك يعتبر السلاح المساعد لفكرة سد القناة للضغط على جميع الأطراف على الكتلة الغربية وحتى على أمريكا لازالة آثار العدوان وما يتبعه من مكاسب كلها فى صالح مصر ٠

---

(١) فخ السويس ص ٢٤١ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

٥ ــ وبنفس القدر من التأثير هو التلويح من وقت لآخر بامكان مصر ومن يؤيدوها من شعوب الدول العربية التى تمر فى أرض بلادها خط بترول التابلاين Tapline وامكان نسفه هو الآخر وبذلك يقف تماما نقل كل بترول العالم العربى الى غرب أوروبا وبخاصة انجلترا وفرنسا وبذلك تتعطل الصناعة ويتدهور اقتصادهما وتقف الحياة خصوصا وأن العدوان وما ترتب عليه من نتائج حدث فى أول الشتاء وبترول الشرق الأوسط تعتمد عليه شعوب الدول الغربية فى التدفئة الضرورية وفى الصناعة ٠

٦ ــ الاعتماد على النفس فى توزيع السلاح على أوسع نطاق على الشعب المصرى وبمجرد اعلان ذلك رفع الشعب المصرى عن بكرة أبيه شعار المقاومة الى مدى آخر (نداء حا نحارب حتى أصبحت أغنية شعبية) ٠

العـدوان السـافر :

وفى صـباح يوم أول نوفمبر سـنة ١٩٥٦ قام السلاح الجوى البريطانى (١) بقصف مطارى ألماظة ومصر الجديدة واستمر فى قصف الأهداف العسـكرية والاغارة على القـاهرة ثم قامت طائرات كامبرا وفاليانت (٢) البريطانية فافرغت حمولتها من القنابل فوق جميع المطارات العسكرية المصرية وبعد قليل قام السلاح الجوى الملكى البريطانى بغارة سلمية على مدينة القاهرة والقت الطائرات ملايين المنشـورات وهددت المنشورات المصريين بعبارات صريحة بضرب السكان المدنيين بالقنـابل عقابا لمنحهم ثقتهم لجمال عبد الناصر ٠ وبعكس ما انتظره المعتدون فقد كان رد الفعل المصرى ان كانت الروح المعنوية مرتفعة واستمروا ينادون بأعلى صوتهم « حانحارب ــ حانحارب » وقام أحد البريطانيين الشبان من الطيارين بتخريب طائرته من طراز كانبرا حتى لا تعود لضرب سكان مصر المدنيين وقامت المعارضة فى مجلس العموم بمهاجمة ايدن وحكومته وصاح هيوجتسكل زعيم حزب العمال « ان تركة المرارة والحقد التى سيخلفها العدوان وراءه ستكون أضخم مما كانت فى يوم من الأيام ٠ ورفع النائب (ود جون بن) بيده المنشور الذى القته الطائرات البريطانية على القاهرة وقرأ على الأعضاء النص الساذج لهذا المنشور وساد الذهول قاعة المجلس وسأل الأعضاء سلوين لويد وزير الخارجية آنذاك عن مدى مسئوليته عن هذه الأحداث وأجاب بأنه لم يحط علما بذلك وأنه سيأمر بالتحقيق ٠

---

(١) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ٢٧٧ ٠

(٢) كتاب فخ السويس ، ص ٣٥١ و ٣٥٩ ٠

وأعلن جيتسكل ان الطائرات البريطانية وغاراتها على القاهرة تعتبر تحديا لسلطة الأمم المتحدة كما قرر الزعيم العمالى « انورين بينان » بفكرة القاء القنابل على شعب اعزل • وعلى أثر ذلك احتسد ٢٠ ألف متظاهر بميدان الطرف الأغر فى لندن مطالبين بطرد ايدن ويستنكرون العدوان على مصر • وفى ٣ نوفمبر استقال وزير الدولة البريطانى « انتونى ناتنج » احتجاجا على سياسة ايدن العدوانية •

احتياطات مصر :

بمجرد سقوط القنابل البريطانية على مطارات مصر وتخريبها أعلن عبد الناصر الأحكام العرفية وعين نفسه بقرار من مجلس الوزراء حاكما عسكريا على مصر وقامت مصر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا واستولت مصر على الممتلكات البريطانية والفرنسية فى مصر وفرضت الرقابة على الصحف والمواصلات السلكية واللاسلكية وصدرت الأوامر المشددة لرجال الأمن باتخاذ كافة الاجراءات لحماية الأجانب •

عودة الى مرحلة العمل الايجابى الثورى

ثورة الشـــعب المصرى :

هذا العدوان السافر على الأراضى المصرية فى سيناء • وعلى جميع المطارات المصرية وعلى بعض المعسكرات المتاخمة للمناطق الشعبية ودون أى مبرر بغرض التهام شبه جزيرة سيناء مع التبرير المستفز الساذج الذى صدر بالانذار الفرنسى البريطانى بحجة مهزلة الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية على طول القناة كل ذلك كان يمثل عدوانا ظالما على أمة كل ذنبها أنها قامت تسترد حقوقها بأسلوب شرعى وحضارى ، ففى مقابل استرداد قناة السويس المصرية ارتضت مصر وأعلنت أنها ستدفع لحملة الأسهم ثمن هذه القناة وهى فى الأصل قناتهم وتعويضهم مع أنها سبق ودفعت ثمنها مضاعفا من دماء وعرق أبنائها • وهذا العدوان بهذه الظروف والأسلوب تسبب فى معاناة واستغلال من الأقلية المعتدية على أغلبية تمثل الشعب المصرى • واستفز ذلك الشعب المصرى وحرك الثورة الكامنة فى وجدانه منذ التهام دولتى انجلترا وفرنسا لهذه القناة وأسهمها بأبخس الأثمان منذ عصر الخديوى اسماعيل الذى بدد هذه الثروة • وكان كل ذلك بمثابة تعسف من دول العدوان التى تعمدت قهره واعادته الى عهد الاحتلال الأجنبى فأخذت جموع الشعب تطالب بالسلاح للمقاومة ضد المعتدين وهذا فى حد ذاته يعتبر استمرارا واستكمالا لثورة ٢٣ يوليو منذ سنة ١٩٥٢ وذلك بعمل ايجابى لكل أفراد الشعب المصرى لان المقاومة المسلحة الشعبية أصبحت القوة الحقيقية للثورة وبهذا أكد مجموع الشعب

المصرى الذى هب لتحرير بلاده ان **ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هى ثورة كل الشعب** فقد كانت حركة الضباط الأحرار عندما قامت بالاستيلاء على السلطة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأيدها الشعب المصرى فى عملية التغيير الثورية بمثابة ثورة ساهم فيها الشعب بمجرد التأييد عندما تطابقت معاناته مع معاناة القيادة القليلة العـدد من الضباط الأحرار أما ثورة الشعب المصرى عن بكرة أبيه فى المطالبـة بحمل السلاح والمقاومة لتحرير بلاده فهذا هو العمل الايجابى الشعبى لمقاومة ظلم ومذلة الاعتداء • وبذلك تكون هذه المقاومة هى قمة الثورة الشاملة •

وبذلك يحق لهذه الحركة أو الانقلاب كما يتعمد خصومها ان يطلقوا عليها منذ هذه المقـاومة الشعبية وبخاصـة فى تحقيق التحرر والتغيير الكاملين أن يطلق عليها **ثورة وثورة لشعب مصر بأكمله** •

اعلان وقف اطلاق النار ٧ نوفمبر ١٩٥٦ (١) :

وأخيرا اسـتجابت بريطانيا وفرنسـا واسرائيل الى قرار الأمم المتحدة (٢) وخشية من الانذار السوفيتى وأعلن ايدن فى مجلس العموم وقف القتال واصدرت فرنسا واسرائيل قرارا بوقف القتال فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل من صباح يوم ٧ نوفمبر على ان يوقف اطلاق النار من جانب الدول المعتدية فى الساعة العاشرة من صباح ٧ نوفمبر ١٩٥٦ والى هذا الحد كان الفرنسيون يحتلون بور فؤاد (٣) وقطعة أرض صغيرة على الضفة الغربية للقناة من ناحية الكاب أما البريطانيون فقد كانوا يحتلون ما تبقى أى بور سعيد والجميل والمواقع الأمامية الواقعة جنوبى الكاب وشمال جسر الحرش كما كان الفرنسيون مع قوة بريطانية صغيرة يحتلون منطقة وابور المياه •

وفى نفس الوقت قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة ان تجىء الى مصر قوة طوارىء دولية تابعة للأمم المتحدة لتتولى الاشراف على وقف اطلاق النار ومتابعة عملية انسحاب القوات المعتدية والمرابطة على خطوط الهدنة لمنع استئناف الاشتباكات بين مصر واسرائيل •

التهـديد بالبتـرول (٤) :

كانت الولايات المتحدة فى هذا الوقت بعد اعلان ايقاف القتال مباشرة مشغولة بمسألة تزويد اوروبا بالبترول ولكن فى الوقت التى أعطت فيه

---

(١) فخ السويس ص ٤٢١ •
(٢) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ، ص ٣١١ •
(٣) فخ السويس لهنرى أوزو ص ٤٣٦ •
(٤) نفس المصدر ص ٤٤٦ و ٤٤٣ •

ضمانات للدول الأوربية مثل ألمانيا وايطاليا بامدادها بما يلزمها منه منعته عن فرنسا وبريطانيا التي قامت بابلاغها سرا انها لن ترسل اليها الكميات الاضافية من البترول حتى يجلوا عن قناه السويس وسمى هذا رئيس وزراء فرنسا بسياسة التهديد بالبترول .

تهديدات سوفيتية وصينية :

في ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ أعلن الاتحاد السوفيتى انه « اذا لم تنسحب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من الأراضى المصرية بناء على قرارات هيئة الأمم المتحدة واستمرت فى المماطلة بقصد الامتناع عن تنفيذ القرارات فان السلطات السوفيتية لن تعارض فى سفر المتطوعين السوفيت الى مصر » . وفى اليوم التالى ١١ نوفمبر أعلنت الصين انها لا تمانع فى سفر المتطوعين الصينيين الى مصر . ثم نشرت صحف موسكو أن المتطوعين يتألفون من قوات الدبابات والطيارين وكان هذا فى المقام الأول بمثابة اعطاء المصريين فرصة للمساومة فى مباحثاتهم فى الأمم المتحدة وفى ١٥ نوفمبر بعث المارشال بولجانين برسالة الى جى موليه أوضح فيها ان الحكومة السوفيتية تصر على ضرورة انسحاب القوات الفرنســية والانجليزية والاسرائيلية من الأراضى المصرية من غير أى تأخير .

طلب التعويضات لمصر :

وفى نفس الوقت أعلن بولجانين (١) ان مصر قد تعرضت لخسائر جسيمة من جراء العمليات العسكرية ويجب منحها تعويضات مناسبة ويجب ألا تبقى القوات الدولية فى مصر لتعارض ذلك مع اتفاقية القسنطينية وكل ذلك كان أيضا بمثابة تقوية لمركز مصر فى مواقفها فى الأمم المتحدة .

ثم تلقى بن جوريون من بولجانين يوم ١٨ نوفمبر طلبا بضرورة تعويض مصر ويرد عليه بن جوريون بسرعة وبوقاحة ان فى رأيه ان اسرائيل هى التى يجب ان تتلقى تعويضا من المصريين وليس العكس .

موافقة مصر (قوات الطوارىء) :

فى الوقت الذى وافقت فيه مصر على دور قوات الطوارىء الدولية وافقت أيضا على قيام الأمم المتحدة بعملية تطهير قناة السويس من العوائق بمساعدات الأمم المتحدة لتعود الملاحة مرة أخرى وظهر وقتها لمصر ان الدول

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٤٧ و ٤٤٨ .

المعتدية تتعجل عملية التطهير وتتعمد ان نتم قبل عام الانسحاب حتى تعود لموقف المساومة والضغط . وبسرعة غير عادية قام همرشلد باقتراح تكليف جنرال هويلر نائب قائد سلاح المهندسين فى الجيش الأمريكى ليكون مساعدا فنيا للأمين العام لعملية التطهير (١) وكانت الولايات المتحدة وراء هذا الاقتراح واشترطت مصر فى موافقتها على جنرال هويلر ان توافى مصر بكشف باسماء جميع المعاونين للجنرال هويلر . وبعد معاندة من هويلر وافق على تقدير هذا الكشف واعترضت مصر على أحد معاونيه المهندس الأمريكى جاك كوتورر لسابق عمله فى اسرائيل كما اعترضت مصر على محاولة هويلر استخدام معدات وبعض قطع من الأسطول البريطانى التى صاحبت قوات العدوان وذلك فى عملية التطهير بما يصاحبها من أفراد بريطانيين رغم رفع علم الأمم المتحدة على هذه القطع البحرية وحتى لا يحدث لبس أو تداخل بين قوات الغزو ومعداتها وبين عمل أجهزة الأمم المتحدة وهددت مصر بان النيران سوف نطلق على أية معدات بريطانية أو فرنسية تحاول الاقتراب من مواقع التطهير .

كما تمسكت مصر بان يقوم جهاز الأمم المتحدة لتطهير قناة السويس بالتنسيق مع الهيئة المصرية لقناة السويس . كما قام رئيس الهيئة المهندس محمود يونس بتبليغ جنرال هويلر بضرورة ان يتوافق الجدول الزمنى لتطهير القناة مع الجدول الزمنى لانسحاب القوات البريطانية والفرنسية من الأراضى المصرية وذلك لأن مصر تؤكد على ضرورة الربط بين عمليتى التطهير والانسحاب لان العدوان هو الذى تسبب فى تعطيل القناة ولا يمكن ان تعود القناة للملاحة والعدوان لا يزال قائما .

قــوات الطــوارىء :

وفى ١٢ نوفمبر أعلن فى القاهرة (٢) بيان رسمى بشأن توقيع اتفاق بين مصر والأمم المتحدة يتعلق بدخول قوات الأمم المتحدة الأراضى المصرية وان هذه القوات لن يكون لها أى مهمة فى الأراضى المصرية بعد انسحاب الوحدات المعتدية من مصر . وفى ٢٥ نوفمبر استقبل الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء فى بور سعيد واجتمع مع الفرنسيين والبريطانيين للاتفاق على برنامجه لتنفيذ الانسحاب .

---

(١) عدد جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٦ ص ٦ من حلقات كتاب ملفات السويس .

(٢) ثورة يوليو ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ص .

وكانت مصر قد وضعت شروطا (١) لعمل قوات الطوارىء فى مصر وهى ان تقوم هذه القوات بالاشراف على جلاء القوات البريطانية والفرنسية من بور سعيد بتسليم مواقع هذه القوات ثم تسليمها فورا للقوات المصرية وفى ظرف ٢٤ ساعة · وبعد ان يتم تسليم المواقع فى القناة للمصريين تتوجه قوات الطوارىء لسيناء وتقوم بعملها هناك طبقا لجدول زمنى لاتمام انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء بنفس أسلوب انسحاب الانجليز والفرنسيين من بور سعيد ·

كما تمسكت مصر بعدم اشتراك أى عناصر من جيوش حلف الأطلنطى أو حلف بغداد فى قوات الطوارىء التى تتواجد بالأراضى المصرية واصرت مصر على ان تكون الهند ويوغوسلافيا وسيلان ضمن الدول المقترحة · وعندما تعمد الجنرال بيرنز الكندى الجنسية على اشتراط القوات الكندية وافقت مصر الا تحضر قوات كندية للاشتراك فى القوات للطوارىء الا بعد اتمام انسحاب الجنود البريطانيين من بور سعيد حتى لا يحدث لبس للمقاومة المصرية بين زيهم وزى البريطانيين حيث ان الزى للقوات واحد تقريبـــا ·

وفى ٢٥ نوفمبر كان الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء الدولية فى بور سعيد وعقد اجتماعا مع العسكريين الفرنسيين والانجليز للاتفاق على برنامج الانسحاب وبدأت المرحلة الأولى ٢ ديسمبر ١٩٥٦ ·

مقاومة الانسحاب من مصر :

وعقب اعلان الدول المعتدية الثلاث قرارانها بايقاف القتال كانت مصر تدرك تماما مدى مقاومة هذه الدول المعتدية لتنفيذ الجزء المتبقى من قرار الأمم المتحدة والانذار الروسى بضرورة انسحاب قواتهم من مصر ولذلك استمر عبد الناصر محتفظا فى يده بأقوى سلاح يهدد به هؤلاء المعتدين وهو الدور الأمريكى الايجابى للضغط عليهم من أجل تنفيذ هذا الانسحاب وهذا الدور الأمريكى كان عبد الناصر يضمنه (٢) الى حد كبير بامكان التلويح وباسلوب هادىء برىء من شبهه التهديد لأمريكا وهو امكان تدمير خط أنابيب نقل بترول الشرق الأوسط المتبقى والمار عبر الأراضى العربية من منابعة الى موانىء البحر المتوسط والذى اذا انقطع عن غرب أوروبا تسبب فى كارثة تصيب الصناعة الغربية ووسائل المعيشة فى هذه البلاد وعلى رأسها انجلترا وفرنسا ·

---

(١) الحلقة ٣١ من كتاب ملفات السويس فى أهرام ١١/٢٦ ·
(٢) الحلقة ٣١ من كتاب ملفات السويس فى أهرام ١١/٢٦ ·

ففى انجلترا :

تأثر الميزان التجارى بها نتيجة اغلاق قناة السويس (١) وتدمير أنابيب البترول العراقية التى تمر بالأراضى السورية وقد أصيبت بهبوط فى احتياطى الذهب والدولار فى منطقة الاسترلينى منذ نوفمبر ١٩٥٦ ما جعل الرصيد الباقى ينخفض عن الحد الأدنى الذى يكفل سلام مركز الاسترلينى بالاضافة الى ان شركات البترول الأمريكية والتى تعتبر أسعار بترولها أغلى بمراحل من أسعار بترول الشرق الأوسط جعل انجلترا لا تحصل على هذا البترول الا على شـــكل تبرعات والادارة الأمريكية بضغوط من شركات البترول ترفض فكرة التبرع حتى لا يضيع بترولها هبـــاء ٠

لذلك نجد ان ايدن رئيس وزراء انجلترا (٢) وهو محصور فى هذا الركن مهدد بالكارثة يحـــاول الاستنجاد بالولايات المتحدة وقبـــل أن ينفذ الانسحاب من مصر فيقوم بالاتصال تليفونيا مباشرة بالرئيس ايزنهاور طالبا فيه ان يعطيه ولفرنسا فرصة لتأجيل الانسحاب لحين مقابلته فى أمريكا لمحاولة حل الموقف وانقاذه من الكارثة ٠ وكان ايزنهاور ميالا لموافقة ايدن على هذه المقابلة ومعه مساعده شيرمان آدمز الذى حضر هذه المكالمة والذى نصحه ألا يعطى وعدا لايدن قبل استشارة وزارة الخارجية وكان يتولاها هوفر الصغير بدلا من دالاس المريض ٠ وجاء الرد من هوفر الى شيرمان آدمز لتبليغ ايزنهاور بان وزارة الخارجية الأمريكية تعتبر ان فكرة دعوة ايدن لمقابلة ايزنهاور فكرة غير ناضجة (هكذا) ومن الضرورى عدم تشجيعها الا بعد ان تسحب الحكومة البريطانية قواتها من مصر واضطر الرئيس ايزنهاور أن يتمشى مع السياسة العليا للادارة الأمريكية وعلى غير هواه حيث كان يتمنى ان يلبى بعض طلبات الانجليز نظرا لسابق اقامته وعشرته للانجليز أثناء قيادته لقوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية من الجزيرة البريطانية وتوطدت علاقته مع ايدن بصفة خاصة ٠

اما فى فرنســـا :

فقد كانت الحالة الاقتصادية وقد ساءت(٣) الى أقصى حد لانقطاع البترول والسلع الأخرى عبر قناة السويس ولتكاليف الحملة على مصر وظهر فى الأفق شبح الأزمة التى تهدد المصانع الفرنسية والحياة المعيشية وخاصة أثناء فصل الشتاء ٠

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ص ٣١٢ ، ٣١٣ ٠

(٢) كتاب First Handboole تأليف شيرمان آدامز مساعد ايزنهاور فصل من السويس الى مشروع ايزنهاور ٠

(٤) فخ السويس لهنرى آزو ٠

لذلك فقد كان من المؤكد لدى الولايات المتحدة ان انجلترا وفرنسا سينفذان قرار انسحاب قواتهما من مصر تحت هذا الضغط المباشر من الولايات المتحدة والذى مفتاحه فى يد مصر وهو التهديد بتدمير خط أنابيب التابلاين ٠ وأخيرا وافقت انجلترا على مبدأ الانسحاب ٠

اما في اسرائيل :

حيث ان بترول الشرق الأوسط وقفل قناة السويس لا يصيبها بأزمة فقد كانت تحصل على البترول من الكتلة الشرقية بالاضافة الى البترول من سيناء الذى حصلت عليه بالعدوان لذلك فقد اعتمدت على أجهزتها الدبلوماسية وعلاقاتها المميزة مع الولايات المتحدة وعلى صديقها أو مندوبها الأمريكى الكبير ليندون جونسون زعيم الأغلبية الديمقراطية فى الكونجرس ومن أكبر الساسة الأمريكيين المؤيدين لاسرائيل وكان حلقة الاتصال لاسرائيل لدى الرئيس ايزنهاور وبهذا الحشد الاسرائيلى السياسى قاموا باقناع ايزنهاور ان اسرائيل لا تستطيع أن تنسحب من سيناء (١) ولا من غزة لأن الوضع بالنسبة لاسرائيل يختلف مما هو عليه بالنسبة لبريطانيا وفرنسا ٠

فقد تعمدت اسرائيل المماطلة فى الانسحاب وطالبت الادارة الأمريكية بشرطين تبلغهما لمصر لقيامها بالانسحاب منها :

أولا : ان تقوم قوات الطوارىء الدولية باحتلال قطاع غزة على شكل شريط بطول ٢٥ ميلا والذى احتله المصريون منذ هدنة ١٩٤٩ لأنه كان مسرحا لكثير من الاعتداءات المصرية على الحدود مع اسرائيل ٠

ثانيا : تتعهد مصر بضمان حرية مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخلال مجموعة جزر تيران التى تصل الى خليج العقبة وحيث يوجد ميناء ايلات وهو الميناء الجنوبى لاسرائيل مع البحر الأحمر والمحيط الهندى (المرور فى خليج العقبة) ٠ وكان بن جوريون فى هذا الوقت وبحاسته الانتهازية متأكدا من انتهاء دور انجلترا وفرنسا فى السياسة الدولية وبروز دور أمريكا والاتحاد السوفيتى ولما كانت اسرائيل فى حالة يأس من الاتجاه نحو الاتحاد السوفيتى المنحاز للعرب لمصلحته فقد تركز نظر بن جوريون فى اتجاه الولايات المتحدة فأخذ يحول علاقات اسرائيل بها من صديق الى حليف ٠

---

(١) كتاب First Handbook تأليف شيرمان آدمز مساعد ايزنهاور ص ٥١ ٠

مصر ترفض شروط اسرائيل :

ورفض عبد الناصر الاستجابة لشروط اسرائيل وتأكدت الولايات المتحدة من ان عبد الناصر لا يتزحزح عن رفضه هذا ٠

مؤازرة الولايات المتحدة لاسرائيل :

وقد أثر موقف عبد الناصر بما لديه من امكانية الفضاء كليا على ما تبقى من وسائل نقل بترول الشرق الأوسط الى غرب أوروبا (خط التابلاين) وبعد رفضه لشروط اسرائيل لأجل انســحابها من سيناء واضطرت الادارة الأمريكية الى عقد عدة اجتماعات سرية كان شيرمان آدمز (١) بصفته مساعدا لايزنهاور يحضرها وكانت هذه الاجتماعات بغرض التأثير الأمريكي على اسرائيل لاتمام انسحابها من سيناء مع التلويح بما يمكن لأمريكا من ممارسته على اسرائيل من ضغوط وليس عقوبات كما تنص قرارات هيئة الأمم وحتى يمكن لأمريكا ان تبدأ في تنفيذ خططها البترولية (مشروع فلمينج) لانقاذ غرب أوروبا وانجلترا وفرنسا بصفة خاصة لمدهما بالبترول اللازم لهما حتى يتم تطهير القناة ٠

وحسب كلام الكاتب شيرمان آدمز « فان من حسن الحظ ان يساهم في هذه المؤتمرات والاجتماعات هوفر الصغير (٢) حيث كان يعمل وقتها بديلا لفوستر دالاس وزير الخارجية لمرضه بالمستشفى ولم يكن وقتها بالحكومة الأمريكية من هو أكثر دراية من هوفر بما تواجهه أمريكا بالنسبة لأزمة السويس وبارك هوفر الصغير خطة فلمنج ثم فاجأ الخبراء الحاضرين في المؤتمر برأيه الصريح بأن ناصر يستطيع ايقاف تدفق البترول ولا يمكن لأي انسان أن يغفل عما يستطيع ناصر أن يفعله في خط الأنابيب الوحيد الباقي للعمل فقط (خط التابلاين) وبذلك يستطيع ناصر ان يبقى الموقف مضطربا الى غاية ما يستطيع (وكان هذا الكلام من هوفر بمثابة تلميح بانه يجب على الادارة الأمريكية الضغط على اسرائيل حتى مســتوى العقوبات) وفي هذا المؤتمر اعترف أحد الحاضرين وهو همفرى انه على الرغم من أن انجلترا وفرنسا غير راضيتين عن تصرفات عبد الناصر ولكنه

---

(١) كتاب First Handbook فصل من السويس الى مشروع ايزنهاور تأليف مساعد ايزنهاور شيرمان آدمز والذى صدر فقط فى ١٩٦٢ بعد العدوان بستة سنوات وافصح فيه المؤلف عما دار فى هذه الاجتماعات السرية ، ص ٣٥ ٠

(٢) كان هوفر الصغير منذ فجر حياته يعمل كوالده مهندسا للتعدين وفى السنوات الاخيرة كان اخصائيا فى شئون البترول ثم انضم لوزارة الخارجية ١٩٥٣ كمستشار فى شئون البترول فى الشرق الأوسط حيث كان يقدره ويحترمه الزعماء العرب ٠

سلم بان موقف ناصر في اجماله فيه شيء كثير من الشرعية والحق (١) ٠ وطلب شيرمان آدمز في هذا الاجتماع من هوفر الاجابة على سـؤال « عمـا اذا كان من الممكن تنفيذ خطة البترول الأمريكية (مشروع آرثر فلمنج) قبل انسحاب اسرائيل وأجاب (رادفورد) أحد الخبراء « بأننا نواجه احتمال تخريب خط أنابيب تابلاين Taplin واحتمال اضطرابات من مؤيدى ناصر حول منشآت البترول الأمريكية المركزية في السعودية » وانه لا يمكن الاعتماد على البترول الايراني لعدم كفايته » ٠ وتباحث المجتمعون في حالة ما اذا قام السوريون بنسف خط التابلاين فهل يمكن تسمية هـذه العملية انها اعتداء ورد بدفورد « انه من الصعب تحديد مسئولية مثل هذه العملية واذ اما كانت اعتداء من عدمه كما يصعب تحديد ان هـذا الاعتداء شيوعى أو ان السوريين فعلا هم الذين قاموا بالنسف » ٠ وعرضت خطة فلمنج الخاصة بالبترول على المجتمعين ومن ثم تمت الموافقة عليها وعرضت في اليوم التالى على مجلس الدفاع القومى كان هذا المؤتمر ينعقد (٢) فى نفس الوقت الذى كان فيه معظم زعماء الكونجرس وبخاصة رجال المعارضة يعارضون بشدة فكرة فرض عقوبات على اسرائيل كذلك قام (تولاند) مندوب الولايات المتحدة فى الجمعية العمومية للمنطقة الدولية بالتهديد باستقالته من منصبه اذا ما تم فرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل ٠ ولكن الضرورة كانت تحتم على أمريكا الضغط على اسرائيل للانسحاب من سيناء تمشيا مع الحفاظ على العلاقات الطيبة مع معظم دول افريقيا وآسيا والدول العربية والاسلامية وكانت معظمها تستنكر الغزو ونتائجه من الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة واغتصابها ٠

تصاعد المقاومة :

وفى هذه الفترة بين اعلان الدول المعتدية (٣) ايقاف القتال بين اعلان الانسحاب نشطت المقاومة الشعبية فى بور سعيد ضد الفرنسيين والانجليز وانضم اليها عناصر متطوعة من اكفأ شباب ورجال الصاعقة المصرية العسـكرية متخفين فى ملابس مدنية وزاد نشاط هذه المقاومة الشعبية خاصة عندما كان الفرنسيون والبريطانيون يتباطئون ويسوفون فى اتمام الانسحاب وقام كل الشعب فى بور سعيد بأعمال المقاومة وسمى جيش الشعب من خطف جنود واغتيالات للضباط ونسف وتدمير مخازن وأسلحة ومعدات وسيارات ودبابات للعدو خاصة فى أوقات منع التجوال

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٢ ٠

(٢) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ص ١٩٤ الى ص ٢٠٣ ٠ ووفنها كان مع قوات المقاومة فى بورسعيد ٠

(٣) فخ السويس لهنرى آزو ص ٤٧٦ ٠

وبعض هذه الأعمال الفدائية كانت تتم فى وضح النهار وكان الشعب فى بور سعيد عن بكرة أبيه يرفض أداء أى أعمال لقوات الاحتلال وعوقبت العناصر التى تعاونت مع العدو بشدة من المقاومة الشعبية فكانوا عظة لغيرهم وظهر شعب بور سعيد يؤمن تلقائيا بأعظم دروس المقاومة فقد كانت حيث يتقهقر العدو تتقدم المقاومة للضغط عليه وقد صادرت السلطات البريطانية يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٦ كميات هائلة من الأسلحة وصلت الى بور سعيد للمقاومة عن طريق بحيرة المنزلة وقامت المظاهرات الشعبية يوم ٩ ديسمبر وحدث منها هجوم على الجنود البريطانيين فى الشوارع وفى اليوم التالى ١٠ ديسمبر اعتدت عناصر المقاومة على داورية بريطانية وفى ١١ ديسمبر اختطفت الملازم مور هلوس وفى ١٥ ديسمبر نظمت قوات الاحتلال البريطانية حملة تفتيشية فى احياء كثيرة لمحاولة الحصول على الضابط المختطف واستمر التفتيش فى اليوم التالى لنحو مائة هجوم مزعج من جانب المقاومة المصرية وفى ١٦ ديسمبر هاجم الفدائيون المصريون مجموعة من الجنود البريطانيين كانوا يستقلون عربة مصفحة وسقط قائدهم الانجليزى قتيلا ورد البريطانيون عشوائيا بضرب النار على المنازل وسكانها واحدثوا خسائر جسيمة واعتقلوا حوالى ٢٥٠ مواطنا وحتى آخر لحظة عندما أخلى البريطانيون معظم شوارع بور سعيد واكتفوا بالوجود فى شريط ضيق من شارعين فقط ملاصقين للميناء حدثت فى هذا الشريط عمليات فدائية ليلية جعلت القوات المعتدية لا تشعر بالراحة ابدا بين شعب مصر حتى قامت بالجلاء الكامل يوم ٢١٪١٢٪١٩٥٦ وقدم الجنرال ستوكويل الى الجنرال بيرنز معلومات (١) مفصلة بأن ضباطا من الجيش المصرى يقومون بادارة أعمال المقاومة وان عددا من ضباط الصاعقة تسللوا فعلا الى المدينة وقدم كشفا بأسماء عشرين منهم راح ضحية عملياتهم ضباط وجنود بريطانيون ولما أبدى همرشولد فى مقابلة له مع عبد الناصر تخوفه من ان تؤدى العمليات الى تعطيل الانسحاب رد عليه الرئيس عبد الناصر ان الجيش المصرى ملتزم بوقف اطلاق النار ولكن الشعب الذى يعيش تحت وطأة الاحتلال يستحيل عليه ان يلتزم بذلك ٠

الانسحاب من بور سعيد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٦ :

فى يوم ٢١ دنسمبر ١٩٥٦ تم تبادل الأسرى(٢) بعد أن رفضت مصر تسليم المدنيين البريطانيين ما لم يفرج فى نفس الوقت عن جميع الاسرى

---

(١) عدد جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٦ من ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل ٠

(٢) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ٣١٦ و ٢١٧ و ٣١٨ ٠

المصريين لدى البريطانيين كما أعاد جميع الرهائن المصريين لدى فرنسا والتى كانت قد أرسلتهم الى قبرص واعادوا من باريس الضباط المصريين الاسرى وفى الساعة الحادية عشرة صباحا رفع علم الأمم المتحدة على مدينة بور فؤاد وتم الجلاء عنها نهائيا فى الساعة الثانية بعد الظهر بعد اقامة الاحتفالات العسكرية وفى بور سعيد اهتم البريطانيون بتمثال ديلسيبس القائم عند مدخل القناة فى القطاع البريطانى وقاموا بلف العلم البريطانى على احدى ذراعى ديلسيبس ولفوا العلم الفرنسى على ذراعه الآخر مما أثار الشعب المصرى واستفز المقاومة الشعبية وقامت بنسف واسقاط التمثال ورحل المعتدون من بور سعيد فى سفنهم وبوارجهم . ومن البر انطلقت أسلحة المقاومة الشعبية المصرية من كل مكان ابتهاجا بهذا الجلاء (١) وغاصت الحملة المعتدية فى ظلام الليل مبتعدة وانطلقت من المدينة الصواريخ المضيئة . وفى اليوم التالى استلمت القوات المصرية جميع المواقع التى تسلمها جنود الأمم المتحدة وانسحبت قوات الطوارىء من منطقة القناة متجهة الى سيناء لتقوم بدورها فى مواجهة القوات الاسرائيلية وقد كانت اسرائيل فى هذا التاريخ قد قامت بسحب قواتها لمسافة ٥٠ كيلومترا من حدودها ولكن ظلت تسيطر على أجزاء صغيرة من الأراضى على الحدود وشرم الشيخ وجزر مضيق تيران الضيق .

وبقيت مشكلة عناد اسرائيل بالاصرار على بقائها فى بعض الأراضى المصرية فى سيناء وغزة تمسكا بها ضمانا لأمنها كما تدعى .

التلميح لمصر بمشروع ايزنهاور :

قبل يناير ١٩٥٧ وبأسلوب الاتصالات الدبلوماسية لمحت أمريكا لمصر ان الأيام القادمة سوف تحمل امكانات تطورات جديدة فى شأن العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر وان الفرصة مفتوحة أمام مصر لكى تستفيد من هذه التطورات خصوصا وان الولايات المتحدة لديها الرغبة فى هذا التفاهم بين الجانبين والذى فيه فوائد غير محدودة لمصر . وتأكدت مصر ان الولايات المتحدة فى سبيل اقتحام الشرق الأوسط بسياسة جديدة خصوصا بعد ان انصرفت معظم دول الشرق الأوسط الصديقة للغرب عن بريطانيا وفرنسا بعد خضوعها الكامل للانسحاب من الأراضى المصرية وثبوت تواطؤها مع اسرائيل فى هذا العدوان حتى ان أعضاء حلف بغداد من الدول الاسلامية كانت قد بدأت تنصرف عن الارتباط بانجلترا وكانت تبحث لنفسها عن بديل قوى هو أمريكا .

---

(١) فتح السويس هنرى آزو ص ٤٧٩ و ٤٨٠ ، ٤٨١ .

مشروع ايزنهاور ٥ يناير ١٩٥٧ (١) :

وفى ٥ يناير ١٩٥٧ قدم الرئيس الأمريكى ايزنهاور الى الكونجرس مشروعا طلب منه تخويله سلطة التعاون مع أى أمة أو مجموعة من الأمم فى منطقة الشرق الأوسط ومساعدتها على تنمية اقتصادها وتقديم مساعدات وبرامج عسكرية تتضمن استخدام القوات المسلحة الأمريكية لضمان وحماية السلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لهذه الكيانات التى تطلب الاشتراك فى هذا المبدأ وضد العدوان المسلح من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية ٠

رفض مشروع ايزنهاور :

وجاء هذا المشروع وخطوطه الرئيسية وظروفه وملابساته بما يستحقه من رفض وارتياب فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة للأسباب الآتية :

١ ـ ان هذا المشروع عرض بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر وبعرض أساسى هو منع العدوان أو التسلل الشيوعى ولم تكن الى هذا الوقت أى دولة من دول الشرق الأوسط وقد رأت تسلسلا عدوانيا من روسيا السوفيتية بل بالعكس كان العدواون أساسا من المعسكر الغربى ٠

٢ ـ كان المشروع بصياغته وبنوده يؤكد على مقاومة العدوان الشيوعى وليس أقدر على مواجهته سوى أمريكا بعد تقلص دور الاستعماريات الكبرى أى جاء بأسطورة « سد الفراغ » فى منطقة نفوذ بريطانيا وحلفائها ٠

٣ ـ كما جاء هذا المشروع خاليا من الاشارة الى الاحتمال الأكبر بالعدوان المتكرر من اسرائيل نفسها على العرب ٠

٤ ـ ويرمى المشروع الى أن تكون أمريكا وحدها هى الوسيط بين اسرائيل والدول العربية وفى هذا المعنى الواضح لتأمين اسرائيل دون تأمين العرب منها ٠

٥ ـ المشروع فى اجماله يؤكد على ربط مصير الدول العربية بالسياسة الأمريكية وبمثابة احياء لمنظمة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط التى سبق ورفضتها مصر وكل الدول العربية المتحررة لأنها سياسة لاعادة ربطها بالاستعمار ٠ ولكل هذه الأسباب رحبت اسرائيل بمشروع ايزنهاور خاصة وان مجلس الوزراء الاسرائيلى سبق وقرر أن

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ٢٥٢ ٠

يحول دفته نحــو أمريكا بعد أن أحس بسقوط الاستعماريتين الكبيرتين انجلترا وفرنسا وركز كل ثقله على الولايات المتحدة ٠

ضغوط الولايات المتحدة على مصر :

بعد أن تأكدت الولايات المتحدة من ان مصر على رأس الدول التى رفضن مشروع ايزنهاور والتى لوحت به لمصر كثمرة لامكان ضغط الولايات المتحدة على اسرائيل لاتمام انسحابها من سيناء بالكامل أخذت الادارة الأمريكية تقوم بدور مركز للضغط على مصر وقامت وزارة الخارجية الأمريكية (١) يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٦ على لسان هربرت هوفر (الصغير) نائب الوزير بتبليغ وزير الخارجية المصرى الموجود وقتها فى أمريكا حيث أبلغ الدكتور محمود فوزى بأنه بلغ الادارة الأمريكية ان هناك نشاطا تحرريا تعدله مصر فى عدد من الأقطار العربية الصديقة لمصر وكذلك داخل اسرائيل وقد يقطع هذا النشاط الأمل لأى تفاهم بين أمريكا ومصر يساعد على استقرار الموقف وذكر لوزير خارجية مصر أن الولايات المتحدة لم تعد معتمدة على بترول العالم العربى ولا عادت مستعدة للاعتماد على قناة السويس أو على خطوط أنابيب البترول التى تمر بالأراضى العربية لانها اعتمدت أخيرا على برامج لبناء الناقلات العملاقة التى تستطيع الدوران حول رأس الرجاء الصالح وبطبيعة الحال كانت القاهرة متأكدة ان كل هذا التهديد الأمريكى فى غير محله لان مصر كانت فى يدها خيوط لعبة الضغط بالبترول حتى هذا التاريخ ٠ وأخذت أمريكا فى نفس الوقت تقوم بدور مركز لمحاولة عزل مصر عن بعض الدول العربية عامة وعن السعودية خاصة وكانت هذه هى سياسة ايزنهاور بالذات التى يؤمن بها لأجــل اضعاف تأثير وسيطرة القاهرة وعبد الناصر على الموقف ٠ وروجت أمريكا بعض الشائعات داخل القصور السعودية ضد مصر وسياستها وكان على رأس هذه الشائعات ان مصر بالاتفاق مع المخابرات السورية تعد للقيام بعمليات لاغتيــــال بعض الشخصــيات العربية المكروهة عند زيارتهـا للسعودية وعلى رأسها كميل شمعون بالاضــافة الى مواقف أخرى أمكن تأويلها للسعوديين انها سياسة مصر المقاومة للسعوديين ٠

وفى مساء ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ قام همرشولد بزيارة جمال عبد الناصر بحضور الدكتور محمود فوزى وذلك بصفته سكرتيرا عاما للأمم المتحدة وكان مكلفا من أطراف أخرى وبخاصة الولايات المتحدة المعبرة عن وجهه النظر الاسرائيلية وتحدث مع عبد الناصر وباسلوب غير مباشر عن شروط اسرائيل التى تريد ان تفرضها على فكرة انســـحابها من سيناء وكان

---

(١) نفس المصدر السابق المنشور فى عدد جريدة الاهارم ٨٦/١١/٣٠ ٠

الموضوع الأول هو موضوع السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور فى قناة السويس(١) وكان رد عبد الناصر ان مصر لا تعترف باسرائيل كدولة لها حقوق باقي الدول في المرور وانها تعتبر قاعدة للعـــدوان على مصر . ولما ألمح همرشولد بان اسرائيل قد تحصل على حكم لصالحها من محكمة العدل الدولية استنادا على المبادىء الستة التى جاءت فى قرار مجلس الأمن يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ والتى وافقت عليه مصر مع الاجماع الدولى وكان رد عبد الناصر ان مصر وافقت على هذا القرار بمبادئه على أساس انها مبادىء للحل السلمى تفرض على الأطراف المتنازعة والذى كان يجب ان تلتزم به جميع الأطراف ولكن بعد العدوان الثلاثى الذى اشتركت فيه اسرائيل فان هذه المبادىء أصبحت بعد استخدام مبدأ العدووان جزءا من التاريخ وخاصة ان الصحافة العالمية بصفة عامة والصحافة البريطانية بصفة خاصة وعدد من الساسة البريطانيين أصبحوا مقتنعين بان هذه النقط الست قد فات أوانها . ولما عرض هموشولد على عبد الناصر مشروع شرط اسرائيل بالنسبة لقطاع غزة كان رد عبد الناصر ان اسرائيل يجب أن تنسحب من قطاع غزة حتى لا تتبنى هيئة الأمم ومصر من أعضائها فكرة أن يكافأ المعتدى على عدووانه وان مصر تعتبر قطاع غزة جزءا من مسئوليتها شأنه شأن سيناء وفى يوم ٢٥ يناير ١٩٥٧ قامت الولايات المتحدة بتسليم مذكرة لاسرائيل تؤكد فيها حق اسرائيل فى المرور البرى innocent Passage من مضيق العقبة . وفى رسالة أخرى (٢) حول هذا التاريخ من ايزنهاور الى بن جوريون أكد فيها ان القوات المصرية لن تعود الى سيناء كما قامت فرنسا بتقديم مشروع لوضع سيناء تحت اشراف الأمم المتحدة .

مصر تختار الوقت المناسب :

فى ٢٥ ينـــاير طالبت ٢٥ دولة افروآسيوية الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة بالعمل على تحقيق انســـحاب القوات الاسرائيلية الموجودة فى الأراضى المصرية وفى خلال خمسة أيام .

فى هذا الوقت تأكد لمصر انه ليس لاسرائيل (٣) صديق واحد فى الأمم المتحدة وبالتالى فى معظم أنحاء العالم يؤيدها وتأكد هذا على لسان بن جوريون فى اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ١٩٥٦/١٢/٢٢ . ومع كل ذلك وبعد أن اطمـأنت اسرائيـــل الى مشروع ايزنهاور وبعـد تسلمها مذكرة الولايات المتحدة ببعض الضمانات فى غزة والعقبة عادت

---

(١) نفس المصدر .

(٢) فتح السويس ص ٤٨١ لهرى آزو .

(٣) ملفات السويس للأستاذ حسنين هيكل . عدد أهرام ١٩٨٦/١١/٣٠ حلقة ٣٣ .

اسرائيل الى ممارسة أسلوبها فى المساومة والعناد وكان الجو مهيأ لمصر لضرب ضربتها .

مصر تفرض الأمر الواقع :

بعد أن تأكدت مصر من موقف الدول الافروأسيويه والرأى العام ضد معاندة اسرائيل فى الانسحاب ، طلبت مصر أن ينتقل مكتب الاتصال بين الجيش المصرى وبين قيادة قوات الطوارىء الدولية والذى كان موجودا فى مطار أبو صوير بمحافظة الاسماعيلية الى العريش فى سيناء وقاوم الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء الدولية (١) هذا الطلب كما قام همرشولد بالاحتجاج على هذا التصرف المصرى مع رجائه بأن تظل قوات الجيش المصرى بعيدة عن قطاع غزة بحجة ان قواد القطاع وسكانه لا يريدون عودة القوات المصرية الى سيناء . وفى اليوم التالى قامت المظاهرات الصاخبة فى قطاع غزة وفى كل مدن سيناء تطالب بعودة الادارة المصرية واشتبكت مع بعض عناصر من القوات الدولية . وبادرت الاذاعة المصريه وأعلنت ان اللواء المصرى حسن عبد اللطيف قد وصل فعلا فى نفس اللحظة الى غزة ليتولى مسئولية الحاكم العام هناك وقام وزير خارجية مصر الدكتور محمود فوزى بارسال احتجاج الى همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة بأن قوات الأمم المتحدة بدلا من ان تقوم بحماية سكان غزة تقوم باطلاق النيران عليهم وأبلغه فى نفس الوقت ان حاكم غزة سوف يتصل بالجنرال بيرنز لتنسيق أوضاع الأمن هناك وقبل غروب هذا اليوم قامت وحدات من الجيش المصرى بدخول غزة لحماية سكانها . وانهالت المكالمات التليفونية على مكتب همرشولد من دالاس ومن آبا ايبان سفير اسرائيل فى أمريكا ومن سلوين لويد ومن كريستيان بينو ولكن الأمر الواقع كان قد أصبح حقيقة مصرية مفروضة (٢) .

وأسقط فى يد بن جوريون ولم يكن قادرا على قبول الأمر الواقع ولم يكن قادرا على تغييره وأخذ ينتظر الفرج من الولايات المتحدة ومن بعض أصدقاء اسرائيل .

وفى يوم ٢ فبراير وافقت الأمم المتحدة على قرار تطالب بسرعة انسحاب اسرائيل على ان يعقب هذا الانسحاب بذل الجهود لتوفير ظروف السلام فى المنطقة .

---

(١) عدد جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٦/١١/٣٠ حلقة ٣٣ من كتاب ملفات السويس للأستاذ هيكل .

(٢) نفس المصدر السابق .

وفى يوم ٣ فبراير تلقى بن جوريون رسالة من ايزنهاور وعده فيها انه سيمضى قدما فى توفير ظروف (١) السلام بشرط أن تقوم اسرائيل بالانسحاب من باقى سيناء . ورد عليه بن جوريون يوم ٨ فبراير ١٩٥٧ بان اسرائيل مستعدة لسحب قواتها من شرم الشيخ اذا حصلت على ضمانات تبيح لها حرية المرور فى مضيق العقبة كما انها مستعدة لسحب قواتها من باقى سيناء بشرط ترك الادارة المدنية والبوليس الاسرائيلى بها رطبقا لطالب الأمم المتحدة وفى يوم ١١ فبراير أذاع دالاس بالاتفاق مع ايزنهاور بفكرة تناول فيها أهم المطالب الاسرائيلية وتعهد بمساندتها بعد انتهاء انسحابها من كل الأراضى المصرية .

واستمرت الكتلتان الغربية والشرقية والكتلة الأسيوية تطـــالب بتطبيق العقوبات على اسرائيل وقدمت الدول الغربية اقتراحا للأمم المتحدة بفرض عقوبات سياسية وعسكرية واقتصادية ضـــد اسرائيل . وكان المفروض أن تستجيب(٢) لها اسرائيل ولكنها استمرت فى موقفها المعاند. وقامت الدول الغربية ومعها الولايات المتحدة الأمريكية وبضغوطها أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة تصريحين تضمن أولهما حرية المرور للسفن الاسرائيلية فى مضيق تيران والثانى يتناول موضوع غزة بأن تبقى الأمم المتحدة قواتها فى منطقة غزة الى ان يستقر السلام .

ولكن مصر كانت فى اتفاقها مع قوات الطوارىء منذ ما تقرر وجودها فى الأراضى المصرية تؤكد على أن يكون من حق مصر طلب سحب هذه القوات فى أى وقت تشـاء .

القرار الأمريكى بانسحاب اسرائيل

فى صباح ٢٠ فبراير ١٩٥٧ دعا ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة الى اجتماع برئاسته عقد فى قاعة اجتماع الادارة الأمريكية فى البيت الأبيض بعد ان قطع أجازته فى جورجيا وجاء على عجل لمواجهة زعماء كل من حزبى الكونجرس فى جو متعب ومكهرب وقد بدأ الاجتماع فى الساعة الثامنة والنصف صـباحا وكان أغلبية المجتمعين من الشيوخ والنواب المعـارضين لفكرة توقيع عقوبات على اسرائيـــل ويتزعمهم جونســـون الديمقراطى . وكان فى الاجتماع خمســة من هيئة مستشـارى البيت الأبيض (٣) وكذلك كان من المجتمعين شيرمان آدمز مساعد ايزنهاور كما

---

(١) فتح السويس ص ٤٨١ وص ٤٨٢ لهنرى آزو .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٢ و ٤٨٣ .

(٣) First Handbook فى الفصل « من السويس الى مشروع ايزنهاور ص ٥٠ و ٥٧ .

مثل المجتمعون جميع المبول السياسية وكان على رأس الجمهوريين عضو الشيوخ نولاند العنيد وكلهم غير متحمسين لآراء ايزنهاور ماعدا نيكسون نائب الرئيس واستمرت المناقشات لمدة ساعتين ونصف ودون أن يصلوا الى قرار رغم اطلاعهم على خطورة الموقف والتهديدات المحتملة · وكان كل ذلك من أجل مساندة اسرائيل وليس أدل على تصوير الموقف داخل قاعة الاجتماع أوضح من تعليق السناتور « ويلى » بعد سؤال وجهه الى دالاس وزير الخارجية فقال « ويلى » اننا نؤيد سياسة الحكومة فى فرض العقوبات على اسرائيل ····· لأن بقية العالم تعتقد ان اسرائيل بموقفها المتعنت يمكنها التحكم فى سياسة الولايات المتحدة وبخاصة عندما تقف عند موضوع حيوى مثل هذا الموضوع وذلك نظرا لما تتمتع به اسرائيل من محاباه فى أمريكا ····· وعلى ذلك فان العرب يراقبوننا باهتمام فاذا ما دلت تصرفاتنا على تأكيد هذه الحالة فان العرب سيشعرون فى النهاية بالاضطرار الى الرجوع لروسيا » · وحيث كان الاتجاه العام للمؤتمر هو عدم الاعلان صراحة على فكره فرض العقوبات على اسرائيل وحتى لا يكون هناك صعوبات فى التعامل مع عبد الناصر مستقبلا فقد فوض الحاضرون الأمر الى الرئيس ايزنهاور حتى يتولاه بنفسه ويتحمل معه المسئولية المترتبة على ذلك (١) · وقال سام ريبوزن « ان أمريكا لها صوت واحد أو لا شيء وهذا الصوت هو صوت رئيس الجمهورية بالرغم من مواقفنا بما فيها من اختلاف معه أم لا » · وكان هذا التصريح هو نهاية المناقشة ·

وأذاع الرئيس ايزنهاور فى نفس اليوم بيانا قال فيه « انه اجتمع هذا الصباح مع زعماء الكونجرس والذين نصحوه بشرح وجهة نظره بخصوص اسرائيل للشعب الأمريكى » ثم قال فى بيانه « ان تصميم اسرائيل على الحصول على ضمانات قوية كشرط لسحب قواتها الغازية أثار موضوعا أساسيا هو ··· هل يجوز لدولة مهاجمة ومحتلة أراضى أجنبية وبالرغم من عدم موافقة الأمم المتحدة أن تترك لاملاء شروطها (٢) بخصوص سحب قواتها » وتجنب الرئيس ايزنهاور فى بيانه ذكر كلمة « عقوبات » واستبدلها بكلمة « ضغوط » ·

وفى هذا الجو ظهر للمسئولين الأمريكيين ان اسرائيل تجاوزت الحدود (٣) · وقدم اقتراحان للأمم المتحدة فى الجمعية العامة أحدهما

---

(١) نفس المصدر ص ٥٩ و ٦٠ ·

(٢) نفس المصدر ·

(٣) فتح السويس لهيو توماس ، ص ٤٨٣ ·

تقدمت به الدول العربية تطالب فيه بفرض عقوبات سياسيه وعسكرية واوقتصادية ضد اسرائيل والثانى تقدمت به الولايات المتحدة وفيه معنى الانذار لاسرائيل بالجلاء عن الأراضى المصرية فى مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام ويتبع ذلك وقت المناقشات حتى يمكن اجرا محادثات مع حكومة اسرائيل .

ومارست فى هذه الفترة الولايات المتحدة اسلوبها الخاص فى الضغط على اسرائيل ووجدت اسرائيل نفسها أخيرا أمام تحالف عام للأمم المتحدة أى لأمم العالم فيما عدا بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الصديقة لاسرائيل واستمرت المحاولات حتى أول مارس ١٩٥٧ وفى نفس اليوم وقبل التصويت على اقتراح العقوبات فى هيئة الأمم أعلنت وزيرة خارجية اسرائيل جولدا مائير أمام الجمعية العامة « ان حكومتها أصبحت (١) الآن فى موقف لاعلان خططها للانسحاب التام على أن تشرف القوات الدولية على منطقة غزة وتبقى بها الى ان يعقد الصلح وان اسرائيل تضع فى اعتبارها ان حرية الملاحة فى مضيق تيران ستكون مكفولة على ان تبقى القوات الدولية فى شرم الشيخ مع احتفاظ اسرائيل بحقها منه وفى قطاع غزة للتدخل اذا ما حدثت اضطرابات » . ثم أعلن المندوب الأمريكى هنرى كابوت لودج انه أحيط علما بالبيان الاسرائيلى وانه يرى ان مضمونه يتمشى مع موقف الرئيس ايزنهاور وموقف السكرتير العام للأمم المتحدة وأكد كذلك « ان انسحاب القوات الاسرائيلية لا يمكن أن يكون مشروطا بأى شرط وان مصير منطقة غزة يجب أن يسوى فى اطار اتفاقيات الهدنة » أما فيما يتعلق بالعقبة فان الولايات المتحدة قد أيدت حرية الملاحة فيها وصوتت على ذلك مع دول أخرى على أساس الاعتراف دوليا بهذه الحرية . كما ضمنت أمريكا وضع قوات للأمم المتحدة فى غزة بحجة حماية اسرائيل من أى عدوان مصرى ولكن مصر رفضت هذا الوضع الأخير .

انسحاب اسرائيل

وانسحبت اسرائيل من العريش (٢) فى ١٤ ينساير ١٩٥٧ ثم انسحبت من رفح وخان يونس ثم انسحبت من غزة ٦ مارس ١٩٥٧ كما انسحبت من شرم الشيخ الشيخ وهى آخر نقطة كانت تحتلها على خليج العقبة فى ٦ و ٧ مارس ١٩٥٧ .

---

(١) فخ السويس لهنرى آزو ، ص ٤٨٤ .

(٢) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى ص ٣١٧ .

عودة الملاحة فى قناة السويس

تمت عملية تطهير القناة وفقا للبرنامج المتفق عليه بين قوات الطوارىء وهيئة التطهير وهيئة قناة السويس المصرية فى ٩ ابريل ١٩٥٧ وأعيد فتح قناة السويس المصرية فى ٩ ابريل ١٩٥٧ وأعيد فتح قناة السويس رسميا للملاحة فى ١٠ ابريل ١٩٥٧ للسفن التى تدفع الرسوم لهيئة ادارة القناة المصرية . وفى ١٣ مايو أعلنت بريطانيا وأمريكا السماح للسفن البريطانية والأمريكية باستخدام القناة بعد دفع الرسوم للادارة المصرية وتبعتها السفن الفرنسية فى يونيو ١٩٥٧ وبذلك تم تسيير الملاحة طبيعيا تحت الادارة المصرية وخضعت جميع السفن من جميع الجنسيات لدفع الرسوم كاملة للادارة المصرية .

سقوط ايدن (٩ يناير ١٩٥٧) ومولية (٢١ مايو ١٩٥٧) وبن جوريون

ان قبول بريطانيا وفرنسا واسرائيل ايقاف اطلاق النار ثم قبولهم الانسحاب بعد ذلك من الأراضى التى احتلتها نتيجة العدوان كان بمثابة فشل هذا العدوان (١) وبالتالى فان هذا الفشل قد انعكس على رئيس الوزراء البريطانى مستر ايدن وبدأت معالم فشله تتأثر فى ٢٠ يونيو ١٩٥٦ عندما أذيع بيان من رئاسة مجلس الوزراء البريطانى بأن انطونى ايدن يعانى ارهاقا شديدا وان بتلر زعيم الأغلبية فى مجلس العموم سيرأس اجتماعات مجلس الوزراء . ثم اعتزل العمل وأقام باحدى جزر الانتيل النائية بحجة الاستجمام وظل معتزلا الى ان استقال فى ٩ يناير ١٩٥٧ من الحزب والوزارة .

ماكميلان يرأس الوزارة (٢)

ورشح لورد سالسبرى عميد حزب المحافظين للملكة لرئاسة الوزارة « هارولد ماكميلان » أو « راب بتلر » واستدعت الملكة يوم ٩ يناير ١٩٥٧ هارولد ماكميلان لتشكيل الوزارة وكان ماكميلان يعتبر فى نفس الوقت مرشح الادارة الأمريكية لأنه يمثل فى نظر الأمريكيين العلاقة الخاصة التى تربط بين الدولتين .

سقوط موليه ٢١ مايو ١٩٥٧

أما الوزارة الفرنسية فقد سقطت فى ٢١ مايو ١٩٥٧ .

---

(١) ثورة يوليو للأستاذ الرافعى ص ٢١٤ و ٢١٥ .
(٢) كتاب فخ السويس لهنرى أورو ص ٥٠١ .

اعتزال بن جوريون

بعد عودة القوات المصرية الى غزة وجد بن جوريون نفسه فى مأزق فقرر الاعتزال وأعلنهـا ذات مسـاء وتوجـه عند الغروب الى مستعمرة (سد بوكر) فى وسط صحراء النقب .

نتائج حملة السويس

(أ) على دول العدوان

١ ـ بالنسبة لانجلترا

ـ بفضل النظام البرلمانى والديمقراطى البريطانى وبمنطق سياسة مصر المتوازنة والمستنده الى الحق والمنطق وحسن استغلالها اعلاميا فقد انقسم المسرح السياسى البريطانى وتولد لدى الرأى العام البريطانى وداخل البرلمـان قوة معارضـة لا يستهان بها وقفت فىوجه سياسة الوزارة البريطانية وسياسة ايدن العدوانية العصبية مما ساعد على وقوف الرأى العام العالمى نفسه مع الرأى العام البريطانى ضد سياسة العدوان والتواطؤ مع اسرائيل .

ـ كما تسبب العدوان فى انقطاع بترول الشرق الأوسط والذى تعتمد عليه بريطانيا بصفة رئيسية وبالتالى تدهورت الحالة الاقتصادية فى انجلترا منذ بدء العدوان وتدهور الاسترلينى بشكل ملحوظ مما كان سيتسبب فى كارثة لولا التدخـل الأمريـكى فى الوقت المناسب لانقاذ الموقف .

ـ واستيقظ العالم بعد انسحاب دول العدوان الثلاثة من الأراضى المصرية على مدى تورط انجلترا مع اسرائيل والتى جرتها الى حرب دون مبرر وبالمقام الأول لمصلحة اسرائيل نفسها وضد مصلحة انجلترا .

ـ كما تسبب التدهور الاقتصادى فى انجلترا نتيجة لحملة السويس وفشل تحقيق أى من أهدافها الى انسحاب انجلترا وفرنسا كلية من الميدان العالمى كدول عظمى وتسلمت الولايات المتحدة هذه التركة بما تحتويه من ثروات الشرق الأوسـط البترولية وأدى ذلك بفضـل حسن ادارة السياسة الأمريكية الى أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتحقيق حلمها فى ملء الفراغ فى الشرق الأوسط . وقود عبر ماكميلان(١) رئيس وزراء بريطانيا الجديد عن هذه الأفكار بقوله « ان التاريخ سيظهر فى يوم . ما

---

(١) كتاب First Handbook لشير مان آدمز مساعد ايزنهاور ص ٦ .

ان كانت بريطانية على حق فى غزوها لقناة السويس • ولكن بعد الأضرار الاقتصادية الفادحة التى أصابت بريطانيا بسبب غلق قناة السويس ، فان بريطانيا ليست على استعداد لمعارضة عبد الناصر أكثر من ذلك » •

٣ ـ بالنسبة لفرنسا

ـ تسبب العدوان فى أكبر وأفدح الخسائر بالنسبة لفرنسا وسياستها لأن تسرع فرنسا فى التواطؤ مع انجلترا واسرائيل بصفة خاصة كان بالأساس يرجع الى تسلط فكرة الانتقام من مصر لمساعدتها لثوار الجزائر ضد فرنسا فكان التعاون الفرنسى مع اسرائيل بدون حدود ولدرجة الاضرار بالاقتصاد الفرنسى واعتبرت فرنسا ان نجاح اسرائيل فى سيناء وما حققته من انتصارات فيها هو انتصار لفرنسا (مع انه تم بفضل انسحاب مصر السريع من سيناء تفاديا للوقوع فى الفخ) فكان هذا الانتصار الاسرائيلى بمثابة معزوفة النصر لفرنسا نفسها رغم النتائج الاقتصادية الوخيمة التى أصابت الاقتصاد الفرنسى ولم يتحقق لفرنسا حلم الانتقام من ساسة مصر حيث (١) ان عبد الناصر كان قد أرسل الى الثورة الجزائرية أكبر شحنة من السلاح أثناء احتدام المعارك على جبهة قناة السويس •

ـ ففى فرنسا كانت النتائج لا تسر هؤلاء الحكام المتفاءلون أمثال موليه وكريستبان بينو المتعصب لاسرائيل (٢) فعقب حملة السويس صودرت ممتلكات الفرنسيين الخاصة فى مصر وطرد الفرنسيون من البلاد وفقدوا وظائفهم دون تعويض وقطعت مصر علاقاتها بفرنسا فكان كل ذلك ضربة عنيفة للنشاط الفرنسى فى مصر فى المجالات الثقافية والتجارية والمالية والصناعية وقدرت خسائر فرنسا بنحو ٤٠٠ مليار فرنك فرنسى قديم (نحو أربعة مليارات فرنك جديد) فقد وضعت الحكومة المصرية تحت الحراسة أربعة بنوك فرنسية كبرى (بنك الكريدى ليونية والكونتوار ناسيونال دى بارى والبنك العثمانى والكريدى دوريان) وكذلك شركة الرهونات المصرية وتسع شركات فرنسية للتأمين وثلاثة مؤسسات للائتمان العقارى والشركة العامة لتكرير السكر ومعامل تكرير البترول والشركة المصرية للبترول وثلاثة مصانع تعتمد على شركة الغاز

---

(١) عدد جريده الأهرام بتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٦ الحلقه (٣١) من كتاب ملفات السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل عن محضر اجتماع الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة لوضع خطوط عمل الوفد المصرى فى نيويورك •

(٢) كتاب فخ السويس لهنرى أزو ص ٤٩٨ •

السائل · كما شملت الخسائر أيضا الغاء العقود الصناعية التى سبق وتضمنها الاتفاق بين الدولتين سنة ١٩٥٤ وجميعها بملايين الفرنكات ·

ـ تسبب العدوان فى تعميق بذور الكراهية الفرنسية للأمريكان والتى ثبتت فى أزمة السويس ولتخلى السياسة الأمريكية عن تقديم أى مساعدة للجانب الفرنسى زمن العدوان علاوة على وقوف الادارة الأمريكية فى المحافل الدولية ضـد فرنسـا وضغوطها عليها لايقاف اطلاق النـار واصرارها على انسحابها من الأراضى المصرية بالاضافة الى تقاعس أمريكا عن تقديم المعونات البترولية الضرورية مجانا لفرنسا والتى كانت فى أمس الحاجة اليها ·

بالنسبة لاسرائيل

ـ حققت اسرائيل حرية الملاحة فى مضيق العقبة فأصبح ميناء ايلات قادرا على ربط جنوب اسرائيل بالخطوط البحرية التجارية ولو انه فى العرف التجارى الدولى لا يعتبر الرئة التى تتنفس منها دولة اسرائيل تجاريا (١) كما تحقق لاسرائيل تحييد منطقة غزة بوجود قوات من الأمم المتحدة بها كحاجز بين قواتها والقوات المصرية كضمان لأمن اسرائيل ولو ان وجود هذه القوات الدولية عند غزة لا يمنع غارات الفدائيين المصريين لأنه يمكن قيامها من قطاعات أخرى وفى أى وقت ·

ـ ومن ناحية أخرى فان الطريقة التى تم بها الهجوم الاسرائيلى والأخطار التى كان يمكن ان يتعرض لها السلام العالمى جعل معظم دول العالم بصفة عامة والدول الصغيرة فى آسيا وأفريقيا تنظر لاسرائيـل على انها أداة فى يد الاستعمار يستخدمها فى قمع حركات التحرير فى دول العالم الثالث ولأول مرة تشعر اسرائيل بأنها معزولة عن المجتمع الدولى بل ومكروهـة من معظـم دوله وليس أدل على ذلك من قـول بن جوريون (٢) فى اجتماع مجلس وزراء اسرائيل يوم ١٩٥٦/١٢/٢٢ « علينا ان نفهم ان الأمم المتحدة بالنسبة لاسرائيل هى خلية نحل ليس فيها عسل وسوف يقرصوننا جميعا دون أن نشعر بطعم الحلاوة على أطراف ألسنتنا » كل ذلك خلق عن اسرائيل فكرة سيئة لدى الرأى العام العالمى ·

---

(١) فخ السويس ، ص ٤٩٦ و ٤٩٧ ·

(٢) يوميات بن جوريون مجموعة ديسمبر ١٩٥٦ عن كتاب الأستاذ هيكل « ملفات السويس » ·

ـ كما أصبحت الدول الكبرى تخشى التواطوء مع دول صغرى مثل اسرائيل ٠

ـ قامت اسرائيل بعد وقف القتال بتركيز كل ثقلها مع الجانب الأمريكى وخاصة بعد ان تمكنت من اقناع الولايات المتحدة انها الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تمكنها ان تخدم السياسة الأمريكية فى المنطقة خاصة تجاه مصالحها البترولية بقدرتها المستمرة على تهديد الدول العربية الآخذة فى التمرد على المصالح الأجنبية بصفة عامة ٠

ـ وقد ظهر خلال هذه الأزمة وانعكاساتها حاجة اسرائيل الى اقامة علاقات حميمة مع الولايات المتحدة لدرجة التحكم فى القرار الأمريكى حتى لو كان منطق المصلحة المباشر يقتضى عكس ذلك ٠

بالنسبة للدولتين العظميين

١ ـ بالنسبة للاتحاد السوفيتى

حققت أزمة السويس قدرا من النجاح للسياسة السوفيتية فقد أثبتت الأحداث أثناء العدوان وقبل نهايته وأثناء المناقشات فى هيئة الأمم ان الروس قد أصبح لهم مكانة لا يستهان بها فى ادارة العلاقات الدولية فى منطقة الشرق الأوسط ٠ كما ساعدت هذه المواقف على تغلغل الاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط ٠

ـ كما أثبتت السياسة السوفيتية ومواقفها وما نتج من أزمة السويس عدم جدوى سياسة الاحتواء الغربى ضد الخطر الشيوعى حيث أثبتت أحداث الغزو عدم جدوى الأحلاف العسكرية فى هذه المنطقة وبخاصة حلف بغداد التى سارعت(١) دوله الصغرى بالتخلى عن حليفتها الرئيسية بريطانيا بمجرد فشلها فى الغزو ٠ ومع ذلك فلم تحقق هذه السياسة السوفيتية سيطرتها الكاملة على منطقة الشرق الأوسط لأن السياسة الأمريكية تفوقت عليها فى هذه المنطقة فكانت الولايات المتحدة هى العنصر الأساسى المؤثر فى قرارات هيئة الأمم وتنفيذها بما لديها من سيطرة على جميع آبار بترول الشرق الأوسط والتى لم تتمكن السياسة السوفيتية فى التأثير عليها ٠

٢ ـ الولايات المتحدة

ـ فى التتبع الدقيق لأزمة الشرق الأوسط منذ تأميم مصر لقناة السويس حتى نهاية هذه الأزمة بفشل العدوان الثلاثى نجد ان الدولة

---

(١) فتح السويس ، ص ٥٠٢ ٠

التي حققت كل أهدافهـا هى الولايات المتحدة الأمريكية فقد أمكنها فى النهاية (١) المحافظة على مراكزها الاستراتيجية وحماية مصالحها البترولية وفى نفس الوقت • قامت بمناهضة حركة الاستعمار القديم المتمثل فى السياسة العدوانية للاستعماريين التقليديين فرنسا وانجلترا وأيدت حركة التحرر الصاعدة بين دول العالم الثالث متمثلا فى الوقوف بشكل بارز بجانب بعض المواقف المصرية •

ـ أثبتت الولايات المتحدة ان سياستها ودبلوماسيتها ليست كما كان يشاع عنها انها تتحلى ببلاهة وسذاجة أثرياء الحرب انما العكس فقد ثبت ان السياسة الأمريكية فى هذه الأزمة كانت تسير تبعا لمخططات وتوقعات سليمة ومدروسة •

ففى مواجهة عملية تأميم مصر لقناة السويس : بعد اعلان عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس وبعد زيارة وزير خارجية أمريكا فوستر دالاس لانجلترا واجتماعه بالمسئولين البريطانيين والفرنسيين توقع ايزنهاور ان عدوانا بريطانيا فرنسيا على مصر سوف يحدث كما توقع انه اذا ما تم هذا العدوان فسوف يقوم عبد الناصر(٢) بتعطيل الملاحة فى قناة السويس بموانع يصعب ازالتها فى فترة قصيرة لذلك بادر وبسرعة منذ بداية الأزمة فأمر بتكوين لجنة فنية بها خبراء على أعلى مستوى فى شئون البترول فى الشرق الأوسط لوضع مشروع يمكن به مواجهة الأزمة البترولية العالمية المحتملة بصفة عامة والأزمة البترولية للغرب وللدولتى بريطانيا وفرنسا بصفة خاصة فى حالة انقطاع البترول عن غرب أوروبا والذى يمر معظمه عبر قناة السويس من دول الخليج والسعودية وعبر أنابيب نقل البترول المهددة من شعوب العالم العربى المؤيدة لناصر والتى تمر هذه الأنابيب فى أراضيها •

ـ قامت الدبلوماسية الأمريكية أثناء هذه الأزمة بالتعامل مع جميع أطراف الأزمة (٣) سواء مع المعتدين أو مع مصر المعتدى عليها بتوازن كامل وبوعى سياسى عملى يؤكد على استمرار العلاقة الأمريكية الحميمة والمميزه مع اسرائيل وفى نفس الوقت مساندة الجانب المصرى الى الحد الذى يخدم المصالح الأمريكية من زاوية تثبيت التواجد والتأثير الأمريكى فى الشرق الأوسط واحلاله محل التواجد والتأثير البريطانى الفرنسى اضافة

---

(١) ص ٢٨٢ من الكتاب (لجنة أرثر فلمنج) •

(٢) كتاب حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، د• محمود فوزى ص ١٢٥ ، ١٢٦ وص ٣٠ ، ٣١ •

(٣) كتاب حرب السويس ١٩٥٦ د• محمود فوزى ص ١٥ . ١٦ ، ص ٣٠ ، ٣١ •

لاحداث التوازن فى مواجهة سياسة التغلغل السوفيتى الجديدة فى الشرق الأوسط ولتحقيق أطماع رجال البترول والمستثمرين الأمريكيين فى بترول مصر المبشر حسب تقديراتهم فى ذلك الوقت وباتباع هذه السياسة الواعية أمكن لأمريكا الاجهاز على الوجود الاستعمارى البريطانى والفرنسى فى المنطقة بعد انسحابها الكامل من الأراضى المصرية ومن مراكز النفوذ التقليدى فى الشرق الأوسط ٠

ـ ان الادارة الأمريكية كانت تتعامل هى ولجانها وبخبرائها وبكبار ساستها وبدبلوماسييها بحرص شديد وبحذر مع مخططات وممارسات عبد الناصر المحسوبة رغم ما كان فى نفس رئيسها ووزير خارجيته دالاس من بذور عداء لعبد الناصر ـ وكانت الادارة الأمريكية على وعى ودراية كاملين بعقلية وتصرفات وردود أفعال عبد الناصر وتقديرها حق قدرها وخاصة قدرة عبد الناصر على وقف امدادات نفط الخليج والسعودية كلية الى غرب أوروبا بعد اغلاق قناة السويس وذلك لقدرته فى ذلك الوقت على قيادة الشارع العربى كله بما له من امكانيات يهدد بها المصالح وعلى رأسها وسائل نقل هذا النفط من حقوله الى موانىء البحر المتوسط ٠

ـ وبذلك حققت الولايات المتحدة كل أهدافها باتباعها المخطط الانتهازى الذى يحقق مصالحها على حساب مصالح حلفائها الانجليز والفرنسيين فى حلف الأطلنطى وكذلك تحقيق سياستها فى نظرية سد الفراغ بازاحة النفوذ التقليدى الفرنسى والانجليزى من المنطقة قبل أن يتفاقم التسلل السوفيتى الى المنطقة ٠ ولقد استغلت السياسة الأمريكية النزاع التقليدى بين العرب واسرائيل لحساب المخطط الأمريكى المدروس ونفذته بكل دقة مع الاحتفاظ بمستوى العلاقات الأمريكية مع كلا الطرفين دون أن تتدهور علاقتها مع العرب مع الابقاء على نواياها فى الانحياز الى الجانب الاسرائيلى عند اللزووم وبذلك حققت جميع مصالحها بالتأكيد على استمرار حالة التوتر القائم بين العرب واسرائيل ٠

بالنسبة لمصر

ـ خرجت مصر من أزمة السويس وقد أمكنها انقاذ الجزء الأكبر من جيشها فى مصيدة أكيدة عندما سارع عبد الناصر وأمر أقوى وحدات جيش مصر بالعودة من سيناء بمجرد ان شعر ان اسرائيل ليست وحدها فى المعركة وان أسلحة فرنسا وبريطانيا تتربصان بجيش مصر لاتمام تدميره ٠

ـ وكان من نتيجة حملة السويس ان أتمت مصر سيطرتها الكاملة على قناة السويس وحصلت على قدر كبير من الحرية فى توجيه اقتصادها ٠

ــ ارتفع قدر عبد الناصر عربيا وأصبح رمزا للشعوب الأفريقية والآسيوية كبطل أمكنه ان يقاوم الاستعمار ·

ــ ان ظروف الأزمة وحسن تقدير مصر للأمور وعمق دراستها المسبقة لقرار تأميم القناة واحتمالاته وكذا ردود فعل أطراف النزاع الاخرى أثبتت أن لدى مصر الكفايات الفنية والادارية المتخصصة فى مجال الملاحة فى المضايق والممرات المائية يعادل مستويات كادرات الدول المتقدمة ولا يقل عنها بحيث فاجأت الادارة المصرية لهيئة القناة والمرشدون المصريون العالم بقدرتهم على ادارة المرفق فى ظل ظروف صعبة وبذلك قطعت مصر خط الرجعة على مخططات العدوان التى اعتمدت فى تصرفها على أمانيها أن تفشل مصر فى ادارة القناة فتفقد سمعتها وشرعية مطالبها أمام العالم ولعل أبلغ أثر للانجاز المصرى ما جاء فى مذكرات ايزنهاور (١) عن يوم ١٦ سبتمبر ١٩٥٦ « ومن سوء الحظ ان مصر تدير القناة بطريقة أحسن وأكفأ من الانجليز والفرنسيين ولذلك فان تفكير ايدن باستعمال القوة ضد مصر سوف يبدو سخيفا » كما ان ايزنهاور عندما بلغه نجاح مصر فى تسيير الملاحة فى القناة بعد ساعات من انسحاب المرشدين الأجانب من قناة السويس قال على مسمع من مساعده شيرمان آدمز « لابد أن نسلم لعبد الناصر انه زعيم حقيقى لديه الأعصاب ولديه الكفاءة · والجسارة الحقيقية أنه لا يقف فى صفنا بينما نجد فى صفنا الأغبياء » ·

ــ أثبت شعب مصر انه قادر على مقاومة أى غزو والوقوف صفا واحدا مع جيشه فى محنته ما دام مقتنعا بشرعية موقف قيادته التى تدافع (٢) عن حقوقه فقد اعتمدت قيادة الغزو على تقدير خاطىء « بأنه فى اللحظة التى يتم فيها توجيه الانذار ثم يلحق به القصف الجوى فان مصر سوف تستسلم لأن القيادة المصرية السياسية سوف تنهار لأن الجماهير المصرية المصابة بالفزع سوف تخرج الى الشوارع فى مظاهرات ضد حكومتها وسوف تحطم وتحرق وينتهى كل شىء فى مصر قبل ان يبدأ الغزو الفعلى » والحقيقة ان شعب مصر أثبت عكس ذلك تماما فبمجرد أن نادى عبد الناصر بالمقاومة من فوق منبر الأزهر فى ١٩٥٦/١١/٢ خرج الشعب المصرى بأكمله متظاهرا فى الشوارع مطالبا بحمل السلاح للمقاومة وكان متمالكا لأعصابه تحت الغارات ومصمما على المقاومة ·

ــ أثبتت قيادة عبد الناصر فى مواجهتها للعدوان على كفاءة ومقدرة عالية فتوقع معظم ردود أفعال الأطراف المعادية والمؤثرة فى السياسة

---

(١) مجموعة أوراق ايزنهاور ، الجزء الرابع ·
(٢) الحلقة ٢٩ من كتاب ملفات السويس المنشورة بالأهرام يوم ٢٣/ ١١·

الدولية فقد كان حسن تقديره لدور الاتحاد السوفيتي المتطلع لتثبيت أقدامه في الشرق الأوسط في مواجهته للمصالح الأمريكية الاستراتيجية والبترولية كما كان مقدرا لدور أمريكا الانتهازي وأبعاده بالنسبة لمصر ولتطلع أمريكا على سد الفراغ بدلا من دولتي العدووان ومعرفة ان أمريكا تقدر تماما قدرة وقوة عبد الناصر لتحكمه في خطوط البترول المملوكة للاستثمارات الأمريكية في الخليج والسعودية وبعد ان تسبب العدوان في تعطيل الملاحه في القناة احتفظ عبد الناصر في يده بأقوى لعبة وهي التحكم في باقي خطوط وأنابيب البترول التي تمر عبر أراضي الدول العربية الأخرى والتي تعلم الادارة الأمريكيـة جيدا ان شعوبهـا تؤيد قرارات وسياسات عبد الناصر بالاضافة الى أن عبد الناصر نفسه لم يكن يخدعه وقوف أمريكا بجانب سياسة مصر وضد دول العدوان وان أمريكا في حالة انتصار الدول المعتدية وهزيمة مصر لابد أنها ستكون مسرورة ٠ ومما يدل على مدى ضيق أمريكا بعبد الناصر (١) وبأى نجاح لمصر في سياستها ضـد دول العدوان ان دالاس وزير الخارجية الأمريكية في اجتماعه يوم ١٢ أغسطس ١٩٥٦ مع ايزنهاور ومع خبراء البترول في الشرق الأوسط قال « انه هو شخصيا (دالاس) يشارك الانجليز والفرنسيين شعورهم بأن ناصر يعتبر تهديدا خطيرا للغرب وان قصده من أزمة السويس هو أكثر من مجرد غرض قومي وانه يعتقد ان ناصر يستهدف جمع وتوحيد العالم العربي واذا أمكن العالم الاسلامي كله وازاء ذلك يستخدم بترول الشرق الأوسط وقناة السويس كسلاح ضد الغرب » وقال دالاس ان ساسة الغرب الذين اجتمع بهم في لندن يقولون عن عبد الناصر « انه رجل متوحش في يده فأس » ٠

ـ ومما يدل على اعتراف الولايات المتحدة لمصر بقدرتها على التحكم في مؤثرات النزاع :

في أول نوفمبر ١٩٥٦ تلقى عبد الناصر رسالة (٢) عن طريق كيرمت روزفلت رجـل المخابرات الأمريكية لعلى صـبري مدير مكتب عبد الناصر آنذاك يتمنى فيها الرئيس الأمريكي ان تبذل مصر أقصى مساعيها لاقناع السوريين بالمحافظة على سلامة خطوط أنابيب البترول ومحطات الضـخ الثلاثة الواقعة في الأراضي السـورية لأنه اذا تعرضت للتخريب ستترتب على ذلك مشـاكل كبيرة تؤثر على الغرب ٠ وعندما

---

(١) كتاب First Handbook لشيرمان آدامز مساعد الرئيس ايزنهاور فصل من السويس الى مشروع ايزنهاور ، ص ٢١ ٠

(٢) ص ٣١٤ من نفس الكتاب ٠

أرسل هذه الرسالة الى عبد الحميد السراج فى سوريا دون أى تعليق ·
ولكن السراج كان قد قام بنسف هذه الخطوط قبل أن تصل الرسالة اليه وكان عبد الناصر سعيدا بما حدث وبعث برسالة لعبد الحميد السراج فى كلمتين « سلمت يداك » ·

ـ أثبتت مصر انه بتمسكها بالحق والشرعية الدولية فى يدها أمكنها التغلب على التعصب الأمريكى لجانب المصالح الاسرائيلية ومحاولة فرض شروطها ·

ففى اجتماع الرئيس ايزنهاور مع مجلس الأمن القومى الأمريكى يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٦ حدد ايزنهاور سياسة الولايات المتحدة للعمل على خروج مصر من الأزمة دون ان تحقق أى فوز بأنه : ـ (١) لا ينبغى أن تترك القناة لمصر لتديرها (٢) ان اسرائيل لن تتنازل عن حقها فى المرور فى قناة السويس وخليج العقبة (٣) الا يمكن السماح لمصر بالعودة الى قطاع غزة بل يجب اقامة نوع من الوصاية الدولية من الأمم المتحدة على القطاع ·

ـ وأثبتت نتائج العدوان وتصفيته بفضل تشدد مصر فى مواقفها ورفع صوتها دوليا سواء فى هيئة الأمم أو فى وسائل دعايتها حتى فى الدول المعتدية ان جميع شروط الرئيس ايزنهاور المشار اليها لم يتحقق منها الا الحد الأدنى وهو السماح لاسرائيل بالمرور فى خليج العقبة فقط ووجود قوات الطوارىء فى قطاع غزة بشرط انسحابها فى أى وقت تطلبه مصر ·

ـ ومما يدل على فهم كل من الجانب الأمريكى والمصرى لأبعاد امكانيات حرية العمل لكل منها فى مجال الأخرى ان أمريكا عندما أرادت تهويش واخافة مصر باسلوب الانذارات والتهديدات لم تفلح هذه السياسة ولم تهتز مصر لهذه الانذارات أو التهديدات فقد طلبت الادارة الأمريكية من الدكتور محمود فوزى وزير خارجية مصر أثناء وجوده فى هيئة الأمم ان يقابل وزير الخارجية الأمريكية بالنيابة « هربرت هوفر » وبلغ مستر هوفر الدكتور فوزى باسلوب فيه كثير من التحدى ان حكومة الولايات المتحدة لديها تقارير تدعو الى القلق عن نشاط تخريبى تعد له مصر فى عدد من الأقطار العربية بينها الكويت ولبنان بجانب نشاط مصر التخريبى فى اسرائيل » ثم حول كلامه على شكل انذار انه « اذا لم يتوقف

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢١ ·
(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٢ ·
(٣) نفس المرجع السابق ص ٢٤ ·

عملاء مصر المتعصبون على الفور فان الأمل فى التفاهم بين الولايات المتحدة ومصر سوف ينتهى » ثم أردف ذلك فى صورة تهديد بأن قال « لابد ان تعلموا ان الولايات المتحدة لم تعد معتمدة على قناة السويس أو على خطوط الأنابيب لأنها اعتمدت على برنامج جديد بالشروع فى بناء ناقلات بترول عملاقة للدوران حول رأس الرجاء الصالح » · وعندما وصلت هذه المعلومات القاهرة تجاهلت الادارة المصرية هذه الانذارات والتهديدات والتلميحات لأن القاهرة كانت متأكدة انها مجرد تهويش وان اللعبة لا زالت فى يد مصر رغم كل ما أراد هوفر أن يهدد به وكانت النتيجة ان أمريكا اضطرت فى النهاية للضغط على دول العدوان وعلى اسرائيل لاتمام انسحابهم من الأراضى المصرية وقطاع غزة خاصة ان هوفر نفسه قال(١) فى أحد المؤتمرات السرية مع الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية فوستر دالاس وخبراء البترول فى لجنة فلمنج « ان ناصر يستطيع ايقاف تدفق البترول ولا يمكن لأى فرد أن يغفل ما يستطيع ناصر فعله فى خط الأنابيب الوحيد الباقى للعمل (خط التابلاين الآتى من السعودية) أن يبقى الموقف مضطربا غاية ما يستطيع » · وفى نفس الاجتماع سأل شيرمان آدمز « عما اذا كان من الممكن تنفيذ خطة البترول الأمريكية قبل انسحاب اسرائيل » وكان رد الخبير الأمريكى (راد فورد) عضو لجنة فلمنج « أننا نواجه احتمال تخريب خط أنابيب التابلاين واحتمال اضطرابات من مؤيدى عبد الناصر حول منشئات البترول المركزية فى السعودية فى الوقت الذى لم يكن فيه البترول الايرانى كافيا » · وجاء على لسان الرئيس ايزنهاور فى اجتماع ١٢ أغسطس مع كبار المسئولين عن السياسة الاستراتيجية والبترولية « ان هناك فى يد عبد الناصر احتمالات كثيرة بالنسبة للبترول واجراءات يحتفظ بها ناصر لنفسه لاستخدامها وقت اللزوم » وقد استخدمت مصر فى النهاية سياسة فرض الأمر الواقع بشجاعة بعد تقديرها الدقيق للموقف ومدى جدية وحقيقة التهديدات والضغوط الأمريكية المبالغ فيها على مصر وعلى مدى جدية الاشتراطات والمطالب الاسرائيلية المعتمدة على التأييد الأمريكى ·

— وفى آخر ديسمبر ١٩٥٦ قامت مصر بحركة سريعة بعد ان تأكدت من محاولة أمريكا فرض شروط اسرائيل على مصر نظير انسحابها وكان من أبرزها اعلان أمريكا بعدم الاعتراف بحق مصر فى العودة للسيطرة على قطاع غزة وقام همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة بتسليم وزير خارجية مصر على أثر تصرف مصر بنقل مكتب اتصال الأمم المتحدة من مطار

---

(١) كتاب Firs Handbook شيرمان ادمز (مساعد ايزنهاور) ص ٤١ ، ٤٢ و ص ٢٤ ·

أبو صوير الى العريش رسالة تفيد « ان سكان قطاع غزة لا يريدون عودة القوات المصرية الى هذا القطاع » وقام أهالى القطاع أثر ذلك بمظاهرات احتجاج صاخبة على رسالة السكرتير العام ومؤيده لعودة مصر لقطاع غزة ٠ وتحرشت قوات الأمم المتحدة بالأهالى المتظاهرين وسارعت مصر بالتصرف اللازم وذهب اللواء حسن عبد اللطيف وشغل مبنى الحاكم العام المصرى بغزة وتبع ذلك وصول قوات من الجيش المصرى الى غزة لحماية سكانها وأسقط فى يد الولايات المتحدة واسرائيل ازاء سياسة مصر فى فرض الأمر الواقع ٠

وظلت مصر مسيطرة ومحافظة على خط أنابيب التابلاين ولم تقم بتدميره وتتوقف عند سياستها المتوازنة وحتى تبقى الورقة الرابحة هذه فى قبضتها فى المحافل الدولية وتجاه أمريكا بالذات حتى لا تفقد أمريكا أعصابها نتيجة تدميره ٠ وكان ذلك سياسة متوازنة هى أولا وأخيرا فى صالح مصر وكذلك تحقق لأمريكا الحد الأدنى من المكاسب المقبولة ٠

وأخيرا ولأجل ختام الجزء من كفاح مصر الثورى يجدر أن نوضح أن المخاوف التى كانت تساور الغربيين فيما يتعلق باحتمال عجز المصريين عن ادارة قناة السويس لم يكن لها نصيب من الصحة اذ ارتفع مجموع حمولة السفن العابرة من ٣٩٣ ألف طن عام ١٩٥٧ الى ٥١٢ ألف عام ١٩٦١ وبلغت الايرادات السنوية ٣١ مليون استرلينى عام ١٩٥٥ بينما وصلت الى ٥١ مليون استرلينى عام ١٩٦٠ دون زيادة الرسوم بالاضافة الى التحسينات الضخمة فى القناة ٠

***

وفى الجزء الثانى لنا لقاء مع القارىء العزيز المسجل به دور ثورة ٢٣ يوليو البارز فى المنطقة العربية ودورها الحتمى مع حركات التحرير فى العالم الثالث ودخولها فى صراع مرير مع الاستعمار الجديد والقديم وأجهزته الخفية والعلنية حتى انتهى هذا الصراع بهزيمة سنة ١٩٦٧ والتى فرضت على عبد الناصر التحضير لجولة جديدة مع اسرائيل حتى وفاته حيث قام أنور السادات وبنفس أجهزة ثورة ٢٣ يوليو بتحقيق النصر على اسرائيل وتوقيع اتفاقية السلام معها ٠

الفهـــــرس

الموضـــوع	صفحة
وقائع وملابسات ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ (وتجـاوزاتها)	٣٣
(جـ) تجاوزات ممثلى الشعب من اعضاء البرلمـان .	٣٦
● بوادر تكوين المؤسسة الوطنية المصرية الجديدة . .	٣٩
مرحلة تكوين المؤسسة الوطنية بالجيش	٤٠
معاناة الشعب المصرى من حالة الحرب	٤٢
تحرك القـوى الوطنية المصرية	٤٣
المظـــاهرات	٤٤
عودة الى التنظيم الموسع للضباط الوطنيين . . .	٤٦
● حمـــلة فلســـطين	٤٩
فى أكتـوبر ١٩٥٠	٥٣
على الطريق الى مرحلة العمل الايجابى	
الدور الايجابى للمؤسسة الوطنية الجديدة . . .	٥٥
ازمة نادى ضباط الجيش (١٩ اكتوبر سنة ١٩٥١) .	٥٥
اجتماع الجمعية العمومية العدية لنـــادى (١) ضباط الجيش (٣١ ديسمبر ١٩٥١)	٥٦
المعنى الصريح لنتيجة الانتخابات الجديدة . . .	٥٨
الثورة على الأبـــواب	٥٩
مساهمة تنظيم الضباط السرى فى معارك المقاومة . .	٦٠
تصاعد العمل الفدائى فى منطقة القناة	٦٠
مذبحة الاسماعيلية	٦١
حريق القاهرة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢	٦١
اجتمع التنظيم السرى للضباط (مساء ٢٦ يناير ســـنة ١٩٥٢	٦٢
تدخـل الجيش	٦٣
نهاية الارهاصـــة	٦٣
اعفاء وزارة النحاس باشا (٢٧ يناير سنة ١٩٥٢) . .	٦٤
تأليف وزارة على ماهر (٢٧ يناير الى مارس سنة ١٩٥٢)	٦٤
استقالة على ماهر أول مرس ســنة ١٩٥٢	٦٥

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	الصفحة
توليد الكهرباء من خزان اسوان وصناعة السماد . .	١١٤
الغاء مجلس البلاط الملكى (٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢) .	١١٦
مرحلة التشريع للثورة	١١٦
ثورة ٢٣ يوليو والديمقراطية	١٢٠
اعــلان سقوط دستور ســـــنة ١٩٢٣ (١٠ ديســـمبر ســـنة ١٩٥٢)	١٢٠
فكرة حل دستور سنة ١٩٢٣	١٢٤
حــل الأحـــزاب الســـــياسية	١٢٦
العمل الجماهيرى انشاء هيئة التحرير	١٢٧
اتفاقية السودان بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير .	١٢٩
فكرة اشراك مصر فى منظمة الدفاع المشترك	١٣٠
الدور الأمريكى مع الثــورة	١٣٤
الخطــوات الايجابية للمطالبة بالجلاء	١٣٦
التآمر الانجــلو أمريكى	١٣٩
نشاط المخابرات البريطـانية	١٤٠
اعلان الجمهورية (١٨ يونيو سنة ١٩٥٣)	١٤١
عودة الي توقف المفاوضات	١٤١
تصاعد المقاومة فى القناة	١٤٢
عدوان اسرائيل على العوجة واحتلالها	١٤٣
تحركات مضادة للثورة	١٤٣
عودة الى شخصية محمد نجيب	١٤٤
التصدع داخل المؤسسة الوطنية	١٤٦
مقال مصطفى أمين بالأخبار يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ .	١٤٦
موقف الاخوان المســـلمون	١٤٧
عــودة الي الاخوان	١٤٨
الخـــلافات بين جانب من الضـــباط الأحرار ومجلس قيـــادة الثــورة	١٤٩
اعتقال ضباط المدفعية (١٥ يناير سنة ١٩٥٣) . . .	١٥٠
اعتصام ضباط المدفعية	١٥٠

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨٥٢/ ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 4059 — 7

هذا الكتاب...

الجزء الأول من كتاب «تأملات فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢»، كتاب قابل فيه مؤلفه صعوبة نفسية منذ بدايته حتى الانتهاء منه، وذلك بمحاولة التجرد من الانتماء، أو الميل، أو التحامل، وبخاصة أن هذه الثورة تنوعت المواقف منها بعد رحيل الزعامة وانحسار السلطة عن أعضائها، ومع ذلك أكد الكاتب أن ثورة ٢٣ يوليو كانت إمتدادا لثورة سنة ١٩١٩ والتى بدورها كانت إمتدادا للثورة العرابية، ويتناول الكتاب بالتفصيل ظروف إتفاقيتى السودان، والجلاء، ثم ملابسات تأميم القناة، وما تبع ذلك من عدوان ثلاثى على مصر، وقد أمكن لشعب مصر، وشعوب الأمة العربية ازالة آثار هذا العدوان بالكامل ونتج عن ذلك الجلاء الكامل عن مصر بما فيها سيناء.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تأملات فى ثورات مصر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تأملات
فى ثورات مصر

على ضوء قراءات تاريخية

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

تأليف

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الجزء الثانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

تأملات
في ثورات مصر

على ضوء قراءات تاريخية

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

•• تمهيـــد لازم

ـ المخطط الاستعمارى بعد الحرب العالمية الثانية ··

ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى امتـداد لكفـاح الشعب المصرى فى مواجهة الوجود الأجنبى بمختلف صـــوره الاستغلالية والذى كان مدعما باستغلال الأقلية الحاكمة من خديويين وملوك ونظار (وزراء) ··

وقد بدأت أسباب ومراحل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ فى التكوين والتبلور منذ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية والتى بانتهاء هذه الحرب ـ سبتمبر ١٩٤٥ ـ لم يكن بالساحة الدولية الا الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السـوفييتى كقوتين عظميين وحيدتين متطلعتين لوراثة مسـتعمرات الامبراطوريتين الاستعماريتين القديمتين انجلترا وفرنسا فى آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط ، وكانت الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب تحمل معها عنصر التفوق على الاتحاد السوفيتى باحتكارها لأسرار صناعة القنابل الذرية والتى جربتها فى آخر مراحل الحرب ضد اليابان ، وبهذا التفوق أخذت أمريكا فى تنفيذ مخططها للانفراد بوراثة الاستعمارين البريطانى والفرنسى فى العـالم وفى الشرق الأوسـط على مرأى من القـوة العظمى الأخرى مستخدمة قوة رأسمالها واقتصادها بالتلويح بهما على شكل معونات وقروض كانتا ضروريتين لشعوب هذه المستعمرات بعد استقلالها لتحقيق مشاريعها التنموية التى تطلعت اليها بعد طول امتصاص الاستعمار القديم لثرواتها وانتاجها ، واشترط المخطط الأمريكى عند اعطاء هذه المعونات والقروض لهذه الدول أن تنضم الى أحلاف عسكرية غربية تسيطر عليها أمريكا للتكتل ضد الاتحاد السوفييتى واحتوائه Policy of Containment وبذلك يتحقق لأمريكا السيطرة الكاملة على مقدرات هـذه المستعمرات السابقة وتضعها بذلك داخل قالب استعمارى من نوع جديد يفرض على هذه البلاد البقاء فى مجال التبعية الأبدية والتى تمارسها أمريكا بشكل

بى وظاهريا شرعى لأنه مفروض بارادة هذه الشعوب الصاغرة بحكم الضرورة وليس بأسلوب القهر الاستعمارى القديم ٠

ولم تقف القوة العظمى « روسيا » مكتوفة اليدين أمام هذا المخطط الأمريكى . ولذلك فقد أخذت روسيا هى الأخرى تنادى بقضية التحرر الوطنى والتى تستهوى شعوب العالم الثالث وتلوح بمساعداتها الايجابية فى هذا المجال لتحقيق الحرية والاستقلال المنزه من التبعية لشعوب هذه المستعمرات . وبدأ الاتحاد السوفييتى فى مساعدة ومعاونة المؤسسات الوطنية فى هذه المستعمرات لأجل هذا التحرر ٠

ـ منطقة الشرق الأوسط :

٠٠ وكانت منطقة الشرق الأوسط ـ ومعظم شعوبها من الأمة العربية ـ فى مقدمة المناطق التى تطلعت الى هذا التحرر بعد الحرب ، فى الوقت الذى كانت باطن أرضها فى معظم هذه البلاد قد عرف أنها تحوى ثروات طائلة من البترول تقدر بنحو ٦٠٪ من البترول العالمى ٠٠

هذه المنطقة العربية ـ ومن ضمنها مصر ـ أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية مجال المنافسة بين الدولتين العظميين ، وأخذت بعض المؤسسات الوطنية فى بعض هذه البلاد تقاوم بشكل أو بآخر المخطط الأمريكى الذى يخطط ليعيد هذه البلاد الى عجلة الاستعمار فى شكله الجديد وبخاصة بعد أن يتحقق استقلالها ٠

وقد قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى هذا الوقت ، ووجدت نفسها فجأة سابحة وسط هذه الأمواج المتلاطمة ، فكانت خطوتها الأولى هى محاولة استغلال الموقف لصالحها بتحقيق جلاء الاحتلال البريطانى بكفاحها الذاتى وفى نفس الوقت بمساعدة الولايات المتحدة ـ الوارثة الجديدة للاستعمار القديم ـ ، وتمكنت مصر فى ١٩/١٠/١٩٥٤ من ابرام اتفاقية الجلاء البريطانى عن أرض مصر ، فتحققت أهم أهداف الثورة بازاحة الملك ثم بالاستقلال الكامل ٠

ولكن سرعان ما عادت مصر الى المعاناة من العدوان الثلاثى من انجلترا وفرنسا واسرائيل فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، واستأنف الشعب المصرى ثورته فى شكل كفاح مسلح لتحقيق التحرر والاستقلال ، وقام الشعب المصرى وشاركته شعوب الأمة العربية فى مقاومة هذا العدوان حتى تم جلاء المعتدين عن مصر وسيناء يوم ٧ مارس ١٩٥٧ ، وبذلك أصبحت مصر وللمرة الثانية مستقلة تماما وغير خاضعة لأى نوع من أنواع أو درجات التبعية ٠

وبعد الانتهاء من هذا التمهيد اللازم للجزء الثانى من هذا الكتاب وجدت من اللازم تسجيل حدث هام أسقط عن غير عمد فى الجزء الأول ألا وهو حادث مؤامرة جماعة الاخوان المسلمين (١) لمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ فى ميدان المنشية بالاسكندرية وكانت ملابساته ونتائجه أنه عقب ابرام واعلان اتفاقية الجلاء والتى أبرمها عن الجانب المصرى جمال عبد الناصر تناولها جانب من الرأى العام المصرى وبخاصة من جماعة الاخوان المسلمين بالنقد ووصموها بالقصور عن تحقيق الجلاء الكامل والدائم حيث جاء فى أحد مواد هذه الاتفاقية « أن تبقى أجزاء من القاعدة العسكرية البريطانية فى منطقة القناة وفى حالة صالحة للاستعمال والاستخدام فى حالة وقوع هجوم مسلح من الخارج على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا وكذلك فى حالة حدوث أى تهديد بهجوم مسلح من الخارج ، وتزعم التيار المعارض للاتفاقية عناصر بارزة من الاخوان المسلمين وقاموا باثارة الرأى العام وبخاصة فى الجامعات وبين الطلاب يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٤ وبعد التوقيع بالحروف الأولى على الاتفاقية يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ وتصدى لهم البوليس وحدثت مصادمات أصيب فيها أحد ضباط البوليس وتصاعد الخلاف الى أن جاء يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ حين دوت فى ميدان المنشية عدة رصاصات كانت موجهة الى جمال عبد الناصر عند بدء خطابه للمواطنين فى الاسكندرية فى حفل أقيم هناك بمناسبة اتفاق الجلاء ولكن الرصاصات أخطأت جمال عبد الناصر وارتج السرادق واستمر جمال عبد الناصر فى خطابه فى انفعال وحماس حيث قال « ان حياتى فداء لكم ودمى فداء لمصر » وعقب هذا الحادث تم اعتقال الكثير من أعضاء جماعة الاخوان وانتهت بمحاكمتهم وصدر الحكم باعدام ستة نفذ فى خمسة منهم وخفف الحكم عن السادس الى الأشغال الشاقة المؤبدة وهو الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان والمستشار سابق بالنقض وتضاربت بعد ذلك الاشاعات والتى من ضمنها أن هذا الحادث كان مدبرا من جمال عبد الناصر ليتمكن من الخلاص نهائيا من هذه الجماعة ، رغم أنه كانت هناك محاكمة حيث قبض على الجانى وتم الحصول على جسم الجريمة (المسدس) .

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى . ص ٢١٩ ، ١٥٤ الى ١٥٩ .

ـ مشروع أيزنهاور (١) ••

تعجلت أمريكا قبل أن يتم جـلاء المعتدين عن أرض مصر ١٩٥٦ وطلبت الثمن من مصر عن موقفها • ضد العدوان الثلاثى لصـالح مصر فنادت بمشروع ايزنهاور الذى يحقق الهيمنة الأمريكية الكاملة على البلدان العربية فى الشرق الأوسط وكان المشروع مغلفا بالمعونات الاقتصـادية والعسكرية ومقيدا لحرية من ينضم لهذا المشروع من الدول العربية ويحقق الانحياز الكامل للولايات المتحدة والدفاع فقط ضد أى خطر شيوعى يهدد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ومتجاهلا التهديد الاسرائيلى للدول العربية ورفضته مصر •

ـ مصر تبدأ مرحلة جديدة بعد العدوان ••

بانتهاء حرب السويس ، هبت رياح التغيير الجديدة (٢) على العالم ، فبدأت مرحلة أخرى بما تحويه من تغييرات خاصة بعد أن امتلكت عدة دول تكنولوجيا صناعة القنبلة الذرية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى بعد أن كانت الولايات المتحدة تحتكرها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد أن تسبب هذا العدوان فى تصفية تركة الامبراطوريتين القديمتين انجلترا وفرنسا بتأثير الموقف الأمريكى ضد العدوان الثلاثى وتسلمت الولايات المتحدة هذه التركة بالكامل فى منطقة الشرق الأوسـط بما تشمله من مصالح بترولية وبعد أن تصرفت متحررة من قيود مراسم التحالف القديم وخرجت مصر من هذا العدوان كاملة الاستقلال ولم تفقد ارادتها وحافظت على سيادتها وملكيتها الشرعية لقناة السويس وكان ذلك بفضل صمود شعبها وتحقق جلاء جميع جيوش العدوان ، ومن أسباب هذا النصر بالاضافة الى صمود الشعب هو حسن ادارة مصر للمعركة سياسيا واقتصـاديا ودوليا والموقف الأمريكى ضد العدوان بالاضـافة الى الانذار الروسى وبفضـل تأييد العـالم العربى (٣) وتأييد الرأى العام فى دول العـالم الثالث • وتأييد الرأى العام العالمى سياسيا فى المنظمات الدولية •

ورغم مظاهر الاستقرار التى سادت فى مصر بعد العدوان الثلاثى ، الا أن مصر كانت على ثقة من أن هناك أحقادا خفية فى نفوس قادة دول

---

(١) الجزء الأول من الكتاب ص ٢٧٢ •

(٢) كتاب First handbook (شيرمان آدمز) على لسان ماكميلان خليفة ايدن •

(٣) حديث عبد الناصر مع صاحب جريدة الديار اللبنانية فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ •

العدوان وعلى رأسها اسرائيل بعد أن خرجوا من مصر صاغرين مما جعل « مستر ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا يصرح بعد العدوان بقوله : « ان التاريخ سيظهر فى أحد الأيام أن بريطانيا كانت على حق فى غزوها لقناة السويس ولكن الأضرار الاقتصادية الفادحة نتيجة قفل القناة هى التى غيرت الموقف » (١) ·

ورغم كل ما أثير حول مدى جدية الانذار الروسى فى الوقت الذى تعددت فيه المراكز النووية بين موسكو ولندن وباريس وبكين ودلهى ، فان مواقف الأطراف الدولية (٢) أثبتت لمصر ولغيرها من باقى دول العالم الثالث أن الحرب العالمية أصبحت مستحيلة بين الكبار ، وأن الكبار سيلعبون فى المستقبل فى ملعب الحروب المحدودة بالأسلحة التقليدية بين الدول الصغيرة تنفيسا وتحقيقا لأطماعهم فيها ·

وتأكدت مصر أن الدول الكبرى سوف لا تحارب بعضها من أجل الدول الصغرى بأى حال من الأحوال ·

وحيث ان حرب السويس من بدايتها حتى نهايتها كانت نتيجة لتمسك مصر بضرورة تنفيذ مشروع السد العالى رمزا للتنمية الضرورية لتقدم مصر ، فقد خرج شعب مصر من تجربة العدوان بالاصرار والتمسك بضرورة تنفيذ هذا المشروع وباقى مشاريع التنمية الضرورية للتغلب على دقة موقف مصر الاقتصادى والذى جعل شعب مصر يتطلع الى المشاريع العملاقة لتحقيق هذه التنمية الضرورية لتحقيق الاستقلال الاقتصادى فى نفس الوقت الذى كانت فيه هذه المشروعات فى شدة الحاجة الى التمويل عن طريق القروض الأجنبية لتحقيق أهداف التنمية وما فى ذلك من مخاطر العودة للخضوع لأشكال التبعية الجديدة مرة أخرى ، وجاءت مطالب مشروع أيزنهاور تلويحا جديدا لمصر تدعوها للخضوع لسيطرة الولايات المتحدة ورفضت مصر الانضمام اليه ، ومن هنا بدأت مصر تشعر بخطورة التحديات التى تنتظرها نتيجة تمسكها بمبادىء الحرية والاستقلال الكامل المنزه من أى لون من ألوان التبعية بعد خروجها مستقلة تماما منتصرة من معركة السويس ١٩٥٦/١٩٥٧ واستعدت مصر لخوض معركة هذه التحديات والتى كانت تتمثل فى الآتى : —

---

(١) كتاب First handbook لشيرمان آدمز Shirman Adams مساعد ايزنهاور ، ص ٦٠ ·

(٢) حديث عبد الناصر لجريدة الديار اللبنانية ، ٢٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ ·

أولا : الولايات المتحدة وجانب كبير من الدول الغربية :

بعد الدور الذى لعبته الولايات المتحدة فى العالم أثنـــاء العدوان الثلاثى (١) وسيطرتها على مناطق منابع البترول فى الشرق الأوسط والتى أصبحت تملكها الرأسمالية الأمريكية وتديرها الرأسمالية الغربية وبخاصة فى معظم الأراضى العربية وأصبحت بذلك هى القوة المسئولة عن تأمين وحماية مصالح الغرب فى المنطقة وخاصة بعد أن حقق الدور الذى لعبته أمريكا فى هــذا النزاع بانهــاء آخر مظاهر الامبراطوريتين الفرنســية والبريطانية القديمتين ، ورغم مساندة الولايات المتحدة لمصر قبل وأثناء العدوان الثلاثى الى أن خرجت سليمة ومنتصرة لأسباب بالمقام الأول لصالح أمريكا ، فقد كانت أمريكا لا تحمل أى ود أو تأييد لمصر (٢) بل تحمل كرها واضحا لأسباب منها موقف مصر من الأحلاف العسكرية الغربية ولرفضها عقد صلح مع اسرائيل بوساطة أمريكا ، ولصفقة الأسلحة المصرية الروسية ، ولرفض مصر معونة السد العالى المشروطة أمريكيا ، وأخيرا لتأميم مصر لقناة السويس ، ثم أخيرا لرفض مصر الموافقة على مشروع ايزنهاور ، ومع ذلك فان مصر لم تكن تجهل أو تتجاهل (٣) هذا الشعور

---

(١) الملف J.E. من ملفات وزارة الخارجية البريطانية (حلقة رقم ٣ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل أهرام ١٩٨٨/١٠/١٠) ، وجاء بهذه الوثيقة قول دالاس للصحفى الأمريكى جيمس روستون : أن عبد الناصر وطنى طائش ·· وأنا أكرهه ولكن الأفضل أن يتصدى له جيرانه السعوديون والايرانيون والعراق والأردن والعرب » . ويقول دالاس أيضا : « أن الولايات المتحدة تريد أن تكسر عبد الناصر تماما كما تريد فرنسا وانجلترا » ، وجاء أيضا فى احدى وثائق هذا الملف : « أن الولايات المتحدة بعد وقف القتال جربت أن تفرض لانجلترا وفرنسا دورا فى تطهير قناة السويس وفى ادارتها مستقبلا ولكن مصر كانت منتبهة تماما ، وقال دالاس ايضا : « ان رد فعلنــا تجــاه غزو مصر لم يكن راجعا الى أى حب للمصريين » ، وفى احدى الوثائق أيضا جاء : « وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ بعد ظهور ضغط الدول الأفروآسيوية فى الأمم المتحدة بضرورة انسحاب اسرائيل أرسل الرئيس ايزنهاور مندوبه جاكوب جافيتش برسالة الى بن جوريون » ، أن الرئيس ايزنهاور لا يتعجل انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى سيناء وقطاع غزة والعودة الى ما وراء حدودها ·

(٢) نفس المصدر السابق ·

(٣) حديث عبد الناصر مع مراسل مجلة لوك الأمريكية ١٤ يونية ١٩٥٧ ، مجموعة مصلحة الاستعلامات القسم الأول ص ٦٥٥ ·

الأمريكي المعادي لدرجة تمنيها الهزيمة لمصر بشرط الا يظهر (١) أي دور صريح (٢) لأمريكا ٠

في نفس الوقت كانت مصر على وعي كامل باخطار قبول مشروع ايزنهاور بما كان يمثله من خيوط وقيود وشروط المقصود بها اعادة مصر مكتوفة اليدين (٣) داخل دوائر التبعية ، وكانت الولايات المتحدة تخطط وتدبر الخطط الخفية والعلنية لتقليص مكانة مصر في البلاد العربية والشرق الأوسط بعد أن تولى أمريكا اليأس من امكان اخضاع مصر لسياستها ، وبادرت الولايات المتحدة لذلك بالتركيز على محاولات افساد علاقة مصر بالبلاد العربية البترولية ، ومن جانب آخر كانت أمريكا تنظر بقلق الى تأثير المؤسسة الوطنية المصرية على شعوب باقي الدول العربية التي أصبحت تنظر لهذه المؤسسة بتقدير يدعو للتجاوب مع كل ما تخطوه مصر من خطوات وطنية مرتبطة بالمصالح القومية ، ولذلك كانت أمريكا تخطط لاحداث بعض الانقلابات في البلاد العربية التي تؤيد حكوماتها سياسة مصر التحررية مثل سوريا ٠ ومصر كانت على يقين من أن الموقف الأمريكي سيكون في مستقبل الأيام دائما منحازا ومساندا لاسرائيل (٤) في جميع الظروف سلما أو حربا حتى ولو انضمت مصر الى مشاريع أمريكا الدفاعية ، وذلك نظرا للعلاقات الأمريكية المتعاطفة مع اسرائيل ونظرا للنفوذ اليهودي الصهيوني في الاعلام ودوائر المال الأمريكية بالاضافة الى التعهدات الرسمية الأمريكية وآخرها تعهد ايزنهاور بضمان أمن اسرائيل ٠

وكانت مصر لا تعتمد اطلاقا على أمريكا بأي قدر في حالة ما اذا كان الخلاف عربيا/اسرائيليا وبخاصة اذا كان خلافا مصريا/اسرائيليا ويطابق

---

(١) برقية الاميرال براون قائد الأسطول السادس الأمريكي الى الفرنسيين والانجليز يبارك فيها نجاحهما في عملياتهما في البحر في العدوان على مصر ـ كتاب « فخ السويس » (لهنري آزو) ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ٠

(٢) تعهد دالاس للمعتمدين بأن يغمض يغمض عينيه على ترتيبات العدوان ـ كتاب « فخ السويس » (لهنري آزو) في ١٨٦ ، ٣٨٨ ٠

(٣) حديث عبد الناصر لمراسل مجلة لوك الأمريكية في ١٤ يونية ١٩٥٧ (مجموعة خطب وأحاديث عبد الناصر ـ اصدار مصلحة الاستعلامات قسم أول ص ٩٩١ ، ٩٩٢)٠

(٤) حديث عبد الناصر مع مجلة لوك الأمريكية في ١٤ يونية ٥٧ (مجموعة خطب وأحاديث عبد الناصر تجميع الاستعلامات القسم الأول ص ٦٥٧ ٠

هذا الموقف موقف باقى الدول الغربية مع التفاوت النسبى فى حماسها لاسرائيل نظرا لعلاقاتها الاقتصادية مع العرب .

ومنـذ أوائل عام ١٩٥٧ ، ركزت الدعاية الأمريكية (١) والغربية ـ العلنية والسرية ـ حملة موجهة الى مصر بهدف زرع الشك فى نفس الشعب المصرى وشعوب الأمة العربية من اتجاهات النظام المصرى ، فركزت هذه الدعاية المضادة بوصف تصرفات حكومة مصر بالأسـلوب الشيوعى مستغلين المعونات السوفيتية لمصر فى كل المجالات ، ووصف سياسـة الحكومة المصرية بأنها مخططة لانشاء امبراطورية فرعونية طمعا فى ثروات البلاد العربية البترولية وغيرها ، وبهذا الوصف الفرعونى الشيوعى أخذوا يحذرون العالم العربى من اتجاهات السياسة المصرية الالحادية وبعدهـا عن الدين وأخطر هذه الدعايات هو ما كان لمحاولة ضرب الوحدة الوطنية بالتحريض على الخلاف بين الأقباط والمسلمين .

ولما سايرت سوريا مصر فى رفض مشروع ايزنهـاور والذى كان الغرض الأساسى منه هو اغراء كل الدول العربية للاشتراك فيه وبذلك يمكن استقطاب العالم العربى كله ويتركون مصر منعزلة وحدها ، وكانت مصر وقتها ومعها سوريا تهاجمان مشروع ايزنهاور باعتبار أنه لم يكن يخرج عن مشروع الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط والذى سبق ورفضته مصر عام ١٩٥١ وعلى أنه يعتبر مشروعا استعماريا مكملا لفكرة حلف بغداد والذى سبق ورفضته أيضا مصر وسوريا وبذلك اتخذت أمريكا موقفـا دعائيا معـاديا لكليهما وكان مخططا مدروسا (٢) ومعدا بدقة لممارسـة الضغط عليهما وركزت أمريكا دعايتها السوداء منذ منتصف عام ١٩٥٧ حتى نهاية نفس العام على تخويف ملوك ورؤساء العرب من الخطر الشيوعى الذى انتشر فى سوريا وأنه أصبح محدقا بملوك ورؤساء باقى الدول العربية وأن مشروع ايزنهـاور كفيل بالوقوف فى وجـه هـذا الخطر الشيوعى ، وفى مجال اغراء الدول العربية الموالية للغرب للاستفادة من مشروع ايزنهـاور بادرت أمريكا بتزويد بعض الدول العربيـة ببعض الأسلحة ونقلتها بالطائرات بحجة أن الحالة عاجلة وخطيرة تستدعى سرعة هذا النقل لأن النقل بالسفن بطىء علما بأن هذا السلاح الذى نقل جويا لم يكن هو السلاح الذى يصلح للمعارك الحربية فكان عبارة عن بعض

---

(١) محضر مجلس الوزراء المصرى فى ٥ فبراير ١٩٥٧ (أهرام ٥ فبراير ١٩٥٧) .

(٢) حديث الرئيس عبد الناصر مع الأستاذ حسنين هيكل يوم ٨ سبتمبر ١٩٥٧ (من مجموعة خطب واحاديث الرئيس عبد الناصر ـ اعداد مصلحة الاستعلامات ـ القسم الأول ص ٧٢٠ ـ ٧٢٥ .

السيارات والمعدات اللاسلكية وجانب من الأسلحة الصغيرة ولا يصلح بأى حال للاستخدام ضد اسرائيل وفقط يصلح لمواجهة الجبهات الداخلية فى البلاد العربية المرسل اليها هذا السلاح ، ولكن كان الغرض الحقيقى من هذا المخطط المدعم لفكرة مشروع ايزنهاور هو كسر شوكة القومية العربية التى أخذت تنمو وتهدد أمن اسرائيل وفى نفس الوقت تهدد السياسة والمصالح الأمريكية والغربية فى منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وفى البلاد العربية بصفة خاصة • وبجانب هذه الدعاية السوداء كان الغرب وأمريكا يعتبران أن اسرائيل تمثل العصا الغليظة التى يمكن التلويح بها للدول العربية فى حالة ظهور أى نسبة من التفوق العسكرى العربى على اسرائيل وبخاصة بعد الدور العسكرى الاسرائيلى الذى فاجأت به اسرائيل العالم فيما كان يبين دائما التفوق على العسكرية العربية مجتمعة فى أثناء العدوان الثلاثى ، وعموما فان مشروع ايزنهاور كان هدفه الرئيسى بعد أن رفضته مصر وسوريا هو استقطاب البلدان العربية داخل هذا المشروع بغرض عزل مصر عن العالم العربى لأن مصر كانت تحقق قوتها عن طريق تأييد شعوب العالم العربى لسياستها التحررية •

وفى آخر عام ١٩٥٧ كانت الولايات المتحدة تتبرم من سياسة مصر المعاندة لسياسة أمريكا التى سبق وأيدت مصر فى معركة السويس ولم تقبض ثمن ذلك وأخذت أمريكا تعد للتحرش بمصر لاتخاذها موقفا فيه تحريض لشعوب الدول العربية ضدها •

ثانيا : اسرائيـــل :

كانت الضربة الخاطفة التى وجهتها اسرائيل لمصر فى العدوان الثلاثى وما أحدثته من انهيار عسكرى كامل لمصر بمثابة تفوق شامل ليس على مصر فقط بل على العسكرية العربية بأكملها صورته اسرائيل وحليفتها أمريكا للعالم أن اسرائيل هى القوة الجديرة بالاحترام والتقدير وأن العرب أقزام يحق ازدراؤهم ـ وأيقنت اسرائيل بأهمية الطيران كما تيقنت بعد انسحابها مع فرنسا وانجلترا من سيناء بفضل الضغط الأمريكى بأن الشرق الأوسط بما فيه اسرائيل ودول عربية أصبح تحت السيطرة الأمريكية بعد نجاح سياستهـا الأخيرة من تقليص دور دولتى العدوان انجلترا وفرنســا فى المنطقة بل القضاء عليه لصالح أمريكا ولانتهازية اسرائيل سياسيا فقد بادرت منذ نهــاية نتائج العدوان الثلاثى بالقاء كل ثقلها على الولايات المتحدة وأخذت تخطط للاعتماد عليها كلية فى كل شىء وبخاصة انها كانت تحظى بتأييدها التاريخى منذ اعلان تكوين دولة اسرائيل •

وفى نفس الوقت أدركت مصر أبعاد هذه الأدوار الأمريكية والغربية والاسرائيلية على ضوء هذه التغيرات التى حدثت فى مراكز القوى الدولية كما تأكدت مصر من أبعاد الدور الأمريكى فى مستقبل الأيام وبخاصة بعد أن لوحت أمريكا بمشروع ايزنهاور لمصر وللدول العربية ، وظهرت لمصر الصورة واضحة بأن أمريكا سوف تعتبر اسرائيل بمثابة العصا الغليظة التى تستخدمها فى ردع العرب دفاعا عن مصالحها البترولية العملاقة فى منطقة الشرق الأوسط وباقى مصالحها الرأسمالية وبدأت أمريكا بعض المحاولات مع مصر بعروضها التى قد تؤدى الى عقد صلح منفرد بين مصر واسرائيل ولصالح أبدية البقاء لدولة اسرائيل داخل جسم الأمة العربية مجال استغلال أمريكا البترولى ــ وكانت مصر تدرك أنه بعنادها فى عدم الخضوع للمخطط الأمريكى ستعطى الفرصة (١) لاسرائيل لمزيد من القوة العسكرية تحصل عليها من أمريكا وبخاصـــة فى مجال القوات الجوية والأبحاث الذرية ــ وهذا ما جعل مصر تتجه لمزيد من الاعتماد على دول الكتلة الشرقية وعلى الصين الشعبية .

ثالثا : الاتحاد السوفيتى وبلاد الكتلة الشرقية :

بدأ الاتحاد السوفييتى فى الاهتمام بثورة ٢٣ يوليو فى مصر عندما ظهر له جدية مصر فى محاربة حلف بغداد والتصدى له فى المنطقة العربية على أساس انها معركة ضد الاستعمار والتى هى معركته مع الغرب ثم تحول هذا الاهتمام الى عمل ايجابى بقرار تزويد مصر بالسلاح وكان قمة التأييد لدور مصر التحررى هو الانذار الروسى الذى وجهته روسيا الى دول العدوان الثلاثى ، ثم تأكد الاتحاد السوفييتى من دور مصر القيادى فى تبنى مصر لحركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث بصفة عامة ــ وهى مجال منافسته لأمريكا والغرب فى سياسة الهيمنة على العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وبنفس القدر من التقدير نظر الاتحاد السوفيتى باحترام لقدرة مصر على معارضة ومحاربة مشروع ايزنهاور فى المنطقة العربيـــة وتحريكها للشارع العربى بعد طول معاناته من الاستعمار القديم فى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة تقوم بنشر دعايتها السافرة ضد الخطر السوفيتى عقب اعلان مشروع ايزنهاور وكانت هذه الدعاية تستخدم كل وسائلها فى تخويف الشعوب العربية وشعوب الشرق الأوسط من تورط مصر مع سياسة بلاد الكتلة الشرقية الشيوعية ــ ومنذ منتصف عام ١٩٥٧

---

(١) حديث عبد الناصر مع الصحفى الانجليزى ديزمونت ستيوارت أول أبريل ١٩٥٧ (مجموعة خطب وأحاديث الرئيس عبد الناصر ــ تجميع الاستعلامات ص ٦٥٣) .

بدأت روسيا ترسم سياستها المخططة فى تعاملها مع مصر ـ ومصر هى الأخرى أحسنت استخدام هذا التقارب الذى فرض نفسه وأخذت بالتخطيط للحصول على مزيد من المعونات المدنيـة والفنية اللازمة للتنمية وبنفس القدر من المعونات العسكرية الضرورية للحفاظ على توازنها العسكرى مع عدوتها وعدوة العرب التقليدية اسرائيل ، وبخاصة بعد أن فقدت مصر الأمل فى أى تقارب ايجابى مع الولايات المتحدة وبعد أن شعرت بخطورة التقارب الأمريكى الاسرائيلى والتلويح بامكان استخدام اسرائيل فى تأديب مصر لجحودها وعدم وفائها بجميل مساندة أمريكا فى محنتها فى العدوان الثلاثى وقبل ذلك فى عملية جلاء بريطانيا عن مصر . وفى العلاقات المتبادلة بين مصر وبلاد الكتلة الشيوعية حققت مصر لها مبررات تواجد هذه البلاد وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى فى منطقة الشرق الأوسط وكانت المعونات السوفيتية فى هـذا الوقت منزهـة عن تحقيق أى مطامع فكانت ظاهرة شجعت باقى الدول العربية على تقليدها وبالتالى شعوب العـالم الثالث وبذلك كانت مصر تقدم للاتحاد السوفييتى خدمة لا تقدر بأى قيمة فى الوقت الذى كانت فيه أمريكا والدول الغربية غريمة الاتحاد السوفييتى تبذل الجهود الباهظة الثمن لاحكام الحصار العسـكرى بالأحلاف الغربية وبسياسة الاحتواء حول الاتحاد السوفييتى والكتلة الشيوعية وبخاصـة فى منطقة الشرق الأوسط وبفضل مصر أمكن الاتحاد السوفيتى أن يحقق حلمه التاريخى فى الوصول الى المياه الدافئة وبالوصول الى دول العـالم الثالث وبرضاها ـ وأصبح الوجود الروسى فى الشرق الأوسط قوة معادية جديدة لسياسة الأحلاف العسكرية الغربية بجانب تيار القومية العربية التى أحسنت مصر استخدامه لصالح الشعوب العربية ولكنه فى نفس الوقت كان لغير صالح أمريكا والغرب وبالذات عندما كان يلوح بامكان استخدام بترول العرب لصالح الرخاء العربى بالمقام الأول .

ولكل ما سبق أخذت مجالات التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى فى التشعب والاتساع بصرف النظر عن موقف النظام فى مصر من العقيدة الشيوعية بدليل أن نيكيتا خروشوف الزعيم الروسى يقف فى اجتماع علنى وعام (١) فى موسكو ويقول : « ان جمال عبد الناصر ليس شيوعيا ولكننا نتعاون معه لأنه زعيم وطنى يقاوم الاستعمار بكل أشكاله » .

وفى الوقت نفسه كانت أمريكا والغرب متأكدان تماما أن عبد الناصر والحكم فى مصر أبعد ما يكونان عن العقيدة الشيوعية (٢) ، بدليل الوثيقة

---

(١) من خطاب الزعيم الروسى خروشوف يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٧ .

(٢) عدد جريدة الأهرام ١٩٨٨/١٠/٣١ من وثائق كتب سنوات الغليان للأستاذ محمد حسنين هيكل .

البريطانية رقم ١٠٢٤/١٥ الصادرة عن أحد كبار خبراء وزارة الخارجية البريطانية والتى تقول فيها : « اننى لا أرى بموجب كل ما لدينا من معلومات بأن هناك دليلا يؤيد تغلغل الاتحاد السوفيتى فى الحياة الاقتصادية فى مصر » .

وكانت مصر تقدر تماما المدى الذى لا يصح أن تتعداه فى علاقاتها فى شتى المجالات مع الاتحاد السوفييتى حتى لا تفاجأ تحت أى ظرف بأن تجد نفسها معرضة للخضوع لأى شروط تعيدها الى حالة التبعية السابق تعرضها لها تحت وطأة الاستعمار البريطانى السابق تخلصها منه نهائيا .

رابعا : شعوب الأمة العربية :

منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو وقفت شعوب بلاد الأمة العربية مبهورة بالخطوات المتتالية والسريعة التى كانت تتخذها الثورة المصرية ونجاحاتها المتتابعة فى أمور طالما انتظرتها هذه الشعوب طويلا وهى تحت وطأة القهر والظلم الاستعمارى واستخفاف الحكام ، وكان قمة هذه النجاحات هو خروج مصر منتصرة ومحققة كل أهدافها بعد العدوان الثلاثى ، حيث ان شعوب الأمة العربية وحكامها ـ حتى من كانوا من الضالعين مع السياسة الغربية المعادية للتحرر العربى ، هذه البلاد العربية قامت جميعها بمساندة ومعاونة مصر ايجابيا وماديا وسياسيا وبأسلوب غير محدود مما أكد على ميلاد موقف عربى موحد وقادر على فرض وجوده .

واعتبر هذا نواة لظاهرة قومية كانت ملموسة وموجودة دون أبعاد محددة أو شكل واضح ، وكانت مصر مقدرة تماما لأهمية وحيوية وفعالية هذه الظاهرة وأن مصر بقوة ، ما دامت تخاطب وتتصرف مع القوى الكبرى وهى مستندة على سرعة وقوة تفاعل الشارع العربى معها وقدرته على الضغط بامكانات مادية وشعبية بما تحمله من ثروات بترولية وعقيدة تؤكد (١) على امكان تقدمها والاستفادة من تعاليم هذه العقيدة الروحية المتميزة مع امكانات اقتصادية بترولية غير محدودة ، ولكل هذا فان مصر بعد العدوان أصبحت حريصة على توثيق علاقاتها العربية سواء على مستوى الحكومات والحكام العرب أو على مستوى الشعوب والتنظيمات الشعبية الوطنية وكانت مصر فى نفس الوقت على حذر من مخططات أعداء الأمة العربية والتى كانت تخطط وتعمل مستميتة على احداث الفرقة والتحريض على

---

(١) حديث الرئيس جمال عبد الناصر مع ديزمونت ستيوارت فى أول أبريل ١٩٥٧ (مجموعة خطب عبد الناصر مصلحة الاستعلامات ص ٦٥٤) .

التنافس بين الحكام العرب ونظام الحكم فى مصر (١) ، ورغم ما كانت تحاوله الدعايات الأمريكية والغربية من تخويف حكام بعض الدول العربية من خطورة مصر على أساس تقاربها من الكتلة الشرقية واحتمال تأثرها بالشيوعية ، بالاضافة الى تأكيدها أن مصر طامعة فى ثروات العرب وتعمل على تكوين امبراطورية مصرية فرعونية ، علما بأن واقع الأمة العربية حتى هذا الوقت كان بعيـــدا كل البعد عن التأثر بذلك لأن المجتمع العربى بطبيعته وطبيعة عقائده الدينية كان مجتمعا تقليديا محافظا ومحصنا ضد العقيدة الشيوعية وحتى القطاع العمالى فى دول العالم العربى كان قليل المعرفة بالاتحاد السوفييتى وعقيدته الشيوعية بل كان يرفضها بصفة عامة لتشبعه واقتناعه بآراء رجال دينيه الاســلامى والمسيحى المعـادين بطبيعتهما للشيوعية ، وحتى الأحزاب الشيوعية العربية فى العالم العربى فقد كانت منبوذة وليس لها وزن وتعمل جميعها فى سرية وغير قادرة على التنظيم أو التأثير ، ومع ذلك فقد قدرت شعوب العـالم العربى موقف الاتحاد السوفييتى المؤثر والعادل والمؤيد لمصر أثناء العدوان .

لكل ذلك ، أعدت مصر نفسها لخوض معاركهـا مستندة ومدعمة باتباع كل ما يؤكد على هذه الروح العربية مستعينة بجميع الوســائل الايجابية والتنظيمية لجعل هذه الظـاهرة واقعا ملموسا يمكن الاستعانة به لصالح مصر ولصالح شعوب ودول الأمة العربية للتغلب على أى أزمات أو مصاعب مستقبلية ، ومنذ خروج الأمة العربية والتى تمثلها مصر أحسن تمثيل وهى منتصرة من معركة السويس وكانت هذه الظاهرة تبحث ذاتيا عن مسمى لها حتى تحقق بعد ذلك بمدة قصيرة تحت مسمى « القومية العربية » ، والتى أصبح الشعب العربى كله يؤمن وينادى بها ، لأن التاريخ أثبت أن توحيد جبهة العرب كان السبيل الى نجاحهم فى قهر العدوان والمحافظة على استقلالهم منذ الحروب الصليبية ، ومع ذلك فقد أخذ الاستعماريون والصهيونيون والمستغلون من حكام العرب يعارضون القومية العربية ويحاولون التفريق بين العرب بحجة أن مصر تسعى لاقامة امبراطورية عربية ولكن ثبت أن القومية العربية كان لها جذورها العميقة حتى فى البلاد العربية التى كانت خاضـعة تمـاما للنفوذ الغربى ورغم تخويف الدعاية الأمريكية والغربية لشـــعوب الأمة العربية من التغلغل السوفييتى والشيوعى عن طريق مصر ، فان شعوب العالم العربى كانت واعية وقدرت دور الاتحاد السوفييتى فى صفقة الأسلحة لمصر ثم الانذار السوفييتى أثناء العدوان ومواقفه بجانب مصر فى الأمم المتحدة ، كل ذلك

---

(١) حديث عبد الناصر مع كرانجيا مراسل مجلة بليتز الهندية فى ١٠ مارس ١٩٥٧ (مجموعة الاستعلامات ص ٦٤٧) .

لفت نظر العرب لامكانية وأهمية التعامل مع الاتحاد السوفييتى بعد أن كان العرب يعتبرون الاتحاد السوفييتى وافدا جديدا فى الساحة العربية (١) ، رغم كل ما حاول تقديمه لحركات التحرر العربية وذلك نتيجة الدعاية الغربية وكانت قبل ذلك كتل كبيرة من المجتمع العربى تنظر الى روسيا بريبة تصل الى درجة مناصبتها العداء حيث كان حكامهم لا يمانعون فى جعل أجزاء من أرضهم العربية قواعد غربية لحصار الاتحاد السوفيتى بحجة محاربة الشيوعية الدولية واحتوائها ٠

خامسا : دول العالم الثالث وكتلة عدم الانحياز :

تبين لمصر بعد خروجها منتصرة سياسيا من العدوان الثلاثى أن دورها النشيط والجاد فى مؤتمر باندونج وما تمخض عنه من قرارات تحريرية حقق الكثير ليس بالنسبة لمصر فقط ولكن بالنسبة لجميع دول العالم الثالث وبالذات للدول التى كانت ولا زالت تحت السيطرة الاستعمارية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وقد لعب زعماء دول العالم الثالث المتحررة دورا ايجابيا فى المحافل الدولية وفى خلافها مما كان له بالغ الأثر فى الانتصار للحق الذى ساعد مصر كثيرا وساعد على وضوح جدية سياسة الحياد الايجابى بحيث صار عقيدة بالنسبة لشعوب هذا العالم بعد أن عاصرت وراقبت نجاح مصر كدولة صغيرة طالبت بالحق رغم معاداة الدول الاستعمارية القديمة لها بضراوة ونالت هذا الحق بالتزامها بمبادىء الحق والشرعية وتصميمها على اتخاذ موقف الحياد بين القوتين العظميين ولذلك خرجت مصر مصممة على القيام بمفردها أو بالمشاركة مع دول كتلة عدم الانحياز فى تقديم مزيد من المساعدات الايجابية لحركات التحرر فى العالم الثالث والعمل على تقوية العلاقات مع دول العالم الثالث وعقد مزيد من المؤتمرات لها لتوسيع وتقوية حركة الحياد الايجابى وعدم الانحياز وأصبح من أهم نتائج العدوان الثلاثى هو خلق قوة ثالثة فى العالم بجانب القوتين العظميين واصبح لها صوت عال ومؤثر فى المحافل الدولية ، ولكل هذا أخذت مصر تخطط للاهتمام بكل الأنشطة والمؤتمرات التى تضم دول العالم الثالث واعتبرتها جبهة ايجابية وقادرة على مساعدة حركات التحرر الوطنى لشعوب هذا العالم المقهورة ويمكنها تقديم الكثير من المساعدات المختلفة لهذه الشعوب والتى كانت فى شدة الحاجة لهذه المساعدات حتى يمكنها الخروج من حالة التخلف السائدة فيها بفضل النهب المنتظم والمتعاظم لخيرات ومقدرات هذه الشعوب

---

(١) الحلقة الثالثة من كتاب الأستاذ هيكل « سنوات الغليان » ـ أهرام ١٩٨٨/١٠/١٥ ٠

تحت ظل الاستعمار القديم والذى كان لا زال موجودا فى كثير من هذه المناطق وكوسيلة فعالة لمقاومة المشاريع الاستعمارية الجديدة والتى أخذت تظهر بعد العدوان الثلاثى مباشرة والتى كانت مغلفة بأغطية مغرية من المساعدات المادية البريئة المظهر رغم شروطها التى تؤدى فى النهاية الى الخضوع الكامل للسيطرة الاستعمارية الجديدة لتحقيق أطماع الدول الكبرى في المقام الأول على حساب شعوب الدول الصغيرة وكانت مصر من أول الدول المعرضة لهذه المخططات الاستغلالية بعد معركة السويس تأديبا لها على تجاسرها لمناطحة الأطماع الاستعمارية القديمة ، وكانت مصر تؤمن بضرورة التجمع مع شعوب هذه الدول الصغيرة لتمكينها متجمعة من مقاومة هذه المخططات الغربية فكانت الضرورة المتبادلة تفرض على مصر اتباع سياسة التعاون مع شعوب ودول العالم الثالث .

سادسا : الأمن القومى :

خرجت مصر من العدوان الثلاثى محققة الاستقلال الكامل الخالى من أى نوع من أنواع التبعية ومع ذلك فقد كانت شواهد المستقبل تجمل معالم الأخطار التى تحيط بها بعد رفضها لمشروع ايزنهاور (١) الذى عرضته عليها الولايات المتحدة تهدف به لانحياز مصر والدول التى تنضم اليه الى الولايات المتحدة والغرب فى الوقت الذى كانت مصر متنبهة الى امكان استخدام الولايات المتحدة لاسرائيل ضدها عند اللزوم بالاضافة الى امكان استخدام المؤامرات والفتن ، وتيقنت مصر أن خير وسيلة لتحصين نفسها ضد هذه الأخطار هى تحقيق الأمن القومى (٢) على أساسين : **أولهما** : انشاء جيش مصرى وعربى قوى التسليح والتدريب ، **وثانيهما** : هو تقوية الجبهة الداخلية عن طريق التنمية (٣) بالاسلوب الحديث فى جميع المجالات المختلفة سواء فى مجالات الزراعة أو الصناعة أو الأبحاث العلمية والصناعات الحربية والخدمات ، ويستدعى كل ذلك النهوض بالأحوال (٤) الاقتصادية والاجتماعية لأن الاستعمار فى شكله الجديد

---

(١) يمكن الرجوع الى هذا المشروع بالكتاب جزء أول ص ٢٧٢ .

(٢) حديث الرئيس عبد الناصر الى التليفزيون البريطانى فى أول يوليو ١٩٥٧ وحديثه أيضا مع وكالة يونيتدبرس يوم ٨ يوليو ١٩٥٧ .

(٣) حديث عبد الناصر لمستر كرانجيا بمجلة بليتز الهندية يوم ١٠ مارس ١٩٥٧ .

(٤) حديث الرئيس عبد الناصر الى مستر ويلتون وين مراسل أسوشيتدبرس فى ٣١ نوفمبر ١٩٥٦ .

سوف لا يترك مصر(١) تدعو للحرية بتحرير اقتصادها كما انه سوف(٢) لا يسمح لها بالحصول على السلاح اللازم للدفاع عن هذه الحرية •

وكان رأى مصر أنه ما دامت(٣) اسرائيل هى مصدر الخطر وما دامت تحصل على السلاح اللازم لها من أمريكا ومن الغرب ، فان مصر سوف تعمل بشتى الطرق بألا يصبح ميزان القوة العسكرية فى المنطقة العربية فى صالح اسرائيل ، ولذا وجهت مصر عنايتها بشتى الطرق بعد العدوان مباشرة الى الحصول على الأسلحة اللازمة لتقوية جيشها وسلاحها الجوى وسلاحها البحرى(٤) بالحصول على الغواصات الحديثة والتى بمجرد استلام هذه الغواصات من الاتحاد السوفييتى انزعجت الدوائر الأمريكية والغربية واسرائيل ، وعندما سأل أحد المراسلين الغربيين عبد الناصر عن مدى صحة خبر حصول (٥) مصر على هذه الغواصات كان رده : « لماذا لا يكون لدى مصر غواصات ، ولماذا لا يكون من حق مصر الدفاع عن شواطئها بجميع أنواع الأسلحة حتى الغواصات ؟؟ » •

أما فى مجال الجبهة الداخلية :

فقد قامت مصر بالقيام بالكثير من الاصـــلاحات وكان من أهمها استمرارها فى تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى والذى كان يبغى احداث التغيير الشامل فى النظام السياسى والاجتماعى فى مصر •

ووجهت مصر عنايتهـا **للخدمات وبدايتها التعليم** وأخـذت تخطط لانشاء مزيد من المدارس •

أما **فى مجال الصحة** فقد تم التخطيط لانشاء مزيد من المستشفيات والمجاميع الصـــحية وأرسلت مصر أكثر من ٤٥٠ طبيبا للتخصص فى الجامعات العالمية الكبرى وبدىء فى انشاء معهد السرطان ومعهد لشلل الأطفال ومعهد للعلاج بالنظائر المشعة •

---

(١) حديث الرئيس عبد الناصر لجريدة التمبو الايطالية فى ١١ ديسمبر ١٩٥٦ •

(٢) حديث الرئيس عبد الناصر مع مراسل مجلة لوك الأمريكية فى ١٤ يوليو ١٩٥٧ (مجموعة الاستعلامات ، ص ٦٦٠) •

(٣) حديث الرئيس عبد الناصر الى ويلتون وين فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٧ • (مجموعة الاستعلامات ، ص ٧٧١) •

(٤) كلمة الرئيس عبد الناصر فى القوات الجـوية فى عيدها الفضى ، ٨ ديسمبر ١٩٥٧ •

(٥) حديث الرئيس عبد الناصر مع التليفزيون البريطانى أول يوليو ١٩٥٧ (مجموعة الاستعلامات ص ٦٦٤) •

وفي **مجال التنمية الأساسية** للدولة قامت مصر برصف الكثير من الطرق وانشاء محطات مياه الشرب والصرف الصحى ٠

وفي **مجال التنمية الزراعية** ٠٠ خططت مصر لتجنب الاعتماد على محصول واحد وتوسعت فى التخطيط لزراعة الحبوب والبقول والخضراوات والفاكهة وعلى زيادة منتجات الألبان بالعناية والاهتمام بالثروة الحيوانية ٠

وفي **مجال الصناعة** ٠٠ تمت دراسة كل الامكانات الصناعية (٢) بمصر ، وقارب مصنع الحديد والصلب على الانتهاء بانتاج ٢٠٠٠٠٠ طن سنويا ، وتم توسيع معمل تكرير البترول فى السويس وزاد انتاجه الى ١ر٣٠٠ر٠٠٠ طن سنويا وتم أيضا انشاء معمل مسطرد ومعمل الاسكندرية بطاقة ٧٠٠ر٠٠٠ طن سنويا ، وتم مد خط أنابيب بترول السويس القاهرة ١٣٠ كم بكفاية ٢ر٣٠٠٠ر٠٠٠ طن سنويا ٠

وخزان **أسوان** ٠٠ أوشك العمل فى كهربته على الانتهاء ليعطى قوة كهربائية ١٨٨٠ مليون كيلووات ساعة لاستخدامها فى الصناعة وبخاصة فى انتاج الأسمدة ، وتم وضع مشروع التوسع الصناعى على خمس سنوات لتشغيل ١٢٠ر٠٠٠ عامل جديد وتشغيل أربعة أمثالهم يعملون فى النقل والتوزيع ٠

وبدىء فى انشاء ٢٩ مشروعا صناعيا منها على سبيل المثال مصانع الورق والصودا الكاوية والأسمنت ومعدات المبانى والكابلات والبطاريات والكاوتشوك والسيارات ووسائل النقل الخفيف والخزف والصينى والزجاج والجوت والأدوية والأدوات الكهربائية ٠

كما أعد برنامج تعدين واسع النطاق بالتنقيب عن الثروات المعدنية واستخراجها وتصنيعها ٠

كما أصبحت الصناعات العسكرية تمثل جزءا هاما فى برنامج التصنيع لسد احتياجات القوات المسلحة من المصانع الحربية ولخلق جيل جديد من العمال المهرة والمهندسين والفنيين ٠



---

(١) خطاب الرئيس عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٧٠

تمصير الاقتصاد القومي :

بعد تأميم قناة السويس قامت معظم الدول الغربية والولايات المتحدة بتجميد أرصدة مصر لديها ، وامتنعت البنوك الأجنبية فى مصر عن تمويل محصول القطن والنشاط الصناعي والتجارى تريد العبث بمصالح البلاد الاقتصادية داخليا وخارجيا وبالاضافة الى موقف فروع الشركات الأجنبية بمصر والتى بادرت بعد التأميم بأن قبضت يدها عن مسايرة الاقتصاد المصرى والتى كانت مراكزها الرئيسية (١) فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، وقد تبين للحكومة المصرية وقتها مدى هيمنة هذه الشركات على الاقتصاد المصرى لما كان يتوفر لديها من الامكانات الرأسمالية والتكنولوجية والقانونية ، وقد ظهر دور هذه البنوك والشركات (٢) بشكل واضح على أثر العدوان الثلاثى البريطانى الفرنسى الاسرائيلى .

كما تبين أن هذه البنوك والشركات بدأت فى عملية اعاقة التنمية (٣) بعد أن تسببت مع طول الممارسة فى تشويه الاقتصاد المصرى والمجتمع ، ولذلك صدر أمر عسكرى فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ بمنع التعاقد مع الرعايا البريطانيين والفرنسيين وصار تعيين حراس على مؤسساتهم وأموالهم فى مصر واستلم الحراس البنوك والشركات والمؤسسات والتى بلغ عددها ألف وخمسمائة مؤسسة بما فيها شركات تأمين وبنوك وشركات بترولية وشركة تعدين ومكاتب محاسبات ، كل هذا تم حتى قبل أن يتوقف اطلاق النار على جبهة القتال فى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ..

وبموجب هذا الأمر العسكرى ..

وضعت مصر يدها على شركة حلوان بورتلاند (٤) للأسمنت وهى فرع من شركة نايل سيمنت التي تملكها الدانمارك ..

كما استولت مصر على شركة ضاحية مصر الجديدة التى كانت تملكها مجموعة مالية بلجيكية ، وكذا شركة ترام القاهرة والتى كانت مملوكة لمجموعة بلجيكية أيضا ..

---

(١) الشركات متعددة الجنسية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للأستاذ محمد السيد سعيد ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٨ ص ٢١٢ ، ٢١٣) .

(٢) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ص ٤٧٤ .

(٣) الشركات متعددة الجنسية للاستاذ محمد السيد سعيد ، ص ٢١٢ .

(٤) عدد أهرام يوم ١٩/١٠/١٩٨٨ حلقة ٥ من سنوات الغليان للأستاذ هيكل – من واقع وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ J.E./1015

وتم الاستيلاء أيضا على ما يقارب ١٢٠ شركة كبيرة كان يملكها رعايا أجانب لهم حصص كبيرة وبينها شركة شل وشركة مولارد للشرق الأوسط ليمتد وهى بريطانية ولكنها كانت هولندية التملك .

وألغت الحراسة المصرية ترخيص العمل لثلاث من شركات المحاسبين القانونيين البريطانيين وبينهم شركة برايس ووترهاوس بيت وشركاهم ..

واستولت مصر أيضا على شركة رالى اخوان فى الاسكندرية وكان يملكها المستر ج.ج. الكسندروف وهى من أكبر شركات تصدير القطن ..

وتم أيضا الاستيلاء على جميع شركات التأمين والملاحة وشركات النشاطات التجارية الأخرى سواء هولندية أو بلجيكية أو دانماركية ..

كما استولت الحراسة المصرية على شركة باسيلى وشركاه لتجارة الأخشاب بالاسكندرية وهى كانت مملوكة للمدعو باسيلى باشا اللبنانى الأصل ..

وحرصت الحراسة العامة المصرية على أن تواصل هذه المؤسسات والبنوك والشركات عملها كالمعتاد وصار اخطار الشركات الأصلية فى الخارج بذلك ..

واستولت الحراسة المصرية أيضا على بورصة العقود للقطن وجميع بيوت السمسرة العاملة بها ، كما احتجزت الحراسة كل الأقطان التى كانت فى طريقها الى الموانىء المصرية حتى لا يتم تصديرها للخارج ..

كما فرضت الحراسة على بنك اليونيون وشركة ايسترن للدخان ، وكذلك على المحلات التجارية الكبرى المملوكة لعدد كبير من اليهود المقيمين فى مصر من بينها محلات داود عدس وشيكوريل وهانو وشملا وأوروزدى باك (عمر أفندى) .

وضوح مدى خطورة هذه المؤسسات ..

بعد فرض الحراسة وادارة هذه المؤسسات تبين للحكومة المصرية الصورة الحقيقية لمدى خطورة سيطرة المصالح الأجنبية الكبيرة فى مصر والتى كشفت عنها وعن مدى خطورة حجمها الوقائع ، فقد بادرت الحكومة المصرية فى يناير ١٩٥٧ — على أثر اخفاق العدوان الثلاثى — وأصدرت أربعة قوانين هامة لتمصير الاقتصاد القومى وتحريره من السيطرة الأجنبية تحقيقا لتوفير الأمن الاقتصادى للبلاد ..

١ ـ القانون الأول : بانشاء المؤسسة الاقتصادية :

فى ١٣ يناير ١٩٥٧ ، صدر القانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٥٧ بانشاء المؤسسة الاقتصادية (١) بغرض تنمية الاقتصاد القومى ووضع سياسة لاستثمار أموال المؤسسة فى الشركات المساهمة وكان لهذه المؤسسة أثرها الفعال فى تمصير البنوك والشركات الأجنبية الكبرى والتى كانت تسيطر على اقتصاد البلاد وكان مجموع هذه الشركات ٤٠ شركة ٠

٢ ـ القانون الثانى : تمصير البنوك :

فى ١٤ يناير ١٩٥٧ ، صدر القانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٥٧ ويقضى بتمصير البنوك (٢) على أن تكون جميع أسهمها اسمية ومملوكة لمصريين وألا يقل رأس مال الشركة عن خمسمائة ألف جنيه وتعتبر فى حكم البنوك فروع ووكالات البنوك الأجنبية فى مصر ، وظهر أن رأس مال البنـوك الأجنبية التى كانت تعمل فى مصر حتى آخر ديسمبر ١٩٥٦ كان لا يزيد عن ٢ر٥ مليون جنيه فى الوقت الذى كانت تتحكم فيه هذه البنوك فى حوالى مائة مليون جنيه من جملة ودائع البنوك التجارية والتى تزيد قليلا عن ١٩٥ مليون جنيه كما بلغ نصيبها من الكمبيالات والسلفيات نحو ٦٧ مليون جنيه ٠

واتضح أيضا أن البنوك الانجليزية والفرنسية كان لا يزيد رأس مالها المستثمر فى مصر عن مليونى جنيـه فى الوقت الذى كانت ودائع المصريين فى هذه البنوك تتفاوت ما بين ٧٠ الى مائة مليون جنيه ٠

٣ ـ القانون الثالث : تمصير شركات التأمين :

فى نفس يوم ١٤ يناير ١٩٥٧ ، صـدر القـانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٥٧ (٣) الذى يقضى بألا يجوز تسجيل أية هيئة الا اذا كانت متخذة شكل شركة مساهمة مصرية وتكون ملكية جميع أسهمها اسمية ومملوكة للمصريين ويكون جميع أعضـاء مجالس اداراتها مصريين ، وظهـر بعـد صدور هذا القانون وحسب احصاء سنة ١٩٥٤ أنه فى مصر كانت تمارس أعمال التأمين ١٣٥ شركة منها ١٢٣ شركة غير مصرية ، وظهر أيضا أن

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ٠

(٢) تم تمصير ٩ بنوك هى : باركليز ، الكريدى ليونيه ، العقارى المصرى ، البنك الشرقى ، يونيون بنك ، البنك العثمانى ، بنك الرهونات ، بنك الاراضى ، بنك الخصم الأهلى بباريس ٠

(٣) تم تمصير ١٦ شركة تأمين ٠

الـ ١٢٣ شركة أجنبية بمصر أنها فروع صغيرة لمراكزها الرئيسية فى الخارج ولم يكن لديهـــا أى رأس مال مدفوع داخل مصر وبلغت قيمة ما تمتلكه من أصول فى مصر نحو ٢٠ مليون جنيه من مجموع أصول شركات التأمين البالغ ٣٨ مليون جنيه ٠

٤ ـ القانون الرابع : الوكالات التجارية :

وأيضا فى ١٤ يناير ٥٧ ، صدر القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٧ (١) ويقضى بقصر مزاولة أعمــال الوكالات التجارية على المصريين أو شركات المساهمة المصرية بشرط أن تكون أسهمها جميعا اسمية ومملوكة لمصريين ، وكانت هذه الوكالات تعتبر المنافذ الأســاسية لمد الأســواق المحلية بما تحتاجه من الخارج من معدات ومواد أولية وتموينية وكانت وسيلة لتهريب النقد الى الخارج ، بالاضافة الى استمرار اعاقتها للنشاط الاقتصـــادى للبلاد ٠

التخطيط القومى ٠٠

ولتحقيــق التوازن بين عنــاصر وامكانات الدولة المادية والمعنــوية والعسكرية الضرورية للأمن القومى ، فقد صدر فى ١٣ يناير ١٩٥٧ قرار جمهورى يقضى بانشاء :

١ ـ **مجلس التخطيط الأعلى :** ويرأسه رئيس الجمهورية ويتولى تحديد الأهداف العليا واقرار خطط التنمية ٠

٢ ـ **لجنة التخطيط القومى :** ويرأسها وزير لاعداد الخطة العــامة للتنمية وتقديم تقارير دورية الى المجلس الأعلى ، وقد أدمج مجلس تنمية الانتاج القومى ومجلس الخدمات العامة فى لجنة التخطيط القومى ٠

ثم صدر قرار جمهورى آخر فى ١٠ فبراير ١٩٥٧ بوجوب استخدام اللغة العربية فى جميع العقود والسجلات والمحاضر والمكاتبات ٠



(١) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ٤٧٤ الى ٤٧٩ ٠

تثبيت الزعيم :

منذ نهاية أكتوبر ١٩٤٩ ، وكان عدد الضباط الأحرار (١) ثمانية فقط هم : جمال عبد الناصر والطيار عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين وحسن ابراهيم وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى ، وعلى أثر اجتماعهم الأول تم انتخاب جمال عبد الناصر فى اقتراع سرى لرئاسة لجنة الضباط الوطنية وأصبحت هذه اللجنة تمثل القيادة العليا للتنظيم ، وعلى مر الزمن وتوالى الاجتماعات واتخاذ القرارات اعترف لعبد الناصر بزعامة هذه اللجنة حتى بعد توسيع التنظيم ، بدليل أن جمال عبد الناصر بعد أن قام مع ثلاثة أعضاء فقط من التنظيم بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر وحاسبته اللجنة التأسيسية على هذا الخطأ الذى لو تم تنفيذه لانكشف فى مرحلة مبكرة تنظيم الضباط الأحرار السرى ولقضى عليه وهو فى المهد ، فقد اضطر جمال عبد الناصر الى أن يطالب باعادة طرح الثقة به كرئيس للجنة ، ومع ذلك حاز على أغلبية الأصوات وفى ذلك اعتراف مؤكد على زعامته لهذا التنظيم واستمر هذا هو مكانه حتى قامت الثورة وكان هو محور المبادرات والمواقف الايجابية الوطنية التى رفعت الثورة الى المكان اللائق بها فى نظر الشعب المصرى وفى نظر شعوب العالم العربى وشعوب العالم الثالث المقهورة ، الى أن جاءت أزمة مارس ١٩٥٤ فى الخلاف بين مجلس قيادة الثورة وبين محمد نجيب وبعد أن اضطر مجلس قيادة الثورة الى اصدار قرار صباح يوم ٢٦ فبراير ١٩٥٤ (٢) لاعادة محمد نجيب رئيسا للجمهورية وخالد محيى الدين رئيسا للوزارة وعودة رجال الثورة الى ثكناتهم ، وتغير الموقف فجأة بعد أن تحركت قوات جوية وبرية ومدفعية لمحاصرة أنصار محمد نجيب بسلاح الفرسان ، وتراجع مجلس قيادة الثورة فى التنحى ، واجتمع المجلس (٣) وأصدر تفويضا لعبد الناصر ليسيطر به على خيوط الحكم والسلطة ازاء الخلل الخطير الذى أحدثه الخلاف مع محمد نجيب ، وفى هذا تأكيد على دور عبد الناصر الرئاسى والقادر على التصرف فى الأزمات واعتراف من مجلس قيادة الثورة بزعامته .

ثم أثبت عبد الناصر حسن تدبيره للتغلب على أزمة مارس وتحقيق الوحدة الوطنية والاستقرار الداخلى والذى تمكن به فى النهاية من تحقيق جلاء الجيش البريطانى نهائيا عن أرض الوطن ، وتبع ذلك وقوفه معارضا

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى جزء أول ص ٣٦ ، ص ٤٥ .

(٢) مذكرات صلاح نصر جزء أول ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) ثورة ٢٣ يوليو للأستاذ الرافعى ، ص ١٤٠ .

للانضمام للأحلاف العسكرية الخاضعة لسياسة الغرب وأمريكا محاولين اعادة مصر الى دوائر التبعية ووصل مدى هذه المعارضة الى شعوب باقى البلاد العربية والتى كان حكامها متورطين مع الغرب وأمريكا فى الانضمام الى هذه الأحلاف ، بالاضافة الى بروز دور وأبعاد الثورة المصرية والتى ضمنها عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » فى دوائرها الثلاث العربية والأفرو آسيوية والاسلامية بالاضافة الى دور عبد الناصر المميز بين زعماء العالم الثالث فى مؤتمر باندونج وبروز دور عبد الناصر كرمز للزعامة المطلوبة لتبنى مطالب شعوب العالم الثـالث بصفة عامة وشعوب الأمة العربية بصفة خاصة ، وفيما قبل العدوان الثلاثى كان لدور عبد الناصر المميز في كسر احتكار السلاح دليل ومثل على امكان الدول الصغيرة على مقاومة استغلال الدول الكبيرة لها ٠

وفى ١٦ يناير ١٩٥٦ ، أعلنت مصر عن دستورهـا الجديد والذى كانت بنوده تبرز سلطات واسعة لرئيس الجمهورية (عبد الناصر) ، وقد كان هذا الدستور يكاد يعترف أو يطالب بالاعتراف بزعامة عبد الناصر على شعب مصر ــ رغم أن ذلك كان يعد انتقاصا من روح الحياة البرلمانية ومن الديموقراطية السليمة ــ ولكن عبد الناصر كان يبرر ذلك الانتقاص المتعمد بأن هذا الدستور يعتبر بداية المشوار على طريق الديموقراطيـة السليمة بحجة ظروف مصر الداخلية والخارجية ٠

ثم جاءت أحداث تأميم القناة وخلفيات هذا التأميم وما تبعه بالعدوان الثلاثى ومواقف عبد الناصر الصـلبة والشجاعة وحسن ادارته لجميع الأزمات أثناء العدوان وقبله وبعده مؤازرا ومؤيدا من الرأى العام العالمى ومن مدى ما وصلت اليه علاقات مصر وعلاقاته الشخصية مع دول وزعامات دول العالم الثالث وشعوبها وشعوب الأمة العربية ، وقيام بعض حكوماتها وتنظيماتها الوطنية المسئولة بالأعمال الايجابية من تهديد للمصالح الغربية والأمريكية بسلاح البترول لصالح القضية المصرية ، وثبت من خلال ذلك مدى سيطرة عبد الناصر كقـائد وزعيم لأنه كان على مستوى المسئولية المحلية والعربيـة والدولية ، وكان من نتيجة ذلك خروج مصر منتصرة سياسيا الى أقصى حد بجلاء جيوش العدوان الثلاثى بالكامل عن أرض مصر بالاضافة الى أن عبد الناصر فى هذه الفترة كان اعتماده الكامل على الشعب المصرى فى مقاومته للعدوان وعلى شعوب العالمين العربى والثالث والرأى العام العالمى ، وتخطى بذلك كونه قائدا لمجلس قيادة الثورة أو لمجموعة الضباط الأحرار اللذين كان يعتمد عليهما فى دوره الرئاسى لمصر ، فأصبح بذلك زعيما مصريا مؤيدا من شعب مصر كافة وزعيما فى مجال

العالم الثالث والأمة العربية مؤيدا من كل الشعوب المغلوبة على أمرها بدون حدود ٠

وقد قال عنه مراسل مجلة لوك الأمريكية على أثر مقابلته لعبد الناصر فى ١٤ يونية ١٩٥٧ : (١) « ان جمال عبد الناصر وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره رجل ضخم البنيان وقوى وناجح ٠٠ ولكنه يشعر فى بعض الأحيان أن الصحافة الأمريكية تهاجم بلاده من غير وجه حق ، ولقد تبين لى عندما استقبلنى فى منزله (٢) الذى يقطنه بالقرب من القاهرة أنه لم يعد يود أن يتحدث الى الصحفيين الأمريكيين ٠٠ ولقد تحدث لى الرئيس جمال عبد الناصر لمدة ساعتين باللغة الانجليزية بطلاقة تثير الدهشة ، وبينما كان يتحدث بدأت أفهم السبب الذى جعل هذا الرجل الصغير السن نسبيا يقطع هذا الشوط البعيد فى مثل هذه الفترة الوجيزة فانه يملك ميزتين سياسيتين أساسيتين لا تقدران بثمن : حيوية هائلة وجاذبية عظيمة ٠٠ ومن الصعب ألا تعجب به حتى عندما تختلف معه فى الرأى ، ولذا صعد بسرعة الى القمة ، فمنذ خمسة أعوام لم يكن الا ضابطا شابا لا يعرف سوى زملائه الثوار فى جيش فاروق ، أما اليوم فهو شخصية عالمية يثير اسمه الغضب والاعجاب والخوف والاخلاص بين مئات الملايين من الناس » ٠



افتتاح مجلس الأمة فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ ٠٠

فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ أعلن عن دستور مؤقت يجرى العمل به لمدة ثلاث سنوات هى فترة الانتقال التى حددها وقتها مجلس قيادة الثورة ، ولما انتهت فترة الانتقال أعلن فى ١٦ يناير ١٩٥٦ عن دستور جديد ــ وذلك قبل العدوان الثلاثى بعدة شهور ــ وجرى الاستفتاء الشعبى عليه وعلى رئيس الجمهورية فى ٢٣ يونيـة ١٩٥٦ ، ثم توالت أحداث تأميم القناة والعدوان الثلاثى ولم يتم افتتاح مجلس الأمة على أساس دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ الا فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ ٠

---

(١) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس عبد الناصر (تجميع مصلحة الاستعلامات) القسم الأول ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ــ ١٩٥٨ ، ص ٦٥٥ ٠ (رأى مراسل مجلة لوك Look الأمريكية ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

وألقى الرئيس عبد الناصر خطبة الافتتاح بصفته رئيسا للجمهورية بعد أن حاز على أغلبية الأصوات فى الاستفتاء على رئاسته وعلى دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ ٠

ورغم أن هذا الدستور كما شرحه الرئيس عبد الناصر (١) وشرح أمام المجلس لأن رئيس الوزراء هو رئيس الجمهورية المستفتى عليه من الشعب ولا يملك مجلس الأمة ازاءه أى سلطان وبذلك أصبح رئيس الجمهورية محصنا من رقابة مجلس الشعب رغم أنه بنص الدستور هو الذى يضع السياسة العامة للدولة وفى نفس الوقت يقرر له الدستور حق حل مجلس الأمة نفسه ، وبهذه المواد أصبح هذا الدستور يؤكد على سلطات واسعة وبغير حدود لرئيس الدولة (رئيس الجمهورية) وبالتالى فان السلطة التنفيذية التى يرأسها رئيس الدولة تم لها استيعاب واحتواء المجلس التشريعى وفى هذا أكبر الخطر على الحياة الديموقراطية السليمة ٠

وهذا النظام الجمهورى الذى حدده دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ فيه ملامح كثيرة من النظام الرئاسى للولايات المتحدة مع توسع كبير فى الصلاحيات والاختصاصات لرئيس الجمهورية فى مصر دون المساءلة أو الرقابة ، وفى نفس الوقت قضى هذا الدستور على فكرة بناء الحياة الدستورية فى مصر على أساس الأحزاب وتعددها واستبدلها بالتأكيد على دور التنظيم السياسى الواحد (الاتحاد القومى) والذى يشكل تقريبا بالتعيين وبتدخل رئيس الدولة ٠

وبعد جلاء القوات المعتدية عن مصر وفى غضون عام ١٩٥٧ حضر الى مصر كثير من الصحفيين الأجانب ومعظمهم من الغرب ، وفى لقاءات مع عبد الناصر سأله أحد المعلقين الانجليز (٢) : « ان بعض صحف الغرب تقول ان عددا من الذين رشحوا أنفسهم للانتخابات شطبت أسماؤهم فما هو تعليقكم على ذلك ؟ » ، ورد عليه الرئيس : « كان لابد أن نتأكد أن جميع المرشحين يتلاءمون مع الخطوط العريضة التى ارتضاها الشعب المصرى وأن تكون فى طاقتهم المشاركة بنصيب موفور فى صنع هذا المستقبل ، ولقد كان فى بلادنا فراغ سياسى أوجدته التجارب القاسية التى مر بها وطننا بما فيها من تحكم الاحتلال البريطانى واستبداد القصر الملكى وتناحر الأحزاب ، ولقد كان علينا أن نحتاط ونحن نتخذ الخطوة الأولى فى طريق ملء الفراغ السياسى ، وانى أذكرك بما فعلته أمريكا أيام جورج

---

(١) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ١٠٦ ٠

(٢) فى حديث أدلى به عبد الناصر الى مدير مكتب وكالة يونيتدبرس فى ٨ يوليو ١٩٥٧ ــ القسم الأول تجميع مصلحة الاستعلامات ، ص ٦٦٧ ٠

واشنطون ۰۰۰۰۰ فى أول انتخابات أمريكية بعد الاستقلال منع جورج واشنطن قيام الأحزاب فى أمريكا وكان هناك تنظيم سياسى قريب الشبه من نظام الاتحاد القومى المصرى » .

ونفس السؤال من صحفى آخر وجه الى عبد الناصر فكان رده : « أنت تعرف أن لنا أفكارنا الخاصة عن ـ الديموقراطية ، فقد سبق فى مصر أن استخدمت أقلية ـ الاقطاعيين والملاك ـ الديموقراطية لأجل السيطرة على الشعب ولكننا نريد أن نضمن قيام أول خطوة الديموقراطية الجديدة على أساس سليم للحياة السياسية ولنذكر ما حدث فى الولايات المتحدة نفسها بعد حرب التحرير وما قاله الرئيس واشنطون بعد الاتفاق على الدستور عام ١٧٨٨ ، لقد خشى جورج واشنطون من قيام الأحزاب فى هذه المرحلة وأراد أن يوحد البلاد وقال ان الأحزاب لا يمكن أن تؤدى الا الى حرب أهلية » .

وتعتبر هذه الأحاديث وجهة نظر عبد الناصر بالذات عما جاء فى دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ من بنود تحد من انطلاق الديموقراطية وتقيدها ، وهنا يتضح لماذا قبل عبد اللطيف البغدادى رئاسة مجلس الأمة بهذا الدستور (١) أملا فى جمع شتات هذا التجمع لارساء الديموقراطية ، ومن ثم تم الاتفاق بين أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد الانتخابات لعضوية مجلس الأمة طبقاً لدستور ١٦ يناير ١٩٥٦ على أن يقوم عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة بترشيح نفسه لرئاسة مجلس الأمة عندما يتم انعقاده ، وكان من رأيه امكان تحقيق الديموقراطية السليمة اذا ما توفرت حياة نيابية سليمة واذا ما قام المجلس بدوره كاملا فى مراقبة أعمال السلطة التنفيذية وعاهد نفسه أن يساهم بدوره كرئيس للمجلس على تحقيق هذا الأمل وتم انتخابه رئيسا للمجلس فى أول انعقاده فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧

تشكيل المجلس :

لم يكن يجمع أعضاء المجلس أى ارتباط سياسى سابق حتى ولا بينهم (٢) وبين بعضهم ولا بينهم وبين الثورة ولم يتم انتخابهم عن طريق تنظيم سياسى ، وفقط كان التنظيم السياسى (الاتحاد القومى) له حق الاعتراض على بعضهم ، وكانت بينهم فقط غالبية متعاطفة مع الثورة ومتجاوبة معها .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى الجزء الثانى / الباب الأول ، ص ٧٠ .
(٢) نفس المصدر السابق

وقد تمكن رئيس المجلس بتعاونه مع الأعضـــاء وتشجيعهم للقيام بدورهم الرقابى ، أن ينجح فى ايجاد الثقة بينه وبينهم وشجعهم ذلك على ممارسة العمل السياسى داخل المجلس وفى الجلسات على أســـاس ديموقراطى سليم مما عجل بتثبيت بعض التقاليد والمبادىء البرلمانية لتكون نواة للمجالس النيابية فى المستقبل وعلى مرور الدورات البرلمانية على أمل أن يمكن ذلك من تدعيم الحياة الديموقراطية السليمة فى المستقبل ·

وبعد فترة وجيزة حوالى شهرين شـعر الوزراء بدور مجلس الأمة الرقابى عليهم وبتمسكه بحقه فى مسـاءلتهم عما يجرى داخل الأجهزة التنفيذية واتضحت هذه الصورة للشعب بمتابعته لنشاط المجلس مما يكتب فى الصحف اليومية وأحس الأعضاء أنفسهم باهتمام الشعب بدورهم وتقديره لجهودهم ، كما توثقت بينهم روح الزمالة والألفة من المعاشرة والمشاركة فى الممارسة فأصبحوا كأسرة واحدة هدفهم هو الصالح العام وزادت الثقة بينهم وبين رئيس المجلس وكان الأمل مفتوحا لتحقيق المزيد من الديموقراطية ، ولكن فجأة تعرض المجلس لأول تجربة بعد عدة شهور من الافتتاح عبارة عن ضغط وقع على بعض أعضائه لاتخاذ موقف يتعارض مع الدستور ·

أزمة فى مجلس الأمة (١) :

كان وزير الزراعة عبد الرزاق صدقى قد تناول فى بيان وزارته الى المجلس مشروع مديرية التحرير الخاص باستصـــلاح واستزراع بعض الأراضى الصحراوية غرب الدلتا ، وتقدم العضو محمد رشدى النحال أثناء مناقشة بيان الوزير بطلب التحقيق فيما يثار حول هذا المشروع من تبذير فى أموال الدولة من القائمين على تنفيذه وطلب دراسة عما اذا كان هذا المشروع ناجحا من عدمه ، وأخذ المجلس (٢) قرارا باحالة المشروع بالكامل الى لجنة الزراعة لدراسته وموافاة المجلس بالرأى ، وكانت الأحاديث فى ذلك الوقت تدور بين أفراد الشعب حول عدم جدوى هذا المشروع الفاشل وأن هناك استغلالا واساءة للتصرف فى الأموال المرصودة له ·

وفى نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٧ تقدم النائب سيد جلال بسؤال لوزير الزراعة عن مشروع مديرية التحرير يطالب فيه بموافاة المجلس بتكاليف استصلاح الفدان بالمشروع وعدد الموظفين بكل من القاهرة والاسكندرية

---

(١) نفس المصدر جزء ثان / فصل اول ص ٩ ·
(٢) نفس المصدر السابق ·

وعدد السيارات وتكاليف تشغيلها والى آخر التفاصيل المالية والتبذير ، ولقى السؤال استحسانا من الشعب وكان سيد جلال قد قدم سؤالا آخر بصفة خاصة لرئيس المجلس عما اذا كان صحيحا أن بعضا من أعضاء مجلس الأمة يتولون وظائف فى مديرية التحرير مخالفين بذلك قانون عضـوية المجلس وأفصح عن اسم أحدهم وقام رئيس المجلس عبد اللطيف البغدادى بادراج هـذا السؤال بجدول أعمال المجلس ، وفى نفس الوقت أخطر الرئيس عبد الناصر بذلك وتجاوب عبد الناصر فى هذا الاتجاه وشجع على الاستمرار بهذا الاسلوب ، ونشر السؤال فى الصحف وأثار ضجة بين أعضاء مجلس الأمة وتحمس معظمهم من هؤلاء الأعضاء الذين يعملون فى مديرية التحرير ، وبعد يومين نشرت جريدة الأهرام أسماء الأعضاء المخالفين للقانون وهم : اسماعيل نجم ، أحمد أبو عوف ، حريم الغمراوى ودكتور محمود القاضى ، وقام وزير الزراعة بارسال خطاب الى مجدى حسنين عضو مجلس ادارة مديرية التحرير المنتدب ومن الضباط الأحرار وعضو مجلس الأمة يطلب منه تقديم المعلومات المطلوبة فى السؤالين للمجلس ، وقام عدد كبير من النواب يطالبون رئيس المجلس بضرورة تنحية هؤلاء الأعضاء عن عضوية المجلس وكذا أثاروا موقف مجدى حسنين نفسه من هذه المخالفة ومسئوليته عنها ، وصار تبليغ هذه المواقف الى الرئيس عبد الناصر ووافق عبد الناصر على الاتجاه العام وضرورة التخلص منهم ومن مجدى حسنين نفسه .

وفى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ وهو اليوم السابق لانعقاد المجلس بعد العطلة الصيفية أرسل مجدى حسنين خطابا الى رئيس المجلس موقعا منه ومن بعض أعضاء لجنة الشئون الصناعية بالمجلس منهم الدكتور محمود القاضى وجاء به أن بعض الجرائد دأبت على التقول على بعض أعضاء المجلس بما يمس كرامتهم ويطالب الخطاب بالمحافظة على كرامة الأعضاء واتخاذ الاجراءات لحماية الأعضاء من هذه الصحف على أن يعرض الخطاب فى أول انعقاد للمجلس يوم ٤ نوفمبر لاتخاذ قرار بشأنه .

وقام رئيس المجلس بابلاغ الرئيس عبد الناصر بخطاب مجدى حسنين وأن رئيس المجلس سيثير الموضوع فى المجلس ، وطلب رئيس المجلس من الرئيس عبد الناصر أن يبادر باصدار قرار باستبعاد مجدى حسنين

عن وظيفته بالمشروع قبل انعقاد المجلس يوم ٤ نوفمبر حتى يثبت لأعضاء المجلس أن مجدى حسنين غير مسنود من أحد ووافق عبد الناصر على هذا الرأى بل وأمر باذاعة هذا القرار فى نشرة أخبار الساعة ٢½ ظهرا وابتهج الرأى العام بهذه الأخبار (١) .

وبعد ظهر يوم ٤ نوفمبر اتصل عبد الناصر برئيس المجلس وعلم رئيس المجلس من الرئيس عبد الناصر أنه تقابل مع مجدى حسنين وأن الرئيس يريد أن يحمى مجدى من أى قرار للمجلس بفصله وأشار بعدم تصويت الوزراء أعضاء المجلس على قرار فصل مجدى حسنين ويكتفى بقرار فصل باقى الأعضاء الذين تورطوا فى العمل بمديرية التحرير ، واتفق على أن يحضر مجدى حسنين وجميع الأعضاء الذين وقعوا على خطاب التظلم من تشهير الصحافة بهم ليشرحوا للمجلس أثناء اجتماعه دفاعهم عن أنفسهم ضد الصحافة ، وبعد افتتاح الجلسة طلب رئيس المجلس من الأعضاء الذين وقعوا خطاب التظلم من تشهير الصحافة وكان معظمهم من الأعضاء الذين جاء ذكرهم انهم يعملون فى نفس الوقت كموظفين فى مديرية التحرير مخالفين دستوريا شروط عضوية مجلس الأمة ، وتكلم كل من الأعضاء : أحمد أبو عوف والدكتور محمود القاضى وبعد استدراج أعضاء المجلس لهما بضرورة ذكر أسباب ارسالهم هذا الخطاب فاعترفوا صراحة بأنهم تورطوا فى قبولهم هذه الوظائف حيث انهما لم يكونا يعلمان أن فى هذا مخالفة دستورية وحازا على عطف أعضاء المجلس ، أما العضو اسماعيل نجم فأخذ يهاجم الصحافة ويدافع عن نفسه بدون منطق ويكابر بأنه لا يعمل فى مديرية التحرير (كذبا) وأثار ذلك أعضاء المجلس ضده وتقدم بعض الأعضاء باقتراحات واتفق على أحدها وهو : اجراء تحقيق فى الموضوع على أن يقوم المجلس باصدار قراره بعد الاستماع الى تقرير اللجنة التى ستباشر هذا التحقيق ووافق المجلس على ذلك بأغلبية الأصوات على أن تتقدم لجنة التحقيق وهى لجنة الشئون الدستورية بالمجلس بتقريرها فى جلسة ٦ نوفمبر ١٩٥٧ .

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٣ .

اتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس المجلس ..

في مقابلة بين جمال عبد الناصر ورئيس مجلس الأمة بحضور زكريا محيى الدين صباح يوم ٥ نوفمبر ، تم الاتفاق على استبعاد اسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء واعتبار مواجهتهم لزملائهم أعضاء المجلس واحراجهم درسا كافيا لهم ويكتفى بلومهم فقط اذا ثبتت ادانتهم ، وفى نفس اليوم فى مكتبه بالمجلس علم رئيس المجلس عبد اللطيف البغدادى أن هناك ضغطا يمارسه المستشار القانونى لرئيس الوزراء الأستاذ فهمى السيد على لجنة الشئون الدستورية بالمجلس بأن تصدر اللجنة قرارا باعتبار مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة وبذلك لا يكون هؤلاء الأعضاء مخالفين للدستور أو قانون المجلس رغم أن ميزانية مديرية التحرير من الأموال العامة ومدرجة بميزانية الدولة وخاضعة لرقابة المجلس ، وعلم أن مستشار الرئيس القانونى يمارس ضغطه باسم الرئيس الذى يرغب فى تسوية الموضوع بخلاف ما تم بينه وبين رئيس المجلس صباحا ، فاتصل به تليفونيا وعلم من الرئيس أنه طلب من عدد من أعضاء المجلس من الضباط الأحرار (١) الاتصال بباقى أعضاء المجلس والعمل على عدم اتخاذ أى قرار يدين هؤلاء الأعضاء لانقاذ مجدى حسنين ، واعتبر رئيس المجلس هذا اعتداء صارخا على الدستور وانحرافا دستوريا واضحا ، واستمر الضغط على لجنة الشئون الدستورية حتى صباح ٦ نوفمبر وتهرب أعضاؤها من الحضور تجنبا لهذا الموقف الشائك وفى النهاية استقر الضغط واستسلمت الغالبية من أعضاء اللجنة لهذا الضغط .

وفى مساء ٦ نوفمبر انعقد المجلس وفى حضور جميع الأعضاء وحشد كبير من الزوار ، قام مقرر اللجنة يواقيم غبريال بتلاوة تقرير اللجنة واعتبر فيه مديرية التحرير مؤسسة خاصة ولا مأخذ على تصرف الأعضاء الذين قبلوا التعيين فى المديرية ووافقت الأغلبية المطلقة للمجلس على رأى اللجنة ولم يجرؤ أى من الأعضاء على مناقشة التقرير وحاول أحد الأعضاء الاعتراض وقام جانب من الأعضاء المتآمرين بمحاولة الاعتداء عليه

---

(١) لطفى واكد ، حمدى عبيد ، كمال رفعت ، محمود الجيار ، ابراهيم الطحاوى ، احمد طعيمة وغيرهم — ص ١٨ . من مذكرات عبد اللطيف البغدادى .

والتشويش على كلامه رفضا وكان تعليق رئيس المجلس وهو أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة على هذا الموقف فى مذكراته : « ان المجلس بعد هذا الموقف لابد سيفقد الكثير من هيبته ومن تقدير الشعب له » ٠

التحرك الأمريكى فى الشرق الأوسط ٠٠

فى آخر عام ١٩٥٦ ـ وحتى قبل جلاء جميع القوات المعتدية عن سيناء ـ لمحت أمريكا لمصر عن مشروع ايزنهاور (١) ، ولكن مصر لم ترحب بقبول هذا المشروع ثم رفضته تماما لما يحويه من شروط تربط مصر الى قيود التبعية لأمريكا وللسياسة الغربية ، وبدأت أمريكا الاعتماد على أجهزتها العلنية والسرية وخاصة بعد أن توقفت مصر عن التعامل مع الأجهزة الأمريكية السرية وكان يتـولاها كيرت روزفيلت فى مصر تحت ستار كونه « مساعدا خاصا للرئيس الأمريكى » وكانت مصر وقتها تتعامل مع السفارة الأمريكية مبـاشرة ، ونشطت المخابرات الأمريكية بالشرق الأوسط وقتها وكان مركزها بيروت فأخذت تخطط وتدبر ضـد مصر استمرارا لمخطط الرئيس أيزنهاور منذ العدوان الثلاثى بأسلوب العمل على انتزاع سوريا بعيدا عن مصر واستقطاب الملك سعود ، وبدأت الأجهزة الأمريكية بالعمل فى سوريا بتدبير انقلاب بها وانتقاما منها فى نفس الوقت لهجومها المنسق مع مصر ضد مشروع ايزنهاور وتحريضها باقى الدول العربية وتخويفها اذا ما فكرت احداها فى الانضمام الى هذا المشروع خشية دعاية مصر وسوريا ٠

ونشطت أجهزة المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط فى تقوية دعايتها فى بيروت لشن حرب نفسية ضد سوريا ومصر بالتنسيق مع جهاز المخابرات البريطانى وعناصر عربية من دول حلف بغداد ومن الهاربين من مصر ، ثم زاد نشـاط المخابرات الأمريكية فى الأردن ـ وفى نفس الوقت تم اتصال كيرت روزفيلت بالأمير فيصل ولى عهد السعودية لمحاولة احداث وقيعة بين السعودية ومصر اتماما لحلقة عزل مصر عن الأمة العربية وتحطيم محور مصر ـ السعودية ـ سوريا الذى يسبب الازعاج لأمريكا ولمبدأ ايزنهاور ٠

واستكمالا لنشـاط التحرك الأمريكى لتنفيذ مخططهـا فى الشرق الأوسط بعثت أمريكا بالسفير « جيمس تشاردز » تحت ستار « الممثل الخاص للرئيس الأمريكى » وزار كلا من لبنان وليبيا وتركيا وايران

---

(١) الجزء الأول من كتاب المؤلف عن ثورة ٢٣ يوليو ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ٠

والعراق واسرائيل والمغرب وباكستان والسعودية والسودان وتونس ، وكان مكلفا بعرض مبدأ ايزنهاور وبما يحمله من مغريات على شكل معونات مادية وعسكرية واقتصادية ولكنها مشروطة بدليل ما جاء فى خطاب أرسله ايزنهاور الى نهرو عندما أرسل له نهرو شكوكه من اتصال مبعوث ايزنهاور « جيمس ريتشاردز » بالباكستان قال فيه ايزنهاور : « أنه فى عرضه لمشروعه على الكونجرس الأمريكى أفصح عن أحد أهدافه الظاهرة وهى مقاومة العدوان الشيوعى بغرض امتناع الدول الراغبة فى الانضمام الى مشروع ايزنهاور مؤملة فى امكان الحفاظ على استقلالها ٠٠٠٠ وليس هناك أى احتمال جدى فى أن تستطيع أى دولة مستفيدة من المشروع (١) أن تشن أى عمليات حربية بدون موافقة أمريكا لأن حصولها على أسلحة أمريكية يعنى اعتمادها الى درجة كبيرة على امداد أمريكا لها بالذخائر وقطع الغيار والصيانة وكلها فى يد أمريكا فقط وكل ذلك يمكن حجبه ومنعه فى اللحظة التى يتصرف فيها أى طرف بالسلاح الأمريكى خارج الأهداف التى توافق عليها أمريكا » ٠

وباطلاع عبد الناصر على هذا الخطاب تأكد من أبعاد مشروع ايزنهاور الظاهرة والباطنة كما تأكد من أبعاد نشاط مبعوث أمريكا فى الشرق الأوسط السفير « جيمس ريتشاردز » وعدم جدوى التعامل معه بل وبنى سياسة مصر على ضرورة حسن استخدام علاقاته وتنظيماته مع العالم العربى لفضح هذا الحلف الاستعمارى الجديد فى العالم العربى وبالتالى توصيل هذه المعلومات لباقى شعوب العالم الثالث لفضح السياسة الأمريكية الجديدة بعد أن ورثت تركة الاستعماريات الكبرى انجلترا وفرنسا ٠

وحرصت مصر على تتبع رحلة واتصالات المبعوث الأمريكى « جيمس ريتشاردز » فى بلاد الشرق الأوسط ونشطت الدعاية المصرية والسورية فى تتبع نشاطه محذرة الشعوب العربية من محاولة الانضمام لهذا الحلف الاستعمارى فى شكله الجديد وقد أثمرت هذه الدعاية حيث كانت الدول العربية التى تطمع فى ذهب أمريكا (٢) وتتعامى عن شروطها المذلة أخذت تتردد فى اعلان قبولها لمبدأ ايزنهاور عند زيارة ريتشاردز لها تجسبا وخشية من معارضة مصر وسوريا ، ومع ذلك فقد كان أغلب حكام العرب

---

(١) وثيقة ــ صورة من خطاب أرسله أيزنهاور الى الزعيم نهرو ردا على انزعاج نهرو من انضمام باكستان لمشروع ايزنهاور وحصولها على أسلحة قد تهدد بها الهند ــ الحلقة التاسعة من حلقات كتاب « سنوات الغليان » للأستاذ محمد حسنين هيكل ــ أهرام ٨٨/١٠/٢٩ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

يميلون للتعـاون مع الغرب ويتجنبون (١) السوفيت واتفق أغلبهم على ضرورة معارضة فكرة أن تكون القاهرة مركزا لرسم سياستهم الخارجية وكان هذا الشعور يعتمل فى نفس نورى السعيد وفى عقل كميل شمعون والملك ادريس والحبيب بورقيبة والملك سـعود وسلطان مراكش وحكام الخليج وكان كل ما تخشـــــاه مصر من تحركات المبعوث الأمريكى هو ما تحاوله الولايات المتحدة من محاولة عزل مصر عن بقية العالم العربى ، وحسب تقدير عبد النـاصر بالذات كانت هـذه معركة لا تحتمل مصر خسارتها لتفقد أقوى أسلحتها وهى طاقات وامكانات الأمة العربية بكاملها لأن مصر كانت على يقين من أنها لو خسرت معركتها فى العالم العربى لكان من السهل على أمريكا والعرب بعد ذلك أن يبادروا بضرب مصر نفسها ، وكان قمة ما حققته سياسة مصر ودعايتها فى مواجهة نشاط هذا المبعوث حامل المشروع الأمريكى الاستعمارى الجديد هو الأزمة التى تفجرت فجأة فى الأردن •

أزمة الأردن ••

فجأة حدثت أزمة عنيفة فى مواجهة مبدأ ايزنهاور وفى مواجهة مهمة ريتشاردز فى الأردن وكانت هذه الأزمة فى أبعادها وعنفها توازى أزمة حلف بغداد عندما تردد أن الأردن سوف ينضم للحلف فى أبريل ١٩٥٦ عند محاولة الجنرال تمبلر البريطانى التآمر مع الملك حسين لتنضم الأردن الى حلف بغداد ضد ارادة شعب الأردن وعلى غير رغبة معظم السياسيين الأردنيين •

وترجع أسباب معارضة مبدأ ايزنهاور من شعب الأردن الى نفس أسباب معارضة حلف بغداد سنة ١٩٥٦ (٢) حيث ان ثلثى سكان الأردن يتألفان من أصل فلسطينى وخاصة بعض ضم الجزء العربى من فلسطين للأردن وهم من اللاجئين الفلسطينيين الذين قاسـوا من آلام الاحتـلال الاسرائيلى وهم قوم نشطون سرعان ما اندمجوا فى الشعب الأردنى بما فيه الجيش الأردنى والذى يعتبر مجالا طيبا لشعارات الثورة المصرية والمبهورين بزعامة جمال عبد الناصر •

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة للسيد / صلاح نصر ــ طبعة الوطن العربى يناير سنة ١٩٧٦ ــ ص ١٠٢ •

(٢) الجزء الأول من كتاب ثورة ٢٣ يوليو للمؤلف ، ص ٢٤٥ •

وقبل أن يصل جيمس ريتشاردز مبعوث ايزنهاور الى الأردن انتقل نشاط المخابرات الأمريكية بكل ثقله وأجهزته العلنية والخفية من بيروت الى عمــان ، وأخذت هذه الأجهزة تمارس ضغوطها السافرة على حكومة الأردن بعد أن تصورت وبعض الموالين للملك حسين أن الضغط الأمريكى لا يمكن مقاومته ، ففى ابريل (١) ١٩٥٧ فكر الملك حسين أن يطلب من رئيس الوزراء سليمان النابلسى المعارض لمبدأ ايزنهاور أن يستقيل لكن رئيس الوزراء الوطنى سليمان النابلسى أحس بهذا الضغط وقطع خط الرجعة على أمريكا وعلى الملك حسين ووقف فى اجتماع علنى يوم ٦ أبريل ١٩٥٧ وقال : « اننــا كعرب لنا مبادئنــا القومية المستمدة من طبيعتنا وتقاليدنا ، ولسنا فى حاجة الى من يقودنا ٠٠٠٠ وأنهم يتحدثون عن سد الفراغ ولكن هذا الفراغ لا يوجد الا فى عقول الذين يتحدثون عنه ، ولا يمكن أن يقوم بالدفاع عن الأمة العربية غير أبناء الأمة العربية » ٠

وأقال الملك حسين وزارة سليمان النابلسى يوم ١١ ابريل وأمر بتأليــف وزارة أخرى برئاســـة حسين الخالدى ورفضت كل الأحزاب السياسية الأردنية التعاون معه ، وقبل أن يعلن عن تشكيل وزارة الخالدى أصدر حسين الخالدى تصريحا مستفزا للشعور الوطنى جاء به : « ان فى مقدمة برنامج وزارته هو التصديق بالموافقة على انضمام الأردن لمشروع ايزنهاور » ، وتأزمت الأحوال عقب هذا التصريح وقامت المظاهرات الصاخبة واضطر الملك حسين يوم ١٣ ابريل أن يصدر قرارا آخر بتشكيل وزارة أخرى برئاسة عبد الحليم النمر الذى فشل هو الآخر فى امكان التشكيل الوزارى ثم يكلف الملك حسين السيد سعيد المفتى يوم ١٥ ابريل بتشكيل وزارة أخرى ويفشـــل هو الآخر تحت ظروف التوتر والغليان الشعبى وأخيرا يؤلف حسين الخالدى الوزارة القومية يشترك فيهــا ســـليمان النابلسى وسعيد المفتى ، وفجأة يتهم الملك حسين اللواء أبو نوار رئيس الأركان (٢) بأنه يدبر مؤامرة مع مخابرات سوريا للاطاحة بالملك حسين ــ وعلى أبو نوار هو من مجموعة الضباط الوطنيين الذى سبق له التعاون مع الملك حسين فى التخلص من جلوب باشا ٠

وبمجرد أن شعر اللواء أبو نوار أنه أصبح محل شك الملك حسين هرب الى سوريا وقام الملك حسين بتعيين اللواء على الحيارى قائدا للجيش بدلا من أبى نوار ولكن اللواء على الحيــارى قام بالهروب الى ســوريا هو الآخر بعد صدور قرار تعيينه بساعات قليلة ، وتوتر الموقف مرة أخرى مع تصاعد تراشق الدعايات العدائية من اذاعات القاهرة ودمشق ٠

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة (صلاح نصر) ص ١٠٣ ٠

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة (صلاح نصر) ص ١٠٣ ، ١٠٤ ٠

وقام الملك حسين بالقبض على سليمان النابلسى وعلى عدد من أعوانه واستفحل التوتر والغليان الشعبى واتهم الملك حسين مصر وسوريا أنهما تدبران مؤامرة للاطاحة بالنظم الملكيـــة فى الأردن والعراق والســعودية وبادر بطرد الملحق العسكرى المصرى من عمان والقنصل المصرى من القدس بحجة أنهما كانا يحرضان على قتله ، وقامت مصر بالرد بطرد السفير الأردنى بالقاهرة واستدعت سفير مصر فى عمان ٠

الجيش العراقى يدخل الأردن ٠٠

بالاتفاق بين الملك حسين وحـكومة العراق ، قام الجيش العراقى بدخول الأراضى الأردنية انقاذا لموقف الأطراف الضالعة فى التآمر ضد تيار القومية العربية وكاد الجيش الأردنى بقيادة ضباطه الوطنيين أن يشتبك مع جيش العراق ٠

ويضطر الملك حسين أن يعلن فى مؤتمر صحفى « أن الأردن سوف لا ينفرد وحده باتخاذ أى سياسة جديدة الا بعد تسوية النزاع مع اسرائيل وحل مشكلة اللاجئين » ٠

وبعد لقاء بين الملك حسين والملك سعود وشكرى القوتلى بالسعودية لمحاولة انقاذ الموقف يعود الملك حسين ويفرج عن سليمان النابلسى لتهدئة الموقف ٠

فشل المخطط الأمريكى ٠٠

ونتيجة لكل هذه الأحداث والقلاقل ، لا يتم أى اتفاق بين المبعوث الأمريكى ريتشاردز وبين الأردن وتفشل مخططات الولايات المتحدة كما فشلت مأمورية المبعوث الأمريكى فى الأردن ٠٠

ففى لبنان ٠٠

فقد كانت المعارضة لمشروع ايزنهاور تتصاعد مع كل محطة يتوقف فيها المبعوث الأمريكى وعندما وصل ريتشاردز الى لبنان ارتعد الرئيس اللبنانى كميل شمعون لدرجة طلبه الحماية من الأسطول الأمريكى وطالب الأمريكان بأسلحة يقاوم بها أى استفزاز سورى على حدوده ٠

أما فى ليبيا ..

وعند وصول ريتشاردز الى ليبيا أعلن شروط أمريكا لمنح معوناتها وهى ضرورة ابتعاد ليبيا عن التعامل مع مصر والاتحاد السوفييتى والشرط الآخر هو سماح ليبيا لأمريكا باقامة قواعد وتسهيلات عسكرية لها فى الأراضى الليبية .

أما فى السعودية ..

وصل اليها المبعوث الأمريكى يوم ١٢ ابريل ١٩٥٧ وضغط على الملك سعود لوقف نشاطه فى التوسط لمصر فى موضوع سحب الوجود الاسرائيلى من خليج العقبة ، ولكن الملك تضامنا مع مصر أعلن يوم ٩ ابريل ٥٧ ـ وقبل وصول المبعوث ـ أنه سيضطر الى ضرب البواخر الاسرائيلية التى تحاول المرور فى خليج العقبة ، ولكن بعد وصول المبعوث أصدر الجانبان السعودى والأمريكى بيانا مشتركا بأن البلدين يعلنان عزمهما على مقاومة النشاط الشيوعى والاستعمارى فى شتى صوره .

دور القومية العربية ..

فات السياسة الأمريكية بكل تدبيراتها وأجهزتها ما وصلت اليه الشعوب العربية من وعى وايمان بقوميتها فكان الفضل لهذا الوعى العربى الجديد فى فشل المخطط الأمريكى عندما شعر الشعب العربى بأن مشروع ايزنهاور ضد مصالح العرب بل ويحرض اسرائيل ضد العرب وفشلت مأمورية المبعوث الأمريكى ريتشاردز ليس فى الأردن فقط بل فى معظم بلدان الشرق الأوسط وبخاصة فى بلدان الأمة العربية واضطر الرئيس الأمريكى ايزنهاور فى النهاية للتريث والانحناء لعاصفة القومية العربية وبنفس القدر أدرك مدى مكانة مصر وزعامتها فى القدرة على تحريك الشارع العربى تلقائيا ودون تدبير وأخذت أمريكا تعيد تخطيطها للنيل من زعامة عبد الناصر الذى أصبح له نفوذ لا يقاوم فى مناطق ومجال السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وأصبح الانتقام الأمريكى بكل أبعاده موجها هذه الفترة الى سوريا وهى البؤرة التى يتركز فيها غليان القومية العربية ومجال نشاط السياسة المصرية فى المشرق العربى وفى نفس الوقت لم تهمل السياسة الأمريكية باقى المخطط فى استقطاب الملك سعود بعيدا عن مصر .

التآمر على سوريا ..

أثناء رحلة المبعوث الأمريكى جيمس ريتشاردز بالشرق الأوسط كان الجيش السورى وقتها هو محور النشـــاط السياسى والسيادى وبنفس القدر ميدانا مفتوحا للنشاط الأجنبى وعلى رأسه النشاط الأمريكى وكانت القاعدة العريضة فى سوريا وبالتالى فى القوات المسلحة تعارض بشدة السياســـة الأمريكية ومشروع ايزنهاور وكانت الأحزاب السياسية فى سوريا نهبا لضباط الجيش الشبان ، فكان هؤلاء الضباط يمثلون جميع التيارات بالساحة السورية بما فيها عملاء الولايات المتحدة وممثلى التيارات المحلية المشبوهة ــ وهذه المجموعات هى : ــ

(أ) مجموعة حزب البعث :

وهى التى كانت متصلة بحزب « البعث العربى الاشتراكى » وكان قد بدأ تكوين هذا الحزب ســـنة ١٩٤٢ باسم حزب « البعث العربى الثورى » ، وقد اتخذ هذا الحزب شعار تبنى الدعوة لبعث الوحدة العربية من جديد بعد طول غياب وكان برنامجه السياسى يدعو الى تحقيق هذه الوحدة ، وقام الحزب بانشاء فروع له فى لبنان والأردن والعراق ، وبعد سقوط الرئيسى أديب الشيشكلى عام ١٩٥٤ عادت الحياة الدستورية الى سوريا فاندمجت الشعبة السورية من حزب البعث مع الحزب « الاشتراكى العربى السورى » وكانت عبارة عن جماعة يسارية بها عناصر من الطبقة المتوسطة ومن صغار ضباط الجيش وتم هذا الاندماج تحت اسم « حزب البعث العربى الاشتراكى » بما فيهم من ضباط الجيش بعدد كبير ، وفى هذا الوقت بالذات بدأ المخطط الأمريكى يزاول نشاطه فى سوريا فى عام ١٩٥٧ بعد فشل مأمورية جيمس ريتشـــاردز وكان هذا الحزب يحظى بالسيطرة على الخصوم السياسيين فى سوريا بفضل اعتماده على مجموعة الضباط الشبان النشطين سياسيا والمسيطرين فى نفس الوقت على الحزب نفسه وكان هؤلاء الضباط يؤيدون النشاط الروسى ومساعداته المختلفة وعلى رأسها المساعدات العسكرية .

(ب) مجموعة الضباط الموالين للعراق :

كانت هناك مجموعة من الضباط السوريين لها صلات تقليدية بالعراق وكانت تسيطر عليهم السياسة البريطانية .

(ج) مجموعة الفكر الماركسي :

مجموعة من الضباط يتولى خالد بكداش « رئيس الحزب الشيوعى السورى » توجيهها وتنظيمها ، وكان خالد بكداش قد برز دوره بعد العدوان الثلاثي عندما ازدادت هيبة الاتحاد السوفييتي في سوريا لمواقفه القوية والعادلة مع مصر ومساعداته الايجابية لمصر ولسوريا وهذا الحزب الشيوعى السورى كان من أقدم وأنشط الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ورئيسه خالد بكداش كان مشهودا له بالنشاط التنظيمى وبالذكاء ، ولكن نشاط الحزب عامة من القواعد الشعبية السورية كان محدودا بحكم الأوضاع الاجتماعية التقليدية والأوضاع العشائرية والطبقية ، وفى نفس الوقت كانت حركة الثورة المصرية من ناحية أخرى تقوم بمساعدة حركات التحرر الوطنى فى العالم العربى (١) ، وكانت قد تخطت حركة التحرر الوطنى التى كانت تتبناها الحركة الشيوعية الدولية وبالتالى غطت هذه الحركة العربية القومية للتحرر الوطنى على مجهودات الحزب الشيوعى السورى فى هذا المجال ، ومع نشاط وسائل التآمر الأمريكى ورواج اشاعة انتشار الشيوعية فى سوريا كمبرر لتدخل جيوش الدول العربية المجاورة لسوريا ، فقد كانت أضواء الاعلام الغربى مسلطة بالتالى على الحزب الشيوعى السورى أكثر مما كانت مسلطة على غيره من الأحزاب السياسية الأخرى وعلى التنظيمات العلنية وأخذت الصحف ووكالات الأنباء تتابع نشاط خالد بكداش وتتسابق على عقد لقاءات معه وظهر حتى لباقى التنظيمات السياسية السورية العلنية بأهمية أكثر مما يستحقها وبذلك برز دور الحزب الشيوعى السورى ـ بقصد ـ مما زاد فى بلبلة الخواطر فى الشعب السورى وكذلك بين باقى الأحزاب السورية العلنية وأفرعها هذا السبق وبخاصة بعد أن انجذب جانب كبير من ضباط الجيش الى التيار الماركسى وكان أبرزهم هو اللواء عفيف البزرى وكان رئيسا للأركان ، ولو أن هذا الدور النشيط للحزب الشيوعى ـ رغم عدم فعاليته ـ كان محسوبا على سوريا ولكنه كان وسيلة للتأكيد على الادعاءات الغربية ، وازدادت حالة القلق وعدم الاتزان خشية أن يؤدى هذا النشاط الى الاحتكاك بين مختلف القوى السياسية السورية .

---

(١) تصريح ديمترى شبيلوف ـ وزير خارجية روسيا ـ الى جريدة البرافدا :
« ان الحركة الوطنية فى مصر قامت ضد الاستعمار وفى مجال التحولات الاجتماعية قامت بتحقيق منجزات هائلة ـ عجزت عنها الأحزاب الشيوعية طوال تاريخها » .
ـ الحلقة ١٢ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل ـ عدد الأهرام ١٩٨٨/١١/١٥ .

(د) أما المجموعة الرابعة ـ داخل ضباط الجيش الشبان :

فكانت مجموعة الضباط الوطنيين ذوى الفكر القومى والواقفين دون تنظيم تحت راية القومية العربية ، ولكن قد اشتد عضدها وتوسع تكوينها دون تنظيم داخل الجيش وكان حماسها متبادلا مع حماس الجماهير السورية عامة بعد الدور الوطنى الذى قام به الضباط الشبان السوريون أثناء العدوان الثلاثى بنسف خط أنابيب البترول التابع للشركات الأمريكية وكان على رأسهم «عبد الحميد السراج» رئيس الشعبة الثانية (المخابرات) ، ومنذ قيام هذه المجموعة بنسف خط الأنابيب كانت هذه المجموعة وثيقة الصلة بالقاهرة وكان هذا التجمع القومى العسكرى لا يثق لا فى نوايا الرئيس السورى شكرى القوتلى ولا فى باقى التنظيمات السياسية السورية العلنية منها والسرية وليس له أى انتماء لأى قوى خارجية ٠

ـ ما كان يبدو من حالة عدم الاستقرار :

كانت حصيلة نشـــاط هذه التيـارات المتنافرة والمتصارعة داخل الجيش السورى ـ تبعا للانتماءات الحزبية ـ تائهة بين مصلحة سوريا كوطن ينتمى للعروبة وبين ولاءات متعددة لا يمكن أن تجمع أمرها على أى عمل ايجابى لصالح البلاد ، فكان المجتمع السورى بهذه الصورة مرتعا خصبا وهدفا مغريا للأجهزة الأمريكية الخفية والعلنية والتى نشطت فى المنطقة العربية وفى سوريا بالذات منذ عصر الانقلابات التى جاءت بحسنى الزعيم لحساب المخابرات الأمريكية ولمصلحة شركة أرامكو للبترول بهدف تنفيذ مد خط أنابيب البترول ، ثم بعد ذلك انقلاب سامى الحناوى بتدبير من المخابرات البريطانية لحساب شركة بترول العراق ، ثم الانقلاب الثالث والذى جاء بأديب الشيشكلى والذى سقط بفضل مجموعات من الضباط الشبان الذين أعادوا الرئيس شكرى القوتلى لرئاسة سوريا بفضل وساطات محور مصر السعودية والتى كانت علاقتهما ببعضهما ـ فى هذا الوقت ـ فى أحسن أحوالها بهدف محاربة حكام العراق أعداء السعوديين والضالعين مع حلف بغداد مجال الهجوم المصرى ٠

وبدأت المخابرات الأمريكية عملها التآمرى الموجه أساسا الى عبد الناصر لتقليص دور مصر بايجاد الخلاف بين جمال عبد الناصر والملك سعود ثم خلخلة الأوضاع الداخلية فى سوريا بعمل انقلاب يأتى بحكم معاد للقومية العربية ومؤيد للسياسة الأمريكية ومبدأ أيزنهاور ، وبذلك يتحق عزل مصر عن المحاور العربية المؤثرة ضد انتشار ظاهرة القومية العربية ٠

– المؤامرة (عملية الدندشي) ..

بدأت باتصال المخابرات الأمريكية عن طريق (مستر كاش) بالعميل السورى « عبد الكريم الدندشي » (١) وهو صحفي سورى من رجال أديب الشيشكلي ، وقام الدندشي بدوره بتجنيد عدد من السياسيين السوريين وبعض كبار ضباط الجيش وكان منهم مأمون الكزبرى الوزير السابق ولطفى الحفار رئيس وزراء سوريا السابق ، ثم استعانت المخابرات الأمريكية بعملاء من العراق على علاقات وثيقة مع السياسيين السوريين فكان من الجانب العراقى سفير العراق في بيروت « عبد الجليل الراوى » ومعه الملحق العسكرى العراقى « صالح السامرائى » وقاما بتجنيد صبرى العسلى وميخائيل اليان وأحمد مختار باشا من الجانب السورى ، واتفق الجميع على البدء في توفير جو دعائي قوى لتحقيق مقاومة ضد الشيوعية في المجتمع السورى وبخاصة بين رؤساء العشائر والتجار ثم التخطيط بأسلوب ايجابى للتخلص من مجموعة الضباط الشبان المتصلين بمصر وعلى رأسهم عبد الحميد السراج ، وكان فاضل الجمالى وزير خارجية العراق على اتصال أيضا مع المتآمرين ، ونجح المتآمرون في ضم مجموعة من ضباط الجيش السورى بقيادة الضابط « أمين النافورى » والذى استغل مركزه كمساعد لرئيس الأركان ، وتمكنت هذه المجموعة من شغل مناصب أخرى في قيادة الجيش وأمكنها في النصف الأول من عام ١٩٥٧ من اصدار نشرة تنقلات (٢) بين ضباط الجيش وكان أخطرها هو ما نص على نقل عبد الحميد السراج من رئاسة الشعبة الثانية (المخابرات) الى منصب ملحق عسكرى بالهند وكان السراج محسوبا على البعث ولم يكن من تنظيمهم ولكنه كان منذ قيامه مع مجموعة من العسكريين بنسف خط أنابيب البترول الأمريكى أثناء العدوان الثلاثى وهو على صلة مستمرة بجمال عبد الناصر .

واثر اعلان هذه النشرة شعرت مجموعة الضباط الشبان بأبعاد المؤامرة والتى كانت تهدف الى استيلاء العناصر المتعاونة مع أمريكا للوصول الى المراكز القيادية العليا والمؤثرة على الجيش السورى وبالتالى لتحقيق السيطرة على سوريا لحساب الأمريكان .

---

(١) وثائق محاكمة الدندشي – مذكورة بالحلقة ١١ من كتاب سنوات الغليان – للأستاذ حسنين هيكل – أهرام يوم ١٩٨٨/١١/٢ .

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة (صلاح نصر) ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

ـ الرد على المؤامرة ..

قام التنظيم العسكرى البعثى داخل الجيش السورى وبالتعاون مع الضباط القوميين برفض تنفيذ هذه الحركة بالتنقلات وكانوا يشغلون مراكز مؤثرة فى القوات المدرعة السورية ، وفى نفس الوقت كان آلان دالاس ـ رئيس وكالة المخابرات الأمريكية ـ يتابع خطوات هذه المؤامرة أولا بأول ويبلغ بها الرئيس ايزنهاور وكانت المعلومات الأمريكية تؤكد أن تيار الضباط الشبان هو أقوى من المؤامرة الأمريكية لأنها تمكنت فى النهاية من احباط مؤامرة السيطرة على الجيش السورى لحساب العناصر الموالية لأمريكا .

وبعد ظهر ٧ مارس ١٩٥٧ أبرق الضباط الوطنيون الرافضون لتنفيذ أوامر النقل (١) للقصر الجمهورى ورئاسة الأركان منذرين بالزحف على دمشق واحتلال الاذاعة والقصر الجمهورى ورئاسة الأركان ، ودارت بعد ذلك مشاورات انعقد على أثرها اجتماع فى منزل خالد العظم وزير الدفاع ليلة ٧ ـ ٨ مارس بحضور جميع الضباط ومثل البعثيين مصطفى حمدون واستقر الرأى على تجميد نقل السراج والضباط الموالين للبعث وتسريح الضباط الشوام أعضاء الجناح الموالى للغرب ولشكرى القوتلى وللقوى الرجعية السورية وعلى رأسهم توفيق نظام الدين رئيس الأركان ومعاونه عبد العزيز عبد الكريم ، وتسلم عفيف البزرى رئاسة الأركان وبقى عبد الحميد السراج رئيسا للشعبة الثانية (المخابرات) .

وبذلك توقف تنفيذ حركة التنقلات كما اهتز موقف الرئيس شكرى القوتلى نفسه وقوى موقف عبد الحميد السراج وأمكن التخلص من مجموعة الضباط الشوام المتعاونة مع الأمريكان وأصبح بالجيش السورى ثلاث قوى فقط هم : البعث ، الشيوعيون ، القوميون .

ـ تشكيل المجلس العسكرى (٢) :

وتم تشكيل مجلس قيادة من ٢٤ ضابطا ممثلين لثلاث القوى وكان منهم : عفيف البزرى ، أحمد عبد الكريم ، مصطفى حمدون ، أمين النافورى ـ وكانت مهمة هذا المجلس خارج الجيش هى مراقبة الحكومة السورية وتصرفاتها والحيلولة دون انحراف سوريا عن الخط القومى

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة (صلاح نصر) ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وابعاد سوريا عن حلف بغداد ومشروع ايزنهاور ، أما داخل الجيش فكان رسم السياسة العسكرية للجيش من تنظيم وتسليح وترقيات وتنقلات وجميع المواضيع مهما صغرت كانت تعرض على المجلس للمناقشة ، وبخروج الكتلة الرجعية من الجيش زاد الصراع بين القوى الثلاث المتبقية وبالتالى زاد الصراع بين ممثليهم من الأحزاب التقليدية .

ـ زعامة عبد الناصر ـ كانت الملاذ ..

ورغم كل ما سبق من الملابسات فقد فرضت الظروف تحت وطأة المؤامرات الخارجية فى سوريا تغيرات سريعة فى الموقف الداخلى ولسيطرة التيار القومى العربى بين ضباط الجيش وفى القواعد الشعبية السورية ، أصبحت القاهرة هى الملاذ وبمثابة قاعدة الأمان للعناصر الوطنية وبخاصة فى الجيش السورى وكان الشعب السورى يبارك فوريا وعفويا هذا الاتجاه القومى وأصبح هناك مطلب شعبى لمزيد من التقارب بين الشعبين السورى والمصرى تحت زعامة عبد الناصر تحقيقا للأمن القومى ضد المؤامرات الخارجية فى سوريا .

ولمرة أخرى يؤدى الفشل الأمريكى فى سوريا الى مزيد من تحامل الادارة الأمريكية على مصر وعلى عبد الناصر لقدرة هذا التيار القومى المنبعث من القاهرة على النيل من المخططات الغربية الأمريكية الهادفة لسد الفراغ واعادة السيطرة على الأمة العربية ولذلك بادرت الولايات المتحدة بالتجهيز لعملية غزو لسوريا من الخارج وعلى يد جيش احدى الدول العربية وهى العراق وعلى الجيش التركى للدولة الاسلامية المتاخمة حدودها لسوريا وهما من دول حلف بغداد .

وفى يوم ٢١ أغسطس ١٩٥٧ ، اتخذ دالاس خطوة جديدة بالاعداد للتدخل العسكرى ضد سوريا ، واتصل فى سبيل ذلك بانجلترا (١) واسرائيل والعراق وتركيا والأردن وكلفت الولايات المتحدة وكيل وزارة الخارجية الأمريكية « لوى هندرسون » بزيارة أطراف التآمر العسكرى والاتصال بمسئولى المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط لوضع وتنفيذ خطة التدخل العسكرى وأعلنت الولايات المتحدة ـ كستار ـ أن مبعوثها فى الشرق الأوسط « لوى هندرسون » سيقوم بزيارات لدول الشرق الأوسط بغرض تقصى الحقائق عن الوضع المتدهور فى سوريا .

---

(١) الحلقة ١١ من « سنوات الغليان » ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢ .

ويقوم جمال عبد الناصر – على اثر هذا الاعلان (١) – باستدعاء السفير الأمريكي بالقاهرة « ريموندهير » ويفصح له « أنه من الغريب أن تعلن أمريكا عن الهدف من مهمة المبعوث لوى هندرسون أنها بغرض تقصى الحقائق فى سوريا دون أن يتوجه هندرسون مباشرة الى دمشق ليرى بنفسه وعلى الطبيعة ما يجرى هناك » !!

وتكشف الوثائق المتعددة التى حصل عليها الأستاذ محمد حسنين هيكل من الادارة الأمريكية وغيرها وهى أساس موضوع كتابه « سنوات الغليان » على أن الادارة الأمريكية ومبعوثها « لوى هندرسون » كانوا يدبرون(٢) تجهيز حشود عسكرية عراقية تركية على حدود سوريا بغرض التدخل العسكرى ، ولم تكن مصر بغافلة عن هذه التحركات (٣) وهذه الحشود حيث كانت لها مصادرها هى الأخرى العلنية والخفية بجانب ما أعلنته أمريكا تمويها عن المأمورية وأفصحت فى نفس الوقت عن حقيقة ما تخفيه ، ولذلك أبلغ عبد الناصر السفير الأمريكي فى القاهرة فى لقاء له يوم ٢٦ أغسطس ١٩٥٧ : « أن مصر لا تستطيع أن تقف ساكنة ازاء هذه المخاطر المحيطة بسوريا » ٠ ووصلت المعلومات الى مصر بتصاعد عمليات التهديد لسوريا من الدول المجاورة لها بحشد الجيوش التركية والعراقية تحت ستار اجراء مناورات عسكرية وقيام أمريكا تطبيقا لمشروع

---

(١) مذكرة بمقابلة جمال عبد الناصر والسفير هير محررة يوم ٢٧ اغسطس ١٩٥٧ – ارشيف وزارة الخارجية المصرية – نفس المصدر السابق ٠

(٢) مجموعة وثائق امريكية :

(أ) مذكرة من جون فوستر دالاس وزير الخارجية الى رئيس امريكا ايزنهاور فى ٢٠ اغسطس ١٩٥٧ ٠

(ب) صورة رسالة من فوستر دالاس الى سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا فى ٢١ اغسطس ١٩٥٧ ٠

(جـ) صورة مذكرة من فوستر دالاس الى هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا فى ٢٢ اغسطس ١٩٥٧ ٠

(د) برقية صادرة من سفارة امريكا فى اسرائيل الى فوستر دالاس فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ ٠

(هـ)رسالة من وزير خارجية اسرائيل أبا أيبان الى وكيل الوزارة هيرتري فى ١٩٥٧/٨/٢٥ ٠

(و) تقرير لوى هندرسون فى ثلاث برقيات متتالية أرسلها من بيروت فى ١٩٥٧/٢/٢٨ تحت أرقام ٥٦٣ ثم بأرقام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ وعن طريق السفير الأمريكى فى بيروت مستر « هيث » ٠

(٣) مذكرات « محمد عبد الفتاح أبو الفضل (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ٠

ايزنهاور (١) بشحن السلاح بالطائرات الى عواصم الدول العربية المؤيدة لمشروع ايزنهاور وكانت كلها أسلحة خفيفة لا تصلح الا لحماية الجبهات الداخلية لهذه الدول ، ولم يكن هناك ما يستدعى سرعة النقل بالطائرات وكان يصاحب ذلك تحركات المبعوث الأمريكى « لوى هندرسون » ، بما أوحى للمجتمع السورى المتصارع حزبيا وسياسيا أن هذه التصرفات تمهد للغزو وأحدث هذا الشعور توترا فى الاستقرار داخل سوريا ٠

وفى وسط هذه الظروف التى تهدد سوريا تقوم القوات الاسرائيلية باحتلال منطقة جبل المكبر حول القدس القديمة ٠

وازاء كل ذلك قام عبد الناصر (٢) يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٧ بالادلاء بحديث مع رئيس تحرير جريدة الأهرام للرد فيه على كل الادعاءات الأمريكية ومؤامراتها ضد سوريا واتهاماتها والاشاعات التى تروجها عن خطورة الموقف فى سوريا على أنها أصبحت خاضعة تماما للسيطرة السوفييتية ومجالا لانتشار الشيوعية وأثبت بالمنطق أيضا أن أمريكا نفسها تكابر لأنها متأكدة أن هذه الادعاءات غير صحيحة ولكنها تبرير للاعتداء على سوريا بحجة عزلها عن مصر بعد تغيير الأوضاع فيها لصالح السياسة الأمريكية وطبقا لمشروع ايزنهاور ، وفضحت السياسة التمثيلية الأمريكية التى تستخدم فيها أمريكا طائراتها بصفة عاجلة لنقل أسلحة ومعدات عسكرية بأسلوب مسرحى الى الدول العربية الموالية للغرب وأنها تنقل ــ فقط ــ سلاحا خفيفا لا يصلح للقتال مع عدو ولكنه يصلح فقط للدفاع عن الجبهة الداخلية وأن الهدف الحقيقى للسياسة الأمريكية هو التخفيف عن اسرائيل وتحويل الأنظار عنها ، وأن الغريب فى الأمر أن اسرائيل نفسها تقوم فى نفس الوقت بالاعتداء على جبل المكبر حول القدس ولا يوجد فى العالم العربى من يرى فى كل هذا أى نذير للخطر وبالعكس تقوم تركيا والدول العربية الموالية للغرب بحشد جيوشها حول سوريا بحجة انتشار الشيوعية بها ، وصرح عبد الناصر فى نهاية حديثه : « ان مصر ستقف بجانب سوريا الى غير حد وبدون أى قيد أو شرط » ، وبادر عبد الناصر وأرسل فى طلب عبد الحميد السراج رئيس الشعبة الثانية السورية (المخابرات) وكان أقوى الشخصيات القومية العسكرية وكذلك أرسل فى طلب اللواء عفيف البزرى أركان حرب الجيش السورى والمتزعم للتيار الماركسى فى الجيش السورى وتمت المقابلة يوم

---

(١) مجموعة خطب وأحاديث عبد الناصر ــ تجميع مصلحة الاستعلامات ــ القسم الاول ص ٧٢٠ الى ٧٢٥ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

١١ سبتمبر ١٩٥٧ للبحث فى مواجهة جميع التيارات والمؤامرات والحشود المحيطة بالوطن السورى وتلا ذلك مقابلتهما مع عبد الحكيم عامر بحضور جانب من أعضاء هيئة أركان حرب المصرية يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٧ وصار الاتفاق على تنفيذ خطة تحركات تنقذ الموقف المتدهور وغير المستقر فى سوريا ٠

مفاجأة وصول القوات المصرية الى سوريا ـ (١٣ أكتوبر ١٩٥٧) :

وفى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٧ ظهرت فجأة بواخر الأسطول المصرى أمام ميناء اللاذقية فى شمال سوريا وكانت تضم ثلاث مدمرات وناقلات للجنود تحمل لواءين كاملين من المدفعية الثقيلة والمدرعات بأسلحتها الثقيلة ونزلت جميع القوات الى الشاطىء ، وأحدثت هذه المفاجأة دويا دوليا أيقظ الشعور القومى فى العالم العربى وكأنه صوت القارعة كتعبير الزعيم سعد زغلول فيما قبل ثورة شعب مصر سنة ١٩١٩ ٠

واستيقظ الشعب العربى عامة وفى سوريا بصفة خاصة بعد طول نوم وقلق الانتظار واكتسح صوت الشعب فى سوريا وفى العالم العربى مخططات ومؤامرات جميع القـــوى الغربية والعربية العميلة والتى كانت تدبر وتتآمر للعدوان على سوريا وعلى الأمة العربية وعلى القومية العربية ٠ وفى وسط هذه الدوامات من الصحوة ارتفعت أصوات فى سوريا تطالب بالوحدة بين اقليمى مصر وسوريا ٠

الوقاية بعد التحدى ٠٠

كانت مصر بعد انزال قواتها العسكرية فى الوطن الســـورى فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٧ تتوقع انتقاما أمريكيا لهذا التحدى المصرى ضد التحريض الأمريكى على سوريا ، وتحصنا ضد أى تحرك أو تآمر أمريكى جديد وجدت مصر نفسها مضطرة للتحصن داخل كتلة دولية واسعة ولم تجد أكفأ من كتلة شعوب آسيا وأفريقيا والتى كانت تعانى حتى هذا الوقت بعد استقلال معظم دولها من شتى الضغوط الاستعمارية لاعادة ربطها بعجلة الاستعمار من جديد وبصورة جديدة من التبعية وهو نفس ما كانت تعانى منه مصر وباقى شعوب العالم العربى ولذلك ولنفس الشعور المتبادل مع زعماء الكتلة الآسيوية الأفريقية كان المجال ممهدا لعقد مؤتمر آسيوى أفريقى ٠

مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية (١) ·· (القاهرة ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧)

كان التأييد العربى لتحرك مصر العسكرى لسوريا مظاهرة عربية وبنفس القدر انعكست على شكل احترام وتقدير من جميع شعوب العالم الثالث مما أقنع عبد الناصر بضرورة تقوية كتلة عدم الانحياز اعتقادا منه أن أمريكا والغرب سوف تستمر سياستهما المرسومة لمحاولة تقليص مكانة عبد الناصر بين العرب وبخاصة الدول المتعاونة مع الغرب وانتهز عبد الناصر فرصة اجتماعات اللجنة التحضيرية لمؤتمر التضامن للشعوب الآسيوية الأفريقية فى القاهرة فى هذه الفترة بالذات فى أكتوبر ١٩٥٧ وتحمست مصر لعقد مؤتمر الشعوب الأفريقية الآسيوية بالقاهرة ابتداء من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ وتم انعقاد هذا المؤتمر فعلا واستمر حتى أول يناير ١٩٥٨ بقاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة بعد الاعداد الجيد ليتناسب مع الصراع الخفى والعلنى للسياسة الأمريكية مع زعماء الشعوب الأفرو آسيوية وحضر حفل الافتتاح نحو خمسة آلاف من المدعوين منهم أعضاء الوفود وكان هذا المؤتمر هو المنبثق من مؤتمر باندونج فى ابريل ١٩٥٥ والذى كان يمثل فقط الدول المستقلة التى كانت معترفا بها دوليا فى ذاك الوقت ، أما هذا المؤتمر فكان يمثل الشعوب لا الحكومات فاشتركت فيه شعوب الدول المستقلة والشعوب التى كانت لا تزال تكافح فى سبيل استقلالها وانتخب المؤتمر السيد/أنور السادات رئيسا له ويوسف السباعى سكرتيرا عاما واستمر منعقدا الى أول يناير ١٩٥٨ ·

قرارات المؤتمر ··

وتلخصت قراراته فى :

١ ـ تأييد المبادىء العشرة التى أقرها مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ على اعتبار أنها أساس ازالة التوتر العالمى ·

٢ ـ ان استعباد الشعوب لتحقيق السيطرة الاستعمارية هو انتهاك لحقوق الانسان ولميثاق الأمم المتحدة ويجب التخلص منها لتحقيق الحرية والاستقلال وهو الحق الطبيعى لهذه الشعوب ·

٣ ـ العمل على تحقيق الوحدة بين الشعوب الآسيوية الأفريقية فى سبيل خيرها وطالب بانهاء الوصاية على المستعمرات السابقة ·

---

(١) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للأستاذ الرافعى من ص ٢٧٠ ·

٤ ـ تحقيق سلام دائم فى العالم ·

٥ ـ طالب المؤتمر بتوجيه الجهود العلمية الذرية لأغراض السلام بخدمة البشرية ونادى بتحريم الأسلحة الذرية وتدميرها ·

٦ ـ طالب المؤتمر بتمثيل جميع البلاد الأفريقية والآسيوية فى أجهزة وتنظيمات الأمم المتحدة ·

٧ ـ طالب بعدم تدخل الدول الكبرى فى الشـــئون الداخلية للدول الصغرى وانهاء الحرب الباردة واستنكر الاستعمار فى كل صوره ·

٨ ـ نادى بمقاطعة الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية التى تخلق مناطق نفوذ ، وتجنب المعونات العسكرية التى تتسبب فى الاسراف فيما لا طائل منه والتوقف عن الصرف على التنمية ·

٩ ـ استنكر المؤتمر التآمر على الحكومات الوطنية للاطاحة بها تمكينا لمصالح المستعمرين كما استنكر التفرقة العنصرية ·

١٠ ـ مقاومة وفضح المعونات المشروطة التى تؤدى فى النهاية للاخلال بسيادة الأمم الصغيرة واستقلالها ·

١١ ـ استنكار وجـود القوات والقواعد العسكرية الأجنبية على أراضى الدول الصغرى ·

١٢ ـ خليج العقبة هو خليج عربى مغلق ضمن الميـاه الاقليمية للدول العربية ·

١٣ ـ تأييد مطالب الشعب الفلسطينى وتأكيد حقوق العرب فى فلسطين والتعاطف مع اللاجئين الفلسطينيين ·

١٤ ـ استنكر المؤتمر الحرب الاســتعمارية الفرنسية ضـــد الجزائر والاعتراف باستقلال الجزائر ·

١٥ ـ كما شملت القرارات قرارات أخرى اقتصادية كلها تحقق الحرية الاقتصادية على أساس انها تحقق بالتالى الحرية السياسية لهذه الشعوب ولتحقيق حياة اجتماعية انسانية والتبادل الثقافى ·



أهمية سياسة مصر فى أفريقيا وآسيا ..

أدرك عبد الناصر منذ بداية الثورة أن مصر المستقلة لا تستطيع أن تعيش وحدها وأن ثورة مصر جزء (١) من ثورة التحرر الوطنى فى العالم والتحم أولا بأقرب الشعوب الى مصر شعوب العالم العربى وبحركات تحرر الوطن العربى واعتبرها قاعدة انطلاقه ، ثم بادر بعد ذلك بالالتحام بحركة التحرر الوطنى الأفريقى ثم امتدت حركته الى آسيا ثم الى العالم الثالث ، وتأثرت حركات التحرر فى أفريقيا بخطوات عبد الناصر الثورية فى تأميمات وكسر احتكار السلاح وفى مجال التنمية الذاتية وسرعان ما ارتفعت أعلام الاستقلال فى جميع أنحاء القارة الأفريقية متخذة من عواصم دولها المستقلة فى القاهرة وأكرا وفى كوناكرى ودار السلام وغيرها قاعدة انطلاقها ، وبانتصار مصر فى معركة السويس تحقق هدف مصر من تأميم قناتها وقضائها على العدوان الثلاثى ، وهز ذلك صورة انجلترا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال فى أفريقيا ، وقد أثرت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى أفريقيا وفى شعوبها وزعمائهـــا بنفس القدر الذى أثرت به الثورة الفرنســـية فى أوربا بدليـــل أن الرئيس كينيث كاوندا رئيس جمهورية زامبيا طلب من مصر دراسة دقيقة ووافية لعملية تأميم قناة السويس وأبعادها القانونية والمشاكل الاقتصادية والسياسية التى قابلتها مصر من جراء عملية تأميم القناة ولم يفصح عن سبب طلب هذه الدراسة ، ولكن بعد الاستقلال اتضح أن كاوندا كان يفكر فى اتباع خطوات مصر عند تفكيره فى تأميم شركات النحاس الأجنبية الضخمة (٢) التى تمتلك الثروة فى بلاده ، وبالفعل استفاد من هذه الدراسة بعد ذلك عندما قام بتأميم ٥١٪ من أسهم شركات النحاس فى زامبيا .

وكان عبد الناصر يشعر بمسئولية خاصة (٣) حيال الدول الأفريقية حديثة الاستقلال ، فمصر المستقلة كانت تريد الاستفادة برياح التغيير التى تهب على القارة الأفريقية قبل أن تهدأ هذه الرياح ويبطل مفعولها باستقلال تكبله اتفاقات وارتباطات غير متكافئة مع دول الاستعمار القديمة ، فكان يريد من الدول الأفريقية أن تستكمل استقلالها لأن فى ذلك تأمينا وتعزيزا لاستقلال مصر نفسهـــا ، هذا الأمر الذى فرض على مصر أهمية مساعدة الدول الأفريقية فى معاركها للتحرر من السيطرة الأجنبية وحتى تكون قادرة على الوقوف فى صف الدول غير المنحازة .. وكان من أهم

---

(١) عبد الناصر والثورة الأفريقية ــ للأستاذ محمد فائق ــ ص ٥ ، ٦ .

(٢) عبد الناصر والثورة الأفريقية ــ للأستاذ محمد فائق ــ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) نفس المصدر السابق ــ ص ٥٣ ، ٥٤ .

أسباب تكتل مصر مع دول العالم الثالث بصفة عامة ومع أفريقيا بصفة خاصة هي :

أولا : مقاومة النشاط الاسرائيلي في أفريقيا ••

حيث ان اسرائيل كانت تحاول وبفضل علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية القديمة والحديثة وترمى بكل ثقلها لخلق مصالح وعلاقات تجارية مع المستعمرات الأفريقية قبل الاستقلال مستفيدة من الوجود الاستعمارى وشركات الاحتكار الغربية والنفوذ الصهيونى المتغلغل فيها وذلك بقصد كسر الحصار الاقتصادى الذى فرضته عليها الدول العربية ولضمان اعتراف هذه الدول الأفريقية باسرائيل بمجرد استقلالها ولذلك أقامت اسرائيل قنصليات عديدة لها في المستعمرات الأفريقية حتى تتحول الى سفارات لها بمجرد الاستقلال فى الوقت الذى لم تكن تسمح فيه السلطات الاستعمارية للمصريين بوضع مماثل لوضع اسرائيل (١) وحتى لمجرد زيارة هذه الأقاليم ، وكان من الضرورى هذا الوجود الاسرائيلى الذى كان يتناسب طرديا مع مدى السيطرة الاستعمارية على هذه الدول الأفريقية حيث استخدمت اسرائيل كأداة من أدوات هذا الاستعمار وكانت اسرائيل تحاول بشتى الطرق الى خلق مصالح وعلاقات تجارية مع هذه المستعمرات من قبل الاستقلال لضمان اعتراف هذه البلاد بها بعد الاستقلال •

ثانيا : فتح مجال للتعاون الاقتصادى بين مصر والدول الأفريقية ••

حيث كانت دول أفريقيا هى المجال الحيوى لمصر النامية فى التعامل الاقتصادى بعد أن عملت مصر على تحرير اقتصادها من السيطرة البريطانية ليحتفظ الاقتصاد المصرى بأمنه وحريته في التعامل فقد اعتبرت مصر أن الدول الأفريقية هى أنسب الدول فى مجال التبادل التجارى نظرا لموقع مصر الجغرافى من الدول الأفريقية وباعتبار أفريقيا موردا هاما لكثير من المواد الخام اللازمة للصناعة المصرية ولأنها أنسب الأسواق لتصريف المنتجات المصرية الصناعية والتى يصعب تصريفها فى مجتمعات الرفاهية •

مؤتمر اكرا للدول الأفريقية •• (ابريل ١٩٥٨) •

دعا الرئيس الغانى «نكروما» الى عقد مؤتمر للدول الأفريقية المستقلة وهى : مصر ، أثيوبيا ، ليبيا ، السودان ، ليبيريا ، المغرب ، تونس وغانا ،

---

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ٥٤ •

لينعقد فى آكرا عاصمة « غانا » (ساحل الذهب) وهى دولة أفريقيــة مشهورة بمزارع الكاكاو غنية بالمعادن وأهمها المنجنيز والذهب ، وانعقد المؤتمر فى مدينة آكرا يوم ١٥ أبريل ١٩٥٨ وكان امتدادا لمؤتمر باندونج ومؤتمر تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية بالقاهرة ٠

٠٠ وأهم قراراته :

١ ـ تعزيز استقلال الدول الأفريقية ٠

٢ ـ تقوية الروابط الاقتصادية والثقافية بينها ٠

٣ ـ مساعدة الدول الأفريقية التى لم تحصل بعد على استقلالها ٠

٤ ـ الدعوة الى السلام ٠

٥ ـ مقاومة التفرقة العنصرية ٠

٦ ـ تأييد مبادىء باندونج ٠

★★★

الوحدة بين مصر وسوريا (٢٢ فبراير ١٩٥٨) ٠٠

فيما قبيل نزول الجيش المصرى فى سوريا كان هناك مكتب للقيادة المشتركة ، اختار له جمال عبد الناصر للاشراف عليه عبد المحسن أبو النور وليكون على اتصال دائم بعبد الحميد السراج رئيس المكتب الثانى بالجيش السورى وعضو المجلس العسكرى ، وكان عبد المحسن أبو النور على علاقات شخصية مع باقى أعضاء هذا المجلس العسكرى السورى ٠

وفى هذه الفترة قام وفد برلمانى مصرى بزيارة ســوريا برئاســـة أنور السادات ، واجتمع البرلمان السورى وأعلن المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا استجابة لصوت الشعب فى سوريا عند استقباله الحماسى لنزول القوات المصرية على شواطىء سوريا واستجابة لرد الفعل عن هذا العمل الجرىء من شعوب العالم العربى كافة ، بعد أن أصبحت مصر وسوريا جبهة عسكرية واحدة وجبهة استراتيجية تتحكم فى الممرات البترولية فى الشرق الأوسط فى قناة السويس وفى خطوط أنابيب البترول الأمريكية المسارة بالأراضى السورية وتزعزع الهدف من مشروع ايزنهاور فى المنطقة العربيــة مرة أخرى ، ممـا جدد امكان الانتقام الأمريكى وأخذت الأجهزة الأمريكية الخفية والعلنية تعيد تنظيم نفسها وتعاود استئناف نشـــاطها

ونشاط عملائها سواء مع مجلس القيادة العسكرية السورية أو مع بعض عناصر من الأحزاب السورية ومع الملك سعود والذى بدأت الأجهزة الأمريكية فى التأثير عليه ليتخذ مواقف معادية للنشاط المصرى فى الأمة العربية وفى المناطق الحساسة بصفة خاصة ·

وقامت أمريكا عن طريق مندوب الملك سعود (١) ـ السيد يوسف ياسين ـ بالاجتماع مع الرئيس السورى شكرى القوتلى لاقناعه بالارتباط مع السعودية والابتعاد عن الروس فى مقابل وعد من سعود بأن يضمن لسوريا استلام كل المعونات الأمريكية بما فيها الأسلحة ، كما قام الملحق العسكرى الأمريكى فى دمشق بمقابلة عبد الحميد السراج وحاول تجنيده لحساب السياسة الأمريكية فى مقابل مساندة أمريكا للنظام السورى اعتمادا على المجلس العسكرى المشكل من الضباط الشبان بعد أن فقدت أمريكا الثقة فى رجال الأحزاب السورية وبشرط ألا يسير المجلس العسكرى السورى فى ركاب عبد الناصر باتباع سياسته ومخططاته ·

وأوفد عبد الناصر السيد/ حافظ اسماعيل (٢) ـ رئيس المكتب العسكرى للمشير عامر ـ الى سوريا وبتكليف محدد : « ـ » اتصل بالمجلس العسكرى السورى لفتح حوار معهم فى موضوع الوحدة وبلغهم آراء عبد الناصر فى هذه الوحدة التى تطالب بها شعوب الأمة العربية ، وأنه فى سبيل تحقيق هذه الوحدة فان هناك صعوبات تعترضها بالاضافة الى العواقب المحتمل ظهورها بعد اعلان هذه الوحدة وكانت تتلخص فى :

(أ) الحساسيات المحتمل ظهورها بين الضباط المصريين واخوانهم السوريين على أساس ضخامة حجم وعدد ضباط الجيش المصرى بالنسبة لتعداد وحجم ضباط الجيش السورى ، وطلب أيضا ضرورة الانضباط داخل الجيش السورى ، وتقضى الضرورة قبل الوحدة أن يترك الضباط السياسيون وبخاصة أعضاء مجلس القيادة العسكرية مراكزهم فى الجيش والاقتصار على عملهم السياسى كما حدث فى الثورة المصرية ·

(ب) الوضع الاقتصادى المختلف بين القطرين وامكان نشوء تناقضات وخلافات اقتصادية لعدم تجانس الوضعين ، مما يستدعى صدور قرارات اقتصادية قد تؤثر على الناحية الاقتصادية السورية المبنية أساسا على نشاط القطاع الخاص وبخاصة فى مجال التجارة ·

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ·

(٢) المصدر السابق ـ ص ١١٥ ، ١١٦ ·

(ج) ضرورة أن تحل الأحزاب السورية نفسها كما حدث فى مصر وأن تخضع الحياة السياسية السورية بجميع خيوطها فى ظل الوحدة الى الاعتراف بالوضع الثورى فى كلا القطرين ٠

وبذلك أراد عبد الناصر أن تكون الأمور واضحة أمام أعضاء المجلس العسكرى المتركزة فيه سلطة السياسة فى سوريا قبل الاقدام على أى عمل يتعلق بالوحدة ، وعلى أثر عرض هذه الشروط حدث صراع داخل المجلس العسكرى السورى بين جناحى البعث والشيوعيين واتهم كل منهما الآخر بأنه يعرقل السير فى سبيل الوحدة ٠

٠٠ وفى مساء ١١ يناير ١٩٥٨ ٠٠

دعا عفيف البزرى المجلس العسكرى لاجتماع طارىء لحسم الوضع بالنسبة لطلب الوحدة ٠٠٠

وقرر المجلس بالاجماع تشكيل وفد عسكرى منه يذهب الى القاهرة لكى يقابل عبد الناصر للمطالبة بقيام الوحدة الفورية بين مصر وسوريا ٠

وقام الوفد بابـلاغ قراره هذا الى رئيس الجمهورية السـورية والى رئيس المجلس النيابى ورئيس الحكومة وبنسخ خطاب فى شكل مذكرة موقع عليها من جميع أعضاء المجلس العسكرى ، كما قام بتسليم نسخ منها الى الملحق العسكرى المصرى والى السفير المصرى « محمود رياض » . وكلف الملحق العسكرى بارسال برقية الى القاهرة بأن الوفد السورى سيصل الى القاهرة قبل الفجر ـ وكان نص المذكرة ٠٠ :

« تعلن القيادة العامة باسم جميع أفراد القوات المسلحة السـورية أنها على أتم استعداد لتحمل جميع الواجبات التى تقتضيها الوحدة الفورية بين مصر وسوريا ، وفى الوقت نفسه تحمل كل حكومة أو فئة تتهاون فى تنفيذ الوحدة خطورة ونتيجة عملهـا تجاه الشعب العربى بأسره وتجـاه الأجيال العربية الصاعدة » ٠

وعند وصـول الوفد الى مصر كان عبـد الناصر مع ضيفه الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارتو فى أسوان ٠

وفى مساء ١٣ يناير ١٩٥٨ ، اجتمع عبد الناصر مع الوفد العسكرى ولاحظ عـدم وجود أى من الأطراف السـيادية الممثلة لرئيس الجمهورية السورية أو الحكومة السورية ، وبعد اتصال الوفد بدمشق حضر صلاح البيطار ـ ممثلا للحكومة وللجناح المدنى من حزب البعث وللرئيس شكرى

القوتلى ـ وأعاد عبد الناصر على أعضاء المجلس العسكرى تحفظاته السابق اثارتها معهم عن طريق مندوبه حافظ اسماعيل وأجل الاجتماع الى ما بعد الاتفاق مع جميع الأطراف على هذه الشروط ، وفى دمشق وبعد اجتماعات مطولة أوفدوا على أثرها صلاح البيطار وعلم أن جميع الأحزاب السورية قبلت شروط عبد الناصر بالكامل الا الحزب الشيوعى السورى ورئيسه خالد بكداش الذى طار الى بلغاريا ، كما أن صلاح البيطار وزير الخارجية السورى عرض على أعضاء المجلس مساء ١٣ يناير موافقات الأطراف السورية وأن رأى حزب البعث كان الموافقة على الاتحاد وليس الوحدة ، ولكن رأيه الشخصى هو الوحدة ٠

٠٠ وفى مساء ١٤ يناير ١٩٥٨ ٠٠٠

اتفق أعضاء الوفد على الرد على عبد الناصر كمفوضين من الأطراف المدنية والعسكرية ، وكان الرد : ـ

أولا : الموافقة على ابتعاد الجيش السورى عن الحزبية ، وأن المجلس العسكرى يعد منحلا بمجرد اعلان الوحدة ويضع أفراده أنفسهم تحت تصرف رئيس دولة الوحدة ٠

ثانيا : موافقة المجلس العسكرى السورى على حل الأحزاب ، وكان المجلس فى مساء نفس اليوم قد حصل على موافقة أعضائه الموجودين فى دمشق ٠

٠٠ وفى مساء ١٥ يناير ١٩٥٨ ٠٠٠

أبلغ أعضاء المجلس الرئيس عبد الناصر بقرارهم ، وأعلن عبد الناصر موافقته على قيام الوحدة وقرأ معهم الفاتحة لمباركة هذه الخطوة ٠

٠٠ وفى صباح ١٦ يناير ١٩٥٨ ٠٠٠

سافر معظم أعضاء الوفد العسكرى الى دمشق وحضر عبد الحميد السراج الى مصر ، وأعلن عبد الناصر رسميا قبول الوحدة بعد أن يجرى استفتاء شعبى فى كل من سوريا ومصر ، وخلال هذا الاستفتاء يصير أيضا الاستفتاء على اختيار رئيس دولة الوحدة ٠

٠٠ وفى يوم ٣١ يناير ١٩٥٨ ٠٠٠

يعلن رئيس الوزراء السورى صبرى العسلى الاتفاق على أسس الوحدة ، وفى نفس اليوم يطير الرئيس شكرى القوتلى الى القاهرة ٠

عبد الناصر يشعر بضخامة المسئولية ..

بعد هذه التطورات السريعة والتى أدت الى موافقة سوريا ومصر مبدئيا على الوحدة ، شعر عبد الناصر بضخامة المسئولية بعد أن تصير الوحدة حقيقة وممارسة حكم ، ووجد نفسه مضطرا الى الدراسة الشاملة وخاصة للمجتمع السورى ، ولذلك بادر وأوفد شبه لجنة الى هناك .

عبد الناصر يتقصى الحقائق ..

ومنذ أوائل فبراير ١٩٥٨ أوفد عبد الناصر (١) بعض كبار الصحفيين المصريين بتكليف لتقصى الحقائق عن الحالة العامة فى سوريا وعن الجيش وعن الأحزاب المختلفة القائمة وكذا عن الأشخاص الذين يلتقى بهم من القيادات السياسية ، كما اتفق مع جريدتى « الأهرام والأخبار » على أن يقوما بفتح مكاتب لهما فى سوريا لجمع المعلومات له أولا بأول عما يجرى ويدور هناك ، وذلك بالاضافة الى ما كان يرسله السفير محمود رياض (٢) من معلومات والذى شغل هذا المنصب للاستفادة من اتصالاته الشخصية فى سوريا ولالمامه الكبير بأمور سوريا والسوريين .

وتجمعت المعلومات لدى عبد الناصر وأعطته صورة سوداء عن الموقف فى سوريا وبصعوبة تشكيل نظام ادارى هناك يمكنه به السيطرة الكاملة على سوريا ، فقد كانت هناك قوة ضباط الجيش ومكانتهم السيادية التقليدية رغم تظاهرهم بالوفاء بالوعد بعدم التدخل فى السياسة ورغم ابعاد الضباط المرتبطين بالأحزاب ، فقد كانت تشكل خطرا ليس على الجيش بل على المجتمع السورى نفسه وكذلك ما كانت تمثله مختلف الأحزاب السورية التى قامت بحل تنظيماتها والتى سوف لا تنسى مكانتها السابقة ومدى تأثيرها على الحكم سابقا وما فقدته من مكانة ، وأن سوريا كانت فى شدة الحاجة الى سيادة العدل لأن الجيش السورى قد أوجد صورة من الارهاب والتسلط فى أنحاء سوريا .

وكان أمام عبد الناصر اقتراح بتعيين السيد/ عبد اللطيف البغدادى أو السيد/ كمال الدين حسين رئيسا للمجلس التنفيذى السورى .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ٤٠ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦٤ .

(٢) نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فيما بعد ثم الأمين العام للجامعة العربية .

صرف النظر عن تعيين رئيس مصرى للمجلس التنفيذى السورى ..

وبناء على مناقشة موضوع تشكيل المجلس التنفيذى السورى على أن يرأسه شخصية سورية مع السيد/عبد اللطيف البغدادى ، صرف عبد الناصر النظر عن هذا الاقتراح ـ لأسباب :

(أولا) : لأن ذلك سيستغل مستقبلا من المغرضين فى سوريا بعد أن تهبط درجة ثورة حماس قيام الوحدة وذلك فى اثارة حفيظة السوريين خصوصا وأن الضرورة والأوضاع ستجعل الحاكم المصرى فى سوريا مضطرا الى اتخاذ اجراءات سيترتب عليها صدامات مع الهيئات والأفراد والشخصيات الحزبية السابقة ومع كبار العسكريين المتقاعدين والعاملين وكذلك عند التصدى للرشوة والفساد المنتشرين فى البلاد وبذلك سيتم استغلال هذه التصرفات فى ترويج أن المصريين يحكمون سوريا وسوف يتصاعد هذا الى درجة اطلاق هذه الظواهر بأنها استعمار مصرى جديد لسوريا ، وبخاصة عندما يستعين النظام الادارى فى الاقليم الشمالى (سوريا) بالفلاحين المصريين للاستثمار الزراعى أو بالمقاولين والخبراء والفنيين المصريين لتنفيذ بعض المشروعات فى سوريا .

(ثانيا) : بعد موافقة الأحزاب السياسية السورية وكبار رجال الجيش على التخلى عن أحزابهم وحلها وبعد تخليص الجيش من العسكريين السياسيين والحزبيين لم يعد فى سوريا أى سند يؤمن الوضع والنظام بها غير ايمان الشعب السورى بالوحدة وثقتهم بغير حدود فى جمال عبد الناصر شخصيا ، ولكن حجم المشاكل وخطورتها المترتبة على الوحدة والتى تراكمت حتى من قبل الوحدة تحتاج الى وقت طويل لحلها والتغلب عليها ولا يتناسب طول هذه المدة مع تعطش الشعب السورى للشعور بتحسن سريع فى تغيير الأوضاع تحت ظل الوحدة التى ترمز لها شخصية عبد الناصر القومية ، وكل هذا يعتبر من المعجزات المستحيل حدوثها فوريا وهذا التأخير سوف يحدث رد فعل سيىء على صورة أى حاكم مصرى يتولى الشئون فى الاقليم السورى .

(ثالثا) لعدم الملم أى من القادة المصريين السياسيين المرشحين لتشغل منصب رئاسة المجلس التنفيذى السورى ، فانه سوف يضطر للاستعانة بأى من الشخصيات الهامة السورية ، وبمرور الزمن ستصبح هذه الشخصية السورية التى يعتمد عليها الحاكم المصرى شخصية بالقطع لا ترضى عن تصرفاتها وقراراتها واجراءاتها باقى الأطراف السورية المتعارضة المتنافرة مما سيجعل كل ذلك ينسب الى الحاكم المصرى سواء كانت اجراءات حازمة ومتشددة أو استبدادية أو مغرضة ، وفى نفس

الوقت كان هناك احتمال ـ رغم أنه مستبعد ـ وهو امكان تعيين رئيس سورى للمجلس التنفيذى للاقليم السمالى (سوريا) ٠

٠٠ وفى يوم ٥ فبراير ١٩٥٨ ٠٠٠

يعلن مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى قرارهما بالموافقة على طرح أسس الوحدة للاستفتاء العام فى كل من القطرين على أن يجرى هذا الاستفتاء يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ مع ترشيح جمال عبد الناصر رئيسا لدولة الوحدة تحت اسم « الجمهورية العربية المتحدة » ٠

٠٠ فى يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ ٠٠٠

يجرى الاستفتاء ٠

٠٠ فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ٠٠٠

يعلن عن قيام الوحدة ٠

٠٠ وفى يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٨ ٠٠٠

طار جمال عبد الناصر الى دمشق كأول رئيس منتخب لدولة الوحدة، واستقبل هناك استقبالا تاريخيا وزحفت الجماهير السورية من القرى والنجوع الى دمشق وبنفس الحماس تدفقت من لبنان جموع الشعب اللبنانى عبر الجبال والوديان وبشكل يفوق التصور حيث بلغ عددهم فى عدة أيام حوالى نصف مليون لبنانى أى نصف تعداد لبنان بأسرها ٠

٠٠ ممارســـة الحـــكم ٠٠٠

ونظرا لسرعة تتابع الأحداث فقد بادر عبد الناصر بعد عودته من زيارة سوريا الى اصدار القرارات التنظيمية اللازمة بصفته رئيس دولة الوحدة ومراعيا للظروف التى وصلته معلوماتها عن المجتمع الســـورى سياسيا وحزبيا واقتصاديا ٠

وقد كان الحل لمشكلة سوريا (١) والمجلس التنفيذى ـ تلافيا لعيوب تعيين شخص سورى أو مصرى فى هذا المنصب ـ بأن لا يكون هناك مجلس تنفيذى وانما هو تشكيل حكومة مركزية مقرها القاهرة وتعيين نائبين لكل

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ٤٥ ٠

وزير فى الوزارة المركزية أحـــدهما لاقليم مصر والآخر منهمـــا لاقليم ســـوريا ٠

انتماءات الوزراء السوريين (١) ٠٠

وفى هذا التشكيل الوزارى الأول عقب الوحدة أوكل عبد الناصر حكم سوريا تقريبا الى البعثيين رغم حل حزبهم اسميا ٠

وأثار هذا التشكيل حفيظة كل القوى غير البعثية وبخاصة القوى المنظمة من الشيوعيين والأخوان المسلمين والحزب الوطنى وحزب الشعب والتى كانت عناصر هذين الحزبين ترتكز على التجار وكبار الملاك وازدادت شكوك هذه العناصر غير البعثية ازاء نوايا عبد الناصر ، وقد حاول البعثيون فرض سيطرتهم وتمكين أتباعهم دون غيرهم بالوصول الى مختلف المراكز الحساسة فى الدولة وفى نفس الوقت قاموا بتسريح الضباط الشيوعيين من الجيش وعلى رأسهم عفيفى البزرى ٠

اعلان الدستور المؤقت لدولة الوحدة (٢) ٠٠ (٥ مارس ١٩٥٨) ٠٠

وأعلن عن الدستور المؤقت يوم ٥ مارس ١٩٥٨ وجاء به أن يقوم مجلس أمة واحد للدولة الجديدة وعدد أعضائه ستمائة عضو منهم أربعمائة عضو يمثلون الاقليم الجنوبى (مصر) والمائتى عضو يمثلون الاقليم الشمالى (سوريا) ويصدر قرار تعيينهم من رئيس الجمهورية وتم تعيينهم على أساس نصفهم ممن كانوا أعضاء فى مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى أما النصف الآخر منهم فيختار من بين أعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومى الذى يمثل التنظيم السياسى ٠

الســلطة التنفيذية ٠٠

وجاء بالدستور أن يمثل السلطة التنفيذية حكومة مركزية ومجلس تنفيذى لكل اقليم ٠

اعلان أول مجلس لدولة الوحدة ٠٠ (٦ مارس ١٩٥٨)

أعلن عن تشكيل أول مجلس لدولة الوحدة يوم ٦ مارس ١٩٥٨ وكان عدد وزرائه ٣٤ عضوا منهم ١٤ ســوريا وتم تعيين أربعة نواب لرئيس

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة (صلاح نصر) ص ٨٧ ، ٨٨ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ٤٨ ٠

الجمهورية اثنان منهم من مصر وهما عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر ومن سوريا أكرم الحورانى وصبرى العسلى وأطلق على الرئيس شكرى القوتلى لقب المواطن العربى الأول وتم تعيين عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية فى المجلس التنفيذى للاقليم الشمالى ٠

دور عبد الحميد السراج (١) ٠٠

كان السراج موضع ثقة جمال عبد الناصر منذ أيام العدوان الثلاثى عندما قام السراج وبصفته رئيس الشعبة الثانية فى الجيش السورى بنسف خط أنابيب البترول ومحطات الضخ المارة بالأراضى السورية وكان ذلك بمثابة تهديد وخسائر للمصالح البترولية الغربية ، وبعد تشكيل الحكومة السورية فى ظل الوحدة وكان السراج وزيرا للداخلية ورئيسا لجهازى المباحث والمخابرات فقد حرص على حفظ علاقات طيبة مع حزب البعث وكانت عناصرهم تشكل غالبية أعضاء الوزارة ، وكذلك احتفظ بعلاقات طيبة مع القوى السياسية الأخرى وحرص عند تشكيله لجهازى المباحث والمخابرات السوريين أن يضم اليه عناصر لها انتماءات وتعاطف حزبى سواء من البعثيين أو الشيوعيين أو من الأحزاب غير البعثية والرجعية ٠

وفى ديسمبر ١٩٥٨ بعد أن هاجم (٢) عبد الناصر الشيوعيين واعتقل حوالى ثلاثمائة منهم بمصر وسوريا ، قام عبد الحميد السراج فى سوريا باعتقال الشيوعيين وأحكم منذ هذا التاريخ قبضته البوليسية على الشعب السورى ٠

وكان لعبد الحميد السراج منذ ما قبل الوحدة عندما كان رئيسا لمخابرات الجيش السورى صلات وعلاقات وثيقة بأجهزة مخابرات الدول العربية المجاورة لسوريا (الأردن ولبنان والعراق) ، وكانت له كذلك علاقات وصلات بالعناصر القومية فى هذه الدول مما كان كبير الأثر فى علاقته مع عبد الناصر والتى ساعدتهما هذه الارتباطات فى تقوية ما كان ينادى به عبد الناصر لاحياء القومية العربية ، وقد كان عبد الحميد السراج ماهرا فى معرفة أسلوب عبد الناصر فى التعامل مع البشر بأسلوب السياسى الذى تضطره الظروف فى بعض الأحيان الى مسايرة الأمور مع العناصر الخطرة بل الى درجة تعمد الملاينة والمكافأة فى بعض الأحيان الى أن

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ٤٨ ٠

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ صلاح نصر ـ ص ١٩٥ ٠

نحين الفرصة فيضرب ضربته التى تحقق أهدافه فى السيطرة على الأمور ، هذا هو نفس الدور الذى قام به عبد الحميد السراج مع العناصر الخطرة على الوحدة من البعث أو الشيوعيين السوريين ٠

وهذا الجانب هو الذى جعل عبد الناصر يضع فى عبد الحميد السراج كل الثقة فى بداية أيام الوحدة لامكانه التغلب على صعوبة استئناس العناصر السياسية فى سوريا طبقا للمعلومات التى وصـــلته والمؤكدة لذلـــك ٠

★★★

ردود فعل اعلان قيام الوحدة ٠٠

(أولا) : فى العـــالم العربى :

أحدث اعلان الوحدة بين مصر وسوريا حالة فوران فى شعوب العالم العربى ، وحالة تذمر ووعيد من القوى العربية التى كانت تشارك فى الترتيب والتدبير للعدوان على سوريا واعتقدت هذه القوى وعلى رأسها حكامها المرتعدون ، أن عبد الناصر باعلانه الوحدة قد اتخذ أول خطوة للسيطرة على العالم العربى ، تصديقا لما تدعيه وتدعو له أمريكا والغرب بغرض احداث الفرقة بين صفوف العرب ٠

٠٠ وكانت لبنان ٠٠ الدولة العربية التى انعكس على مجتمعها ـ المتنوع التشكيل ـ أوضح صور التخلخل بأجلى صورها واهتزت فيها الموازين الدقيقة والحساسة التى كانت تمسك وتتحكم فى التشـــكيلة المتنافرة والمتناقضة فى لبنان ، وبالتالى تأثرت قاعدة اللقاء والمواجهات بين مختلف التيارات المتحكمة والمؤثرة فى الصراع على مصير العالم العربى والشرق الأوسط والموجودة فى بيروت ، وتأثرت أجهزة المخابرات الأمريكية التى جعلت بيروت فى ذلك الوقت مركزا رئيســـيا لعملياتها وللحرب النفسية وللمؤامرات وتجارة الســلاح وقاعدة نشــاط شركات البترول الأمريكية بما تحويه من قدرات وأموال ومؤامرات وقوة سيطرة ٠

أما الرئيس اللبنانى كميل شمعون وبموجب انتمائه للطائفة المارونية وهى تمثل الأقلية المسيطرة على الأغلبية المسلمة وبحكم عدائه الشخصى لعبد الناصر وغيرته منه وبخاصة بعد أن زحف نصف مليون لبنانى مسلم الى دمشـــق لملاقاة عبد الناصر رمز المجاهد والزعيم الذى يمكنه حماية الأغلبية المسلمة من الأقلية الحاكمة فى لبنان ، فقد كان عداؤه سافرا الى درجة أنه طلب الاستعانة بالقوات الأمريكية طبقا لمشروع ايزنهاور للوقوف

في وجه دولتي الوحدة والتي تصور أنهما أصبحتا تمثلان تهديدا مباشرا لبلاده ولكيانه الشخصي ٠

٠٠ وفي العراق ٠٠ أصيب حكامه وعلى رأسهم نوري السعيد (١) رئيس الوزراء بحالة من اليأس الشرس جعلته يركز كل نشاطه في تحريض الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا على سرعة التخلص من عبد الناصر أساس كل المتاعب في المنطقة العربية وفي الشرق الأوسط ، وجعله ذلك يقترح في اجتماعات حلف بغداد باقتراح مزيد من التعاون بكل صوره بين الدول العربية التي يمكن أن تقاوم مصر وهي الأردن ولبنان والسعودية بشرط أن يكون هذا التعاون في شكله العدائي لمصر بعيد الشبهة عن الادارة الأمريكية حتى لا يتصاعد حقد الشعوب العربية ضد التدخلات الخارجية الأجنبية ٠

٠٠ أما في السعودية ٠٠ فان الشعب السعودي وجانب كبير من أمراء الأسرة الملكية كانوا معجبين بصلابة موقف عبد الناصر وشجاعته في مواجهته لأمريكا حتى حقق هذه الوحدة رغم المؤامرات الأمريكية التي كانت لا تخفى عليهم ، ولكن الملك سعود بالذات كانت تتملكه الغيرة من مكانة عبد الناصر مع ملاحقة الجانب الأمريكي له بالتأثير عليه ضد عبد الناصر وتخويفه من سياسته المتقاربة من الروس ، هذه الغيرة أشعلتها مكانة عبد الناصر المتصاعدة بعد اعلان الوحدة ، وبذلك أصبح الملك سعود جاهزا للموافقة على الاشتراك في أي مؤامرات أمريكية تحقق الاطاحة بعبد الناصر ٠

(ثانيا) : الدول أعضاء حلف بغداد (عدا العراق) ٠٠

وهم الأتراك الايرانيون والبريطانيون فقد اعتبروا الوحدة بين مصر وسوريا خطرا عليهم يستلزم ضرورة محاربة هذه الوحدة بشتى الطرق قبل أن تبتلع الأردن ولبنان وتعرض العراق والمملكة السعودية وتركيا لنفس الخطر ، وكان أصدق ما يعبر عن هذا الخوف هو ما قاله رئيس وزراء تركيا وقتها الى جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا : « لقد نمت أمس وعلى حدودي (٢) الجنوبية دولة (سوريا) تعدادها ستة ملايين ، واستيقظت هذا الصباح وعلى حدودي الجنوبية دولة تعدادها ستة وثلاثين مليونا (الجمهورية العربية المتحدة) » ٠

---

(١) حلقات كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١/٥ ٠

(ثالثا) : الولايات المتحدة الأمريكية ..

اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية نجاح عبد الناصر فى تشكيل دولة الوحدة بمثابة صفعة قوية للمحاولات الأمريكية التى وجهتها بصفة رئيسية فى الشرق الأوسط وفى العالم العربى للتقليل من دور عبد الناصر فى المنطقة ، وعلى رأس هذه المحاولات هو امكان الاطاحة به واعتبرت أمريكا هذا الموقف من مصر تحديا سافرا لسياستها الدفاعية فى الشرق الأوســط والتى كانت تمارسـها بكبرياء وتعال ووجدت فجأة مكانتها المتعالية بدأت بالاهتزاز بتلقى الضربات فى صميم سياستها ومن احـدى الدول الصغيرة والتى تحقق توالى نجاحها ضد السياســة الغربية فى المنطقة ، واعتبرت أمريكا أن اعلان هذه الوحدة هو بادرة تمرد شعوب المنطقة ضد سياستها ، ولكل ذلك عجلت أجهزة الولايات المتحدة الخفية والعلنية والمتمركزة فى بيروت بمحاولة جديدة قد تصيب عبد الناصر فى الصميم وذلك بتوجيه ضربة لعبد الناصر فى أهم عناصر قوته فى هذا الوقت وهو علاقته القوية والمؤثرة بالسعودية ، وبدأت الأجهزة الأمريكية فى رسم خطط احداث الفرقة بين مصر والسعودية والعمل على قطع جسور التفاهم والصــداقة والتعاون العربى فى علاقة الملك سعود والرئيس عبد الناصر والتى كانت عونا مؤثرا فى نجاحات سياسات عبد الناصر العربية ، وكخطوة أولى عملت السياسة الأمريكية على ايجاد مزيد من التقارب المنتظم بين العراق والأردن ولبنان والسعودية على ضوء الدعاية الأمريكية التى تمادت وبالغت فى تخويف حكام هذه الدول وشعوبها من خطر الوحدة المصرية السورية فى نفس الوقت الذى أخذت هذه السياسة المدبرة فى تغذية غرور الملك سعود وغيرته من مكانة عبد الناصر الصاعدة بين الشعوب العربية والتى كانت على حساب مكانة الملك سعود باعتباره حامى الأراضى المقدسة الاسلامية وبادرت العراق والأردن باعلان اتحادهما تحت مسمى « الاتحاد الهاشمى » ، ولكن مصر بوعى منها أعلنت مباركتها لهذا الاتحاد باعتبار أنه خطوة ايجابية فى سبيل وحدة عربية شـــاملة تتمشى مع وحدة مصر وسوريا .

ثم أخذت أمريكا فى افتعال مؤامرات ضد الملك سعود أخذت تنسب تدبيرها لمصر حتى يمكنها تحقيق الفرقة بين سعود وعبد الناصر .

(رابعا) : الاتحاد الســوفييتى ..

قابل الاتحاد الســوفييتى اعلان الوحدة بين مصر وســوريا بفتور انعكس على وسائل اعلامه التى كادت أن تتجاهل خبر اعلان هذه الوحدة ،

وكانت سياسة الاتحاد السوفييتي بطبيعتها ضد القوميات ، ولذلك اعتبرت الجهات الرسمية السوفييتية أن الوحدة العربية دعوة عاطفية للتلاعب بعواطف الجماهير العربية وأنها وسيلة لتحكم الطبقات العربية المتطلعة الى مزيد من التحكم ودعوة فى سبيل النمو الرأسمالى فى المنطقة وهو ما يخالف العقيدة الشيوعية فى أساسها ٠

وكان الاتحاد السوفييتي يحمل جانبا من العتاب على مصر وزعامتها التى قامت فى هذا الوقت بالذات باعتقال أعضاء التنظيمات الشيوعية المصرية لقيامهم بعمل سرى منظم ومعارض لأفكار ثورة ٢٣ يوليو وصدور أحكام من المحاكم المصرية ضدهم خصوصا عندما ثبت أن هذا النشاط الشيوعى المصرى كان استجابة لتحريض سوفييتى ، وظهر أيضا رفض حكومة الاتحاد السوفيتى وحزبه لفكرة الوحدة بعد هروب الزعيم الشيوعى السورى خالد بكداش الى بلغاريا ورفضه التوقيع على بيان الوحدة مع باقى الأحزاب السورية ثم صدور قرارات مؤتمر عقدته الأحزاب الشيوعية العربية فى صوفيا دعى اليه خالد بكداش ، وكانت هذه القرارات تعتبر معادية لسياسة مصر وتعتبر على جانب من الخطورة على الأمن القومى لدولة الوحدة اذا ما تبناها الاتحاد السوفييتى ، لأنها كانت تدعو الى ضرورة صلح العرب مع اسرائيل وتهاجم مبدأ الوحدة العربية على أساس أنها دعوة الى القومية المرفوضة عقائديا من الشيوعية الدولية كما انها تدعو الدول العربية ومن ضمنها دولة الوحدة للاعتراف بالأحزاب الشيوعية العربية وبصفة رسمية ٠

مواجهة مصر لموقف الاتحاد السوفييتى من الوحدة ٠٠

وحيث ان الموقف السوفييتى عامة كان فى هذا الوقت يمثل جانبا من الجفاء مع مصر التى لم يكن لها حليف كبير فى الساحة الدولية الا الاتحاد السوفييتى ، ومع تصاعد تحديات أمريكا والغرب لمصر وسياستها لدرجة تدبير الاعتداءات ، وفى نفس الوقت كانت مصر تتطلع الى مساعدات الاتحاد السوفييتى فى مشاريع التنمية الضرورية لتحقيق أمن مصر القومى وعلى رأسها تنفيذ مشروع السد العالى ومشاريع التصنيع العملاقة وبخاصة بعد أن قاطع الغرب فكرة التعاون مع مصر حتى اقتصاديا وتكنولوجيا ، فازاء كل ذلك بادر عبد الناصر بالتصرف السليم لأجل توثيق علاقاته بالاتحاد السوفييتى على أساس المصالح المتبادلة وعمل على سرعة ازالة هذا الجفاء معتمدا على منطق الأمور وبطبيعة الحق السيادى للنظام الثورى فى مصر ٠

فقد قام بأول زيارة رسمية له للاتحاد السوفييتي في آخر شهر نوفمبر سنة ١٩٥٨ ، وبالحوار المنطقي مع الجانب السوفييتي بعد المصارحة التامة بكل ما في النفوس وبخاصة من جانبه بالنسبة لتصرفات التنظيمات الماركسية العربية والمصرية المتمردة على الخط الثوري المصري والذي يعطي الفرصة للاستعمار القديم والجديد لاعادة فرض سيطرته ، وذلك بمصارحة الجانب السوفيتي عن مجال نشاطات مؤتمرات الأحزاب الشيوعية العربية ودرجة خطورتها على الأمن القومي لمصر والعالم العربي ·

وفي النهاية أمكن وضع أساس سليم للتفاهم المستمر بين مصر والاتحاد السوفيتي بما لا يضر بمصلحة أي من البلدين والنظامين ونبه الى مدى بعيد تأكيدا على ضرورة احترام استقلال « الجمهورية العربية المتحدة » ، والعمل على عدم اعادة خضوعها لأي نوع من أنواع التبعية الاستعمارية بأي شكل من الأشكال قديمها وحديثها ·



استمرار المخطط الأمريكي ··

١ ــ استمرت أجهزة المخابرات الأمريكية في تغذية الخلاف بين عبد الناصر والملك سعود وكان دورها هذه المرة هو تبليغ الملك سعود وبشكل مبالغ فيه عما تنشره أجهزة الاعلام المصرية وعلى رأسها الصحافة المصرية من أخبار ومعلومات من مآخذ على الملك سعود منقولة كلها أصلا من مصادر غير مصرية وفي نفس الوقت كان الملك سعود ــ في مجال الانتقام من مصر ــ لا يتورع عن تدبير مؤامرات ضد مصر وصلت لدرجة تمويل عمليات انقلابات ضد نظام الحكم في مصر ، وقد كانت تصل معلومات هذه المؤامرات بشكل أو بآخر الى مصر وكل الشواهد تكاد تؤكد على اتصال المخابرات الأمريكية بهذه العمليات المتبادلة والتي تساعد على توسيع شقة الخلاف بين مصر والسعودية وعلى سبيل المثال فقد وصلت معلومات مغرضة للملك سعود بأن بعض المصريين الذين يعملون بالسعودية تابعين لجهاز المخابرات المصري وقاموا بترويج الاشاعات ضد تصرفات الملك سعود ويتناولون بالنقد موقف الملك سعود من اتفاقية (١)

---

(١) كان الأمير فيصل هو رئيس وفد المفاوضات مع الأمريكان وحقق مكاسب للسعودية أغضبت الأمريكان وفجأة نحى الملك سعود الأمير فيصل وتولى هو التوقيع على الاتفاقية وكان فيصل يطالب برفع ايجار القاعدة بالكامل بالنقد للحكومة السعودية ولكن السفير الأمريكي أصر على أن يكون نصف الايجار بالنقد والنصف الباقي على شكل مشتروات أسلحة أمريكية للجيش السعودي وقبل الملك شروط السفير وبشروط أخرى أشد وأخطر وهي : (١) أن يكون اختيار ونوع السلاح من اختصاص وزارة الدفاع الأمريكية · =

قاعدة الظهران المجحفة وتهاونه مع الأمريكان فيها بعد أن نحى شقيقه الأمير فيصل عن التفاوض لتشدده مع الأمريكان وجعلت الأجهزة الأمريكية تقنع الملك سعود بذلك بعد أن تأكدت وتأكد الملك سعود نفسه بأن حكومة مصر قد حصلت على جميع هذه المعلومات عن قاعدة الظهران رسـميا لأن هذه الاتفاقية تهم مصر حيث انها تمس الأمن القومي العربي ، وكان سعود يخشى أن تفشى الأجهزة المصرية الرسمية هذه الاتفاقية الفاضحة :

٢ ـ بتدبير سرى قام الملك سعود بتمويل عملية (١) احداث انقلاب في مصر للاطاحة بعبد الناصر ونظام مصر الثورى عن طريق ضابط مصرى سابق له صلة نسب بالأسرة المالكة المصرية السابقة هو حسين خيرى الذى دفع بدوره مبلغ ١٦٢ ألف جنيه استرليني الى ضابط المخابرات (٢) الطيار عصام خليل لتنفيذ هذا الانقلاب ومن التحقيق والمحاكمة ثبت دور الملك سعود في جميع خطوات المؤامرة من ربيع سنة ١٩٥٧ بعد زيارة الملك سعود لعمان استكمالا لمحاولات ضم السعودية الى جماعته المتعاونين مع الأمريكان لاحياء مشروع ايزنهاور ٠

٣ ـ أوغرت أمريكا صدر الملك سعود ضد عبد الناصر عندما علمت أن الملك سعود حاول التوسط للملكة السابقة (ناريمان) لدى عبد الناصر للضغط على زوجها الدكتور/أدهم النقيب ليقوم بطلاقها ورفض عبد الناصر التدخل في الموضوع لمخالفته لنزاهة القضاء المصرى ٠

٤ ـ أشعلت أمريكا نار الحقد في نفس الملك سعود على عبد الناصر عندما نشرت الصحف المصرية أن الملك سعود أعطى للملكة السابقة ناريمان ١٠٠٠٠٠ (مائة ألف جنيه استرليني) ، علما بأن مصدر الخبر للجريدة المصرية كان جرائد لبنان ٠

= (ب) ألا يستعمل هذا السلاح ضد اسرائيل ٠ (جـ) تتدخل بعثة عسكرية أمريكية فى تحديد أماكن توزيع هذا السلاح والاشراف على التدريب ٠ (د) تتعهد الحكومة الأمريكية بحماية العرش السعودى ضد أى خطر خارجي أو داخلى ٠ (هـ) يتم دفع ايجار هذه القاعدة بالكامل الى الملك سعود فى حسابه الشخصى فى أحد البنوك الألمانية ٠

(١) اشترك فى المؤامرة محمود ناموق من ذرية العائلة السلطانية السابقة وقام الضابط عصام خليل بتسليم مبالغ المؤامرة السعودية الى القيادة العامة المصرية بعد أن أبلغها بخيوط المؤامرة ٠

(٢) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ٣٧٠

٥ ــ عملت الأجهزة الأمريكية على الوقيعة بين سعود وعبد الناصر عندما بلغته أن الجرائد المصرية نشرت تفاصيل زواج الملك سعود من فتاة لبنانية عمرها ١٧ سنة وتفاصيل الهدايا التى أعطاها لها تزيد قيمتها عن نصف مليون جنيه استرلينى ، علما بأن هذا الخبر سبق نشره فى وكالات الأنباء وفى الصحف الأمريكية ٠

أزمات تثيرها السـودان :

٦ ــ فى نفس الوقت ووسط هذه الدوامات ٠ قام رئيس وزراء السودان الموالى للغرب (عبد الله خليل) بافتعال أزمة لمصر مع السودان وبعث بقوات سـودانية لاحتلال منطقة حلايب على الحدود بين مصر والسودان وهى منطقة فى الأصل مصرية حسب الخرائط المعتمدة ، ولكن كانت حجة عبد الله خليل أن لديه خرائط أخرى تثبت أحقية السودان ، لهذه المنطقـة ، . وكان كل ذلك بغرض ارباك مصر ولذلـك قطـع عبد الناصر خط الرجعة على هذه المؤامرة المتصلة حلقاتها وقرر ألا يستسلم للاستفزاز رغم تدخل الملك سعود بعرض وساطته فى حل الخلاف وأبلغت مصر السفير السعودى أن الأزمة بين مصر والسودان تم حلها دون الحاجة الى وساطات ٠

وكان عبد الله خليل رئيس وزراء السودان حينئذ قد أثار زوبعة للانتقاص من الفرحة العارمة فى الوطن العربى بالوحدة ، فعندما أعلنت وزارة الداخلية المصرية عن استفتاء المواطنين فى المحافظات والمناطق على الوحدة شملت المواطنين المتواجدين فى منطقة حلايب على الحدود المصرية السودانية ، فبموجب الاتفاقية الانجليزية المصرية سنة ١٨٩٩ أصبحت الحدود السياسية بين مصر والسودان تنطبق على خط العرض ٢٢ شمالا من نقطة تلاقيه مع خط الطول ٢٥ الى الشرق حتى البحر الأحمر وقد سمح فيما بعد بدخول القبائل الرحل السودانية سعيا وراء الماء والمرعى منطقة حلايب مما شكل حدودا ادارية تمتد فيها سلطات السودان على رعاياها اداريا فى هذه المنطقة ، وكان الاستفتاء بذلك يعنى استفتاء مواطنين سودانيين فقدم عبد الله خليل شكوى ضد مصر فى مجلس الأمن وادعى أيضا دخول قوات مصرية لاجراء الاستفتاء وأعلن عن ارسال قوات سودانية الى المنطقة (وبالاستطلاع الجوى لم تدخل قوات مسلحة مصرية ولا تحركت قوات مسلحة سودانية لمقابلتها) ، ومن هذا المنطلق أفسـد الرئيس عبد الناصر مؤامرة عبد الله خليل بأن أعلنت مصر قبل اجتماع مجلس الأمن للنظر فى شكوى السودان ضد مصر بنصف ساعة أن مصر حرصا

منها على علاقاتها مع شقيقتها السودان وأن الأفراد فى منطقة حلايب خارج عملية الاستفتاء فلم يكن أمام أعضاء مجلس الأمن الا الغاء اجتماعه لزوال أسباب الشكوى ·

اعلان مؤامرة سـعود (١) ··

أثناء وجود عبد الناصر فى دمشق عقب اعلان الوحدة بعد الاستفتاء الذى تم يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ ، وبعد أيام قليلة من اقامة عبد الناصر فى دمشق ، أشارت الصحف اللبنانية الى موضوع مؤامرة كانت معدة لاحداث انقلاب فى سوريا قبل الاستفتاء على الوحدة ·

وحيث انه منـذ بداية اتصـال أطراف المؤامرة الأمريكية بالمجلس العسكرى السورى وبرئيس الشعبة الثانية عبد الحميد السراج ، فقد كلف المجلس العسكرى عبد الحميد السراج بمتابعة هذه الاتصالات ولكن عبد الحميد السراج أبلغ بها عبد الناصر كما أبلغه عن كل الاتصالات مع أطراف المؤامرة منذ أن اتصل به الملحق العسـكرى الأمريكى وتجنيده لحساب السياسة الأمريكية هو وأعضاء المجلس العسكرى ثم أبلغه أيضا اتصال الوسيط (عزيز عياد) به عن طريق الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك سعود بهدف العمل للحيلولة دون تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا فى مقابل تسلم السراج ولحساب المجلس العسكرى السورى مبالغ كبيرة من السعودية وبناء على الاتفاق فقد تسلم عبد الحميد السراج شيكا بمبلغ مليون جنيه استرلينى وطلب منه المجلس أن يطلب من المندوب السعودى مزيدا من المبالغ وتسلم عبد الحميد السراج بناء على ذلك مبلغ نصف مليون جنيه استرلينى آخر واستمر هذا التمويل حتى وصلت المبالغ التى تسلمها حوالى اثنين مليون جنيه استرلينى ، ولما لم يحدث الانقلاب المتفق عليه فقد قام المندوب السعودى سعد ابراهيم وهو عميل للمدعو عزيز عياد باعادة الاتصال بعبد الحميد السراج ووعده باعطائه نصف مليون جنيه أخرى اذا ما قام بتكليف أحد ضباط الدفاع الجوى بضرب طائرة عبد الناصر فى الجو أثناء رحلته من مصر الى دمشق بعد الاستفتاء (٢) ·

ولم يعرف وقتها من الذى أعطى أبعاد المؤامرة لتنشر فى الصحافة اللبنانية بعد أن فشلت الخطتان خصـوصا وأن عبد الناصر منذ اتصال عبد الحميد السراج به وتبليغه بخطوات التآمر أولا بأول ، وكان توجيهه

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد صلاح نصر ـ ص ١٢٩ حتى ص ١٣٤ ·

(٢) نفس المصدر السابق ·

هو التكتم الشديد وعدم الاعلان عنها وحتى بعد فشلها وأعطى أوامره بألا يجرى أى اتصال عنها مع السعودية كنوع من أنواع اللوم أو المؤاخذة . ولكن ازاء اعلان الصحافة اللبنانية عنها وبالتالى تأكد الملك سعود أن أبعاد المؤامرة أصبحت تحت يد عبد الناصر ·

فقد قام عبد الناصر يوم ٥ مارس ١٩٥٨ ومن دمشق بالافصاح عن هذه المؤامرة السعودية بجميع أبعادها ومستنداتها وقال : « لقد أراد المستعمرون وأعوانهم حينما وضعت هذه الوحدة موضع التنفيذ ·· أن يجدوا أى سبيل لينفذوا اليكم ويقضوا على أهدافكم ولكنهم فشلوا (١) ، حينما أرادوا أن يتجهوا الى الجيش ليضربوا به الشعب اتصلوا بالجيش وعرضوا عليه أن يدفعوا له ما يريد من أموال حتى يقضى على الوحدة ويقوم بعمل انقلاب ليحكم هذا البلد اتصلوا بعبد الحميد السراج عن طريق الوسطاء ووعدوه بدفع مبلغ ٢ مليون جنيه استرلينى أو ٥ مليون للجيش السورى من أجل عمل انقلاب يمنع الوحدة ·· وفى الحال اتصل هذا الضابط بنا وأبلغ الأمر ·· وقررنا أن يسايرهم لنستولى منهم على هذه المبالغ ونسوا أن هناك أناسا شرفاء لا يشترون نســـوا أن هناك حاجة اسمها الشرف··لقد فكروا أن الشعوب يمكن أن تكون سلعا تباع وتشترى ·· نسوا كل هذه القيم وسيطرت عليهم أحقادهم ·· نسوا أن هناك بين هؤلاء الناس من استشهد أبوه أو أخوه أو صديقه من أجل تحقيق هذه الأهداف ·· » ، الى أن قال : « وبدأت المساومات وبدأت هذه المؤامرة وتسلم أول مليون جنيه بشيك رسمى على البنك العربى برقم ٨٥٩٠٢ من الرياض فى ٢٠ فبراير ١٩٥٨ يدفع لحامله مبلغ مليون جنيه استرلينى، والشيك الثانى برقم ٨٥٩٠٤ بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرلينى على البنك العربى وبعد ذلك حولت هذه المبالغ لحامله ووضعت فى البنك العربى هنا فى دمشق بمقتضى وثائق من البنك العربى فى دمشق ووضعت لحساب ع · س · أى (عبد الحميد السراج) ، والمبلغ الأول بمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه استرلينى والثانى بمبلغ ٢٥٠ ألف والثالث بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ثم بمبلغ ٧٠٠ ألف ·· ولعلمكم هذه المبالغ قد تم صرفها وهذه المبالغ من نقود البترول أرادوا صرفها فى الشر والغدر والخيانة ، ولكننا سنأخذها ونقيم بها صناعة ثقيلة هنا فى الاقليم الشمالى ولتكن هذه الأعمال أول دعامة لمشروع السنوات الخمس لاقامة صناعة ثقيلة فى هذا الوطن ليحول الشر الى خير » ·

---

(١) خطبة جمال عبد الناصر يوم ٥ مارس ١٩٥٨ فى جموع الشعب العربى فى دمشق ـ مجموعة الاستعلامات ـ القسم الثانى ص ٤٦ حتى ٥١ ·

رد الفعل فى الســـعودية ..

ثار الأمراء السعوديون على الملك سعود واستمر الملك فى عناده . فأمر بعمل تحقيقات للمســـئولين عن البنك العربى بالرياض باتهامهم بتسريب الأخبار .

وفى النهاية وتحت ضغط الأمراء السعوديين وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن عمه وأكبر الأمراء سنا ، أخذ الملك سعود بنصيحته انقاذا لموقف وتبريدا للفضيحة خضع الملك للنصيحة واستدعى شقيقه الأمير فيصل من الخارج وعندما حضر خوله رسميا جميع سلطات الملك ليعالج الموقف برمته داخليا وعربيا وخارجيا ، وفى اليوم التالى ظهرت الصحف الأمريكية بعناوين ضخمة بتحليل موضوع تخويل الملك سعود الصلاحيات الى شقيقه فيصل وفسرت هذا بأنه تسليم شئون المملكة من الملك سعود الى أخيه فيصل .

وكان هذا النشر الأمريكى بمثابة اعلان فشل المؤامرات والمخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط لمرة أخرى بعد سابقاتها المتتابعة ، ومع ذلك لم تتوقف أمريكا عن الاستمرار فى مخططاتها التآمرية .

.. فى لبنــــان ...

منذ زيارة عبد الناصر الى سوريا وتدفق وفود الشعب اللبنانى الى دمشق بشكل لم يكن متوقعا من ناحية الحماس والكم الذى قدر بحوالى نصف مليون لبنانى يؤيدون دولة الوحدة وفكرة القومية العربية وبدأت قوى كثيرة فى لبنان وكلها معادية لفكرة الوحدة والقومية العربية بدأت تشعل نيران الفتنة وكان على رأسها المخابرات الأمريكية بجميع أجهزتها وأسلحتها ووسائل دعايتها العلنية والسرية وصورت هذه الروح الشعبية اللبنانية أنها تمرد اسلامى على السلطة الشرعية المسيحية فى لبنان التى يمثلها الرئيس شمعون المتحفز لاشعال هذه الفتنة مستغلا امكان استخدام مميزات تجربة مبدأ ايزنهاور لاستعداء القوات الأمريكية ضد أغلبية الشعب اللبنانى المسلم والذى دلت تدفقاته للاحتفاء بعبد الناصر فى سوريا أنه يطلب الحماية من دولة الوحدة ضد تعسف واستغلال الأقلية الحاكمة فى بيروت ، وكانت فى هذا الوقت كل عناصر وكـــالة المخابرات المركزية الأمريكية مكدسة فى لبنان وما خلفها من اعتمادات مالية من مصادر مختلفة بترولية ورأسمالية عربية مزودة بوسائل اعلامها وغيرها وكانت كلها تمثل أداة حرب نفسية ومادية بغير حدود وقدرت المبالغ التى تدفقت فى هذا

التاريخ (١) فى بيروت بمبلغ خمسين مليونا من الدولارات خلال شهرين ٠

٠٠ وفى ٢٨ مارس ١٩٥٨ ٠٠٠ فى لبنان ٠٠ (بداية الحرب الأهلية)

بدأ بعض العناصر من قرى الجبل تتحرش بالمواكب (٢) الشعبية اللبنانية الذاهبة الى دمشق وتطور التحرش متصاعدا من ضرب الحجارة الى اطلاق النار ، فى نفس الوقت أشاع كميل شمعون أنه يفكر فى اعادة ترشيح نفسه للرئاسة مرة ثانية مخالفا نصوص الدستور اللبنانى الذى يحدد الرئاسة بمدة واحدة وأشاع أيضا أنه بسبيل تعديل هذا الدستور ٠

وبذلك اعتبر كميل شمعون أن قيام الجمهورية العربية المتحدة له تأثير ضار على مركز المسيحيين فى لبنان ، وأن اعادة ترشيح نفسه هو انقاذ لمركز المسيحيين فى الشرق الأوسط ، وبدأ يمارس اختلاق النزاع الداخلى وحوله الى حرب أهلية صليبية من يوم ١٥ أبريل ١٩٥٨ بأن قبضت القوات اللبنانية على خمسة من حرس الجمارك السوريين بحجة دخولهم الأراضى اللبنانية ، وقد قامت اضطرابات نتيجة هذا التصرف فى قرى الجبل ثم انتشرت حتى وصلت الى بيروت نفسها ، وبادر الرئيس شمعون باستخدام مبدأ ايزنهاور بطلب العون العسكرى من أمريكا بحجة حماية لبنان من الخطر القادم من دولة الوحدة فى سوريا ، وتحركت قطع الأسطول الأمريكى الى شرق البحر المتوسط أمام شواطىء لبنان وفى نفس الوقت اشتدت الأزمة من جانب الشعب الثائر ضد تصرفات شمعون ، واعتقل شمعون الصحفى المعارض (نسيب المتنى) المعارض بشدة لفكرة شمعون بتجديد الرئاسة حيث اعتقله يوم ١٩٥٨/٥/٥ ، وتحت ضغط الاحتجاجات الشعبية صار الافراج عنه واستمر نسيب المتنى فى حملته ضد شمعون ولم تمض ثلاثة أيام حتى تم اغتياله بالرصاص (٣) يوم ١٩٥٨/٥/٨ ، ولم يمكن القبض على القاتل وثارت أحزاب المعارضة واتسع نطاق ثورتها حتى شملت كل لبنان مستنكرة فكرة الاغتيالات الاجرامية

---

(١) صورة تقرير سرى من السفير المصرى عبد الحميد غالب نقلا عن تقرير اطلع عليه من اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش اللبنانى – محفوظ بالمخابرات العامة المصرية – (سنوات الغليان) للأستاذ هيكل ٠

(٢) الحلقة ١٤ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل عدد أهرام ١٩٨٨/١١/٩ ص ٦ ٠

(٣) مقتل الصحفى نسيب المتنى يعتبر بداية القلاقل اللبنانية والحرب الأهلية منذ هذا التاريخ ١٩٥٨/٥/٨ حتى وقتنا هذا سنة ١٩٩٢ ٠

التى بدأ شمعون فى ممارستها لأول مرة فى لبنان ، وطالبت القوى الوطنية اللبنانية بضرورة استقالة كميل شمعون وتأليف حكومة وطنية تتولى الحكم الى حين اجراء انتخابات الرئاسة بعد ثلاثة أشهر ، ورفض كميل شمعون هذا المطلب وأمعن فى العناد والتحدى ببدء استخدام المليشيات المسلحة فى مواجهة الثورة الشعبية ، وفى مواجهته قام الزعيم اللبنانى كمال جمبلاط هو الآخر بحشد المليشيات الدرزية فى جبال الشوف وبدأت معالم الحرب الأهلية ، وأصدر كميل شمعون الأمر بابعاد أعداد كبيرة من أبناء الجالية السورية من لبنان وطالب كميل شمعون أمريكا بانزال قوات أمريكية فى لبنان لحفظ الأمن ، وفى هذه المرة استخدمت الادارة الأمريكية العقل وأوعزت الى سفيرها فى بيروت « روبرت ماكلينتوك » بالضغط على قائد الجيش اللبنانى اللواء فؤاد شهاب بضرورة أن تتولى قوات الجيش اللبنانى واجبها فى السيطرة على الموقف حتى يجنب الجيش الأمريكى التورط أكثر من ذلك فى لبنان لصالح كميل شمعون الذى كان يتصرف برعونة ٠

وأخيرا وجد كميل شمعون أن الظروف كلها وتطورها أصبحت فى غير صالحة ، فأعلن يوم ٢١ مايو ١٩٥٨ عن عدم تمسكه بالترشيح لمدة رئاسة ثانية ٠

شكوى لبنان لمجلس الأمن ٠٠

وفى نفس يوم ٢١ مايو ١٩٥٨ قدمت حكومة لبنان شكوى للأمم المتحدة تتهم فيها الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى شئون لبنان الداخلية بارسال متسللين وأسلحة الى لبنان عبر الحدود مع سوريا لاثارة الاضطرابات فى لبنان ، وفى الأمم المتحدة بدأت مناقشة هذه الشكوى وكلفت الأمم المتحدة سكرتيرها العام «داج همرشولد» بتشكيل قوة مراقبة تتوجه الى الحدود بين لبنان وسوريا للتحرى عما يجرى هناك على الطبيعة ثم يقدم تقريرا بذلك يعرض على مجلس الأمن ٠

وفى يوم ١٥ يونية ١٩٥٨ وقبل أن يصل همرشولد الى بيروت طلب كميل شمعون من الرئيس ايزنهاور رسميا ارسال قوات أمريكية الى لبنان وبأسرع ما يمكن لتدهور الأمر نتيجة تدخلات سافرة من الجمهورية العربية المتحدة ، وكان هذا احراجا لأمريكا لأن السكرتير العام لم يكن قد قدم تقريره بعد نتيجة شكوى لبنان لهيئة الأمم وحتى لم يكن همرشولد قد وصل بعد ، وحتى عندما وصل همرشولد الى لبنان قابله شمعون وقابلته الصحافة الأمريكية والغربية والاسرائيلية بعاصفة من الاتهامات على اعتبار أنه صديق لجمال عبد الناصر ويحابيه وذلك للتأثير عليه حيث انه عندما

رفع تقريره الى هيئـة الأمم أثبت انه بتقصى الحقـائق وبعد البحث على الطبيعة لم يثبت وجود أى تسلل لقوات أو متسللين من الجمهورية العربية المتحدة أو أنها قد قامت بأى نشاط عبر الحدود اللبنانية السورية أو نقل أسلحة للمعارضة اللبنانية ٠

٠٠ ثورة العراق (١٤ يوليو ١٩٥٨) ٠٠٠

كانت المعلومات التى لدى أجهزة المخابرات الأمريكية (١) خلال عام ١٩٥٧ أن فى العراق وداخل الجيش ينتشر السخط بين الضباط الشبان وأنه لا يمكن الاعتماد على الجيش اذا ما طلب منه حماية نظام نورى السعيد وأن مركز الحكومة العراقية آخذ فى الضعف ولكن معلومات أخرى كانت تؤكد قدرة الجيش على الحفاظ على الأمن طالمـا يرأس الحكومة نورى السـعيد ٠

وفى نفس الوقت وصلت المعلومات الى مصر أن هناك عناصر من الضباط العراقيين الشبان تستعد للقيام بانقلاب ضد النظام العراقى وطلبت معرفة مدى ما يمكن لمصر أن تقدمه من معونات لهذه الحركات ولكن مصر فضلت المراقبة من بعيد دون التورط فى أى اتفاق ٠

وكل من مصر والولايات المتحدة لم تتوقعا قيام أى ثورة فى العراق فى الوقت القريب كدأب جميع الأحداث الجسام ، ولكن لم يكن اجتماع بريطانيا والولايات المتحدة قد انتهى فى واشنطون للتدبير ضد مصر ، ولم يكد همرشـولد ينتهى من تقريره الى الأمم المتحـدة فى أول يوليو ١٩٥٨ ـ عن اتهام لبنان للجمهورية العربية المتحدة بتشجيع التسلل الى لبنان وتهريب السلاح للمعارضة ، حتى فوجىء العالم بقيام الثورة فى العراق يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨ ٠

ماذا جرى فى عاصمة « حلف بغداد » ؟؟!!

رغم ما جاء بتقارير المخابرات الأمريكية من أن الخطر الأكبر سيكون على العراق من ناحية مصر وسوريا ضد تحالف الملوك فيصل وحسين وسـعود ، فقد كانت أجهـزة المخـابرات الأمريكية تستبعد أى خطورة من ناحية الجيش العراقى بل بالعكس أكدت أن القوات العسكرية العراقية التى تبلغ نحو ٦٥ ألف جندى قادرة على المحافظة على الأمن الداخلى

---

(١) تقرير مخابرات أمريكى رقم ٢٩٢ صادر عن وكالة المخابرات المركزية ـ من وثائق كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / محمد حسنين هيكل ٠

وقادرة على صد أى هجوم من جانب الدول العربية المجاورة وبالتالى لم يكن هناك تصديق لاحتمال حدوث هزات ثورية فى العراق فى ذلك الوقت .

وفجأة .. وعند منتصف ليلة ١٤ يوليو ١٩٥٨ (١) ، عندما كان أحد الألوية العراقية بقيادة العميد الركن عبد الكريم قاسم ومساعده العميد عبد السلام عارف يتحرك من قاعدة فى العراق الى الأردن لتدعيم الاتحاد الهاشمى الجديد ، وأثناء مرور هذه القوات فى بغداد وجد قائد اللواء « العميد قاسم » أن بغداد كانت خالية من أى اجراءات أمنية مفروض أن تتخذ أثناء مثل هذه التحركات العسكرية ، فبادر مع زميله « عبد السلام عارف » بتنفيذ انقلاب وبخاصة عندما تأكدا أن قواتهما هى التشكيل العسكرى الوحيد القريب من بغداد ، وقام عبد السلام عارف بالزحف بمقدمة قواته على العاصمة وبدأ بالسيطرة على معسكر الرشيد وتم اعتقال قادته وعلى رأسهم اللواء محمد رفيق عارف ثم توجه داخل قصر الرحاب ، وكانت الأسرة المالكة بكاملها داخل القصر بما فيهم ولى العهد الأمير عبد الاله وقامت قوات الانقلاب باطلاق النيران على القصر ، ولما حاول جنود حرس القصر التحرك لفك الحصار بادر الثوار باطلاق المدافع المضادة للدبابات على جدران القصر وهدمت جانبا منه ، وعلى اثر ذلك فضل أفراد الأسرة المالكة التسليم لعدم جدوى المقاومة وخرجوا جميعا الى ساحة القصر ووجه أحد الضباط الثائرين مدفعه الرشاش اليهم وقتلهم جميعا وفى الحال ونقلت الجثث الى مقر قيادة الثورة فى وزارة الدفاع ، ولكن الجماهير فى الشوارع تمكنت من انتزاع جثة الأمير عبد الاله وعلقتها على بوابة وزارة الدفاع .

أما نورى السعيد فقد تمكن من الهرب متخفيا فى زى النساء وبسرعة تعرفت عليه الجماهير وقتلوه فى الطريق العام ونقلت جثته هو الآخر الى وزارة الدفاع ، وفى الساعة السادسة صباحا أذيع البيان الأول وبعد فاصل من الموسيقى العسكرية أذيع نبأ مقتل أفراد الأسرة المالكة .

واهتزت معظم عواصم العالم من المفاجأة وفى مقدمتها واشنطون وعواصم دول حلف بغداد وعواصم الدول العربية المتعاونة مع السياسة الأمريكية والغرب .

وفى ذلك الوقت كان عبد الناصر بعيدا عن بلاده مصر فقد كان يزور الرئيس تيتو فى يوغوسلافيا فى جزيرة بريونى على ساحل الادرياتيكى .

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

•• ردود فعل ثورة العراق •••

على اثر قيام ثورة العراق تكهرب الجو(١) فى كل من بيروت وعمان وأنقرة وواشنطون ولندن ، ففى واشنطون كان جانب من رجال الادارة الأمريكية يرون أن ثورة العراق من تدبير عبد الناصر بمساندة روسـيا للقضاء على النفوذ الغربى فى المنطقة وأن الدور أصبح على لبنان بعد العراق ٠

وبينما كانت الشوارع فى بيروت تعج بمظاهرات الفرح والابتهاج لثورة العراق ، كان شمعون يسارع ويطلب النجدة العاجلة من الولايات المتحدة لانقاذ لبنان وأجيب الى طلبه فى الحال وتحرك الأسطول السادس الأمريكى فى طريقه الى شواطىء لبنان ، وفى اليوم التالى لثورة العراق كانت مشاة الأسطول الأمريكى ترسو فى بيروت وسيطرت على المدينة ٠

أما تركيا فقد أبدت قلقها وحماسها وقامت بالضغط على أعضاء حلف بغداد للتدخل فى العراق والأردن ، ووجد الملك حسين نفسه فى خطر داهم فأسرع وطلب من بريطانيا ارسال قوات الى الأردن وكان قد نصب نفسه ملكا على دولة الاتحاد بعد مقتل فيصل ملك العراق وأذاع الملك حسين على الشعب العراقى من الاذاعة الأردنية بيانا طالب فيه الشعب العراقى بسحق الثورة العراقية ، ــ واستجابت بريطانيا لطلب الملك حسين وأرسلت قوات من قبرص الى عمان ٠

•• وفى مصر •••

رغم أن ثورة العراق حدثت وعبد الناصر كان فى زيارة ليوغوسلافيا بعيدا عن مسرح الأحداث وعن بلاده ، فقد كان متأكدا وهو يطالع البرقيات الأولى عن الثورة وما نشرته وكالات الأنباء من أن الولايات المتحدة والغرب سوف يبادرون باتهامه بتدبيرها ويروجون لذلك لاعطاء المبرر للتدخل بأى شكل من أشكاله ، ولذلك وعن طريق أجهزة الاتصال على اليخت الحرية الذى كان يستخدمه وهو فى يوغوسلافيا ، أرسل بنصائحه لتوصيلها من حكومة الجمهورية العربية المتحدة بدمشق الى قادة ثورة العراق بأن تعلن ثورة العراق تعهدها باستمرار تدفق البترول العراقى الى أسواقه وبالتأكيد على استقلالية الثورة العراقية عن كل الأطراف بما فيهم الجمهورية العربية المتحدة وعدم التسرع بابداء التحمس للوحدة العربية وذلك ليتجنبوا اثارة واستفزاز الغرب ضد ثورتهم ٠

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ــ للسيد / صلاح نصر ــ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ٠

وتوقع عبد الناصر أن أحداثا خطيرة ستحدث فى المنطقة لذلك بادرت مصر بالاعلان بالاعتراف (١) بالنظام الجديد فى العراق كما أعلنت مصر حالة الطوارىء وأن مصر ستقوم بالتزاماتها تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعى العربى وأن أى عدوان على العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية المتحدة ، واستعد عبد الناصر للعودة فورا الى مصر ٠

رحلة عبد الناصر المفاجئة الى موسكو ٠٠ (١٧ يوليو ١٩٥٨)

بعد تلقى عبد الناصر لأخبار ثورة العراق وهو فى استراحته فى بريونى بيوغوسلافيا قرر العودة الى مصر على اليخت الحرية ، وبينما كان اليخت يعبر الادرياتيكى وصلت أنباء بنزول قوات الأسطول السادس الأمريكى فى لبنان وعن طلب الملك حسين قوات بريطانية للنزول فى الأردن ، كما بلغه من الرئيس تيتو ــ بنشاط التحركات الغربية والأمريكية فى البحر الأبيض واحتمال الاعتداء على قافلة عبد الناصر ، ونصحه بالعودة الى يوغوسلافيا لاستخدام الطائرة فى عودته الى بلاده ، ولكن عبد الناصر فكر فجأة فى القيام برحلة مفاجئة وسرية الى الاتحاد السوفييتى ، وتم الترتيب بين الرئيس تيتو وبين خروشوف وأرسل الاتحاد السوفييتى طائرة سريعة حديثة سوفييتية خاصة لتقل الرئيس عبد الناصر ووصل الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٥٨ ، واجتمع عبد الناصر والوفد المرافق له مع الزعماء السوفييت لمناقشة الموقف معهم بعد أن التهب فجأة نتيجة التدخلات الأمريكية البريطانية ٠

وشرح عبد الناصر وجهات نظره ازاء المشكلة وصحح لهم ما اعتقدوه هم الآخرون بأن ثورة العراق من تدبير عبد الناصر ، بل العكس فان الفضل الأكبر لقيامها وقيام مثلها فى العالم العربى يرجع الى الثورة المخزونة والكامنة والمكبوتة فى نفسية الشعوب العربية على شكل آلام ومعاناة طال تحملها من الاستغلال الاستعمارى وتعاونه مع بعض حكام العرب الموالين للغرب وبمجرد أن اكتشف العالم العربى امكان الثورة على هذه الأوضاع فقد بادر باتباع النموذج الوطنى الذى أنجزه عبد الناصر وذلك على مبادىء القومية العربية ففتح الطريق للتنفيس عن هذا المخزون فتطلعت الشعوب العربية لتحقيق آمالها فى الحرية والاستقلال ، كما لمس من الحوار مع الساسة السوفييت مدى ما يمكنهم تقديمه لشعوب الأمة العربية الثائرة خصوصا اذا ما تصاعد التحرك الأمريكى والغربى فى المنطقة الى مستوى العدوان والردع ٠

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ــ صلاح نصر ــ ص ١٦٢ ٠

وعلم منهم بصراحة تامة أن الاتحاد السوفيينى ليس على استعداد للتحرش بأمريكا فى ذاك الوقت أو للتورط فى حرب نووية تعرضهم لأهوال هذه الحرب وأكد خروشوف لعبد الناصر أن معلوماتهم تؤكد أن الولايات المتحدة لا تنوى توسيع نطاق العمليات للمدى الذى يورطهم فى مواجهة نووية مع الاتحاد السوفييتى ، لأن الاتحاد السوفييتى تحسبا لأى احتمالات من الادارة الأمريكية ، بادروا ـ حتى قبل وصول عبد الناصر الى موسكو ـ بتحريك قواتهم على شكل مناورات لقوات حلف وارسو فى منطقة البلقان وفى مواجهة تركيا ، وأدان خروشوف علانية التدخل الأمريكى والبريطانى وقام الوفد السوفييتى فى الأمم المتحدة بمطالبة الولايات المتحدة بسحب قواتها من المنطقة فورا ، وأعلن أن حكومة الاتحاد السوفييتى لن تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى ازاء أعمال الاثارة والعدوان فى منطقة تجاور الحدود الروسية . كما أعلن الاتحاد السوفييتى اعترافه بحكومة العراق الجديدة .

رد فعل زيارة عبد الناصر السرية الى موسكو ..

فى بادىء الأمر ، أزعجت هذه الزيارة المفاجئة والسرية الأمريكان والغرب لدرجة أن مستشار الرئيس ايزنهاور الصحفى « جيمس هاجرتى » صرح بأن الولايات المتحدة تعتبر أن مصر مسئولة مباشرة عن سلامة جنود البحرية الأمريكية فى لبنان ، وبمرور الوقت تأكدت الولايات المتحدة أن عبد الناصر قام بهذه الزيارة كنوع من حرب الأعصاب وأن الاتحاد السوفييتى سوف لا يتورط فى أى عمل عسكرى أو عدوانى لأجل خاطر العرب .

.. أما فى لنــــدن ...

فقد فسرت هذه الرحلة فى بادىء الأمر أنها خرافة ولم تحدث ، وأعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية أن بريطانيا تشك فى أن هذه الرحلة قد حدثت وبعد أن تأكد حدوثها باعلان عبد الناصر عنها فى خطابه فى دمشـق ، كانت بريطانيا حريصة على التقصى عما حدث فى اجتماع عبد الناصر وخروشوف وتسبب فى القلق لما قد يكون الاتحاد السوفييتى قد وعد وتعهد به لعبد الناصر .

عبد الناصر يسافر من موسكو الى .. دمشق ...

وقام عبد الناصر بالسفر الى دمشق على طائرة روسية مع اجراءات تأمين سوفييتية ووصلها يوم ١٨ يوليو ١٩٥٨ وذلك بعد محادثات قام بها عبد الحميد السراج ـ وزير داخلية الاقليم الشمالى ـ مع عبد السلام

عارف نائب رئيس الثورة العراقية ــ تمهيدا لاجتماع عبد الناصر مع وفد الثورة العراقية ــ ، وفى دمشق حضر وفد عراقى على مستوى رفيع يرأسه عبد السلام عارف وعضوية وزير الارشاد القومى صديق شنشل ووزير المالية ووزير الخارجية ٠

وقبل أن يجتمع عبد الناصر بالوفد العراقى حصل على معلومات مفصلة عن أعضاء مجلس الثورة وعلم مدى حساسية الموقف بين أعضاء مجلس الثورة ومدى حساسية بعضهم من التعامل مع دولة الوحدة وزعامتها، وعلى ضوء هذه المعلومات الدقيقة أبرم اتفاقية تحالف وصداقة ومساعدة متبادلة مع الجانب العراقى وتجنب التورط أو الحديث حول امكان الوحدة، وبعد كل ما سمعه عبد الناصر من تفصيلات عن ثورة العراق ووجود بوادر خلاف فى القيادة الثورية العراقية وعن النشاط الغربى والأمريكى بالمنطقة، أسرع وعاد الى مصر بالطائرة الروسية التى هبطت به فى مطار أبو صوير العسكرى لأن مطار القاهرة لم يكن معدا لاستقبال هذه الطائرة الحديثة ، عاد الى القاهرة وهو يشعر بأن أصابع السياسة الغربية والأمريكية سوف تستأنف فى القريب استكمال لعب دورها ان لم يكن قد بدأ فعلا ، انتقاما لفشلها وفشل أجهزة مخابراتها المتتابع ، فعلى أقل تقدير لاستكمال مخطط الادارة الأمريكية فى التخلص من عبد الناصر كمحرض لهذه المتاعب ومهاجمته من أجل تحطيم أسلحته القومية التى ثبت نجاحها المتواصل فى المنطقة ٠

خطاب عبد الناصر (١) :

وبدأ عبد الناصر بأسلوب المهادنة والتبريد ، وانتهز فرصة احتفالات ثورة ٢٣ يوليو وجاء فى خطابه يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٨ فى ميدان الجمهورية شرحا لجذور ظاهرة القومية العربية وأنها ظاهرة ذاتية فى أعماق الوجدان العربى وليست مؤامرات أو تدبيرات أو مخططات يقوم باستخدامها وتحريكها عبد الناصر أو غيره وأنه بفضل هذه الظاهرة أمكن تحطيم مخططات حكام العرب الذين يعادونها وبالتالى يعادون شعوبهم ، وأن فشل الغرب وأجهزته لأنهم يعتمدون فى تنفيذ مخططاتهم على هؤلاء الحكام العرب أعداء قوميتهم ، والأولى بهذه الأجهزة الغربية وعلى رأسها الادارة الأمريكية أن تأخذ بيد الشعوب العربية المطالبة بحريتها واستقلالها بالضبط وكما سبق وحققتها أمريكا تاريخيا فى معركة استقلالها ومقاومتها للاستعمار البريطانى ٠

---

(١) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس عبد الناصر ــ تجريع مصلحة الاستعلامات سنة ١٩٥٨ من ص ١٤٧ حتى ص ١٦٣ ٠

وركز عبد الناصر فى خطابه على أن الأمة العربية ومن ضمنها مصر لا مصلحة لها فى العداء لأنه لا مصلحة لها فى ذلك وأنها تريد السلام مع الجميع وأنهم رسل سلام وليسوا أدوات عدوان وأن العرب ينشدون صداقة العالم وأن القومية العربية تهدف الى سلام العالم أجمع ورفاهيته مثلما تبغى سلام الأمة العربية ورفاهيتها .

كما طمأن الغرب وأمريكا من ناحية الثروة البترولية الموجودة فى الأراضى العربية الثائرة وذلك طبقا لما جاء فى اعلان قادة العراق بأن البترول سيكون خيرا على جمهورية العراق وخيرا على الانسانية جمعاء وأن العراق يتمسك بالاتفاقيات الدولية والتجارية .

وفى مجال تبريد الموقف أعلن عبد الناصر أنه يؤيد بيان الاتحاد السوفييتى الذى يدعو فيه الى مؤتمر الأقطاب لبحث تطورات الموقف بعد ثورة العراق للقضاء على التوتر الدولى لابعاد شبح الحرب ، وأشار الى ما حواه تقرير سكرتير الأمم المتحدة همرشولد أن مصر بريئة من اتهامات رئيس لبنان شمعون بأنها تتآمر وتدبر للعدوان على لبنان مما أدى الى ارسال قوات أمريكية الى لبنان وأعلن مطالبته بجلاء القوات الأمريكية من لبنان والقوات البريطانية من الأردن لأنه ليس هناك أى مبرر منطقى أو شرعى لوجودهما وبناء على ما أعلنه وزير خارجية السودان محمد أحمد محجوب فى الجمعية العامة للأمم المتحدة باسم الدول العربية ورغبتها المشتركة فى شطب الشكوى اللبنانية ضد مصر فقد تم شطب هذه الشكوى اللبنانية وبدأ جمال عبد الناصر فورا بالترتيب للمطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان والقوات البريطانية من الأردن فى مقابلة له مع السفير الأمريكى فى القاهرة والذى عرض على عبد الناصر امكان مقابلته للمبعوث الأمريكى روبرت مورفى والذى كان فى زيارة الى العراق ووافق عبد الناصر بعد أن أفاد السفير الأمريكى ريموند هير أنه على علم بمقابلات مورفى فى العراق (١) .

وعقب ذلك تعمد عبد الناصر أن يهدىء الجو ويعيد النظر فى تصفية الجو بين مصر والسعودية وبين مصر ولبنان وتبادل مع الأمير فيصل والرئيس اللبنانى الجديد فؤاد شهاب الرسائل الودية وأعاد الوفاق بين مصر وبينهما لقطع خط الرجعة على مؤامرات الغرب ولو لفترة لالتقاط الأنفاس واستعدادا لخطوة أخرى كانت ذات أهمية قصوى لمصر وهى توقيع اتفاقية تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالى .

---

(١) كانت مأمورية المبعوث مورفى فى العراق هى التأكيد على المخطط الأمريكى بين السفير الأمريكى فى العراق جالمان وبين عبد الكريم قاسم بتعميق وتثبيت ما يكنه قاسم من غيرة وتحفظ ازاء سياسة عبد الناصر من ناحية الوحدة الشاملة وكبداية للفرقة بين العراق ومصر لصالح السياسة الأمريكية .

اتفاقية تنفيذ المرحلة الأولى من السد العالى ٠٠ (٢٣ أكتوبر ١٩٥٨) ٠٠

تم توقيع هذه الاتفاقية بين مصر والاتحاد السوفييتى والتى قدم بموجبها الاتحاد السوفييتى لمصر قرضا بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل بفائدة ٢ر٥٪ وفترة سماح ٦ سنوات ويسدد القرض على أقساط لمدة اثنتى عشرة سنة وأعلن عبد الناصر البدء فورا فى تنفيذ المشروع الذى طال انتظار الشعب المصرى له والذى خاض من أجله أعظم المعارك ٠

تطبيق قانون الاصلاح الزراعى فى سوريا (١) ٠٠ (سبتمبر ١٩٥٨)

فى سبتمبر ١٩٥٨ صدر قانون الاصلاح الزراعى ليطبق فى الاقليم الشمالى (سوريا) مطابقا الى حد بعيد لنفس قانون الاصلاح الزراعى الذى طبق فى مصر منذ قيام الثورة فى سنة ١٩٥٢ ورغم اختلاف الأوضاع والظروف الزراعية فى كل من الاقليمين ولكنه صدر بغرض عدم ايجاد تفرقة بين اقليمى دولة الوحدة وبغرض توحيد المبادىء الأساسية وأحدث ذلك ارتياحا بين أفراد الشعبين فى بادىء الأمر ٠

مزيد من السلطات لعبد الحميد السراج فى سوريا ٠٠

فى أكتوبر ١٩٥٨ أعيد تشكيل الحكومة المركزية لدولة الوحدة ونقل فى هذا التشكيل كل من أكرم الحورانى وصلاح البيطار الى القاهرة وبذلك بقى فى سوريا عبد الحميد السراج منفردا بالسيطرة عليها لدرجة أن أطلق الجمهور عليه لقب « السلطان عبد الحميد » (السلطان التركى المستبد فى عهد الدولة العثمانية) ٠

تشكيل لجنة ثلاثية وزارية عليا فى سوريا ٠٠ (٢٣ ديسمبر ١٩٥٨)

ومن أجل احداث بعض التوازن فى السلطات فى سوريا أعلن عبد الناصر فى خطابه فى احتفالات عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٨ فى بور سعيد عن تشكيل لجنة وزارية عليا من ثلاثة هم أكرم حورانى السورى وزكريا محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى وان الغرض من هذه اللجنة هو العمل على دفع عجلة الانتاج فى سوريا ولسرعة تنفيذ المشروعات التى يتطلع اليها الشعب السورى كمشروع سد نهر الفرات وكان عبد اللطيف البغدادى هو رئيس هذه اللجنة ولم يحدد لهذه اللجنة أى اختصاص واضح ولكن أمكنها بعد تحسين صلاتها وعلاقاتها مع الوزراء والمختصين من انجازالكثير من الأعمال ٠

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ، ص ٥٧ ، ٥٨ ٠

في الوقت الذى كان شمعون فى لبنان فى موقف لا يحسد عليه بعد اعلانه صرف النظر عن اعادة ترشيح نفسه لمدة رئاسة ثانية نتيجة لزيادة الضغط عليه داخليا من المعارضة وفشله فى امكان اثبات شكواه ضد الجمهورية العربية المتحدة فى هيئة الأمم ، كانت أمريكا وانجلترا تتفاوضان وتخططان (١) لامكان معاونته ومعاونة الحكومات العربية الأخرى الموالية للغرب فى المنطقة وفى نفس الوقت محاولة عدم استثارة قوى القومية العربية ، فقد اجتمع الجانب البريطانى مع الجانب الأمريكى فى واشنطون يوم ٩ يونية ١٩٥٨، وكان محور المحادثات هو بحث الوضع المتأزم فى لبنان وامكان انقاذه ثم وسائل تدعيم الأوضاع العسكرية وغيرها فى باقى الدول العربية المشتركة فى حلف بغداد وفى مشروع ايزنهاور وذلك لخلق تأثير نفسى طيب فى العراق ولبنان والأردن ولامكان مقاومة خطورة وحدة مصر وسوريا عليها ، وكان على رأس هذه المعونات العاجلة وهى تسليم الطائرات اللازمة والمعدات العسكرية اللازمة .

وفجأة وأثناء رحلة جمال عبد الناصر الى يوغوسلافيا وهو على ظهر الباخرة التى كانت تقله الى هناك ، علم من برقية أرسلت له بها معلومات تدل على أن حكومة السودان برئاسة عبد الله خليل بدأت المخابرات الأمريكية تستخدمها لاحداث القلق لمصر فى وسط هذه الأحداث وكان مفاد هذه البرقية أن حكومة السودان أجرت اتصالات مع عدد من الحكومات الافريقية المشتركة فى حوض نهر النيل تبلغها فيه أن حكومة السودان قررت ألا تلتزم باتفاقية مياه النيل فى مواجهة اصرار مصر على تنفيذ مشروع بناء السد العالى وكان هذا الموضوع يعتبر امتدادا لسلسلة المضايقات السودانية لمصر لحساب السياسة الأمريكية وكان السابق لذلك هو مشكلة حدود السودان مع مصر فى حلايب والذى أثير منذ فترة قصيرة قبل ذلك كما توالت المعلومات أيضا فى نفس الفترة والتى تفيد أن المخابرات الاسرائيلية (الموساد) هى الأخرى بدأت تلعب دورا مؤثرا فى نشاط الحركات الانفصالية فى جنوب السودان ، ويدل كل ذلك على أن ما يجرى فى السودان هو بدايات لخطة أمريكية جديدة للعمل فى السودان وفى منابع النيل ، وكان عبد الناصر يعتبر أن موضوع مياه النيل واثارته بهذا الأسلوب يمثل خطورة أكبر كثيرا من موضوع الحدود السابق وقد يسبب ازعاجا لمصر اذا لم يعالج بالحكمة اللازمة لأنه موضوع يمس حياة مصر نفسها .

---

(١) الحلقة ١٤ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ / حسنين هيكل ـ اهرام ١٩٨٨/١١/٩ .

وفى أول شهر يوليو ١٩٥٨ زاد الضغط على أمريكا من العراق وتركيا وايران واسرائيل مطالبين بتدخل الولايات المتحدة لانقاذ لبنان ٠

الادارة الأمريكية والغرب ٠٠ يراجعان مخططاتهما ٠٠٠٠

(أولا) الادارة الأمريكية :

وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٨ اجتمع الرئيس الأمريكى مع مجلس الأمن القومى (١) وأفصح لهم ــ نتيجة لشدة المفاجأة بقيام ثورة العراق ــ أنه وقف حائرا أمام ظاهرة حماس الجماهير العربية وفقا لارادة جمال عبد الناصر بهذه الصورة بحيث كان المستفيد الأكبر من ذلك هو الاتحاد السوفييتى وطلب من المجتمعين الحصول على معلومات أوفر عن ظاهرة القومية العربية التى استطاعت بحسن ادارة ناصر أن تتحكم فى تطلعات القوى العربية الوطنية بهذه الصورة الثورية وكان رأى رئيس مخابرات الولايات المتحدة آلان دالاس أن أمريكا لاتستطيع مقاومة طوفان القومية العربية المتدفق ومن الواجب ملاينتها واحاطتها بوسائل جديدة ، وكان رأى الادارة الأمريكية أن هدف السياسة الأمريكية الذى كان يقضى بالمحافظة على بعض العروش أصبح ميؤسا منه ويجب أن يتعدل فى المستقبل القريب ٠

وجاءت بعد ذلك توصيات وزير الخارجية (٢) جون فوستر دالاس للرئيس ايزنهاور متسمة بالعداء لعبد الناصر ويفصح فيها بصفة رئيسية بأن الولايات المتحدة لا يزعجها من سياسة عبد الناصر الا ما تمثله من خطورة على اسرائيل وأن أمريكا لا يمكنها أن تحقق مع عبد الناصر صداقة حقيقية وأنه لا خشية من ظاهرة القومية العربية التى يلعب بها عبد الناصر لأنه لا يحقق بها سوى أطماعه الشخصية ولأن الوحدة بين مصر وسوريا (٣) حتى هذا التاريخ كان عليها كثير من المآخذ ولا يمكن اعتبارها ظاهرة متكاملة لأن سيطرة عبد الناصر غير كاملة على حركة الوحدة العربية سواء داخل مصر أو سوريا لافتقارها الى تنظيم له هدف يعمل على تحقيقه داخل دول الأمة العربية ، كما أن كل من مصر وسوريا كانتا

---

(١) وثيقة مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٨ ٠ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ / حسنين هيكل ــ عدد أهرام ١٩٨٨/١١/١٦ ٠

(٢) من وثائق وزارة الخارجية الأمريكى بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٨ ــ كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل ــ أهرام ١٩٨٨/١١/١٦ ٠

(٣) تقرير مخابرات أمريكى برقم ٢٧٤ موقع عليه من آلان دالاس وأشر عليه الرئيس ايزنهاور بالاطلاع يوم ٢ أغسطس ١٩٥٨ ــ من وثائق كتاب سنوات الغليان للأستاذ / هيكل أهرام ١٩٨٨/١١/١٦ ٠

تعانيان داخليا فى شتى المجالات سواء من ناحية الخدمات أو الانتاج وتتعثر فيهما مشارع التنمية التى وعد عبد الناصر بها الشعبين بالاضافة الى وجود بوادر التمرد الداخلى وبخاصة فى المجتمع السورى فى مواجهة الأسلوب المصرى فى ادارة دولة الوحدة (١) وأنه ليس لدى عبد الناصر برنامج محـــدد أو خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التى ينادى بها وأنه فى نفس الوقت لا يمكنه الدخول فى أى صراع عســـكرى لا مع اسرائيل أو مع تركيا أو حتى مع الدول العربية المعارضة لسياسته ، وفى مجال اعادة أمريكا رسم سياستها فى مواجهة الوضع بعد ثورة العراق وعلى ضوء هذه المعلومات أصدرت الادارة الأمريكية توصياتها ــ بعد عديد من الاجتماعات ــ وتتخلص توصياتها فى :

١ ــ ضرورة الحصول على وثائق حلف بغداد التى أصبحت فى حوزة رجال ثورة العراق وبالتالى احتمال(٢) وصولها الى عبد الناصر ٠

٢ ــ على الأجهزة الأمريكية السرية والدبلوماسية العمل بسرعة على استغلال بوادر ظاهرة الخلاف فى قمة السلطة فى جهاز ثورة العراق وفى كواليس الادارة السورية والتى أمكن خلقها بالأجهزة الأمريكية الخفية وملاحظتها وحسن استغلال ظاهرة الشعور العام العراقى والسورى بالغيرة من التفوق المصرى الذى قد يؤدى فى النهاية الى استعمار مصرى ٠

٣ ــ بعد امكان تغذية الغرور الشخصى لعبد الكريم قاسم برفضه لفكرة أى تسلط للقاهرة على سياسة الثورة العراقية ، العمل على استغلال هذه البادرة بحسن التدبير والعمل على توسيع شقة الخلاف لقطع خط الرجعة على أى اتجاه وحدوى فى العراق بأسلوب جمال عبد الناصر القـــومى ٠

٤ ــ عدم التقليل من نتائج انتصارات عبد الناصر المتلاحقة الا اذا

---

(١) كل ما جاء بهذا التقرير فى منتهى الدقة عن الحالة الداخلية لدولة الوحدة ويدل على مدى كفاءة جهاز المعلومات الأمريكى ٠

(٢) تقرير من السفير الأمريكى فى بغداد عقب مقابلة له من رئيس مجلس الثورة العراقى عبد الكريم قاسم الذى أكد للسفير أن العراق لا يفكر فى الانضمام للجمهورية العربية المتحدة ويفضل الاحتفاظ للعراق بدوره المستقل وأنه ليست عليه وصاية من أحد من خارج العراق ٠

أمكن تعريض (١) دولة الوحدة الى سلسلة من الهزائم المتوالية على يد اسرائيل وتركيا ٠

٥ ـ التوصية بضرورة تعزيز القواعد العسكرية الأمريكية وبخاصة فى المغرب العربى ٠

٦ ـ الاهتمام بالعمل السرى والعلنى ضد مصر فى السودان وبخاصة بعد أن تأكدت الادارة الأمريكية من تصميم مصر على تنفيذ مشروع السد العالى بأية وسيلة على أن يكون هذا العمل مركزا على اقناع السودان بوجوب المحافظة على استقلاله وحماية مصالحه وكان وقتها على رأسها هى مشكلة توزيع مياه النيل ٠

صفقة أسلحة أمريكية لاسرائيل ٠٠

فى ٢ أكتوبر ١٩٥٨ جاء فى جريدة النيويورك تايمز أن أمريكا عقدت صفقة من الأسلحة المتفوقة مع اسرائيل طبقا لوعودها عقب ثورة العراق لتتمكن اسرائيل من مواجهة خط تيار الوحدة العربية الذى يحقق المفاجآت ٠

(ثانيا) : بريطانيا ٠٠٠

كان هارولد ماكميلان يأمل من التقارب الذى حدث بين انجلترا وأمريكا أثناء الأيام الأولى لثورة العراق ، أن الفرصة قد سنحت لانجلترا للثأر من عبد الناصر ، وبادرت انجلترا بانزال قواتها فى الأردن وكان أملها أن تستغل جو الأزمة وتقوم قواتها بالزحف على سوريا والعراق ، ولكن ايزنهاور لم يستجب لهذا الأمل البريطانى فكان يفضل امكان استخدام اسرائيل فى هذا الزحف ٠

٠٠ محاربة مصر بمحاولة عرقلة تنفيذ مشروع السد العالى ٠٠٠

قامت الأجهزة الأمريكية بالتعاون مع أجهزة المخابرات البريطانية فى احداث القلق فى العلاقات المصرية السودانية على أمل مضايقة مصر فى

---

(١) تقرير آخر من السفير الأمريكى فى بغداد تاريخه أول أغسطس ١٩٥٨ قال فيه السفير : « أنه يستطيع أن يؤكد أنه وجد فى عبد الكريم قاسم المنافس المطلوب فى المنطقة العربية لعبد الناصر أكثر منه صديقا » ٠

من وثائق كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/١٦ ٠

أهم مشاريعها للتنمية والذى من أجله خاضت مصر حرب السويس ، فقد حرضتا حكومة السودان التى كان يرأسها عبد الله خليل على اعلان اسقاط اتفاقية مياه النيل عقب اعلان مصر نبأ اتفاقيتها مع الاتحاد السوفييتى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٥٨ لتنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالى وأعلنت السودان أنها سوف تقوم بتنفيذ مشروع جديد فى الروصيرص ·

·· الاعلان الأمريكى ··· (والتلاعب بحقوق السودان)

فى نفس الوقت أعلنت الولايات المتحدة أن بعثة من البنك الدولى سوف تتجه الى السودان وأن البنك الدولى سوف يقوم بتمويل مشروع سد الروصيرص ، علما بأن مصر حتى هذا الوقت كانت دائما ترحب باقامة أى مشروع لحجز المياه على النيل بشرط أن يكون فى اطار اتفاقيات مياه النيل والتى تهم الشعب المصرى الذى يعتمد فى حياته الأساسية على مياه هذا النهر وكانت مصر تأمل ألا يتم تنفيذ مثل هذه المشاريع الا بالاتفاق بين حكومتى مصر والسودان دون أى تدخلات ، ولكن هذا الاعلان من جانب واحد هو السودان ثم من عنصر خارجى هو البنك الدولى ــ الخاضع بالكامل للسياسة الأمريكية ــ كان فيهما معنى التآمر والاستفزاز لمصر قد يؤدى فى النهاية الى الصدام ، ولذلك قامت مصر باعلانها : « بأن اسقاط اتفاقية مياه النيل تضر بالمصالح المصرية والسودانية فى نفس الوقت » ، وبهذا الأسلوب الاستفزازى سوف يجعل الباب مفتوحا لباقى الدول الأفريقية المشتركة فى النيل والمتعاون أغلبها مع ساسة الغرب باحداث المتاعب المتتالية لمصر ، ولحسن الحظ أن معارضة مصر بهذا الأسلوب الهادىء لهذا المشروع حرك الشارع السودانى وكان أغلب الشعب السودانى فى هذا الوقت متعاطفا مع مصر ، فقامت فجأة المظاهرات الصاخبة فى السودان وهتفت ضد ما أسمته بالتواطؤ بين حكومة السودان وقوى الغرب المعادية للقومية العربية والوحدة وظهر على اثر ذلك أن بالساحة السودانية قوى وطنية لها وزنها تعارض بشدة سياسية عبد الله خليل المريبة ، ولم يعد فى مقدور عبد الله خليل مواجهة الموقف المتفجر ولذلك فقد آثر أن يترك السلطة وسلمها بطريقة مسرحية الى القوات المسلحة السودانية ·

·· الفريق عبود ·· يتسلم السلطة ··· (١٧ نوفمبر ١٩٥٨)

أعلن فى الخرطوم تولى الفريق ابراهيم عبود ــ قائد الجيش السودانى ــ زمام السلطة فى السودان صباح ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ ورأس مجلسا من كبار قادة الجيش السودانى ·

•• موقف مصر من تغيير السلطة فى السودان •••

سارعت مصر وكانت أول دولة تعترف بحكومة عبود بعكس ما كان عبد الله خليل ـ وعبود نفسه ـ وجميع القوى المعادية لمصر ، بل وبادر عبد الناصر امعانا فى التحدى وأعلن « أن مصر على اســتعداد لتوثيق علاقاتها مع السودان » ، ثم طالب بعقد مفاوضات بين الجانبين المصرى والسودانى تهدف الى اعادة احترام اتفاقية مياه النيل •• « وأن مصر لا تمانع حتى فى اقتسام فائض مياه السد العالى بعد تنفيذه بين مصر والسودان بما يحقق مصالح القطرين لخدمة المشروعات الحيوية ، وأن مصر تؤيد مطلب السودان فى اقامة أى مشروعات على النيل ومنها مشروع سد الروصيرص » •

وعقب ذلك أعلنت حكومة عبود أن الأسباب التى كانت تحول دون الاتفاق مع القاهرة قد زالت بزوال الحكومة القديمة ، وبذلك تم قطع خط الرجعة على التآمر الغربى فى السودان وبخاصة أن اسرائيل هى الأخرى قد بدأت فى مزاولة نشاطها السرى فى جنوب السودان للعمل على فصله عن الشمال بهدف عزل السودان عن السياسة العربية •

وفى نفس هذا التاريخ تم عقد صفقة أسلحة بريطانية لاسرائيل أعلنت عنها الحكومة البريطانية فى ٨ أكتوبر ١٩٥٨ ، وكان أبرز ما فى هذه الاتفاقية هو ما جاء عن تسليم حكومة بريطانيا غواصتين الى اسرائيل سلمت الأولى لها فى يوم ٩ أكتوبر ١٩٥٨ من ميناء بورتسموث •

(ثالثا) فرنســا •••

بعد انسحاب القوات الفرنسية من القناة عقب عدوان ١٩٥٦ ، عاد ديجول الى السلطة وتم تأليف حكومة جزائرية مؤقتة فى المنفى فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٨ ، وكان بتشجيع من القاهرة أملا فى امكان التفاهم مع ديجول ، وقامت فى نفس الوقت الثورة الجزائرية بنقل معركة التحرير من داخل الجزائر الى فرنسا نفسها وأعلنت فرنسا حالة الطوارىء وقام ديجول بزيارة الجزائر •• وأعلن بعد عودته الى فرنسا أنه ••• « سيتقدم بمشروع لحل أزمة الجزائر بما يحقق للجزائريين المسلمين تقرير مصيرهم » •

ورغم أن حكومة الجزائر فى المنفى أعلنت رفضها لمشروع ديجول ، الا أن عبد الناصر بالاتفاق مع ملك المغرب أمكنهما اقناع حكومة المنفى بقبول الدخول فى مفاوضات مع حكومة فرنسا على أساس اعلان ديجول •

وفى هذا الوقت تمكنت اسرائيل من الحصول على ٤٠ طائرة فرنسية « سوبر مستير » والتى بها يمكن لاسرائيل أن تحقق التفوق على الطائرة السوفييتية الجديدة ميج ١٧ ، وتسربت هذه المعلومات الى مصر مما يدل أن فرنسا تتعاون فى الخفاء مع الجانب الاسرائيلى لفرض تفوقها على العرب بالاضافة الى مساهمة فرنسا فى رفع طاقة المفاعل الذرى الاسرائيلى فى ديمونة من ٥٠٠٠ كيلوات الى ٢٤٠٠٠ كيلوات ، وقامت فرنسا بتسليم اسرائيل الوقود اللازم من اليورانيوم الطبيعى ومعدات التبريد اللازمة لانتاج المياه الثقيلة وبذلك تتمكن اسرائيل من انتاج البلوتونيوم اللازم لصناعة القنابل الذرية وكل هذه التحركات الخفية من فرنسا كانت بمثابة جانب من الانتقام من مصر وسياستها المتعاونة مع ثورة الجزائر ، وتمشيا مع الموقف الغربى والأمريكى العام المعادى لمصر وللعرب ٠

٠٠ استمرار المخطط الأمريكى ٠٠٠

بعد التصرفات العصـــبية الأمريكية والبريطانية كرد فعل للثورة الفجائية فى العراق ـ وذلك بارسال (١) قواتهما الى لبنان والأردن ـ أخذت مخابراتهما تنشط لمحاولة اختراق مجلس قيادة الثورة العراقية نفسها بالاضافة الى نشاط سفرائهما فى بغداد وبيروت كما قامت أجهزة الادارة الأمريكية بمتابعة نشاط عبد الناصر باعتباره المحرض الرئيسى على ثورة العراق وقامت الادارة الأمريكية بعمل دراسات شاملة ومتعمقة عن ظاهرة القومية العربية التى أمكنها تحريك الشعوب العربية لدرجة الثورة ، كما تم دراسة مدى تأييد الاتحاد السوفيتى لمصر ومدى خلافها مع عبد الناصر وبخاصة ضيقها من تصرفاته العنيفة مع المنظمات الشيوعية داخل مصر وسوريا وقامت هذه الأجهزة العلنية والسرية البريطانية والأمريكية بدراسة

---

(١) مجموعة وثائق كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل :

(أ) تقارير السفير المصرى فى بغداد أمين هويدى ٠

(ب) خطابات السفير العراقى فى مصر فائق السامرائى (أرشيف منشية البكرى برقم ٣١٤٥ ب ٠

(جـ) مذكرة مقابلة ويليام راونبرى لعبد الناصر فى ١٩٥٨/١٢/٢٣ ٠

(د) مراسلات للقادة السوفيت ٠

(هـ) مسودة خطاب عبد الناصر رقم ٣٠ ٠

(و) محضر مقابلة عبد الناصر مع السفير السوفيتى كيسيليف ٠

(ز) خطاب القادة السوفيت لعبد الناصر ٠

(ح) رد عبد الناصر على رسالة خروشوف تحت رقم ٣١ ٠

(ط) مذكرات عن اجتماعات جمال عبد الناصر مع الوفد العراقى فى دمشق فى ٢٠ يوليو ١٩٥٨ ـ فرغت بمعرفة الأستاذ / حسنين هيكل ٠

وتحليل شخصية (١) قائد الثورة العراقية ونقط ضعفها بحيث أصبح عبد الكريم قاسم مستعدا لتحطيم كل ما يعترض طريقه لتحقيق زعامته على العراق سواء من زملائه الثوار أو زعامات العرب وعلى رأسها زعامة عبد الناصر وأصبح عبد الكريم قاسم يتصرف حتى لدرجة القتل ارضاء لغروره ومتوهما أنه قادر على اتخاذ القرارات وحده فى أخطر الأمور دون وصاية أو توجيه من أحد وتم اعداد مخطط مدروس بعناية يحقق أهداف السياسة الغربية والأمريكية فى المنطقة وكان كالآتى :

١ ـ ابراز تصرفات (٢) وتصريحات (٣) وأقوال (٤) عبد الناصر عن رأيه فى معنى الخضوع لأى نفوذ شرقى أو غربى وتصويره بأنه يقصد الشيوعية الدولية ومقاومتها وبخاصة بعد أن جعلت هذه التصرفات من عبد الناصر زعماء الاتحاد السوفييتى يتخذون خطوات تمهيد التغيير موقفهم من مصر بالتحول الى أسلوب المهاجمة الصريحة لتصرفات عبد الناصر وبخاصة مع التنظيمات الشيوعية السورية والمصرية والعربية ردا على معاداتها للوحدة ٠

٢ ـ استغلال الاهتزاز الواضح فى شخصية عبد الكريم قاسم بدفعه الى أحضان الأحزاب الشيوعية العراقية وباستعدائها على التيار القومى الداخلى فى العراق والخارجى وبالتالى استدراج الاتحاد السوفييتى الى تأييد عبد الكريم قاسم وتحريض الحزب الشيوعى العراقى للتنكيل بالتنظيمات القومية العراقية ـ بالمحاكمات والاعدام وبخاصة العناصر التى شاركت فى الثورة العراقية وانتهت باعتقال نائبه عبد السلام عارف فى سبتمبر ١٩٥٨ ٠

---

(١) من أبرز الأجهزة الغربية هذا الجهاز العجيب المكون من السفير الأمريكى فى بقائد ثورة العراق وقاموا بتكوين علاقات شخصية مبيتة معه ودراسة نقط ضعفه وأمكنهم همفرى تريفليان) والذى كان سفيرا لانجلترا فى مصر سابقا حيث سارعوا بالاتصال بقائد ثورة العراق وقاموا بتكوين علاقات شخصية مبيتة معه ودراسة نقط ضعفه وأمكنهم فى النهاية من التأثير والسيطرة عليه سيطرة كاملة بارضاء غروره باختلاف مؤامرات تحاك ضده بمعرفة زملائه وبتحريض من عبد الناصر ادعاء ٠

(٢) خطاب عبد الناصر بميدان الجمهورية يوم ٢١ فبراير ١٩٥٩ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ٠

(٣) خطاب من عبد الناصر فى حلب يوم ٢١ فبراير ١٩٥٩ ص ٣١٢ ٠

(٤) خطاب من عبد الناصر فى دمشق يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٩ ص ٣٤٩ ٠

(تجميع مصلحة الاستعلامات ـ القسم الثانى ـ من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٠) ٠

٣ ـ الايحاء لعبد الكريم قاسم بتأييد الغرب له وذلك بالمبادرة باعتراف أمريكا بنظام العراق مع تجاهل تأييد عبد الكريم قاسم للأحزاب الشيوعية العراقية وصداقته الحديثة للسوفييت والمهم هو التخلص من الحركة القومية العربية العدو الأساسى لمطامع السيطرة الغربية ·

٤ ـ تصوير مخططات عبد الناصر القومية لعبد الكريم قاسم أنها مخططات توسعية وأطماع فى ثروات العرب البترولية وعلى رأسها ثروات العراق وابراز أن عبد الناصر يزاحم عبد الكريم قاسم فى زعامته حتى يجعل زعامة عبد الكريم فى درجة تالية لزعامة عبد الناصر (١) فى العالم العربى ·

٥ ـ دس الوثائق المزيفة لعبد الكريم قاسم على شكل برقيات متبادلة لمراسلين صحفيين أجانب عن احتمال قيام العناصر القومية فى الجيش العراقى بالتجهيز لانقلاب ضد عبد الكريم قاسم لحساب عبد الناصر وكان من ضمنها وثيقة صادرة من مراسل صحفى أمريكى يبلغ فيها صحيفته أن هناك وثائق تثبت أن المصريين يتعاونون مع الثائر العراقى القومى القديم رشيد عالى الكيلانى ، كما قام السفير البريطانى (سير مايكل رايت) فى ٦ ديسمبر ١٩٥٨ بتبليغ عبد الكريم قاسم أن المخابرات البريطانية لديها معلومات مؤكدة أن الزعيم السابق رشيد عالى الكيلانى يدبر انقلابا ضده ويستعين ببعض ضباط الجيش العراقى ليمهدوا الطريق لانضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة ، ثم قام الوزير السورى (النافورى) بتأكيد هذه الأخبار لقاسم على أنها معلومات سرية يحملها له فى غفلة من دولة الوحدة ·

٦ ـ تحريض العناصر المعاونة للوحدة داخل التنظيم الادارى فى دولتى الوحدة ، بتشجيع التنظيمات الشيوعية السورية والمصرية بافتعال مواقف ليتصرف عبد الناصر ازاءها بحزم وبشدة يصوران للاتحاد السوفييتى بأن عبد الناصر يتبع نفس أسلوب السياسة الامبريالية لمقاومة الشيوعية ، وبذلك يحققون أغراضهم بامكان قطع المعونات العسكرية والصناعية والاقتصادية السوفيتية والشرقية عن مصر ويتحقق بذلك كشف دعايات عبد الناصر بعجزه عن تحسين أحوال بلاده ·

٧ ـ الايحاء لعبد الكريم قاسم بضرورة عدم الاعتماد على الجيش العامل لتغلغل الأفكار لقومية بين ضباطه وجنوده مما جعل عبد الكريم قاسم يقوم بتكوين الجيش الشعبى الموجه رأسا من الشيوعيين العراقيين

---

(١) ولذلك سارع عبد الكريم قاسم وأطلق على نفسه لقب « الزعيم الأوحد » ·

مما أدى الى تفاقم حالة الفوضى الادارية فى العراق ، وكان هذا هو المبرر لجميع الأطراف العراقية والعربية المعادية للقومية العربية لاعادة الأوضاع داخل العراق بالدعوة للارتماء فى أحضان أمريكا والغرب بصرف النظر عن مدى العلاقات الودية الجديدة بين روسيا والعراق ٠

٠٠ المخطط الأمريكى الغربى حقق أهدافه (١) ٠٠

نجح المخطط الأمريكى الغربى الى حد بعيد فى جعل العراق ـ بفضل حسن استخدام نقط ضعف وعقلية عبد الكريم قاسم المغرورة والمهتزة ـ بأن يحقق معظم أهدافه ٠٠ فقد :ـ

١ ـ أصبحت سياسة العراق متخبطة خارجيا وداخليا بين الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفييتى والكتلة الغربية بزعامة أمريكا وتحت ظروف تأييده تعاون عبد الكريم قاسم مع الشيوعيين العراقيين لضرب القومية العربية وأصبحت العراق فى حالة فوضى بعد تشكيل القوات الشعبية الى تنفيذ التسلط الشيوعى وبمحكمة المهداوى الهزلية ولكن تحت سيطرة السياسة الأمريكية الغربية ٠

٢ ـ صدق عبد الكريم قاسم نفسه وأعلن ـ بعد اقتناعه بذلك ـ أنه أصبح الزعيم الأوحد فى مجال مناقشته لزعامة جمال عبد الناصر ٠

٣ ـ تمكن عبد الكريم قاسم من تصفية العناصر القومية سواء فى قمة السلطة وفى مجلس قيادة الثورة أو فى المجتمع العراقى عن طريق المحاكمات الهزلية بمحكمة النصف مجنون عباس المهداوى ٠

٤ ـ تم استدراج كل من مصر والاتحاد السوفيتى الى حالة من العداء والخلاف بينهما ، فقد تجاوب زعماء الاتحاد السوفييتى مع المخطط الأمريكى وعبروا عن تبرمهم من تصرفات عبد الناصر العدائية للشيوعية بسوء معاملة الشيوعيين العرب والمصريين والسوريين باعتقالهم وتعذيبهم وتشتيتهم ، وكذلك استدرجوا عبد الناصر لمزيد من التشدد مع الشيوعيين العرب وبخاصة مع الشيوعيين السوريين ، ونتيجة لذلك فقد توقف التعاون السوفييتى مع مصر فى أدق الظروف وبخاصة فى موضوع التسليح الضرورى للجيش وفى تمويل وتنفيذ مشروع السد العالى الحيوى لتنمية مصر بالاضافة الى تقاعس الاتحاد السوفييتى وقتها فى اسعاف مصر بتلبية

---

(١) الحلقة ١٩ من حلقات كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢١ ٠

احتياجاتها المتزايدة من القمح وبالاضافة الى التوقف عن التعاون النووى وتعمد التوقف فى اتمام تشطيب المفاعل الذرى بأنشاص اعتقادا من الاتحاد السوفييتى بأن العراق أصبح بالنسبة له قاعدة وطيدة تتصرف وفق عقيدته الشيوعية بديلة عن مصر التى تستفيد منه لأقصى حد دون الالتزام بالعقيدة والايديولوجية السوفييتية وبل لدرجة التنكيل بالشيوعيين المصريين والسوريين عند خروجهم على أيديولوجية القومية العربية ·

٥ ـ نجح المخطط بحيث جعل أمريكا تتصور أنها جعلت عبد الناصر فى موقف (١) لا يحسد عليه وأنه أصبح متلهفا ومضطرا للتعاون مع أمريكا بعد أن كادت أحباله تنقطع مع الاتحاد السوفييتى ، وبذلك يمكن للادارة الأمريكية التفاوض معه من جديد فى مقابل تنازل مأمـــول عن تشـــدداته ·

·· بعثة « ويليام راونترى » ···

تتويجا للمخطط الأمريكى الغربى والضغط على الأوضاع فى مصر وفى العالم العربى ، توهمت أمريكا أنها يمكنها ـ بعد هذه الخطوة ـ تحقيق نجاح فى سياستها مع عبد الناصر ، فقد أوفدت مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط (مستر ويليام راونترى) الى المنطقة ولمصر بصفة خاصة وتقابل مع عبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، وفى هذه المقابلة أمكنه التعرف على أبعاد وأسباب (٢) وأحوال الضيق الذى يشعر به عبد الناصر من تصرفات الاتحاد الســـوفييتى الأخيرة المعادية لسياسته ولفكرة القومية العربية والوحدة العربية وفى نفس الوقت تبرمه من تحريض الاتحـــاد الســـوفيتى وتشجيعه للأحزاب الشيوعية العربية السورية والمصرية بالعمل ضـــد سياسة مصر واطلع أيضـــا على مدى قبول عبد الناصر للتنازل عن بعض ردود أفعاله العدائية للأمريكان وخاصة فى هذا الظرف النفسى الدقيق وكبداية لتحسين علاقات عبد الناصر مع الأمريكان ، وكبداية لحسن العلاقات أعلنت أمريكا موافقتها على صفقة الحبوب الأمريكية قبل وصول المبعوث « راونترى » الى القاهرة والتى كان عبد الناصر قد سبق وطلبها من الجانب الأمريكى تحت ظروف الحاجة

---

(١) الحلقة ١٩ من كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / هيكل ـ أهرام ٢١/١١/٨٨ ·

(٢) وثيقة محضر مقابلة ويليام راونترى مع الرئيس عبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ووثائق كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / محمد حسنين هيكل ·

الماسة (١) والموافقة كانت خالية من أى شروط عند اعلانها ولمدة ٢٤ ساعة ولذلك عبر عبد الناصر عن امتنانه للحكومة الأمريكية ، وقام راونترى بدراسة كل هذه الأوضاع والملابسات المصرية ، وعند عرض نتيجة هذه المقابلة فى اجتماع مغلق بينه وبين أيزنهاور علق ايزنهاور على محضر الجلسة بتوصيات تتمشى مع المخطط الأمريكى الذى تبناه للتخلص من نفوذ مصر فى المنطقة العربية ولو على المدى الطويل انتقاما من عبد الناصر الذى كانت الادارة الأمريكية تعتبره يعمل دائما على تدمير العلاقات الأمريكية مع الحكام العرب أصحاب المصالح مع أمريكا ٠

كما كانت السياسة الأمريكية تهدف أساسا الى توسيع شقة الخلاف بين مصر والاتحاد السوفييتى والعمل على تدهور علاقات الصداقة بين عبد الناصر وزعماء الاتحاد السوفييتى ومهدت لذلك الولايات المتحدة متعاونة مع عملاء الغرب فى العراق التى حققت هذه الأهداف ٠

٠٠ تدهور العلاقات المصرية السوفييتية (٢) ٠٠٠

بدأت بوادر التدهور فى العلاقات أثناء انعقاد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى الذى انعقد فى شهر فبراير ١٩٥٩ وكان قد دعى اليه جميع الأحزاب الشيوعية العربية وبالغت القيادة السوفييتية السياسية فى استقبالهم وسمحت لهم بالكتابة فى الصحف وتلقت الصحافة السوفييتية بعض التعليقات عما نشر وكانت كلها تنم عن تعريض بسياسة الجمهورية العربية المتحدة المعادية للشيوعية وتطالب مصر بالاعتراف بوجود الأحزاب الشيوعية واعتبر عبد الناصر هذا بمثابة بوادر للاضرار بالعلاقات المصرية السوفييتية وبعث برسالة شفوية الى خروشوف عن طريق السفير السوفييتى بالقاهرة قبل حضوره مؤتمر

---

(١) هذه الصفقة من الحبوب الأمريكية ثبت فيما بعد أنها كانت البداية فى سلسلة من الصفقات لمصر بدأت تحت ظروف الحاجة العادية مع اغراءات بانخفاض أثمانها عن حتى تكاليف انتاج القمح المصرى بغرض الاغراء ثم تصاعدت الصفقات بعد تعود الحكومة المصرية على هذه الحبوب لدرجة عدم امكان الاستغناء عنها ثم تصاعدت بدرجة أخطر لدرجة يمكن حالة التوقف أن تهدد الأمن القومى المصرى وعندئذ أمكن استخدام التهديد بالتوقف كأسلوب ضغط سياسى عند اللزوم يؤدى فى النهاية الى فرض التبعية السياسية الأمريكية والتى كانت مصر حريصة منذ جلاء الاحتلال البريطانى على التخلص منه وللأبد ٠

(٢) الحلقة ١٩ من حلقات سنوات الغليان ـ للأستاذ / محمد حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢١ ٠

الحزب أفصح فى هذه الرسالة عن ضيقه مما ينشره خالد بكداش الزعيم السورى الشيوعى وغيره من العرب فى الجرائد السوفييتية وما عليها من تعليقات من الكتاب الروس وأفصح عبد الناصر عن اقتناعه الكامل بأن هذه الصحف تعبر عن وجهة النظر الرسمية السوفييتية ، ولذلك فانه يعتبر هذا التهجم بهذا الأسلوب يدل على التبدل فى سياسة الاتحاد السوفييتى تجاه حركة التحرر الوطنى وتدخلا سوفييتيا فى شئون مصر الداخلية وأنه مهما كانت أهمية المعونات السوفييتية لمصر فانها لا يمكن أن تكون سببا لجعل مصر غير قادرة على الرد على أى اهانة أو تعد على سياستها لأن مصر سبق ودخلت معارك ضارية مع أمريكا والغرب ليس كراهية فيهما ولكن حبا فى استقلال مصر وهدفا لتحقيق حرية ارادتها ، وأنه يخشى أن يتفاقم هذا الخلاف الى درجة سيكون المستفيد الرئيسى منها هى الدوائر الاستعمارية .

وفى ١٩ فبراير ١٩٥٩ بادر خروشوف (١) بالرد مطولا على رسالة عبد الناصر فى رسالة وافق فيها على أن هذا الخلاف هو نتيجة دسائس امبريالية يجب التحوط منها وبخاصة من جانب مصر لأن معركتها مع الامبريالية محتملة بدرجة كبيرة قبل أن تكون مع الاتحاد السوفييتى وأن لدى الولايات المتحدة جيشا كاملا من الاخصائيين متخصصا فى نشر مثل هذه المعلومات الكاذبة والمزيفة .

وأشار خروشوف الى بعض الانتقادات عن الوحدة التى تمت بين مصر وسوريا ولمح الى بعض الخلافات ـ الأساسية بين الجانبين المصرى والسورى ، ووعد خروشوف فى رده بعدم التدخل فى شئون مصر الداخلية وبخاصة فى موضوع الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة رغم أنهم من وجهة نظر الاتحاد السوفييتى من ضمن الشيوعيين الذين من الطبيعى ألا يتعاطفوا مع سياسة مقاومة الشيوعية مهما كانت ظروفها باعتبارها سياسة خاطئة تاريخيا .

وفى احدى الحفلات المقامة لتكريم الشيوعيين العرب ـ فى اطار احتفالات المؤتمر ـ خطب خروشوف مهاجما سياسة الجمهورية العربية المتحدة علنا بما يوحى أن الاتحاد السوفييتى يؤيد تصرفات الشيوعيين العرب وبخاصة تصرفات الشيوعيين فى العراق والتى انتشرت أخبار تنكيلهم بالقوميين فى جميع أنحاء العالم عن طريق الاعلام بالاذاعة والنشر الصحفى

---

(١) الحلقة ١٩ من حلقات سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢١ .

عن المحاكمات المزيفة التى تصدر أحكام الاعدام على فئات الضـــباط والمدنيين القوميين ٠

وتعمد عبد الناصر أن يرد (١) على هجوم خروشوف وبهذا الأسلوب العلنى فى خطاب أذيع من سوريا فى مناسبة العيد الأول للوحدة ، وهاجم بشدة الأحكام والمذابح العراقية ضد الوطنيين العراقيين ـ ثم قال : « انه لاشك أن هناك خلافات عقائدية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفييتى لأن لكل بلد نظامه الاجتماعى الخاص به وعقائده التى يؤمن بها ولأننا لا نتدخل فى عقائـد الآخرين فاننا نرفض أن يفرض الآخرون عقائدهم علينا وأن مساعـدات الاتحاد السوفييتى لنا نشـكرهم عليها ونعترف بها ولكنها لا تمثل أى قيد علينا للتخلى عن عقائدنا وأنه يأمل أن يحقق الاتصال بين البلدين انهاء هذه الخلافات التى يستفيد منها الغرب الاستعمارى ٠٠٠٠ ونحن متمسكون بمبادئنا التى لم نحاول اقناعهم بها »٠

ثم قام عبد الناصر بجولات(٢) متتابعة فى أنحاء سوريا ، وفى أول مارس ١٩٥٩ ـ خطب فى اللاذقية قائلا : « لسنا مستعدين للخضوع لأى نوع من أنواع التبعيـة لا للغرب ولا للشرق » ٠٠ وقال أيضـــا : « ان الشيوعيين العرب يقومون بتحريض شعب دولة الوحدة باللعب لخدمة الاستعمار » ٠٠ وقال من حلب أيضا فى ٢٦ فبراير ١٩٥٩ : « اننا لن نستلهم الوحى من أى جهة خارجية » ٠

٠٠ ثورة الموصل ٠٠ (٨ مارس ١٩٥٩) :

وفى يوم ٨ مارس ١٩٥٩ تمردت الفرقة الثانية العراقية بالموصل بقيادة العقيد عبد الوهاب الشواف ودار قتـال شديد بينها وبين قوات الجيش الشـعبى المسـيطر عليه الشيوعيون واستطاع أحـد الشيوعيين العراقيين قتل قائد الثـورة عبد الوهاب الشواف باطـلاق الرصـاص عليه ، وعلى اثر ذلك تعرضت محـافظة الموصـل بأكملها لعملية ارهابية وصلت الى درجة قتل الناس بالمئات فى الشوارع والى درجة ارغام المؤيدين لهذه الثورة من المدنيين بارغامهم على حفر قبورهم قبـل اطلاق الرصاص عليهم والقاء جثثهم فى هذه القبور التى حفروها بالاضافة الى شنق الكثيرين على أعمدة الكهرباء فى الشوارع ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

(٢) تجميع مصلحة الاستعلامات لخطب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر ـ قسم ثان من فبراير ١٩٥٨ الى يناير ١٩٦٠ ـ من ص ٣٠٧ الى ٣٨٣ ٠

٠٠ عبد الناصر يهاجم الشيوعيين بالعراق ٠٠ (١١ مارس ١٩٥٩) :

ومن ساحة الجلاء فى دمشق تحدث عبد الناصر عن الارهاب الشيوعى فى العراق ضد القوميين ووصف شيوعيى العراق بأنهم عمـلاء للأجنبى يتحركون بتعليماته وأن الارهاب فى الموصل وصل الى حد بالغ الخطورة والاعدام يتم دون محاكمات ٠

٠٠ خروشوف يرد بعنف على عبد الناصر ٠٠ (١٦ مارس ١٩٥٩) :

وفى احتفال توقيع اتفاقية المساعدة بين الاتحاد السوفييتى والعراق يوم ١٦ مارس ١٩٥٩ ، ألقى خروشوف خطابا انتقد فيه (١) مصر ومواقفها من جميع النواحى واتهم عبد النـاصر بأنه يتصرف بأسلوب أحمـق وأن رأسه ساخن ٠

٠٠ رد جمال عبد الناصر على خطاب خروشوف ٠٠ (١٦ مارس ١٩٥٩) :

وفى نفس اليـوم ــ ١٦ مارس ١٩٥٩ ــ رد جمال عبد النـاصر على خروشوف ومن داخل المسجد الأموى بدمشق وقال : « ان دفاع خروشوف عن الشيوعيين فى بلادنا أمر لا يمكننا قبوله ويعتبر تحديا لاجماع الشعب فى دولة الوحدة ٠٠ واننـا لن نبيع بلادنـا بملايين الدولارات أو ملايين الروبلات ٠٠ وانا لسنا تحت وصـاية أحد » ٠٠٠

ــ اعتقال عدد كبير من الشيوعيين المصريين ٠٠٠

عندما أعلن بعض الشيوعيين المصريين فى التنظيمات السرية تأييدهم لموقف الاتحاد السوفييتى أمر عبد الناصر باعتقال عدد كبير منهم ٠٠

ــ الاتحاد السوفييتى يسىء معاملة الدارسين المصريين ٠٠٠

وكرد فعل لاعتقال أعضاء التنظيمات السرية الشيوعيـة المصرية ، قامت السلطات السوفييتية باساءة معاملة الدارسين المصريين فى البعثات فى موسكو غير مفرقين بين الجنسين وبشكل استفزازى ووصلت شكواهم الى عبد الناصر وتأثر بها وبخاصة الصادرة من الطالبات ٠

---

(١) تجميع مصلحة الاستعلامات لخطب وتصريحات وبيانات الرئيس عبد الناصر ــ قسم ثان من سنة ١٩٥٨ الى سنة ٩٦٠ من ص ٣٠٧ الى ٣٨٣ ٠

وقام عبد الناصر بالاتصال بالسفارة الأمريكية بالقاهرة طالبا مساعدة حكومتها بقبول جميع الطلبة المصريين الدارسين فى الاتحاد السوفييتى لاستكمال دراستهم هناك ، وكأن الولايات المتحدة كانت على انتظار ومتلهفة لهذه الفرصة ولهذا الطلب المصرى الذى يحقق مزيدا من الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتى وعلى الأقل كتشف من جمال عبد الناصر وكانتقام من مواقف الاتحاد السوفييتى فى معاكسة السياسة الأمريكية ، فأسرعت الولايات المتحدة بالرد فى أقل من نصف يوم بالموافقة بفضل نفوذ الرئيس ايزنهاور نفسه ، وقبلت الجامعات الأمريكية - وفى غير مواسم بدء الدراسة - جميع الدارسين والدارسات وكانوا حوالى مائتين ، ولم يمض أسبوع حتى وصل هذا العدد الضخم الى الولايات المتحدة بين لهيب الغضب المصرى السوفييتى وفى موجة من تدهور العلاقات ٠

- استمرار أمريكا فى مخططها ...

رغم تظاهر أمريكا بمهادنة مصر فى موضوع التصديق على مد مصر بما يلزمها من القمح وفى موضوع تلبية طلب عبد الناصر وبصفة عاجلة بقبول الدارسين المصريين الذين أساءت السلطات السوفييتية معاملتهم ، رغم كل ذلك فقد اعتبرت الادارة الأمريكية أن هذه المهادنة ما هى الا مرحلة من مراحل المخطط الأمريكى للقضاء على عبد الناصر وظاهرته القومية ، ولذلك ففى ٢٠ مارس ١٩٥٩ (١) تم اجتماع بين ايزنهاور الرئيس الأمريكى وبين ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا لتنسيق الأدوار لاحداث مزيد من الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وثورة العراق لاحداث مزيد من التفكك فى العراق ولوضع الخطط الكفيلة باستخدام اسرائيل ضد القومية العربية ، وكان أهم ما اتفقا عليه ضرورة العمل على ابعاد السوفييت عن المنطقة واستمرار تدفق البترول العربى دون عوائق وذلك باتباع الآتى :

أولا : فى مجال توسيع شقة الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق وبينها وبين الاتحاد السوفييتى ، وهو الاعتماد على عبد الناصر فى معاداته للنظام فى العراق وتشجيعه على اتخاذ مزيد من العنف مع الشيوعيين العرب والمصريين ٠

---

(١) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية - مذكرة عن محادثات ايزنهاور وماكميلان بواشنطون ١٩ - ٢٢ مارس ١٩٥٩ - (أهرام ١٩٨٨/١١/٢٣) ٠

ثانيا : تقوية وتسليح ايران لجعلها مناوئا لسياسة القومية العربية وللاعتماد عليها فى الوقوف فى وجه تفاقم الشيوعية فى العراق وقت اللزوم وحتى لا تتكرر ثورة العراق فى ايران ٠

ثالثا : تسليح اسرائيل وتحقيق تفوقها العسكرى على العرب مجتمعين وعلى مصر بصفة خاصة ، وحيث ان الولايات المتحدة فى هذا الوقت لم تكن تستطيع أن تقوم بشكل سافر فى هذا المجال بسبب التطورات الأخيرة (١) فى تحسين علاقاتها مع مصر بصفة خاصة بغرض الاستدراج ، فقد اتفق على الاعتماد على الدول الأوربية وذلك عن طريق التصريح الثلاثى حتى لا يبرز دور الولايات المتحدة ، ولكن أمريكا عن طريق الاتصالات السرية يمكنها مساعدة اسرائيل الى مدى بعيد فى مجال تزويد اسرائيل بالأجهزة الدقيقة التى تحتاجها فى مجهودها النووى ٠

رابعا : توسيع النشاط الدعائى والثقافى الأمريكى فى أوساط الطلبة والمدرسين والمثقفين العرب والمصريين الى أكبر حد ممكن ٠

ــ اسرائيل تبدأ بالتحرش (٢) ٠٠ (آخر مارس ١٩٥٩) :

فى أواخر مارس ١٩٥٩ قامت اسرائيل باستئجار سفينتين عن طريق شركة أمريكية ويقود احداهما قبطان أمريكى وملأتهما بحمولة من الأسمنت الاسرائيلى مرسلة الى شرق أفريقيا وتحملان العلم الاسرائيلى وقامتا بالمرور فى قناة السويس من بورسعيد ومنعت مصر مرورهما وصادرت حمولتيهما ٠

وعلى اثر ذلك قامت اسرائيل بحملة اعلامية واسعة وتقدمت بشكوى الى مجلس الأمن تتهم فيها مصر بتحكمها فى الملاحة فى أحد الممرات الدولية، وأعلن عبد الناصر تحديه الصريح لاسرائيل ولجميع القوى التى وراء اسرائيل (٣) ، وأن مصر سوف لا تسمح لاسرائيل بالمرور فى القناة حتى ولو حصلت على قرار من مجلس الأمن وأن مصر سوف لا تنفذ هذا القرار ما لم تنفذ اسرائيل قرار الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ بتقسيم اسرائيل وبحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى أراضيهم والذى صدر فى سنة ١٩٥١٠

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

(٢) حلقات سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ عدد أهرام ١٩٨٨/١١/٢٣ ٠

(٣) كان عبد الناصر يعنى بذلك حرص الولايات المتحدة الأمريكية لأنها كانت دائما تؤيد حق اسرائيل فى المرور عبر قناة السويس ٠

وفى نفس الوقت أعلن همرشولد سكرتير الأمم المتحدة عدم اختصاص مجلس الأمن ببحث شكوى اسرائيل لأنه نزاع قانونى من اختصاص محكمة العدل الدولية ..

وتعرض همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة لهجوم الولايات المتحدة واسرائيل ، ولكن اعلانه هذا دعم موقف عبد الناصر ..

فقامت اسرائيل باستخدام نفوذها فى الجماعات الصهيونية الأمريكية وأثرت على الاتحاد العام للعمال الأمريكيين وقام اتحاد البحارة الأمريكيين وأعلن مقاومة التصرف المصرى وقام بمنع السفن المصرية من دخول الموانى الأمريكية وبالتالى جميع السفن العربية التى تؤيد مصر فى مقاطعة اسرائيل وامتنعت أمريكا عن تزويد السفينة المصرية « كليوباترا » بالوقود بعد أن دخلت ميناء نيويورك تحمل حمولة من القطن المصرى المصدر لأمريكا وقام اتحاد البحارة الأمريكيين يمارس المقاطعة عليها ورفض تقديم خدمات الموانى لها وتفريغ حمولتها .

وبسرعة أعلن اتحاد العمال العرب(١) من القاهرة قراره بالرد على هذا الموقف من جانب البحارة الأمريكيين وأعلن مقاطعة البواخر الأمريكية فى موانىء الجمهورية العربية المتحدة وتم تنفيذ القرار فى موانىء الاسكندرية وبورسعيد والسويس واللاذقية ، وبعد ذلك تمت المقاطعة للبواخر الأمريكية فى بيروت وطرابلس والعقبة والكويت والرباط وبورسودان ، ثم قامت موانىء الدول العربية المتعاونة فى سياستها مع أمريكا والغرب بالمقاطعة أيضا فى ليبيا وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن ، ومرة أخرى يفشل المخطط الأمريكى الغربى المدبر مع اسرائيل .

ـــ التهديد بوقف شحنات القمح الأمريكى لمصر ...

وقبل نهاية عام ١٩٥٩ حشدت اسرائيل كل أنصارها فى الكونجرس الأمريكى وطالبوا بوقف شحنات القمح الأمريكى الى الجمهورية العربية المتحدة اذا واصلت أعمال المقاطعة ضد الملاحة الاسرائيلية ، وكان القمح وقتها يمثل احتياجا هاما بالنسبة لغذاء الشعب المصرى بعد سابق استجابة الولايات المتحدة السريعة لمصر عندما طلبت القمح منها .

---

(١) حلقات سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢٣ .

— تحريض ايران كدولة تناوىء مصر ..

كانت ايران قد أوقفت علاقاتها السياسية مع اسرائيل منذ الحكم الوطنى الذى أعلنه الدكتور محمد مصدق وذلك عندما قامت ايران بحل القنصليات الايرانية فى اسرائيل وعدم قبول أى ممثل بايران من اسرائيل، واستمر هذا الحال حتى بعد اعتقال الدكتور محمد مصدق وعودة الشاه للحكم وللسيطرة .

وفجأة فى بداية عام ١٩٦٠ تسربت المعلومات من داخل قصر شاه ايران بأن قرارا على أعلى مستوى قد اتخذ على اثر اتفاق بين الشاه ورئيس الوزراء الاسرائيلى جوريون يرمى الى اقامة علاقات رسمية بين البلدين وكانت هذه المعلومات بمثابة تحد من شاه ايران للعالم العربى باعتبارها دولة اسلامية يجب أن تشارك العرب شعورهم نحو اعتداءات اسرائيل المتكررة على العرب بالاضافة الى أنها بادرة تشجع باقى الدول الآسيوية والأفريقية التى لم تعترف باسرائيل حتى هذا التاريخ لتحذو حذو ايران التى كانت اسرائيل بهذه العلاقات قد تمكنت فى حروبها مع العرب من الاعتماد اعتمادا كاملا على بترول ايران لتسيير عجلات حروبها واعتداءاتها على العرب ، وأما الشاه نفسه فقد كان يعتبر اتخاذه هذه الخطوة بمثابة انتقام من الدول العربية ومن مصر بصفة خاصة لموقفهم السابق بتأييد ثورة الدكتور مصدق ضد الشاه .

— اعلان ايران استئناف العلاقات مع اسرائيل .. (١٨ يوليو ١٩٦٠) .

أعلنت حكومة ايران فى احدى الصحف أن موضوع انشاء تمثيل ايرانى فى اسرائيل هو موضوع عادى سبق للحكومة الايرانية أن اعترفت واقعيا باسرائيل ولم يسبق أن سحبت هذا الاعتراف ، ولكن حكومة ايران كانت قد أغلقت فى وقت من الأوقات قنصلياتها فى اسرائيل لأسباب تتعلق بالميزانية .

— رد عبد الناصر على شاه ايران (١) .. (٢٦ يوليو ١٩٦٠) .

ففى المهرجان الرياضى بمدينة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٠ جاء فى خطاب عبد الناصر : « اننا نرى ايران اليوم تعترف باسرائيل بطريقة استفزازية ، وهذا الشاه كان محرضا لانجلترا وقت العدوان ... فاذا

---

(١) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر ـ القسم الثالث ـ اصدار مصلحة الاستعلامات من فبراير ٩٦٠ الى يناير ١٩٦٢ ، ص ٢١٧ حتى ٢٢٠ .

كان شاه ايران قد باع نفسه بثمن بخس فان شعب ايران لا يمكن أن يبيع نفسه بالذهب أو بكل كنوز الدنيا ... وقد أعلن الشاه اعترافه باسرائيل ليرضى أسياده فى أمريكا وبريطانيا والصهيونية فى اسرائيل ... هذا الشاه الذى كان تحت اسم حلف بغداد يريد أن يخدع الأمة العربية ويكبلها كما كبل ايران بعد أن وجد أن الاستعمار والصهيونية مكنوه من أن يعود الى العرش مرة أخرى ... وقد جعل باعلانه هذا نفسه مطية للصهيونية والاستعمار » .

— اعلان عبد الناصر قطع علاقات مصر مع ايران ...

وفى نفس الخطاب قال عبد الناصر : « اننا ازاء تصرفات الشاه الاستفزازية نرى ألا داعى أن تبقى لنا سفارة فى ايران فنغلق سفارتنا فى ايران فلا يمكن أن يكون لجمهوريتنا ممثل لدى هذا الذى باع نفسه للصهيونية والاستعمار . ونحن مستعدون أن نحارب مرة واثنين وثلاثة فى سبيل تثبيت استقلالنا وحريتنا ولا نقبل أى تهديد أو تحد » ...

— سحب السفير المصرى من طهران ...

وبادرت وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة وأصدرت أمرا الى السفير المصرى فى ايران بمغادرة طهران فى ظرف ٢٤ ساعة ، تم كل ذلك والمحرض الرئيسى للولايات المتحدة الأمريكية تقف موقفا سلبيا ومتفرجة فقط وكأن الأمر لا يعنيها ، وتمادت فى هذه التمثيلية بحيث كان ممثلوها الديبلوماسيون فى مقابلاتهم مع ديبلوماسيى الجمهورية العربية المتحدة يبدون استغرابهم من تصرفات الشاه — (نفاقا) .

— الرد الايرانى العصبى (١) ...

وعلى قدر ما كان رد جمال عبد الناصر عنيفا ، فقد كان البيان الرسمى الذى صدر عن وزارة الخارجية الايرانية يدل على عصبية شاه ايران وجاء على شكل سباب للرئيس عبد الناصر وجاء به :« ان وكالات الأنباء الأجنبية نقلت مساء اليوم تصريحات مجنونة لجمال عبد الناصر ... ولكن هذا الفرعون المصرى الأحمق يشوه حقائق موقف الحكومة الامبراطورية الشاهانية ، فان تصريحات عبد الناصر الغبية والشريرة والرخيصة لاتليق برئيس دولة وأن ذلك لا يسبب أية دهشة للامبراطور لأنه يعلم أن ذلك الرجل قفز الى السلطة على أساس غير شرعى » .

---

(١) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر — القسم الثالث — اصدار الاستعلامات من فبراير ١٩٦٠ الى يناير سنة ١٩٦٢ . ص ٢١٩ .

تشكيل الاتحاد القومي في سوريا ٠٠ (خريف ١٩٥٩) ٠

بعد فترة من اعلان دولة الوحدة ظهرت تصرفات حزب البعث المناوئة للوحدة وعندما حاول عبد الناصر معالجتها بادرت العناصر البعثية في الوزارة الى تقديم استقالاتهم وبخاصة على اثر تشكيل اللجنة الوزارية الموكل اليها مهمة مراقبة تطبيق قانون الاصلاح الزراعي وضمنوا استقالاتهم وجهة نظرهم في معارضتهم لفكرة تشكيل الاتحاد القومي عن طريق الانتخابات (١) خشية البعثيين من أن يشمل التعيين عناصر غير بعثية ، وكان عبد الناصر يرى ضرورة أن يتم التشكيل عن طريق الانتخابات حتى يتم التوازن بين القوى السياسية المختلفة في سوريا ، وكانت عناصر حزبي الشعب والوطني تؤيد في البداية فكرة الانتخابات ولكن تصرفات عبد الحميد السراج وأجهزته ضدهما جعلتهم يقفون في صفوف المعادين للوحدة مما أبعدهم عن عبد الناصر وكان معظم عناصر هذين الحزبين من التجار وكبار الملاك والذين كان لهم وزن كبير في المجتمع السوري وثبت بعد ذلك أن امكاناتهم وثرواتهم استخدمت في تدعيم عملية الانفصال وكان واضحا أن سياسة عبد الناصر الخاصة بتشكيل الاتحاد القومي (٢) في سوريا أحدثت مزيدا من غضب القوى الأخرى من البعثيين فأخذوا يتحينون الفرص المناسبة للتخلص منهم واخراجهم من الحكم ٠

وتمت انتخابات جميع المستويات لتشكيل الاتحاد القومي وانعقد المؤتمر القومي في يونية ١٩٦٠ واستطاعت بعض العناصر الرجعية والانتهازية من غير البعثية من الوصول داخل الاتحاد القومي ثم انعقد المؤتمر العام باقليميه في يوليو ١٩٦٠ ، وتم تشكيل اللجنة التنفيذية الاقليمية في سوريا وعين عبد الحميد السراج أمينا عاما للاتحاد ومعه بعض الوزراء غير الحزبيين وبذلك تحقق جانب من التوازن ٠

ولكن عبد الحميد السراج أخذ يلعب دورا خاصا في أسلوب نشاط الاتحاد القومي في سوريا مما كان له الأثر الواضح والفعلي في الأحداث التي أدت الى التذمر داخل سوريا ٠

ـــ التشكيل الوزاري ٠٠ (مارس ١٩٦٠) ٠

وقبل انعقاد المؤتمر تم تشكيل وزارة جديدة وكانت الوزارة برئاسة نور الدين كحالة كرئيس للمجلس التنفيذي للاقليم الشمالي وضم هذا التشكيل عناصر من العسكريين أعضاء المجلس العسكري القديم وجانبا

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ٠
(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ١٩٢ ٠

من أعضاء حزب الشعب وعناصر من الحزب الوطني السوري وجاء التشكيل خاليا من العناصر البعثية ٠

ـــ تشكيل مجلس الأمة (١) ٠٠ (٢٣ يوليو ١٩٦٠) ٠

تم تشكيل مجلس الأمة للجمهورية العربية المتحدة بطريق التعيين من أعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومي يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٠ وضم بعض النواب ممن كانوا في المجالس النيابية بمصر وسوريا من قبل قيام الوحدة ، وكل ذلك تم بعد اختتام المؤتمر العام ٠

ـــ مزيد من التضامن مع شعوب أفريقيا والعالم الثالث (٢) ٠

في مواجهة المخطط الأمريكي الغربي الذي تتابعت محاولاته بصورة متتالية لا تكل ضد مصر وظهور هذا المخطط فجأة في جبهات متعددة تنتهي غالبا بتهديدات اسرائيل لمصر وللعرب ثم بعدوانها ، فقد اهتم عبد الناصر بتقوية صلاته بالشعوب الأفريقية الآسيوية وزعماء العالم الثالث نهرو وتيتو بدءا من مؤتمر باندونج ابريل ١٩٥٥ ثم مؤتمر القاهرة للشعوب الأفريقية الآسيوية يناير ١٩٥٨ ثم مؤتمر أكرا ابريل ١٩٥٨ ، ولم يفاجأ بما كان يدبر في جبهة جديدة في الكونغو سنة ١٩٦٠ ، وكان هذا التضامن بمثابة تقوية الجبهة التي يجب أن تقف في مواجهة هيمنة الدول العظمى على الدول الصغرى وشعوبها وهو البديل عن اليأس من مقاومة المخططات الأمريكية الغربية والارتماء في النهاية في أحضان احدى الدول العظمى ، وبغير هذا التضامن لا يمكن لدول العالم الثالث أن تحقق حريتها واستقلالها ٠

ـــ الصدام في الكونغو « زائير الآن » ٠٠ (١٩٦٠) ٠

حتى عام ١٩٦٠ كان يطلق على الكونغو (الكونغو البلجيكية) ، وكانت عبارة عن مستعمرة بلجيكية يحتكر ثرواتها من النحاس والذهب والماس واليورانيوم مجموعة شركات بلجيكية يمتلك معظمها ملك بلجيكا والأسرة (٣) المالكة البلجيكية ، وكانت الادارة البلجيكية قد ورثت هذا الوضع من الملك ليوبولد الثاني وكان هناك كثير من الأجهزة شبه الحكومية وبواسطتها كانت الحكومة تؤثر في الاقتصاد الكونغولي وتوجهه وكان

---

(١) نفس المصدر السابق ـ ص ١٩٣ ٠

(٢) عبد الناصر والثورة الأفريقية ـ للسيد / محمد فائق ـ ص ١٢٤ حتى ص ١٢٦ ٠

(٣) نفس المصدر السابق ٠

للحكومة حق توجيه هذا الاقتصاد ، كما كان لها حق ترشيح مجالس ادارات الشركات وحق التصويت عن اختيارهم حتى فى المشروعات التى لم تكن الادارة البلجيكية تساهم فى رؤوس أموالها ، ومع مرور الزمن كانت الشركات الكبرى تسيطر على الادارة البلجيكية نفسها سيطرة كاملة بعد أن حققت هذه الشركات مزايا مادية ضخمة لممثلى حكومة الكونغو البلجيكية وأصبحوا بذلك خاضعين لهذه الشركات ، وكان من أهم الأجهزة الادارية هناك قوة أمن تكاد تكون تبعيتها الحقيقية لهذه الشركات الكبرى وكان قائد هذه القوة ضابطا بلجيكيا وكان عدد الوطنيين فى الجهاز الادارى أقلية لا تتعدى ٦٤٠ أفريقيا جميعهم يشغلون الوظائف الدنيا من عدد ١٠٠٠٠ (١) عشرة آلاف موظف وبلجيكى وأجنبى ولم يكن هناك كونغولى من خريجى الجامعات ولم يكن منهم أى شخص برتبة ضابط فى قوة الأمن ٠

ومع تطور أساليب الاستعمار وعالميته وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ومع بدء تكوين الشركات العملاقة تمكنت الرأسمالية الأمريكية الاحتكارية وكذلك الأوربية أن تحتوى الهيكل الاقتصادى فى الكونغو وخاصة أن ثروات الكونغو الغنية بالذهب والماس والنحاس وبصفة خاصة اليورانيوم كانت تمثل فريسة (٢) دسمة يسهل السيطرة عليها فى غيبة من حركات وطنية حائرة وشعب طال استغلاله ، فكانت هناك C.N.K.I. واسمها (اللجنة الوطنية) « كيفو » وهى مؤسسة شبه حكومية كانت تمتلك معظم العقارات والمناجم والأراضى الواسعة أما شركة C.S.K. فكانت أيضا مؤسسة شبه حكومية تمتلك غالبية أسهم اتحاد المناجم الشهير وتسيطر عليها حكومة الكونغو البلجيكية وخاصة عند تعيين المجلس الادارى لاتحاد المناجم كما تقوم بتعيين نسبة من المديرين وفيما قبل الاستقلال عملت بلجيكا والشركات الأجنبية فى الكونغو على جذب مزيد من رؤوس الأموال الأمريكية للمساهمة فى الاستثمارات الكونغولية ٠

ـــ العمل الوطنى فى الكونغو ٠٠

بعد انتصار مصر السياسى البعيد المدى فى معركة تأميم قناة السويس وبروز دور عبد الناصر كزعيم البلاد التى اعتبرت المستعمرات الأفريقية السابقة ، فقد جذب هذا الدور أنظار زعماء حركات التحرر فى العالم الثالث فى الوقت الذى كانت فيه رياح التغيير قد بدأت تهب فى

---

(١) المصدر السابق ـ ص ١٠٧ ٠

(٢) المصدر السابق ـ ص ١٢٤ الى ص ١٢٦ ٠

بلاد العالم الثالث وخاصة فى أفريقيا فظهرت أول حركة سياسية وطنية فى الكونغو تحت زعامه . بياتريس لومومبا » وهى (الحركة الوطنية الكونغولية) سنة ١٩٥٩ . لانه حتى سنة ١٩٥٧ لم يكن هناك فى الكونغو اى نشاط سياسى يمارسه سكان البلاد الأصليون ولم تكن فكرة الاستقلال مطروحه . ووقعت فجأة أول قلاقل (١) معادية للاستعمار سنة ١٩٥٩ فى الكونغو مع ظهور حركة Chawment Nationale Congolese‌l M.N.C. وكان زعيم هذه الحركة هو . بياتريس لومومبا » والذى كانت القاهرة على صلة قديمة به وتقدم لحركته بعض المساعدات وذلك منذ عام ١٩٥٨، وقد تم الاتصال به فى أكرا أثناء مؤتمر الشعوب الأفريقية فى ديسمبر ١٩٥٧ وكان لومومبا وقتها منبهرا بدرجة عالية بشخصية عبد الناصر وبما حققه لمصر والتى هى جزء من أفريقيا وما كان يقدمه من معونات وفى مقدمتها المعونات العسكرية الى ثوار الجزائر وهى الأخرى احدى الدول الأفريقية مما أوجد عنده الأمل فى مساعدة مصر لبلاده أيضا، وكان لومومبا وقتها هو الزعيم الكونغولى الوحيد الذى حصل على شهادة التعليم الثانوى ثم حصل على دراسة متخصصة فى المحاسبة أهلته لشغل وظيفة فى أحد البنوك وكانت شعبيته قد انتشرت خارج نطاقه الاقليمى القبلى بعكس بقية الزعماء التى انحصرت زعامتهم داخل حدودهم القبلية فقط . وكان لومومبا فيما قبل الاستقلال يراسل المسئولين المصريين عن السياسة الأفريقية واختار لنفسه عنوانا فى « كونجو برازافيل » الخاضعة للاستعمار الفرنسى ويفصلها عن « ليوبولدفيل » (كينشاسا) حاليا نهر الكونغو وذلك ليتجنب رقابة السلطات الاستعمارية البلجيكية ، وقد تأثرت الحركة الوطنية فى الكونغو البلجيكى بما حدث فى الكونغو الفرنسى وما حدث فى المستعمرات الفرنسية التى حصلت على الحكم الذاتى . ولكل هذا فقد التهب الشعور الوطنى فى الكونغو بعد ادراكهم مدى تعنت وقسوة الحكم البلجيكى خصوصا وأنهم لم ينسوا هذا الحكم الظالم على مدى ١٥ خمس عشرة سنة من الحكم الفردى للملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا والذى قضى على حوالى ١١ مليون كونغولى فلم يتبق سوى تسعة ملايين فقط من تعداد السكان الذى كان يبلغ عشرين مليونا .

— بداية الأزمة ..

بعد أن حضر بياتريس لومومبا مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا عام ١٩٥٨ التقى بالثوار الأفارقة ومنهم عبد الناصر . عاد الى بلاده وأعلن

---

(١) المصدر السابق ـ ص ١٠٧ .

التزامه بقرارات هذا المؤتمر الذى أعلن ضرورة تصفية الاستعمار من أفريقيا نهائيا ، وبادر لومومبا الى المطالبة بالاستقلال الكونغولى الفورى واستجاب له الشعب الكونغولى فجأة استجابة واسعة وبطريقة فجائية لم تكن تتوقعها السلطات البلجيكية المسترخية فى ظل اعتقادها الخاطىء باستحالة اشتعال الروح الوطنية فى الكونغوليين بعد طول القهر والقسوة وحاولت السلطات البلجيكية قمع الحركة بالعنف الا أن الأمركان قد خرج من يدها تماما واضطرت بلجيكا فى النهاية ـ لعدم وجود قوات أمن كافية ـ أن أعلنت موافقتها على استقلال الكونغو اعتقادا من بلجيكا أن الأزمة ستقف عند هذا الحد وأخذت تعيد تنظيم السلطة بأسلوب يجعل من هذا الاستقلال صوريا ، وبموجب هذا التنظيم تحولت قوة الأمن التابعة للشركات الى جيش للدولة وتولى « كارافوبو » الافريقى رئاسة الدولة وتولى « بياتريس لومومبا » رئاسة الوزارة ، أما « تشومبى » فقد ظهرت نواياه وأطماعه الانفصالية لأنه فضل أن يبقى فى اقليم (كاتنجا) ٠

وحان ميعاد الاحتفال بالاستقلال وحضر ملك بلجيكا هذا الحفل وبعد أن قام الملك بالقاء خطابه الذى أشاد فيه بالاصلاحات التى قامت بها بلجيكا فى الكونغو ، رد عليه لومومبا بصراحة ووضوح وذكر ما فعلته بلجيكا فى الكونغو والكونغوليين من قتل وتعذيب وابادة لحوالى نصف السكان ، كما ذكر بأسلوب السخرية والظلم الذى جاوز كل الحدود وذكر كل ذلك على مرأى ومسمع من الممثلين الأجانب الذين أدركوا من كلماته مدى خطورة هذا الزعيم الأفريقى على امتيازاتهم التى كانوا يتمتعون بها ويأملون فى استمرارها حتى بعد الاستقلال الصورى ٠

ـ أسباب التدخل الأمريكى (١) ٠٠

ومن هنا بدأ الصراع خاصة وأن الساحة الاستغلالية فى الكونغو منذ الحرب العالمية الثانية كان قد دخلتها وبصورة مؤثرة وقوية الشركات الكبرى الاحتكارية والتى تتحكم فيها الرأسمالية العالمية وخاصة الاحتكارات العالمية وعلى رأسها الاحتكارات الأمريكية وأصبحت هذه الشركات الكبرى تسيطر على الادارة البلجيكية فى الكونغو سيطرة كاملة بعد أن تمكنت هذه الشركات أن ترشو رجال هذه الادارة بالاضافة الى اتباعها مختلف الألاعيب والأساليب الملتوية التى حققت حرمان الحكومة الوطنية الجديدة من أدوات السيطرة على اقتصاديات الكونغو ٠

---

(١) عبد الناصر والثورة الافريقية ـ للأستاذ / محمد فائق ـ ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ٠

ففى ٢٠ مايو ١٩٦٠ – أى قبل الاستقلال بشهر واحد – صدر مرسوم أنهى وضع حكومة الكونغو البلجيكى كشريكة (١) فى امتياز احدى أكبر الشركات وهى شركة C.N.K.I. (اللجنة الوطنية كيفو) وتم انسحاب الحكومة الكونغولية وتنازلت عن حصتها فى المؤسسة ، وفجأة فقدت هذه الشركة وضعيا كمؤسسة شبه حكومية وقرر حملة أسهمها تحويليا الى شركة مساهمة عامة باسم (شركة كيفو البلجيكية الأفريقية) وبذلك أصبحت حكومة الكونغو الوطنية بعد الاستقلال غير مسيطرة على أرباح ودخل وامكانات هذه الشركة العملاقة .

وحدث نفس الشىء بالنسبة لشركة C.S.K. والتى كانت هى الأخرى مؤسسة شبه حكومية تمتلك لحساب الحكومة معظم أسهم اتحاد المناجم الشهيرة ، وحدث أنه فى ٢٧ يونية ١٩٦٠ – قبل اعلان الاستقلال بثلاثة أيام فقط – صدر مرسوم يقضى بحل هذه الشركة وتقسيم أصولها بين شركتين من بينهما (شركة كاتنجا) ومنح المرسوم شركة كاتنجا فوائد ومزايا ضخمة واستولت هذه الشركة على ثلث الأراضى التى استصلحتها شركة C.N.K.I. ، كما استولت على عقاراتها وأموالها فى المصارف وعلى امتيازات التعدين فى المستقبل وبذلك حرمت الحكومة الوطنية من هذه الامتيازات التى كانت ستمكنها من توجيه الاقتصاد القومى للكونغو واتخذت الحكومة البلجيكية عدة اجراءات من شأنها جعل الكونغو غير قادر على الاستغناء عن معونة بلجيكا المالية ومن هذه الاجراءات سحب مبالغ ضخمة من رؤوس الأموال الموجودة فى الكونغو مما أدى الى تخريب الاقتصاد الكونغولى قبل الاستقلال مباشرة ، ولذلك عندما تسلم لومومبا الحكم كانت خزينة الكونغو خاوية ومثقلة بالتزامات مالية ضخمة والأسواق المحلية كانت خالية من كثير من السلع والاحتياجات الضرورية لتساعد على تذمر الشعب فى الوقت الذى كانت فيه الشركات والمؤسسات الأجنبية تمتلك ثروة البلاد وتتحكم فيها ، كما دخلت رؤوس الأموال الأجنبية الضخمة للمساهمة فى هذه الاستثمارات الكونغولية فقد حصل بنك أمريكا منذ عام ١٩٦٠ على ٢٠٪ (٢) من مجوعة بنك لامبرت (سوكونيك) ، وقامت المؤسسة الاحتكارية لفورد بتأسيس شركة (فورد موتورز) بالكونغو كما قامت مؤسسة فورد أيضا باستغلال مناجم الكور الحرارى وقامت مؤسسة روكفلر منذ عام ١٩٥٩ بشراء ١٠٣٠ سهما من أسهم شركة البحوث والتنقيب عن البوكسايت (خام الألومنيوم) فى الكونغو

---

(١) عبد الناصر والثورة الافريقية – للأستاذ / محمد فائق – ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق – ص ١٢٦ .

(بوكسيكونجو) ، وبعد ذلك تم شراء ٨٪ من رأس المال البالغ ٦٥ مليون دولار والخاص بشركة الكونغو للتجارة الصناعية ، وذلك بالاضافة الى شركة (يور أفريكان الأمريكية) وشركات أمريكية أخرى عديدة بدأ نشاطها بعد ذلك ٠

وهكذا حقق التشابك فى المصالح الرأسمالية البلجيكية الأمريكية مع المصالح الأوربية الأخرى التى كانت موجودة فى الأصل وخاصة فى اتحاد المناجم والذى كان به نسبة كبيرة من الرأسمال البريطانى بجانب الشبكة المعقدة التى تربط بين المصالح المصرفية فى أوربا وأمريكا وبين المشروعات الصناعية الحيوية فى أفريقيا ، وبذلك أصبح للولايات المتحدة مصلحة ذات أهمية قصوى فى الكونغو تعمل على حمايتها واستمرار السيطرة الاحتكارية بشركاتها للهيمنة على انتاج الشركات الأمريكية والتى كانت موجودة على نطاق واسع فى أرض الكونغو ، وبالتالى أصبح لأمريكا ثقلها السياسى فى كل أفريقيا بعد أن ساد الاعتقاد لفترة طويلة أن أمريكا كانت تتعاطف مع الأمانى الوطنية للشعوب الأفريقية واعتقدت الحركات الوطنية الأفريقية لفترة طويلة فى امكان الاستفادة من هذا التعاطف الأمريكى والذى كانت تمارسه أمريكا لمصلحتها فى المقام الأول وضد المصالح الوطنية الأفريقية على المدى الطويل ٠

وقد لعبت مصر دورا هاما ورئيسيا فى هذا الصراع لصالح الشعوب الأفريقية ومساهمة فى حركة تحرير هذه الشعوب فوقفت بجانب القوى الوطنية عندما تبينت سوء نية السياسة الاستعمارية الغربية وتدخلات الولايات المتحدة السافرة لمحاولة القضاء على حركات التحرر الوطنى فى الكونغو وضد زعيمها « بنياتريس لومومبا » ٠

ـــ بداية الأزمة ٠٠

وبدأت الأزمة بقيام حكومة (١) الكونغو مدعمة بجيشها الجديد بتغذية الاضطرابات وظهرت بمظهر العاجزة عن وقف الاضطرابات ، وقام « تشومبى » المتخندق فى اقليم كاتنجا وأعلن نفسه مسئولا عن مصالح شركات النحاس والماس واليورانيوم فى كاتنجا ، ثم ما لبث أن أعلن استقلال اقليم كاتنجا عن الكونغو وطلب قوات بلجيكية تساعده فى المحافظة على أمن المناجم ووصلت فعلا هذه القوات على شكل مجموعات من رجال المخابرات المركزية الأمريكية وعلى رأسها المدعو « كارلوتشى » ومجموعة

---

(١) من وثيقة رقم ٤٦٥ ـ ٩٤ خاصة بأعمال الدورة ٩٤ للكونجرس الأمريكى ـ ومن وثائق كتاب سنوات الغليان للأستاذ / حسنين هيكل ـ حلقة ٢١ ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢٦ ٠

من كبار الرأسماليين وعلى رأسهم البارون « جى رونشيلد » اليهودى و « هارى أوبنهايمر » صاحب مجموعة مناجم جنوب أفريقيا والذى يملك امتيازات الماس فى كاتنجا واستطاع هذا التحالف من التآمر طبقا لخطط متفق عليها فاحتوى « موبوتو » قائد جيش الكونغو وحول ولاءه الى العناصر المتآمرة ٠

ـــ تصاعد الأزمة فى الكونغو ٠٠

ومن قبل أن تستحكم حلقات المؤامرة (١) بالكونغو وعندما عرضت الحكومة البلجيكية ارسال قوات عسكرية للكونغو عارض رئيس الوزراء بياتريس لومومبا هذا العرض واعتبر ذلك عودة للسيطرة البلجيكية الاستعمارية وطلب من الأمم المتحدة أن ترسل الى الكونغو قوات تمثل الأمم المتحدة للمحافظة على استقلال الكونغو والمحافظة على وحدة أراضيه بعد أن وضحت مؤامرات تشومبى الانفصالية واعلانه انسلاخ اقليم كاتنجا الذى وصلته كطلب تشومبى قوات بلجيكية ٠

وكانت منظمة دول عدم الانحياز تتابع هذه الأحداث والتطورات واتفق زعماؤها على مطالبة سكرتير عام الأمم المتحدة « داج همرشولد » الموافقة على اقتراح تشكيل قوة دولية ، وأيدت مصر والهند ويوغوسلافيا هذا الاقتراح وبدأ وصول هذه القوات الدولية من هذه الدول الثلاث ، ولكن سرعان ما تناوأت المؤامرات الأمريكية بقيادة قوات الأمم المتحدة وحدثت ضغوط أمريكية على همرشولد نفسه وبرز دور عميل المخابرات الأمريكية « الجنرال موبوتو » لاسيما وأن بعثة الأمم المتحدة فى الكونغو كان يرأسها الزنجى « دكتور رالف بانش » مساعد السكرتير العام وكانت ميوله المؤيدة للمخططات الأمريكية واضحة منذ أيام العدوان الثلاثى والتى وصلت لدرجة معاكسة خطوات السكرتير العام همرشولد فى بعض المواقف لصالح السياسة الأمريكية وكانت مصر تتحوط لمثل هذه المفاجآت فقد كان لها ضابط مصرى (٢) فى لجنة الاتصال الدولية ٠

---

(١) عبد الناصر والثورة الأفريقية ـ للسيد / محمد فائق ـ من ص. ١٠٥ حتى ص ١٥٣ ٠

(٢) هو العميد / أحمد اسماعيل على (المشير / أحمد اسماعيل) ـ وزير الحربية فيما بعد ، وكان قائدا للقوات المصرية وهى كتيبة مظلات ـ كان يقودها مباشرة العقيد / سعد الدين الشاذلى ٠

ــــ المؤامرة ...

بدأت ملامح المؤامرة عندما بدأت قيادة الأمم المتحدة وضع قيود على تحركات رئيس الوزراء « لومومبا » بحجة وجود خطر على حياته ، ثم أصدرت أمرا الى القوات المصرية باحتلال مطار ليوبولدفيل ورفضت مصر تنفيذ هذه المهمة وقامت قوات أخرى باحتلال المطار ، وفى نفس الوقت صدرت أوامر قيادة قوات الطوارىء الى قوات غانا باحتلال اذاعة العاصمة ومنع اذاعة أية بيانات لحكومة لومومبا المعادية لمهمة الأمم المتحدة بحجة أن قوات الأمم المتحدة معرضة للاعتداءات الشعبية فى الشوارع نتيجة التحريض السافر ضدها من اذاعة ليوبولدفيل ، وكان لومومبا عندما أحس تماما لما يحيط به من خطورة أخذ يدافع عن نفسه وطلب هو الآخر من القوات المصرية التدخل لتحرير اقليم كاتنجا من المتمرد تشومبى . وبذلك وجدت القوات المصرية المشتركة فى القوة الدولية نفسها مهددة بالتورط فى مهام ليست من اختصاصها حيث انها غير مكلفة اطلاقا بأية مهام قتالية الا فى حالة الدفاع عن النفس فقط وأن مهمتها سياسية تعمل بالدرجة الأولى على تسهيل وتأكيد عملية استقلال الكونغو وليست مكلفة فى عمليات استغلال فى خدمة سياسات تتعارض مع روح ومبادىء الأمم المتحدة وبالتالى تتعارض مع سياسة الجمهورية العربية المتحدة وخاصة فى مبدأ عدم الانحياز .

ودلت جميع الشواهد على وجود مؤامرة لاغتيال لومومبا (١) ، وثبت فيما بعد عندما ظهرت الوثائق أن الاتفاق الأمريكى الخاص بتنفيذ مؤامرة اغتيال لومومبا كان بمباركة الرئيس أيزنهاور نفسه وبمعرفة رئيس المخابرات الأمريكية آلان دالاس الذى اعتبر ايماءات وايحاءات الرئيس أيزنهاور بمثابة أمر وموافقة على خطة الاغتيال لرئيس وزراء الكونغو لومومبا .

ــــ خلافات لومومبا مع ممثلى الأمم المتحدة ...

بعد وصول قوات الأمم المتحدة الى الكونغو وضمنها قوات مصرية ، ظهر خلاف حاد بين لومومبا وبين قيادة هذه القوات عندما قامت هذه القيادة تحت اشراف « دكتور رالف بانش » بتكليف القوات المصرية

---

(١) وثيقة عبارة عن تقرير أمريكى خاص بلجنة الكونجرس عن نشاط المخابرات التى كان يرأسها (فرانك تشرش) عضو مجلس الشيوخ ــ من وثائق كتاب سنوات الغليان ــ للأستاذ / حسنين هيكل ــ أهرام ١٩٨٨/١١/٢٦ .

بحسان مطار ليوبولدفيل . واعتبرت مصر (١) هذا توريطا لها فرفضته . وكان لومومبا يعتقد أن قوات الأمم المتحدة ستكون تحت اشرافه فطلب لومومبا من قوات الأمم المتحدة أن تتجه الى كاتنجا لمقاومة أهداف شومبى الانفصالية وخاصة بعد وصول القوات البلجيكية الى كاتنجا لتنصيب شومبى . وكذلك أصدرت قيادة قوات الأمم المتحدة أوامر صريحة الى قوات غانا المشتركة فى قوات الأمم المتحدة بالسيطرة على محطة اذاعة الكونغو ومنع اذاعة أية بيانات لحكومة لومومبا وتفاقم ـ لذلك ـ الخلاف بين لومومبا وبين همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة .

ـ بعثة مصرية خاصة الى الكونغو ...

بعد أن شعر الرئيس عبد الناصر بخطورة هذا الخلاف سارع وأوفد بعثة الى الكونغو يرأسها السيد/ محمد فائق فى أغسطس ١٩٦٠ ووصلت الى مطار ليوبولدفيل يوم ٢٧ أغسطس وسلم الوفد رسالة عبد الناصر الى لومومبا أفصح فيها عن مدى الخطر الذى تتعرض له حياة لومومبا نفسه وأن خلافه مع سكرتير عام الأمم المتحدة قد يحرج مصر نفسها لأن لها قوات هناك مفروض أن تتلقى أوامرها من السكرتير العام ، كما أن مصر ترحب بأولاد لومومبا وعائلته فى أى وقت حتى يتفرغ بالكامل لقضية بلاده ، ووقت وصول البعثة كانت الكونغو فى حالة فوضى شاملة تدل على عدم سيطرة رئيس الوزراء لومومبا على أجهزة الدولة وأفصح لومومبا للبعثة أن بلجيكا سحبت جميع الفنيين من أطباء ومعلمين وخلافه حتى يظهر عجز الحكومة الوطنية ، وشرح أسباب خلافه مع الأمم المتحدة والتى أصبحت قيادتها تتصرف بخطة ستؤدى للتخلص منه بأى وسيلة ولو باغتياله بغرض الابقاء على السيطرة البلجيكية على بلاده وأنه لا يواجه الاستعمار فقط ولكنه يواجه شخصيات كونغولية رسمية تعمل لحساب أمريكا مباشرة ولحساب الاستعمار وباتفاق مع الأمم المتحدة (كان يقصد كازافوبو) رئيس الدولة نفسه ، ولما كان لومومبا يطالب وقتها بعقد مؤتمر أفريقى لمحاولة فضح هذه السياسات فقد نصحه الوفد بناء على توصية عبد الناصر بعدم الاعتماد على هذا المؤتمر الأفريقى لأنه سيعتبر مضيعة للوقت لأن أعداء لومومبا والكونغو يتصرفون بسرعة لا تتناسب مع خطوات مثل هذه المؤتمرات البطيئة .

ولذلك نصحه بأن يركز فقط للدعوة لعقد اجتماع فى ليوبولدفيل يضم الدول الأفريقية الثورية « غانا وغينيا ومالى ومصر » .

---

(١) عبد الناصر والثورة الأفريقية ـ للأستاذ / محمد فائق ـ ص ١١١ حتى ص ١١٧ .

ــ مؤتمر وزراء خارجية الدول الأفريقية ... (٢٥ أغسطس ١٩٦٠) .

كان لومومبا قد دعا لعقد مؤتمر قمة أفريقى بغرض مؤازرة الدول الأفريقية له فى مواجهة ما اعتبره تآمر الأمم المتحدة وقواتها وأمريكا وبلجيكا عليه وعلى حكومته الوطنية ، وكان يهدف الى طلب قوات أفريقية تعاونه فى حفظ النظام بعد أن فقد ثقته فى قوات الأمم المتحدة .

ولأجل التمهيد لعقد مؤتمر قمة أفريقى فقد تم عقد مؤتمر تمهيدى لوزراء خارجية الدول الأفريقية من ٢٥ الى ٣١ أغسطس ١٩٦٠ فى الكونغو، وظهر من بدء افتتاح جلسات المؤتمر الانقسام بين هذه الدول ــ وكما كان يتوقع الرئيس عبد الناصر ــ لأنه لم يحضر سوى ١٤ وفدا فقط وبذلك تكون أغلبية الدول الأفريقية لا تؤيد لومومبا ومتأثرين بشكل أو بآخر بالتدخلات والمؤامرات الأمريكية .

ــ الاتصال المباشر مع مصر ...

كان من نتائج بعثة مصر الى الكونغو أن تم اتصال لاسلكى مباشر بين ليوبولدفيل والقاهرة بجهاز لاسلكى وصل الى الكونغو مع البعثة وبدأت علاقات وثيقة تتم بين القاهرة وقوى التحرر الوطنى فى الكونغو ودخلت العلاقات فى مرحلة متقدمة من الدعم والتأييد وخاصة بعد وصول السفير المصرى « مراد غالب » الى الكونغو وأصبحت القاهرة هى السند الرئيسى للثورة الكونغولية ونافذتها على العالم الخارجى .

ــ موقف مصر فى المواجهة بين القوتين العظميين ...

تصاعدت الأزمة فجأة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة منذ اسقاط الاتحاد السوفييتى لطائرة التجسس (١) الأمريكية « K.Z. » . بطيارها وأجهزتها سليمين فى أول مايو ١٩٦٠ ، وبعد أن أعلن الاتحاد السوفييتى عن الواقعة أعلن الرئيس الأمريكى ــ فى مغالطة تعودت عليها أمريكا مع الدول الضعيفة ــ أن الطائرة كانت تقوم بمهمة جمع معلومات للتحقق من البيانات التى يقدمها السوفييت فى اجتماعات نزع السلاح الجارية فى جينيف وذلك قبل لقاء القمة فى باريس .

---

(١) كانت هذه الطائرة تطير على ارتفاعات شاهقة اعتقادا من الأمريكان أن صواريخ الاتحاد السوفيتى لا تطولها ولكن صواريخ روسيا الحديثة أسقطتها سالمة وبها أجهزة التجسس البعيدة المدى وكانت الصورة المضبوطة للمنشآت العسكرية السوفيتية فى المنطقة الجنوبية على طول الطريق من قاعدة أرمزدم التركية حتى قرب كييف فى الاتحاد السوفييتى .

وقبل اجتماع مؤتمر باريس وفى يوم ١٥ مايو وعقب وصول خروشوف رد الاتحاد السوفييتى على مغالطة الولايات المتحدة ليجعلها تعيق حجم الاتحاد السوفييتى فى ميزان القوة وأعلن أن الاتحاد السوفييتى طلق صاروخ فى العالم حاملا معه محطة فضاء تزن خمسة أطنان . وانعقد المؤتمر صباح يوم ١٦ مايو حضره الأقطاب الأربعة : ايزنهاور وخروشوف وماكميلان وديجول . وطلب خروشوف الكلمة بعد مراسم الافتتاح مباشرة ووجه انذارا الى الرئيس ايزنهاور بأن روسيا ستنسحب من المؤتمر اذا لم تستجب أمريكا الى مطالب روسيا الثلاثة وهى :

١ ـ الاعتذار الرسمى عن حادث طائرة التجسس « K.Z » .

٢ ـ أن يتعهد ايزنهاور رسميا بوقف أنواع التجسس على الاتحاد السوفييتى .

٣ ـ أن يتعهد ايزنهاور بمعاقبة المسئولين عن حادث طائرة التجسس « K.Z. »

ثم وجه كلاما مهينا الى الرئيس الأمريكى ايزنهاور بعد أن لوح بالصور المضبوطة فى طائرة التجسس قائلا له : « كيف تدارى وجهك عن هذا المشهد القبيح » ؟ ، ورد عليه أيزنهاور غاضبا ومغالطا « بأنه لا يعتذر عن حقيقة الحياة » . وتعمد خروشوف أن يتمادى فى اهانة ايزنهاور قائلا : « اذن فأنا أطلب تأجيل مؤتمر القمة حتى تنتهى مدة رئاسة هذا الرجل » ـ مشيرا اليه بأصبعه ومستطردا : « لقد سحبنا دعوتك الى موسكو » ، واضطر ايزنهاور الى أن يعلن فى باريس قرارا باعلان حالة الطوارىء القصوى ثم أعلن عن استعداده لوقف عمليات التجسس لمدة رئاسته فقط حتى لا يقيد حركة الرئيس الأمريكى الذى يخلفه .

وطلب الاتحاد السوفييتى يوم ١٩ مايو عقد مجلس الأمن لبحث الانهيار السريع الذى حدث للموقف الدولى بسبب سياسة الولايات المتحدة. ثم اعقب ذلك اعلان وزير خارجية الاتحاد السوفييتى « جروميكو » أن حكومته قررت عرض الازمة على الجمعية العامة للأمم المتحدة لتفادى الفيتو الغربى فى مجلس الأمن ، وفى نفس الوقت أعلن «جروميكو » : « أن الصواريخ السوفييتية قادرة على ضرب أية بقعة فى العالم وأن بلاده سوف تجرى سلسلة تجارب بصواريخ حاملة رؤوسا نووية فى المحيط الباسيفيكى » ، ثم أعلن المندوب الأمريكى فى مجلس الأمن : « أن بلاده مصممة على مواصلة الحصول على المعلومات وبأى وسيلة لضمان أمنها » .

ـ دور نهرو وعبد الناصر ...

وفى وسط هذه المساجلات المتصاعدة بين القوتين العظميين كان عبد الناصر ونهرو مجتمعين فى القاهرة وأعلنا من قصر القبة نداء الى الأقطاب الأربعة : « ان السلام العالمى فى خطر وأن هذا السلام ليس ملكا لرجلين تتحمل البشرية جمعاء من أجلهما دفع الثمن » ...

ثم تصاعدت الأزمة عقب اعلان خروشوف « أنه سيواصل بيع الأسلحة للدول العربية طالما أن الغرب يزود اسرائيل بالسلاح » ...

وفى يوم ٩ يوليو أعلن خروشوف « أن بلاده ستزود كوبا بالصواريخ التى تمكنها أن تصل الى الولايات المتحدة بعد أن تعرضت كوبا لتهديدات أمريكا التى لوحت بامكان ضربها بالصواريخ » ...

وفى يوم ١١ يوليو أسقط الاتحاد السوفييتى طائرة تجسس أخرى داخل الحدود السوفييتية ..

وفى يوم أول سبتمبر أعلنت اذاعة موسكو « أن خروشوف سيحضر بنفسه دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة والتى ستبدأ جلساتها يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦٠ وذلك لعرض شكوى الاتحاد السوفييتى من المغامرات الأمريكية » .

.. الجمعية العامة وعبد الناصر ...

ووصلت الى عبد الناصر رسالة من خروشوف يرجوه حضور اجتماع الجمعية العامة كما تلقى فى نفس الوقت رسالة من سكرتير عام الأمم المتحدة يرجوه ـ أيضا ـ حضور اجتماع الجمعية العامة .

رغم أن علاقات عبد الناصر وقتها كانت لا تزال متوترة مع خروشوف بسبب الخلاف منذ سنة ١٩٥٨ حول دور الشيوعيين فى مصر وفى العالم العربى ، كما أن علاقات عبد الناصر مع أيزنهاور أيضا لم تكن على ما يرام بسبب الصراع العربى الاسرائيلى المستمر وبروز دور ناصر فى الشارع العربى .

وناقش عبد الناصر وخروشوف بصراحة جميع نقاط الخلاف واتفقا على عدم توسيع شقة هذا الخلاف أكثر مما وصلت اليه وألا يتركا للظروف والقوى المادية للتحرر التمكن من توسيع شقة الخلاف بأى حال من الأحوال لأكثر من هذا المدى .

أما لقاء عبد الناصر مع (١) ايزنهاور ، فقد قامت الادارة الأمريكية بتسجيله في وثيقة سرية لوزارة الخارجية الأمريكية وطبقا لما دار فى هذا اللقاء الذى تم يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ ..

وكان من ضمن أقوال ايزنهاور لعبد الناصر أنه : « يقدر ويمتدح دور الأمم المتحدة فى مساعدة البلدان الصغيرة فى مجال المساعدات لتحقيق رفاهيتها وتقدمها بعكس المعونات الثنائية لهذه الدول الصغيرة التى تمنح غالبا بغرض تحقيق هيمنة الدول المانحة على الدول المتلقية . وأن الأمم المتحدة هى الأمل فى تسوية المشاكل بين الأمم » ..

ورد عبد الناصر : « بأنه شخصيا مقدر لما قامت به الأمم المتحدة من دور ايجابى وبمؤازرة الولايات المتحدة أثناء أزمة العدوان الثلاثى مما ساعد على الحصول على اجماع العالم الى جانب الحق ، وأن مصر لذلك آزرت نشاط الامم المتحدة فى الكونغو من بداية الأمر ولكننى وقفت فجأة مدهشا ومنزعجا عندما قامت الأمم المتحدة بالعمل على احتلال قواتها تحت علم الأمم المتحدة لمطارات ومحطات الاذاعة فى الكونغو رغم أن ذلك يعد انتهاكا لسيادة الكونغوليين وأعتبر أن هذه تصرفات تعتبر أخطاء من جانب الأمم المتحدة وتمثل خطورة على البلدان الصغيرة التى تعتمد عليها فى أمنها وحقوقها فى عالم اليوم وأنه بسبب هذه التصرفات بدأت الأمم الأفريقية تفقد ثقتها فى الأمم المتحدة » ..

(وبذلك قطع عبد الناصر الطريق على ايزنهاور عندما أراد التمادى فى مدح دور الأمم المتحدة طالما كان هذا الدور يخدم المخططات الأمريكية ومصالحها حتى ولو كانت على حساب حقوق واستقلال شعوب الأمم الصغيرة) ...

.. ورد ايزنهاور فى مجال المغالطة والمكابرة : « أنه من الطبيعى أن قوات الأمم المتحدة لا تكون كافية فى بعض الحالات للتوصل الى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وأنه هو شخصيا وادارته يقومان بشتى الطرق بتعزيز عمليات الأمم المتحدة ويقدم العون لها فى تنفيذ قراراتها وأنه يظن أن السبب فى احتلال مطارات الكونغو هو قطع الطريق على الاتحاد السوفييتى لنقل الأسلحة والخبراء السوفييت الى الكونغو » .

---

(١) مذكرة كتبها الجنرال (جودماستر) المساعد العسكرى لايزنهاور — وهى من وثائق كتاب سنوات الغليان — للأستاذ / حسنين هيكل — حلقة رقم ٢١ — عدد أهرام ١٩٨٨/١١/٢٦ .

ثم أبدى عبد الناصر اعتراضه على أى شىء من شأنه يجعل من أفريقيا المتطلعة للتحرر الكامل أن تكون ميدانا للحرب الباردة ويعارض أى سيطرة سوفييتية على الكونغو كما يعارض أى سيطرة غيرها ٠

ثم انتقل فى مرحلة أخرى من الحديث عن مجال التعامل مع اسرائيل فقال عبد الناصر لايزنهاور : « اننى منـذ سنة ١٩٥٢ وأنـا أرغب فى علاقات طيبة مع الولايات المتحدة ولكن الحاجز الرئيسى الذى كان يحول دون تحقق ذلك كان دائما هو اسرائيل ، فعندما طلبت مصر السلاح من الولايات المتحـدة لحماية حدودها من الهجمات الاسرائيلية رفضت أمريكا فى نفس الوقت الذى قدمت فيه الأسلحة الى اسرائيل » ٠٠٠

٠٠ واعترض ايزنهاور على هذا القول بقوله : « ان الولايات المتحدة لم تعط لاسرائيل الا الأسلحة الدفاعية » ، ورد عبد الناصر أنه بناء على الخبرة العسكرية الواسعة للرئيس ايزنهاور فانه لا يوجد أى سلاح مهما صغر شأنه يعتبر دفاعيا فقط . ولكنـه فى نفس الوقت يعتبر ذا خاصية هجومية ، وضرب مثـلا بما أعطتـه الولايات المتحدة لاسرائيـل فى هذه الصفقات مع أسماء بعض الأسلحة التى تعتبر أسلحة هجوميـة وضرب الأمثلة على ذلك بصفقة المدافع عديمة الارتداد من عيار ١٠٦ مم ٠٠

٠٠ ثم انتقل عبد الناصر الى موضوع صفقة القمح الأمريكى وشكر ايزنهاور وادارته على هذه الصفقة وشحنات القمح الأمريكى ، ثم قال : « ولكننى أجد نفسى محرجا أمام شعبى عندما يقف أعضـاء الكونجرس ليقولوا فى جلساتهم العلنية ان الجمهورية العربية المتحدة عليها أن تدفع ثمن القمح الأمريكى بالسماح لبواخر اسرائيل بعبور قناة السويس ولكن من واجبى أن أقول اننى سأرفض دفع هذا الثمن وسأرفض القمح » ٠

وفى نهاية الحديث قال الرئيس ايزنهاور : « أن أمريكا تتطلع الى علاقات أفضل مع الجمهورية العربية المتحدة ولكننى شديد الارتياب فى السوفييت ، واننى أخشى فى النهاية أن يصـل السوفييت عن طـريق مساعداتهم المادية للجمهورية العربية المتحدة والتى تتصاعد فى قيمتها وكمياتها حتى تكاد أن تصل الى حالة الهيمنة على المصريين » ٠٠٠

٠٠ ورد عليه عبد الناصر : « ان المصريين لن يبيعوا حريتهم لأحد بدليل أننى قاطعت الاتحاد السوفييتى علنـا وقت أن كانت علاقتى فى نفس الوقت مع الغرب شديدة السوء واننى مستعد لتحمل علاقات سيئة مع المعسكرين شرط أن تحتفظ بلادى بكرامتها » ٠

ـ نشاط الدول غير المنحازة ..

وقام الرئيس عبد الناصر مع عـدد من زعماء دول عـدم الانحياز : نكروما . سوكارنو . نهرو ونتو بالتقدم بمشروع قرار للجمعية العامة يدعون فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الى استئناف الاتصالات التى انقطعت ليتحقق ما أعلنه كلا الطرفين من رغبة فى حل المشاكل الدولية الكبيرة والمعلقة وذلك بوسيلة المفاوضات .

كما تمكن عبد الناصر من اعادة تصحيح علاقات الجمهورية العربية المتحدة مع كل من بريطانيا وفرنسا بعد انقطاعها على اثر العدوان الثلاثى وقام بلقـاء كل من ماكميلان وديجول والذى تفاهـم مع عبد الناصر على ضرورة الاعتراف بثورة الجزائر ووعد ديجول بتحقيق ذلك وبدأ بالسماح للمعتقلين السياسيين الجزائريين بالاتصال تليفونيـا حيث اسـتطاعت أطراف قيادة الثورة فى داخل الجزائر من الاتصال مع الخارج .

وقام عبد الناصر أيضا بتحقيق أول اتصال مبـاشر مع دول أمريكا اللاتينية واجتمع مع فيدل كاسترو زعيم كوبا وتعرف منه على مشـاكل كوبا وأمريكا اللاتينية .

ـ استحكام حلقات المؤامرة فى الكونغو ...

.. بدأت الخطوات الأول للمؤامرة للتخلص من الوجود الوطنى بالكونغو وخاصة بعد أن ظهر للمتآمرين وعلى رأسهم المخابرات الأمريكية أن مصر أصبحت السند الرئيسى للثورة الكونغولية وبدأت المؤامرة باستخدام كازافوبو رئيس الجمهورية بدلا من استخدام القوة المباشرة .

.. وفى ٥ سبتمبر ١٩٦٠ ـ بعد أيام قليلة من انتهاء مؤتمر وزراء الخارجية الأفارقة ـ فوجىء العـالم بقرار من كازانوفا رئيس الجمهورية يعزل بيـاتريس لومومبـا رئيس الوزراء وتكليف ايليـو رئيس مجلس الشيوخ بتأليف الوزارة وكان كازافوبو معتمدا على تأييد (موبوتو) قائد الجيش الموجود فى ليوبولدفيل وتأييد قوات الأمم المتحدة فى الكونغو والتى كانت قواتها تحتل المطارات والاذاعة .

.. رفض لومومبا زعيم الأغلبية البرلمانية هذا القرار وأقر البرلمان وجهة نظره .

.. كرد فعل لموقف البرلمان قام الكولونيل موبوتو قائد الجيش وأعلن اسـتيلاءه على السلطة وحـل البرلمان وأصدر قرارا بعـزل رئيس الجمهورية كازافوبو أيضا .

٠٠ وسرعان ما أصدر قرارا آخر بعودة كازافوبو ٠

٠٠ وتتم حلقات المؤامرة بمبادرة الأمم المتحدة بالتعامل مع كازافوبو، وأصبح في الكونغو سلطتان تدعى كل منهما الشرعية علاوة على السلطة العسكرية تحت قيادة موبوتو ، وانعكس هذا على مواقف الدول الأفريقية داخل الامم المتحدة ، ولكن سرعان ما صدر قرار الأمم المتحدة باعتبار وفد كازافوبو في الأمم المتحدة هو الوفد الرسمي ولكن الدول الأفريقية التي لها قوات في الكونغو قد صوتت ضد هذا القرار وصوتت لصالح سلطات لومومبا وأصبحت قواتها في الكونغو في وضع حرج فقد كان من المفروض عليها أن تساعد سلطة تعترف بها الأمم المتحدة والموجودة قواتها تحت قيادة الأمم المتحدة التي تؤيد سلطات كونغولية ــ وفي نفس الوقت لا تعترف بها دول هذه القارة الأفريقية ٠

ــ مؤتمر قمة الدار البيضاء (١) ٠٠٠ (من ٣ ــ ٧ يناير ١٩٦١) ٠

وفي وسط هذه الحالة من عدم الاستقرار والتي توحي بأخطر الأحداث ، تم انعقاد مؤتمر الدار البيضاء وحضره الرئيس جمال عبد الناصر والملك محمد الخامس والرئيس الغاني نكروما والرئيس الغيني أحمد سيكوتوري والرئيس المالي موديبوكيتا ورئيس حكومة الجزائر المؤقتة ووزير خارجية ليبيا وأرسلت سيلان مراقبا وتمخض عن قيام تكتل سياسي أفريقي جديد عرف باسم دول الدار البيضاء (مجموعة الدول الثورية) ، وأثير في هذا المؤتمر موضوع ضرورة سحب قوات الدول الأفريقية الموجودة تحت علم الأمم المتحدة من الكونغو بعد أن تعددت سلطات السيادة وانحياز الأمم المتحدة للقوى المعادية ضد القوى الوطنية وبعد أن ظهر جليا أنه حتى قوات بعض هذه الدول كانت خاضعة لقادة أوربيين من بقايا الاستعمار البريطاني والفرنسي أو الى قيادات أفريقية يحوطها الشك من كل جانب ، فمثلا كان الجنرال كتاني القائد المغربي مستشارا عسكريا لموبوتو المتآمر ضد لومومبا وكان أيضا على صلة مريبة بجهات أمريكية وبلجيكية رغم أن سياسة المغرب كانت مؤيدة للومومبا وكان هناك اتجاه الى ضرورة الابقاء على قوات أفريقية داخل الكونغو ووافقت مصر وغيرها على ذلك تحت شرط عدم تنفيذ أوامر لقيادة قوات الأمم المتحدة ليكون فيها اضرار بسلطات لومومبا ٠

وأعلن الرؤساء في المؤتمر ــ مع قراراته ــ عن نية الدول المجتمعة سحب قواتها الموضوعة تحت قيادة الأمم المتحدة في الكونغو الا اذا عدلت

---

(١) عبد الناصر والثورة الأفريقية ــ للسيد / محمد فائق ــ ص ١١٩ ٠

الأمم المتحدة سياستها وقامت بتأييد الحكومة المركزية فى سحب الأسلحة من جيش موبوتو وتمكين البرلمان الكونغولى من العودة لممارسة نشاطه ٠

وكان مؤتمر الدار البيضاء نقطة تحول فى العمل الأفريقى خاصة أنه قد تم اجماع بين زعماء حركة الاستقلال الأفريقية الذين أجمعوا على تحقيق حرية شعوب أفريقيا وعدم خضوعها للاستغلال الاستعمارى الذى تحرك فى شراسة فى الكونغو لحساب امتيازات واحتكارات الماس والنحاس واليورانيوم ، وأخذت هذه القوى الاستعمارية يقودها الاستعمار الأمريكى الجديد تحارب معركة ضارية للاحتفاظ بكنوز أفريقيا وكان اليورانيوم الخام هو الذى يحوز اهتمام الأجهزة الأمريكية ، وتنبه المؤتمر الى ترتيبات استعمارية ومحاولات تجرى بخطة محكمة لأجل محاولة تقسيم الدول الأفريقية المستقلة حديثا الى مجموعة فرنسية والأخرى بريطانية طبقا للسيادة الاستعمارية السابقة فى المستعمرات الأفريقية قبل الاستقلال وطبقا لما تركه هذا الأستعمار من آثار قوية فى ادارة هذه المستعمرات ٠

وعلى هامش اجتماعات وجلسات المؤتمر نوقش امكان الدراسة والبحث عن الامكانات المتعددة للتعاون الاقتصادى بين دول القارة ٠

ومن أخطر ما لفتت مصر نظر القادة الأفريقيين اليه ، هو تسليط الأضواء على دور اسرائيل فى التسلل الى الدول الأفريقية ودور الولايات المتحدة النشيط فى مساعدتها هناك وصورت مصر هذا الدور الاسرائيلى على أنه صورة من الاستعمار الاستيطانى ، وقد صدر قرار من المؤتمر باستنكار الدور الاسرائيلى المناصر دائما للاستعمار فى أفريقيا وأنها أداة فى خدمة هذا الاستعمار الذى اتخذ اسرائيل كقاعدة له فى أفريقيا ٠

ـ ذروة التآمر وموقف مصر منه ٠٠٠

١ ـ امعانا فى حالة عدم الاستقرار داخل الكونغو، فقد انقسمت السفارات فى ليوبولدفيل فكان بعضها يعترف بكازافوبو والبعض الآخر يعترف بلومومبا ومن بينهم مجموعة دول الدار البيضاء وكانوا يقومون بتقديم المشورة والمعونات الى لومومبا وحكومته وكان لمصر مستشاران عسكريان هناك ٠

٢ ـ استمر موقف الأمم المتحدة معاديا للومومبا ومتعاطفا مع كازافوبو ٠

---

(١) العميد أركان حرب أحمد اسماعيل على (وزير الحربية فيما بعد) والمقدم ممدوح جبه (السفير فيما بعد) ـ نفس المصدر السابق ، ص ١٢٠ ٠

٣ ـ وصلت معلومات الى مصر من مستر/جيزنجا نائب لومومبا أن رئيس الوزراء لومومبا يتعرض لمؤامرة اغتيال بمساعدة الأمريكان وأن قنصل أمريكا قد حضر متخفيا يوم ٤ فبراير ١٩٦١ وأن بعض الطائرات المجهولة كانت تحلق فى سماء ليوبولدفيل ، وقدم وفد مصر فى مجلس الأمن يوم ٧ فبراير ١٩٦١ مشروع قرار بطلب الافراج عن لومومبا ٠

٤ ـ أصبح لومومبا معزولا فى العاصمة ليوبولدفيل وتقطعت مواصلاته مع الحكومة رغم تمتعه بنفوذ قوى فى ستانلى فيل ، واستمر موقف الأمم المتحدة فى عدائه للومومبا ومؤيدا لكازافوبو ، ولما شعر لومومبا بعدم جدوى البقاء فى ليوبولدفيل قرر الانتقال الى ستانلى فيل ٠

ـ مقتل لومومبا ٠٠ (١٧ يناير ١٩٦١) ٠

أثناء انتقال لومومبا الى ستانلى فيل مخترقا الحصار المفروض عليه من قوات كازافوبو ، تمكن كازافوبو من القبض عليه يوم ١٧ يناير ١٩٦١ بمعرفة قوات موبوتو الذى سلمه بدوره الى عدو لومومبا (مويس تشومبى) قائد الانفصال فى كاتنجا ، وقام تشومبى وأعوانه بالتنكيل بلومومبا بصورة وحشية وانتقام غير انسانى حيث ضرب بالأحذية وكعوب البنادق واخترقت جسده الأعيرة النارية حتى الموت ثم أحرقت جثته وظهر كل ذلك بالتفصيل فى أفلام الفيديو والتى قامت مصر بتوزيعها فى أنحاء العالم لاظهار وحشية الاستعمار الجديد وأعوانه ضد الثورة فى كل مكان ٠

ثم تمكن عدد غير قليل من زملاء لومومبا وأعضاء حزبه من الوصول الى ستانلى فيل وكونوا تنظيما وطنيا برئاسة جيزنجا نائب الوزراء السابق وتكونت مليشيات ثورية وأعلنت الثورة الوطنية فى الكونغو كرد فعل لمقتل لومومبا ، وأعلن عبد الناصر فى عدة مناسبات أن لومومبا قد قتل تحت أعلام الأمم المتحدة وفى وجودها الذى استخدمته الدول الكبرى كغطاء لجريمة القتل التى هزت أفريقيا ٠

وصورت مصر هذه الجريمة بأن أصابع الاتهام كانت تشير بوضوح الى قوى الاستعمار وامتيازات واحتكارات الماس والنحاس والذهب واليورانيوم ، وكانت هذه المعركة الشرسة حفاظا على كنوزها فى أفريقيا ، وأصبح لومومبا بعد مقتله رمزا للثورة الأفريقية حيث سرعان ما تمردت الشعوب الأفريقية فى مناطق أخرى ضد هذا الاستعمار ٠ ٠

ـ سحب القوات المصرية من الكونغو ...

كرد فعل لمقتل لومومبا سحبت دول كثيرة منها مصر اعترافها بحكومة ليوبولدفيل واعترفت بحكومة ستانلى فيل ثم سحبت مصر قواتها التابعة للأمم المتحدة من الكونغو وقامت بتعيين سفير لمصر فى ستانلى فيل هو ممدوح جبه وأصبحت السفارة المصرية هى أول السفارات التى فتحت فى ستانلى فيل وكانت نافذة لحكومة ستانلى فيل الوطنية على العالم بعد أن أصبحت القاهرة هى القاعدة الأساسية التى تركز عليها الثورة الكونغولية واندلعت المقاومة الشعبية فى الكونغو بفضل مساعدات مصر وبدور مصر الاعلامى الذى أظهر مدى التآمر الأمريكى الغربى ضد جميع حركات التحرر فى العالم ٠

ـ الرئيس أيزنهاور يترك الرئاسة ٠٠ (أول نوفمبر ١٩٦٠) ٠

٠٠ والادارة الأمريكية تستمر فى مخططاتها ...

وتتم حلقات التآمر الأمريكى فى الكونغو وفى الشرق الأوسط حتى آخر أيام ايزنهاور فى الرئاسة الأمريكية ، ويصل الى عبد الناصر خطاب وداع من الرئيس ايزنهاور بعد انتخابات الرئاسة ونجاح « كينـدى » كرئيس للولايات المتحدة فى أول نوفمبر ١٩٦٠ ٠

ويتم اغتيال لومومبا فى ١٧ ينـاير ١٩٦١ ، ويتولى جون كيندى سلطاته كرئيس للولايـات المتحدة فى ٢٠ ينـاير ١٩٦١ ويرث الادارة الأمريكية مثقلة بكل أوزارها ، ويرسل الرئيس الأمريكى السابق ايزنهاور خطابا للرئيس عبد الناصر يوم ١٩ يناير بمثابة وداع يقول فيه (١) :

« اننى قبل أن أترك منصبى وجدت نفسى مدفوعـا الى أن أكتب لك خطاب وداع شخصى ٠٠ حيث انه أثناء رئاستى ، أسعدنى التعاون معك فى كثير من الأهداف المشتركة الهامة من أجل السلام والعدل فى العالم ٠٠ وتمكنت باتصالى بك من أن أكسب رؤية مرضية للشخصية القومية للجمهورية العربية المتحدة ولجوهر قوتها وعظمتها ٠٠ وأؤكد لك صداقتى واحترامى » ٠

وكان لدى عبد الناصر بعض الأمل فى الرئيس الجديد كيندى بمتابعته لخطه السياسى والأخلاقى منذ أيام دعايته الانتخابية ضد نيكسون ثم عند اختيـاره لمساعديه وكلهم من جيـل الشباب المثقف والمتخصص بما كان

---

(١) من وثائق كتاب سنوات الغليان ـ للاستاذ / حسنين هيكل ـ عدد أهرام ١٩٨٨/١١/٢٠ ٠

يوحى أنه ستكون له سياسة يغير منها كثيرا من أسلوب الادارة الأمريكية يجعلها تميل الى جانب العدل والحق وليست على أسلوب ونهج سلفه الذى كان خاضعا خضوعا كاملا للادارة الأمريكية فى تآمرها المستمر على آمال الشعوب المتطلعة للحرية .

لذلك كتب عبد الناصر الى كينـدى بعد توليـه سلطاته مباشرة ، وكانت القضية التى أثارها فى هذه الرسالة هى « أزمة الكونغو » ، حيث امتدت آثارها (١) المدمرة لكل قوانين العدل والحق الى أفريقيا كلها ومنها الى بقية أنحاء العالم بما أثرت به على مخططات وتدخلات الادارة الأمريكية على الأمم المتحدة وحيادها المفروض ، ومخالفاتها للأعراف الدولية فـكرا وتنظيما وأداء خصوصا فى أوقات الأزمات بما ظهر من تصرفاتها بعد مقتل لومومبا ومباركتها لما قام به الكولونيل موبوتو فى الكونغو بحل البرلمان المنتخب واعتقال أعضاء حكومة الاستقلال تحت علم الأمم المتحدة وفى أثناء عملها فى الكونغو » .

وفى أول مارس ١٩٦١ جاء الى الرئيس عبد الناصر رد من كيندى على رسالته جاء فيها ــ بعد الديباجة الرسمية : « اننى ألاحظ أن حكومتينـا اختلفتا فى الماضى ومازالتا مختلفتين فى الحاضر على بعض جوانب الموقف المعقد فى الكونغو وفى غيره ولكننى فى نفس الوقت سعيد باهتمامكم بدعم هيبة وسلطة الأمم المتحدة .... وقد جاء فى خطاب تنصيبى رئيسا أن وعدت بأن الولايـات المتحدة سوف تعطى كل تأييدهـا للأمم المتحدة وميثاقها .... الخ » .

وبعـد مضى أقل من شـهر على هـذه الرسـالة الواعدة باحترام ميثاق الأمم المتحدة ، تقوم الادارة الأمريكية فى ظل رئاسة كيندى بتصديق كيندى على خطة غزو كوبا على أثر مطالبتها بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة « جوانتا نامو » وقامت أيضا حكومة الثورة فى كوبا بتأميم شركات الاحتكار الأمريكية كما حصلت على أسلحة من الاتحاد السوفييتى واستعانت المخابرات الأمريكية فى خطة الغزو بمجاميع من الكوبيين المنفيين أعداء ثورة كوبا لايهام العالم بعدم تدخل أمريكا فى الشئون الداخلية لحكومة كوبا .

وبعد فشل الغزو الذى قامت به قوات المرتزقـة الكوبيين تمكنت حكومة كوبا من تصفية جيوبهم بعد نزولهم فى « خليج الخنازير » .

وبعث جمال عبد الناصر برقية مفتوحة (٢) الى كاسترو رئيس كوبا قال فيها : « ان الذى يتعرض له شعب كوبـا اليوم يعتبر جريمة ضـد

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) من وثائق سنوات الغليان ــ للأستاذ / حسنين هيكل ــ أهرام ١٩٨٨/١١/٣٠ .

السلام والضمير الحر للانسانية وأن أصدقاء الحرية فى العالم لن يقفوا موقف المتفرج من هذه الجريمة ضد شعب كوبا » .

وكان الرئيس تيتو وقتها فى زيارة لمصر وقام هو وجمال عبد الناصر وأعلنا بيانا مشتركا جاء فيه : « أنه يجب اتخاذ اجراءات جماعية من دول عدم الانحياز لكيلا تتعرض الدول الصغرى لعمليات غزو من النوع الذى تعرض له شعب كوبا » ..

وبعث عبد الناصر برسالة الى الرئيس كيندى عبر فيها عن دهشته من الطريقة التى حدث بها الغزو واعتبر هذا الغزو مغامرة تحمل فى طياتها تلاعبا مخيفا بموازين السلام .

وفى ٣ مايو ١٩٦١ أرسل كيندى برسالة الى عبد الناصر أنكر فى أولها أى دور للولايات المتحدة فى هذا الغزو أو تدبيره ، ثم جاء فى آخر الرسالة — بأسلوب اللف والدوران — واعترف بجانب من الصراحة بأن الولايات المتحدة ازاء تصرفات حكومة كوبا وتدخلات الاتحاد السوفييتى فى البحر الكاريبى ، ستكون مضطرة لتصرفات قد يفسرها البعض بأنها تدخلات فى الشئون الداخلية »... كما عبر عن تأثره من برقية عبد الناصر لكاسترو ومن البيان المشترك مع تيتو ، والذى فهم منهما تلميحا الى دور الولايات المتحدة فى تدبير مؤامرة الغزو ...

ورد عليه عبد الناصر بأسلوب لبق ومهذب : « ... وان حسن النية المستمد من المبادىء السامية هو الدافع للاهتمام بما جرى خصوصا وأن الانطباع الذى أحسسنا به فى الجمهورية العربية المتحدة وأحس به كثيرون فى أرجاء العالم أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن هذه الأحداث المؤسفة. لأن مجرد قراءة الصحف الأمريكية ومتابعة التصريحات الرسمية كان كافيا لرسم أبعاد التدخل الأمريكى فى كوبا بل وتفاصيل هذا التدخل ... ، وأن فى هذا صدمة كبرى للرأى العام العالمى ... ، وأن علاج هذه الصدمة لا يكمن فى انكار ما حدث وانما العلاج يكمن فى مواجهته صراحة لتجنب تكراره » .

— القاهرة قاعدة للثورة فى أفريقيا ...

فور مقتل لومومبا وصل الى القاهرة الزعيم الكونغولى البارز « بيير موليلى » (١) والذى كان وزيرا للتربية والتعليم فى حكومة لومومبا وتمكن من الافلات من الاعتقال حيث كان يرافق لومومبا عند اعتقاله ، واستطاع

(١) عبد الناصر والثورة الافريقية — للسيد / محمد فائق — ص ١٢٣ .

الوصول الى ستانلى فيل ، وكان بيير موليلى على رأس لجنة كونغولية ثورية استقرت بالقاهرة لتكون بمثابة حلقة الاتصال بين حكومة الثورة فى ستانلى فيل بزعامة جيزنجا وبين العالم الخارجى حيث ان الغرب وأمريكا احتكرا نقل أنباء من داخل الكونغو الا ما يتصل بالحكومة العميلة لهما فى ليوبولد فيل ، وكانت هذه اللجنة مكلفة باعداد كل ما يلزم الثورة من الخارج واذاعة أنباء الكونغو والثورة عن طريق وصول المعلومات بواسطة الاتصالات المصرية اللاسلكية المتوفرة فى سفارة مصر فى الكونغو ، وكان موليلى يستقبل الوفود الأجنبية والسفراء الذين لم يكن من السهل عليهم القيام بهذا الاتصال فى ستانلى فيل ، وأصبحت القاهرة قاعدة الثورة الكونغولية سواء فى تدريب الكوادر على القتال وكذا بالامداد بالسلاح والتحرك الديبلوماسى والاعلامى ، وخصصت اذاعة موجهة من القاهرة الى الكونغو والى معظم الدول الأفريقية تذيع باللغات الرسمية لهذه البلاد وكان لهذه الاذاعة الفضل فى تعبئة الشعور الوطنى فى الكونغو بصفة خاصة وفى الدول الأفريقية بصفة عامة حيث كانت القاهرة فى ذلك الوقت تساند جميع حركات التحرر الأفريقية فى الوقت الذى لم تكن العواصم الأفريقية المحيطة بالكونغو قادرة على تقديم العون للثورة .

ـ تاميم المصالح البلجيكية فى مصر .. (آخر عام ١٩٦٠) .

وكرد فعل حيوى على مقتل لوممبا ، قامت مصر بتأميم المصالح والأموال البلجيكية فى مصر لأن المسئولية الأولى عن أحداث الكونغو كانت ترجع الى الاحتكارات الرأسمالية وكانت كلها أوربية أمريكية ولكن معظمها بلجيكية طال اغتصابها لخيرات الكونغو وخاماتها الثمينة وقامت حكومة بلجيكا بقطع العلاقات السياسية مع مصر فى أوائل عام ١٩٦١ ...

ووضعت مصر الرعايا البلجيكيين (١) فى مصر تحت الحراسة وكان عددهم حوالى ثلاثمائة بلجيكى وعند جرد ثرواتهم تبين أنهم كانوا يمتلكون حوالى مليون سهم فى شركات تعمل فى مصر فى مختلف المجالات ، وبمراجعة ملكيات ونشاط الأجانب عموما فى مصر فى ذاك الوقت ظهر ضخامة نشاطهم بحيث كانوا هم الذين يمتلكون معظم الثروات وظهر أن حوالى مائتى عائلة يهودية تحمل جوازات سفر بلجيكية وايطالية وفرنسية وبريطانية تملك فيما بينها مصالح عقارية ومالية موظفة فى الشركات تزيد قيمتها على خمسمائة مليون جنيه وهذا تم اصلاحه بقرارات يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

---

(١) الحلقة ٢٢ من كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١١/٢٨ ، ص ١٣ .

ـ عودة الى تواطؤ هيئة الأمم ..

فى مارس ١٩٦١ عقد مؤتمر مائدة مستديرة فى تناناريف عاصمة مدغشقر بين كل من كازافوبو وتشومبى ورئيس مدغشقر « سيرا نانا » بدعوة منه . وأعلن المؤتمر قراره بتكوين اتحاد كونفدرالى فى الكونغو وذلك تأكيدا على انفصال كاتنجا والتسليم لتشومبى بذلك ، وكان هذا الاعلان بمثابة تواطؤ من السكرتير العام للأمم المتحدة مع المخطط التآمرى وبالذات عندما أغمض عينيه عن استخدام القوى لوقف هذا الانفصال ، ولذلك عندما اجتمعت الدول الأفريقية فى الدار البيضاء ٢١ مارس ١٩٦١ صدر عنها بيان يدين السكرتير العام ويعتبره مسئولا عن مقتل لومومبا بالتواطؤ مع كازافوبو وتشومبى وموبوتو ...

ـ قرار مجلس الأمن ..

وقد ازداد موقف الأمم المتحدة حرجا فى الكونغو بعد صدور قرار مجلس الأمن بتخويل المنظمة الدولية حق استخدام القوة فى مثل هذه الأمور . وفى هذا التاريخ كانت هناك ثلاث حكومات فى كل من ستانلى فيل وليوبولدفيل واليزابيث فيل (عاصمة كاتنجا) ، وشجع قرار مجلس الأمن الدول الأفريقية التقدمية بالضغط على الأمم المتحدة لاستخدام القوة وكان البديل أمام الأمم المتحدة هو العمل على الوساطة للتقريب بين وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة فى الكونغو ، وحدث تقارب بين جيزنجا وبين كازافوبو على حساب تشومبى وبذلك زال الحرج الى حد ما عن موقف الأمم المتحدة .

ـ عوده البرلمان الكونغولى .. (٢ أغسطس ١٩٦١) (١) .

فى ٢ أغسطس ١٩٦١ اجتمع البرلمان الكونغولى بعد المصالحة وانتخب «سيرل أدولا» رئيسا لحكومة الكونغو المركزية (٢) فى ليوبولدفيل وأصبح جيزنجا زعيم الثوار نائبا لرئيس الوزراء وبقى تشومبى وحده فى كاتنجا وأصبح هناك حكومة مركزية يؤيدها اللومومبويون (٣) فى ليوبولدفيل حازت ترحيبا من جميع الدول الأفريقية وبعد قيام هذه الحكومة قامت مصر باغلاق سفارتها فى ستانلى فيل ونقلتها الى ليوبولدفيل

---

(١) كانت هذه الحركة بمثابة الانحناء مؤقتا للعاصفة الثورية الكونغولية لأنه سرعان ما ظهر ذلك بوضوح فقد انقلب فجأة رئيس الجمهورية كازافوبو على الثوار .

(٢) عبد الناصر والثورة الأفريقية ـ للأستاذ / محمد فايق ـ ص ١٢٠ .

(٣) المصدر السابق ـ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

كما أصبح لحكومة الكونغو سفارة فى القاهرة وتم تصفية جميع العلاقات العسكرية بين مصر وبين التنظيمات الثورية فى الكونغو .

ـ موضوع ذهب شعب الكونغو ..

كانت حكومة الثوار فى ستانلى فيل قد قامت بنقل كمية كبيرة من الذهب الى القاهرة للصرف على الثورة وتم بأوامر من الرئيس عبد الناصر ايداعه فى البنك المركزى المصرى فى القاهرة باسم حكومة الكونغو بضمان جزء منه باسم البعثة الكونغولية فى القاهرة برئاسة موليلى ، وبعد المصالحة الوطنية تم تسليمه للحكومة الجديدة فى ليوبولدفيل عدا الجزء المحتجز مقابل المسحوبات على أن يسلم الجزء الباقى بعد تسوية الحسابات . واعترض موليلى وطلب استبقاء كل الذهب لحساب الثورة احتياطا من أية تطورات محتملة ضد الثوار ، ولكن الرئيس عبد الناصر رفض هذا الطلب باعتبار أن هذا الذهب هو ملك للشعب الكونغولى وجاء باسم الحكومة ومصر فى هذا الوقت تعترف بها بعد المصالحة .

ـ تجدد حملة الاتحاد السوفييتى ضد الجمهورية العربية المتحدة ..

وفى نفس الزمن ووسط مقدمات هذه الأحداث تجددت بطريقة عنيفة الحملة الدعائية للاتحاد السوفييتى والأحزاب الشيوعية ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتحدث خروشوف فى احتفالات أول مايو فقال : ان الشيوعيين العرب يوضعون فى السجون والمعتقلات فى الجمهورية العربية المتحدة وتوسعت الصحافة السوفييتية فى نشر تفاصيل عمليات الاضطهاد من دولة الوحدة للعناصر الشيوعية وخاصة فى الاقليم الشمالى (سوريا).

ـ أسلوب الادارة الأمريكية ـ واحد ـ رغم تغير الرؤساء ..

فى ١١ مايو ١٩٦١ أرسل الرئيس كيندى خطابا (١) للرئيس عبد الناصر ـ وكأنه مرسل له وحده دون رؤساء العرب ـ وكان ظاهر الخطاب أنه محاولة شخصية من الرئيس كيندى لحل مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى بتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لتحقيق الأمن والاستقرار وازالة التوتر فى الشرق الأوسط ، وكان واضحا من مضمون الرسالة هو جعل القضية الفلسطينية قضية لاجئين فقط وليست قضية شعب له أرض طرد منها ..

---

(١) من وثيقة خطاب وزير الخارجية المصرى برأى السيد حسين ذو الفقار صبرى ـ نائب وزير الخارجية ـ وهى من وثائق كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ الحلقة ٢٤ ـ أهرام ١٩٨٨/١٢/٣ ، ص ١٢ ، ١٣ .

واعتبر جمال عبدالناصر ومستشاروه ـ بعد دراسة الرسالة بدقة ـ أنها محاولة من الادارة الأمريكية وعلى رأسها الرئيس كيندى ـ لتحقيق أهداف (١) هى :

١ ـ تصفية القضية الفلسطينية لصلحة اسرائيل ·

٢ ـ اختبار نوايا الجمهورية العربية المتحدة بعد خلافاتها الحادة مع الولايات المتحدة فى موضوع الكونغو وموضوع تأييد مصر لكوبا فى محنتها ·

٣ ـ محاولة لاستقطاب مصر فى اتجاه السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ولو ضد المبادىء ·

٤ ـ استغلال صعوبة موقف مصر من أزمتها المتصاعدة مع الاتحاد السوفييتى ، أملا فى أن مصر أصبحت أكثر استعدادا للتسوية الفلسطينية وتوقعا من الأمريكان لمزيد من التشدد السوفييتى مع مصر وعلى رأسها مشروع السد العالى ، والتوقف عن اتمامه وقد يصل التشدد السوفيتى الى وقف صفقات السلاح ومعونات التنمية والتصنيع وانشاء المفاعل النووى ·

ـ الهدف البعيد من رسالة كيندى لعبد الناصر ··

وظهر بعد مدة وجيزة من تسلم مصر رسالة كيندى أن نفس مضمون الرسالة أرسل لعدد من رؤساء الدول العربية وظهر ذلك جليا عندما اقترح الملك سعود دراسة مقترحات الرسالة الأمريكية فى مجلس الجامعة العربية وتم فى مجلس الجامعة دراسة هذه المقترحات مع باقى الرسائل التى أرسلت لباقى رؤساء العرب ، وكان الهدف البعيد أن يقوم العرب ـ ولو بغير مصر ـ بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وحدها لتنهار هذه القضية من أساسها ، لأن كيندى فى رسالته لعبد الناصر طلب أهمية التعرف على وجهة نظر مصر ، وكانت الجامعة العربية فى دراستها للموضوع تميل للوقوع فى الشرك الأمريكى بتصفية القضية الفلسطينية وبالقطع كانت المخابرات الأمريكية على علم برأى مجلس الجامعة العربية ·

وبذلك تأكد لأمريكا مقدما وجهات النظر العربية المؤيدة حتى قبل أن يصل رد الشخصية العربية العنيدة وهو رأى عبد الناصر الذى كان حتى وقتها يملك ويسيطر على رأى الشارع العربى ·

---

(١) نفس المصدر السابق ·

وتمهل عبد الناصر فى الرد على رسالة كيندى حتى تم له دراسة كل ما يحيط بها من ملابسات على ضوء معلومات وآراء مستشاريه ، وأكثر ما أزعج مصر من الموضوع برمته هو تأكد المخابرات الأمريكية من الروح الانهزامية بين معظم الدول العربية أعضاء الجامعة العربية والتى ظهرت أثناء دراسة الاقتراحات فى جلساتها المفتوحة .

وتعمد عبد الناصر فى رده الذى تم يوم أول أغسطس ١٩٦١ بعد حوالى سبعين يوما من رسالة كيندى التى كان تاريخها ١١ مايو ١٩٦١ ، أن يفصح أنه تم بعد التأنى فى دراسة متعمقة للموضوع برمته وأن قضية فلسطين بجانب أنها مشكلة عالمية الا أنها بالمقام الأول لها مكانة خاصة تمس العلاقات بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة وأمريكا ، ولكن الادارة الأمريكية كانت تجعلها دائما قضية شائكة وأن عبد الناصر لا يأمل فى احراز أى تقدم فى سبيل حلها ، ولذلك توسع عبد الناصر فى كتابة رده فى حوالى سبع عشرة صفحة وقام بشرح واف لحقائق القضية علها تساعد على تفهم الرئيس الأمريكى وبالتالى الادارة الأمريكية لأبعاد المشكلة، وتعمد عبد الناصر أن يشير فى خطابه للرئيس كيندى الى سابق رأى كيندى — وقبل توليه رئاسة أمريكا فى كتابه الذى ألفه عن « استراتيجية السلام » وظهر بوضوح فى كتابه رأى كيندى فى هذه القضية — وظهر للرئيس كيندى من مجمل رد عبد الناصر أنه لن يقبل بتسوية هذا الصراع العربى الاسرائيلى بما يتطابق مع المخطط الأمريكى على أساس أنها قضية لاجئين .

— الدعاية الأمريكية تركز هجومها على الجمهورية العربية المتحدة ..

وبأسلوب يدل على وقوف الادارة الأمريكية على تفاصيل الموقف العربى وما يجرى داخل دولة الوحدة من صراعات وقامت أجهزة دعايتها بالتركيز على مهاجمة مصر فى النقاط الآتية :

(أ) أن الجمهورية العربية المتحدة توقفت تماما عن التصدى بالسلاح لمحاولات اسرائيل فى موضوع تحويل مجرى نهر الأردن .

(ب) تصوير النظام الناصرى بأنه دكتاتورى ومتسلط وفرعونى داخل سوريا وزج بالأبرياء فى السجون .

(جـ) مساوىء القوانين الاشتراكية التى سلبت أموال الناس والتى أدت الى الاستهانة بالدين وتشجيع الالحاد .

- أزمة الكويت ٠٠ (٢٥ يونية ١٩٦١) :

بعد أن حصلت الكويت على استقلالها وجلاء القوات البريطانية ، تقدمت الكويت بطلب الانضمام لعضوية الجامعة العربية وأجمعت جميع الدول العربية بالترحيب بالكويت الا العراق ، فقام عبد الكريم قاسم يوم ٢٥ يونية١٩٦١ باعلان أنه سوف يصدر مرسوما جمهوريا باعتبار الكويت قضاء عرفيا تابعا للواء البصرة ، وأعلنت الكويت يوم ٢٦ يونية حالة الطوارىء وحشدت على حدودها ما لديها من قوات وأعلن عبد الكريم قاسم فرض حصار على الكويت لمنع المياه والمواد الغذائية عن الكويت ٠٠

٠٠ ثم أعلن عبد الناصر أن الجمهورية العربية المتحدة ترفض منطق الضم بين البلدان العربية بالقوة أو الغزو بهذا الأسلوب غير المشروع ٠٠

٠٠ وأبلغ عبد الكريم قاسم أمين عام الجامعة العربية بأن حكومته سوف تنسحب من الجامعة العربية اذا ما قبلت جامعة الدول العربية الكويت عضوا فيها ٠٠

٠٠ وأعلنت القاهرة استعدادها لارسال قوات الى الكويت للحفاظ على استقلالها ٠

٠٠ وتبعا للمخطط الأمريكى ٠٠

قامت اسرائيل بحشد قواتها على حدود سوريا يوم ٢٨ يونية ١٩٦١٠



المرحلة الرابعة من الثورة

« اصدار قوانين وتشريعات التغيير »

- اعلان القرارات الاشتراكية (١) ٠٠ (٢٢ يوليو ١٩٦١) :

فى احتفالات عيد الثورة التاسع - وفى يوم ٢٢ يوليو ١٩٦١ - أعلن عبد الناصر فى خطاب له القرارات الاشتراكية والتى بها أحدثت ثورة ٢٣ يوليو التغيير الجذرى فى شكل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر ، وأطلق على هذه التغييرات « الثورة الاجتماعية » ٠٠

٠٠ وجاء فى هذا الخطاب أن مصر قبل الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كان يسيطر عليها بصفة رئيسية الاحتلال البريطانى ونظام ملكى - كان

---

(١) مجموعة خطب الرئيس عبد الناصر - القسم الثالث - تجميع مصلحة الاستعلامات (فبراير ١٩٦٠ - يناير ١٩٦٢) من ص ٤٤٦ الى ص ٤٦٧ ٠

للاحتلال البريطانى الفضل فى بقائه على رأس البلاد ـ وكان الملك والاحتلال البريطانى يدعمان الاستغلال الاقطاعى والتحكم الرأسمالى على مجتمع الأغلبية المصرية ، وعن طريق الديمقراطية المزيفة التى تتحكم فيها الأحزاب السياسية التى تغرر بالشعب ، وكل ذلك كان فى خدمة المصالح البريطانية والنظام الملكى المظهرى ، أما الأحزاب فكانت تعبر بشكل رئيسى عن مصالح الأقلية المتحكمة عن طريق الاقطاع والرأسمالية على مجتمع الأغلبية ، وعندما قامت ثورة ١٩١٩ نادت بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، ولكن الحكام غرروا بالشعب المصرى وألهوه عن تحقيق الحرية السياسية الكاملة وعن تحقيق (١) الحياة الاجتماعية السليمة ، مما ساعد الاحتلال البريطانى على دوام بقائه فى مصر نحو سبعين عاما ٠٠٠

٠٠ أما ثورة ٢٣ يوليو فقد أدركت أهمية احداث التغيير الجذرى فى النظام الادارى المتحكم وخاصة بعد أن قام الاقطاع والتحكم الرأسمالى المصرى بعد الثورة بأقل من شهرين وأخذ يروج لفكرة ضرورة عودة الجيش الى ثكناته ليترك السياسة لأهل السياسة، وكان هدفه الأساسى هو تثبيت أقدام الاحتلال البريطانى سنده فى البقاء والذى لم يكن قد رحل بعد عن أرض مصر وبذلك يمكن أن يعود الاقطاع والرأسمالية للتحكم فى البلاد ولكن هذه النداءات لم ينخدع بها الشعب ٠٠٠

٠٠ لذلك قامت الثورة أولا بالتخلص من الملك ثم من الاحتلال البريطانى وبذلك أمكن التعامل مع دكتاتورية الاقطاع والرأسمالية ، وبغير ذلك كان لا يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية التى تنشدها الديمقراطية السليمة ٠٠٠

٠٠ ولأجل تحقيق التغيير الجذرى فى المجتمع بعد تسع سنوات من الثورة كان لزاما على النظام المصرى الجديد أن يصدر التشريعات والقوانين والقرارات التى تحقق العدالة الاجتماعية وهذه القرارات هى المعبرة عن تطلعات أغلبية الشعب المصرى بجميع طبقاته المظلومة (٢) والتى طال كفاحها من أجل الحصول على العدالة وبصفة رئيسية من أجل تجريد الاقطاع والاستغلال الرأسمالى من أسلحته ، لذلك فقد بدأت الثورة على طريق التغيير بتحديد الملكية الزراعية ٠

ثم قامت الثورة بالتمصير واستولت لصالح مصر على عناصر الانتاج الذى كانت تتحكم فيه الرأسمالية الأجنبية وقليل من عناصر الرأسمالية

---

(١) ، (٢) نفس المصدر السابق ٠

المصرية ، ثم قامت الثورة بتخصيص نسبة من أرباح هذه المؤسسات والشركات والمصانع لتعود على العاملين فى هذه المشاريع الرأسمالية ، وبذلك تحولت طبقة الأجراء الى طبقة تتمتع بحقها فى الحياة ٠

وازاء تحكم الرأسمالية الأجنبية فى الاقتصاد المصرى وبالتالى فى الحياة السياسية المصرية ، اضطرت الثورة فى سنة ١٩٥٦ الى تأميم أموال الانجليز ومؤسساتهم وأموال ومؤسسات الفرنسيين وخاصة تأميم قناة السويس ، ثم جاء الدور على المؤسسات البلجيكية فى آخر عام ١٩٦٠ على اثر قطع بلجيكا علاقاتها مع مصر التى قامت بواجبها التحريرى فى مساعدة الثوار الأحرار الأفريقيين فى الكونغو ، وظهر عند مراجعة أوضاع هذه المؤسسات الاقتصادية الغربية أثناء العدوان الثلاثى أنها كانت قادرة أن تحدث انهيارا كاملا لاقتصاد مصر وبذلك يمكنها ارغام مصر على الاستسلام والخضوع دون استخدام القوة العسكرية لتحقيق ما كان يرغب فيه ، وكان لابد من أن تملك مصر ارادتها وتحرر نفسها وأن تعمل على تحرير اقتصادها من هذه السيطرة الأجنبية ٠

ثم قامت الثورة بتأميم مؤسسات (١) بنك مصر والبنك الأهلى ثم الصناعات المصرية الكبيرة وأصبحت كلها ملكا للأمة بعد أن كانت ملكا لعدة أشخاص وعائلات تتحكم فى الحياة الاقتصادية والسياسية فى البلاد ٠

وأعلن عبد الناصر فى هذا الخطاب : « أنه منذ ثلاثة أيام قبل الخطاب أممت الحكومة المصرية ٤٠٠ مؤسسة صناعية وتجارية واقتصادية وأصبحت كلها داخل القطاع العام ، ويعنى هذا تحويل الملكية الرأسمالية المستغلة الى ملكية عامة للشعب أى ملكية مشتركة للشعب لأن النظام المصرى الجديد يعتبر أن الملكية ما هى الا وظيفة اجتماعية » ٠

وأعلن فى هذا الخطاب القرارات والخطوات الايجابية اللازمة لاقامة المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، فأعلن اشراك العمال فى ادارة المؤسسات والمصانع والشركات المؤممة وتخصيص نسبة من أرباحها لتعود على العاملين بها سواء فى مجال زيادة الأجور أو فى الصرف على الخدمات الاجتماعية للعاملين ٠٠٠

ثم أشار الى ضرورة وضع خطة لمضاعفة الدخل القومى لأجل تحقيق الرفاهية اللازمة ، وبذلك يتحقق أهم عنصر من عناصر الحياة الاشتراكية وهى الكفاية وفى نفس الوقت أكد على ضرورة تحقيق عدالة التوزيع وهو العنصر الثانى من عناصر هذا النظام الاشتراكى والذى أعلن عن أن هذا

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

النظام يحترم الملكية الفردية (١) ولكن بعد اعادة تنظيمها بحيث لا تعود الى الاستغلال مرة أخرى ·

ولذلك أعلن عن تجربة الغاء الربا والفـائدة وبدأ ببنك التسليف الزراعى التعـاونى ليقوم بتسليف الفلاحين فى مجـال الشئون الزراعية الضرورية وبدون فائدة ·

ونبه عبد النـاصر الشعب المصرى بأن العنـاصر المتضررة من هذه القرارات سوف تدعى ـ بحجة دفاعها عن الاسلام ـ أنها مخالفـة للدين وللشرع بعكس ما يقره الدين الاسلامى الذى دعا اليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذى نادى بصفة رئيسية بأهم مبدأ من مبادىء الحياة الاشتراكية وهى المساواة وعدم الاستغلال والى العدل وتحرير الانسان من الخوف على لقمة عيشه عن طريق فرض الزكاة وتعاون الأغنياء على اعانة الفقراء وأن الاسلام فى سنوات القحط دعا الى سياسة التأميم والمشاركة فى عناصر الانتاج « الماء والكلأ والنار » ·

وبهذه القرارات يمكن ازالة الفوارق بين الطبقات وبالتالى يتحقق التغيير السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وعن طريق التخطيط السليم يمكن الارتفاع بمستوى المعيشة وذلك باصلاح الأراضى الجديدة بما يتمشى مع الزيادة السكانية ، ولكل ذلك كانت الدعوة الى وضع خطة وهى ما أطلق عليها فيما بعد بالخطة الخمسية الأولى ·

★★★

ـ الأوضاع الداخلية فى الاقليم الشمالى « سوريا » ···

(أ) تسلسل الخلافات وتصاعدها :

منذ بداية ممارسة أعمال اللجنة (٢) الثلاثية برئاسة عبد اللطيف البغدادى فى يناير ١٩٥٩ ، لمست اللجنـة مدى ما يتمتع به عبد الحميد السراج من سلطات واسعة فى سوريا ومدى قبضته البوليسية على الشعب السورى والذى بدأ يتململ وخاصة عندما حاول وفـد من أفراد الشعب اللجوء الى اللجنة الثلاثية لشرح وجهة نظرهم من قانون الاصلاح الزراعى وعدم ارتياحهم لهذا القانون ، وقام عبد الحميد السراج باعتقالهم واعتقال بعض المزارعين لأنهم رغبوا فقط فى مقابلة أعضاء اللجنة وعقب ارسالهم

---

(١) نفس المصدر السابق من ص ٤٤٦ الى ص ٤٦٧ ·

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ·

برقيات الى جمال عبد الناصر بعد أن منعهم عبد الحميد السراج من مقابلة اللجنة ·

كما قام عبد الحميد السراج بفصل سبعين موظفا من موظفي وزارة الحربية بسوريا بحجة أنهم من البعثيين والذين حظر القانون نظامهم السياسى ، وبذلك بدأ زعماء البعث السابقين فى اثارة الشعب ضد عبد الحميد السراج وبالتالى ضد الوحدة ·

(ب) البعث يتحول الى النشاط السرى :

منذ استقالة وزراء البعث تعذرت اللقاءات العلنية للبعثيين فعمدوا الى ممارسة النشاط السرى ضد الوحدة وتزعم هذا النشاط أكرم الحورانى وقام صلاح البيطار وميشيل عفلق بنقد نظام الوحدة وعقدوا اجتماعات سرية بعد ظهر كل يوم جمعة وأعادوا بناء الحزب بالأسلوب السرى ، وغادر ميشيل عفلق دمشق الى بيروت وقامت القيادة القومية لحزب البعث بالاجتماع فى جبل لبنان فى شهر سبتمبر ١٩٦١ وحضر الاجتماع صلاح البيطار وعبد الغنى قنوت عن سوريا ، وفيصل الخيزران عن العراق ، وغسان شرارة عن لبنان ، وحاول مندوب الجزائر بالوساطة بين بعث سوريا والرئيس جمال عبد الناصر ولكن الانفصال لم يمهله لأداء هذا الدور ·

(ج) دور العناصر القومية (١) :

فى هذه الفترة بدأت الشخصيات القومية تتذمر هى الأخرى رغم تأييدها المطلق لعبد الناصر وذلك نظرا للضغوط التى يمارسها عليهم المسئولون السوريون من اعتقال وايقاف مثل ما حدث مع رئيس الغرفة الزراعية عندما صرح بأن عبد الناصر يهمه أن يتعرف على المشاكل فى سوريا ·

(د) تذمر الجيش :

انتشرت روح التذمر بين ضباط الجيش الأول السورى بسبب عمليات التطهير التى أجراها المشير عبد الحكيم عامر والتى لم ترض (٢) عبد الحميد السراج نفسه لأن المشير عامر لم يأخذ رأيه فيها ···

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ــ للسيد / صلاح نصر ــ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ·

(٢) المصدر السابق ــ من ص ٥٩ ــ ٦٥ ·

في نفس الوقت غضب جانب كبير من كبار ضباط الجيش السورى من تولى بعض المصريين مراكز القيادة في الجيش وانفرادهم ببعض الامتيازات دون زملائهم السوريين ·

كما انتشر التذمر بين الضباط الموالين لعفيف البزرى بعد قبول القاهرة لاستقالته عندما حاول السيطرة على الجيش باجراء حركة تنقلات لخدمة أغراضه الانفصالية في المستقبل ·

(هـ) تفويض عبد الحكيم عامر ·· (أكتوبر ١٩٥٩)

في أكتوبر ١٩٥٩ ، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتعيين المشير عبد الحكيم عامر حاكما عسكريا عاما لسوريا وفوضه سلطات رئيس الجمهورية كما فوضه في الاشراف على انتخابات لجان الاتحاد القومى هناك — وكان عبد الحميد السراج قد سبق واختار هذه اللجان بصفته سكرتيرا للاتحاد القومى العام ورئيسا للاتحاد القومى فى الاقليم السورى ·

وأظهر عبد الحميد السراج ارتياحه لقدوم عبد الحكيم عامر لأنه بالقطع سينتهى على يديه خروج البعث من الحكم في سوريا وكان يفضل أن يكون بعيدا عن هذه المعركة السياسية ، وبدا متعاونا مع عامر الى أن تفجر الخلاف بين عبد الناصر والبعث وتحقق أمله في التخلص من البعث بعد اضطرار الوزراء البعثيين للاستقالة ولكن التشكيل الوزارى الجديد تعمد فيه عبد الناصر أن يكون متوازنا ، وبدأ الخلاف يتصاعد نتيجة تصادم الاختصاصات الموكلة اليهما من عبد الناصر ·

وزاد حدة الخلاف أن عبد الناصر كان يشجع (١) عبد الحميد السراج وبدون علم عبد الحكيم عامر على تكوين تنظيم سرى داخل الاتحاد القومى يصلح لتولى القيادات بعد فترة لأنه سيكون أكثر ولاء للوحدة من الأعضاء المنتخبين أو المعينين،وبدأ عبد الحميد السراج يشجع أتباعه في أجهزة المباحث والمخابرات والاعلام على نقد سياسة المشير عامر والتشهير بأسلوب عمل مكاتبه حتى (٢) مستوى اثارة النعرات الاقليمية ، كما أوعز الى الوزارات والمصالح بعدم الرد على مكتب المشير للشكاوى ، وتعمد التعنت مع المصريين في تفتيشهم بأسلوب استفزازى عند وصولهم الى سوريا أو الخروج منها ، وأخطر ما جاء فى حملة عبد الحميد السراج هو بث الشائعات حول مصر والمصريين ووصفهم بالاستعمار المصرى ·

---

(١) المصدر السابق — من ص ١٩٧ — ١٩٨ ·

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة — للسيد / صلاح نصر — ص ٢٠٩ — ٢١١ ·

وازاء تصرفات أجهزة السراج المتشددة والظالمة مع المواطنين السوريين اتجه المواطنون بالشكوى الى مكتب المشير عامر مما اضطر المشير عامر الى مراجعة السراج واعتبر السراج ذلك تدخلا فى اختصاصاته وتعديا على سلطاته ، ومن هنا بدأ الصدام والخلاف يتفاقم ولغير مصلحة الوحدة ٠

وفى هذه الفترة كان الشعب(١) فى سوريا كثير الشكوى والتبرم من أسلوب السراج فى ادارة شئون وظائفه وبدأت الشائعات تتردد أن شعب سوريا لديه الرغبة فى انفصال لأن ما يجرى بسوريا سيؤدى فى النهاية الى هذا الانفصال ٠

وكانت أخبار هذه الشائعات تصل الى الرئيس عبد الناصر ولكنه كان يستهين بها معتقدا أن شعبيته كفيلة بضمان الاستقرار هناك رغم مظاهر التدهور الخطيرة ٠

وأعلنت القرارات الاشتراكية فى ٢٢ يوليو ١٩٦١ وشملت عددا كبيرا من الشركات الصناعية والمؤسسات التجارية فى سوريا كما تقررت زيادة الضرائب على الدخول كما حدث فى مصر ولكن غالبية السوريين كانوا يملكون معظم هذه الشركات والمؤسسات بخلاف الوضع فى مصر حيث كانت المصالح الأجنبية والمتمصرة يملكها أجانب أو متمصرون وفى سهولة تم تمصيرها ، أما فى سوريا فان ملاك المؤسسات والشركات والمصانع كانوا جميعهم سوريين ومستمرين فى نشاطهم حتى وقت صدور القرارات الاشتراكية ، وكان وقع هذه القرارات عليهم شديدا وتسببت هذه القرارات الاشتراكية لهم فى حالة من الضيق والتذمر خاصة من الجهاز الادارى السورى الذى كان يتصرف معهم بأسلوب قهرى ، وازاء تصاعد الشكوى من تصرفات عبد الحميد السراج ظهرت ظاهرة الاقليمية وتأزم الموقف فجأة بعد التشكيل الوزارى فى صيف ١٩٦١ والذى عين فيه عبد الحميد السراج فجأة ليكون نائبا لرئيس الجمهورية (٢) لشئون الأمن الداخلى على أن يكون مقره القاهرة وكان واضحا من ذلك الدلالة على تعمد ابعاده من سوريا ٠

(و) التنظيمات السرية بالجيش السورى (٣)

وفى هذه الفترة وما قبلها وفى ظل الأوضاع غير المستقرة فى سوريا بصفة عامة وفى الجيش السورى بصفة خاصة تكونت عدة تنظيمات

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى — جزء ثان — ص ٧١ ، ٧٢ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى — جزء ثان — ص ٧٤ ٠

(٣) عبد الناصر وتجربة الوحدة — للسيد / صلاح نصر — ص ٢٤٢ — ٢٤٦ ٠

سرية داخل الجيش السورى لتعمل جميعها ضـــد الوحدة وأخذت تدبر لاحداث الانفصال ــ ومنها :

١ ــ تنظيم حيدر الكزبرى :

وكان هذا التنظيم فى وحدات البادية المحمولـة وبعض العنـاصر البعثية المتعاملين مع الضابط حيدر الكزبرى والموزعين فى بعض القطاعات القريبة من دمشق ، وكان الكزبرى على اتصال مع المخابرات الأردنية بحجة الحصول على معلومـات لصالح ولحساب عبد الحميد السراج ولكنـه فى نفس الوقت كان يعمل لحساب نفسه وبصفة خاصة ضد الوحدة ولحساب المدبر الرئيسى للانفصال الضابط عبد الكريم النحلاوى والذى كان يشغل منصب كاتم أسرار الجيش السورى ٠

٢ ــ تنظيم أكرم ديرى :

بعد التعديل الوزارى فى أغسطس ١٩٦١ ، استبعد الضابط أكرم ديرى من الجيش وكان غير راض عن منصبه الجديد وكان من زمرة ما يطلق عليهم الضباط الشوام وكانت له علاقات ودية مع حيدر الكزبرى ويعلم بتحركاته الانفصالية ، واستمر أكرم ديرى فى اتصالاته العسكرية وجعل من هذه المجموعـة العسـكرية ركيزة له فى هذه المرحلة القلقـة من حياة الوحدة ، وكان هو والسراج غير راضيين عن التعديل الوزارى الجديد وبدأ الاتصـــال بينهما واتصـــلا هما في سبتمبر ١٩٦١ بجمال فيصل قائد الجيش ــ الأول الضعيف الشخصية ــ لمحاولة مقاومة السيطرة المصرية على سوريا وتجاوب معهما جمال فيصل وعارضهما فى مجرد التفكير بالقيام بأى عمل مسلح ٠

٣ ــ تنظيم عبد الله الشيخ عطية :

كانت هذه المجموعة حريصة على الوحدة ولكنها كانت تخشى من تطور حالة القلق فى المجتمع السياسى والعسكرى السورى الى مستوى الخطورة ، ولذا كانوا يعملون جاهدين على معالجة هـذه المشـكلات بحسم الأمور فى اصلاح الجيش واتصلوا ــ بسذاجة ــ بكبار المتآمرين على الوحدة : أكرم ديرى وعبد الكريم النحلاوى ٠

٤ ــ تنظيم عبد الكريم النحلاوى :

وكان هذا هو أخطر التنظيمات السرية داخل الجيش السورى وكان وقتها يشغل المنصب الذى مكنه من اعادة توزيع العناصر اللازمة للانقلاب

ووضعهم فى المناصب الحساسة للسيطرة على القوة اللازمة لاجراء الانقلاب وكان تنظيمه يضم أكثر التشكيلات العسكرية قوة وقدرة فكان يشمل الوحدات المتمركزة فى المنطقة المركزية « قطنة والقابون والكسوة » ، وكان له تأثير على قائد الجيش ـ الضعيف الشخصية ـ جمال فيصل ، وتمكن من اجراء التنقلات داخل الجيش والتى ضمن بها النجاح والسيطرة وعندما شعر بخطورة تنظيم عبد الله الشيخ لميوله الوحدوية نقله من سوريا ملحقا عسكريا فى الكويت وقام بتشتيت مجموعته ، كما أمكنه أن يغرر بعبد الحميد السراج وبقائد الجيش جمال فيصل ٠

(ز) موقف عبد الحميد السراج :

وكان عبد الحميد السراج فى هذه الفترة موتورا من أوضاع الوحدة وعلى علم بمعظم نشاط هذه التنظيمات ولم يبلغ الرئيس عبد الناصر عن خطورتها ٠

ـ التحصن مع دول العالم الثالث ٠٠

ترك مقتل لومومبا أثرا بالغا من الحزن والغضب على معظم زعماء دول العالم الثالث وتبادلوا الخطابات والاتصالات وتناولت هذه الاتصالات التفكير فى تحقيق مزيد من التضامن والتكاتف حتى يمكن لهذه البلاد استئناف كفاحها لتحقيق استقلالها وحريتها وحرية ارادتها فى مواجهة ضراوة التصرفات الاستعمارية الخفية والعلنية والتى وصلت لدرجة القتل ٠

ـ مؤتمر دول عدم الانحياز ٠٠ « بلجراد » ٠٠ (١ ـ ٦ سبتمبر ١٩٦١)

وكان من نتيجة الخطابات والاتصالات بين عبد الناصر ونهرو وتيتو ونكروما هو الخروج باطار عام لامكان عقد اجتماع لدول عدم الانحياز بشكله ومحتواه ، واقترحت مصر ويوغوسلافيا ـ حيث كان تيتو مجتمعا مع عبد الناصر فى الاسكندرية فى منتصف ابريل ١٩٦١ ـ واقترحتا دعوة عدد من الدول تضم : أفغانستان ـ بورما ـ كمبوديا ـ سيلان ـ الهند ـ الصومال ـ السودان ـ المغرب ـ العربية السعودية ـ العراق ـ اليمن ـ البرازيل ـ فنزويلا ـ كوبا ـ المكسيك ، واقترح نهرو اضافة دول أخرى اعتبرها منحازة وأنه لا يوجد أى سبب وجيه لاستبعادها مثل : نيجيريا ـ ليبيريا ـ ليبيا ـ تونس ـ السنغال ـ لبنان ، ومن الدول الأوربية : النمسا ـ السويد ـ فنلندا ـ ايرلندا ، ومن أمريكا اللاتينية : الأرجنتين وشيلى ، وعموما يمكن اعتبار البلدان غير المرتبطة بأى أحلاف عسكرية دولا غير منحازة ٠

وانعقد في القاهرة في شهر يونية ١٩٦١ مؤتمر تحضيري لقمة عدم الانحياز ، ثم تم اجتماع القمة في بلغراد في المدة من ١ ـ ٦ سبتمبر ١٩٦١ ودعى الى مؤتمر القمة حكومة الكونغو الجديدة وذهب الى بلغراد كل من : سيرل أدولا رئيس الوزراء وأنطوان جيزنجا نائب رئيس الوزراء وزعيم اللومومبيين الثوار والتقى بهما عبد الناصر في بلغراد كل على انفراد ·

ـ نداء من أجل السلام ··

استقر الرأى في المؤتمر على اصدار نداء الى القمة الدولية من أجل السلام ، وكلف المؤتمر رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو بصياغة النداء، وقام الرئيس الأندونيسي سوكارنو والرئيس موديبوكيتا بتسليم هذا النداء باليد الى رئيس الولايات المتحدة في واشنطون وقام نهرو ونكروما بتسليمه باليد الى زعيم الاتحاد السوفييتي ، سعيا الى تحقيق السلام ·

وكانت قرارات المؤتمر تدعو الى الابتعاد عن عقد التحالفات والاتفاقيات العسكرية ومواثيق الدفاع المشترك مع الكتل الدولية ·· كما تدعو الى :

١ ـ انتهاج سياسة مستقلة مبنية على التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية المختلفة ·

٢ ـ التأييد لحركات التحرر الوطنى ·

٣ ـ الامتناع عن عضوية أى حلف عسكرى يهدف الى الصراع بين الدول الكبرى ·

٤ ـ عدم الموافقة على اقامة قواعد عسكرية في أراضى دول عدم الانحياز للدول الأجنبية الكبرى ·

وأخرج المؤتمر الى الوجود فكرة وحركة عدم الانحياز وكان هذا بمثابة ظهور تجمع دولى يلتزم بمجموعة من المعايير القادرة على جعل هذه المجموعة قادرة على اتخاذ مواقف لصالحها داخل الأمم المتحدة أو خارجها وقادرة على مواجهة ما يضرها من سياسة الحرب الباردة وبطبيعة الحال فان كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى لم يكن أى منهما راضيا عن ظهور مثل هذا التكتل لأن الصراع بين هاتين القوتين العظميين كان ينحصر في محاولة كسب ولاء شعوب دول عدم الانحياز وليس وقوفها الى حد ما كند قوى ·

وأخذ دور هذه الحركة الجديدة في النمو والتزايد وتسبب في حرمان القوتين العظميين من جانب كبير من مجال عملهما في العالم وعدم

ترك المجال الدولي حكرا على الدول الكبرى فقط التي تملك عنصر السيطرة وهي الأسلحة الذرية لتتحكم في باقي شعوب العالم ، وبذلك فقد كان من نتيجة هذا التكتل الجديد هو امكان التحصن والمقاومة وفرض مكانة وارادة جديدة في المجال الدولي للدول الصغيرة والمستقلة حديثا للدفاع عن مصالحها لأجل تحقيق أهدافها نحو الاستقلال وتحرير ارادتها والخروج من دوائر التبعية والتي كانت الدول العظمى تخطط وتدبر لفرض هذه السيطرة والتحكم في هذه الشعوب بأسلوب استعماري جديد بلغ قمة خطورته في الكونغو بعملية اغتيال الزعيم لومومبا رئيس وزراء الكونغو الوطني عندما وقف في وجه هذه التدخلات الأجنبية في صميم السياسة الداخلية للكونغو .

★★★

ـ مقدمات الانقلاب في سوريا (١) ..

أثناء وجود عبد الحميد السراج في القاهرة لممارسة واجبات منصبه الجديد نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلي ـ في صيف١٩٦١ ـ كان عبد الحميد عامر في سوريا مفوضا باختصاصات رئيس الجمهورية وأصدر أمرا باعادة انتخاب اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي وأمر بعدم اذاعتها حتى لا يتسبب ذلك في خلافات حيث لم يكن ـ حتى اصدار هذا الأمر ـ قد صدر قرار بالغاء القرار السابق باشراف عبد الحميد السراج على الاتحاد القومي ، في الوقت الذي صدر فيه قرار لعبد الحكيم عامر باشرافه العام على الاتحاد القومي وكان هذا قمة التضارب .

كما أصدر وأذاع أيضا عبد الحكيم عامر قرارا يؤمن فيه الأهالي في سوريا على حرياتهم وأنه لن تتخذ أية اجراءات تمس حرياتهم بالحبس أو الاعتقال الا بعد اجراء تحقيق بمعرفة النيابة العامة ، وكان صدور واذاعة هذا القرار بهذه الصيغة فيه تلميح صريح أن الحريات في سوريا لم تكن متوفرة من قبل ، واعتبر هذا القرار ادانة لعبد الحميد السراج لأنه كان المسئول عن هذا الوضع قبل تعيينه بمنصبه الجديد في القاهرة .

ولتنفيذ هذا القرار أصدر عبد الحكيم عامر الأوامر الادارية الواجبة وذلك بنقل ضباط المكتب الثاني (المخابرات) في سوريا ممن كانوا يعملون مع السراج عندما كان وزيرا للداخلية في سوريا وكان السراج يعتمد عليهم في تنفيذ أوامره وأعطاهم الحرية الكاملة في التصرف مما تسبب عنه أضرار بالغة هددت أمن السوريين ، فقد كانت سوريا في هذا الوقت

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادي ـ جزء ثان ـ ص ١٠٨ ـ ١١٦ .

العصيب ـ بصفة عامة ـ يشوبها الفوضى (١) والاضطراب ، وكان الاتحاد القومى يحرض على المظاهرات المعادية لعبد النـاصر ويروج الشائعـات ، وكان من رأى المشير عامر ـ والذى أبلغه الى الرئيس عبد الناصر ـ أن حالة الفوضى التى تسود سوريا قد تهيىء لقيام الجيش بانقلاب معاد للوحدة ، كما كانت المعلومات قد توفرت بأن الرأسماليـة السورية ازداد نشاطها المعادى للوحدة بعد صدور القرارات الاشتراكية ، وأن الشركة الخماسية وهى مؤسسة صناعية تمتلكها خمس أسر من أثرياء سوريا كانت تمول مؤامرة بهدف الانفصال ٠

وتحوطا لأية مفاجآت قام المشير عامر بتحريك بعض وحدات الجيش الى مدينة دمشق لتعزيز حراسة المنشآت وللمحافظة على الأمن ٠

وتبرم السراج من قرارات عامر التى أعلنها فى دمشق واعتبرها تمسه شخصيا فبادر بالسفر من القاهرة ـ مقر عمله ـ الى دمشق يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦١ دون استئذان من رئيس الجمهورية ٠

وفى دمشق قام السراج بدعوة للجنة التنفيـذية للاتحاد القومى ، وحرضهم على اصدار قرار يلغى قرارات عبد الحكيم عامر بحجة أنها تخالف قرارهم السـابق وحرضهم على ضرورة التمسك به أى بالعـودة الى حالة الاعتقالات الجزافية دون تحقيق من النيابة العامة ٠

واستدعى جمال عبد الناصر كلا من عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج الى القاهرة ورفض السراج السفر ولكنه نفذ ذلك بعد أن هدده الوزير السورى الجنيدى باستخدام العنف ، وقال عبد الحميد السراج وهو تحت ظـروف التهديـد : « أنه يمكنه اخراج عبد الحكيم عامر من سوريا بالبندورة (الطماطم) » ٠

وعند مقابلة السراج للرئيس عبد النـاصر فى القاهرة ، أصر على ضرورة الغاء قرار نقل ضباط المكتب الثانى ، ورفض عبد النـاصر هذا الطلب حيث ان هؤلاء الضباط كانوا قد قاوموا أمر نقلهم بأسلوب أقرب ما يكون الى التمرد برفـع مسدساتهم فى وجـه مندوب عبد الحكيم عامر عندما أبلغهم بقرار النقل واعتصموا داخل مبنى وزارة الداخلية ٠

وانصرف عبد الحميد السراج على وعد باستئناف الاجتماع مرة أخرى مع الرئيس عبد الناصر يوم ٢٥ سبتمبر ولكنه فجأة بادر بارسال استقالته وقبلها عبد الناصر وتم اعلان قرار قبول الاستقالة مساء ٢٥ سبتمبر وعاد

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ٣٦٥ ٠

عبد الحكيم عامر وكذلك عبد الحميد السراج الى سوريا ظهر نفس اليوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦١ .

وفى يوم ٢٧ سبتمبر ، أوفـد عبد الحكيم عامر رئيس المخابرات العامة « صلاح نصر » — وكان يرافق المشير عامر بمقر قيادته بدمشق — أوفده للسفر الى القـاهرة لشرح الموقف المتأزم (١) وطلب المشـير من الرئيس عبد الناصر أن يصدر أوامره بسحب السراج من دمشق ، ومنحه سلطات واسعة تمكنه من السيطرة على سوريـا سواء بالقوات المسلحة وأجهزة الأمن والتنظيم السياسى ..

.. وقبل منتصف ليلة الأربعاء ٢٧ سبتمبر اتصـل المشير عامر بالرئيس عبد الناصر وأبلغه أن كل شيء هادىء فى سوريا .

— الانفصـــال .. (ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٦١) (٢)

أثناء تحرك قوات الانقلاب فى اتجاه دمشق — وقبـل أن تبلغها — كانت شعبة المخابرات العامة بقيادة العقيد السورى محمد الاستنبولى قد علمت بالتحرك وأبلغ المشير عامر وقام عامر بدوره بتبليغ قائد الجيش جمال فيصل للاستعداد الفورى كما طلب المشير جميع الوزراء العسكريين للاجتماع معه فى القيادة ..

.. وكانت قوة من الوحدات العسكرية السورية من قوات البادية قد قامت بالتحرك من منطقة الصمير فى اتجاه دمشق تحت قيادة حيدر الكزبرى وهدفها استراحة المشير عامر لقتله ..

.. وتحرك اللواء الأول من قطنة وهو أقوى لواء فى الجيش محمولا ومعه دبابات ومدفعية ميدان ومدفعيـة مضادة للطائرات وعلى رأس هذا اللواء مهيب الهندى رئيس الأركان وهو صهر عبد الكريم النحلاوى ..

« كان النحلاوى من قبل الانقلاب وبصفته عنصرا عاملا داخل مبنى القيادة قد عمل على تجنيد سرية الحراسة فى مبنى القيادة وعندما وصلت قوات الانقلاب الى مبنى القيادة قام قائد قوة الحراسة بجمع أفراد قوته — بعـــد أن كانت منتشرة على ســـطح مبنى القيـــادة وكذلـــك فى الساحة — وأدخل أسلحتها الى مخزن السلاح ، الأمر الذى جعل المشير عامر وقيادة الجيش الأول بكاملها مجردة من أى قدرة على الدفاع » .

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة — للسيد / صلاح نصر — ص ٢٦٥ .
(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة — للسيد / صلاح نصر — ص ٢٥٥ — ٢٥٧ .

وأحاط اللواء بمبنى القيادة ومبنى الاذاعة ومبنى الهاتف وقام بتأمين مداخل دمشق ومكن ذلك النحلاوى وضباطه من الدخول الى أحد أجنحة القيادة (١) وبفضل تآمرهم مع سرية الحراسة أمكنهم السيطرة الكاملة على كل مداخل مبنى القيادة ٠

وقرب الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة سمع تبادل اطلاق النار فى استراحة المشير ، وفى الساعة الرابعة صباحا وصلت دبابات اللواء الأول الى مبنى الأركان ٠

وصدرت الأوامر من النحلاوى بالقبض على الضباط المصريين العاملين فى وحدات الجيش السورى ٠

أما الطيران السورى ، فكان معدا تحت قيادة العقيد موفق عصاصة ـ من أعوان النحلاوى ـ حيث تمكن من جعله فاقد القدرة على أى عمل أو تحرك ضد الانقلاب ٠

فى الساعة الرابعة صباح ٢٨ سبتمبر اتصل المشير عامر بالرئيس عبد الناصر وأبلغه عن وقوع انقلاب وظل الاتصال التليفونى مستمرا الى أن اقتحم بعض أفراد الانقلاب الغرفة التى بها الجهاز اللاسلكى ٠

ـ الموقف فى القاهرة ٠٠

وكانت المعلومات التى توفرت لدى (٢) مكتب رئيس الجمهورية حتى ساعة مبكرة من صباح الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، هى أنه وقع انقلاب فى سوريا فى الساعة الرابعة صباحا وأن قوات الانقلاب حاصرت مبنى القيادة العسكرية بدمشق واستولت على دار الاذاعة وحاصرت الموانى والمطارات وأغلقت مداخل دمشق ، وأن عبد الحكيم عامر والوزراء السوريين هناك محاصرون داخل مبنى القيادة وأن مجلس قيادة الانقلاب أصدر أربعة بيانات أذيعت من محطة اذاعة دمشق فى السابعة صباحا (٣) :

ـ كان البيان رقم (١) يدعى « أن الجيش السورى قام بانتفاضة وطنية لا صلة لها بشخص أو بفئة معينة وانما هدفها تصحيح الأوضاع غير الشرعية » ، وموقعا باسم (القيادة الثورية العليا للقوات المسلحة) ٠

ـ أما البيان رقم (٢) فقد وضحت فيه نية المتآمرين ازاء الوحدة ، وجاء فيه ما يدل على الانفصال حيث ذكر كلمتى مصر وسوريا كل منهما

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١١ ٠
(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١١ ٠
(٣) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ٢٦٧ ٠

على حدة ومنفصلا عن الآخر ، وهاجم القرارات الاشتراكية وأنها خادعة تهدف الى خديعة الكادحين من أبناء الأمة ٠

ـ ثم صدر البيـــان رقم (٣) يؤكد أن المتمردين يسـيطرون على الموقف ٠

ـ أما البيان رقم (٤) فقـد ذكر أنه « تم اغلاق كافـة المطارات والموانىء السورية اعتبارا من صدور البلاغ وحتى اشعار آخر » ٠

ثم توالت البيانات بعد ذلك وكلها كانت تؤكد على أن الأمور فى كل سوريا قد استولى عليهـا الجيش وأن المشير عامر لن يسمح له بمغادرة سوريا فى الوقت الحاضر وأن الانقلاب قام من أجل الوحدة العربية المقدسة ودفاعـا عنها ، وفى نفس الوقت كانت تهاجم بوضـوح الوحدة العربية والجمهورية العربية ، وأنكرت كل ما قامت به حـركة الوحـدة العربية وخاصة القرارات الاشتراكية ٠

وعلى اثر علم جمال عبد الناصر بأخبار الانقلاب (١) ، قام باستدعاء أعضاء الثورة السابقين ٠٠٠٠

٠٠ ثم ذهب الى الاذاعة وألقى بيانا بها صباح يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلن فيه : « أنه متمسك بالوحدة للنهاية وأنه لا يفكر اطلاقا فى اعلان حل الوحدة التى جاءت نتيجة كفاح طويل ونتيجة تضحيات ومعاناة مع الاستعمار واسرائيل والرجعية العربية ودعا الشعب العربى فى كل مكان لتقدير خطورة الموقف وخطورة هذا الانقلاب والذى سوف لا يخدم الا أعداء القومية العربية وهى اسرائيل والاستعمار والرجعية العربية » ٠٠٠

٠٠ وبعد اذاعة بيانه توجه عبد الناصر (٢) رأسا الى مبنى قيادة الثورة ولم يعد الى منزله ، واجتمع هناك مع أعضاء مجلس الثورة السابقين ومع الوزراء السوريين الموجودين بالقاهرة ومع قادة الجيش ، وعلم فور وصوله الى مبنى القيادة أن منطقتى حلب واللاذقية كانتا لا تزالان على ولائهما للوحدة وأن القائد البحرى كامل زيتونة ـ المؤيد للوحدة ـ لازال مسيطرا على اللاذقية وأن الاضطرابات لازالت تسود كل المدن السورية نتيجة احتكاك المتمردين والجيش بالمتظاهرين المؤيدين للوحدة والمعارضين للانفصال وكلها كانت اندفاعات شعبية غاضبة ، واستمرت اذاعة حلب فى اذاعة بيانات تهاجم الانفصال ٠٠٠

---

(١) بيان الرئيس عبد الناصر صباح ٢٨ سبتمبر ٦١ ـ تجميع الاستعلامات ـ القسم الثالث ـ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٧ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١٢ ٠

.. لكل ذلك اتخذ عبد الناصر قراره بارسال قوات الى سوريا ، وأن ذلك ان تم سيسافر هو شخصيا الى هناك ، لأن ذلك سيغير الموقف تماما ....

.. ثم أصدر الرئيس عبد الناصر بوصفه (١) القائد الأعلى للقوات المسلحة أمرا بعزل قادة المتمردين وتجريدهم من رتبهم واعفاء ضباطهم وجنودهم من أى ولاء لهم ....

.. واستمر اتصال عبد الناصر بالمشير عامر تليفونيا ولاسلكيا ، وعن طريق جهاز اللاسلكى أبلغه عبد الحكيم عامر أنه قابل النحلاوى بناء على رغبته وبعد أن أعلن أنه قام بهذه الحركة حرصا على وحدة الاقليمين وعلى الاعتراف برئاسة عبد الناصر للجمهورية وبقيادة عبد الحكيم ونفى أن تكون هذه الحركة هدفها أى غرض آخر انفصالى ، وطلب منه المشير عامر سحب دباباته بعيدا عن مبنى القيادة ، وفى نفس الوقت طلب النحلاوى من المشير أن يوضع خارج مبنى الأركان ومع الوحدات المحاصرة والتى ابتعدت قليلا ببعض الرهائن المصريين وحددهم باللواء القاضى والعقيد أحمد زكى ووافقه المشير على ذلك ، وراجع الرئيس عبد الناصر المشير فى فى ذلك وقال له : « كان يجب التمسك بضرورة انسحاب القوات المتمردة الى ثكناتها كلية » ...

.. ثم أبلغ المشير الرئيس عبد الناصر أن النحلاوى طلب منه أيضا الموافقة على ترحيل بعض الضباط المصريين الكبار الى القاهرة وهم : اللواء أنور القاضى رئيس أركان الجيش الأول وأحمد علوى مساعده وأحمد زكى والاستنبولى (ضابط المخابرات من أبناء سوريا) وكذلك ترحيل الوزراء العسكريين السوريين وقد تم تنفيذ كل هذه الطلبات ، وكان الرأى (٢) فى غرفة قيادة عبد الناصر بمبنى القيادة بالقاهرة ، أنه ما كان يجب الموافقة على طلبات المتمردين لأن الاستجابة لها ستشجعهم على مزيد من الطلبات ويشعرهم هذا يضعف مركز عبد الحكيم عامر وقوة موقفهم وكان من الأفضل لعبد الحكيم عامر أن يتركهم هم يرحلونهم الى القاهرة بالقوة ودون الخضوع لهم ، كما أبلغ عامر الرئيس عبد الناصر أن النحلاوى اتفق معه على صيغة بيان يعلن اتمام عملية الترحيل ينهى به حالة العصيان وتعود الأمور الى طبيعتها ..

---

(١) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ٢٧٦ .

(٢) جاء ذلك على لسان عبد اللطيف البغدادى الموجود مع عبد الناصر فى غرفة القيادة ـ مذكرات البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١٤ .

.. وعلق عبد الناصر على هذا الكلام من المشير : « آخشى أن تكون خديعة ، واطلب منهم أن يعودوا الى ثكناتهم » .

ـ خديعة البيان رقم (٩) :

في حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، أذاعت محطة دمشق ما أسمته البيان رقم ٩ ، وجاء به : « أنه قد عرضت قضايا الجيش وأهدافه على المشير عبد الحكيم عامر الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها ، وقد عادت الأمور العسكرية الى مجراها الطبيعى » ، وكان كل ما ذكر به يدعو الى الدهشة حيث كان مخالفا تماما لكل بياناتهم السابقة والتى يوضحون فيها نواياهم الانفصالية .

وأجمع المجتمعون فى غرفة قيادة عبد الناصر أن هذا البيان خدعة تهدف الى الاستعداد للتحرك الحاسم ضد الوحدة وبقايا الوحدة فى سوريا بعد أن يوهموا مصر وشعب سوريا الهائج ـ نتيجة اطمئنانه الى الوجود المصرى حتى هذه اللحظة أن الأمور قد استتبت وعادت الى مجراها الطبيعى .

ونتيجة لحالة القلق أعاد عبد الناصر الاتصال بالمشير عامر وعلم منه أنه لم يتفق مع قائد الانقلاب على ما جاء بالبيان رقم ٩ ولا على اصداره .

ولذلك بادر الرئيس عبد الناصر باتخاذ قرار (١) بتحريك قوات الصاعقة والمظليين ليتم اسقاطهم عند الغروب فى منطقة مطار اللاذقية وأمر بتحريك ثلاث مدمرات فى الساعة الرابعة بعد الظهر واتخذت اجراءات لارسال لواءى مشاة ولواء مدرع عن طريق البحر ليتم وصولها الى اللاذقية بعد ٢٨ ساعة .

ـ المفاجأة ..

فى الساعة السادسة بعد ظهر ٢٨ سبتمبر أذاعت دمشق فجأة عن سفر المشير عبد الحكيم عامر الى القاهرة بالطائرة وأنه غادر دمشق فعلا فى الساعة الخامسة والثلث مساء ، وكانت مفاجأة لمركز قيادة عبد الناصر، تبين منها عبد الناصر ومرافقوه فى غرفة القيادة مدى خداع المتمردين السوريين بعد أن خدعوا باذاعة البيان رقم (٩) الشعب السورى الهائج ضد الانفصال ، وسرعان ما تبدل الموقف فعلا بعد هذه الاذاعة المفاجئة

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١٥ ـ ١١٧ .

لأن نسبة كبيرة من الرأى العام السورى كانوا من المترددين فأعلنوا انضمامهم للانفصاليين (١) اعتقادا منهم بأن الأمر قد انتهى لصالحهم ..

.. وعقب ذلك أصدرت قوات المتمردين البيان رقم (١٠) يلغى مضمون البيان رقم (٩) ويعلن فيه أن المشير عامر لم يوافق على ما جاء بالبيان رقم (٩) ، ومع ذلك قامت المظاهرات المعادية للانفصال وتصدت لها قوات الانقلاب وفرقتها بعنف وسقط كثير من المتظاهرين شهداء ..

.. وفى الساعة الحادية عشرة مساء ٢٨ سبتمبر ، أذيع تشكيل حكومة سوريا برئاسة (٢) مأمون الكزبرى ، وبادرت كل من الأردن والسعودية والعراق وتركيا فى الحال بالاعتراف بهذه الحكومة ...

.. وظل الموقف فى كل من حلب واللاذقية مؤيدا للوحدة ، وكانت اذاعة حلب تذيع البيانات ضد الانفصال ، وظلت حامية اللاذقية السورية على ولائها للوحدة ، وقامت قوات الانفصال بتحريك قوات مدرعة محمولة من منطقة حمص الى اللاذقية ووصلت بعد آخر ضوء وأحاطت بقيادة المنطقة ، أما فى دير الزور فقد أعلن المحافظ أن الشعب فى دير الزور يؤكد تمسكه بالوحدة .

ـ بيان للرئيس عبد الناصر .. من منزله (٣) ...

بعد أن تأكد الرئيس عبد الناصر بأن المشير عامر لم يتفق مع المتمردين على ما جاء بالبيان رقم (٩) قام عبد الناصر فى الساعة السابعة مساء بالقاء بيان ثان من منزله ، أوضح فيه مدى الخداع الذى جاء بالبيان السورى رقم (٩) وأعلن أنه لايقبل المساومات وهو مصمم على القضاء على الانقلاب .

.. مفاجأة وصول عبد الحكيم عامر ...

وفوجىء عبدالناصر بوصول عبد الحكيم عامر الى مطار ألماظة فى الثامنة مساء تقريبا ...

..وأذيع فى نفس الوقت اعلان انضمام أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى فى حلب الى الانفصاليين ..

---

(١) المصدر السابق ـ ص ١١٧ .

(٢) عبد الناصر وتجربة الوحدة ـ للسيد / صلاح نصر ـ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ .

(٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١٧ـ١١٩ .

.. كما أعلنت اللاذقية تأييدهـا للانفصاليين وذلك عند منتصف الليل .

ـ تدهور الموقف بسرعة ..

ازاء كل هذه التطورات المتلاحقة ، وعندما كانت قوات الصـاعقة المصرية تستعد للنزول على شـواطيء اللاذقية وكانت قد أعلنت ولاءها للانفصال ، وكانت أيضـا القوات المصرية المحمولة بحرا فى طـريقها هى الأخـرى الى اللاذقيـة ، ازاء كل هذه الملابسـات كان من اللازم الاسراع باصدار القرار بايقاف عمليات الانزال بالكامل .

ـ ايقاف عملية الانزال (١) .. (٢٩ سبتمبر ١٩٦١)

أصدر جمال عبد الناصر قراره فى الساعة الواحدة صباح٢٩ سبتمبر بايقاف تلك العملية والتى كان قد بدىء فى تنفيذها ، وعندما أصدر هذا القرار كان الفوج الأول من الطائرات قد وصل الى اللاذقية وقام باسقاط ما يحمله من جنود المظليين والصاعقة وكان عددهم ثمانية ضباط ومائة وعشرين جنديا ، أما باقى الأفواج فقد عادت بطـائراتها ثانية قبـل أن تستكمل المهمة بعد أن صدرت الأوامر بالغائها ، كما عادت قطع الاسطول بعد تلقيها الأوامر بالعودة وهى فى طريقها الى سوريا ، وتم الاتصال بالقوات التى هبطت فى اللاذقية وطلب من قائدها تسليم نفسه وقواته لقائد البحرية السورى زيتونة وأن يتجنبوا الاشتباك مع أية قوة الا عند الضرورة للدفاع عن النفس فقط ..

وللأسف أن القائد كامل زيتونة الذى تظاهر ولمدة طويلة بولائه للوحـدة ، قام هو الآخر باعـلان انضمامه للانفصاليين فى فجر يوم ٢٩ سبتمبر ، وهكذا كان يلعب دوره بوجهين .

ـ اعتراف الرئيس عبد الناصر بواقع الانفصال ..

ونتيجة لتطورات الأمور خـلال هذه الفترة التى أعقبت الانفصال وتحت ظروف اعتراف بعض الدول بالنظام السورى الجديد وبعد عجزه عن قمع التمرد ، وجد الرئيس عبد الناصر نفسه فى موقف يدعوه الى الاقرار بالأمر الواقع وقام بالقاء خطاب يوم ٦ أكتوبر ١٩٦١ .. اعترف فيه بواقع الانفصال ، وقال انه لا ينوى اقامة حصار ديبلوماسى حول سوريا ، وانه لن يمانع فى عودتها لتشغل مقعدها فى هيئة الأمم المتحدة ، ولكنه احتفظ

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ ص ١١٧ـ١١٩ .

لنفسه بخط الرجعة بقوله : « ستبقى الجمهورية العربية المتحدة رافعة راياتها مرددة نشيدها باذلة فى سبيل العروبة .... » ، وبدأت مرحلة مليئة بالمخططات اليائسة من أجل اعادة سوريا الى الوحدة ..

.. وعمت الاضطرابات غير المنظمة تسود مدن سوريا لمدة أسبوع وحدث فيها مصادمات دامية وسقط فيها مئات من القتلى والجرحى ولكنها فى النهاية توقفت ، قام الانفصاليون خلال هذه الفترة بحركة اعتقالات واسعة .. أما السراج ، فقد حاول الاتصال بالانفصاليين لكن النحلاوى رفض التعاون معه وفرض عليه الاقامة الجبرية فى منزله .

ـ ثورة الجيش السورى على الانفصاليين ..

لم تستطع المجموعة التى قامت بالانفصال فى سوريا من الاستمرار فى الحكم لأكثر من ستة أشهر فقد ثار عليها الجيش وأدانها بالخيانة وتخلص منها وطرد قادتها .

واستمر الصراع داخل الجيش السورى من أجل اعادة الوحدة لسنوات طويلة ، سرح خلالها معظم الضباط القوميين واستبدلوا بدفعات تم ترتيبها على أساس انفصالى ، وبمرور الأيام تثبت الانفصال وتبخرت آمال الأمة العربية فى تحقيق وحدة شاملة أو حتى جزئيـة ، وكان من أسباب هذا الوضع الانفصالى ـ بالدرجة الأولى (١) ـ هو عدم أخذ أمور الوحدة بالجدية الجديرة بها والاستهانة بالأمور وتحدى الأوضاع المتدهورة فى غرور لايستحق سوى هذا الدرس الانفصالى ـ وبالدرجة الثانية ـ كان من أهم أسباب هذا الانفصال هو تآمر القوى الخارجية المعادية للأمة العربية وللقومية العربية وهى اسرائيل والمؤامرات الاستعمارية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ثم الرجعية العربية والى حد ما موقف الكتلة الشرقية المعادية بطبيعتها لفكرة القوميات .

وأما السبب الرئيسى والهام والذى كان فى تحاشى حدوثه ـ حتى مع وجود السببين السابقين كان من المستحيل حدوث هذا الانفصال ـ فهو اهمال الحكام لدور الشعب وتنظيماته وممثليه ليكونوا عماد الدفاع عن هذه الوحدة ، فقد جاءت تشكيلات المجالس النيابية والتنظيم السياسى (الاتحاد القومى) يتخللها عناصر انتهازية تدافع عن مصالحها الخاصة والمصالح الانتهازية للحكام ومصالح أعداء المجتمع العربى من الرأسمالية الفاسدة وخلافها ، وليس أدل على ذلك أن فى مقدمة صفوف المؤيدين

---

(١) اقوال عبد اللطيف البغدادى احد كبار رجال ثورة ٢٣ يوليو الرئيسيين ـ مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء ثان ـ من ص ١٢١ ـ ١٣٢ .

والذين هتفوا للانفصال ، كانت قيادات وأعضاء الاتحاد القومى فى سوريا بدلا من تصديها للانفصال دفاعا عن مصالح الشعب العربى كله ٠

ـ مابعد الانفصال ٠٠

رغم شعور النظام فى مصر بمرارة الانفصال وخاصة أن الشواهد والمعلومات أكدت لمصر أن أمريكا والغرب وأعداء مصر من العرب كانت تحضر (١) للضربة الحاسمة لمصر حيث انتصرت مصر عليهـا فى جـولة الوحدة ، فلم يتوقف التآمر والتخطيط للانفصال ، وكانت مصر متأكدة من ذلك وأن الجولة القادمة ستكون فى الجبهة الداخلية ، لذلك وبمقتضيات الضرورة والأهمية فقد اتجه النظام فى مصر الى مضاعفة الجهد للجبهة الداخلية والعناية بالأمن القومى ٠

ولأجل اعادة التنظيم طرح الرئيس عبد الناصر مشروع ميثاق العمل الوطنى أمام مؤتمر القوى الشعبية لاعادة البناء على أساس تحاشى أخطاء الوحدة التى آدت للانفصال ٠

لأجل مضاعفة الدخل القومى فى مستقبل الأيام ومحاولة الاعتماد على النفس فى موضوع التنمية التى أصبحت ضرورية ، فقد صار الاعداد لتنفيذ أمل خطة خمسية وكان فى مقدمة هذه الخطة الاهتمـام الى أقصى درجة بالتصنيع الثقيل وباتمام تنفيذ اقامة السد العالى بمرحلتيه ، وكان يستدعى ذلك الاقتراب بحذر وبحرص وحكمـة الى اعادة الثقة بين مصر والاتحاد السوفييتى وبحيث لاتتنازل مصر عن أى درجـة من درجات سيادتها وحريتها بعد الخلافات الحادة مع الاتحـاد السوفييتى والتى ثبت فيها للاتحاد السوفييتى أن مصر تعامل الجانب الآخـر من القوتين العظميين بنفس الأسلوب بما يحقق سياسة عدم الانحياز ٠

بذلت مصر عظيم اهتمامها بموضوع الأبحاث العلمية وخاصـة فى مجال الأبحاث الذرية وصناعة الصواريخ ـ واستعانت فى ذلك ببعض العلماء من جنسيات أخرى أغلبهم من الألمان ، وبالعلماء المصريين المؤهلين لذلك على أعلى مستوى وكثفت مصر جهودها فى هذا المجال حتى يمكن تحقيق أقوى مستوى من الأمن القومى بما يلائم امكانات مصر ٠

بالاضافة الى العناية الفائقة بأجهزة الأمن الاستراتيجى للوقاية من المؤامرات الخارجية التى لم تستكن ٠

---

(١) الحلقة ٣٦ من كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ عدد أهرام ١٩٨٨/١٢/٧ ، ص ٦ ٠

ومع كل هذه المجهودات الجادة فى خطـة اعادة التنظيم فلم تقم القيادة السياسـية فى مصر بأى خطـوات كانت ـ جادة ـ لاعـادة تنظيم قيادة مصر العسكرية التى أثبتت ضعفها وفشلها فى مواجهة مؤامرة الانفصال وقبل ذلك لموقفها المتخبط أثناء معركة العدوان الثلاثى ٠

ـ استمرار التآمر حتى بعد الانفصال ٠٠

من تتبع الدور الأمريكى فى مخطط الادارة الأمريكيـة على ضـوء تصرفاتها فى مواجهة الدور المصرى القومى منذ مقاومته لمشروع ايزنهاور حتى الانفصال ومن واقع ما جاء بهذا الكتاب مسلسلا ومتتابعا ، يمكن الخروج بنتيجة وصلت الى درجة اليقين بعد أن كانت على مستوى الشواهد والتخمين ، أن هذا الدور كان مصمما ومصرا على القضاء على هذا الدور المصرى القومى حتى النهاية كالآتى :

(أ) قام الملك سعود بدافـع (١) حقـده على عبد الناصر وبموجب علاقته الحميمة بالادارة الأمريكية ، قام بالتدخل بنفسه لازالة الخلافات التى حدثت بين الانفصاليين فى سوريا ـ بعد أسابيع قليلة من الانقلاب وكان هدفه كما جاء على لسانه « عدم عودة الوحدة بين سـوريا ومصر مرة أخرى » ٠

(ب) بعد نجاح الدور المصرى فى تخليص القوميين فى لبنـان من كميل شمعون وتنصيب اللواء / شهاب رئيسا فى لبنان وتغييره لسياسة لبنان فى الاتجاه القومى وخاصة عندما سـاهم فى ترحيـل المصريين العسكريين والمدنيين الذين أخرجوا من سوريا أثناء الانقلاب ثم قيـامه بالقضاء على مؤامرة الحزب القومى السورى والتى دبرها كميل شمعون فى معهد اللغات البريطانى « بشملان » فى لبنان وبعد أن اعترف عبد الله سعادة بذلك بعد فشل المؤامرة : « أن هدف الانقلاب كان التمهيد لتحقيق مشروع « الهلال الخصيب » بتكوين اتحاد بين سوريا ولبنـان والأردن والعراق » ، وذلك للقضاء كلية على أى تفكير فى امكان اعادة فكرة الوحدة طبقا للدور المصرى التحررى ، وكان هدف الغرب بصفة رئيسية هو تأكيد حصر الدور المصرى وتصفية وجوده فى المشرق العربى ، (حيث كان الدور المصرى فى أوج نشاطه فى المغرب العـربى بمساعداته الايجابيـة فى ثورة الجزائر) ٠

---

(١) الحلقة ٢٦ من كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١٢/٧ ٠

(ج) مظاهرة شتورة (١) ••

بمرور الزمن على النظام الانفصالى فى سوريا ، ظهرت الخلافات الحادة فى الجيش السورى وأرادت الحكومة السورية اشغال الرأى العام سواء داخل الجيش أو على المستوى الشعبى علاجا لهذا الانقسام وقدمت شكوى ضد مصر حيث اعتبرت خطاب عبد الناصر فى احتفالات يوليو وما جاء به بذكر لفظ « الاقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة » ، اعتبرت سوريا أن هذه الفقرة خطرة لأنها تحريض صريح للشعب السورى والجيش السورى للقيام بانقلاب والاقتتال وخلق بلبلة تؤدى الى سفك الدماء ويشكل ذلك اعتداء على سيادة الجمهورية السورية وطلبت حكومة سوريا من الجامعة العربية أن يجتمع مجلس الجامعة لبحث شكواها وفى أى بلد عربى غير مصر ، ودعا الأمين العام الى هذا الاجتماع فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٢ فى مدينة شتورا اللبنانية للبحث فى الشكوى السورية ٠

وتحول مؤتمر شتورا الى كرنفال للتشهير بمصر وأعدت دول التآمر وعلى رأسها أمريكا متمثلة فى مندوبيها من أسرة « أبو الفتح » الهاربة من مصر لحساب المخابرات الغربية والأمريكية ، وكان الملحق العسكرى المصرى فى بيروت المقدم زغلول عبد الرحمن والذى يمت بصلة قرابة لأسرة أبو الفتح وكان قد تورط فى ديون باهظة فى لعبة للقمار فى نوادى بيروت وسددوا له ديونه فى نظير أن يحضر مؤتمر شتورة ومعه المستندات السرية التى كانت تحت يده بوصفه ملحقا عسكريا يعمل لحساب عبد الناصر بالذات وكلها أسرار تتعلق بطبيعة العمل والدور المصرى فى المنطقة العربية ، وباع زغلول عبد الرحمن نفسه للمخطط التآمرى الغربى وقام بتقديم اعترافات مدعمة بالمستندات يظهر فيها الدور المصرى وبصورة قبيحة على أنها تدخل سافر فى شئون الدول العربية المستقلة ، ولكن قيامه بهذا الدور جاء بنتيجة عكسية لأن غالبية الشعب العربى كان فى حقيقة الأمر يخدم هذا الدور المصرى القومى والذى كان يمارس عمله بغرض تحقيق (٢) آمال الأمة العربية وتحررها ٠

وبعد مدة قصيرة استيقظ ضمير المقدم زغلول عبد الرحمن وعاد من منفاه الاختيارى الى أرض مصر وقدم نفسه للمحاكمة وجاء فى أقواله أخطر اعتراف أثبت عمالة أسرة أبو الفتح التى قامت بمساعدة رجال الجاسوسية والمخابرات الاسرائيلية بالاجتماع مع زغلول عبد الرحمن لتدبير حبك دوره فى مؤتمر شتورة ، وكان رجال المخابرات الاسرائيلية مهتمين بدرجة عالية

---

(١) المصدر السابق ٠

(٢) الحلقة ٢٦ من كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١٢/٧ ٠

بسؤاله عن معلوماته عن الصواريخ التى تصنعها مصر على أساس أنه كان ملحقا عسكريا ولديه هذه المعلومات ، كما أن أحمد أبو الفتح طلب من زغلول عبد الرحمن الاجتماع مع شخصين من المخابرات البريطانية وكان اهتمامهما مركزا كلية على مسألة الصواريخ التى تصنعها مصر ٠

(د) ضبط شبكة الجاسوسية الفرنسية ٠٠ (أول عام ١٩٦٢)

كانت مصر لازالت تساعد الثورة الجزائرية ضد الوجود الفرنسى هناك وفى أول عام ١٩٦٢ تصاعدت المساعدات المصرية للجزائر شعورا منها أن الوقت قد حان ليتحقق استغلال الجزائر ورغم حصار الأسطول الفرنسى للجزائر لمنع تسرب أى معونات لها فقد نشطت مصر وبأسلوب مكثف فى تسريب الأسلحة والمعدات الحربية لحرب العصابات الى المقاتلين الجزائريين حيث كانت معركة تحرير الجزائر فى مراحلها الأخيرة قبل المفاوضات وانضمت فرنسا لمعسكر المتآمرين ضد مصر انتقاما من دورها فى الجزائر ٠

وفى أول عام ١٩٦٢ تم القاء القبض على شبكة تجسس فرنسية تعمل فى مصر تحت ستار مكتب رعاية المصالح الفرنسية من السفارة التونسية بالقاهرة وكان يديرها موظف فرنسى يحمل جواز سفر دبلوماسيا اسمه « جان تول فرانسوا بليفييه » ويشترك معه عدد من الفرنسيين والايطاليين وكانت مهمة هذه الشبكة هى جمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن الجمهورية العربية وكانت هناك خطة لاغتيال الرئيس عبد الناصر اعتقادا من فرنسا أن ذلك هو الحل الوحيد لتحقيق الاستقرار فى الجزائر وفى المنطقة ، كما كانت تقوم بتوزيع منشورات تساعد على بلبلة الخواطر فى الجمهورية العربية وضد نظام الحكم فيها تمشيا مع المخطط الدعائى الغربى ، كما كانت هذه الشبكة تعتبر مصدرا للمعلومات لمحطة اذاعة مصر الحرة السرية التى تعمل لحساب المخطط الغربى من مرسيليا ، كما كانت تقوم ـ هذه الشبكة ـ بتهريب أموال الأجانب والمصريين الذين وضعوا تحت الحراسة فى آخر عام ١٩٦١ ، وكذلك كانت هذه الشبكة تقوم بجمع المعلومات عن التقدم المصرى فى أبحاث الذرة وفى صناعة الصواريخ وكانت هذه المعلومات هى مجال اهتمام الغرب واسرائيل ٠

ـ أمريكا ولعبة القمح ٠٠

منذ عام ١٩٥٩ عندما أبرمت الولايات المتحدة مع مصر اتفاقية القمح ، كانت أمريكا تمهد لمخطط يمكنها به الضغط على مصر للانفراد بها

بعيدا عن السياسة السوفييتية واخضاعيا لارادة الادارة الأمريكية وتكشفت لمصر بوادر هذا المخطط منذ بداية عام ١٩٦٠ ، عندما قام بعض أعضــاء الكونجرس الأمريكي بتقديم مشروع قانون بوقف شـحنات القمح الى الجمهورية العربية وبعد أن أصبح هذا القمح بمثابة احتياج استراتيجي هام بالنسبة لغذاء الشعب المصرى ، وعقب هذا الضغط أعيـد تجديد الاتفاقية ١٩٦٠ على أساس تغطية احتياجات مصر من القمح لفترة طويلة لسنوات ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، وطلب الرئيس كيندى وقتها من ادارته رسم سياسة طويلة الأجل بعد القضاء على الوحدة مع سـوريا لتحقيق تقليص دور مصر بصفة عامة ودور عبد الناصر بصفة خاصـة وتدخلات المقلقة خارج حدوده وفى مناطق النفوذ الأمريكى ، فكانت توصية وزير خارجيته « دين راسك » هى (امداد مصر ببعض المعونات ولمدد (١) طويلة تحقق الارتباط السياسى الطويل المدى تبـدأ بالتعود المصرى على هذه المعونات ثم بعد فترة تؤدى الى درجة من درجات شدة الحاجة والاعتماد عليها قد تؤدى الى اجابة الضغوط الأمريكية فى الوقت المناسـب وبهذا الاسلوب يمكن ابعاد مصر عن أى اقتراب من السوفييت .

وكطلب الرئيس كيندى وضعت الادارة الأمريكيـة المخطط الذى يحقق جعل مصر فى النهاية دولة شبه تابعـة لسياسة الولايات المتحدة وتخضع لارادتها ولو على حساب حريتها واستقلالها ، وكان المخطط للادارة الأمريكية على شكل توصيات السفير « تشستربولز » مستشار الرئيس كيندى والممثل الشخصى له فى جميع جوانب علاقات أمريكا فى آسـيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وله خبرة واسـعة فى الشئون الاقتصادية والسياسية لهذه المناطق من العالم وخاصة تطلعات الشعوب المتحـررة حديثا الى مشـاريع التنمية (وهو ما كان يلائم احتياجات مصر فى هذا الوقت) ، وكان السفير « تشستربولز » قد قابل الرئيس عبد الناصر وقتها فى لقاء طويل بناء على اقتراح كيندى وموافقة الرئيس عبد الناصر ، وكان تقرير السفير « بولز » الى الرئيس كيندى هو :

١ - أن مصر كانت وقتها مصممة على مخططها الاقتصادى وتسير فيه بخطى ثابتة لتحقيق سلامة جبهتها الداخلية وفى سبيل تخطى العقبات بعد أزمة الانفصال عن سوريا ، وأنها قادرة على تحقيق الكثير بفضـل كفاءة حكومتها التى يقودها مجموعة من الشباب شديدى الكفاءة والمخلصين

---

(١) خطاب وزير الخارجية الأمريكى يوم ١٠ يناير ٩٦٢ الى ماك جورج باندى مستشار الرئيس كيندى - وذلك من وثائق كتاب سنوات الغليان - للأستاذ / محمد حسنين هيكل - أهرام ١٩٨٨/١٢/٧ ، ص ١٣ .

فى تفانيهم من أجل تحسين أحوال الشعب المصرى وهم قادرون على تنمية اقتصادهم مع المحافظة على سياستهم الاستقلالية ٠

٢ ــ أن مصر بعد ظهور عيوب تجربتها الصناعية على أساس الاقتصاد الحر ، ونظرا الى قصور امكاناتها المادية والمالية الذاتية اضطرت الى اتباع سياسة التخطيط المركزى ٠

٣ ــ أن مصر لا تعنيها الرأسمالية الحرة ولا الشيوعية المقيدة ولكن يعنيها الاستفادة من أى نظام عقائدى دون التورط فى اتجاهاته ولانتوقع منهم أى معاملة خاصة ٠

٤ ــ أن مصر لايمكن أن تتخلى عن عدائها لاسرائيل مادامت هناك مخططات خارجية تعمل على تهديد اسرائيل المستمر لمصر وللأمة العربية وأن مصر متأكدة أن الادارة الأمريكية مستمرة فى مساندتها لأجل تقوية اسرائيل واستدامة تفوقها العسكرى على العرب جميعا ٠

٥ ــ أن مصر مقتنعة ــ وبناء على معلومات أكيدة عن استمرار تآمر البريطانيين والفرنسيين لتدمير عبد الناصر وعن تعاونهم المستمر مع اسرائيل ٠

٦ ــ أن مصر سوف تستمر فى اثبات دورها الأساسى فى الشرق الأوسط ٠

٧ ــ أما أخطرها فى تقرير المستشار « تشستربولز » فهو : « أن مصر رغم كل مظاهر التماسك واعادة التنظيم بعد الوحدة فهى لظروف خارجية فى علاقاتها مع القوتين العظميين ولظروف داخلية ، فان لديها مشكلة مستعصية وهى زيادة السكان الحادة مع نقص شديد فى مواردها الاقتصادية المحدودة لايتمشيان اطلاقا مع مشاريعها وتطلعاتها فى التنمية الضرورية ، وهذا ما سيؤدى فى النهاية مهما أحسن التخطيط الى تدهور فى حالة الاستقرار الداخلى » ٠

٠٠ لكل ذلك ٠٠ صار رسم المخطط الأمريكى الطويل الأجل الذى يحقق فى النهاية هدف الادارة الأمريكية بامكان اخضاع مصر الى الارادة الأمريكية بأىأسلوب ، وكان العرض الأمريكى المغرى على يد المستشار « تشستر بولز » فى مجال المعونات الاقتصادية وخاصة فى موضوع امداد مصر بالقمح الأمريكى لتوفير العملة الصعبة لمصر لتقوم بصرفها على مشاريع التنمية العملاقة والتى لا تتمشى مع امكانات مصر بأى حال من الأحوال ٠٠

٠٠ ونتيجة لذلك ، فلم تمض أسابيع قليلة على زيارة مبعوث الرئيس كيندى السفير (تشستر بولز) للقاهرة ، حتى يقوم الدكتور عبد المنعم

القيسونى الوزير المصرى ومعه وفد اقتصادى بزيارة الى الولايات المتحدة ويوقع هناك اتفاقا طويل الأجل تحصل بموجبه مصر على مايســـاوى خمسمائة مليون دولار من القمح فى أربع سنوات مقابل العملة المصرية ٠

وكانت هذه الاتفاقية تعطى المرونة الاقتصـــادية التى تتيح لها توفير احتياجاتها الغذائية كما تمكنها من توجيه مواردها من النقد الأجنبى الى مشروعات خطة التنمية الطموحة والتى التزمت بها حكومة مصر أمام شعبها وشعوب الأمة العربية التى كانت تنظر ائى التجربة المصرية كتجربة رائدة تنتظر نجاحها لتحذو حذوها ٠

واتخذت الادارة الأمريكية موقف المراقبـــة والانتظار حتى يؤتى مخططها ثماره بعدما تتمادى مصر فى الاعتماد الكامل على هذه المعونات الأمريكية حتى تصبح عادة لا يمكن الاستغناء عنها ٠

ـ مصر وثورة اليمن ٠٠ (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)

كانت دولة اليمن فى هذا الوقت تعيش فى حالة من التخلف لايمكن تصديقها ، فعندما قام مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة الأمريكى الجنسية والزنجى الأصل (١) الدكتور رالف بانش بجولة سريعة فى اليمن سنة ١٩٦٢ بعد تصاعد القتال هناك ـ قال مرتاعا : « لقد كنت حتى الآن أتصـــور أننى رأيت أسوأ صور التخلف فى الكونغو ولكن ما رأيته فى اليمن أقنعنى بأن هنـــاك ما هو أســـوأ فى التخلف من الكونغو » ٠

وقد كان مطلب اليمنيين الأحرار (٢) حينما كانوا يعرضون قضيتهم فى الجامعـــة العربيـــة هو « أن يكون للانسان اليمنى حق فى الاحتفاظ برأسه فوق جسده وألا تفصل دون محاكمة » ٠

كما روى أحد زعماء الجنوب العربى « محمد الجفرى » (٣) ، أنه فى زيارة له مع وفد من زعماء الجنوب الى صنعاء رافقهم أحـــد وزراء الامام أحمـــد ، وفى اليوم التالى وهم فى وليمة عشاء مع الامام فى قصره ، فوجىء الوفد بأن الوزير الذى كان يرافقهم فى اليوم السابق كان مكبلا فى السلاســـل والأصفاد ويقوم مع مجموعة أخـــرى من المساجين المقيدين بالسلاسل بالخدمة عليهم فى حفل العشاء ، لأن الامام غضب عليه فى اليوم

---

(١) كتاب سنوات الغليان ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ عدد الأهرام ١٩٨٨/١٢/١٠ ٠

(٢) حروب عبد الناصر ـ للسيد / أمين هويدى ـ ص ٩٨ ٠

(٣) فى لقاء عزاء فى دار أعضاء رابطة الجنوب فى القاهرة عام ١٩٦٢ ـ حضرها المؤلف ٠

السابق بعد توصيله الوفد الى دار الضيافة فاعتقله وسجنه وقيده بهذه الصـــورة المهينـــة ــ دون محاكمة ــ وجعله يقوم بأعمـــال أحقـــر مما يقوم به الخدم ٠

وكان من الطبيعي ــ والأمر كذلك ــ أن يعمل بعض اليمنيين للتخلص من هذا النظام المستبد الفاسد حتى ينال الشعب حقه فى الحيـــاة الانسانية شأن باقي شعوب العالم ، وقامت عدة محاولات انتهت بنهايات تعسة باســـتمرار بالقضـــاء عليها بوحشية لتكون عبـرة لغيرها من الانتفاضات ٠

ــ علاقات اليمن بمصر والسعودية ٠٠

وكانت علاقات اليمن بجارتها السعودية حتى هذا التاريخ سبتمبر ١٩٦٢ ، علاقات يشوبهـــا الشك والتربص بعد الصراع التقليدى بين الأسرتين الحاكمتين والذى وصل الى حد القتـــال فى فترة من الفترات بسبب الخلاف على تبعية منطقتى « جيزان » و « نجـــران » على الحدود بينهما ، ولم يحسم القتال الا معاهدة الطائف عام ١٩٣٤ ولكن علاقات التربص والشك استمرت تحت السطح ٠

أما علاقة امام اليمن بمصر فكانت علاقة عادية ، ولكن عندما تحسنت علاقات مصر مع السعودية بعد ثورة ٢٣ يوليو اضطر امام اليمن للانضمام الى معاهدة التحالف (١) بين مصر والسـعودية عــام ١٩٥٥ بحكم اثبات الوجود فقط ، ولكن على عدم اقتناع من الطرفين المصرى والسعودى ٠

ــ اندلاع ثورة اليمن ٠٠ (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)

فى يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٢ ، توفى الامام أحمـــد بعد أن تسربت شائعات بأن أحد الضباط قام بقتله ، ثم أذاعت صنعاء نبأ وفاته وانتقال خلافته الى ابنه الأمير محمد البدر ولى العهد ٠

وفى صباح ٢٦ سبتمبر ، أعلنت اذاعة صنعاء أن انقلابا قاده العميد عبد الله السلال وقام بالاستيلاء على السلطة وأن البـــدر قد قتل وأن الشعب اليمنى فى صنعاء قام بتأييد هذا الانقلاب على شكل احتفال ٠

وفى مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ ، اعترفت مصر بالنظام الجمهورى فى اليمن وأعلنت مصر أنها على استعداد لمساعدة اليمن وشعبه ٠

---

(١) وقعت المعاهدة فى جدة عام ١٩٥٥ ٠

وكانت الحالة فى مصر ــ فيما قبل الثورة اليمنية ــ قد أخذت فى الاستقرار بعد الافاقة من تأثير صدمة انفصال سوريا (سبتمبر ١٩٦١) وبعد أن تكشفت الأمور لمصر من تآمر السعودية والولايات المتحدة والغرب فى عملية الانفصال وقد كانت مصر قد بدأت الاهتمام بالجبهة الداخلية المصرية وانشغلت بعملية اعادة التنظيم الداخلى للحكم طبقا لميثاق العمل الوطنى الذى أعلن بعد الانفصال ، كما كانت مصر فى قمة مساعداتها للثورة الجزائرية وقرب نهايتها . وذلك بتدخلها المؤثر فى الخلافات التى نشبت بين قيادات العمل الوطنى فى الجزائر فى آخر مراحل الثورة استعدادا لاحتفالات الاستقلال الجزائرى .

كما كانت مصر فى نفس الوقت مشغولة البال بما حدث فى السعودية من انكشاف المحاولة التى مولها الملك سعود لاغتيال الرئيس عبد الناصر بنسف المنصة التى كان سيلقى منها خطابه فى عيد الثورة العاشر .

وكان الخلاف فى نفس الوقت بين أفراد الأسرة المالكة السعودية على أشده على اثر الانقلاب الذى قام به الأمير طلال بن عبد العزيز ضد الأمير فيصل .

أما العالم عامة فقد كان مشغولا بمقدمات أزمة الصواريخ السوفييتية المحملة الى كوبا والتى تسببت فى وضع القوتين العظميين على حافة الحرب.

ــ رد فعل ثورة اليمن (١) ..

.. فى السعودية .. وبرغم الخلافات التاريخية والتقليدية بين أسرة حميد الدين والملك سعود على منطقتى « جيزان ونجران » ، فقد بادرت السعودية منذ اللحظة الأولى وبمقتضى الخوف الغريزى من عدوى النظم الجمهورية بما يؤثر بخطورة على كيان الحكم الملكى السعودى ، وقفت السعودية موقفا عدائيا من ثورة اليمن وأخذت أجهزة اعلامها وصحافتها تندد بالنظام الجديد وتحض الشعب اليمنى على مقاومة الثورة ، وقامت بانشاء محطة اذاعة للملكيين .

ولما كان مصير الامام الجديد محمد البدر مجهولا للسعودية فى الأيام الأولى فقد قامت باستدعاء عمه الأمير الحسن والذى كان موجودا بالولايات المتحدة كرئيس لوفد بلاده فى الأمم المتحدة لتولى شئون المقاومة على أساس أنه الامام الشرعى فى هذا التاريخ ، وفى نفس اليوم قام الأمير الحسن عم الملك ــ من منطقة نجران ــ بتحريض مجموعة كبيرة من القبائل

---

(١) حروب عبد الناصر ــ للسيد / أمين هويدى ــ ص ٩٩ .

وقاموا بهجوم مركز على مدينة « صعدة » وتصدت لهذا الهجوم قوة من الجيش الجمهورى اليمنى تحت قيادة أهم قادة الثورة وهو العقيد على عبد الغنى ، وقد استشهد هذا القائد اليمنى المميز والذى كان له مكانة فى قمة الثورة اليمنية بعد معركة حامية وأحدث ذلك قلقا كبيرا لقيادة الثورة ·

فى نفس الوقت ، حدث قلق آخر وهو أن القوات البريطانية المرابطة فى امارة « بيحان » باليمن الجنوبى قامت بشن اعتداء مسلح على بلدة البيضة اليمنية ، وعلى الفور قامت حكومة اليمن الثورية بصد هذا الاعتداء وطلبت المعونة العسكرية من مصر رسميا ·

·· **أما فى الولايات المتحدة** (١) ·· فقد كانت الادارة الأمريكية ومعها الرئيس كيندى يميلان لأن تقوم حكومة الولايات المتحدة بالوساطة بين السعودية والرئيس عبد الناصر بغرض التوصل الى حل لأزمة اليمن رغم قيام الأجهزة العلنية والخفية للادارة الأمريكية وعلى نطاق واسع فى مساعداتها للسعودية بالامداد بالسلاح والمعدات العسكرية ضد ثوار اليمن ، أما المصالح الاقتصادية والمالية الأمريكية والشركات البترولية وخطوط أنابيب البترول والنقل ومجموعات البنوك الأمريكية فكانت كلها لاتسمح بأية اتجاهات ثورية بالقرب من منابع البترول ولا تسمح أيضا بأى تهديد محتمل للنظم التى استقرت قواعد التعامل معها منذ سنوات طويلة رغم رجعيتها وعدم تمشيها مع مقتضيات العصر الحديث ·

وكان اجماع الآراء فى الولايات المتحدة وبالذات فى قمة الادارة الأمريكية وتبعا للمخطط الموضوع للتعامل مع مصر بعد الانفصال عن سوريا هو بذل أقصى الجهود لابعاد أى دور لعبد الناصر عن النشاط أو العمل خارج حدود مصر ورده دائما الى داخل مصر ·

·· **أما فى بريطانيا** (٢) ·· فقد أفصحت اجتماعات الأمير فيصل السعودى مع « دوجلاس وايت » – رئيس جهاز المخابرات البريطانية (M.I.C.) ، أن بريطانيا بعد نجاح عبد الناصر فى الحصول على موطىء قدم لمشروعاته الانقلابية فى شبه الجزيرة العربية بجوار أهم مصادر

---

(١) وثيقة رقم ٤١ من وثائق كتاب / سنوات الغليان على شكل مذكرة من مستر/روبرت كومر – مساعد مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى لشئون الشرق الأوسط – أهرام ١٩٨٨/١٢/١٠ . ص ١٣ ·

(٢) وثيقة من كتاب مستر / جوليان ايمرى – زعيم مجموعة السويس البريطانية – من وثائق كتاب سنوات الغليان للأستاذ / حسنين هيكل – أهرام ١٩٨٨/١٢/١٠ ، ص ١٠ ·

البترول واحتياطياته فى العالم ، كان يجب أن تعمل بريطانيا مع باقى أعداء عبد الناصر بضرورة مقـــاومة هذا الوجود المصرى بشتى الطـرق مهما كلفهم ذلك بدءا من عدم الاعتراف بالنظام الجديد في اليمن وبمحاولة التأثير على أكبر عدد من الدول لعدم الاعتراف بهذا النظام ٠

ويلى ذلك تشجيع العناصر القابلة للعمل ضد الثورة داخل اليمن على اثارة المتاعب للنظام الجديد فى اليمن ، ومحاولة تصعيد المقاومة ضد مصر وضد الثورة اليمنية استنزافا لقدرات مصر المالية والعسكرية ، وكل ذلك فى النهاية سيتسبب فى افقار مصر واضعاف قدراتها فى مقاومة الوجود الغربى القديم فى المنطقة ٠

ظهور الامام البدر فجأة (١)

وفجأة أكدت الأخبار والمعلومات ظهور الامام البدر فى حجه داخل الحدود اليمنية وأنه لم يقتل ولكنه تمكن من الهروب الى حجه ثم وصل الى منطقة نجران ومنها اتصل بالسـعودية التى وعدته بالمســاعدات وفى نجران تولى قيادة المقاومة ضد الثورة اليمنية لاسترداد عرشه ولكن قبائل اليمن الكبرى حاشد وبكيل كانت تقف فى صف الثورة اليمنيةوانحصر الخطر على الثورة فى عدد من القبائل الصغيرة المتمركزة فى منطقة صراوح كما أن مناطق الشوافع السنية المؤيدة للثورة والمنتشرة فى السهول حول المنطقة الجبلية التى يسكنها الزيود كانت هى المؤيدة للملكيين ٠ وتأكدت المعلومات أيضا لدى مصر ان آمريكا لازالت مستمرة فى تقديم المساعدات غير المحدودة لأصدقائها السعوديين المتخوفين من آثار ثورة اليمن على النظام الملكى السعودى ٠ كما أن بريطانيا ما لبثت أن مارست كل أنواع الضغوط على حكومة الثورة مستخدمة شريف بيحان الذى يتعاون تعاونا كاملا مع السعودية من أجل الاطاحة بالحكم الجمهورى الجديد فى اليمن ٠

افتضاح التآمر (٢ آكتوبر ١٩٦٢)

بعد وصـول الأمير الحسن الى الرياض يوم ٢٩ سـبتمبر ١٩٦٢ وانتقاله فورا الى حدود السعودية مع اليمن وصلت الى مصر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٢ طائرة نقل أمريكية الصنع عليها علامات الطيران الملكى السعودى محملة بالأسلحة والذخائر وعليها ثلاثة طيارين سـعوديين وكان ذلك بوازع من قوميتهم العربية حيث شعروا بأبعاد المؤامرة السعودية الأمريكية ضد الثورة القومية فى اليمن حيث صدرت اليهم الأوامر بالتوجه الى مطار

---

(١) حروب عبد الناصر للسيد / أمين هويدى ، ص ١٠٠ ٠

جده صباح ٢ أكتوبر وهناك وجدوا هذه الطائرة المحملة بالأسلحة والذخائر في صناديق تحمل علامات المعونة الأمريكية وكلفوا بالطيران الى مطـار نجران على الحدود السعودية اليمنية على ان يسلموا شحنتها هناك والعودة بطائرتهم لتكرار هذه العملية الموجهة بالأساس ضـد الثورة في اليمن وقرروا في الحال تسليم هذا الدليل التآمرى برمتـه الى مصر وفي يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٢ تكررت نفس العملية في مطار أسوان وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٢ تكررت نفس العملية بوصول طائرة ثالثة سعودية الى مطار ألماظة ٠

التحرك العسكرى المصرى الى اليمن

في مواجهة التطورات السريعة في اليمن بعد ظهور البدر (١) وعمه الأمير الحسن ودورهما في ميادين القتال داخل اليمن ومساعدات السعودية وافتضاح التدخلات الأمريكية والبريطانية المؤثرة على أمن وكيان ثورة اليمن والتدهور وحالة القلق هناك قامت مصر بمفاجأة العالم بقيام قوات عسكرية مصرية برية بتشكيل محدود يعاونها سرب واحد من الطائرات وتحركت عبر البحر الأحمر ووصلت اليمن وسـط ترحيب من الشعب اليمنى وكان تدخل مصر بهذه الصورة العسكرية بعد دراسـات سريعة للموقف على اثر التدخل السعودى المتعاون مع الغرب والولايات المتحدة وفي الوقت الذى كان التدخل السعودى بمثابة تدخـل طرف عربى تأييدا لحكم الطغاه في اليمن وضد الشعب اليمنى الذى ذاق حياة الذل والامتهان من هؤلاء الطغاة اما التدخـل العسكرى المصرى فكان لمصلحة الشعب اليمنى المغلوب على أمره وكان بغرض انتشال الشعب اليمنى من عصور التخلف السحيقة ٠ وبوصول القوات المسلحة المصرية الى اليمن أصبحت مصر تسيطر على منطقة البحر الأحمر بطولها وتتحكم في مدخلى البحر الأحمر شمالا عند قناة السويس وجنوبا عند نقطة لقاء البحر الأحمر بالمحيط الهندى وبذلك أصبح لمصر وجود في شبه جزيرة العرب بالقرب من مناطق البترول العربية والتى تشكل مجالا حيويا للمصالح الاقتصادية الغربية والأمريكية في نفس الوقت الذى أنعش وصول هذه القوات الى هذه المناطق أمل الشعب العربى في المناطق المجاورة والموجودة تحت السيطرة البريطانية واحياء الامل في نداء القومية العربية الذى كان قد أخذ في التراجع بعد انفصال سوريا عن مصر في سبتمبر ١٩٦١ ٠

---

(١) حروب عبد الناصر للسيد / أمين هويدى ، ص ١٠٠

المخطط الأمريكي فى مواجهة الوجود المصرى فى اليمن

تسبب الوجود العسكرى المصرى المفاجىء فى اليمن فى احداث جانب كبير من القلق للادارة الأمريكية فراجعت ما كانت رسمته وخططته فى اسلوب تعاملها مع الرئيس عبد الناصر بعد الانفصال وعلى هذا الضوء أكدت أجهزتها العلنية والسرية على ضرورة العمل (١) على رد واعادة عبد الناصر للعمل داخل بلاده أى العمل على ضرورة اخلاء قوات مصر العسكرية من اليمن وبأى شكل ورغم احتجاج السعودية على المعونات الكبيرة التى كانت تقدمها أمريكا لمصر وبخاصة صفقات القمح الأمريكى بحجة انها تساعد عبد الناصر على الصمود وبالتالى تشجعه على الاضرار بالمصالح السعودية فكانت مراجعة المخطط الأمريكى تدعو الى امكان اعطاء مصر مزيدا من المساعدات لتتمكن الادارة الأمريكية فى المستقبل من ممارسة مزيد من الضغط على عبد الناصر عندما يتعود على هذه المساعدات ويكون فى شدة الحاجة اليها وبذلك يسهل خضوعه فى وقت ما للادارة الأمريكية وفى نفس الوقت اعتقادا من الادارة الأمريكية بانها اذا لم تساعد مصر فسوف تتجه مصر الى الاتحاد السوفيتى وبالرغم من كل هذا تمادت الولايات المتحدة الأمريكية فى مساعداتها العسكرية للسعودية لأجل مقاومة الوجود المصرى فى اليمن ولأجل القضاء على النظام الجمهورى هناك ولارغام عبد الناصر فى النهاية على أن يتخلى عن الوجود فى المنطقة .

المخطط البريطانى ضد ثورة اليمن وضد الوجود المصرى فى اليمن (٢)

اعتبرت السلطات البريطانية فى الجنوب العربى ان وصول القوات العسكرية المصرية الى اليمن يمثل خطورة على مصادر البترول واحتياطاته فى العالم ودعت بريطانيا الى التعاون مع كافة الأطراف المعادية لمصر فى السعودية والأردن كما دعت الولايات المتحدة لعدم الاعتراف بالنظام الجديد فى اليمن ومحاولة التأثير على أكبر عدد من الدول لكى تمتنع عن الاعتراف بهذا النظام وهذا يشجع كثيرا من عناصر الشعب فى اليمن لخلق المتاعب للقوات المصرية وقوات الثورة اليمنية وقامت بتنفيذ ذلك عن طريق

---

(١) وثيقة عبارة عن مذكرة كتبها (مستر روبرت كومر) مساعد مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى فى الشرق الأوسط مقدمة الى الرئيس جون كيندى قبل مقابلة للأمير فيصل فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ — من وثائق سنوات الغليان للأستاذ هيكل — أهرام ٨٨/١٢/١٠ ، ص ١٣ .

(٢) عن كتاب الفه مستر (جوليان أيمرى) البريطانى صار توزيعه فى حينه فى مجلس العموم البريطانى فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، عدد أهرام ٨٨/١٢/١٠ ، ص ١٣ .

قبائل اليمن الكبرى واثارتها لمحاربة القوات المصرية باسلوب حرب العصابات وبذلك تتسبب فى استنزاف قدرات مصر المالية وتحميل مصر أعباء مالية ليست فى طاقتها فى الوقت نفسه دعا المخطط البريطانى الى تقوية التحالف السعودى الأردنى لتقوم الأردن هى الأخرى بدور مؤثر فى اليمن ٠

افتضاح المخطط الأردنى (١)

فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ هبطت طائرة عسكرية أردنية فى مطار القاهرة يقودها قائد سلاح الطيران الأردنى سهيل حمزة ويطلب حق اللجوء السياسى الى مصر وليكشف عن مدى تورط الأردن فى مساعداتها فى المجهود القتالى لصالح الملكيين والسعوديين فى اليمن ٠ وفى اليوم التالى هبطت طائرتان عسكريتان أردنيتان طراز هوكرهنتر واعترف قائداها بأنهما كانا مكلفين بنقل أسلحة وذخائر الى قوات الملكيين فى نجران وجيزان على حدود اليمن لاستخدامها ضد الثورة اليمنية والقوات المصرية هناك ٠

تصاعد التدخل الأجنبى فى اليمن (٢) :

لم تكن الولايات المتحدة وبريطانيا تظنان ان النظام الجديد فى اليمن سيتمكن من الصمود لمدة طويلة أمام الهجمات المتتالية للقبائل الموالية للملكيين ٠ وقامت مصر بعدة محاولات ، بعد أن صمدت قوات الثورة اليمنية فى مواجهة هذه الهجمات وبعد ان قاربت الجمهورية اليمنية على الاستقرار وتحقيق القدرة على صد الهجمات ، فى مجال التفاهم مع السعودية لعدم تصعيد الموقف وزيادة الصراع الا ان السعودية رفضت الاستجابة لهذه المحاولات وتضامنت السعودية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والأردن على زيادة هذا التصعيد واتخذت السعودية منطقة نجران وجيزان قاعدة كبيرة لهذه العمليات ضد اليمن وضد القوات المصرية بأسلوب حرب العصابات وقامت بتدريب هذه العصابات من رجال القبائل ثم توسعت فى استجلاب الجنود المرتزقة من مختلف بقاع العالم باجور خيالية وفتحت مكاتب لاستئجارهم وكدست بهذه القاعدة كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر ومواد الاعاشة وبدأت الأسلحة الأمريكية الحديثة فى الظهور داخل اليمن فى ايدى رجال العصابات من القبائل والمرتزقة

---

(١) نفس المصدر السابق أهرام ١٠/١٢/٨٨ ، ص ١٣ ٠

(٢) حروب عبد الناصر للسيد / أمين هويدى ، ص ٦٠ ٠١

كل ذلك على الحدود الشمالية لليمن · أما فى الجنوب فكانت بريطانيا تنفذ دورها فى المخطط فتصاعد نشاطها وأخذت تستخدم الجاسوسية من عدن ضد اليمن وتدفع بجماعات التخريب داخل اليمن (١) وقامت بتسليح رجال شريف بيحان المتعاون مع السعودية والذى قام بعمليات من (حريب والحجلة) ثم عملت بريطانيا فى النهاية على تحريض الشوافع وهم السواد الأعظم من سكان الجنوب اليمنى على الانفصال عن اليمن معتمدة على العداء التقليدى بين قبائل الشافعية والزيدية سكان شمال اليمن والذى كانت بريطانيا تشجعه من ما قبل الثورة بهدف ربط اليمن الأسفل بمنطقة الجنوب الشافعية والخاضعة لنفوذ السلطات البريطانية فى الجنوب وأخذت بريطانيا تدفع الأمراء والسلاطين لتغذية هذا الاتجاه الانفصالى والذى يحدث القلق لحكومة اليمن الجمهورية ·

مصر تسـعى للسـلام :

رغم تصاعد الاشتباكات فى اليمن بعد كثافة المساعدات الأجنبية للملكيين فقد صمدت قوات الجمهوريين بعد ان اعتمدت مصر بصفة رئيسية فى الدفاع على قوات اليمنيين أنفسهم وقامت بتكوين قوات مسلحة يمنية بقيادات مصرية صار تشكيلها وتدريبها فى مصر ثم قامت بتسليحها تسليحا كاملا حديثا · وقامت مصر بعدة محاولات للصلح مع السعودية استجابة لمحاولات عربية محمودة من السودان والعراق والجزائر لاتمام تحقيق السلام ولايقاف هذه الحرب الأهلية والتى هى فى صالح الأجنبى وليست فى صالح العرب بأى حال من الأحوال ولكن السعودية لم تستجب للمرة الثانية · وأخيرا انعقد مؤتمر حرض ومؤتمر عمران ولكن السعودية لم تلتزم بقراراتهما بل تضاعف حجم التدخل السعودى مما اضطر مصر الى مضاعفة مساعداتها لليمن وللحد من استخدام مصر لقواتها فى اليمن فقد اتخذت ترتيبات مستديمة بانشاء قوات يمنية حديثة وتدريب الضباط اليمنيين فى الكليات والمدارس العسكرية المصرية ثم بانشاء كلية حربية ومدارس أسلحة ومدرسة صاعقة فى اليمن نفسها وتشكل باليمن جيش وطنى حديث تمكن من الصمود أمام الاصرار السعودى بمداومة العدوان ·

الوجود الحضارى المصرى باليمن (٢) :

فى الوقت الذى كانت فيه السعودية متعمدة رغم محاولات مصر نحو السـلام فى اشعال نار الحرب الأهلية فى اليمن لتحول دون تحقيق

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٢ ·

(٢) حروب عبد الناصر للسيد / أمين هويدى ، ص ١٠٤ و ص ١٠٥ ·

الشعب اليمنى لأهدافه نحو التقدم بالتعاون الجاد مع مصر فى تحقيق مخطط حضارى مدروس لتنمية اليمن ولتحوله من أبشع أحوال التخلف الى بداية عصر التقدم ولذلك قامت مصر بالوقوف الى جانب الشعب اليمنى المقهور متحملة كل الأعباء المالية والفنية والعملية :

١ ـ بانشاء جهاز للدولة اليمنية لأول مرة فى تاريخها بعد ان كان الامام وحده هو الدولة وهو الجابى للضرائب والمتصرف الوحيد فى أموال الدولة · وتولى هذا الجهاز الاشراف على تصريف الأمور التى كانت خاضعة لارادة الامام المستبد · وأنشأت مصر هيئة عليا للموظفين وشرعت فى تطهير الجهاز الحكومى المحدود القديم الفاسد واتاح هذا التنظيم الفرصة أمام الكفاءات ووضع قانونا للموظفين ويعتبر هـذا بداية غرس البذور الصالحة فى المجتمع اليمنى ·

٢ ـ وضعت لأول مرة فى تاريخ اليمن ميزانية للدولة بعد ان كان الامام هو المتصرف الوحيد فى الأمور المالية من جباية وصرف ·

٣ ـ صار انشاء جيش يمنى وطنى حديث التنظيم والتسليح ومزود بكافة المعدات وتمكن هذا الجيش من تحقيق حالة استقرار النظام الجمهورى فى البلاد وقام بقطع خطوط امدادات البدر والسعودية والقوات الملكية وقام بعمل كماشة على محور صعده ـ جبل رازح ومحور السهل الساحلى مما أجبر الامـام بدر نفسـه بالعمل فى مواقعه خارج حـدود اليمن ·

٤ ـ انشأت مصر المدارس والمستشفيات والطرق الممهدة وحسنت المدن والمنشـآت وأنشـأت المطارات المتعددة وشجعت حركة العمران على يد العمالة المصرية فأخذت المنشآت الحديثة والضرورية تأخذ طريقهـا كما شجع هذا المساعدات العربية فأخذت هى الأخرى طريقها للمساهمة فى انشاء الجمهورية اليمنية الجديدة وباسلوب العصر ·

٥ ـ كان من أهم آثار الوجود المصرى والعربى باليمن هو تحقيق الاتصـال المبـاشر مع الحركات الوطنية فى الجنوب ومساعدتها لتحقيق استقلالها وحريتها رغم المخططات البريطانية التى كانت جاثمة على أرضها لقرون طويلة وبعد أن كانت بريطانيا تأمل فى القضاء على القوات المصرية وعلى الثورة اليمنية نفسها ·

مشروع جون كيندى للتصالح مع اليمن (١٧ نوفمبر ١٩٦٢) :

بادر الرئيس كيندى بارسال خطـــاب (١) يوحى بأنه خاص الى الرئيس عبد الناصر أكد فيه على أهمية الصداقة السـعودية للولايات المتحدة وان الصراع فى اليمن قد يؤدى الى عدم استقرار مناطق البترول فى شبه الجزيرة العربية · ومن صياغة الخطاب تبين انه مشروع سلام فى شـــكل خطة مقترحة لتحقيق التصـــالح بين الأطراف المتنازعة فى اليمن :

١ ــ ان يتم انسحاب القوات الأجنبية من اليمن وعلى مراحل :

٢ ــ انهاء المساندة الخارجية للملكيين ·

٣ ــ انشاء نظام دولى للاشراف على عمليــة فض الاشتباك تعاون أمريكا فى تحقيقه ·

٤ ــ تعلن مصر فى بيان لها استعدادها لفض الاشتباك المتبادل ·

٥ ــ يتم اخلاء القوات الأردنية والســـعودية من مناطق الحدود وايقاف المساندة السعودية الأردنية للملكيين فى اليمن ·

٧ ــ بمجرد موافقة اليمن والسعودية وباقى الأطراف عناصر الصراع تبادر الولايات المتحدة باعلان اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية وأرسل الرئيس جـــون كينـــدى فى نفس الوقت مشروعه هـــذا للســـلام الى الملك حسين والى الأمير فيصل والرئيس عبد الله السلال رئيس اليمن وفى ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ رد على الرئيس جون كنيدى الرئيس عبد الناصر ولمح انه (٢) خصه بالرد السريع لثقته فى نواياه رغم ان ما يحويه خطاب كيندى يخص علاقات بين أطراف عربية لم يتعـود عبد الناصر ان يتناول حلها مع أى أطراف غير عربية وشرح فى رســالته هذه ظروف الخـــلاف المصطنع مع السعودية وانه خلاف افتعلته السعودية بمساعدة الملكيين بشكل سافر ضد الجمهوريين اليمنيين رغم اعلان مصر منذ بدء نجاح ثورة

---

(١) من وثائق وزارة الخارجية الأمريكية بالحلقة ٢٧ من حلقات كتاب سنوات الغليان للأستاذ حسنين هيكل ، عدد أهرام ١٩٨٨/٢/١٠ ، ص ١٣ ·

(٢) خطاب الرئيس عبد الناصر الى الرئيس جون كيندى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ ــ وثيقة من وثائق كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل حلقة ٢٧ عدد أهرام يوم ١٩٨٨/١٢/١٠ ص ١٣ ·

اليمن يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بضرورة عدم التدخل الخارجي في شئون الشعب اليمني وان الملك سعود تصور ان هذا الصراع بين النظم الجمهورية والنظم الملكية وكذلك لم يكف عن تدخلاته بمساعدة الأطراف الأجنبية التي ثبت اشتراكها فى المخطط (ملمحا الى لجوء الطائرات الأمريكية الصنع السعودية والأردنية وما تحويه من معدات وأسلحه فى صناديق المعونة الأمريكية الى الأراضى المصرية) • وفى النهاية أعلن عبد الناصر فى خطابه قبول اقتراحات الرئيس كيندى للسلام دون تردد وذلك لايقاف الصدام على حدود اليمن • ووافق على مقترحات الرئيس كيندى بعد التشاور مع الحكومة اليمنية • وباتفاق بين عبد الناصر والرئيس السلال وافق الرئيس السلال على مشروع جون كيندى للسلام •

الموقف العسكرى فى اليمن :

فى ذلك الوقت وحتى ديسمبر ١٩٦٢ كانت قوات مصر باليمن قد استطاعت السيطرة على معظم شرق وشمال اليمن وتحققت بذلك سيطرة النظام الجمهورى اليمنى على معظم أراضى اليمن وكانت قوات الملكيين كلها متمركزة فى قواعد خارج الأراضى اليمنية •

اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية اليمنية (١٩ ديسمبر ١٩٦٢) :

وصل الى المنطقة مبعوث الولايات المتحدة السفير (ألزورث باتكن ؛ كما وصل فى نفس الوقت الدكتور (رالف بانسن) مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة على رأس هيئة مراقبين من الأمم المتحدة • وفى مساء يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ أعلن الرئيس جون كيندى ان حكومته تعترف اعتراف قانونيا بالجمهورية العربية اليمنية •

ردود فعل اعلان الولايات المتحدة :

١ ـ **فى الولايات المتحدة :** رغم موقف الرئيس كيندى الواضح من الأزمة ومساعيه نحو حلها فقد تعرض البيت الأبيض لضغوط لا يستهان بها من شركات البترول والبنوك الأجنبية والتى اعتبرت ان هناك تهديدا خطيرا للسعودية لأن هذا الاعتراف يتواكب مع نجاح الوضع العسكرى المصرى باليمن وفى النهاية وافق الرئيس كيندى على تشكيل لجنة أمن قومى لمتابعة وتنسيق السياسة الأمريكية ازاء اليمن والسعودية •

٢ ـ في بريطانيـا :

قوبل الاعتراف الأمريكي (١) في بريطانيا وبخاصة في الأوسـاط الرسمية بجانب كبير من الحنق على أمريكا لدرجة التحدى والتمرد لان بريطانيا وجدت نفسها فجأة مهددة عند آخر موقع لها في الشرق الأوسـط والذى منه تتحكم في الخليج العربى في مواجهة حركة القومية العربية التي يهددها بها عبد الناصر وفي نفس الوقت اعتبرت انجلترا ان بقاء القوات المصرية في اليمن يساعد في رفع تكاليف بقائه واستنزاف قدرات مصر الاقتصادية وبالتالى اضعافه عسكريا .

٣ ـ في مصر :

قوبل هذا الاعلان بجانب من الارتياح العام وبنفس القدر بجانب من الشك في تصرفات الادارة الأمريكية بصرف النظر عن النوايا الطيبة من الرئيس كيندى نفسه .

٤ ـ في فرنســا :

اعتبرت فرنسا طرفا من أطراف الانتقام من عبد الناصر أخذا بالثأر من فشلها في عملية العدوان الثلاثي وانتقاما من دور عبد الناصر في مساعداته لثوار الجزائر مما تسبب عنه خروجها من الجزائر جريحة أمام القومية العربية التى لازال عبد الناصر يلعب به في شبه الجزيرة العربية لذلك اخذت فرنسا تشارك في عملية جديدة قد تسبب في انهيار الوضع العسكرى المصرى واليمنى في اليمن ألا وهو مجال المساعدة على أوسع نطاق في عملية تجنيد وتجميع قوات المرتزقة كما ابدت استعدادها لوضع قواعدها في جيبوتي لاستخدامها كقاعدة للنشاط العسكرى الاسرائيلى الذى شارك هو الآخر في اسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة في جبال اليمن .

٥ ـ دول حلف بغـداد :

قوبل هذا الاعتراف باعادة نظر دول حلف بغداد العربية والتركية والايرانية للتعاون فيما بينها لتقديم المساعدات المادية والمعنوية والدعائية للسعودية امعانا في الانتقام من تدخلات مصر ومهاجمتها المستمرة للأحلاف بصفة عامة ولحلف بغداد بصفة خاصة ولو انه أصبح في زوايا النسيان بعد ثورة العراق .

---

(١) وثيقة بريطانية مرسلة من المخابرات البريطانية الى وزير الخارجية البريطانية ـ من وثائق كتاب سنوات الغليان للاستاذ هيكل أهرام ٨٨/١٢/١٢ ، ص ٦ .

تطور أجهزة الحصول على المعلومات فى مصر (١) :

فى هذا الوقت بالذات كانت مصر قد استكملت أجهزتها الفنية الحديثة فى التصنت اللاسلكى على رسائل العدو المتبادلة وفك شفرتها وبذلك أمكنها الحصول على المعلومات المؤكدة عن جميع تحركات الأطراف المعادية من داخل وخارج الحدود اليمنية وحتى من المناطق البعيدة فى الدول المتآمرة فى قواعدها فى أوروبا بالاضافة الى نشاط مكاتب جهاز المخابرات السرية فى الخارج وكثيرا ما كان الرئيس عبد الناصر يفاجىء السفير الأمريكى فى مصر بالمعلومات التى تؤكد على علاقات الولايات المتحدة بالمساعدات العسكرية الأمريكية والبريطانية للسعودية والأردن لدرجة تحديد حجم هذه المساعدات الأمريكية والبريطانية والأردنية وكان من أخطر ما كشفت عنه الأجهزة المصرية هو : استخدام جيوش المرتزقة الأجانب فى اليمن ٠

بعد فضيحة لجوء الطائرات السعودية والأردنية الى مصر أخذت الأطراف المعادية لمصر واليمن تفضل الأموال السعودية الوفيرة باستخدام فلول منظمات الجنود المرتزقة الأجانب التى سبق لفرنسا استخدامها فى عمليات الكونغو وفلول الفرقة الأجنبية التى كانت تعمل فى شمال أفريقيا ضد ثورة الجزائر كما كان الجهاز السرى للعمليات الاسرائيلية فى الموساد (جهاز المخابرات الاسرائيلى) وتكون من هذا الخليط المعادى جهاز ساهمت فى تحويله ومساعدتة شركات البترول وتجار سلاح دوليين وبنوك وأصبح هذا الجيش قادرا فى هذا الوقت على احداث الازعاج اللازم داخل اليمن لتحقيق الهدف ضد القوات المصرية باليمن وضد قوات الجمهورية اليمنية وبذلك أمكن الاستغناء كلية عن استخدام العناصر العربية العسكرية والتى انتقل كل ولائها الى تيار القومية العربية وبذلك فقدت السعودية والأردن الثقة فى الاعتماد على أفراد قواتها العسكرية وأصبح الاعتماد بالكامل على جيوش المرتزقة وأصبح لها قواعد فى :

١ ـ قاعدة فى بريطانيا :

عبارة عن مكاتب أنشأها جوليان ايمرى (٢). والذى أنشأ فى نفس الوقت مكتبا للاتصال وقاعدة من داخل اليمن نفسها جند له المحترف

---

(١) اهرام ١٩٨٨/١٢/١٢ ، ص ١٣ ٠

(٢) كان يعتبر رئيس مجموعة نواب السويس التى وهبت نفسها للانتقام من مصر بعد العدوان الثلاثى ـ حلقة ٢٨ من كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١٢/١٢ ٠

البريطاني ميجور جون كوبر الذى تسلل الى اليمن من نجران وأنشأ هذه القاعدة • كما كانت هناك مكاتب فى لندن تقوم بتجميع فلول المرتزقة خلف خطوط القتال •

٢ ـ قاعدة فى باريس :

كانت مكاتبها تعيد تنظيم فلول المرتزقة السابق عملها فى الفرقة الأجنبية التى سبق لفرنسا استخدامها فى جميع حروبها فى مقاومة ثورات الشعوب المقهورة فى المستعمرات الفرنسية السابقة ـ بالاضافة الى فلول جنود الجيش السرى الفرنسى • وتعاون هذا المكتب الفرنسى مع الموساد الاسرائيلية من قاعدة فى جيبوتى كانت تنطلق فيها فرق العمليات القذرة وأمكن بذلك تسلل عدد كبير من اليهود اليمنيين الذين كانوا قد هاجروا من اسرائيل للعودة الى داخل اليمن والقيام بكثير من العمليات الخاصة وبعد ذلك كانوا يذوبون وسط الجماهير اليمنية فى القرى والمدن وتزداد خطورتهم •

٣ ـ مجموعة تجار الأسلحة :

قام جهاز المخابرات السعودى الذى كان يشرف عليه كمال أدهم بالاتصال والتنسيق مع أجهزة العمليات القذرة بشركات البترول الكبرى والبنوك العملاقة ذات المصالح الحيوية فى شبه الجزيرة العربية عن طريق صديق كمال أدهم وزميله فى الدراسة عدنان خاشقجى والمتخصص فى تجارة السلاح وثبت بعد ذلك تعاونه مع الموساد الاسرائيلية وعملياتها فى اليمن •

مصر تعيد التفكير فى اتمام الصلح مع السعودية :

بعد الاتفاق فى التصالح مع السعودية واصلت مصر ارسال طائرات استطلاع على حدود اليمن وأكدت هذه الطلعات الاستطلاعية على استمرار النشاط العسكرى المعادى فى مناطق الحدود فى نجران وجيزان •

وفى نفس الوقت وصلت معلومات الى مصر من مصادر مؤكدة عن طريق فك شفرة الرسائل المتبادلة السرية للسلطات السعودية وغيرها والتى لها نشاط فى عملية التحرش العسكرى بقوات مصر باليمن وأكدت كلها ان العدو مستمر فى الحشد فى نجران وجيزان ، كما أن طائرات تتابعه كانت تصل اليها محملة بجميع أنواع العتاد العسكرى من بلجيكا • كما

كانت تصل هذه الطائرات الى الطائف وتنقل شحناتها الى نجران وجيزان سواء بالطائرات السعودية أو بالسيارات ٠

كما ان أمريكا وأجهزة دعايتها بالغت فى الاعلان عن وصول سرب من الطائرات الأمريكية الى السعودية لترابط فى قواعدها بغرض الدفاع عن السعودية ٠ وكذلك أعلنت باسلوب مبالغ فيه عن ارسال أسطول من المدمرات الأمريكيـــة تطوف بين موانىء المنطقـة الشرقية ٠ واكتشفت السعودية نشاط الطائرات العسـكرية المصرية على حدودها واختراقها للاستطلاع دون العدوان ٠ وأخذ نشاط البدر والحسن ومندوبين سعوديين يزداد ويركز على الاتصـــال المريب ببعض رؤســـاء القبائل فى اليمن لتحريضها ضد الوجود المصرى العسكرى وضد قوات الجمهورية اليمنية وأخذ تهريب السلاح والمعدات العسكرية الى داخل اليمن فى زيادة مريبة توحى التحضير لعمليات أوسع نطاقا وقامت طائرات الاستطلاع المصرية باطلاق النار على بعض هذه الحشود فى نجران بعد ان تأكدت مصر ان السعودية لم تستجب اطلاقا الى التدخل الأمريكى فى عملية فض الاشتباك مع تباطؤ الطرف البريطانى فى الاعتراف بالجمهورية اليمنية وعدم توقف نشاطه المعادى فى الجنـوب مما يوحى بنياته العـدوانية ٠ وقامت مصر أيضا فى منطقة (تبوك) داخل السعودية بعملية ازعاج وتشتيت القوات السعودية بالطيران ثم قامت بعملية اسقاط مؤن فى مناطق بعض القبائل الموالية للجمهوريين ٠ وكل هذه التصرفات المخالفة لفض الاشتباك كانت معلومة للجانب الأمريكى ولا تزعجها بل كانت مكان تبرير من جانب الرئيس الأمريكى كما جاء فى خطاباته المتبادلة مع الرئيس عبد الناصر رغم ان هذه التصرفات كانت مما يعيق ويؤخر عملية السلام الدائم هناك والمقترح من البيت الأبيض ٠

انقلاب فى العراق (٨ فبراير ١٩٦٣) :

منذ أول عام ١٩٦٣ كان نظـام حكم عبد الكريم قاسم فى العراق قد بلغ أقصى درجات الاستبداد وتفشت الاعتقالات بدون اتهامات وقامت محكمة العقيد فاضل عباس المهداوى ابن خالة عبد الكريم قاسم بمهزلة أحكامها بالاعدام على معظم القوميين وقامت بتصفية معظم رجال الثورة القوميين وأصبح حكم عبد الكريم قاسم يمثل استغلالا فى ابشع صوره من الاقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة وأصبح شعب العراق يعانى ويتألم من نظام حكم عبد الكريم قاسم الذى يتعاون علنا مع المستغلين الأجانب سواء من الأمريكان أو من الروس وأصبح صورة ممسوخة من حـكومات نورى السعيد قبل الثورة ـ وتكونت مؤسسة وطنية عراقية واتصل جانب

منهم من القوميين العراقيين والقوميين العرب (١) بالقيادة السياسية في مصر وأبلغوها ان الفئات القومية بالعراق ومعهم الناصريون شكلوا مؤسسة وطنية وبصفة سرية وجهزوا لاحداث انقلاب على حكم عبد الكريم قاسم وانه يحتمل حدوث الانقلاب في أي وقت وأيدت مصر هذه المؤسسة بصرف النظر عن انتماءات القائمين بها الحزبية وكان الشعب العراقي جاهزا للتأييد والمشاركة في هذا العمل الايجابي بفضل وعيه الوطني والقومي والذي تكفلت بجانب كبير منه اذاعات القاهرة وصوت العرب وباقي اذاعات الدول العربية المتحررة بجانب الاذاعة السرية التي كانت موجهة من مصر الى العراق تبصر الشعب العراقي بمدى فساد نظام عبد الكريم قاسم • وفي صباح ٨ فبراير ١٩٦٣ قامت المؤسسة الوطنية في العراق بالانقضاض على مقر عبد الكريم قاسم المستديم في وزارة الدفاع العراقية• وفي نفس الوقت قامت جماعات سياسية قومية بالسيطرة على المواقع الحساسة في بغداد ولما شعرت العناصر الشيوعية الموالية لعبد الكريم قاسم بالخطورة قاموا بمظاهرات اتجهت الى مقر وزارة الدفاع وكان يتجمع حولها عدد غفير من أفراد الشعب الساخطين على عبد الكريم قاسم فتصدوا للعناصر الموالية لقاسم وفتكوا بها • وتوالت موجات الطائرات تقذف مقر قاسم فلجأ الى الاستوديو متظاهرا بالتماسك ومن هذا الاستوديو الاذاعي أخذ يستعد لاصدار بيان يدعو فيه الجماهير للمقاومة حيث كان يتصور تحت وهم جنون العظمة انه لازال الزعيم الأوحد لشعب العراق وسارعت القوات المدرعة الموالية للثورة الجديدة بالهجوم على وزارة الدفاع واشتبكت مع فلول حرس عبد الكريم قاسم وسرعان ما حسمت الموقف واقتحمت معقل عبد الكريم قاسم واسقطته قتيلا داخل استوديو الاذاعة ومعه عدد من أعوانه على رأسهم العقيد عباس المهداوي •

البيانات الثــورية :

وقبل الساعة العاشرة بقليل أصدرت قيادة الانقلاب من الاذاعة في بغداد البيان الأول للثورة ثم توالت البيانات حتى صدر أحدها معلناً تشكيل مجلس قيادة الثورة العراقية الجديدة وكان على رأسه عبد السلام عارف وكان لا يمثل القوى الحقيقية في العراق كما كان أكثر من نصف أعضاء

---

(١) من واقع خطاب أرسله الرئيس عبد الناصر بخط يده الى عبد الحكيم عامر باليمن في ٢٣ فبراير ١٨٦٣ — من وثائق كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل — أهرام ٨٨/١٢/١٤ ، ص ٦ •

قيادة الثورة (١) من البعثيين (جناح عفلق) وأصبح بذلك البعثيون يسيطرون على أمور العراق وقام مجلس الثورة فى الحال باعتقال ٨٠٠ ضابط عراقى (٢) لهم ميول شيوعية منهم ١٥٠ طيارا وأصبحت بعض الاسراب العراقية بدون طيارين كما صار تدمير سرب ميج كان مواليا لقاسم كما صار اعتقال ٤٠٠٠ (اربعة آلاف) شيوعى عراقى وقتل عدد كبير منهم دون محاكمة ٠ ومنذ اليوم الأول لهذا الانقلاب الجديد وقف الاتحاد السوفيتى والشيوعيون العرب معادين للانقلاب اعتقادا منهم بأنه من تدبير مصر أو على الأقل من تأثير سياستها القومية على مقدرات الأمور فى شعوب الأمة العربية وقامت الصحافة اللبنانية المؤيدة للشيوعيين العرب وروجت ان الثورة الجديدة فى العراق هى « ثورة أمريكية » ٠

مجلس الثورة العراقى يتصل بالقاهرة :

فى أول اتصال بين مجلس الثورة العراقية وبين مصر أفصح مجلس الثورة العراقية عن رغبته فى أن تشارك العراق بوفد لها من أعضاء مجلس الثورة فى احتفالات عيد الوحدة الذى يقام فى القاهرة يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ وحضر الوفد فعلا وكان معظمهم من أعضاء حزب البعث ٠ وكانت هذه مناسبة اجتمع فيها معهم عبد الناصر عدة اجتماعات كانت كافية للوقوف على مدى امكانات مجلس الثورة العراقى نفسه من الأبعاد القومية ومدى تأييدهم لفكرة الوحدة العربية وأفصح الحوار (٣) مع أعضاء الوفد بما يحويه من أغلبية بعثية وأقلية قومية وكردية ان العراق فى هذا الوقت كان يخضع لأوامر حزب البعث والذى يخضع بالتالى لأهواء ميشيل عفلق واستقر رأى مصر على ضرورة التروى بعد تجربة مصر المريرة مع بعث سوريا والذى تسبب فى النهاية فى عملية الانفصال كما ظهر أيضا من الحوار ان هناك بوادر انقسام داخل القيادة فى العراق لأن الفئات القومية سوف لا تقبل بسهولة انفراد البعث بالسلطة كما ان عبد السلام عارف نفسه رئيس الدولة لا يقبل ان يكون صورة ، وانه من المحتمل احداث تغيير فى تشكيل هذه القيادة بحيث تكون للاسوأ لوضوح نوايا البعث فى الحصول على الوزارات الحساسة وباعداد مبالغ فيها وكانت المعلومات التى حصل عليها الرئيس عبد الناصر ان الثورة قام بها ٩٠٪ من القوميين فى الجيش ، ١٠٪ منهم فقط كانوا من البعثيين وان

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

(٢) من اعترافات الفريق على صالح عماشة وزير الدفاع فى النظام الجديد فى العراق فى لقائه مع الرئيس عبد الناصر من واقع وثيقة للمصدر السابق ٠

(٣) نفس المصدر السابق ٠

الموقف فى الجيش العراقى لا يدعو الى الارتياح وأن عارف عبد الرازق القومى والذى قام بدور مؤثر فى الانقلاب ليس من ضمن أعضاء مجلس الثورة وان سبعة ألوية عراقية لا زالت تحارب فى المناطق الكردية كما أفصح أحد الوزراء لعبد الناصر على انفراد عن مخاوفه من هذا النظام على المصالح الكردية وان الأكراد لا يثقون فى وعودهم وكانوا قد أوقفوا القتال مع القوات العراقية على أمل الاتفاق وان الاتحاد السوفيتى منذ اعلان هذا الانقلاب أوقف امداد العراق بالسلاح والذخيرة والمعدات ولم يلب طلبات حكومة العراق من ذخيرة الدبابات والمدفعية والطائرات ومدافع الطائرات وان هناك تجمعا قوميا فى الجيش العراقى يتحفز للقيام بشىء ٠ وأثار الوفد العراقى أيضا مع الرئيس عبد الناصر طلب علاقات وثيقة مع مصر وان الوحدة هى الهدف النهائى ٠ وتكلم معهم الرئيس عبد الناصر بصراحة عن أخطاء حزب البعث السورى وكان السبب فى الانفصال وان مصر يهمها فى المقام الأول وحدة الهدف وانه اذا تحررت سوريا فيمكن ان تتحد مع العراق ومصر تؤيد ذلك ٠

انقلاب فى سوريا (٨ مارس ١٩٦٣) :

بعد مرور حوالى سنة ونصف فقط على الانفصال فى سوريا تكونت خلاله مؤسسة وطنية جديدة فى سوريا كانت عبارة عن مجموعة من القوى التقدمية الوحدوية من حزب البعث وحركة القوميين العرب وحركة الوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة ٠ أخذت هذه المجموعة تخطط وتعد نفسها للانقلاب على نظام الانفصال فى سوريا على أساس ان الانفصال كان مرحلة استغلت فيه الاقلية الفاسدة الحكم وذلك على مقدرات الأغلبية الساحقة للشعب السورى المغلوب على أمره ٠ وفى يوم ٨ مارس ١٩٦٣ أى بعد شهر بالضبط من سقوط نظام عبد الكريم قاسم المستبد بالعراق تحركت هذه المؤسسة الوطنية السورية واسقطت نظام الانفصال المهتز وصدر فى الساعة السابعة من صباح ٨ مارس ١٩٦٣ من اذاعة دمشق البيان الأول للانقلاب وجاء فيه : منذ فجر التاريخ ٠٠٠٠ وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم ٠٠٠ بل يعيشون فى حدود الوطن العربى الكبير ٠٠٠٠ الى أن أتت وحدة مصر وسوريا نموذجا لآمال شعبنا فى تحقيق وحدته ٠٠٠٠ واندفع معها الشعب العربى فى سوريا ٠٠٠٠ ولكن الرجعية العملية والاستعمار والانتهازية أبت الا أن تكشف عن نفسها مستغلة الأخطاء فى تلك الحقبة فذهبت بالتآمر على تلك الوحدة فكانت نكبة الانفصال ٠٠٠٠ ومرت سنة ونصف على الإنفصال وأنت تعانى أصعب فترة مرت عليك ٠٠٠ أشرف فيها الاستعمار والرجعية على

الانتخابات وروجت للسياسة الاستعمارية صحف مأجورة تنهش أمانيك ولا تعبر عنها وعن مشاعرك وأبعدتك عن الدول والشعوب المتحررة فتسببت فى عزلتك ٠٠٠٠ ولم يكن الجيش السورى غافلا عن واجبه فقام صباح هذا اليوم بحركة ثورية وأزاح قيادته المنحرفة المراوغة وليعبر عن مبادىء الثورة الجديدة وهى التمسك بالوحدة العربية والحياد الايجابى وتأييد ثورة اليمن ومباركة ثورة العراق ومد يد سوريا الى القاهرة وبغداد وصنعاء والجزائر والى كل الأحرار فى كل مكان ٠ وتوالت بيانات مجلس الثورة السورى وأخذت تتضح حقيقة الصورة وأفصح أحد البيانات عن اعتقال اللواء عبد الكريم زهر الدين قائد الجيش السورى وخلع ناظم القدسى من رئاسة الجمهورية ولجوء خالد العظم رئيس وزراء سوريا الى سفارة تركيا فى دمشق ثم صدرت القرارات التى اعادته الى خدمة الجيش جميع الضباط الذين كانوا بالسجن أو مسرحين بعد الانفصال ٠ ثم وصلت القيادة المصرية الاخبار التى تشير الى أسماء القيادة السورية الجديدة وأمكن الوقوف من ذلك على هوية هذا الانقلاب (١) حيث كان على رأسه العقيد لؤى الاتاسى وقد رقى الى رتبة الفريق وعين قائدا عاما للجيش وكان مسجونا طوال فترة الانفصال فلم يشترك فى مؤامرة الانفصال ولا ينتمى لأى حزب كما لم يشترك فى التدبير لهذه الثورة أو بالتنفيذ وبذلك يكون قد وضع فى هذا المركز تغطية لأوضاع أخرى ومساومات القوى المنفذة للانقلاب ــ كما عرف أيضا أن العقيد زياد الحريرى هو قائد العملية الفعلى وترقى الى رتبة لواء فقط وعين رئيسا للأركان ٠ ثم أعلنت قيادة الثورة الجديدة عن تقديم أبطال الانفصال للمحاكمة لكشف ملابسات الانفصال للعالم العربى ثم قامت القيادة السورية الجديدة باصدار قرارات العزل السياسى فكانت تعرية لمؤامرة الانفصال وسجلت ٧٤ شخصا يمثلون ست فئات ــ واتضح جليا ان ميزان القوى فى سوريا أصبح فى جانب حزب البعث وان الجماهير السورية صدمت حيث كانت تتوقع بيانا فوريا بالوحدة واستعادة الجمهورية العربية المتحدة ٠

مأزق النظامين السورى والعراقى بعد الانقلابين :

بعد استقرار الأوضاع ظاهريا فى العراق كانت القيادة الحاكمة فى العراق تدير أمورها أكثرية من البعث رغم ان الجيش كان قادته من القوميين ٠ أما الرئيس عارف والذى كان لا يملك من السلطات أى جانب فكان مندفعا نحو ضرورة تحقيق الوحدة ومعه شعب العراق ولكن البعث

---

(١) كتاب سنوات الغليان للأستاذ حسنين هيكل حلقة ٢٩ أهرام ١٤/١٢/٨٨ ، ص ٨ ٠

كان هو صاحب الأمر والنهي ولا يطمئن للوحدة مع مصر لسابق تجربته مع عبد الناصر في الوحدة مع سوريا حيث انتهى بهم الأمر بالابتعاد عن السلطة في سوريا مما تسبب عنه تآمر البعث مع اعداء الوحدة وحدث الانفصال وجاء على لسان (١) على صالح عماشة أحد أصدقاء الثورة والذى انضم للبعث قبل انقلاب العراق ان معظم أعضـاء الوفد العراقى في القاهرة (أنهم يخشونه من مقابلة الرئيس عبد الناصر مرة أخرى لانه يكشف الجميع بكلامه وتحليله) ٠

أما الشعب العراقى فكان يتعجل الوحدة مع مصر على أثر التخلص من عبد الكريم قاسم الذى كان قد خدع الشعب العراقى وعطل وحدته مع مصر ٠

أما في سوريا فقد ظهرت أيضا وبخاصة بعد تشـكيل الوزارة برئاسة صلاح البيطار وهو من مؤسسى حزب البعث بالاضافة الى أن أغلبية مجلس الثورة كان من البعثيين الذين يتظاهرون بتحمسهم لتحقيق الوحدة مع مصر وفي واقع الأمر يفضلون الوحدة فقط مع النظام العراقى الذى يسيطر عليه حزب البعث رغم ان رئيس الثورة نفسه لؤى الأتاسى كان قوميا كالرئيس العراقى عبد السلام عارف والذى كان لا يتمتع بأى سلطة فعالة وجعله مجلس الثورة صورة فقط ٠

أما الشعب السورى فكان متحمسـا لتحقيق الوحدة وكان يظهر شعوره هذا على شكل ضغوط مستمرة على النظام الحاكم بهتافاته ومظاهراته فى المناسبات وتظهر خيبة أمله في هذا الانقلاب الذى يراوغ ويتجنب تحقيق هذه الوحدة مع مصر ولكن البعث صاحب أغلبية المراكز الحساسة فلم ينس تجربته مع عبد الناصر ٠

محادثات الوحدة الثلاثية (العراق وسوريا ومصر) :

كان من طبيعة الأمور ان حزب البعث فى العراق يميل الى رفاقه فى سوريا وكان الاتصال بينهما مستمرا بعد انقلاب سوريا وقام وفد من حزب البعث العراقى يرأسه على صالح السعدى أمين عام حزب البعث العراقى بزيارة سوريا للاجتماع مع عناصر حزب البعث السورى ولتخطيط أسلوب جديد يتقابل فى منتصف الطريق مع نداء الوحدة الذى يرفعه الشعب فى كلا القطرين ويحرج به النظامين السورى والعراقى وكان الهدف البعثى

---

(١) فى ذلك معنى خفى ولكنه واضح من ان القيادة السياسية فى العراق غير متحمسة للوحدة مع مصر وقد ترى الوحدة مع سوريا اذا تغير النظام الاقتصادى (وكان ذلك قبل الانقلاب السورى) ٠

امكان تحقيق وحدة بين العراق وسوريا فى المراحل الأولى وأى شكل من أشكال اتحادهما مع مصر ولكن حقيقة الأوضاع لم تنطل على شعبى العراق وسوريا لانها ستكون وحدة بعثية أكثر من ان تكون وحدة عربية ٠ فكان الشعب فى سوريا يهتف تلقائيا أمام مدرسة التروى والدراسة والتطويل « لادرس ولا تدريس الا بعد عودة الرئيس » « ناصر ناصر ناصر » وفى يوم ١٠ مارس ذهب وفد من حزب البعث العراقى الى سوريا وعلى رأسه على صالح السعدى الرجل البعثى القوى وسمعوا بآذانهم هتافات الشعب السورى المطالب بالوحدة مع مصر والتى ليس لها بديل ولذلك قام طالب شبيب وزير خارجية العراق وعضو الوفد البعثى العراقى فى دمشق يوم ١١ مارس بالذهاب الى مصر ونقل الى الرئيس عبد الناصر ان المجتمعين فى دمشق مع الوفد العراقى يقترحون اقامة وحدة ثلاثية بين مصر والعراق وسوريا ٠ وفى يوم ١١ مارس وصل الى القاهرة وفد عراقى يرأسه على صالح السعدى ومعظمه من البعثيين ثم وصل وفد سورى برئاسة نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء وبعد يومين انضم للوفد السورى ميشيل عفلق أمين عام حزب البعث وصلاح البيطار رئيس الوزراء السورى والفريق لؤى الاتاسى رئيس مجلس الثورة السورى وبدأت محادثات الوحدة من يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٣ ٠

المحادثات تكشف الأوراق (١) :

وبعد المقدمات قام عبد الناصر بمكاشفة الوفدين العراقى والسورى والذى كان معظمهم من البعثيين عن دور حزب البعث فى تحطيم الوحدة المصرية السورية وما روجه حزب البعث عن مصر وعن عبد الناصر بايام الوحدة وعن التسلط المصرى وما تسبب فيه حزب البعث من خلق ظاهرة الاقليمية وانقلابه على تجربة الوحدة وتمهيده للانفصال وما نادى به حزب البعث بعد الانفصال بان سوريا تريد وحدة بدون عبد الناصر وان المطلوب وحدة ديمقراطية أو وحدة اتحادية أو وحدة بدون الحكم الحالى فى مصر ٠ فاذا كان الغرض من هذه المحادثات دون لف أو دوران هو تحقيق وحدة حقيقية مع سوريا والعراق فان مصر ترحب بها ولكن اذا كان الغرض النهائى والهدف الأساسى هو اقامة وحدة مع حزب البعث فان مصر وعلى رأسها عبد الناصر ترفض هذا الوضع كلية وترفض المناقشة فيه حتى لو كان مغلفا بشعارات الوحدة٠وطرح عبد الناصر فى نهاية كلامه تساؤلات عرضها على المجتمعين للرد عليها وهى هل المطلوب هو وحدة أم وحدة اتحادية وهل الاتحاد المطلوب صورى أم حقيقى ٠ وعن الوضع فى سوريا

(١) محاضر جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية ٠

تساءل هل فى سوريا ثورة أو انقلاب وهل الجيش فى سوريا هو الذى يحكم أم الوزارة التى تحكم وهل الحكم فى سوريا بعثى أو قومى وختم حديثه بأنه يريد وحدة بدون انفصال وحدة أبدية تجمع باقى الدول العربية. وطلب من الجميع ان يدلوا برأيهم فيما طرحه من أسئلة وتمت جلسات استماع متتالية وتشعبت فيها الآراء وطالت حتى منتصف ابريل ١٩٦٣ . ومن الملفت للنظر ان الوحيد الذى لم يدل بأى آراء أو تعليق أو اقتراح أو حتى مراجعة هو ميشيل عفلق الذى انضم للوفد السورى بعد يومين من بدء المحادثات وظهر انه كان يراقب ويتتبع ويوجه تحت ستار صمته المتعمد .

ملخص المباحثـــات :

وطالت المباحثات وظهر من خلالها وجود ثلاثة تيارات كان ملخص أهدافها وآرائها فى الآتى :

أولا : التيار البعثى الصارخ :

وكان على رأسه على صالح السعدى وكان يطالب بان تعلن الدول العربية الثلاث مصر وسوريا والعراق وفورا أنهم فى سبيل اقامة وحدة اتحادية على ان يكون هذا الاعلان بمثابة خطوة قد تطول عدة سنوات قد تصل الى ثلاثة وذلك لوضع أسس الوحدة الجديدة بين الثـلاث دول . وكان هذا التيار يهدف الى استدراج مصر بالذات للوقوع فى الشرك البعثى لان صيغة هذا الاعلان كانت تؤكد انه يفرض امتصاص الضغط الشعبى السورى والعراقى بالمطالبة الفردية بالوحدة غير المشروطة .

ثانيا : التيار البعثى الانتهازى :

وكان يمثله السورى عبد الكريم زهور فقد كان يتبنى نداء الوحدة ويحمل فى ثنايا ندائه شرط التطويل والتمويه على الشعوب ويطالب هو الآخر بالدراسة المتأنية بحجة ضرورة مجىء الوحدة على أسس سليمة مدروسة من واقع تجربة الانفصال فقد طالب هذا التيار الدونى الانتهازى بان تتم الوحدة تدريجيا وفقا للدراسات الاقتصادية والعســكرية حتى تتحقق فى النهاية الوحدة السياسية وكان هذا التيار يكرر فى حديثه ما يدل على تبرئة البعث من جريمة الانفصال لان البعث كان أول من سمى الانفصال نكسة وأول من أدانه . كما ينادى ان وحدة المشرق العربى ما هى الا مسألة زمن . وطالب بالأسلوب الملتوى ان يعلن المجتمعون ان الدول الثلاث سائرة نحو الوحدة بغرض تشكيل لجان من الأقطار الثلاثة

من أجل الدراسة وطالب هذا التيار بأن الوحدة لا يجب ان تتأثر بعواطف الجماهير بحجة ان لكل قطر مشاكله التى تختلف عن مشاكل الأقطار الأخرى والتى توجب التريث فى الدراسة ٠

ثالثا : التيار الثالث (التيار القومى) :

وكان من اقطابه السيد نهاد قاسم نائب رئيس الوزراء السورى وطالب هذا التيار القومى بأنه يجب الخروج من هذه المباحثات بنتيجة ايجابية ومشروع وحدة من منطلق اجماع شعبى فى العراق وسوريا باقامة وحدة ثلاثية دون الدخول فى متاهات الدراسة والتطويل لتجنب ارجاء الوحدة وان الشعب العربى وبخاصة فى سوريا متعطش لاعلان الوحدة مع مصر بالذات ، وان تأجيل الوحدة ليس فى صالح الدول الثلاث لذلك يجب مباشرة العمل السريع فى سبيل هذه الوحدة لان الشعوب العربية لا تحتمل التأخير والعبث وأن الشعب العربى العامل فى كل قطر من الأقطار العربية من نوعية واحدة ولا اختلاف الا اختلاف موجود فقط بين الطبقة المثقفة ٠

الخلاصـــة :

اتضح من خلال المباحثات وتشعبها بعد ان بدأ الرئيس عبد الناصر يكشف أهداف حزب البعث السابقة واللاحقة ان هناك رغبة أكيدة بين عناصر حزب البعث فى كل من العراق وسوريا مؤداها العمل على اقامة وحدة بعثية اذا كتب لهذا الاتحـاد أن يقـوم وتكون قادرة على مواجهـة الجمهورية العربية المتحدة وكان اللف والدوران أثناء المباحثات يهدف الى توريط مصر للاسراع فورا « بان المجتمعـين ومعهم وفد مصر كانوا فى سبيل تحقيق وحدة اتحادية كمفتاح للدراسة لعدة سنوات قبل اعلان هذه الوحدة » (وكان هذا بغرض امتصاص الحماس الشعبى الذى ينادى بالوحدة الفورية مع مصر) ٠

البيان المشـــترك :

وبذلك كانت مصر غير مستعدة لاقحام نفسها والتورط فى اعلان ما هو مقصود به وهو الهاء وخداع الجماهير العربية واستغلال مكانة مصر بجعلها ستارا لتصرفات غيرها ٠ فلم تكن مصر على استعداد للدخول فى تجربة وحدوية جديدة غير مضمونة النتائج وعليه فقد تم التوقيع فى نهاية المحادثات على ميثاق مشترك لانشاء جمهورية عربية متحدة تضم مصر والعراق وسوريا وكان معروفا للخاصة ان هـذا الميثاق لن يدخل حيز التنفيذ ٠

مصر فى مفترق الطرق :

بحكم تطور الزمن وبفضل تطلعات شعب الأمة العربيـــة وكفاحه بشتى الطـــرق لتحقيق آماله فى الحـرية والتقدم والتخلص مـن جميع أشكال الاستغلال الداخلى والخارجى وبفضـــل تجربة الثورة المصرية وما حققتــه من نجاحات وبخاصـــة بعد تبنيها لاحيـــاء القومية العربية ومساعداتها المتواصـلة لحركات التحرير العربية بشـكل مكثف ومتتال فى فترة زمنية قصيرة فى حياة الشعوب فقد انتصرت الثورة الجزائرية ويتحقق استقلال الجزائر فى يوليو ١٩٦٢ كما قامت الثـورة فى اليمن وصمدت فى سبتمبر ١٩٦٢ وسقط نظام عبد الكريم قاسم فى العراق فى فبراير ١٩٦٣ وتم انهيار النظام الانفصالى فى دمشق فى مارس ١٩٦٣ ٠ وكان الغرب ومعهم أمريكا يتهمون مصر علنا سواء عن اقتناع أو من باب تخويف الرجعية العربية والعناصر المعادية للقوميـــة العربية من الدور المصرى وأنه السبب فى كل هذه الانتفاضات الضـارة بالمصالح الغربية والرجعية العربية وفى نفس الوقت الاتحاد السوفيتى منذ قيام الوحدة مع سوريا يناصب مصر التبرم لوقوفها فى وجه الشيوعية العربية وزاد هذا التبرم والعـداء السـلبى بعد سـقوط عبد الكريم قاسـم ، وهم الآخرون ومعهم الكتلة الشرقية اعتبروا صـوابا أو خطـأ انه السبب فى كل هذه الانتفاضات المؤثرة بشكل أو بآخر على الوجود الروسى فى المنطقة العربية٠ وكانت مصر حتى هذا التاريخ ازاء العناد الأمريكى فى مساعدة مصر فى مجال التنمية الصناعية وفى مجال التسليح كانت مصر لاتزال تعتمد على المصدر الوحيـد فى مجـــال هذه المساعدات أى من الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية وهذه الانتفاضـــات أغضبت بشـــكل أو بآخر الطرفين العظيمين أمريكا والاتحاد السوفيتى بما كان يمكن أن يهدد مطالب مصر الحيوية والتى كانت تتلخص فى معونات القمح الأمريكى والتى كانت قد أصبحت من ضرورات الحياة للشعب المصرى علاوة على ان مصر لاتستهلك فى سبيل الحصول عليها رصيدها من العملة الصعبة طبقا للاتفاقيـــة الأمريكية بل كانت تصرف هذا الرصيد على مشـــاريع التنمية المصرية الضخمة لتحقيق الرفاهية للشعب المصرى ٠ وكانت هذه الاتفاقية ضمن المخطط الأمريكى بعيد المدى لجعل مصر فى النهاية تعود الى رشـــدها خاضعة لأساليب السيطرة الأمريكية الغربية والتبعية للغرب ٠ وفى نفس الوقت قامت فى الأردن على أثر هذه التغييرات فى اليمن وفى بغداد وأخيرا فى سوريا وما تمخض عنها من مباحثات القـاهرة للوحـدة الثلاثية بين الأردن الكبرى وفى الضفة الغربية تطالب الحكومة بالانضمام لمباحثـات العراق وسوريا ومصر ــ قامت فى الأردن مظاهرات جماهيرية فى مدن

الأردن الكبرى وفى الضفة الغربية تطـالب الحكومة بالانضمام لمباحثات القاهرة ووقعت مصادمات سقط فيها كثير من القتلى والجرحى واستقالت وزارة وصفى التل وشكل سمير الرفاعى وزارة جديدة وواجهت وزارته موقفا متوترا وقد أزعج كل ذلك اسرائيـل الموجـودة على حـدود الأردن وما جاء بمباحثات الوحدة بعد اعلانهـــا بما فيها الدعوة الى اقامة اتحاد عسكرى بين الدول الثلاث والوعد بتحرير فلسطين واعتبرته اسرائيل مهددا لاستقرارها واتخذت ذلك مادة للدعاية بجلب العطف على اسرائيل التى تهددها الدول العربية باستمرار (كما تزعم) ٠

أما فى السعودية

فقد تسببت هذه التطورات فى المنطقــة العربية فى احـداث بعض القلق للأسرة الحاكمة واعتقدت هى الأخرى ان هذه التطورات نتيجة تدخلات مصر وفضلت السعودية معاودة الاتصال بمصر طلبـــا للصلح وللحـل السلمى بفض الاشتباك استكمالا لتدخلات الولايات المتحدة والذى كان قد توقفت لبعض الوقت وكان الأمير فيصل وبعض الأمـــراء السعوديين يفضلون الحل السلمى وصار اتصال مع مصر عن طريق الشيخ حافظ وهبه بعد ثورة العراق باسبوع وأبلغ مصر ان السعودية تفضل الوساطة فى موضوع ايقاف القتال بالتفاهم العربى بديلا عن الوساطة الأجنبيــة ووافقت مصر على المشروع السعودى لفك الاشـــتباك وباركت الولايات المتحدة هذه الخطوات ويلغها السفير الأمريكى بالقاهرة برسالة شفوية من الرئيس كيندى الى الرئيس عبد الناصر وفى ١١ يونيو ١٩٦٣ توجه مراقبو الأمم المتحدة الى اليمن كخطوات أولى لفض الاشتباك ٠

حصول مصر على بعض الأسلحة من روسيا

فى هذا الوقت بالذات كانت مصر والاتحاد السوفيتى يعملان على ايقاف الحملات بينهما بشتى الطرق للمصلحة المتبادلة وأمكن لمصر الحصول على بعض الأسلحة السوفيتية مدة أخرى بعد توقفها لمدة وعلمت اسرائيل بذلك أيضا (١) واستخدمته أحسن استخدام مع الأمريكان للحصول منها هى الأخرى على ما يزيد عنه من الولايات المتحدة أو على الأقل لتهديد روسيا بواسطة الولايات المتحدة ٠

---

(١) خطاب بن جوريون الى كيندى فى دراسة للجنرال موردخاى جاريت مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية ـ معهد شلواح ـ أهرام ٨٨/١٢/١٧ ، ص ١٢ ٠

التقدم العلمى فى مجال البحوث المصرية

وفى نفس هذا التاريخ أيضا تجمعت المعلومات لدى الادارة الأمريكية ولدى اسرائيل عن التقدم العلمى الذى أحرزته مصر فى مجال الأبحاث الذرية والتى قد تؤدى الى امكان صناعة القنبلة الذرية أو امكان الحصول عليها من جهات أخرى بالاضافة الى ما أحرزته مصر فى مجال انتاج الصواريخ وبالذات صواريخ أرض ـ أرض وتعاون الخبراء الألمان فى مصر فى هذا المجال •

اسرائيل تستنجد بأمريكا

ازاء كل ما سبق زودت المخابرات الاسرائيلية الادارة الأمريكية بما لدينا من المعلومات عن هذا التدخل المصرى لتقف الى جانبها فى وجه هذا الخطر العربى والذى تسيطر عليه وتوجهه مصر والرئيس عبد الناصر بالذات •

أما فى الاتحاد السوفيتى

بعد ان سقط حكم عبد الكريم قاسم فجأة فى العراق والذى كان يتعاون مع الاتحاد السوفيتى ضد القوميين العرب وبسرعة أذهلت الاتحاد السوفيتى نفسه وسقط بعده بشهر واحد حكم الانفصال فى سوريا والذى كان يؤيده أيضا الاتحاد السوفيتى معاندة لمصر لموقفها المعادى للحزب الشيوعى السورى وباقى الأحزاب الشيوعية العربية عند اقامة دولة الوحدة ـ أيقظت هذه الظاهرة الاتحاد السوفيتى بما جعله يعيد النظر فى علاقاته مع مصر ومع الرئيس عبد الناصر بعد التعمق فى هاتين الظاهرتين بالاضافة الى الميزة التى أعطاها لهم التعاون المصرى ـ السوفيتى بتحقيق التواجد السوفيتى فى اليمن وفى غيرها من الأقطار العربية والتى كانت حكرا فقط على الغرب • وفى نفس الوقت كان الرئيس عبد الناصر يعمل جاهدا على عدم توسيع شقة الخلاف مع الاتحاد السوفيتى بل لمحاولة اعادة هذه العلاقات كما كانت بشرط عدم المساس بحرية الارادة وذلك حتى يمكنه الوقوف أمام زحف التهديد الأمريكى الذى بدأ يحس به من الاتصالات مع الجانب الأمريكى وما ظهر من أسلوب خطابات الرئيس الأمريكى له مؤخرا وكانت الادارة الأمريكية تعتقد فى نفس الوقت خطأ انهليس هناك عودة بهذه العلاقات الحسنة بين مصر والاتحاد السوفيتى •

الادارة الأمريكية تحذر مصر بأسلوب التهديد ـ المبعوث (١) ماكلوى ١٩٦٣/٦/٢٨ ..

ابتداء من آخر مايو ١٩٦٣ توالت خطابات الرئيس الأمريكى جون كيندى لعبد الناصر وتوالت الاتصالات بمصر عن طريق السفير الأمريكى بالقاهرة وعن طريق المبعوثين الأمريكيين بدءا بمستر (جورج ماكلوى) الذى قابله الرئيس عبد الناصر فى ١٩٦٣/٦/٢٨ بحضور وزير خارجية مصر الدكتور محمود فوزى وكان حديثه بعد المقدمات يتلخص فى شكل من أشكال الانذار والتهديد وكله يؤدى الى صالح السياسة الاسرائيلية وكان أسلوبه قد تحول الى الأسوأ فى تناوله علاقة الرئيس عبد الناصر بالرئيس جون كيندى وكانت مطالب الجانب الأمريكى هى :

ـ ان توقف مصر برامجها لانتاج الصواريخ .

ـ ان تقوم مصر بالاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الألمانى دكتور « وولفجانج بيلز » .

ـ ان يكون للولايات المتحدة فريق تفتيش على المنشآت النووية المصرية .

واعتبر الرئيس عبد الناصر هذا بمثابة تدخل أمريكى فى صميم الشئون الداخلية المصرية . وكان رد جمال عبد الناصر على هذه التهديدات بما يفيد انه لايقبلها وبخاصة ان الولايات المتحدة لم تقم بفرض مثل هذه الشروط على اسرائيل رغم ان المعلومات الأكيدة المتوفرة لدى مصر ان اسرائيل متقدمه فى هذه المجالات عن مصر نفسها منذ مدة بفضل العلماء اليهود من مختلف جنسيات العالم والذين يتعاونون مع دولة اسرائيل . وفشلت مأمورية المبعوث الأمريكى (جورج ماكلوى) ولم يكن عبد الناصر سعيدا بهذا اللقاء .

تصرفات اسرائيل العصبية

لم تعتمد اسرائيل على التدخل الأمريكى بصفة رئيسية بل بادرت بتهديد الخبراء والعلماء المتعاونين مع مصر فقامت بارسال طرد ناسف على شكل كتاب الى مكتب الخبير الألمانى بيلز راحت ضحيته باصابة بالغة أفقدتها البصر سكرتيرته عندما فتحته على أنه هدية من هدايا أعياد

---

(١) عن وثيقة مصرية على شكل مذكرة كتبها وزير الخارجية المصرى الدكتور محمود فوزى بهذه المقابلة بين عبد الناصر والمبعوث ماكلوى محفوظة فى جهاز المخابرات العامة المصرية .

الميلاد • كما تم اختطاف الدكتور (كروجر) مساعد الدكتور بيلز أثناء وجوده فى ميونيخ ولم يظهر له أثر بعد ذلك كما حدث اعتداء مسلح على الدكتور (هانز كلانفستر) مساعد الدكتور بيلز أثناء النزهة فى الغابة السوداء بالمانيا الغربية ونجا بمعجزة •

مصر والنزاع بين الجزائر والمغرب (أكتوبر ١٩٦٣)

فى الوقت الذى كانت فيه الجزائر منذ التدهور الاقتصادى بعد الاستقلال وتستنجد بمصر لمعاونتها فى هذا المجال نشب فجأة نزاع بين الجزائر والمغرب على الحدود بينهما وعلى منطقة تندوف وتصاعد النزاع بسرعة كانت تنذر بالاشتباك المسلح وقامت مصر بارسال بعض المساعدات والقوات الرمزية الى الجزائر مع خطاب توصية من الرئيس عبد الناصر الى الرئيس بن بلا يناشـده فيه بالالتزام بأقصى درجات الحذر وضبط النفس وعدم استخدام القوة بأى حال والتمسك بالصبر وطول البـال لتفويت الفرصة على أى تدخل غربى •

الادارة الأمريكية تحذر وتهدد مصر

أبلغت الحكومة الأمريكية حكومة مصر برسالة عن طريق سفيرها فى القاهرة المضمون الآتى :

١ ــ ان أمريكا تشعر بالقلق من هذا الخلاف وتنصـح بتفادى التورط فى هذه الأزمة من أى طرف وتفضل الولايات المتحدة اللجوء الى الأمم المتحدة وستساعد فى ذلك •

٢ ــ ان أى تدخل من جانب حلفاء الجزائر قد يتسبب فى اثارة حرب تمس مصالح الدول الكبرى وتورطها •

٣ ــ فى حالة تدخل مصر عسكريا سيؤدى ذلك الى تشجيع السعودية الى مناصرة الملكيين فى اليمن وبشكل قوى •

٤ ــ قد يؤدى التدخل العسكرى المصرى الى قيام مجلس الشيوخ الأمريكى بالعمل على قطع المساعدات عن مصر (تهديد مباشر) •

٥ ــ نصحه بعدم تورط مصر فى عمل عسكرى يشارك فيه بمعونات كوبا الشيوعية والتى دخلت الجزائر •

لأول مرة تبدأ الولايات المتحدة بالتهديد بالقمح

ولأول مرة يسمع الرئيس عبد الناصر نغمة التهديد بقطع معونة القمح الأمريكي فى مقابلته السفير الآمريكى بادو يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٣ رغم انه منذ تجديد هذه الاتفاقية فى ١٩٦٠ كان يعلم ان هذه الاتفاقيـة تمثل بشكل او بآخر عنصرا ضاغطا (١) للادارة الأمريكية عنـد اللزوم ولذلك لم يكن الرئيس سعيدا بهذه النغمة الأمريكية الجديدة ، وانه ثم تحذير من الادارة الأمريكية فى حالة ارسال قوات عسكرية مصرية لمساعدة الجزائر • كما ان الرئيس عبد الناصر تأكد بشكل قاطع من تلميح السفير الأمريكى بأن السعودية قد تلجأ للمبالغة فى مساعدة الملكيين فى اليمن وبشـكل قوى فى حالة وصول قوات مصرية الى الجزائر بأن وراء ذلك مخططا أمريكيا وصل الى مستوى التهديد • ولم يكن الرئيس عبد الناصر سعيدا بهذه النغمة الجديدة رغم علاقته الطيبة الى حد ما مع الجالس فى البيت الأبيض (الرئيس جون كيندى) •

اغتيال كيندى (٢٢ نوفمبر ١٩٦٣)

وفجأة وفى وسط هذه الأحداث التى سببت الازعاج والتحفز للرد على هذه التهديدات المباشرة والصريحة لمصر أذيع نبأ اغتيال الرئيس كيندى وتولى (ليندون جونسون) نائب الرئيس الأمريكى رئاسـة الجمهورية وكانت جميع المعلومات المتجمعة فى مصر عن ليندون جونسون انه حليف لاسرائيل ظالمة أو مظلومة •

التمهيد لانعقاد مؤتمر عدم الانحياز

وشعر عبد الناصر بأن الموقف الدولى وبمـا يؤثر على دول العـالم الثالث سوف يسير فى مسار جديد من الحرب الباردة تتمشى مع ميول الرئيس الجديد ليندون جونسون واسرائيل بأسلوب التعامل بطريقة رعاة البقر وخاصة اذا كان مؤيدا لاسرائيـــل واتصل الرئيس عبد الناصر بالسيدة باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان واتصلا هما الاثنان برسالة الى نهرو رئيس وزراء الهند يشرحان موقفهما من سياسة جونسون ازاء دول العالم الثالث ويقترحان العمـــل على انعقاد مؤتمر لعدم الانحياز ووافق نهرو على العمل على انعقاد هذا المؤتمر •

---

(١) رجاء الرجوع الى ص ١٥٣ من الكتاب (المخطط الأمريكى فى ثوبه الجديد وتجديد اتفاقية القمح ، ١٩٦٠) •

مؤتمر القمة لدول الجامعة العربية (القاهرة ١٣ يناير ١٩٦٤)

كانت الحكومات العربية منذ منتصف عام ١٩٦٢ قد عهدت الى مجلس الدفاع المشترك لدراسة الوسائل الكفيلة بمنع اسرائيل من اتمام مشروع لتحويل مياه نهر الأردن وطالت الدراسات وانشغلت الحكومات العربية عن الموضوع حتى تم اجتماع الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى المدة من ٧ الى ٩ ديسمبر ١٩٦٣ وأصدرت توصياتها وكان مجملها نداءات استغاثة صادرة من اللجنة الى السياسيين العرب وعكست التوصيات شعور المرارة الذى خيم على قادة الجيوش العربية التى لا تجد فى متناول يدها الوسائل الكفيلة بمنع اسرائيل من تنفيذ هذا المشروع حيث كانت اسرائيل حتى هذا التاريخ ماضية بحيوية فى تنفيذ مشروعها بدون توقف وانتهز الرئيس عبد الناصر الواقعة فى خطابه فى بورسعيد فى احتفالات الذكرى السابعة لانتصار السويس ١٩٥٦ وشرح للجماهير المصرية ولجماهير الأمة العربية عبر الأثير المأزق العربى نتيجة المزايدات واللهو عن مواجهة مشاريع اسرائيل ومدى خطورة السكوت على قرب انتهاء اسرائيل من تنفيذ هذا المشروع وناشد رؤساء الدول العربية بالاسراع فى الاجتماع على شكل مؤتمر على مستوى القمة العربية وقدمت مصر طلبا فى ٢٤ ديسمبر للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وتحدد المؤتمر يوم الاثنين ١٣ يناير ١٩٦٤ للاجتماع بالقاهرة واستطاع المؤتمر فى الأيام القليلة ان يحقق نتائج طيبة تبشر بالخير فقد تمكن من وضع مشروع عملى لتحويل مياه الأردن داخل حدود البلاد العربية دون التعرض للمشروع الاسرائيلى وبذلك يتحقق :

١ ـ الحصول على مياه الأردن قبل ان تصل الى المشروع الاسرائيلى وبذلك تحقق للمشروع العربى ان يكون دفاعيا وليس هجوميا ٠

٢ ـ كما تمكن المؤتمر من انشاء قيادة عربية موحدة بغرض حماية تنفيذ المشروع ومواجهة أى تعرض اسرائيلى يحاول عرقلة المشروع العربى٠

٣ ـ وفر المؤتمر التمويل اللازم لاقامة المشروع ولوازم تمويل وتسليح وتدريب قوات القيادة المشتركة ٠

٤ ـ أمكن تخصيص جانب من قوات كل دولة عربية للتفرغ كلية لهذه القيادة العسكرية المشتركة ٠

٥ ـ تمكن المؤتمر من اقامة كيان فلسطينى يمثل الشعب الفلسطينى مع المحافظة على أمن الأردن وعهد بهذا الكيان الى الأستاذ أحمد الشقيرى وتحول هذا الكيان فيما بعد الى منظمة التحرير الفلسطينية ٠

٦ ـ اعتبر هذا المؤتمر أول خطوة جادة لتصفية الخلافات العربية وكان على رأسها بداية التفكير فى الوساطة العراقية والجزائرية بين مصر والسعودية لامكان حل أزمة اليمن داخـــل اطار عربى بعيدا عن الدور الأمريكى الذى بدأ يستغل الأزمة لصالح سياسته المتشعبة مع جوانب أخرى وبالعقل صار اتصال عملى عقب المؤتمر بين الجانب المصرى والجانب السعودى بالرياض ٠

مصر تستعد لمواجهة التغييرات الجديدة

بعد ان تأكدت مصر مما تدبره السياسة الأمريكية الجديدة لها أخذت تفكر وتخطط جديا للتحقيق بصلح مع السعودية حتى يمكنهـــا تقصير خطوطها ولم شملها بسحب قواتها من اليمن وفى نفس الوقت أرســل الرئيس عبد الناصر خطابا الى الرئيس بن بلا بعد ارسال قوات مصرية رمزية الى الجزائر وأوصاه فيه بالتحلى بالصبر وتحاشى الصدام العسكرى مع المغرب كما بدأت مصر جديا فى محاولة اعادة علاقاتهـــا الطيبـــة مع الاتحاد السوفيتى حتى لاتنفرد أمريكا بالسياسة فى المنطقة العربيـــــة والشرق الأوسط ٠

اسرائيل تحرض أمريكا (١)

وعقب اعلان قرارات مؤتمر القمة العربى أعلنت اذاعة اسرائيـــل ان مجلس وزراء اسرائيل أصـــدر بيـــانا قال فيه ان رئيس الوزراء ليفى اشكول قال ان قرارات مؤتمر القمة العربى بها تهديدات باستعمال القوة المسلحة ضد اسرائيل وان اشكول يستعد للسفر للولايات المتحدة الأمريكية ليبحث مع الرئيس جونسون مخاطر هذه التهديدات العربيـــة وسارع الرئيس جونسون الرئيس الأمريكى الجديد وبما عرف عنه من التحمس لاسرائيل وتعمد ان يكون التحدى الأمريكى للعرب بصفة عامة ولمصر بصفة خاصة وكان فى أحد أوكار اليهود فى الولايات المتحدة حيث حضر اجتماعا لجمع التبرعات لمعهد وايزمان الاسرائيلى (يوم ٦ فبراير ١٩٦٤) حيث أعلن (ان الولايات المتحدة قررت التعاون مع اسرائيل فى مجال تحويل مياه البحر المالحة الى مياه عذبة باستخدام الذرة من أجـــل السلام وان الولايات المتحدة ستواصل سياســـتها الحيادية فى الشرق الأوسط وانها مستعدة للوقوف مع أى دولة فى المنطقة يقع عليها عدوان من أى دولة أخرى) ٠ وقامت مصر عن طريق وزير الخارجيـــة المصرى بالاحتجاج على هذا الموقف الأمريكى بصفة خاصة وذلك عن طريق السفير

---

(١) الحلقة ٢١ من حلقات كتاب ـ سنوات الغليان للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٩٨٨/١٢/١٩ ص ١٢ ٠

الأمريكى فى القاهرة • وكان الرد الأمريكى للقاهرة مائعا ومغالطا وغير مقنع فى تبريره لهذه التصرفات •

استئناف الضغط الأمريكى على مصر (بعثة فيليبس تاليوت ٣ مارس ١٩٦٤) :

انتهز الرئيس جونسون فرصة علاقات مصر المتردية مع الاتحاد السوفيتي والتى تسببت فى حذرها فى علاقاتها الخارجية فى معاونتها للدول العربية فى ثوراتها ضد النظم المتعارضة مع السياسة الأمريكية والغربية واعتقادا منه بأن الاتحاد السوفيتى سوف لايعيد علاقته مع مصر كما كانت قبل ذلك وبنفس الاندفاع بعد الحملات العدائية الدعائية المتبادلة فقد قامت الادارة الأمريكية بايفاد مبعوث آخر هو مستر (فيليبس تاليوت) الى القاهرة وقابل الرئيس عبد الناصر يوم ٣ مارس ١٩٦٤ وفى أثناء اللقاء كرر وما سبق وطرحه المبعوث الأمريكى (جون ماكلوى) فى أواخر أيام الرئيس الراحل جون كيندى فقد طرح مرة أخرى قضية الصواريخ المصرية وصناعة الطائرات والنشاط النووى المصرى وأكد على مطالبة الولايات المتحدة لمصر بالسماح بالتفتيش على المنشآت المصرية فى هذه المواضيع الثلاثة • وتجنب الرئيس عبد الناصر اثارة المواضيع التى أثارها المبعوث الأمريكى تالبوت بأسلوب مباشر فى رسالة الى جونسون تعمد فيها الرد بموضوعية على ما أثاره تاليوت تلميحا وليس باسلوب مباشر وان الأجدى ان تكون العلاقة بين مصر والولايات المتحدة مبنية على الثقة والتفاهم والاحترام المتبادل وانه يفضل عدم الاعتماد على الأمم المتحدة دائما فى حل المشاكل كما تؤمن الولايات المتحدة وان الأمور التى تبدو وانها تقلق الولايات المتحدة فى المجال الافريقى والعربى والتى تبدو للادارة الأمريكية انها بتدخلات من مصر هو فى واقع الأمر انتفاضات محلية طبيعية تتمشى مع تطور العالم الثالث وشعوبه المقهورة فى مجال تطورها للتحرر والمطالبة بحقها فى حياة الانسان فى العصر الحديث •

قلق مصر من استخدام سلاح القمح الأمريكى

بعد حديث نائب وزير الخارجية الأمريكى المبعوث فيليبس تاليوت وما احتواه من شروط وتهديد أحس الرئيس عبد الناصر بالقلق وبأن الولايات المتحدة فى سبيلها الى استخدام معونة القمح فى ممارسة ضغوطها وخاصة ان مخزون القمح المصرى كان فى هذا الوقت منذ أوائل ١٩٦٥ فى التناقص واشترت مصر قمحا من استراليا والمكسيك بأسعار مرتفعة نتيجة دخول الاتحاد السوفيتى والصين والهند كمشترين لكميات كبيرة من القمح وانقاذا للموقف وللخروج من مأزق التهديدات الأمريكية طلب

عبد الناصر شراء قمح من الاتحاد السوفيتي بحجة الخروج من الضغط السياسي الأمريكي ولحسن الحظ ان رئيس الوزراء السوفيتي مستر كوسيجين تفهم هذا الموقف وبسرعة أعلن الاتحاد السوفيتي يوم ١٨ يونيو ١٩٦٥ وبطريقة مثيرة ان الأوامر قد صدرت الى عدد من البواخر السوفيتية الموجودة في البحر الأبيض ومحملة بالقمح ان تغير اتجاهها وتتجه الى الاسكندرية وتفرغ حمولتها هناك تلبية لطلب مصر وكان هذا بمثابة تحدى الرد على تهديدات وشروط الادارة الأمريكية المتلاحقة لمصر .

عودة التقارب في العلاقات السوفيتية المصرية :

في هذا الوقت الذى كانت فيه مصر تبحث عن مخرج من مأزق التجمد بين القوتين العظميين كانت القيادة السياسية في الاتحاد السوفيتي قد تأكدت بعد ظاهرة الانتفاضات العربية المفاجئة والمتلاحقة في انقلابي سوريا والعراق ان هناك أمة عربية واحدة في طريقها للتكوين بضغط شعوبها وأنه من مصلحة الاتحاد السوفيتي ان يتعاون مع مشروع هذه الأمة ومن مركز واحد وهو القاهرة دون اهمال باقى المراكز في العواصم العربية الأخرى ودون الاستغناء عن القاهرة المفجر الرئيسى للقومية العربية لأن الرئيس كيندى نفسه كان يتبع هذا الاسلوب أما جونسون الرئيس الجديد لأمريكا فقد كان بتكوينه وانتمائه المعقد وبخاصة لظاهرة تحمسه الزائد عن الحد لاسرائيل لدرجة قناعته بامكان الاعتماد عليها عسكريا لتأديب المارقين عن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وبالذات مصر ورئيسها عبد الناصر والذى كان يضمر له العداء منذ نتائج معركة السويس والتى مكنت عبد الناصر من تحقيق انسحاب اسرائيل من سيناء رغم تأييد جونسون وزمرته من أعضاء الكونجرس لاسرائيل لكل ذلك استهان جونسون بامكان عودة التقارب المصرى السوفيتي وتعمد اتباع سياسة الضغط المتلاحق على مصر حتى وصل الى أسلوب التهديد .

امعان جونسون في الضغط على مصر (٧ مايو ١٩٦٤)

بعد ان فشل (فيليبس تاليوت) مبعوث جونسون في فرض ما يريده جونسون على مصر لم يتوقف جونسون عن تدخلاته وكلف السفير الأمريكى في القاهرة (جون بادو) بمقابلة الرئيس عبد الناصر يوم ٧ مايو ١٩٦٤ وأبلغه برسالة شخصية من الرئيس جونسون مفادها مطالبة مصر بصورة مؤكدة ان تقوم بتجميد أبحاثها في انتاج صواريخ أرض ــ أرض الى الحد الذى وصلت اليه كما طالبت مصر بالتأكيد للولايات المتحدة بانها لاتعتزم

استحداث أسلحة نووية أو الحصول عليها (١) وألح السفير فى هذه المقابلة على ضرورة الحصول من مصر على ما يثبت ان مصر لاتعتزم الحصول على الأسلحة النووية • وطلب السفير فى آخر مقابلته السماح له مرة أخرى بمناقشة هذه المواضيع بصفة نهائية مرة أخرى مع الرئيس عبد الناصر • وطلب منه الرئيس عبد الناصر ارســال مذكرة غير رسمية له عن هذه المقابلة الشفوية وانه سيبحث الموضوع مع السفير بعد قراءتها وبعد انتهاء زيارة الزعيم السوفيتى (خروشوف) لمصر وكان هذا تلمحيا للجانب الآمريكى بأنه لم تعد أمريكا وحدها فى الميدان وباعتبار ان هذا التلميح هو رد صريح على توجيهات الرئيس جونسون العنيفة وحتى دون تبادل الآراء مع السفير فيما بعد •

وقد عرفت مصر بعد هذه المقابلة ان الالحاح الأمريكى أصبح يشكل ضغطا أخذ فى املاء شروطه التى لم تفصح عنها فى هذه المقابلة وهى التهديد بقطع معونة القمح الأمريكى •

استقالة السفير الأمريكي جون بادو فجأة

كان السفير جون بادو على علاقة طيبة مع الرئيس عبد الناصر منذ أيام رئاسة جون كيندى وكان متحمسا لتحسين العلاقات بين مصر وأمريكا ومتجاوبا مع آراء الرئيس عبد الناصر التحررية ولكن بعد اغتيال كيندى بدأ الرئيس جونسون يستخدم الأساليب الملتوية مع السفير جون بادو بتحميله مثل هذه الرسائل المحرجة للرئيس عبد الناصر مما تسبب فى اساءة الى العلاقات الودية بين السفير والرئيس المصرى ولذلك فضل الانسحاب ولم تتم المناقشة بينه وبين الرئيس عبد الناصر والتى سبق وطالب بها لحساب الرئيس جونسون •

مؤتمر القمة الافريقى (٢) (أديس أبابا ٢٥ مايو ١٩٦٣)

بعد هروب تشومبى (٣) الى اوروبا وعودة كاتنجا للوحدة مع الكونغو وبعد حصول الجزائر على استقلالها وزالت بذلك عقبات اجتماع

---

(١) كان هذا التركيب اللفظى يدل على أن لدى الادارة الأمريكية معلومات عن عودة التقارب المصرى السوفيتى •

(٢) عبد الناصر والثورة الافريقية للأستاذ محمد فائق ص ١٧٦ وص ١٧٧ •

(٣) فى ديسمبر ١٩٦٢ قامت قوات الامم المتحدة باحتلال اقليم كاتنجا الذى انضم ثانية الى الكونغو بعد انفصاله ورحل تشومبى الى أوروبا وكان همرشولد قد فقد حياته فى حادث طائرة غامض ورحل قبل أن يفقد سمعته بسبب عدم استخدام القوة فى اقليم كاتنجا •

القمة الافريقى بغرض وضع الصيغة المناسبة لوحدة أفريقيا أمكن عقد اجتمـــاع قمة فى أديس أبابا فى ٢٥ مايو ١٩٦٣ واشتركت مصر بوفد برئاسة جمال عبد الناصر وكان معه مشروع يحقق هذه الوحدة ويحوى المبادىء الرئيسية التى أقرتها مؤتمرات الدول الافريقية كتصفية الاستعمار ومقاومة السيطرة الأجنبية ومحاربة العنصرية وســياسة عدم الانحياز وانتهى المؤتمر فى أديس أبابا مشتملا على جميع المبــادىء الأســاسية لما تنادى به الدول الأفريقية الثورية ٠

انشــاء لجنة التنسيق

ومن أهم ما أنجزه المؤتمر هو تكوين لجنة لتحرير أفريقيا تحت اسم لجنة التنسيق وتألفت هذه اللجنة من تسع دول منها مصر بهدف تقديم كافة المساعدات الممكنة لحركات التحرير الافريقية وتنسيق العمل العسكرى وتنشيط حروب التحرير على ان تســاهم فيها جميع الدول الافريقية وبخاصة فى التمويل واتخذت (دار السلام) مقرا لهذه اللجنة وفتحت فى تانزانيا مكاتب لحركات التحرير وأقيمت المعسكرات باسم لجنة التحرير لتدريب آلاف الافريقيين ٠

اقرار سياسة عدم الانحياز

وأقر المؤتمر ميثاق المنظمة لسياسة عدم الانحياز أساسا لسياسته الخارجية وكان هذا بمثابة بادرة مشجعة فى تخليص الدول الأفريقية التى لم تتحرر من أى ارتباطات تجعلها مستقبلا فى عداد الدول المنحازة وكان هذا كسبا لهذه السياسة ولسياسة مصر فى المجال الدولى كما أقر الميثاق أيضـــا معظم مبادىء مجموعة دول منروفيـــا بعدم التدخل فى الشئون الداخلية واثارة الفتن فى الدول الأخرى واحترام الحدود السياســية القائمة فى أفريقيا حيث ان معظم الحدود بين الدول الافريقية كانت قد أقامتها المصالح الاستعمارية دون أى اعتبار حقيقى للأوضاع الجغرافية أو لتوزيع السكان وتولد عن ذلك مشاكل حدود بين الدول بعد استقلالها وأصبح بذلك للدول الأفريقيــة منظمة أطلق عليها اسم **منظمة الوحــدة الأفريقيـــة** ٠

واعترفت جميع دول أفريقيا بقيام هذه المنظمة والتى تعمل الوحدة الافريقية فى اطارها وأصبح لهذه المنظمة بفضل ميثاقها ونشاط الجناح الثورى فيها دور حاسم فى تحرير كثير من المستعمرات ٠

انتعاش الثورة فى أفريقيا

في أعقاب قيام منظمة الوحدة الافريقية انتعشت الثورات فى المناطق غير المستقلة فى أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو وجنوب أفريقيا ، وظهرت انقلابات وثورات فى أفريقيا الفرنسية (الفرانكوفون) • واختفت الحكومات الرجعية كما حدث فى الكونغو برازافيل فى أغسطس ١٩٦٣ بالاطاحة بحكم الآب يولو كما حدث انقلاب آخر فى داهومى فى أكتوبر ١٩٦٣ ومحاولات أخرى فى ساحل العاج وأخرى فى السنغال وانقلاب عسكرى فى الجابون أحبطته تدخلات القوات الفرنسية فى فبراير ١٩٦٤ •

سياسة مصر الثورية فى أفريقيا فرضها التطور التاريخى :

تبنى مصر سياسة تشجع حركات التحرر فى أفريقيا كان طبقا لتطور ثورى تاريخى فى المجال الأفريقى تجاوبت مصر مع هذا التطور وكانت مصلحتها العليا تتطابق مع هذا التعاون الايجابى والذى حقق مع تعاونها مع الدول الأسيوية أيضا تحقيق الأهداف البعيدة لمصر لامكان تخلصها من التبعية لأى نوع من أنواع الاستعمار بتضامنها وهى على قمة الكفاح الأفريقى الأسيوى مع الشعوب المقهورة والتى أعانتها فى نفس الوقت لتحقيق مكانة مصر المؤثرة فى المجال الدولى • وقد أثمرت هذه السياسة بتحقيق كثير من التحرر والاستقلال لجانب كبير من هذه المستعمرات كما جاء تحت عنوان انتعاش الثورة فى أفريقيا وهذا بمثابة رد على أصحاب الأفكار الانفرادية داخليا وخارجيا باتهام مصر بتدخلها فى المجال الأفريقى والأسيوى مما جلب عليها المشاكل والمتاعب ولكنها مشاكل ومتاعب تعتبر ثمنا متواضعا للحرية القومية والانسانية والآدمية •

اشتعال الثورة الكونغولية من جديد :

بعد طرد تشومبى من كاتنجا وانضمامها للكونغو من جديد قام رئيس وزراء الكونغو أدولا بابعاد جميع أنصار لومومبا من حكومة الكونغو ثم فى سبتمبر ١٩٦٣ قام رئيس الجمهورية كازا فوبو بحل البرلمان وعلى اثر ذلك اجتمعت الأحزاب اللوممبية الثورية فى ليوبولدفيل وأعلنت ادانة حل البرلمان وكونت لجنة ثورية تحت اسم « المجلس الوطنى للتحرير » وانتقل هذا التنظيم الى برازافيل واشتعلت الثورة من جديد وبدأت حرب العصابات وتزعمها (بيير موليلى) والذى سبق له رئاسة البعثة الكونغولية الثورية بالقاهرة للعمل من الخارج من حكومة جيزنجا خليفة لومومبا فى ستانلى فيل وكان قد غادر القاهرة الى بلاده بعد قيام حكومة ادولا المركزية وانتشرت الثورة فى الكونغو وأمكن لهم فى أول عام ١٩٦٤ السيطرة على

أجزاء كبيرة من الكونغو وكانت رئاستهم فى برازافيل بعد قيام الثورة على حكم الأب (يولو) وقيام حكم وطنى بزعامة (ماسيمبا ديبا) وتدفقت المساعدات والامدادات عبر نهر الكونغو . وقامت بلجيكا والولايات المتحدة بالتآمر والتخطيط الصريح والعلنى لمقاومة هذه الثورة والتدخل فى شئون الكونغو (١) واستطاعت الولايات المتحدة بما لها من نفوذ أن تؤخر تاريخ انسحاب قوات الأمم المتحدة من الكونغو والذى كان مفروضا أن ينتهى فى ٣٠ يونيو ١٩٦٤ . وقامت بلجيكا والولايات المتحدة بمد حكومة الكونغو بالطيارين البلجيك وأفراد الصيانة . وأخذت السلطات البلجيكية والأمريكية بالاعداد لعودة تشومبى من منفاه الاختيارى فى أوروبا وظهر تشومبى فجأة فى يونيو ١٩٦٤ فى مالى بدعوة من الحزب الحاكم .

تدخل مصر :

وأرسلت مصر الى مالى تنبهه الى ما قد تسفر عنه مساندتها لمركز تشومبى باعتباره أحد عملاء الاستعمار وقام الشعب فى مالى بالاحتجاج لدى حكومته بعد أن قامت أجهزة الاعلام بالتشهير بتشومبى باعتباره عميلا وعدوا لشعب الكونغو والشعوب الأفريقية .

تعيين تشومبى رئيسا لوزراء الكونغو يولية ١٩٦٤ :

وعمل المخطط الأمريكى البلجيكى بنشاط حتى تم تعيين تشومبى رئيسا لوزراء الكونغو بقرار صدر من رئيس الجمهورية (كازا فوبو) عميل الاستعمار وكان حجته هو خوفه من المرتزقة الأوروبيين المتعاونين مع تشومبى وكانت الحقيقة أن هذه الخطوة من كازافوبو هى لضمان تأييد أمريكا وبلجيكا ضد الثوار الكونغوليين الذين احتجوا على حكمه . وعادت أمريكا وبلجيكا من جديد تتحكمان من جديد فى مقدرات الكونغو .

مؤتمر القمة الأفريقى (القاهرة يوليو ١٩٦٤) :

فى الوقت الذى عاد فيه تشومبى رئيسا لوزراء الكونغو بمساعدة الولايات المتحدة وبلجيكا كان موعد انعقاد مؤتمر القمة الأفريقى فى القاهرة قد اقترب وكان معنى وجود تشومبى على رأس حكومة الكونغو انه سيحضر الى القاهرة ولم يقبل الرئيس عبد الناصر هذا الوضع حتى لا يعلن أمام العالم أجمع أن أفريقيا ومؤتمرها يقبلان سياسة الأمر الواقع وأن حضور تشومبى الى القاهرة فيه تحد للشعور الأفريقى ولذلك وفى أثناء اجتماع

---

(١) عبد الناصر والثورة الأفريقية للأستاذ محمد فائق ص ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ .

الوفد المصرى فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الأفريقية المنعقد فى القاهرة قبل انعقاد مؤتمر القمة مباشرة قام الوفد المصرى باقناع الوفود الأخرى بارسال برقية باسم المؤتمر الى الرئيس (كازافوبو) تطلب منه عدم اشتراك تشومبى فى وفد بلاده ووافقت جميع الدول الأفريقية على ذلك ولم يحضر تشومبى كما لم يحضر رئيس الجمهورية (كازافوبو) ولاشك ان هذه كانت صفعة تلقاها تشومبى كما انها كانت ردا أفريقيا على التدخل الأمريكى البلجيكى • وبشكل أو بآخر اعتبرت أمريكا هذا الاجراء من خطوات مصر والرئيس عبد الناصر العدائية للسياسة الأمريكية فى مجال السياسة الأفريقية ولذلك تدفقت المساعدات العسكرية الأمريكية على تشومبى من الأوروبيين ومن جنوب أفريقيا المرتزقة بعد تجنيدهم باعداد كبيرة •

اجتماع المؤتمر :

كان هذا هو اجتماع العمل الأول بعد اجتماع التأسيس والتوقيع على الميثاق فى أديس أبابا فى مايو ١٩٦٣ وتكلم فى هذا المؤتمر الرئيس نكروما عن دور الاستعمار فى أفريقيا وخطورة امتصاصه لخيرات أفريقيا لأجيال متعاقبة وعن التمييز العنصرى ثم تكلم الرئيس موديبوكيتا عن تجارة العبيد وان الأوروبيين هم الذين تمادوا فى هذه التجارة وتلاهم الرئيس بن بلا وعدد مساوىء الاستعمار الفرنسى ثم الرئيس نيريرى فندد بجميع الدول الاستعمارية وعلى رأسها بلجيكا فى الكونغو وقدمت مقترحات على ايجاد شكل من أشكال الوحدة الأفريقية وكان الرئيس نكروما مغاليا فى اقتراحه الذى طالب فيه باقامة حكومة اتحادية لكل أفريقيا وانشاء قيادة عسكرية عليا • وحسم الموقف الرئيس عبد الناصر بعد أن عدد المشاكل الأفريقية والمطلوب حلها عمليا وعلى خطوات وكان على رأس هذه المشاكل :

١ ـ مشكلة الحدود المصطنعة والتى وضعها الاستعمار لغرض فى نفسه ولغير صالح البلدان الأفريقية •

٢ ـ موارد أفريقيا الضخمة والتى يحتكرها الغرب منذ عهود الاستعمار السحيقة وتحكمه فى أسعار الخامات بواسطة لعبة الأسواق العالمية لكل خامة ليقوم بتحديد السعر المتدنى لها لاستمرار امتصاص هذه الخامات بأقل الأسعار ثم اعادة بيعها لنفس هذه الشعوب ولشعوب العالم الثالث بعد تصنيعها فى مصانع المستعمرين أنفسهم وبأعلى الأسعار •

٣ ـ مشكلة اختيار المقر الدائم لسكرتارية منظمة الوحدة الأفريقية واقترح أن تكون فى أثيوبيا (أديس أبابا) •

٤ ـ وأخيرا عرض وبحرص شديد موضوع التغلغل الاسرائيلي في أفريقيا وطالب بعدم الزام أي دولة أفريقية غير عربية بالقرارات الخاصة باسرائيل الا بعد دراسة هذا الخطر وأبعاده دراسة متأنية ٠

والخلاصـة :

ان ما تمخضت عنه قـرارات هذا المؤتمر تعتبر في غاية الأهميـة وبخاصة ما جاء عن اقرار تشكيل السـكرتارية الدائمة لمنظمة الوحـدة الأفريقية ومقرها الدائم (أديس أبابا) ٠

زيارة رئيس الوزراء السـوفييتي نيكيتا خروشـوف لمصر (آخـر مايو سـنة ١٩٦٤) :

بترتيب خاص بين الرئيس عبد الناصر والزعيم خروشوف (١) تمت زيارة خروشوف (٢) لمصر يرافقـه وفـد على أعلى مستوى من المسئولين السوفيت وزير الخارجية ووزير الدفاع ووزير الطاقة الكهربائية ووزير العلاقات الاقتصادية الخارجية بجانب رؤساء تحرير الصحف السوفييتة بالاضافة الى عدد كبير من أفراد أسرته والسابق تعرفهم على أسرة عبد الناصر منذ أيام التقارب ٠

وكان هذا الوفد بتكوينه يدل على أن الاتحاد السوفيتي في سبيل اتفاقات مهمة مع مصر على سبيل توطيد وتقوية العلاقات مع مصر مما يدل على تأييد السياسة المصرية وكانت مناسبة الزيارة هي حضور احتفالات تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالي والذى يعتمد في تنفيذه على مجهودات وامكانات ضخمة من الاتحاد السوفييتي بالاضافة الى الاستعانة بعدد ضخم من الخبراء والفنيين السوفيت ٠ وعندما وصل خروشوف الى القاهرة كان استقباله فيها حافـلا بعد رحلة بالقطار من الاسكندرية الى القاهرة وكانت الدموع في عينيه تأثرا وانفعالا من حرارة الاستقبال لدرجة انه أفصـح انه لم ير في حياته ما رآه في هذا اليوم الحافـل ٠ وكانت احتفـالات السد العالي فرصـة اجتمع فيها خروشوف مع الضيوف العرب الرئيس بن بلا والرئيس عبد السلام عارف العراقي وخلال الزيارة تم حوار مع الرؤساء الثـلاثة ورغـم سـخونتها وبخاصـة بين خروشـوف

---

(١) الحلقة ٣٢ من حلقات كتاب سنوات الغليان للأستاذ هيكل ، أهرام ١٩٨٨/١٢/٢١ ص ٦ وص ١٣ ٠

(٢) إشترط خروشوف ألا يبقى مسجون أو معتقل شيوعى فى مصر قبل أن تطأ قدمه مصر وأن يستلموا وظائف مناسبة لهم ٠

وعبد السلام عارف الا إنها انتهت بالتفهم لأبعاد القومية العربية للجانب السوفيتى وغيرها من المواضيع ٠

نتيجة الزيارة :

عندما غادر خورشوف مصر عائدا الى موسكو كانت العلاقات العربية السوفيتية قد وضعت على أساس سليم وكانت نتائجها فى تحقيق كل أبعاد المطلوب منها قد تحقق من وجهة نظر مصر فقد تمكن الجانبـان العربى والسوفيتى من معرفة كل منهما لموقف الآخر بالضبط وتحقق لمصر مطلب هام وهو ضرورة أن يكون لمصر صديق قوى فى هذا العالم الخطير والمتغير ٠ وفى نفس الوقت كان على مصر فى حالة استحالة اقامة علاقات طيبة مع القوة العظمى الأخرى الولايـات المتحدة الأمريكية فـكان على الأقل عليها تثبيت موقف الولايات المتحدة حتى لا تسوء العلاقات بأكثر من اللازم ٠ ولذلك وكبديل الصداقة المنشودة وشبه المستحيلة مع الولايات المتحدة بحكم مؤازرتها لاسرائيل على طول الخط لدرجة الضغط على مصر فى مجال التسليح لمصلحة اسرائيل كما لمسه الرئيس عبد الناصر من التهديدات والتحذيرات التى مارستها أمريكا على مصر من قبـل زيـارة خروشوف بالاضافـة الى الوجـود المصرى فى اليمن بالقرب من المصالح البترولية الغربية والأمريكية وبالتالى بالنسبة لتحريض أصدقاء أمريكا من العرب على القوات المصرية واليمنية فى شبه الجزيرة العربية ٠ ولم يكن أمام مصر ألا أن تتطلع فى هذا الظرف الى علاقات طيبة مع :

١ ــ القوى التقدمية العربية ٠

٢ ــ ضرورة تحسين علاقاتها مع القوى العربية التقليـدية والتى يتعمد المخطط المعادى الأمريكى استمالتها الى جانبه ولذلك حرص الرئيس عبد الناصر على سرعـة اجراء صلح مع السعودية وشرعت مصر فى هذا الاجراء فى مؤتمر القمة العربى الثانى بالاسكندرية ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ ٠

٣ ــ تحسين العلاقات واقامة علاقات جديدة على أسس سليمة مع دول الغرب وخاصة مع فرنسا بعد انتهاء المشكلة الجزائرية باستقلالها ٠

٤ ــ تقوية العلاقات مع الدول غير المنحازة بتشجيع التقارب عن طريق المؤتمرات التى ترمى الى مزيد من التعـاون بين هـذه الدول فى المجالات الاقتصادية والتصنيع العسكرى والمدنى بالاضافـة الى التعاون التجارى وبالتالى تقوية هذه العلاقات بدول العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ٠

أما ما حققته زيارة خروشوف عمليا :

فقد تمت اتفاقات حادة بين الطرفين فى مجال التصنيع واستئناف التسليح واستصلاح الأراضى وآفاق الطاقة ومن ضمنها استئناف الجانب السوفيتي فى العمل على انهاء اقامة المفاعل الذرى فى انشاص .

مؤتمر القمة العربى الثانى (الاسكندرية فى سبتمبر ١٩٦٤) :

أهم ما كان فى جدول أعماله هو مراجعة ما تم تنفيذه بالنسبة لقرارات وتوصيات مؤتمر القمة العربى الأول (ينساير ١٩٦٤) . ومن مراجعة المؤتمر لهذه الدراسات والتوصيات كان الوضع كالآتى :

١ ـ مشروعات تحويل مياه الأردن من داخل الأراضى العربية كانت متعثرة ماليا وعسكريا ولم تقم بعض الدول بتقديم ما وعدت به ، كما أن حكومتى لبنان والأردن أبلغتا القيادة العسكرية العربية الموحدة بخطابات سرية انهما لا تستطيعان السماح بدخول قوات عربية لحماية تنفيذ المشروع فى أراضيهما خشية التعرض العسكرى الاسرائيلى .

٢ ـ واجه الكيان الفلسطينى الذى أقامه المؤتمر مصاعب فى ممارسة نشاطه مع السلطات الأردنية وانقلبت العلاقات بين الكيان وبين السلطات الأردنية الى علاقة عدائية .

٣ ـ تعرضت الجمهورية اليمنية الى اعتداءات عسكرية متكررة انتقاما منها وخشية اندلاع الثورة العربية فى الجنوب العربى .

أما أهم ما عرض على المؤتمر فكان :

١ ـ تقرير من مندوب الكويت عن تفاقم الوجود الأجنبى فى منطقة الخليج وعلى رأسه الوجود والتسلل الايرانى ونشاطه الاقتصادى والسياسى والعسكرى والارهابى والذى تبلور فى اشعال النيران فى كثير من الامارات .

٢ ـ اطلع المؤتمر على تقرير عن التقدم الذى حدث فى تنفيذ المشروع الاسرائيلى لتحويل مجرى نهر الأردن .

٣ ـ حقق المؤتمر تقدما فى توفير التحويل اللازم والأجهزة اللازمة للدفاع عن المشروع العربى من داخل الأراضى العربية .

وكان مما أثار التعجب فى هذا المؤتمر هو شخصية اللواء أمين الحافظ رئيس مجلس قيادة الثورة فى سوريا والذى تقدم بمشروع خيالى تصور فيه انه يمكن القضاء به على اسرائيل فى أربعة أيام وكانت خطته هى المطالبة

للدول أعضاء المؤتمر بتجميع أربعين لواء من القوات المحاربة ليمكنها القيام بهذه المأمورية بديلا عن ما أسماه بمهاترات المؤتمر الخاصة بخطة القيادة الموحدة للاعداد العربى العسكرى للتصدى لاسرائيل · وأحرجه المؤتمر بأن أوكل الى اللواء أمين حافظ باعداد تفصيلى لخطته التى شرحها لمناقشتها فى القمة العربية فى المؤتمر المقبل فى الرباط ومقارنتها بالخطة الموكلة الى القيادة العربية الموحدة التى ستقدمها فى المؤتمر المقبل أيضا ·

تكوين حركة فتح الفلسطينية :

فى أثناء اجتماعات مؤتمر القمة العربى بالاسكندرية حضر رئيس حركة القوميين العربى (جورج حبش) الى القاهرة واتصل بمكتب رئيس الجمهورية وأبلغهم انه صار تكوين حركة مقاومة فلسطينية جديدة عمادها بعض الشبان الفلسطينيين الذين يعملون بالكويت وانهم قرروا اشعال ثورة شعبية فلسطينية مسلحة داخل اسرائيل وان لديهم تنظيما كاملا ومسلحا داخل اسرائيل ولديهم هناك أسلحة ومخازن وانهم متصلون بحكومة الجزائر ولهم مندوب وجريدة هناك وتؤيدهم وتشجعهم حكومة الجزائر ولكنها تطالبهم بضرورة الحصول على رأى القيادة السياسية فى القاهرة · وعندما وصلت هذه المعلومات الى الرئيس عبد الناصر وعلم أن هذه الحركة هى نواة تكوين حركة فتح وافق من ناحية المبدأ وأوصى بارجاء مزاولة نشاطها الجدى لحين عودة القوات المصرية من اليمن بعد مباحثاته مع السعودية ولانه كان يشعر ان الموقف الدولى المعادى بدأت تظهر فيه بوادر أزماته مع مصر ومؤامراته وانفجارها فى العالم العربى والتى شعر أن النجاحات المتتالية للقوى التحررية العربية والأفريقية ودول العالم الثالث والتى انعقدت مؤتمراتها فى القاهرة فى مصر وكانت تحمل نغمة من نغمات معارضة السياسة الأمريكية والغربية كل ذلك سوف يجعل المؤامرات الأمريكية والغربية تستعد لضربتها ولكنها تتحين الفرص ·

مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز (١) (القاهرة ٥ أكتوبر ١٩٦٤) :

بعد اغتيال الرئيس الأمريكى كينيدى وعلى ضوء دراسة شخصية الرئيس الجديد لندون جونسون المؤيدة بدون تحفظ لاسرائيل على مدى حياته السياسية وبخاصة وهو نائب رئيس فقد تم اتصال الرئيس عبد الناصر مع رئيس وزراء سيلان مسز باندرانيكه والزعيم الهندى نهرو واتفقوا على ضرورة عقد مؤتمر لدول عدم الانحياز لدراسة ما قد تسفر عنه المفاجآت بالنسبة للسياسة الدولية فى دول العالم الثالث بعد هذه

---

(١) عبد الناصر والثورة الافريقية للأستاذ محمد فائق ص ١٣٧

المتغيرات وقد أرجأ الرئيس عبد النـاصر تحديد مكان وميعـاد المؤتمر الى ما بعد اجتماع الدول العربية فى شـكل مؤتمر عاجـل لمواجهة المخطط الاسرائيلى فى تنفيذ مشروع لسحب مياه الأردن • وفى ٥ أكتوبر ١٩٦٤ تم اجتماع وفود دول عدم الانحياز فى القاهرة فى مؤتمرهم (٤٦ دولة خلاف ١١ دولة مراقبة) ولم يحضره نهرو الذى توفى قبل ميعاد المؤتمر بعدة شهور •

انعقاد المؤتمر ومأزق تشومبى :

بعد انتهاء زيارة الزعيم السوفيتى خروشوف بقليل انعقد مؤتمر قمة دول عـدم الانحياز فى القاهـرة فى ٥ أكتوبر ١٩٦٤ وكان وزراء الخارجية الأفارقة قد أرسلوا باسمهم رسالة الى الرئيس كازافوبو رئيس الكونغو وطلبوا فيهـا عـدم تعيين تشومبى فى الوفد الكونغولى • ولكن الحكومة الكونغولية تحدت المؤتمر وأعلنت فى ليوبولدفيل تشكيل الوفد الكونغولى فى مؤتمر دول عدم الانحياز وبرئاسة تشومبى وأرسل تشومبى يطلب تأشيرة دخول الى القاهرة من السفارة المصرية فى ليبولدفيل وطلبت السفارة مهلة بحجة انها تنتظر رد القاهرة ولكن تشومبى قرر السفر الى القاهرة دون أن ينتظر الأذن وأخطرت السفارة المصرية بالكونغو المسئولين فى القاهرة بالطائرة التى تحمل تشومبى وميعاد وصولها الى القاهرة وعندما حلقت طائرة تشومبى فى أجواء القاهـرة لم يؤذن لها بالهبوط فـاتجه تشومبى بطائرته الى أثينا • وفى فجر اليوم التالى وصل تشومبى والوفد المرافق له بصحبة مجموعة كبيرة من السكرتاريات البلجيكيات على متن احدى طائرات الخطوط العادية وبدون سابق اخطار وتوجه سكرتير عام رئاسة الجمهورية الى المطار لاسـتقباله وصحبه فى موكب من عربـات الرئاسة واتجه به الى قصر العروبة والذى أعد لاقامته وحده دون بـاقى رؤساء الوفود الأفريقية والذين كانوا يقيمون فى فندق الهيلتون • وفى الصباح توجه سكرتير الرئيس للشئون الأفريقية السيد محمد فائق الى قصر العروبة وقابل تشـومبى الذى كان مزهـــوا بنجاحه بالتحايل فى الوصول الى القاهرة ولكن زال هذا المرح والزهو فى الحال عندما أبلغه السيد محمد فائق مندوب الرئيس عبد النـاصر باسم الحكومة المصريـة بألا يغادر هذا القصر الى أن يقرر الرؤساء الأفارقة فى المؤتمر ما اذا كان سيشترك هو فى أعمال هذا المؤتمر من عدمه • وتساءل تشومبى بتواضع عما اذا كان يفهم من ذلك انه معتقل وابلغه مندوب الرئيس عبد الناصر انه ليس معتقلا حيث انه يمكنه فى أى وقت يشاء أن يتجه الى المطار ويغادر القاهرة وان اجراءات منعه من الخروج من القصر تتعلق فقط بالمحافظة على

سلامته وحياته حيث قد يحدث ما لا يحمد عقباه اذا ترك يتنقل وسط جماهير القاهرة التي لا زالت تذكر له ما حدث للومومبا على يده . وفى المساء تمت موافقة جماعية مع جميع رؤساء الدول الأفريقية بأن تشومبى ليس له حق حضور المؤتمر وتم ذلك فى جو من الاستحسان والسخرية بما تم اتخاذه من حكومة مصر ضد تشومبى وألاعيب تشومبى للحضور للقاهرة .

رد فعل حكومة الكونغو :

لم تمض بضع ساعات على اعلان قرار منع تشومبى من حضور المؤتمر حتى علم عن طريق سفارة مصر فى الكونغو أن القوات الكونغولية تحاصر السفارة المصرية وتمنع الدخول أو الخروج منها . ومرة أخرى أوفد الرئيس عبد الناصر السيد محمد فائق الى مقر تشومبى وأبلغه السيد محمد فائق خبر الحصار الذى فرضته حكومة الكونغو على السفارة المصرية هناك وأبلغه باسم الحكومة المصرية أن تشومبى لن يخرج من هذا المكان الا اذا خرج جميع أعضاء سفارة مصر وعائلاتهم وتواجدوا جميعا فى برازافيل سالمين وأنه هو رئيس هذه الحكومة التى أصدرت أوامر بمحاصرة السفارة والعاملين بها ويمكن توفير الاتصال له بحكومته فى الكونغو لاصدار الأوامر بفك حصارهم وترحيل أعضاء السفارة ومن معهم الى برازافيل . ونفس ما حدث مع سفارة مصر فى الكونغو حدث لسفارة الجزائر ومرة أخرى قابله السيد محمد فائق وأبلغه نفس البلاغ بالنسبة لما يجب أن يتخذه هو وحكومته نحو سفارة الجزائر وأعضائها وعائلاتهم المحتجزين داخل السفارة فى الكونغو بأمر حكومة الكونغو . وبعد هذا التبليغ مباشرة طلب تشومبى التحدث تليفونيا الى مساعديه فى ليوبولدفيل وابلغ مساعديه فى الكونغو أن القاهرة تدبر لقتله وأعطى محدثه التعليمات لفك الحصار عن السفارتين ونقل جميع أفرادها وعائلاتهم سالمين الى برازافيل وطلب أن يحضر هذه العملية جميع السفراء الأجانب فى الكونغو ليكونوا شاهدين على نقل أعضاء السفارتين لانه يخشى أن يدعى المصريون أى ادعاء يبرر للمصريين اغتياله وأخيرا أبلغت سفارة مصر فى برازافيل بوصول جميع أفراد السفارتين سالمين وأطلق سراح تشومبى ليعود الى ليوبولدفيل بعد أن منى بهزيمة سياسية تتبعها العالم بسخرية منه ومن تصرفاته وبتشفى من كل شعوب أفريقيا .

أما المؤتمر فقد كرس جهوده لاصدار اعلان عن مبادىء السلام والتعاون الدولى بعدة عناصر لشرط تحقيق السلام :

١ ـ تحرير البلاد غير المستقلة .

٢ ـ احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها والتنديد باستخدام القوة ضد ممارسة هذا الحق ·

٣ ـ مقاومة التمييز العنصرى وسياسة التفرقة العنصرية ·

٤ ـ التمسك بالتعايش السلمى ومناشدة الأمم المتحدة الاعتراف بذلك ·

٥ ـ احترام سيادة وسلامة الدول ·

٦ ـ حل المنازعات بالأساليب السلمية وبدون التهديد باستخدام القوة ·

٧ ـ نزع السلاح الشامل واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية فقط ·

٨ ـ الغاء جميع الاحلاف والقواعد العسكرية فى دول العالم الثالث·

٩ ـ تأكيد دور الأمم المتحدة فى الشئون الدولية وتنفيذ قراراتها وتعديل الميثاق ·

١٠ ـ الاتساع فى مساعدة الدول الفقيرة على التنمية والتعاون الاقتصادى بين الدول ·

ختام المؤتمر :

وقامت وفود معظم الدول الأفريقية فى الأمم المتحدة بالذهاب فى موكب واحد الى سكرتير عام الأمم المتحدة وقدموا له اعلان برنامج السلام والتعاون الدولى الصادر من هذه القمة ·

موقف الولايات المتحدة من المؤتمر وقراراته :

اعتبرت الولايات المتحدة انعقاد المؤتمر وما اتخذ فيه من اجراءات ضد عميلها تشومبى بمثابة مظاهرة أفريقية لا تتفق مع سياستها ولا مع مزاج رئيسها جونسون وخاصة ان القاهرة بزعامة الرئيس عبد الناصر كانت قد تحولت طوال عام ١٩٦٤ الى عاصمة غير رسمية لدول العالم الثالث ورمزا لتحقيق آماله على حساب الوجود الاستعمارى الغربى بها ·

اعفاء خروشوف من جميع مناصبه (١٣ أكتوبر ١٩٦٤) :

وصلت الى الرئيس عبد الناصر أخبار خاصة من الزعيم اليوغوسلافى تيتو مساء ١٣ أكتوبر ١٩٦٤ ان اللجنة المركزية السوفيتية اجتمعت

واتخذت قرارا باعفاء نيكيتا خروشوف من جميع مناصبه وكان وقتها خروشوف خارج موسكو فى مصيف شوتسى على البحر الأسود ثم صدر قرار الاعفاء مساء ١٤ أكتوبر ومضمونه « ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى قبلت طلب نيكيتا خروشوف باعفائه من واجباته كسكرتير أول للجنة المركزية وكعضو فى مجلس الرئاسة وكرئيس لمجلس الوزراء وذلك بسبب تقدمه فى السن وضعف صحته » .

وفى يوم ١٥ أكتوبر أذيع أن اللجنة المركزية انتخبت (ليونيد برجنيف) سكرتيرا أول للجنة وانتخبت (اليكس كوسجين) رئيسا لمجلس الوزراء و (بادجورنى) رئيسا للدولة .

وعلم بعد ذلك عن طريق المارشال تيتو أيضا أن أهم سببين لتنحية خروشوف هما :

أولا : الخلافات التى تفاقمت بين خروشوف وبين المؤسسة العسكرية وعلى رأسها وزير الدفاع (مالنفونسكى) .

ثانيا : مسئولية خروشوف عن نشر تقرير الزعيم الشيوعى الايطالى (بالميرو تولياتى) وكان التقرير ينتقد الحركة الشيوعية لتخلفها عن المتغيرات العالمية الجديدة ويقترح فيها العلاج ولكن الحقيقة كانت مؤلمة على الرفاق المتشددين .

رد فعل الحدث على مصر :

فى زيارة خروشوف لمصر تمكن الرئيس عبد الناصر فى محادثاته من وضع العلاقات المصرية السوفيتية على أسس سليمة وبخاصة على ضوء علاقة مصر المتوترة وقتها مع القوة العظمى الأخرى الولايات المتحدة وحصل عبد الناصر من الزعيم خروشوف على تأكيد بأن الاتحاد السوفيتى يطمئن فى حالة نزاعها مع اسرائيل بألا يكون بأى حال طرفا ضد مواقف مصر ووعدا منه بمساندتها فى كل مواقفها التحررية ضد الضغوط الاستعمارية . وقد أحدث اختفاء خروشوف بعض الانزعاج فى مصر وبخاصة بعد أن راجت اشاعات تسربت من موسكو وتتردد كثيرا فى تقارير وكالات الأنباء الغربية ان علاقة خروشوف الخاصة بمصر كانت من أسباب سقوطه وأن بعض الدول الاشتراكية استنكرت حجم المساعدات السوفيتية لمصر وبخاصة فى مشروع السد العالى فى الوقت الذى تمثل فيه مصر دوله غير منحازة كما أنها تعارض الشيوعية وتنكل بالشيوعيين المحليين . كما أن خروشوف أسرف فى مساعداته المادية لمصر بعد زيارته الأخيرة فى مايو ١٩٦٤ وان خروشوف أخطأ لاهدائه كلا من الرئيس عبد الناصر والمشير

عبد الحكيم عامر وسام (بطل الاتحاد السوفيتى) وهو أعلى وسام يمكن أن يحصل عليه أحد من الاتحاد السوفيتى وذلك بينما مصر تعادى الشيوعيين العرب ٠ كما أن الرئيس عبد الناصر وجد نفسه فجأة يتعامل مع عدة قيادات سوفيتية بدلا من التعامل مع قيادة واحدة انتهى من وقت قريب من التفاهم العميق معها ٠

الاطمئنان المتبادل :

بعد المفاجأة التى حدثت باعفاء خروشوف وبعد كل ما وصل مصر من معلومات أغلبها غير مطمئن كان من الطبيعى أن تهتم مصر وقيادتها بأن تبحث عن أبعاد القيادة الثلاثية السوفيتية الجديدة وكان اهتمام الاتحاد السوفيتى فى الوقت نفسه هو طمأنة مصر الى أن تغييرا جديدا لم يحدث وأن كل شىء سيظل كما كان وكما تم التفاهم فيه مع الزعيم السابق خروشوف ولذلك تمت زيارة المشير عامر ثم زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو ٠

زيارة المشير عامر للاتحاد السوفيتى :

تمت زيارة المشير عبدالحكيم عامر للاتحاد السوفيتى بناء على دعوة سابقة له من الزعيم السابق خروشوف وجددتها القيادة السوفيتية الثلاثية الجديدة وكانت المناسبة هى المشاركة فى احتفالات العيد السابع والأربعين للثورة السوفيتية ٠ فيها تقابل المشير عامر مع (أوستينوف) نائب رئيس الوزراء المسئول عن التصنيع الثقيل والصناعات الحربية ٠ ثم تقابل مع رئيس الوزراء (كوسيجين) وفى هذه المقابلات صارح عبد الحكيم عامر اوستينوف بأن دعايات الغرب انتهزت فرصة تغيير القيادة السوفيتية وشنت حملة من حرب الأعصاب غرضها الايقاع واقناع القيادة السياسية فى مصر بأن الاتحاد السوفيتى فى سبيل تغيير سياسته مع مصر وأكد له الجانب السوفيتى ان الاتحاد السوفيتى يؤمن بأهمية صداقة مصر وان اللجنة المركزية تقدر علاقاتها مع مصر وتسعى لتقوية هذه العلاقات وكفاتحة لذلك فقد وافقت اللجنة المركزية على تأخير موعد سداد أقساط متأخرة على مصر بسبب ظروف مصر وأعباء اليمن وأعطى الجانب السوفيتى وعدا بتلبية الطلبات المصرية الجديدة للسلاح وبكل أنواعه وأكد الجانب السوفيتى بأن ما وصل الى مصر من معلومات ما هى الا من اناس يصطادون فى الماء العكر ثم أكد أيضا ان مصر فى جهادها ومساعداتها لحركات التحرير ستجد الاتحاد السوفيتى ايجابيا فى جانبها ثم قام رئيس الوزراء كوسيجين بالشرح بالتفصيل لأسباب اقالة خروشوف الحقيقية وأخيرا

طرأت فكرة زيارة يقوم بها الرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفيتي ردا على زيارة رئيس الوزراء السابق خروشوف لمصر فى مايو سنة ١٩٦٤ .

زيارة الرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفيتى (أغسطس ١٩٦٥) :

وفى هذه الزيارة تعمدت القيادة السياسية فى الاتحاد السوفيتى أن يكون الجانب الأكبر من وقت هذه الزيارة على شكل حوار فى جهة هادئة حتى يكون التفاهم أعمق وحتى تتولد الثقة المتبادلة بين القيادة الثلاثية برجنيف وكوسيجين وبادجورنى وبين الوفد المصرى برئاسة الرئيس عبد الناصر وكانت ظروف الطرفين تلح فى تحقيق هذه الثقة وتجدد نتيجة هذه اللقاءات شكل العلاقة بين البلدين بالوضوح والصراحة اللازمتين لامكان مواجهة تصدر الولايات المتحدة لمكان انفرادها بالضغوط على مصر لمصلحة السياسة الأمريكية ولصالح اسرائيل وتأكيدا على حسن نيات الاتحاد السوفيتى أبلغ كوسيجين الرئيس عبد الناصر فى آخر هذه اللقاءات ان الحزب والحكومة وافقا على كل طلبات التسليح التى سبق وتقدم بها المشير عامر فى زيارته لموسكو فى نوفمبر ١٩٦٤ وان الاتحاد السوفيتى تنازل عن خمسمائة مليون روبل من ديون مصر للاتحاد السوفيتى تقديرا لدور مصر فى مساندة حركات التحرر الوطنى .

استقرار العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى :

وقام كوسيجين برد الزيارة الى مصر وفى هذه الزيارة استقرت العلاقات بين القاهرة وموسكو وكان نتيجة الاطمئنان المتبادل ان أرسل رئيس الوزراء كوسيجين برسالة حارة الى الرئيس عبد الناصر أبلغه فيها موافقة اللجنة المركزية على تأجيل أقساط قرض التسليح المستحقة على مصر لعشر سنوات قادمة حتى تستطيع مصر أن تركز مواردها الكاملة على مشاريع التنمية الضرورية .

مخاطر على الطريق :

رغم مظاهر التحسن فى استقرار أوضاع مصر حتى هذا التاريخ من آخر عام ١٩٦٥ فقد كانت الدلائل الملموسة لتهديد مصر هو رد فعل أمريكى نتيجة جهود مصر المتتالية مع حركات التحرير الوطنية بكل أشكالها فى المنطقة العربية وفى أفريقيا وفى شمال أفريقيا وفى اليمن وعدن بالاضافة الى توالى مؤتمرات القمة التى انعقدت فى القاهرة بدءا من العربية والأفريقية وعدم الانحياز وكل هذا النشاط كان يزعج الادارة الأمريكية سواء الخفية أو العلنية لذا شعرت مصر فى هذا الوقت ان الأمة

العربية على وشك أن تواجه تحديات خطيرة وكان من أقرب الاحتمالات أن تقوم الادارة الأمريكية بتحريض اسرائيل بالعدوان فى أى وقت . وبخاصة ان الرئيس جونسون كان يريد التفرغ لموضوع فيتنام ونظرا لعلاقاته غير العادية باسرائيل فقد ترك زمام الأمر فى الشرق الأوسط الى اسرائيل بعد أن سببت السياسة المصرية الأخيرة له شدة التبرم نتيجة سياسة كيندى اللينة والضعيفة مع مصر وكبداية فقد تصاعدت التهديدات .

مصر تشرع فى حل مشكلة اليمن :

ازاء كل ما سبق من مظاهر المخاطر المحيطة بمصر فقد أخذت مصر مبكرا فى بذل مجهود مكثف لحل المشكلة اليمنية وبدأت محاولتها الجادة بتحكيم مصر للملوك ورؤساء الدول العربية فى العلاقات بين عبد الناصر وفيصل فى مؤتمر القمة بالاسكندرية سبتمبر ١٩٦٤ وكانت حرب اليمن فى هذا الوقت تكلف الخزينة المصرية كل سنة حوالى مليون دولار وهو المبلغ الذى يكفى لشراء احتياجات مصر من القمح وفى نفس الوقت كانت المعلومات المؤكدة التى لدى مصر تدل على أن نشاط جيوش المرتزقة الأجانب وأسلوب وضخامة تحركاتها تدل على أن وراء كل هذا دولا كبرى ويدار نشاطها من لندن وكانت هناك خطط وعمليات واشارات متبادلة باللاسلكى تدل على اشتراك عناصر ايرانية واسرائيلية وكميات هائلة من أحدث الأسلحة لاتقدر عليه الا حكومات دول عظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة .

اتفاقية جدة (أغسطس ١٩٦٥) :

بناء على رغبة متبادلة تم التمهيد لاجتماع الرئيس عبد الناصر والملك فيصل فى جدة اعتبارا من ٢٢ أغسطس ١٩٦٥ وتم التوصل فى هذه الاتفاقية التى أبرمت يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى الآتى :

١ ــ أن يقرر ويؤكد الشعب اليمنى رأيه فى نوع الحكم الذى يرتضيه وذلك فى استفتاء شعبى فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٦ .

٢ ــ يصير الاعداد والتحضير للاستفتاء فى المدة من تاريخ الاتفاق حتى الموعد المحدد باعتبارها مدة انتقالية .

٣ ــ تتعاون مصر والسعودية فى تشكيل مؤتمر يمنى انتقالى يتكون من خمسين عضوا يمثل القوى الوطنية فى اليمن حسب ما يتم عليه الاتفاق .

ما بعـــد الاتفـــاقية :

بمجرد ابرام الاتفاقية كان من الواضح أن هناك :

١ ـ عناصر محلية فى كل من السعودية واليمن ازعجها ابرام هذه الاتفاقية لانه بناء على حالة الحرب حقق لها أرباحا وفيرة كما حققت حالة الحرب فرصا للثراء بلا حدود عن طريق الابتزاز ٠

٢ ـ عناصر خارجية كانت هى الأخرى تحقق أرباحـا طائلة من تجارة السلاح حيث وصلت فى سنة ١٩٦٣ تعاقدات الأسلحة فى أسواق أوربا لأجل حرب اليمن حوالى ستمائة مليون دولار وهذه التجارة ربطته معها مصالح أجنبية خارجية على رأسها شركات البترول العالمية وأجهزة المخابرات المختلفة لأمريكا وايران واسرائيل وانجلترا والتى كانت قلقة على تواجدها فى الجنوب العربى وأبرمت الاتفاقية فى ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ وكان ينتظر الأمة العربية مؤتمر القمـة العربى الثالث فى الدار البيضاء والذى تحـدد له يـوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٥ أى بعـد أقل من سنة من ابرام الاتفاقية ٠

مؤتمر القمة العربي الثالث (الدار البيضاء ١٣ سبتمبر ١٩٦٥) :

من المعلوم أن الدعوة لعقد مثل هذا المؤتمر كانت بناء على قرار مؤتمر القمة الثانى الذى عقد فى سبتمبر ١٩٦٤ والذى أوكل فيه المؤتمر الثانى ولجانه العسكرية والفنية لبحث وتحضير مواضيع محددة لها وعرضها على المؤتمر الثالث وهذه المواضيع هى :

١ ـ دراسة وعرض الخطة العسكرية غير العملية التى طرحها الوفد السورى برئاسة اللواء أمين الحافظ ٠

٢ ـ تحصيل أنصبة الدول العربية فى تكاليف مشروعات تحويل مجرى نهر الأردن والاعتمادات المالية اللازمة للقيـــادة العربية الموحـــدة والموكل اليها تنفيذ خطط الدفاع ضد أى عدوان اسرائيلى على دول المواجهة من داخل حدودها أثناء تنفيذ المشروعات ٠

٣ ـ تحصيل المبالغ المحددة لكل دولة عربية للمساهمة فى دعم الكيان الفلسطينى ٠

٤ ـ التخطيط على مستوى الخبرة الفنية لتنفيذ المشروع ٠

٥ ـ تحرك قوات عربية الى مواقع تنفيذ المشروع بناء على أوامر من القيادة العربية الموحدة ٠

السلبيات :

ظهر من المذكرات والتقارير والدراسات ومحاضر جلسات اللجان العسكرية والفنية والتى وزعت على دول المؤتمر فى الفترة ما بين مؤتمر القمة الثانى فى سبتمبر ١٩٦٤ وبين مؤتمر القمة الثالث فى سبتمبر ١٩٦٥ ان هناك سلبيات خطيرة من بعض الدول كانت السبب فى تعثر المشروع العربى لحجز ميـاه نهر الأردن العربى بالقرب من منابعه داخل الدول العربية قبل المرور على اسرائيل والسلبيات هى :

١ ـ بعض الدول لم تدفع أنصبتها فى تكاليف المشروع وفى دعم الكيان الفلسطينى وبعضها لم يدفع بالكامل مثل سوريا ٠

٢ ـ بعض الدول كالأردن تسلمت الاعتمادات المخصصة لها للصرف على تحقيق الأهداف التى قررها المؤتمر وصرفت هذه الاعتمادات على مجالات محلية أخرى ليس لها علاقة بالمشروع العربى ٠

٣ ـ تنفيذ المشروع العربى متأخر ومتعثر عن مواعيده المقررة ٠

٤ ـ لبنان تتعمد التسويف فى تنفيذ ما هو مطلوب منها بل ومتوقفة عن هذا التنفيذ بحجة حرصها على عدم استفزاز اسرائيل فتتعرض للعدوان الاسرائيلى ولم تسمح لدخول القوات العربية فى أراضيها لنفس السبب وتسبب هذا الوضع فى خلاف حاد بين الحكومة اللبنانية والقيادة العربية الموحدة ٠

٥ ـ الأردن هى الأخرى رفضت تعليمـات القيادة العربية الموحـدة بدخول القوات العراقية والسعودية الى أراضيها لتعزيز الجيش الأردنى لنفس أسباب لبنان خوفا من استفزاز اسرائيل فتوجه اليها ضربة وركز الأردن على تنفيذ الخطة الأمريكية لتقسيم المياه طبقا لمشروع اريك جونسون الأمريكى الموضوع منذ سنة ١٩٥١ لامكانات التعاون العربى الاسرائيلى ٠

٦ ـ سوريا والسعودية والأردن امعـانا فى تبرير سلبيات بعض الدول العربية التى تخشى الاستفزاز الاسرائيلى زايدت على وجود قوات الطوارىء الدوليـة فى سيناء أمام القوات المصريـة الموجـودة فى سيناء والمخصصة حسب خطة القيادة الموحدة لحماية تنفيذ المشروع العربى ضد أى عدوان اسرائيلى وكانت هذه الدول تعلم ان هذه القوات الدولية يمكن سحبها اذا ما طلبت مصر منها ذلك فى أى وقت ٠

اجتماعات المؤتمر :

أثيرت كل هذه السلبيات أثناء اجتماعات المؤتمر المغلقة وكان يرأس الجلسات الرئيس عبد الناصر بصفته الداعي للمؤتمر وتعمد الوفد السورى احداث مزيد من الاحراج للرئيس عبد الناصر من هذا المنطلق وبالذات بالنسبة لوضع قوات الطوارىء الدولية على الحدود بين مصر واسرائيل وكذلك بالعودة لاثارة مشروع أمين الحافظ الخيالى الذى سبق وقدمه فى مؤتمر القمة الثانى وأثبتت القيادة الموحدة بعد دراسة عدم جدواه ثم أثار الوفد السورى مشكلة أخرى باقتراحه تعديل صياغة أحد بنود معاهدة الدفاع المشترك وطالب بضرورة أن تنص على استعادة الأراضى العربية المغتصبة وعلى رأسها فلسطين وعربستان بتحريرها من ايران والاسكندرونة بتحريرها من تركيا والجنوب العربى بتحريره من بريطانيا .

مشروع القيادة الموحدة

وتحت الحاح الوفد السورى قام الفريق على على عامر رئيس اللجنة العسكرية العربية وهو مصرى بقراءة مشروع القيادة الموحدة والتى أعدته بصفة عاجلة للعرض على المؤتمر فى جلسته المغلقة وكان مشروعا نظريا الى حد بعيد وجاء بهذا المشروع تفصيل للقوات والامكانات العسكرية والمالية التى يجب ان تساهم بها كل دولة عربية لأجل تكوين قوة عربية يمكنها مواجهة أى عدوان على أى دولة عربية أثناء تنفيذ المشروع العربى المقترح لحجز مياه روافد نهر الأردن داخل حدود الدولة العربية وكان هذا المشروع فى اجماله يأخذ شكل المقترحات ولا تتوفر فيه الجدية اللازمة نظرا لما يحيط به من خلافات حادة بين العرب وخاصة من الدول العربية المرتعشة خوفا من الاعتداء الاسرائيلى اذا ما استفزتها هذه الاجراءات العسكرية الدفاعية ومن ناحية أخرى نظرا للعلاقات التقليدية لبعض الدول العربية مع الدول الغربية وأمريكا التى تؤيد اسرائيل على طول الخط .

وقام الوفد السورى بعد الاستماع الى هذا التقرير بمطالبة الدول العربية الغنية بالمساهمة بنصيب أكبر فى تمويل هذا المشروع الدفاعى ثم اقترح الملك الحسن ملك المغرب احالة هذا المشروع الدفاعى للدراسة والبحث العميقين وأن يبدأ المؤتمر فورا فى مواصلة النظر فى جدول الأعمال والذى كان من أهم بنوده مناقشة الدعم اللازم لتنفيذ مشروعات تحويل المياه والنظر فى مطالب القيادة الموحدة العربية العاجلة وعلم فيما بعد ان

المخابرات الأمريكية قد حصلت على تفاصيل هذا المشروع العسكرى العربى (١) والذى قرأه الفريق على على عامر فى جلسة سرية فى المؤتمر ·

توتر العلاقات بين منظمة التحرير والأردن

قام المؤتمر بمحاولة ازالة التوتر الذى كان موجودا بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين حكومة الأردن بعد أن نشطت المنظمة فى الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن وتضاربت فى الاختصاصات مع الحكومة الأردنية ·

ميثاق التعاون بين البلدان العربية (١٦ سبتمبر ١٩٦٥)

فى النهاية توصل المؤتمر بناء على اقتراح وفد السودان ذلك للعمل على ازالة الخلافات المستحكمة بين الدول العربية والتى تحمل فى طياتها الشك ومظاهر التوتر من الحملات العدائية المتبادلة وتحقيقا لتصفية ما بينهم حتى يمكنهم أن يواجهوا المستقبل طبقا لميثاق يحدد أصول التعاون بين البلدان العربية ويرسى قواعد الاحترام المتبادل :

١ ــ تضامن الدول العربية فى خدمة الأمة وقضيتها الأولى فلسطين ·

٢ ــ احترام أنظمة الحكم فى كل بلد عربى وعدم التدخل فى شئونها الداخلية ·

٣ ــ احترام قواعد القانون الدولى ·

٤ ــ الامتناع عن تشجيع حركات التمرد والانفصال فى أى بلد عربى ، وقام الملوك والرؤساء بتوقيع هذا الميثاق يوم ١٦ سبتمبر ١٩٦٥ وكان هذا هو ختام المؤتمر ·

---

(١) وثيقة على شكل مذكرة أحالها الرئيس عبد الناصر على أثر اجتماعه بالرئيس تيتو فى الهند قبل اجتماعات مؤتمر قمة عدم الانحياز يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٦٦ وابلغ عبد الناصر أن ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى بعد الحاحه فى مقابلته من عدة شهور قال ان لدى اسرائيل تفاصيل المشروع العربى الذى أعده مؤتمر القمة العربى الأخير وهى خطة عسكرية الغرض منها القضاء على اسرائيل وقد اطلع على هذه الخطة بنفسه فى اسرائيل · ورغم أن الولايات المتحدة كانت على علم كامل بأنها لم تكن خطة عسكرية جادة فقد كان من الواضح ان هناك مؤامرة أمريكية اسرائيلية الغرض منها تبرير اعطاء اسرائيل مزيدا من أحدث الأسلحة والمعدات العسكرية التى تضمن بها التفوق الاسرائيلى على العرب جميعا ومحاولة اقناع حتى أصدقاء مصر والعرب مثل الرئيس تيتو بأن العرب هم الذين يهددون بالاعتداء على اسرائيل وليس العكس ــ الحلقة ٧ من كتاب الانفجار للأستاذ هيكل ــ أهرام ١٤/٥/١٩٩٠ ، ص ٨ ·

تشكيل وزارة زكريا محيي الدين أكتوبر ١٩٦٥

في شهر أكتوبر ١٩٦٥ تم تشكيل وزارة برئاسة زكريا محيي الدين عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية وذلك بدلا من وزارة علي صبري التي عاصرت عديدا من التوترات مع السياسة الأمريكية ووفرت وزارة السيد زكريا محيي الدين جانبا كبيرا من الاستقرار الداخلي والهدوء الخارجي وبخاصة مع الولايات المتحدة مما نجم عنه اعادة النظر فيما يقلق مصر وقتها من التهديدات الأمريكيـــة بايقاف معونة القمح واستؤنفت المحادثات بين مصر والولايات المتحدة الخاصة بصفقات القمح ٠

بعثة الدكتور عبد المنعم القيسوني (١٢ أكتوبر ١٩٦٥)

اجتمع الدكتـــور القيسوني نائب رئيس الوزراء المصرى للشئون الاقتصادية مع مستر دين راسك وزير الخارجية الأمريكي يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٥ وطلب القيسوني من الجانب الأمريكي احتـــواء الأزمة بين مصر وأمريكا والتى أثرت على تعطيل المعونة الأمريكيـــة من القمح الضرورى للشعب المصرى وأثار وزير الخارجية الأمريكي المشـــكلة بأسلوب يؤكد تثبيت الضغط الأمريكي بحجة ان أمريكا تمد مصر بالقمح كمادة غذائية وبشروط ميسرة بقبول الدفع بالجنيه المصرى فى نفس الوقت الذى تقوم فيه مصر بتصدير كميات كبيرة من المواد الغذائية المتمثلة فى الأرز وتحصل مقابلها على عملات صعبة وأكد ان هذا التساؤل أثاره الرئيس الأمريكي بنفسه بالاضافة الى ان مصر أصبحت تستكمل احتياجاتها من القمح من جهات أخرى غـير أمريكيـة مثـل المكسيك واليونان وكان من الواجب ان تقتصر مصر فى اســـتيرادها على الجانب الأمريكي فقط وذلك رغم أن الدكتور القيسوني رد بأن مصر تحصل على القمح من هذه الجهات بسعر أقل ولم تتوصل المباحثات الى أى نتيجة واستمر الضغط الأمريكي على مصر بسلاح القمح حيث استمر الموقف معلقا ومرتبطا بمدى مقاومة مصر وعدم استسلامها للضغوط الأمريكية الاسرائيلية ٠

توقعات المستقبل

منذ آخر عام ١٩٦٥ ونتيجة لتـــوالى الضغط الأمريكي الساخر والرسمي كانت مصر تشعر بقدوم العاصفة والتى ستكون على شكل عدوان

مدبر وتأكدت ظنون مصر بعد ذلك بمدة (١٩٩١) آخـــرها كتاب (١) أمريكى ظهر فيه جليا مدى التآمر فى التحضير لعدوان ١٩٦٧ بين أمريكا واسرائيل .

شعور مصر بقرب العاصفة

فى أوائل عام ١٩٦٦ تجمعت فى الجو السياسى المصرى شواهد ما قبل العاصفة وكلها دلائل تفصح عن تبنى الادارة الأمريكية لوجهة النظر الاسرائيلية فى كل ما تتخذه مصر من احتياطات عسكرية أو استراتيجية بغرض الدفاع عن النفس ، ورغم انه حق دولى معتــرف به فقد بدأ هــذا التدخل الأمريكى حتى منذ أيــام الرئيس جون كينيدى وتهديد مبعوثه (جون ماكلوى) فى مقابلة الرئيس عبد الناصر عندما طلب من مصر ايقاف برامجها لانتاج الصواريخ وضرورة استغنائها عن خدمات علماء الصواريخ الألمــان وأن يكون للولايات المتحـدة حق التفتيش على المنشآت النووية المصرية .

وفى مقابلة السفير الأمريكى فى مصر للرئيس عبد النــاصر فى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٣ نقل السفير تهديدا أمريكيا لمصر فى حالة تدخل مصر عسكريا لصالح الجزائر فى خلافها مع المغرب وذلك بامكان توسع المملكة العربية السعودية وزيادة نشاطها فى عملياتها ضد القوات المصرية فى اليمن وباحتمال تدخل مجلس الشيوخ الأمريكى لقطع المساعدات عن مصر وعلى رأسها القمح الأمريكى .

وفى بدء أيام رئاسة جونسون كان تهـديد الادارة الأمريكية (٢) أكثر صراحة فى مناصرة اسرائيل على العرب وبمجرد اعلان اسرائيل خوفها من قرارات مؤتمر القمة العربى ١٣ يناير ١٩٦٣ وادعت أنها قرارات تهدد

---

(١) فى منتصف عام ١٩٩١ صدر كتاب فى واشنطن يحمل عنوان « علاقة خطرة » يكشف العلاقات الخفية بين أمريكا واسرائيل تأليف (اندرو وليزلى كوكبيرن) وتخص المؤامرة الاسرائيلية الأمريكية للتحضير للعدوان على مصر وهو فصل عن تزاوج الالفـة بين جهاز المخابرات الأمريكى (C.I.A.) وبين المخابرات الاسرائيلية (الموساد) عام ١٩٥١ والتى كرس لها كل جهده (جيمس انجلتون) رئيس فرع مكافحة التجسس فى المخابرات الأمريكية مما قاله مسئول كبير فى وكالة الأمن القومى الأمريكى أن انجلتون أمضى عاما كاملا يعمل مع الاسرائيليين للاعداد لحرب ١٩٦٧ وان هذه الحرب كانت بمثابة عملية صنعتها المخابرات الامريكية وانها كانت تهدف الى اصطياد عبد الناصر - جريدة الأهرام ٩١/١١/١٥ والملحق الخاص للجارديان البريطانية .

(٢) ص ٣٤٠ من هذا الكتاب .

أمن اسرائيل قام الرئيس جونسون ومن مقر أحد المعاقل اليهودية فى الولايات المتحدة وأعلن يوم ٦ فبراير ١٩٦٤ بأن الولايات المتحدة قررت التعاون مع اسرائيل فى استخدامات الذرة فى مجال الاستخدامات السلمية وشارك فى حملة التبرعات لمعهد وايزمان الاسرائيلى للأبحاث .

– وفى ٧ مايو ١٩٦٤(١) وفى مقابلة للسفير الأمريكى مستر بادو مع الرئيس عبد الناصر أبلغ السفير بناء على تعليمات الرئيس جونسون ، رسالة فيها تكرار للانذار والتهديد وطالب مصر بتجميد أبحاثها فى انتاج الصواريخ واعطاء تأكيد من مصر بعدم حصولها على أسلحة نووية من أى جهة (يقصد الكتلة الشرقية) وعدم استخدامها (وبالطبع لصالح اسرائيل) .

– فى ٢٠ يوليو ١٩٦٦ استقبل الرئيس عبد الناصر(٢) ذو الفقار على بوتو وزير خارجية باكستان السابق فى حكومة الجنرال أيوب خان وبناء على طلب السيد ذو الفقار ، وبلغ الرئيس عبد الناصر أنه حضر من منفاه الاختيارى فى سويسرا لينقل له مخاوفه على مصر وعلى عبد الناصر كزعيم رئيس لدول عدم الانحياز وكأمل لدول العالم الثالث وذلك من المؤامرات التى تدبرها له مراكز الأحلاف العسكرية الغربية وفى سراديب الحكومة الخفية فى الولايات المتحدة وذلك من واقع ما لمسه على الطبيعة أثناء اشتراكه كوزير خارجية لبلاده فى اجتماعات الحلف المركزى ومن واقع ما يشعر به أخيرا من تصرفات واستفزازات أمريكية موجهة الى مصر بعد نجاحاتها غير العادية فى مقاومتها لقيود التبعية الأمريكية . وضرب مثلا بنجاح السياسة الأمريكية العلنية والخفية فى قرب التخليص على الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو كزعيم من زعماء عدم الانحياز وذلك باستغلال نقطة ضعفه نحو النساء والفتيات الجميلات حتى أصبح فى النهاية مسلوب الارادة . وذكر للرئيس عبد الناصر بالتفصيل كيف تخلصت منه هو شخصيا أمريكا بعد عدة مواقف له لمصلحة السياسة الوطنية لبلده باكستان وكان على قمتها نجاحه فى ابرام اتفاقية سلام مع الهند بعد الصراع العسكرى بين بلاده وبين الهند وأسقط فى يد الولايات المتحدة التى لم يكن من صالحها استقرار الأوضاع بينهما وكذلك بعد أن عارض فى اجتماعات الحلف المركزى خطة الولايات المتحدة بفكرة

---

(١) ص ٣٤٦ من هذا الكتاب – السفير الأمريكى جون بادو تولى فى وقت ما رئاسة الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

(٢) حلقة رقم ٧ من حلقات الأستاذ حسنين هيكل عن كتاب الانفجار – أهرام ١٤/٥/١٩٩٠ .

المؤتمر الاسلامي الذى يشجعه الملك فيصل وشـــاه ايران وذلك كبديل لحركة القوميـة العربيـة · وفى زيارة الرئيس الباكســتانى أيوب خان للولايات المتحدة لطلب المعونة الأمريكية لباكستان وكان يرافقـه وزير خارجيته ذو الفقار علي بوتو طلب الرئيس جونسون أن يقابل الرئيس أيوب خان وحده · وبعد المقابلة اجتمع الرئيس أيوب خان مع ذو الفقار علي بوتو وبلغه أن الرئيس جونسون يفكر فى زيادة المعونة بشرط التخلص من ذو الفقار علي بوتو نفسه وحاول الرئيس أيوب خان بكل جهده عدم التفريط فى وزير خارجيته ذو الفقار ولكنه فى النهاية وجد نفسه ازاء الضغط الأمريكي المستمر والمتصاعد أن يتخلص منه ، وآثر وزير الخارجية المستقيل الابتعاد عن العاصمة ولكنه استقبل بمظاهرات شعبية فى كل مكان ذهب اليه فى باكستان فى لاهور وفى كراتشى تأييدا لمواقفه الوطنية ونصحه بعد ذلك الرئيس أيوب خان ســواء طبيعيا أو بايحاء أمريكى بالابتعاد كلية عن باكستان لمدة حتى تهدأ الحال ففضل الاقامة فى سويسرا ونجحت أمريكا فى التخلص منه ومن معانداته ·

وكان من الطبيعى أن يستنتج الرئيس عبد الناصر أبعـاد هذه المؤامرات الأمريكية وبخاصـة أن لديهـا ما تلوح به من قطع معونات وتهديدات عدوانية اسرائيلية محتملة فى أى وقت ·

تصرفات أمريكيـة لها أكثر من غـرض زيارة موسى ديان لجبهـة فيتنام فجأة وبشكل استفزازى للعـرب أعلنت الولايات المتحـدة يوم ٧ يونيو ١٩٦٦ أن الجنرال الاسرائيـلى موسى ديان يقوم بمأمورية فى فيتنام وحيث انه لم يكن من المعقول أن القيادة العسكرية الأمريكية بكل كفاءاتها وامكاناتها تكون فى حاجـة الى خبـرات الجنـرال الاسرائيـلى موسى ديان وكان تحليل (١) القيادة الاستراتيجية المصرية لهذا الخبر أن حلقة التآمر الأمريكى باستخدام اسرائيل كقوة عدوانية ضـد العرب بصفة عامة وضد مصر بصفة خاصة قد استحكمت واقتربت وأن البعثة العسكرية الاسرائيلية برئاسة موسى ديان تقوم بدراسة التجربة الأمريكية العسكرية فى فيتنام من كل أو بعض جوانبها لامكان تطبيقها مستقبلا عند أى عدوان قريب على مصر بالذات ·

---

(١) صدر بذلك تحليل اخبارى لهذا الخبر العلنى فى مجموعة المصادر العلنيـة والتى كان المؤلف يشغل رئاستها فى هذا الوقت وارسلت الى القيادة السياسية المصرية فى حينها ·

بالاضافة لى ما كانت تعده المخابرات الأمريكية من (١) تخطيط مع اسرائيل لعدوان عام ١٩٦٧ تحت اشراف جيمس انجلتون فقد قامت الادارة الأمريكية بتوجيه من الرئيس جونسون باعطاء (٢) معونة لاسرائيل للسنة المالية الأمريكية ١٩٦٦ بمبلغ ١١٠٠ مليون دولار وكانت فى عام ١٩٦٥ ـ ٩٢ مليونا فقط وكانت معونة ١٩٦٦ بكاملها مخصصة لمبيعات(٣) أسلحة أمريكية أكبر من أى كميات كانت تحصل عليها فى الماضى ٠ وكان الجزء الأكبر من الصفقة الأمريكية الجديدة يقع فى مجال الطيران ما بين ٨٠ الى ١٠٠ طائرة أمريكية قاذفة ومقاتلة حديثة أما الذخائر فكان ثمنها ٢٠٢ مليون دولار وأعلنت بعض الصحف العالمية أن الحكومة الأمريكية باعت لاسرائيل كميات من المعدات لكى تستطيع مواجهة مبيعات السلاح السوفيتى (٤) للمنطقة وهذه المعدات هى صفقة كبيرة من دبابات باتون وصواريخ هوك لأغراض الدفاع تعـادل عشرة أمثال معونات ١٩٦٥ ٠ وقد تمكنت اسرائيل أيضا بعلاقاتها الخفية مع ايران من الحصول منها على مخزون ضخم من البترول الايرانى عبر خط أنابيب البترول الرئيسى عبر اسرائيل المنشأ بين ميناء ايلات على البحر الأحمر وبين شواطىء اسرائيل على البحر الأبيض وكان هذا المخزون من البترول الايرانى يكفى جميع احتياجات اسرائيل حتى وهى فى حالة حرب لمدة ثلاثة أشهر ٠

ولما شعرت الولايات المتحدة بتناثر أنباء المعدات العسكرية الأمريكيه الضخمة التى زودت بها اسرائيل وكان تناثر هذه الأنبـــاء عن عمد من حكومتى اسرائيل والولايات المتحدة فقد قام السفير الأمريكى فى القاهرة بتكليف من وزارة الخارجية الأمريكية (٥) بتبليغ بعض المسئولين المصريين بألا ينزعجوا من أنباء هذه الصفقة الأمريكية لاسرائيل لأن هذه المبيعات العسكرية ما هى الا معدات لأغراض الدفاع وقد تم تنفيذها ، كما أفصح أن عدد الطائـرات التى تضمنتها هذه الصفقة لاتزيد عن ٥٠ طائـرة ٠

---

(١) كتاب « علاقة خطرة » القصة الحقيقية للعلاقات الخفية بين أمريكا واسرائيل تأليف أندرو وليزى كوكيرن ـ عدد الأهرام ١٩٩١/١١/١٣ ٠

(٢) تقرير لمجلس الأمن القومى فى ١٩ مايو سنة ١٩٦٦ ـ أهرام ١٩٩٠/٥/١٦ ٠

(٣) تصريح لرئيس الوزراء الاسرائيلى فى ٦ أبريل سنة ١٩٦٦ لجريدة دافار الاسرائيلية ٠

(٤) مذكرة أمريكية قدمها السفير الأمريكى فى الكويت الى وزارة الخارجية الكويتية ٠

(٥) وثيقة أمريكية عبارة عن برقية من وزارة الخارجية الأمريكية للسفير فى مصر فى ١٤ أبريل سنة ١٩٦٦ من وثائق كتاب الانفجار سنة ١٩٦٧ للأستاذ هيكل أهرام ١٩٩٠/٥/١٦

ولم يهمل الرئيس عبد الناصر البلاغ الأمريكى وقام باستدعاء السفير الأمريكى يوم ٢ مايو ١٩٦٦ وكان أهم ما أبلغه به أن مصر تأكدت بعد معرفتها بالبلاغ الأمريكى أن الرئيس الأمريكى يهدف الى التلويح لمصر بمبيعات القمح لارغام مصر على التعقل وطلب من السفير الأمريكى تبليغ الرئيس جونسون بأن مصر لم تعد فى حاجة الى هذا القمح وأنها لاتشتريه بدم أبنائها ويبدو أن مصر بتعاملها مع هذه الأخبار لم تكن على يقين من أن هناك عدوانا يدبر لها ٠

وبدأ التعاون الاسرائيلى الأمريكى للتخلص (١) من عبد الناصر منذ ١٩٦٥ حيث عقد (جيمس انجلتون) مدير العمليات الخاصة فى المخابرات المركزية الأمريكية لقاءات سرية مع مسئولين من الموساد الاسرائيلية واتفق رأيهم على تدبير مواجهة عسكرية بين اسرائيل ومصر بحيث لاتحقق مصر أى نصر فيها فاذا هزمت مصر كانت نهاية عبد الناصر بشرط عدم ظهور الدور الأمريكى علنا فى المؤامرة تلافيا لما حدث فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ - ثم عقدت بعد ذلك سلسلة من الاجتماعات فى تل أبيب وفى واشنطون بين ممثلين للمخابرات المركزية وعدد من ضـباط أركان حرب الجيش اسرائيل مع سوريا والأردن ثم وضع الخطة النهائية فى اسرائيل بواسطة الاجتماعات على تفاصيل اثارة حرب بين مصر واسرائيل بعيدة عن حدود اسرائيل مع سوريا والأردن ثم وضع الخطة النهائية فى اسرائيل بواسطة لجنة كان من أعضائها مائير أميت رئيس الموساد الاسرائيلى وأهارون باريف رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية وقادة الأسلحة وكان يمثل هـذه اللجنة فى واشنطون دوائر الادارة الأمريكية ايبى ايفرون حيث كانت بهذه الادارة الأمريكية لجنة أمريكية مخصصة لهذا العمل تتكون من جيمس انجلتون من المخابرات المركزية ووالت روستو مستشار الأمن القومى للرئيس جونسون وشقيقه وجين روستو وكيل وزارة الخارجية ٠

بداية تحرش اسرائيل بالعرب

فى يوم ٧ ابريل ١٩٦٧ قامت اسرائيل باستدراج سـوريا لمعركة جوية بغرض اختبار كل امكاناتها وتطوير سـلاحها الجوى للتعامل مع الطائرات السوفيتية الصنع المسلح بها مصر وسوريا ودفعت اسرائيل بجرار زراعى تحت حماية الأسلحة باجتياز الحدود السورية فى منطقة الحولة المنزوعة السلاح وقامت المواقع الدفاعية السورية بتدمير الجرار وما يحميه من أسلحة اسرائيلية ٠ وقامت اسرائيل بادخال جرار آخـر

---

(١) كتاب مؤامرة الصمت للكاتب البريطانى انتونى بيرسون صارو سنة ١٩٧٨ ، أهرام ١٨/٦/١٩٩٠ ، ص ٩ ٠

مصفح وتحت حماية أسلحة مختلفة قامت بقصف المواقع السورية فاضطرت سوريا الى ضرب بعض المستعمرات الاسرائيلية وعلى اثر ذلك بدأت الطائرات الاسرائيلية تتدخل فى المعركة فضربت قاعدة اسكوفيا السورية بالطائرات الميستير وقامت الطائرات الميراج الاسرائيلية بعمل مظلة جوية لها على ارتفاع واضطرت سوريا الى استخدام طيرانها للاشتباك مع الطيران الاسرائيلي ودفعت لذلك بثماني طائرات ميج وأسفرت المعركة عن تدمير ٦ طائرات سورية ولم يتأكد حدوث خسائر فى الطائرات الاسرائيلية سوى طائرة واحدة ميستير أسقطتها المدفعية المضادة السورية وكلف المشير عبد الحكيم عامر قائد القوات الجوية المصرية صدقي محمود للوقوف على أسباب القصور فى امكانات الطائرات الميج السورية أو الخطأ الذى تسبب فى هذه الخسارة الفادحة ووصل الفريق صدقي محمود الى سوريا (٢) يوم ٩ ابريل ١٩٦٧ وزار قاعدة المزة واجتمع مع وزير الدفاع ورئيس الأركان السورى ٠ وقام أيضا بزيارة قاعدة الزبير وغرفة العمليات ومحطات الرادار ولم يمكنوه من الاجتماع بالطيارين السوريين الذين اشتركوا فى المعركة ونجوا رغم تكرار هذا الطلب وكذلك مع مسئولى القيادة أثناء هذه المعركة الجوية ٠ واجتمع قائد القوات الجوية المصرية صدقي محمود مع وزير الدفاع ورئيس الأركان السورى قبل رجوعه الى مصر وأفصح لهم أن موقف الدول العربية مجتمعة وموقف سوريا لا يسمح بدخول معركة شاملة فى ذلك الوقت وأن قوة القاذفات المقاتلات فى مصر وسوريا لاتسمح بتنفيذ ضربة شاملة ويمكن فقط أن تقوم سوريا بمهاجمة المطارات الاسرائيلية الشمالية وتقوم مصر بمهاجمة المطارات الاسرائيلية الجنوبية وكذلك ضرب المنطقة الاسرائيلية الوسطى بالطائرات الاليوش ٢٨ تحت الحراسة ـ وأن عمليات التحرش الاسرائيلية بنزول جرار أو اثنين يمكن أن يقابل بعمل تعرض مشابه فى الحجم والأسلحة وليس بالطيران ٠ ولما عرض الفريق صدقي محمود على الجانب السورى امكانات مصر لمساعدتهم بالطيارين أو الفنيين أو المعدات اعتذروا بحجة أن مطاراتهم مكدسة ولا تسمح باستيعاب أى قوات اضافية كما سبق واعتذروا للعراق أيضا لنفس السبب وطلبوا تبليغ الرئيس عبد الناصر أن العمل الذى قامت به اسرائيل يوم ٧/٤ يجب أن ينظر اليه من الناحية السياسية طالبين من مصر التدخل على هذا الأساس ٠ وعند عودة صدقي

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو أمام لجنة تسجيل التاريخ ومن أقوال الفريق أول محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية ، تجميع الأستاذ سليمان مظهر ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٦ ٠

محمود الى مصر أبلغ الرئيس عبد الناصر والمشير عامر أنه من الواجب مسك الأعصاب لأن مصر بصفة خاصة سوف لايكون سلاحها ودفاعها الجوى جاهزا لدخول معركة قبل سنة ٧٠ اذا أجيبت كل الطلبات • وأن كل مايمكن الوعد به للسوريين فى حالة ظهور حشود اسرائيلية أمامهم فان السلاح الجوى المصرى يمكنه فقط أن يزيد نشاطه الجوى داخل سيناء وداخل حدود اسرائيل حتى يمكن سحب جزء كبير من القوات الجوية الاسرائيلية فى الجنوب • وفى يوم ١٣ ابريل أصدر الوفد السورى فى الأمم المتحدة بيانا « بأن الهجمات التى تشنها اسرائيل على سوريا سوف تؤدى الى اشتعال الموقف الذى تدهور على خطوط الهدنة بسبب الهجوم الاسرائيلى وأن سوريا لن تتخلى عن واجبها المشروع فى الدفاع عن نفسها وأن الكيان الاسرائيلى فى المنطقة يعتبر بمثابة المنفذ لمؤامرات الولايات المتحدة فى المنطقة وقد حولته أمريكا الى مجرم محترف » •

استدراج مصر للتورط فى الحرب

وقامت سوريا انتقاما من عمليات اسرائيل الأرضية والجوية يوم ٤/٧ بتشجيع قوات فتح الفلسطينية بالرد بغارات أرضية انتقامية داخل اسرائيل وقامت اسرائيل دعائيا بتضخيم هذا الرد السورى اعلاميا باتهامها لسوريا بتشجيع عمليات التسلل الفلسطينية بالعدوان على المدنيين الاسرائيليين داخل أراضيهم ثم اتهام سوريا بحشد قواتها على حدود اسرائيل لمستوى التحضير للاعتداء عسكريا على اسرائيل وساعدت وكالات الأنباء الغربية والأمريكية على ترويج هذه الادعاءات الاسرائيلية وقامت بنفس الدور بعض العناصر الموالية للسياسة الأمريكية داخل السكرتارية العامة للأمم المتحدة وعلى دكتور رالف بانش السكرتير المساعد ليونانت الملون والأمريكى الجنسية والذى كان يعتبر العين الأمريكية فى سكرتارية الأمم المتحدة • ففى حوالى ١٠ مايو ١٩٦٧ وما بعدها كانت وكالات الأنباء الغربية تروج أن هناك حشودا سورية على الخطوط السورية الاسرائيلية للرد عسكريا على استفزازات اسرائيل • وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن المراقبين الديبلوماسيين فى تل أبيب يتوقعون من اسرائيل قيامها بحشد عسكرى كبير بعد تصريح لرئيس وزراء اسرائيل بأن هناك مواجهة حتمية بين سوريا واسرائيل لأن سوريا تشجع عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل • ونقلت الوكالة أيضا عن رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى « أن اسرائيل تعلم أن سوريا تقف وراء جميع أعمال التخريب داخل اسرائيل وأن اسرائيل هذه المرة سوف نرد بعنف وبأسلوب انتقامى جديد » •

وفى نفس الوقت نقلت وكالة الأنباء الامريكية « يونايتدبرس » من عدن أن وحدات قوية من الأسطول البريطانى الموجودة بالقاعدة البريطانية بالبحر الأحمر انتقلت الى البحر الأبيض ٠

وفى نيويورك حول هذا التاريخ أيضا أعلن يونانت السكرتير العام للأمم المتحدة فى مؤتمر صحفى أنه « قلق من الأنباء الواردة من اسرائيل عن تهديدها باستخدام القوة ضد سوريا فانه يناشد كل الأطراف بضبط النفس واحترام اتفاقيات الهدنة » ٠

وفى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ نشرت وكالات الأنباء تصريحات استفزازية منسوبة الى الجنرال رابين الاسرائيلى تقول « أن اسرائيل على استعداد للزحف واحتلال دمشق نفسها واسقاط النظام فيها ثم العودة الى خطوط الهدنة مرة أخرى » ٠

ميوعة الأوضاع داخل سوريا

كان شكل النظام الذى آلت اليه السلطة فى سوريا فى هذه الظروف جديرا بالتفكير المصرى باتخاذ موقف الحذر ٠ فكان على القمة خليط غريب من الانقلابيين من العلويين الذين لايحملون لمصر أى ود ويشكلون فيما بينهم لجنة سرية عسكرية وكان على رأسهم مجموعة من الدكاترة مختارين بمعرفة العلويين ولا حول لهم وقد لمح الملك حسين عنهم جميعا أن من بينهم من هم ضالعون (١) فى التواطؤ الأمريكى الاسرائيلى وكان تبليغ الملك حسين « أن هناك فخا يدبر للجمهورية العربية وللرئيس عبد الناصر وأن الجماعة فى سوريا ممزقون وبعضهم متواطىء مع جهات لديها خططها » وتبعا لتسلسل الأحداث راح هذا النظام فى سوريا سواء بالرغبة فى التورط أو مساقا للسقوط فى التواطؤ حسب تبليغ الملك حسين يسير متجاوبا مع رد فعل استفزازات اسرائيل فى الطريق المرسوم للمؤامرة المدبرة ٠

الجو السياسي المحيط بمصر فى هذا الوقت

وفى هذا الوقت كان الجو السياسى المحيط بمصر ملبدا بغيوم التربص بمصر وبخاصة من جانب الولايات المتحدة المتواطئة مع إسرائيل فقد كانت مصر فى معركة مستترة مع أمريكا بتبرمها الشديد من

---

(١) وثيقة على شكل تقرير رفعه الفريق عبد المنعم رياض لقيادته ليصل الى الرئيس عبد الناصر بعد مقابلته للملك حسين بعمان كطلب الملك حسين ليبلغ مصر رسالة هامة من وثائق الانفجار للأستاذ محمد حسنين هيكل حلقة ١٢ أهرام ١٩٩٠/٥/٢٦ ٠

مصر لدورها المعاكس فى تهديد مصالحهـا البترولية فى الخليج وفى السعودية بقواتها الموجودة فى اليمن والتى تهدد هذه المصالح وتهدد فى الوقت نفسه المصالح البريطانية فى الجنوب العربى والتى جعلت العناصر الوطنية هناك بفضل الوجود المصرى فى هذه المناطق تطالب بريطانيـا بالجلاء متأثرة بسياسة عبد الناصر القومية ـ كما أن نظام الحكم فى العراق بعد أن كان فى السابق يعمل لتثبيت المصالح الأمريكية انقلب فجأة بعد اغتيـال عبد الكريم قاسـم الى نظـام معاد للسياسة الأمريكية وأمريكا نحقد على نظام مصر لعلاقاته الودية مع رأس النظام الجديد فى العراق لدرجة مسئولية مصر عن أمن القيادة السياسية العراقية بوجود حرس عسكرى مصرى على رئاسة الجمهورية العراقية ٠

وازاء كل هذه المخاطر التى لم تكن خافية على الاتحاد السوفيتى فقد قام المسئولون السوفيت فى عدة مناسبات وقتها باعطاء وعود لكل من سوريا ومصر بأن الاتحاد السوفيتى سيستمر فى الوقف بجانبهما وكان على قمـة هـذه الوعـود هو ما صـدر عن الزعيم السوفيتى بادجورنى للسيد أنور السادات عند زيارته للاتحاد السوفيتى (١) على رأس وفد مصر وذلك فى مقابلة خاصة معه يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ بأن الاتحاد السوفيتى سيقف دائما بجانب مصر وسوريا ٠

معلومات الحشود الاسرائيلية

فى يـوم ١٣ مايو وصلت الى مصر اشارة (٢) من رئيس الأركان السورى نصها علمنا من مصدر موثوق ما يلى :

أولا : أن اسرائيل استدعت القسم الأعظم من احتياطيها ٠

ثانيا : أنها تحشد قسما كبيرا من قواتهـا المسلحة مقابل الجبهة السورية وتقدر القوات بحوالى ١٥ لواء اسرائيليا ٠

ثالثا : أنها تنوى القيام بهجوم واسع على سوريا تستخدم فيـه قوات المظليين بكثافة ويقدر أن يكون هذا الهجوم بين ١٥ ، ٢٢ مايـو الجارى ٠

---

(١) تقرير للدكتور مراد غالب السفير المصرى بالاتحاد السوفيتى الى الرئيس جمال عبد الناصر أهرام ١٩٩٠/٥/٢٦ ٠

(٢) اعترافات قادة حرب يونيو للأستاذ سليمان مظهر من اعترافات الفريق صدقى محمود ، ص ١١٠ ٠

وفى الحال صار تكليف (١) الفريق أول محمـــــد فوزى رئيس أركان حرب القوات المصرية بالسفر الى سوريا للتحقق من معلومات الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ولأجل الربط والتنسيق مع القيـــادة السورية لتوحيد الجهد العسكرى • وتبين للفريق فوزى بعد أن طلب آخـر تقـارير الاستطلاع واطلع على أفلام التصـوير الجوى عن الجبهـة فلم يجد به ما يدل على أن هناك أى حشود وبسؤال عناصر الاســتطلاع المصرى وعناصر **المعلومات سواء فى القيادة أو فى الجبهة فلم يتبين حقيقة هذا الحشد** •

وفى نفس الوقت وصلت للقيادة السياسية المصرية معلومات من الحكومة السوفيتية تؤكد على وجود هذه الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا وبدأت القيادة السياسية المصرية بالتصرف على أساس أن موضوع الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا حقيقة وقررت المساهمة فى تقديم المساعدة الممكنة لسوريا بحجة أنها ترضية لطموحات الجماهير العربية التى كانت وقتها تطالب مصر بأكثر مما تستطيع ولذلك قامت مصر بالتصرفات المتتالية على الوجه الآتى :

ـ فى مساء يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ اجتمع الرئيس عبد الناصر مع المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى وبعد التباحث على أساس أن مصر لايمكن أن تقف ساكنة ازاء الأحداث التى فرضت نفسها ، وأن مصر يجب أن تكون مستعدة لمساعدة سوريا فى حالة عدوان اسرائيلى عليها ، ولأجل تقرير نوع وحجم وخطط هذه المساعدة فقد تم دعوة هيئة أركان الحرب المصرية صباح يوم ١٥ مايو وتباحث المجتمعون فى الوضع وفى بحث موقف قوات الطوارىء الدولية وفى ايفاد الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب الى سوريا لتنسيق العمل مع القيادة السورية فى حالة تصاعد الموقف وقرر المجتمعون تحريك تشكيلات مصرية الى سيناء لتحتل مراكز هناك استعدادا لكل الاحتمالات •

ـ فى يوم ١٥ مايو سنة ١٩٦٧ أصدر المشـــير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى قرارات مجملها :

١ ـ أن المعـلومات من مختلف المصادر تشير الى أن اسرائيل قد بدأت حشد قواتها أمام الجبهة السورية •

٢ ـ أن نوايا اسرائيل العدوانيـة تكشفت من تصريحات رئيس وزرائها ورئيس أركان حربها بغزو سوريا •

---

(١) نفس المصدر اعترافات الفريق أول محمد فوزى ص ٥٤ •

٣ ـ تتمشى نوايا اسرائيــل مع مخططاتها التوسعية فى المنطقة العربية بدءا بالعمل على اسقاط سوريا وذلك كمرحلة من مراحل التخطيط الصهيونى الاستعمارى فى المنطقة واذا ما نجحت يتبعها تصرفات أخرى مع باقى الدول العربية المتحررة ٠

٤ ـ أن اعتبــارات الأمن القومى المصرى تحتم عدم الســماح للمخططات الصهيونية بأى توسع على حساب أى دولة عربية ٠

٥ ـ أن ج ٠ ع ٠ م يتحتم عليها أن تتدخل ضـد أى عمليــات عسكرية اسرائيلية تستهدف احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن أو أى بقعة عربية فى الوطن العربى حتى لو كانت تحت حكم رجعى ٠

٦ ـ أن ج ٠ ع ٠ م لحريصة كل الحرص لكافة تطورات الأحداث السياسية والعسكرية لتحديد الزمان والمكان المناسبين للعمليات العسكرية٠

٧ ـ اذا حاولت القوى الاستعمارية تحريك اسرائيــل وترسم لها دورها العدوانى فى العالم العربى فان المعسكر الشرقى لن يقف بمعزل عن الأحــداث ٠

٨ ـ ترفع درجة الاستعداد للقوات المسلحة الى درجة الاستعداد الكامل للقتال اعتبارا من سعت ١٤٣٠ يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ٠

٩ ـ تتحرك التشكيلات والوحدات المقررة فى خطط العمليات الى مناطق تمركزها المحددة فى سيناء ٠

١٠ ـ تكون القوات المسلحة مستعدة لتنفيذ جميع مهام القتال على جبهة اسرائيل حسب تطورات الموقف ٠

١١ ـ ان تحرك قواتنا الى سيناء اســتعدادا للمعركة يجعــل اسرائيل تفكر مرتين قبل أن تقدم على غزو سوريا ٠

مقدمات حرب يونيو سنة ١٩٦٧

تعبئة القوات المسلحة

فى يوم ١٩٦٧/٥/١٤ أصدر الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب أمرا الى هيئة التنظيم والادارة لتعبئة القوات المسلحة جاء فيه: « أصدر المشير توجيهات شفوية لهيئة التنظيم والادارة بالاعتماد على القطاع المدنى فى أضيق حدود حتى لا تتأثر كفاءة الانتاج بالقطاع المدنى أو اقتصاديات الجمهورية بدرجة كبيرة حتى يمكن تطبيق سياسة النفس الطويل اذا لزم الأمر » ٠

ويدل هذا الأمر على أن القيادة السياسية المصرية كانت تستبعد نشوب القتال بين اسرائيل وسوريا رغم ما بلغها عدة مرات ومن عدة مصادر عن أبعاد المخطط الأمريكى الاسرائيلى وأن مصر هى المقصودة من كل هذه المظاهرات الاسرائيلية ٠

وفى يوم ١٩٦٧/٥/١٤ أيضا

أصدر الفريق أول محمد فوزى تعليمات عمليات حربية بالمعنى السابق اصداره بمعرفة المشير عبد الحكيم عامر وأضاف اليها :

١ ــ أن التعبئة العامة للقوات المسلحة يجب أن تتم قبل ١٩٦٧/٥/٢٧ ٠

٢ ــ أن يتم التوزيع الاستراتيجى للقوات البحرية طبقا للخطط المقررة مع التجهيز لتنفيذ العمليات التعرضية البحرية ٠

٣ ــ اتمام الحشد أمام اسرائيل برا وبحرا وجوا قبل يوم ١٩٦٧/٥/١٧ ٠

٤ ــ أن يتم تجهيز الخطط التعرضية والدفاعية المشتركة والمقررة مع القيادة العامة السورية ٠

٥ ــ بعد اتمام الاستعداد الكامل للدفاع الجوى يبدأ الاستطلاع الجوى فى اسرائيل ٠

وفى يوم ١٥ مايو سنة ١٩٦٧

تدفقت قوات مصرية ضخمة الى مواقع حشدها فى سيناء ومرت فى طريقها الى سيناء على القاهرة وعلى بعض المدن الكبرى وأصبحت هذه التحركات حديث مصر والعالم بأسره وارتفعت الاثارة مع احتمال أسوأ التوقعات وبدأت مشكلة قوة الطوارىء الدولية تفرض نفسها على الساحة ٠

استراتيجية مصر بعد تحريك الحشود المصرية الى سيناء

فى عملية الحشد العسكرى المصرى فى سيناء لم يخرج عبد الناصر عن الاستراتيجية المصرية الدفاعية منذ هدنة سنة ١٩٤٩ فلم يكن الأسلوب الذى حشدت به مصر جيشها فى سيناء أسلوب اتخاذ أوضاع هجومية بأى حال فكان بالمقام الأول يحقق « ارغام اسرائيل على سحب جانب كبير من حشودها التى تهدد سوريا لتضعها فى مواجهة الحشود المصرية » فقد كان الأساس هو اتخاذ الوضع الدفاعى ٠ وكان هذا هو

هدف هذه الاستراتيجية الدفاعية هو حماية قناة السويس ومنع العدو من الوصول اليها وفي حالة نجاح (١) اسرائيل فى اجتياز الحدود المصرية فى سيناء فان عمق سيناء وجبهتها الواسعة تعطى لجيش مصر ميدانا متاليا لصد هجوم اسرائيل واعادتها ثانية خارج سيناء مرة أخرى ٠ وقد اضطرت مصر بمجرد علمها بالحشود الاسرائيلية على حدود سوريا الى القيام هي الأخرى بحشودها الكافية لتحقيق استراتيجيتها الدفاعية على حدودها مع اسرائيل فى سيناء حتى لاتباغت بهجوم اسرائيلى على سيناء وهى شبه خالية من القوات الكافية لخطورة عبور قوات مصرية بأعداد كبيرة أثناء الاشتباك لصعوبة حالة الطرق فى سيناء والمعابر المحدودة على قناة السويس وامكان تدميرها كلها أو بعضها مع كثافة خسائرها فى المعدات والجنود العابرين بالاضافة الى الطرق الصحراوية المحدودة التى تربط القاهرة بكل من السويس والاسماعيلية والقنطرة ٠

ولذلك اتخذت مصر خطة الحشد الكبير فى سيناء مبكرا لتنفيذ الخطة الدفاعية وتم الاحتلال فى مدة ٧٢ ساعة طبقا للخطة وكانت الأسباب الملحة لاتخاذ هذه الاستراتيجية (٢) الدفاعية هى :

١ ـ عدم امكان التفوق العسكرى على اسرائيل بما يتمشى مع ضرورات أى خطة هجومية تبعا لأصول مقاييس الحرب لأن هذه المقاييس تحتم ضرورة تفوق الجانب المهاجم على الجانب المتلقى أو المدافع بنسبة ٣ : ١ فى العدد والتسليح ونوعيته والمهارة واستخدام السلاح ووضع واحكام الخطط وكفاءة التدريب وهذا لا يتوفر ولا يمكن توفيره لمصره بامكاناتها ، لأن مصر كانت فقط تعمل منذ حرب سنة ١٩٤٨ والى هذا الوقت عام ١٩٦٧ على الحفاظ على توازنها العسكرى مع اسرائيل والتى حرصت الولايات المتحدة على تحقيقه لاسرائيل فى الوقت الذى لم يعمل الاتحاد السوفيتى على تحقيقه حتى تشعر مصر بأى تفوق فى هذا المجال على اسرائيل ٠ وهذا هو من أهم الأمور التى حتمت على مصر عدم تغيير استراتيجيتها من الدفاع الى الهجوم ٠

٢ ـ لم يكن من السهل اتمام حشد ضخم أكبر من هذا الحجم ليكون قادرا على عمليات الهجوم بنسبة ٣ : ١ للصعوبات الادارية فى سيناء من جهة الامداد بالمياه الكافية والايواء واستمرار وتحقيق الأمان لهذه الامدادات ولطبيعة الأرض المكشوفة التى تحرم مصر كقوة مهاجمة من عامل المفاجأة الضرورى وبخاصة فى الحرب الحديثة ٠

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ للفريق صلاح الحديدى ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

٣ ـ تحوط مصر من الرأى العام العالمى ومن الأوضاع الدوليـــة وخاصة موقف الدول الغربية الكبرى ، وأمريكا وبريطانيـا وفرنســا المشتركة فى الضمان الثلاثى لبقاء اسرائيل ٠

٤ ـ التكاليف الباهظة للقوات الضخمة اللازمة لتنفيذ خطة هجومية بما لا يتمشى مع ضرورات التنمية وزيادة الانتاج فى مشاريع مصر الضرورية لرفع مستوى المعيشة المتدهور ٠

كفاءة التعبئة عند العدو

ـ وازاء كل الاعتبارات (١) السابقة وبالاضافة الى ضرورة التقليل من التفوق الاسرائيلى فى ناحية التعبئة والتى كانت قد بلغت فى تنظيمها وتنفيذها شأوا عظيما ودقيقا فى السرعة والدقة والسرية والتى تحقق لاسرائيل عامل المفاجأة منذ تجربة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ فقد قامت مصر بتقوية دفاعاتها (٢) وكانت قد استكملت خطتها الدفاعية منذ سنة ١٩٦٤ حتى أوائل سنة ١٩٦٧ وقامت بتكديس مواد تموينية وأسلحة وذخائر بكميات وفيرة جدا ومبالغ فيها فى سيناء وكل ذلك كان يشجع القيادة السياسية والعسـكرية المصرية على الاطمئنـان على امكانية تلقى الضربة الأولى وحتى للصمود ضد أى اقتحام مفاجىء ٠

قوة الطوارىء الدولية

تواجدت قوة الطوارىء الدولية فى مصر فى أعقاب الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ بناء على اتفـاق تم بين الجانب المصرى الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية وبين همرشولد سكرتير عام هيئة الأمم ٠

وبموجب هذا الاتفاق قبلت مصر وجود هذه القوات على أرضـــها على الحدود الاسرائيلية بينما رفضت اسرائيـــل وجودها على أرضـها ووافقت السلطات المصرية على عدم وجـــود أى قوات مصرية لمسـافة عشرة كيلو مترات من الحدود حتى يتمتع رجال البوليس الدولى بحرية العمل بينما تكون مصر من الناحيـــة العسكرية قد نقلت حـدودها الى الغرب لمسافة عشرة كيلو مترات أما الســـكان المحليون فى هذه المنطقة (العشرة كيلو مترات) ومعظمهم من العرب الرحل المحدودى العدد فظلوا

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٢ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٧ ٠

اداريا تحت السيطرة المصرية وقد كان لعدم السيطرة العسكرية على هذه المسافة من الحدود الملاصقة لاسرائيل تأثير كبير على النشاط العسكرى اللازم للتعامل مع نشاط العدو الاسرائيلى فكانت هذه المسافة الخالية بمثابة أرض مجهولة للعسكريين المصريين ومع مرور الزمن أصبحت كأنها أرض تابعة للعدو ٠

وتشكلت قوات الطوارىء فى مصر من كل من الهند ويوجوسلافيا(١) وكندا والبرازيل والسويد والنرويج وكان واجبها هو مراقبة الحدود بين الجانبين ومنع التسلل الى أى منهما ، وكانت بمثابة عيون السكرتير العام لهيئة الأمم ، وابلاغه عن أى اعتداءات يقوم بها أحد الطرفين ٠

وتمركزت قوة كل دولة من الدول المشتركة فى قوة الطوارىء فى المناطق ذات الأهمية العسكرية التى خصصت لها وكانت القوات الكندية مسئولة عن كل ما يتعلق بالعنصر الجوى لقوات الطوارىء ومن ضمنها دوريات المراقبة من الجو وأعطى هذا ميزة لها وهى احدى الدول التابعة للتاج البريطاني الى حد ما وقد كانت احدى قوات دولة من دول العدوان الثلاثى بالاضافة الى أن العناصر الجوية الكندية كانت تتقاسم مطار العريش مع قوة الطيران المصرى وشكل هذا الوضع خللا أمنيا بالنسبة لمصر ٠ وفى أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ استولت القوات الاسرائيلية فى خليج العقبة على منطقة شرم الشيخ المسيطرة على الممر الملاحى الضيق بين الشاطىء المصرى وجزيرتى ثيران وصنافير وأصبحت الملاحة الاسرائيلية آمنة من أى تدخل مصرى وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية بعد العدوان سنة ٥٦ من منطقة شرم الشيخ رابطت فيها قوة من قوات الطوارىء الدولية ولكن استمرت الملاحة الاسرائيلية حرة وازدادت معدلاتها وأصبحت الميناء الاسرائيلية ايلات مما تعتمد عليها اسرائيل اعتمادا كليا في ربطها بالبحر الأحمر وبدول شرق أفريقيا وآسيا ، وكانت القيادة السياسية المصرية قد وافقت وقتها على مرور السفن الاسرائيلية فى هذا الخليج واضطرت أن تغض النظر فى نظير الانسحاب الكامل لقوات العدوان البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من الأراضى المصرية تحت الضغط الأمريكى والتي حققت هذا المكسب الوحيد لاسرائيل مقابل اشتراكها فى عدوان سنة ١٩٥٦ ٠ وظل هذا الأمر مجهولا من الرأى العام المصرى طوال هذه المدة ولكن هذا الأمر كان مجالا للشك والتهجم من بعض العرب الذين كانوا يزايدون على قضية فلسطين وتناولت تصريحاتهم فى صحفهم واذاعاتهم حملات دعاية معادية لمصر ، وأن مصر ارتضت قيام الأمم المتحدة بالدفاع عن حدودها وأن مصر جمدت قضية فلسطين بهذا الوضع الذى

---

(١) كتاب شاهد على حرب ٦٧ للفريق صلاح الحديدى ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ٠

وافقت عليه وتناولوا هذا أيضا فى مجال الهجوم على مصر فى مؤتمرات القمة العربيـــة ٠

علما بأنه من المعروف لهم تماما أن الاتفاقية الخاصة بقوة الطوارىء الدولية لاتعطى أى دور فى هذا الأمر لهيئة الأمم ولا لمجلس الأمن وأنه فى حالة ما اذا طلبت مصر من السكرتير العام سحب هذه القوات وجب عليه تنفيذ هذا الطلب دون الرجوع الى مجلس الأمن أو الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ٠ والسكرتير العام مطالب فقط بنص الاتفاق بالتنفيذ وأن يخطرهما اذا رأى ذلك وأن سحب هذه القوات هو من حق الجانب المصرى ويمكن طلبه فى أى وقت تراه مصر مناسبا ٠

ولكن المشكلة أمام الجانب المصرى كانت أن مصر اذا ما طلبت من السكرتير العام سحب هذه القوات كان على السكرتير العام أن يسحبها من جميع المواقع وكلها كانت داخل الأراضى المصرية فاذا شـمل ذلك قطاع غزة فسيكون من الناحية العسكرية المصرية هدفا يسهل على اسرائيل التهامه بسرعة وبسهولة لأنه شريط ساحلى بدون عمق ويصعب الدفاع عنه وأن فقدانه بهذه السرعة والسهولة سينال من مكانة مصر عربيا ودوليا وداخليـــا ٠

وفى نفس يوم ١٥ مايو سنة ١٩٦٧

أصدر المشـير عبد الحكيم عامر قرارا بأن يكون (١) الفريق أول عبد المحسن مرتجى قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل ، وأن يتولى الفريق أول محمد صدقى محمود قيادة القوات الجوية ، ويتولى الفريق أول سليمان عزت قيادة القوات البحـــرية ، وكان من الواجب أن تكون قيادة الجبهة قيادة واحدة تشمل كل الأسلحة بأسلوب الحرب الحديثـة وطبقا لما حدث فى الحرب العالمية الثانية وكان ذلك رأى جمال عبد الناصر ولكن كانت حجة المشير عبد الحكيم عامر أن أسلوب القيادة الموحدة قد يتسبب فى كثير من الحساسيات بين هؤلاء القادة وكان هذا خطأ كبيرا على حساب المصلحة العليا ٠ لأن هذا التنظيم خلق ارباكا شديدا فى مقـــر القيادة العليا للقوات المسلحة فكان هناك بالاضافة الى متابعة التحركات سيل من التدابير والأوامر والمتابعـــات أوكلت كلها على عاتق المشـــير عبد الحكيم عامر بحيث أصبح يتدخل فى أبسط الأمور ويحرم القادة الكبار من المبادأة على أساس أنه أوكل له مهمة التنسيق بين القيادات الثـــلاث مما تسبب عنه ارباك عـــام وزحام ومناخ مفعم بالتوتر ومما زاد

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، جزء ٢ ٠

فى حالة الارتباك أن المشير عبد الحكيم عامر بجانب واجبه فى التنسيق بين القوات البرية والجوية والبحرية كان فى نفس الوقت على اتصال مستمر مع رئاسة الجمهورية من ناحية وبمجلس الوزراء من ناحية أخرى بالاضافة الى توليه مسئولية التصرف فى موضوع قوات الطوارىء الدولية ، كل ذلك كان من مقدمات لتوقع أسوأ النتائج ٠

فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٧

أرسل الفريق محمد فوزى خطابا الى الجنرال ج ٠ أ ٠ ريكى قائد قوة الطوارىء بمصر ومركزه غزة طلب فيه منه أن يصدر أوامره بسحب قوات الطوارىء المتمركزة فى نقط المراقبة على حدود مصر مع اسرائيل فورا لأن قواتنا المصرية تجمعت فى سيناء على حدودها الشرقية وذلك لأمن القوات الدولية وجاء فى النص الانجليزى لفظ (all these troops) أى (كل قوات الطوارىء) وذلك بعكس النص العربى (قوات الطوارىء المتمركزة ٠٠ الخ) وكان المعنى من الجملة الانجليزية يمكن اساءة تفسيرها بأن طلب مصر هو انسحاب جميع قوات الطوارىء من جميع مراكزها فى سيناء فى حين أن مصر كانت تخشى الانسحاب من غزة وتركها معرضة للالتهام الاسرائيلى ولما أرادت مصر تصحيح هذا الخطأ كانت الرسالة قد وصلت فعلا الى السكرتارية العامة للأمم المتحدة ولم يمكن تدارك الموقف مع جنرال ريكى فى غزة ـ وتعامل مع هذا الطلب المتسرع من مصر « رالف بانش » مساعد السكرتير العام وهو زنجى أمريكى متعاون لأقصى الحدود مع الادارة والحكومة الخفية الأمريكية ٠ وطلب دكتور رالف بانش من مصر عن طريق مندوبها الدائم فى الأمم المتحدة أن تحدد مصر طلبها صراحة ٠ « فاما سحب القوات وبالكامل واما أن تقبل مصر بقاءها بالكامل » ٠

وتصاعد الموقف فجأة وطلبت مصر السحب بالكامل ووافق السكرتير العام أوثانت رغم أن بعض الدول الكبرى حاولت عرض هذا الموضوع على مجلس الأمن قبل البت فيه وكان ذلك بايعاز من دكتور رالف بانش والذى (١) كان يريد ويتوقع التدهور الكامل للموقف فى حالة تحرك القوات الاسرائيلية اذا ما وصلت قوات الجمهورية العربية المتحدة الى شرم الشيخ بعد انسحاب قوات الطوارىء منها ويكون هذا بمثابة مبرر لاسرائيل لبدء العدوان ٠

---

(١) برقية السفير عوض القونى ١١٢/٢٩٢٦ يوم ١٧ مايو سنة ١٩٦٧ ـ أهرام ١٩٩٠/٥/٢٨ ، ص ٨ ٠

فى يوم ١٧ مايو سنة ١٩٦٧

أرسل عضوا مجلس الثورة السابقان وهما من أكفأ الطيارين العسكريين أثناء الخدمة والمستقيلان من الخدمة العامة منذ ثلاثة سنوات من هذا التاريخ أرسلا خطابا موقعا منهما لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر زميل كفاحهما فيه تأييد منهما لخطواته فى مواجهة هذا الموقف السياسى الصعب بعد تحليلهما لأبعاد الموقف وكان من أبرز ما جاء بهذا الخطاب الفقرة التالية (١) :

« وكل ما نأمله فى المرحلة الأولى من الاشتباك ان وقع بين سوريا واسرائيل أن نكتفى نحن من جانبنا باستخدام قواتنا الجوية دون استخدام باقى وحداتنا المسلحة الا اذا تطلب الأمر وحتمت الضرورة استخدام قواتنا المسلحة بكل ثقلها .. » .

ـ فى نفس يوم ١٧ مايو سنة ١٩٦٧

أذيع نبأ تحرك الجيش المصرى الرسمى على العالم .

وفى الحال دعا ليفى اشكول مجلس وزراء اسرائيل للاجتماع . وانعقد مساء هذا اليوم وأعلنت تعبئة جزئية والحقيقة أنها كانت تعبئة شاملة وعامة ولبى النداء على الفور مالا يقل عن مائة ألف من مزارعهم ومصانعهم وفى هذا المجال كان يعنى هذا للقيادة المصرية أن اسرائيل تستعد لاشتباك قريب لأن انتاجها اليومى لايتحمل غياب هذا العدد الكبير لمدة طويلة .

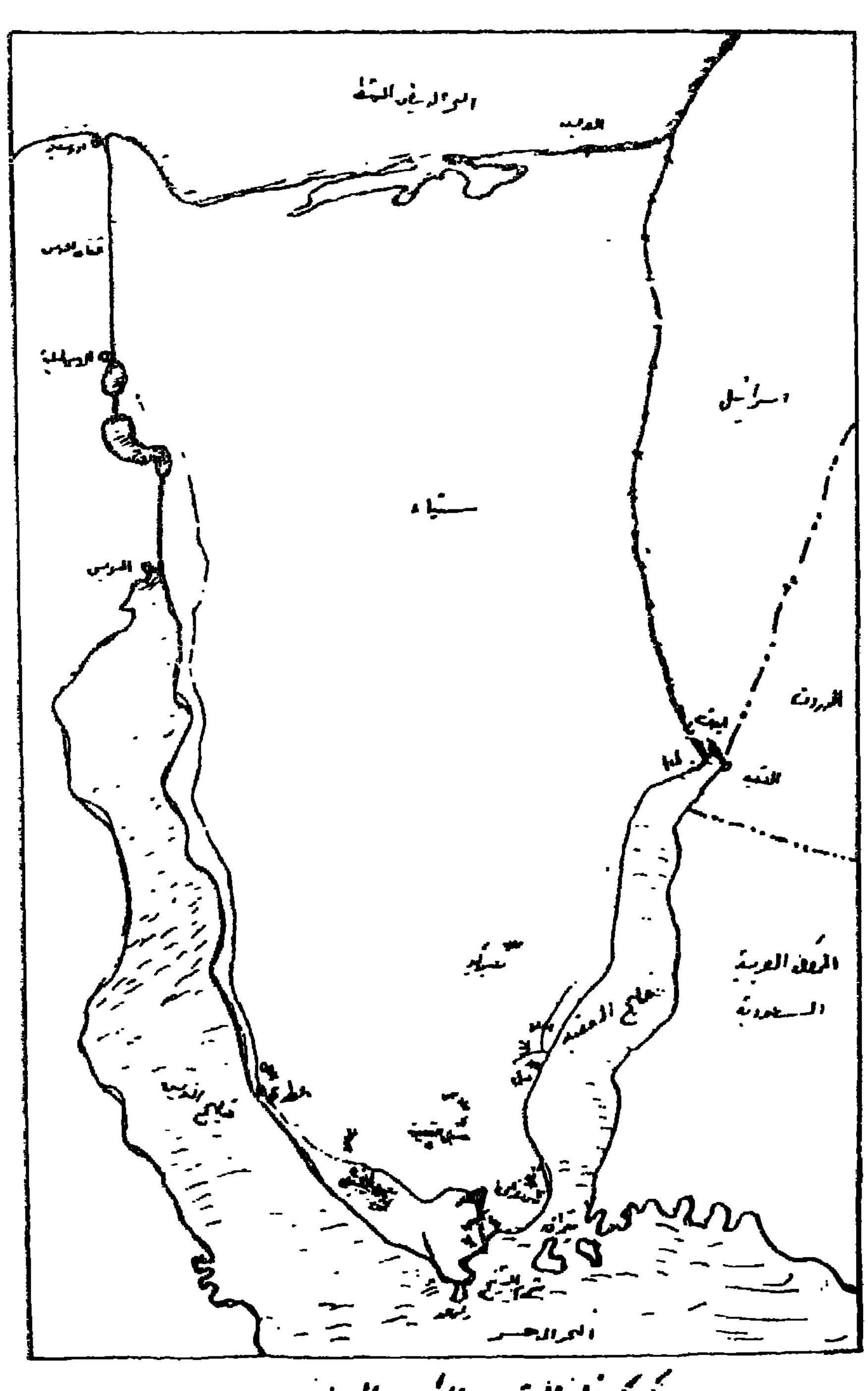
فى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٦٧

أعلنت الصحف المصرية أن مصر (٢) طلبت من أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية الموجودة داخل الأراضى المصرية على الحدود بين مصر واسرائيل .

وحتى مساء هذا اليوم ١٨ مايو سنة ١٩٦٧ لم يعلن الاتحاد السوفيتى عن موقفه بالنسبة للأزمة رغم أنه هو الذى أكد لمصر عن الحشود الاسرائيلية وخطورتها على السلام فى سوريا . وكلف الرئيس عبد الناصر السفير فى موسكو بالاتصال بالقيادة لاستطلاع موقفهم الذى تأخر اعلانه

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادء ، جزء ثان ، ص ٢٦١ ، ٢٦٣ .
(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، جزء ثان ص ٢٦٣ .



كروكي خليج العقبة ـ الطور ـ السويس

عن المألوف وفي مقابلة بين السفير (١) المصرى مع وكيل وزارة الخارجية السوفيتية (سيمونوف) أفاده سيمونوف أنه عند حضوره احتفالات عيد اسرائيل القومى فى السفارة الاسرائيلية فى موسكو تقابل مع السفير الاسرائيلي ووزير العمل الاسرائيلي ايجال آلون الذى كان يزور الولايات المتحدة وحذرهما سيمونوف من أى عدوان توجهه اسرائيل الى سوريا وأكد له وزير العمل الاسرائيلي أن اسرائيل لاتجهز لأى عدوان على سوريا لأنها ليست لعبة فى يد الآخرين ٠

تحرك قوات المظلات المصرية الى شرم الشيخ

فى مساء يوم ١٩ مايو سنة ١٩٦٧

وبعد أن أعلنت الصحف أن مصر طلبت من أوثانت سكرتير الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء من الأراضى المصرية على حدود اسرائيل صدرت الأوامر مساء يوم ١٩ مايو سنة ١٩٦٧ الى قائد (٢) قوات المظلات المصرية بالتحرك بقواته جوا الى منطقة شرم الشيخ بغرض حرمان العدو الاسرائيلى من الاستيلاء عليها بعد انسحاب قوات الطوارىء الدولية منها ، وألا يكون مسئولا عن الملاحة فى المضايق وعلى أن تكون قواته فى مواقعها قبل أول ضوء يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٦٧ وكانت المهمة فى عمومها مخالفة لاطار الخطة الدفاعية للدفاع عن سيناء والحدود الشرقية المصرية منذ عدوان سنة ١٩٥٦ والتى كانت يطلق عليها (الخطة الدفاعية قاهر) والتى كانت تنص على قيام لواء مشاة مدعم بالأسلحة المعاونة بتأمين منطقة شرم الشيخ وتكون تحت سيطرة القيادة العليا فى القاهرة مباشرة ولكن هذه المهمة السريعة الموكلة بأكملها وبهذه الصورة كانت الأمور تدل على أن هناك خطة جديدة ٠ وتدل على أن هناك اعدادا للقوات المسلحة لشىء ما حيث استبدلت فجأة قوات لواء مشاة بقوات المظلات بخلاف الخطة (قاهر) ٠ وكانت عملية ايواء قوات بحجم كل قوات المظلات المصرية مع ما يعاونها من قوات أخرى بحرية وجوية وحرس حدود وبخاصة فى منطقة فى حاجة شديدة للامداد بالمياه العذبة بحرا أو عن طريق المرشحات التى كانت تستخدمها قوات الطوارىء الدولية بالاضافة الى صعوبة الامداد الحيوى بالجو ٠

---

(١) عدد الاهرام ١٩٩٠/٦/٢ وثيقة برقية من سفير مصر فى موسكو مراد غالب الى وزارة الخارجية المصرية ٠

(٢) حروب مصر المعاصرة فى أوراق قائد ميدان لواء (أ ح) عبد المنعم خليل ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ٠

فى يوم ١٩ مايو سنة ١٩٦٧ :

أعلن يوثانت موافقته على (١) سحب قوات الطوارىء الدولية من الحدود المصرية الاسرائيلية ، وأعلنت اسرائيل أن هذا الانسحاب سيجعل قوات مصر فى مركز يمكنها من تهديد الملاحة الاسرائيلية عبر مضايق تيران ، وأخذت الأنباء تشير الى تدهور الموقف ، أما الولايات المتحدة فقد بدأت اتصالاتها الخفية (٢) باسرائيل وتشجعها وتحرضها على البدء فى تنفيذ مخططها العدوانى المتفق عليه على أساس أنها سبق وأعلنت للجانب العربى وللعالم تعهداتها لاسرائيل لأجل رد أى عدوان أو تهديد به فى الشرق الأوسط وعلمت مصر من مصادرها الأكيدة أن اسرائيل اتخذت اجراءات التعبئة شبه الكلية عن طريق تحليل الرسائل الاسرائيلية .

وفى نفس اليوم وصلت ميناء السـويس قوات مصرية من اليمن وصدرت لها الأوامر بالتوجه رأسا الى سيناء لتفويت الفرصة على اسرائيل للاعتداء على قوات مصر فى سيناء وجزء هام من قواتها بعيد فى اليمن .

فى يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٧ :

أعلنت اسرائيل التعبئة العامة وأعلنت مصر أيضا تعبئة الاحتياطى كله وفى نفس اليوم كانت طلائع قوات مصر قد وصلت بالفعل الى شرم الشـيخ .

فى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٦٧ :

أبلغ يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة سفير الاتحاد السوفيتى أنه فى سبيل السفر الى القاهرة وأنه بلغه من السفير الاسرائيلى أن بلده سوف تحارب فى حالة تعرض مصر لحرية الملاحة فى العقبة . وأبلغ سفير فرنسا فى الولايات المتحدة سفير مصر هناك أن حرية الملاحة هى مصدر كل الخطر وأن شرم الشيخ هو موضوع دقيق يحسن الصبر عليه وأنه هو الهدف الأساسى لرحلة أوثانت الى القاهرة .

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، جزء ٢ ص ٢٦٥ ..

(٢) من رسالة جونسون الى ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل من وثائق كتاب الانفجار للأستاذ هيكل حصل عليها من الادارة الأمريكية عبد الأهرام ١٩٩٠/٦/٢ حلقة ١٥ .

فى يوم ٢١ مايو سنة ١٩٦٧ :

اجتمع الرئيس عبد الناصر مع اللجنة التنفيذية العليا لعرض الموضوع برمته ولاتخاذ قرار بشأن غلق خليج العقبة وبعد مناقشات اتخذ قرارا بغلق الخليج وكان رأى رئيس الوزراء المصرى صدقى سليمان فيه معنى أن هذا القرار معناه اعلان واشتعال الحرب اذ قال : « ان الحرب فى حد ذاتها غير مضمونة العواقب تحمل الهزيمة كما تحمل احتمال النصر » ، وترك للرئيس عبد الناصر أسلوب اعلان هذا القرار ٠

تأمين جزيرة ثيران (فى مدخل خليج العقبة) :

فى يوم ١٩٦٧/٦/٢١ صدرت أوامر المشير (١) عامر الى قائد قوات شرم الشيخ باستطلاع جزيرة ثيران ووضع داورية بها للانذار والمراقبة وتم ذلك بتعيين داورية ثابتة وتم نقل هذه الداورية بطائرة هيلكوبتر واحتلت مواقعها ومعها تكدسات ادارية كافية لتعذر استمرار امدادها جوا لأن الطائرة لم تكن تحت الطلب حيث كانت تحضر الى شرم الشيخ من الغردقة ولا يمكن الاعتماد عليها وكذلك فان الامداد البحرى كان صعبا لشدة الأمواج والتيارات وكثرة الصخور حول الجزيرة ٠

تعليمات قفل مدخل خليج العقبة (٢٢ مايو سنة ١٩٦٧) :

وعصر يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٦٧ فى وسط حشد من الطيارين المصريين (أكثر من مائتى طيار) وفى قاعدة أبو صوير الجوية بالقرب من الاسماعيلية أعلن الرئيس عبد الناصر قرار وتعليمات قفل مدخل خليج العقبة وفى نفس اليوم ٢٢ مايو سنة ١٩٧٦ وصلت هذه التعليمات (٢) مع مندوب من القيادة العامة مدير مكتب المشير عامر للشئون البحرية الى قائد قوات شرم الشيخ ، تعليمات قفل مدخل شرم الشيخ وكانت صادرة من القيادة العليا للقوات المسلحة بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٢ وموقعة من المشير محمد عبد الحكيم عامر ونصها :

١ — « يقفل مدخل خليج العقبة اعتبارا من باكر ٢٣ الجارى أمام السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى وكذلك ناقلات البترول على اختلاف جنسياتها والمتجهة الى ايلات » ٠

---

(١) حروب مصر المعاصرة لواء / عبد المنعم خليل ٠ ص ٨١ ٠

(٢) حروب مصر المعاصرة لواء / عبد المنعم خليل ص ٨٣ وثيقة رقم ١٢٠ ، ص ٩٥ من نفس المصدر ٠

٢ ــ يسمح للسفن الخارجة من الخليج على اختلاف جنسيـــاتها بالخروج ٠

٣ ــ يقوم لنش طوربيد نهارا والســـفينة رشيد ليلا بمعارضة السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى وكذلك ناقلات البترول من الجنسيات المختلفة المتجهة الى ايلات فى المنطقة جنوب خليج العقبة لتحذيرها من دخول الخليج ٠

٤ ــ اذا لم تستجب احدى السفن المذكورة الى تحذير لنش الطوربيد نهارا أو السفينة رشيد ليلا يقوم لنش الطوربيد أو السفينة رشيد بابلاغ قائد منطقة شرم الشيخ باسم السفينة وموعد وصولها الى مضيق ثيران ٠

٥ ــ عند وصول احدى هذه السفن الى مضيق ثيران تقوم المدفعية بضرب طلقة انذار أمام السفينة مع تحذيرها بواسطة محطة الاشـــارة البحرية ٠ ويعتبر تكرار الضرب للتحذير أمام السفينة مرة أخرى اذا لم تستجب للطلقة الأولى ٠

٦ ــ اذا لم تستجب السفينة الى طلقتى الانذار يصير ضرب السفينة بغرض تعطيلها أولا ثم اغراقها اذا لم تمتثل ٠

٧ ــ يصرح للمرور بالسفن التى تحرسها سفن حربية ولا يتم الاعتراض أو الاشتباك مع السفينة أو السفن الحربية » ٠

ــ وقبل أن يعلن الرئيس عبد الناصر فى هذا (١) الاجتماع تعليمات قفل خليج العقبة افصح : « أن اسرائيل لن تحارب لأنها سبق وقالت اننا اذا صعدنا أعمال الفدائيين ستقوم بحرب وقائية ٠ وقد صعدنا أعمال الفدائيين ولم تفعل اسرائيل شيئا ٠ ثم قالت اسرائيل انـنـا لو حشدنا فى سيناء سنحارب وحشدنا فى سيناء ولم تحارب » ٠ ثم قال « واننى الآن سأغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية وأيضا اسرائيل سوف لا تحارب » ٠

وبعد تعليمات غلق الخليج دارت مناقشة وأسئلة واستفسارات وكان من أهم الأسئلة أن أحد الضباط الطيارين قال للرئيس عبد الناصر « ان اغلاق خليج العقبة معناه حرب واحنا الآن جاهزين وما عليك الا أن تصـــدر أوامرك حتى يمكننا عمل أى حاجة » وعلق على ذلك الرئيس عبد الناصر بقوله « مافيش حرب والموضوع سياسى وحيتحل سياسيا » ٠

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو أمام لجنة تسجيل التاريخ للأستاذ سليمان مظهر من أقوال الفريق صدقى محمود ، ص ١٣١ ٠

وفي يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧ :

عاد مندوب المشير ومدير مكتبه للشئون البحرية ومعه نسخة من التعليمات وسلمها الى قائد قوات شرم الشيخ ولكن بها تعديلا فى البند السابع باضافة بخط اليد « حتى لو كانت السفن المحروسة ترفع العلم الاسرائيلى » فأصبح البند السابع كالآتى :

٧ — « يصرح بالمرور للسفن التى تحرسها سفن حربية ولا يتم الاعتراض أو الاشتباك مع السفينة أو السفن الحربية حتى ولو كانت السفن المحروسة ترفع العلم الاسرائيلى » كما جاء بذلك صورة التعليمات التى سلمت يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧ اضافة (١) بخط اليد أيضا مؤرخة ١٩٦٧/٥/٢٣ ·

« اشارة رقم ٤٢٤ من السيد المشير « بمعاملة السفن المحروسة بسفن حربية اسرائيلية معاملة السفن العادية ويصير الاشتباك مع السفينة » · ويقول قائد قوات شرم الشيخ فى تعليقه بعد وصول تعليمات يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ وبها التعديلات « تضاربت التعليمات الخاصة بقفل خليج العقبة ضد الملاحة الاسرائيلية الأمر الذى أدى الى تعديلات كثيرة فى الخطة واعادة تمركز القوات عدة مرات دون استقرار الأوضاع » ·

وبفرض أن السفن الحربية الاسرائيلية لن تحرس أو تمر من المضايق فان هذه التعليمات كانت تحمل قدرا من المرونة فقد كان التعرض للملاحة فى البحر المفتوح لمجرد التحذير وان التعرض المسلح قد كان مقصورا على منطقة المضايق داخل المياه الاقليمية المصرية كما أن أى اشتباك مع السفن الحربية كان محظورا على الاطلاق فيما عدا السفن الحربية الاسرائيلية لو حاولت المرور فى المياه الاقليمية المصرية فى المضايق ·

ورغم هذه المرونة فان اسرائيل (٢) سوف تندفع الى الحرب لأن غلق الخليج أمام ملاحتها سيحرمها من ربع تجارتها الخارجية مع شرق أفريقيا وآسيا كما سيقضى على ميناء ايلات والتى أقامت بها كثيرا من المنشآت كما سيحرم ذلك اسرائيل من البترول الذى يرد اليها عن طريق خليج العقبة من ايران ويضخ فى أنابيب الى حيفا لتكريره — كما أنه اذا نجح عبد الناصر فى غلق الخليج فسيشجع ذلك العرب بما فيه تهديد مصالح الغرب مما جعل العالم الغربى يؤيد اسرائيل فى أى تصرف عدوانى ·

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ ·

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى جزء ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٤ ·

بعثة أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الى أمريكا :

- في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٦٧ وعقب اعلان مصر غلق خليج العقبة انعقد في اسرائيل اجتماع سياسي شامل للوزارة والمعارضة وجميع جنرالات الجيش في مكتب ليفي اشكول رئيس الوزراء وكان العسكريون يطالبون بوزارة وحدة وطنية تكون قادرة على مجابهة مصر التى أعلنت الحرب على اسرائيل بغلقها خليج العقبة وكان أهم المواضيع هو ضرورة التأكد من موقف أمريكا الايجابى فى مساندة اسرائيل اذا ما قامت بمهاجمة مصر طبقا للاتفاق بين جونسون وليفي أشكول وظهر اقتراح بضرورة سفر وزير الخارجية (أبا ايبان) الى أمريكا لمقابلة الرئيس جونسون وكبار مساعديه على أن يمر فى طريقه على باريس ولندن لمعرفة موقفهما بالتحديد خاصة وأن اسرائيل تعتمد الى حد كبير على فرنسا فى مجال سلاحها الجوى والذى يعتبر نصف قوته طائرات فرنسية وعلم الوزير الاسرائيلى من ديجول أن فرنسا سوف تساعد اسرائيل على البقاء كما ساعدتها فى الماضى ولكنها ليست مستعدة لأن تعطيها الوسائل التى تمكنها من غزو أراضى الآخرين وضمها اليها - أما فى لندن فقد حذر رئيس الوزراء البريطانى (هيرالد ويلسون) اسرائيل من الوقوع فى فخ الاعتماد على الأمم المتحدة وأن عبد الناصر لابد أن يواجه بالقوة وأن مجلس الوزراء البريطانى أجمع على عدم السماح لناصر بأن يخرج منتصرا من هذه الأزمة وأن بريطانيا على الاستعداد للمشاركة بوحدات بحرية مع الولايات المتحدة ومع آخرين فى عملية منسقة لفتح الخليج بالقوة المسلحة ٠

اسرائيل تحصل على معلومات عن نية مصر القيام بالضربة الأولى :

- فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٦٧ فى مقابلة عاجلة أبلغ أبا ايبان (١) الاسرائيلى وزير الخارجية الأمريكية بوصول برقية له من اسرائيل معناها بأن هجوما مصريا **مفاجئا** أصبح وشيكا بين ساعة وأخرى ٠ وقامت الولايات المتحدة فى الحال وعن طريق الخط الساخن بالاتصال بين جونسون وكوسيجين رئيس وزراء روسيا (٢) وارتفعت حرارة المساعدة الأمريكية لاسرائيل وكانت هناك اتصالات أخرى عن طريق سفير مصر فى واشنطون وسفير امريكا لدى اسرائيل والسفير السوفيتى فى القاهرة لأجل

---

(١) برقية برقم ٢٩٦٠ من سفير مصر فى واشنطون رقم ١٧٤/٢٩٦٠ من محفوظات وزارة خارجية مصر ومن وثائق كتاب الانفجار سنة ١٩٦٧ للأستاذ هيكل أهرام ١٩٩٠/٦/٩ ٠

(٢) دراسة دونالد نيف عن معركة سنة ١٩٦٧ ص ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ودونالد نيف هو محرر بمجلة تايم الامريكية ودراسته عن أزمة سنة ١٩٦٧ (Warriors for Vevisolem) أهرام ١٩٩٠/٦/١١ ، ص ٨ ٠

الوقوف من الرئيس عبد النـــاصر شخصيا على حقيقة الأمر وفى **نفس الوقت لانذاره اذا ما كانت مصر فعلا تدبر لضرب اسرائيل ضربة أولى وجاء فى النهاية رد عبد الناصر (١) بعد أن أجرى اتصالا تليفونيا مع المشير عامر ألغى فيه عملية ضرب ايلات الميناء الاسرائيلى على خليج العقبة ٠**
وكان رد عبد الناصر الى السفير السوفيتى « أن مصر لا تريد الحرب ولا تسعى لها ولكنها ستدافع عن نفسها اذا ما هوجمت » وكان هـذا الرد له أهمية قصوى لدى الجانب الأمريكى المساند لاسرائيل ٠ **وبمثابة القضاء على أى خطة لمصر تفكر بها القيام بالضربة الأولى ضد اسرائيل مما يساعد أى تحرك عسكرى مفاجىء لاسرائيل ضد مصر ٠**

ثم تحدد لوزير خارجية اسرائيل ميعـاد لمقابلة الرئيس جونسون ولكن بتعمد التأجيل وبذلك أتاحت له الادارة الأمريكية الفرصة الفريدة لزيارة غرفة العمليات للشرق الأوسط (٢) فى مبنى البنتاجون وهى زيارة ليست لها سابقة وليست لها لاحقة فيما هو مسجل من وثائق التاريخ الأمريكى واجتمع هناك مع وزير الدفاع الأمريكى (روبرت ماكنمارا) ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة الأمريكية المشتركة (جنرال ايرل هويلر) وكان معه السفير الاسرائيلى (هارمان) وتأكد لأبا ايبان من هذه الزيارة أن التفوق الاسرائيلى مكفول بطريقة مؤكدة وليس فى وسع الطرف المصرى أن يغير الموازين فى المستقبل القريب وأن جميع خطط وخطوط واستعدادات المصريين مسجلة ومؤكدة ومكشوفة فى غرفة العمليات الأمريكية وأكد الجانب الأمريكى لوزير خارجية اسرائيل ومن معه من الاسرائيليين ألا يجب على اسرائيل أن تقلق سواء بدأ الاسرائيليون القتال أو المصريون لأن أمريكا متأكدة من حجم ما هو متاح لدى اسرائيل بفضل المساندة الأمريكية الخفية وغير المحدودة وأن حسابات المعركة كلهـا فى صالح اسرائيل ٠

المقـــابلة :

وأخيرا تم لقاؤه مع الرئيس جونسون الذى كان متفهما لكل شىء عن بعثة أبا ايبان والتى تنقل وجهة النظر الاسرائيلية بدواعى العجلة لبدء الاشتباك مع مصر وانتهى مع أبا ايبان « بأن تعطيه اسرائيل فرصة تقاس

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو أمام لجنة تاريخ الثورة للأستاذ سليمان مظهر ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ٠

(٢) دراسة دونالد نيف عن معركة سنة ١٩٦٧ ، ص ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ أهرام ١٩٩٠/٦/١١ ٠

بالساعات وخاصة بعد أن اطمأن بنفسه من أن كل شيء في اجتماع البنتاجون » وطمأنه بما أصدره من تصريح صباح هذا اليوم « بأن ما أقدمت عليه مصر غير قانونى وتعسفي وأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقبله كأمر واقع » • فان جونسون بالذات سوف يستعمل كل وسائل القوة المتاحة لاسرائيل لدعم موقفها •

وفي نفس يوم ١٩٦٧/٥/٢٢ (رسالة من موسكو) :

تلقى الرئيس عبد الناصر رسالة من حكومة موسكو حملها السفير السوفيتى بالقاهرة تتضمن تأييدا كاملا من حكومة موسكو ومن اللجنة المركزية للدوافع التى جعلت مصر تطلب من السكرتير العام للأمم المتحدة بسحب قوات الطوارىء الدولية من الأراضى المصرية • كانت الرسالة ردا على برقية الرئيس عبد الناصر التى حملها سفير مصر للقيادة السوفيتية طلبا لاعلان موقف موسكو من الأزمة وفى هذا اللقاء أفصح الرئيس عبد الناصر للسفير السوفيتى (ديمترى بوجدابيف) عن أمله فى ان يفاد علما عن تصرفات الكرملين فى الأيام القادمة • وطلب عبد الناصر من السفير السوفيتى تبليغ القيادة السوفيتية انه تأكد لمصر ان جميع الحشود الاسرائيلية التى كانت على حدود سوريا اتجهت أخيرا أمام الجبهة المصرية تهددها وان مصر صعدت الموقف بناء على البلاغات السوفيتية المؤكدة فى أول الأزمة ولكن السفير السوفيتى وحكومته يقفان بحزم بحيث اذا تطورت الأمور الى عدوان فان الاتحاد السوفيتى سيتخذ الخطوات اللازمة ولكن عبد الناصر أبلغه ان الشعب المصرى والعسكريين الشبان قلقون وبخاصة ان أمريكا قد أعلنت أن الأسطول الأمريكى السادس سوف يتدخل فى أى معركة ولصالح اسرائيل • كما أبلغه أيضا أن التهديد لم يعد موجها الى سوريا بل الى مصر وحدها •

وفى نفس الوقت أبلغ السفير الأمريكى بمصر قلق الولايات المتحدة من اعلان مصر غلق خليج العقبة أمام السفن الاسرائيلية •

وفي نفس يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٦٧ (حادث الرمسا بالأردن) :

وعلى اثر حادث انفجار لم يعرف الفاعل فيه فى (الرمسا) بالأردن أعلنت حكومة الأردن فجأة وبدون أى داع قطع العلاقات بين الأردن وسوريا • وهذا الاعلان الأردنى أخذ صورة استفزازية للرأى العام العربى الذى كان قد أخذ يتعاطف مع سوريا •

موقف يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة :

عندما أعلن يوثانت يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ موافقته على طلب مصر بسحب قوات الطوارىء من الحدود المصرية الاسرائيلية كان موقفه محايدا أو مطابقا لتوقعات وزير خارجية مصر (الدكتور محمود فوزى) بعد دراسته لملابسات وجود هذه القوات منذ ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثى وثبت أيضا انه لم يكن لدى أرشيف هيئة الأمم المتحدة أى اتفاقات علنية أو سرية بين الولايات المتحدة واسرائيل تلزم السكرتير العام بعدم الموافقة على طلب مصر وفى نفس الوقت عندما شعر يوثانت بخطورة التهديدات التى اعلنتها اسرائيل وبعض المتحدثين باسم الدول الغربية لمصر نتيجة سحب هذه القوات الدولية من حدود مصر مع اسرائيل بادر بطلب موافقة مصر على زيارته لها حتى يمكن التفاهم مع القيادة السياسية المصرية على تفادى تصاعد الأزمة باتباع سياسة مرنة بما يتمشى مع كافة الظروف الصعبة وبما يحتفظ فيه لمصر بحقها ولكن الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية لم يكن من صالحها انهاء الأزمة وبخاصة الجانب الأمريكى الذى كان قد خطط مسبقا مع اسرائيل لافتعال مبررات لاستدراج مصر من أجل التمهيد لعدوان اسرائيل على مصر · وفيما قبل سفر يوثانت الى مصر حاول مندوب الولايات المتحدة الدائم فى الأمم المتحدة (أرثر جولدبرج) الضغط على يوثانت ليرغمه على تصرفات واعلانات من شأنها تدعيم الاتجاه الأمريكى بحجة أن تنفيذ هذه المطالب هو تكفير عن تسرعه فى اعلان موافقته على طلب مصر بسحب قوات الطوارىء ولكن يوثانت رفض بحسم هذا المطلب الأمريكى وبالعكس عبر عن مخاوفه مما تناولته بعض المصادر من أن هناك ترتيبات سرية معينة بين اسرائيل والولايات المتحدة هدفها الايقاع بمصر فى فخ عسكرى وانكر جولدبرج هذه التقولات وطلب من يوثانت ان يقوم بنفسه باعلان ينفى هذه الادعاءات ورفض يوثانت الطلب بحجة عدم استعداده للتنازل عن خياره حتى لا يدخل فى متاهات سياسية تؤدى للتأثير على مكانة ووضع السكرتير العام للأمم المتحدة الدولى · ولما لم يستجب يوثانت لضغوط المندوب الأمريكى سلمه صورة مذكرة بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٧ تحوى تعهدات أمريكية لاسرائيل فى هذا الوقت تثبت عدم احقية مصر فى فرض ارادتها بسحب قوات الطوارىء

ولكن يوثانت لم يعترف بهذه الوثيقة لانها غير مودعة بهيئة الأمم واحتج بأن مصر قد سبق وفرضت ارادتها فى قطاع غزة لمدة عشر سنوات منذ ١٩٥٧ ولم تثر مثل هذه الوثيقة حتى يوم ١٩٦٧/٥/٢١ ٠

فى يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ :

تأكد قائد القوات الجوية المصرية الفريق صدقى محمود من مدى كفاءة الاستطلاع الالكترونى الاسرائيلى والذى أمدته به الولايات المتحدة ففى هذه الليلة ظهرت معالم غارة جوية فوق القوات المصرية الموجودة فى القناة وصدرت الأوامر بالاشتباك معها بالمدفعية فقط وليس بالصواريخ التى اذا استخدمت يمكن تحديد أماكن الصواريخ اليكترونيا من أجهزة التوليد عند تشغيلها ودخل الهدف المعادى من فوق رشيد ثم نزل الى مدينة زفتى بالدلتا ثم دخل فوق منطقة الفرقة الثامنة وظلت ثلاثة أهداف تظهر فى الرادار تسير على طول القناة من السويس الى بور سعيد وأخيرا اضطرت قوات الدفاع الجوى الى اطلاق خمسة صواريخ وفشلت كلها لأنه فى الحال حدثت تداخلال على رادارات التوجيه المصرية وفشلت أجهزة التوجيه فى اصابة أى هدف . وثبت من ذلك أن لأمريكا دورا رئيسيا فى التسليح الاسرائيلى الحديث (١) ٠

وفى نفس يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ وصل يوثانت الى القاهرة بعد الظهر وتحدد له موعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر مساء ٢٤ مايو ١٩٦٧ وفور وصوله علم يوثانت ان مصر أعلنت قفل خليج العقبة واطلع على بيان مصر فى هذا الشأن ٠

فى يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ :

تلقى يوثانت برقية من مكتبه فى الولايات المتحدة تفيد ان هناك محاولات من الولايات المتحدة ومن مستر رالف بانش مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة تجرى لعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن رغم اتفاقه معه قبل سفره الى القاهرة بتأجيل عقد هذا الاجتماع حين عودته وبعد عرض تقرير اتصالاته بالقاهرة على مجلس الأمن ٠

وفى نفس الوقت أعلن الاتحاد السوفيتى بيانا أصدره رئيس الوزراء اليكس كوسجين أفصح فيه عن دور اسرائيل فى تآمرها لمصلحة احتكارات

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو للأستاذ سليمان مظهر ـ اعترافات الفريق صدقى محمود ، ص ١١٤ و ١١٥ ٠

البترول الاستعمارية . وفى نفس الوقت أصدرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بيانا شرحت فيه « فزعها من الانسحاب العاجل لقوة الطوارىء الدولية من غزة وسيناء وان غلق خليج العقبة اضاف بعدا خطيرا للأزمة لان أمريكا تعتبر هذا الخليج ممرا مائيا دوليا وان فرض حصار مصر على سفن اسرائيل فيه احتمال لكارثة قد تخل بقضية السلام وان حكومة الولايات المتحدة طلبت من السكرتير العام يوثانت ان يبحث هذه النقطة مع القاهرة » .

وفى الثامنة مساء يوم ٢٤ مايو تقابل يوثانت (١) مع الرئيس عبد الناصر وأفصح يوثانت عن تخوفه من قفل خليج العقبة واقترح على الجانب المصرى منعا لتصعيد الموقف أن يتخذ موقفا يتوافر به نوع من الموراتوريوم Moratorium أى باقتناع مصر عن اجراءات تفتيش السفن وايقاف تنفيذ الاجراءات المعلنة فى قرار غلق خليج العقبة لمدة محدودة لأسبوعين أو أكثر قليلا لالتقاط الأنفاس على ان يعلن ذلك فى اجتماعات مجلس الأمن وبعد مناقشات اتفق على عدم قيام اسرائيل بأى استفزازات فى فترة الهدوء المقترحة ووافقت مصر مع بعض التحفظات البسيطة على اقتراح يوثانت وبما يساعد على تهدئة الموقف واقتنع يوثانت بوجهة نظر مصر : أن الممر المائى الوحيد فى خليج العقبة هو مياه اقليمية مصرية لانه يمر فى مسافة ميل واحد بين جزيرتين مصريتين بالخليج كانتا سعوديتين وتنازلت عنها لمصر ولا مجال للادعاء بأنه ممر مائى دولى كما تدعى أمريكا واسرائيل وأخيرا وافق يوثانت على محاولة الحصول على القبول الاسرائيلى على الموراتوريوم . وتعجل يوثانت العودة بعد المقابلة وتأهب للعودة الى مقره فى نيويورك حتى يلحق باجتماعات مجلس الأمن الذى تحايل بانش مساعده ومعه مندوب أمريكا آرثر جولدبرج على انعقاده فى غيبة السكرتير العام يوثانت حتى يحققا مظاهرة دولية تدعو للحصول على رأى عام دولى لادانة مصر والتأكيد على مسئوليتها فى احداث حالة التوتر القصوى بعد اعلان غلق خليج العقبة وفى نفس الوقت احراج السكرتير العام يوثانت لموقفه المحايد والذى بالطبع هو ليس مع الجانب الاسرائيلى ولأجل أن تتوهم مصر ان اسرائيل لن تهاجم وانما سوف (٢) تذهب الى الأمم المتحدة مما يجعل مصر تقامر بهذا الوهم .

---

(١) وثيقة تفريغ شريط تسجيل المحادثات ــ من وثائق كتاب الانفجار سنة ١٩٦٧ . للأستاذ هيكل ــ أهرام ١٩٩٠/٦/٤ .

(٢) وثيقة من نفس المصدر على شكل مذكرة من والت روستو مستشار الأمن القومى الأمريكى بعث بها الى الرئيس الأمريكى ليندون جونسون يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٦٧ .

وفى صباح يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ :

وصلت معلومات للقيادة السياسية المصرية من أجهزة وزارة الداخلية ان عددا كبيرا من الرعايا الأمريكيين المقيمين بمصر وصلتهم تعليمات من القنصليات الأمريكية بمصر تطلب منهم تجهيز أنفسهم لمغادرة مصر فى ظرف اسبوع على الأكثر وبعد مدة وجيزة نشرت الصحف الأمريكية وبالذات فى (النيويورك تايمز) وفى (الواشنطون بوست) أنباء تؤكد هذه المعلومات على شكل نصيحة للرعايا الأمريكيين فى كل من مصر واسرائيل · ولما استفسر سفير مصر فى أمريكا من وزارة الخارجية الأمريكية أبلغوه ان هذا اجراء روتينى واحتياطى يتبع فى حالة الأزمات الدقيقة وكان كل ذلك مؤشرا باحتمال قرب هبوب العاصفة المدبرة رغم محاولات السكرتير العام للأمم المتحدة لتهدئة الجو لالتقاط الأنفاس ·

بعثة شمس بدران وزير الحربية المصرى للاتحاد السوفيتى :

يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ وصل الى موسكو الوفد المصرى برئاسة وزير الحربية شمس بدران وعقد اجتماعا أوليا فى عصر نفس اليوم مع الوفد العسكرى السوفيتى المكون من المارشال جريتشكو وزير الدفاع والمارشال زاخاروف رئيس الأركان وانضم اليهم سيميونوف نائب وزير الخارجية · وفى اللقاء صرح جريتشكو انه بفضل المعونات السوفيتية فقد أصبح الجيش المصرى من القوة بحيث يمكنه آن يواجه استفزازات وتحرشات اسرائيل وأكد ان مصر والشعوب العربية أصبحت قوية ومتحدة بحيث لا يجرؤ الاستعماريون على شن حرب عليهم · وبعد أن اعترف أن بؤرة التوتر أصبحت الآن هى خليج العقبة عاد وناقض نفسه بقوله « بأن الموقف يزداد خطورة فى حالة ما اذا دفعت الدول الغربية وأمريكا اسرائيل لشن الحرب بعد محاولة اثارة المتاعب فى خليج العقبة وبذلك ينشأ موقف فى غاية الخطورة » ولذلك اسرع ونصح الجانب المصرى « بأنه من الأفضل عدم تطوير الموقف الراهن الى اشتباك مسلح وعدم اعطاء المبرر للاعداء للتحرش ثم حذر من سوء التصرف السورى » ·

ومساء نفس اليوم ١٩٦٧/٥/٢٥ اجتمع وزير الخارجية السوفيتى جروميكو مع الوفد فى مقره واستفسر من رئيس الوفد المصرى عن ملابسات زيارة يوثانت للقاهرة ثم أبلغه ان ثمة معلومات وصلته من سفير الاتحاد السوفيتى باسرائيل عن عدم رغبة اسرائيل بالصدام وان لدى الاتحاد السوفيتى قوة بحرية ضخمة فى البحر الأبيض وأنهم يؤيدون مصر وسوريا وان موقف مصر حتى هذه اللحظة أعطاها كسبا سياسيا كبيرا وجاء تعليقه على الموقف السوفيتى مبهما حيث قال فى النهاية « ان تضامننا

معكم معروف للولايات المتحدة وغيرها » وكانت كل هذه الأقوال وعود لا تؤدى الى حل ·

فى صباح ٢٦ مايو ١٩٦٧ :

تقابل الوفد المصرى مع رئيس الوزراء السوفيتى اليكس كوسيجين ومعه وزير الدفاع السوفيتى جريتشكو ووزير الخارجية جروميكو ونائبه سيميونوف وافتتح كوسيجين رئيس الوزراء (١) اللقاء ووجه التحية للوفد المصرى باسم بريجنيف زعيم الحزب وبادجورنى رئيس الدولة وآخرين وكأنه يؤكد للوفد المصرى انه ليس وحده الذى يمثل الاتحاد السوفيتى ومع احتمال لأن ما سيطرحه من آراء ليس بالضرورة أن يكون نهائيا الا بعد تصديق الآخرين · ثم انفرد كوسيجين بتوجيه عديد من الأسئلة للوفد المصرى وكانت عن تفاصيل وأوضاع وتوزيع القوات المصرية على الجبهة وعن معلومات مصر عن قوات الجانب الاسرائيلى وأسطوله وعن الاستحكامات المصرية فى منطقة الخليج وعن مدى جدية مصر فى تنفيذ قرارات غلق الخليج وعن القوات الفلسطينية وقادتها وفى النهاية وبأسلوب مفاجىء أعلن رأيه فى الأزمة بأن قال : «اذن فالموقف رهيب» ثم ذكر أن الاتحاد السوفيتى لم يتأخر عن مد مصر بالمعلومات عندما حشدت اسرائيل قواتها ضد سوريا ولما رد عليه رئيس الوفد المصرى « بأن ما ذكره بخصوص هذه المعلومات كان هو الذى دفع مصر الى تحريك قواتها » ولكن كوسيجين لأجل تبرئة الاتحاد السوفيتى قال « ان هذه المعلومات كانت صريحة وأنتم قمتم بتنفيذ ما يتراءى لكم لأنكم وجدتم ان ذلك يتفق مع مصالحكم » · ثم قام كوسيجين بتبليغ الوفد المصرى آخر ما وصل للاتحاد السوفيتى من معلومات عن النشاط الاسرائيلى العسكرى وكلها تؤكد ان اسرائيل سوف تبدأ عملياتها فى نهاية شهر مايو لانهم يجهزون لتوجيه الضربة لمصر وأنه سيكون من الصعب عندما تبدأ العمليات التأكد عمن بدأها وان اسرائيل متأكدة ان مصر لا تريد بالأزمة ان تؤدى الى عمليات عسكرية وانها تكتفى بالنصر السياسى · وبعد كل هذه المعلومات ذكر وجهة نظره شخصيا بأنه لا يوافق على خطوة مصر فى غلق خليج العقبة على أساس ان العدو الذى أمام مصر ليس اسرائيل وحدها ولكن من ورائها الولايات المتحدة وانجلترا وأساطيل أجنبية أخرى ولأن الاقتراحات التى

---

(١) من وثيقة محادثات السيد شمس بدران فى موسكو من ملفات القيادة العليا للقوات المسلحة تحت رقم قيد ٤٢١/١/٢٠٨ بتاريخ ١ ، ١٩٦٧/٥/٢ ومنها نسخة فى المخابرات العامة ــ حلقة رقم ٢٠ من كتاب الأستاذ هيكل ١٩٩٠/٦/١٣ ·

قدمها يوثانت بتأجيل تنفيذ قرارات غلق الخليج المصرية والتي وافقت مصر على تأجيلها Moratorium لم توافق عليها اسرائيل حتى هذا التاريخ وسوف لا توافق عليها • ثم نقل كوسيجين للجانب المصرى ان ما لدى الاتحاد السوفيتي من معلومات تؤكد ان القيادة السياسية العسكرية الاسرائيلية قررت الحرب الشاملة بصرف النظر عن مباحثات يوثانت وان ديان أصبح في هذا التاريخ على رأس النشاط العسكرى الاسرائيلي وليس رابين ونصح كوسيجين بضرورة التصرف بتعقل (وكان اسلوبه في جملته يميل الى تحميل مصر جميع مسئوليات التطورات المستقبلة كأنه يتخلص من اعطاء أى وعود ايجابية) ولما أشار الوفد المصرى بطلباته من الأسلحة والامدادات (المطلوبة من الاتحاد السوفيتي على وجه السرعة حتى يتساوى بما أمده الجانب الأمريكى أخيرا لاسرائيل) تم احالة ذلك الى وزارة الدفاع وان وزير الدفاع السوفيتي سيبحث هذه الطلبات والذى بدوره سوف يبلغ القيادة السياسية بالنتيجة ودعا لاجتماع فى مكتبه فى صباح يوم ١٩٦٧/٥/٢٧ للمناقشة النهائية وفى نفس اليوم وبعد ان انتهى كوسيجين من لقائه بالوفد المصرى دعا المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى الى اجتماع طارىء وطالت مناقشاته الى وقت متأخر وتأجل الاجتماع مع كوسيجين يوم ١٩٦٧/٥/٢٧ الى الساعة الثانية بعد الظهر بعد ان اتخذ قرارا على أعلى مستوى من الجانب السوفيتي لان قرار طلبات مصر من المعدات والأسلحة السوفيتية تناولت مناقشات طويلة لم تكن فى غالبها مؤيدة لما تطمع فيه مصر حتى يمكنها مواجهة أحدث وأضخم الامدادات الأمريكية لاسرائيل •

وفى الجلسة النهائية عرض كوسيجين على الجانب المصرى أقصى ما أمكنهم ان يمدوا به مصر من أسلحة ومعدات وكانت فى جملتها مخيبة لآمال مصر ومتناقضة مع رأى الجانب السوفيتي فى خطورة الأزمة والتى حددت للعدوان المنتظر على مصر آخر شهر مايو سنة ١٩٦٧ حيث ان القرار السوفيتي بالنسبة لطلبات السلاح المصرية كان يقضى :

أولا : بالنسبة لعقود السلاح القديمة والتى لم تسلم طبقا لمواعيدها فانها سوف تنفذ فورا (وصدر القرار يوم ١٩٦٧/٥/٢٧) •

ثانيا : أما العقود التى كان مفروضا ان تنفذ سنة ١٩٦٨ فسيتم تنفيذها خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٦٧ (أى بعد العدوان الاسرائيلى المنتظر أن يتم فى آخر مايو بحوالى شهرين) •

ثالثا : أما الطلبات الجديدة (والحيوية والعاجلة لمواجهة الأزمة التى أصبحت على الأبواب) فلسيبحثها الجانب السوفيتي ويرد عليها بعد

شهر (أى بعد أن يتم العدوان الاسرائيلى والذى قدر له الجانب السوفيتى طبقا بما لديه من معلومات من اسرائيل ان هذا العدوان سيبدأ فى نهاية شهر مايو ١٩٦٧) ٠

وفى هذه الجلسة نقل رئيس الوزراء السوفيتى للجانب المصرى قرار القيادة السياسية السوفيتية رفضها بمد منظمة التحرير الفلسطينية بأية أسلحة وكان المطلوب لها أسلحة خفيفة وذلك بحجة الحرص على عدم تورطهم فى أى دور مع المنظمة أو جيشها ٠

وفى يوم ١٩٦٧/٥/٢٨ :

قام وزير الدفاع السوفيتى المارشال جريتشكو بتوديع الوزير شمس بدران والوفد المرافق له بالمطار وقبل صعود الوزير شمس بدران الى الطائرة انتحى جريتشكو جانبا بالوزير شمس بدران وقال له « اطمئنوا فسوف نلبى كل طلباتكم وانه اذا دخلت أمريكا الحرب فسوف ندخلها بجانبكم وان الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض قريب من شواطىء مصر وبه مدمرات وغواصات كلها مسلحة بالصواريخ وبأسلحة أخرى رهيبة وانه اذا حدث شيء واحتجتم لنا فبمجرد ارسال اشارة سوف نحضر لكم فورا » (وكان كل هذا الكلام متناقضا مع القرار الرسمى للحكومة السوفيتية على لسان كوسيجين رئيس الوزراء) ولذلك حرص جريتشكو وزير الدفاع السوفيتى فى نهاية وعوده بأن ربطها بشرط تأكد الجانب السوفيتى من اشتراك الولايات المتحدة مع اسرائيل فى هذا العدوان ٠

موقف الاتحاد السوفيتى المبهم :

فى هذا الوقت كانت الادارة السوفيتية على علاقات فاترة مع مصر الى حد ما وعلى علاقات طيبة مع سوريا بحكم مصلحة الاتحاد السوفيتى لان مصر وقتها كانت تعتقل وتضطهد الشيوعيين المصريين وكان الاتحاد السوفيتى حريصا على تقوية علاقته بسوريا باعتبار سوريا قوة معاكسة الى حد ما لمصر فى اندفاعها القومى والذى كثيرا ما كان يتصدى لبعض مواقف التسلط السوفيتى التى بدأت فى الظهور ورغم تبرم السوفيت من اندفاع القادة السوريين ٠ وقام الاتحاد السوفيتى بالاتصال بسفير مصر

فى موسكو وبالسيد أنور السادات باعتباره من كبار المسئولين (١) فى القيادة السياسية المصرية وذلك عند مروره بموسكو أثناء ذهابه وعودته من زيارة كوريا الشمالية. وأكد المسئولون السوفيت للسيد أنور السادات على الأوضاع المتدهورة على الخطوط السورية الاسرائيلية نتيجة وجود حشود اسرائيلية كبيرة تقدر بأحد عشر لواء تهدد بالهجوم على سوريا نتيجة عصبية السوريين . وتكرر نفس التحذير من سفير موسكو فى القاهرة ومن الغرابة ان الاتحاد السوفيتى لم يبلغ الجانب السورى نفسه عن هذه الحشود الاسرائيلية رغم علاقته الطيبة معهم وبلغ لمصر على انها معلومات مؤكدة تستوجب من مصر تقديم المساعدة الواجبة لسوريا وهذا التبليغ السوفيتى ساهم الى حد كبير فى استدراج مصر للتصرف وتصعيد الموقف المصرى .

ومما كان يثير الغرابة ان اسرائيل فى هذا الوقت بالذات كانت تعمل جاهدة وبأسلوب ايجابى فى التقرب الى الادارة السوفيتية حيث كان وزير العمل الاسرائيلى (ايجال آلون) يقوم بزيارة ودية للاتحاد السوفيتى ونقل عنه أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية السوفيتية لسفير مصر فى موسكو حيث نفى وزير العمل الاسرائيلى وجود أى حشود اسرائيلية على حدود سوريا ولكن كانت مصر قد شرعت فى تصعيد الموقف ولكنه فى نفس الوقت قام سليميونوف وكيل وزارة الخارجية السوفيتية بالتشكيك فى كلام وزير العمل الاسرائيلى وبأسلوب ملتو وغير صريح . كما انه تطوع بتبليغ السفير المصرى فى موسكو على شكل نصيحة « بأن على مصر ان تبحث لها عن مصدر آخر للقمح غير الاتحاد السوفيتى هذا العام لان عدم سقوط الأمطار فى شهر مايو ١٩٦٧ أدى الى نقص شديد (٢) فى المحصول وتسبب هذا الموقف المبهم فى احساس الرئيس عبد الناصر بالحاجة الى اجراء مشاورات مباشرة مع الاتحاد السوفيتى وبخاصة بعد أن تصاعد الموقف بسرعة وأصبحت القوات المصرية المسلحة فى حاجة الى امدادات جديدة من السلاح لحفظ التوازن العسكرى مع اسرائيل والتى تدفقت عليها الامدادات العسكرية الأمريكية بأحدث

---

(١) من تقرير للدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو عن لقاء له مع مسيو نوفر وكيل وزارة الخارجية السوفيتية يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٦٧ من وثائق كتاب الانفجار للأستاذ هيكل ـ حلقة ١٣ ـ أهرام ١٩٩٠/٥/٢٦ بالهامش تحت أرقام (٦) و (٧) من وثائق وزارة الخارجية المصرية .

(٢) علما بأن القيادة السوفيتية كانت تعلم تماما أن القمح هو المادة الغذائية الرئيسية والتى كثيرا ما تهدد الولايات المتحدة مصر بالتوقف عن بيعها لها كوسيلة من وسائل ضغطها السياسى على مصر .

الأسلحة والأجهزة العسكرية الفنية ولذلك قامت البعثة المصرية برئاسة وزير الحربية شمس بدران بزيارة موسكو ولكن لقاءات هذه البعثة مع الجانب السوفيتي كشفت عن مزيد من الابهام للموقف السوفيتي برمته .

وفي هذا الوقت كان رأى بعض زملاء (١) عبد الناصر فى ثورة يوليو ١٩٥٢ هو ان روسيا هى التى ستستفيد دعائيا في المنطقة العربية على أساس ان المساندة العسكرية السوفيتية لمصر هى الكفيل باتخاذ مصر مواقفها السياسية المتشددة فاذا قامت الحرب بين مصر واسرائيل وانتصرت مصر فسيدعم ذلك من أهمية وجود روسيا فى المنطقة ، لأنها ستكون وراء هذا النصر واما اذا انتهت الحرب بهزيمة مصر فان روسيا أيضا ستستفيد لان مصر ستصبح فى مزيد من شدة الحاجة للسلاح والمعونات الروسية مما يحقق مزيدا من التدخل والسيطرة .

المساندة الأمريكية لاسرائيل بدون حدود :

فى ٢٥ مايو ١٩٦٧ دعا رئيس الوزراء البريطانى هارولد ويلسن الرئيس الأمريكى جونسون لتكوين قوة بحرية مكونة من أساطيل الدول البحرية وبخاصة الغربية والاتحاد السوفيتى اذا رغبت وذلك لاستخدامها فى حماية حرية الملاحة فى مضيق تيران اذا ما قامت مصر بتقييد الملاحة الاسرائيلية فيه كما ألمحت أمريكا فى عدة مناسبات الى اعلان تعهداتها السرية لاسرائيل ١٩٥٧ بضمان حرية الملاحة لاسرائيل فى مضيق تيران بالاضافة الى مظاهرتها الاعلامية بترحيل الرعايا الأمريكيين من مصر. كما قامت الولايات المتحدة بتلبية كل طلبات اسرائيل من احدث المعدات والأسلحة والطائرات بكل ما لديها من أسرار السلاح بحيث جعلت التفوق الاسرائيلى على قوات مصر مضمونا بعد ان أصبح لدى اسرائيل كل ما هو لازم للتفوق على مصر وزيادة . وكل هذه المساندة الأمريكية لاسرائيل جعلت الحكومة الأمريكية تؤجل تنفيذ عملية اقتحام خليج العقبة بواسطة قوة بحرية دولية ثم صرف النظر عنها بعد ان تأكد للقيادة السياسية والادارية الأمريكية ضمان التفوق الساحق لاسرائيل على قوات مصر وفقط كانت الولايات المتحدة تحاول تأجيل ميعاد البدء فى العدوان الى ان تحصل على رأى عام دولى مع اسرائيل وضد مصر وكسب الشرعية لتدخلها اذا ما دعت الظروف لاستخدامها القوة . وزادت شكوك مصر فى المساندة الأمريكية لاسرائيل بعد ان التقطت الأجهزة الفنية بالمخابرات المصرية

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى جزء ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ .

اشارات متبادلة (١) فى اجواء البحر الأبيض من خارج البحر الأبيض وكذلك وجود تنسيق وتعاون بين الاسطول الأمريكى والاسطول البريطانى ونشاط غير عادى وبالذات فى زيادة أعداد حاملات الطائرات الأمريكية والبريطانية من خارج أساطيل البحر الأبيض واتجاهها الى شرق البحر الأبيض . وكانت فى هذا الوقت تشارك بريطانيا أمريكا حماسها لضرب مصر لتحاملها على الوجود المصرى فى اليمن والذى يهدد قواعدها فى عدن . وكان الرئيس الأمريكى جونسون تحت ظروف هبوط شعبيته بسبب تزايد القتلى والجرحى الأمريكيين فى حرب فيتنام ومع استمراره فى تصعيد هذه الحرب مما دعاه الى اطلاق يد اسرائيل فى تحقيق أهدافها ضد ما تخيله عدو أمريكا فى الشرق الأوسط وهو عبد الناصر ومصر بخاصـــة انه كان وقتها على علاقات وثيقة جـــدا مع اسرائيل حكومة ومجتمعـــا .

وفى صباح يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٦٧ :

وقبل اجتماع جونسون مع وزير خارجية اسرائيل (أبا ايبان) أصدر الرئيس الأمريكى تصريحا أعلن فيه « ان ما اقدمت عليه مصر غير قانونى وتعسفى وان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقبله كأمر واقع » (مشيرا الى اعلان مصر غلق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية) . وفى مقابلة جونسون مع أبا ايبان أكد له أن يحمل الى مجلس الوزراء الاسرائيلى « ان اسرائيل لن تكون وحدها وان الولايات المتحدة سوف تستعمل كل وسائل القوة المتاحة لدعم موقف اسرائيل » وان السبب الرئيسى فى مناشدته القيادة الاسرائيلية فى التمهل هو الحصول على رأى عام عالمى والذى به يمكن عزل هذا الرأى العالمى عن الاتحاد السوفيتى واعتماده فى ذلك على ما سوف تعكسه مناقشات مجلس الأمن لتقرير يوثانت الذى أوشك على الصدور .

فى يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ فى مصر :

عقد المشير عبد الحكيم عامر اجتماعا مع القادة العسكريين وكان مفروضا ان يحضره الرئيس عبد الناصر وكان الاجتماع حول مائدة ليس عليها تليفون وتحدث المشير أثناء الاجتماع بطريقة صريحة عن الضربة

---

(١) مذكرات أبا ايبان ودراسة « دونالد نيف » عن معركة ١٩٦٧ ومحفوظة فى مكتبة لندون جونسون ووثائق حرب فيتنام تقرير جنرال وستمورلاند فى ٢ مايو ١٩٦٧ ودراسة للدكتور مايكل جراتشر محفوظات قصر عابدين ـ أهرام ١٩٩٠/٦/١١ ، ص ٨

الأولى ومن يوجهها ومن يتلقاها واستقر(١) الرأى وقتها على امكان تنفيذ خطة الضربة الأولى .والتى اتفق عليها المشير عامر مع الفريق أول صدقى محمود فى وقت سابق وكان المفروض ان توجه الى ميناء ايلات الاسرائيلى بهدف قطعه عما ورائه وفجأة دق جرس التليفون على مكتب المشير فترك مائدة الاجتماع ورد على التليفون ثم أشار الى الفريق صدقى فذهب اليه وقال له « تقدر تنفذ خطة ايلات هذه الليلة » قال له صدقى محمود « ممكن وبالكثير فى خلال ساعة نكون جاهزين » وطلب صدقى محمود الفريق جمال عفيفى ونبه عليه بتجهيز الوحدات المخصصة لخطة ايلات فى خلال ساعة · ورد عليه الفريق جمال عفيفى :«ان الساعة كتير»، وبالفعل صدرت الأوامر لطيارى القاذفات بربط أنفسهم فى طائراتهم ولم تمض أربعون دقيقة حتى دق جرس التليفون وقام المشير ورد عليه وشاور الى صدقى محمود ولما اقترب منه قال له « الغى خطة ايلات » وكان وقتها قد علمت اسرائيل بأسلوب سرى اما بالتصنت على الاتصالات بين المشير والرئيس عبد الناصر واما بتسرب معلومات هذه الخطة وتم توصيل هذه المعلومات فى الخطة الى الجانب الأمريكى بواسطة ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل والذى كان موجودا وقتها فى أمريكا (٢) لمقابلة الرئيس جونسون وصار الاتصال بين الرئيس جونسون ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتى كوسيجين والذى بدوره كلف سفير الاتحاد السوفيتى فى مصر بتبليغ الرئيس عبد الناصر · ولما تأكد عبد الناصر ان الخبر قد تسرب ألغى العملية كليا ·

فى يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ فى مصر :

اجتمع المشير عامر مع الرئيس عبد الناصر وابدى عبد الناصر على اجتماع اليوم السابق بين عامر والقادة بعض الملاحظات واتضح فى هذا الاجتماع انزعاجه من تسرب أخبار خطة ضرب ايلات الى اسرائيل فاما تسرب عن طريق مصدر داخل القيادة أو عن طريق التقاط برقيات مصر الشفرية وحلها وأشار عبد الناصر بعدم مناقشة موضوع الضربة الأولى(٣) ومن يقوم بها ومن يتلقاها حتى لا تخلق بلبلة لدى القيادات وصرف النظر مؤقتا عن تنفيذ عملية ضرب ايلات فى هذا الوقت وان مصر بعد اعلان غلق خليج العقبة سوف لا تقوم بخطوة أخرى حتى لا تخسر الرأى العام

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو ١٩٦٧ أمام لجنة تسجيل التاريخ _ سليمان مظهر ص ١٤٢ ·

(٢) زيارة أبا ايبان لواشنطن ومقابلة جونسون ·

(٣) عدد أهرام ١٩٩٠/٦/٦ ، ص ٩ ·

العالمي ولعدم اثارة الولايات المتحدة أو استفزازها حتى لا يكون لديها المبرر لمزيد من تصعيد الأزمة. بسلام وبدون حرب الا اذا فرض علينا القتال فرضـــا .

وقد كان للتدخل الروسي دور كبير في ايقاف تنفيذ هذه الضربة المصرية المبكرة خصوصا وان السفير السوفيتي في القاهرة أبلغ الرئيس عبد الناصر ان الاتحاد السوفيتي قام بدوره بتحذير اسرائيل من القيام بالضربة الأولى .

في يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ :

بدأ النشاط الاسرائيلي الأمريكي في خطواته الأولى للتمهيد لبدء العدوان وبدأت اسرائيل بالتمهيد تذلك منذ وصول أبا ايبان الى الولايات المتحدة. وتبليغه جونسون ان لدى حكومة اسرائيل معلومات مؤكدة ان مصر تعد هجوما عسكريا مفاجئا على اسرائيل قد يبدأ في اليوم التالي مما جعل الدبلوماسية الأمريكية تنشط مع حكومتي مصر والاتحاد السوفيتي لتحذير مصر من هذا الهجوم وذلك بهدف تجميد دور مصر ليكون دفاعيا فقط وكانت الحجة ان الولايات المتحدة ضامنة لعدم قيام اسرائيل بأي عدوان ولكن في لقاء دبلوماسي بين سفير الاتحاد السوفيتي في اسرائيل ورئيس الوزراء ليفي أشكول حيث طلب تعهدا من ليفي أشكول بألا تقوم اسرائيل باطلاق الطلقة الأولى كالتعهد الذي تعهدت به مصر للاتحاد السوفيتي فرد اشكول على السفير السوفيتي : « بأن الطلقة الأولى جرى اطلاقها بحصار مصر لخليج العقبة » .

وفي مساء يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ :

عرض ليفي أشكول في اجتماع طارىء لمجلس الوزراء الاسرائيلي اقتراح يوثانت بتجميد الأحوال في الخليج لمدة أسبوعين (الموراتوريوم Moratorium) وقال « انه لم يرد على السكرتير العام ولن يرد عليه قبل أن يتأكد من موقف الولايات المتحدة في تحقيق ساعة البدء » . وكان جنرالات اسرائيل يستعجلونه في بدء الحرب .

في يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ :

وفور صدور تقرير يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة الذي كان سيعرضه على اجتماع مجلس الأمن علمت مصر بتفاصيل هذا التقرير والذي كان ملخصه « ان السكرتير العام يوثانت دافع فيه عن قرار سحب قوات

الطوارىء الدولية دفاعا قويا وابرز دور مصر بعدم القيام مبادرة بأى عمل هجومى ضد اسرائيل • وأشار انه أفصح للقيادة السياسية المصرية عن احتمال العواقب الخطيرة التى قد تنجم عن تقييد حرية الملاحة فى مضيق تيران اذ أن مصر تتمسك بفكرة تقييد الملاحة بينما تعتبر اسرائيل ذلك سببا كافيا للحرب • وجاء فى التقرير (١) اقتراحات السكرتير العام وكانت كالآتى :

(أ) الدعوة لكسب الوقت لتهدئة الموقف •

(ب) ضرورة تقوية أجهزة الهدنة لتخفيف حدة التوتر فى المنطقة •

(جـ) التمسك بدور الأمم المتحدة من جميع الأطراف •

وفى نفس اليوم أرسل يوثانت نداء (٢) الى الرئيس عبد الناصر عن طريق السفير محمد عوض القونى ناشد فيه الرئيس عبد الناصر الى ممارسة أقصى درجات الحذر كما ناشد فى نفس الوقت رئيس وزراء حكومة اسرائيل وكل الأطراف المعنية بذلك وأعرب عن أمله فى أن تمتنع مصر خلال مدة أسبوعين من ٢٩ مايو الى ١٢ يونيو ١٩٦٧ عن أى تدخل فى الملاحة غير الاسرائيلية والتى تطلب المرور عبر مضيق تيران وذكر يوثانت انه هو والمجتمع الدولى كله يقدرون تقديرا كبيرا هذه المبادرة لو صدرت من جانب مصر ••

وفى نفس اليوم أرسل الرئيس عبد الناصر رسالة الى السفير القونى ابلغ فيها السكرتير العام للأمم المتحدة موافقته على ندائه بعد أن استشار فى ذلك الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية والمشير عبد الحكيم عامر والسيد زكريا محيى الدين واعتبر فترة الأسبوعين المقترحة فترة تعطى للأطراف وللعالم اجمع فرصة لالتقاط الأنفاس •

فى يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ فى اسرائيل :

أذاع أشكول فى الساعة الثامنة مساء من دار الاذاعة الاسرائيلية خطابا أهم ما جاء فيه « ان اسرائيل تحتفظ بحقها فى الدفاع عن نفسها

---

(١) برقية شفوية أرسلها مندوب مصر فى الأمم المتحدة السفير محمد عوض القونى الى مصر ــ محفوظات وزارة الخارجية المصرية تحت رقم ١٤/٣٠٦٠ من وثائق كتاب (الانفجار سنة ١٩٦٧) للأستاذ هيكل •

(٢) نفس المصدر السابق ــ برقية رقم ١٤٩/٣١٠٨ من أرشيف محفوظات وزارة الخارجية •

وسوف تواصل جهودها لكسر الحصار المصرى بكل الوسائل » . وغادر دار الاذاعة الى وزارة الدفاع حيث اجتمع مع جنرالات الجيش وكان اجتماعا عاصفا انتهى بتقديم طلباتهم بضرورة احداث تغيير وزارى قوى يحقق وحدة وطنية ويتناسب مع ظروف الأزمة وتعيين موسى ديان وزيرا للدفاع .

المؤتمر الصحفى للرئيس عبد الناصر (١٩٦٧/٥/٢٨) (١) :

وفى مساء نفس اليوم ١٩٦٧/٥/٢٨ عقد الرئيس عبد الناصر فى القاهرة مؤتمرا صحفيا حضره عدد كبير من الصحفيين الأجانب ووكالات الأنباء وافتتح المؤتمر بشرح مركز لأبعاد الأزمة التى بدأت بالحشود الاسرائيلية على حدود سوريا وتهديدها بالعدوان وما تلا ذلك من أفعال وردود أفعال وعند ما بدأت الأسئلة كان فى اجاباته قد ازداد ثقة وظهر تشدده فى موقفه من الملاحة فى مضايق تيران وساعده فى ذلك تجمع العالم العربى كله من حوله بعد ان نال اعجاب الجماهير العربية وابدى ترحيبه لملاقاة اسرائيل وحاول ان يتجنب اثارة أمريكا فقال : « لا توجد مشكلة بيننا وبين أمريكا ولكننا نراها منحازة الى اسرائيل ولكننا سندافع عن سيادتنا اذا اعتدت علينا واذا وقع عدوان اسرائيلى فى أى مكان فستصبح الحرب شاملة » وقال « اننا لا نوافق على تدمير المصالح والمنشآت العربية فى البلاد العربية لأنها ثروتنا » .

وقد حاول أحد الصحفيين البريطانيين استفزاز الرئيس بأن سأله اذا ما كانت صحته تتحمل كل ذلك قال له « انا مش خرع زى ايدن » وقال « ان سحب قوات الطوارىء واغلاق خليج العقبة أمام اسرائيل مجرد ظواهر للمشكلة الرئيسية فى العالم العربى . ان المشكلة الحقيقية هى العدوان الذى تعرض له شعب فلسطين ومازال مستمرا ويتسع تهديده ضد الأمة العربية كلها . ان اسرائيل هى التى حددت توقيت الأزمة والتهديد بالزحف على دمشق كان نقطة التفجير » .

وقال فى بيانه للصحفيين « الظروف التى طلبنا فيها سحب قوات الطوارىء معروفة هى الأخرى لكم فلقد كان هناك تهديد لسوريا وكانت هناك خطة لغزوها وكانت هناك تدابير للتنفيذ وموعد محدد يبدأ فيه هذا التنفيذ بينما أصوات المسئولين فى اسرائيل ترتفع صراحة مطالبة بالزحف على دمشق . لم يكن فى استطاعتنا ان نسكت على تهديد سوريا أو

---

(١) من بيان الرئيس عبد الناصر ورده على الصحفيين فى المؤتمر الصحفى - جريدة الأهرام يوم الاثنين ٢٩ مايو ١٩٦٧ .

غزوها • وهكذا كان لابد أن تتقدم(١) القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة الى المواقع التى تستطيع منها ان تصل ويكون عملها مؤثرا فى ردع العدوان • لقد ذهبت قواتنا الى سيناء لتردع العدوان • ولقد طبقنا على مضايق تيران حقوق السيادة المصرية وأى تعرض لهذه الحقوق يكون هو نفسه العدوان » ان مضيق تيران عرضه ٣ أميال فهو مياه اقليمية والسفن تمر على بعد ميل واحد من الساحل المصرى وكانت سفن انجلترا وأمريكا وفرنسا تفتش قبل ١٩٥٦ وسفن اسرائيل لا تمر وفى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ انسحبنا من سيناء لمواجهة العدوان الفرنسى البريطانى ورجعت قواتنا فى الأسبوع الماضى لتباشر حقوقها على مياهنا الاقليمية •

وقال « ونسأل أنفسنا هنا أسئلة كثيرة :

● ماذا فعلت اسرائيل بقرارات الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ ؟ ضربت بها عرض الحائط •

● ماذا فعلت اسرائيل بقرارات الهدنة التى فرضها مجلس الأمن ؟ ـ انها احتلت كل ما احتلته من الأراضى الفلسطينية بعد هذه القرارات وأبرز مثل على ذلك ميناء ايلات الذى بنته اسرائيل على موقع أم الرشراش العربى • لقد احتلت هذه المنطقة بعد اتفاقيات الهدنة • جرى توقيع اتفاقيات الهدنة فى فبراير ١٩٤٩ • وفى مارس الشهر الذى يليه مباشرة احتلت اسرائيـل هذا الموقع وداست بأقدامها على كل قرارات مجلس الأمن وعلى اتفاقيات الهدنة التى لم يكن الحبر الذى وقعت به قد جف بعـــد •

● ماذا فعلت اسرائيل بحقوق اللاجئين العرب وقرارات الأمم المتحدة الخاصة بهم ؟ انهم مازالوا مشردين خارج وطنهم المغتصب •

● ماذا فعلت اسرائيل بلجان الهدنة نفسها وبأعضائها الذين كانوا فى مهمتهم يمثلون الأمم المتحدة ؟ حينما أرادت احتلال منطقة العوجة المنزوعة السلاح سنة ١٩٥٥ لم تتوان عن اعتقال مراقبى الهدنة ثم طردهم بعيدا عن المنطقة وذلك على أى حال ليس غريبا فان العدوان الاسرائيلى وصل الى حد اغتيال الوسيط الدولى للهدنة الكونت برنادوت لان العدوان الاسرائيلى وجد فى تقريره تفصيلا لا يتفق مع مطالبه •

● ماذا فعلت اسرائيل سنة ١٩٥٦ وماذا يعنيه كل ما فعلته سنة ١٩٥٦ ؟ قامت بدورها المرسوم كأداة صنعها الاستعمار كان دورها مخزيا

---

(١) من بيان الرئيس عبد الناصر ورده على الصحفيين فى المؤتمر الصحفى ـ جريدة الأهرام يوم الاثنين ٢٩ مايو ١٩٦٧ •

كما هو واضح الآن من كل ما أذيع عن أسرار السويس ومع ذلك فانها ادعت على أساسه نصرا وحاولت فوق ذلك ان تضم قطعة من الأرض المصرية اليها هى سيناء وأعلن بن جوريون ذلك ٠

● وبعد السويس فان السجل العدوانى متصل حتى ذلك التهديد ضد سوريا وهو التهديد الذى فجر الأزمة الحالية ٠ وفى ١٢ مايو وصل التهديد الى ما لا نقبله ومسألة مضيق تيران وسحب قوات الطوارىء مجرد عوارض طارئة لمشكلة العدوان الاسرائيلى الذى وقع على فلسطين ومازال وقوعه مستمرا يهدد شعوب الأمة العربية جميعا٠ان أساس المشكلة ـ وليس أى فرع من فروعها ـ هو موضوع السلام والحرب وهو سلام الأمة العربية كلها أو حربها مهمـا كانت المحاولات العدوانية ومهما كانت قـوى العـدوان » ٠

وفى مساء يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ :

أبلغت سكرتارية الأمم المتحدة مصر عن طريق اتصال مسـاعد السكرتير العام بالسفير المصرى عوض القونى ان السكرتير العام يوثانت عدل عن فكرة توجيه النداء الى الرئيس عبد الناصر والى رئيس وزراء اسرائيل ليفى أشكول بشأن اعلان الموراتوريوم Moratorium بحجة انه لا يود ان يقوم بعمل يسىء الى الموقف بدلا من تخفيفه وادعى « بأن يوثانت لم يصله من وزير خارجيـة مصر تأكيد كتابى بهـذا الاتفاق » وبالطبع كان هذا تبريرا فيه كثير من المغالطة لأنه فى لقاء يوثانت مع الرئيس عبد الناصر ووزير خارجية مصر لم يكن هناك اتفاق بأن ترسل مصر الى السكرتير العام كتابه بهذا الاتفاق وكان قد تم الاكتفاء بما تم الاتفاق عليه فى الجلسة شفويا فقط ٠ وكل ذلك يدل على ان هناك ضغوطا مورست على يوثانت بالذات وهى بالقطع كانت ضغوطا أمريكية موعزة من اسرائيل وأجهزتها الخفية والعلنية والتى كانت وثيقة الصلة بالرئيس جونسون ٠

وفى يوم ٢٩ مايو ١٩٦٧ فى اسرائيل :

أعلن فى اسرائيل تشكيل حكومة وحدة وطنية اسرائيلية شارك فيها مناحم بيجن وعين فيها موسى ديان وزيرا للدفاع وكان هذا التشكيل الوزارى بهذه الصورة يعنى ان قرار بدء العمليات العسكرية قد اتخذ فعلا فى اسرائيل ؟

وفى نفس اليوم ١٩٦٧/٥/٢٩ من الأردن :

جاءت رسالة الى القاهرة تفيد ان الملك حسين قرر ان يستجيب لشعبه وجيشه بعد ان أصبح الأردن معبأ على آخره • وكانت مفاجأة لمصر وبخاصة بعد اعلان الأردن قطع علاقاته مع سوريا يوم ١٩٦٧/٥/٢٢ •

زيارة الملك حسين لمصر واعلان اتفاقية الدفاع المشترك يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧

حضر الملك حسين للقاهرة ومعه رئيس وزرائه سعد جمعة واللواء عامر عماش رئيس الأركان الأردنى وقابل الرئيس عبد الناصر فور وصوله وبعد حديث قصير فى تصفية الخلافات وكان أبرزها حملة الملك حسين على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رئيسها الشقيرى ثم اقتنع الملك حسين فى النهاية ووافق على الاجتماع مع الشقيرى وتم تصفية الخلافات ولو ظاهريا • وكان كل اهتمام الرئيس عبد الناصر ان تحسم الخلافات فى سبيل ايجاد موقف سياسى وموقف عسكرى يجعل الآخرين يفهمون ان الأمة العربية تستطيع ان تواجه الأزمة يدا واحدة • وعلم الرئيس عبد الناصر من رئيس الأركان الأردنى المعلومات المتوفرة لدى الأردن عن القوات الاسرائيلية وانها عبارة عن خمسمائة دبابة تشكل طابورا طوله ٥ أميال يتحرك فى أتجاه الجنوب محملا على ناقلات الدبابات وان هناك سبعة ألوية مدرعة متمركزة أمام الجبهة المصرية •

وفى هذا اللقاء وعلى غير انتظار ابدى الملك حسين استعداده الموافقة على دخول قوات عراقية الى الأردن (٢) (رغم علمه ان اعلان مثل هذا الخبر سيثير اسرائيل ويجعل فى يدها المبرر لاحتلال بلاده عند اللزوم) (٣) • كما أفاد أن لديه أربعمائة دبابة صالحة للقتال • وعرض الرئيس عبد الناصر فكرة ضرورة دراسة امكانات التكامل بين مطارات الأردن ومطارات مصر أثناء أى عمليات ستقبله مع اسرائيل • وكانت المفاجأة الثانية ان الملك حسين طلب من الرئيس عبد الناصر ان يتولى

---

(١) محضر اجتماعات الملك حسين فى القاهرة والمحفوظات فى ملفات قصر عابدين ونسخ منه فى القيادة العليا للجيش ووزارة الخارجية والمخابرات العامة – من وثائق (كتاب الانفجار) للأستاذ هيكل – أهرام ١٩٩٠/٦/١٨ •

(٢) محضر اجتماعات الملك حسين السابق ذكره •

(٣) اسرائيل كانت تعلن دائما أنها سوف تحارب الاردن فى حالة دخول أى قوات عربية غير أردنية الى الأردن أو فى حالة وضع الجيش تحت قيادة غير أردنية •

قائد عسكري مصري قيادة العمليات على الجبهة الأردنية ورشح لهذا المركز الفريق عبد المنعم رياض ووافق الرئيس عبد الناصر على طلب الملك حسين من باب اللياقة رغم انه كان متأكدا ان الفريق عبد المنعم رياض سيكون فى منصبه فى الأردن يمثل قيادة رمزية لانه سوف لا يستطيع السيطرة على سلسلة القيادة للقوات الأردنية · وقبل نهاية اللقاء اتصلت مصر بالجانب السورى تبلغه بالاتفاق والتعاون العسكرى الأردنى ـ المصرى وكان الجانب السورى غير متحمس لاى تعاون مع الملك حسين وبعث رئيس سوريا الدكتور نور الدين الاتاسى ببرقية يفصح فيها عن معاوضته لاطلاع الأردنيين على الخطط السورية ـ المصرية وعاد الملك حسين الى الأردن فى طائرته ومعه أحمد الشقيرى والفريق عبد المنعم رياض ·

وكان دور الملك حسين فى هذا اللقاء (١) يدعو الى الدهشة التى لا تخلو من الشك ولكن ثبت بعد ذلك بخمس سنوات ان الولايات المتحدة قبل العدوان وأثناءه كانت تحتفظ بعلاقات وثيقة مع العناصر العربية المعادية لعبد الناصر وبالذات الملك حسين والملك فيصل مستغلة بذلك مشاعرهم المضادة لحركة القومية العربية التى ينادى بها عبد الناصر وهذا ما وضع الملك حسين منذ بداية الأزمة وتصاعد الرأى العام العربى بجانب موقف مصر فى مأزق حيث كان يشعر بحرج موقفه حيث اذا استمرت حركة القومية العربية فى تزايدها فى مواجهة الحشود الاسرائيلية وخاصة بعد التعاون السورى العراقى فقد وجد العرش الهاشمى فى عمان معرضا لضغط شعبى شديد مؤيدا من العناصر الوطنية بالجيش الأردنى وبذلك اضطر الملك حسين للتظاهر بالتباعد عن مظاهر التعاون مع الولايات المتحدة التى تمنع عنه مخاطر غزو اسرائيل ولذلك اضطر الى الوقوف مع مصر حتى يحافظ على مملكته من الغضب الشعبى ومع ذلك استمر فى اتصالاته مع السفارة الأمريكية فى عمان ··

اعلان اتفاقية الدفاع المشترك :

وكان من نتيجة زيارة الملك حسين لمصر اعلان اتفاقية دفاع مشترك بين الأردن ومصر وأصبح من المؤكد ان اسرائيل لابد ان تفعل شيئا لان كل تصرفاتهم كانت تدل على ذلك فى يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ · .

(١) كتاب مؤامرة الصمت Conspuocy of Silence للمؤلف البريطانى انتونى بيرسون صادر سنة ١٩٧٨ ـ عن الحلقة رقم ٢٢ من (كتاب الانفجار) للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٨/٦/١٩٩٠ ، ص ٩ ·

قامت الحكومة الأمريكية ــ وزارة الخارجية الأمريكية ــ باستدعاء السفير المصرى فى واشنطن مصطفى كامل وكلفته بالاتصال بالقاهرة وتبليغها ان الرئيس جونسون ينتظر ردا على رسالته التى أرسلها الى الرئيس عبد الناصر وانه يقوم بتعزيز سفارة الولايات المتحدة بالقاهرة وذلك بارسال السفير تشارلز يوست تدعيما لجهود السفير المعين حديثا وان الرئيس جونسون يتعجل تحديد موعد لمبعوثه الخاص « روبرت اندرسون » المنتظر فى بيروت لمقابلة الرئيس عبد الناصر وان الرئيس الأمريكى أخبر أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل ألا تبدأ اسرائيل بأى أعمال عسكرية فى اتجاه مصر وان الرئيس جونسون مرتاح لاحتياطات مصر بالسيطرة الكاملة على تصرفات جيش منظمة التحرير بالجبهة وكل ذلك يوحى بأن الولايات المتحدة متحمسة لتهدئة جو الأزمة وأنها لا تشارك بأية صورة لتصعيد الموقف أو التحريض على عدوان اسرائيل · وفى يوم ٢٦ مايو كانت قد وصلت معلومات من سفارة مصر فى موسكو نقلا عن تبليغ السفير الأمريكى فى موسكو مستر طومسون ان الوضع فى منطقة الشرق الأوسط فى خليج العقبة فى منتهى الخطورة كما أبلغ انه بعد هذا التاريخ سيكون السفير الأمريكى فى غاية الحرج من مقابلة أى مسئول مصرى من السفارة المصرية وانه سيحدث فى القريب أشياء تؤثر على العلاقات بين مصر وأمريكا · وفى نفس الوقت وصلت معلومات مؤكدة الى مصر عن نشاط غير عادى فى القاعدة الأمريكية (هويلس) فى ليبيا وذلك بين القاعدة واسرائيل · كل ذلك كان يدعو الى الدهشة من تضارب المعلومات والايحاءات الأمريكية ·

فى يوم ٣١ مايو ١٩٦٧ من سوريا :

وصلت اشارة (١) الى القيادة العسكرية المصرية صادرة من القيادة العامة للجيش السورى شعبة الاستخبارات بأنه لا شىء على الحدود (السورية) حتى صباح ١٩٦٧/٥/٣١ فى يوم ٣١ مايو ١٩٦٧ ــ حول الضربة الأولى ·

استقبل الرئيس عبد الناصر المبعوث الأمريكى مستر (روبرت اندرسون) وكتب اندرسون تقريرا الى حكومته نتيجة المقابلة وكان أهم ما جاء به « ان الرئيس عبد الناصر يتوقع هجوما اسرائيليا فى القريب بسبب ما يقرأه من تهديدات قادة اسرائيل » كما ان هذا المبعوث أكد

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو للأستاذ سليمان مظهر ــ من أقوال الفريق صدقى محمود ، ص ١١٠ ·

لحكومته ان عبد الناصر آكد له ان مصر سوف لا تبدأ بأى حال الضربة الأولى وانه فى انتظار ما سوف تفعله اسرائيل » وان عبد الناصر قد أبلغ المبعوث اندرسون « ان مصر لاجل انهاء الأزمة ولتهدئة الموقف قد تلجأ الى محكمة العدل الدولية فى موضوع قفل خليج العقبة » (١) ٠

وكل ذلك اعطى ضمانات لأمريكا وللرئيس جونسون بالذات بأن تمهد لتكنيف ضحيتها مصر لأجل ان تتلقى ضربات عدوتها اسرائيل وقد يؤدى هذا الى القتل بتنازلها عن الضربة الأولى للجانب الاسرائيلى الذى يدبر ويخطط مع الجانب الأمريكى لتوجيه الضربة الأولى المفاجأة والساحقة وكل ذلك والجانب الأمريكى يمثل دور الدولة العظمى المحايدة والتى تعمل لاجل تحقيق السلام والهدوء فى المنطقة ٠ ولمزيد من الخداع الأمريكى والتمويه فقد كان من ضمن ما اتفق عليه المبعوث اندرسون مع الرئيس عبد الناصر هو موافقة عبد الناصر على اقتراح أمريكى بموافقته على مقابلة مبعوث أمريكى آخر على أعلى مستوى هو نائب الرئيس مستر (هيوبرت همفرى) وكذلك موافقة مصر على ارسال مبعوث مصرى على نفس المستوى هو نائب الرئيس المصرى السيد زكريا محيى الدين الى أمريكا وذلك من أجل تهدئة الموقف أيضا بل وتحدد لهذه المقابلة يوم ٦ يونيو فى أمريكا ٠

الموقف العربى يتصاعد مع الأزمة

منذ أول يونيو ١٩٦٧ تلقت مصر تحذيرات من أصدقائها من زعيم فيتنام هوشى منه برسالة (٢) منه الى الرئيس عبد الناصر أبلغه فيها ان الهجوم على مصر أصبح وشيكا وأنه أصدر أوامره للثورة فى فيتنام بتكثيف هجومها على القوات الأمريكية لتشتيت الجهد الأمريكى كما تلقى من الزعيم اليوغسلافى تيتو رسالة أبلغه فيها أن المعلومات الأكيدة وصلته وتفيد بأن الهجوم على مصر أصبح وشيكا جدا وحدد له أسلوب العدو المنتظر ٠ وفى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ نشرت الصحف الأمريكية تصريحا سافرا لقائد الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض « انه مستعد لحماية اسرائيل من أى هجوم وانه فى انتظار تعليمات مباشرة من الرئيس جونسون » ٠ كما وصلت معلومات ان انجلترا وضعت أسطولها فى البحر الأبيض تحت قيادة الأسطول الأمريكى وان الأسطول الأمريكى ومعه حاملتان للطائرات

---

(١) البرقية رقم ٢٢٩٦ موجهة الى البيت الأبيض مرسلة من روبرت اندرسون — من وثائق كتاب (الانفجار ١٩٦٧) للأستاذ هيكل ــ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٠ ٠

(٢) وثائق الحلقة ٢٤ من كتاب (الانفجار) للأستاذ هيكل ــ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٣ ٠

وصلت بالقرب من شواطئ اسرائيل وكان هذا يعنى أن النية متجهة الى أن يقوم الطيران الأمريكى بعمل مظلة فوق اسرائيل لحمايتها من أى غارات مصرية بينما عدوان اسرائيلى قريب على مصر وذلك حتى لا تتورط أمريكا خارج حدود اسرائيل كما ان أمريكا بدأت فى هذا الوقت فى المحافل الدولية وفى هيئة الأمم وفى مجلس الأمن تقوم بضغوط شديدة على الدول الأفريقية والآسيوية لدرجة التهديد وذلك للوقوف ضد مصر . وازاء هذه التهديدات المختلفة لمصر من أمريكا واسرائيل والغرب بادر العرب بالتحرك فقد قامت العناصر الوطنية والدينية فى ليبيا بمطالبة الملك السنوسى ملك ليبيا بضرورة وضع رقابة على القواعد البريطانية والأمريكية فى ليبيا وضرورة وضع اليهود فى ليبيا تحت الحراسة والمراقبة الدقيقة والسماح للقوى الوطنية الليبية بمساعدة مصر بشتى الأساليب .

أما فى العراق فقد قامت الحكومة العراقية بالدعوة الى عقد اجتماع لوزراء بترول الدول العربية فى بغداد يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ للنظر فى ضرورة تحريم بيع البترول العربى أو توصيله لأى دولة تشترك بأى صورة فى العدوان على الدول العربية ولقيام بعض رؤساء الدول العربية بالضغط على الدول الاسلامية وبخاصة ايران لتشارك فى هذه المقاطعة حيث ان ايران وقتها كانت تمد اسرائيل بنحو ٧٠٪ من احتياجاتها من البترول وبادر الملك حسين بالقيام بهذا الدور ولكن شاه ايران رفض .

أما فى الكويت فقد عرض أمير الكويت على السفير المصرى بأن يبلغ عبد الناصر ازاء خطورة الموقف باقتراح بتوجيه دعوة للدول العربية لعقد مؤتمر قمة عربى عاجل لبحث احتمالات الموقف .

أما فى الجزائر فقد كان قرار القيادة السياسية الجزائرية الذى أفصحوا عنه للسيد زكريا محيى الدين نائب الرئيس المصرى انهم أصدروا أوامرهم لسلاحهم الجوى بالمشاركة فى ضرب اسرائيل وردع خطرها وان الجزائر استعدت لارسال أكبر جزء من طيرانها الحربى للمساهمة فى المعركة عند نشوبها وبأسرع الوسائل الى مصر .

تحديد الهدف للقوات الجوية المصرية

منذ تحرك الحشود المصرية الى سيناء من ١٤ مايو ١٩٦٧ حتى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ وقبل اجتماع القادة العسكريين (١) مع الرئيس عبد الناصر كانت خطة موضوعة لأجل كسب معركة السيطرة الجوية بضرب الطيران

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو ١٩٦٧ ـ الأستاذ سليمان مظهر ـ اعترافات صدقى محمود ، ص ١١٠ .

الاسرائيلي ضربة مفاجئة واستعدت القوات الجوية لها فكانت كل الطائرات بما فيها القاذفات محملة وجاهزة للعمل في أي وقت كما كان هناك اعداد لخطط جوية هجومية أخرى لضرب ايلات وضرب المفاعل الذرى في ديمونا ومعامل تكرير البترول في حيفا ·

في يوم ٢ يونيو ١٩٦٧

وفي المساء عقد المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة اجتماعا (١) بمقر القيادة العليا حضره الفريق أول محمد فوزى رئيس أركان حرب القوات المسلحة والفريق أنور القاضي رئيس العمليات واللواء على عبد الخبير مدير الأركان بالقيادة العليا واللواء محمد صادق مدير المخابرات العسكرية والفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية وشمس بدران وزير الحربية ثم حضر الرئيس عبد الناصر بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة وكان الغرض من هذا الاجتماع هو استعراض الموقف سياسيا وعسكريا واتخاذ ما يلزم من قرارات واستهل الرئيس عبد الناصر الاجتماع بشرح آخر تطورات الموقف سياسيا وعسكريا · وصدر تساؤل من المجتمعين عن موقف القوات العراقية وهل وصلت الى الجبهة الأردنية وأجاب الفريق أنور القاضي بأن القوات العراقية لم تصل بعد وأمامها من ٤٨ ساعة الى ٧٢ ساعة الى أن تأخذ مراكزها وقال الرئيس عبد الناصر « والله لو فات يومين ثلاثة بهدوء فان موقفنا سيتحسن وبخاصة بعد وصول القوات العراقية الى الأردن ··· وانا خايف ان اسرائيل يضربونا وبخاصة خايف على الزيتية (قرب السويس) بغرض حرماننا من الوقود ولذلك أنا عايز كل الخزانات الموجوده في البلد تكون مليانه بالكامل ويكون فيها احتياط » ونبه على الفريق صدقي محمود ضرورة تكثيف الرشاشات في الطائرات ووعده صدقي محمود بأن يكون التكثيف على الزيتية · ثم قال الرئيس عبد الناصر « دلوقت أنا بشوف ان احتمال الحرب يبقى كبير قوى » ثم قال « ان احتمال قيام اسرائيل بالحرب أصبح ١٠٠٪ مما يدعونا الى ضرورة الاستعداد لتلقى الضربة الجوية الأولى والمنتظر إن توجهها اسرائيل ضد مصر وسيكون ذلك خلال يومين وستكون هذه الضربة بغرض حسم المعركة بأسرع مدة ولصالح اسرائيل » وفجأة أصدر قراره « أنا اتخذت قرار بأن لا نقوم بالضربة الأولى » وعندئذ حدث حوار في غاية الأهمية بين الرئيس عبد الناصر والفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والذى كان لديه التوجيهات حتى هذه اللحظة

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو ١٩٦٧ ـ للأستاذ سليمان مظهر ، ص من ١٣٢ الى ١٣٥ ·

بالضربة الأولى ضد اسرائيل وقال الفريق صدقى « كونى أتلقى الضربة الأولى معنى هذا ان ذلك قد يؤدى الى احداث حالة شلل » • ورد عليه الرئيس عبد الناصر « بأن قيـــام الطيران المصرى بالضربة الأولى يعتبر مستحيل لأن الطيران المصرى لا يملك القوة ولا الخطة التى تســمح له بالقيام بهذه الضربة الأولى • كما ان قيام مصر بالضربة الأولى يعتبر مخاطرة سياسية لأنها ستعطى المبرر الذى تتلهف عليه أمريكا لكى تشارك علنا وبنفسها فى القتال بجانب اسرائيل وعندئذ لا يستطيع أى طرف فى العالم ان يلومها عليه » ورد عليه الفريق صدقى « ان مصر اذا تلقت الضربة الأولى فان خسائرها ستكون كبيرة بالاضافة الى حالة الشلل التى ستصاب بها جميع مرافق البلاد وسيكلف ذلك مصر الكثير » وعلق المشير عامر على ذلك باشارة من الرئيس عبد الناصر وقال له « طيب يا صدقى تحب انت تضرب الضربة الأولى وبعد كده تحارب أمريكا » فسأله الفريق صدقى « هل سيادة المشير متأكد ان اسرائيل اذا ضربت الضربة الأولى ستكون وحدها وبغير مشاركة أمريكا » • ولما أجاب المشير بأنه متأكد عندئذ قال الفريق صدقى « يبقى أمرى الى الله » • ثم سأل الرئيس عبد الناصر الفريق صدقى عن مدى تقديره لخسائر مصر فى حالة تلقى الضربة الأولى وخسارة اسرائيل وقال صدقى محمود ان خسائر مصر ستكون فى حدود من ٢٠٪ الى ٥٠٪ أما اسرائيل فسوف لا تكون خسائرها أكثر من ١٠٪ فقط • ثم نصح الرئيس عبد الناصر الفريق صدقى بتخفيف كثافة الطائرات فى القواعد الجوية فى سيناء والاحتفاظ بمعظم القوى الضاربة الجوية فى مطارات الصعيد والدلتا لامكان استخدامها فى الرد على الضربة الأولى اذا حدثت وذلك بعد ان أكد له الفريق صدقى ان مطارات الدلتا والصعيد تعتبر بعيدة تماما عن مجال الطيران الاسرائيلى وان اسرائيل لا تملك القدرة الجوية للعمل فى هذا المجال البعيــد الا باستخدام الطائرات من طراز فيتور والتى لديها منها ١٦ طائرة فقط لا يمكن استخدامها مرة واحدة لأهمية الاحتفاظ بها ضــد أى مفاجآت فى حالة استخدام مصر الطائرات من مطارات سيناء • كما نصحه بأن يتم سحب طائرات سيناء فى آخر ضوء الى غرب القناة وتعود مع أول ضوء يوميا لتأخذ أماكنها فى سيناء •

الاستعداد القتالى

ومنذ ذلك الوقت ومن قبله كانت مفروضة حالة الاستعداد القصوى فى جميع القواعد الجــوية فقد كان فى كل قاعدة أربعة من الطيــارين مربوطون فى طائراتهم (للصــعود الفورى بطائراتهم) وأربع طــائرات أخرى جاهزة وطياروهم فى الاستراحة على بعد ٥٠ مترا وفور سماعهم

انذار الاستدعاء يطيرون فى الحال وكان جميع الطيارين فى قواعدهم ولم يسمح بالاجازات بأى حال من الأحوال ٠

فى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ تتحرك سفينة التجسس الأمريكية

وفى يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ بعد ان تأكدت أمريكا من قرب توقيت العدوان ولأجل أن تكون الادارة الأمريكية على دراية بكل ما يمكن ان يدور فى ميادين الشرق الأوسط وبخاصة فى الدول التى قد تتقاتل وهى مصر وسوريا والأردن واسرائيل فقد صدرت الأوامر الى سفينة التجسس الأمريكية (ليبرتى) (١) بالتوجه الى شرق البحر المتوسط من الشاطىء الأسبانى ٠ والسفينة ليبرتى هذه كانت واحدة من سفينتين للتجسس تابعتين للبحرية الأمريكية وللوكالة المتخصصة بالتجسس على مواصلات العالم واتصالاته National Security Agency N.S.A. وكانت السفينة الأخرى (بوبيلو) هى التى أسرها الكوريون الشماليون سنة ١٩٦٨ واطلعوا على بعض أسرارها ٠ وصلت السفينة ليبرتى الى المنطقة المحددة لها لالتقاط جميع اتصالات الدول المجاورة وحل شفرتها وكانت أجهزتها قادرة على التقاط كل اتصال وحركة ٠

ـ مهمة المبعوث الأمريكى ٠٠ « تشارلز بوست »

أرسلت الولايات المتحدة مبعوثا لها الى مصر(٢) هو السفير تشارلز بوست موفدا من الرئيس جونسون تحت ستار مناقشة امكان انقاذ الموقف المتدهور مع الرئيس عبد الناصر ومقابلة مختلف الدوائر السياسية فى مصر بغرض التأكد بصفة قاطعة من نوايا مصر ، والحقيقة أن الولايات المتحدة فى هذا الوقت ـ وكانت الأزمة فى قمتها ـ كانت قلقة من امكان تراجع مصر فى تشددها من الأزمة خاصة فى موضوع غلق الخليج وهو المبرر القوى لعدوان اسرائيل فى اطار خطة استدراج مصر الى الفخ المنصوب لها ٠

وفى يوم ٢ يولية ١٩٦٧ أرسل السفير تشارلز بوست تقريرا الى الرئيس جونسون والى الخارجية الأمريكية ـ بعد مقابلاته فى مصر ـ أكد فيه أن « حكومة مصر فى هذه المرحلة لا تستطيع التراجع ولن تخفف من موقفها بشأن اغلاق مضيق تيران الا باستخدام أقصى قوة ، بالإضافة

---

(١) من وثائق تحقيقات لجنة الكونجرس لبحث حادث السفينة ليبرتى للضرب يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ـ كتاب الانفجار للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٠ ٠

(١) وثيقة أمريكية (برقية) Z ٢١٠٢٨ مودعة فى مكتبة جونسون بولاية تكساس تحت رقم ١٦٥ A من وثائق كتاب « الانفجار » للأستاذ / محمد حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٣ ٠

الى أن الرأى العام العربى أصبح فى حالة اجماع فى تأييد مصر فى هذه المسألة لدرجة توريط مصر فى عدم امكان التراجع ·

ـ تغيير فى خطة الدفاع المصرية ··

حتى يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ ، كانت القيادة المصرية تتوقع قيام اسرائيل بالهجوم البرى على المحور الشمالى (١) (رفح ـ العريش ـ القنطرة) وكان الدفاع مركزا فى هذا المحور بقوات كافية لرد أى هجوم مدرع ، ولكن قيام اسرائيل بتحركات خداعية أوهمت المخابرات العسكرية المصرية بأن التحركات العسكرية الاسرائيلية كانت تدل على اهتمام اسرائيـــل بمنطقة ايلات والجزء الجنوبى من النقب ، وانساق التخطيط العسكرى المصرى وراء هذا الطعم الاسرائيلى وبدأت القيادة المصرية العسكرية منذ ٢٦ مايو ١٩٦٧ عملية تحريك جانب من القوات وخاصة المدرعات صوب القطاع الجنوبى لسيناء لانشاء ستارة مضادة للدبابات اعتقادا بأن اسرائيل ستقوم بهجوم مدرع رئيسى لاختراق المحور الجنوبى ، ومع ذلك أهملت القيادة المصرية اهمالا فائقا خطة الدفاع عن الممرات ســـواء الشمالية أو الجنوبية وكانتا بمثابة خط الدفاع الأخير عن مصر من جهة الشرق ، فلم يخصص (٢) لخط الممرات أى قوات كافية لايقاف أى تقدم للعدو عند الممرات ، فكان هناك ممر مثلا على المحور الجنوبى ومضيق الختمية على المحور الأوسط ورمانة على المحور الشمالى ·

وبعد اجتماع الرئيس عبد الناصر (٣) بالقادة يوم ٢ يونية ١٩٦٧ ـ والذى تقررت فيه خطة الدفاع وتلقى الضربة الأولى ـ لم يحدث تعديل فى الخطة الدفاعية بعد التوقعات الجديدة بما تحمله من احتمالات تستدعى اعادة النظر فى وضع خطة متوازنة لا تضعف قطاعا على حساب تقوية قطاع آخر ، بل بالعكس تصرفت القيادة المصرية على ضوء الخطوات الخداعية الاسرائيلية على أن الهجوم الاسرائيلى الرئيسى سيكون فى جنوب سيناء ، ومما عزز هذه الفكرة عند المصريين أن العدو الاسرائيلى فى منتصف ليلة ٣ ـ ٤ يونية تعمد اشعار المصريين بزيادة نشاطه أمام غزة ودير البلح ورفح وتحركت دباباته فى هذا القطاع وأحدثت جنازيرها أصواتا مبالغا فيها تفيد برصد وجهتها أن اسرائيل تحرك قواتهـــا المدرعة من المحور

---

(١) تاريخ الحرب بين مصر واسرائيل ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣ ـ محمد فيصل عبد المنعم ـ ص ٢٠٣ ·

(٢) شاهد على حرب ٦٧ ـ الفريق صلاح الدين الحديدى ـ ص ٣٠٩

(٣) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ـ للسيد / محمد فيصل عبد المنعم ـ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ·

الجنوبي وعزز هذه الفكرة تقرير المخابرات العسكرية المصرية يوم ٢ يونية والذى أفاد بأن اسرائيل قامت بحشد قوات ضخمة قدرها التقرير بعشرة لواءات من المشـــاة الميكانيكيـــة وأربعـــة لواءات مدرعة وثـــلاث كتائب مدرعـــة ولـــواء مظـــلى وكتيبـــة حـــرس حـــدود وخمس كتـــائب من النـــاحال وكتيبـــة دروز وذلك فى المحـــور الجنـــوبى بالاضـــافة الى الحامية العسكرية الأصلية فى ايلات ومعها لواء مظلات انضم اليها حديثا وهذا التقرير كان مبالغا فيه ، وابتلعت القيادة المصرية هذا الطعم الخداعى الاسرائيلى وصدرت الأوامر الى الفرقة الرابعة المدرعة المصرية للتمركز فى القطاع الجنوبى لتقوم عند اللزوم (١) بتوجيه ضربة قوية ضـد أجناب المدرعات الاسرائيلية المنتظر هجومها هناك كما انتزعت القيادة المصرية اللواء الرابع عشر المدرع وهو من أفضل الوحدات المصرية المدرعة وذلك من منطقة الشيخ زويد من المحور الشمالى ودفعت به الى الجنوب وبذلك حرمت الفرقة المشاة المكلفة بالدفاع عن المحور الشمالى من العنصر المدرع الحيوى ـ والمثير للدهشة أن استطلاعا مصريا جويا قد تم يوم ٢ يونية على المحور الجنوبى ومنطقة النقب وبعمق ١٥ كم داخل اسرائيل تبين منه أن قوات اسرائيل على هذا المحور لا تتعدى لواء مشاة ميكانيكية وبعض الدبابات القليلة ولم يؤخذ بنتائج هـذا الاســـتطلاع وأخذ بما قدرته المخابرات العسكرية خطأ ٠

٠٠ **وفى نفس يوم ٣ يونية ١٩٦٧** ٠٠ قامت الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بكميات كبيرة (٢) من الأقنعة الواقية من الغازات السامة ــ بعد أن تلقى الرئيس جونسون معـلومات بأن مصر لديهـــا مخزون كبير من الغازات السامة واحتمال استخدامها لها فى مرحلة يائسة من القتال ٠

وفى نفس اليوم قامت القوات الجوية الأمريكية من قواعدها بالمانيا الغربية بعمليات استطلاع للجبهة المصرية بالتنسيق مع اسرائيل ٠



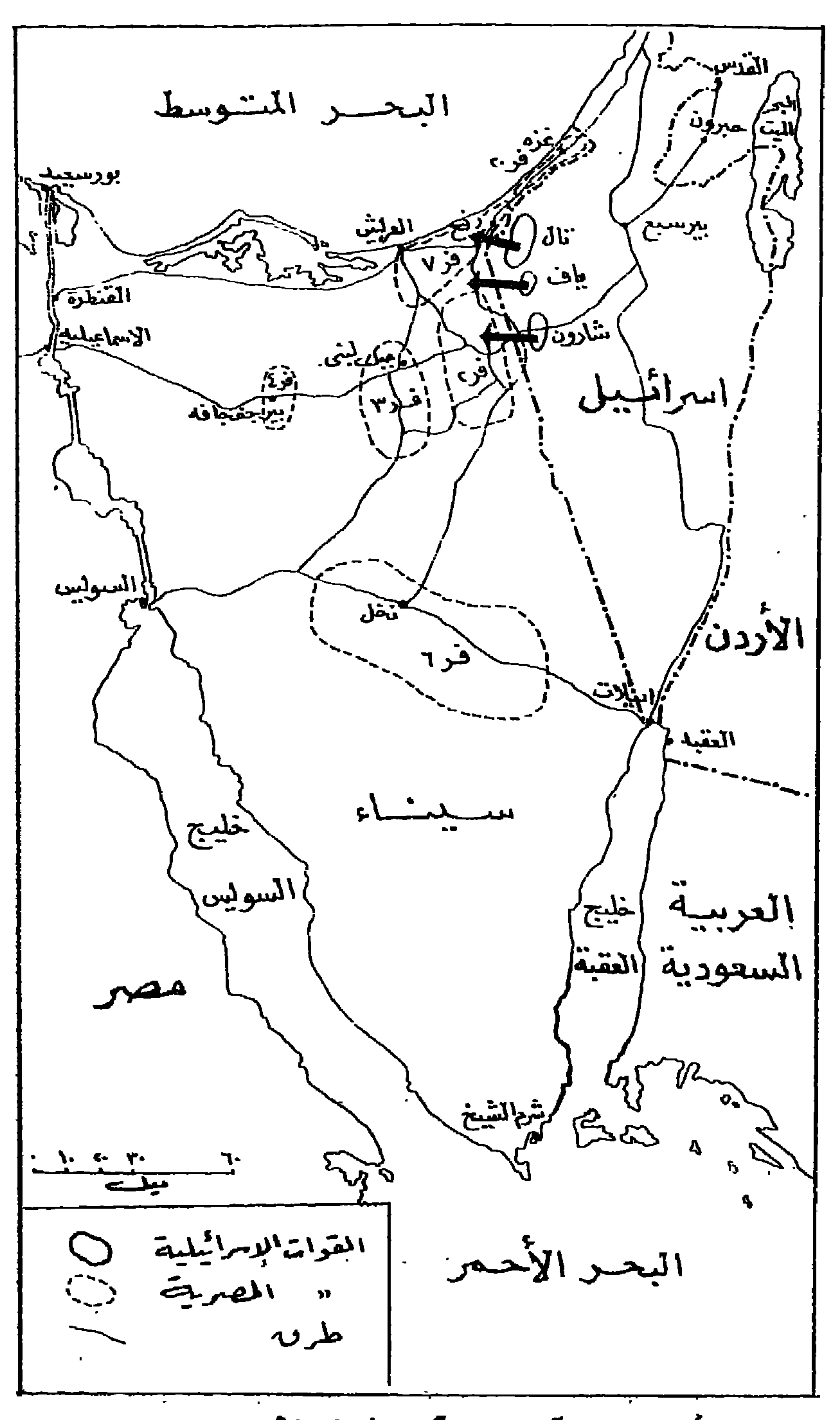
---

(١) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ــ للسيد / محمد فيصل عبد المنعم ــ ص ٢٠٩ ٠

(٢) المصدر السابق ــ من وثائق مجلس الأمن القومى الامريكى ٠

البحر الأبيض المتوسط
غزة
رفح
بئر السبع
العريش
رمانة
القنطرة
قاطية
أبو عجيلة
القسيمة
الإسماعيلية
جفجافة
الحسنة
فلسطين
تمادة
صدر الحيطان
نخل
الكنتلة
عيون موسى
خليج السويس
صدر
التمد
رأس النقب

الطرق والمطارات الرئيسية التي كانت موجودة في سيناء الشمالية



أوضاع القوات المتضادة في سيناء

ـ فى يوم ٣ يونية ١٩٦٧ ••

أرسل الرئيس عبد الناصر رسالة الى الرئيس الأمريكى جونسون ردا على رسـالته كما طلب ووافق فى هذه الرسـالة على أنه « يرحب بالاستماع الى نائب الرئيس هيوبرت همفرى وأنه على استعداد لايفاد السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن للالتقـاء بالرئيس جونسون ، ووافقت أمريكا على مقابلة زكريا محيى الدين وتحدد له يوم ٦ يونية موعدا لمقابلة الرئيس جونسون فى واشنطون •

ـ وفى يوم ٣ يونية ١٩٦٧ ـ أيضا ••

كتب والت روستو مستشار الرئيس الأمريكى جونســون للأمن القومى (١) ـ تقديرا لامكانات الضربة الاسرائيلية المنتظرة ـ قال فيه : « أن هذه الضربة ستكون كافية لاحراج الاتحاد السوفييتى لأن الضربة ستظهر تماما بأنها بدون أى عون أمريكى ظاهر وستكون هذه الضربة قادرة على تدمير معظم الأسلحة السوفيتية الموجودة فى الجيش المصرى وستتسبب فى القضاء على هيبة ناصر واسقاط نظامه وسوف تمكن اسرائيل من الاستيلاء على أراض تستطيع المساومة بها فى حالة حدوث تسـوية شاملة مع العرب ومصر » ، كما جاء للرئيس جونسون تأكيدات من رئيس وكالة المخابرات المركزية (ريتشارد هيلمز) بأن اسرائيل أصبحت قادرة على توجيه ضربة جوية خاطفة وكثيفة الى مصر يتبعها اختراق مدرع فى سيناء فى اتجاه قناة السويس محققة انتصارا ساحقا طبقا للاتفاق الأمريكى مع اسرائيل •

ـ انضمام العراق لاتفاقية الدفاع المشترك ••

فى يوم ٤ يونية ١٩٦٧ ، أعلن فى مصر والعراق عن انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع العربى المشترك بين مصر والأردن ، والقى الرئيس جمال عبد الناصر كلمة بعد توقيع الاتفاقية وأعلن فيها انتظاره للمعركة •

---

(١) فى مذكرة لوالت روستو برقم س ـ ١١٥٤١٤ فى ٦٧/٦/٣ فى المجلد الثالث بمكتبة جونسون ـ من وثائق كتاب « الانفجار » للأستاذ / محمد حسـنين هيكل ـ أهـرام ١٩٩٠/٦/٢٠ •

ـ فى مساء يوم ٤ يونية ١٩٦٧ ..

كانت المعلومات المتوفرة لدى اسرائيل عن الحشود (١) المصرية فى سيناء بأنها سبع فرق كاملة وهى الفرقة الفلسطينية فى قطاع غزة بعد استكمال مدرعاتها ومدفعيتها والفرقة السابعة مشاة فيما بين رفح والعريش والفرقة الثانية فى أم قطف (أم كتاف) وأبو عجيلة والفرقة الثالثة فى جبل لبنى وبئر الحسنة والفرقة السادسة المنتشرة على طول محور خط الكونتيلة ـ ثمن ـ نخل ، ثم الفرقة الرابعة المدرعة حول بئر جفجافا ووادى ميلز ثم قوة الصاعقة فى وادى فوراريا للشمال من الكونتيلة ولواءان مدرعان ١٤٠ ، ١٤١ فى جبل لبنى وبئر الحسنة ، أما فى شرم الشيخ فكانت معظمها قوات مظلات مع لواء مشاة ، وكانت معظم هذه القوات تمثل حصونا قوية دائمة ومبنية بالأسمنت المسلح وجميع الطرق الرئيسية المصرية تحميها العوائق والألغام المدفونة فى الأرض .

وفى مقابل ذلك كان قوام الجيش الاسرائيلى ثلاث مجموعات عمليات كل منها يحتوى على عدد من الألوية يتراوح بين لواءين وخمسة لواءات بالاضافة الى لواءين مستقلين وأغلب الألوية الاسرائيلية كانت مدرعة ، وحتى مساء ٤ يونية كانت اسرائيل تعتبر أن الخطر الأكبر عليها هو امكان مصر أن تطلق عليها عددا من قاذفات القنابل النفاثة ف . ى . اليوشن و ٢٨ من طائرات ميج ٢١ والميج ١٧ مع وجود أربع قواعد جوية مصرية فى سيناء قد تصل الى تل أبيب فى سبع دقائق ـ وهو الزمن اللازم لقطع المسافة من العريش الى تل أبيب ، ولكن اسرائيل كانت تعتمد اعتمادا كليا لا حدود له على خطة ضربة جوية محكمة أمكنها التدريب عليها لمدة طويلة وهى نفس خطة المفاجأة الجوية التى استخدمتها قوات العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ مع التعديلات اللازمة (٢) وذلك لتحقيق المفاجأة فى تدمير القواعد الجوية المصرية وما عليها من طائرات فى زمن قياسى وقبل أن تتحرك أية قوات اسرائيلية أرضية فى صحراء سيناء القاحلة صوب الاستحكامات المصرية الحصينة وذلك كله يحقق الهيمنة الجوية الاسرائيلية ـ الكفيلة باحداث الارتباك اللازم للقادة والقوات المصرية بما فيها القيادة العامة المصرية بالاضافة الى القيادة السياسية هى الأخرى .

---

(١) الضربة الخاطفة للجنرال الامريكى س . ل . أ مارشال ص ١٩ ، ٣٨ .
(Swift Sword)

(٢) مذكرات عزراوايزمان ـ مدير العمليات الحربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ وقائد الطيران الاسرائيلى السابق .

ـ أما فى سوريا ••

فكان لديها عشرة ألوية مقسمة الى ثلاث فرق ونصف (١) ، منها ثلاثة ألوية متمركزة على مرتفعات الجولان مطلة على وادى الحولة ومنطقة الجليل وهى معقل طبيعى حصين ومجهز بدهاليز تحت الصخر تمنع نفاذ القنابل اليهـا وبخنادق نيران (٢) فى قمم المرتفعـات ودشم مبنية من الخرسانة وحتى خنادق المواصلات بين الدشم والمواقع على المنحدر الخلفى كانت مسقوفة بالخرسانة التى يبلغ سمكها خمسة أقدام وبذلك كانت تعتبر أقوى الاستحكامات فى الشرق الأوسط •

ـ أما فى الأردن ••

فكانت هى الأخرى حصونهـا منيعة عند جميع المداخل على حدود اسرائيل ، وكان الجيش الأردنى المسمى بالفيلق العربى مكونا من تسعة ألوية من المشاة ولواء واحد مدرع (الحرس الملكى) ولوائى دبابات وخمس بطاريات مدفعية واحدة من طراز Long Tom لونج توم واثنتان مدافع هاويزر ذاتية الحركة عيار ١٠٥ مم واثنتان من مدافع ٥ أرطال ، أما لواء الدبابات فكان به مائتا دبابة باتون أمريكية وجميع جنودها محمـولون على عربات مدرعة •

وكانت المعلومات المتوفرة لدى اسرائيل حتى مساء ٤ يونية ١٩٦٧ عن توزيع القوات الأردنية أن جميع وحدات مدفعيتها موزعة على طول خط مرتفعات الضفة الغربية ومصوبة فى اتجاه اسرائيل وكان هناك لواءان مشاة فقط فى مواقعها بشرق نهر الأردن ومعهما اللواء الميكانيكى وكلها ممتدة الى الجنوب من العقبة ، أما لواءا الدبابات فقد كانا فى وادى الأردن وأما ألوية المشاة السبعة الباقية فكانت منتشرة الى الغرب من أريحا •

ـ فى شرم الشيخ ••

فى الرابع من يونية صدرت الأوامر للقوات البحرية (٣) المصرية بمنطقة شرم الشيخ بمهمة قصف ميناء ايلات الاسرائيلى بحرا بواسطة

---

(١) Swift sword للجنرال الأمريكى .S.L.A ـ ص ٣٤ ، ٣٥ •

(٢) المصدر السابق •

(٣) حروب مصر المعاصرة ـ لواء / عبد المنعم خليل ـ ص ٨٤ •

مدمرتين ليلة ٤ ـ ٥ يونية ، طبقا للخطة « فجر » ـ وتحركت المدمرتان فعلا وعبرتا مضيق « نصرانى » بعد منتصف الليل واقتربتا من ميناء ايلات ، وفجأة صدرت الأوامر من القيادة العامة بالقاهرة بايقاف تنفيذ المهمة والعودة .

ـ قبل فجر يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ..

وصلت سفينة التجسس الأمريكية « ليبرتى » الى منطقة العمل المحددة لها فى شرق البحر الأبيض المتوسط وفى المسافة بين شاطىء العريش والشاطىء الاسرائيلى أمام القدس ووضعت تحت قيادة قائد الأسطول السادس الأمريكى بالبحر المتوسط وتحت حراسة الغواصة النووية الأمريكية « أندرو جاكسون » وبدأت عملها فورا **بتتبع أسرار (١)** وتحركات المعدات والقوات العسكرية فى مصر والأردن واسرائيل وسوريا فكانت قادرة على التقاط كل حركة بل كل همسة ، وبذلك أصبحت هذه السفينة منذ بداية الضربة الأولى التى حدثت فى صباح ٥ يونية ١٩٦٧ مصدرا رئيسيا للمعلومات عن سير المعارك التى بدأت بين مصر واسرائيل بفضل أجهزتها الحديثة .

ـ صباح يوم الخامس من يونية ١٩٦٧ ..

ولكى تكون الصورة أكثر وضوحا وشمولا (٢) لما كان عليه الحال فى قوات الجبهة المصرية صباح يوم ٥ يونية ـ سواء لسوء الحظ أم لحالة عدم الشعور بالمسئولية فى أدق الظروف ـ فبرغم تحذير الرئيس جمال عبد الناصر للقادة بقرب حدوث الضربة واحتمال حدوثها فى أى دقيقة ، فقد صدرت الأوامر قبل اليوم الموعود بيوم واحد أى يوم ٦/٤ ـ حيث أبلغت قيادة الجبهة بأن المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى سيزور قواتها فى اليوم التالى ، وكعادة المصريين فى المستويات العليا فقد استعدت الجبهة لاستقبال المشير استقبالا عسكريا كبيرا لا يتناسب مع ظروف الطوارىء ، فتجمع جميع القادة فى الجبهة فى وقت واحد وفى مكان واحد فى مطار « بئر تمادا » واكتمل عددهم بالمطار فى الساعة الثامنة والنصف صباحا انتظارا لوصول طائرة المشير ومن معه ، وفى نفس الوقت كانت

---

(١) من أقوال شهود لجنة الكونجرس للتحقيق فى الحادث الذى تعرضت له السفينة « ليبرتى » ـ من وثائق كتاب « الانفجار » ـ للأستاذ / حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٠ .

(٢) شاهد على حرب ٦٧ ـ للفريق صلاح الدين الحديدى ـ ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

قاعدة « فايد » تستعد لاستقبال السيد/ حسين الشافعى نائب الرئيس وبصحبته السيد/ طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق - عقب توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بانضمام العراق اليها .

وبطبيعة الحال صدرت الأوامر بتقييد الضرب بالنسبة لقوات الدفاع الجوى على طول خط سير هاتين الطائرتين وبذلك فقد خلق هذا الموقف دورا خطيرا فى مستقبل ما خبأته الأقدار فتمخضت عنه ظروف غير مواتية للدفاع عن سماء مصر ، حيث انه فى هذا الوقت بالذات بدأت الطائرات الاسرائيلية المعادية فى اقلاعها من قواعدها متجهة صوب أهدافها المختلفة فى مصر وفى ذات وقت اقلاعها ظهرت واضحة على شاشات الرادارات فى الجبهة الأردنية فأسرعت قيادة القوات الأردنية - وكان على رأسها الشهيد الفريق عبد المنعم رياض - بابلاغ ذلك الى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية والى قيادة القوات الجوية المصرية لاسلكيا وذلك فى وقت مبكر ، ولكن لسبب أو لآخر لم تستفد القيـــادتان فى مصر بهذا البـلاغ ولم تعلما به الا بعد أن تمت الضربة - وبعد حل شفرة البرقية بعد فوات الأوان - وكان هذا أيضا من سوء حظ مصر ، أما طائرة المشير فكانت فى طريقها فوق القناة متجهة الى قاعدة « بئر تمادا » فى سيناء ، فقد شاهد طيارها آثار الغارة الاسرائيلية فى أحد مطارات القناة فقام بتغيير اتجاه الطائرة فورا وارتفع بها عاليا وعاد الى القاهرة حيث هبط (١) بها فى مطار القاهرة الدولى وتمكن المشير وقائد الطيران المصرى من الوصول الى مقر القيادة العامة بصعوبة مستقلين احدى سيارات الأجرة ، أما قادة الجبهة الذين كانوا فى انتظار المشـير فى قاعدة « بئر تمـادا » - ففى حضورهم وهم بعيدون عن قواتهم - قامت الطائرات الاسرائيلية بدك المطار وما به من طائرات ، وكانت الأوامر الصادرة لقوات الدفاع الجوى المصرية بتقييد فرصة ثمينة للطيران الاسرائيلى للاعتداء على المطارات وتدمير ممراتها وما عليها من طائرات مصطفة بل وأصيبت أيضا غرفة العمليات وأجهزة الاتصـــال والسيارات المحملة بوقود الطائرات ، ونجح بعض الطيـارين المصريين فى الاقلاع بطائراتهم والاشتباك مع الطائرات المغيرة ولكن بأعداد محدودة نظرا لتخريب الممرات ، وهكذا كانت بداية الضربة الأولى بداية غير متوقعة ، ولسوء الحظ أن حتى القائد العام ومعه قائد القوات الجوية وكبـار المعـاونين كانوا بين السـماء والأرض وكان قائد الجبهة وقادة التشكيلات بعيدين عن مراكز قياداتهم ويبحثون عن وسيلة غير طائرات الهليوكوبتر للعودة الى مراكز قيادة وحداتهم .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ للفريق صلاح الحديدى - ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

« حرب الخامس من يونية ١٩٦٧ »

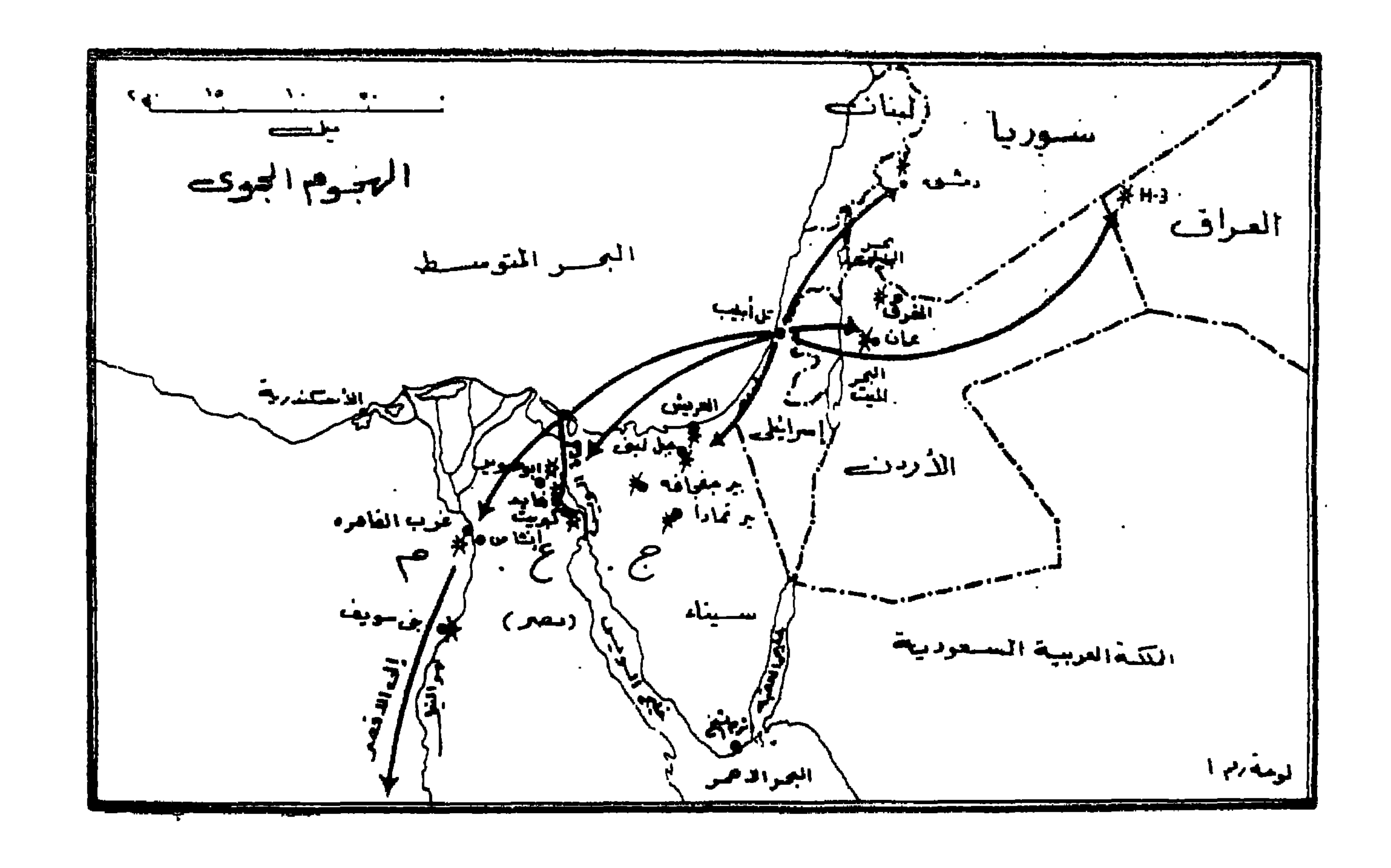
ـ الضربة الأولى …

في يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ـ وفي الساعة ٧ر٤٥ (١) (السابعة وخمس وأربعين دقيقة) صباحا ، أخذت الطائرات الاسرائيلية تقلع من قواعدها الجوية في تشكيلات من طائرتين أو ست أو ثماني طائرات وكان الاقلاع يختلف باختلاف حجم وأهمية الهدف المحدد ضربه ، وكان أول ما أقلع هو تشكيل من طائرات الفوتور القاذفة المقاتلة وكانت وجهتها هي أبعد الوجهات وهدفها القاعدة الجوية المصرية في الأقصر وكان هذا هو مفتاح الخطة الرئيسية للقضاء على أخطر جانب من القوات المصرية القادرة على ضرب اسرائيل بالقاذفات الطويلة المدى ، وكان الهجوم الجوى الاسرائيلي موحد التوقيت وموجها ضد احدى عشرة قاعدة جوية مصرية وقد تم تنسيق وقت الطلعات على أساس أن تصـــل كل التشكيلات للموجة الأولى الى أهدافها في وقت واحد ويستمر الضرب على كل قاعدة لمدة ثمانين دقيقة ثم يلي ذلك فترة عشرين دقيقة هدوءا ليستأنف الهجوم بالموجة التالية على نفس الأهداف مرة أخرى ولمدة ثمانين دقيقة أخرى ، وكانت المدافع الأربعة عيار ٣٠ مم المركبة على كل طائرة من طائرات الفوتور الاسرائيلية هي التي قضت على الطائرات (ت ـ ى ـ ١٦) المصرية في الأقصر والتي يبلغ مداهـــا ٣٠٠٠ ميل ، وحدث نفس الشيء في كل القواعد (٢) العشر الأخرى ـ بعد التعديل الذى أجراه الاسرائيـــليون في طـــائرات الميراج الفرنسية والسوبر ميستير ـ حيث كانت تحمل كل منها مدفعين عيـــار ٣٠ مم بدلا من صواريخها الأصلية وبذلك قضى الاسرائيليون على القوة الجوية المصرية بنيران المدافع عـــلاوة على واجب رئيسى لهذه الطـــائرات الاسرائيلية بالبدء أولا في دك ممرات الطائرات المصرية ورشقها في نفس الوقت حتى شبت النيران في الطائرات المصطفة وهي رابضة على أرض المطارات ، واتخذت الطائرات الاسرائيلية المغيرة على القواعد المصرية خطة تحقق لها المفاجأة وذلك باتخاذ خط طيران طويل صوب الغرب وفوق البحر وعلى ارتفاعات تتراوح ما بين ٥٠ ، ١٠٠ قدم ، لتفادى التقاط الرادار المصرى ولتفادى صواريخ سام البعيدة المدى وكانت هذه الطائرات تصل

---

(١) كتاب Swift Sword للمؤلف Brig Gen S.L.A. Marshal ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٤ .



الهجوم الجوى
ميل
البحر المتوسط
لبنان
سوريا
دمشق
العراق
H-3
تل أبيب
عمان
المفرق
البحر الميت
إسرائيل
الأردن
الاسكندرية
العريش
جبل لبنى
بير جفجافه
بير تمادا
غرب القاهرة
إنشاص
بنى سويف
(مصر)
سيناء
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
لوحة رقم ١

الى النيل من الغرب ، أما القواعد الاحدى (١) عشرة التى اتخذت أهدافا فهى قواعد العريش وبئر جفجافا وبئر تمادة وجبل النبى فى سيناء وقواعد أبو صوير وكبريت وفايد فى منطقة القناة ، وقواعد انشاص وغرب القاهرة وبنى سويف والأقصر فى وادى النيل ، وتسبب تدمير هذه القواعد بما فيها من طائرات صدمة لمصر تسببت فى حالة من الشلل الكامل سواء فى سلاحها الجوى أو فى قيادتها العليا العسكرية والسياسية .

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه هذه الخطة تنفذ بطائرات اسرائيلية ، كانت هناك قوات أرضية اسرائيلية كبيرة مدرعة متجهة أرضا ناحية قطاع غزة وناحية أم كتاف (قطف) احدى الحصون الرئيسية والمحاطة بسلسلة من التلال المرتفعة والفهود الرملية التى يصعب اجتيازها وكذلك فى اتجاه الكونتيلا فى جنوب سيناء وتخصص لهذه القوات الاسرائيلية لمعاونتها القوة الجوية الاسرائيلية المتمركزة فى مطار بئر سبع لتدعيم الهجوم المدرع فى سيناء .

ـ الغطاء الجوى الأمريكى ..

وبينما كان الطيران الاسرائيلى يقوم بتنفيذ خطة الهجوم (٢) الجوى المفاجىء والمدبر بدقة وتركيز بفضل حصول اسرائيل على تفاصيل خطة الضربة الجوية الأولى على مصر سنة ١٩٥٦ ، كان الجانب الأمريكى يقوم بطائراته من حاملتى الطائرات الأمريكيتين (ساراتوجا) و (أمريكا) الرابضتين أمام أشدود وحيفا بعمل مظلة جوية كاملة لحماية وتأمين اسرائيل وبصفة خاصة القواعد الاسرائيلية التى قامت طائراتها بالضربة الأولى ضد مصر .

ـ تعهد اسرائيل عدم التعرض لدول الدفاع المشترك ..

وطول مدة دك القواعد الجوية المصرية الاحدى عشرة صباح يوم ٥ يونية ـ وكانت حوالى ثلاث ساعات ونصف الساعة ـ لم تقم الطائرات الاسرائيلية بضرب القواعد الجوية فى الأردن أو العراق أو فى سوريا خشية أن تقوم احدى القواعد العربية كرد فعل بتوجيه ضربات جوية الى اسرائيل نفسها وقت انشغال الطائرات الاسرائيلية بدك القواعد الجوية المصرية ، وبعد أن تأكدت (٣) اسرائيل أنها قد كسبت المعركة الجوية

---

(١) كتاب Swift Sword للمؤلف Marshall ـ ص ٢٤ ـ ٢٧ .

(٢) دراسة (دونالدنيف) ، (ستيفن جرين) ـ من مراجع كتاب الأستاذ / حسنين هيكل رقم ٢ ، ٣ ، ٤ حلقة ٢٥ ـ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٥ ص ٨ .

(٣) كتاب Swift Sword ـ للمؤلف العسكرى الأمريكى Marshall مارشال ص ٢٩ .

فى الجبهة المصرية ، ففى حوالى الساعة ١١٠٠ بدأت فى تحويل القاذفات والمقاتلات من بئر سبع الى سيناء لتدعيم هجوم الفرق المدرعة ، وفى حوالى الظهر بدأت اسرائيل فى الهجوم على القواعد الجوية فى سوريا والأردن والعراق واستمر هذا الهجوم باقى نهار يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ، علما بأن هذه القواعد كانت قد انتهت بعد ساعة واحدة من الهجوم ، أما القاعدة الجوية العراقية (هـ ٣) ـ على طول خط الأنابيب والى الشرق من حدود الأردن ـ فقد أمطرت بالرصاص ولم يهاجم مطار الحبانية لوجوده خارج مدى القاذفات الاسرائيلية ٠

وقد قام الطيران الاسرائيلى بطلعاته التى بلغت ٤٩٢ طلعة دمر فيها ٤٠٢ طائرة عربية على الأرض وحدث ١٣١ اشتباكا جويا بالقرب (١) من السويس وفوق سيناء وفقد الطيران الاسرائيلى ٢٥ طيارا بطائراتهم بفعل النيران الأرضية المصرية والى وقت انتهاء الطيران الاسرائيلى من القضاء على معظم الطائرات المصرية فى قواعدها وتخريب ممرات الطائرات فى هذه القواعد جميعها وذلك فى حوالى الساعة الواحدة ظهرا كانت الخطوط العسكرية المصرية الأرضية لا تعلم أى أنباء عن هذه الكارثة ، بل بالعكس كانت الاذاعات العربية تنقل لها أخبارا خاطئة بأن كثيرا من الطائرات الاسرائيلية قد تساقطت ٠

ـ فى صباح ٥ يونية ١٩٦٧ ٠٠

عرف عبد الناصر أن اسرائيل قامت بالضربة الجوية الأولى المنتظرة بمجرد دك القواعد الجوية ، ولم تفصح التقارير (٢) التى يتلقاها عن مدى نجاح هذه الضربة وبدت المعلومات التى وصلته مرتبكة ومشوشة فحاول الاتصال بقائد الدفاع الجوى ولم يجده فى مقر قيادته وكان يعلم أن المشير عامر كان فى طريقه الى الجبهة ٠

وفى الساعة التاسعة والنصف بدأ يشعر بالقلق ولكنه اطمأن بعض الشىء عندما علم أن المشير عامر قطع رحلته الى الجبهة وعاد الى مقر قيادته بالقاهرة ، ولما مر وقت طويل على وصول عامر دون أن يتصل بعبد الناصر فقد تولاه القلق ، وكان حريصا على ضرورة معرفة آخر التطورات وحجم خسائر القوات المصرية ، فقد توجه بنفسه الى مقر القيادة العليا فى الساعة الحادية عشرة من صباح ذات اليوم ٥ يونية فلاحظ الارتباك الشديد وتهرب عبد الحكيم عامر من الرد على استفسار عبد الناصر عن حجم خسائر القوات الجوية المصرية نتيجة الضربة الأولى واكتفى عبد الحكيم بذكر

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٣٠ ٠

(٢) الحلقة ٢٩ من حلقات كتاب « الانفجار » ـ للأستاذ / محمد حسنين هيكل ـ أهرام ١٩٩٠/٧/٤ ـ ص ٨ ، ٩ ٠

خسائر اسرائيل ، ولاحظ عبد الناصر المبالغة فى حجم الخسائر الاسرائيلية دون أن يجيب عامر على سؤال عبد الناصر عن أهم ما يشغل باله وهو حجم الخسائر المصرية حتى يطمئن على مدى قدرة السلاح الجوى المصرى فى الرد بالضربة الثانية والتى كان يعول عليها فى احداث التوازن (١) اللازم ، وبذلك تأكد أن عبد الحكيم عامر يتعمد اخفاء أشياء فى غاية الأهمية عن عبد الناصر بالنسبة لأمن البلاد عامة ، وأثناء وجود عبد الناصر فى مقر القيادة وصلت معلومات من وزارة الداخلية تفيد أن عددا كبيرا من حطام الطائرات الاسرائيلية قد سقطت فى عدة مناطق بمختلف أنحاء مصر ، فألح عبد الناصر على عبد الحكيم فى طلب المعلومات الكاملة عن حجم الخسائر المصرية ليستوثق من امكانية الاستعداد لتوجيه الضربة الثانية ٠

وفى الساعة الواحدة والنصف ـ بعد ظهر ذات اليوم ـ وصلت المعلومات الى عبد الناصر وهو فى مقر القيادة عندما سلمه شمس بدران وزير الحربية ورقة عبارة عن كشف مبين به حجم الخسائر المصرية ، وعندئذ أحس عبد الناصر بهول الكارثة فأدرك فى الحال أنه لن تكون هناك ضربة ثانية أو ثالثة ، كما أحس بصعوبة وخطورة موقف القوات المصرية البرية المقاتلة والمنتشرة فى الصحراء المكشوفة وما ستواجهه هذه القوات من مخاطر مهولة فى الساعات التالية فى مواجهة تفوق الطيران الاسرائيلى فوقها دون أن يكون فى مقدورها الاعتماد على أى غطاء جوى ، وكانت البلاغات العسكرية المصرية تبالغ فى أعداد الطائرات التى فقدتها اسرائيل معتمدة فى ذلك على احصاء حطام كثير من خزانات الوقود الاحتياطية التى كانت تتخلص منها الطائرات الاسرائيلية المغيرة باسقاطها لتخفيف حمولتها عند عودتها الى مطاراتها فى اسرائيل بعد الانتهاء من شن غاراتها والتى مكنتها من الوصول الى عمق مصر والوصول الى جميع القواعد الجوية المصرية فى الدلتا والصعيد ٠

ونتيجة لهذه البلاغات العسكرية المصرية المبالغ فيها ـ والمخالفة للواقع وللمنطق وللحقيقة ـ فقد كانت النتيجة منذ اليوم الأول للمعركة هبوطا معنويا بالغا وقاسيا أصاب نفسية الجماهير التى كانت تتابع البلاغات بحماس شديد ٠

أما فى بعض القواعد الجوية المصرية فقد تمكن ثمانية من الطيارين الجاهزين (٢) للاشتباك ، تمكنوا من الاقلاع بطائراتهم واشتبكوا مع بعض الطائرات الاسرائيلية المغيرة واستشهد بعضهم فى هذه الاشتباكات ٠

---

(١) مذكرات السيد / عبد اللطيف البغدادى ـ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ ٠

(٢) اعترافات قادة حرب يونية ١٩٦٧ ـ للأستاذ / سليمان مظهر ـ ص ١٤٦ ٠

- ما بعد الضربة الأولى ..

وبعد الضربة الأولى الجوية الاسرائيلية والتى وجهت لجميع القواعد الجوية المصرية ، عاد قائد السلاح الجوى المصرى « الفريق أول محمد صدقى محمود » الى غرفة العمليات الجوية ، وكانت جميع محطات الرادار تؤدى عملها الا أنها كان فيها تداخل جامنج Jaming « شوشرة » ، وتمكنت بعض الطائرات المصرية من الاقلاع سواء قبل الضرب أو أثناء الضرب من قواعد المالييز وأبو صوير وفايد وكبريت وانشاص ، وتمكنوا من الاشتباك مع الطائرات الاسرائيلية المغيرة وتمكنوا من اسقاط بعض هذه الطائرات كما سقطت فى هذه المعركة الجوية بعض الطائرات المصرية ولم تتمكن كل هذه الطائرات المصرية من الهبوط - بعد انتهاء مهمتها - فى ممرات قواعدها لأن جميع الممرات كانت قد دمرت وتخربت بفعل القنبلة الحديثة (١) التى لم تكن معروفة من قبل والتى كانت تسقطها الطائرات الاسرائيلية بالباراشوت وتنفجر فور اصطدامها بالأرض ويتسبب عن انفجارها حفر عميقة ومتسعة تعوق أى اقلاع أو هبوط لأية طائرة مما اضطر بعض الطائرات المقاتلة المصرية الى الهبوط الاضطرارى واستشهد طياروها أثناء الهبوط نتيجة لوجود الحفر .

- اصلاح الممرات والمطارات فى نفس اليوم ..

وبفضل المجهودات الشاقة التى بذلها المهندسون (٢) والعمال المصريون فقد استطاعوا اصلاح معظم الممرات الرئيسية والممرات الفرعية فى جميع القواعد الجوية وانتهوا من هذا الاصلاح تماما فى فجر يوم ٦ يونية ، وفى نفس اليوم أمكن تركيب الطائرات « السوخوى » التى كانت فى صناديقها فى مطار غرب القاهرة .

- دقة المعلومات التى كانت لدى اسرائيل ..

قبل الضربة الأولى بيومين فقط تم نقل طاقم صواريخ بموقع قرب كبريت ..

وفى أثناء الضربة الأولى أسقطت احدى الطائرات الاسرائيلية المغيرة ووجد بها خريطة مع جثة قائد التشكيل الجوى الاسرائيلى ووجد على الخريطة موقع طاقم الصواريخ الذى كان قد نقل حديثا من يومين مبينا على حالته الجديدة كما وجد عليها تحديد دقيق لجميع مواقع الصواريخ والرادارات المصرية ، وعندما اطلع الفريق صدقى محمود على هذه المعلومات المدونة بهذه الخريطة أصيب بحالة فزع شديدة (١) من مدى دقة هذه المعلومات والسرعة فى الحصول عليها ، وكان هذا راجعا الى المعاونة

---

(١) المصدر السابق - اعترافات الفريق / صدقى محمود - ص ١١٧ - ١١٩

(٢) المصدر السابق - اعترافات الفريق / صدقى محمود - ص ١٢٠ - ١٢٢ .

الأمريكية البالغة لاسرائيل وبأحدث الأجهزة الاليكترونية وبفضل هـذا الاستكشاف الأليكتروني السابق الوقوف عليــه منذ كشف عملية هذا الاســتطلاع الاليكتروني يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ ، وبطبيعة الحال كان لدى اسرائيل معلومات عن أوضاع قواتنا حتى آخر لحظة قبل الضربة الأولى مباشرة. بالاضــافة الى امكانات التشويش على الرادارات المصرية وأجهزة اتصالاتنا العسكرية ·

ـ الزحف الأرضي الاسرائيلي ··

بعد الضربة الجوية الاسرائيلية للقواعد (٢) الجوية المصرية ، ركزت

---

(١) اعترافات قادة حرب يونية ١٩٦٧ · اعترافات الفريق / صـدقي محمود ـ ص ١١٦ ·

(٢) كتاب السيف السريع القاطع Swift Sword لمؤلفه الكاتب العسـكرى الأمريكى Brig Gen ـ الجنرال س·ل·ا·مارشال (S.L.A. Marshall) وهو ضابط أمريكى منذ الحرب العالمية الأولى ومحلل عسكرى وله كتاب عن حرب ١٩٥٦ تحت اسم (انتصار الصحراء) ، وجاء كتابه الأخير Swift Sword سردا لعمليات حرب ١٩٦٧ فى جبهات القتال الثلاث الأردن وسوريا ومصر مؤسسا على المعلومات التى قدمها له القادة الاسرائيليون ـ وهو رغم محاولته أن يكون موضوعيا ـ الا أن الروح المتميزة لاسرائيل بارزة جدا بين سطور كتابه وخاصة عندما كانت تجيء سيرة القوات المصرية أو العربية فكان يذكرها بالعـدو أو بالأعـداء أو بأعدائنـا Our energy ويلحظ قارىء هذا الكتاب ـ رغم وصف المعارك تفصيليا ـ الا أنه أبرز بشكل مبالغ فيه براعة القادة الاسرائيليين ودقة تخطيطهم وحسن استخدام القوات التى تحت قيادتهم فى الميادين الثلاثة والتركيز فى بعض المراحل على استخدامها كلها أو معظمها فى المعارك الهامة والحاسمة لتوفير القوة اللازمة فى الوقت والمكان المناسـبين ، كما كان يبرز ويبالغ فى حجم الخسائر التى كبدتها اسرائيل للقوات العربية ، وهو يعتبر مرجعا مهما وخاصة أنه لم يستطع أن ينكر دور الجندى المصرى ودفاعه فى سيناء اذ تمكنت قوات الدفاع المصرية من القتال بعنف ضد الجيش الاسرائيلى رغم تمتع الجيش الاسرائيلى بالمساعدة الجوية وحمايتها والتى حققت لاسرائيل الهيمنة على ساحة القتال والتى حرمت منها تماما القوات المصرية المدافعة فى سيناء وكذلك كان نفس الدور لقوات الأردن وسوريا ·

ودلالة على ذلك أن ما جاء بكتابه هذا عن شجاعة القوات المصرية فى القتال والدفاع لا يمكن أن يعتبر تحيزا كما لو أنه جاء على لسان وبأقلام المؤلفين والمؤرخين من العرب ، ويتضح هذا الجانب من الحق فى تعبيره ـ دون أن يقصد ـ على أن المصريين دافعوا برجولة وعناد ـ رغم قسوة ظروفهم ـ بعد الضربة الجوية الاسرائيلية المفاجئة ورغم استخدام القوات الاسرائيلية لأحدث الأساليب العسـكرية والتكنولوجية فى الحرب الحديثة ·· وهـذا الكتاب هو ترجمة جهـاز المخـابرات العـامة المصرية للأصـل الانجليزى تحت رقم ١٨/١٩٩ وقد أصدرته مجلة « التراث الأمريكى » بالاشتراك مع مؤسسة « الصحافة الدولية المتحدة » تحت عنوان : السيف القاطع Swift Sword وكانت مادته هى المعلومات التى قدمها للكاتب الأمريكى قادة اسرائيل ·

القيادة العسكرية الاسرائيلية فى زحفها الأرضى بالبدء بالهجوم أولا على قطاع غزة ، على أساس أن هذا القطاع مهما كانت قوة دفاعاته فهو عبارة عن شريط يسهل شطره فاتجهت القوات المدرعة الاسرائيلية الى الطرف الغربى من القطاع وقوبلت بمقاومة عنيفة من المدافعين (١) المصريين والفلسطينيين فأصيب الاسرائيليون بخسائر كبيرة فى مدرعاتهم خاصة عندما تورطت فى حقول الألغام المصرية ، ولذلك بادرت القيادة الاسرائيلية بتغيير خطتها وذلك بالدوران حول الجناح المصرى المفتوح الى الجنوب فتقدمت القوات الاسرائيلية بلواءين مدرعين وكتيبتى مظلات وتحركوا خلال الكثبان الرملية ، وللمرة الثانية تعثر تقدمهم بعد أن قوبلوا بمقاومة عنيفة من قوات المشاة الدفاعية المصرية ، ولذلك صرف القائد الاسرائيلى الجنرال « تال » النظر مؤقتا عن القتال فى قطاع غزة واتجه الى خان يونس وكانت أضعف الدفاعات المصرية فيها ، وقامت الطائرات الاسرائيلية بالمعاونة الجوية المركزة والتى كانت وقتها قد أتمت بالكامل ضرب القواعد الجوية المصرية فأنقذت الموقف (٢) الاسرائيلى الصعب وتمكنت طائرات الفوجا الاسرائيلية من اتمام التدمير لخط دفاع خان يونس واستولت القوات المدرعة الاسرائيلية على خان يونس سعت ١٧٠٠ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وكانت جثث القتلى من جنود المظلات الاسرائيليين متناثرة على أرض المعركة ، واستأنفت القوات المدرعة الاسرائيلية تقدمها من قطاع خان يونس الى موقع الشيخ زويد والالتفاف حول رفح ٠

وقامت قوات اللواء ٦ مشاة المصرى ـ فى تقاطع الطرق (الماسورة) ـ بالقتال العنيف ضد القوات المدرعة الاسرائيلية رغم تقديم العون لها من الطيران الاسرائيلى (٣) ، وازاء ذلك أمر الجنرال تال بترك رفح والانضمام الى قوات اسرائيلية أخرى كانت مشتبكة (٤) مع قوات محصنة ومزودة بالمدفعية جنوب رفح ، وقامت طائرات الفوجا الاسرائيلية أيضا بتدمير هذا الموقع وبتركيز ، وفى الساعة ١٩٠٠ مساء ٥ يونية استسلمت القوات المصرية فى الشيخ زويد بفضل المعاونة الجوية الاسرائيلية وفى غيبة من سلاح الطيران المصرى (٥) الذى لم يظهر له أى وجود وتمكنت القوات الاسرائيلية ليلا من الوصول بالقرب من الحافة الشرقية للعريش ولكن

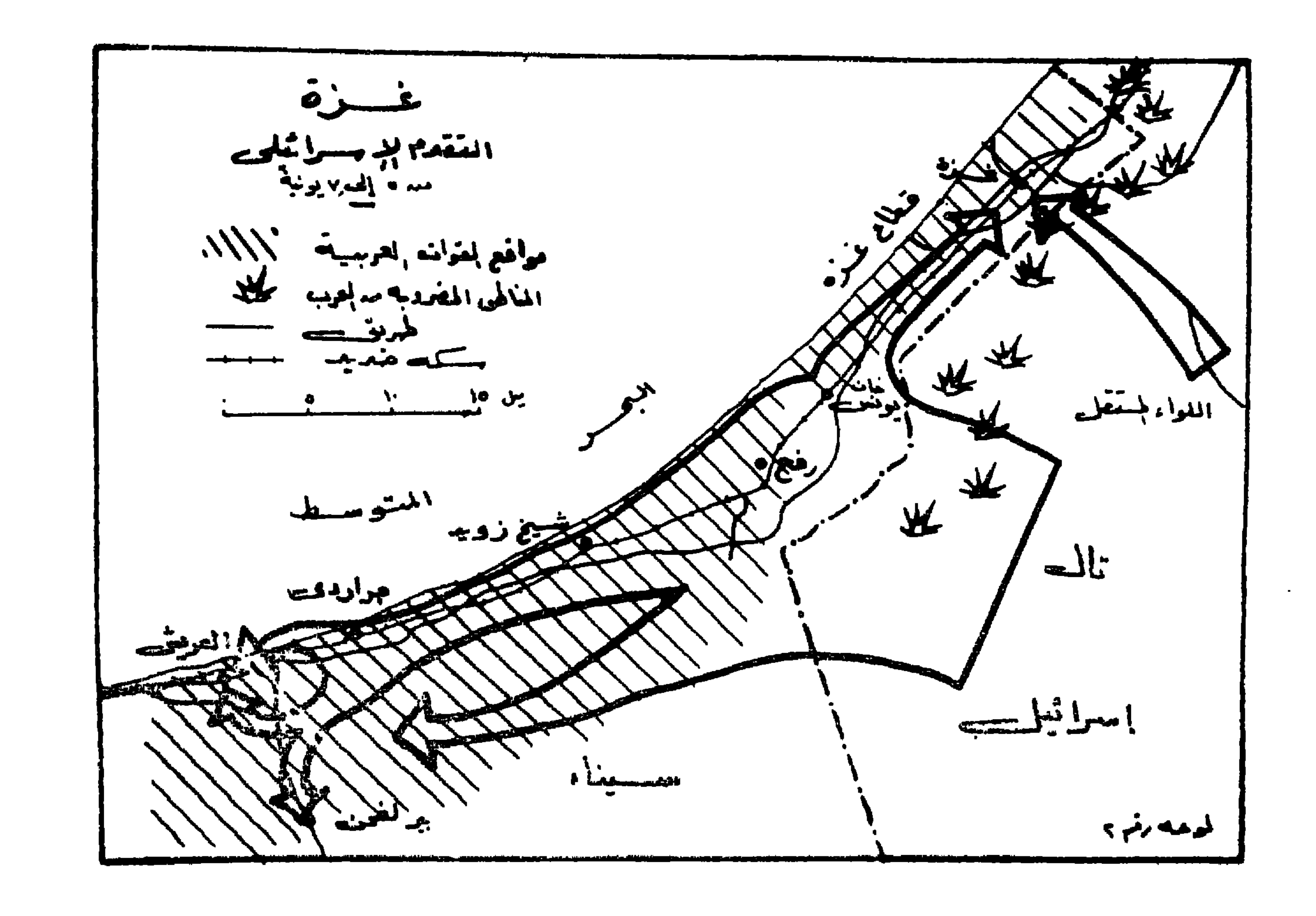
---

(١) المصدر السابق ـ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ٠

(٢) المصدر السابق ـ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ٠

(٣) ، (٤) كتاب (الضربة الخاطفة) Swift Sword ـ للكاتب الامريكى العسكرى مارشال ـ ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ٠

(٥) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ـ تاليف فيصل عبد المنعم ـ ٢١٠ ، ٢١١ ٠



غـزة
التقدم الإسرائيلي
من ٥ إلى ٧ يونية
مواقع القوات العربية
المناطق المضروبة من الجو
طريق
سكة حديد
ميل ١٥ ١٠ ٥
البحر
المتوسط
قطاع غزة
غزة
خان يونس
رفح
شيخ زويد
جرادي
العريش
بير لحفن
سيناء
إسرائيل
تال
اللواء المستقل
لوحة رقم ٢

جانبا كبيرا من هذه القوات الاسرائيلية غاصت دباباتها فى الرمال وهى على مشارف مدينة العريش ولم تتمكن من الاستيلاء على المدينة ، وانتهى يوم ٥ يونية والقوات الاسرائيلية متوقفة ليلا على مشارف مدينة العريش وكان موقفها بالغ السوء حيث كانت معظم الدبابات الاسرائيلية مصابة وبدون وقود تقريبا رغم انها كانت تستعد لاستئناف القتال فى صباح اليوم التالى ٠

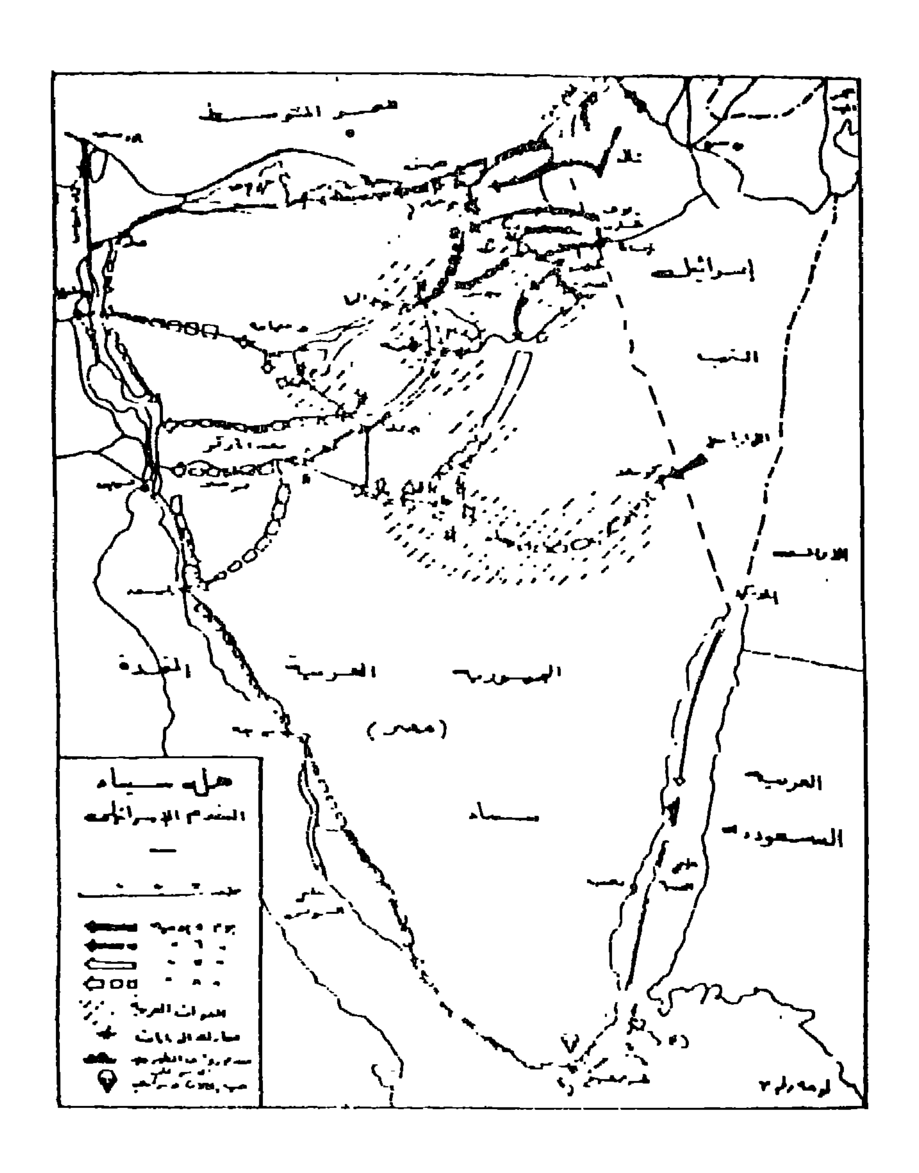
وفى نفس يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ٠٠ تجمع فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية كل من : عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين من الضباط الأحرار وانضم اليهم الرئيس جمال جمال عبد الناصر في وقت متأخر ، وطلب عبد الناصر من المشير عبد الحكيم عامر أن يطمئنه على قطاع غزة لأنه كان يعتقد أن اسرائيل تعتبر استيلاءها على هذا القطاع هو من أهم أهدافها (١) حتى يمكنها من المساومة به مقابل شرم الشيخ ، وألح عبد الناصر فى سؤاله عن أخبار الجبهة وكان المشير عامر يتهرب من الاجابة على أسئلة الرئيس عبد الناصر ، وبعد فترة من الوقت قدم شمس بدران للرئيس عبد الناصر تقريرا مكتوبا (٢) كان على مكتب المشير عبد الحكيم وقال انه : « خط سير العمليات » ، وأخذ عبد الناصر التقرير وباطلاعه عليه ظهرت على وجهه علامات القلق الشديد ، وفجأة نظر عبد الناصر الى عبد الحكيم وقال له : « ان خان يونس سقطت ومدينة رفح محاصرة والاتصال بها مقطوع وغزة تهاجم » ٠٠ ، وطلب عبد الناصر ـ قبل أن ينصرف فى آخر الليل ـ قائلا : « لابد لنا أن نعرف الموقف على حقيقته لأن على ضوئه سنأخذ قرارنا على الاقتراحات المقدمة الى مجلس الأمن » ٠٠٠

وانتهى مساء يوم ٥ يونية ١٩٦٧ والموقف العسكرى المصرى يبشر بمزيد من القلق والمتاعب ـ رغم قوة دفاعاتنا فى سيناء ـ خاصة بعد الضربة الجوية الاسرائيلية الساحقة التى وجهت للطيران المصرى والذى بدونه ستكون العملية الدفاعية ممكنة ولكنها صعبة اذ لابد من انتهاء المعركة بأفدح الخسائر مع صعوبة واستحالة استعواض الخسائر فى الطيران المصرى سواء من الاتحاد السوفييتى أو من الدول الصديقة ٠

---

(١) مذكرات السيد / عبد اللطيف البغدادى ـ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ ص ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ٠



البحر المتوسط
إسرائيل
النقب
الجمهورية العربية
(مصر)
سيناء
الغردقة
العربية
السعودية
التقدم الإسرائيلي

٠٠ وفي ذات صباح يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ٠٠ في الساعة ٨١٥ ٠٠ (القطاع الأوسط المصرى) ٠٠٠

تحركت قوة اسرائيلية تقدر بفرقة (١) بها لواءان من المشاة ولواء مدرعات وكتيبة دبابات وست كتائب مدفعية متجهة الى (أم كتاف) ، ولكن مقدمة (٢) هذه القوة الاسرائيلية خرجت مبكرة واشتبكت مع مركز مراقبة مصرى يحتل موقعا حصينا في تبة (أم بسيس) ولما كانت تعتبر موقعا منعزلا فقد نازلتها القتال وكان ذلك في الساعة ٧٣٠ قبل بدء القذف الجوى الاسرائيلي الشامل بحوالى ٩٠ دقيقة ، وقد حدث اهمال من المصريين في نقل أخبار هذا الاشتباك المبكر والذى كان من الممكن أن ينبه المصريين لمقدمات ما هو أخطر وبذلك كان من الممكن تقليل حجم الضربة الأولى وكان من الممكن أيضا اعتبار هذه الواقعة انذارا مبكرا على ضوئه كان في الامكان اتخاذ احتياطات ضرورية ٠

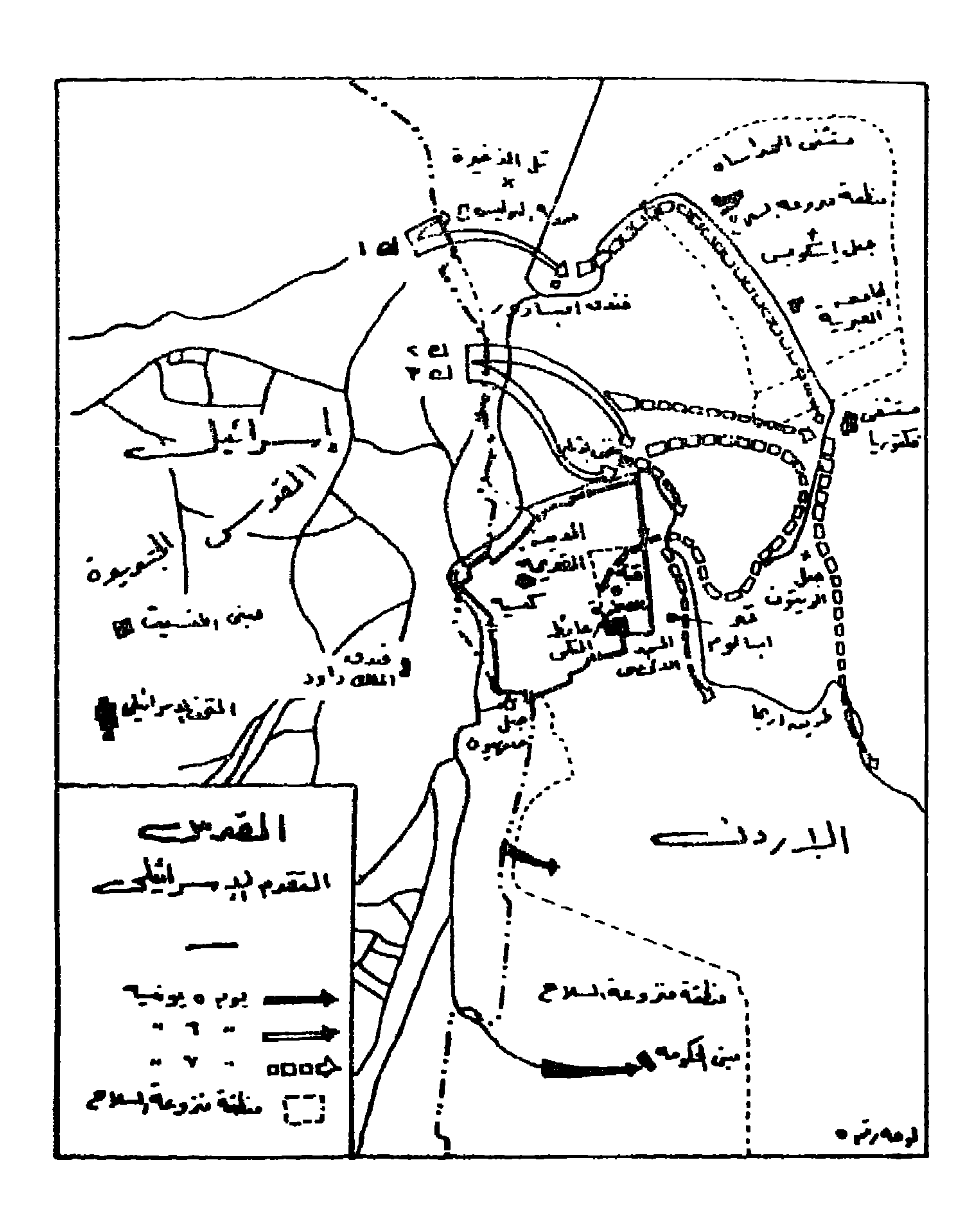
وعموما فان هذه القوة الاسرائيلية الرئيسية التى توجهت الى (أم كتاف) تعمدت الصمت والتوقف عن القتال واستمرت خارج الحدود المصرية انتظارا لنتيجة الضربة الجوية الأولى ولم تبدأ في مناوشة (٣) المواقع المصرية أمام أم كتاف الا وقت الظهر — وكان موقع أم كتاف يعتبر أقوى المواقع المصرية في سيناء والذى كان من الصعب تطويقه وكان به ثلاثة خطوط دفاعية حصينة تحدها الكثبان الرملية العالية من كل جانب والتى تمتد لمسافة تزيد على الميل ، وكان بهذا الموقع أربع كتائب مشاة وست كتائب مدفعية وأكثر من مائة دبابة علاوة على قوات أخرى تحتل مواقع أمامية في المقدمة وكلها محاطة بنطاق كبير من حقول الألغام وانتشرت قوات اسرائيل أمام وحول موقع أم كتاف على طول خط بير الحسنة — نخل، وحاولت القوة الاسرائيلية الهجوم على بعض المواقع المصرية الحصينة — أمام خطوط دفاع أم كتاف — فأحدثت بها خسائر كبيرة في الدبابات مما اضطر القوة المصرية للانسحاب منها على اثر ذلك بعد قتال مرير ، وبعد أن تناول الطابور الاسرائيلي اعادة تنظيم صفوفه استأنف القتال سعت ١٥٠٠ وغير خطته بمحاولة تطويق الموقع من اليمين وكان الهجوم هذه المرة بمساعدة طائرات الفوجا الاسرائيلية ، ولكن شدة نيران المدافع المصرية المضادة للطائرات جعلت هذه الطائرات والقوات الأرضية الاسرائيلية تعود

---

(١) كتاب — السيف القاطع — للكاتب العسكرى الأمريكى الجنرال س٠ل٠ مارشال ص ٥٧ ٠ Swift Sword ٠

(٢) كتاب شاهد على حرب ٦٧ — للفريق صلاح الدين الحديدى — ص ١٨٩ ٠

(٣) كتاب Swift Sword ٠ للكاتب العسكرى الأمريكى جنرال مارشال — ص ٥٨ ، ٥٩ ٠



تل الذخيرة
إسرائيل
القدس
الجديدة
الأردن
جبل الزيتون
منطقة منزوعة السلاح
مبنى الحكومة
لوحة رقم ٥
القدس
التقدم الإسرائيلي
يوم ٥ يونيه
" ٦ "
" ٧ "
منطقة منزوعة السلاح

من حيث أتت وفى طريق انسحابها التفت حول الجبهة المصرية الملغمة وأعادت الاشتباك معها سعت ١٧٣٠ فى منازلة أخرى عنيفة (١) مع قوة مصرية أخرى مما أخر تلاقى خمسة طوابير عسكرية اسرائيلية هجومية مشكلة من ثلاثة القطاعات كان من المفروض أن تتلاقى جميعا فى أم كتاف وقامت اسرائيل فى وقت متأخر من ليلة ٥ يونيـة ١٩٦٧ بتنفيذ خطة جديدة بعد تجميع معظم قواتها من ثلاثة القطاعات الاسرائيلية وبعد فترة راحة قصـيرة (٢) وفى سعت ٢٢٤٥ قامت جميع تشكيلات المدفعيـة الاسرائيلية بضرب مركز ومتواصل على خطوط الدفاع المصرية الثلاثة بمعدل سبعة آلاف طلقة فى ٢٠ عشرين دقيقة وكان عدد كبير من قوات المظلات والمشاة الاسرائيلية قد احتلت الكثبان الرملية بعد نقلهـا أثنـاء الليل بالطائرات الهليوكوبتر حيث بلغ عددهم ألفين انتشروا فى ثلاث مجموعات كل مجموعة تعمل ضد خط دفاعى مصرى واحد من الجانب فى الوقت الذى توقفت خلاله المدفعية الاسرائيلية طبقا لتوقيت زمنى مع قواتهـا المظلية وفى ذات الوقت أضاءت الأنوار الكاشفة الاسرائيلية مسرح القتال واستمر القتال المفاجىء يدا بيد لفترة طويلة حيث كان ذلك فى الساعات الأولى من صباح يوم ٦ يونية ١٩٦٧ ·

أما فى منطقة شرم الشيخ فى يوم ٥ يونيـة ١٩٦٧ فلم تتعرض القوات المصرية ودفاعاتها الى أى هجوم (٣) اسرائيلى جوى أو أرضى ·

أما فى الأردن ·· يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ···

فلم تقم اسرائيل بأى تحرش عسكرى على الجبهة الأردنية منذ بدء هجومها الجوى على القواعد الجوية المصرية بل والتزمت الصمت اللاسلكى بالنسـبة للأردن الى ما بعد الظهر ووقتهـا أذاعت عمان أن الأردنيين احتلوا (١) دار الحكومة بالقدس القديمة ، وعندئذ تحركت كتيبة اسرائيلية شرقا لتنتزع هذا المكان من الأردنيين ، وبعد فترة انضم لواء الى القوات المهاجمة وتقدم الى الأردن على جانبى الطريق بين رام الله والقدس وانتهى القتال من أجل دار الحكومة فى الساعة ١٥٣٠ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ وكان عدد القتلى الاسرائيليين عشرة ، واستمر الأردنيون فى قصف مدينة القدس الجديدة بالمدافع ·

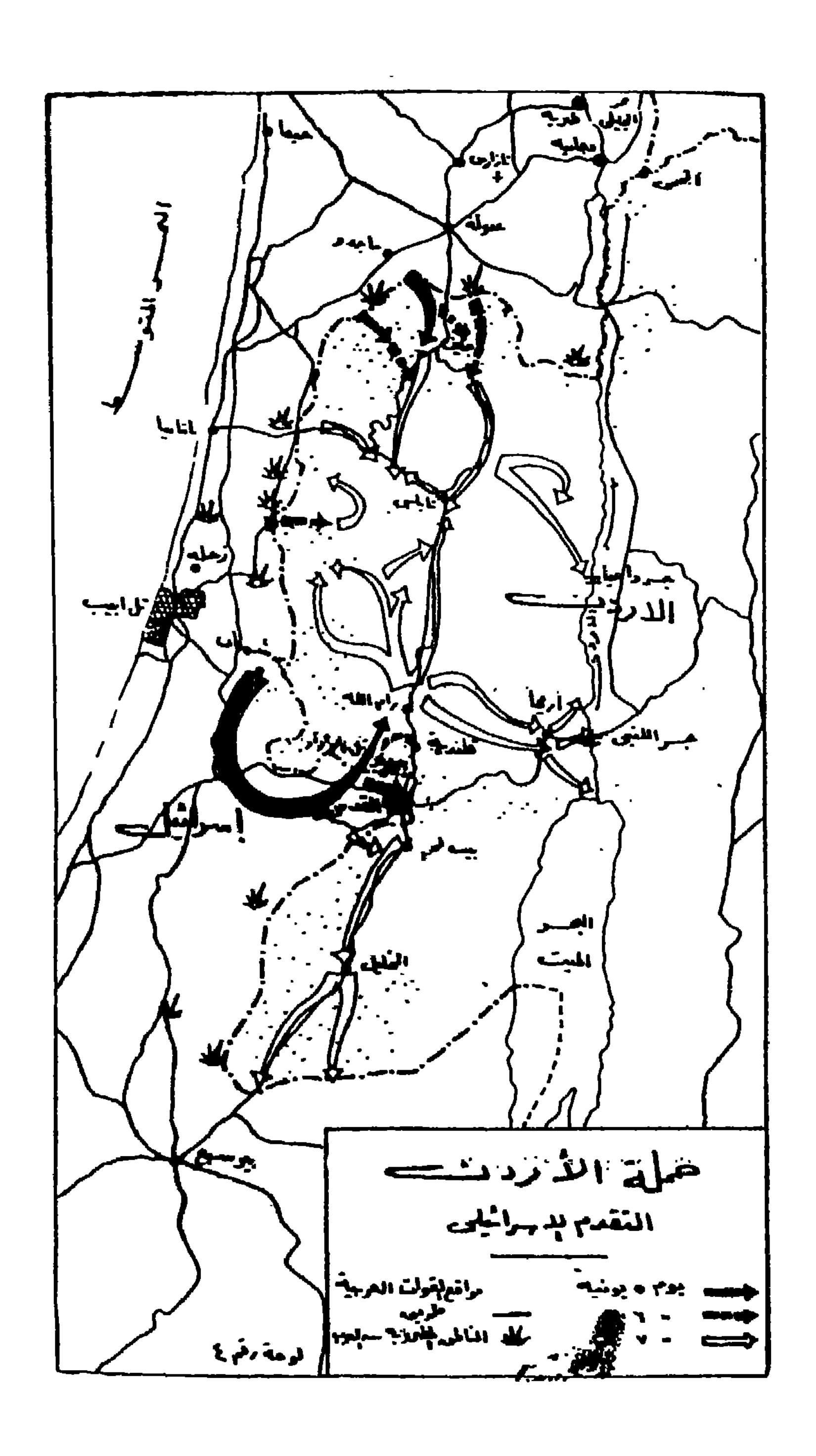
---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ ·

(٢) كتاب السيف القاطع — للجنرال الأمريكى مارشـال — ص ٦٣ ·

(٣) « حروب مصر المعاصرة » — لواء / عبد المنعم خليل — ص ٨٤ ·

(٤) كتاب السيف القاطع — للجنرال الأمريكى مارشال — ص ٩٥ الى ٩٨ ·


حملة الأردن
التقدم الإسرائيلي
مواقع القوات العربية
يوم ٥ يونيه
٦
٧
إسرائيل
الأردن
تل أبيب
البحر
الميت
جسر اللنبي
لوحة رقم ٤

وبعد ظهر يوم ٥ يونية حيث كانت سعت ١٣٢٠ تحركت قوات اسرائيلية قوامها لواء مدرع فى اتجاه القدس وانتشرت قواته على مسافة ٢٠ ميلا على طول الطريق الجبلى ووصلت الى مواقع حاكمة فى المساء ثم أعاد اللواء الاسرائيلى المدرع تنظيم نفسه لعملية الهجوم ولكن كان عليه أثناء هذه العملية الاستيلاء على حصنين قويين فى « تل اللاسلكى » و « رادار هيل » علاوة على تعثره فى حقول الألغام المنتشرة على الطريق وبدأ الهجوم الاسرائيلى سعت ١٩٣٠ وتمكنت القوات الاسرائيلية من الوصول الى أهدافها بعد قتال مرير بخسائر عشرين قتيلا وثمانين جريحا كما حدثت خسائر أخرى كبيرة فى الأرواح وفى الدبابات أثناء اجتياز حقول الألغام ولمدة ثمانى ساعات حيث توقف القتال آخر ليل ٥ يونية ١٩٦٧ ٠

أما فى سوريا ٠٠ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ٠٠٠

فلم يصدر من الجبهة السورية أى نشاط (١) ضد اسرائيل رغم بدء الحرب ضد مصر بالضربة الجوية الشاملة لقواعد الطيران المصرى ورغم أن سوريا كانت ــ مبكرا ومنذ شهر مايو ــ قد عززت جبهتها المنيعة على طول هضبة الجولان ــ وحددت اسرائيل قواتها اللازمة وقيادتها لهذه الجبهة ــ فأقامت قاعدتها فى الناصرة وكان كل شىء هادئا فى سوريا طوال يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ٠

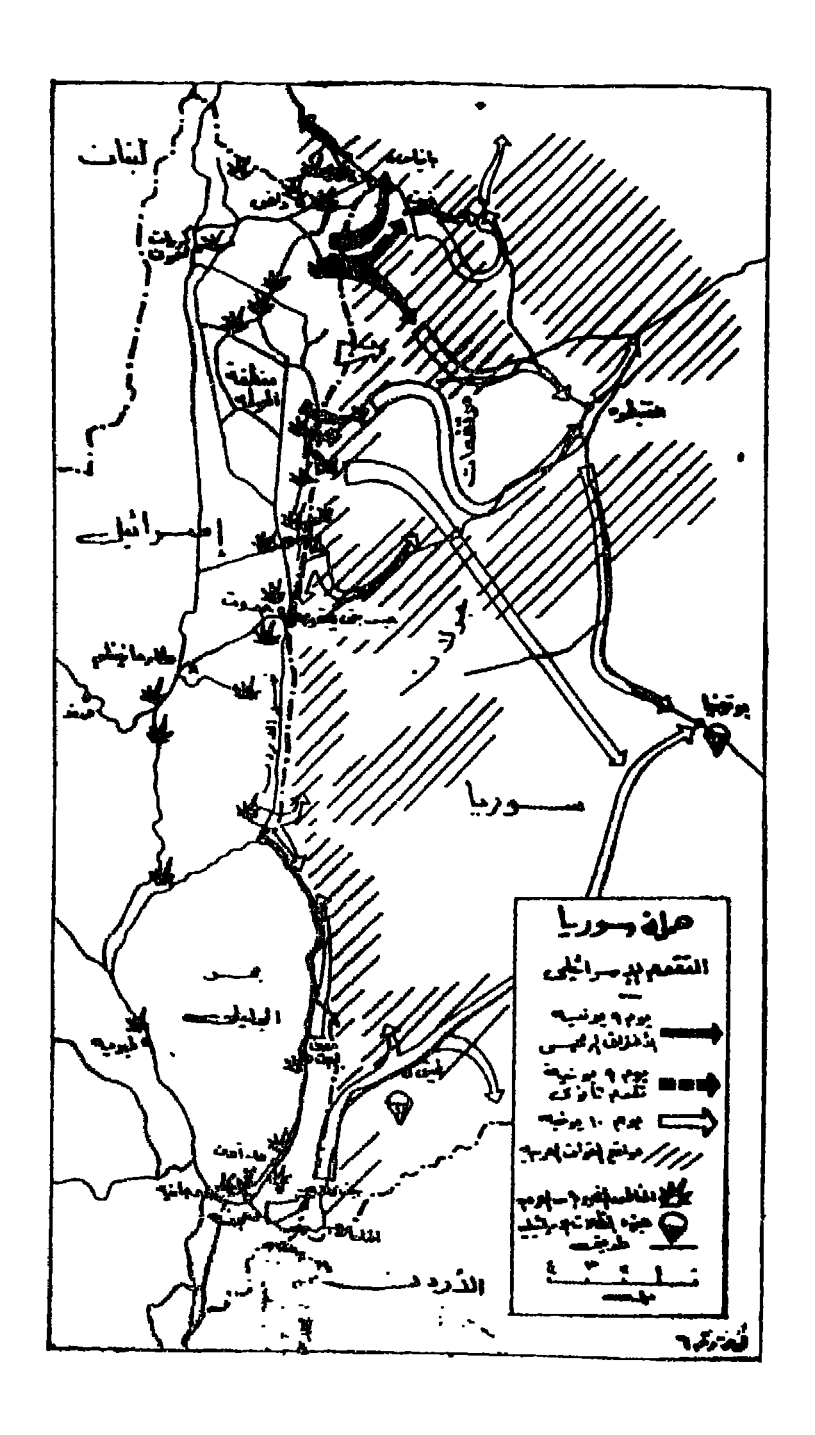
٠٠ فى مجلس الأمن ٠٠ يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ٠٠٠

فى هذا اليوم قرر مجلس الأمن ايقاف القتال مع عودة قوات كلا الطرفين الى الخطوط ــ السابقة لتاريخ ٤ يونية ١٩٦٧ ، ولم توافق (٢) مصر على أساس أنه حتى لو كانت مصر وافقت فان اسرائيل كانت ستستمر فى القتال حتى تحقق أهدافها ٠

---

(١) المصدر السابق ــ ص ١١٣ ٠

(٢) رأى الرئيس عبد الناصر أدلى به للسادة /عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم فى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة مساء يوم ٨ يونيه ١٩٦٧ ــ من مذكرات عبد اللطيف البغدادى ــ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ٠



لبنان
إسرائيل
سوريا
الأردن
بحر
الجليل
حملة سوريا
التقدم الإسرائيلي

.. وفى الساعة الثالثة صباح يوم ٦ يونية ١٩٦٧ ...

أبلغت جميع القوات الجوية المصرية أن ممراتها الفرعية قد أصلحت وكذلك بعض الممرات الرئيسية وأنه أصبح من الممكن الاقلاع من هذه المطارات ، وقام سرب الشهيد مدحت المليجى بضرب بعض مطارات اسرائيل كما قامت الطائرات السوخوى ـ التى تم تركيبها يوم ٥ يونية ـ بالاشتراك فى المعارك الأرضية للقوات المصرية فى بعض مناطق سيناء وقامت بعض هذه الطائرات بضرب القوات الاسرائيلية المتقدمة الى القناة بين بئر العبد ورمانة كطلب القيادة العليا وكانت الخسائر فى الطائرات المصرية حتى غروب يوم ٥ يونية حوالى ٧٠٪ (١) فقط ، ورغم التحسن فى الموقف العسكرى عموما فقد فوجئت القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى المصريين فى مساء يوم ٥ يونية ١٩٦٧ بصدور الأمر المفاجىء لهما بالانسحاب ـ بما فى ذلك ترك المعدات والعتاد الضخم والأسلحة الثقيلة .

.. وفى صباح يوم ٦ يونية ١٩٦٧ .. فى القطاع الشمالى ...

وأمام غزة ، كانت القوات الاسرائيلية أثناء الليل متوقفة (٢) عن القتال بعد أن انضم لها لواءان اسرائيليان من القوات التى احتلت قطاع خان يونس ـ أحدهما التف حول قطاع غزة من الغرب والآخر استعد للهجوم على المدينة من الشرق ـ وفى الصباح أطبقت كل هذه القوات ـ بعد أن انضمت اليها قوة محمولة على عربات نصف مجنزرة ـ واشتبكت فى قتال عنيف مع الفرقة العشرين الفلسطينية ، ولم تتمكن القوات الاسرائيلية طوال نهار يوم ٦ يونية ١٩٦٧ من الاستيلاء على قطاع غزة .

فى صباح يوم ٦ يونية سنة ١٩٦٧ (فى القطاع الشمالى)

كانت قوات الجنرال تال فى مساء ٥ يونيو (٣) سنة ١٩٦٧ فى موقف سيىء على مشارف العريش بعد الاصابات التى أصيب بها فكانت جميع دباباته قد أصيبت وخالية تقريبا من الوقود (٧٠ قتيلا وعطل ٦ دبابات وقتل ٣٥ من قادة دباباته وقتل قائد الكتيبة المدرعة بطلقة من قناص مصرى وأصيب ثلاثة من قادة السرايا) وكاد الخطر يقضى تماما

---

(١) اعترافات حرب يونية ١٩٦٧ للفريق / صدقى محمود ـ تجميع الأستاذ / سليمان مظهر ـ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) الضربة الخاطفة Swift Sword ـ للجنزال س.ل.أ. مارشال ـ ص ٥١ ، ٥٣ .

(٣) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ، تأليف فيصل عبد المنعم ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

على قـوات جنرال تال لولا تدخل الطيران الاسرائيــلى فى هذا الوقت العصيب .

وأثناء ظلام ليل ٥ يونيو وفى بئر جرادة أمام العريش تعرضت قوات الجنرال تال المبعثرة على مشارف العريش لهجمات المصريين من كل جانب واستعان تال بكتيبة مشاه ميكانيكية من قوات رفح ووصـلت الكتيبة فى منتصف الليل وقامت بهجوم على الموقع المصرى ودارت معركة عنيفة على ضوء القنابل والصـواريخ المصرية واستخدم فى هذه المعركة المريرة السلاح الأبيض وفى النهاية أصيب (١) المصريون باجهاد وأمكن لقوات تال فى السـاعة الثـالثة من فجر يوم ٦ يونيو فتـح ثغرة فى خطوط دفاع المصريين اندفعت فيها بقية مجموعة (تال المدرعة فى اتجاه العريش حيث تم (٢) احتلال مطار العريش الحربى فى الرابعة من صباح يوم ٦ بعد معركة مريرة بين الدبابات المصرية والدبابات الاسرائيلية ودمر قطار مصرى محمل بالذخائر وقد قام الطيران الاسرائيلى المسيطر على الجو بالمعاونة التى أنقذت قوات الجنرال تال وبفضل المعاونة الجوية استأنفت القوات الاسرائيلية القتال فى العريش نفسها وانتهى بقتال المنازل ومقاومة المصريين من بيت الى بيت الساعة العاشرة صباحا وبعد ذلك مباشرة قامت من العريش قوتان اسرائيليتان فى اتجاهين ومعهما بعض المدرعات واتجه أحد الطابورين الى الغرب على الطريق الساحلى واصطدمت هذه القوة مع قوة من الدبابات المصرية على بعد ٣٠ ميلا غرب العريش واستمر القتال هناك الى ما بعد الظهر . وكان القتال حتى هذا الوقت قد استوقف مرة أخرى حول رفح وخان يونس واستمرت غزة صامدة وتقاوم بشدة وبكل كفاءة .

أما الطابور الآخر بقيادة الجنرال شارون فقد اتجه الى أبو عجيلة بغـرض الاسـتيلاء (٣) على مواقعهـا الحصينة المتمركزة فى أم كتاف والمتحكمة على تقاطع الطرق حتى يمكن فتح الطريق مبـاشرة الى مدينة الاسماعيلية . وعندما وصلت قوات شارون الى أبو عجيلة كانت قوة من المهندسين الاسرائيليين قد قامت بتطهير حقول الألغام منذ الصباح أمام أم كتاف تمهيدا لفتح ثغرة أمام المدرعات الاسرائيلية . ونظرا للتعزيزات المصرية بالمدرعات والمدفعية المضادة التى أرسلتها القيادة المصرية الى هذا

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) كتاب الضربة الخاطفة Swift Sword للجنرال مارشال ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥.

(٣) نفس المصدر السابق ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، علما بأن المصدر للمؤلف هو القوات الاسرائيلية .

القطاع فقد أصيبت قوات اسرائيل بخسائر فادحة في المدرعات الاسرائيلية وقام الجنرال شارون باسقاط (١) مجموعتين من المظليين بواسطة طائرات الهليكوبتر فى التلال الرملية على جنب الدفاع المصرى والذى كان يعتمد على هذه التلال كمانع طبيعي ولم يكن (٢) به أى قوات مصرية وأمكن للقوات الاسرائيلية المظلية أن تفاجىء وتقتحم الموقع المصرى من الجنب وكان معظمها وقت الراحة وبادرت القوات المصرية بهذا الموقع من الانسحاب الى موقع مصرى آخر كان باقيا وبه قوة سليمة من الدبابات وقادرة على القتال (حوالى ٦٠ دبابة) ودارت معركة عنيفة بين الدبابات أمام هذا الموقع ولكن القوات المصرية بدباباتها صمدت أمام الهجوم الاسرائيلى واستمرت صامدة حتى يوم ١٩٦٧/٦/٧ وصباح يوم ١٩٦٧/٦/٨ وكبدت الاسرائيليين خسائر كبيرة فى المدرعات والأفراد ٠

وبسقوط أم كتاف تدهورت معنويات القوات المصرية وانتهزت القوات الاسرائيلية هذه الظروف وقامت بعملية تطهير فكانت تسابق القوات المصرية المنسحبة حتى يمكن الوصول مبكرا الى خط الممرات بغرض الاطباق على فلول وجموع القوات المصرية المنسحبة وفى نفس الوقت بدأت قوات الجنرال ابراهام (٣) يوف قائد القطاع الجنوبى الاسرائيلى بالتجمع والتقدم فى القطاع الجنوبى ٠

وفى يوم ١٩٦٧/٦/٦

قامت القوات الاسرائيلية بالوصول الى القسيمة عند ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٦ واشتركت الطائرات مع المدرعات الاسرائيلية فى محاولة فتح ثغرة بين الخطوط المصرية الحصينة فى القسيمة واستمرت المقاومة المصرية طول النهار ولكن استمرار الهجوم الجوى المركز فى غيبة من السلاح الجوى أضعف من هذه المقاومة ٠

وفى يوم ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ أيضا :

فى شرم الشيخ لم تتعرض القوات المصرية بها الى أى هجوم اسرائيلى جوى أو أرضى وقبل الغروب وصلت تعليمات من القيادة العامة بالقاهرة(٤)

---

(١) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ، تأليف فيصل عبد المنعم ، ص ٢١٧ ٠

(٢) كتاب الضربة الخاطفة Swift Sword للكاتب العسكرى الأمريكى مارشال ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ٠

(٣) كتاب تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل تأليف فيصل عبد المنعم ، ص ٢١٩

(٤) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ٨٥ ، ٨٦ ٠

الى قائد شرم الشيخ بالرجوع بقواته الى غرب القناة على مرحلتين الأولى الى الطور ثم منها الى غرب القناة كمرحلة ثانية وبدأت القوات تستعد للانسحاب ليلا ثم نسف مخازن المفرقعات والذخائر والألغام والتى كانت مكدسة فى الجبال ٠

فى الأردن

فى سعت ٢٠٠ يوم الثلاثاء ١٩٦٧/٦/٦

استأنفت القوات الاسرائيـــلية تقدمها (١) وفى تسع ساعات لم تستطع دبابات القوات الاسرائيلية التقدم أكثر من ميلين وتعطل عدد كبير منها واشتبك الطابور أثناء تقدمه فى قتال مع قوات كانت تحتل موقع الشيخ عبد العزيز واستأنف الطابور تقدمه شرقا الى النبى صمويل ٠ وتقدم طابور آخر (٢) سعت ٤٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٦ واجتاز الطريق بين رام الله والقدس وانضم اليه طابور آخر تقدم من بيت كيكا ومعه العربات المدرعة المسلحة بمدافع ٩٠ مم وقام الجميع بالهجوم على تل الفل ٠

واشتبكت مع قوات أردنية مدرعة ومشاة وانتهت الموقعة فى سعت ٨٠٠ بانسحاب الأردنيين واحتل الجيش الاسرائيلى تل الفل سعت ٨٣٠ وفى سعت ٩٠٠ تقدمت هذه القوات مرة أخرى لتنضم الى باقى القوات الاسرائيلية حول شـــمال القدس وفى طريق تقدمه اشتبك مع موقعين أردنيين محصنين أحدهما بجوار مدينة صوافات (٣) والآخر بالقرب من جبل (سكوبس) وذلك بفضل قوة مدرعاته المتعاونة مع السلاح الجوى الاسرائيلى وانسحبت القوات الأردنية منها بعد قتال عنيف لمدة ساعتين فأصبحت الآن أمامه قرية صـوفات فاقتحمها وبعد مدة وجيزة أصبحت مقدمة هذا اللواء المدرع على مشارف القدس ودخلتها سعت ١٤٠٠ يوم ١٩٦٧/٦/٦ ثم قام هذا اللواء المدرع بالدوران واستولى على رام الله وقام قول آخر بالتوجه فى نفس الوقت الى اللطرون وانضم اليه قوات أخرى اسرائيلية وأثناء التقدم والقتال قابلتهم طلقات القناصـــة الأردنيين من النوافذ ومن فوق الأسطح وبالرشاشات من سلسلة الهضـاب المرتفعة واستمر الاشتباك طول الليل وتوقف القتال قبل الفجر ٠

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ٠
Swift Sword Bring Jen Marchal

(٢) اصطلاح عسكرى عن « الساعة » ٠

(٣) حروب مصر المعاصرة ــ لواء عبد المنعم خليل ، ص ١٠٢ ٠

حكومة الأردن وقرار مجلس الأمن بايقاف القتال

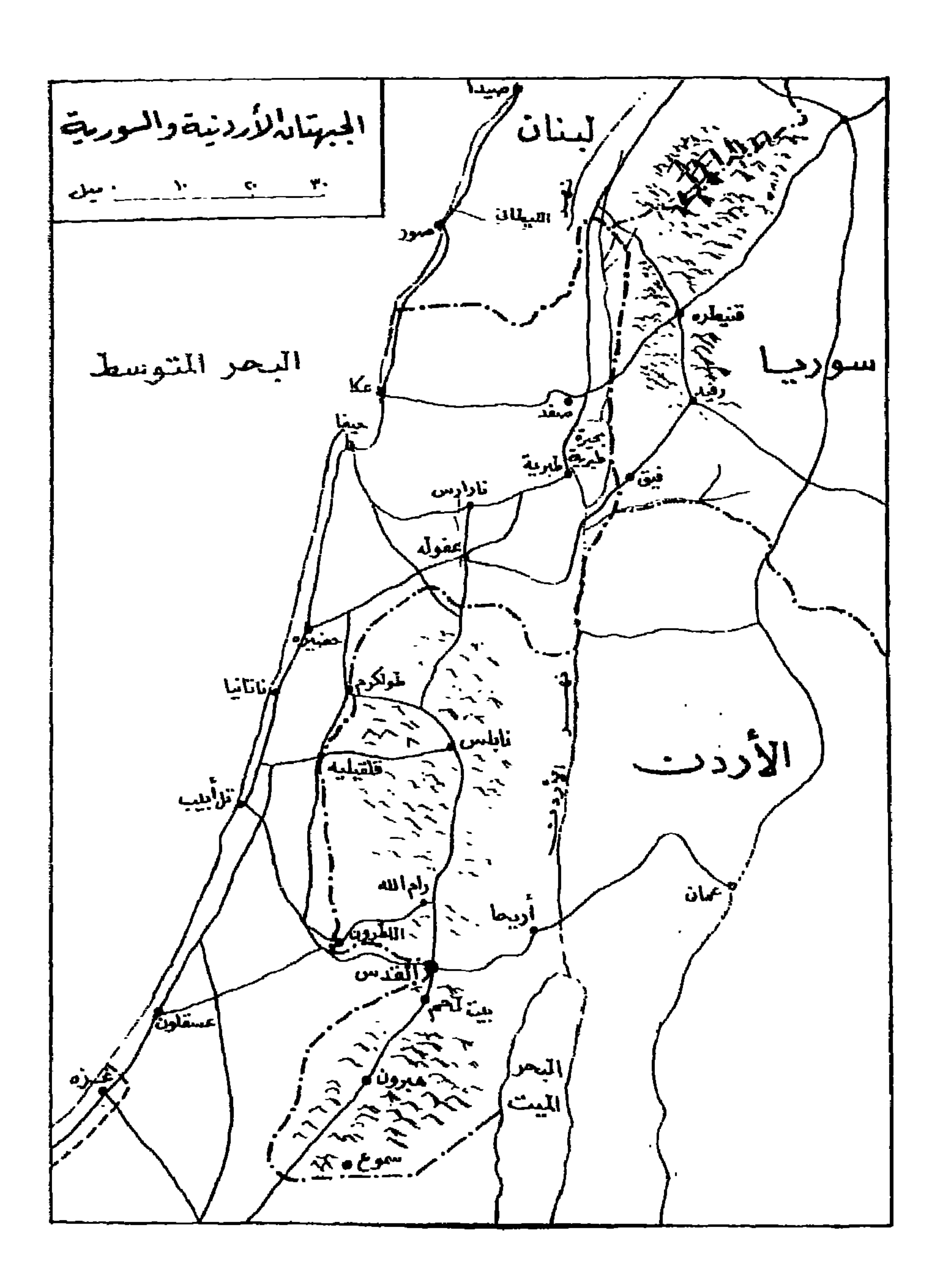
في يوم ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ اتصل الملك حسين بالرئيس عبد الناصر ليستطلع رأيه فيما يفعله ازاء الضغط العسكرى الاسرائيلي فى الضفة الغربية بما يؤكد على الانهيار وقد نصحه الرئيس عبد الناصر بقبول وقف اطلاق النار حتى يمكن ايقاف التقدم الاسرائيلي قبل أن يتوغل فى الضفة الغربية وكانت الولايات المتحدة فى نفس الوقت تطلب من الملك حسين أن يعلن فورا قبوله لقرار وقف اطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن بصرف النظر حتى ولو كان لا يتضمن بندا ينص على انسحاب القوات المتحاربة الى المواقع التى كانت فيها عند بدأ القتال ·

وفى مساء يوم ٦ يونيو سنة ١٩٦٧ أعلنت الأردن قبولها وقف اطلاق النار وصدرت التعليمات الى المندوب الأردنى فى نيويورك بأن يعلن هذا القرار في مجلس الأمن وأذاعه فى مؤتمر صحفي كما أن اذاعة عمان أخذت تكرر خبر القبول كل نصف ساعة ولكن الجيش الاسرائيلي استمر فى عملياته العسكرية فى الأردن بكل شدة بهدف تحقيق الدمار الكامل بالجيش الأردنى · ونادى السكرتير العام صباح يوم ٧ يونيو اسرائيل بضرورة الاستجابة لقرار الأردن بقبول وقف اطلاق النار بعد أن أبلغ الحكومة الاسرائيلية بتأكيد قرار الحكومة الأردنية بوقف اطلاق النار من ناحيتها وقامت اسرائيل بالتحدى للأمم المتحدة باحتلال مقر لجنة الهدنة الاسرائيلية الأردنية التابعة للأمم المتحدة ثم كان التحدى السافر من اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة بأن قام وزير خارجية اسرائيل وكان وقتها فى الولايات المتحدة وأعلن فى مجلس الأمن أن الحكومة الأردنية قبلت وقف اطلاق النار ولكن الحكومة المصرية لم تقبل هذا القرار حتى هذا الوقت علما بأن البلدين لهما قيادة عسكرية موحدة ولذلك لا يمكن فصل القبول الأردنى عن الرفض المصرى لوقف اطلاق النار وبذلك كان الجيش الأردنى سلبيا ازاء التقدم والزحف المسلح الاسرائيلي والذى تمكن بذلك من التهام الضفة الغربية فى أسرع وقت ·

فى سوريا يوم ١٩٦٧/٦/٦ :

كانت جبهة الجولان هى أقوى الحصون المواجهة لاسرائيل وكان لسوريا بها ثلاثة ألوية ومعهم (١) كتيبة من المدرعات لكل لواء ولواءان آخران كاحتياط وكانت اسرائيل لا تحتفظ فى المواجهة السورية الا بالقوات الكافية للدفاع فقط فى فترة عملياتها مع مصر والأردن · ·

(١) Swift Sword للكاتب مارشال ، ص ١١٨ ·


الجبهتان الأردنية والسورية
٣٠ ٢٠ ١٠ ٠ ميل
صيدا
لبنان
الليطاني
صور
قنيطره
سوريا
البحر المتوسط
عكا
صفد
رفيد
حيفا
بحيرة طبرية
طبرية
فيق
نازارس
عفوله
حضيره
طولكرم
ناتانيا
نابلس
قلقيلية
الأردن
تل أبيب
رام الله
أريحا
عمان
اللطرون
القدس
بيت لحم
عسقلان
البحر الميت
هبرون
غزه
سموع

ومنذ سعت ٥٤٠ يوم ٦/٦/ قامت القوات(١) السورية بقذف مستمر لعشر مستعمرات فى الوادى الاسرائيلى واندفعت بعـــد ساعة من قذف المدفعية السورى سريتان من الدبابات السورية وكتيبة مشاة فى هجوم ضد مستعمرة (دان) الاسرائيلية فى قاع الوادى وصدت القوات الدفاعية الاسرائيلية هذا الهجوم وقامت القوة الجوية الاسرائيليـــة بدعم المدافعين الأرضيين وحاول الطيران الاسرائيـلى ضرب مواقع هضبـــة الجولان ولكن ضربه كان غير مؤثر وبخاصة أنها كانت مواقع مقامة على قمم بازلتية صلبة رعاودت القوات السورية هذا الهجوم مرتين أخريين ولكنها ارتدت بفضل تدخل الطيران الاسرائيلى فى كل مرة وكانت القوات الرئيسية الهجومية الاسرائيلية المتوافر لها أحسن الدبابـات تستخدم وقتها ضـد مصر فى سيناء ٠ واستمر القــذف السورى بالقنـابل للمستعمرات المنتشرة فى الوادى طوال يوم ٦ يونيو وازاء ذلك اضطرت اسرائيـل فى آخـر نهار ١٩٦٧/٦/٦ الى اسـتدعاء لواءين ممن كانوا يقاتلون فى الأردن لتعزيز دفاعاتهم المواجهة لهضبة الجولان ٠

تعديل فى قرار مجلس الأمن :

بعد أن تدهور الموقف المصرى فى سيناء يوم ٦ يونيو وبعد أن تعذر حصول مصر بصفة عاجلة على طائرات من الاتحاد السوفيتى لامكان استعادة الموقف ، طلب المشير عبد الحكيم عامر من السفير الســوفيتى بالقاهرة بمحاولة قيام الاتحاد السوفيتى من خلال مجلس الأمن لاصدار (٢) قرار بايقاف القتال وعودة قوات كل بلد الى مواقعها السابقة لتاريخ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ على أن توافق مصر على توفير الملاحــة فى مضايق تيران وعاد السفير السوفيتى الى المشير عامر وأبلغــه أن قرار مجلس الأمن سيكون « ايقاف القتال فقط » على أن تبقى القوات المتحاربة فى الأماكن التى وصلت اليها وقت تنفيذ القرار » ولم توافق مصر على هذا القرار وفى نفس الوقت لم تعلن رفضه ويرجع عدم مساندة الاتحاد السوفيتى لطلب مصر لخوف روسيا من التشدد الأمريكى ٠

قرار انسحاب القوات من سيناء :

مساء يوم ١٩٧٦/٦/٦ بعد أن بلغت معلومات تعديل قرار مجلس الأمن للقيادة السياسية وبعد أن اتضـح للقيادة السياسية المصريـة أن الموقف أصبح فى صالح اسرائيل اتخذ الرئيس عبد الناصر قرار انسحاب

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤ ٠

(٢) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، ص ٢٨٨ الى ٢٩٣ ٠

القوات المصرية من سيناء وقام المشير(١) عبد الحكيم عامر باصدار أوامر الانسحاب ٠

وكانت هذه الأوامر تقضى بالانسحاب ليلا ومحاولة الوصول الى غرب القناة قبل طلوع النهار وترك الأسلحة الثقيلة والاكتفاء بالخفيفة منها وتدمير كل ما يمكن تدميره من معدات ثقيلة ومخازن الوقود وخلافه وأن تسير القوات المنسحبة فى مجموعات صغيرة ٠

يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧ (فى سيناء) :

بعد أن اشتبكت القوات الاسرائيلية (٢) مع المواقع المصرية غرب العريش طوال نهار وليل ١٩٦٧/٦/٦ اندفعت بعد ذلك مباشرة ووصلت فى صباح ٦٧/٦/٧ الى قناة السويس وفى نفس الوقت استمر القتال على طول الطرف الغربى من قطاع غزة وحول رفح وخان يونس وكلها كانت مواقع لم يتم تطهيرها واستخدم القائد العام الاسرائيلى جافيتش لواء المستقل لهذا الغرض وتمكن بهذا من الاستيلاء مرة أخرى على خان يونس وقام بهذا اللواء أيضا بالهجوم على غزة وبعد قتال عنيف مع الفلسطينيين وبمعاونة مكثفة من الطيران الاسرائيلى استولى على غزة سعت ١٢٠٠ يوم الأربعاء ١٩٦٧/٦/٧ وتكبد حوالى ستين قتيـــلا وأكثر من مائتى جريح حسب مصادره التى أملاها على الكاتب الأمريكى مارشال ٠

فى يوم ١٩٦٧/٦/٧ :

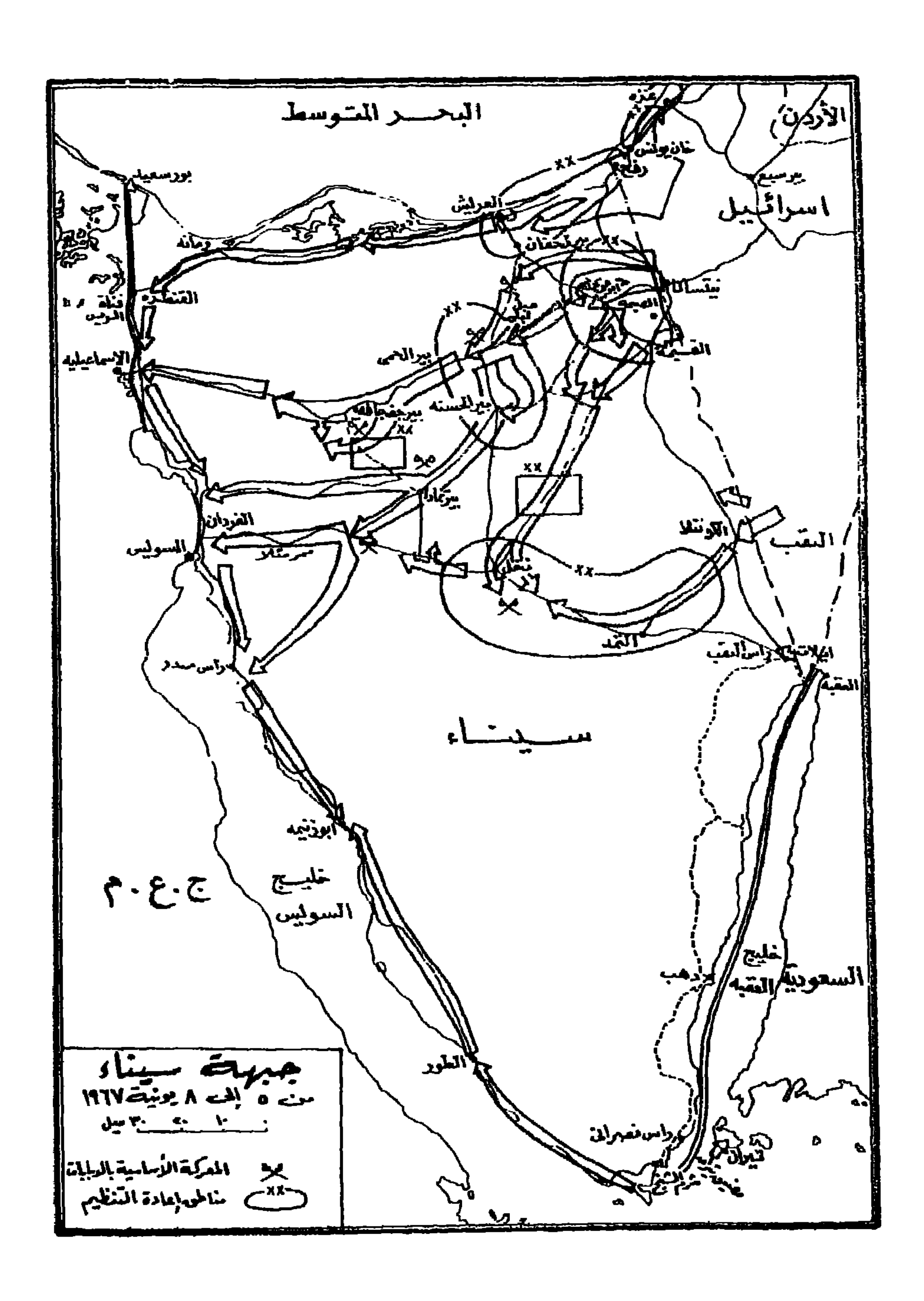
اشتبكت قوات مصر فى جبل لبنى (٣) مع لواء اسرائيلى وكذلك القوات المصرية الموجودة عند بئر الحمه أمام القنطرة وموقع كوبرى الفردان فكانت تقاتلان معركتهما الأخيرة مع قوات اسرائيل المتقدمة على الشريط الساحلى وكانت هذه المعركة عبارة عن مذبحة شنتها اسرائيل بطائراتها المستخدمة لقنابل النابالم الحارقة ضد القوات المتجمعة والمنسحبة من سيناء فى معبر القنطرة وعند كوبرى الفردان أما القوات المصرية التى كانت لا تزال بالقاعدة الجوية فى جفجافة فقد اصطدمت فى قتـال عنيف مع لواء اسرائيـلى آخـر مدرع واشتركت مع القوات المصرية فى هذه المعركة ٤ طائرات ميج تمكنت من احداث خسائر كبيرة باللواء الاسرائيلى المدرع

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

(٢) كتاب Swift Sword ، ص ٥٢ ، ٥٣ للكاتب الأمريكى مارشال ٠

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ ٠


البحـــر المتوسط
الأردن
اسرائيل
بورسعيد
العريش
رفح
خان يونس
غزة
بير سبع
نيتسانا
القسيمة
الإسماعيلية
القنطرة
السويس
الفردان
متلا
النقب
الكونتلا
ايلات
راس النقب
العقبة
سيناء
أبو زنيمة
خليج السويس
ج.ع.م
خليج العقبة
السعودية
دهب
الطور
راس نصراني
تيران
شرم الشيخ
جبهة سيناء
من ٥ إلى ٨ يونية ١٩٦٧
١٠ ٢٠ ٣٠ ميل
المعركة الأساسية بالدبابات
مناطق إعادة التنظيم

ولما كانت القوات المصرية فى حالة انسحاب فقد طاردتها فلول الطابور الاسرائيلى المدرع طول النهار ٦/٧ وأثناء الليل (١) وتمكنت القوات المصرية المنسحبة من تدمير بعض دبابات القوات الاسرائيلية حتى أثناء الانسحاب كما اشتبكت باقى القوات المصرية التى كانت تستعد للانسحاب على جانبى طريق تقدم اللواء الاسرائيلى المدرع وساعدت كلها فى تعطيل تقدم قوات اسرائيل التى كانت تسرع متجهة الى القناة ٠

أما القوات الاسرائيلية :

التى كان مخصصا لها القطاع الجنوبى من سيناء بقيادة الجنرال ابراهام يوف فقد انضمت لها كل القوات الاسرائيلية الخفيفة الحركة والمدرعة بعد سحبها من المواقع التى استولى عليها الاسرائيليون وبعد قيام القوات المصرية فى سيناء بتنفيذ أوامر الانسحاب من سيناء وقامت كل هذه القوات بدخول شرم الشيخ بدون قتال تقريبا ٠

ثم قامت القيادة الاسرائيلية بدفع (٢) جزء من تلك القوة بطائرات هيلكوبتر الى الطور ومنها تابعت باقى القوات التقدم شمالا حتى استولت على أبو زنيمة ثم انضمت الى القوات الاسرائيلية القادمة من رأس سدر فى الشمال ٠

السباق نحو الممرات :

نجحت القوات الاسرائيلية (٣) بطوابيرها الثلاثة الشمالية والوسط والجنوبية فى تحقيق أهدافها وبفضل استخدامها الأمثل لقوة سلاحها الجوى المهيمن ولسوء استخدام القيادة المصرية لأصول القيادة فى التعامل مع قوات عدو يتميز بالهيمنة الجوية ، وبالتسرع فى اصدار أوامر الانسحاب ولذلك تمكنت القوات الاسرائيلية من ازاحة القوات المصرية المدافعة من مواقعها الحصينة بالهجوم بشعبه الثلاث ٠

لذلك فقد قامت طلائع المجموعات الاسرائيلية الثلاث (شال — شارون — يوف) بالاسراع لاحتلال خط المضايق الحاكم رمانه — الجدى — متلا) والذى يبعد عن قناة السويس ما بين ٣٥ — ٦٠ كيلو مترا وذلك لقطع خط الرجعة على انسحاب الجيش المصرى الى قاعدته فى الدلتا ووادى

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٨٥ ٠

(٢) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل ، تأليف فيصل عبد المنعم ، ص ٢١٩ ٠

(٣) تاريخ الحرب بين العرب واسرائيل تأليف فيصل عبد المنعم ، ص ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ الى ٢٢٦ ٠

النيـل وتعرضت القوات المصريـة المنسحبة فى اتجاه الغرب على المحاور الثلاثة للقصف الجوى الاسرائيلى المركز طول فترة تحركها ـ وأثناء ذلك كانت القوات الاسرائيلية المدرعة فى سباق محموم للوصول الى الممرات قبل أن تصل اليها القوات المصرية لامكان الاجهاز عليها • أما المصريون فكانوا يعتبرون وصولهم الى الممرات قبل الاسرائيليين هو تحقيق الافلات من الضربة الحاسمة التى يعدها الاسرائيليون لهم •

فى يوم ١٩٦٧/٦/٧ :

استمرت القوات الجوية المصرية(١) بما تبقى لديها من طائرات فى تلبية طلبات القيادة العامة فى مساعدة القوات المنسحبة بضرب القوات الاسرائيلية المطاردة وبعنف • وفى مساء هذا اليوم فقط علم قائد القوات الجوية الفريق صدقى محمود بقرار الانسـحاب الذى صـــدر مساء يوم ١٩٦٧/٦/٦ واستعدت الطائرات المصرية المتوفرة لتغطية انسحاب الفرقة الرابعة المدرعة وقامت بنجاح بتغطية هذا الانسحاب ودون خسائر حتى عبرت الى غرب القناة •

قرار عودة القوات المنسحبة :

فى آخر يوم ١٩٦٧/٦/٧ أصدر (٢) المشير عبد الحكيم عامر قرارا بأن تعود كل القوات المصرية المنسحبة وتتخذ موقعا دفاعيا لها فى المنطقة المحصورة بين بئر الجفجافة وبئر جبل الحسن لمقاومة القوات الاسرائيلية المتقدمة داخل سيناء وكانت هناك فرقة مشاة كاملة فى هذه المنطقة وأصدرت الأوامر للفرقة الرابعـة المدرعة التى كانت قد عبرت القناة الى الضفـة الغربية بنجاح تام وبدون خسائر كقرار الانسحاب الصادر ١٩٦٧/٦/٦ وذلك بالعودة مرة أخرى الى سيناء حتى يمكن استخدامها كقوة ضاربة وذلك رغم صعوبة العبور مرة أخرى شرقا أثناء عملية الانسحاب غربـا تحت ظروف القصف الجوى الاسرائيلى المسيطر على جو القتال •

وقامت قوات اسرائيل وطيرانها المسيطر على ساحة القتال بشراسة أثناء عملية عبور الفرقة الرابعة المدرعة عائدة من غرب القناة الى شرقها وقام الطيران الاسرائيلى بعملية شبه ابادة لقوات الفرقة الرابعـة المصرية المدرعة فى منطقة العبور وكانت الخسائر فادحة • والى هذا الوقت فى

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، تجميع الأستاذ سليمان مظهر ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٥٢ •

(٢) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ، جزء ٢ ، ص ٢١٩ •

مساء يوم ١٩٦٧/٦/٧ لم تكن مصر قد أعلنت موافقتها على قرار مجلس الأمن المعدل كما لم تعلن رفضها له رغم موافقة كل من سوريا والعراق والجزائر والكويت والأردن على هذا القرار المعدل ٠

فى منطقة الطور يوم ١٩٦٧/٦/٧ :

بدأ القصف الجوى الاسرائيلى (١) فى الطور على القوات المصرية المنسحبة من شرم الشيخ عند وصولها الطور باستخدام النابالم والقنابل الحارقة والصواريخ من الساعة الثانية ظهرا حتى آخر ضوء يوم ١٩٦٧/٦/٧ وكانت الخسائر قليلة فى الأفراد ولكنها كثيرة فى المعدات والتى كانت على طريق الطور أو زنيمة ٠

ويوم ١٩٦٧/٩/٧ فى منطقة شرم الشيخ :

تحركت القوة البحرية الاسرائيلية يوم ٧ يونيو ووصلت الى الساحل المصرى تجاه جزيرة تيران ولم يكن بالمنطقة قوات مصرية ونزلت القوة الاسرائيلية الى الشاطىء تجاه شرم الشيخ ورفع البحارة العلم الاسرائيلى على سارية الأعلام فى القاعدة البحرية فى شرم الشيخ وفى نفس الوقت وصلت وحدات المظلات الاسرائيلية جوا الى شرم الشيخ وكانت خالية من القوات المصرية وهبطت فى مطار شرم الشيخ ثم تقدموا بالطريق البرى الى الطور مساء يوم ٧ يونيو ليلة ٧ ، ١٩٦٧/٦/٨ ٠

أما فى الأردن فى يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧ :

منذ سعت ٥٠٠ يوم ٧ يونيو (٢) صدرت الأوامر بأن تتحرك القوات الاسرائيلية بأسرع ما يمكن للاستيلاء على المدينة القديمة قبل أن يصدر القرار المنتظر بوقف اطلاق النار ٠ وفى الساعة ٨٣٠ أنزلت القوة الجوية الاسرائيلية ضربة قاتلة على الهدف الرئيسى بالأردن ٠

وفى الساعة ٩٠٠ استولت قوات اسرائيل على (٣) (ايزارية) وفى الساعة ٩٤٥ اخترقت بوابة سان ستيفن (بوابة الأسد) وبعد عشر دقائق وصلت هذه القوات الى قبة الصخرة ٠

---

(١) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ٨٨ ٠

(٢) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ١١١ ، ١١٢

(٣) كتاب الحرب الخاطفة Swift Sword للكاتب الأمريكى مارشال ، ص ١١١ ، ١١٢ ٠

وفى الساعة ١٠١٠ استولت القوات على حائط المبكى أما لواء القدس الاسرائيلى فقد تقدم على المنطقة الممتدة من جبل صهيون الى الشرق واستولى على تبة أوجستا فكتوريا ثم على مواقع جبل السكوبس ٠

وفى الساعة ١٠٣٠ استولت احدى الكتائب الاسرائيلية على منطقة مسجد عمر وبعد الظهر بقليل كانت القدس القديمة قد سلمت وفى نفس اليوم سعة ٢٠٠ اتجه لواء اسرائيلى مدرع الى نابلس بهدف الاستيلاء على الأرض(١) المرتفعة وسد الطريقين المؤديين الى وادى الأردن والتفت القوات الاسرائيلية حول المدينـة واستمرت نابلس تقاوم الى أن هاجمها الطيران الاسرائيلى وظلت مشتعلة من السـاعة ١٠٠ الى السـاعة ١٦٠٠ يـوم ١٩٦٧/٧/٦ والى أن انتهت المعركة ٠

وفى الساعة ١٦٠٠ اتجه لواء اسرائيلى آخر الى بيت لحم واستولى عليها وبذلك سقطت الضفة الغربية للأردن بالكامل قبل غروب شمس يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧ ٠

يـوم ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ (فى سيناء) (٢) :

استمر القتال فى مواقع أم كتاف (أم قطف) طوال ليل ١٩٦٧/٦/٧ حتى صباح يوم ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ ٠ وقام جزء من القوات الاسرائيلية تعاونهم الطائرات بمطاردة المصريين المنسحبين فى الصباح حتى وصلت القوات المصرية تقريبا الى التمد ونخل وهناك حدثت مذبحة استخدمت فيها قنابل النابالم الحارقة وبكثافة ولم ينته القتال الا قبل غروب شمس يوم يونيو سنة ٦٧ واشترك فى ادارة المعركة أم كتاف جميع قادة اسرائيل الكبار وهم القائد العام الاسرائيلى جافينتش والجنرال تال قائـد القطاع الشمالى بالاضافة الى قائد القطاع الأوسط الجنرال آريل شارون نظرا لأن اسرائيل كانت تعتبر أم كتاف من أكبر الأعمال وأكثرها حسما فى الحملة كلها لأن هذا الموقـع لم تتمكن اسرائيل من الاستيلاء عليه فى معارك سنة ١٩٥٦ رغم خسائرهم الفادحة فى الأفراد والمدرعات وكانت اسرائيل تعتبر أن سقوطه هذه المرة سيحدث دويا كبيرا يرفع من معنويات شعب اسرائيل ويساعد على انهيار معنويات المصريين ٠

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٨ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٦٨ ٠

معـــركة الممـــرات (١) :

فى يوم الأربعـاء ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ انـدفعت الدبابات المصريـة والاسرائيلية جنبا الى جنب فى طريق انسحاب المصريين لاجتياز الممرات وكان الاندفاع دون قتال وحدث أن الدبابات الاسرائيلية توقف جانب منها لنفاد الوقود من خزانتها وتعرضت عندئذ لهجمات المشاة المصريين رغم أنه كان يصعب التمييز بين الدبابات المصرية المتداخلة مع طوابير الدبابات الاسرائيلية لأنها كانت كلها من طراز واحد (السنتوريون) وقد كانت بعض الدبابات الاسرائيلية تضطر للعودة للخلف لاعادة التموين وكانت غالبا ما تقوم بامتصاص الوقود من خزانات بعض الدبابات المصرية المدمرة ولكن اختلاف الأكتين كان يؤدى الى اجهاد محركات الدبابات الاسرائيلية ٠

ومع ذلك فقد تمكنت قوة اسرائيلية مكونة من ٩ دبابات الى الوصول الى ممر متلا قبل المصريين وتعطل من هذه ال ٩ دبابات أربعـة فى الممر فقطرتها زميلاتها وكذلك تمكنت بعض العربات الاسرائيلية ذات الجنزير من الوصول ونظرا لتشابه الدبابات فقد اجتـاز أحد طوابـير الدبابات المصرية الدبابات الاسرائيلية دون أن يحدث اشتباك ولكن بعد فترة وجيزة أمكن التمييز الاسرائيلى للدبابات المصرية وسدوا عليها منافذ الممر ودار قتال عنيف بعد أن استعان القائد الاسرائيلى بالطيران الاسرائيلى والذى قام بقصف القوات المصرية داخل الممر بشدة حيث كانت قـوات اسرائيل المدرعة قليلة العدد جدا وانتشرت سحب الدخان فوق سماء الجبال العالية المحيطة بالممر وراحت الطائرات الاسرائيلية تلقى بعبوات النابالم الحارقة وتهاجـم بالصواريـخ والرشاشات فى وحشية ٠ أما رجال المدرعـات الاسرائيلية القليلة داخل ممر متلا فقد أصابهم الاختناق ٠

ونجح بعض الجنود والضباط المصريون من الجهة الشرقية للممر من اقتحامه عنوة الى الغرب وكان معهم حوالى مائة دبابة واقتحموا عنق الممر ٠ وتأكـد القـائد الاسرائيلى أوسـكار أنه اذا نجـح المصريون فى اجتيـاز الممر يمكنهـم مهاجمـة الاسرائيليين من الخلف وسـتكون نهايتهم وسرعـان ما اسـتدعى السـلاح الجـوى الاسرائيـلى مرة أخرى ٠ وبذلك تمكنت قـوات أوسـكار الاسرائيلى من الافـلات من هذه المصيدة بعد أن أحدثت الغارة الاسرائيلية جانبا من الخسارة فى القوات المصرية المقتحمة والتى أنقذت الموقف الى حد كبير ٠ وفى نفس الوقت كانت المدرعات الاسرائيلية المطاردة تجد مشقة فى التقدم خلف

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ٠

القوات المصرية التى أفلتت من وسط هذه المقبرة • وقد قام أثناء هذا القتال الطيران المصرى بالاشتراك بنجاح فى هذه المعركة حيث (١) كان يقصف أى دبابات من نفس نوع الدبابات المصرية السنتوريون الموجودة داخل الممر أو خارجه من الجهة الشرقية بعد أن تأكدت القيادة المصرية من أن الدبابات المصرية قد ابتعدت عن الممرات الى جهة الغرب •

اما فى الجبهة السورية :

فى يومى ٧ ، ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ :

فتعمدت اسرائيل اتخاذ أسلوب الدفاع كخطة رئيسية ازاء الجبهة السورية حتى تتفرغ القوات المدرعة والعالية الكفاءة من الانتهاء من الجبهة الأردنية وفعلا بعد تمام الاستيلاء على الضفة الغربية اتجهت معظم القوات الاسرائيلية من الأردن الى الجبهة السورية •

ففى الساعة ٧٠٠ صباح يوم الجمعة ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ (٢) :

انضم الى القوات الاسرائيلية لواء مشاة وكتيبتان مدرعتان واتخذت مواقع دفاعية فى منطقة الحولة والجليل وقام القائد الاسرائيلى بواسطة لواء مدرع من نابلس وبعد الاستيلاء عليها ، وتوجه ليحطم الخط السورى وانضم اليه بعد ذلك لواء آخر محمل على عربات نصف جنزير وبدأت الطائرات الاسرائيلية القاذفة المقاتلة بالهجوم على قواعد المواقع السورية فى وادى الحولة وفى سعة ١١٤٥ هوجمت المواقع الحصينة فى الجولان بالطيران المستمر • وقام لواءان اسرائيليان بالقتال العنيف من موقع الى آخر واستمر التقدم الاسرائيلى (٣) بطيئا ولكن مدعما بالتمهيد للتصاعد بضرب المدفعية وبالقصف الجوى وانتهت معركة تل الفجر قبل حلول ظلام يوم ١٩٦٧/٦/٩٠ وبحلول الفجر سقطت قاعدة الدفاع السورى وقامت اذاعة دمشق بالتعجل باذاعة سقوط القنيطرة سعت ١٨٠٠ وكان ذلك يدعو الى الدهشة لأن القنيطرة فى هذا الوقت حتى هذه اللحظة لم تكن قد سقطت واستمرت سليمة لمدة ست ساعات بعد هذا الاعلان الغريب ولكن بعد ست ساعات من اذاعة الخبر بذلت القوات الاسرائيلية مجهودا قتاليا شاقا حتى تم الاستيلاء على القنيطرة والذى ساعد على سرعة سقوطها

---

(١) أقوال صدقى محمود قائد الطيران المصرى فى كتاب « اعترافات قادة اكتوبر » أمام لجنة التاريخ ، تأليف الأستاذ سليمان مظهر ، ص •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١١٠ •

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٢ •

هو اذاعة هذا الخبر المبكر المشئوم وبذلك سقطت هضبة الجولان • وانتهت الجولة الاسرائيلية الغربية بهذه المأساة وكان الفضل فى ذلك بالمقام الأول يرجع الى الهيمنة الجوية الاسرائيلية •

اعلان موافقة مصر على قرار مجلس الأمن مساء ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ :

قام مندوب مصر فى مجلس الأمن بتعليمات من القيادة السياسية المصرية بابلاغ مجلس الأمن بموافقة مصر على ايقاف القتال المعدل والذى يقضى « بايقاف القتال فقط » على أن تبقى قوات المتحاربين فى الأماكن التى وصلت اليها (أى الموافقة على أن تصبح سيناء تحت سيطرة اسرائيل بالكامل) عدا منطقة بور فؤاد وأذاعت محطة صوت أمريكا هذا الخبر فى حوالى الساعة العاشرة والربع مساء يوم ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ •

وكانت الجماهير المصرية فى هذا اليوم الثانى للقتال وحتى وقت علمها بقرار مصر الموافقة على ايقاف القتال بهذه الصورة تشعر بأنه قد غرر بها وبخاصة أنها تبعا للبلاغات العسكرية المصرية أذاعت بالمبالغة أن خسائر اسرائيل فى الطيران كانت ١٤٢ طائرة والحقيقة التى علمتها من الاذاعات المختلفة أن اسرائيل لم تفقد الا ٣٧ طائرة فقط • (من اعترافات قائد الطيران صدقى محمود) •

وقام الطيران المصرى بضرب القوات الاسرائيلية (١) فى منطقة ممر متلا أثناء مطاردتها القوات المصرية المنسحبة فى اتجاه غرب القناة وكانت بعض هذه القوات الاسرائيلية تركب عربات الجيش المصرى بعد الاستيلاء عليها وقام بهذه الطلعة الطيار تحسين زكى •

الاعتداء على سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى :

يوم ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ :

فى حوالى الساعة ٢ تعرضت سفينة (٢) التجسس الأمريكية ليبرتي الى غارة مجهولة أدت الى اصابتها ومقتل ٣٤ وجرح ١٧١ من طاقمها وعلى أثر استغاثتها تحركت قطع من سفن أسطول الولايات المتحدة فى البحر الأبيض لاغاثتها ويبدو أن السلطات الأمريكية كانت تشك أن هذا

---

(١) اعترافات قادة حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، للأستاذ سليمان مظهر ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ (أقوال صدقى محمود) •

(٢) حلقة ٢٦ من كتاب الانفجار للأستاذ هيكل ، أهرام ١٩٩٠/٦/٢٧ •

العدوان (١) صدر عن مصر لأن شاشات الرادار المصرى لمحطة الاشارات البحرية فى بور سعيد سجلت تحركات لجانب من سفن الأسطول الأمريكى تتجه الى شاطىء بور سعيد بدءا من الساعة ٢/١ ٢ صباح ٨ يونيو سنة ٦٧٠

ولكن سرعان ما اتصل مكتب وزير الدفاع الاسرائيلى بمكتب الاتصال بوزارة الدفاع الأمريكية (٢) فى تل أبيب وأبلغه أن طائرات اسرائيلية وكذا قوارب طوربيد هاجمت بطريق الخطأ فى الموقع ٨/١٢٠٠٢ وبعثوا بخالص أسفهم واعتذارهم ٠ وصدر أول بيان فى الولايات المتحدة عن الحادث عن مساعد وزير الدفاع للشئون العامة « أن الحكومة الاسرائيلية قامت باخطار حكومة الولايات المتحدة بأن قواتها هاجمت بطريق الخطأ قطعة بحرية أمريكية صغيرة فى شرق البحر المتوسط ، وقد قدمت حكومة اسرائيل أسفها العميق واعتذارها لشعب الولايات المتحدة وأبدت استعدادها لتحمل التعويضات عن الباخرة وعن أى اصابات تكون لحقت بطاقمها » ٠

تنحى الرئيس عبد الناصر

فى يوم الجمعة ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ :

أعلن فى الاذاعة صباحا أن جمال عبد الناصر سيلقى خطابا على الشعب فى الساعة السابعة مساء ٠ وكان نص خطابه الكامل الذى وجهه الى الأمة هو :

أيها الاخوة ٠٠

(قد تعودنا معا فى أوقات النصر (٣) وفى أوقات المحنة ٠٠٠ فى الساعات الحلوة وفى الساعات المرة أن نجلس معا وأن نتحدث بقلوب مفتوحة وأن نتصارح بالحقائق مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة ومهما كان الضوء خافتا ولا نستطيع أن نخفى على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة لكن واثق أننا جميعا نستطيع وفى مدة قصيرة أن

---

(١) مذكرات محمد عبد الفتاح ابو الفضل (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ، ص ٢٩٣ ٠

(٢) حلقة ٢٦ من كتاب الانفجار للأستاذ هيكل ـ أهرام ١٩٩٠/٦/٢٧ ٠

(٣) الأهرام العدد ٢٩٤٠١ السنة ٩٢ يوم ١٠ يونيو ٠ سنة ١٩٦٧ ٠ خطاب عبد الناصر للتنحى ٠

نجتاز موقفنا الصعب وان كنا نحتاج فى ذلك الى الكثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية ٠

لكننا أيها الاخوة نحتاج قبل ذلك الى نظرة على ما وقع لكى نعرف جميعا كيف بدأت الأزمة فى الشرق الأوسط فى النصف الأول من مايو الماضى ٠٠٠

كان هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير ٠ كانت مصادر اخواننا السوريين قاطعة فى ذلك ٠٠٠ وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده بل وقام أصدقاؤنا فى الاتحاد السوفيتى باخطار الوفد البرلمانى الذى كان يزور موسكو فى مطلع الشهر الماضى بأن هناك قصدا مبيتا ضد سوريا ولقد وجدنا واجبا علينا أن لا نقبل ساكنين ٠٠ وفضلا عن ذلك واجب الاخوة العربية ٠٠٠ فهو واجب الأمن الوطنى ٠ فان البادىء بسوريا يثنى بمصر ٠٠٠ ولقد تحركت قواتنا المسلحة الى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق — وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارىء الدولية ثم عودة قواتنا الى موقع شرم الشيخ المتحكم فى مضايق تيران والتى كان العدو الاسرائيلى يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثى الذى وقع سنة ١٩٥٦ ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمرا لا يحتمل فضلا عن دواعى أخرى تتصل بأعز أمانى الأمة العربية ٠٠٠ ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى فى المعدات وفى التدريب قادرة على رده وعلى ردعه وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم وقبلنا المخاطرة ٠ وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية منها رسالة الرئيس الأمريكى لندون جونسون سلمت الى سفيرنا فى واشنطون يوم ٢٦ مايو يطلب الينا ضبط النفس وأن لا نكون البادئين باطلاق النار ٠٠٠ والا فاننا سوف نواجه بنتائج خطيرة ٠٠٠ وفى نفس الليلة فان السفير السوفيتى طلب مقابلتى بصفة عاجلة فى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل وأبلغنى بطلب ملح من الحكومة السوفيتية أن لا نكون البادئين باطلاق النار وفى صباح يوم الاثنين الماضى الخامس من يونيو جاءت ضربة العدو ٠ واذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكبر مما توقعناه فلابد أن نقول فى نفس الوقت وبثقة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما نملكه مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفى حساباتها مع حركة القومية العربية ٠٠ ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر أولها أن العدو الذى كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب الأمر الذى يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته

وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد أعطيت له وثانيا فان العدو غطى فى وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية فى الجمهورية العربية المتحدة ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أى رد فعل من جانبنا · كما أنه كان يتحرك فى بقية الجهات العربية بمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها وثالثا فان الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعمارى معه يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦، فيغطى نفسه هذه المرة بلؤم وخبث ومع ذلك فالثابت الأن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطىء العدو تساعد مجهوده الحربى · كما أن طائرات بريطانية أغارت فى وضح النهار على بعض المواقع فى الجبهة السورية وفى الجبهة المصرية ··· الى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا · ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التى كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة فى الصحراء المكشوفة وجدت نفسها فى الموقف الصعب لأن الغطاء الجوى فوقها لم يكن كافيا ازاء تفوق حاسم فى القوى الجوية المعادية بحيث انه يمكن القول بغير أن يكون فى ذلك أى أثر للانفعال أو المبالغة أن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية · ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضا قوات الجيش العربى الأردنى التى خاضت معركة باسلة بقيادة الملك حسين الذى للحق وللأمانة أنه اتخذ موقفا ممتازا واعترف بأن قلبى كان ينزف دما وأنا أتابع معارك جيشه العربى الباسل فى القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية فى ليلة حشد فيها العدو والقوات المتآمرة ما لا يقل عن أربعمائة طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة ·

لقد أعطى الشعب الجزائرى وقائده الكبير هوارى بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة · وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة · وقاتل الجيش السورى قتالا بطوليا معززا بقوى الشعب السورى العظيم وبقيادة حكومته الوطنية ، واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة ·

ووقفت شعوب الأمة العربية جميعا بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربى موقف الرجولة والعزة موقف التصميم موقف الاصرار على أن الحق العربى لن يضيع ولن يهون وأن الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمى الأكيد ·

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربى قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوى . لكن المؤامرة ولابد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال كانت أكبر وأعتى . ولقد كان تركيز العدو الأساسى على الجبهة المصرية التى دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوى رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خصوصا مع التفوق المعادى فى الجو . لقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتيا لنا وحاولت مع غيرى أن نستخدم كل مصادر القوة العربية . ولقد دخل البترول العربى ليؤدى دوره . ودخلت قناة السويس لتؤدى دورها ــ ومازال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربى العام وكلى ثقة أنه سوف يستطيع أداءه .

ولقد اضطرت قواتنا المسلحة فى سيناء الى اجلاء خط الدفاع الأول وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثانى ثم استجبنا لقرار وقف اطلاق النار أمام تأكيدات وردت فى مشروع القرار السوفيتى الأخير المقدم الى مجلس الأمن وأمام تصريحات فرنسية بأن أحدا لا يستطيع تحقيق أى توسع اقليمى على أساس العدوان الأخير . وأمام رأى عام دولى خصوصا فى آسيا وأفريقيا ترى موقفنا ونشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التى انقضت علينا .

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة :

المهمة الأولى :

أن نزيل آثار هذا العدوان علينا وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود وبرغم النكسة فان الأمة العربية بكل طاقاتها وامكانياتها قادرة على أن تصر على ازالة آثار العدوان .

المهمة الثانية :

أن ندرك درس النكسة وهناك فى هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية :

١ ــ أن القضاء على الاستعمار فى العالم العربى يترك اسرائيل بقواها الذاتية ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى فان القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل .

٢ ــ ان اعادة توجيه المصالح العربية فى خدمة الحق العربى ضمان أولى .. فان الاسطول الأمريكى السادس كان يتحرك ببترول العرب .. وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم ارادة الشعوب فى خدمة العدوان .

٣ ـ أن الأمر الآن يقضي كله بوحدة الأمة العربية كلها وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف ٠

نصل الآن الى نقطة هامة في هذه المكاشفة : سؤال أنفسنا هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية في تبعات هذه النكسة ؟

وأقول لكم بصدق وبرغم أي عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة فانني على استعداد لتحمل المسئولية كلها وقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه ٠

« لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي وأن أعود الى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر ٠

ان قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر ٠ والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر وليس هذا صحيحا ٠ لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر ٠

ولقد كنت أقول لكم دائما ان الأمة هي الباقية وان أي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه هو أداة لارادة شعبية وليس هو صانع هذه الارادة الشعبية ٠

وتطبيقا لنص المادة ١١٠ من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة ١٩٦٤ فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيي الدين بتولي منصب رئيس الجمهورية وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة ٠ وبعد هذا القرار فانني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا ٠

انني بذلك لا أصفي الثورة ولكن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار واني لأعتز باسهام هذا الجيل من الثوار ٠ لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني وحقق استقلال مصر وحدد جنسيتها العربية وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي وقاد الثورة الاجتماعية وأحدث تحولا عميقا في الواقع المصري وأكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثورته وعلى نتائج العمل الوطني واسترد قناة السويس ووضع أسس الانطلاق الصناعي في مصر وبنى السد العالي ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل ـ وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل

السياسى تحالف قوى الشعب العاملة ، الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعــلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة وتبنى الاشتراكية وتحقق وتنتصر .

ان ثقتى غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطنى للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ... ان وحدته وتماسكه والتفاعــل الخلاق داخل اطار هذه الوحدة قادر على أن يصــنع بالعمل الجاد وبالعمل الشــاق كما قلت أكثر من مرة معجزات ضـــخمة فى هذا البلد لتكون قوة لنفسه ولأمته العربية ولحركة الثورة الوطنية للسلام العالمى القائم على العدل .

ان التضحيات التى بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال هذه الأزمة والبطولات المجيدة التى كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفىء فى تاريخنــا والهاما عظيما للمستقبل وآماله الكبار .

لقد كان الشعب رائعا كعادته أصيلا كطبيعته مؤمنا صادقا مخلصا . وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للانسان العربى فى كل مكان . لقد دافعوا عن حبات الرمال فى الصحراء الى آخر قطرة من دمهم وكانوا فى الجو وبرغم التفوق المعادى أساطير للبذل وللفداء وللاقدام والاندفاع الشريف الى أداء الواجب .

ان هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن انه موقف للمثل العليا وليس لأنه أمنيات أو مشاعر فردية ان قلبى كله معكم .

وأريد أن تكون قلوبكم كلها معى .

ولكن الله معنا جميعا أملا فى قلوبنا وضياء وهدى » .

رد فعل تنحى الرئيس جمال عبد الناصر :

لم يكن زكريا محيى الدين والذى رشحه عبد الناصر فى خطاب تنحيه لرئاسة الجمهورية على علم مسبق عن اختياره وكان فكرة جمال عبد الناصر عن اختياره خلفا له فى رئاسة الجمهورية هى ضرورة لمهمة أخيرة له لترتيب أوضاع البلد (١) حتى يمكن أن تنقل السلطة بدون فترة فراغ قد يحدث فيها ما لا يحمد عقباه ــ كما أن اعلان هذه النتيجة كانت مفاجئة للشعب المصرى والعربى وللساسة العرب ولمعظم رؤساء الدول وأحدث اعلان هذه

---

(١) مذكرات عبد اللطيف بغدادى ، ص ٢٠١ .

التنحية بهذا الأسلوب المفاجيء صدمة أيقظت شعب مصر فجأة على حقيقة مترسبة فى عقله الباطن بسبب طول صراعه الخفى مع العقلية الاسرائيلية ووعى هذا الشعب من حيث الانتقام الغربى والأمريكى من أى رمز عربى يحاول تحقيق أى نوع من أنواع الكرامة لأمته العربيـة وبصرف النظـر عما تكون قد تركته المعركة الخاسرة مع اسرائيل والتى لم تكن حتى انتهت مأساتها بعد ٠

استقبل الشعب المصرى هذا التنحى حتى فى أبسط قطاعاته على أنه لو تم فسيكون قد حقق لاسرائيل ولأمـريكا ولبعض الدول الغربية الحاقدة على تيار القومية العربية أهم أهدافهم وهو التخلص من عبد الناصر ولذلك أصر الشعب المصرى بشبه اجماع وتلقائيـة (١) على تفـويت هذه الفرصة على اسرائيـل ومؤيديها فقـد كان رد فعله السريع هو المنـاداة بالتمسك بعبد الناصر وضرورة عودته كرئيس لجمهورية مصر حتى على الأقل ليكون مكلفا مرة أخرى بتصحيح الأوضاع التى تسبب هو بشكل أو بآخر فيها طبقا لما جاء بخطاب تنحيته حيث جاء به « وبرغم أى عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فاننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها » ٠

وعقب الخطاب مبـاشرة تدفق طوفـان من البشر الى الشوارع فى القاهرة وفى جميع المحافظات تلقائيا منادية باسـم عبد الناصر ومطالبة ببقائه كما أن جميع اذاعات الدول العربية نقلت أخبار خـروج الجماهير العربية فى العالم العربى مكررة ما حدث فى القاهرة ومنادية تلقائيا بنفس التعبير المصرى واستمر الاندفاع الشعبى المصرى فى جميع شوارع القاهرة حتى وصلوا الى منزل الرئيس عبد الناصر والى ما حول مجلس الأمة ليلا رغم أن صفارات الانذار أعلنت عن غارة جوية وتم الاظلام التام فتوقف المرور كلية فى طريق هذه الجماهير التى كانت تطالب ببقاء عبد الناصر وازاء هذا الاجماع المصرى والعربى وخشية من أن يؤدى الى أوضاع تحمل الخطورة والضياع اذا ما ترك دون تهدئة حتى صباح يوم ١٩٦٧/٦/١٠ فقد أعاد الرئيس عبد الناصر التفكير وبخاصـة تحت ضغط ما حملته رسائل رؤساء الدول العربية وبعض كبار رؤساء الدول الأجنبية الصديقة للعرب وما عبر عنه زعماء الاتحاد السوفيتى بضرورة صرف النظر عن هذا التنحى ، فقد أصدر عبد الناصر فى ساعة متأخرة من الليل بيانا قرأه المذيع

---

(١) مذكرات المؤلف (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ص ٢٩٧ يقول أحمد الشبان عقب الاستماع لخطاب التنحى بالاذاعة « أنه مادامت اسرائيل عدوتنا هى التى تريد وترغب فى التخلص من عبد الناصر فاننا يجب أن نتمسك به حتى ولو لم يكن حبا فى عبد الناصر ولكن كرها فى اسرائيل » ٠

قال فيه « ان المشاعر التى أبدتها جماهير الشعب منـذ أذعت عليها هذا المساء بيانى عن تطورات الموقف هزتنى من الأعماق وسوف أذهب غـدا بمشيئة الله واذنه الى مجلس الأمة أناقش معه وأمام الجماهير قرارى الذى أعلنتـه فى البيـان • واذا كان لى أن أطلب شيئا فى هذه اللحظـات من جماهير شعبنا الصابر المناضل فهو أن أناشدهم الانتظار حتى الصباح • ان كل واحد منكم الآن يجب أن يكون فى موقعه فهناك مهام كثيرة تتصل بواجبات أكبر وأقـدس من أى شىء آخر ولها الأولوية على ما عداهـا من الاعتبارات • اننى أناشدكم جميعا من أجل الوطن ومن أجلى أن يكون كل منكم الآن حيث ينبغى له أن يكون » •

رد فعل خطاب تنحى الرئيس داخليا وخارجيا :

ومنذ صباح يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ازدحمت شوارع القاهـرة بالجماهير وبخاصة فى الطريق بين منزل عبد النـاصر وبين مجلس الأمة ومنذ الساعة التاسعة كان هناك استحالة لأن يتمكن الرئيس عبد الناصر من الوصول الى مجلس الأمة وكان مجلس الأمة منذ الصباح الباكر مجتمعا بكامل عدده منتظرا حضور الرئيس عبد الناصر وطال الانتظار وأملت الظروف على عبد الناصر فى النهاية أن بعث برسالة الى مجلس الأمة متحدثا فيها الى مجلس الأمة والى جموع الأمة ذاتها وقيـاداتها والى العالم تلبيـة لعواطفها ونداءاتها وكان نص رسالته والتى تم اذاعتها هى « السيد رئيس مجلس الأمة لقد كنت أتمنى لو ساعـدتنى الأمة على تنفيـذ القرار الذى اتخذته بأن أتنحى ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القرار عن أى سبب غير تقديرى للمسئولية وتجاوبا مع ضميرى وما أتصور أنه واجبى وأنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدى حتى الحياة الى آخر نفس فيها • ان أحدا لا يستطيع ولا يقدر أن يتصور مشاعـرى فى هذه الظروف ازاء الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها باصرارها على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن • ولا أعرف كيف أفى بهذا الحق ولا كيف أعبر عن عرفانى بخاصة ان الكلمات تضيع منى وسط زحام من المشاعر يملك على كل جوارحى وأقول لكم بأمانة وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أننى مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قرارى • وفى نفس الوقت فان صوت جماهير شـعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبقى فى مكانى وفى الموضع الذى يريد الشعب منى أن أبقى فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان • على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب الرجوع فيه الى الشعب فى استفتاء عام • وأنى لأشعر أن النكسة لابد أن تضيف الى تجربتنا عمقا جديدا • ولابد أن تدفعنا الى نظرة شاملة

فاحصة وأمينة على كثير من جوانب عملنا . وأول ما ينبغي أن نؤكده بفهم واعتزاز وهو واضح من الآن أمام أعيننا أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلم وهو الخالد الى الأبد .

والآن أيها الاخوة المواطنون في كل مكان أيديكم معي ولنبدأ مهمتنا العادلة وليمنحنا الله جميعا تأييده وهداه » .

مرحلة جديدة من مراحل الثورة

ان اعلان الرئيس عبد الناصر تنحيه عن السلطة كان تأكيدا على طبيعة الأمور طبقا للعرف التاريخي وهو انسحاب الحاكم والحكم المسئول عن الهزيمة من الميدان ولكن عبد الناصر أبقى في خطاب تنحيه على الهيكل الأساسي للحكم متمثلا في الابقاء على جميع مؤسسات الحكم السابقة والتي عاصرت الهزيمة على أساس ان هذه الهزيمة كانت من تدبير قوة عظيمة معادية لثورة مصر متمثلة في أمريكا وقوى أخرى طامعة في ثروات مصر والعرب ومستخدمة لصالحها وصالح أمريكا وهي اسرائيل . وكان كل ذلك يمثل في نفس الوقت نكسة للثورة على أساس أن النكسة كانت أيضا بسبب الفشل والقصور الداخلي ولكن الشعب المصري رفض هذا الوضع وهب مصمما على استئناف ثورته على القهر الجديد المتمثل في احتلال جزء عزيز من أرض مصر وتحكم استعماري أمريكي جديد في مقدرات الشعب المصري والذي كان يتمثل في ندائه بقيادة عبد الناصر وعودته لقيادة الأمة من جديد استئنافا للثورة (١) ولم يرتض الشعب المصري توقف ثورته وبذلك يكون الشعب المصري قد بدأ مرحلة جديدة من مراحل الثورة فجاء اعلان الرئيس عبد الناصر بقبول العودة لقيادة الأمة المصرية معبرا عن الاستمرار الثوري على أساس الدعوة معلنا محليا وعربيا ودوليا على التحضير لحرب تحرير جديدة وان هناك جولة جديدة لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ومقاومة التحكم الأمريكي والاستعماري الواقع على مصر على أساس ان أي حرب تحررية ومقاومة هي في حقيقة الأمر عمل ثوري كامل وكانت هذه الحرب التحررية أو الثورة عبارة عن اعداد محكم ومخطط لتجنيد كل عناصر القوة العسكرية والاقتصادية والبشرية والمعنوية القادرة على ازالة آثار العدوان سواء بعمليات مقاومة أو على شكل تحضير عسكري تقليدي باعادة تسليح وتنظيم القوات المسلحة والمجتمع المصري كله . وكانت وقفة الشعب المصري بالمطالبة بعودة عبد الناصر تعبر عن رفض التسليم بتحقيق

---

(١) خطاب عبد الناصر في الاجتماع العام لاتحاد العمال بحلوان ٣ مارس ١٩٦٨ نشرة الهيئة العامة للاستعلامات ، ص ٢٩ .

هدف اسرائيل وحليفتها أمريكا بازاحة عبد الناصر من الساحة العربية كعامل رئيسى لتهديد المصالح الأمريكية فى المنطقة ولم يكن هذا الموقف المصرى والعربى حبا فقط فى عبد الناصر ولكنه كان كذلك كرها فى اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل وثقة هذه الجماهير فى تجربتها مع عبد الناصر كبشر خاضع لظاهرة الخطأ والصواب والهزيمة والنصر ولكنه غير قابل للخضوع والاستسلام وأنه الزعيم العربى الوحيد فى ذلك الوقت القادر على مراجعة النفس بأمانة لتصحيح الأخطاء التى تسببت فى هذه الخسارة والتى لم تصل الى مستوى الهزيمة الكاملة المؤدية للاستسلام ٠ ولذلك سرعان ما استيقظت ملكات عبد الناصر بعد صدمة هذه الهزيمة والتى لا تعتبر فى حجم الهزائم التى انتابت الدول حتى العظمى منها بالمقاييس التاريخية فأمريكا نفسها تلقت صدمة بيرل هاربر فى الحرب العالمية الثانية عندما فقدت كل أسطولها البحرى فى المحيط الهادى بضربة مفاجئة من الطيران اليابانى وكصدمة هزيمة الجيش الفرنسى والبريطانى فى فرنسا بعد اجتياح ألمانيا لفرنسا وسقوط باريس العاصمة وانسحاب فلول الجيش البريطانى من الشاطىء الأوروبى فى دنكرك الى الشاطىء البريطانى وكل ذلك كان فى الماضى القريب ٠

وفى ١١ يونيو ١٩٦٧ منذ الصباح :

كان أول المهام التى مارسها الرئيس عبد الناصر هى تغيير قيادة القوات المسلحة بالكامل والبدء فى التخطيط السليم للتحضير للمعركة الحتمية مع اسرائيل ولذلك :

١ ـ قبول استقالة القادة :

أصدر قرار قبول استقالة قادة البحرية والطيران وباقى القيادات العسكرية للقوات المسلحة والتى شاركت فى الفشل العسكرى بهذه الصورة القاسية ٠

٢ ـ تعيين القيادات العسكرية الجديدة :

أصدر الرئيس قرارا بتعيين القيادات العسكرية وكان على رأسها الفريق أول محمد فوزى رغم انه كان من أكبر المسئولين عما حدث لانه كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة أثناء معارك يونيو ١٩٦٧ وكان للرئيس عبد الناصر مبرراته لهذا الاختيار لسابق معرفته الوثيقة ولشهرته فى التمسك بدقة بالسلوك والنظام العسكرى

(الضبط والربط) والتى كانت الضرورة تقضى التمسك بهما فى فترة اعادة تنظيم القوات المسلحة • أما باقى المراكز الجديدة للقيادة العسكرية فكانت تعيين الفريق عبد المنعم رياض رئيسا لهيئة أركان حرب وكان مشهودا له بالكفاءة والشجاعة والاخلاق وكذلك قواد الطيران والبحرية •

ثم اسند للقيادة العسكرية الجديدة الآتى :

٣ ــ اعادة تنظيم الجيش :

ــ عملية اعادة تنظيم الجيش ولم شمله بتجميع الشاردين من سيناء ومن قراهم بعد عملية الانسحاب العشوائية •

ــ المراجعة : عمل دراسة وبحث عسكرى وتحقيق شامل للوقوف على حقيقة ما حدث وأسباب التدهور السريع الذى حدث حتى يمكن استخلاص الدروس المستفادة لمراعاة خطة المستقبل •

ــ التخطيط للمستقبل : التخطيط السليم للقوات المسلحة وللامكانات المصرية للمعركة الحتمية القادمة •

وعلى ضوء هذه المهام تمكنت القيادة العسكرية الجديدة وفى وقت سريع من :

١ ــ الحصر :

حصر المتبقى من الامكانات والمعدات والأفراد بعد المعركة الخاسرة والتى كانت تقدر الخسائر وقتها ب ٩٠٠ مدفع و ٧٠٠ دبابة وحوالى ٨٠٠٠ عربة مختلفة أما قوة الأسطول المصرى فلم يصبها أى خسائر وكانت كلها سليمة أما السلاح الجوى فكان حتى يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ أفضل مما كان عليه الحال عقب الضربة الجوية يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ فقد تم اصلاح جميع ممرات القواعد الجوية وأصبحت صالحة للتشغيل بكفاءة وقد كانت خسائر مصر فى الطيران ١٧٠ طائرة وتبقى لدى السلاح الجوى المصرى ٣٥ طائرة وانضم اليها ٤٦ طائرة جديدة أرسلها الاتحاد السوفيتى على عجل يوم ١٠ يوليو ١٩٦٧ أما المدرعات فقد تبقى منها ٦٠ دبابة فقط منتشرة فى المنطقة الممتدة من طريق السويس الى القاهرة •

٢ ــ انقاذ الشاردين :

تم عمل ترتيبات منظمة بدقة لانقاذ جميع الشاردين فى سيناء بعد المعارك وبعد الانسحاب العشوائى وكانت دوريات تتسلل داخل

سيناء واتصلت برؤساء القبائل فى سيناء وتم استخدام جميع الصيادين ومراكبهم وكذلك سفن متعهدى الصيد ولنشات شركة الرباط فى بورسعيد وأمكن فى أسبوع استعادة وانقاذ ٩٠٠٠ ضابط وجندى ٠

٣ ـ سحب قوات اليمن :

تم عمل سحب فرقتين من اليمن وشرع فورا فى تكوين فرقتين أخريين بعد اعادة تنظيم القوات فى مصر وبعد تجميع فلول القوات المنسحبة من سيناء ٠

٤ ـ الاعتماد على السوفييت :

وبالاتفاق مع الجانب السوفيتى عند زيارة الرئيس بادجورنى القاهرة فى ١٤ يونيو ١٩٦٧ بدأ الجانب السوفيتى فى اعادة تسليح القوات المسلحة ببرنامج أقصاه ستة شهور فى المدة التى قدرها الرئيس عبد الناصر بالالتزام بحالة وقف اطلاق النار وتحقيق الهدوء لاتمام التنظيم والتدريب والتسليح وعملت مصر فى هذه الفترة بالتعاون مع شعوب الأمة العربية على تحمل تكاليف وتضحيات هذه الضرورة ٠ وقام الاتحاد السوفيتى بعد هذه المحادثات مباشرة بمد مصر بعدد كبير من الخبراء السوفيت للاستعانة بهم فى مرحلة اعادة التنظيم ٠

٥ ـ ضبط النفس :

أكد الرئيس عبد الناصر على القيادة العسكرية الجديدة بأهمية تفويت الفرصة على المخطط الأمريكى الاسرائيلى المنتظر اتباعه باستدراج القوات المصرية بالاعتداء على الأهداف المدنية الحيوية المصرية وعلى المواقع الدفاعية المصرية قبل تمام استعدادها لتلقن هذه القوات درسا للحط من معنوياتها انتقاما من وقفة الشعب المصرى بالاصرار على عودة عبد الناصر والذى يحضر لاستئناف القتال فى يوم من الأيام وأيضا تلقين القوات المصرية درسا تذكر به الأمة بأن عودتها الى ميدان القتال أمر لا ينبغى التفكير فيه ٠

٦ ـ اعادة الثقة بين المدنيين والعسكريين :

عملت القيادة السياسية بالتعاون مع القيادة العسكرية الجديدة على اعادة الثقة بين الجنود بأسرع ما يمكن وبين الشعب وبين العسكريين والتى كانت قد وصلت الى الحضيض بعد البيانات العسكرية الكاذبة والمبالغ فيها وبعد الجو الذى أشاعته الدعايات المعادية مستغلة شتى الأخطاء

لتحقيق ثغرة بين الشعب المصرى وجيشه جنودا وضباطا مما ساعد على انتشار ظاهرة التهكم الشعبى على الجيش والذى قد بدا أنه خذل شعبه .

٧ ـ اعادة التخطيط الاقتصادى :

بنفس القدر من الأهمية التى بذلتها القيادة السياسية فى البدء السليم للتخطيط من الناحية العسكرية لتحقيق واستعادة القدرة القتالية للقوات المسلحة فقد بذلت غاية الجهد فى المجال الاقتصادى فى جميع نواحيه لتحقيق قدرة الصمود المتكاملة بالاضافة الى القدرات المعنوية للمجتمع المصرى الذى بدأ يستعد للمعركة .

٨ ـ التغيير الوزارى (١٩ يونيو ١٩٦٧) :

بعد اجراء التغيير الواجب فى القيادة العسكرية بمجرد عودة الرئيس عبد الناصر لمباشرة سلطاته يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ أجرى التغيير الوزارى يوم ١٩ يونيو ١٩٦٧ كخطوة تالية وتولى فى هذا التشكيل نواب رئيس الجمهورية (١) مناصب وزارية وهم السادة زكريا محيى الدين وحسن الشافعى الذى تولى وزارة الأوقاف والشئون الاجتماعية وعلى صبرى وتولى الادارة المحلية محمد صدقى سليمان رئيس الوزراء السابق وأصبح نائبا للرئيس وتولى وزارة الصناعة والقوى الكهربائية والسد العالى . ودخل الوزارة كل من : دكتور عبد المنعم القيسونى وزيرا للتخطيط وسيد مرعى وكيل مجلس الأمة وزيرا للزراعة وعبد العزيز السيد التربية والتعليم . وخرج من الوزارة كل من السادة : سيد يوسف وحمدى عبيد وعزيز يسن وأنور سلامة وأحمد خليفة ومحمود عبد السلام وعزت سلامة .

مراحل اعداد مصر للمعركة المقبلة :

مرت الفترة من ٥ يونيو ١٩٦٧ الى وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ (٢) بمراحل نشاط قتالى وأخرى هدوء نسبى بتصميم مصرى على ازالة آثار العدوان بتحرير الأرض بالقوة ، وكانت هناك مرحلة اعادة التنظيم والتسليح وبعض الاشتباكات الناجحة والتى كان منها معركة رأس العش رغم ان العدو كان طوال هذه المدة يمعن أن يشعر مصر بالاستخفاف بها وجيشها الى أن ذاق مرارة الهزيمة على أيدى القوات المصرية فى معركة رأس العش بعد مضى أيام قليلة من انتصاراته ومع بداية سنة ١٩٦٩ بدأت

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى جزء ٢ ، ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٢) حروب مصر المعاصرة ـ لواء / عبد المنعم خليل ، ص ١١٠ .

قواتنا تمارس فترة حرب الاستنزاف وتصاعد العمليات الفدائية داخل سيناء مصحوبة بالحصول على بعض أسرى العدو وكانت حرب الاستنزاف الحقيقية مع بداية سنة ١٩٧٠ والتى استمرت حتى ٨ أغسطس ١٩٧٠ كل ذلك اقتضى تخطيطا عسكريا ومدنيا دقيقا مما جعل الرئيس عبد الناصر يجتمع مع القادة العسكريين والمتخصصين المدنيين والمستشارين السوفيت للتخطيط لحرب الاستنزاف وسيجىء كل ذلك فى موضعه ٠

الاعداد الجدى لحرب التحرير :

كانت المؤسسة الوطنية المصرية متمثلة فى المؤسسات الوطنية الفرعية من مجلس الشعب يضم ممثلى الشعب المصرى الى حد ما والتنظيم السياسى الاتحاد الاشتراكى العربى والذى هو الآخر يمثل تحالف قوى الشعب العاملة من عمال منتظمين فى نقابات عمالية تمثل هى الأخرى هذه المؤسسة أيضا الى حد بعيد عن طريق الانتخابات ، ومؤسسة الفلاحين المصريين ممثلة فى نقابة عمال الزراعية والجمعيات التعاونية الزراعية ومؤسسة المثقفين متمثلة فى ادارة النقابات المهنية وهى الأخرى وصلت الى مراكزها عن طريق الانتخاب ومؤسسة الرأسمالية الوطنية ويمثلها الغرف التجارية الى حد ما والمؤسسة العسكرية ويمثلها القيادة العامة ولما كانت قد أثبتت فشلها بالكامل فى ادارتها لمعارك يونيو ١٩٦٧ مما سببته من نكسة كان يمكن تفاديها أو على الأقل الحد من هذه النكسة وحجمها الذى يدمر الاستقلال الوطنى فقد بادر الرئيس عبد الناصر باستبدال قادتها وتغيير أسلوب عملها ، وكانت هناك المؤسسة الصناعية الوطنية متمثلة فى قيادتها المشكلة فى تنظيم مؤسسات القطاع العام ، وأيضا المؤسسة الاقتصادية الوطنية التى تشمل البنوك الوطنية والبنوك الأخرى التى يشرف عليها البنك الوطنى وكل ذلك كانت تديره المؤسسة الوطنية متمثلة فى اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا يرأسها الرئيس عبد الناصر والذى أخذ يخطط ويحضر لحرب لتحرير بفضل هذه المؤسسات الوطنية ولذلك جاء خطاب الرئيس عبد الناصر بالتركيز والتأكيد على دور هذه المؤسسات والتمسك بها وبخاصة تحالف قوى الشعب العامل لاجتياز محنة النكسة بالتحضير الجدى لحرب التحرير وهذا فى حد ذاته يعتبر استمرارا لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأن كل هذه المؤسسات كانت بمثابة مؤسسات هذه الثورة ٠

معركة رأس العش (أول يوليو ١٩٦٧) :

عند اعلان وقف اطلاق النـار الذى فرضته الأمم المتحـدة لم تكن القوات الاسرائيلية قد وصلت بعد (١) الى مدينة بور فؤاد المقابلة لمدينة بور سعيد فى سيناء وبقيت بها قوات من المقاومة الشعبية فقط ولكن بعد ثلاثة أسابيع تقريبا من ايقاف النيران بدأت قوات اسرائيل الموجودة فى رمانة على ساحل سيناء الشمالى تتقـدم نحو الغرب بحذاء البحر بغرض احتلال بور فؤاد ولم يمكنها التقدم لاصطدامها بحقول الألغام وبقطع أرضى يوصل مياه البحر الأبيض بالبحيرة وتوقفت‌هذه القوات على بعده كيلومترات شرق بور فؤاد ولم تتوقف اسرائيل عن فكرة احتلال بور فؤاد وفكرت هذه المرة بالتقدم نحوها من الجنوب على الطريق شرق القناة ٠ وعلى أثر ظهور نيات اسرائيل قامت مصر بتعزيز دفاعاتها فى بور فؤاد وقامت قوات من الصـاعقة المصرية والمهندسين عند منطقة أمام رأس العش بحوالى ١٢ كيلو مترا جنوب بور فؤاد وعلى الشاطىء الشرقى للقناة بزرع ألغام واحتلال مواقع دفاعية (٢) فى هذه المنطقة الحاكمة على أى تقدم لأنه من الغرب لهذا الموقع الدفاعى كانت قناة السويس كمانع مائى لأى تقدم برى وللشرق كانت توجد أرض رخـوة لا تصلح اطلاقـا لتقدم العربـات أو الدبابـات ولا حتى المشاة وخلف قوات الصاعقة كانت قوات المقاومة الشعبية ٠ وبعد عصر يوم أول يوليو ١٩٦٧ رصدت قوات المقاومة الشعبية فى القنطرة غرب تقدم قوات اسرائيلية محملة على عربـات ومعها عدد من الدبابـات متحركة فى اتجاه الشمال ومتجهة الى بور فؤاد على الطريق الساحلى فى الشرق وأبلغت هذه المعلومات الى قيادة الجيش فى بورسعيد والى قوات المقاومة وقامت جميع قوات الحرس الوطنى الموجودة فى بور سعيد بالانضمام الى قوات المقاومة الشعبية الموجودة فى بور فؤاد خلف مواقع الصاعقة المحتلة للموقع الدفاعى أمام رأس العش فى الغرب ٠ وكانت قـوات الصـاعقة المصرية محتلة مواقع معينة على أجنـاب الطريق ومسلحة تسليحا قويـا بالمدافع والصواريخ المضادة للدبابات وتمكنت هذه القوات بمهارة وحسن تدبير من مفاجأة الدبابات الاسرائيلية المتقدمة وأصابت الدبابتين الأماميتين من الأجناب مما تسبب فى سد الطريق أمام القوات الاسرائيلية خاصة وان الدبابات الاسرائيلية الخلفية هى الأخرى قد أصـيبت مما جعل الموقف الاسرائيلى فى غاية الصعوبة وأطبقت قوات نيران الصاعقة المصرية على باقى القوات الاسرائيلية وأحـدثت بها خسائر كبيرة جدا داخل هذه المصيدة

---

(١) حروب مصر المعاصرة ـ لواء / عبد المنعم خليل ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ٠

(٢) مذكرات للمؤلف فى كتاب (كنت نائبا لرئيس المخابرات) ، ص ٣٠٣ الى ٣٠٥ ٠

المصرية وكتب النصر لقوات مصر المسلحة والتى كانت بمثابة بادرة طيبة لاعادة ثقة الشعب المصرى فى قواته المسلحة واحتفل شعب بور سعيد عن بكرة أبيه بهذا النصر المحلى ولم تعاود اسرائيل مهاجمة بور فؤاد مرة أخرى حتى بدء معارك أكتوبر ١٩٧٣ وانسحاب اسرائيل الكلى من سيناء ٠

الاستفزاز الاسرائيلى بعد معركة رأس العش :

بعد معركة رأس العش كانت مصر فى شدة الحاجة (١) الى اعادة تنظيم وتسليح قواتها المسلحة وبالتالى كانت تفضل الهدوء وتتجنب الاشتباكات ولكن بعض وحدات العدو على الجانب الشرقى من القناة بدأت تقوم بأعمال استفزازية كنزول أفراد منهم للسباحة وصيد السمك فى القناة على مرأى من الجنود المصريين على الضفة الغربية وقام جنود اسرائيل على مسمع من جنود مصر باذاعة الأغانى المصرية بالمكبرات وأخذوا يطلقون النكات البذيئة على المصريين ويوجهون اليهم الشتائم القذرة باللغة العربية وفى بعض الأحيان كان الجنود المصريون يردون عليهم بالنيران وكان هذا الرد غالبا ما يتصاعد مداه من طلقات فردية الى اشتباكات بالرشاشات والمدافع ثم يمتد على طول الجبهة وكان العدو يتعمد ازعاج القوات المصرية باستمرار ويقوم بتحركات فى خليج السويس وبأعمال استطلاع واعتداءات بالمدفعية مع احداث بعض الخسائر وفى احدى المرات ركزت القوات المصرية الضرب على مواقع العدو فى لسان بور توفيق وكان رد الفعل ان قامت اسرائيل بقصف جوى على مدن القناة جميعا ٠

مصر تقوم باختبار قدراتها (١٤ يوليو ١٩٦٧) (٢) :

فى يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ فاجأت القوات الجوية المصرية والتى أعيد تنظيمها وتسليحها العدو الاسرائيلى وتصدت ١٠ طائرات مصرية ميج ١٧ لاعتراض طائرات اسرائيل الاستطلاعية وأصابتها وكان ذلك بمثابة اعادة للثقـة ٠

واشتباكات فى بور توفيق :

وفى نفس اليوم تصدت قوة مصرية لبعض اللنشات الاسرائيلية عندما نزلت القناة رافعة العلم الاسرائيلى لمحاولة اثبات حق اسرائيل فى

---

(١) حروب مصر المعاصرة ـ اللواء / عبد المنعم خليل ، ص ١٠٢ و ١٠٣ ٠

(٢) حروب مصر المعاصرة ـ اللواء / عبد المنعم خليل ، ص ١٠٤ و ١٠٥ ٠

نصف المجرى المائى ولما أظهرت القوات المصرية عزمها على الاشتباك انسحبت اللنشات الاسرائيلية بسرعة ٠

ايقاف القتال (١٥ يوليو ١٩٦٧) :

وصدرت الأوامر بايقاف القتال من الساعة الحادية عشرة مساء يوم ١٥ يوليو ١٩٦٧ وبدأت قوات الطوارىء الدولية استلام مواقعها يوم ١٦ يوليو ١٩٦٧ ٠

متطلبات المرحلة الصعبة خارجيا :

من واقع المحاولات والجهود المصرية الدولية ومناقشات مجلس الأمن حول مشاكل الشرق الأوسط تيقنت القيادة السياسية المصرية من حقيقة مصاعب المرحلة المقبلة الى أن يتم اعادة التسليح والتدريب وتقوية القدرة العسكرية المصرية الدفاعية وتبين لمصر :

١ ـ ان مفاتيح الأمور كلها أصبحت فى يد الولايات المتحدة بعد أن تحققت كل أهدافها وأطماعها السياسية فى اذلال العالم العربى وبخاصة مصر ٠

٢ ـ تراجع موقف الاتحاد السوفيتى فى ميدان الحرب الباردة أمام الأمريكان وبخاصة فى مجال هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتبقى لمصر فقط أمل وحيد هو امكان الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى مجال التدعيم العسكرى للتجهيز للمعركة الحتمية المقبلة مع اسرائيل وفقدان الأمل تقريبا فى أى حل سلمى ٠

٣ ـ أصبح من الأمور الحتمية وجوب تحميل دول الأمة العربية مسئولية فى تدعيم قدرات مصر الدفاعية والقدرات العربية لهذه المعركة التى لا مفر منها بعد سرعة تماسك مصر بعودة الرئيس عبد الناصر لتولى زمام الأمور والبدء فورا فى التجهيز لازالة آثار العدوان بشتى الوسائل وعلى رأسها الوسيلة العسكرية التى أصبح يمعن فى فرضها الجانبان الأمريكى والاسرائيلى ٠

٤ ـ فرضت الظروف على الرئيس عبد الناصر المبادرة بتشجيع الملك حسين على الاتصال بأمريكا اعتمادا على سابق صلاته الطيبة معهم من أجل محاولة الوصول الى أى ترتيبات بخصوص الضفة الغربية لضمان عروبتها ومحاولة ابعادها بأى صورة من السيطرة الاسرائيلية التى تحققت بالغزو ٠

٥ ـ المبادرة بالتشاور عربيا من أجل عقد مؤتمر قمة عربى وحدث اتصال فعلا مع الرئيس الجزائرى بومدين والرئيس السودانى اسماعيل الأزهرى والرئيس السورى نور الدين الأتاسى والرئيس العراقى عبد الرحمن عارف والملك حسين وقام الرئيسان بومدين وعبد الرحمن عارف بزيارة لموسكو للاتفاق مع الجانب السوفيتي للبدء فورا وبأسرع ما يمكن بمد مصر ودول المواجهة العربية بالسلاح والمعدات اللازمة للمعركة المقبلة بدفع الثمن مقدما ٠

٦ ـ اهتزاز الموقف الداخلى (٢٦ أغسطس ١٩٦٧) :

عندما وصلت معلومات مؤكدة للرئيس عبد الناصر ان المشير عامر والملتفين حوله المعتصمين فى منزله يدبرون محاولة لتحرك المشير سرا للذهاب الى منطقة القناة العسكرية لتولى القيادة العامة منها اضطر الرئيس عبد الناصر الى سرعة احتواء هذه الأزمة التى وصلت لدرجة التآمر الذى يضر بأمن وسلامة القوات المسلحة وبالتالى بالبلاد فقام باعتقال عبد الحكيم عامر بتحديد اقامته (يوم ٢٦ أغسطس ١٩٦٧) وبخاصة ان توقيت هذا المخطط كان موضوعا على أساس تنفيذه وقت وجود الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم ٠ وقد تم اعتقال المشير بمنزل الرئيس عبد الناصر بعد استدعائه بحضور زملائهما من أعضاء مجلس الثورة وتم ذلك فى الوقت الذى تم فيه محاصرة منزل المشير عامر المدجج بالسلاح وتم اعتقال جميع الضباط المعتصمين والذين جلبهم المشير من المدنيين من بلدته وتم تطهير المنزل من جميع الأسلحة والذخائر وذلك قبل انعقاد مؤتمر القمة العربى بالخرطوم وذلك يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ ٠

٧ ـ انعقاد مؤتمر القمة العربى بالخرطوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ :

تم انعقاد مؤتمر القمة العربى بالخرطوم وقد حقق الآتى :

١ ـ اعلن المؤتمر قرارا بعدم الصلح أو المفاوضة مع اسرائيل وعدم الاعتراف باسرائيل وعدم التصرف فى القضية الفلسطينية الا بمعرفة الفلسطينيين أنفسهم ٠

٢ ـ تجنب المؤتمر سياسة التشدد فلم يأخذ بوجهة نظر المطالبين بقطع البترول وسحب الأرصدة العربية من الدول الغربية على أساس أن توقف ضخ البترول يؤثر مباشرة على عملية شراء السلاح اللازم للمعركة ٠

٣ ـ انشاء صندوق عربى لدعم مالى للحصول على السلاح اللازم لدول المواجهة العربية ورصد لذلك ٩٥ مليون جنيه استرلينى ٠

٤ ـ اعطاء تفويض عربى للملك حسين للبحث عن حل سياسى للضفة الغربية مع الأمريكيين ·

٥ ـ توصل المؤتمر لحل سلمى للخلاف بين مصر والسعودية وبخصوص مشكلةحرب اليمن بما حقق عودة القوات المصرية من اليمن الى الجبهة فى مواجهة العدو الاسرائيلى ·

فى يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ :

صدر بيان عن سبب تحديد اقامة المشير عامر ونشر فى الأهرام فقط ·

فى يوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر :

نشر فى الصحف أقوال بعض المتهمين فى قضية التآمر المتهم فيها عبد الحكيم عامر وبعض ضباط الجيش منهم صلاح نصر وشمس بدران وعثمان نصار ·

انتحار المشير عامر (١٥ سبتمبر ١٩٦٧) :

فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ أعلن خبر انتحار المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية سابقا وأعلن بذلك بيان فى الاذاعة الساعة ١١ مساء · وفى يوم ١٦ سبتمبر ١٩٦٧ نشر بيان عن الحادث فى الصحف ·

٨ ـ مأساة المشير عبد الحكيم عامر :

خسارة معركة يونية ١٩٦٧ أصاب المجتمع المصرى وقمته السيادية والقيادة العسكرية المصرية · وكادت القيادة السياسية أن تسقط تماما ولكنها عادت بفضل ارادة الشعب المصرى والشعب العربى · أما القيادة العسكرية فقد أصابها الانهيار من اللحظة الأولى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ حيث كان المشير عامر نائب القائد الأعلى ومعه قواد أسلحته الرئيسية معلقين فى الجو وفوق منطقة القناة فى طريقهم الى سيناء أثناء الضربة الاسرائيلية الأولى ولما عاد الى القاهرة هبط بصعوبة لأرض المطار والذى كان يتم ضربه ووصل بصعوبة الى مركز قيادته ومنذ وصوله الى مقر قيادته كانت شخصيته نفسها قد تحطمت وفقد القدرة على التماسك وتسبب تضارب توجيهاته وتخبط قراراته فى فداحة الخسائر فى المعدات والأفراد فكان من الطبيعى منذ ايقاف القتال أن ينسحب هو وأعوانه العسكريون الكبار من مراكزهم وقبل اعتزاله اتفق مع عبد الناصر على أن يترك الاثنان

مناصبهما بعد ترتيب أوضاع البلد وكان على رأس هذه الأوضاع تعيين شمس بدران وزير الحربية رئيسا مؤقتا للجمهورية رغم تأكدهما من محدودية كفاءة شمس بدران العسكرية والسياسية ولكن الأحداث مرت بسرعة فائقة منذ هذا التفكير حتى وقت التحضير لخطاب عبد الناصر بالتنحى فقد جاء فى اعلان التنحى عن رئاسة الجمهورية اختيار زكريا محيى الدين رئيسا للجمهورية بدلا من شمس بدران وتوالت الأحداث بسرعة أيضا بعد أن رفض الاجتماع الشعبى هذا التنحى وقبل الرئيس عبد الناصر الخضوع لارادة الشعب وأعلن قبول العودة رئيسا للجمهورية حتى زوال العدوان وأسرع الرئيس عبد الناصر بعد عودته الى منصبه باصدار قرارات حقق بها التغيير الكامل فى القيادات العسكرية بعد قبول استقالة القادة القدامى وكلهم كانوا على علاقة وثيقة بالمشير عبد الحكيم عامر وطالت مدة توليهم مراكزهم القيادية العسكرية من قبل العدوان الثلاثى بعد فشلهم فى التصدى عسكريا للعدوان الثلاثى ١٩٥٦ وثبت عدم كفاءتهم وجدارتهم العسكرية وبالعكس تمسك المشير بهم واستمروا فى مراكزهم التى وصلت حالتها تحت قيادتهم لدرجة التجمد وعدم التمشى مع التطورات السريعة والهائلة فى الأساليب العسكرية والتكنولوجية الحديثة ومن التأكد من عدم قدرتهم على هذا التطور وكان عبد الحكيم عامر يعتمد فى جميع تصرفاته العسكرية بل والعادية على شلة من الضباط الانتهازيين والتى كانت تتوقف المزايا التى ينتفعون بها على تقربهم من المشير وتظاهرهم بالولاء التام للنظام وللمشير وكان المشير عامر يعامل كبار القادة وشلة الضباط بطريقة واسلوب البداوة ويتفانى فى حمايتهم والدفاع عنهم وعن وجودهم حوله سواء أصابوا أم أخطأوا ٠

ورغم اعلان المشير عامر اعتزاله العمل فقد تعمد الاختفاء كلية بعد اعلان الرئيس عبد الناصر عودته لتولى سلطاته ولكن تسربت الأخبار الى الرئيس عبد الناصر انه ومجموعة من العسكريين الذين يحيطون به وينتفعون من قربهم منه وعلى رأسهم وزير الحربية السابق شمس بدران كانوا يجتمعون ويتداولون بشكل أقرب ما يكون الى التآمر بغرض فرض اعادة المشير عامر لجميع مناصبه السابقة اسوة بعودة الرئيس عبد الناصر الى منصب رئيس الجمهورية ٠ كما فوجىء المشير عامر بقبول عودة الرئيس عبد الناصر مرة أخرى بدون أخذ رأى عبد الحكيم عامر بالنسبة لموقفه هو بعد اعتزاله وكما فوجىء أيضا بتغيير القيادة العليا كلها وتعيين قيادة غيرها دون أخذ رأيه ٠ وبدأ الرئيس عبد الناصر يعمل على احتواء بوادر هذه الأزمة الخطيرة خاصة وانها صادرة من رجال عسكريين لهم علاقة وصلات قوية ومنظمة داخل القوات المسلحة وهم شلة شمس بدران وزملائه دفعته

فى الكلية الحربية والذين تأثروا بابعاد شمس بدران نفسه عن السلطة بعد أن كانت آمالهم قد تجددت عندما علموا أنه كان مرشحا لرئاسة الجمهورية · وقام شمس بدران ورجاله بالاعتصام داخل منزل المشير عامر وكان محاطا بحراسة خاصة برجال من بلديات المشير عامر مسلحين بمختلف الأسلحة بغرض المقاومة عند اللزوم · وكان كل الضباط المحيطين بالمشير من المطلوب اعتقالهم والتحقيق معهم · وكانت هذه هى المرحلة المتقدمة (١) من المأساة ولكنها تصاعدت مع مرور الوقت حتى وصلت الى القمة · وعندما بلغ الرئيس عبد الناصر ان المحيطين بالمشير عامر أقنعوه بعدم جدوى الاعتصام بمنزله وانه يجب أن يخرج الى وحدات الجيش فى منطقة القتال بعد أن اطمأنوا لولاء بعض قادتها للمشير ولشلته ويتولى من هناك قيادة هذه الوحدات وبذلك يمكنه املاء شروطه على الرئيس عبد الناصر لعودته وعودة شلته لمراكزهم اسوة بعودة عبد الناصر · ولذلك أسرع الرئيس عبد الناصر واستدعى المشير للقائه فى منزله باسلوب عادى وهناك فوجىء بوجود جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة القديم وأخذ عبد الناصر فى حضورهم فى مكاشفة عبد الحكيم عامر فى تصرفاته الأخيرة الخطيرة على أمن البلاد وبأسلوب المساءلة الرسمية وفى نفس الوقت قامت قوات عسكرية بمحاصرة منزل المشير واستسلم جميع المعتصمين به من أعوان المشير وفوجىء المشير بأنه محاصر ولا يمكنه العودة الى منزله والوجود بين شلته وتم ذلك قبل سفر الرئيس عبد الناصر لحضور مؤتمر الخرطوم لان توقيت الحركة التى دبرها الملتفون حول المشير عامر كان سيتم تنفيذها بعد وصول الرئيس عبد الناصر الى الخرطوم مباشرة ·

اغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » (٢١ أكتوبر ١٩٦٧) :

فى ٢١ أكتوبر تم تدمير واغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » أمام ميناء بور سعيد وقتل منها ٤٧ رجلا وجرح ٩١ رجلا ·

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ :

قامت اسرائيل بالانتقام بضرب منشآت البترول فى الزيتية والسويس ·

---

(١) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ، جزء ٢ ، ص ٣١٣ ·

اسرائيل تخترق العمق المصرى (أول نوفمبر ١٩٦٧) :

في أول نوفمبر ١٩٦٧ قامت طائرتان هليكوبتر اسرائيليتان باختراق العمق المصرى وقام رجالهما بتدمير عامود الجهد العالى الرئيسى للكهرباء بجوار نجع حمادى وحاولوا نسف قناطر نجع حمادى وكوبرى قنا وكل ذلك بغرض ازعاج وتعطيل خطة الدفاع المصرية والتى كان قد بدىء فى تنفيذها ·

التطعيم للمعركة القادمة منذ أول عام ١٩٦٨ :

من أوائل عام ١٩٦٨ استمرت الاشتباكات المصرية مع العدو بالمدفعية والهاونات وأعمال القناصة بغرض رفع المعنويات ليشعر المقاتلون بجدية المعركة المقبلة وبدأت أعمال التجهيز الهندسى وتقوية وتحصين المواقع الدفاعية واقامة قواعد خرسانية ضخمة للصواريخ السوفيتية الجديدة المضادة للطائرات وبدأت القوات المصرية تدفع الداوريات الاستطلاعية داخل مناطق العدو فى سيناء وصار التدريب المكثف على عمليات عبور الموانع المائية للقوات المسلحة وفى أثناء ذلك استمرت الاشتباكات مع العدو وبدأت أعمال التمهيد الهندسى للعبور ونشطت أعمال الداوريات داخل سيناء ولما عاود العدو ضرب القناة بالمدفعية الثقيلة قامت قوات الكوماندوز المصرية بعمليات داخل سيناء وصار تهجير أهالى مدن القناة ·

آلام المرض

منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ وحتى نهاية ١٩٦٧ كانت مصر بمثابة مريض يترنح من معاناة الآلام القاسية لمرضه الذى لزم تشخيص أسبابه ووجب اجراءات الاسعافات الأولية السريعة له لتخفيف هذه الآلام وانقاذ حياته من التدهور لحين اجراء العلاج واستئصال مسببات المرض الرئيسية لذلك توالت الاسعافات بدءا بوقفة الشعب المصرى والعربى للمطالبة ببقاء الرئيس عبد الناصر ثم مبادرة الرئيس عبد الناصر باعلان القرارات اللازمة للتغيير الضرورى السريع فى القيادة العسكرية والمدنية (التغيير الوزارى) واعلان بعض القرارات الاقتصادية والداخلية اللازمة للاصلاح · ولكن فترة التخلص من الآلام نبهت المريض فى فترات الصحوة من الآلام الى قسوة وفداحة الخسائر والى أبعاد الهزيمة التى أصابته فى صميم أرضه وكرامته والتى كادت ان تؤدى الى هزيمة شاملة قاضية وان ما حدث له كان استخفافا بأمنه وعقليته وان النتيجة لكل ذلك كانت اهتزاز الثقة فى كل شىء بصفة عامة وفى المسيرين لنظام عبد الناصر بصفة خاصة وبنفس القدر إفاق عبد الناصر نفسه وبسرعة على كل هذه الأسباب والتى

كان على رأسها الخلل الواضح فى قيادات نظامه من ناحية الكفاءة الادارية والتنظيمية والعسكرية فلم تجد القيادة السياسية مناصا من مكاشفة الشعب بالمبرر اللازم لتنوير الرأى العام المصرى والعربى رغم قسوة هذه المكاشفة ولذلك بادرت بالأمر باجراء التحقيقات والبحوث والمراجعة للوقوف على أبعاد وأسباب هذه النكسة بشكل شرعى ورسمى رغم اعتراف عبد الناصر فى بيان تنحيته باستعداده لتحمل المسئولية رغم أنه كان اعترافا من جانب واحد . فلقد شعر عبد الناصر بعدم اقتناع الشعب المصرى بذلك ووجد من الرأى العام انه بالقطع سيبادر بالمطالبة بضرورة الحساب الدقيق فان عبد الناصر قد بادر من نفسه بقرار التحقيق والمحاكمة العسكرية للقيادات المسئولة عن هذه النكسة .

المحاكمات ١٩٦٧/١٠/٣٠

بدأت المحاكمات العسكرية للمسئولين عن النكسة يوم ١٩٦٧/١٠/٣٠ وانعقدت محكمة عسكرية برئاسة الفريق صلاح الحديدى لمحاكمة قائد وضباط الطيران ومحكمة عسكرية أخرى برئاسة الفريق الرمالى لمحاكمة ضباط الأسلحة الأخرى وكان من المتهمين اللواء صدقى الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة التى أبيدت عن آخرها أثناء انسحابها غرب القناة ثم عودتها مرة أخرى الى سيناء بأمر القيادة العامة للقوات المسلحة . وكانت المحاكمات تتم فى جلسات يومية وفى بعض الأيام كانت تنعقد صباحية ومسائية وأخذت أقوال أكثر من ثمانين قائدا وضابطا من جميع أفرع القوات المسلحة .

اعلان الأحكام (٢٠ فبراير ١٩٦٨) ..

أعلنت الأحكام للمحكمتين فى يوم واحد يوم ٢٠ فبراير ١٩٦٨ وكان قد أقيم على الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية (١) خمسة ادعاءات وبرأته المحكمة من أربعة منها وأدين فى ادعاء واحد هو « أنه أعطى لرئيس الجمهورية معلومات غير صحيحة مما ترتب عليه رسم استراتيجية على أسس غير سليمة وذلك انه عندما أجاب على سؤال الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر القيادة العسكرية يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ عن مدى تقديره لنسبة الخسائر التى قد تلحق القوات الجوية المصرية فى حالة تلقى الضربة الأولى من اسرائيل كان جوابه انها قد تكون من ١٠٪ الى ٢٠٪ وبذلك جعل القيادة السياسية والقيادة العسكرية على قناعة بامكان الرد المصرى على

---

(١) عدد أكتوبر ١٩٩١ من مجلة الشباب ، حديث الفريق صلاح الحديدى .

الضربة الجوية الاسرائيلية اذا ما حدثت • وكان من رأى المحكمة ضرورة تخفيف الحكم على الفريق صدقى محمود نظرا للمفاجآت التى قامت بها اسرائيل باستخدام أسلوب الطيران المنخفض فى الاقتراب من القوات الجوية المصرية وهو خارج عن نطاق الرادارات والدفاعات والصواريخ المصرية وللمفاجأة فى استخدام اسرائيل خزانات وقود احتياطية بطائراتها مكنتهم من تعديل مدى الطائرات المهاجمة الاسرائيلية ومضاعفتها خلافا لما كانت تتوقعه القيادة الجوية المصرية وبالاضافة أيضا الى استخدام اسرائيل لقنبلة جديدة تحمل بالبراشوت لتدمير واتلاف أراضى الممرات الجوية بشكل يجعل الطيران المصرى عاجزا عن الاقلاع والهبوط وبخاصة فى الفترة الحاسمة • وأدين أيضا فى موضوع التهاون فى احتياطات الأمن والاستعداد وسرعة الانطلاق وقصور المعلومات ولذا كان الحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ سنة وكان الحكم من وجهة نظر المحكمة هو أقصى ما يستحقه ولكنه كان من وجهة نظر الرأى العام يعتبر حكما مخففا لفداحة مسئولية قائد القوات الجوية عن النكسة الشاملة للبلاد •

وصدر حكم البراءة على الفريق جمال عفيفى رئيس أركان حرب القوات الجوية وحكم على اللواء عبد الحميد الدغيدى قائد القوات الجوية بالجبهة بالبراءة وحكم على اللواء جوى اسماعيل لبيب قائد الدفاع الجوى بالسجن ١٠ سنوات •

أما محكمة الفريق الرمالى

فقد أعلنت أحكامها وكانت كلها تميل الى الشدة فقد صدر الحكم على اللواء صدقى الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة بالسجن على أن الرأى العام كان يعتبره غير مسئول عن ابادة جنوده وضباطه حيث صدرت اليه الأوامر بالانسحاب من سيناء فأتمه على خير وجه ودون خسائر ولكن القيادة العسكرية عادت وأصدرت اليه أوامر بالعودة مرة أخرى الى سيناء فى ظروف طيران اسرائيلى مسيطر سيطرة كاملة على الجو وتعمده احداث أكبر خسائر للقوات المصرية وبخاصة عند المعابر والنتيجة هى ابادة قوات اللواء الغول تقريبا •

وصدرت أحكام قاسية على بعض صغار الرتب فصدر الحكم ضد ضابط ١٥ سنة وصدر حكم على ملازم ثان بالاعدام •

الاعلام المستفز

وفى اليوم التالى لاعلان الأحكام صدرت الجرائد تحمل عناوين ضخمة وصورا للمتهمين وأمام كل منهم العقوبة التى وقعت عليه وكانت

بصورة مستفزة للرأى العام فكانت هناك صورة للفريق أول صدقى ومحكوم عليه ١٥ سنة وبجوارها صورة ملازم ثان محكوم عليه بالاعدام · وصورة للفريق جمال عفيفى وبراءته وبجواره صورة صف ضابط محكوم عليه ١٥ سنة وأشغال شاقة وهكذا فكان النشر بهذه الكيفية فيه معنى لم يخف على الرأى العام بأنه كانت هناك محاباة لكبار الضباط القادة وهم فى قمة المسئولية عن هزيمة القوات وأقسى الأحكام بالاعدام والأشغال الشاقة المؤبدة على الرتب الصغيرة والجنود ولم يقتنع الرأى العام بأحكام البراءة لكبار القواد المسئولين الرئيسيين عن النكسة ·

مظاهر الاحتجاج

وبعد اذاعة الأحكام قامت المظاهرات فى مصـانع حلوان وهاجموا نقطة البوليس وكسروا المبنى وتغلب العمال على قوات البوليس بالعنف ثم توالت المظاهرات ·

صدمة المشاعر الشعبية والمظاهرات

بعد ان صدرت الأحكام فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨ فى الصحف بالأسلوب الاستفزازى كانت صدمة لمشاعر الشعب لأن الأحكام صدرت من المحكمة التى تنظر للقضية بموجب أدلة وقرائن وشهود نفى وشهود اثبات وتوازن بين كل هذه الأمور أما الرأى العام فينظر الى الموضوع من الناحية الوطنية والسياسية وكانت النتيجة هزيمة للقوات المصرية زلزلت مصر والرأى العام بقسوة فتولدت بين صفوف الرأى العام انفعالات وفى اليوم التالى لاعلان الأحكام يوم ٢١ فبراير ١٩٦٨ بدأت هذه الانفعالات فى حلوان وبدأت المظاهرات تقوم وخرجت المظاهرات من مصانع الطائرات بحلوان ولم تتصد السلطات لهذه المظاهرات فى هذا اليوم على أسـاس انهـا كانت تعبيرا عن مشاعر الرأى العام شاركت فيها عناصر من منظمات الاتحاد الاشتراكى التنظيم السياسى المعبر عن رأى السلطة · أما فى اليوم التالى يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٨ فقد انضم الى هذه المظاهرات جموع من الشعب وتصدى لها البوليس عند قسم حلوان وحدثت اصابات ولكن لم يقتل أحد ولكن انتشرت الاشاعات لأن الأوامر صدرت للصحف بعدم تناول هذه المظاهرات بالنشر وكانت هناك مبالغات بأن هناك قتلى وعددا كبيرا من الجرحى وفي يوم السبت ٢٤ فبراير صباحا تحرك شبان الجامعات·وكان أمرا طبيعيا لاهتمامهم بما يجرى فى الوطن وخرجت مواكب الطلبة من الجامعات ووصلت الى مجلس الأمة وتكلم فيهم رئيس مجلس الأمة وقابل عددا منهم وكانت المظاهرات سلمية الى أن انضم لها عدد غفير من الأهالى بعد الظهر

واضطر البوليس الى تفريقها بعد ان تعدت الهتافات والشعارات الحد الى درجة الاثارة ٠

وفى صباح الأحد ٢٥ فبراير ١٩٦٨

لم يهدأ الحال فى كليات الجامعة وكان للطلبة استفهامات هـــامة ولكن بدون اجابات وبخاصة عن أحكام الطيران وعن حقائق ما حدث فى حلوان فى مواجهة مظاهرات العمال بعد ان انتشرت الاشاعات عن عشرات القتلى وعن أسباب عدم النشر فى الصحف وعن أسباب القبض على بعض الطلبة وخرجت المظاهرات وتصدى لها البوليس لتفريقها تنفيذا لقرار وزير الداخلية بمنع المظاهرات وحدثت اصابات أخرى فى جهات متفرقة من العاصمة ٠

وفى نفس التاريخ تظاهر طلبة كلية هندسة جامعة الاسكندرية وبعد ان تصدى لهم البوليس عادوا الى كليتهم واعتصموا داخل أسوار الكلية لمدة أسبوع ولم يتراجعوا الا بعد هطول الأمطار لمدة ثلاثة أيام متواصلة ٠ ومنذ عام ١٩٥٤ لم تقم فى مصر أى مظاهرات احتجاجية ولما كانت القيادة السياسية من دراستها الشعارات والهتافات التى رددتها هذه المظاهرات مقتنعة بجانب كبير من وجاهة هذه المطالب التى تدعو بصفة رئيسية الى وجـوب التغيير الشامل لتحقيق النصر فقد تداركت القيـادة السياسية الموقف الذى كان يتطلب الهدوء الواجب للتحضير للمعركة الحيوية القادمة فقد صدر بيان رسمى مساء يوم ٢٥ فبراير ١٩٦٨ بالغاء جميع الأحكام واعادة المحاكمات أمام محكمة ثانية برئاسة الفريق الرمالى وكذلك الموافقة على تأجيل الدراسة فى الجامعات بغرض ايقاف سلسلة سوء التفاهم بين السلطة وطلبة الجامعة تمهيدا لالقاء أضواء أكثر على ما حدث لكل طوائف الأمة التى بدأت تحس بهزيمة قواتها المسلحة وبمرارتها القاسية ٠

اجماع الرأى العام بغرض التغيير :

الشعارات والهتافات التى رددها شباب الجامعة والمتظاهرون فى أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٨ عكست للقيادة السياسية الحاجة الى ضرورة تحقيق سلامة جبهة ميدان القتال المرهونة تماما بسلامة الجبهة الداخلية والتى كانت تطالب صراحة بالتغيير الجـاد والكامل للمجتمـع المصرى فى مجالات اقتنعت القيادة السياسية ببعضها ولم تقتنع بالبعض الآخر رغم أن هذه المطالب كانت تفرض على القيادة السياسية أسلوبا لهذا التغيير وبالتحديد كانت كالآتى : ـ

● اصدار الحكم على المتسببين فى الهزيمة القاسية بما يتناسب مع فداحة النتيجة المؤلمة فى حق الوطن المهزوم .

● عدم الثقة فى التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) وفى تنظيمات الشباب وفى مجلس الأمة .

● المطالبة بالحرية وحرية الصحافة وبالديمقراطية والسماح بالمعارضة .

● البدء بسرعة وفورا بالتغيير الجاد بما يتفق مع ظروف الحرب .

● القضاء على الاسراف والانفاق على المظاهر .

● وضع حد للامتيازات التى حصل عليها بعض رجال السلطة .

● التخلص من الشلل ومراكز القوى .

الاستجابة للرأى العام

ونظرا لضرورة تهدئة النفوس فى فترة التحضير للمعركة وبعد ان اقتنع الرئيس عبد الناصر بضرورة الاستجابة لكل مطالب الرأى العام انطلاقا مما تم التعاقد عليه رمزا ودون توثيق بين الرئيس عبد الناصر والشعب المصرى يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ وكان هذا العقد بمثابة ثورة مصرية جديدة وامتدادا لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لذلك فقد تعمد الرئيس عبد الناصر ان يحضر اجتماع الاتحاد العام للعمال بحلوان يوم ٣ مارس ١٩٦٨ ليتناول باسهاب موضوع المحاكمات والمظاهرات الشعبية الطلابية التى قامت على اثر اعلان هذه المحاكمات وبخاصة ما نادت به جموع الطلبة والشعب فى نداءاتها وهتافاتها واعترف بضرورة وأهمية الاستجابة (١) لهذه المطالب لأن نظامه نظام ثورى جاء للاستجابة لمطالب الجماهير وليس لفرض سلطة وفى خطابه أشار الى العديد من الاجراءات التى قام بها منذ عودته للسلطة بعد التنحى حتى هذا التاريخ وكلها اجراءات داخلية تؤكد على سياسة التغيير اللازمة رغم صعوبة الظروف بعد الهزيمة مباشرة والتى بفضل هذه الاجراءات تحققت ارادة الصمود ثم المبادرة خارجيا بتحضير المجتمع للصمود باعادة توفير الكثير من الظروف العربية وذلك بالعمل على عقد مؤتمر الخرطوم والخروج من اليمن مع اعادة تنظيم جبهة المقاومة العربية الرسمية والشعبية ثم اجراءات تحقيق الصمود الاقتصادى بعد قفل

---

(١) خطاب الرئيس عبد الناصر فى اجتماع الاتحاد العام للعمال بحلوان ، ٣ مارس ١٩٦٨ .

قناة السويس باعادة ترتيب موارد مصر بالحصول على موارد اضافية لزيادة طاقة انتاج القطاع العام الكبيرة وحشد كل موارد الانتاج لمواجهة المعركة المقدسة الشاملة المنتظرة وتوفير كل احتياجات مصر الضرورية والحيوية من الخارج وعلى رأسها الحصول على القمح وتوفير احتياطى نقدى يمكن الاعتماد عليه فى الساعات الحاسمة لأن المال عصب الحرب • والعمل على مزيد من تدعيم الصداقة مع الاتحاد السوفيتى المصدر الوحيد للتسليح الحديث • وفى نهاية خطابه وضع الرئيس عبد الناصر خطوطا عامة لسياسة التغيير اللازمة فى المستقبل استجابة لمطالب الجماهير ووعد بأن يصدر بذلك بيانا تفصيليا حتى تهدأ النفوس وتطمئن الى سياسة التصميم على ازالة آثار العدوان •

بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨

كان عبد الناصر قد أعلن على الشعب فى خطاب له يوم ٣ مارس سنة ١٩٦٨ فى اجتماع الاتحاد العام للعمال بحلوان « أن العمل من أجل المستقبل يحتاج الى خطوط واضحة ويحتاج الى خطة واضحة سأتحدث الى الشعب فى أقرب فرصة لأحدد اطار المستقبل » •

لذلك أعلن يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ بيانا للشعب يشمل هذه الخطة وكانت عناصر بيان ٣٠ مارس التنفيذية هى :

١ ـ اجراء الانتخابات فى جميع مستويات(١) التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) بدءا من الوحدات الأساسية حتى مستوى المؤتمر القومى ثم انتخابات اللجنة المركزية ثم اللجنة التنفيذية العليا كل ذلك بالانتخاب الحر وليس بالتعيين •

٢ ـ يظل المؤتمر القومى المنتخب قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان وينعقد دوريا فى دورة عامة بكامل هيئته مرة كل ثلاثة أشهر •

٣ ـ تظل اللجنة المركزية المنتخبة من المؤتمر فى حالة انعقاد دائم وتقوم لجانها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية برسم سياسات العمل فى جميع المجالات بهدف تحقيق النصر واعادة البناء الداخلى •

٤ ـ المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى بصفته أعلى سلطة لتحالف قوى الشعب العاملة قد يرى أن يقوم بنفسه بعملية وضع مشروع دستور

---

(١) سلسلة لقاءات السيد رئيس الجمهورية مع قوى الشعب العاملة فى الفترة من ٣٠ مارس الى أول مايو سنة ١٩٦٨ من مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات عام ١٩٦٨ •

دائم أو يرى رأيا آخر على أن يكون هذا الدستور معدا بحيث يتم طرحه للاستفتاء الشعبى العام فور انتهاء عملية ازالة آثار العدوان وأن يتلو ذلك مباشرة عملية انتخاب مجلس الأمة الجديد ثم يتم انتخابات رئاسة الجمهورية ٠

٥ ــ تقوم اللجنة المركزية ببناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الأشتراكى والقادرة على قيادة التفاعل السياسى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات كما تقوم اللجنة المركزية بتحديد مهام العمل الوطنى للمرحلة الجديدة ثم المشاركة فى وضع الخطوط العريضة للدستور الدائم ٠

اقتراحات بمحتويات الدستور الدائم

وتضمن البيان اقتراحا بعناصر ارشادية قد يتضمنها مشروع الدستور وهى :

١ ــ أن ينص الدستور ويؤكد على الانتماء المصرى للأمة العربية ٠

٢ ــ أن ينص على حماية المكتسبات الاشتراكية ٠

٣ ــ أن ينص على الصلة الوثيقة بين الحرية **الاجتماعية والحرية السياسية وتوفير كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والصحافة ٠**

٤ ــ أن ينص على قيام الدولة العصرية ٠

٥ ــ أن ينص على أن رئيس الجمهورية يباشر مسئولية الحكم بواسطة الوزراء والمجالس المتخصصة التى تضم خلاصة الكفاءة والتجربة الوطنية بما يحقق ادارة الحكومة عن طريق التخصص واللامركزية ٠

٦ ــ أن ينص على تحديد واضح لمؤسسات الدولة واختصاصاتها بما فى ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والتنفيذية وتأكيد على سلطة مجلس الأمة التشريعية والرقابية على أعمال الحكومة لتحقيق حسن الأداء وأمانته ٠

٧ ــ أن ينص على ضمانات حماية الملكية العامة والملكية التعاونية والملكية الخاصة وحدود كل منها ودوره الاجتماعى ٠

٨ ــ أن ينص على حصانة القضاء وكفالة حق التقاضى ٠ ولا ينص بأى شكل من الأشكال ولا حتى فى اجراءات السلطة على عدم جواز الطعن

فيه أمام القضاء والذى هو الميزان الذى يحقق العدل ويعطى لكل ذى حق حقه ويرد أى اعتداء على الحقوق والواجبات ٠

٩ - أن ينص على انشاء محكمة دستورية عليا يكون لها الحق في تقرير دستورية القوانين وتطابقها مع الميثاق ومع الدستور ٠

١٠ - أن ينص على حد زمنى معين لتولى الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى ضمانا للتجدد باستمرار ٠

الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس

١ - أعلن فى هذا البيان على وجوب طرحه للاستفتاء العام فى يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٦٨ طبقا لدستور سنة ١٩٦٤ الذى يعطى بموجب مادته ١٢٩ حق رئيس الجمهورية فى استفتاء الشعب فى المسائل الهامة ٠

٢ - اذا ظهرت نتيجة الاستفتاء بالموافقة على البيان يصدر فورا قرار جمهورى بتشكيل لجنة مؤقتة للاشراف على انتخابات المؤتمر القومى ويحق لهذه اللجنة أن تنضم الى عضويته العاملة بعد انتهاء عملية انتخابات المؤتمر ٠

٣ - يصير اجتماع المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٨ ويعقد فى نهاية الدورة عملية انتخاب أعضاء المؤتمر للجنة المركزية وهذه بدورها تقوم بانتخاب اللجنة التنفيذية العليا ٠

تأملات حول بيان ٣٠ مارس

أولا : بعد ظهور نتيجة الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس صدر قرار جمهورى بتشكيل لجنة مؤقتة للاشراف على انتخابات المؤتمر القومى وجاء هذا التشكيل محتويا بصفة رئيسية على القيادات السابقة للاتحاد الاشتراكى القديم والمنحل بسبب عدم ملاءمته للظروف الجديدة بعد الهزيمة والتى تحتم فيها التغيير الجذرى لقيادات الهياكل الرئيسية للدولة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الادارية أو العسكرية وكان الأساس فى تشكيل هذه اللجنة المؤقتة هم أمناء الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات بالاضافة الى معظم أو كل المحافظين ٠ وكانت هذه اللجنة المؤقتة محكومة فى كل تصرفاتها بالرجوع الى الآمر بتشكيلها وهو رئيس الجمهورية ورئيس الدولة وكان من الأصوب أن يقتصر فى تشكيلها على العنصر القضائى فقط مع بعض العناصر السياسية والفنية كمستشارين ليست لهم صفة عضوية اللجنة ٠

ثانيا : رغم النص الصريح في بيان ٣٠ مارس في عديد من بنوده على وجوب مراعاة اجراء الانتخابات في عملية بنـاء الاتحاد الاشتراكي الجديد عن طريق الانتخاب الحر ورغم النص الصريح على مساوىء عملية التعيين فقد تم فعلا استخدام أسلوب الانتخاب الحر بدءا من انتخابات الوحدات الأساسية وصعودا حتى انتخابات لجان المحافظات والتى تكون منهم المؤتمر القومي وذلك طبقا لمبدأ الانتخاب ولكن في عملية انتخابات اللجنة المركزية بمعرفة المؤتمر القومي فقد جاءت عن طريق الاختيـار بمعرفة اللجنة المؤقتة المعينة بقرار جمهوري . والمشكلة بالأسلوب المعيب السابق التنويه اليه ولأجل اضفاء صفة الأسلوب الانتخابي ظاهريا في تشكيلها فقد تم وضع أسماء المرشحين لعضوية اللجنة المركزية في كل محافظة بعدد يساوى ضعف العدد المطلوب وصوله لعضوية اللجنة المركزية وتكون كل الأسماء خاضعة لمراجعة رئيس الجمهورية ويصير بعد ذلك انتخاب نصف هذا العـدد وعودة أعضـاء لجنة المحافظة وبنفس هـذا الأسلوب المعيب ثم اختيار وتعيين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا .

ثالثا : عمليا لم يكن للمؤتمر القومي الجديد بأسـلوب وظروف تكوينه الموسع أي دور في عملية وضع مشروع الدستور الدائم وبالقطع وضع مشروع هذا الدستور بمعرفة القيادة السياسية ذات الصفة التنفيذية مع تمريره على اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا شكليا ولتتمشى الاجراءات مع نصوص بيان ٣٠ مارس فقط وبذلك جاء الدستور مؤكدا على تحقيق مزيد من السلطات لرئيس الجمهورية على حسـاب السلطات الرئيسية التشريعية والتنفيذية والقضائية كما تقضى به الحياة الدستورية السـليمة .

رابعا : بيان ٣٠ مارس جاء فيه النص على بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكي ولم يؤكد على وجوب بنائه عن طريق الأسلوب الانتخابي ولذلك جاء عن طريق الاختيار (التعيين) وعلى أن تقوم اللجنة المركزية بهذا الاختيار (التعيين) وبذلك فقد جاء تشكيله ليكرر ظهور مراكز قوى جديدة والتى كانت سبب كل المصائب التى أحدثت النكسة والهزيمة العسكرية والمعنوية .

وبذلك فقد حقق بيان ٣٠ مارس جانبـا من أهداف التغيير ولكن تعاظمت بجانب ذلك السلطات الفردية للرئيس عبد الناصر ورغم كل هذه السلبيات فان الشعب المصرى في مواقع الانتاج والسياسة والعسكرية والاقتصـاد والاجتمـاع قد قام بدوره بجـدية وصبر متشبعا باختياره خطوات وممارسات القيادة السياسية والتى سبق وفوضها في يومى ٩ ،

١٠ يونيو لازالة آثار العدوان ولخدمة المعركة بصرف النظر عن السلبيات البشرية والنوازع النفسية لهذه القيـادة السياسية وكان ذلك بهدف واحد هو تحقيق النصر الذى أوشك أن يكون ممكنا بالجدية التى بدت فى كل التصرفات فى جميع قطاعات الأمة الأخرى والتزم الشعب بالشعار الذى دفعه الرئيس عبد الناصر « أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » « وألا يعلو أى صوت على صوت المعركة » ٠

غارة ليلية

وفى أول أكتوبر سنة ١٩٦٨ (١) بعد التدريب المركز على العبور عبرت قوة مخصصة للاقتحام بعبور قناة السويس يوم ٣ أكتوبر ليلا فى قاربين من المطاط ونجحت فى الالتفاف فى صمت تام خلف موقع العدو فى الدفرسوار واقتحمته فجأة واستمر الاشـتباك مدة غير قصـيرة ثم انسحبت القوة المصرية الى الضفة الغربية وكانت هذه العملية بغرض رئيسى هو بدء تعويد الجنود المصريين على عمليات العبور الناجحة واعادة الثقة ولاختبار قدرة الدفاعات الاسرائيلية تمهيدا للمعركة المقبلة ٠

استنزاف العدو

وقبل نهاية سنة ١٩٦٨ بدأت القوات المصرية تطور مجهودها لبتحول الى الدفاع الايجابى النشيط بغرض استنزاف قوة العدو ٠

وازاء هذا النشاط المصرى المتصاعد قوت اسرائيل وطورت دفاعها باقامة حصون ثابتة بما أطلق عليه خط بارليف تحت اشراف الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلى ٠

الشهيد عبد المنعم رياض (٩ مارس سنة ١٩٦٩) ٠٠

كان ضمن خطة استنزاف العدو بعد تطوير وتقوية الجبهة المصرية استخدام المدفعية بتركيز وبدقة ضـــد مواقع العدو فى الضفة الشرقية للقناة وكان العدو يرد بمدفعيته الثقيلة وفى يوم ٩ مارس سنة ١٩٦٩ أصابت احدى قذائف العدو الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة أثناء تفقده للمواقع فى الاسماعيلية وأصيب معه اللواء أ٠ح٠ عدلى سعيد قائد الجيش الثانى واستشهد الاثنان ٠

---

(١) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ١٠٥ ٠

معركة لسان بور توفيق ١٠ يوليو سنة ١٩٦٩ ..

فى ١٠ يوليو سنة ١٩٦٩ قامت قوة من الصاعقة المصرية بعملية ناجحة على موقع العدو فى لسان بور توفيق وتم تدمير هذا الموقع ثم الاستيلاء على وثائق وأسلحة ومعدات . وانسحبت القوة بعد ذلك الى قاعدتها .

عملية مصرية ليلية ٦ أكتوبر سنة ١٩٦٩ ..

فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٦٩ عبرت قوات خاصة مصرية وتحت ستار الليل الى موقع للعدو جنوب جزيرة البلاح وشمال كوبرى الفردان وتمكنت من احتلال هذا الموقع بعد أن قضت على قوة الحراسة واستولت على بعض الأسلحة والمعدات ونجحت فى نقلها الى الضفة الغربية وبعد أن رفعت العلم المصرى على سارية ثبتتها على قاعدة خرسانية فى هذا الموقع واستمرت تحتله لعدة أيام ثم انسحبت بعد ذلك للغرب واستمرت الراية المصرية مرفوعة وسط هذا الموقع الذى لم تعد اليه القوات الاسرائيلية حتى ٨ أغسطس سنة ١٩٧٠ موعد ايقاف القتال .

تطور الدفاع الجوى المصرى

منذ أوائل عام سنة ١٩٦٩ كانت مصر فى قمة نشاطها لتعزيز دفاعاتها وبخاصة الدفاع الجوى وعلى رأسه انشاء حائط الصواريخ ليكون قادرا على صد أى نوع من الاغارات الجوية الاسرائيلية .

وقبل آخر سنة ١٩٦٩ كانت معظم هذه القواعد قد أقيمت وزودت القوات المصرية المسلحة بالصواريخ السوفيتية الجديدة سام ٧ التى كان يطلق عليها استرلا Strella (١) وهو صاروخ يسهل حمله واستخدامه بطاقم يتكون من ٣ أفراد وهو سلاح مؤثر ضد الطيران المنخفض والذى كان ينقص القوات المسلحة المصرية فى معاركها السابقة ضد اسرائيل التى كانت تتقن غارات الطيران المنخفض والصاروخ منه بعد انطلاقه الصحيح يساوى طائرة والتى تكون اصابتها مفاجئة بحيث لا يكون لدى قائد الطائرة المعادية الفرصة من الافلات بالبراشوت ويمكن التعامل بهذا الصاروخ مع الطائرات المعادية من ١٠٠٠ متر وبعد التنشين المحكم وانطلاق الصاروخ فينجذب آليا للحرارة المنبعثة من المحرك النفاث للطائرة Jet Engine وجرب هذا السلاح بكفاءة تامة فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ فى

---

(١) كتاب The great Crossing (The New Spirit of Egypt) العبور العظيم والروح المصرية الجديدة للكاتب Erick Helmensdorfer ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ .

قطاع القنطرة غرب ضد الطائرات الاسرائيلية Skyhauk والتى كانت تعبر القناة على ارتفاع منخفض وأصيبت بهذا الصاروخ Strella فى هذا اليوم أول طائرة اسرائيلية من نوع Skyhauk بعد انفجارها بالكامل فى الجـو ٠

ومنذ أوائل سنة ١٩٦٩ وحتى قبل (١) نهايتها وأثناء اقامة قواعد الصواريخ قام الطيران الاسرائيلى بحوالى ٣٥٠٠ طلعة جوية لضرب وسائل الدفاع الجوى المصرى وقوات الجبهة بعد وصـول الطائرات الفانتـوم الأمريكية لاسرائيل وخسرت مصر فى ذلك حوالى ١٥٠ قتيلا ، ٣٠٠ جريح وتمكنت القوات المصرية من اسقاط ٣ طائرات Skyhauk اسرائيلية ، ١ طائرة مستير ، ٥ طائرات مروحية ٠ وقامت قواتنا الجوية المصرية فى هـذه الفترة ب ٢٩٠٠ طلعة جوية فى ٢٢ معركة جـوية وخسرت مصر ٢٣ طائرة وخسرت اسرائيل ١٤ طائرة وكانت هذه الطلعات ١٧٠ للعمل ضد الأهداف الأرضية ، ٧٠ للاستطلاع ٠

تزويد القوات المسلحة المصرية بأحدث الأسلحة

فى نفس هذا الوقت الذى زود فيه الاتحاد السوفيتى بأحدث أسلحة الدفاع الجوى زودت أيضا القوات الأرضية بجانب من الأسلحة الهجومية وبخاصـة ضـد الدبابات وكان أهمها الصـاروخ الخفيف الحمل المضاد للدبابات وهو الذى كان يطلق عليـه حلف الأطلنطى سن الرمح وهو صاروخ مالوتكا The Malotka Missile .

(Saggar) **سن الرمح** (٢) ٠

وهو سلاح حديث مؤثر جدا ضد الدبابات سهل الحمل والاستخدام ويوجه باستخدام أجهزة التنشين به على الدبابات المعادية فى المنطقة بين الهيكل والبرج والتحكم فى الضرب بواسطة عصا توجيه بها يمكن الضارب أن يتحكم فى مسار الصاروخ بمجرد انطلاقه لتصحيح مساره حسب تحرك الدبابة الهدف الى أن يصيبها اصابة أكيدة محكمة تقضى على الدبابة بعد أن تجعلها تطير فى الهواء من شدة الاصابة وقبل أن يتمكن طاقمها من مغادرة الدبابة ٠

---

(١) من بيانات الجيش الثانى الميدانى من كتاب حروب مصر المعاصرة لواء خليل ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ ٠

(٢) كتاب العبور العظيم والروح المصرية الجديدة
The Great Crossing (The New Spirit of Egypt)
للكاتب أريك هيلمنسدورفر ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ٠

تصاعد العمليات الايجابية المصرية

وفى أواخر عام ١٩٦٩ تمكنت القوات المصرية الفدائية من الحصول على أسير من الضباط الاسرائيليين من داخل مواقعهم فى سيناء بعملية ناجحة وخاطفة من خمسة أفراد من اللواء ١١٧ ثم تصاعدت وتكررت هذه العمليات مما مكن قوات مصر من الحصول على أسرى اسرائيليين آخرين

عملية رأس غارب الانتقامية الاسرائيلية ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦٩ ..

قام العدو بعملية انتقامية من تزايد النشاط المصرى الايجابى داخل سيناء وقامت قواته الخاصة محملة على طائرات الهليكوبتر بخطف جهاز رادار روسى الصنع من موقعة من رأس غارب على خليج السويس بعد القضاء على الطاقم وتمكنت قوات اسرائيل من حمل الجهاز فى طائرتى هليكوبتر الى اسرائيل ٠

اجتماعات عبد الناصر من أجل المعركة المقبلة ٠

اجتماع ٦ يناير سنة ١٩٦٧

عقد الرئيس عبد الناصر أول اجتماع فى مساء يوم ٦ يناير سنة ١٩٧٠ بمبنى القيادة العامة عقب مؤتمر تحضيرى برئاسة وزير الحربية محمد فوزى تقرر منه جدول أعمال الاجتماع وكان مكونا من موضوعين :
أولا : الاغارة الاسرائيلية فى رأس غارب يوم ١٩٦٩/١٢/٢٤ وخطف جهاز الرادار ٠

ثانيا : خطة حرب الاستنزاف ضد اسرائيل ٠

وفى اجتماع يوم ٦ يناير سنة ١٩٦٧ تم بحث جميع جوانب موضوعى جدول الأعمال بصراحة تامة مع قادة التشكيلات لأجل تحاشى حدوث مثل هذه الغارة مع الاستمرار فى مخطط حرب الاستنزاف ٠

الاجتماع الثانى

وعقب هذا الاجتماع الأول عقد اجتماع ثان مشترك فى نفس اليوم حضره كبير الخبراء السوفيت فى مصر الجنرال كاتشكن وكل المستشارين السوفيت فى القوات المسلحة المصرية وفيه تم مناقشة موضوعى جدول الأعمال مع الخبراء الروس بمنتهى الصراحة واستمع منه عبد الناصر الى

---

(١) حروب مصر المعاصرة ـ لواء عبد المنعم خليل ص ١١٦ الى ١٣٦ ٠

تقارير وآراء مستشار القوات الجوية الجنرال دينبسون ثم الى مستشار الدفاع الجوى ثم مستشار القوات البحرية ثم مستشار رئيس الاستطلاع ثم مستشار هيئة العمليات وفى النهاية أدلى الجنرال كاتشكن رئيس المستشارين الروس بتقرير عن الجيوش الميدانية ٠

اجتماع يوم ١٠ يناير سنة ١٩٧٠ (١)

اشترك فى هذا الاجتماع الثانى المستشارون السوفيت أيضا وفيه تم معهم مناقشة خطة استكمال النقص فنيا حتى يمكن زيادة خسائر العدو فى الفترة المقبلة ثم صار مناقشة توقعات الرئيس عبد الناصر فى توقيتات وتصرفات اسرائيل فى المرحلة التالية وأصر عبد الناصر فى نهاية الاجتماع على وجوب تجهيز خطة من هذا التاريخ حتى يونيو سنة ١٩٧٠ لمواجهة الموقف ٠

اجتماع ١٦ ، ١٧ مارس ١٩٧٠

تم الاجتماعان فى يومى ١٦ ، ١٧ مارس سنة ١٩٧٠ فى غرفة العمليات بجميع القادة فى مدينة نصر وتم فيها دراسة الموقف العسكرى ومعرفة قدرة وكفاءة القوات المسلحة المصرية وقدرات العدو ٠

مؤتمر ١٨ مارس سنة ١٩٧٠

تم الاجتماع أيضا فى مبنى القيادة العامة وفى هذا المؤتمر أصدر الرئيس عبد الناصر تعليماته لكل القادة العسكريين بوجوب تعميم استخدام الشفرة والكود للتغلب على تصنت العدو وأجهزة أمريكا الحديثة مع وجوب استخدام الخداع اللاسلكى وجعل الطيران العادى دائما فى الجو واحتمال قيامنا بأعمال جوية وضرورة تدريب الطيارين على القتال الليلى والاستطلاع المستمر والتركيز على ضرب رادارات العدو وضرب الأهداف الهامة بصواريخ توبولوف ١٦ المعدل وينظم التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوى ثم وجوب التعاون الكامل مع المستشارين السوفيت ٠ وكان كل ذلك بمثابة خطوط عامة يجب مراعاتها عند وضع الخطة النهائية للاشتباك مع العدو ٠

استمرار حرب الاستنزاف

بعد العملية الاسرائيلية فى رأس غارب فى العمق المصرى وبعد تصريحات قائد الجبهة الاسرائيلية شارون والتى أفصح بها عن نياته فى

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، حروب مصر المعاصرة ـ عبد المنعم خليل ٠

استخدام القوات الجوية الاسرائيلية ضد حائط الصواريخ المصرى وضد مدن القناة وقع احتمال توسع اسرائيل فى عمليات الاغارة فى العمق المصرى ٠ كل ذلك جعل الرئيس عبد الناصر يدعو القادة والرؤساء الى اجتماعات ومؤتمرات ناقش فيها وقرر التخطيط للاستمرار فى شن حرب ارهاق العدو ولذلك بادرت (١) القيادة العامة للقوات المسلحة وأصدرت تعليماتها بالتخطيط والبدء فى عمليات عبور القناة على مواجهة واسعة وبقوات كبيرة مع التوسع فى الاغارات والكمائن بالضفة الشرقية للقناة وفى العمق وكان ذلك من أول عام ١٩٧٠ ٠

زيارة الرئيس عبد الناصر السرية للاتحاد السوفيتى (٢) (٢٢ يناير سنة ١٩٧٠) ٠

قام الرئيس عبد الناصر بزيارة سرية للاتحاد السوفيتى فى ٢٢ يناير سنة ١٩٧٠ تم الاتفاق فيها مع الجانب السوفيتى على أن تقوم عناصر من القوات المسلحة السوفيتية بادارة شبكة الدفاع الجوى بين الاسكندرية وأسوان حتى يمكن اعادة بناء شبكة الدفاع الجوى المصرى وتدريب الوحدات المصرية عليها كما تم الاتفاق على صفقة أسلحة جديدة متطورة لمصر وقام الاتحاد السوفيتى بادارة النظام الدفاعى عن عمق مصر كما بدأ وصول الأسلحة والوحدات السوفيتية الى مصر خلال الأسبوع الأول من فبراير سنة ١٩٧٠ ٠

وقام الاتحاد السوفيتى عقب ذلك بتحذير قادة الغرب من النتائج المترتبة على العمليات العسكرية الاسرائيلية ٠

وردا على التحذير السوفيتى أعلنت أمريكا رفضها للادعاءات السوفيتية وطالبوا مصر واسرائيل بالعمل على ايقاف اطلاق النيران وخلال شهر مارس سنة ١٩٧٠ كان الطيارون السوفييت يقومون بطلعات عمليات حول مناطق الاسكندرية والقاهرة وأسوان ٠

وعندما شعرت اسرائيل بذلك قررت على الفور وقف غاراتها فى العمق المصرى وأعلنت فى نفس الوقت أنها لا تقبل امتداد نظام الدفاع الجوى المصرى الجديد الى داخل منطقة عمقها ٣٠ كيلو مترا الى الغرب من قناة السويس ٠

---

(١) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ١١١ ٠

(٢) كتاب أمن مصر القومى فى عصر التحديات للأستاذ محمد حافظ اسماعيل الحلقة الرابعة عدد الأهرام ١٩٨٧/١٠/١٧ ٠

الاغارة على شمال البلاح (١٥ فبراير سنة ١٩٧٠) (١) ٠

قامت مجموعة من اللواء ١٣٤ من الفرقة ١٨ مشاة ليلة ١٥ فبراير سنة ١٩٧٠ باغارة ليلية على موقع حصين للعدو جنوب القنطرة يطلق عليه شمال البلاح يقع عند تفريعة جزيرة البلاح الشمالية أما عند التفريعة الجنوبية والتى حدثت فيها معركة فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٦٩ فقد كان لا يزال العلم المصرى مرفوعا هناك واستولت هذه القوة على الموقع وقامت بنسف مخازن الذخيرة ثم انسحبت تحت ستار وحماية القوات المصرية من الضفة الغربية وسحبت معها القتلى والجرحى ولم يمكن الحصول على أسرى ٠

عملية الكيلو ١٨ جنوب بور سعيد (أول مايو سنة ١٩٧٠) (٢) ٠

قامت بهذه العملية كتيبة صاعقة بالكامل عبرت القناة الى الضفة الشرقية وهاجمت موقعا حصينا واستمرت ٢٤ ساعة وتم أسر فردين من العدو ٠

عملية ٣٠ مايو سنة ١٩٧٠ (فى نفس الموقع ١٨ كيلو جنوب بورسعيد) (٣)

بعد مدة من العملية السابقة عادت القوات الاسرائيلية لنفس الموقع وتخصص لهذا الموقع داورية يومية اسرائيلية تقوم بالتحرك من القنطرة شرقا الى هذا الموقع شمالا من مجموعة أفراد مترجلين للمراقبة وتفتيش الارض أمام القول بحوالى ٥٠٠ متر ثم ٣ دبابات ثم ٤ عربات محملة بالجنود للغيار وتقوم طائرتان للحماية من الجو ٠

وعبرت قوة مصرية من ٨ أفراد الى المنطقة فى الشرق شمال القنطرة تحت حماية نيران باقى أفراد الكتيبة وقام ٢١ فردا آخرون بالعبور فى منطقة كيلو ١٨ جنوب بور سعيد وذلك كله قبل الفجر يوم ٣٠ وكانت هناك نقطة مراقبة مصرية بالقنطرة وأفادت فى الساعة السابعة صباحا عن تحرك القول الاسرائيلى الى الشـــمال بنفس النظام اليومى وعندما وصل القول باطمئنان الى منطقة القوة المصرية فى الكمين عند الكيلو ١٨ فاجأت القوة المصرية القول بســـيل من النيران وأصيب القول بالذعر والاضـــطراب وتحت حماية الطائرتين الاسرائيليتين تمكن بقية القول الاسرائيلى من الانسحاب جنوبا فى اتجاه القنطرة وكان فى انتظارهم عند الكيلو ٣٠ جنوب بورسعيد القوة المصرية المختفية فى هذه المنطقة المكونة

---

(١) حروب مصر المعاصرة ـ لواء عبد المنعم خليل ص ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ٠
(٢) نفس المصدر السابق ٠
(٣) نفس المصدر السابق ٠

من ثمانية أفراد صاعقة واشتبكوا مع القول الاسرائيلي وتم تدمير الدبابات الثلاث وجميع العربات وكانت عملية خاسرة بالنسبة لاسرائيل لفداحة خسائرها ولظهور المقاتل المصرى لأول مرة فى الميدان بمستوى مرتفع للمقاتلين الاسرائيليين ٠

الانتقام الاسرائيلي

ومع ظهور ضوء ١ يونية سنة ١٩٧٠ ركزت اسرائيل غاراتها الجوية على المنطقة من بورسعيد شمالا حتى القنطرة جنوبا مستخدمة قنابل ثقيلة ١٠٠٠ رطل والنابالم وكل أسلحة الدمار ثم عمت الغارات حتى شملت كل مواجهة القوات المسلحة بجبهة القنال ولعدة أيام وقصف العدو أيضا بعض مناطق الدلتا ومصنع أبو زعبل ومدرسة بحر البقر الابتدائية حيث استشهد ٣٠ طفلا ٠

تساقط طائرات العدو

بفضل استكمال حائط الصواريخ وبفضل التسليح الحديث بالسلاح الصغير الروسى المضاد للطائرات المسمى (١) (استرلا) وسماه المصريون (الحية) وكان الصاروخ منه يساوى طائرة وقد ذاقت الطائرات الاسرائيلية دقة اصابته فقد توالى سقوط الطائرات الاسرائيلية بشكل واضح وتم الحصول على عدد من الأسرى من الجنود والطيارين الذين أسقطت طائراتهم ٠

أمريكا تعرض على مصر القيام بدور شريف

نتيجة تصاعد قدرات مصر العسكرية والتى تسببت منذ منتصف عام ١٩٦٩ فى التصدى للطائرات الاسرائيلية وأسقطت عددا منها وخشيت على تآكلها بمرور الوقت فقد أوفدت أمريكا مساعد وزير خارجيتها جوزيف سيسكو الى مصر لمحاولة اقناع القيادة السياسية المصرية بالاستجابة لدور أمريكى شريف على طريق الحل السلمى ٠

مبادرة روجرز (٢٢ يوليو سنة ١٩٧٠) ٠

فى ١٩ يونيو سنة ١٩٧٠ تقدمت الولايات المتحدة بمبادرتها حول تسوية سياسية للنزاع العربى الاسرائيلي ودعت فيه مصر واسرائيل الى : ـ

١ ـ وقف اطلاق النيران لفترة محددة ٠

---

(١) الرجا الرجوع الى ص ٣٣٦ من الكتاب ٠

٢ ـ الاعلان عن موافقتها على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) بكل أجزائه وايفاد ممثليهما لادارة المناقشات تحت اشراف مبعوث هيئة الأمم للتوصل الى اتفاق على اقامة سلام عادل ودائم بينهما ٠

وقف اطلاق النيران (٨ أغسطس سنة ١٩٧٠) ٠

وفى ٢٢ يوليو سنة ١٩٧٠ أبلغت مصر الولايات المتحدة موافقتها على مبادرة روجرز وتلاها اعلان الأردن بالموافقة عليها وتباطأت اسرائيل فى اعلان موقفها أملا فى امكان تحقيقها بعض التفوق العسكرى فى منطقة القناة حيث كانت تخوض معركة جوية واسعة بهدف منع مصر من استكمال انتشار دفاعها الجوى فى منطقة القناة ولكن القوات المصرية أمكنها اسقاط ٢١ طائرة اسرائيلية ٠

وتمشيا مع سياسة المساندة (١) الأمريكية لاسرائيل على طول الخط وبأسلوب يؤكد على الاتفاق والتواطؤ تتعهد أمريكا لاسرائيل بحجة تشجيعها على قبول المبادرة ٠

(أ) بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تصر على موافقة اسرائيل على تفسير القرار ٢٤٢ الذى يتطابق مع تفسير الدول العربية له ٠

(ب) لن ترغم الولايات المتحدة اسرائيل على قبول تسوية اللاجئين بصورة تحدث تغييرا فى شكل دولة اسرائيل أو تهدد أمنها ٠

(جـ) لن تطلب الولايات المتحدة من اسرائيل سحب قواتها من الأراضى المحتلة قبل ابرام اتفاق سلام ملزم ومرض لها ٠

(د) التزام الولايات المتحدة بدعم اسرائيل عسكريا ٠

وفى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٠ (٢) أعلنت اسرائيل قبولها للمبادرة الأمريكية وتحقق ايقاف اطلاق النار استكمالا لخطة التواطؤ الأمريكى الاسرائيلى لمنع استكمال مصر من بناء ستارة الصواريخ ولوقف تآكل الطيران الاسرائيلى والتى بدأت مصر تتقن التعامل معه وبذلك يمكن أن نقول أن ميزان القوى بدأ يتجه لمصلحة مصر الى حد ما وفى الساعة الأولى من صباح ٨ أغسطس توقف اطلاق النار رسميا على جهة قناة السويس ٠

---

(١) كتاب أمن مصر القومى فى عصر التحديات للسيد محمد حافظ اسماعيل الحلقة الخامسة أهرام ١٩/١٠/١٩٨٧ ، ص ٦ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

قبل اعلان ايقاف القتال مباشرة

قامت القوات المصرية قبل صدور (١) اعلان وقف اطلاق النيران بليلة واحدة بنقل دفاعاتها وبخاصة دفاعاتها الجوية من كتائب الصواريخ الى قرب الشاطىء الغربى للقناة وقبل أول ضوء يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٧٠ أى قبل موعد وقف اطلاق النيران المؤقت ٠

موقف اسرائيل

أما العدو الاسرائيلى (٢) فقد انتهز فرصة ايقاف القتال وبدأ فورا بعد ٨ أغسطس سنة ١٩٧٠ وعلى طول الضفة الشرقية للقناة فى زيادة تأمين قواته فى المواقع الأمامية برفع ساتر ترابى لستر تحركاته والحد من نشاط قواتنا وانشاء ملاجىء للدبابات على مسافة من ٨ الى ١٠ كيلو مترات شرقا وأمام شبكة من الطرق ووصل أنابيب المياه الحلوة الى مواقعه ـ وأتم صفقة مع أمريكا حصل بها على طائرات استعوض بها خسائره التى فقدها أمام الصواريخ المصرية وحصل على قنابل شرابك والقنابل المنزلقة Wall Eye ودعم قواته البرية ٥٠ مدفعا ١٧٥ مم مداه ٢٢ كيلو مترا ليطول ضرب مواقع الصواريخ والمدفعية المصرية والرادار على الضفة الغربية كما تسقط فى استطلاعه الجوى واحتراق غرب القناة ٠

رد فعل قبول مصر للمبادرة الأمريكية

رغم أن المنطق والعقل كانا يفرضـــان على باقى الأطراف العربية الالتزام بالهدوء تشجيعا لمصر على تحقيق أهدافها من قبول هذه المبادرة حتى يمكنها استكمال اعداد قدراتها القتالية اللازمة لتحقيق الهدف نحو التحرير كما أن القوات العربية فى الميدان لم تكن قد توحدت بعد لامكان قيامها بعمل عسكرى ناجح ومع كل هذه الظروف فقد قامت أطراف عربية متعددة وعلى رأسها منظمة التحرير الفلسطينية دون ادراك كاف لتقدير موقف وظروف مصر وتصدت للعمل السياسى المصرى بما قد يؤدى الى التقليل من فعالية جهودها السياسية وقامت أجهزة الاعلام العربية المنفعلة من قبول مصر وقف اطلاق النار بالدعوة والاثارة ضد مصر بغرض عزل مصر سياسيا عن العرب وتصـاعدت هجماتها وانضم الى منظمة تحرير فلسطين العراق وسوريا واضـطر الرئيس عبد الناصر الى مواجهة هذا الاتجاه الخطير الذى أدى الى اشتعال الصدام المسلح بين جيش الأردن

---

(١) حروب مصر المعاصرة ، لواء عبد المنعم خليل ، ص ١٤٣ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ــ ص ١٤٤ ٠

وبين قوات منظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن وسال الدم العربى على الأرض العربية متجاهلا العدو الأساسى الرابض داخل أراضيه العربية المغتصبة لتوها ٠

واستمر الصدام الدموى بين قوات منظمة التحرير والتى كانت تبلغ حوالى ألفى مقاتل وبين جيش الأردن منذ اعلان الأردن قبول وقف اطلاق النيران حيث لم تخضع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية للأوامر العسكرية للقيادة العسكرية الأردنية وكانت ترفض كل ما يقيد حركتها ٠

الصدام بين المنظمات الفلسطينية وجيش الأردن (١)

منذ بداية عام ١٩٧٠ كان الملك حسين يحارب فى جبهتين جبهة المنظمات الفلسطينية وجبهة اسرائيل والتى كثيرا ما كانت تقوم بعمليات انتقامية داخل الأراضى الأردنيــة ردا على عمليــات المنظمات الفلسطينية داخل اسرائيل وفى أول يونيو سنة ١٩٧٠ حدثت محاولة لاغتيال الملك حسين وتفجر الموقف أثر ذلك بعد أن اضطر الملك حسين لتولى القيــادة المباشرة للجيش كما قامت على أثر ذلك الولايات المتحدة بسحب رعاياها من الأردن وفى الأسبوع الأول من يوليو سنة ١٩٧٠ حدث صدام بين الجيش الأردنى والمنظمات استمر لمدة خمسة أيام وساعدت سوريا على تحقيقه ٠

وفى نهاية أغسطس سنة ١٩٧٠ تم عقد اجتماع طارىء للمجلس الوطنى الفلسطينى طالبت فيه الجماعات المتشددة داخل المجلس اسقاط الملكية الهاشمية ٠

وفى أول سبتمبر سنة ١٩٧٠ وقعت محاولة ثانية لاغتيال الملك حسين وعلى اثر ذلك استؤنف القتال بين الجيش الأردنى والمنظمات ٠

اختطاف ٤ طائرات وتأزم الموقف

فيما بين ٦ ، ٩ سبتمبر سنة ١٩٧٠ قامت جماعات فدائية باختطاف ٤ طائرات لشركات عالمية وأرغمت احداها للنزول بالقاهرة حيث تم تدميرها بعد اخلاء ركابهــا أما الثلاث طائرات الأخرى فقد تم نزولهــا فى مطار صــــحراوى بالأردن ودون اخطار حكومة الأردن وأصبح مئات الركاب يواجهون خطر الموت ٠

---

(١) كتاب أمن مصر القومى فى عصر التحديات للسيد محمد حافظ اسماعيل حلقة خامسة ، أهرام ١٩٨٧/١٠/١٩ ، ص ٦ ٠

وهددت الولايات المتحدة بالتدخل المباشر فى الأردن اذا ما تدخلت القوات العراقية أو السورية ووصلت قواتهـا البحرية وحاملة طائرات أخرى الى شرق البحر الأبيض وسارعت وأعطت اسرائيل ١٨ طائرة فانتوم ٠

وفى ١٦ سبتمبر شكل الملك حسين حكومة عسكرية واندلع الصدام مع المنظمات بغرض اخراجها من عمان والزرقا ومن معظم المدن ٠ وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٠ قرر الرئيس عبد الناصر التدخل لوقف سفك الدماء ولاحتواء خطورة الموقف وأوفد الفريق محمد صادق الى الملك حسين ٠

وفى يوم ١٩ سبتمبر انتشرت الدبابات السورية من ٢٠٠ الى ٣٠٠ دبابة داخل حدود الأردن واصطدمت عند الرمثة مع الجيش الأردنى ٠

وفى يوم ٢١ سبتمبر حاولت سوريا بانتهازية الحصول على موافقة القاهرة على تدخلها العسكرى فى الأردن ورفضت القاهرة ذلك الطلب ٠

وفى نفس يوم ٢١ بعث الأردن نداء للولايات المتحدة وبريطانيـا لتدخلهما لوقف الزحف السورى ٠

الولايات المتحدة طبقا لتهديدها السـابق لسـوريا والعراق قامت بتعزيز وجودها العسكرى فى شرق البحر الأبيض ولوحت اسرائيل فى نفس الوقت بامكان تدخلها جويا وأرضيا فى اتجاه اربد بمائتى دبابة لردع القوات السورية وفى يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٠ قام الطيران الأردنى بقصف المدرعات السورية فى اربد ٠

وفى نفس اليوم انسحبت القوات السورية من الأردن ولكن استمرت المعارك الدامية بين جيش الأردن والمنظمات الفلسطينية ٠

مؤتمر القاهرة للرؤساء العرب (٢٢ ، ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٠) ٠

بادر الرئيس عبد الناصر بالدعوة الى مؤتمر لملوك ورؤساء العرب ووصلت الوفود يومى ٢٢ ، ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٠ الى القاهرة وأوفد المؤتمر يوم ٢٢ سبتمبر الرئيس السودانى جعفر النميرى على رأس وفد يضم الشيخ سعد عبد الله الصباح من الكويت والفريق محمد صـادق للاتصـال بالملك حسين وياسر عرفات المتحصن داخـل مواقع المنظمات الفلسطينية بجبل عمان ٠

وكان هناك فريق يتزعمه القذافى داخل المؤتمر يطالب بالتدخل العسـكرى فى الأردن ورفض المؤتمر هذا الاتجاه وتبنى اتجاه الرئيس عبد الناصر بضرورة ايقاف المذبحة فى الأردن بأى شكل ودون الانتصار

لطرف أو لآخر ولأن التدخل العسكرى سيؤدى الى القضاء على المنظمات والى اضعاف الجيش الأردنى وكلاهما ضرورى للمعركة المقبلة ٠

وفى يوم ٢٣ سبتمبر عاد وفد المؤتمر من عمان ونجح الوفد فى احضار ياسر عرفات لحضور المؤتمر ولاقناع الملك حسين هو الآخر ٠

المؤتمر ينجح فى احتواء الأزمة (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٧٠) ٠

فى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٧٠ تم توقيع اتفاق بين الملك حسين وياسر عرفات لوقف اطلاق النار مباشرة وانسحاب الجيش وقوات منظمة التحرير من مدن الأردن فى مساء اليوم نفسه ٠ وتعيين لجنة لمراقبة تنفيذ الاتفاق يرأسها الباهى الأدغم وتم سفر اللجنة مع ياسر عرفات فى طائرة واحدة ٠

وفاة عبد الناصر (٢٨سبتمبر سنة ١٩٧٠) ٠

توديع وفود المؤتمر

قام الرئيس عبد الناصر بنفسه بتوديع الملوك والرؤساء العرب بانتهاء مؤتمر القمة وبعد توقيع الاتفاق وكان أمير الكويت آخر من غادر القاهرة بعد ظهر ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وفى طريق عودة الرئيس من المطار هاجمه مرض النهاية ٠

وفاة عبد الناصر

وعند وصوله الى منزله أسلم الرئيس عبد الناصر روحه الى بارئها فى مساء ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ٠ ومات عبد الناصر بعد أن حقق جانبا كبيرا من استقرار الأوضاع بعد الهزيمة وترك الساحة المصرية فسيحة لمن خلفه جاهزة لحرية المناورة السياسية مع القوة العظمى المتعنتة بقبوله وقف اطلاق النيران (مبادرة روجرز) لامكان التسوية السياسية ٠

وفى نفس الوقت قام بالادارة والاشراف الكامل على حرب الاستنزاف المؤدية الى العمل العسكرى اذ أرغمته الظروف على شن حرب لتحرير البلاد كما كان قد حقق التوازن والاستقرار اللازمين باعادة بناء القوات المسلحة ٠ وقام بكل كيانه (١) وبدقة متناهية بمناقشة تفاصيل الاعداد للحرب المقبلة مع قواد الجيش والخبراء الروس ٠

---

(١) الرجاء الرجوع الى ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ من هذا الكتاب تحت عنوان اجتماعات عبد الناصر وكذا الرجوع الى كتاب حروب مصر المعاصرة لواء عبد المنعم خليل الفصل العاشر (اضواء على فكر عبد الناصر) عام ١٩٧٠ من ص ١١٦ الى ص ١٢٦ ٠

وفى الوقت الذى كان يمهد فيه لفتح قنوات التفاهم مع الولايات المتحدة لامكان الحل السلمي فقد حافظ على مستوى علاقة مصر الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي باعتبار أنه يمثل حائط الأمان الذى تستند عليه مصر اذا ما فرض عليها القتال ٠

وقبل أن يودع جثمان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قبره كان هناك موضوع هام يشغل بال القيادة الجديدة المصرية وهو موضوع انتهاء ميعاد اتفاق ايقاف النيران السارى حتى ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠ والنظر فى سريانه باستئناف الاشتباكات على الطريق للحرب وكانت البلاد فى هذا الظرف فى شدة الحاجة لالتقاط الأنفاس ولذلك قررت القيادة السياسية المصرية الجديدة على مد فترة وقف اطلاق النار بعد ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠ لمدة ثلاثة أشهر أخرى تنتهى فى ٤ فبراير سنة ١٩٧١ وبذلك أصبح أمام هذه القيادة مدة كافية تتفرغ فيها للظروف الداخلية والخارجية العصيبة والهامة ٠

تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية

بعد اعلان وفاة الرئيس عبد الناصر فى ١٩٧٠/٩/٢٨ صدرت قرارات تقضى بسرعة انتقال السلطة وذلك بترشيح أنور السادات نائب الرئيس الوحيد ، لرئاسة الجمهورية تمهيدا للاستفتاء الشعبى عليه وصدرت هذه القرارات بشكل دستورى تمشيا مع نصوص الدستور وذلك كما فسرته مجموعة المتعاونين السابقين للرئيس الراحل جمال عبد الناصر مؤملين فى جعله مشاركا لهم فى السلطة وكانوا يشغلون أكثر المراكز حساسية فى السلطة التنفيذية وفى التنظيم السياسى الاتحاد الاشتراكى وفى مجلس الأمة وأطلق عليهم الرئيس أنور السادات فيما بعد « مراكز القوى » وحتى قبل اجراء عملية الاستفتاء فقد تم اجتماع لهذه المجموعة السيادية لأخذ قرار فى أدق مهمة عاجلة وذلك مساء يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ برئاسة أنور السادات وقرروا فيه تحديد وقف اطلاق النار على جبهة قناة السويس بعد انتهاء المدة المتفق عليها فى ٥ نوفمبر ١٩٧٠ وذلك لمدة ثلاثة أشهر أخرى تنتهى فى ٤ فبراير ١٩٧٠ ٠ وتم استفتاء بعد عدة أيام وتولى أنور السادات رياسة الجمهورية شرعيا وأعلن الرئيس الجديد أنور السادات فى اجتماع البرلمان « تعهده بالعمل بوثيقتى ثورة ٢٣ يوليو وهما الميثاق وبيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ كما تعهد بالتمسك بالهدف الذى سبق وأعلنه جمال عبد الناصر وهو ازالة آثار العدوان » ٠ وفى جلسة اجتماع المؤتمر القومى فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٠ أكد على « تعهد بأن يعطى

كل جهده (١) واخلاصه لاستكمال المسيرة التى قادها جمال عبد الناصر على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة لأنه طول عمره كان مؤمنا بعبد الناصر زعيما ومعلما » ٠

واخذت شخصية الرئيس الجديد الحقيقية تظهر :

واستقرت الأمور بعض الشيء ٠ وتوالت الأحداث بسرعة وكان الصدام الحتمى بين مراكز القوى وبين الرئيس الجديد السادات آخذا فى التفاعل تحت السطح ويصعد من وقت لآخر على السطح ومن هنا بدأت شخصية أنور السادات الحقيقية المغامرة والمخادعة والتى كان يتقن استخدامها منذ أيام كفاحه الوطنى السرى والعلنى فى شبابه ، أخذت هذه الشخصية تتحفز للتصرف بغرض عدم سيطرتهم عليه وعلى قراراته وقيامه هو بفرض سيطرته وهيمنته الكاملتين ليتولى منفردا جميع السلطات كأسلوب سلطة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ٠

الصــدام

بمجرد تولى الرئيس الجديد سلطاته كرئيس للجمهورية كرس كل وقته وجهده بالفعل لقضية الحرب والسلام وركز بصفة خاصة للتحضير للمعركة وتشبث بالمسئولية بالكامل عن ادارة العمل الوطنى وهنا بدأت المعارضات والمساومات والمصادمات التى كان يواجهها ممن أسماهم بمراكز القوى بالاضافة الى ظاهرة محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام (٢) والتى كانت قد ثبتت مراكزها المميزة أثناء رئاسة عبد الناصر وتعود الأستاذ هيكل أثناءها أن يكون شريكا فى الحكم يشكل الوزارات ويضع القرارات رغم اعتراف الرئيس السادات بكفاءة هيكل وامكان الاستفادة بها بشروط السادات بعد اقناعه ليكون وزيرا للاعلام ٠ أما أصعب ما واجهه فهو عدم الثقة المتبادلة مع حكومة الاتحاد السوفيتى المصدر الرئيسى لتسلح القوات المصرية لتكون قادرة على خوض المعركة الحاسمة والتى كرس لها كل جهده وفى آخر يناير ١٩٧١ بعث السكرتير العام للأمم المتحدة مبعوثه دكتور جونار يارنج برسالة الى مصر واسرائيل يناشدهما مد فترة وقف اطلاق النار بعد انتهائها فى ٥ فبراير ١٩٧١ واستجابت مصر لرسالته ولم ترد اسرائيل عليها ٠

---

(١) مجموعة خطب واحاديث الرئيس السادات من سبتمبر ١٩٧٠ الى ديسمبر ١٩٧٠ (الهيئة العامة للاستعلامات ، ص ٢٩) ٠

(٢) محاوراتى مع السادات للأستاذ أحمد بهاء الدين ، ص ٥٧ ٠

وفى ٤ فبراير ١٩٧١

فى خطاب أمام مجلس الأمة فى ٤ فبراير ١٩٧١ فاجأ أنور السادات جميع المسئولين (١) وعلى رأسهم من أسماهم بمراكز القوى أعلن فيه موافقته على مد فترة وقف اطلاق النار ثلاثين يوما تنتهى فى ٥ مارس ١٩٧١ وتقدم فى نفس اعلانه بمشروع حل سلمى مع اسرائيل يقضى فيه بأن يتم خلال الفترة الأخيرة من وقف اطلاق النار انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية من شاطىء القناة الشرقى تنفيـذا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ وبمجرد ان يتم هذا الانسحاب الجزئى والخاضع لجدول زمنى تبدأ مصر فورا فى مباشرة تطهير قناة السويس لاعادة فتحها للملاحة الدولية ٠

وفى ٨ فبراير ١٩٧١ :

قدم الدكتور يارنج مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة مشروعه لتحقيق تسوية شاملة بين مصر واسرائيل وتضمن هذا المشروع اعلان اسرائيل التزامها بالانسحاب الى حدود مصر الدولية وفى غزة وتتعهد مصر بتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ينص فيه على انهاء حالة الحرب واعتراف مصر بحق اسرائيل فى الوجود وايقاف العمليات العدوانية المتبادلة وضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران مع ترتيبات خاصة بشرم الشيخ ٠ واعلنت مصر موافقتها على اقتراح يارنج وسارعت اسرائيل برفض هذا المشروع مع استعدادها لبحث مبادرة السادات الخاصة بفكرة اعادة فتح القناة ٠

فى يوم ٢٢ فبراير ١٩٧١ :

أعلن الرئيس السادات عودة اسم مصر مرة أخرى وسميت جمهورية مصر العربية ٠

وفى أول مارس ١٩٧١ :

قام الرئيس السادات بزيارة الاتحاد السوفيتى وأوحى الى المسئولين هناك بحتمية البدء بعمليات حربية وفى أقرب وقت بالتالى بأهمية مـد مصر بطائرة الردع واستكمال التسليح الحديث فى مجال الدفاع الجوى وبالذات عن الصعيد ولم يستجب السوفيت لطلباته وفقط عرضوا عليه امكان امداد مصر بالقاذفة تى يو ١٦ وبشرط عدم استخدامها الا بالتشاور مع الحكومة السوفيتية ورفض السادات هذا القيد ٠ وظهر من هذا اللقاء

---

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات للسيد. / .محمد حافظ اسماعيل ، عدد أهرام ١٩٨٧/١٠/٢١ (الحلقة السادسة) ٠

عدم اطمئنان الاتحاد السوفيتي (١) من اتجاهات الرئيس السادات كما انهم أكدوا على ضرورة السير في طريق الحل السياسي وأخذ الجانب السوفيتي يتباهى بالتسليح الروسي وانه أفضل من غيره اذا ما استخدمت الأسلحة بكفاءة وأنهم دعموا مصر بأسلحة لم يسلموها حتى هذا الوقت الى أى دولة اشتراكية مثل الصاروخ (البتشورا) المضاد للطائرات وحذروا الجانب المصرى من الوقيعة التي يبيتها الاستعمار للجانبين ثم طلبوا من مصر مساعدات بحرية وبرية وجوية للأسطول الروسي في البحر المتوسط وفي مرسى مطروح وطلب منهم السادات تسليما مساويا مع تسليح اسرائيل وابدى الروس تحفظهم من زيادة الدعم لمصر أكثر مما هو موجود حتى هذا الوقت حتى لا يتعقد الموقف السياسي مع الولايات المتحدة الأمريكية ٠ وبذلك بدأت مظاهر الجمود في العلاقات المصرية السوفيتية رغم ان الرئيس السادات في آخر الاجتماعات (٢) طرح احتياجات العمل العسكرى وطالب الجانب السوفيتي بقوة قاذفات مقاتلة للردع والعمل في العمق الاسرائيلي وقوة دبابات حديثة طراز ت ٦٢ وبأحدث ما لديهم لتدعيم الحرب الالكترونية وتصنيع مصر للسلاح بالتعاون مع ليبيا وسوريا ٠

وفي ٧ مارس ١٩٧١ :

جرت مشاورات بين الرئيس السادات وبين القيادة السياسية السورية والليبية لاجل اعلان دولة اتحادية وذلك بغير موافقة مراكز القوى حيث عارضوا هذا الاتحاد بشدة مما ولد أزمة وشيكة الحدوث ٠

وفي ابريل ١٩٧١ :

أعلن السادات في مصر بأنه في سبيله لاعلان قيام دولة الاتحاد والبدء في اجراء استفتاء شعبي حول هذا الاتحاد في أول سبتمبر ١٩٧١ ٠

فيما بين منتصف أبريل و ١٥ مايو ١٩٧١ :

التخلص من مراكز القوى ٠

مرت مصر بأزمة داخلية خطيرة بين الرئيس السادات ومجموعة الحرس القديم (مراكز القوى) يتزعمها السيد على صبرى ويحركها

---

(١) حديث الرئيس السادات لقادة القوات المسلحة المصرية في اجتماعه معهم في ٣ مارس ١٩٧١ بعد العودة السرية والسريعة الى الاتحاد السوفيتي ـ كتاب حروب مصر المعاصرة للواء / عبد المنعم خليل ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ٠

(٢) الحلقة ٧ أهرام ٨٧/١٠/٢٤ من كتاب أمن مصر القومي للسيد حافظ اسماعيل ٠

السيد سامى شرف والسيد / شعراوى جمعة وزير الداخلية حينئذ كادت تعصف بالنظام كله وتهدد كل الجهود على الجبهة الداخلية والخارجية وأمكن للرئيس السادات حسم ونهو هذه الأزمة باعتقال معظم مراكز القوة والذى كان معظمهم مسيطرين على التنظيم الطليعى للتنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى واضطر الرئيس السادات الى الاستعانة ببعضهم فى التشكيل الوزارى الجديد للضرورة وكان فى مقدمة أسبابه لذلك هو حسن علاقتهم السابقة بالاتحاد السوفيتى كما قام الرئيس السادات باعادة انتخاب وتشكيل جميع التنظيمات السياسية والتنفيذية لضمان سيطرته منفردا على أمور الدولة وذلك بتوصيل من يريده من رجاله الى هذه المراكز الحساسة وبنفس أسلوب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر(١) وكان من أبرز التعديلات التى بدأها فورا : فقد عين الدكتور محمود فوزى نائبا للرئيس ليظل مستشارا له وكلف الدكتور عزيز صدقى بتشكيل الوزارة وعين الفريق محمد صادق وزيرا للحربية وعين المهندس سيد مرعى أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى العربى والدكتور مراد غالب وزيرا للخارجية لاهمية المرحلة ولعلاقاته وصلاته الطيبة بالاتحاد السوفيتى طول مدة خدمته كسفير ناجح لمصر هناك لمدة أكثر من عشر سنوات ٠

فى ٢٥ مايو ١٩٧١ :

وبعد تأكد الحكومة السوفيتية من سياسة الرئيس السادات والتى بدت لهم (٢) متقلبة وغير مستقرة ولاتوحى لهم بالثقة وخاصة بعد احداث ١٥ مايو ١٩٧١ فقد بادر رئيس مجلس السوفيت الأعلى نيكولاى بودجورنى بزيارة مصر وعمل على توقيع معاهدة بين البلدين لتوثيق وتقنين أبعاد التعاون بين الاتحاد السوفيتى وحكومة مصر حول جميع المسائل الهامة التى تخص الطرفين وفى نهاية الزيارة وعد بودجورنى بالوفاء باحتياجات مصر من التسليح ٠

اجتماعات السادات مع قيادات القوات المسلحة (٣) :

اتبع الرئيس السادات نفس اهتمامات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالاهتمام الزائد وبالاسبقية الأولى لمهامه وهى التخطيط

---

(١) اعتراف الرئيس السادات بأن عبد الناصر وأنور السادات هما اخر الفراعنة وان النصوص الدستورية التى وضعها عبد الناصر ويسير عليها السادات نصوص لحكم أناس غيرهم ـ ص ٦٤ من كتاب محاوراتى مع السادات لبهاء الدين ٠

(٢) من حديث الرئيس السادات مع قادة القوات المسلحة فى اجتماعه بهم ٣ مارس سنة ١٩٧١ ٠

(٣) حروب مصر المعاصرة — لواء عبد المنعم خليل من ص ١٤٣ الى ص ١٧٨ ٠

والتحضير للمعركة بصرف النظر عن التظاهر بالسير في طريق الحل السلمي لاقتناعهما بعدم جدية الولايات المتحدة الأمريكية فى مشاريعها ازاء الحلول السلمية · ورغم فتور العلاقات في بعض المراحل مع الجانب السوفيتى الا ان الرئيس السادات كان دائما يحتفظ بالحبل مرخيا والأبواب غير مغلقة مع التلويح لهم من وقت لآخر عندما يتعمدون التراخى أو التوقف عن الامدادات العسكرية الضرورية بامكان الاعتماد على جانب من التسليح الغربى ولو عن طريق دول وسيطة(١) وفى نفس الوقت كان الجانب السوفيتى لا يريد القطيعة باعتبار الوقوف مع مصر في محنتها يعتبر مقاومة لاعدائها الأمريكان والغرب ·

وكان أول لقاء للسادات مع قادة القوات المسلحة المصرية فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٠ بعد توليه مسئولية الحكم فى أكتوبر ١٩٧٠ ثم لقاء آخر في ٣ مارس ١٩٧١ ولقاء آخر فى ١٧ مارس ١٩٧١ مع عدد محدود من قادة تشكيلات الجيش الثانى والثالث · وفى هذه اللقاءات ذكر جانبا من مشروع اتحاد مصر مع سوريا وليبيا لضرورة ذلك للمعركة المقبلة وروج لفكرة العبور وأهميتها معتمدا بصفة رئيسية على عامل المفاجأة ووجوب اعتماد القوات المسلحة على ما لديها من تسليح ·

وفي ١٢ مايو ١٩٧١ :

تم اجتماع موسع مع السادات وفيه أخذ السادات يمهد لخطواته التى سيتخذها ضد مراكز القوى وحذر من اشتغال العسكريين بالسياسة ·

وفي ٣ يونيو ١٩٧١ :

تم اجتماع مع القادة شرح فيه قصة التآمر والمتآمرين وشرح أبعاد المعاهدة السوفيتية المصرية والتى سيتحقق عن طريقها الجدية فى اكمال التسليح الضرورى للمعركة ·

وفي ١١ نوفمبر ١٩٧١ :

تم اجتماع القادة العسكريين مع الرئيس السادات وفيه شرح أبعاد السياسة الأمريكية ومبادراتها للحل السلمى وعدم جدواها ودعا الى الاستعداد ·

---

(١) كتاب أمن مصر القومى للسيد / حافظ اسماعيل ـ أهرام ٢٤/١٠/١٩٨٧ وفيه تكر لهدية طائرات قاذفة أمريكية من الملك فيصل ·

اجتماع يوم ٢ يناير ١٩٧٢ :

تم هذا الاجتماع في منزل الرئيس السادات وحضره الفريق محمد صادق وزير الحربية والفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان وقادة القوات المسلحة وكان الغرض من الاجتماع شرح الموقف السلبي لكل من الولايات المتحدة بالنسبة للحل السلمي والاتحاد السوفيتي بالنسبة لاستكمال تسليح القوات المصرية وأفصح كذلك عن النغمة الجديدة للقادة السوفيت بتكرار طلب أثمان باهظة للسلاح المطلوب وبالعملة(١) الصعبة وان الاتحاد السوفيتي توقف تقريبا عن تسليم ما وعد به ثم أعلن ان مصر سوف تحصل على ما تريد من أسلحة من أى مكان وأنها ستحارب بما لديها من أسلحة ومعدات .

الخلاف بين وزير الحربية الفريق صادق والاتحاد السوفيتي :

كان الفريق صادق لا يثق كثيرا في الاتحاد السوفيتي لتكرار تعمدهم الابطاء في مد مصر بالأسلحة المطلوبة والتي كرروا الوعد بتوفيرها وتعمدهم المتكرر لخلق أسباب غير مقنعة على الأقل بالنسبة له وعندما توقف الاتحاد السوفيتي عن برنامج التسليح لعدة شهور منذ أول سنة ١٩٧٢ وطالب بتسديد قيمة الصفقات بالعملة الصعبة ونقدا وتصرف وزير الحربية المصرى وبخشونة مع كبير المستشارين السوفيت وبادر بطلب سحب القوات السوفيتية من مهامها الدفاعية حتى تستغل نفقاتها في توفير العملة الحرة لسداد ثمن المعدات المطلوبة وتأزم الموقف مما تسبب في توقف الجانب السوفيتي عن تنفيذ برنامج التسليح كلية وعلى اثر ذلك قدم الجانب السوفيتي دعوة عاجلة للرئيس السادات لزيارة موسكو في آخر شهر أبريل ١٩٧٢ وكان السوفيت على وشك عقد مؤتمر قمة مع الجانب الأمريكي .

زيارة السادات لموسكو (ابريل ١٩٧٢) :

تمت هذه الزيارة في ابريل ١٩٧٢ وفي لقاء الرئيس السادات مع برجنيف عرض الأخير برنامجا للتسليح يتضمن أسلحة متطورة جديدة وصدر بيان اشاروا فيه لزيارة قريبة للمارشال جريتشكو وزير الحربية

---

(١) في هذا الوقت كانت السعودية تعرض على مصر هدية من ٢٠ قاذفة مقاتلة أمريكية الصنع في رسالة من الملك فيصل – كتاب ابن مصر القومي للسيد / حافظ اسماعيل حلقة ٧ أهرام ١٩٨٧/١٠/٢٤ ص ١٣ :

السوفيتي لمصر للتفاهم على برنامج هذا التسليح الجديد وزال بذلك التوتر الذى أحدثه وزير الحربية المصرى الفريق صادق .

مقارنة القدرات العسكرية بين مصر مع سوريا وبين اسرائيل (١) :

فى أول مايو ١٩٧٢ كان موقف القدرات العسكرية لمصر وسوريا فى حالة لا بأس بها بالنسبة لاسرائيل رغم تباطؤ الاتحاد السوفيتي فى تلبية جميع الطلبات فكان لدى مصر ٦٧٠ ألف مقاتل وسوريا ١٥٠ ألف مقاتل أى ٨٠٠ ألف مقاتل على الجبهتين فى حين كان لدى اسرائيل ٣٦٠ ألف مقاتل قد يصلون عند التعبئة الكاملة الى ٤٠٠ ألف مقاتل وكان لدى مصر ٢٠٠٠ دبابة وسوريا ١٥٠٠ دبابة أى ٣٥٠٠ ولدى اسرائيل ١٥٠٠ دبابة فقط ولدى مصر ٣٦٠٠ قطعة مدفعية وهاون ٢٢٠٠ ولدى مصر ٧٥٠ صاروخا مضادا للطائرات ولدى إسرائيل ١٠٠ صاروخ هوك ولدى مصر ٣٦٠ مدفعا مضادا للطائرات أما اسرائيل فكان لديها ٧٥٠ مدفعا مضادا للطائرات أما الطائرات فكان لدى مصر منها ٢٥٠ طائرة ميج ١ ق وسوخى و ٥٠ طائرات قديمة بالاضافة الى ٧٤٠ طائرة لدى سوريا أما اسرائيل فكان لديهـــا ٣٨٠ طائرة فانتوم وميراج وأنواع أخرى . والأسطول البحرى المصرى متفوق على مثيله الاسرائيلى وكان لدى مصر ٩ كبارى اقتحام طول كل منها ٢٥٠ مترا و ٣٠ طاقم فتح ثغرات و ٣٠٠ قطعة تفجير ألغـام بعرض مترين . أما فى الطريق الى مصر فقد وعد الاتحاد السوفيتي بارسال ١٠٠ طائرة مقاتلة حتى النصف الثانى من سنة ١٩٧٢ و ١٠ طائرات ردع بكل منها صاروخ مداه ٢٠٠/٣٠٠ كم كما وعد بسرب ميج ٢٣ وكذلك كتيبة مدفعية ١٨٠ مم مداها ٤٢ كم وكتيبة هاون ٢٤٠ مم مداها ٤٢ كم بالاضافة الى ٣٠ وسائل عبور تركب كل منها فى ٤٠ دقيقة و ٥ كتائب صواريخ كوادرات بالأطقم الروسية لتدريب المصريين .

قمة موســكو (مايو ١٩٧٢) :

تم اجتماع القمة السوفيتي الأمريكي في موسكو فى الاسبوع الأخير من مايو ١٩٧٢ وشغلت فيه مشكلة الشرق الأوسط حيزا متواضعا يعكس استرخاء الجانبين بالنسبة لهذه المشكلة وذلك على حساب الوفاق بينهما حيث كان السوفيت يحاولون التمهيد لنجاح نيكسون فى الانتخابات القادمة لاستكمال ما بدأوه من اتفاقات وبخاصة فى موضوع تحقيق تسوية فى فيتنام وبالتالى انحياز الاتحاد السوفيتي للرأى الأمريكى بالنســبة

---

(١) مقارنة ذكرها الماريشال جريتشكو السوفيتى للرئيس السادات فى زيارته لمصر فى مايو ١٩٧٢ ـ حروب مصر المعاصرة ـ اللواء عبد المنعم خليل ص ١٥٥ و ١٥٦ .

لتحقيق الاسترخاء في الشرق الأوسط بالتركيز على التسوية السلمية • وكانت نتيجة قمة موسكو أن أصبح الاتحاد السوفيتي يهتم بالجبهة الداخلية في مصر لتهدئة الموقف الى ما بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية وبالتالي سيستأنفون المماطلة في امداد مصر بالسلاح املا في الوصول الى تسوية ـ سلمية •

الاتحاد السوفيتي يبلغ مصر قرارات مؤتمر موسكو (١) :

في ٨ يوليو ١٩٧٢ قابل السفير السوفيتي الرئيس السادات بالقاهرة وقدم له رسالة من الرفيق برجنيف بها تفاصيل قرارات مؤتمر موسكو وتأكد السادات من مضمون هذه الرسالة ان الاتحاد السوفيتي يدعو مصر للهدوء حتى يمهد الطريق لنجاح نيكسون في الانتخابات الأمريكية وان برنامج التسلح لمصر سوف يقل نشاطه للوصول الى التسوية السلمية التي تدعو لها الولايات المتحدة وكانت الرسالة في مضمونها تفصح عن أسلوب جديد في تعامل الاتحاد السوفيتي مع مصر بأسلوب فرض الارادة السوفيتية على الجانب المصري حتى لا تفكر مصر في الانفراد بقرار الحرب دون تصديق الجانب السوفيتي •

رد السادات للسفير السوفيتي :

وكان رد الرئيس السادات الفوري هو :

١ ـ رفض رسالة برجنيف شكلا وموضوعا ورفض هذا الأسلوب في التعامل •

٢ ـ رغبة السادات في انهاء خدمات العسكريين السوفيت اعتبارا من ١٧ يوليو ١٩٧٢ وشكر الاتحاد السوفيتي على المساعدة التي قدمها هؤلاء العسكريون •

٣ ـ الأسلحة السوفيتية الموجودة في مصر اما أن تباع لمصر ليتدرب عليها المصريون واما يجري سحبها •

٤ ـ القوات السوفيتية الباقية في مصر يجب ان توضع تحت القيادة المصرية الى ان يتم تدريب المصريين على معداتها أو تسحب •

٥ ـ الفنيون السوفيت الذين حضروا لأغراض التدريب يبقون في عملهم •

٦ ـ البدء فورا في اجراء مباحثات على مستوى عال بين البلدين •

---

(١) كتاب أمن مصر القومي للسيد / حافظ إسماعيل ـ أهرام ١٩٨٧/٢/٢٤ •

زيارة رئيس الوزراء عزيز صدقي للاتحاد السوفيتي (١٣ يوليو ١٩٧٢)

توجه يوم ١٣ يوليو ١٩٧٢ الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء على رأس وفد الى موسكو لمحاولة تخفيف قرار انهاء أعمال الخبراء السوفيت وذلك بأن يصدر قرارا مشتركا مصريا سوفيتيا حول انهاء مهمة الخبراء والمستشارين السوفيت لامتصاص مرارة السوفيت ورفض الرفيق برجنيف اصدار هذا البيان المشترك حتى لا يكون طرفا فى عملية تغطية وقال ان مصر هي التى طلبت الخبراء فاذا أرادته ان يغادروا فهذا قرارها وسنعمل على تحقيقه ٠

اصدار بيان مصرى بالاستغناء عن الخبراء السوفيت :

فى منتصف يوليو ١٩٧٢ صدر بيان مصرى متضمنا ان أسباب دعوة السوفيت القيام بمهام دفاعية وان هذه المهام قد تمت بصورة مرضية وأصبح من الطبيعى ان تقوم قواتنا بمهامها الوطنية تأكيدا لمسئولية شعب مصر عن الدفاع عن أراضيه ونص القرار بأن يخلى العسكريون السوفيت فى مصر جزئيا وذلك بسحب ثلثى القوة السوفيتية مع الابقاء على الثلث فى مواقعه وبذلك احتفظ الرئيس السادات لنفسه بحرية الحركة مستقبلا تجاه السوفيت ٠ وبذلك حقق احداث صدمة للاتحاد السوفيتى يجعله يعيد تقدير حساباته حيث لم يعبر القرار عن انهاء كامل لعلاقات البلدين خاصة وانه لم يتناول التسهيلات البحرية الممنوحة للسوفيت أو المعاهدة المصرية السوفيتية فكان قرارا محدودا بسحب جزئى لوحداتهم العسكرية٠ وقبل نهاية أغسطس ١٩٧٢ تم ترحيل المستشارين والخبراء وجزء من الوحدات المقاتلة ٠

سرعة رد الفعل الأمريكى :

بيان مصر بانهاء أعمال بعض الخبراء السوفيت من العسكريين صدر فى ١٥ يوليو ولم يضيع الأمريكان وقتا وبادروا بالاتصال بمصر حيث قام هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى يوم ٢٦ يوليو برسالة عبر القنوات الخاصة تلقاها اللواء أحمد اسماعيل رئيس المخابرات العامة المصرية حينئذ ليبلغها للرئيس السادات تدعو الى اجراء محادثات سرية حول قضية الشرق الأوسط وكان الغرض من هذا التحرك هو اجراء عملية استطلاع لمدى تدهور العلاقات المصرية السوفيتية وامكان الاستفادة من ذلك لأقصى درجة ولصالح اسرائيل ٠

السوفيت يواصلون الاتصال :

ومع الوضع الاليم لصدمة انهاء أعمال بعض الخبراء العسكريين السوفيت واصل الزعماء السوفيت اتصالهم بمصر وكأنهم كانوا يتوقعون رد الفعل الأمريكي فاستجابوا لطلبات السادات للتشاور واعربوا عن استعدادهم لاستقبال الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء المصري • وتمت زيارة رئيس الوزراء المصري لموسكو بين ١٦ و ١٨ أكتوبر ١٩٧٢ ووعدوا باستئناف طلبات مصر وتلبيتها من الطائرات والصواريخ وعادت الثقة واستمر الامداد العسكري مرة أخرى وقد تحققت بذلك أهداف الرئيس السادات باحداث الصدمة •

قرار الحرب (٢٤ أكتوبر ١٩٧٢) :

في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ عقد الرئيس السادات اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة حيث استعرض الموقف السياسي والعسكري أكد فيه على وجوب تحريك الموقف ليجعل الروس تعطي وتحريك أمريكا لتحل(١) وأفصح في هذا الاجتماع ان الحل أصبح فعلا في يد أمريكا أما روسيا فلا قيمة لها في هذه العملية وأعلن في نهاية استعراضه للموقف قراره بضرورة القيام بمعركة محدودة قبل نهاية عام ١٩٧٢ يدعم به العمل السياسي • ولما فتح باب المناقشة أعرب بعض القادة (٢) عن الاعتبارات التي تمنع القيام بعمل عسكري مهما كان حجمه لأسباب اجملوها في ضعف القوات الجوية لعدم استكمال تدعيمها وخطورة التخطيط لمعركة محدودة قد تتطور الى حرب شاملة وضعف الدفاع الجوي عن الجبهة الداخلية أمام احتمالات ضرب العمق • وأثارت هذه المناقشة الرئيس السادات ووجه للمتحدثين تهديدا ووعيدا ثم تظاهر بالهدوء قائلا « انه يعطي لكل فرد صلاحياته بشرط ألا يخرج عن حده ويعرفني واجبي » •

تغيير القيـــادات :

في اليوم التالي ٢٥ أكتوبر أصدر الرئيس السادات قرارات بتغيير في المناصب العسكرية العليا فقد عين الفريق أول أحمد اسماعيل على وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة وتم قبول استقالة الفريق أول محمد صادق بحجة عدم تنفيذه توجيهات الرئيس فلم تكتمل الترتيبات

---

(١) حروب مصر المعاصرة ــ اللواء عبد المنعم خليل ، ص ١٦٦ الى ص ١٦٩ •

(٢) كتاب أمن مصر القومي للسيد حافظ اسماعيل حلقة رقم ٩ ــ أهرام ٢٦/١٠/١٩٨٧ ، ص ٦ •

الدفاعية والاستعداد للعمليات الهجومية · كما اقال الفريق عبد القادر حسن واللواء محمود فهمي واللواء علي عبد الخبير وهم اصرح الذين ناقشوه في قرار الحرب ·

القيادة المصرية السورية الموحدة :

في آخر عام ١٩٧٢ أصبحت القوات المسلحة المصرية والسورية تحت قيادة موحدة لتكون معركة واحدة يقودها القائد العام للقوات المسلحة المصرية وقد حدث في هذه المدة اشتباكات بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية وحدثت للاسرائيليين خسائر كبيرة ·

مصر تمسك بجميع الخيوط :

منذ منتصف عام ١٩٧٢ وحتى أول يونيو ١٩٧٣ قامت مصر بنشاط غير عادي بالاتصال الدبلوماسي وعلى أعلى المستويات مع الولايات المتحدة التي قام بالاتصال بها مستشار الأمن القومي حافظ اسماعيل مرة في فبراير ١٩٧٣ ومرة أخرى اجتمع مع كيسنجر بالقرب من باريس في مايو ١٩٧٣ ثم قام بالاتصال بالاتحاد السوفيتي كل من رئيس الوزراء ووزير الحربية والسيد حافظ اسماعيل (١) وتم الاتصال أيضا بكل من انجلترا وألمانيا الغربية كممثلين للكتلة الغربية وبالرئيس الروماني شاوشسكو والذي كان يعتبر معبرا عن وجهة نظر اسرائيل ونتيجة ما دار من هذه اللقاءات أمكن لمصر ان تتأكد بعد قمة واشنطون في آخر يونيو ١٩٧٣ ان الاتحاد السوفيتي لديه المعلومات عن محاولات الجانب الأمريكي الاستفادة من أزمة خروج الخبراء والمستشارين السوفيت من مصر كما كان لدى الجانب الأمريكي المعلومات بأنه رغم هذه الأزمة فان الاتحاد السوفيتي كان مستمرا في دعم مصر بالقدرات العسكرية ولكن بالقدر الذي يشجع مصر بتفضيل التسوية السلمية ولذلك استمروا وداوموا في محاولة اقناع مصر بالسير في طريق التسوية السلمية اما من جهة أمريكا فكانت هي القادرة على حل النزاع سلميا الا انها لم تكن راغبة في ذلك حتى تحقق ارادتها على العالم العربي وان أمريكا غير مستعدة لتحقيق نتائج سريعة عن طريق التسوية نظرا لتكرار التعبير العربي والمصري بالتشدد في الحلول دون اجتياز حافة الحرب وانه ليس هناك احتمال ان تشن مصر حربا

---

(١) من واقع ما دار من أحاديث ومشاورات بين المسئولين المصريين الكبار وكبار المسئولين بالاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا والمانيا ورومانيا ـ أمن مصر القومي للسيد / حافظ اسماعيل أهرام ٨٧/١٠/٢٤ و ٢٦ /٨٧/١٠ و ٨٧/١٠/٢٨ ·

وان مصر لازالت حتى ربيع ١٩٧٣ فى بداية طريق مفاوضات طويلة لظاهرة محاولاتها المتكررة للحصول على ثقل عربى ودولى يكفى لتأييدها فى حالة استئناف القتـــال ولذلك كانت اللقاءات مع الأمريكان عبارة عن دعوة أمريكية مفتوحة لمصر لمزيد من التنازلات أما وجهة نظر اسرائيل فقد أمكن لمصر التأكد منها فى لقاء مستشار الأمن القومى حافظ اسماعيل مع الرئيس الرومانى شاوشسكو فى أغسطس ١٩٧٣ بدعوة ملحة منه والذى دعا هو الآخر الى ضرورة التسوية السلمية حتى من قبل الانتخابات الاسرائيلية وقد نقل وجهة نظر رئيسة اسرائيـل جولدا مائير بأنهـا على استعداد للاتصال بمصر على النحو الذى يناسب الرئيس السادات وأنها ترحب بحل سلمى وتتوقع الانسحاب من جميع الأراضى العربية ٠ ورفض الرئيس السادات هذا المنطق رفضا للحلول المرحلية أو المنفردة ٠

ونتيجة لكل ما جاء فى هذه اللقاءات الهامة كانت مصر تمسـك بجميع الخيوط فى يدها وتأكدت ان جميع أطراف المواجهة والمعاونة بما فيهم اسرائيل وحتى الكتلة الغربية والتى حتى نهاية صيف ١٩٧٣ كانت تعتقد ان مصر تفضل التسوية دون الدخول فى معركة عسكرية وبذلك تأكدت مصر من ان جميع نواياها واعدادها للحرب القريبة خارج متناول هذه الأطراف والظروف ملائمة لتحقيق المفاجأة المطلوبة ولو ان فى لقاء مستشار الأمن القومى حافظ اسماعيل مع كيسنجر فى فرنسا فى ٢٠ مايو ١٩٧٣ أفصح كيسنجر عن قلقه نتيجة لما يتردد عن احتمال وقوع عمليات عسكرية وقال « انه لايريد ان يصبح كبش فداء نتيجة للضيق أو الاحباط المصرى وان هذا يفرض عليه الحذر » وتساءل « ان كان يمكن الفصل بين مباحثاتنا وبين ما تنوى مصر ان تتخذه » ثم حذر من تصور استئناف مصر للاشتباك من أجل خلق ظروف تفرض المفاوضات وبنفس القدر من الحذر افصح القادة السوفيت فى أواخر صيف ١٩٧٣ عن شكهم فى نوايا مصر باستئناف قتال محدود كوسيلة لفرض ظروف أحسن للتفاوض والتسوية ٠

اجتماع الوزارة لاقرار المواجهة العسكرية (٥ ابريل سنة ١٩٧٣) :

قرب آخر مارس سنة ١٩٧٣ قام الرئيس السادات باعادة تشكيل الوزارة وتولى رئاستها ليكون قادرا على اتمام مرحلة المواجهة العسكرية ويتحمل المسئولية كاملة ٠

وفى ٥ ابريل اجتمع مجلس الوزراء الجديد اجتماعا اتسم بالأهمية القصوى حيث عرض على المجلس تقييما للموقف وأن الولايات المتحدة قادرة على حل النزاع العربى الاسرائيلى ولكنها لا ترغب فى ذلك حتى يمكنها فرض ارادتها علينا وعلى العالم العربى وليس أمام مصر مفر من

التحرك العسكرى الذى يساعد على تسوية لا تتحقق عدالتها الا من خلال العمل العسكرى وهذا هو القرار الذى ليس له بديل ٠ وأقر مجلس الوزراء بالاجماع هذا القرار بعد أن أدلى الحاضرون بآرائهم بصراحة وبعد أن تم نقاش أثيرت فيه نقاط أحاطت باطار الحرب ٠

جلسة اجتماع ما قبل المعركة (١) (أول أكتوبر ١٩٧٣) :

في أول أكتوبر سنة ١٩٧٣ حضر الرئيس السادات بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة اجتماعا شاملا مع قادة الميدان لمراجعة أخيرة لخطة الحرب للاطمئنان على تناسقها وكمالها وبالذات من ناحية تحقيق المفاجأة الضرورية وبدأت بمناقشة قائد المخابرات الحربية وكان أهم ما جاء بتقريره ان الحشد المطلوب قد تم حتى يوم ١٩٧٣/٩/٢٦ وافاد كذلك ان موشى ديان وزير الحربية الاسرائيلى أعلن ان مصر وسوريا قد حشدتا قواتهما وعينت اسرائيل قائدا جديدا للقوات المدرعة الاسرائيلية فى سيناء وأعلنت اسرائيل الطوارىء فى المنطقة الشمالية واحتلت بعض المناطق فى شمال اسرائيل ولم يحرك العدو قوات برية أمام قواتنا وكل تعزيزاته كانت فقط فى مواجهة القوات السورية بلواء فقط كما ان العدو قد أوقف أعماله الهندسية أمام الجبهة المصرية منذ ١٩٧٣/٩/٢٦ ثم قرأ تقريره رئيس هيئة عمليات القوات (٢) المسلحة وأهم ما جاء اليه ان خطة الخداع الاستراتيجى والتعبوى تسير بالتنسيق مع وزارتى الخارجية والاعلام أما خطة الخداع العسكرى فقد تمت بنجاح وانه منذ هذا اليوم أول أكتوبر ينفذ مشروع تعبوى استراتيجى لاستدعاء الاحتياطى وان توقيت الهجوم لم يعلن والخطط ستنزل تدريجيا الى الأفراد ٠ أما قائد القوات الجوية الفريق حسنى مبارك فقد أفاد بانه لا تعديل فى الخطة المتفق عليها وانه قد تم تنسيق الضربة الجوية الأولى مع سوريا ثم الضربة الثانية بعد ساعتين من الضربة الأولى وأما الفريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى فقد أفاد بأن انتقالات كتائب الصواريخ تسير حسب الخطة وذلك لتوفير الحماية للتجمع الرئيسى للقوات البرية فى العمليات الهجومية ٠ وقال قائد القوات البحرية الفريق فؤاد أبو زكرى انه لا تغيير فى الخطة الموضوعة لقواته وقد أخذت القوات مواقعها وبدأت الغواصات فى التحرك لتنفيذ مهامها وقائد المدفعية اللواء محمد سعيد الماحى أفاد بأنه جاهز لتنفيذ الخطة وان تمهيد النيران للهجوم سيكون ٤ قصفات منها واحدة كاذبة ٠

وقائد المهندسين اللواء مهندس جمال على أفاد بتمام الاستعداد الهندسى والفنى للاسراع فى فتح الساتر الترابى وكذلك بتدبير مهمات

---

(١) حروب مصر المعاصرة ـ لواء عبد المنعم خليل ص ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ ٠

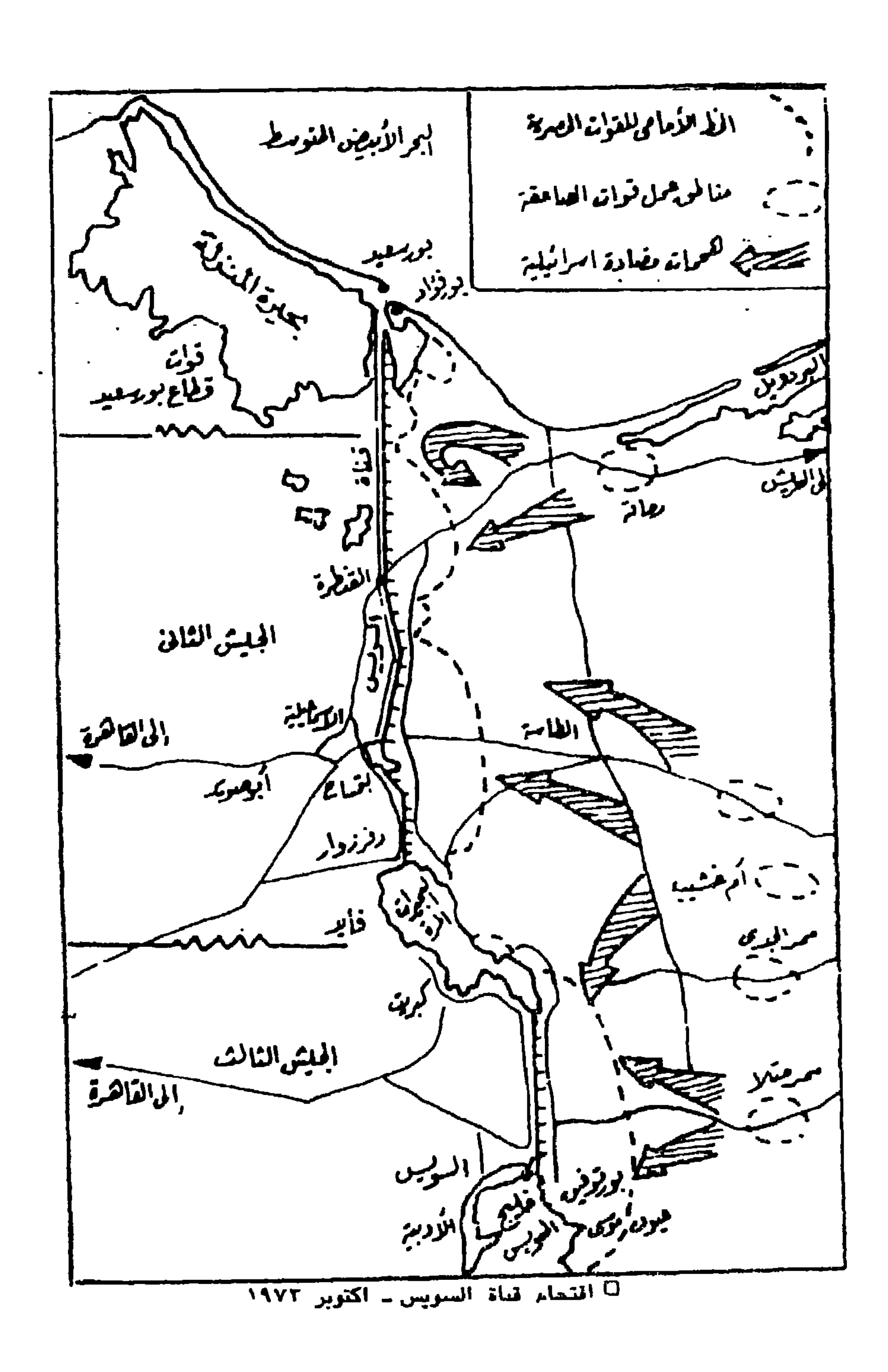
(٢) يوميات حرب أكتوبر للمشير محمد عبد الغنى الجمسى ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ٠

الكبـارى للعبور وطالب بأهمية الحماية الكاملة للمعابر ووجوب تركيز الدفاع الجوى لحمايتها وأجابه الفريق محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى انه قد تم توفير كل ما يمكن توفيره لحماية المعابر من كبـار ومعديات ومناطق عبور ٠

كما أفاد رئيس الأركان الفريق سعد الشاذلى بأن معدات العبـور كافية تماما وتأمين أعمال المهندسين متوفر سواء في الأرض أو من الجو وأفاد رئيس هيئة الامدادات والتموين اللواء نوال سعيد بأن الامدادات وانتظام وصولها يحتاج الى تركيز فى التصنيع والامداد بمعدات العبور وقال قائد الجيش الثالث عبد المنعم واصل ان جميع ضباطه متفهمون تماما للخطة وتم مراجعتهم لها كمـــا تم التجهيز الهندسى للمصاطب والمنطقة الابتدائية للهجوم ٠ وأشار قائد الجيش الثالث اللواء سعد مأمون انه قد تم اعادة التجميع واتمام تدريب جميع القيادات واللواءات بالكامل بمعداتها وتم هذا التدريب بنجاح ٠ وهنا قال الرئيس السادات الى قائد القوات البحرية ان البحرية فى هذه الخطة مسئولة عن حماية جنب الجيش الثانى الأيسر من بور سعيد الى الشرق وعلى القنطرة وعلى نقط العدو الحصينة شرق بور فؤاد على ان تقوم بحرمان العدو من تدخل بحرى ٠ وجاء دور قائد البحر الأحمر اللواء ابراهيم كامل وافاد ان قواته جاهزة لتنفيذ الخطة بدقة ٠ وقال الرئيس السادات يجب ان تتوقع ان العدو قد يستعمل ألاعيبه ومعروف ما قام به سابقا من نشاط واختراقات فى هذه المنطقة الى عمق مصر من هذا الاتجاه فيجب الاحتياط من هذا ٠ وقال قائد المنطقة العســـكرية المركزية بالقـــاهرة اللواء عبد المنعم خليـــل انه من واقع مروره على تشكيلات ووحدات الجيوش الميدانية لقياس درجات الاستعداد وجد ان الروح المعنوية لقوات الجيشين الثانى والثالث عالية ومرتفعة ٠ وان الانتشار بالنسبة لقوات المنطقة المركزية سيتم فى آخر ضوء يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣ وانه تم التنسيق مع قوات الحرس الجمهورى ٠ وهنا أشار الرئيس السادات ان للعدو عملاء فى كل المنطقة ويمكنه عمل أى شيء فى الداخل والقاهرة بها ستة ملايين وله عملاء فى السفارات الأجنبية وبحث تنسيق ذلك مع وزير الداخلية ممدوح سالم ومع رئيس المخابرات العامة عبد السلام توفيق ومع رئيس المخابرات الحربية نصار لاحكام الموقف ونصح رجال الشرطة العســـكرية بمحاولة تغيير البيريه الأحمـــر وكذلك الخوذة ٠ وقام قائد الصاعقة العميد نبيل شكرى بشرح خطة الصـــاعقة وخاصة سرعة امداد قواته داخل سيناء ورد عليه الفريق الشاذلى رئيس الأركان بأنه ملتزم بالامداد بعد ٤٨ ساعة من عبورهم داخل سيناء ٠ وفى الختام تكلم رئيس هيئة الامدادات والتموين بأن القوات والقواعد الادارية

موزعة بحيث يمكنها خدمة العمليات وتحمل أى ضربة للعـــدو تتعرض للاحتياط وان الاحتياجات موزعة فى مناطق متعددة تضمن استمرارية العمل مع القتال وقادرة على استمرار الامداد حتى اذا ما تعرضت السكة الحديد للتعطيل وكذا بالنسبة للوقود .

وفى ختام الاجتماع القى الرئيس السادات كلمة مؤكدا « ان شاء الله سيكون اجتماعنا المقبل بعد المعركة وندخل المراحل التالية ونغير الموقف ونزيح الكابوس الرهيب ونستعيد كل ما فقدناه ... وربنا يوفقكم » .. وقد تم اختيار توقيت بداية العمليات الساعة ١٤٠٠ (الثانية بعد الظهر) يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وهو العاشر من رمضان .



□ اقتحام قناة السويس - اكتوبر ١٩٧٣

العبور يوم العاشر من رمضان (٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣) :

يوم الغفران اليهودى

توقيت الهجوم لم يعلم به معظم القادة والمقاتلين المصريين الا قبل ميعاده بدقائق وقد أذيع بيان عسكرى مصرى حوالى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ٠

الضربة الجــوية الأولى (١) :

ركزت القوات الجــوية المصرية فى تدمير مراكز قيـــادة القوات الاسرائيلة فى أم خشيب ونجحت فى شل القيادة الاسرائيلية مدة حوالى أربع ساعات كانت كافية لعبور المشاة ٠ وفى نفس الوقت اجتازت القوات الجوية السورية والمصرية خطوط وقف اطلاق النار لتوجيه ضربة ضد المطارات الاسرائيلية ودفاعاته الجوية ومواقع المدفعية فى المناطق المؤثرة على قطاعات الاقتحام وخلال دقائق اشتبك على جبهة القناة ٢١٥ مدفعا من مختلف الأعيرة ولواء صواريخ متوسطة المدى مع الدفاعات الأمامية وفى العمق التكتيكى للعدو الاسرائيلى تعززها مدفعية الدبابات ومدافع الاقتحام ٠

وأثناء هذا الاشتباك وعلى جبهة القتال على طول قناة السويس وتحت ستار النيران عبرت القناة دبابات الاقتحام وجماعات الصـاعقة ٠ وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة مصرية فى اقتحام قناة السويس وخلال دقائق كان ٨٠٠٠ جندى مصرى يقفون على الشاطىء الشرقى للقناة عبر كبارى ميدان حديثة أقاموها عبر لقناة وتلا ذلك وباحكام فتح ثغرات فى الساتر الترابى الضخم بالمياه المتدفقة بشدة من خراطيم طلمبات المياه وبذلك استطاع جنود المشــاة المصريين من الوصــول الى خط بارليف وتسلق انحداره الحاد واقتحام حصونه وما بهــا من أماكن مبيت ومخازن ذخائر وعتاد ورفعوا عليـه أعلام مصر ٠

واستمر تدفق الموجـات التالية من جنــود المشــاة حتى السادســة والنصف وأصبحت تقريبا جميع النقط الحصينة لخط بارليف محاصرة بعشرين ألف جندى ينتشرون على جبهة تمتد بطول ١٧٠ كم من بور سعيد حتى السويس وبعمق من ٣ الى ٥ كيلو مترات وقبل منتصف الليل بدأ

---

(١) حروب مصر المعاصرة لواء / عبد المنعم خليل ص ١٨٢ الى ١٩٠ ٠
ومن حلقة رقم ١١ من كتاب السيد حافظ اسماعيل ـ أهرام ١٩٨١/١١/٢ ، ص ٦ ٠ وكتاب يوميات حرب أكتوبر للبشير الجمسى من ص ٣٧ الى ص ٤٤ ٠

وصول الدبابات والمدفعية والمعدات الثقيلة لتدعيم المراكز الدفاعية الجديدة شرق القناة أما قوات الصاعقة فقد عبرت مبكرة على الطائرات الهليوكوبتر في مجموعات واتجهت صوب أهدافها على عمق من ٣٠ الى ٤٠ كيلو مترا خلف الخطوط الاسرائيلية وكان أولها الموجة التي قامت بتخريب آبار وخطوط البترول في الضفة الشرقية وحرمت العدو الاسرائيلي مبكرا من تنفيذ مخططه في غمر القناة بالبترول واشعاله لمنع وتوقيف عبور القوات المصرية ومعداتها وفي نفس الوقت للتأثير على احتياجات القواته الاسرائيلية من جانب كبير من البترول اللازم للتحركات ٠

وبعد أن أفاقت القيادة الاسرائيلية من صدمة المفاجأة تحركت الدبابات الاسرائيلية متأخرة نحو القناة في اتجاه حصون خط بارليف للقيام بالهجوم المضاد للنجدة وقابلتها الصواريخ المصرية الحديثة المضادة للدبابات والتي كان يحملها ويستخدمها المشاة المصريون ولم نتمكن أي من هذه الدبابات من الوصول الى الحصون التي دمرها وأحرقها المصريون واحتلوا ثيابها وخنادقها :

ومن قبل بدء الاشتباك داوم الدكتور كسنجر مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون الاتصال بوزارة الخارجية المصرية وتلبية لاستغاثة اسرائيل بعد اكتشافها الى بعض مظاهر الاستعداد المصري للهجوم وتعمدت القيادة السياسية المصرية تجاهل هذا الاتصال وعدم الرد عليه واستطاع أن ينقل في أحد هذه الاتصالات وجهة نظر اسرائيل بالتزام اسرائيل بعدم الهجوم وضمان الولايات المتحدة لذلك ٠ وبعد أن دارت المعارك وفشل الاتصال بالقيادة السياسية المصرية طلب من الملك فيصل التدخل لدى مصر وسوريا لوقف العمليات ورفض الملك السعودي فيصل المبادرة الأمريكية ما لم تقرر اسرائيل الانسحاب والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وفي نفس الوقت بعث برسالة للرئيس السادات يؤكد فيها أنه بجانب مصر وسوريا بكل امكاناته ٠

اليوم الثاني للعبور (٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣) :

في صباح ٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان على الضفة الشرقية للقناة خمس فرق مشاة مصرية تدعمها ألف دبابة وتمكنت القوات المصرية في هذا اليوم من صد معظم الهجمات المضادة الاسرائيلية وقامت القوات

---

(١) الحلقة ١١ من كتاب أمن مصر القومي للسيد / حافظ اسماعيل ــ أهرام ١٩٨٧/١١/٢ ، ص ٦

المصرية بتوسيع رؤوس الكبارى الى عمق ثمانية كيلومترات وقامت قوات الصاعقة بالانتهاء من تدمير آبار البترول على الشاطىء الشرقى لخليج السويس وتم انسحاب قوات خط بارليف الاسرائيلية لتنضم الى القوات الاسرائيلية عند المضايق وبدأ تحرك وحدات اسرائيلية مدرعة على المحورين الشمالى والأوسط على مسافة ١٥ كيلو مترا فى اتجاه القناة استعدادا للقيام بهجوم مضاد مركز على قوات الاقتحام المصرية ٠

أما فى جبهة ســـوريا :

استمر تقدم القوات السورية يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ٠ واجتازت مدينة القنيطرة وتوقف جنوبها على مسافة من ٢ ـ ٥ كيلو مترا من جسر بنات يعقوب على نهر الأردن وقامت القوات الاسرائيلية بالاصطدام بالقوات السورية واستمرت فى المقاومة وبخاصة بعد وصول قوات احتياطية حتى استطاعت فى المساء من تشكيل خط ممتد على طول الجبهة السورية مدعما بالقوات الجوية الاسرائيلية ٠

الهجوم المضاد (٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣) :

حاولت القوات (١) الاسرائيلية تحقيق استعادة توازنها وابتداء من منتصف يوم ٨ أكتوبر بدأ هجومهم المضاد واصطدمت الدبابات الاسرائيلية تحت حماية الطائرات الفانتوم والسكاى هوك والميراج بقوات المشاة المصرية المسلحة بالصواريخ ومعهم دباباتهم وناقلات الجند المدرعة التى تم عبورها منذ اليوم الأول وكانت قوة الهجوم المضاد الاسرائيلية مقسمة عدة طوابير يقود كلا منها أحد كبار الضباط وقابلها الجنود المصريون بتعطش لقتالهم وأخذ المصريون يركضون فى اتجاه الدبابات الاسرائيلية ويتســـلقونها ويقاتلون من فيها بكل ما لديهم من أسلحة وقنابل ومواد حارقة ورغم مجموعات الدبابات الاسرائيلية الكثيرة (٢) فقد تلقت كثيرا من الصواريخ شاجر المدمرة فكانت دباباتهم تشـــتعل وتوقفت سرعة تقدم الدبابات الاسرائيلية واضطرت فى النهاية بعد ضـــخامة الخسائر الى الانسحاب بشكل غير منتظم ونفدت ذخيرتها واحترقت دروعها ووقع فى الأسر مئات من جنودهم وعلى رأسهم قائد الهجوم المدرع عساف ياجورى عند كوبرى الفردان ٠

---

(١) نفس المصادر الســابقة ٠

(٢) نفس المصادر الســابقة ٠

أما فى ســـوريا :

فى يوم ٨ أكتوبر(١) بدأت التشكيلات الاسرائيلية تستعيد نشاطها وسط وجنوب جبهة الجولان ٠

وفى يوم ٩ أكتوبر :

استطاعت القوات الاسرائيلية فى الجبهة السورية أن تبلغ وتجتاز خط وقف اطلاق النار السورى الاسرائيلى واستمر التقدم الى الشـــمال والجنوب من مدينة القنيطرة ٠

وفى النهاية استطاعت القوات الاسرائيلية من استعادة جميع الأراضى التى فقدتها منذ بداية الهجوم يوم ٦ أكتوبر ٠

أما القوات المصرية يوم ٩ أكتوبر فقد عملت جاهدة على توسيع رقعة رؤوس الكبارى الى عمق من ١٠ ــ ١٢ كيلو مترا وقامت بتطهير بقايا جيوب القوات الاسرائيلية فى القنطرة شرق وفى آخر نهار يوم ٩ أكتوبر أعلنت تحريرها أما القوات الاسرائيلية فقد واصلت هجماتها المضـــادة وبخاصة على الثغرة الموجودة بين الجيش الثانى والثالث فى مســـافة ٢٠ كيلو مترا خالية فى شرق البحيرات ــ أما قوات العدو الجوية فقد ركزت هجماتها على قواعد الدفاع الجـــوى المصرية فى بور ســـعيد وجبهة الســـويس ٠

المشاركة العربية فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ :

بعد اندلاع القتال فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ حملت مصر وسوريا عبء القتال ولكن لم تبقيا وحدهما فى الميدان وسارعت لدعمهما قوات عربية مختلفة وتتابع وصولها ٠

العـــراق :

دفعت قواتهـــا الجوية للمعركة وأرسلت فوقتين احداهما مدرعة والأخرى ميكانيكية الى الجبهة الشمالية تشاركا فى القتال الى جانب القوات السورية وأعلنت العراق مشاركتها فى حرب البترول وقد غير كل ذلك من موازين القوة بالجبهة الشمالية ٠

---

(١) نفس المصادر السابقة ٠

الجـــزائر :

اشترك الطيران الجزائرى فى المعركة وأرســلت الى مصر قوات جزائرية برية ومعها ٢٠٠ دبابة وشاركت فى جبهة القناة ٠

ومنذ حرب ١٩٦٧ بقيت قوة جزائرية متعاونة مع القوات المصرية وعملت خلال سنوات الاستنزاف ـ وأوكل للقوات الجزائرية فى حرب سنة ١٩٧٣ مهمة الهجوم المضاد على منطقة الدفرسوار ومهمة الدفاع عن منطقة البحيرات المرة ٠

الـــكويت :

شـــاركت قوات الكويت فى القتال على جبهة القنـــاة منذ حرب الاستنزاف وأثناء عمليات سنة ١٩٧٣ كانت القوات الكويتية مكلفة بحماية مؤخرة القوات جنوب الدفرسوار وأبو سلطان فى الضفة الغربية للقنال بعد عبور القوات المصرية ٠

المغـــرب :

شاركت المغرب فى الجولة الأولى لحرب سنة ١٩٧٣ فى ســـوريا ووصل لواء مغربى الى الجبهة المصرية ٠

الســـودان :

أرسلت السودان الى مصر لواء مشاة ٠

الأردن :

اشترك الأردن بلواء مدرع بالجبهة السورية ووضع لواء آخر فى المقاومة المباشرة اشتركا فى التصدى لمحاولات الاختراق ٠

ليبيـــا :

اشتركت بالدعم المادى والأموال لسوريا ومصر ٠

الســعودية :

ساهمت السعودية بلواء على الجبهة السورية كما ساهمت بمساهمة نقدية لشراء عدد مائتى دبابة لسد خسائر الدبابات الســورية المدمرة والمعطلة فى العمليات كما ساهمت فى حرب البترول ٠

القـــوة الفلســـطينية :

شاركت قواتها النظامية فى القتال على جبهة قناة الســـويس فى قطاع فايد ·

التصرفات الأمريكية ازاء الموقف

حتى يوم ٧ أكتوبر سعت الولايات المتحدة بشتى الطرق لمعـــرفة نوايا مصر من هذا الاشتباك الموسع وكانت تأمل أن تحقق اسرائيـــل استعادة التماسك لاعادة سيطرتها على جبهة القتال قبل أن تقرر تدخلها لانقاذ الموقف وقامت مصر فى نهاية يوم ٧ أكتوبر ولأول مرة بعد الاشتباك بالاتصال (١) بالولايات المتحدة بأوامر من الرئيس السادات وعلمت أمريكا من هذا الاتصال بنوايا مصر وهى أنها لا تعتزم تعميق هذا الاشتباك أو توســيع المواجهة وأن مصر تبغى فقط أن تنســحب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة ·

وعندئذ ستكون مصر على استعداد للاشتراك فى مؤتمر ســلام فى الأمم المتحدة وبعد أن تأكدت أمريكا من نوايا مصر أخذت تتجاوز موقف الانتظار وبخاصة بعد أن وجدت اسرائيل عاجزة عن استعادة السيطرة على جبهة القتال وامكان هزيمة القوات المصرية على نحو ما كانت تتوقع ولذلك بادرت انقاذا لموقف اسرائيل وتقدمت بطلب لعقد اجتماع مجلس الأمن ـ ثم قامت بارسال حاملة طائرات لتكون قريبة من مسرح العمليات· وألغت أجازات رجال الأسطول السادس ، وقامت الطائرات الأمريكية بعمليات استطلاع واسعة على امتداد جبهة القتال المصرية وكل هذا التصرف الأمريكى لصالح اسرائيل كان نتيجة لبلاغ مصر الممعن فى الصراحة ·

وفى يوم ٨ أكتـوبر سنة ١٩٧٣ أبلغت الولايات المتحدة مصر أن شروط مصر لاجراء المفاوضات سوف تتوقف على نتائج المعركة الدائرة وأن الولايات المتحدة ستسعى لمحاولة ايقاف القتال بشتى الطرق لأجل تحقيق تسوية عادلة ·

وفى يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أبلغت مصر الولايات المتحدة :

« أنها غير مرتاحة لتحرك الأسطول السادس واســتمرار وصول

---

(١) اتصال مستشار رئيس الجمهورية للأمن محمد حافظ اسماعيل بهنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى للأمن القومى ، حلقة كتاب أمن مصر القومى رقم ١١ أهرام ١٩٨٧/١١/٢ ، ص ٦ ·

(٢) يوميات حـرب أكتوبر للمشـير عبد الغنى الجمسى ، ص ١١٧ عن مذكرات جنرال اليعازر رئيس الأركان الاسرائيلى ·

المتطوعين الأمريكان الى اسرائيل على طائرات مدنية أمريكية وعلى قصف اسرائيل لمدينة بورسعيد وأن ذلك قد خلق موقفا خطيرا يعطل من حصر النزاع » ٠

الموقف السوفيتي

في السادسة (١) مساء يوم ٦ أكتوبر استقبل الرئيس السادات السفير السوفيتي بالقاهرة حاملا رسالة مريبة من برجينيف يبلغه فيها أن الرئيس السوري الأسد طلب من الاتحاد السوفيتي التدخل للعمل على وقف القتال لأن القتال لمدة طويلة قد لايكون في صالح العرب ، كما أن الأمريكان اتصلوا بالسوفييت أيضا لايقاف اطلاق النيران ورفض الرئيس السادات هذا الاقتراح وبخاصة أن الرئيس الأسد لم يبلغ مصر حليفته بهذا الطلب وهذا التبليغ بهذه الكيفية كان مجال شك في مصر بعد أن نفت سوريا ذلك وكان احتمال تفسيره هو أن سوريا ربما كانت تهدف الاستفادة من نجاحها السريع في استعادة أراضيها في الجولان وأن ايقاف القتال عند هذا الحد يحقق لها ضمان هدفها قبل أن تتمكن اسرائيل مع استمرار القتال من استعادة هذه الأراضي السورية مرة أخرى ٠

وفي يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣

أبلغ الاتحاد السوفيتي الرئيس السادات أن وجهة نظر القيادة السوفيتية أنه حان الوقت لاستغلال النجاح العسكري المصري الذي تحقق حتى هذا الوقت لتحقيق عملية تسوية للقضية اذا ما أمكن قبول مصر بفكرة وقف اطلاق النار على الخطوط الراهنة للقوات وبخاصة أن هناك قلقا حول الموقف العسكري السوري ورفض الرئيس السادات هذا الاقتراح ، وأشار الاتحاد السوفيتي في تبليغه الى أن القوات المصرية أصبحت محصورة في مساحة ضيقة من الأرض شرق قناة السويس بينما تستعد اسرائيل لاستخدام الحجم الرئيسي من قواتها التي لم تشترك بعد في القتال للدخول مع هذه القوات المصرية في قتال لايمكن التنبؤ بنتيجته ثم كرر السفير السوفيتي بالقاهرة يوم ٨ أكتوبر بأفضلية ايقاف النيران خاصة وأن هدف مصر هو فقط تحريك الموقف للحصول على تسوية عادلة وأنه حتى هذا الحد من النجاح يمكن تحقيق التسوية العادلة وبخاصة أن أوضاع مصر العسكرية حتى هذا الوقت كانت ملائمة لذلك . وأن فشل الجيش السوري في الفترة الأخيرة سوف يوفر لاسرائيل القوات الكافية لتوجيهها بالكامل للعمل على الجبهة المصرية ـ ورفض الرئيس السادات كل هذه الطلبات بوقف اطلاق النار والمصاغة في شكل نصائح وشجعه على هذا الرفض ما كان يشعر به من صلابة الجبهة المصرية وهزيمتها للهجمات الاسرائيلية المضادة ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

من ١٠ الى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٣ (١)

في سوريا استطاعت القوات الاسرائيلية يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٣ استعادة جميع الأراضى السورية التى أمكن للقوات السورية العودة اليها منذ بداية الهجوم فى ٦ أكتوبر ومنذ هذا التاريخ كان الموقف فى سوريا يدعو للقلق بعد أن استعادت القوات الاسرائيلية الجولان والقنيطرة ثم اخترقت القطاع الشمالى ووصلت الى مسافة ١١ كيلو مترا داخل سوريا وعلى جبهة اتساعها حوالى ١٢ كيلو مترا وقريبا من دمشق نفسها .ولذلك ألحت سوريا على مصر بتصعيد قتالها على جبهة القناة واشتركت القوات الجوية العراقية فى الجبهة السورية ودفعت العراق بفرقة مدرعة فى اتجاه دمشق انقاذا للموقف ٠

وفى يوم ١٢ أكتوبر أوقفت اسرائيل تقدمها فى اتجاه دمشق عندما وصلت الفرقة المدرعة العراقية على أجناب القوات المدرعة الاسرائيلية ٠

أما القوات المصرية فقد كانت من يوم ١٠ الى ١١ أكتوبر قد أخذت فى التوقف عن الهجوم وأخذت تعزز دفاعاتها فى منطقة رؤوس الكبارى وركزت على نقل وتعزيز وانتشار شبكة الدفاعات الجوية لتلائم أوضاعها الجديدة على شرق القناة وخلال هذه الأيام استمرت هجمات الطيران الاسرائيلى بأعداد كبيرة على رؤوس الكبارى . ومع محاولة تطويق أجنحة قواتنا فى سيناء لمحاولة عزلها ومنع الامداد عنها ومحاولة الوصول الى القواعد المصرية الجوية فى الدلتا ٠

وتأكدت مصر من وصول امدادات أمريكية عسكرية ضخمة لاسرائيل يتم تفريغها رأسا فى منطقة العريش ٠

وأخيرا واستجابة لطلب سوريا طورت مصر من موقفها العسكرى وأخذت تحضر لاستئناف الهجوم فى جبهة القناة لتخفيف الضغط الإسرائيلى على سوريا وتوالت التعزيزات تصل الى أرض المعركة وبخاصة القوات المدرعة ٠

وفى صباح يوم ١٤ أكتوبر بدأ الهجوم المصرى (٢)

ففى السادسة والربع وجهت القوات الجوية المصرية والصواريخ متوسطة المدى ضربات ضد الأهداف الاسرائيلية الهامة فى سيناء وكذلك

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ٠

بدأت المدفعية المصرية في قصف الدفاعات الميدانية الاسرائيلية تمهيدا للهجوم الذي بدأ في السادسة والنصف ودارت خـــلال ساعات معركة كبيرة للدبابات ولم تفاجأ اسرائيل بهذا الهجوم وكانت مستعدة له بقوة متفوقة وعمل الطيران الاسرائيلي بحرية كبيرة بعد أن اجتازت قواتنا في تقدمها المدى المؤثر لفاعلية الصواريخ المضادة للطائرات وتكبدت القوات المدرعة المصرية خسائر كبيرة ٢٥٠ دبابة ويرجع الفضل في هذا التفوق الاسرائيلي الى السلاح الأمريكي الجـــديد والمتطور الذي زودت به أمريكا اسرائيل ولأول مرة بعد أن ندخلت بكل ثقلها لانقاذ اسرائيل وكان من أكفأ الأسلحة هو الصاروخ (١) .T.W.O المضـــاد للدبابات وبذلك لم تتمكن القوات المصرية من بلوغ أهداف هجومها الجديد ، وانسحبت القوات المصرية المدرعة والميكانيكية الى داخل رؤوس الكبارى وأصبح هذا الهجوم المصري الفاشل نقطة تحول خطيرة بالنســـبة للعمليات الحربية المصرية والذي جعل القاعدة العسكرية المصرية في غرب القناة محرومة من قوات احتياطية للطوارئ ، ولم يحقق هذا الهجوم أي هدف أو أي نجاح سوى تخفيف الضغط فقط على الجبهة السورية بتوقف العمليات الحربية الهجومية الاسرائيلية عليها • ولكن بعد فوات الأوان •

وأخذت اسرائيل منذ هذا الوقت في الاستعداد لشن هجوم واسع النطاق على القوات المصرية بعد أن وصلتها المعونات الأمريكية المتفوقة واستمر القتال أيام ١٤ ، ١٥ أكتوبر وأمكن لاسرائيل أن تضع نفسها على طريق تحقيق نجاح عسكري يكون بمثابة نجاح في الوصول الى شروط في صالحها عند التسوية المقبلة •

الاختراق الاسرائيلي

اعتبـــارا من مســـاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وحتى (٢) آخـــر نهار ١٦ أكتوبر استمرت المعركة دائرة وبعد فشل الهجوم المصري على القوات

---

(١) صاروخ يحمله الفرد المقاتل ويتوجه أوتوماتيكيا ومداه ٣٠٠٠ متر يسهل استخدامه وفيه ينظر الضارب من خلال تليسكوب به دائرة وبعد ضغط زر الاطلاق يحافظ الضارب على وجود الدبابة الهدف داخل الدائرة لتحدث الاصابة ١٠٠٪ في النهاية وغالبا فان الاصابة كفيلة بخروج الدبابة من المعركة بعد أن ينفجر كل ما فيها من ذخائر وتنسف الدبابة وقد استخدم هذا الصاروخ في الثغرة في غرب القناة من فوق الأشجار والمآذن • (من الحلقة ١٣ من كتاب محاربون ومعارضون لكمال حسن على ـ أهـرام ١٩٨٦/٩/٢٤ ، ص ٦) •

(٢) أمن مصر القومي للسيد حافظ اسماعيل ، حلقة ١٢ ـ عدد الأهرام ٨٧/١١/٧ • ١٩٨٧/١١/٤ •

الاسرائيلية وأثناء هذا القتال وتحت ستار نيران واحتدام المعركة تمكنت قوة اسرائيلية من لواء مظلات ، ٣٠ دبابة برمائية ومعهم معدات عبور ، تمكنت من التسلل عبر البحيرات المرة وعبرت الى الغــرب وأخذت فى مهاجمة قواعد الصواريخ المضادة للطائرات وشرعت فى احتــلال موقع عند الدفرسوار غرب القناة بمثابة رأس كوبرى وانتشرت هذه القوات الى عمق ١٥ كيلو مترا وتمكنت الصاعقة المصرية من التبليغ عن النشاط الحربى الاسرائيلى فى نقل معـــدات عبور ثقيلة وخوابير أســـمنت ضخمة متجهة الى القناة عبر سيناء أثناء القتال الدائر ·

وبعد ظهر يوم ١٦ آكتوبر سنة ١٩٧٣ أعلنت رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير فى خطاب لها فى الكنيست « أن عناصر من جيش الدفاع الاسرائيلى تعمل الآن فى غرب القناة وتقاتل داخل الأراضى المصرية » ·

وبلغت هذه المعلومات الى الرئيس السادات قبل القاء خطابه فى مجلس الشعب بعد ظهر يوم ١٦ آكتوبر سنة ١٩٧٣ وأعلن فى هذا الخطاب مبادرته باستعداد مصر لقبول وقف اطلاق النار على أســـاس انسحاب اسرائيل من كل الأراضى المحتلة فورا تحت اشراف دولى وأن مصر فور انسحاب اسرائيل على استعداد أن تحضر مؤتمر سلام دولى وتكون بذلك مستعدة وفورا فى تطهير القناة وفتحها للملاحة العالمية ·

رئيس الوزراء السوفيتى يصل الى مصر ١٦ آكتوبر سنة ١٩٧٣

وبعد ظهر يوم ١٦ آكتوبر سنة ١٩٧٣ وصـــل كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الى القاهرة واجتمع مع الرئيس أنور السادات عدة مرات للبحث فى امكانية تحقيق تسوية وكان ذلك بمثـــابة مضيعة للوقت حيث تسبب ذلك التأخير (١) بشكل أو بآخر فى تبرير امكانية مواجهة عملية الاختراق الاسرائيلية التى استهانت بها القيادة السياسية المصرية واختلفت فيها آراء القيادات العسكرية المصرية فى كيفية وأسلوب مواجهتها وبعد استغراق معظم وأهم القوات المصرية فى قتالها شرق القناة مع العدو الاسرائيلى الذى استعد لهذه الاشتباكات بفضل دقة عمليات الاستطلاع الأمريكى لحساب اسرائيل مما جعل المبادأة تصبح فى متناول القوات الاسرائيلية ·

وبنـــاء على مباحثات كوسيجين والرئيس الســـادات فقد دعـا الاتحاد السوفيتى مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى دكتور كيسنجر

---

(١) حلقة ١٢ و ١٣ من كتاب أمن مصر القومى للسيد حافظ اسماعيل أهرام ٨٧/١١/٤ ، ١٩٨٧/١١/٧ ·

للاتفاق معه على مشروع (كوسيجين ــ السادات) وتمت المباحثات بينهما وكانت حول ثلاث نقاط :

١ ــ وقف اطلاق النار ٠

٢ ــ توقف القوات عند مواقعها الحالية ٠

٣ ــ تنسحب اسرائيل على مراحل من الأراضى العربية المحتلة طبقا للقرار ٢٤٢ ٠

٤ ــ الدعوة لمشاورات بين مصر واسرائيل نحو سلام عادل ٠

الدعم الأمريكى

أعلنت أمريكا يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أنها ستدعم اسرائيل بمبلغ بليونين من الدولارات لتمويل المجهود العسكرى الاسرائيلى ٠

الدول العربية تعلن تخفيض انتاج البترول

وفى نفس اليوم قامت الدول العربية وردا على الاعلان الأمريكى باعلان قرارها بتخفيض انتاجها من البترول والحظر الكامل على صادراتها الى الولايات المتحدة من هذا البترول ومن وقتها بدأ البترول العربى يؤدى دوره كسلاح لتحقيق أهداف سياسية ٠

اقامة جسر مسلح على القناة

ومنذ عملت القوات الاسرائيلية لرأس كوبرى على الضفة الغربية للقناة عند الدفرسوار بدأت فورا وابتداء من يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبمساعدات أمريكية فنية متطورة بدك خوابير(١)مسلحة Concrete Pipers فى القناة عند موقع الدفرسوار أضيق منطقة فى القناة وتابعت ذلك فى حشو وردم ما بين الخوابير بالحجارة وبالمسلح وغيرها الى أن انتهت من اقامة هذا الجسر العريض والدائم يوم ٢١ أكتوبر وبعرض كاف لتعدية عدة قولات كم ذلك فى غفلة من الاستطلاع المصرى ومن القوات المصرية المستغرقة فى قتال عقيم على الضفة الشرقية من القناة ومن خلال ثغرة كبيرة خالية فى سيناء من القوات المصرية بين الجيش الثانى والثالث فى نفس الوقت الذى أمدت فيه الولايات المتحدة اسرائيل بنوع جديد من الدبابات يطلق عليهــا الكســارات Crockers واستخدمت لأول مرة وأمكن بها تحطيم استحكامات قواعد الصواريخ فى منطقة الثغرة فى الجانب الغربى ٠

---

(١) عدد أول نوفمبر من مجلة نيوزويك الأمريكية . سنة ١٩٧٣ ٠

مصر تطلب رسميا من مجلس الأمن ايقاف القتال (١)(٢١ - ٢٢ أكتوبر)

فى صباح ٢١ أكتوبر تم اتصال مصر بالجانب الأمريكى عن طريق ممثل السفارة الأمريكية فى مصر وكلف بتبليغ حكومته بموافقة مصر على ايقاف اطلاق النار وعلى اثر ذلك دعى مجلس الأمن للانعقاد فى مساء ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وأصدر فى صباح ٢٢ أكتوبر قراره رقم ٣٣٨ على أساس الاتفاق الأمريكى السوفيتى الذى تم فى زيارة كيسنجر لموسكو وفيه :

- يدعو الى ايقاف اطلاق النار فى موعد لايزيد عن ١٢ ساعة من لحظة صدور القرار • وبقاء قوات كل طرف فى المواقع التى تحتلها بالفعل فى هذا التاريخ (٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣) •
- تقوم الأطراف المعنية عقب ايقاف القتال بتنفيذ القرار ٢٤٢ •
- تبدأ فورا مفاوضات بين هذه الأطراف وتحت اشراف مناسب لإقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط •

وفى نفس يوم ٢٢ أعلنت اسرائيل موافقتها على ايقاف اطلاق النار •

الثغرة الاسرائيلية تتسع (من ٢٢ الى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٣)

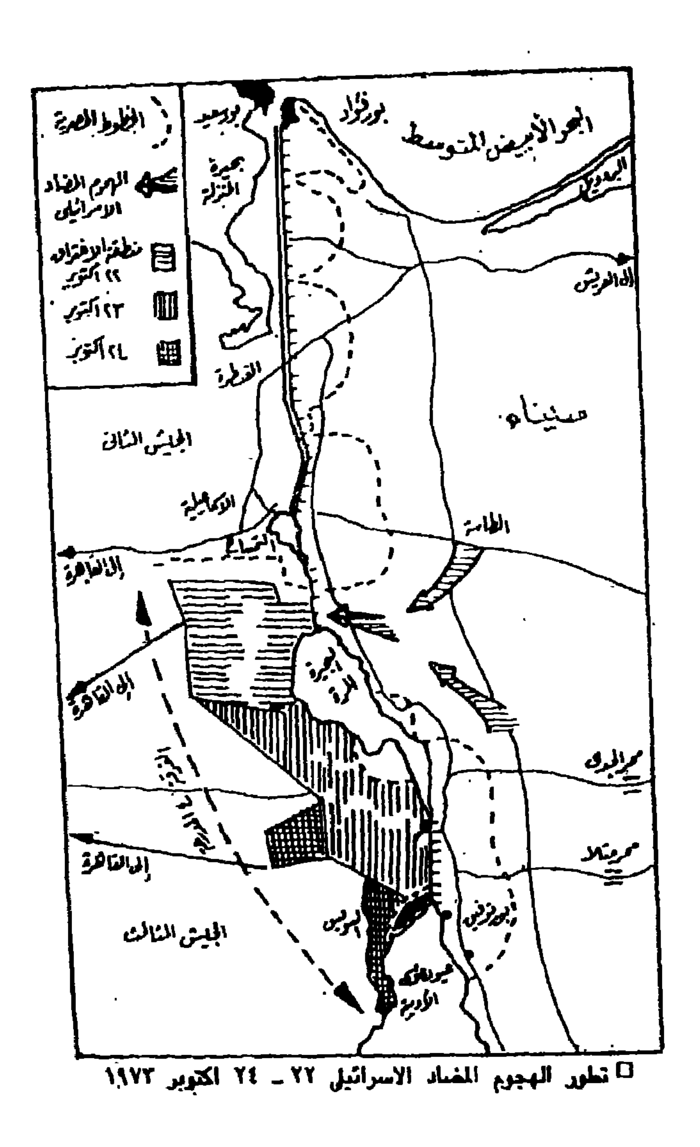
فى يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وبعد تمام اقامة الجسر المسلح على القناة وبعد أول ثلاث ساعات من صدور (٢) قرار مجلس الأمن بايقاف القتال ورغم اعلان اسرائيل بموافقتها على ايقاف القتال وقبل أن يصل المراقبون الدوليون تعمدت اسرائيل الاسراع فى عبور فرقتين مدرعتين اسرائيليتين تتكون كل فرقة من ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاة وذلك لتوسيع عملياتها فى غرب القناة بغرض التمكن من عزل القوات المصرية فى سيناء - ومنذ الحادية عشرة من مساء ٢٢ أكتوبر أخذت القوات الاسرائيلية فى الانتشار والتقدم جنوبا من رأس الكوبرى عند الدفرسوار فى اتجاه السويس •

فى صباح ٢٣ أكتوبر تصادمت القوات الاسرائيلية فى معركة عنيفة مع عناصر من الجيش الثالث فى منطقة كبريت والشلوفة مما عطل تقدم المدرعات الاسرائيلية وبخاصة أنها تعاملت مع جيوب المقاومة المصرية فى طريق تقدمها للسويس - ثم واصلت القوات المدرعة

---

(١) أمن مصر القومى للسيد حافظ اسماعيل ، حلقة ١٣ - عدد الأهرام ٨٧/١١/٧ •

(٢) نفس المصدر السابق •



□ تطور الهجوم المضاد الاسرائيلي ٢٢ ـ ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣

الاسرائيلية تقدمها ببطء حتى وصلت الى مشارف مدينة السويس وقامت بقطع خطوط المواصلات في اتجاه معامل تكرير بترول السويس ·

وفي ليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر وصلت وحدات اسرائيلية مدرعة الى جنوب السويس واحتلت ميناء الأدبية واستعدت لاقتحام مدينة السويس وفي نفس اللحظة صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة السابعة صباحا يوم ١٠/٢٤ وكان يقضي بالعودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ووافقت مصر واسرائيل على هذا القرار ·

ورغم موافقة اسرائيل على هذا القـــرار فانها لم تحترمه وواصلت عملياتها العسكرية والتقدم لمواجهة مدينة السويس بهدف أســـاسي هو كسب مواقع لأجل عزل قوات الجيش الثالث المصرى في سيناء ولقطع مواصلاته وامداداته عن قواعده وقبل وصول مراقبي الأمم المتحدة لتنفيذ ايقاف النيران ·

ـ وبادر الاتحاد السوفيتي (١) بتوجيه رسالة الى الولايات المتحدة يبلغها بخرق القوات الاسرائيلية لخطوط وقف اطلاق النار وأنه مالم تعد الى مواقعها وتوافق الولايات المتحدة على اجراء مشترك سوفيتي أمريكي لتنفيذ ذلك فسيتخذ الاتحاد السوفيتي الخطوات المناسبة من جانبه وحده ·

ـ وخلال ليلة ٢٥/٢٤ أكتوبر اتخذت (٢) أمريكا وبأسلوب شبه علني اجراءات برفع درجة الاســـتعداد في جميع القيـــادات العسكرية ووضع الفرقة ٨٢ في حالة التأهب وتعزيز الأسطول السادس بمجموعة حاملة طائرات ثم تحريك القاذفات ب ٥٢ من قاعدتها وتجاهلت أمريكا كلية في المجال الدولي الالتزام بجعل اسرائيل تنفذ القرار ٣٣٩ بالعودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر ، كل ذلك ردا على التهديد السوفيتي وتلويحا لمصر بأن الحل والربط أصبح في يد أمريكا وفي ٢٥ أكتوبر أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٣٤٠ بالالتزام الفوري بايقـــاف النيران والعودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ولكن استمرت اسرائيل في احتلالها ·

معركة الشعب المصرى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٣

واســـتعدت المقاومة الشعبية المختلطة مع قوات البوليس وكثير من رجال الجيش الموجودين داخل مدينة السويس للدفاع عنها وأغلقت كل مداخلها بالموانع والمتاريس المغطاة بنيران أسلحتهم ·

---

(١) السلام الضائع ، مذكرات محمد ابراهيم كامل ص ١٨٠ ، ١٨١ ·

(٢) أمن مصر القومي حافظ اسماعيل ، حلقة ١٣ ـ أهرام ١٩٨٧/١١/٧ ·

وفى يوم ٢٤ أكتـــوبر قامت القوات الاسرائيليـــة باقتحام مدينة السويس وقابلتها المقاومة الشعبية بقتال عنيف وعنيد وبروح قتاليـــة عالية تمكنت فى النهاية من ايقاف هجوم المدرعات الاسرائيلية فى ملحمة شعبية أثبتت أنها لم تكن معركة شعب مدينة السويس وحده بل معركة شعب مصر كلها لأن هذا الصمود كان يمثل صمود الشعب المصرى كله دفاعا عن كرامته ووجوده وأخيرا اضطرت القوات الاسرائيلية وقبل غروب يوم ٢٤ أكتوبر الى التوقف عن القتال نظرا لفداحة خسائرها فى الأفراد والمعدات ولطول خطوط المواصلات وسرعان ما انسحبت القوات الاسرائيلية من داخل المدينة بعد منتصف الليل وبعد أن شعرت أنها محاصرة داخل المدينة بالمقاتلين المصريين من كل اتجاه ٠

النشاط الاسرائيلى العسكرى خارج السويس ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣

وفى يوم ٢٥ أكتوبر أعلنت اسرائيل اعترافها بأن قواتها أصبحت فى ضواحى مدينة السويس وأنها ليست بداخلهـــا ٠ وبذلك أصبحت معركة السويس معركة شعبية ولكن تبقى لاسرائيل جانب للمساومة به وهو امكان تحكمها فى امدادات قوات الجيش الثالث فى سيناء فى مدينة السويس بوجودها فى المناطق حول مدينة السويس وحصارها من الخارج ومنع الامدادات عنها وبالتالى عن الجيش الثالث فى سيناء ولكن عملية ايقاف القتال تبعا لقرار مجلس الأمن كان فيه عند تطبيق بنوده للجانب المصرى بعض الأمل بامكان فك هذا الحصار رغم أنه أصبح مجال مساومة وعامل ضغط على مصر فى مرحلة التفاوض تحت اشراف الدولتين العظميين وعنصر من الأمم المتحدة ٠

اسرائيل تخرق قرار ايقاف اطلاق النار

منذ مساء ٢٦ أكتوبر واصلت اسرائيل خرق قرار ايقاف القتال واستمرت فى شن هجمات جوية وبرية ضد مواقع الجيش الثالث ٠

اجتماعات الكيلو ١٠١ على طريق السويس القاهرة

فى صـــباح ٢٧ أكتوبر وصـــل المراقبون الدوليون الى نقاط بين الجيش المصرى والاسرائيلى لمراقبة تطبيق قرار وقف اطلاق النيران وبدأت فورا المباحثات على المستوى العسكرى مهمتها البحث فى الاجراءات العملية لتأكيد وقف اطلاق النيران وامداد بالأطعمة والمياه والأدوية الى مدينـــة السويس والى الجيش الثالث فى سيناء وبدأ الاستعداد لعملية المباحثات المباشرة بين مصر واسرائيل طبقا للقرار ٣٣٩ الذى يقضى بحـــل مشكلة

وقف اطلاق النيران والعودة الى خط ٢٢ أكتوبر • واجتمع الطرفان المصرى والاسرائيلى فى موقع عند الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس فى الواحدة والنصف يوم ٢٨ أكتوبر وأثناء الاجتماع قامت اسرائيل بمحاولة أخيرة لخرقها ايقاف القتال لاقتحام مدينة السويس وفشل هجومها بفضل صـلابة المقاومة •

وخلال يوم ٢٩ أكتوبر

وصل القول التموينى الى السويس والى الجيش الثالث وتوقف القتال استعدادا للمفاوضات على فك الاشتباك والانسحاب الاسرائيلى الكامل من غرب القناة •

تحديد المواقف لجميع الأطراف (١)

بعد وصول أول قول تموينى الى مدينة السويس وقوات الجيش الثالث فى سيناء بتحكم من الجانب الاسرائيلى المحاصر لمداخل السويس وبالتالى للمعابر الى الجيش الثالث كانت مواقف جميع أطراف النزاع قد تحددت كالآتى :

(أولا) الجانب الاسرائيلى :

أمكنه بفضل المساعدات الأمريكية الفنية والعسكرية ومن خلال كواليس هيئة الأمم ومجلس الأمن من أن يستردوا أنفاسهم وتصبح المبادأة فى يده بعد أن أوقف الهجوم المصرى غير الموفق منذ ١٤ أكتوبر بخسائر كبيرة فى مدرعات المصريين والأهم من ذلك اســتعادته لجانب من قدرات سلاحه الجوى ثم تمكنه من العبور الى الضفة الغربية للقناة وانشاء رأس كوبرى واقامة جسر عبور قوى وكاف لعبور قوات اسرائيلية مدرعة ثم تمكن بعد ذلك من التقدم جنوبا حتى وصل الى مدينة السويس وحاول اقتحامها ولما فشل فقد اكتفى بحصارها وتحكم فى وسائل العبور الى قوات الجيش الثالث كما تقدم أيضا شمالا حتى كاد أن يحاصر ويستولى على مدينة الاسماعيلية نفسها ولم يلتزم بالتوقف عن اطلاق النيران وتجاوز المواقع التى وصل اليها يوم ٢٢ أكتوبر بعدم التزامه بقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وبكل ذلك أمكنه فرض ارادته على الجانب المصرى ليلزمه على التباحث والتفاوض بشروطه هو مما يطيل أمد بقائه فى مواقعه المتحكمة وفى

---

(١) من واقع القراءة المتأنية لتسجيلات السيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات للأمن القومى فى كتابه أمن مصر القومى الحلقة ١٤ ـ عدد جريدة الأهرام يوم ١٩٨٧/١١/٩ والحلقة ١٥ ـ عدد أهرام ١٩٨٧/١١/١١ •

بعض المواقف كان الجانب الاسرائيلى يتظاهر بمقاومة الضغوط الأمريكية تمثيلا وقد حددت اسرائيل باستغلال تفسيرها لقرارات مجلس الأمن بما يتفق وأسلوب مراوغتها ومساوماتها واطالة مدة بقائهـا حتى يبرد الموقف ويتعود المصريون على قبول الأمر الواقع ولذلك أخذت اسرائيـل تفسير القرار ٣٣٨ بالعودة الى خطوط يوم ٢٢ أكتوبر بأنها هى الخطوط التى وصلت اليها يوم ٢٧ يوم وصول رجال الرقابة الدولية وأصبح تحكمها في طريق الامداد للجيش الثالث أمرا واقعا ومجال مساومة • وفرضت اسرائيل ارادتها بقيام الجانب الأمريكى لحسابها بالانفراد بامكان حل القضية واستبعاد الجانب السوفيتى حتى لايكون له دور فى ذلك اللهم الا اشتراكه فى أطراف مباحثات السلام المشكوك فى عقدها •

ثانيا : الجانب المصرى

رغم فشل الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ورغم انتزاع اسرائيـل عامل المبادأة وتمكنها من الحصول على فرص لايستهان بها لعوامل الضغط والمساومة فى مراحل المفاوضـات فان الجانب المصرى كان لايزال حتى نهاية شهر أكتوبر سنة ١٩٧٣ يحتفظ بقوات لايستهان بها فى سـيناء على جانب كبير من الشاطىء الشرقى للقنال بجانب قدراته فى مجـال الدفاع الجوى التى حتى هذا التاريخ أوقفت أى نشاط اسرائيلى جوى فى معظم نواحى مصر وجبهة القتال وفى نفس الوقت تأكد للجانب المصرى وللرئيس السادات بالذات أهمية وقدرة (١) الجانب الأمريكي لامكان حل الأزمة بما يرضى غرور الرئيس السادات ويرضى الجانب الاسرائيلى بأن النتيجة النهائية أنه ليس هناك انتصار ولا هزيمة ومحققا جميع أهداف اسرائيل فى مقابل اعطاء الرئيس السادات بالذات ميزات معالم النجاح وذلك بتحقيق فض الاشتباك والانسحاب من غرب القنال ثم الانسحاب شبه الكامل من سيناء كل ذلك فى مقابل أن تتخلص مصر نفسـها من علاقاتهـا مع الجانب السـوفيتى والعمل على أبعـاد هذا الجانب حتى لايكون له أى وجود دولى أثناء مراحل التفاوض بأى صورة وكان السادات منذ شعوره بعدم الاطمئنان للجانب السوفيتى وبالذات فى عدم التزامه فى وعوده فى عملية تسليح الجيش المصرى بالأسلحة التى تجعـل مصر قريبة من مستوى القوات الاسرائيلية بالاضافة الى تأكد الرئيس السادات فى أثناء الظروف الحاسمة من عدم مساندة الجانب السوفيتى للأهداف المصرية وأن الاتحاد السوفيتى فى سبيل التقارب مع الجانب الأمريكى قد ضحى بالمساندة غير المحدودة للجانب المصرى وبخاصة بعد قمة موسكو

---

(١) امن مصر القومى لحافظ اسماعيل ، حلقة ١٤ اهرام ١٩٨٧/١١/٩ ، ص ٦ •

في مايو سنة ١٩٧٢ حتى أصبح السادات كثيرا ما يفصح لمساعديه في الفترة الأخيرة بأن الحل بالكامل أصبح في يد الولايات المتحدة وحدها ولكل ذلك ولأجل تحقيق كل أهدافه لتحقيق الاستقرار لمصر ولمحاولة انهاء حالة الحرب مع اسرائيل فقد اتخذ خطوات ايجابية في سبيل تغيير سياسته نحو الجانب الأمريكي وقرر منذ نوفمبر سنة ١٩٧٣ الأخذ بالاستراتيجية الأمريكية متعمدا تقليص دور الجانب السوفيتي وبدأ أولا باحداث تغيير جوهري في مستوى مستشاريه ومساعديه ليكون لهم الدور الايجابي الجديد في مرحلة التسوية وقام السادات بتحقيق ذلك وعين اسماعيل فهمي وزيرا للخارجية وهو من الشخصيات الدبلوماسية المصرية التي قضت معظم مدة خدمتها في الولايات المتحدة وله صلات قوية مع رجال السياسة والدبلوماسية الأمريكية كما أنهى مهام مستشاره للأمن القومي السيد حافظ اسماعيل وكلفه للعمل سفيرا لمصر في الاتحاد السوفيتي وأصبح اتصال السادات مباشرا في مراحل المفاوضات والتباحث مع الجانب الأمريكي ٠

وكان السادات قد بدأ فتح الحوار والتفاهم (١) من الجانب الأمريكي بعد أن أنهى أعمال الخبراء والمستشارين الروس في ١٧ أغسطس ١٩٧٢ وبادر الجانب الأمريكي بالاتصال سريا بالجانب المصري يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٧٢ لبدء الحوار وكان السادات منذ يونيو سنة ١٩٧٠ قد وعى تماما ما تحدث به كيسنجر عن طرد السوفيت من مصر بقوله ان الاعتماد على الدعم السوفيتي لن يؤدى لتحقيق التسوية التي تنشدها الدول العربية ٠

ثالثا : الجانب السوفيتي

منذ حققت مصر النصر على القوات الاسرائيلية بالعبور الناجح وتحطيم خط الدفاع الاسرائيلي يوم ٦ أكتوبر ثم نجاح مصر في اقامة عدة رؤوس كبارى على الضفة الشرقية للقنال وانتصارها في جميع معارك الهجوم المضاد الاسرائيلي وحتى هذا التاريخ قبل يوم ١٣ أكتوبر تكرر اتصال للمساومة بكل ما حققته من نصر حتى هذا التاريخ في عملية التفاوض مع الاتحاد السوفيتي بالرئيس السادات بنصيحة بقبول ايقاف للقتال مع اسرائيل وكذلك كرر الاتحاد السوفيتي بنصيحة مصر بايقاف القتال أثناء عملية هجومها غير الموفق على عمق القوات الاسرائيلية في سيناء بعيدا عن مدى الصواريخ المصرية يوم ١٤ أكتوبر ورفضت مصر هذه

---

(١) الحلقتان السابعة والثامنة من حلقات كتاب أمن مصر القومي لحافظ اسماعيل اعداد أهرام يومى ٢٤ ، ٢٦ اكتوبر ، سنة ١٩٨٧ ٠

النصيحة وبعد أن كانت نتيجة هذا الهجوم خسارة مصر الفادحة فى المدرعات ورفض الاتحاد السوفيتى تلبية طلب مصر لتعويض هذه الخسائر وظهر من خلال هذا الرفض ومن غيره من تصرفات أن الاتحاد السوفيتى لم يكن يطمئن لتصرفات السادات ·

كما أن الاتحاد السوفيتي قد أخذ يقلل من تقوية مصر عسكريا حتى لا تتأثر علاقاته الجديدة فى الوفاق الذى تم بين موسكو والولايات المتحدة بعد قمة موسكو فى مايو سنة ١٩٧٢ كما أن الاتحاد السوفيتى جاءت فرصته للثأر من تصرفات السادات عند طرد الخبراء والمستشارين العسكريين السوفييت في أغسطس سنة ١٩٧٢ وبعد أن تأكد السوفيت من انحياز الرئيس السادات للجانب الأمريكى وابرازه لدوره بشكل علنى فى الاعتماد عليه فى حل القضية ·

وكل هذا هو الذى جعل محاولات اعادة التقارب بين مصر والاتحاد السوفيتى تفشل أثناء مباحثات الرفيق باسيلى كوزنتسوف النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتية والذى حضر الى مصر لاجراء مباحثات للاتفاق على ترتيبات عقد مؤتمر للسلام الدولى طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ تحت اشراف القوتين العظيمتين وكوسيلة للضغط على مصر حتى تتمسك باشتراك الجانب السوفيتى فى حل القضية عن طريق مؤتمر السلام · فقد حددت موقعها مع مصر بعدم تلبية أى طلبات لها بالنسبة للسلاح الروسى بهذا الشرط وكذلك بعدم تمادى مصر فى علاقتها الجديدة مع الجانب الأمريكى على حساب علاقة مصر التاريخية السابقة مع الجانب السوفيتى على الأقل أملا فى تمسك مصر بعدم انفراد الجانب الأمريكى فى حل القضية · وكان المشروع الأمريكى هو تلميحها لمصر بمشروع فض الاشتباك المتمشى مع السياسة الأمريكية بالحل خطوة خطوة ·

رابعا : الجانب الأمريكى

بدأ الحوار الأمريكى مع مصر بعد اعلان السادات انهاء أعمال المستشارين العسكريين والخبراء السوفييت فى أغسطس ١٩٧٢ أما بعد بدء القتال فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فقد تم هذا الحوار أثناء القتال قبل يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ وكانت أمريكا تدعو مصر لقبول وقف اطلاق النيران تمهيدا للتسوية · ولكن بعد ان قامت مصر بهجومها غير الموفق فى ١٤ أكتوبر على قوات العمق الاسرائيلى فى سيناء وخارج نطاق ستار الصواريخ المصرية وبعد ان حققت اسرائيل وقف الهجوم المصرى ثم عبرت بقوات الى الضفة الشرقية وتقدمت من نقطة العبور الى مشارف السويس

وتحكمت فى طريق امداد الجيش الثالث فقد تعمد الجانب الأمريكى خلال حواره مع مصر أن يجعل الرئيس السادات بالذات فى لقاءاته المنفردة مع كيسنجر يقتنع بعدم امكان الاعتماد على جانب الاتحاد السوفيتى فيما يريده فى أى حل للقضية وبخاصة بعد ان رفض الجانب السوفيتى تلبية طلب مصر من السلاح اللازم لتعويض خسائر المعركة وأمكن للجانب الأمريكى جعل السادات يقرر الاستغناء عن السوفييت وبضرورة استبدالهم بالجانب الأمريكى لامكانها وحدها حل القضية والضغط على الجانب الاسرائيلى بشروط مضطرة مصر لقبولها من أجل تحقيق أهدافها بعودة سيناء لمصر وبذلك يتحقق لأمريكا عزل مصر عن عالمها العربى والذى طال استخدام مصر له لازعاج أمريكا والغرب بتهديد مصالحهم البترولية وغيرها فى الشرق الأوسط وعند هذا الحد بدأ هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى بالاتصال المباشر ويقوم بدوره بحل القضية بأسلوب خطوة خطوة بأن أعطى وعودا بعودة سيناء الى مصر خطوة خطوة وكل خطوة بتمنها وكان أول هذه الخطوات من المخطط الأمريكى (١) هى اقناع الرئيس السادات بالذات (٢) بأن البديل عن عودة اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ (طبقا لقرارات مجلس الأمن أرقام ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ هو عملية فض الاشتباك بجعل اسرائيل تتوقف عن حدود حصارها وتحكمها فى امدادات الجيش الثالث والسماح بمرور هذه الامدادات فى شكل ارضاء لمصر ونظير ذلك قبلت مصر العمل على رفع الحظر عن تصدير البترول العربى للولايات المتحدة والبدء فى التفاوض حول فك الاشتباك بشرط تبادل الأسرى وأيضا بمطالبة مصر بالعمل على البدء فورا فى رفع الحصار العربى عن مضيق باب المندب فى جنوب البحر الأحمر ٠ ثم ركز كيسنجر على المشروع الأمريكى المطلق عليه فض الاشتباك والذى يحقق فى النهاية جلاء القوات الاسرائيلية عن سيناء فى مقابل سحب القوات المصرية القادرة على القتال من سيناء بصفة دائمة وفى مقابل الانفتاح الاقتصادى الكامل على الولايات المتحدة ٠

---

(١) كتاب (جيل من القرارات) تأليف وليم كوانت (من أعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى وشاهد على مباحثات كيسنجر وعضو الوفد الأمريكى فى المفاوضات فيما بعد المبادرة) ص ٢١٧ وعن كتاب السلام الضائع للسيد محمد ابراهيم كامل ص ١٨٢ ويذكر كوانت « أن كيسنجر أقنع السادات بأنه فى نظير موافقة الرئيس السادات على عدم التمسك بانسحاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ أكتوبر بأنه سيسعى لاقناع اسرائيل بذلك على أن يقوم السادات بابرام اتفاقية فض الاشتباك ويمكن بذلك تموين الجيش الثالث وعندما علمت جولدامائير بموافقة السادات عن التخلى عن موضوع العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر وصفت ذلك « بأنه انجاز مدهش » ٠

وفى النهاية أذيع فى ١٧ يناير أنه قد تم التوصل الى **اتفاقية فض الاشتباك (الأولى) والفصل بين القوات** تحت اشراف الأمم المتحدة وتم توقيعها . وبذلك تم نزع فتيل الخطر الناتج عن تشابك القوات وقت ابرامها والتى نشأ عنها فصل قوات الطرفين عن بعضهما . وأعقب ذلك توقيع اتفاقية فض اشتباك مماثلة بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية فى ٣١ مايو ١٩٧٤ . ثم تمت اتفاقية فض الاشتباك الثانية فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٧٥ وتعتبر هذه الاتفاقية عسكرية وسياسية معا وتم معها اتفاق أمريكى اسرائيلى اعتبر سريا فى ذلك الوقت وأهم ما جاء به :

- ان يتم التشاور بين الولايات المتحدة واسرائيل على موعد عقد مؤتمر جنيف .
- تستمر الولايات المتحدة فى التزامها بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية طالما لم تعترف هذه باسرائيل وبقرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ وتنسق الولايات المتحدة مواقفها واستراتيجيتها فى مؤتمر جنيف مع اسرائيل فيما يتعلق بهذه النقطة وكذلك فيما يتعلق باشتراك أية دول أخرى فى المؤتمر .
- تستعمل الولايات المتحدة الفيتو فى مجلس الأمن بالنسبة لأية محاولة لتعديل قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .
- تلتزم الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بكل ما يلزمها من الأسلحة المتطورة مثل طائرات الفانتوم ١٦ .
- تتقدم الادارة الأمريكية الى الكونجرس سنويا بطلبات الموافقة على مساعدات عسكرية واقتصادية لاسرائيل .
- تلتزم الولايات المتحدة بتلبية احتياجات اسرائيل من الطاقة وكل احتياجاتها الاقتصادية .
- تتفق الولايات المتحدة مع اسرائيل فى ان أى اتفاق فى المستقبل بين مصر واسرائيل يجب ان يكون اتفاق سلام نهائى .
- ان الولايات المتحدة سوف ترفض أية محاولة لطرح مقترحات تعتبرها هى واسرائيل ضارة بمصالح اسرائيل وفى نفس الوقت سوف تسعى لمنع جهود الآخرين من القيام بذلك .
- تقر الحكومة الأمريكية بأن التزامات مصر بمقتضى الاتفاقية المصرية

الاسرائيلية (فض الاشتباك الثانية) لاتتوقف على أى تصرف أو أى تطورات تجرى بين دولة عربية أخرى واسرائيل ٠

وقد أخطرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل بأنها قد حصلت على موافقة مصر على ما تضمنه هذا الاتفاق ٠

خطة فض الاشتباك الأمريكية

ان الثغرة التى تظاهر الجانب المصرى اعلاميا بالاستهانة بها كانت انتشارا اسرائيليا جنوبا حتى مشارف السويس وفى النهاية محاصرة اسرائيل المعابر الى الجيش الثالث وضعت مصر فى مأزق كان يمكن التخلص منه اذا ما وجدت اسرائيل نفسها ملزمة ومضطرة لتوقف تقدم قواتها عند خطوط قتال يوم ٢٢ أكتوبر كما كان ينص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ يقضى بايقاف القتال ونص صراحة على عودة القوات المتحاربة فى رقعة محدودة من الأرض غرب البحيرات المرة وبنص قرار مجلس الأمن أنه كان يجب ان تبقى فى هذه الرقعة فقط ولكن اسرائيل رغم موافقتها رسميا على القرار فانها خرقت هذا القرار وتقدمت ووصلت الى مشارف السويس لاقتحامها ودارت داخل السويس معركة دمرت فيها الدبابات الاسرائيلية وانسحب الباقى وفى نفس اليوم صدر قرار آخر لمجلس الأمن رقم ٣٣٩ يقضى بايقاف القتال ونص صراحة على عودة القوات المتحاربة الى خطوط قتال يوم ٢٢ أكتوبر ولكن اسرائيل استمرت فى عملياتها العسكرية وأصبح الموقف بالنسبة لمصر كالآتى :

الاتحاد السوفيتى يقف سلبيا بل رفض امداد مصر بالسلاح لاستعواض الخسائر بما يمكن مصر عند استئناف القتال من تصفية الثغرة وأصبحت القوات الاسرائيلية تتحكم فى خطوط امداد الجيش الثالث شرق القناة وبعد اتصال الجانب الأمريكى بمصر حاول كيسنجر المراوغة ولكنه وجد السادات مصرا على استئناف القتال وتصفية الثغرة بعد ما جمع حولها قوات كافية وبالدبابات التى وصلت لتوها من الجزائر ومن يوغوسلافيا فوعد كيسنجر بحل الموقف برمته ولكن خطوة خطوة وبشروط استبعاد السوفيت من الاشتراك فى هذا الحل ورفع الحصار عن باب المندب ووقف الحظر العربى للبترول ٠ وقدمت الولايات المتحدة مشروعا كان فى حقيقته مشروعا اسرائيليا مطابقا لوجهة (١) نظر الولايات المتحدة عرضته على مصر وكان بديلا عن رجوع القوات الاسرائيلية الفورى الى خطوط ٢٢ أكتوبر لاستحالة تنفيذه حتى ولو انعقد مؤتمر السلام وكان هذا المشروع الأمريكى هو الذى أدى الى تراجع دور مؤتمر السلام واستبعاد دور الاتحاد السوفيتى كشريك ٠

---

(١) اكتوبر سنة ٧٣ السلاح والسياسة للأستاذ حسنين هيكل ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ ٠

اتفاقيات فض الاشتباك

فض الاشتباك الأول (مرحلة أ) (١٧ يناير ١٩٧٤) (١)

بعد العديد من التنقلات المكوكية لوزير خارجيـة الولايات المتحدة هنرى كيسنجر بين مصر واسرائيل أذيع مساء ١٧ يناير ١٩٧٤ نبأ التوصل الى اتفاقية الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة ·

- تنسحب القوات الاسرائيلية بالكامل من غرب القناة وتبقى قواتها فى سيناء حتى منطقة المخارج الشرقية للممرات ·
- تقوم مصر بتخفيف قواتها فى شرق القناة وعلى الخطوط الحالية بحيث لاتزيد عن فرقتين مشاه و ٢٠٠ دبابة مع عدم وضع مدفعية ثقيلة أو صواريخ أرض جو شرق القناة ·
- تعتبر المنطقة بين قوات البلدين منزوعة السلاح وتعمـل فيهـا داوريات الأمم المتحدة ·
- يبدأ تطهير القناة ولاعادة تعمير مدن القناة عند اتمام الانسحاب الاسرائيلى ·
- يسمح للسفن الاسرائيلية بعبور القناة عند فتحها وتأكد دور أمريكا فى ابرام الاتفاقية وفى نفس الوقت بدأت العلاقات الخاصة المصرية السوفيتية فى الانحسار بعد حوالى ١٩ سنة من بدايتها ·

- **اعادة فتح قناة السويس (٥ يونيو سنة ١٩٧٥) :**

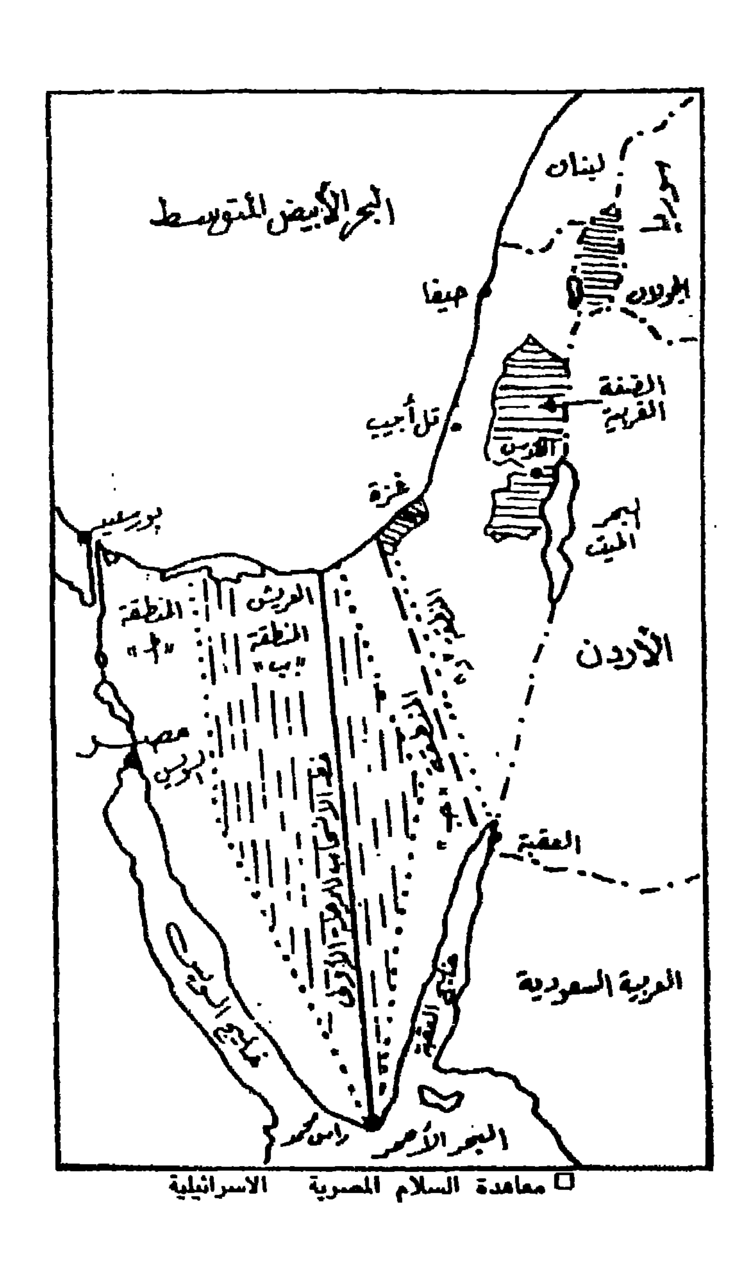
وتم اعادة فتح قناة السويس فى ٥ يونيو سنة ١٩٧٥ ·

اتفاقية فض الاشتباك الثانية (سبتمبر ١٩٧٥) :

وفى شهر سبتمبر ١٩٧٥ عقب عدة لقـاءات بين القـادة المصريين والاسرائيليين تم التوصل الى اتفاقية فض اشتباك وقبلت الأطراف العمل باقتراحات الولايات المتحدة بأن تنشىء الولايات المتحدة فى المنطقة التى ستنسحب منها اسرائيل نظاما للانذار المبكر الاستراتيجى لكلا الطرفـين المصرى والاسرائيلى يدير كلا منهما طاقم وطنى لا يتجاوز عدد أفراده ٢٥٠

---

(١) كانت اجتماعات الرئيس السادات مع د· كيسنجر وزير خارجية أمريكا على انفراد صرح بعدها « أنه أمضى وقت المباحثات لأجل فض الاشتباك مع أمريكا وليس مع اسرائيل » حلقة ١٤ أمن مصر القومى لحافظ اسماعيل ــ أهرام ١٩٨٧/١/٩ ·



□ معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية

فردا وكذلك ثلاث محطات انذار مبكر تكتيكي يديرها طاقم أمريكي لايتجاوز عدد أفراده ٢٠٠ فرد ويلتزم الجانب الأمريكي في هذه الاتفاقية بالتشاور مع مصر في حالة خرق اسرائيل للاتفاقية • وتم التوقيع على الاتفاقية في جنيف ورفض السوفيت التوقيع على الاتفاقية لانهم استبعدوا من المشاركة في المباحثات من بداية الأمر وكانوا يفضلون أن تتم المباحثات لهذه الاتفاقية ولغيرها في مؤتمر السلام في اطار التسوية الشاملة واعترض الجانب السوفيتي أيضاً على استخدام خبراء أمريكان بما يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة ووجد الجانب السوفيتي انها اتفاقية تعتبر سارية المفعول لأجل غير مسمى وتستبعد النضال العسكري كأداة مؤثرة وضاغطة • وبعد توقيع هذه الاتفاقية ساءت العلاقات المصرية السوفيتية الى درجة كبيرة وتم تنفيذ بنود اتفاقية فض الاشتباك الثانية في عام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٦ حتى أول عام ١٩٧٧ •

جمود الموقف :

وتجمد الموقف منذ مرحلة تنفيذ الاتفاقية الثانية وكاد الموقف يتجمد عند هذا الحد الى أن بدأت مرحلة أخرى من عام ١٩٧٧ بتحركات ايجابية بدأت بزيارة الرئيس السادات للقدس •

مبادرة السادات ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ :

في يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ قال الرئيس أنور السادات في خطاب رسمي في مجلس الشعب « انني مستعد للذهاب الى أي مكان سعيا وراء السلام وحقنا للدماء ، ولو كان هذا المكان هو « الكنيست الاسرائيلي » ولم يمر أسبوع حتى وجه مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل يوم ١٥ نوفمبر دعوة رسمية للسادات لزيارة القدس عن طريق السفارتين الأمريكيتين في تل أبيب وفي القاهرة • وقبل الرئيس السادات الدعوة التي تحدد لها يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ وقبلها رغب الرئيس السادات في الذهاب الى القدس واعتذر وزير الخارجية اسماعيل فهمي عن مصاحبته ثم قدم استقالته ولما طلب نائب الرئيس حسني مبارك من وزير الدولة محمد رياض الذهاب مع الرئيس الى القدس اعتذر هو الآخر وقدم استقالته •

ووصلت طائرة الرئيس السادات الى مطار القدس صباح يوم ٢٠ نوفمبر وتم الاستقبال الرسمي وقام بمصافحة الزعماء الاسرائيليين رابين وبيريز وديان وجولدامائير ووصل الى الكنيست الاسرائيلي ثم بدأ بالقاء خطابه :

السيد الرئيس

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم ٠٠ ورحمة الله

والسلام لنا جميعا ٠٠ باذن الله

والسلام لنا جميعا ٠٠ على الأرض العربية وفى اسرائيل ٠٠ وفى كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التى يصنعها الانسان ليقضى بها على أخيه الانسان وفى النهاية ، وبين أنقاض ما بنى الانسان وبين أشلاء الضحايا من بنى الانسان،فلا غالب ولا مغلوب، بل ان المغلوب الحقيقى دائما هو الانسان٠٠ أرقى ما خلق الله ٠٠ الانسان الذى خلقه الله - كما يقول غانـدى قـديس السلام - « لكى يسعى على قدميه ، يبنى الحياة ٠٠ ويعبد الله » ٠

وقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكى نبنى حياة جديدة لكى نقيم السلام وكلنا على هذه الأرض ، أرض الله ، كلنا - مسلمين ومسيحيين ويهودا - نعبد الله ولا نشرك به أحدا ، وتعاليم الله ٠٠ ووصاياه ٠٠ هى حب وصدق وطهارة وسلام ٠ اننى ألتمس العذر لكل من استقبل قرارى عندما أعلنته للعـالم كله ، أمام مجلس الشعب المصرى ، بالدهشـة ، بل الذهول ٠٠ بل ان البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة أن قرارى ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأى العـام العالمى ، بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسى أخفى به نواياى فى شن حرب جديـدة ٠ ولا أخفى عليكم أن أحد مساعدى فى مكتب رئيس الجمهورية اتصل بى فى سـاعة متأخرة من الليل بعد عودتى الى بيتى من مجلس الشعب ، ليسألنى فى قلق : وماذا تفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت اليك اسرائيل الدعوة فعلا ؟ فأجبته بكل هدوء : سأقبلها على الفور ٠

لقد أعلنت أننى سأذهب الى آخر العالم ٠ سأذهب الى اسرائيل لأننى أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب اسرائيل ٠

اننى ألتمس العـــذر لكل من أذهله القرار ، أو تشكك فى سلامة النوايا وراء اعـلان القرار ، فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولـة عربية ، تتحمل العبء الأكبر والمسئولية الأولى فى قضية الحرب والسلام ، فى منطقة الشرق الأوسط يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد الى الذهاب الى أرض الخصم ٠ ونحن لا نزال فى حالة حرب ، بل نحن جميعا لا نزال

نعانى من آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاما ، بل ان أسر ضحايا حرب أكتوبر ٧٣ لاتزال تعيش مآسى الترمل وفقد الأبناء واستشهاد الآباء والأخوة .

كما أنني - كما سبق أن أعلنت من قبل - لم أتداول فى هذا القرار مع أحد من زملائى واخوتى رؤساء الدول العربية ، أو دول المواجهة .. ولقد اعترض من اتصل بى منهم بعد اعلان القرار ، لأن حالة الشك الكاملة ، وفقدان الثقة الكاملة ، بين الدول العربية والشعب الفلسطينى من جهة واسرائيل من جهة أخرى ، لا تزال قائمة فى كل النفوس ويكفى أن أشهرا طويلة كان يمكن أن يحل فيها السلام ، قد ضاعت سدى . فى خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف ، وكلها تعبر عن الشك الكامل ، وفقدان الثقة الكاملة .

ولكننى أصارحكم القول - بكل الصدق - بأننى اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل ، وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة ، لأنه اذا كان الله قد كتب لى قدرى أن أتولى المسئولية عن شعب مصر ، وأن أشارك فى مسئولية المصير بالنسبة للشعب العربى وشعب فلسطين . فان أول واجبات هذه المسئولية أن استنفد كل السبل ، لكى أجنب شعبى المصرى العربى ، وكل الشعب العربى ، ويلات حروب أخرى محطمة ، مدمرة ، لا يعلم مداها الا الله .

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل ، أن أمانة المسئولية أمام الله ، وأمام الشعب ، تفرض على أن أذهب الى آخر مكان فى العالم .. بل أن أحضر الى بيت المقدس ، لأخاطب أعضاء الكنيست ممثلى شعب اسرائيل بكل الحقائق التى تعتمل فى نفسى ، وأترككم بعد ذلك لكى تقرروا لأنفسكم .. وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء .

أيها السيدات والسادة :

ان فى حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا الى ما وراء الماضى بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة .

وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية على عاتقنا هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التى تتناسب مع جلال الموقف ، ويجب أن نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية ، فمن المهم ألا ننسى أبدا أن العصمة لله وحده ، واذا قلت اننى أريد أن أجنب كل الشعب العربى

ويلات حروب جديدة مفجعة . فانني أعلن أمامكم بكل الصدق ، أنني أحمل نفس المشاعر وأحمل نفس المسئولية لكل انسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلي .

ضحية الحرب : الانسان :

ان الروح التي تزهق في الحرب ، هي روح انسان ، سواء كان عربيا أو اسرائيليا .

ان الزوجة التي تترمل .. هي انسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة سواء كانت عربية أو اسرائيلية .

ان الأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم أطفالنا جميعا . على أرض العرب ، أو في اسرائيل لهم علينا المسئولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانيء ، والغد الجميل .

من أجل كل هذا ، ومن أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخواتنا جميعا .

من أجل أن تنتج مجتمعاتنا ، وهي مطمئنة .. من أجل تطور الانسان واسعاده واعطائه حقه في الحياة الكريمة ، من أجل مسئوليتنا أمام الأجيال المقبلة .

من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا .

من أجل كل هذا اتخذت قراري أن أحضر اليكم — رغم كل المحاذير — لكي أقول كلمتي .

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسئولية التاريخية ، من أجل ذلك أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١ ، أنني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل .

وكان هذا هو أول اعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الاسرائيلي ، وبكل هذه الدوافع التي تفرضها مسئولية القيادة أعلنت في السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ وأمام مجلس الشعب المصري الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم .

ولم أكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام ، أو يطلب وقف النار ، وبهذه الدوافع كلها ، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي وقعنا فك الاشتباك الأول ، ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني في سيناء ، ثم سعينا نطرق الأبواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو

سلام دائم عادل ، وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكى تتفهم دوافعنا ، وأهدافنا ، ولكى تقتنع فعلا أننا دعاة عدل ، وصناع سلام ·

وبهذه الدوافع كلها ، قررت أن أحضر اليكم ، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وارادة واعية ، لكى نقيم السلام الدائم القائم على العدل ·

وشاءت المقادير أن تجىء رحلتى اليكم . رحلة السلام ، فى يوم العيد الاسلامى الكبير ·· عيد الأضحى المبارك ·· عيد التضحية والفداء · حين أسلم ابراهيم عليه السلام ، جد العرب واليهود · أقول حين أمره الله ، توجه اليه بكل جوارحه لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده ، بدافع من ايمانه الراسخ الذى لا يتزعزع بمثل عليا تعطى الحياة مغزى عميقا · ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا · فى نفوسنا جميعا · لعله يصبح أملا حقيقيا فى تباشير الأمن والأمان والسلام ·

أيها السيدات والسادة :

دعونا نتصارح ، بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة التى لا تحمل أى التواء ، دعونا نتصارح اليوم والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة ، التى يمكن أن تكون نقطة تحول جذرى فى مسار التاريخ فى هذه المنطقة من العالم ، ان لم يكن فى العالم كله ·

دعونا نتصارح ونحن نجيب عن السؤال الكبير : كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل ؟

لقد جئت اليكم أحمل جوابى الواضح الصريح عن هذا السؤال الكبير ، لكى يسمعه الشعب فى اسرائيل ، ولكى يسمعه العالم أجمع · ولكى يسمعه أيضا كل أولئك الذين تصل دعوات أصواتهم المخلصة الى آذانى ، أملا فى أن تتحقق فى النهاية النتائج التى يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى ·

وقبل أن أعلن لكم جوابى ، أرجو أن أؤكد لكم ، أننى أعتمد فى هذا الجواب الواضح الصريح ، على عدة حقائق لا مهرب لأحد من الاعتراف بها ·

ـ الحقيقة : الأولى : أنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ·

ـ الحقيقة الثانية : أننى لم أتحدث ولن أتحدث بلغتين ، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين ، ولست أتعامل مع أحد ، الا بلغة واحدة ، وسياسة واحدة ، ووجه واحد ·

ـ الحقيقة الثالثة : ان المواجهة المباشرة وأن الخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح ٠

ـ الحقيقة الرابعة : أن دعوة السلام الدائم العادل ، المبنى على احترام قرارات الأمم المتحدة ، أصبحت اليوم دعوة العالم كله ، وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولى ، سواء فى العواصم الرسمية التى تصنع السياسة وتتخذ القرار ، أو على مستوى الرأى العام العالمى الشعبى، ذلك الرأى العام الذى يؤثر فى صنع السياسة واتخاذ القرار ٠

الحقيقة الخامسة : ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها أن الأمة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل ، من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادراك حضارى بأنه لكى نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن اقرار سلام عادل ، لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا ٠

من واقع هذه الحقائق ، التى أردت ان أضعكم فى صورتها ، كما أراها ، أرجو أيضا أن أحذركم بكل الصدق ، أحذركم من بعض الخواطر التى يمكن أن تطرأ على أذهانكم ٠ ان واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم ما يلى :

أولا : اننى لم أجىء اليكم لكى اعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل ٠ ليس هذا واردا فى سياسة مصر ، فليست المشكلة هى مصر واسرائيل ، وأى سلام منفرد بين مصر واسرائيل أو بين أية دولة من دول المواجهة واسرائيل فانه لن يقيم السلام الدائم العادل فى المنطقة كلها ٠ بل أكثر من ذلك ، فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ٠ فان ذلك لن يحقق أبدا السلام الدائم العادل الذى يلح العالم كله اليوم عليه ٠

ثانيا : اننى لم أجىء اليكم لكى أسعى الى سلام جزئى ٠ بمعنى أن ننهى حالة الحرب فى هذه المرحلة ٠ ثم نرجىء المشكلة برمتها الى مرحلة تالية ٠

فليس هذا هو الحل الجذرى الذى يصل بنا الى السلام الدائم ٠

ويرتبط بهذا أننى لم أجىء اليكم ، لكى نتفق على فض اشتباك ثالث فى سيناء ، أو فى سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان هذا يعنى أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى أى وقت مقبل ٠

بل هو يعنى . أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام ، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل ·

لقد جئت اليكم ، لكى نبنى معا السلام الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربى أو اسرائيلى ·

ومن أجل هذا أعلنت أننى مستعد أن أذهب الى آخر العالم ·

وهنا ، أعود الى الاجابة عن السؤال الكبير : كيف نحقق السلام الدائم العادل ؟ فى رأيى ·· وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله ، أن الاجابة ليست مستحيلة ولا هى بالعسيرة على الرغم من مرور أعوام طويلة ، من ثأر الدم ، والأحقاد والكراهية ، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم ·

الاجابة ليست عسيرة ولا هى مستحيلة ، اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والايمان ·

أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم ·

وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : اننا نرحب بكم بيننا ·· بكل الأمن والأمان ·

ان هذا فى حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة ·· من علامات تحول تاريخى حاسم ·

لقد كنا نرفضكم ، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا ·· نعم ·

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة ·· نعم ·

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية ، وكان ممثلونا ولا يزالون ، لا يتبادلون التحية والسلام ·

نعم ·

حدث هذا ولا يزال يحدث ·

لقد كنا نشترط لأى مباحثات وسيطا يلتقى بكل طرف على انفراد ·

نعم ·

هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول ، وهكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الثانى ·

كما أن ممثلينا التقوا فى مؤتمر جنيف الأول ، دون تبـادل كلمة مباشرة ٠

نعم ٠

هذا حدث ٠

ولكننى أقول لكم اليوم ٠٠ أعلن للعالم كله ٠٠ أننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل ٠ ولا نريد أن نحيطكم أو تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الأحقاد والكراهية ٠

ولقد أعلنت أكثر من مرة ٠ أن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعـة ٠ اعترف بها العالم ٠ وحملت القوتـان العظميان مسئوليـة أمنها وحماية وجودها ٠

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا نرحب بأن تعيشوا بيننا فى أمن وسلام ٠ فعلا وحقا ٠

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان ٠ ولكنه تحطم فى عام ١٩٧٣ ٠ كان جدارا من الحرب النفسية المستمرة فى التهابها وتصاعدها ٠

كان جدارا من التخويف بالقوة القـادرة على اكتساح الأمة العربية من أقصاها الى أقصاها ٠

كان جدارا من الترويج بأننا أمة تحولت الى جثة بلا حراك ، بل ان منكم من قال انه حتى بعد مضى خمسين عاما مقبلة ٠ فلن تقوم للعرب قائمة من جديد ٠٠ كان جدارا يهدد دائما بالذراع الطويلة القـادرة على الوصول الى أى موقع والى أى بعد ٠

كان جدارا يحذرنا من الابادة والفناء اذا نحن حاولنـا أن نستخدم حقنا المشروع فى تحرير أرضنا المحتلة ٠

وعلينا أن نعترف معـا ، بأن هذا الجدار قد وقـع وتحطم فى عام ١٩٧٣ ، ولكن بقى جدار آخر ٠

هذا الجدار الآخر يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم ، حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطىء لكل حدث أو حديث ٠

وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه فى تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين فى المائة من المشكلة ·

واننى أسألكم اليوم — بزيارتى لكم — لماذا لا نمد أيدينا بصدق وايمان واخلاص ، لكى نحطم هذا الحاجز معا ؟

لماذا لا تتفق ارادتنا ، بصدق وايمان واخلاص ، لكى نزيل معا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا ؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال ، وبجسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى ؟

لماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعة والجسارة لكى نقيم صرحا شامخا للسلام يحمى ولا يهدد ·· يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الانسانية نحو البناء والتطور ورفعة الانسان ؟ ··

لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء ، وازهاق الأرواح ، وتيتم الأطفال وترمل الزوجات ، وهدم الأسر ، وأنين الضحايا ·

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق التى أوردها فى أمثال سليمان الحكيم :

« الغش فى قلب الذين يفكرون فى الشر ، أما المبشرون بالسلام فلهم فرح » ·

« لقمة يابسة ومعها سلام ، خير من بيت ملىء بالذبائح مع الخصام »·

لماذا لا نردد معا مزامير داود النبى :

« اليك يارب أصرخ ·· اسمع صوت تضرعى اذا استغثت بك ، وارفع يدى الى محراب قدسك ، لا تجذبنى مع الأشرار ، ومع فعلة الاثم ، المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم ، أعطهم حسب فعلهم ، وحسب شر أعمالهم ، أطلب السلام وأسعى وراءها » ·

أيها السادة :

الحق أقول لكم ان السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال أرض الغير ·

ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم ·

وبكل صراحة ، وبالروح التى حدت بى الى القدوم اليكم اليوم فانى أقول لكم : ان عليكم أن تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب ·

ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئا ·

ولكى نتكلم بوضوح فان أرضنا لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل ·

ان التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ، ولا يملك أى منا ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه ، أو يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه » ·

والحق أقول لكم أيضا : ان أمامنا اليوم الفرصة السانحة للسلام وهى فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان ان كنا جادين حقا فى النضال من أجل السلام ·

وهى فرصة ، لو أضعناها أو بددناها فلسوف تحل بالمتآمر عليها ، لعنة الانسانية ولعنة التاريخ ·

ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟ أن تعيش فى المنطقة مع جيرانها العرب ·· فى أمن واطمئنان ··

هذا منطق أقول له نعم ·

أن تعيش اسرائيل فى حدودها ، آمنة من أى عدوان ·

هذا منطق أقول له نعم ·

أن تحصل اسرائيل على كل أنواع الضمانات التى تؤمن لها هاتين الحقيقتين ·· هذا مطلب أقول له نعم ·

بل اننا نعلن أننا نقبل كل الضمانات الدولية التى تتصورونها وممن ترضونه أنتم ·

نعلن أننا نقبل كل الضمانات التى تريدونها من القوتين العظميين ، أو من احداهما ، أو من الخمسة الكبار ، أو من بعضهم ·

وأعود فأعلن بكل الوضوح اننا قابلون بأى ضمانات ترتضونها لأننا فى المقابل ، سنأخذ نفس الضمانات ·

خلاصة القول اذن عندما نسأل : ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟ يكون الرد هو أن تعيش اسرائيل فى حدودها مع جيرانها العرب فى أمن وأمان وفى اطار كل ما ترتضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الآخر ·

ولكن كيف يتحقق هذا ؟

كيف يمكن أن نصل الى هذه النتيجة لكي نصل بها الى السلام الدائم العادل ؟ هناك حقائق لابد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح ٠

هناك أرض عربية احتلتها - ولا تزال تحتلها - اسرائيل بالقوة المسلحة ، ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ٠٠ القدس التي حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام ٠٠

والتي كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث ٠

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس في اطار الضم أو التوسع ، وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين ٠

وأهم من كل هذا فان تلك المدينة يجب ألا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما لعدة قرون ٠ وبدلا من ايقاظ الحروب الصليبية فاننا يجب أن نحيي روحي عمر بن الخطاب وصلاح الدين ٠٠ أي روح التسامح واحترام الحقوق ٠٠ ان دور العبادة الاسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر بل انها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا المكان سياسيا وروحيا وفكريا ٠

وهنا ٠٠ فانه يجب ألا يخطيء أحد تقدير الأهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين ٠

ودعوني أقل لكم بلاتردد انني لم أجيء اليكم تحت هذه القبة لكي أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة ٠٠ ان الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهي لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد ٠٠

ولا معنى لأي حديث عن السلام الدائم العادل ، ولا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان وأنتم تحتلون أرضا عربية بالقوة المسلحة ، فليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير ٠

نعم ٠٠

هذه بديهية لا تقبل الجدل والنقاش اذا خلصت النوايا وصدق النضال لاقرار السلام الدائم العادل لجيلنا ولكل الأجيال من بعدنا ٠

★★★

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها وليس هناك من يقبل اليوم فى العالم كله شعارات رفعت هنا فى اسرائيل نتجاهل وجود شعب فلسطين ، بل تتساءل أين هو هذا الشعب ؟!

بعد ١٥ سنة من زيارته التاريخية ٠٠ بقية :

ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد ٠ بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضوع تجاهل أو انكار ٠ انها واقع استقبله المجتمع الدولى غربا وشرقا بالتأييد والمساندة والاعتراف فى مواثيق دولية وبيانات رسمية لن يجدى أحد أن يصم آذانه عن دويها المسموع ليل نهار ، أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية وحتى الولايات المتحدة الأمريكية حليفكم الأول التى تحمل قمة الالتزام لحماية وجود اسرائيل وأمنها والتى قدمت — وتقدم الى اسرائيل — كل عون معنوى ومادى وعسكرى ٠

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة ، وان المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره ، وطالما هى معلقة دون حل فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة ٠ وبكل الصدق أقول لكم ان السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين ، وانه لخطأ جسيم لا يعلم مداه أحد أن نغض الطرف عن تلك القضية أو أن ننحيها جانبا ٠

ولن أستطرد فى سرد أحداث الماضى منذ صدور وعد بلفور لستين عاما خلت فانتم على بينة من الحقائق جيدا ٠٠ واذا كنتم قد وجدتم المبرر القانونى والأخلاقى لاقامة وطن قومى على أرض لم تكن كلها ملكا لكم ٠٠ فاولى بكم أن تتفهموا اصرار شعب فلسطين على اقامة دولته من جديد فى وطنه ٠

وحين يطلب بعض الغلاة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى ٠٠ فان معناه فى الواقع وحقيقة الأمر مطالبتهم بالتخلى عن هويتهم وعن كل أمل لهم فى المستقبل ٠

اننى أحيى أصواتا اسرائيلية ٠٠ طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى وصولا الى السلام وضمانا له ٠

ولذلك ، فاننى أقول لكم أيها السيدات والسادة انه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى اقامة دولته وفى العودة ٠

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل ·· معكم ·· ومع حقيقة الوجود الاسرائيلي وانتقل بنا الصراع ·· من حرب الى حرب ·· ومن ضحايا الى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم ـ نحن وأنتم ـ الى حافة هاوية رهيبة وكارثة مروعة اذا نحن لم نغتنم اليوم معا فرصة السلام الدائم والعادل ·

عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة كما واجهته أنا ·· ولا حل لمشكلة أبدا بالهروب منها أو التعالى عليها ·

ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية ·· أدار لها العالم كله ظهره ·· وأعلن نداءه الاجماعى بوجوب احترام الحق والحقيقة ··

ولا داعى للدخول فى الحلقة المفرغة من الحق الفلسطينى ، ولا جدوى من خلق العقبات ·· الا أن تتأخر مسيرة السلام ·· أو أن يقتل السلام ··

وكما قلت لكم ·· فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ·· كما أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية · واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم عادل هى فى أن تقوم دولتهم ·

ومع كل الضمانات الدولية التى تطلبونها فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج الى معونة من كل دول العالم لقيامها ·· وعندما تدق أجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الحرب ، واذا وجدت فلن يسمع لها صوت ·

وتصوروا معى اتفاق سلام فى جنيف نزفه الى العالم المتعطش الى السلام ·· اتفاق سلام يقوم على :

أولا : انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية التى احتلت فى عام ١٩٦٧ ·

ثانيا : تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته ·

ثالثا : حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية ، بالاضافة الى الضمانات الدولية المناسبة ·

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة • وحل الخلافات بالوسائل السلمية •

خامسا : انهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة •

★★★

أيها السيدات والسادة ••

ان السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة ، انه كتابة جديدة للتاريخ •

ان السلام ليس مباراة فى المناداة به للدفاع عن أية شهوات أو لستر أية أطماع ، فالسلام فى جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات •

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعا ، أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن ، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن •

وعلينا ••

من أجل شعوبنا ••

من أجل حضارة صنعها الانسان ، أن نحمى الانسان فى كل مكان•• من سلطان قوة السلاح •

علينا أن نعلى سلطان الانسانية بكل قوة القيم والمبادىء التى تعلى مكانة الانسان •

واذا سمحتم لى أن أتوجه بندائى من هذا المنبر الى شعب اسرائيل•• فاننى أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة الى كل رجل وامرأة وطفل فى اسرائيل ، اننى أحمل اليكم من شعب مصر الذى يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام •

أحمل اليكم رسالة السلام •• رسالة شعب مصر الذى لا يعرف التعصب ، والذى يعيش أبناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح •

هذه هى مصر التى حملنى شعبها أمانة الرسالة المقدسة •• رسالة الأمن والأمان والسلام •

فياكل رجل وامرأة وطفل فى اسرائيل شجعوا قيادتكم على نضال السلام ، ولتتجه الجهود الى بناء صرح شامخ للسلام . بدلا من بناء القلاع والمخابىء المحصنة بصواريخ الدمار ٠

قدموا للعالم كله صورة الانسان الجديد ، فى هذه المنطقة من العالم، لكى يكون قدوة لانسان العصر ٠٠ انسان السلام فى كل موقع ومكان ٠

بشروا أبناءكم ٠٠ أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام ، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة ٠٠ حياة الحب والخير والحرية والسلام ٠

ويا أيتها الأم الثكلى ٠

ويا أيتها الزوجة المترملة ٠٠

ويا أيها الابن الذى فقد الأخ والأب ٠

يا كل ضحايا الحروب ٠٠

املأوا الصدور والقلوب ، بآمال السلام ، اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر ، اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال ٠٠ وارادة الشعوب هى من ارادة الله ٠

★★★

أيها السيدات والسادة ٠٠ قبل أن أصل الى هذا المكان ، توجهت بكل نبضة فى قلبى ، وبكل خلجة فى ضميرى الى الله سبحانه وتعالى ، وأنا أؤدى صلاة العيد فى المسجد الأقصى وأنا أزور كنيسة القيامة ٠٠ توجهت الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يلهمنى القوة ٠٠ وأن يؤكد يقين ايمانى بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التى أرجوها من أجل حاضر سعيد ، ومستقبل أكثر سعادة ٠٠

لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد التى عرفتها الدول المتحاربة ، ورغم أن احتلال الأرض العربية مازال قائما ، بل كان اعلانى عن استعدادى للحضور الى اسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيرا من المشاعر ، وأذهلت كثيرا من العقول ، بل شككت فى نواياها بعض الآراء ، برغم كل ذلك فاننى استلهمت القرار بكل صفاء الايمان وطهارته وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبى ونواياه واخترت هذا الطريق الصعب ، بل انه فى نظر الكثيرين أصعب طريق ٠

اخترت أن أحضر اليكم .. بالقلب المفتوح والفكر المفتوح ·

اخترت أن أعطى هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام · واخترت أن أقدم لكم – وفى بيتكم – الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء ·

لا لكى أناور ·

ولا لكى أكسب جولة ، أخطر الجولات والمعارك فى التاريخ المعاصر ·

معركة السلام العادل والدائم ·

انها ليست معركتى فقط ، ولا هى معركة القيادات فقط فى اسرائيل ·

ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعا من حقه أن يعيش فى سلام ، انها التزام الضمير والمسئولية فى قلوب الملايين ·

ولقد تساءل الكثيرون ، عندما طرحت هذه المبادرة عن تصورى لما يمكن انجازه فى هذه الزيارة وتوقعاتى منها ·

وكما أجبت السائلين ، فاننى أعلن أمامكم أننى لم أفكر فى القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه فى أثناء الزيارة ، وانما جئت هنا لكى أبلغ رسالة .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد ·

اللهم اننى أردد مع زكريا قوله « أحبوا الحق والسلام » ·

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » · صدق الله العظيم » ·

والسلام عليكم ·

مسيرة الصلح مع اسرائيل :

استغرقت مسـيرة الصلح مع اسرائيل حـوالى ثمانى سنوات منذ تاريخ موافقـة مصر واسرائيـل على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وتتابعت خطوات هذه المسيرة كالآتى :

● اللقاء المنفرد بين السادات وكيسنجر :

حضر هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الى مصر يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٣ وبدأت لقاءاته المنفردة مع السادات من يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ وحضر على اثر تلاعب اسرائيل بقرارات وقف اطلاق النيران وتهديد مصر باستئناف القتال وفى هذه اللقاءات المنفردة تأكدت أمريكا على مدى انزعاج السادات من عملية الحصار الاسرائيلى المضروب على طرق امداد الجيش الثالث شرق القناة ويأسه الذى جعله يهدد باستئناف القتال لفك هذا الحصـار وفى نفس الوقت تأكدت من عجـز الاتحاد السوفيتى عن أى مساعدات ايجابية لمصر وعدم ثقة السادات فى السوفييت وأمكن لهنرى كيسنجر أن يقنع السادات باستعداد الولايات المتحدة بتحقيق انسحاب اسرائيل من غرب القناة ثم من سيناء كلية اذا ما وافق السادات على عدوله عن فكرة التمسك (١) بتوقف القوات الاسرائيلية عن خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بعملية ابرام اتفاقيات بين مصر واسرائيل بالحضور الأمريكى لأجل فض الاشتباك على مراحل وبذلك أمكن لأمريكا أن تحل محل الاتحاد السوفيتى تدريجيا وأخذ مكانها المتميز فى السياسة المصرية وتحقيق الفرقة العربية وعزل مصر عن عالمها العربى الذى اقتنع بأن مصر تحاول الوصول الى حل منفرد مع اسرائيل وفى نفس الوقت حقق كيسنجر لاسرائيل الاطمئنان الى أن أهداف السلام مع مصر قد اسـتقرت وتوطدت بضمان الولايـات المتحدة وعلى أساس تثبيت العلاقات الثنائية بين مصر واسرائيل ٠

● محادثات الكيلو ١٠١ على طريق السويس القاهرة :

ألقت أمريكا بكل ثقلها على طريق التسوية وعملت على عقد محادثات الكيلو ١٠١ على طريق القاهـرة السويس بغرض تدعيم اجـراءات وقف

---

(١) كتاب السلام الضائع للسيد محمد ابراهيم كامل وزير خارجية مصر بعد مباشرة السادات فى مؤتمر كامب ديفيد ص ١٧٩ الى ١٨٩ وعن كتاب « جيل من القرارات » وليام كوانت عضو المباحثات الأمريكى صفحات ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ٠

(٢) كتاب اكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة للأستاذ هيكل من ص ٦٦٩ الى ص ٦٨٢ ٠

اطلاق النار دون التفاهم على عودة قوات اسرائيل ألى خطوط قتال يوم ٢٢ أكتوبر قبل انتشارها والنظر فى فتح طريق امداد المؤن والمواد الطبية الى شرق السويس .

● اتفاقية فض(١) الاشتباك الثانية ٤ سبتمبر سنة ١٩٧٥ والتى قضت بتخفيف القوات المصرية المدرعة والمدفعية الثقيلة والصواريخ المضادة للطائرات من شرق القناة واقامة محطات قواعد للانذار المبكر فى أرض سيناء تحت الاشراف الأمريكى وكل ذلك لتحقيق الأمان لقوات اسرائيل فى سيناء كما تضمنت هذه الاتفاقية ملحق ضمانات أمريكية وافق عليها الرئيس السادات وكانت فى مجملها تأكيدا على الصلح المنفرد بين مصر واسرائيل واستبعادا للجانب العربى والفلسطينى والسوفيتى من جميع مراحل التفاوض فى المستقبل .

تجميد الموقف :

تعمدت أمريكا بعد ابرام اتفاقية فض الاشتباك الثانى فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٧٥ عدم التقدم فى سبيل الانسحاب الاسرائيلى بغرض تبريد الموقف حتى يمر الوقت الكافى لتثبيت المخطط الأمريكى لصالح اسرائيل .

مبادرة الرئيس السادات :

التجميد الأمريكى ألزم(٢) الرئيس السادات بالتحرك فقام فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ باعلانه استعداده للذهاب لاسرائيل واعلان عرضه الصلح مع اسرائيل أمام الكنيسست الاسرائيلى ودعته اسرائيل وقام بالسفر الى القدس وأعلن فى الكنيسست الاسرائيلى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٧ مبادرته التى ترجم فيها فى صراحة مبادىء القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة التى تحكم النزاع العربى الاسرائيلى وترجم فيها حقوق الانسان والاجماع الدولى وذلك فى نداء واضح ومؤثر على مسمع من الشعب الاسرائيلى ومن العالم وفى لغة تنبض بالحياة والسلام والانسانية والعدالة وأفصح أنه لابديل عن ذلك الا العيش فى حلقة مفرغة من عدم الاستقرار والخراب والدمار . وبعد عودته الى مصر أعد نفسه وأعاد تنظيم ادارته استعدادا لاقتحام طريق المباحثات والذى توقع صعوباتها وامتدادها لفترة طويلة طبقا لسياسة الخطوة خطوة الأمريكية .

لقاء الاسماعيلية ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٧٧ :

وحضر بيجين رئيس وزراء اسرائيل الى الاسماعيلية يوم ٢٣ ديسمبر

---

(١) أمن مصر القومى ، حافظ اسماعيل ، حلقة ١٤ أهرام ١٩٨٧/١١/٩ .

(٢) نص خطاب الرئيس السادات من ص ٣٩٠ الى ص ٤٠٤ من الكتاب .

سنة ١٩٧٧ وعرض بيجين مشروعين للصلح أحدهما خاص بالانسحاب من سيناء أكد فيه ضرورة بقاء السيادة الاسرائيلية على معظم أجزاء سيناء وعدم انسحابها من المطارات فيها وبقاء المستعمرات الاسرائيلية بين رفح والعريش وبين ايلات وشرم الشيخ بحجة تحقيق الأمان لاسرائيل أما مشروعه الثاني الخاص بالضفة الغربية وغزة فأكد أن اسرائيل تتمسك بسيادتها على هذه الأراضي لأنها أرض أجداده وأن تتولى السلطات الاسرائيلية شئون الأمن والنظام فيها على أن تخرج هذه الأرض من أى اتفاق بين مصر واسرائيل ويبقى حلها معلقا وفى مغالطة صارخة ادعى أنه عرض مشروعيه مسبقا على الرئيس الأمريكى كارتر فأيدهما (١) ٠

وتعمد السادات أن يقطع على بيجين ما يهدفه من هذا التصلب وعلق بأسلوب فيه مرونة مطلوبة حتى لا يظهر أمام الرأى العام العالمى بعد مبادرته للسلام بأنه سيكون السبب فى فشلها فأعلن أنه يحتفظ لمصر بالحق فى الرد على المشاريع الاسرائيلية عند تقديم مشروع مصر للسلام فى الاجتماعات القادمة كما أعلن أن الطرفين المصرى والاسرائيلى اتفقا على تشكيل لجنتين الأولى سياسية برئاسة وزير الخارجية المصرى ووزير الخارجية الاسرائيلى تعقد جلساتها بالقدس والثانية عسكرية برئاسة وزيرى دفاع البلدين وتعقد جلساتها بالقاهرة ٠

لقاءات القدس (١٦ يناير سنة ١٩٧٨) :

حضر هذه اللقاءات وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة (فانس) وقدمت مشروعات فى هذه اللقاءات : اسرائيل مشروعها للسلام وكان لايختلف عن مشروع بيجين فى الاسماعيلية ٠ وقدمت مصر مشروعها مؤكدا على التمسك بالقرار ٢٤٢ بعدم جواز حصول اسرائيل على أراضى دولة أخرى نتيجة العدوان والحرب وهو ما يخالف مشروع بيجين فى الاسماعيلية وتقدمت أمريكا بصياغات تقرب بها بين وجهات النظر وكانت كلها تؤدى الى اعطاء اسرائيل الحق فى الاحتفاظ بكثير من مناطق احتلالها وبخاصة فى سيناء والضفة الغربية وغزة ولم تقبل مصر المشروع الأمريكى وتوقفت المباحثات على أمل أن تقوم الولايات المتحدة مستقبلا باعلان مبادىء من ضمنها الاعتراف بحذافير القرار ٢٤٢ التى تتمسك به مصر ٠

وقبل عودة الوفد المصرى الى القاهرة أقام رئيس الوزراء الاسرائيلى بيجين مأدبة عشاء خطب فيها ووجه تعبيرات قاسية لوزير الخارجية المصرى قائلا « كيف يجرؤ هذا القادم من مصر أن يطلب منا أن نعيد تقسيم القدس

---

(١) اعتراف الرئيس كارتر فى لقاء كامب ديفيد مع الوفد المصرى برئاسة السادات فى فبراير سنة ١٩٧٨ أن بيجين عرض مشروعا آخر عليه غير هذا المشروع كتاب السلام الضائع ، محمد ابراهيم كامل ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ٠

بعد أن توحدت ويطالب بانسحابنا الى حدود ما قبل سنة ١٩٦٧ وانني أقولها صريحة وعالية .. لا تقسيم للقدس ... ولا للانسحاب الى حدود سنة ١٩٦٧ ... ولا لحق تقرير مصير الارهابيين » واضطر وزير الخارجية المصرى على مرأى من الحضور عدم شرب نخب بيجين ورفض مصافحته .

وعندما علم الرئيس السادات بمواقف رئيس وزراء اسرائيل وتصلبات الوفد الاسرائيلى أعلن استدعاء وفد المفاوضات وكلف وزير الخارجية المصرى بذلك ولكن بعد مزاجعة الجانب الأمريكى وبخاصة اتصال الرئيس كارتر بالرئيس السادات ، وكلف الرئيس السادات وزير الخارجية المصرى بمقابلة بيجين ويفصح له أن أمر الاستدعاء لا يحمل معنى قطع المباحثات .

وفى لقاء وزير الخارجية المصرى لبيجين رئيس وزراء اسرائيل قبل مغادرته اسرائيل وجه بيجين الحديث الى الوزير المصرى بأسلوب التحدى والاحراج قائلا : « أنتم تعتبرون أنكم انتصرتم فى حرب أكتوبر ونحن لا نحب التباهى ونقول انه فى الأيام الأولى للحرب كانت لدينا صعوبات كثيرة وضحايا ولكن فى النهاية استطعنا أن نرد من هاجمونا على الجبهتين » .

فشلت مباحثات القدس وأجلت الولايات المتحدة التدخل الى ما بعد اعلان المبادىء على أمل استئناف المباحثات على أساس هذه المبادىء التى وعد كارتر باعلانها فى الوقت المناسب .

لقاءات كامب ديفيد (٤ فبراير سنة ١٩٧٨) .

بعد فشل لقاءات القدس ركزت مصر على توصيل رأيها للجانب الأمريكى وطالبت الرئيس الأمريكى كارتر بضرورة اتخاذ موقف ايجابى فى المباحثات الثلاثية ولذلك وجه الرئيس الأمريكى الدعوة للرئيس المصرى السادات لزيارته فى كامب ديفيد يوم ٤ فبراير سنة ١٩٧٨ وكان الوفد الأمريكى مكونا من الرئيس **جيمى كارتر** ونائب الرئيس **مونديل** ووزير الخارجية **سيروس فانس وبرجينسكى** مستشار الرئيس للأمن القومى وروى اثرتون مساعد وزير الخارجية **وهارولد سوندرز** رئيس قسم الشرق الأوسط بالخارجية **وهيرمان ألتس** السفير الأمريكى بالقاهرة **ووليم** (١)

---

(١) عضو بمجلس الأمن القومى الأمريكى وحجة فى شئون السياسة الأمريكية فى الشرق الاوسط وأستاذ العلوم السياسية فى جامعة بنسلفانيا وعضو بمعهد بروكنجز وشاهد مباحثات كيسنجر ووضع كتاب « جيل من القرارات » عن السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الاسرائيلى ١٩٦٧ الى ١٩٧٦ كشف فيه الكثير عن دور السياسة الأمريكية ومدى ارتباطها بتأييد اسرائيل على طول الخط والتحايل على الجانب المصرى أثناء المباحثات .

كوانت وكلها شخصيات أمريكية سياسية قوية ومرموقة مفروض أنهـا قادرة على ترويض التصلب الاسرائيلي ٠

واجتمع الرئيس السادات مع الرئيس كارتر فى أول الأمر على انفراد وتم عرض وجهة النظر المصرية وهى الاقتناع الكامل بأن أمريكا فى يدها وفى استطاعتها الضغط على اسرائيل والا فان الرئيس السادات فى النهاية عندما يقابل باستمرار التصلب الاسرائيلي سوف يضطر الى اعلان عـدم استطاعته الاستمرار فى المباحثات مع اسرائيل ٠

وفى اجتماع الوفدين نصح مونديل (١) الرئيس السادات بعـدم الاقدام على هذه الخطوة وبخاصة بعد أن اعتبره العالم بطلا للسلام وحتى لا يعطى الفرصة لاسرائيل باعلان أن فشل السلام سببه السادات وأمكن لمونديل أن يستدرج الرئيس السادات باتخاذ موقف بعدم التراجع عن مسيرة السلام حتى ولو على حساب بعض التنازلات على شكل التوفيق بين وجهات النظر المصرية والاسرائيلية ٠

وأفصح الرئيس كارتر بأنه بدون السادات وبدون تأييد الشعب الأمريكى لا يستطيع اجبار اسرائيل على تغيير موقفها ولذا يلزم أن يستمر السادات فى مسيرته نحو السلام لأنه اذا اتخذ قرارا بوقف المفاوضات فسيقول بيجين « نحن نريد والسادات لا يريد » وبذلك يقضى على حجتنا أن السادات هو الذى يريد واسرائيل هى التى لا تريد هذا السلام وأفصح الرئيس كارتر فى النهاية « أنا شخصيا لن أعود الى المفاوضات اذا كان فى جدول أعمالها ذكر للمستوطنات واحتفاظ إسرائيل بها » ٠

وأخيرا اقترح الرئيس كارتر أنه سيجتمع فى القريب مع بيجين ويعرض عليه مشروعا يعتقد أنه سيكون مقبولا لدرجة ما من الجانب المصرى وقد لا يرضى الجانب الاسرائيلي ولكن المهم أن يؤدى كل ذلك اعلان الموقف الأمريكى بعد هذا التشاور واتفق الجانب الأمريكى على صيغة سيناريو وضعه برجنسكى ووافقت عليه مصر وكان على النحو التالى :

١ ــ أن تتخذ مصر موقفا ايجابيا من استمرار المباحثات (بألا يعلن الرئيس السادات وقفها) ٠

٢ ــ تعلن مصر عن موقفها من انطباق القرار ٢٤٢ على جميع الأراضى المحتلة ورفضها القاطع لقبول المستوطنات ٠

٣ ــ تعرب الولايات المتحدة عن تأييدها للموقف المصرى ٠

---

(١) السلام الضائع للأستاذ محمد كامل ، ص ١٣٦ ٠

٤ ـ بعد اجتماع الرئيس كارتر مع مناحم بيجين تقوم مصر باعلان مبادىء تكفل حل القضية الفلسطينية على أساس حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وتقدم مشروعا بذلك ردا على المشروع الاسرائيلى ٠

٥ ـ متى رفضت اسرائيل المشروع المصرى تتقدم الولايات المتحدة بمشروعها الخاص بالضفة وغزة ؛

٦ ـ تطلع الولايات المتحدة مصر على المشروع الأمريكى ٠

نجاح اللقـــاء

من وجهة نظر الجانب المصرى فان لقاء كامب ديفيـد مع الجانب الأمريكى (الرئيس كارتر) كان مشجعا لاستئناف المباحثات على أسس سليمة ٠

اعلان بيان (١) (٨ فبراير سنة ١٩٧٨)

فى يوم ٨ فبراير سنة ١٩٧٨ صدر بيان من البيت الأبيض يؤكد عـلى : ـ

١ ـ أن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ينطبق على جميع الجبهات ٠

٢ ـ يجب حل القضية الفلسطينية وبالتالى يجب الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ويجب أن يمكن من تقرير مصير هذا الشعب ٠

٣ ـ المستوطنات الاسرائيلية مخالفة للقانون الدولى ٠

ـ وأعقب هذا الاعلان بيان صحفى عن اجتماعات الرئيس كارتر والسادات فى كامب ديفيد فى المدة من ٣ الى ٥ فبراير تضمن اهتمـام الرئيسين باستمرار المباحثات التى بدأت منذ شهور والتزم الرئيس كارتر بدور ايجابى لتحقيق السلام الشامل ٠

ـ وفى ١٠ فبراير عقـد سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكى مؤتمرا صحفيا هاجم فيه بشدة سياسة المستوطنات الاسرائيلية وأنهـا مخالفة للقانون الدولى ويجب أن تزول كما أعلن أن أراضى الضفة الغربية وغزة يجب أن تصبح الوطن القومى للفلسطينيين مع ربطه بالأردن ٠

---

(١) السلام الضائع لمحمد ابراهيم كامل ، ص ١٥٥ ٠

ـ وعلى اثر ذلك ثارت اسرائيل وأصدر مجلس الوزراء الاسرائيلي بيانا هاجم فيه هذا البيان وصاحبه وأن السماح باقامة دولة فلسطينية تحكمها المنظمات الارهابية تهدد اسرائيل بالفناء وأن الحكومة الاسرائيلية تصر على مشروعات الاستيطان لأنها لا تتعارض مع القانون الدولي ٠

ـ ونشطت اسرائيل فى اتصالاتها بالادارة الأمريكية وخلال كواليس التنظيمات اليهودية بالولايات المتحدة وذلك لاحباط هذا التيار الجديد وبالتالي رفضت اسرائيل المشروع المصرى حتى قبل تقديمه ثم تبعا لمخططها مع الولايات المتحدة تراجعت اسرائيل فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٧٨ وأدلى بيجين بتصريح يدعو فيه مصر لاستئناف المباحثات وتوالت الاتصـــالات الأمريكية للتوسط فى استئناف المباحثات وحدث تمهيد للقاء فى لندن ٠

لقاءات قلعة ليدز فى انجلترا (يوليو سنة ١٩٧٨) ٠

وليدز قلعة على بعد ستين ميلا من لندن فى قلب مقاطعة كنت وتم فيها اللقاء بين وفود مصر واسرائيل وأمريكا وكل منها برئاسة وزير خارجية وكان اللقاء بمبادرة من الحكومة الأمريكية وقدمت اسرائيـــل مشروعها للحكم الذاتى وكان هذا المشروع يهدف الى اعطاء اسرائيـــل فسحة من الوقت فى استمرار احتلالها وسيطرتها على الضفة وغزة تقوم خلالها بزرع مستوطنات جديدة وتؤدى فى النهاية الى ضم هذه الأراضى لاسرائيل ويدعو فى النهاية الى تأجيل المشكلة الاقليمية ٠

ـ ولم توافق مصر على المشروع الاسرائيلى بالحجج والأسانيد وقامت الولايات المتحدة بتعديلات فى هــذا المشروع للتوفيق بين وجهتى النظر وتمسك الجانب المصرى بضرورة أن تعلن اسرائيل انسحابها وعندئذ يمكن النظر فى التعديلات والتى يجب أن تكون لصالح جميع الأطراف وأعلنت اسرائيل بأسلوب المراوغة أنها على استعداد لحل الكثير عن طريق التفاوض ولو أن ديان وزير خارجيتها أفصح فى صراحة عن نيات اسرائيل الخفية باستمرار الاحتلال والرغبة فى التوسع ورفض الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وتخيلت مصر أنها نجحت بأن جعلت الجانب الأمريكى شاهدا مباشرا على ذلك وخاصة عندما وجه نقده للمواقف الاسرائيلية بأسلوب جعل مصر تصدق ان الولايات المتحدة جادة فى تصديها بقوة لاسرائيـــل فى حالة رفضها للمقترحات الأمريكية ولكن الحقيقة ظهرت جلية عندما صرحت أمريكا على لسان أحد مسئوليها السياسيين بأن اسرائيل يمكنها الاحتفاظ بقوات اسرائيلية فى هذه الأراضى (رغم أنه من المفروض أن تكون تحت سيادة غير اسرائيلية) وأبلغت مصر الجانب الأمريكى بأن هذا الأمر لا يبت فيه الا الشعب الفلسطينى ٠ وعموما كانت هذه اللقاءات

لمصر بمثابة مبرر لاستئنافها التفاوض بعد ان كادت تنسحب فى لقاءات القدس وكل ذلك ارضاء لوجهة نظر الولايات المتحدة ·

● **تحول فى الموقف الأمريكى**

عقب لقاءات قلعة ليدز أخذت الادارة الأمريكية فى الاتصال باسرائيل وبمصر لأجل التوصل لحلول وسط مما أفصح عن تحول فى المبادىء التى أعلنتها أمريكا فى ٨ فبراير سنة ١٩٧٨ واتضح أيضا من خلال محضر اجتماع لمستر هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشرق الأوسط مع مندوبى الصحافة الأمريكية المعتمدين لدى وزارة الخارجية يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٧٨ لاحاطتهم علما بأسباب زيارة وزير خارجية أمريكا «فانس» فجأة لمنطقة الشرق الأوسط حاملا دعوة (الرئيس الأمريكى كارتر) الى مناحم بيجين والى أنور السادات لعقد مؤتمر قمة ثلاثى يحضره الرئيس كارتر كما تقرر ان تشمل مهمة وزير الخارجية فانس زيارة السعودية والأردن للحصول على تأييدهما لعقد هذا المؤتمر فمن التحليل الدقيق لمحضر اجتماع هذا المؤتمر الصحفى ظهر التحول الحاد فى السياسة الأمريكية التى سبق وأعلنتها في ٣ أغسطس سنة ١٩٧٨ فبدأت تتحمس للتسوية عن طريق الحلول الوسط وكلها كانت عبارة عن تنازلات من مصر واسرائيل وتجاهل تام للقضية الفلسطينية ومشكلة الهضبة الغربية وغزة (١) وتنحية للقرار ٢٤٢ وخاصة فيما يتعلق بالهضبة الغربية وغزة كما تجاهلت الادارة الأمريكية ما تعهد به كارتر فى تلقين السيناريو المتفق عليه وسبق وأعلنته أمريكا فى ٨ فبراير سنة ١٩٧٨ ــ وتعمدت السياسة الأمريكية الجديدة العمل على دفع مصر الى مواصلة التفاوض مع اسرائيل عن طريق الحلول الوسط بتحقيق الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء وصرف النظر عن الحل الشامل للقضية الفلسطينية وبذلك تحقق أمريكا مصالحها بالمقام الأول ولذلك لجأت أمريكا فجأة الى عقد مؤتمر قمة ثلاثى فى كامب ديفيد بدلا من مؤتمر وزراء خارجية ·

● **لقاءات القمة فى كامب ديفيد** (سبتمبر سنة ١٩٧٨) ·

وصلت الى كامب ديفيد وقدمت مشاريعها للصلح وحصلت اعتراضات متتالية مما دعا الجانب الأمريكى الى احداث العديد من التعديلات حتى أصبح مشروع الصلح النهائى على صورة اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل ويوعد من الرئيس الأمريكى كارتر لتقوم فى المستقبل باستكمال الحل

---

(١) كتاب السلام الضائع للأستاذ محمد ابراهيم كامل وزير خارجية مصر ، ص ٤٢٤ الى ص ٤٣٤ من واقع محضر اجتماع سوندرز مع اليمين ·

الشامل بين اسرائيل وباقى الأطراف العربية بحجة عدم وجود الوفد الفلسطينى بعد استبعاده كله من حضور اللقاءات وهنا تأكد التحول الكامل فى الموقف الأمريكى بحيث كرست أمريكا كل جهدها لتحقيق مصالحها العليا بصرف النظر عما سبق وأعلنته تمويها من مبادىء تصورت بها أنها خدعت مصر لفترة من الفترات والحقيقة ان مصلحة أمريكا العليا تلاقت مع مصلحة مصر العليا ولو من وجهة نظر الرئيس المصرى أنور السادات وزالت الأوهام التى كانت تقال ان اسرائيل والصهيونية واليهود الأمريكان هم الذين يؤثرون على السياسة العليا الأمريكية وعلى الرئيس كارتر والحقيقة ان المصالح الأمريكية هى التى لعبت الدور الرئيسى فى هذا التحول ٠ وكذلك المصلحة العليا المصرية وخاصة عندما وجد الرئيس السادات نفسه مضطرا للتمشى مع هذا التحول الأمريكى مادام سيحقق له فى النهاية جلاء اسرائيل الكامل عن الأراضى المصرية وبعد ان فقد الأمل فى المساندة السوفيتية العسكرية والسياسية والاقتصادية وبعد ان فقدت روسيا نفسها القدرة على تحدى القوة الأمريكية بالاضافة لما كان يحيط بمصر من مقاطعة ومعارضة عربية وفى نفس الوقت الذى كان فيه الشعب المصرى قد فاض به الكيل من طول معاناته وحده من الحروب المستمرة مع اسرائيل دفاعا عن الحق الفلسطينى وتحمله وحده معظم أعباء هذه الحروب من دم أبنائه واقتصاده بعكس اسرائيل التى تكفلت بكل أعبائها وأعباء حروبها الولايات المتحدة والغرب ولكل ذلك وجد السادات نفسه مضطرا للموافقة على الرأى الأمريكى الجديد مهما كان شكله ما دام سيحقق لمصر الجلاء الاسرائيلى عن سيناء حتى ولو كان على شكل اتفاق منفرد وعلى وعد من الرئيس الأمريكى كارتر باستئنافه العمل على الحل الشامل بين اسرائيل وباقى الأطراف العربية فى المستقبل ولكل ذلك قبل الرئيس السادات فى نهاية لقاءات المباحثات على المشروع الأمريكى التى ترضى عنه اسرائيل بعد العديد من التعديلات التى حققت لأمريكا مصالحها فى الشرق الأوسط بعزل مصر عن العالم العربى وتأكيد استئثارها بالنفوذ الكامل فى الشرق الأوسط باستبعاد النفوذ السوفيتى وحلت أمريكا محل الاتحاد السوفيتى فى مصر وبالتالى استمرت الاحتكارات الأمريكية مسيطرة على البترول العربى ٠

وأخيرا تم التوقيع على اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل يوم ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ٠

واستمرت اجراءات تنفيذ الاتفاقية وتم تحقيق الجلاء الكامل ٠ فى أبريل ١٩٨٢ ٠

كتب للمؤلف :

١ ـ « الاستعمار الجديد والدول النامية »

الناشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

٢ ـ « أبعاد المعركة مع اسرائيل »

الناشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

٣ ـ كنت نائبا لرئيس المخابرات

الناشر دار الحرية

٤ ـ تأملات في ثورات مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية

الناشر الهيئة العامة للكتاب

٥ ـ تأملات في ثورات مصر (ثورة ٢٣ يوليو) جزآن

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
استقالة السفير الأمريكي جون بادو	١٩٠
منظمة الوحدة الافريقية وانتعاش ثورة افريقيا ودور مصر .	١٩١
مؤتمر القمة الافريقي ـ القاهرة يوليو ١٩٦٤	١٩٢
زيارة خروشوف للقاهرة ـ مايو ١٩٦٤	١٩٥
قمة عدم الانحياز ـ القاهرة ١٥/١٠/١٩٦٤	١٩٨
ومأزق تشـــومبى ورد الفعـل الأمريكى	١٩٩
اعفـاء خروشوف من مناصبه ١٣/١٠/١٩٦٤	٢٠١
زيارة عامر للاتحـاد الســوفيتى	٢٠٣
زيارة عبد الناصر لروسيا ـ اغسطس ١٩٦٥	٢٠٤
مؤتمر القمة العربى الثالث ١٢/٩/١٩٦٥	٢٠٦
بعثة الدكتور القيسونى لأمريكا لحل موضـوع القمح . .	٢١٠
قـرب العاصفة	٢١١
الاعداد الاسرائيلى الأمريكى لحرب ١٩٦٧	٢١٤
بداية التحرش الاسرائيلى ومعلومات الحشود الاسرائيلية .	٢١٥
بعثـــة أبا ايبـــان لأمريـكا	٢٢٥
رسالة لعبـد الناصر من موسـكو	٢٣٧
موقف يوثانت سكرتير الأمم المتحـدة	٢٣٨
موقف الاتحـاد السوفيتى المبهـم	٢٤٤
المساعدة الأمريكية لاسرائيل بدون حـــدود	٢٤٦
زيارة الملك حســين لمصر	٢٥٤
اعــلان اتفاقية الدفـاع المشـــترك	٢٥٥
اجتمـاع القيادة المصرية ٢/٦/١٩٦٧	٢٥٩
ســفينة التجسس الأمريكية	٢٦١
مهمــة المبعوث الأمريكى تشارلز يوست	٢٦١
حــرب ٥ يونيـو ١٩٦٧	٢٦٩
الزحف الأرضى الاسرائيلى	٢٧٧
القتـــال فى الأردن	٢٨٤
القتـال فى سوريا ٥ يونيو ١٩٦٧	٢٨٦

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٢٦٤٣

ISBN — 977 — 01 — 4290 — 5

الجزء الثانى من تأملات في ثورة ٢٣ يوليو، فيه تحليل وتأمل للدور المصرى عقب العدوان الثلاثى ١٩٥٦ والذى خرجت منه مصر رمزا لكفاح دول العالم الثالث المتطلعة للتحرر، ففرضت الظروف المعاصرة على النظام المصرى الجديد طابع وصف بالثورية، فلبى نداء المساعدة للعالم العربى وأفريقيا، فحدث التصادم الحتمى مع قوى الهيمنة الدولية الجديدة التى اختارت أن تتحالف مع إسرائيل، فاستغرقت مصر فى مساعداتها للمغرب العربى والدول الافريقية واستنفرت قوى الهيمنة الجديدة أدواتها العلنية والخفية لمواجهة تيار القومية العربية والتحرر الافريقى النشط وتداخلت الانجازات مع الانتكاسات وبلغت الاحداث ذروتها للكفاح الثورى المصرى بهزيمة يونيو ١٩٦٧ ومع قسوة الهزيمة تفجرت عزيمة استعادة الأرض، وتوفى جمال عبد الناصر رمز الكفاح وأعقبه أنور السادات ليحقق نصر أكتوبر كخاتمة لأعمال ومشوار ثورة ٢٣ يوليو.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١٧٥ قرشـــا

تأملات في ثورات مصر

ثـــورة ١٩١٩

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الجزء الثالث

ة المصرية العامة للكتاب

تأملات
فى ثورات مصر
١٩١٩

تأليف
محمد عبد الفتاح أبو الفضل

الجزء الثالث



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

الاخـراج الفنى : جـرجس ممتـــاز

تاملات فى ثورات مصر
على ضوء قراءات تاريخية

افتتاحيـة الكتـاب

قد يرى البعض ان هذه السلسلة من الكتب عن ثورات مصر تحتوى على تكرار لكلمات الاستبداد والظلم والتحكم والثورة ، وانهـا كلمات أصبحت تتردد فى عصرنا دون أن يكون لها أساس من الواقع ، وان من يرددونها يعيشون زمانا غير الذى تحياه الشعوب الآن ٠

ولكن المتأمل والقارىء للتاريخ وخاصـة من عاشوا تجارب حية للاستبداد والفساد والظلم والاستغلال ، وتفاعلوا مع أحداثها فى مواجهتها سوف يرون ان هذا الجانب المظلم من النشاط الانسانى ـ منذ القدم ـ هو نشاط واقعى تاريخى متميز فى الماضى والحاضر والمستقبل وان الكلمات التى تصف هذا النشـاط هى حقيقة وواقع نهايتهما الحتمية دعوة الى المقاومة لتغيير حياة الشعوب الى واقع تتمتع فيه بالحرية والعدل وتتضاءل فيها جوانب هذا الظلم والاستغلال والاستبداد ٠

تمهيـــــد لازم

بعد هزيمة جيش مصر فى ظل ثورة عرابى احتلت القوات البريطانية مصر عام **١٨٨٢** وعملت السلطات البريطانية على ترسيخ مختلف الأفكار الانهزامية فى ضمير الشعب المصرى بترويج مختلف الأكاذيب عن طبيعة الشعب المصرى السيئة مع ممارســة الظلم والقهر والاضطهـاد وتمادت ســلطات الاحتــلال وعاونهم خـديوى مصر وحكامها المتمصرون والمشتركون والمتعاونون مع الاحتلال بتسليم المحتلين خيرات مصر ومقدراتها وحصونها ومعداتها وحتى شبابها وأموالها لقمة سائغة بل هدية ومنحة واستخدمت الجيش المصرى فى محاربة اخوانه فى الدين والعروبة فى مقاومة الثورة الوطنية المهدية فى السودان وتحمل الشعب المصرى تخاذل وخضوع حكامه الوزراء ٠ وغاب عن المحتل وأعوانه حقيقة وابعاد الشخصية المصرية التى بدت لهم صاغرة مستكينة فاقدة الوعى والحس ٠ ولذلك بعد ان هبت الأمة المصرية عام **١٩١٩** فجأة ثائرة ضد الظلم والاستغلال والقهر بعد طول المعاناة والاستكانة وبعد ان اطمأن المحتل وأعوانه بعد طول المدة بأن الأمة المصرية صار تشويه مكوناتها وأصبحت جثة هامدة لا أمل لها فى استعادة مقوماتها ٠ ولم تكن انجلترا أو العالم من حولنا يصدقون هذه الانتفاضة الوطنية والثورة الشعبية سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول ، ولكن حقيقة الأمر أن الأمة المصرية احتفظت بمقوماتها وشخصيتها رغم عمق الممارسات الظالمة ٠ وهذه الشخصية المصرية تكونت (١) منذ القدم وترجع بالمقام الأول الى : ــ

١ ــ تعود المصريون منذ القدم ألا يبالوا من يحكمهم سواء من أبناء البلاد أو من الأجانب لأنهم مقهورون فى كلتا الحالتين فكان الشعب المصرى يطيق الحاكم الى أن يتجاوز حد الطاقة فيثور عليه بعد أن كان يماثله سواء كان من الأجانب أو المواطنين لايمانه بالحق ولمصلحة المحكومين وكان هذا الشعب بطبيعته لايستسلم كلية لسلطان الحاكم الأجنبى حتى ولو تظاهر بالسلبية فكانت مزية هذه الأمة على أمم كثيرة ان الحاكم الأجنبى (٢) فى

(١) المجلد الثامن عشر للأستاذ العقـاد (تراجم وسير) من ص ١٤ الى ص ٢٥ ٠
(٢) الغزو الفكرى للأستاذ جلال كشك ، ص ١٠٥ ٠

مصر كان يضطر غالبا ودائما وفى النهاية أن ينتحل دينها ويتخذ عاداتها ومراسمها ويحتفظ بما له فى أرض مصر ولا ينقله الى عاصمته الأصلية بعيدا عن مصر والدليل على ذلك هو تجربة اعتناق الاسكندر الأكبر لديانة آمون بعد ان رحل كهنة آمون عن عاصمة مصر الى الصحراء (فى الواحات) بغضا فى الحاكم الأجنبى وأقاموا فى الواحات فى معابد أنشأوها هم لمواصلة طقوسهم وعباداتهم وعاداتهم الفرعونية بعيدا عن الحاكم الأجنبى · واضطر الاسكندر الأكبر فى النهاية أن يحج اليهم ويخضع لديانتهم حتى يمكنه تسييس الشعب المصرى وقيادته لدرجة انه ادعى فى النهاية انه من أم مصرية ·

٢ ـ الأمة المصرية ليست أمة بداوة تتوثب (٣) الى الحرب لأنها باب الرزق ولكنها أمة حضارة مستقرة ومعيشتها منتظمة وذات أرزاق منتظمة ومعيشة مستقرة يعنيها بالمقام الأول صلاح الأرض وحصاد المياه والسماء قبل أن يعنيها صلاح الحاكم ولكنها عند الضرورة وعندما يعتدى على مقوماتها ومصادر زرقها تتفجر طاقاتها وقدرتها الفائقة على المقـاومة والقتال بأسلوب المتمرسين وفى قتالها وحتى فى أعمالها وهى أمة تميل الى التجمع والى العمل الجماعى وتتجنب التفرد وللمصرى ظاهرة فريدة عند ممارسته السياسة أو الحرب أو العمل وهو ميل طبيعى الى التجمع ويرجع ذلك الى طبيعته وتكوينه الفلاحى بحيث يبدو للنظرة السطحية انه منقاد وخاضع والحقيقة ان المصرى يحسن ويتقن روح المبادرة والبدء فى الاقتحام وهو بين الصفوف والتجمع وحتى فى ثورته يريد دائما أن يرى الصفوف حوله وكذلك فى قتاله وحروبه وبمجرد استغراقه فى نزعة المبادأة والمبادرة والاقتحام ينتقل مباشرة الى نزعة الحرية والاستقلال وهذه هى صفة الانسان المقاتل السوى ويمكن ملاحظة هذه الأمور فى الأمة المصرية منذ القدم وعلى مر العصور والمناسبات والأزمات ·

٣ ـ الأمة المصرية فى حاجة دائمة الى التدين والايمان فاذا أصيبت فى عقائدها وموروثاتها هبت متمردة ومحاربة بكفاءة المحارب المحترف ·

٤ ـ المصرى منذ العصور القديمة يستغرق فى حب الأسرة والاستقرار المنزلى ويتمادى ويغالى فى ولائه لأسرته وبخاصـة عندما يفقد الثقة فى حكامه وويل للحاكم أجنبيا كان أو مصريا اذا ما تعمد المساس بنظام الأمة المصرية الأسرى ·

---

(٣) المجلد الثامن عشر (سير وتراجم) للأستاذ العقاد ، ص ٣٤ ·

٥ ــ الشعب المصرى لديه طاقة فائقة من الصبر وتحمل المعاناة فى جميع أشكالها والتظاهر بالغفلة والاستكانة ولكن الحقيقة انه يجنح للتأمل وتخزين ومراقبة الظالم المستغل فيتظاهر بالهلوسة والسخرية الغامضة لخصمه والمقصودة والمفهومة من عشيرته وأمته وخلال أهازيجه الشعبية الممزوجة بالدروشة والاستعباط والقادرة على سرعة الوصول الى مواطنيه المشاركين له فى المعاناة استعدادا وتأهبا للانقضاض فى الوقت المناسب ٠

٦ ــ الشعب المصرى جبل على الصبر وتحمل مشقة العمل نتيجة تعوده على انتظار المواسم الزراعية للحصول على المحصول فى أوانه فهو صبور طويل البال بعيدا عن القدرية غير المحسوبة ٠

٧ ــ الأمة المصرية تتميز بذكائها الفطرى وتقدر الانسان اللبق اليقظ ولا تجوز عليه الحيل الخادعة ويسخر ويبغض الجلافة والنطاعة ويقدر الكياسة والشهامة ويقدر دائما اغاثة الملهوف ويحسن آداب المعاملة والمعاشرة حتى جعل لها مراسم وأصول وكثيرا ما كان هذا الشعب يجيد توصيل معتقداته ومعاناته مهما طالت المسافات ٠

٨ ــ المصرى له ذهن واقعى وعملى ومنطقى وواضح فى نظرته الى الدنيا وحكمه على الأشياء والناس شأنه فى ذلك شأن أمم الزراعة بل يفوقها جميعا فى هذه الصفة فهو يلاحظ ويستوعب ويدرس أبعاد الممارسات الظالمة بنفس القدر الذى يلاحظ فيه ويستوعب ويدرس أرضه وما عليها من مياه النيل ومواعيد الفيضان ومواسم الزراعة والحصاد طبقا لشهوره الفرعونية والقبطية وتقلب مناخه ٠ ويؤمن بالتسليم بالقدر بعد الحساب العملى الدقيق لهذه الظواهر بحيث لا يستغرق بالكامل فى التواكل ٠

ثــــورة ١٩١٩

كظاهرة أو كنظرية انسانية فان ثورة سنة ١٩١٩ بدأت بعملية: :

(أ) استغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة وذلك بالقهر والتنكيل والظلم فمارست سلطات الاحتلال البريطانية والخديوى توفيق ومن بعده مع طبقة الحكام الانتهـازيين عقب ثورة عرابى مختلف أنـواع التعسف والانتقام ضد العرابيين وأتباعهم وضد كل من أيد أو ساند الثورة العرابية · وقد تخيل الاحتلال البريطاني والخديوى وزمرته ان قسوة القهر وطول ممارسته قد عود الشعب المصرى على الاستكانة والخنوع وتقبل الظلم واعتقدوا ان هذا الشعب قد تبلد شعوره وفقد انسانيته ولكن خاب ظنهم فالعكس كان هو الصحيح فان طول المعاناة وتراكم الألم كانا بمثابة عملية تخزين وتسجيل لكل هذه الممارسات الظالمة فى ذاكرة هذا الشعب طبقا لطبيعته وشخصيته ، فقد كانت المرحلة بين قهر العرابيين والبشـائر الايجابية لثورة سنة ١٩١٩ بمثابة الشعور الشعبى ·

(ب) الشعور الشعبى الكامل بالمعاناة ·

فقد كان الشعب المصرى فى حقيقة أمره على وعى كامل بكل هذه الممارسات الظالمة وآلامها فلم يفقد آدميته بفضل مقومات الشخصية المصرية وقدرتها على الثورة فقد كان الشعب المصرى يئن فى سـكون من الآلام والمعاناة واستغلال الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة فكان الشعب لهذه الأقلية بالمرصاد باذلا قصارى جهده للبحث عن مؤسسته الوطنية والقومية لتخليصه من هذه الحالة فكان الشعب باذلا قصارى جهده للبحث عن هذه المؤسسة التى تكونت على مر الأيام مسلحة بامكان مقاومة الظلم للتخلص منه وفى نفس الوقت كانت العناصر الوطنية السليمة والمتبقية من العرابيين الثوار بعد التشريد والتنكيل كانت فى سبيل تسليم الرسالة للمولود الجديد الذى تكون وولد وشب من جديد لاستئناف الجهاد · وهذه المرحلة هى ما يمكن ان نطلق عليها مرحلة الوعى والتوعية والبحث عن المنقذ أو المخلص بعد ان اشتد الكرب فكان لهؤلاء الساسة الأحرار من بقايا المؤسسة

الوطنية فضل كبير فى ايقاظ الشعب وتنبهه للدفاع عن حريته فكان هناك « مصطفى كامل » رئيس الحزب الوطنى رغم موقفه المعادى لعرابى وكان هناك أيضا « أحمد لطفى السيد » لسان حزب الأمة والشيخ « على يوسف » رئيس حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية فكان لهم ولغيرهم من معاونيهم الأثر البالغ فى تحريك الشعور القومى ودفع الشعب نحو الحرية .

(ج) مرحلة تكوين المؤسسة الوطنية .

لقد تم ولادة هذه المؤسسة الجديدة بفضل جهاد ودعوة قيادات العمل الوطنى فى مرحلة التوعية فكان لصحافة هذه الأحزاب الأثر العميق فى توعية الجماهير وبخاصة فيما قبل ثورة سنة ١٩١٩ وتمخضت هذه التوعية عن تكوين المؤسسة الوطنية والتى كانت مؤهلة للقيام بالعمل الايجابى (ثورة ١٩١٩) وواجهت هذه المؤسسة الوطنية تصرفات السلطة البريطانية المتغطرسة والتى استخدمت أشد أساليب العنف والاعتقال والنفى لأن هذه الثورة جاءت على غير توقعهم وبذلك انقلب هذا العمل الايجابى الى ثورة .

(د) الثورة : لقد كانت المؤسسة الوطنية لثورة سنة ١٩١٩ مصممة على أحداث حالة التغيير الاقتصادى والسياسى والاجتماعى فى مصر وفى المجتمع .

أولا : مرحلة استغلال الأقلية للأغلبية :

ثانيا : مرحلة الشعور الشعبى بالمعاناة :

١ ـ تشـويه التعـليم :

حرصت السلطات البريطانية منذ الاحتلال على الاهتمام (٤) بتشويه الهيكل الأساسى للتعليم الوطنى لأنه أساس تكوين الوعى القادر على التذمر من الظلم والباطل فقد كانت كل مواد الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية تدرس باللغة الانجليزية ومقرراتها لا تسمح بنمو الوعى القومى أو الوطنى وكان معظم مدرسى المدارس الثانوية من الانجليز .

٢ ـ فرض السيادة البريطانية :

كانت السلطات البريطانية صاحبة السلطان المطلق فى حكم البلاد رغم ان مصر كانت تابعة اسميا للسيادة العثمانية وفى نفس الوقت كانت مصر مستقلة استقلالا داخليا عن تركيا ولكن فى ظل الاحتلال فكانت مصر

---

(٤) مذكرات فى السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل جزء أول ، ص ٢٠ .

محرومة من هذا الاستقلال داخليا وخارجيا بسيادة الانجليز حتى على الخديوى نفسه ـ وكان للأجانب المقيمين داخل البلاد على اختلاف أجناسهم امتيازات تجعلهم أعلى من أبناء مصر رأسا وأوفر كرامة ٠

٣ ـ اذلال الشعب والحكام :

كان الانجليز يزدرون المصريين (٥) أشد الازدراء ويحتقرونهم أشد تحقير عن عمد فكان مفتش الداخلية الانجليزى وان صغر مركزه يعد نفسه أكبر من أى موظف بل أكبر من الوزير المصرى لأنه لم يكن يتلقى تعليماته الا من رئيسه الانجليزى وكان مفتش الرى الانجليزى هو كل شيء في وزارة الأشغال فكان اذا ذهب مفتش الرى أو مفتش الداخلية الى مديرية من المديريات ارتجت المديرية واضطرب الموظفون المصريون مهما كبر مقامهم فاذا آن لهذا المفتش ان يغادر مكان التفتيش فكان مأمور المركز بزيه الرسمى يبادر بأن يمسك ركاب جواده الذى يمتطيه حتى يعلو المفتش ظهر جواده رغم أن هؤلاء المفتشين لم يكونوا من طراز ممتاز فى العلم أو الكفاءة ، حسبه أنه يحمل الجنسية البريطانية ليكون صالحا لأى عمل ٠

٤ ـ الغاء الدستور والمظهر البرلمانى :

ألغى الانجليز العمل بالدستور بعد الاحتلال مباشرة كما ألغوا البرلمان روعدوا بتحقيق حكم الشورى ولكنها كانت شورى صورية فأنشأوا بعد الاحتلال بمدة وحدة **مجلس الشورى** (٦) **للقوانين سنة ١٨٨٣** واعتبروه بمثابة الهيئة التشريعية للبلاد والحقيقة انه لم يكن يمثل الأمة تمثيلا نيابيا صحيحا ٠ فقد كان مؤلفا من **ثلاثين عضوا** منهم **أربعة عشر عضوا** تعينهم الحكومة ومنهم الرئيس وأحد الوكيلين ثم أعضاء منتخبون **ستة عشر** منهم أحد الوكيلين والانتخاب على ثلاث مراحل من مجلس المديرية وهذا المجلس التشريعى لم يكن له أى سلطة مؤثرة فيما يعرض عليه من الشئون وقد مر تاريخه منذ الاحتلال حتى ثورة سنة ١٩١٩ بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى :

مرحلة الخضوع والاستسلام الكامل وذلك منذ انشائه سنة ١٨٨٣ حتى سنة ١٨٩٢ فكان موقفه سلبيا وليس له أثر فى تطور الحوادث ٠

---

(٥) نفس المصدر السابق ٠

(٦) مصطفى كامل للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٣٦٧ الى ص ٣٧١ ٠

المرحلة الثانية :

منذ سنة ١٨٩٢ تغير موقفه بتأثير تطور الفكر والتعليم والنشر ٠ وكان لمجلس شورى القوانين مواقف ايجابية معارضة للاحتلال ٠ ففى جلسة ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٢ رفض المجلس مناقشة ميزانية سنة ١٨٩٣ التى أعدها المستشار المالى البريطانى « سيرالوين بالمر » بحجة انها لم تعرض على المجلس قبل الموعد المحدد لصدورها بوقت كاف يسمح بفحصها ولو أنه لم يؤخذ برأى المجلس الا أن مجرد الاحتجاج على الحكومة فيه معنى الرقابة والمراجعة والتعبير عن المعاناة بعد أن كان المجلس سابقا جثة هامدة ٠

وفى ديسمبر سنة ١٨٩٣ ظهرت حركة استياء بين الأعضاء بالمجلس من اتصال المعتمد البريطانى ببعض أعضائه ورفض المجلس اعتماد نفقات جيش الاحتلال فى ميزانية سنة ١٨٩٤ ومقدارها ٨٥٠٠٠ جنيه فكان هذا الموقف بمثابة احتجاج على بقاء جيش الاحتلال وقد أغضب هذا الموقف الصحف الانجليزية وصنائع الاحتلال فى مصر ٠ وردت الحكومة على ملاحظات المجلس بما يحمل معنى انتصار وجهة نظر المجلس المعارضة فكان ذلك بمثابة مشاركة الحكومة المصرية أيضا فى احساسات المجلس والشعب المصرى الوطنية وكان رد الحكومة المصرية فيه انها تأمل فى تخفيف هذا المبلغ وتخفيضه تدريجيا حتى يمحى بالكلية اعتمادا على عهود ووعود بريطانيا التى تقضى بالجلاء عن القطر المصرى ٠ كما دل تقرير المجلس فى نفس السنة انه تعرض لحالة البلاد الاقتصادية المتدهورة ولمح لما يثقل كاهل الأهلين من أعباء الديون بعكس ما كان يروجه أنصار الاحتلال بأنه قد جاء باليسر والرخاء وبطبيعة الحال انتشرت شعبيا هذه المواقف مما جددت الأمل فى الخلاص والبحث عن المؤسسة الوطنية ٠ والمنقذ من هذا العناء والظلم ٠

وفى نظر ميزانية سنة ١٨٩٥ رفض المجلس أيضا اعتماد مصاريف جيش الاحتلال وانتقد سياسة الحكومة التعليمية ـ وفى السنة التالية أيضا وقف بالنسبة لمصاريف جيش الاحتلال نفس موقفه فى السنوات السابقة ٠

وفى ابريل سنة ١٨٩٦ قرر المجلس الاحتجاج على الحكومة لعدم أخذها رأى المجلس أو الجمعية العمومية فى تقريرها مبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه على حملة دنقلة الفاشلة ٠

وفى ديسمبر سنة ١٨٩٦ جاء موقف مجلس شورى القوانين بالنسبة لتقرير ميزانية سنة ١٨٩٧ « ان المقرر لمصاريف جيش الاحتلال وهو مبلغ ٨٢٥ر٨٤ جنيها لا محل له الآن لأن الحكومة المصرية بدون شك لا ترتاب فى أمانة جيشها وكفاءته واستعداده للقيام بكل المهام ، وان الأمر مستتب فى البلاد مما لا يدعو للاستعانة بجيش الاحتلال وله (فلجنة المجلس ترى عدم المصادقة على المبلغ المقرر لهذه المصاريف » فكان هذا القرار الجرىء بمثابة احتجاج وتعبير من الهيئة البرلمانية القائمة فى البلاد ضد الاحتلال . فكان لهذه المواقف المعارضة بالغ الأثر وسط الجماهير . مما جعل الجماهير تهتم بأخبار أعمال المجلس فى السنوات التالية .

وفى ديسمبر سنة ١٨٩٩ نظر مجلس شورى القوانين فى ميزانية سنة ١٩٠٠ وصدق على صرف ٠٠٠ر٤١٧ جنيه نفقات (٧) عجز ايرادات السودان عن مصروفاته وسجل فى هذا التصديق انه « باعتبار أن بلاد السودان جزء متمم لمصر وغير منفصل عنها » وكان هذا القرار بهذه الصياغة بمثابة تأكيد لاتصال السودان بمصر وعدم الاعتراف باتفاقية سنة ١٨٩٩ الظالمة .

وفى هذه السنة أيضا تدخل المجلس فى كثير من شئون البلاد التى تسيطر عليها سلطات الاحتلال .

المرحلة الثالثة : سنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٧ .

بدءا من عام ١٩٠٤ بعد ابرام الاتفاق الانجليزى الفرنسى فى أبريل سنة ١٩٠٣ بتوزيع مناطق النفوذ (باطلاق يد انجلترا على مناطق احتلالها ومنها مصر واطلاق يد فرنسا فى مناطق احتلالها فى شمال أفريقيا) فان مجلس شورى القوانين أخذ يتراجع عن مواقفه المعارضة السابقة بحكم اعادة بريطانيا تسيدها على مصر المحتلة واستمر هذا الموقف السلبى حتى عند وقوع أحداث دنشواى سنة ١٩٠٦ ومحاكمتها الظالمة وبتنفيذ أحكامها الغاشمة فلم يحرك مجلس شورى القوانين ساكنا رغم صرخات الجرائد المعارضة العالمية فى الوقت الذى التزم المجلس بحكمة الصمت عبرت الجرائد المعارضة والعناصر الوطنية وعلى رأسها (مصطفى كامل) عن المعاناة والآلام المصرية أحسن تعبير حتى داخل بريطانيا نفسها وفى أوروبا .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

٥ ــ **الجمعية العمومية :**

وتحقيقا لمحاولة الاحتلال البريطاني اعطاء المظهر الدستورى المزيف للبلاد فقد أنشأوا أيضا هيئة نيابية أخرى أطلقوا عليها **الجمعية العمومية** فكانت هيئة تتألف من الوزراء وأعضاء مجلس شورى القوانين ومن أعضاء آخرين عددهم ستة وأربعون عضوا ينتخبون بواسطة مندوبى الانتخاب كالآتى : ــ (عن القاهرة ٤ ، عن الاسكندرية ٣ ، وعن أسيوط واحد ، وعن رشــيد واحــد ، وعن بورســعيد والسويس واحد ، وعن العريش والاسماعيلية واحد ، وعن مديرية الغربية ٤ منهم واحد لبندر طنطا ، وثلاثة عن كل من المنوفية والدقهلية وأسيوط والشرقية والبحيرة ، واثنان عن كل من القليوبية والجيزة ، وبنى سويف والفيوم والمنيا وجرجا وقنا واسنا وأسوان .

ولما كان الوزراء ستة وأعضاء مجلس شورى القوانين ثلاثون يكون المجموع ٨٢ ، ومدة نيابتهم ست سنوات وتعطى لهم مصاريف انتقال ، وشروط العضــو أن يكون ســنه ثلاثين سنة على الأقل ويعرف القراءة والكتابة ، ودافعا للعوائد فى دائرته لمدة خمس سنوات على الأقل أو مالا مقررا على عقار أو أطيان قدره ألفا قرش سنويا ، ويكون اسمه مدرجا منذ خمس سنوات فى كشوف الانتخابات .

اختصاصات أعضاء الجمعية العمومية :

أهم اختصاص لها كان تقرير الضرائب الجديدة وكان لا يجوز ربط أموال جديدة أو رسوم الا بعد مباحثة الجمعية العمومية فى ذلك واقرارها وكان رأى الجمعية العمومية استشاريا فقط فى المسائل الآتية :

١ ــ فى القروض العمومية .

٢ ــ انشاء أو ابطال أى ترعة أو خط ســكة حديد مارا فى عــدة مديريات .

٣ ــ فرز عموم أطيان القطر لتقدير الأموال الأميرية .

٤ ــ وعلى الحكومة اذا رفضت هذا الرأى الاستشارى ان تخطر الجمعية العمومية بالأسباب التى دعتها لذلك مع عدم جواز المناقشة فى تلك الأسباب التى دعتها لذلك .

---

(٨) نفس المصدر السابق .

٥ ـ ولها ان تبدى رأيها فى المسائل والمشروعات التى ترسلها لها الحكومة للبحث فيها ولها أن تبدى آراء ورغبات فى كل المسائل المتعلقة بالثروة العمومية أو الأمور الادارية والمالية ٠

٦ ـ وتجتمع الجمعية العمومية مرة واحدة كل سنتين بأمر الخديوى وله حق فضها وتجديد ميعاد انعقادها التالى ، وله أيضا حق حلها وحينئذ تجرى أنتخابات جديدة فى مدة ستة أشهر وجلساتها سرية ورئيسها هو رئيس مجلس شورى القوانين (معين) ٠

(جـ) مجالس المديريات :

أما التنظيم التشريعى الثالث الذى أنشأه الاحتلال البريطانى بغرض تحقيق الحكم الدستورى ظاهريا وباطنيا لأحكام السيطرة البريطانية على البلاد فقد كانت مجالس المديريات (٩) وهى هيئات اقليمية فى المديريات وتنظر فى مصالحها المحلية ولكل مديرية عدد من الأعضاء محدد يتناسب مع تعدادها ـ ومدة العضوية ست سنوات والأعضاء ينتخبون بصفتهم كل ثلاث سنوات بطريق القرعة ورئيس المجلس هو المدير وتجتمع مرة واحدة فى السنة على الأقل وجلساتها سرية ٠

واختصاصها :

لم يكن لهذه المجالس رأى قطعى فى أى أمر من الأمور وتستشار فقط فى المسائل المحلية وميزانيتها من مصاريف رسوم فوق العادة من منافع المديرية ويجب تصديق الحكومة على قراراتها لتكون نافذة المفعول ـ ومن بين أعضائها ينتخب أعضاء مجلس شورى القوانين فلا يكون الشخص عضوا فيه الا اذا كان عضوا فى مجلس المديرية ثم ينتخبه زملاؤه عضوا عن المديرية فى مجلس شورى القوانين (وهذه هى أهميته الوحيدة تقريبا) ٠

٥ ـ اضعاف الروح العسكرية وافقار المجتمع :

بعد هزيمة الجيش المصرى بعد الثورة العرابية سرح الانجليز الجيش المصرى ضباطا وجنودا ثم عملوا على تقهقر الصناعة فى البلاد بتخطيط منظم كما شجعوا التجارة للأجانب وحطوا من شأن التجار المصريين وبذلك حققوا القضاء على قدرات الدولة المصرية لتحقيق أمنها القومى سواء من ناحية الدفاع عن حدودها أو تحقيق التنمية المتوازنة والضرورية للأمن الاقتصادى

---

(٩) كتاب مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٥٢ ، ٥٣ ٠

للبلاد بالزراعة والصناعة والتجارة . وأخذت بريطانيا (١٠) فى تجريد مصر من كل معالم الحضارة والتى كانت متبقية لها من عهد محمد على واسماعيل فقد بدءوا بتحطيم كل مصانع السلاح وكذلك قاموا بالقضاء حتى على مصانع الطرابيش فى قها والقلعة وعلى مصنع السكر والصباغة وسبك المعادن ودباغة الجلود وعطلوا مصانع الورق التابعة للمطابع الأميرية وأقفلت الترسانة التى كانت تصنع بها المدافع والبنادق والذخيرة ثم خربوا حوض فك وتركيب السفن وباعوا بواخر ومؤسسات البوستة الخديوية كخردة . وبيعت أيضا مصانع النسيج وحتى دار سك النقود فى مزادات ظفر بها أو بأغلبها التجار الانجليز بأبخس الأثمان . وأخذت السلطات البريطانية فى مطاردة الحرفيين وأصحاب الأنوال وغيرهم من أصحاب الورش والحوانيت الصغيرة عن طريق فرض الضرائب والرسوم الباهظة وعن طريق اباحة تصدير البضائع الانجليزية وبدون فرض أى حماية جمركية على المنتجات المصرية تحقيقا للخراب الكامل للقاعدة الاقتصادية فى مصر وتمكن الانجليز من تشريد أكثر من مائتى ألف (١١) شخص من أولئك الحرفيين الصغار من أصحاب المصابن والشماعين وصناع الزجاج وحول الانجليز مصر الى مزرعة تمد مصانع لانكشير بانجلترا بما تحتاج اليه من القطن الخام تشتريه من مصر بأبخس الأثمان وتعيده مصنعا الى مصر وتبيعه للمصريين بأغلى الأسعار وكان نصيب انجلترا وحدها من مجموع القطن المصدر ٩٣٪ وبذلك اعتمدت زراعة القطن فى مصر على حساب المحاصيل الزراعية الأخرى التى كان يحتاج لها الشعب أشد الاحتياج مثل القمح والخضراوات والفواكه والدخان وأصبحت مصر تشترى تلك المحاصيل من أسواق بريطانيا نفسها بأغلى الأسعار وبملايين الجنيهات .

٦ ـ استهان الانجليز بالكبار فهانت عليهم أنفسهم :

لم يكن للوزراء المصريين أى وزن أو سلطة ـ فقد كان المستشار الانجليزى (١٢) فى كل وزارة هو كل شىء ولم يكن للوزير المصرى أى سلطة فقد كان الوزير المصرى لا يتجرأ ان يتصرف فى أى شىء أو يوقع أى خطاب الا بعد ان يأخذ رأى المستشار الانجليزى فى الوزارة أو يوقع المستشار الانجليزى على الخطاب قبل توقيع الوزير .

---

(١٠) ثورة سنة ١٩١٩ على ضوء التفسير المادى للتاريخ ، للأستاذ فتحى الرملى ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(١١) تاريخ مصر الاقتصادى للدكتور لهيطة .

(١٢) مذكرات دكتور محمد حسين هيكل جزء أول ، ص ٣٢ .

٧ ـ سلطة الاحتلال تعين الخديوى :

(وفاة الخديوى توفيق ٧ يناير سنة ١٨٩٢) (٢)

وفى وسط هذه الدوامة من مظاهر السيطرة والاستبداد البريطانى وتهاون الحكام المصريين وعلى رأسهم الخديوى توفيق ٠ توفى الخديوى توفيق فى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ وكان سنه وقت وفاته أربعين سنة هجرية واستمر حكمه ١٣ سنة ٠ واستدعى المعتمد البريطانى اللورد كرومر الأمير عباس حلمى من أوروبا ٠ وحضر لتولى كرسى الخديوية دون الرجوع للسلطان التركى ولوشكليا ٠

وكان سنه أقل من سن الثامنة عشرة وهى السن التى تعطيه حق الحكم بلا مجلس وصاية ولكن كرومر أفتى بأن الأمير مسلم وان عمره حسب التقويم الهجرى (الأشهر القمرية) يوفى السن القانونية ٠ كل ذلك امعانا فى استرضاء الأمير الجديد وكان الانجليز يحسنون الظن به ويأملون ان يرد لهم الجميل بغرض الحفاظ على عرشه وذلك رغم ما اشتهر عنه منذ صباه حبه للمال وطول اليد ، ولكن سرعان ما انقلب الأمير عليهم عندما أحس بحلاوة (١٣) السلطة فتعشم الانفراد بها وبدأ فى مقاومة سلطان الانجليز ولكنه كثيرا ما كان يتراجع وبسرعة عندما كان الانجليز يسارعون بالتلميح له بالعين الحمراء ـ لذلك ارتكن عباس على الأتراك وأخذ يتطلع للتقرب الى الباب العالى والصدر الأعظم رغم عدم ثقته فيهما فكان هذا التقرب ليس حبا فيهما ولكن كرها فى الانجليز (الذين سلبوه كما سلبوا أبوه توفيق السلطان) وتغاضى الانجليز فى بادىء الأمر عن كثير من هذه التصرفات الخديوية المتبرمة ، ولكن أخيرا وبعد اعلان انجلترا الحرب على تركيا ٠ عندما شعروا وتأكدوا من مخابراتهم المنتشرة فى قصور يلدز بالاستانة والتى تراقب تصرفات الخديوى والأمراء العلويين وبخاصة الأمير عمر طوسون فى اتصالهم بالباب العالى والصدر الأعظم واتصالهم بليبيا والسودان والألمان من أجل مقاومة الانجليز فى مصر عملوا على التخلص من الخديوى عباس فعزلوه فى ديسمبر سنة ١٩١٤ وهو هناك فى مصيفه بالآستانة وقبل أن يصل الى عاصمة ملكه ٠ نصب الانجليز السلطان حسن كامل على مصر دون الرجوع الى السلطان التركى ولو حفاظا على المظهر فقط ـ طبقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ومؤتمر الاستانة سنة ١٨٨٢ والتى سبق ووقعت عليها بريطانيا نفسها ٠

---

(١٣) ثورة ١٩١٩ فى ضوء التفسير المادى للأستاذ الرملى ، ص ٣٧ ، ٣٨ ٠

٨ ـ انتهازية الخديوى عباس :

بعد اتفاق سنة ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا على توزيع مناطق النفوذ سرعان ما انحاز الخديوى عباس الى الانجليز متبعا السياسة الانتهازية بعد أن كان منحازا قبل ذلك للوطنيين المصريين بقيادة « مصطفى كامل » معاندة للانجليز ، وكل ذلك كان على حساب الشعب المصرى ٠

٩ ـ فقدان الأمل فى الأتراك :

(حادث طابة سنة ١٩٠٦) (١٤)

فى عام ١٩٠٦ كانت تركيا قد اعتزمت مد سكة حديدية من معان الى العقبة وهذه السكة الحديدية تجعل لتركيا قوة جديدة تقف على حدود مصر لتهدد مركز الاحتلال البريطانى فى مصر ٠ وكانت العقبة من أملاك تركيا ٠ اهتم الانجليز لهذا النشاط التركى وأرسلوا ضابطا كبيرا عهدوا اليه وضع نقط عسكرية على طول الخط من العريش الى العقبة باعتبار أنها من أملاك مصر لكونهـا جزءا من سينا المعهود ادارتها لمصر بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ولكن الجنود الأتراك احتلوا موقعا فى (طابة) على بعد ثمانية أميال غرب العقبة (وطابة حسب المعاهدة تعتبر أملاكا مصرية) ٠ وقام بذلك خلاف شديد بين تركيا وانجلترا تظاهرت فيه انجلترا بمظهر المدافع عن حقوق مصر فى مواجهة الأتراك باعتبار أنهـا الدولة الحامية لمصر ٠ وازاء هذا الخلاف قامت الصحافة المصرية المتحدثة باسم الاحتلال البريطانى بالدفاع عن وجهة نظر الانجليز باعتبار ان انجلترا تدافععن أرض مصر (١٥) وحقوق مصر وفى مواجهتها قامت جريدة اللواء المتحدثة باسم جماعة مصطفى كامل والمعبرة عن الوطنية المصرية المعارضة للانجليز والمؤيدة لتركيا وللخديوى عباس بالدفاع عن وجهة نظر تركيا مشيرة الى قوة الباب العالى الحربية وقدرته على أن يكبح جماح انجلترا فى هذه الناحية من الأرض ٠ الى هنا وكان الشعب المصرى يبارك بشكل أو بآخر هذا الاتجـاه المعارض لأن فيه تنفيسا شعبيا عن كره المصريين للانجليز وأملا منشودا فى دولة الخلافة عسى ان تخلصه من هذا الاحتلال ومع ذلك فقد وقف الشعب المصرى متفرجا على هذا الصراع ، خارجيا بين تركيا وانجلترا وداخليا بين جناحى مثقفيه المؤيدين لسياسة دولة الاحتلال بريطانيا من جانب والمثقفين الوطنيين المعارضين للانجليز والمتمسحين فى تركيا والخديوى عباس من جانب آخر كل ذلك على حساب أرض مصرية

---

(١٤) كتاب مصطفى كامل للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٢٠٣ ٠

(١٥) مذكرت السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل جزء أول ، ص ٢٦ ٠

تخص الشعب المصرى ولا تخص لا بريطانيا ولا تركيا ـ وتطورت الأحداث بسرعة. وحيث كانت انجلترا متأكدة من مدى ضعف تركيا عسكريا وتخاذلها الدائم أمام التدخلات والاملاءات الأوروبية بصفة عامة والهيمنة البريطانية بصفة خاصة فقد أرسلت انجلترا بارجة الى خليج العقبة كتهديد للوجود التركى الهزيل هناك وأشيعت الشائعات وقتها فى مصر وفى العالم ان الحرب واقعة لا محالة بين هذين الطرفين بين الامبراطور البريطانى والسلطان التركى وازاء ما أشاعته صحافة المعارضة المصرية المنحازة لتركيا من أن تركيا لن تتراجع عن موقفها فقد تولد الأمل لدى الشعب المصرى الشامت فى الاستعمار الانجليزى . ولكن فجأة أسرعت تركيا وهى فى حالة ذعر باظهار ضعفها وتخاذلها ومهانتها وتراجعت عن موقفها المتظاهر بالتشدد وانسحبت قواتهـا التى كانت تهـدد باحتـلال طابا المصرية ـ وأصيب الشعب المصرى بخيبة أمل ولكنه سرعان ما فلسف الموقف برمته ليرسم لنفسه سياسة مستقلة ليعتمد على نفسه فقط فى كل شئونه . ومن الغريب أن جريدة اللواء المصرية المعارضة للاحتلال والتى تبنت وجهة نظر تركيا من بدء النزاع تراجعت هى الأخرى بمنتهى النفاق الصحفى والانتهازية السياسية بأن وصفت تراجع تركيا بالحكمة والكياسة ، ولكن الرأى العام والذى بدا لجميع الأطراف فى بداية النزاع انه وقف حائرا بين تناقضات العناصرالمصرية المثقفة سرعان ما انتهت حيرته بمجرد تخاذل تركيا وأضاف الى رصـــيده الواعى ان نداء مصر للمصريين الذى رفعه مصطفى كامل وجماعته يجب أن يكون نداء حقيقيا وليس شعارا فقط ويجب أن يكون بعيدا عن أى نوع من أنواع التبعية لأى من انجلترا أو تركيا وآمن الشعب المصرى من وقتها بأنه لا يمكن بعد ذلك الاعتماد أبدا على تركيا المستضعفة لأن فاقد الشىء لا يعطيه فقد كانت تركيا وقتها وعلى ضوء هذا الحادث فى حالة ضعف عام داخليـا وخارجيـا تفوق حالة ضعف المجتمع المصرى نفسه وان ساستها وحكامها وأبوابها العالية وصدرها الأعظم كلها عبارة عن ألاعيب تأتمر بأمر التدخلات الأوروبية بصفة عامة والبريطانية بصفة خاصة فقد كانت تركيا دائما تتخاذل فى القضايا التى تمس الدولة الكبرى ولغير صالح الشعوب التابعة لها بشكل أو آخر ـ وفى نفس الوقت لم يكن أمام الشعب المصرى بديل عن مجموعة مصطفى كامل وصحافته والتى كانت الوحيدة المعارضة للاحتلال والتى تنادى بالاستقلال فى ذلك الوقت ولكن الشعب فى نفس الوقت لم يفقد الثقة فى نفسه متخطيا بمبادىء مصطفى كامل نفسه التى كانت كل آمالها منعقدة على تركيا من جانب وعلى دولة فرنسا الأوروبية المناوئة لانجلترا ولكن فرنسا خذلتهـا بعد اتفاقية سنة ١٩٠٤ وتركيا خذلتها بعد حادث طابة سنة ١٩٠٦ . ولذلك

أخذ الشعب المصرى منذ هذا التاريخ فى التطلع الى زعامة وقيادة ومؤسسة وطنية جديدة لتأخذ بيده على ضوء التغيرات التى حدثت ، ووعاها تماما بحسه الوطنى .

١٠ ـ الامعان البريطانى بالتنكيل :

حادث دنشواى ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦

مسرح هذا الحادث كان قرية دنشواى (١٦) احدى قرى مديرية المنوفية تابعه لنقطة بوليس الشهداء مركز شبين الكوم ومشهورة بكثرة طير الحمام ـ مر بهذه القرية فى هذا اليوم ١٣ يونية سنة ١٩٠٦ عدد من من الضباط الانجليز معهم مترجم عندما مارسوا الصيد طار الحمام من أجرانه المملوكة للأهالى وجاس فريق من هؤلاء الضباط خلال أجران القمح واتفق ان حمامتين كانتا واقفتين على جرن مملوك **لمحمد عبد النبى** مؤذن القرية وكان يشتغل به أخوه **شحاته عبد النبى** وصوب أحد الانجليز بندقيته على الحمام فصاح به شيخ طاعن فى السن يبلغ الخامسة والسبعين من عمره واسمه **حسن على محفوظ** (وهو أول من حكمت عليه المحكمة المخصوصة بالاعدام) طالبا منه الكف عن اطلاق النار حتى لا يحترق الجرن ولم يعبأ الضابط وأطلق العيار قاصدا اصابة الحمام فأخطأ وأصاب امرأة اسمها **أم محمد زوجة محمد عبد النبى** المؤذن واشتعلت النيران بالجرن وسقطت المرأة جريحة تتخبط فى دمائها وقام شحاتة عبد النبى بالصياح والاستغاثة على عادات أهل الريف وهجم على الضابط محاولا انتزاع البندقية منه وأقبل رجال ونسوة القرية والأطفال هائجين صائحين « الخواجه قتل المرأة وحرق الجرن » وأحاط الأهالى بالضابط وجاء باقى الضباط الانجليز لانقاذ زميلهم وتكاثرت عليهم الأهالى ولكن وصل فى الحال شيخ الخفر ومعه عدد من الخفراء لتفريق الجموع واعتقد الانجليز أنهم حضروا للاعتداء عليهم ومشاركة الأهالى فأطلقوا عليهم الأعيرة النارية وأصاب أحدها شيخ الخفر فى فخذه وسقط على الأرض وأصاب عيار آخر اثنين من الخفراء وصاح الجميع « شيخ الخفراء قتل » وحملوا على الضباط بالطوب والعصى وأصيب **الميجور** « **كومين** » بكسر فى ذراعه وجرح ضابطان جروحا خفيفة ولكن تمكن الخفراء من انقاذهما وسلموهما الى بوليس النقطة .

---

(١٦) كتاب مصطفى كامل للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ الخ .

أما الكابتن **بول** وكان مصابا اصابة شديدة فى رأسه فأخذ يعدو خوفا حوالى ثمانية كيلو مترات فى شد الحر فلم يكد يصل الى باب سوق سرسنا حتى سقط ومات بعد فترة متأثرا بضربة الشمس كما قرر الطبيب الشرعى البريطانى ولم يكن الموت نتيجة (الاصابة) وبعد أن وصل نبأ الحادث الى الوحدة البريطانية المعسكرة فى كمشيش سارع جنودها الى مكان الحادث وبمرورهم بمكان الضابط الملقى على الأرض ورأوا فلاحا مصريا هو **سيد أحمد سعيد** كان يقدم له قدحا من الماء فظنوه هو المعتدى فطعنوه ببنادقهم حتى هشموا رأسه ومات بين أيديهم وذهب دمه هدرا ولم يحاكم أحد من قتلة الانجليز وأطلق على هذا القتيل « شهيد سرسنا » وصل نبأ هذه الحادثة يوم وقوعها الى ولاة الأمور فى المنوفية والقاهرة وتولى رجال الاحتلال القضية وعولوا على الانتقام من أهل القرية بشناعة ٠

المحـــاكمة :

أجرى التحقيق بمعرفة السلطات البريطانية فى مكان الحادث وفى منتهى السرعة وتم القبض عشوائيا وجزافا على الأهلين ونشرت صحيفة المقطم الموالية للاحتلال يوم ١٨ يونيو وقبل أن ينتهى التحقيق فان الأوامر صدرت باعداد المشانق فى مكان الحادث ودهش الجمهور والعامة لهذا النبأ وتأكد لهم ان المحاكمة ستكون مهزلة صـــورية لا ظل فيها للعدل ولا حرمة للقانون ٠

وأصدر بطرس باشا غالى وزير الحقانية بالنيابة قرارا بتشـكيل المحكمة المخصوصة لمحاكمة المتهمين وكانت المحكمة برئاسة بطرس باشا غالى نفسه الآمر بتشكيل المحكمة وعضوية ثلاث بريطانيين وأحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية وبلغ عدد المتهمين ٥٢ متهما وسبعة من الغـائبين وعقدت المحكمة فى شبين الكوم وأحيطت بجو من الرهبـة العسكرية البريطانية وكان الاستماع للشهود صوريا وثبت من شـــهادة الدكتور **نولين** الطبيب الشرعى البريطانى ان وفاة الكابتن **بول** راجعـة مباشرة الى ضربة الشمس وانه ان لم يصب بها لما حدثت الوفاة من اصابة الراس التى أصابته فى الحادثة ٠ وكان تحامل المحكمة على المتهمين باديا بتجاهل الاستماع الى الشهود كلية ٠

الحكم الظالم وتنفيذه بقسوة :

فى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٦ صار تنفيذ الحكم وكان بطريقة وحشية زادت من فظاعة المحاكمة وقامت كل أساليب الانتقام والتعذيب

وكان التنفيذ فى المكان الذى أصيب فيه الكابتن « بول » فى دنشواى وهناك نصبت المشنقة ونفذ الحكم علنا وعلى مشهد من أهل المشنوقين وأهل القرية بقسوة فكان المشنوق الأول هو حسن على محفوظ العجوز ٧٥ سنة وجريمته الحقيقية هى تحذير الضابط من ضرب النار على الجرن حتى لا يحترق وكان الشنق على مرآى ومسمع من ذويه بين صياح النساء ونواحهن وبقيت جثته معلقة بينما نفذ حكم الجلد فى اثنين ثم شنق الثانى بنفس الطريقة يليه جلد اثنين آخرين وهكذا حتى تمت المجزرة ، فتم شنق أربعة وبالحبس والجلد خمسين جلدة على ثلاثة وبالجلد خمسون جلدة على خمسة،وبالمؤبد على مؤذن القرية وزوج السيدة المصابة وبالأشغال الشاقة لمدد متراوحة على باقى الـ ٢١ متهما الباقين ٠

الرأى العــام :

كان الرأى العام متتبعا فى غيظ وحزن التحقيق والمحاكمة والتنفيذ رغم تأكده من براءة كل المتهمين وقامت جريدة اللواء بالتعبير الصادق عن مدى الوحشية والقسوة والظلم وأبعاد المهزلة البريطانية ومهزلة القائم بأعمال وزارة الحقانية المصرية وقام الأستاذ أحمد حلمى المحرر باللواء بوصف دقيق لقسوة وبشاعة الموقف وكان حاضرا التنفيذ كمندوب للجريدة وجاء فى ختام وصفه :

« كاد دمى يجمد فى عروقى بعد تلك المناظر الفظيعة فلم أستطع الوقوف بعد ذلك الذى شاهدته فقفلت راجعا وركبت عربتى وبينما كان السائق يلهب خيوله بالسوط كنت أسمع صياح ذلك الرجل الذى يلهب الجلاد جسمه بسوطه » ٠

الرأى العام المصرى والخارجى :

ترك هذا التصرف البريطانى الوحشى أثارا عميقة من الحزن والغيظ فى نفسية الشعب المصرى وبخاصة أن جميع المحكوم عليهم كانوا أبرياء فى نظر الحق والقانون وصارت محاكمتهم بتنفيذ الحكم بهذه القسوة التى لا يقرها أى عرف أو قانون اللهم الا حكم القاهر للمقهور ويعتبر السخط الشعبى من هذا الحادث هو الحافز الشعبى للاصرار على ضرورة التخلص من المحتل فيما بعد وبنفس القدر قام الزعيم مصطفى كامل بفضح هذه السياسة الاستعمارية البريطانية فى الخارج فى أوروبا بصفة عامة وفى انجلترا نفسها بصفة خاصة مما جعل الرأى العام الخارجى يستنكر ويدين هذا الظلم وهذه القسوة وقد تنبهت بريطانيا لرد الفعل هذا وعملت على تغيير المعتمد البريطانى « كرومر » بعد فترة وجيزة ٠

١١ ـ تصرفات بطرس غالى رئيس الوزراء الاستفزازية (مقتله) :

فى الفترة ما قبل حادث دنشـــواى كان الشعب المصرى يتظـاهر بالسلبية ويقوم بدور المتفرج على الأحـداث وعلى التصرفات البريطانيـة وتصرفات الوزراء المتعاونين (١٧) مع الاحتلال البريطانى ، ولكنه بعـد حادث دنشواى وبعد ان فاجأته جنازة الزعيم الشاب « مصطفى كامل » والذى كان هو وجماعته يمثل جزءا من الأمل استيقظ الشعب من نومه منزعجا كالنائم عندما تلدغه بعوضـة ثم يستأنف نومه حتى يصـحو مرة أخرى ففى ذلك اليوم ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ وعلى صوت الطلقات التى اخترقت صدر رئيس الوزراء بطرس باشا غالى استيقظ الشعب للمرة الثانية ٠ ففى ذلك اليوم تقدم الصيدلى الشاب «ابراهيم ناصف الوردانى» وفى رابعة النهار وأطلق رصاصاته التى جندلت بطرس باشا غالى جزاء وفاقا على تصرفاته الاستفزازية المتتالية فلم تكن فى الحقيقة جريمة ارهاب فردى كما صورها البعض وعلى رأسهم المستعمر وبعض الحكام المصريون فقد كان للقتيل صحيفة سوابق مليئة بالاستفزازات لأهل وطنه فلم يكد يسقط حتى أخذ الشعب يتحدث عن خضوعه الدائم لسادته الانجليز ، بل كان العامة يراجعون تاريخه وكأنه حيثيات ادانته والحكم عليه بالاعدام الذى نفذه الوردانى فقد كانت أداة لتثبيت دعائم الاستعمار وقد ترقى منذ عصر اسماعيل بعدما أشيع عنه أنه صاحب اسماعيل المفتش وزير مالية اسماعيل باشا الى باب الوزارة حيث تمكن الخديوى اسماعيل والانجليز من التخلص منه بعد ان تنكر لكل منهما بالتهديد بكشف الفضائح المالية للخديوى اسماعيل (١٨) ودور بريطانيا فى تخريب مصر وافساد الخديوى اسماعيل ٠ وترقى وقتها بطرس غالى الى وزير مالية فوزيرا للخارجية فرئيسا للوزراء ٠ ومن مساوئه أيضا انه كان بطل محاكمة قضية دنشواى ولعب فيها دورا مهينا لدرجة خيانة أهل بلده الأبرياء وأصدر الحكم ظلما رغم اقتناعه ببراءة المتهمين ـ ثم بعد ذلك أعاد قانون المطبوعات ثم أمعن فى تصرفاته الاستفزازية للمصريين بأن أصدر قانون الاشتباه الاجرامى سنة ١٩٠٩ والذى يقضى بنفى المشتبه فى أمرهم الى الواحات ، كما رضى أن يعينه الانجليز فى اللجنة الدولية لتصفية الدين المصرى وعلى يده تم توقيع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ بعد ان رفض شريف باشا التوقيع

---

(١٧) ثورة سنة ١٩١٩ فى ضوء التفسير المادى للتاريخ للاستاذ فتحى الرملى ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ٠

(١٨) خراب مصر Egypt fuin لتيودور وتشنين تعريف عبد الحميد العبادى ، ومحمد بدران (طبعة اله) سنة ١٩٥٠ ، ص ٣٦٢ الى ٣٦٧ ٠

عليها حيث ان هذه الاتفاقية بتوقيعه عليها قضت بسلخ السودان قانونيا عن مصر وأعطت حقوقا لا حد لها للسلطات البريطانية فى السودان ومهدت لتحمل مصر ماديا وبشريا وعسكريا أعباء اخماد ثورة المهدى فى السودان ـ ثم حين أصبح « بطرس غالى » رئيسا للوزراء سنة ١٩٠٧ أعيد تحت اشرافه تطبيق قانون المطبوعات ـ وفى عام ١٩٠٩ قام المعتمد البريطانى « سير الدوين جورست » بالاتفاق مع رئيس الوزراء المصرى « بطرس غالى » لتمكين شركة قناة السويس من مد أجل امتياز الشركة لمدة أربعين عاما أخرى بعد وفاء المدة الأولى فى سنة ١٩٦٨ نظير ان تدفع الشركة للحكومة المصرية أربعة ملايين جنيه وحيث ان رئيس الوزراء حسين رشدى باشا عارض هذه الاتفاقية قبل ذلك وكذلك حزب الأمة والحزب الوطنى وتناولت جرائدهم هذه المعارضة فلم يتم توقيع هذه الاتفاقية ٠ وهذا الموقف البريطانى بمساعدة « بطرس غالى » أثار سخط الرأى العام المصرى وكان مع الأسباب السابق ذكرها من أهم أسباب اغتياله لأنه فى التحقيق وعند سؤال « ابراهيم الوردانى » عمن دفعه الى ارتكاب الجريمة ؟) رد قائلا « بان تصرفات بطرس غالى هى التى دفعتنى الى ارتكاب الجريمة » ٠

ونتيجة الوشاية فقد تم القبض على المهندس « على مراد » وبتفتيش منزله وجد البوليس كشفا يتضمن ثمانين اسما ويفصح المهندس « على مراد » انها أسماء جماعة قاموا بالمطالبة بالدستور لجعل مصر للمصريين ويلفت النظر فى هذه الأسماء الثمانين الذين تم اعتقالهم فى الحال أسماء « شفيق منصور » و « شفيق عنايت » هما اللذان تم ضبطهم للمرة الثانية سنة ١٩١٥ فى مؤامرة أخرى لمحاولة قتل السلطان حسين كامل ثم يتم ضبطهم للمرة الثالثة فى قضية قتل السردار عام ١٩٢٥ ٠

وحاول الانجليز أن يجعلوا من مقتل بطرس غالى انها نتيجة التعصب الدينى لاحداث فتنة بين الأقباط والمسلمين ٠ ولكن يرسل محام قبطى مصرى يقيم فى فرنسا اسمه (نصيف المنقبادى) وينشر هذا الخطاب وفيه ينفى عن الوردانى تهمة التعصب ويقول ان الوردانى لم يقدم على عمله الا بداعى الوطنية وان تهمة التعصب ما هى الا من اشاعات الانجليز ٠ وتتمادى الجرائد الوطنية بالتعليق بأن تنفى على الحكومة تقييدها للحريات ومصادرة الآراء ٠ وتبدى شماتتها فى الحادث والشعب يغنى ويردد فى الطرقات لحنا مشهورا « يا ميت صباح الخير على الوردانى » وفى ليلة اعدام الوردانى يغنى الشعب « قولى لعين الشمس ما تحماش غزال البر صابح ماشى » أما الصفوة المختارة من المثقفين المصريين فتستميت فى الدفاع عن الوردانى والأطباء المصريون يؤكدون كل يوم ان « رصاص الوردانى لم يقتل بطرس غالى انما الجراحة التى أجريت له هى التى قتلته » ٠

الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ :

وفى أواخر عام ١٩١٣ كانت بشائر تكوين المؤسسة الوطنية المصرية فقد كانت هناك عناصر وطنية راسخة مثل جماعة « مصطفى كامل » وخليفته « محمد فريد » كما كان هناك بوادر ميلاد زعامة وطنية جديدة ممثلة فى بعض أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وبخاصة الأعضاء المنتخبون أمثال سعد زغلول وعبد العزيز باشا فهمى وغيرهما • وكانت المعارضة آخذة فى رفع صوتها ضد الاستغلال البريطانى وتصرفات الاحتلال الغاشمة ولكن جاءت الحرب العالمية الأولى مبررا للاحتلال البريطانى لفرض سيطرته الكاملة على مصر باعلان الأحكام العرفية لتصبح مصر دولة تابعة تبعية كاملة لبريطانيا وقبل ان نخوض فى الممارسات البريطانية الاستغلالية فى مصر كأقلية حاكمة ضد الأغلبية المحكومة والمقهورة فانه من اللازم أن نتناول ظروف هذه الحرب : ـ

فقد قام أحد الصربيين بقتل ولى عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ وأعلنت النمسا الحرب على الصرب يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ وقامت الروسيا بنجدة الصرب وأعلنت الحرب على النمسا وانضمت اليها حليفتها المانيا ثم وقفت فرنسا الى جانب حليفتها روسيا ـ وفى ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ دخلت بريطانيا الحرب الى جانب فرنسا وروسيا وبذلك بدأت الحرب العالمية الأولى • ودولة الاحتلال بريطانيا متولية جميع السلطات فى مصر وكان الخديوى عباس خارج البلاد وقتها فى مصيفه بالاستانة ـ أما الحكومة المصرية نفسها فكانت متبعة سياسة الحياد منذ اعلان النمسا الحرب على الصرب ومنذ انضمام فرنسا وروسيا وألمانيا كل الى جانب حليفه الى أن أعلنت بريطانيا الحرب • وأول عمل اتخذته الحكومة المصرية باملاء من الاحتلال البريطانى فى اليوم التالى يوم ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ هو انها أعلنت قرارا أصدره مجلس الوزراء بشأن الدفاع عن القطر المصرى أثناء الحرب القائمة بين المانيا من جانب وبين انجلترا من جانب آخر وكان القرار هو منع تعامل مصر مع المانيا ورعاياها والأشخاص المقيمين فيها ومنع السفن المصرية من الاتصال بأى ثغر ألمانى وحظر التصدير الى ألمانيا وتخويل القوات الحربية البريطانية حقوق الحرب فى الأراضى والموانىء المصرية واعتبار السفن الألمانية الراسية بالموانىء المصرية سفنا معادية وفى نفس الشهر أيضا وضعت الرقابة على البرقيات والخطابات المرسلة بين مصر والخارج أو بينها وبين السودان •

اعلان الحماية وموافقة الحكومة المصرية عليها (١٨ ديسمبر ١٩١٤) :

وكل هذه القرارات الوزارية المصرية كانت تحمل اعتراف الحكومة المصرية بالنبعية الكاملة لبريطانيا وبمثابة اعلان رضاء الحكومة المصرية بالحماية البريطانية لها وبذلك استبعدت السلطات البريطانية أى مظهر من مظاهر استقلال مصر أو أى أمل في هذا الاستقلال (طبقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٣) ·

دخول تركيا الحرب ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ :

ودخلت تركيا الحرب بجانب المانيا فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤ وعلى اثر ذلك أعلن الجنرال مكسويل اعلانا أصدره فى الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) فى عدد ٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه « ان انجلترا أصبحت فى حالة حرب مع تركيا وانها تحارب لغرضين هما » :

(أ) الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى حققها محمد على فى ميدان القتال ·

(ب) ولأجل استمرار مصر للتمتع بالسلام والرخاء ·

وفى طيات هذا الاعلان واصـداره بهذه الصورة عن طريق القائد البريطانى وليس عن طريق الحكومة المصرية فيه معنى فرض الحماية على مصر من جانب واحد وهو سلطة الاحتلال ·

اعلان الحماية البريطانية (١٨ ديسمبر ١٩١٤)

« أعلنت انجلترا الحمـاية على مصر يـوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ بأن تتكفل انجلترا بمسئوليات حماية مصر فى الاعتداءات الخارجية فى مقابل تنازلات مصر نستفيد منها بريطانيـــا بصفتها الدولة الحامية · فالحماية هى خضوع دولة لدولة أخرى نشرف على شئونها (١٩) الداخلية والخارجية فتعقد المعاهدات مع الدول الأخرى نيابة عنها ومفروض أن تكون الحماية اختيارية أى (٢٠) باختيار الدولة المحمية ولكن غالبية هذه الحالات تاريخيا كانت فكرتها استعمارية فهى نوع من أنواع الأساليب الاستعمارية تفرضها الدول الاستعمارية على الدول الصغرى المغلوبة على أمرها دون

---

(١٩) الموسوعة العربية الميسرة اصدار دار القلم ومؤسسة فرانكلين ، اشراف محمد شفيق غربال ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٧٣٥ ·

(٢٠) كحماية دولة فرنسا لامارة موناكو وكالعلاقة بين ايطاليا وسان ريمو ·

الحصول على موافقة (٢١) هذه الدول أو شعوبها وكانت بريطانيا باعلان هذه الحماية تهدف الى استخلاص مصر بالكامل لسيطرتها وتحايلا منها للتنصل من احترام المواثيق الدولية التى تؤكد على استقلال مصر وربطها بشكل صورى بدولة تركيا بموافقة الدول العظمى ومنها انجلترا وذلك بموجب معاهدة لندن فى ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ والتى تقضى بجعل حكم مصر (٢٢) وراثيا فى أسرة محمد على وخلفائه وجباية الضرائب من شعب مصر باسم السلطان التركى وتأدية الجزية وعلى أن يتولى الانفاق على الادارة العسكرية والمدنية فى مصر وتعتبر قوات مصر البرية والبحرية جزءا من قوات السلطنة العثمانية ٠

واستكمالا للشكل لتحقيق تمام السيطرة لقبت بريطانيا حاكم البلاد الأمير « حسين كامل » بلقب **سلطان** وأطلقت على المعتمد البريطانى **المندوب السامى** واستبدلت القاب الوزراء بألقاب التفخيم والتعظيم الجوفاء لأفراد طبقة المستوزرين وكبار رجال الدولة ليزدادوا تزلفا وطاعة وخضوعا للاحتلال البريطانى ٠ وللسلطان المصرى المعين من ملك بريطانيا فأعطت للوزراء ألقاب أصحاب المعالى بدلا من أصحاب السعادة ولقب رئيس الوزراء بصاحب الدولة كما أطلقوا يد السلطان المصرى لمنح رئيس الحكومة الباشوية بسخاء الى كثير من الأعيان بغرض تطويعهم للحكام وبالتالى للاحتلال البريطانى ٠

وبموجب الحماية البريطانية سحبت السلطات البريطانية من اختصاص الحكومة المصرية حق الاتصال بالدول الأجنبية ٠ وأصبح هذا الاتصال فى كل ما يخص مصر خارجيا من حق جلالة ملك بريطانيا فقط ٠

كذلك أصبح التصريح بالسفر لأى مصرى مهما كبر شأنه من حق سلطة الاحتلال ٠ وترتب على هذه الحماية تغيير شامل فى هيكل وأسلوب الحكم فى مصر ٠

وثيقة اعلان الحماية البريطانية :

بهذه الوثيقة أكدت الحكومة البريطانية على تسويغ الانقلاب الجذرى فى أوضاع مصر الدولية ٠

---

(٢١) نفس المصدر « هذه الحماية المفروضة دون أخذ رأى شعب الدولة المحمية التى فرضتها انجلترا على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ٠

(٢٢) عصر محمد على ، عبد الرحمن الرافعى ، ص ٢٩٠ حتى ص ٢٩٣ ٠

(٢٣) ثورة سنة ١٩١٩ جزء أول للأستاذ الرافعى ، من ص ١٩ الى ص ٢٣ ٠

ففى نفس اليوم الذى قبل فيه الأمير حسين كامل العرش الذى عرضه عليه حكومة ملك بريطانيا وجهت اليه الحكومة البريطانية تبليغا من السير « ملن شيتهام » Milinecheethan القائم وقتئذ بأعمال المعتمد البريطانى حيث كان اللورد كتشنر فى انجلترا حين نشبت الحرب لتولى منصب وزارة الحربية فيها ۰ وأخطر ما جاء بهذه الوثيقة : ـ

« يا صاحب السمو كلفنى ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التى سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير فى مركز مصر ۰۰۰ ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على ان سمو عباس حلمى باشا خديوى مصر السابق قد انضم انضماما قطعيا الى أعداء جلالته منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديوى السابق على بلاد مصر سقطت منهما وآلت الى جلالته ۰۰۰ وقد رأت حكومة جلالته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التى عليها نحو مصر أن تعلن **الحماية البريطانية اعلانا صريحا** وان حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقا لنظام يقرر فيما بعد ۰۰۰ وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التى كانت موضوعة بمقتضى الغرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذى لسموكم فى الانعام بالرتب والنياشين ۰

أما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالته ان المسئولية الحديثة التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعى ان يكون من الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الأجنبية بواسطة وكيل جلالته فى مصر ۰

۰۰۰ (**أما بالنسبة للامتيازات الأجنبية**) فان من رأى حكومة جلالته ان يؤجل النظر فى تعديل المعاهدات الخاصة بالامتيازات الى ما بعد انتهاء الحرب ۰۰۰ أما فيما يختص بادارة البلاد الداخلية ترى حكومة جلالته التدرج فى اشراك المحكومين فى الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الأمة فى الرقى السياسى ۰۰۰ وان تحديد مركز بريطانيا العظمى فى هذه البلاد تحديدا صريحا يؤدى الى سرعة التقدم فى سبيل الحكم الذاتى ۰

وبان تحديد حكومته لمصر من أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية فى الآستانة لم يكن ناتجا عن أى عداء للخلافة ، فان تاريخ مصر السابق يدل على الواقع على أن اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة

بالروابط السياسية التى بين مصر والآستانة ٠ وان حكومة جلالة الملك تعول بكل اطمئنان على اخـلاص المصريين واعتدالهم فى تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الأمن داخل البلاد ومنع كل عون للعدو ٠٠ وأنى أنتهز هذه الفرصة فأقدم لسموكم أجل تعظيماتى » ٠

ملن شيتهام

القاهرة ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

خلع الخديوى عباس الثانى وتولية حسين كامل ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ :

وفى اليوم التالى لاعلان الحماية البريطانية على مصر قامت انجلترا بالتصرفات التى تحقق السيطرة الكاملة والانفراد بشئون مصر متخطيه جميع الأصول وبخاصة حكومة مصر ومتجاهلة وجودها فأصدرت وزارة الخارجية البريطانية قرارا بخلع الخديوى عباس الثانى من ولاية مصر وكان موجودا بالبلاد التركية وذلك بحجة أن الخديوى عباس انضم الى أعداء انجلترا (تركيا والمانيا) « فقد رأت حكومة جلالة ملك بريطانيا خلعه من منصب الخديوية » وعرض وزير خارجية بريطانيا لقب سلطان على الأمير حسين كامل شقيق الخديوى عباس وكان أكبر أمراء أسرة محمد على وأصبحت مصر وشعبها وسلطانها الجديد وحكومتها خاضعين خضوعا شاملا للتاج البريطانى الذى يخلع وينصب رمز الدولة المصرية باسم ملك بريطانيا وبمعرفة وزير خارجيتها ٠ وقد كان لهذا الاعلان بهذه الصورة المهينة أسوأ الأثر على الرأى العام المصرى وصار تناول الخطابات والتبليغات بهذا الشأن بين المسئولين البريطانيين وبين رئيس النظار المصرى حسين باشا رشدى وبين السلطان الجديد الأمير حسين كامل رسائل وردود تحمل فى مضمونها الكثير من الأمور المهينة والتى أكدت على حق بريطانيا فى جعل مصر مستعمرة بريطانية ٠

عودة الى (أولا) استغلال الأقلية للأغلبية :

بعد اعلان الحرب استمرت بريطانيا دولة الاحتلال فى مصر والتى تمثل الأقلية الحاكمة فى استغلال مصر وشعب مصر بأسلوب أشد وأعنف مستغلة ظروف الأحكام العرفية وتبرير البطش بالشعوب المقهورة بحجة حماية المجهود الحربى فاستأنفت الاستغلال فى الصور الآتية :

١١ ـ اعلان الأحكام العرفية :

أعلن الجنرال السير « جون مكسويل » قائد جيش الاحتلال فى مصر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ الأحكام العرفية والتى تفرض ايقاف العمل بالقوانين المصرية والحكم تبعا للقانون العسكرى البريطانى والذى يجيز محاكمة المواطنين أمام المجالس العسكرية البريطانية كما توقفت جميع الهيئات التشريعية المصرية عن عملها ·

١٢ ـ قانون التجمهر :

وفى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ أصدرت الحكومة المصرية لحساب الاحتلال البريطانى قانونا لمنع التجمهر واعتبر القانون ان أى اجتماع من خمسة أفراد على الأقل فى الطريق أو فى محل عام ولو لم يكن له أى مقصد جنائى اذا ما تراءى (حال السلطة انه يجعل الأمن العام فى خطر فلهم أن يأمروا المتجمهرين بالتفرق واذا لم ينفذوا هذا الأمر يعاقب المخالف بالحبس لمدة أقصاها ستة أشهر أو بغرامة أقصاها عشرون جنيها وشمل القانون عقوبات أشد تصل الى سنتين سجن لمن يقاوم رجال السلطة فى تفريق التجمهر ·

١٣ ـ اضطهاد الوطنيين :

وتحت ظل قوانين الحماية الجديدة أخذت السلطات البريطانية وحكومة مصر الخاضعة باضطهاد الرجال الوطنيين المصريين فاعتقلت الكثيرين فى سجون مصر بدون محاكمات وشتتت شملهم ونفت الكثيرين منهم الى أوروبا والى مالطة واستمروا فى النفى أو الاعتقال الى ما بعد اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ وحتى بعد الافراج عنهم استمرت حريتهم مقيدة بوضعهم تحت المراقبة · واحتجاجا على اعلان الحماية امتنع طلبة مدرسة الحقوق بالكامل عن الذهاب الى المدرسة فى يوم زيارة السلطان حسين كامل لها يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٥ ووقعت الوزارة العقوبات على الطلبة وتم فصل ٥٤ طالبا وحرم ١٣ طالبا من امتحان عام ١٩١٥ ولكن السلطان حسين أصدر عفوا عنهم فى مارس من نفس السنة ·

وتنفيسا عن السخط الشعبى اعتدى أحد الشباب على السلطان فى ١٨ أبريل سنة ١٩١٥ بأن أطلق عليه النار تاجر الخردوات الشاب محمد خليل وحوكم أمام مجلس عسكرى بريطانى ونفذ فيه حكم الاعدام · وبعد مرور شهرين على هذا الحادث وعندما كان موكب السلطان فى طريقه لأداء

فريضة الجمعة بالاسكندرية القيت عليه قنبلة من أحد المنازل وأخطأته (٢٤) أيضا ورغم عدم ثبوت التهمة على أى فاعل بالذات فقد تم محاكمة سبعة شبان اتهموا عشوائيا ، فقط لأنهم كانوا من المعروفين بالنشاط الوطنى منهم شفيق منصور السابق اتهامه بمقتل بطرس غالى باشا وحوكموا أمام مجلس عسكرى بريطانى وحكم عليهم بالاعدام شنقا ولكن السلطان حسين كامل طلب تخفيف الحكم فأبدله القائد البريطانى بالأشغال الشاقة المؤبدة ٠

١٤ ـ تجنيد الشبان المصريين قسرا فى فرق العمال (السلطة) :

قامت السلطات البريطانية فى مصر منذ اعلان الحرب حتى نهايتها بتشغيل العمال والفلاحين المصريين اجباريا حيث كانت تقوم السلطات الادارية المصرية بجمع الشباب المصريين كعمال وكانوا يطلقون عليها « فرق العمال والحمالة » وكان يتم جمعهم على نظام التجنيد وبالاكراه والاجبار ويطلقون عليهم هذا الأسلوب للتضليل انها تطوع وكانت هذه الفرق تقوم بأعمال رئيسية فى المجهود الحربى فاستخدموا فى حملة سيناء ضد الأتراك وقد استخدمتهم القوات البريطانية أيضا فى عملياتها الحربية فى العراق وفلسطين والدردنيل وفرنسا وقامت بتوفير حوالى ١ر٥ مليون رجل أو صبى طول مدة الحرب وبأقل الأجور وفى أسوأ أحوال الايواء والتغذية وأقسى ظروف الحياة مع حرمان الأسر المصرية فى الريف والمجتمع المصرى من هذه الأيدى العاملة مما سبب أزمات فى العمل والانتاج نتج عنه شدة الغلاء بالاضافة الى موت الكثير من هؤلاء الشبان فى هذه الأعمال العسكرية الشاقة ـ كما كانت السلطات العسكرية البريطانية فى مصر تستولى قسرا على الجمال والحمير والحبوب والمؤن وعلف المواشى حتى لم يجد الأهلين ما يلزمهم لقوتهم الضرورى كما استولت على خشب الأشجار مع اضطرار الحكومة الى انقاص مساحة الأرض المزروعة قطنا والتى كانت تحقق الانتعاش الاقتصادى فاستبدلتها السلطات الادارية المصرية لحساب السلطات البريطانية لبندرها حبوبا ومواد غذائية لتموين الجيش البريطانى وبذلك تفاقمت معاناة الشعب المصرى من هذه المساعدات والمساهمات والتى كان يقدمها اجباريا وصاغرا ٠

وفى مرحلة من مراحل العمليات الحربية للجيش البريطانى واحتياجها لعدد من المحاربين قامت السلطات الحكومية المصرية الصاغرة والملبية لجميع طلبات المحتل البريطانى بتلبية هذه الاحتياجات ٠ فقام وزير الحربية المصرى فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٦ بجمع جميع رجال الريف المصرى للخدمة العسكرية ما عدا المستخدمين فى المصالح الحكومية واستخدمتهم

---

(٢٤) ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، جزء أول ، ص ٢٨ ، ٢٩ ٠

القوات البريطانية فى أعمال من صميم العمليات الحربيه وبلغ عدد الرديف المكلف بذلك ١٢٠٠٠ كانوا يعاملون أسوأ المعاملة فقام هؤلاء الرجال الرديف بالاحتجاج بالتظاهر فى ٢٩ يناير سنة ١٩١٦ وساروا الى ميدان عابدين ووعدهم المسئولون بالنظر فى شكواهم وتجمهروا أيضا فى اليوم التالى ووقع تصـادم بينهم وبين رجال البوليس وكان لهذه الاحتجاجات صدى بعيد الأثر فى نفسية الشعب المصرى البالغة أقصى درجة من درجات المعاناة ٠

١٥ ـ تعطيل الجمعية الشرعية :

بعد اعلان انجلترا الحرب مباشرة صدرت مراسيم سلطانية متتابعة بأمر سلطات الاحتلال وكلهـا تنشد تقييد حريات الشعب المصرى فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٤ صدر أمر عال بتأجيل اجتماعات الجمعية التشريعية بالنظر للظروف المختلفة المفتعلة واستمرت بعد ذلك البلاد محرومة من أى هيئة نيابية أو سمة نيابية عشرة أعوام كاملة حتى أعلن دسـتور سنة ١٩٢٣ ٠

١٦ ـ استنزاف مصر :

وبصدور المراسيم والقوانين المقيدة (٢٥) للحريات لصالح قـوات الاحتلال والقوات المتحاربة البريطانيـة أخـذ وجه الاستعمار البريطانى القبيح يظهر على حقيقته فانخفض سعر القطن المحصول المصرى الرئيسى ومورد البلاد الى النصف فقد بيع القنطار بجنيهين فى سنة ١٩١٤ وكان سعره أربعة جنيهات فى السنة السابقة وهزت الحكومة ثقة الفلاحين فيها حين منعت التسليف على القطن فتوقفت بنوك التسليف عن التعامل فى الوقت الذى نشطت فيه البنوك العقارية فى المطالبة بديونها القديمة فخربت البيوت وأخذت الحكومة تقسو فى تحصيل الضرائب والأموال الأميرية فتنزع الملكيات ويضطر المدين الى بيع كل شىء يملكه هو وعائلته لتسلم النقود الى البنك الأهلى ومنه تحول هذه الثروات الى لندن فقد صرحت انجلترا للبنك الأهلى بأن يصدر غطاءه الذهبى فى الوقت الذى رخصت له بأن يدفع الجنيه الورق بكامل سعره وتساهلت البنوك عند مطالبة الأجانب النزلاء بالديون الخارجية والأوراق المـالية بينما تركت ديون المزارعين واجبة السداد بلا تأجيل أو تسهيل أو ابطاء وخسرت مصر فى

---

(٢٥) ثورة سنة ١٩١٩ فى ضوء التفسير المادى للتاريخ للأستاذ فتحى الرملى ، ص ٣٤ ٠

تلك السنة ١٩١٤ ـ ١٩١٥ عشرة مليون جنيه اذ باعت سبعة ملايين قنطار قطن بمبلغ ١٦٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه وكانت قد باعت نفس الكمية فى العام السابق بمبلغ ٢٩٫٤٥٠٫٠٠٠ جنيه وعندما ارتفع سعر القطن سنة ١٩١٧ استولت عليه انجلترا بالكامل وبأسلوب القراصنة واشترته من الفلاحين بثلاثة وعشرين ريالا للقنطار ثم أعلنت سعر أعلى للتصدير وتعللت بسبب نقص المساحة المحددة لزراعتها حبوبا وخضروات لتموين جيوشها وفى سنة ١٩١٨ ثبتت سعر القطن الذى اشترته بمبلغ ٤٢ ريالا للقنطار ولكن الفلاح بسبب احتكار سوق التصدير لشركات التجارة الأجنبية فقد كان يبيعه فعلا بأقل من ذلك بكثير أى بمبلغ ٣٢ ريالا للقنطار أو أقل هذا فى الوقت الذى كان فيه السعر العالمى للقطن ٦٤ ريالا · وبلغت خسارة مصر فى تلك الأعوام من بيع محصولها الرئيسى ٣١ مليون جنيه وبلغت خسارتها من عمليات بيع الذهب أكثر من ١٦ مليون جنيه · وبلغ ارتفاع الأسعار حدا مخيفا خصوصا فى أثمان الأقمشة المصنعة فى انجلترا والحبوب وقد وصل ارتفاع الأسعار الى أكثر من مائة فى المائة وقد أصبح من المتعذر على المواطن العادى ان يشترى ضروراته من دخله أو من مرتبه ·

١٧ ـ تصرفات الجنود الاستفزازية :

كثر تدفق الجنود البريطانيين والتابعين لهم من جميع أنحاء العالم على مصر وكثيرا ما كانت تصدر من معظمهم تصرفات استفزازية منكرة بالقاهرة والاسكندرية وفى مختلف المناطق فاعتدوا على الأهالى فى أموالهم وأرزاقهم بالضرب والاهانة والقتل مما كان له أعمق الأثر فى كراهيتهم ·

١٨ ـ مساعدات حربية قدمتها مصر وهى صاغرة :

منــذ اعـــلان الحرب دأبت السلطات الادارية المصرية وعلى رأسها السلطان ووزراؤه على ارغام الشعب المصرى مكرها على تقديم المساعدات العسكرية والمدنية للقوات البريطانيــة وتحمل الشعب المصرى كل هذه الأعباء التى أرهقته ماديا ومعنويا لأن كل هذه المساعدات للأسف كانت تعتبر اشتراكا عسكريا وحربيا سافرا وضد شعوب دول تربطها بمصر علاقات دينية وعرقيــة وروحيــة أوثق بكثير من علاقة التبعيــة الصاغرة المستسلمة للاحتلال البريطانى علاوة على أن اشتراك مصر مع بريطانيا فى هذا المجهود الذى وصل الى مستوى القتال المشترك فيه ضغط بغيض على نفسية شعوب الدول الصغيرة وبخاصة الشعب المصرى لأنه كان يمثل الاشتراك فى حرب استعمارية ومن الطبيعى ان العناصر المصرية المدنية والعسكرية أو فرق السلطة · كانت وهى تقوم بهذه الأعمال وهى صاغرة

ومسيرة فان هؤلاء الشبان المصريين كانوا فى قرارة أنفسهم يحملون البغض والكراهية للعنصر البريطانى الذى يحتل بلادهم وفى نفس الوقت تحمل الشعور بالعطف على الشعوب الاسلامية التى تحاربها بريطانيا بالاستعانة بالمصريين سواء كانوا أتراكا أو سنوسيين أو سودانيين فقد كانت العناصر المصرية التى تقوم بهذه الأعمال العسكرية وهى صاغرة تشعر بانفصام الشخصية لأنها كانت تساعد عدوها بريطانيا للتغلب على اخوان وأصدقاء وذوى قربى لهم من الأتراك وعرب ليبيا وشعب السودان وبخاصة عندما كانوا يحاربون بجانب بريطانيا ضد الحركات الوطنية فى ليبيا والسودان لانهما كانا ينشدان الاستقلال والحرية ، وكانت هذه المساعدات •

(أ) معركة طوسون (٣ فبراير سنة ١٩١٥) (٢٦) :

حدث فى ليلة ٢ ـ ٣ فبراير سنة ١٩١٥ ان قام الأتراك فى سيناء وعلى الضفة الشرقية للقناة المقابل لمحطة طوسون وحاولت عبور القناة هناك بعد ان نصبت جسرا من القوارب على القناة وقام الضابط المصرى المرابط هناك بقواته المصرية الملازم أحمد أفندى حلمى بصد هذا الهجوم ودمر بمدافعه هذا الجسر والقوات التركية العابرة واستشهد القائد المصرى فى هذه المعركة على اعتبار انه كان يدافع بشكل أو بآخر عن جزء من أرض بلاده بصرف النظر عن باقى الملابسات السياسية •

(ب) معركة رمانة (٢٧) :

عندما قامت القوات التركية الألمانية بحملتها فى سيناء فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٦ وهاجمت المواقع الحربية البريطانية بين قطنة والرمانة فى معركة فاصلة انتصرت فيها القوات البريطانية بفضل المجهود الحربى المصرى الذى قامت به فرق العمال المصريين المجندين والمسخرين فقد قاموا بتعبيد الطرق فى صحراء سيناء وعلى مساحات لآلاف الأميال فى الشمس الحارقة ومدت خطوط السكك الحديدية وحفرت الآبار وقامت بتوصيل المياه العذبة وأقامت الاستحكامات والحصون وحفرت الخنادق ومدت خطوط التليفونات والتلغراف ونقلت المهمات والذخائر وكانت هذه الأعمال بمثابة السبب الرئيسى فى الانتصارات العسكرية البريطانية فى هذه المنطقة القاحلة •

---

(٢٦) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء أول للرافعى ص ٣٠ •

(٢٧) ثورة سنة ١٩١٩ ـ للأستاذ الرافعى جزء أول ص ٣١ •

(ج) حملة السنوسى

فى أواخر عام ١٩١٥ أوائل عام ١٩١٦ وصلت حملة السنوسى الكبير السيد أحمد الشريف السنوسى الى السلوم على حدود مصر الغربية بالاتفاق مع الأتراك واحتلت قوات السنوسى السلوم وسيدى برانى وتراجع الجيش الانجليزى الى مرسى مطروح واحتلت قوات سنوسية أخرى واحة سيوة والواحات البحرية والفرافرة والداخلة ثم استرد الجيش الانجليزى سيدى برانى فى مارس سنة ١٩١٦ - واشترك الجيش المصرى بقوات مصرية كاملة فى معارك الصحراء الغربية مع الجيش الانجليزى واسترد مدينة السلوم وفى أكتوبر سنة ١٩١٦ ونوفمبر سنة ١٩١٦ استرد الجيش المصرى الانجليزى واحة سيوة وانتهت بذلك حملة السنوسى بفضل اشتراك الجيش المصرى فى هذه المعارك .

(د) حملة مصرية ضد على دينار :

بعد هزيمة ثورة المهدى على يد الجيش المصرى الانجليزى حيث قامت مصر بالنصيب الأوفر والكامل فى هذه الحملات سواء باشتراك أبناء مصر فى القتال أو بتحميل تكاليف الحملة بالكامل من أموال مصر والذى باعت مصر من أجلها بقايا قطع أسطولها البحرى ورغم ان أبناء مصر المقاتلين كانوا مسيرين للقضاء على هذه الثورة الوطنية بمناصرة الانجليز أعداء مصر والسودان فقد قامت انجلترا فى النهاية بالتهام السودان بالكامل لحسابها وأبقت لمصر مجرد اسم السودان المصرى الانجليزى . وقد تمكن الزعيم على دينار سلطان دارفور من الاستقلال بجزء من أراضى غرب السودان بعد هزيمة المهدى - وحيث ان على دينار قام بمقاومة عنيفة ضد السلطات البريطانية وعندما استتب له الأمر أراد التوسع واعادة سيطرته على السودان استكمالا لثورة الزعيم محمد أحمد المهدى التحررية فقد أعادت السلطات البريطانية بحكم سيطرتها على كل أمور مصر وأرغمت حكومة مصر على تجهيز حملة من جيشها وبتكاليف من الخزانة المصرية فى سنة ١٩١٦ وكان كل جنود الحملة من جنود جيش عرابى على أمل أن يتخلص نهائيا الانجليز من بقايا بذور الثورة العرابية ، اجتازت الحملة حدود سلطان دارفور فى أبريل واحتلت الآبار الهامة ثم رجعت الحملة على الفاشر عاصمة دارفور وانتصرت على السلطان فى ٢٢ مايو سنة ١٩١٦ فى معركة فاصلة ثم تعقبت قوة من الجيش المصرى السلطان على دينار الى معقله فى جبل مرة ودارسلا غربا فى نوفمبر سنة ١٩١٦ فهزمته وقتل فى المعركة على دينار البطل السودانى الذى وقف فى وجه السيطرة البريطانية فى السودان وكان للأسف ذلك على يد اخوانه المصريين بقايا

جيش عرابى الذى أراد جادا رغم ثورة السودانى محمد أحمد المهدى أن يفتدى عرابى من منفاه بالمساومة بالقائد البريطانى غوردون ولكن للأسف قتلته قواته قبل ان يستبدله بعرابى من المنفى ـ وكان رجال الجيش المصرى المشتركة فى هذه الحملة مغلوبين على أمرهم وكانت هذه الممارسات البريطانية الماكرة ما هى الا سياسة بذر بذور الانفصال بين مصر والسودان ٠

وفاة السلطان حسين كامل وتعيين الأمير أحمد فؤاد سلطانا سنة ١٩١٧ :

توفى السلطان حسين كامل فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ وبموته صدر خطاب من المندوب السامى سير « ريجنالد وينجت » Rignald Wingt بتكليف من وزير خارجية حكومة جلالة ملك بريطانيا بعرض منصب السلطان على الأمير أحمد فؤاد ابن الخديو اسماعيل ٠ وعلقت بريطانيا موضوع نظام ارتقاء عرش مصر للتفاوض بين حكومة جلالة ملك بريطانيا وبين السلطان فؤاد فيما بعد وبذلك أكدت بريطانيا للمرة الثانية بعد تعيين السلطان حسين كامل مدى حقها الشرعى بموجب الفتح والغزو والاحتلال فى تعيين حاكم البلاد المصرية الأعلى وحددت له حدوده التى لا يجوز له أن يتعداها أو يخرج عليها حتى فى أدق مواضيع سلطة السيادة ألا وهى وراثة العرش ـ وقام السلطان فؤاد بالرد على خطاب تعيينه بمستوى رد أى موظف لدى التاج البريطانى بما يؤكد خضوعه الكامل لأوامر السلطات البريطانية ـ وفى نفس الوقت تغاضت الحكومة المصرية عن هذه الاهانة بهذه الصورة وتظاهرت الحكومة بالصمت الذى يدل على الرضى وظهر ذلك جليا فى مظهر التشكيل الجديد للوزارة بتحقيق كل طلبات ورغبات السلطات البريطانية على حساب كرامة الشعب المصرى ٠

نبذة عن السلطان الراحل حسين كامل :

فى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ أعلنت انجلترا حمايتها على مصر وانها أخذت بيدها أمور الشعب المصرى وانتزعت من جانب واحد ما كانت لتركيا من حقوق على مصر بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ـ وفى نفس اليوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ أعلن ممثل انجلترا فى مصر عزل الخديوى عباس من الأريكة الخديوية المصرية (٢٨) لأنه انضم الى أعداء انجلترا أو أعلن فى نفس الوقت تنصيب الأمير حسين كامل ابن اسماعيل سلطانا

---

(٢٨) مذكرات فى السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٦٤ ٠

على مصر ورفعت وزارة حسين رشدى باشا استقالتها الى السلطان حيث كان رئيس وزراء للخديوى المخلوع وكان من المفروض عليه أن يقدم أى شكل من أشكال الاحتجاج ولكنه آثر السلامة فسكت ولم يلبث السلطان الجديد حسين كامل ان عهد اليه بتأليف الوزارة فألفها رشدى باشا كما كانت • وكانت بعض الطوائف المصرية ترى فى موافقة الأمير حسين كامل على اعتلاء عرش مصر بأمر من السلطات البريطانية فيه اعتداء على السيادة المصرية وعلى حق ابن أخى السلطان الخديوى عباس المخلوع وأظهر غالبية الشعب السخط على هذا التصرف وكانت ترى فيه عدوانا صارخا على مظهر السيادة المصرية ولكن لأن خصائص الشعب المصرى احتقار الخلافة فاعتبروا هذا التصرف السلطانى خلافة غير مستحبة رغم ان الشعب ومعه مؤسسته الوطنية الممثلة فى جماعة مصطفى كامل وكانت قد بدأت الانصراف عن تأييد الخديوى عباس بعد ان انحاز للمعتمد البريطانى ومع ذلك فان الرأى العام المصرى تظاهر بالعطف على عباس والسخط على السلطان حسين كرها فى انجلترا وليس حبا فى عباس ـ وعرف عن حسين كامل منذ كان أميرا حبه للفلاحين وانه كان يلقب بالعمدة فقد انتشرت أغنية تعبر عن موقف شعب مصر « الله حى عباس جى (يقصد الخديوى عباس حلمى المخلوع) ضرب البمبه فى (•••) العمدة (السلطان حسين كامل) وهو جاى » •

ومن مظاهر السخط الشعبى المصرى على السلطان الجديد من بدء تعيينه ان قاطع الشعب حضور جميع حفلات زيارات السلطان فكان السلطان لا يجد من مستقبليه فى بعض العواصم غير الموظفين والأشخاص الرسميين •

أما السلطان حسين كامل فكان يبرر قبوله منصب السلطان بالتكليف البريطانى « انه قبل هذا العرش ليحتفظ به لابن أخيه وانه لو لم يقبله للجأ الانجليز الى أجنبى ليحكم البلاد لأن الانجليز كانوا فعلا قد استدعوا الأمير أغاخان الهندى قبيل (٢٩) ارتقاء الأمير حسين كامل للعرش • وبعد مضى فترة ظهر للشعب المصرى ان السلطان الكهل حسين كامل كان طيب القلب الى حد جعل هذا السخط عليه يخفت شيئا فشيئا ثم ينقلب الى عطف بل الى محبة خصوصا وأنه عرف عنه منذ أن كان أميرا حبه للفلاحين وحرصه على رفاهيتهم والعطف عليهم حتى لقد لقب (أبو الفلاح) (والعمدة) ثم مالبث بعد فترة اعتلائه العرش أن جعل يدعو الأعيان والكبراء الى موائده فى القاهرة وفى غيرها ويحدثهم حديث أب وأخ أكبر ويذكر

---

(٢٩) نفس المصدر السابق . ص ٦٤ •

لهم نياته الحسنة عند انتهاء الحرب وحرصه على أن يحقق لمصر حريتها واستقلالها ـ لذلك انقلب السخط عليه الى محبة هذا الشيخ الذى توفى بعد سنتين وتسعه أشهر من اعتلائه العرش ٠

نبذة عن السلطان الجديد فؤاد :

عاش من طفولته فى نابولى بايطاليـــا مع والده الخديوى المخلوع اسماعيل باشا وعاش فيها سنوات الى أن التحق بالمدرسة العسكرية فى تورينو وكان ملما تماما بالصعاب التى أدت الى خلع أبيه اسماعيل عن عرش مصر ـ أتقن عدة لغات وبخاصة الايطالية وكان له شخصية قوية تمرست على الحياة ـ واسع الاطلاع والخبرة ٠

وفى عام ١٩١٢ تقابل مع نيتى (٣٠) وزير التجارة الايطالى فى مكتبه بصفته الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية وعرض على الوزير الايطالى نيتى أن يتوسط له لدى صديقه وزميله المركيز دى سان جوليانو وزير خارجية ايطاليا ليقترح عليه تعيين الأمير أحمد فؤاد أميرا على طرابلس وبرقة حيث ان تركيا كانت قد تنازلت عن حقوقها فيهما الى جلالة ملك ايطاليا بعد حرب دامت طويلا بين ايطاليا وتركيا وتم التنازل عنهما بموجب معاهدة تم عقدها بين الدولتين فى « أوشمى » فى سويسرا ٠ أو رأى الأمير أحمد فؤاد فى هذه اللقاءات أهالى برقة وطرابلس لم يقر تركيا على هذا التنازل وواصلوا القتال ٠

استعدادا لمقاومة السيادة الايطالية ـ وأشار الأمير أحمد فؤاد على نيتى بأن الايطاليين اذا كانوا يريدون أن يعم السـلام مستعمراتهم فى طرابلس وبرقة وأن يستقر لهم الأمر فيها فيجب أن لا يحكموها حكما مباشرا وان من دواعى الحكمة وأصالة الرأى أن يضعوا مظاهر الحكم فيها بين يدى أمير مسلم فيرضى الأهالى وبذلك يقطعون على السنوسيين أسباب الثورة والهياج وطلب لنفسه أن يعين أميرا على هذه البلاد لأنه الأمير المسلم الوحيد الذى يمكنهم ان يختاروه لأنه يعتبر أميرا ايطاليا لأنه تركى الأصل ومن البيت المالك فى مصر ولكنه يعتبر نفسه من رعايا ايطاليا الروحيين ـ وعرض استعداده لاعطاء أى ضمان تطلبه ايطاليا منه فيما يختص بالسهر على المصالح الايطالية وعدم التفريط فى شىء منها وهذا العرض لم يحوز رضاء السلطات الايطالية رغم اقتناع الوزير نيتى به ٠

---

(٣٠) مذكرات ابراهيم عبد الهادى عدد روزاليوسف رقم ٢٨١٥ فى ٢٤ مايو سنة ١٩٨٢ عن مذكرات نيتى بتاريخ ٧ مارس سنة ١٩٢٧ عن كتاب (آثار اقدام) للصحفى اميل خورى ٠

ولما فشل أحمد فؤاد فى هذا المسعى عاود الاتصال بالوزير نيتى بعد مدة مرة أخرى وعرض عليه ان يتوسط لدى وزير الخارجية أيضا لترشيحه أميرا على ألبانيا حيث كان هناك اتفاق ودى بين فرنسا وايطاليا على أن تقوم احدى دول التحالف الثلاثى (فرنسا ـ ايطاليا ـ النمسا) على ترشيح هذا الأمير لألبانيا وعرض الأمير أحمد فؤاد فى نهاية هذا اللقاء انه فى حالة ما اذا كان الترشيح يتطلب ان يكون الأمير المرشح مسيحيا وان ديانته الاسلامية تحول دون الترشيح لأن غالبية أهالى هذه البلاد مسيحيون فانه استعد لتغيير دينه الى المسيحية لأنه نشأ فى نابلى نشأة مسيحية أوروبية وانه لا يفرق بين الأديان ٠

مصر المحتلة فى فلك السياسة الدولية :

حرص زعماء دول الحلفاء وبخاصة ابتداء من سنة ١٩١٦ على اعلان الوعود والعهود لجميع شعوب دول العالم المحايدة وشعوب الدول المحتلة بحقها فى البقاء والحرية والاستقلال ما دامت تساعد بشكل أو بآخر فى المجهود الحربى لصالح دول الحلفاء العظمى ضد المانيا وحلفائها ٠

ففى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٦ وجه المسيو ارستيد بريان ariside Brian (٣١) باسم الحلفاء مذكرة الى السفير ٠ فى فرنسا ضمنها وجهة نظر الحلفاء فى قضية السلام فى العالم وأعلن فى هذه المذكرة ان الحلفاء يحاربون من أجل حرية الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها ـ وهذا ما لم تسلم به المانيا وكان من ضمن هذه الحقوق « حق الدول الصغرى فى الاستقلال والبقاء والحرية وهى الحقوق التى اذا نالتها الشعوب تكون من أقوى أسباب القضاء على الحروب ودعا مسيو « بريان » فى هذا الاعلان الى اقامة نظام دولى بجمع هذه الشعوب بعد انتصار الحلفاء على الألمان فى مؤتمر للصلح المرتقب ٠ وأكد مسيو بريان على الوعد بتحرير الشعوب الخاضعة لتسلط الأتراك الدامى ومنحها الحرية والاستقلال (بعض الشعوب العربية) وضرورة طرد الأتراك من هذه البلاد بحجة ان الأتراك غرباء عن الحضارة العربية وان سياسة الحلفاء كلها سلام وحرية لجميع الشعوب ٠

وفى ٨ يناير سنة ١٩١٧ أعلن الرئيس الأمريكى ويدرو ويلسون برنامجه لتحقيق السلام فى العالم وضمنه أربعة عشر مبدأ أساسيا ونص

---

(٣١) ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ ـ الجزء الأول للاستاذ محمد على الغتيت ، ص ٧ الى ص ١٢ ٠

فى اعلانه صراحة (٣٢) على تغيير السيادة التركية (حليفة ألمانيا) فى حدود المناطق التركية البحتة ـ وقرر الاعتراف بالحكم الذاتى لسائر الجنسيات الأخرى التى كانت خاضعة للدولة العثمانية ـ وفى المبدأ العاشر أعلن ويلسون ضرورة تسوية المشكلة الاستعمارية تسوية منزهة عن كل غرض ثم فى النهاية طالب بانشاء جمعية أو عصبة أمم ٠

منحة التابع للسيد :

ورغم قسوة الأحكام العرفية والتضييق على الحريات من سلطة الاحتلال فقد تمادى وزراء البلاد فى السفاهة والتدنى وفجأة قرروا للحكومة البريطانية هدية على شكل منحة بلغ قيمتها ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه مصرى رغم أن الحكومة المصرية كانت قد أنفقت لحساب الحكومة البريطانية منذ نشوب الحرب مبالغ طائلة على سبيل القرض وبالطبع لم يكن قرضا أو للرد بل كانت كل هذه النقود نظير قيمة النفقات على المجهود الحربى البريطانى كالنقل الحربى بالسكك الحديدية وخلافها وشراء وسائل النقل الأخرى من حمير وجمال ، وكذا أجور فرق العمال وأثمان محاصيل وأغذية وخلافه وكانت تتعدى مبلغ ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه ٠ وهذه المنحة ٣ر٥ مليون تقررت فى مجلس الوزراء برئاسة السلطان فؤاد نفسه يوم ٩ مارس سنة ١٩١٨ وقد كانت البلاد والشعب أولى بهذه المنحة ولكن الشعب المصرى لم يكن غائبا ٠ فقد كان على وعى كامل بأبعاد هذا الذل والاذلال بتبرع حكومته بثروة الشعب لأعداء الشعب ولو انه كان يبدو للحكام العاملين والانجليز المستبدين ان الشعب المصرى فى غفلة عن خسة حكامه ٠

بشائر النصر للحلفاء :

فى آخر أكتوبر سنة ١٩١٧ كانت ظروف الانجليز وحلفائهم الفرنسيين لا تزال سيئة حربيا بل فى غاية السوء فقد هزم الألمان الروس وألجئوهم الى صلح (٣٣) منفرد (صلح برست ليتوفسك) وفى هذه السنة عينها نكثت ايطاليا عهدها مع حلفائها الألمان وانضمت الى جانب الانجليز والفرنسيين وزاد الموقف حرجا ، لذلك اشتد اسلوب تطبيق الأحكام العرفية فى مصر وكثر القبض على كل من يشتبه فى ميله السياسى الى مناهضة الانجليز واشتدت السلطات فى مطالبة أهل الريف المصريين

---

(٣٢) نفس المصدر السابق ٠

(٣٣) مذكرات فى السياسة المصرية ـ دكتور محمد حسين هيكل ، ص ٦٥ ، ٦٥ ٠

بغلالهم ودوابهم ، واشتدت الرقابة على الصحف وتعطل كل مظهر من مظاهر الحرية وبقى المصريون سجناء فى بلادهم سواء منهم المعتقل وغير المعتقل ٠

ورأى الرئيس وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ان الانجليز وحلفاءهم لن يستطيعوا الثبات أمام الألمان ما لم تسعفهم أمريكا وتشترك معهم فى الحرب ولم يستطع اقناع الشعب الأمريكى بذلك الا بعد ان ضربت المانيا بغواصاتها البواخر الأمريكية فى عرض الأطلنطى وعند ذلك أعلنت أمريكا الحرب على المانيا وبذلك عم الأمل عند الانجليز فى النصر وبخاصة بعد أن قاومت فردان وهو الحصـن الواقع بين ألمانيا وفرنسا مقاومة مجيدة بقيادة الجنرال بيثان على ان ذلك الأمل لم يخفف شيئا من ضغط الانجليز على مصر بالأحكام العرفية فلم يتمكن أى كاتب مصرى حر من أن يكتب شيئا عن معاناة الشعب المصرى والاقتصاد المصرى المتدهور نتيجة استغلال بريطانيـا وبحجة ضرورات الحرب ٠ وأخذت بعد فترة وجيزة كفة الحلفـاء تزداد رجحانا للنصر وذلك كلمـا ازداد الانتـاج الأمريكى الحربى ، وكلما ازدادت أمريكا سيطرة على البحار فأمكنها ارسال انتاجها الحـربى وجنـودها الى ميـادين القتـال فى أمان ٠ ولم يطل صيف سنة ١٩١٨ حتى نشر **الدكتور وودرو ويلسون** رئيس الولايات المتحدة شروطه ــ الأربعة عشر للسلام واعتبرها أساسا لهدنة الحرب اذا ما قبلها الألمان ٠ ولم تكن المانيا قد تجاوبت مع شروط ويلسون ولكن بعد ان استخدم الحلفاء للدبابات والغازات السامة فى ميادين القتال ضد المانيا ــ عجل ذلك بحالة اليأس فى المانيا ٠ وفى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ وردت الى مصر أنباء بتوقيع الهدنة وانتهاء الحرب ٠

هل يحق لمصر المطالبة بالاستقلال :

وبناء على ما نشره الدكتور ويدرو ويلسون عن شروطه الأربعة عشر فقد كانت مصر مستوفية الشروط التى ينطبق عليها هذه المبادىء فقد كانت مصر دوليا وشرعيا من احدى الولايات العثمانية وقامت مصر بشكل أو بآخر بتقديم المعونات العسكرية والمادية وحتى القتال بجانب الحلفاء وبالاشتراك مع الجيش البريطانى نفسه ضد تركيا وتحملت أعباء مالية باهظة وقدمت جميع التسهيلات التى حققت النصر للحلفاء وكانت أراضيها وبحارها ومعداتها وجنودها فى خدمة المجهود الحربى حتى ضد أصدقائها وارضاء للانجليز فكانت فى مقدمة الدول الصغرى التى تستحق الحرية والاستقلال بموجب شروط ويلسون والحضور فى مؤتمر الصلح لتحقيق هذا الاستقلال فان لم تنله بالسبل الشرعية يمكنها أخذه بالثورة ٠

ثانيا : مرحلة الاحساس الشعبى بالمعاناة

ومولد أجهزة توصيل الشعور بالمعاناة للشعب :

بدأ التعبير الشعبى عن المعاناة واستغلال الأقلية الممثلة فى الاحتلال للأغلبية على شكل معارضة عبر عنها ممثلو الشعب ومجلس شورى القوانين (٣٤) فى المرحلة الأولى من تكوينه منذ عام ١٨٩٢ كما ذكرنا سابقا تحت عنوان مجلس شورى القوانين وكذلك استمر الشعب فى التذمر والاحتجاج وتوصيل المعلومات عن طريق التعبير بالمواويل والنكتة والسخرية وعند اللزوم بنشر الشائعات وسوف يلمس القارىء روح الاحتجاج الشعبى المستمرة منذ الاحتلال سنة ١٨٨٢ من خلال قراءة الجزء الخاص باستغلال الأقلية للأغلبية من هذا الكتاب أما العناصر الملموسة فى المجتمع المصرى وقتها المعبرة عن هذا الاحساس بالسخط والتذمر بانتشار الوعى فتتلخص فى مرحلة تكوين الأحزاب السياسية وكذلك انتشار النشر والصحافة والطباعة وتحايل الشعب على وصول الصحافة العربية والعالمية له ·

أولا ـ تكوين الأحزاب :

(أ) حزب الأمة (٣٥) (٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٧) :

أنشأه كبار الملاك والأعيان فى مصر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٧ وكان المؤسسون يعتقدون لدرجة الايمان ان الأمة لا تتكون من الأفراد بل من العائلات والأعيان وبالتالى من رؤساء الأمة لأنهم رؤساء العائلات وكان كبار أعضاء هذا الحزب على علاقات حسنة مع الوكالة البريطانية وكان معظم رجال الحزب يجاهرون بأن بريطانيا هى أقوى الدول الاستعمارية ماديا وأدبيا وانها لا تهزم ـ وان التوسع فى الحياة النيابية يجب أن يتم بهدوء وعلى سنوات طويلة وفى علاقات ودية مع الدولة المحتلة ـ وكان من كبار مؤسسيه ـ محمد باشا سليمان ، وحسن باشا عبد الرازق ، وعلى باشا شعراوى ، ومحمد الباسل بك ، وعبد العزيز فهمى بك ، وأحمد لطفى السيد بك ، وحسن صبرى بك ، ومحمود بك عبد الغفار ، وأحمد فتحى زغلول بك وقد نشر برنامجه فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٧ وكانت خطة الحزب :

---

(٣٤) مصطفى كامل ، للأستاذ الرافعى ، ص ٢١٧ ، ٢٧١ ·

(٣٥) مجلة الطليعة عدد ٢ فبراير سنة ١٩٦٥ وثائق تاريخية عن الأحزاب فى مصر ·

١ ـ الاهتمام بالتعليم ولو بالصرف عليه من أموالهم ٠

٢ ـ العمل والسعى لاشتراك الحزب مع الحكومة فى وضع القوانين والمشروعات العامة والسعى فى توسيع اختصاصـــات مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ٠

٣ ـ السعى للتوسع فى نظام الجمعية الزراعية ٠

(ب) **الحزب الوطنى** (٣٦) (حافظ أفنـدى عـوض) (٢٦ أغسطس سنة ١٩٠٧) ٠

أسسه حافظ أفندى عوض صاحب ومحرر جريدة المنبر والتى كانت تصدر فى القاهرة منذ عام ١٩٠٧ وعمل محررا بجريدة المؤيد لعشر سنوات وكان هو الآخر يدعو الى التدرج فى طلب الاســتقلال ويهاجم مجموعة مصطفى كامل (مجموعة اللواء) ٠ على أساس انها مجموعة حزب يريد أن يجرى قبل أن يكون قادرا على المشى وكان يعتبرهم من المتطرفين كما كان يعتبر أيضا (مجموعة المقطم) المتعاونة مع الانجليز هى الأخرى متطرفة ـ وكان يعتبران حزبه معتدلا ونشر برنامجه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٠٧ ٠

ويتلخص فى الآتى : ـ

١ ـ على الأمة المصرية أن تتفق فى مساعيها مع أولياء الأمور الانجليز ٠

٢ ـ يعتقد حزبه ان مصالح انجلترا ومصر واحدة ٠

٣ ـ يدعو الى انشاء مجلس نيابى طبقا لمشروع اللورد دوفرين البريطانى وبالتدرج (٣٧) ٠

٤ ـ أن يكون التعـليم العـــام مجانيـا واجبـاريا فى الكتاتيب والمرحلة الابتدائية ٠

٥ ـ ان يحل المصريون تدريجيا فى الوظائف التى يشغلهـا الموظفون الأوربيون ٠

٦ ـ العفو عن مسجونى دنشواى ٠

٧ ـ ان ينشأ فى القاهرة مجلس بلدى ٠

---

(٣٦) نفس المصدر السابق ٠

(٣٧) فى عام ١٩٠٨ أعلن حافظ عوض انضـمامه لحزب الاصلاح على المبـادىء الدستورية برئاسة الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » ٠

٨ ـ أن يتم انتخاب العمد فى القرى ٠

٩ ـ الاهتمام بالصناعة ٠

١٠ ـ تنشيط التجارة الداخلية والخارجية ٠

(ج) حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية (٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧) :

أسس هذا الحزب وتولى رئاسته الشيخ على يوسف صاحب « جريدة المؤيد » وذلك فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وقد عرف تاريخيا بأنه حزب القصر وتكون هذا الحزب بعد أن فترت علاقة الخديوى عباس بمصطفى كامل ـ وفى ذلك الوقت كانت معاملة اللورد كرومر العنيفة للخديوى هى التى جعلت الخديوى عباس ينضم الى حركة مصطفى كامل ولكن بعد حادث دنشواى ورحيل اللورد كرومر واستبدال البريطانيين المعتمد الجديد سير الدوين جورست لمواجهة سخط الحركة الوطنية الصاعدة بالملاينة(٣٨) وحسن المعاملة فزاد التقارب بين الخديوى والمعتمد البريطانى وفترت علاقة الخديوى بمصطفى كامل وتلاقت أهداف الخديوى بذلك مع أهداف المعتمد البريطانى الجديد فى تشجيع واقامة التنظيمات والحركات المنافسة للحركة الوطنية (حركة المعتدلين) والذين كانوا لا يريدون غير الاصلاح وكانوا يباركون بقاء الاحتلال البريطانى ويأملون فى الدستور وينتظرونه انتظارا غير محدود ففرضت الضرورة على الخديوى تكوين هذا الحزب وكانت جريدته « المؤيد » ورئيس تحريرها الشيخ « على يوسف » يتبنى الكتابة الوطنية الى حد ما ويطالب بالدستور طبقا لمبادىء الحزب ولكنه كان بطبيعة الحال فى موقف عدائى معارض تماما للحزب الوطنى وبخاصة بعد زعامة محمد فريد للحزب الوطنى وموقفه العدائى الساخر من استبداد الخديوى وميله نحو المستعمر ٠ وكانت جريدة هذا الحزب « المؤيد » فى بداية ظهورها جريدة وطنية وكذلك كان رئيس تحريرها الشيخ على يوسف ولكنه بعد ان اضطهده اللورد كرومر بعنف انقلب وصحيفته واتخذ سياسة الممالأة للاحتلال ٠

واشترك فى تأسيس هذا الحزب حسن رفقى باشا ، وأحمد حشمت باشا ، ومحمد حسن باشا ، ويعقوب صبرى بك ، ويوسف بك صديق ، وأحمد بك تيمور ، والسيد عبد الحميد البكرى وحافظ أفندى عوض (المؤسس السابق للحزب الوطنى) وغيرهم ونشرت وثيقة هذا الحزب فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وعناصرها : ـ

---

(٣٨) كتاب خراب مصر Egypts Ruin سنة ١٨٧٥ ـ ١٩١٠ لتيودور رتشين تعريب عبد الحميد العارف ، محمد بدران سنة ١٩١٥ ، ص ٣٤٦ حتى ٣٤٨ ٠

١ ـ مركز الحزب القاهرة وينشأ له فروع فى مدن القطر ·

٢ ـ الغرض من الحرب هو تكوين رأى عام مصرى مبنى على تأييد السلطة الخديوية والاعتماد على الوعود والتصريحات البريطانية ومطالبتهم بتحقيق هذه الوعود والتمسك بها ·

٣ ـ المطالبة بمجلس نيابى مصرى تام السلطة ·

٤ ـ ان يكون التعليم الابتدائى عاما مجانيا · وان تكون اللغة العربية هى لغة التعليم فى جميع المدارس المصرية ·

٥ ـ أن تعطى الوظائف فى الحكومة للوطنيين ·

٦ ـ ان تكون محاكمة الأجانب المقيمين بمصر جنائيا أمام المحاكم المختلطة الى أن يتم توحيد المحاكم المصرية لجميع سكانهـــا والمساواة أمام القانون ·

٧ ـ يدعو الحزب الى عدم خلط الدين بالسياسة وللحزب حق ابداء رأيه فى أعمال المصالح الدينية ونقدها للاصلاح الاجتماعى ·

٨ ـ عضو الحزب يجب أن يكون مصريا ويتمتع بالحقوق المدنية ولا يقل سنه عن ٢٥ سنة ويوقع على مبادئه وتأييدها ويدفع مبلغ جنيهين رسما للدخول وخمسة جنيهات رسما سنويا ·

٩ ـ تقوم جمعية عمومية بأعمال الحزب ومجلس ادارة وقد انحل هذا الحزب بوفاة رئيسه الشيخ على يوسف ·

(د) الحزب الوطنى الحر (٣٩) (٢٦ يوليو سنة ١٩٠٧) :

ويطلق عليه حزب المصريين الأحرار وهى تسمية وتكون فى ٢٦ يوليو سـنة ١٩٠٧ ويعـد أول حزب مصرى تأسس بعـد الاحتلال البريطانى وأسسه وتولى رئاسته محمد وحيد بك الأيوبى ولارتباطه به كان يسمى الحزب الوحيدى وكان هذا الحزب معاديا عداوة شديدة لمجموعة مصطفى كامل والتى تكون منهـــا الحـزب الوطنى بعـــد ذلك وكان برنامج هذا الحزب :

---

(٣٩) مجلة الطليعـة عدد ٢ فبراير سنة ١٩٦٥ ـ وثائق تاريخية عن الأحـزاب والتنظيمات السياسية فى مصر ·

١ ــ مسالمة المحتلين والاتفاق معهم على كل ما فيه خير القطر المصرى ٠

٢ ــ مسالمة الأجانب من سكان القطر ٠

٣ ــ السعى فى تعميم التعليم الابتدائى وتوسيع نطاق التعليم العالى بالتدريج ــ والاهتمام بترقية لغة البلاد ــ والاهتمام بتدريس العلوم باللغة الانجليزية ٠

٤ ــ السعى فى اعداد العامة لقبول الاصلاح والمزايا اللازمة للتجديد الغربى والاهتمام بالاصلاح الادارى والشئون الصحية ٠

٥ ــ السعى الى الحكم النيابى بالتفاهم مع الحكومة الانجليزية وبالتدريج كما رسم الانجليز ٠

٦ ــ السعى فى تفهيم عامة الأمة وبسطائها معنى الوطنية وتحذيرهم من المضللين ٠

(هـ) الحزب الوطنى (مصطفى كامل) (سنة ١٩٠٧ ــ ٢٧ ديسمبر) ٠

كان يطلق هذا الاسم منذ بداية ظهور مصطفى كامل مع جماعته الوطنيين الذين ينادون بالاستقلال والجلاء ولم يكن حزبا منظما فى البداية ولكنه كان موجودا كفكرة تجمع حولها الأنصار والمجاهدون ٠ أسسه مصطفى كامل على النظم الحزبية بعد عودته من أوروبا سنة ١٩٠٧ واجتمعت أول جمعية عمومية له فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وانتخب مصطفى كامل رئيسا للحزب مدى الحياة كما انتخب الأعضاء الثلاثون للجنة الادارية الأولى وهم ، محمد بك فريد ، وأحمد فائق باشا ، وحسن حارس باشا ، ومحمود بك أنيس ، والأستاذ ويصا واصف ، وعلى بك فهمى كامل ، ومحمود بك حبيب ، ومحمد بك حافظ رمضان ، واسماعيل بك لبيب ، ومحمود بك فهمى حسين وآخرون ٠

وكان الحزب يطالب بالاستقلال فى ظل السيادة العثمانية وكان معظم أعضائه من الطلبة والشبان وخريجى المدارس العليا وقليل منهم من وجهاء الأقاليم المقربين الى الحاشية الخديوية وفى عام ١٩٠٩ تألف « اتحاد العمال اليدويين » تحت قيادة الحزب الوطنى وبعد سنتين أصبح هذا الحزب يضم ١١ نقابة عمالية وبعد وفاة رئيسه مصطفى كامل سنة انتخبت الجمعية العمومية للحزب محمد بك فريد رئيسا له ويتلخص برنامج الحزب فى : ــ

١ ـ المطالبة بمنح مصر الحكم الذاتى أو استقلالها الداخلى طبقا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وضمانات الفرمانات الشاهانية التى وعدت بها انجلترا واحترامها رسميا ٠

٢ ـ اقامة حكومة دستورية يكون فيها الحكام مسئولين أمام البرلمان ٠

٣ ـ احترام المعاهدات والاتفاقيات المالية فى مسألة الديون ودفعها وقبول مراقبة مالية طالما تظل مدينة لأوروبا ٠

٤ ـ نشر التعليم فى أنحاء البلاد واتاحته للطبقات الفقيرة ونشر المبادىء الدينية وحث الأغنياء على تأسيس الجامعات وارسال البعوث للخارج وانشاء دراسات ليلية للعمال ٠

٥ ـ تنمية الزراعة والصناعة والتجارة والاصلاحات الصحية ٠

٦ ـ العمل على تقارب عنصرى الأمة : الأقباط والمسلمين ٠

٧ ـ تقوية روابط حسن التفاهم بين المصريين والأجانب المقيمين بمصر ٠

(و) الحزب المصرى (١١ سبتمبر سنة ١٩٠٨) :

حزب محدود الأهمية واعلن عن تكوينه فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٨ ومؤسسة « اخنوخ فانوس » ويهدف الحزب الى محاولة الحصول لمصر على الاستقلال عن طريق الصداقة المصرية الانجليزية وكسب ثقة الانجليز وجريدة المقطم هى الوحيدة التى نشرت برنامجه فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ وبرنامجه : ـ

١ ـ اعتبار مصر والسودان قسما طبيعيا واحدا والسبب الأساسى هو نهر النيل الذى يربطهما ٠

٢ ـ استقلال مصر ٠

٣ ـ الغاء الامتيازات الأجنبية ٠

٤ ـ تحقيق سعادة سكان مصر ٠

٥ ـ اعتبار كلمة مصرى مطلقة على الأصيل المتجنس بالجنسية المصرية ووجوب تسهيل شروط التجنس ٠

٦ ـ ايجاد صداقة واخلاص حقيقى بين مصر وانجلترا ٠

٧ ـ الحفاظ على علاقات المسالمة مع الأجانب القاطنين فى مصر وتأمين مصالحهم .

٨ ـ فصل الدين عن السياسة .

٩ ـ ربط ضرائب عامة على الايرادات للأجانب والوطنيين وتنظيم النظم الضرائبية .

١٠ ـ اقامة الدستور والحياة النيابية بإنشاء مجلسين .

١١ ـ جعل التعليم الابتدائى اجباريا للأولاد والبنات .

١٢ ـ توحيد القضاء المصرى .

١٣ ـ مراقبة المحاكم مراقبة عامة وانتخاب قضاتها الأجانب .

١٤ ـ تحديد كيفية الفصل فى المنازعات بين السلطة التشريعية والحكومة .

١٥ ـ مراقبة التعليم العام .

نظرة عامة على التكوين الحزبى فى مصر :

بمراجعة ظروف ومواعيد تكوين الأحزاب السياسية فى مصر على ضوء ما سبق نجد أنها جميعا أنشئت فى تاريخ متقارب جدا فى خلال سنة واحدة تقريبا سنة ١٩٠٧ أو سنة ١٩٠٨ مما يدعو للشك فى أمرها وبخاصة أن معظم برامجها المعلنة تؤكد بشكل أو بآخر على ملاينة سلطة ودولة الاحتلال بريطانيا وتؤكد على الخضوع السياسى لدولة الاحتلال مما يدعو الى الريب والتحفظ فى الحكم عليها فى تمسحها فى السلطة الحاكمة البريطانية اما طمعا فى الوصول الى مراكز السلطة واما تماديا فى خدمة الاستعمار باستثناء الحزب الوطنى مصطفى كامل وحزب الاصلاح لذلك فان جرائد كل هذه الأحزاب السياسية كانت تعبر عن وجهات نظر مختلفة لما يؤمن به شعب مصر ولذلك انصرف عنها الشعب باستثناء **جريدة اللواء** المعبرة عن جماعة مصطفى كامل الوطنية والتى كان الشعب وجريدة المؤيد وقتها وبخاصة الشباب المتعلم عن بكرة أبيه يتجاوب مع هذا الحزب ومع ما تنشره فى ذلك الوقت فكان الحزب الوطنى بمثابة المؤسسة الوطنية التى تعبر عن آلام ومعاناة وأمال الشعب المصرى الى أن ظهرت طليعة المؤسسة الوطنية الجديدة على شكل الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول .

وكانت عضوية معظم هذه الأحزاب عدا الحزب الوطنى من الأعيان وممن انقلبوا ضد العرابيين بعد هزيمتهم العسكرية وأيدوا الاحتلال وكانوا يسيطرون بشكل أو بآخر على ثروات البلاد فكانت كلها أحزابا تعبر عن مصالحها المرتبطة بالاحتلال الى حد بعيد فعندما أحجم الاحتلال عن التعامل تجاريا معهم باستخدامهم شركات التجارة البريطانية والأوروبية بدلا من التجار المصريين انقلب هؤلاء الأعيان الى حد ما ضد الاحتلال البريطانى فكانت صحافة أحزابهم كثيرا ما تنشر عن معاناة المصريين من سلطات الاحتلال وهذا التناقض كان من ضمن وسائل نقل المعلومات التى تهم العامة للوقوف على مدى معاناة مصر كلها من سياسة الاحتلال الاستغلالية وهذا أبسط تفسير لظاهرة اشتراك جميع طبقة الأعيان وكبار التجار من أعضاء الأحزاب السابقة فى العمل الوطنى مع سعد زغلول فكان تشكيل الوفد منذ بداية الثورة من عناصر هذه الأحزاب مما تسبب فى مراحل الثورة بعد ذلك الى انسحاب كثير من هؤلاء الأعضاء من الوفد ووصل عداؤهم للوفد الى درجة كبيرة أضرت القضية المصرية بالغ الضرر أما الحزب الوطنى وجرائده ومجلاته فكانت صادقة فى دعوتها للاستقلال صريحة فى مواقفها الوطنية مما جعل ممثلو الاحتلال البريطانى يطلقون عليهم المتطرفين فتعرضوا فى كثير من المناسبات للاضطهاد والاعتقال ومصادرة الصحف والنفى والتشريد وكانت صحيفتهم اللواء الصحيفة الوطنية الصادقة فى دعوتها ٠

ثانيا ـ دور الصحافة الوطنية :

رغم قسوة المطاردة والتنكيل والانتقام من العرابيين بعد الهزيمة العسكرية استمرت المكاسب الشعبية من ثورة عرابى راسخة فى مخيلة الشعب وولدت فيه الشعور بالعزة والكرامة فتغنى الشعب بشعار بسيط فى كلماته ولكنه عميق فى معناه « الدلس هزم عرابى » أى الخيانة فقد هزمت جيش عرابى ، ولكنها لم تهزم الثورة فاستمر خطيب الثورة عبد الله النديم طليقا مطاردا متجولا فى طول البلاد وعرضها متخفيا ينشر أناشيده وأشعاره وأزجاله الوطنية ويتناقلها العامة فى كل مكان مجدد الأمل والاصرار فكان يمثل أقوى جريدة وطنية شفهيته سهلة التنقل بين القرى والكفور ٠

وكان بالخارج السيد جمال الدين الأفغانى فى منفاه بالهند وكانت أقواله التحررية المشجعة وأخباره تصل الى الشباب المصرى من تلاميذه كما تصل أخبار وأقوال الشيخ محمد عبده من منفاه وهو تلميذ جمال الدين الأفغانى فكانت هذه الأقوال والأخبار تتناقل الى المجتمع

المصرى المغلوب على أمره الى أن اجتمع شمل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس (٤٠) وأنشآ معا فيها جريدة العروة الوثقى ٠

(أ) العروة الوثقى :

وأنشئت هذه الجريدة فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ فكانت أول جريدة وطنية قاومت الاحتلال فى مصر خاصة وفى بلاد العالم الاسلامى بصفة عامة فرفعت لواء السخط على السياسة البريطانية الاستعمارية وبعثت الأمل وروح الجهاد فى النفوس ٠ وكانت أعداد هذه الجريدة تتسرب الى مصر وسرعان ما تناقل العامة أخبارها وتعليقاتها فكان لها أبلغ الأثر فى تهييج الأفكار ضد التصرفات البريطانية وساعدت فى ازالة حالة الجمود بالتعبير عن معاناة العامة فى مصر ٠

(ب) جريدة اللواء ٢ يناير سنة ١٩٠٠ (٤١) :

بعد أن اتسع نشاط مصطفى كامل السياسى والوطنى منذ عام ١٨٩٢ اضطر بنقل أفكاره ونشاطه ليصل الى الشعب على صفحات جريدة الأهرام والمؤيد وفى عام ١٨٩٩ وبعد توثيق صلته بالخديوى عباس وتعدد رحلاته الى أوروبا وجد نفسه مضطرا الى اعداد معدات جريدة (اللواء) عام ١٨٩٩ وصدر العدد الأول منها فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ وقد علا شأن الجريدة فى عالم الصحافة منذ أول ظهورها وكانت قد تكونت فى ذاك الوقت حول مصطفى كامل قبل أن يعلن الحزب الوطنى وكانت هذه المؤسسة الوطنية من عناصر مصرية اقتنعت بمبادىء وأفكار ودعوة مصطفى كامل فكانت نواة حزب أخذت فى التبلور حول جريدة مصطفى كامل « اللواء » وكان من أهم الشخصيات الوطنية المؤثرة فى ذاك الوقت دون ذكر الألقاب ــ محمد فريد والشاعر أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ ابراهيم شاعر النيل وخليل مطران وعباس العقاد وعبد القادر حمزة وغيرهم ٠ وكانت جريدة اللواء تدعو الى تعريف المصريين بحقوقهم وواجباتهم وتبث فيهم روح الوطنية والأخلاق وتبصرهم بحقائق الأوضاع فى بلادهم ومساوىء الاحتلال وتكشف صنائعه وتستحث الشعب على الجهاد فى سبيل الاستقلال وتذكرهم بعبر التاريخ وتحيى ذكريات الحوادث الماضية من مفاخر وهزائم ــ ويتناول بالشرح والتفصيل العبر من جهاد الأمم الأخرى فى سبيل حريتها بالاضافة الى البحوث العلمية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية ــ وفى

---

(٤٠) الثورة العرابية للأستاذ الرافعى ، ص ٥٢٤ ٠

(٤١) مصطفى كامل للأستاذ الرافعى ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ٠

عام ١٩٠٥ أصدر مصطفى كامل جريدة أسبوعية باسم « العالم الاسلامى » ينشر فيها المقالات والأنباء التى تهم الأمم والدول الاسلامية المستضعفة ٠ وكانت اللواء تتناول نشر خطب مصطفى كامل سواء التى تلقى محليا أو خارجيا وكانت كلها تتناول بالنقد ممارسات الاحتلال الظالمة والاستبدادية كما تتناول تصرفات الحكام المصريين المتملقين للاحتلال على حساب الوطن ومن أمثلة ذلك وصفها الكامل لأبعاد ملحمة حادث دنشواى ومن أصدق ما نشر قصائد الشاعرين الفحلين أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ٠

١ ـ فمن قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقى فى وداع (٤٢) لورد كرومر المعتمد البريطانى المتعجرف سنة ١٩٠٧ :

أيامكم أم عهد اسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوس النيلا
أم حاكم فى أرض مصر بأمره ... لا سائلا أبدا ولا مسئولا
يا مالكا رق الرقاب ببأسه ... هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكأنك الداء العياء رحيلا
أوسعتنا يوم الوداع اهانة ... ادب لعمرك لا يصيب مثيلا

احسبت ان الله دونك قدرة ... لا يملك التغيير والتبديلا
فرعون قبلك كان أعظم سطوة ... وأعز بين العالمين قبيلا
اليوم اخلفت الوعود حكومة ... كنا نظن عهودها الأنجيلا
دخلت على حكم الوداد وشرعه ... مصرا فكانت كالسلال دخولا
هدمت معالمها وهدت ركنها ... وأضاعت استقلالها المأمولا

قد مد اسماعيل قبلك للورى ... ظل الحضارة فى البلاد ظليلا
ان قيس فى جود وفى شرف الى ... ما تنفقون اليوم عد بخيلا
أو كان قد صرع المفتش مرة ... فلكم صرعت بدنشواى قتيلا
لا تذكر الكرباج فى أيامه ... من بعد ما أنبت فيه ذيولا

---

(٤٢) كتاب مصطفى كامل للأستاذ الرافعى من ص ٣٨٧ الى ص ٤٠ ٠

٢ ـ ومن قصيدة لأحمد شوقى الى ذكرى دنشواى سنة ١٩٠٧ بعد مرور عام على الحادث .

يا دنشـــواى على رباك ســـــلام ... ذهبت بأنس ربوعـــك الأيـــام
شـــهداء حكمك فى البلاد تفرقوا ... هيهـات للشمل الشتيت نظـــام
مـرت عليهـم فى اللحود أهلة ... ومضى عليهم فى القبـــور العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالهـــا ... وباى حال اصـــبح الأيتـــام
عشرون بيتـا اقفرت وانتـابهـــا ... بعد البشـــاشة وحشة وظـــلام
يا ليت شـعرى فى البروج حمائم ... أم فى البـــروج منيـــة وحمـــام
(نيرون) لـو أدركت عهـد كرومر ... لعرفت كيـــف تنفـذ الأحـــكام
نوحى حمـــائم دنشـــواى وروعى ... شعبا بوادى النيـل ليس ينـــام
ان نامت الأحيـــاء حالت بينـــه ... ســـحرا وبين فراشـــه الأحـلام
متوجـــع يتمثـل اليـــوم الـذى ... ضـــجت لشـــدة هوله الأقـــدام

٣ ـ قصيدة حافظ ابراهيم فى حادثة دنشواى :

أيهــــا القائمون بالأمر فينـــا ... هـــل نسـيتم ولاءنا والـودادا
خفضـــوا جيشكم وناموا هنيئـا ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
واذا اعـــوزتـكم ذات طـــوق ... بين تلك الربا فصيدوا العبـــادا
انمـــا نحن والحمـــام ســـواء ... لم تغـادر أطواقنـــا الأجيـــادا
لا تظنـوا بنـــا العقـوق ولكـن ... أرشـــدونا اذا ضللنا الرشـــادا
لا تقيـــــدوا من امـة بقتيـــــل ... صادت الشمس نفســه حين صادا

وقال حافظ أيضا حادث دنشواى وفظائع المحاكمة :

جـــاء جهـــالنا بأمـــر وجئتم ... ضـــقت ضعيفة قسـوة واشتدادا
أحســـنوا القتل ان ضننتم بعفو ... اقصـــاصـــا أردتم أم كيـــادا
احســـنوا القتل ان ضننتم بعفو ... انفوســـنا اصـــبتم أم جمـــادا
ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش ... عـــادت أم عهـــد نيرون عـــادا

كيف يحلو من القوى التشفي من ضعيف ألقى اليه القيادا
انها مثله تشف عن الغيظ ولسنا لغيظكم أندادا

وكمثل لنشر الوعى الوطنى ضد الاحتلال وكدليل ان الشعب المصرى كاغلبية كان على وعى كامل بآلامه ومعاناته وتحمله من استغلال الأقلية المتمثلة فى الاحتلال وتحالفها مع الحكومات المصرية المتعاقبة ٠

ففى مجال تحيز بعض كبار رجال الدولة للاحتلال وكان على رأسهم رئيس الوزراء محمد رياض فقد بلغت به المهانة بأن امتدح المعتمد البريطانى لورد كرومر علنا فى خطبة له فى الاحتفال بانشاء مدرسة محمد على الصناعية تحت رعاية جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية فى حفلها يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٠٤ لوضع حجر الأساس ــ وكان الخديوى عباس قد رأس هذا الحفل فقد امتدح رياض باشا رئيس الوزراء الاحتلال وأياديه البيضاء على مصر وتقدم مصر على يديه ٠

وقوبلت خطبته من الحاضرين بالدهشة لما قاله ليؤكد على خضوعه الكامل للانجليز وما ذكره من معانى الزلفى والاستكانة التى تفشت بين طبقة الوزراء والكبراء فى هذا العصر ٠ وفى جريدة اللواء تصدى مصطفى كامل لموقف رياض باشا المهين فى مقال قال فيه :

« يعرف أصدقاؤنا رأينا بشأن سياسة رياض باشا وتصرفاته وأطواره فى حكومة البلاد ٠٠٠ ولكن لم يكن يدور فى خلدنا ان دولته يتمسح بالعروة الوثقى ليتملق الاحتلال والمحتلين ويشهر السلاح ليقتل به عواطف شعب مصر الغالية ٠٠٠ ان دولة رياض باشا قال ما لم يقله مصرى منذ اثنين وعشرين عاما وطعن الأمة طعنة قاتلة ، وسخر من أبناء وطنه جهارا فالاحتفال لم يكن ميدانا لشرح صفات الرجال السياسيين أمثال كرومر وأعمالهم ٠٠٠ الخ » ٠

وقد ثار الرأى العام على رياض باشا لخطبته بعد هذا المقال وانهالت رسائل الاحتجاج ضده فى الصحف فى مختلف الجهات من الاسكندرية الى أسوان ودلت هذه الحركة على يقظة الروح الوطنية فى النفوس لمستوى استنكارها سياسة التملق للاحتلال وتمجيده مخالفة لرأى العامة ٠

وكمثل آخر على تجاوب الوعى الشعبى مع مؤسسته الوطنية اذا ما اعتبرنا أن الصحف الوطنية وجماعة مصطفى كامل التى تدعو صراحة

الاستقلال انها جميعا بمثابة مؤسسة وطنية فى ذلك الوقت فان جريدة اللواء سرعان ما تجاوبت مع ممثلى الشعب فى مجلس شورى القوانين عندما عارضوا بند الميزانية الخاص بالتصديق على تكاليف جيوش الاحتلال وذلك فى آخر سنة ١٩٠٤ وطالبوا بالاستقلال ٠

ولذلك تصدت جريدة اللواء يومى ١٣ و ١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ بقلم مصطفى كامل قائلا :

« ان أعضاء مجلس شورى القوانين لم يسمعوا الأمة والعالم كله ذلك الصوت المحبوب صوت المطالبة بأعز ما تريد البلاد الا وهو الاستقلال ٠٠٠ انكم يا حضرات الأعضاء طلبتم هذا الطلب العالى مرتين وحسبتم ان الاشارة تكفى ، وكأنكم نسيتم ان الألحاح فى الحق ليس بعيب ٠٠٠ فهل فاتكم ان مطالبتكم بالجلاء مما يقوى العقيدة الوطنية فى نفوس الخاصة والعامة والناشئة بنوع خاص ، وانكم ان لم تبلغوا الا هذه الغاية لكفاكم شرفا وأجرا » ٠

الارادة المصرية تواجه المشاريع الاستعمارية :

مشروع سير وليام برونيت فى القانون النظامى (٤٣)

ظهر هذا المشروع فى نوفمبر سنة ١٩١٨ وقد وضع هذا المشروع وليام برونيت وهو مستشار بريطانى فى شئون الحكومة المصرية ٠

ويتلخص مشروعه فى انشاء مجلس نيابى مصرى رأيه استشارى وليس له أى سلطة مراقبة أو محاسبة للسلطة التنفيذية ٠ وينشأ بجانبه مجلس شيوخ يملك وحده السلطة التشريعية ولكن تكوينه عبارة عن خليط من المصريين والأجانب ويؤلف من بعض أعضاء بحكم مناصبهم وهم الوزراء المصريون والمستشار الانجليزى ومن فى مرتبتهم من كبار الموظفين البريطانيين ، ثم من عدد قليل من الأعضاء المنتخبين منهم ٣٠ عضوا مصريا ، ١٥ أجنبيا بحيث تكون الأغلبية فيه للأعضاء الرسميين بحكم وظائفهم والأعضاء الأجانب المنتخبين وبذلك تكون الأقلية للأعضاء المصريين المنتخبين ٠

وبذلك تكون السلطة التشريعية بالكامل فى يد مجموعة غرباء ٠ وضع هذا المشروع فى السر وفى غيبة من الرأى العام المصرى وحتى على الخاصة ولكن أخبار المشروع بأبعاده أذيع خبرها فجأة عندما قدم السير

(٤٣) ثورة سنة ١٩١٩ للاستاذ الرافعى ، جزء أول ص ٥٢ ، ٥٤ ٠

بيرونيت صورة من المشروع الى حسين رشدى باشـا رئيس الوزراء فى منتصف نوفمبر سنة ١٩١٨ ورد عليه رئيس الوزراء مستنكرا هذا المشروع وأعلن هذا الرد · فما كاد يذاع المشروع · ورد رئيس الوزراء عليه حتى عم السخط الشعب وسخط الخاصة على السياسة البريطانية لما فيها من اهدار الاستقلال الذى ينشده المصريون · والذى أثار الشعور العام بصفة خاصة هو ما نص عليه المشروع بوجود أغلبية أجنبية فى عضوية المجلس التشريعى المصرى المرتقب ، وبذلك يكون السلطة الأجنبية هى التى تتولى التشريع للبلاد وهذا تعبير عن المهانة فى حق الأمة · وبعد أيام قلائل تزايد السخط فسقط المشروع بما أثاره من سخط بين أعضاء الجمعية التشريعية الموقوف عملها والتى كانت تعتبر من أهم أركان المؤسسة الوطنية المصرية وبخاصة فى شخص وكيلها المنتخب « سعد زغلول » وما حوله من تجمع وطنى من أعضاء الجمعية التشريعية من الشبان المثقفين المؤيدين لسعد زعيم المعارضة الفعلية ·

ثالثا — مرحلة تكوين المؤسسة الوطنية :

المؤسسة الوطنية التى تتصدى لاستغلال الأقلية للأغلبية لا تظهر فجأة وبخاصة فى أمة مثل مصر ذات حضارة وتراث وشخصية مميزة فان هذه المؤسسة الوطنية تولد وتنمو ثم تعظم ثم تتحول الى مرحلة الصبا فالشباب فالرجولة وفى هذه المرحلة تكون قادرة على منازلة الظالم والمستبد ومصارعته ، وعندئذ تكون قادرة على اجتذاب الجماهير فى سبيل تحريكها لاحداث التغيير الثورى — وفى ثورة سنة ١٩١٩ نجد أن المؤسسة الوطنية ولدت عقب الهزيمة العسكرية للعرابيين فكانت بقايا المؤسسة الوطنية العرابيين تتمثل فى بعض المنفيين أمثال جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده حيث واصلا الاتصال بالوطنيين المصريين وبخاصة بعد أن تلاقيا فى باريس وأنشأ جريدة العروة الوثقى التى انتشر توزيعها فى مصر وفى العالم الاسلامى تحمل الأفكار الثورية ضد الاحتلال البريطانى وضد الاستعمار أينما كان فى العالم الاسلامى ·

كذلك كان هناك خطيب العرابيين عبد الله النديم الذى هرب وتجول فى أنجاء مصر وبين كفورها وقراها ناقلا دعوته الثورية على شكل مواويل وأزجال وأشعار ولكل من هؤلاء كان له أتباع استأنفوا الدعوة فمثلا سعد زغلول زعيم المؤسسة الوطنية لثورة سنة ١٩١٩ بدأ حياته السياسية بالأمل وروح الجهاد فى النفوس · وكانت أعداد هذه الجريدة تتسرب مبكرا منذ شبابه وسنه ٢٣ سنة فقد كان من تلاميذ جمال الدين الأفغانى

والشيخ محمد عبده واشترك فى جماعة وطنية سرية (٤٣م) (جماعة الانتقام) وكانت هذه الجماعة تعمل على الانتقام من الأشخاص الذين خانوا الثورة العرابية ٠ وكان معه الأستاذ حسين صقر المحامى وحفنى بك ناصف ٠ وأحمد على والقى القبض عليهم سنة ١٨٨٤ واحيلوا الى المحاكمة ولم تثبت عليهم التهمة وبرأتهم المحكمة المشكلة على شكل لجنة المتهمين لانها لم تعثر على دليل اتهام ولكنهم بقوا فى الاعتقال بعد اعلان البراءة أكثر من ثلاثة أشهر وكانت الحكومة مصممة على نفيهم الى السودان لولا تدخل وزير الحقانية حسين فخرى باشا وبقوا فى الاعتقال الى ان أمر النائب العام (٤٤) مستر ماكسويل بالافراج عنهم ٠ وجميع ملابسات هذه التهمة ونشاط هذه الجماعة والحكم والاعتقال والافراج وصلت أخبارها الى الشعب بوسيلة أو بأخرى هذه المعلومات تعتبر رصيدا نضاليا لسعد وجماعته منذ شبابه ٠

وقبل ذلك كان سعد أثناء عمله بجريدة الوقائع المصرية بعد أن طورها الشيخ محمد عبده فى أكتوبر سنة ١٨٨٠ فتحولت بفضل هذا التطور الذى شارك فيه سعد زغلول من جريدة رسمية تتناول المواضيع الرسمية فقط الى صحيفة أخبارية أدبية فكان سعد زغلول يتناول منها بقلمه المقالات الأدبية ونقد أحكام المجالس الملغاة وتلخيصها والتعقيب عليها (٤٥) وتعرف القراء ومخالطوهم ومجالسوهم من عامة الشعب على سعد زغلول كأمل شعبى فى المستقبل ، ولكن سعد فجأة آثر العمل فى الحكومة ٠ فانتقل الى وظيفة ناظر لقلم قضايا الجيزة سنة ١٨٨٢ وكانت أشبه بوظيفة القاضى وبذلك انتقل الى الحكومة ومن العمامة الى الطربوش وعاصر وشارك فى الثورة العرابية فى هذه المدة ولكن بعد الافراج عنه سنة ١٨٨٤ فقد وظيفته وفضل أن يحترف المحاماة ورغم أن المشاع عن هذه الحرفة انها كانت صناعة وضيعة مبتذلة فان سعد زغلول بنشأته الوطنية والأخلاقية عن أسرة متمسكة بالتقاليد والأخلاق القويمة فقد أخذ سعد يمارس هذه المهنة بالقواعد الأخلاقية والعدالة التى توازى عدالة القاضى فارتفع بهذه المهنة وارتفعت به المهنة واشتهرت أمانته واخلاصه فى عمله بعد فترة وجيزة فملأت شهرته القطر من أقصاه الى أقصاه (٤٦) وتمنى كل صاحب حق مهضوم أن يوكله وتصدى هو لكثير من القضايا لأفراد ولهيئات مظلومة أوقعها حظها فى مخاصمة السلطات الأجنبية المحتلة أو المحلية الغاشمة

(٤٣ مكرر) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للاستاذ العقاد ، ص ٩٠ ٠

(٤٤) نفس المصدر السابق ، ص ٧١ ٠

(٤٥) نفس المصدر السابق ، ص ٧٥ ٠

(٤٦) تراجم وسير المجلد الثامن عشر ، العقاد ، ص ٨٢ ٠

وأمكن سعد لكفاءته ومنطقة سحر بيـانه أن ينتصر لها بالحق والعـدل والقانون فذاع صيته بين المتخاصمين وبالتالى انتقلت هذه السمعة الطيبة والوطنية الى عامة الشعب فكانت أيضا من ضمن رصيده الوطنى والأخلاقى فلم يكن يقبل التوكيل لأى ظالم أو مزور أو غير صاحب حق واستمر عمله فى المحاماه ثمانى سنوات الى أن عرضت عليه وظيفة نائب قاضى بمحكمة الاستئناف في سنة ١٨٩٢ فقبلها . ومنذ هذا التاريخ آثر سعد أن يعيش حياة القاضى النزيه فابتعد كلية عن العمل العام والسياسة .

وكان فى الساحة فى هذا الوقت مصطفى كامل والذى كان هو الآخر يمثل أملا كبيرا للشعب المظلوم وهو أصغر من سعد زغلول بثلاث عشرة سنة حيث ولد سعد فى عام سنة ١٨٦١ تقريبا أما مصطفى كامل فقد ولد فى عام سنة ١٩٧٤ .

وقد آثر مصطفى كامل بعد تخرجه من الحقوق مباشرة سنة ١٨٩٤ التفرغ للعمل الوطني والسياسى واستمر فى نشاطه بعد أن توقف سعد عن العمل العـام سنة ١٨٩٢ ولم تنقطع أخبار سعد القـاضى ثم الوزير تتنـاقلها الصحافة والشـعب ومواقفه الشجاعة فى مواجهة التصرفـات الشاذة والظالمة سواء من رجال الاحتلال أو من رجال الدولة فكان رصيده لدى الشعب كأمل وطنى فى تصاعد مستمر ولكن دون انتمائه لأى جماعة أو تنظيم أو حزب .

ولكن مصطفى كامل تفرغ كلية للعمل السياسى والوطنى والصحفى فكان رمزا حيا وملموسا لدى الشعب بصفة عامة ولدى الشباب المثقف والمتعلم بصفة خاصة . وبذلك كان يعتبر هو وجماعته مؤسسة وطنية متزامنة الأبعاد مع ظاهرة سعد زغلول ومع بعض التحفظات الشعبية .

مصطفى كامل سنة ١٩٧٤ ـ سنة ١٩٠٨

ولد مصطفى كامل سنة ١٨٧٤ م ووالده على أفندى محمد وأسرته من بلدة كتامة الغاب مركز طنطا وكان ضابطا مهندسا مصريا ووالدته السيدة حفيظة مصرية كريمة اليوزباشى محمد أفندى فهمى ـ بدأ كفاحه بعد تخرجه مباشرة وبعد حصوله على شهادة الحقوق سنة ١٨٩٤ من تولوز بفرنسا ـ ركز مصطفى كامل نشاطه السياسى عن طريق الدعوة فى مجال شريحة واحدة من شرائـح الشعب المصرى وهى طبقة المتعلمين وبخاصة خريجى المدارس العليـا . وكانت تعتبر قـلة وليس لها وزن فى العمل الجماهيرى ، كما انه لم يتقلب فى العمل الحر أو العام أو الرسمى حتى

يمكنه التفاعل أو التعامل المطلق مع القواعد الجماهيرية كسعد زغلول بل كرس كل جهوده الوطنية للدفاع عن قضية بلده فى المحافل الدولية بصفة عامة وفى فرنسا وتركيا بصفة خاصة ، وعندما اضطرته ظروف العمل السياسى الى تبليغ دعوته ونشاطه وأفكاره الى عامة الشعب فى مصر . عمل على انشاء جريدة تتبنى الدعوة وهى جريدة اللواء والتى أنشأها وصدر العدد الأول منها فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ وكان وقتها الخديوى عباس يبحث عن الجانب الشعبى الذى يساند فى وقوفه فى وجه الاحتلال البريطانى الذى تعود ممثلوه فى مصر على الحد من سلطات الخديويين والتى لم يكن الخديوى عباس قد تعود عليها بعد تعيينه خديويا لمصر بعد وفاة والده الخديوى توفيق . ولاشك ان دعوة مصطفى كامل رغم اهمالها الاتصال بالعامة فى مستهل ظهورها الا انها كانت تحمل الطابع الوطنى الخالص وتهدف بالمقام الأول الى مصالح مصر ولكن وسيلتها كانت الاستعانة بمؤسسات تحتقر الشعب المصرى وبالتالى كان الشعب لا يتفاعل معها بل يتجنبها وهى الجالية التركية .

١ ـ أما موقف الشعب المصرى من فرنسا فيرجع الى سابق احتلالها لمصر . وكان الشعب المصرى قد عانى من قسوة هذا الاحتلال الفرنسى وبخاصة فى ثورتى القاهرة .

احتلال فاشودة :

بالاضافة الى موقف مصطفى كامل وجماعته عندما بالغوا فى الاعتماد على التدخل الفرنسى العسكرى فى فاشودة ١٨٩٨/٧/١٠ بعد أن أرسلت الضابط الفرنسى مارشان الى فاشودة ١٨٩٨/٧/١٠ لاحتلالها وهى أرض سودانية تابعة لمصر المحتلة بشكل أو بآخر وقام مصطفى كامل بالانحياز للجانب الفرنسى على أمل أنه سيخلص قطعة من الأرضى التابعة لمصر من يد الانجليز المخططين لاغتصاب السودان قطعة قطعة ولما أسرعت بريطانيا بتهديد فرنسا باستخدام القوات العسكرية المصرية ، أسرعت فرنسا بالجلاء عن فاشودة ، وظهر جليا للشعب المصرى أن مصطفى كامل وجماعته كانوا يحسنون الظن بفرنسا والتى خذلته وكشفت تحيزه للجانب الفرنسى المتخاذل دائما أمام غريمته انجلترا .

اتفاقية سنة ١٩٠٤ (توزيع مناطق النفوذ) :

وكان من ضمن الاحباطات التى أصيب بها الشعب المصرى من فرنسا ومن اعتماد جماعة مصطفى كامل عليها هى ابرام اتفاقية سنة ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا التى قضت بتوزيع مناطق النفوذ فأطلقت بموجب هذه الاتفاقية يد فرنسا فى الدول العربية فى الشمال الأفريقى والتى كانت

تستعمرها فرنسا فى نظير ان أطلقت يد انجلترا لتتصرف فى مصر كيفما تشاء دون تدخل أو معاندةمن فرنسا أو مساعدة المناضلين المصريين وكان على رأسهم مصطفى كامل صديق فرنسا ٠

٢ ـ أما موقف الشعب المصرى الحذر من تركيا فانه كان يتسم بعدم الاعتماد عليها اطلاقا فى أى محاولة من محاولات التدخل ضد الاحتلال البريطانى ولو حتى للدفاع عن حقوقها الصورية فى مصر فلم تغادر مخيلة الشعب المصرى خذلان تركيا لعرابى وللثورة العرابية(٤٧) وسلبيتها ضد بوادر الغزو البريطانى أو ضد الغزو البرنطانى نفسه لمصر بالاضافة الى أن تركيا فى أوائل (٤٨) الثورة العرابية أيدت عرابى وأنعم عليه السلطان التركى بالرتب والنياشين ثم انقلبوا عليه فيما قبل الغزو البريطانى مباشرة ثم فجأة وفى أحرج مراحل الثورة العرابية وفى أثناء تهديد الأساطيل البريطانية لسواحل مصر وأثناء الغزو يعلن السلطان فى خسة ونذالة عصيان عرابى متضامنا مع انجلترا الغازية ٠

كما أن الشعب المصرى (٤٩) لم ينس أبدا تأييد مصطفى كامل وجماعته وجريدته اللواء فى مايو سنة ١٩٠٦ لتركيا عندما هددت طابا المصرية واعتبرت جريدة مصطفى كامل انقاذا لمصر من الاحتلال الانجليزى وفجأة ينسحب الجيش التركى بمهانة وتخاذل ازاء أول بادرة من انجلترا بارسال أسطولها للتجول فقط أمام طابا فاصيب المصريون بصدمة وخيبة أمل من تركيا وصديقها مصطفى كامل ٠

٣ ـ أما موقف الشعب المصرى من تأييد مصطفى كامل للخديوى عباس فقد كان الشعب المصرى يحمل وقتها للخديوى عباس بعض الاحترام لمعارضته للاحتلال البريطانى ولكن عندما نراجع عباس عن تأييد مصطفى منضما الى سلطات الاحتلال لشخصيته المهزوزة ـ فقد كان مصطفى كامل يؤيد الخديوى عباس ويدعو لموافقته بحماس استدرج به رضاء الشعب المصرى (٥٠) ولكن عندما حدث الخلاف بين عباس ومصطفى كامل اقتنع الشعب بعدم سلامة سياسة مصطفى كامل وجماعته وجريدته فى تأييد الخديوى عباس ٠

٤ ـ تمادى مصطفى كامل وجماعته من التنكر للثورة العرابية :

فالشعب المصرى الذى ذاق حلاوة الاستقلال والحرية فى فترة الثورة العرابية القصيرة والتى لم تنهزم فيها روحه ٠

---

(٤٧) ص ٢٨٨ من كتاب الثورة العرابية ، للأستاذ الرافعى ٠

(٤٨) نفس المصدر السابق ، ص ٤٢٧ ٠

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١١ ٠

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١٨ ٠

رغم الهزيمة العسكرية فالشعب لم يتنكر أبدا لعرابى ولكنه وقف مذهولا وممزقا من تمادى ابن من أبناء مصر المتصدى للعمل الوطنى مثل مصطفى كامل فى الهجوم على عرابى والعرابيين والثورة العرابية علما بأن مصطفى كامل نفسه وجماعته نفسها ما هى الا امتداد لهذه الثورة .

تقدير الشعب المصرى لجانب كبير من دعوة مصطفى كامل :

وفى وسط كل هذه الخيوط المتشابكة والمعقدة كان نشاط مصطفى كامل يسير بقوة وتركيز تتناسب مع عزيمة الشباب وذلك على صفحات الأهرام وجريدة المؤيد ثم فى جريدة اللواء التى انشأها مصطفى كامل وصار يعكس على صفحاتها أفكاره وعقائده وخطبه ومساجلاته وبذلك تكون حوله وحول جماعته على مر الأيام رأى عام فكان هو وجماعته وقتها بمثابة مؤسسة وطنية مصرية رغم المواقف الحذرة للشعب المصرى من بعض جوانب وسائل سياسته وكان لهذه المؤسسة الوطنية امكاناتها الصحفية وتراثها النضالى الذى لم ينشد الا الحرية والاستقلال للبلاد وقد كانت هذه المؤسسة الوطنية كثيرا ما تتصدى بالكتابة والخطابة والتوعية لجميع القضايا الهامة والأحداث المؤثرة على الوطن بجانب دعوتها الى التمسك باقامة دستور المتأكيد على الحياة النيابية ثم صار التوسع فى هذه المؤسسة الوطنية بانشاء نادى المدارس العليا والذى افتتح فى ٥ ابريل سنة ١٩٠٦ .

وفى آخر أيام مصطفى كامل فطن الى المآخذ الشعبية على جماعته ومؤسسته الوطنية بعد أن تخلى عنه الخديوى متخذا جانب المعتمد البريطانى وبعد فقد الثقة فى فرنسا التى كان يعتمد عليها اعتمادا كثيرا لتساعده فى التخلص من الاحتلال البريطانى — وبعد أن فطن الى تفاهة الأتراك وعدم ثقة الشعب المصرى فى السياسة التركية ولذلك عندما جاءت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ . سارع مصطفى كامل بالتجاوب الكامل مع آلام الشعب المصرى ومعاناته وقام بحملة صادقة خارج البلاد وفى انجلترا بصفة خاصة مما كان له أثر بالغ على تحول الرأى العام الخارجى للعطف على قضية استقلال مصر ورددت الصحافة الأجنبية والمحلية هذا النشاط الصادق ، بالاضافة الى نشاط الجريدة الوطنية كمؤسسة وطنية وعن طريق جريدته فى اذكاء روح التمرد والثورة ضد الاحتلال البريطانى ليس أدل على تجاوب الشعب لموقف مصطفى كامل الا الاستقبال الشعبى الحافل ولأول مرة لمصطفى كامل عند عودته الى مصر بعد هذه الحملة الصادقة والمتجاوبة مع شعور الشعب المصرى الذى لمس من موقف مصطفى كامل الأخير أنه تحرك ثورى جديد امتدادا للثورة العرابية التى طالما هاجمها مصطفى كامل وحزبه وجريدته قبل ذلك .

وكادت مصر بعد ذلك أن تستـــتفيد من مصطفى كامل وجماعتــه كمؤسسة وطنية لولا أن عاجلته المنية بعد موقفه الوطنى من حادثة دنشواى وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وهو فى سن الشباب (٣٥ سنة) ٠

محمد فريد ١٨٦٨ ـ ١٩١٩ :

وتولى محمد فريد زعامة الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل فى عام ١٩٠٨ وعلى أساس أن محمد فريد هو خليفة مصطفى كامل فى زعامة المؤسسة الوطنيـــة المصرية فقد وجب التعريف به وبنشــاطه الوطنى والسياسى فقد ولد محمد فريد بالقاهرة (٥١) فى ٢٠ يناير سنة ١٨٦٨ وهو ابن أحمد باشا فريد ناظر الدائرة السنية سنة ١٨٨٦ ووالدته هى السيدة سمية هانم ابراهيم من أسرة كبار تجار البهار فى مصر ٠ نال شهادة الحقوق سنة ١٨٨٧ وتفرغ بعد تخرجه للكتابة والتأليف وكان يجيد العربية والفرنسية ثم اشتغل بالمحاماة ثم عين وكيلا لقلم قضايا الدائرة النسائية وله عدة مؤلفات وطنية تاريخية (البهجة التوفيقية) عن محمد على باشا ثم (تاريخ الدولة العثمانية) ثم (تاريخ الرومان) وكان يجب السفر الى الخارج وحضور المؤتمرات ليدافع فيها عن قضية بلاده ـ وفى عام ١٨٩٨ انشأ مجلة (الموسوعات) بالاشتراك مع الأستاذ أحمد حافظ عوض ٠ عندما كان وكيل نيابة الاستئناف سنة ١٨٩٦ عرضت أمامه قضـية اتهام لجريدة المؤيد الوطنيـــة فى ذاك الوقت وكان رئيس تحريرها الشيخ على يوسف بحجة نشرها أخبار عن أحوال الجيش المصرى فى حملة دنقلة ٠ وتفشى الأمراض فى القوات المصرية وانتصار الدراويش عليهم وكلها معلومات كانت واردة بتلغراف كان تحت يد توفيق أفندى كيرلس أحد مستخدمى مكتب تلغراف الأزبكية واتهم هو الآخر بافشاء أسرار ـ وقام الأستاذ محمد فريد بصفته وكيل النيابة المختص بالتحقيق وعمل على ابعاد التهمة عن رئيس التحرير وموظف التلغراف مما تسبب فى اصـدار حكم البراءة عليهم مما جعل سلطات الاحتـلال المهتمة بالقضية تسخط على محمد فريد والمحكمة وتم نقله كجزاء له الى نيابات الوجه القبلى فى بنى ســويف ومغـاغة فقدم استقالته حفـاظا على كرامة المهنـة وقبلت الاستقالة فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ٠ وقد أكبر الوطنيون هذا الموقف للأستاذ محمد فريد ـ ثم عاد فاشتغل بالمحاماة سنة ١٨٩٧ ثم اعتزلها عام ١٩٠٤ لاهتمامه البالغ بالعمل السياسى والصحافة والكتابة والسفر الى الخارج للدفاع عن قضية مصر ومشاركة زميل كفاحه مصطفى كامل فى

---

(٥١) كتاب محمد فريد للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٢٣ ، ٣٢ ٠

جهاده . ومنذ بدء كفاحه كان هدفه الأساسى هو المطالبة بالجلاء فاتسمت نداءاته وخطاباته بالمطالبة بالجلاء بأسلوب يسبق المطالبة والمناداة بالدستور والحياة النيابية - وعندما تحالف الخديوى عباس بشكل أو بآخر مع المعتمد البريطانى الجديد سير الدوين غورست كان محمد فريد بالذات صريحا فى عدائه للخديوى وجاء فى أحدى مقالاته بجريدة اللواء يحمل على الخديوى عباس حملة عنيفة بقوله « مما يجب علينا اعلانه والجهر به أمام الملأ كله ان تصريحات الجناب العالى لا تفيدنا بأى حال .. ان كل مصرى لا يقبل مطلقا أن يكون حكم مصر ومصيرها بيد سمو الخديوى بمفرده أو بيد المعتمد البريطانى » .

كما كان صريحا الى أقصى الحدود (٥٢) فى تحديده لعلاقة مصر بتركيا عندما اشتم من عرض تركيا بعض المزايا عندما كان منفيا فى بلادهم سنة ١٩١٥ فقد صرخ مع أعوانه هناك « مصر للمصريين - نحن قد قاومنا الانجليز ونقاوم كل من يريد أن يأكلنا أيا كان لاننا نسعى وراء الاستقلال وحده » .

وبعد وفاة زميل كفاحه مصطفى كامل وتولى محمد فريد زعامة الحركة الوطنية فقد بادر محمد فريد وصبغها بطابع شخصيته الصلبة وثقافته الواسعة ووعيه البالغ بالأحداث فى مصر وتطور الأوضاع العالمية المحيطة ولم يكن مجرد استكمال لما بدأه سلفه مصطفى كامل لذلك فقد اتخذ موقف البذل والعطاء لشعب مصر بل اتخذ موقفا جماهيريا منذ اللحظة الأولى فأصبح بحكم اندماجه بالشعب يتلقى من الشعب آلامه ومعاناته ويعبر عنها التعبير الصادق ففى أول مؤتمر يعقده بعد وفاة مصطفى كامل ولأول مرة يضع برنامجا سياسيا قوميا لتحريك كافة القوى السياسية الاجتماعية فى البلاد على أساس بحث المشاكل الداخلية والخارجية وبناء على ذلك فقد وضعت الخطة لتوسيع آفاق الساحة الوطنية فالى جانب نادى المدارس العليا الذى يضم صفوة المثقفين فقد تبنى دعوة انشاء مدارس الشعب (٥٣) الليلية لتعليم العمال والفقراء مجانا - وبعد سنة من هذا المؤتمر تأسس نقابات العمال والصناع لأول مرة فى مصر فى الساحة الوطنية الشعبية انضم اليها غالبية أهل البلاد من الفلاحين وتنتشر مدارس الشعب بعد ذلك فى العواصم وتنشأ أول نقابة للعمال نقابة عمال الصنائع اليدوية ببولاق . وبمجرد ايجاد كيان لتمثيل العمال وظهرت فعلا الحركة التعاونية وبذلك بدأت الحركة الوطنية فى مصر تسير

---

(٥٢) بطولات مصرية للأستاذ نعمان عاشور ، ص ١٦٥ ، ص ٦٦٥ ، ١٦ .

(٥٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

سيرا شعبيا طبيعيا وعمليا نحو امكان تحقيق للهدف الأساسى وهو تحقيق الجلاء بأيدى المصريين أنفسهم دون الاعتماد على الأتراك ولا على الأوروبيين أو الفرنسيين · ففى المؤتمر الوطنى المنعقد فى سنة ١٩١٠ أعلن محمد فريد ضرورة الوصول الى جعل التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية وأن يكون لكل عاصمة مديرية مدرسة ثانوية على الأقل وأن تشكل النقابات الزراعية للدفاع عن حقوق الفلاح أمام الحكومة وأمام الملاك ـ وان تراعى حقوق العمال اليدويين ونقاباتهم ومجهوداتهم ـ ·· » وانه لا سبيل لأى حرية فى مصر الا أن يصبح الصانع والزارع فى مأمن من الفقر أو البطالة » ومن أهم مواقفه فى تلك المرحلة هو الدور الذى لعبه فى اجبار الحكومة الى دعوة مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية بتأييد (٥٤) من الرأى العام للنظر فى معارضة موضوع مد امتياز شركة قناة السويس(٥٥) وانتهى الأمر برفض الامتياز · وفضح محمد فريد بكتاباته تدخلات رئيس النظار بطرس باشا غالى (٥٦) لمصلحة الشركة والاحتلال ومن هذا الوقت تقريبا وأصبح العداء سافرا بين محمد فريد وسلطات الاحتلال والحكومة المصرية المتعاونة تماما مع هذا الاحتلال ـ وبعد مقتل بطرس غالى (٥٧) على يد الوردانى اتخذت الحكومة هذه الحادثة سببا لاضطهاد الحزب الوطنى فصار حبس كثير من أعضائه وتم تفتيش منازلهم ولما لم تجد الحكومة ما ترتكز عليه فى محاكمة محمد فريد وبعد براءة من اتهموا بمشاركة الوردانى أصدرت المحكمة قوانين استثنائية تحاكم على القصد الجنائى ، والمظاهرات وأصبحت الخطب والروايات التمثيلية خاضعة للرقابة وأصبح ذكر بعض الألفاظ أو الأسماء فى الصحف أو النشرات محل شك من السلطات وانتهزت الحكومة الفرصة واتخذتها ذريعة لمطاردة محمد فريد واخوانه فى هيئة تحرير اللواء (٥٨) وعندما ظهر كتاب (وطنيتى) ثم تسببت المقالة التى كتبها محمد فريد عن « تأثير الشعر فى الحركات الوطنية » والتى وصفها الشيخ الغاياتى فى صدر كتابه · وأقيمت الدعوى العمومية على محمد فريد وعلى المؤلف وعلى الشيخ عبد العزيز

---

(٥٤) كتاب محمد فريد للأستاذ الرافعى ، ص ١٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، الى ١٥٦ ·

(٥٥) محمد فريد للأستاذ الرافعى ، ص ١٥٣ الى ص ١٧٨ ·

(٥٦) المرجع السابق ص ٥٧ خطبة محمد فريد فى المؤتمر الوطنى فى ٢٠ يناير سنة ١٩١١ ·

(٥٧) خطبة محمد فريد فى المؤتمر الوطنى فى ٢٠ يناير سنة ١٩١١ ·

(٥٨) محمد فريد للأستاذ الرافعى ، ص ١٧٩ ·

جاويش لكتابتهما المقدمتين لهـذا الكتاب بدعوى (٥٩) أسلوبهما المثير المشعور المعادى للحكومة (الاحتـلال) وأجرى التحقيق الرجل البغيض وطنيا منذ نشأته الوظيفية فى النيابة محمد توفيق نسيم بحجة ان بالكتاب أمورا يعاقب عليها قانونيا • وأصدرت المحكمة بعد مرافعة توفيق نسيم رئيس النيابة وقتها وأصدرت حكمها بحبس الزعيم محمد فريد ستة أشهر مع النفاذ • وقوبل الحـكم بالسخط والمقت العـام سواء من أنصار أو خصـوم محمد فريـد والحزب الوطنى وتجاوبت الصحافـة الوطنية والأجنبية معا مع هذا السخط وظهر جليا من النشر والتعليق أو الأحاديث انه لم يكن المقصود هو المحاكمة بقدر ما كان المقصود هو التنكيل بمحمد فريد وبالحركة الوطنية والقاء الرعب والفزع فى صفوف الوطنيين بعد أن انتظمت صفوفهم بسرعة بعد وفاة مصطفى كامل فاستأنفوا الجهاد(٦٠) فى مواجهة الاستبداد والاستغلال لدرجة وصول هذه الدعوة الوطنية الى مجلس الشورى والجمعية العمومية المفروض وقوعها تحت سيطرة الحكومة وسلطات الاحتلال وقد اشترك فى هذه الحملة المسعورة الأشقاء الثلاثة التى جمعتهم « الانتهازية السياسية » وهم الاحتلال والخديوى والوزارة •

وفى يوم خروج محمد فريد من السجن بعد تمضية مدة الحبس يهتف فريد فى مستقبليه « مضى على ستة أشهر فى غيابات السجن ولم اشعر فيها أبدا بالضيق الا عند اقتراب أجل خروجى لعلمى انى خارج الى سجن آخر الأمة المصرية الذى تحده سلطة الفرد (الخديوى) ويحرسه الاحتلال » وسرعان ما تنتشر كلمات محمد فريد الصادقة بين الخاصـة والعامة • وتوالت الاجراءات التعسفية فى تعطيل وغلق الجرائد والمجلات الوطنيـة وتتزايد حلقـة القيـود الاستعمارية وعملاؤها الحـكام المصريون خصوصا بعد أن التفت الجماهير حول الحزب الوطنى وزعيمه محمد فريد وجماعته ففى عام ١٩١٢ انتهزت الوزارة فرصـة عقد المؤتمر السنوى للحزب الوطنى فى ٢٢ مارس سنة ١٩١٢ واتخذت ما جاء فى خطبة محمد فريد فى هذا المؤتمر وبخاصة قوله « بان عدم (٦١) التفات الحكومة الى ترقية شأن العـامل والفـلاح مرجعه الاحتلال الذى يريد أن تبقى هذه

---

(٥٩) لو كانت مقدمة محمد فريد للكتاب « على الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المدح فى أيام ومواسم معدودة وأن يستعملوا هذه المواهب فى خدمة الامة بدلا من أن يصرفوها فى خدمة الاغنياء وتملق الأمراء والتقرب من الوزراء ، فالحكام زائلون والأمة باقية •

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢٥٧ الى ٢٦٦ •

(٦١) مطولات مصرية للأستاذ نعمان عاشور ، ص ١٧٢ •

الطبقات كقطيع الغنم يؤمرون فيطيعون ، جاهلين حقوقهم وحقوق بلادهم »
وما ختم به خطابه بالتأكيد على « المطالبة بالدستور » فلم يمض يومان
فقط حتى استدعته النيابة وحققت معه على تهمة التحريض على كراهية
الحكومة وهى التهمة التقليدية التى اتخذت ذريعة منذ اعادة العمل بقانون
المطبوعات العتيق ص ٢٨٨ من الكتاب) وكان المؤتمر قد أصدر قرارا
بتجديد الاحتجاج على الاحتلال (٦٢) وارسال برقية بذلك الى وزير
خارجية انجلترا أو أصدر قرارا آخر يطلب اعادة العمل بالدستور وارسال
برقية بذلك الى الخديوى . واقيمت الدعوى العمومية على الفقيد بالتهمة
السابق الاشارة اليها وصار اتهام الأستاذ اسماعيل حافظ مدير جريدة
العلم (لسان حال محمد فريد) وعلى فهمى كامل مدير جريدة اللواء
لنشرهما الخطبة فى الجريدتين وأحيل الثلاثة الى محكمة الجنايات وكان
يتولى التحقيق على ماهر (باشا) وأثناء (٦٣) التحقيق مع محمد فريد
استقال وزير الحقانية سعد زغلول باشا فى ذلك الوقت فى مارس سنة
١٩١٢ (٦٤) وأعلن ان الاجراءات التى اتخذت ضد محمد فريد لم يؤخذ
رأيه فيها وكان ذلك ضمن أسباب استقالته وقام بالدفاع الأستاذ
عبد العزيز فهمى بك من ضمن هيئة الدفاع وأصدرت المحكمة بعد محاكمة
صورية حكمها بحبس محمد فريد سنة مع الشغل وحبس كل من اسماعيل
حافظ وعلى فهمى كامل (شقيق مصطفى كامل) بثلاثة أشهر حبسا بسيطا
وظهر من ملابسات اقامة الدعوى والتحقيق والمحاكمة ان الحكومة كانت
مصممة على أن تستمر فى ادخال محمد فريد السجن كلما خرج منه وبأى
تهمة وبأى أسلوب حتى توقف نشاطه الوطنى المتزايد والمؤثر جماهيريا
وكذلك العمل بأى طريقة على تعطيل وغلق الجرائد الوطنية وتكميم
الأفواه المطالبة بالاستقلال الحقيقى . ازاء هذه الظروف التعسفية عمل
زملاء كفاح محمد فريد والمؤسسة الوطنية على تهريب محمد فريد الى
الخارج قبل أن يقبض عليه لتنفيذ الحكم وفعلا تمكنوا من تسفيره الى الخارج
من ميناء الاسكندرية وهاجر فعلا فى ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ ولم يتمكن
من العودة بأى حال حيث كانت الحكومات المصرية وبتحريض من سلطات
الاحتلال له فى الدول المهاجر اليها وبخاصة فى الآستانة للقبض عليه
واعادته لتنفيذ هذا الحكم وكثير من أحكام صدرت ضده على تهم

---

(٦٢) كتاب محمد فريد الأستاذ الرافعى ص ٢٨٨ الى ص .

(٦٣) جريدة العلم لسان حال الحزب الوطنى عدد ٥ أبريل سنة ١٩١٢ .

(٦٤) جريدة العلم عدد ٢ أبريل سنة ١٩١٢ ذكرت أن اجراءات التحقيق والسير فى الدعوى ضد محمد فريد وصحبته اتخذت دون أخذ رأى الوزير المستقيل سعد زغلول كانت المخابرة فيها دائرة بين رئيس الوزراء محمد سعيد باشا (عدو سعد زغلول) والنائب العام .

أحرى معلقة ومن أشهرها قضية منشورات فهاجر الى جنيف وتنقل بعد ذلك بين العواصم الأوروبية وحضر جميع مؤتمرات السلام وعقد كثيرا من المؤتمرات دفاعا عن قضية بلاده التى أجبر على الهجرة منها شبه منفى ومطارد بأحكام شتى معلقة واستمر هكذا حتى عام ١٩١٩ وخلال ذلك اتصل بالحركة الاشتراكية وحركة السلام العالمية والأحزاب العمالية(٦٥) فى معظم دول العالم • وفى أحد مؤتمراته وكانت تنكرت له فرنسا مجاملة لحليفتها انجلترا منعت عقد المؤتمر بها فعقده فى بروكسل فى بلجيكا • ونجح محمد فريد فى جعل المسألة المصرية مسموعة فى معظم دول العالم الغربى • وأخيرا تمكن منه المرض فى بداية سنة ١٩١٩ وتوفى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ فى برلين وسعد باشا والوفد المصرى موجود فى باريس يكافح من أجل قضية استقلال مصر – فى أيام مرضه الأخيرة – كان مستبشرا بكفاح الشعب المصرى وبخاصة بعد سماعه أنباء توكيل الشعب المصرى للزعيم سعد زغلول وأصحابه للتكلم باسم مصر للمطالبة باستقلال مصر وجلاء الانجليز عنها •

---

(٦٥) بطولات مصرية للأستاذ نعمان عاشور ، ص ١٧٢ الى ص ١٧٧ •

سعد زغلول يتمرس فى الحياة العملية والخـــدمة العـــامة

منذ ان كان سعد زغلول الشاب يحضر(٦٦) مجالس الزعيم الاسلامى جمال الدين الأفغانى والعالم الدينى المجدد والشيخ محمد عبده ويشارك بشكل أو بآخر فى نشاط العرابيين قبل هزيمة جيش عرابى ثم اعتقاله بعد الهزيمة بتهمة تكوينه تنظيم سرى (جماعة الانتقام) فقد آثر بعد الافراج عنه الى اقتحام العمل الوظيفى فى مختلف الوظائف التى لها صلة بالقانون والاجتماع ثم استقال فجأة من وظائف الحكومة واشتغل بالمحاماة وبرز فيها وكل هذه الممارسات كان سعد يتناولها ويقوم بها على أساس أخـــلاقى وطنى فى حدود القانون وليس تملقا لحاكم أو محتل وانتصر لكثير من المظلومين فتكون له رصيد شعبى لا يستهان به ، ثم فجأة تعرض عليه وظيفة نائب قاض بمحكمة الاستئناف سنة ١٨٩٢ فقبلها ويتحول الى ساحة القضاء ويتكون له أثناء عمله بالقضاء رصيد شعبى لا يستهان به ليكون له مكان مرموق فى المؤسســة الوطنيــة المصرية ـ وكان سعد طوال حياته العملية متشبعا بتعاليم زعماء النهضة المصرية الصميمة التى تربط الاســتقلال والحرية بمدى تزويد الأمة بعــدة العلم (٦٧) واليقظة والمثابرة وهى وسيلة الاستعداد لهذا الاستقلال والمطالبة به وهى ما كان ينادى به جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ولذلك يمكن بتتبعنا للمسار الوطنى والسياسى لسعد زغلول الذى تفانى فى عمله العام بما يحقق(٦٨) هذه الأهداف الوطنية وبخاصة منذ أن عين وزيرا للمعارف(٦٩) فى ١٩٠٧/١٠/٢٨ وحتى منذ اشتغاله بالمحاماة ثم بالقضاء فلم تسنح له فرصة لخدمة الدعوة الوطنية الاصلاحية حسب اعتقاده الا وانتهزها وعمل فيها بكل ما هو قادر عليه ٠ فقد أيد وساعد كما سبق وذكرنا مصطفى

---

(٦٦) انظر كتاب (تراجم وسير) للأستاذ العقاد من ص ٨٢ الى ص ٨٠ (المجلد الثامن عشر) ٠

(٦٧) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقــاد ، ص ٩٨ ٠

(٦٨) المصدر السابق ، ص ١١١ الى ص ١٣١ ٠

(٦٩) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٥ الى ص ١٣١ ٠

كامل وعلى يوسف وغيرهما من الكتاب والصحفيين وقاسم أمين فى دعوته لتحرير المرأة واصلاح الحياة الاجتماعية • وأيد بكل قوته دعوة انشاء الجامعة المصرية وصدر من منزله منشورها الأول الى الأمة •

وجاء عام ١٩٠٦ بحادث دنشواى وتألب الرأى العام الداخلى والخارجى حتى فى بريطانيا نفسها ضد تصرفات سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر والتى بلغت القسوة فيها حدا كبيرا وكان من الطبيعى أن تعمل الحكومة البريطانية على امتصاص غضب الشعب المصرى منذ بدأت فى تنفيذ خطة ترمى الى اعطاء المصريين بعض الحرية وبخاصة فى شئون ادارة بلادهم ونظرا لما عرف عن سعد زغلول أثناء عمله بالمحاماة والقضاء من النزاهة والاستقامة والتمسك بالكرامة والسمعة الحسنة سواء فى دوائر سلطات الاحتلال أو بين عامة الشعب والمسئولين كما بينا سابقا وحيث كان سعد قد تعرف على اللورد كرومر والمعتمد البريطانى عن قرب فى صالون الأميرة نازلى فاضل (٧٠) والذى كان يجمع شمل كثير من المسئولين المصريين وكبار موظفى السلطة البريطانية والأدباء والمفكرين ، كما كان سعد أثناء عمله كمحام كان مكلفا من الأميرة بالنظر فى شئونها القانونية وساعد كل

---

(٧٠) مذكرات سعد زغلول الجزء الأول ص ٣٥٨ ، الأميرة نازلى فاضل هى ابنة الأمير مصطفى فاضل باشا أخو الخديو اسماعيل ، تربت تربية أوربية • وتزوجت بخليل شريف باشا أخو على باشا شريف سفير الدولة العثمانية بباريس ولما توفى عادت الى مصر واقامت بها وكان لها صالون يلتقى فيه أهل العلم والفن والادب من مصريين وأجانب واشتهر عنها ميلها للانجليز ، كانت تزور أختها رقية هانم فى تونس فتعرفت بالسيد خليل بو حاجب نجل قاضى المحكمة الشرعية بتونس فتزوجته ولكنها لم تعقب • وعاشت معه الى أن ماتت فى أول يناير سنة ١٩١٤ • وكانت على علاقة طيبة بمحمد فريد الذى كان يزورها فى تونس ويقول عنها • كنا على طرفى نقيض فى السياسة ولكنها كانت تحترم آرائى ، وكانت تكره مصطفى كامل وتتهمه بالمتاجرة فى الوطنية • وعندما كان مصطفى كامل مريضا دعت عليه بالموت أمام محمد فريد فقاطعها من ذلك الحين فيقول « لم أقابلها بعدها قط ، على أن صلتى بها كانت متينة » •

واختارت الأميرة نازلى فاضل سعد زغلول وكيلا لأعمالها بسبب شهرته فى المحاماة • وقد أتاحت هذه الفرصة لسعد زغلول الاختلاط بأوساط الطبقة الأرستقراطية فقد كانت الأميرة صاحبة صالون معروف وكان اشبه بمنتدى ادبى للمناقشة وتشجيع المواهب الممتازة وتوثقت علاقة سعد زغلول بصالون الأميرة وبخاصة بعد عودة الشيخ محمد عبده الى القاهرة من المنفى عام ١٨٨٨ وأصبح هو الآخر من أصدقاء الأميرة • وحيث كانت الأميرة تنتمى لفرع من الأسرة الخديوية يدعى أحقيته لولاية العرش • فكانت على علاقة سيئة مع الخديوى عباس حلمى لخلافها معه على أحقيتها فى مقررات حرمها منها الخديوى عباس ولذلك كونت علاقات طيبة مع الموظفين الانجليز وعلى رأسهم افيلين بارنج (لورد كرومر فيما بعد) ومن خلال تردد سعد على هذا الصالون تعرف عليه كثير من الموظفين الانجليز ومنهم بارنج كرومر •

ذلك على أن يقوم كرومر بترشيح سعد زغلول لمنصب وزير المعارف فى ١٩٠٧/١٠/١٨ كما ان الامام محمد عبده كان يتناول الحديث عن سعد زغلول بالخير دائما للمعتمد البريطانى كرومر • وكان وقتها يوجد بكل وزارة مستشار بريطانى له الحل والعقد •
وكان الوزير المصرى ما هو الا صورة ليس لها من الاختصاص سوى التوقيع على اقتراحات المستشار البريطانى • وكان فى وزارة المعارف وقتها مستشار بريطانى « دنلوب » ذاع صيته وأسلوب تسلطه وعجرفته وبراعته الاستعمارية والانفراد بشئون التعليم فى مصر والعمل على تدهوره وتشويهه وتجميده عند مستوى خاص لايصل بالمتعلمين المصريين الالمستوى توريد موظفين مطيعين للحكومة الخاضعة للاحتلال • وكان مما أذيع عن سعد زغلول قبل توليه هذه النظارة انه من دعاة اصلاح التعليم فى مصر والدعوة الى انشاء الجامعة المصرية ـ وازاء هذا وذاك سواء من مواصفات سعد والمواصفات المضادة عن المستشار البريطانى « دنلوب » المدعم بتأييد المعتمد البريطانى على طول الخط فقد حدث التصادم الحتمى بين العقليتين عقلية الوزير سعد الاستقلالية وعقلية « دنلوب » الاستعمارية المتسلطة والمتعالية ـ وكان سعد من اللماحة بمكان حيث كان دائم التصادم معه وهو على حق ولمصلحة أبناء بلده التلاميذ والمدرسين المصريين وكان الفصل فى الحكم بينهما دائما هو المعتمد البريطانى لورد كرومر وحسب المخطط البريطانى الجديد فى أسلوب التخفيف عن المصريين فقد كان غالبا ما ينصر سعدا عندما يكون الحق فى جانبه وبما يخالف تعسف المستشار البريطانى « دنلوب » • وتعمدت سلطات الاحتلال جعل وزارة المعارف وزارة من الدرجة الثانية فى مصر فلم تكن وزارة مستقلة بوزيرها بل كانت ذيلا ملحقا بوزارة الأشغال يحضر اليها الوزير مرتين فى الأسبوع فقط للتوقيع على ما هو مجهز له من المستشار البريطانى كل ذلك امعانا فى توسيع سلطات المستشار بما يحقق تدهور وتجميد التعليم فى مصر وأصبح هذا المستشار هو سيد الديوان (٧١) • وجاء سعد زغلول وزارة المعارف فى يدى هذا المستشار وفى يد أعوانه الانجليز والفرنسيين وما يليهم من كبار الموظفين المصريين الذين تعودوا على الا يطيعوا فيها الا الأجانب وعلى رأسهم المستشار « دنلوب » ولم يمض أسبوعان حتى استدعى سعد الموظف المكلف بتحضير الميزانية وكان فرنسيا يعتبره « دنلوب » هو وأعماله من اختصاصه فقط ولا يصح أن يتدخل أحد فى أعماله حتى ولو كان الوزير نفسه واستدعاه سعد وطلب منه عرض أعماله عليه وتلعثم

---

(٧١) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ، ص ١١٤ الى ص ١٣١ •

الرجل فأعطاه سعد مهلة ولما انقضى ميعادها استدعاه الوزير سعد زغلول للمرة الثانية ومستندا على اختصاصات الوزير وأمره لآخر مرة بتجهيز وعرض الميزانية عليه بعد فترة محددة ولآخر مرة ذكره باللوائح التى تعطى للوزير هذا الحق وذهب الموظف الفرنسى الى المستشار دنلوب وبلغه بما حدث فلم يرد المستشار أن يحرج نفسه فى مواجهة منطق الوزير سعد بالتمسك باختصاصه والذى دأب الوزراء السابقون بالتهاون فيها وأشار على الموظف الفرنسى بتنفيذ ما أمره به الوزير سعد زغلول وفعلا ذهب المختص الفرنسى بجميع أوراق الميزانية وعرضها على الوزير المصرى لأول مرة فى تاريخ وزارة المعارف منذ الاحتلال البريطانى وكان بطبيعة الحال لهذه الواقعة الصدى المسموع فى أوساط الأجانب والمصريين بأروقة وزارة المعارف وبالتالى فى أروقة باقى الوزارات مما أعطى الأمل لطبقة الموظفين المصريين وتسبب فى بعض الغيرة من زملاء سعد الوزراء الباقين لانهم غير قادرين على محاكاة سعد فى مثل هذه المواقف التى تركت أطيب الأثر بين المصريين عامة لما نقلت اليهم بطريقة أو بأخرى ـ ولم يمض الا مدة وجيزة حتى كانت كل ورقة من أوراق وزارة المعارف الهامة تعرض على الوزير سعد زغلول وهكذا مضى سعد فى سياسته بالتمسك بحقوقه واختصاصاته القانونية وكان يوجه الأمر وينتظر تنفيذه بمنتهى الشدة ٠

ثم حدث أن ناظرة مدرسة السنية للبنات اضطهدت احدى التلميذات (٧٢) فى غير حق وفصلتها ووصل خبر هذا الفصل التعسفى الى سعد زغلول وبحث شكوى التلميذة ووجدها على حق والناظرة الانجليزية على باطل فأمر باعادة التلميذة الى المدرسة ورفضتها الناظرة الانجليزية معتمدة على استنادها الى صلاتها بالمستشار البريطانى والمعتمد البريطانى ولما لم يجد منها تجاوبا أعادت التلميذة للمدرسة مع حرمانها من دخول الفصل مع التلميذات وحجزتها فى حجرة قريبة من البوابة لا تخرج منها الا باذنها ٠

وتناولت الصحف المصرية وبخاصة صحافة الحزب الوطنى (اللواء) لا هجوما على تصرف الناظرة ولكن بالتحدى لسعد الوزير فى ماذا سيتصرف أمام تشدد الناظرة الانجليزية حتى فى الباطل ، وبكر سعد بالذهاب الى المدرسة وبعد أن تأكد بنفسه من التفصيلات أمر فى الحال وبما له من حق قانونى فأمر بوقف الناظرة الانجليزية عن العمل واحالتها الى مجلس تأديب وأدخل التلميذة فى الحال الى الفصل وأخذت الصحف المحلية المصرية والأجنبية بالتعليق على هذه الواقعة كل بما يتراءى له ، فالصحف

---

(٧٢) نفس المصدر السابق ٠

الانجليزية كانت تندد بتصرفات سعد الجافة مع سيدة وعلى مرآى من مرؤوسيها في المدرسة وثبت سعد لهذا التهديد البريطاني وجعل استقالته كآخر ما يمكن أن يفعله ازاء أي مساندة للانجليز للناظرة وسارع وأعلن عن ميعاد التحقيق وانعقد مجلس التحقيق وكان قرار الادانة وصدر الحكم على الناظرة الانجليزية بالجزاء بالنقل الى مدرسة أقل درجة كناظرة لمدرسة المعلمات الأولية فى بولاق ـ والتفتت مصر كلها صحفيا وشعبيا الى هذه الواقعة فكان موقف الوزير المصرى سعد وتجاوب الشعب معه من ضمن الرصيد الوطنى له ليكون له مكان مرموق فى المؤسسة الوطنية المصرية دون أن ينضم اليها ـ وأصبح سعد مثلا لكل موظف مصرى بامكانه مقاومة الظلم والتعسف بالتمسك بالحق والقانون ـ ودارت الأيام وظهر أن هذه التلميذة المظلومة انجليزية والمنصورة مصرية هى السيدة التربوية المصرية الجليلة نبوية موسى من أشهر السيدات المصريات فى مجال تربية وتعليم الفتاة المصرية والتى كان لها مجموعة مدارس باسمها ٠

وحدث ان كانت دار الكتب الأميرية تابعة لوزارة المعارف (٧٣) وكان لها مدير ألمانى مستوردا من سلطات الاحتلال البريطانية وأراد سعد أن يوجهه الى نظام جديد فى دار الكتب باقتراحه بعض التطوير فيها٠ وتهاون المدير الألمانى بأوامر سعد وأسرف فى نهاونه وتجاهل وجود الوزير بأسلوب متعمد فأمر سعد ادارة المستخدمين بارسال «انذار» اليه كالذى يرسل الى صغار الموظفين٠ فقام الرجل وتعدى اللوائح كالمعتاد واتصل بالمعتمد البريطانى٠ وراجعت دار الوكالة سعد زغلول ورجته أن يردفه بخطاب خفيف اللهجة وتمسك سعد بموقفه بموجب اللوائح والقوانين وكانت النتيجة ان اعتذر هذا الموظف الألمانى لسعد وكسب سعد هذه المعركة أيضا فكانت هى الأخرى رصيدا له سواء بين الموظفين أو شعبيا على أساس انها مواقف جديدة من الوزراء المصريين اذا أرادوا التمسك بكرامتهم الوطنية والوظيفية ٠

وفى يوم دخل الدكتور (كينج) ناظر مدرسة الطب على مكتب سعد دون استئذان وكان رجلا بريطانيا متعجرفا وأبى سعد أن يصغى اليه ونبهه الى خطئه ووجوب الاعتذار فلم يجد الرجل مناصا من الاعتذار لأنه واجب تفرضه عليه آداب اللياقة وآداب الوظيفة ولم يعد الى ذلك الخطأ مرة أخرى ٠

---

(٧٣) نفس المصدر السابق ٠

ونفس هذا المدير (كينج) اعترض على مشروع للوزير سعد بايفاد الطلبة المصريين فى بعثات الى أوروبا لتعلم الطب هناك وكانت حجة الوزير (كينج) أن الطلبة المصريين غير مؤهلين لهذا النوع من العلم ، فقال له سعد وبكل اعتزاز « ألم يخطر لك يا دكتور كينج أن تبحث عن وزير غير مصرى يسجل على أبناء جلدته هذا العجز السرمدى » وبلغت المسألة اللورد « كرومر » فلم يسعه الا أن يوافق سعدا على مشروعه وكان سلاح سعد فى هذه المواقف الشجاعة هى قوة الحجة والشجاعة فى ابداء تلك الحجة والتى كانت تعتمد أساسا على الحق والقانون فكان من الطبيعى أن تنتقل أخبار مثل هذه التصرفات الغريبة الى المجتمع المصرى بسرعة البرق والى العامة وتولد فيها الأمل فى تحقيق الحرية والتخلص من التدخل الأجنبى فى شكل الاحتلال البريطانى فأضافت هذه التصرفات الى رصيده الوطنى حجما من الشعبية المكتسبة .

وكان لسعد غير هذه المواقف المتعددة برامج محددة لتطوير التعليم وبخاصة التعليم الشعبى فقام بجولات طويلة وموفقة فى جميع مديريات الوجه القبلى للوقوف بنفسه على أحوال الكتاتيب وعمل على تدعيمها بأكفأ المدرسين والفقهاء وبالميزانيات الكاملة وانتقاء النابغين من تلاميذها ليلتحقوا بالتعليم العام وكان هناك تلميذ صغير فى كتاب احدى قرى الصعيد أعجب سعد بحسن اجابته وذكائه المفرط وفصاحته الغير عادية أثناء توجيه سعد الأسئلة له فأمر سعد زغلول الوزير فى الحال بنقله الى المدرسة الأميرية فى البندر ومجانا - فلما علم المستشار «دنلوب» ذلك اعترض بشدة على تصرف سعد لأنه لم يكن يريد تعلم هذا النابغة مجانا وفى النهاية انتصر رأى سعد والتحق التلميذ بالتعليم العام المجانى . وأثبتت الأيام فراسة سعد حيث ان هذا الغلام الصغير النابغة وصل بجده وذكائه الى منصب وزير المعارف المصرية فيما بعد الا وهو الوزير القبانى . فكانت هذه الجولات المرهقة للوزير سعد بمثابة خدمة لا تقدر للطبقات الفقيرة من عامة الشعب فجعلت لسعد الوزير شعبية لا يستهان بها رغم عدم تنقله بين كواليس الأحزاب والتنظيمات السياسية المصرية والتى كان معظمها بشكل أو بآخر يلجأ الى سلطات الاحتلال أو يتمسح فى السيادة التركية الزائفة أو الأبهة الخديوية أو السلطانية الجوفاء .

قام الوزير (٧٤) سعد بعمل مشروع لتحسين مرتبات المدرسين وصغار الموظفين المصريين بوزارة المعارف واصطدم فى ذلك أيضا بتشدد المستشار البريطانى المالى ولكنه تمكن من توفير جانب من الميزانية

---

(٧٤) نفس المصدر السابق .

لذلك بحيث لا يرهق مالية الدولة بتخصيص ميزانية اضافية لذلك ، ثم فتح باب المجانية ليكون تعليم الفقراء بغير مصروفات ، وفتح باب المجانيه فعلا فى المدارس الثانوية عند التفوق وسهل بذلك الدراسة على الفقير المتفوق وفى نفس الوقت اشترط على التلميذ الذى يتعلم بالمجان فى المرحلة الثانوية أن يشتغل بالتدريس لأبناء وطنه لبضع سنوات ٠

واستمر سعد وزيرا للمعارف أربع سنوات عمل فيها ما فى طاقته متصديا لمعارك دائمة سواء مع المستشار « دنلوب » أو مع المعاونين الأجانب المسيطرين أو مع المستشارين الانجليز فى الوزارات التى لها علاقات بوزارة المعارف وطول مدة شغله لهذه الوظيفة العامة فقد أفاد التربية الوطنية بالقدوة الشخصية كما أفادها بالخطط والمشاريع والأعمال وكانت بداية ونهاية أعماله فى هذه الوزارة هى التمسك بحقوق الموظف المصرى باحترامه عمله ووظيفته ٠ واستمر وزيرا المعارف لمدة حوالى أربعة سنوات (من ١٩٠٧/١٠/٢٨ ـ الى مارس ١٩١٢) ٠

سعد وزيرا للحقانية

بعد مقتل بطرس غالى باشا (٧٥) رئيس الوزراء فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ كلف محمد سعيد باشا وزير الداخلية الأسبق بتأليف الوزارة الجديدة ٠ وكانت وزارة الحقانية من نصيب سعد زغلول وكان من المعروف أن محمد سعيد باشا رئيس الوزراء كان يغار من سعد ولم يكن هناك ود بينهما منذ عملهما معا بالقضاء كما أن سعد زغلول كان أولى منه برئاسة الوزارة ولكن الخديوى والمعتمد البريطانى تعمدا تخطى سعد زغلول واكتفيا باسناد منصب وزير الحقانية الى سعد تخلصا من تصادماته المتكررة مع المستشار البريطانى « دنلوب » فى وزارة المعارف وابعادا له عن رئاسة الوزراء لأن سعد أظهر أثناء شغله منصب وزير المعارف عطفه الدائم على الحركة الوطنية والتى اشيع حولها اتهام فى مقتل رئيس الوزراء بطرس غالى كما أن وزارة الحقانية كانت من الوزارات التى تبدو انها هامة للوهلة الأولى مع انه ليس لوزيرها الا جانب هزيل من الاختصاصات فالقضاء مستقل وليس للوزير التدخل فى أعماله الا بالمراقبة فقط كما أن الجانب التشريعى لم يكن بالكامل فى يد الوزير كما انها كانت أقرب الوزارات لتخصص سعد المحامى والقاضى ٠٠ ولكن سعد سرعان ـ وهو رمز للحقانية ـ ما اصطدم مع المعتمد البريطانى كتشنر ثم مع الخديوى لتمسكه بتنحية شخص يشغل أعمال القيم على أملاك احدى

---

(٧٥) المجلد الثامن عشر (تراجم وتفاسير) للأستاذ العقاد ١٣٧ الى ١٣٨ ٠

الأميرات المصريات التى خرجت على تقاليد الأسرة الخديوية بتزوجها من روسى مسيحى وعاقبها الخديوى عباس بمحو اسمها من الأسرة وتعيين قيم بمعرفته على أملاكها . وكان القيم قليل الذمة ولكنه صديق حميم لكتشنر واكتشف وزير الحقانية سعد زغلول بحكم اختصاصه أن حسابات هذا القيم بها خلل وأشار بتنحيته ـ وهذا الموقف من سعد أوغر صدر المعتمد البريطانى عليه وفى احدى مقابلاته لسعد فى دار المعتمد البريطانى حدثت بينه وبين سعد زغلول مشادة خرج بعدها سعد وقدم استقالة وذلك فى مارس سنة ١٩١٢ فى نفس الوقت الذى قدمت فيه النيابة الزعيم (٧٦) محمد فريد للمحاكمة على تهمة مزيفة بحجة التحريض على كراهية الحكومة وقام سعد بالتصريح للأستاذ / أمين الرافعى الصحفى بأن الاجراءات (٧٧) التى اتخذت ضد محمد بك فريد لم يؤخذ رأيه فيها بصفته وزيرا للحقانية وهذا من الأسباب التى جعلت سعد يعجل بتقديم الاستقالة كما ان جريدة العلم فى ٢ ابريل سنة ١٩١٢ جاء بها أيضا ان اجراءات التحقيق مع محمد بك فريد والسير فى الدعوى اتخذت دون رأى وزير الحقانية المستقيل (سعد زغلول) وكانت المخابرة فيها دائرة بين رئيس الوزراء محمد سعيد باشا وبين النائب العام . وبطبيعة الحال قدر العامة لسعد هذا الموقف الشجاع والصلب سواء ضد القيم المختلس أو من موقفه الوطنى الشريف ازاء محاكمة رئيس الحزب الوطنى محمد فريد وأضيف ذلك الى رصيد سعد الوطنى والسياسى ليكون من الأعضاء البارزين فى المؤسسة الوطنية المصرية رغم عدم انتمائه لأى حزب سياسى .

سعد فى المعاش (مارس سنة ١٩١٢)

اضطر سعد للاستقالة من الوزارة فى مارس سنة ١٩١٢ حفاظا على كرامته وتمسكا منه بالرأى فى الحق سواء فى موضوع القيم أم فى ملابسات تقديم محمد فريد للتحقيق والمحاكمة من خلف ظهره كوزير للحقانية بالاضافة الى اعتبار الاستقالة احتجاجا بشكل أو بآخر على تصرفات المعتمد البريطانى معه فى المشادة التى حدثت بينهما ـ كل ذلك كان من غير المألوف عن الوزراء المصريين حيث كانوا جميعا يفضلون بلع الاهانة والتفريط فى الكرامة فى سبيل البقاء فى كرسى الوزارة لأن هؤلاء المستوزرين لم يكن يمكنهم الوصول الى مركز الوزير الا وهم فى سن

---

(٧٦) محمد فريد للاستاذ الرافعى ، ص ٣٠٢ .

(٧٧) جريدة العلم لسان حال الحزب الوطنى عدد ٥ أبريل سنة ١٩١٢ .

متقدمة كما ان أى وزير كان لا يمكنه أن يقبل أى عمل آخر بعد تركه كرسى الوزارة ٠ فقد كانوا يتمسكون بالكراسى على حساب الكرامة ، ورغم ما اكتسبه سعد من احترام الرأى العام له على كل هذه المواقف الوطنية والشجاعة ٠ فقد كان محل غيرة ونقد ومهاجمة من الصحافة وبخاصة الصحافة التابعة لسلطات الاحتلال بالاضافة الى صحافة الحزب الوطنى نفسه ٠ وبمجرد أن قدم سعد استقالته عزم على النزول الى ساحة العمل الشريف فى مجال المحاماة مرة أخرى وعلى غير (٧٨) المألوف من الوزراء المقالين أو المستقيلين ، وبمجرد أن لمحت الصحافة المعادية لسعد بالخوض فى الافتراء عليه فى أسباب استقالته فسرعان ما انبرى سعد لهم بالتحدى بجرأة غير معهودة الا فى كل مناضل صلب منصديا لخصومه فى جريدة اللواء بالذات ٠ وكتب متحديا بكلمة وجيزة ولكن فيها كل معانى التحدى لآخر مداه « انكم يا هؤلاء تشوهون الحقيقة كأنكم لا تعرفونها ٠ فان كنتم تجهلونها وتسركم معرفتها ٠ فها أنا ذا على استعداد ٠٠٠ أتسكتون اذن ؟ أم تقولون الحقيقة حتى تسوقكم الى حيث تقال ! » وما هى الا أن أذاعت الصحف هذا النذير فسكتت المعارضة وتراجعت ٠

وعادت الحملة تشند على سعد (٧٩) بالتشهير والهجوم من الشيخ عبد العزيز جاويش من رجال الحزب الوطنى بعد أن عمل فى تحرير صحيفة اللواء بعد وفاة مصطفى كامل وأخذ الشيخ جاويش بالهجوم على سعد وشن عليه حملة انتقامية لموقف كان سعد قد اتخذه وهو وزير للحقانية حيث كان يطمع الشيخ عبد العزيز جاويش فى مركز نظارة مدرسة القضاء الشرعى عندما أنشئت فى عهد سعد زغلول وكان جاويش مفتشا لوزارة المعارف العمومية ولكن سعد أسندها وقتها الى زميل للشيخ جاويش فى التفتيش وهو عاطف بركات على أساس أنه أكفأ من يصلح لهذا المركز ولكنه كان ابن شقيقة سعد زغلول الوزير ، واعتبر الشيخ جاويش هذا التصرف من سعد محاباة واستثناء لابن أخت الوزير كما ان فيه معنى تخط للشيخ جاويش فيما هو يستحقه فأسرها الشيخ جاويش فى نفسه ولما سنحت له الفرصة فى تحرير جريدة اللواء ٠ انتهزها فرصة كرس كتابته وتفرغ للتشهير بسعد وتجريحه بمحاباة أقاربه وايثارهم على الكفاءة ووصلت درجة التشهير بسعد الى أن ادعى الشيخ جاويش على سعد أنه رغم ان المستشار الانجليزى « دنلوب » كان يكتب الخطب لسعد باللغة الانجليزية وان الشيخ جاويش كان ينتدب مع غيره لترجمتها الى العربية

---

(٧٨) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للاستاذ العقاد ، ص ١٥٢ الى ص ١٥٨ ٠

(٧٩) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٠ ٠

ليلقيها سعد باسمه وهو صاغر الى دنلوب ومغمض العينين وينبرى العقاد للشيخ جاويش بقوله ولا يفوتنا أن نلاحظ ان طريقى سعد وجاويش فى الوظيفة طريقان لا يلتقيان ، فسعد يعمل لاستقلال مصر بأيدى المصريين أما جاويش فانه تونسى مشمول بالحماية الفرنسية ولم يزل يتمسك بها الى يوم محاكمته فى قضية الكاملين وهو من دعاة الخلافة العثمانية البائدة ولا يريد (٨٠) لمصر الا منزلة الولاية التابعة من السيد المتبوع وكان الشيخ جاويش يطمع فى ولاية الأزهر بعد أن يتمكن الأتراك من اعادة فتح مصر • علما بأن الشيخ جاويش أشقى بصلته هذه بالأتراك الزعيم المصرى الصميم محمد فريد » •

وكانت هذه المعركة كلها فى غيبة من رئيس الحزب الوطنى محمد بك فريد حيث كان مهاجرا خارج البلاد تجنبا لاضطهاد سلطات الاحتلال له وتربصها به ليدخلوه السجن بالمحاكمات المزورة وسجنه عدة مرات والتربص به لأى هفوة أو شبهة وبذلك تحقق لهم عزله عن الشعب المصرى باستمرار وتحددت اقامته بالمهجر •

سعد وكيلا للجمعية التشريعية ٢٢ يناير سنة ١٩١٤
الى ١٧ يونية سنة ١٩١٤

عقب وفاة السير الدوين جورست المعتمد البريطانى تولى لورد كتشنر هذا المركز وفكر فى عام ١٩١٣ فى ترضية المطالبين بالدستور من المصريين فنادى بانشاء هيئة نيابية جديدة غير مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية •

مولد الجمعية التشريعية (أول يوليو سنة ١٩١٣) :

وصدر القانون النظامى بانشاء الهيئة الجديدة وسميت الجمعية التشريعية (وذلك فى أول يوليو سنة ١٩١٣) مشتملا على حقوق أوسع من حقوق المجلسين السابقين وان كانت فى جملتها أقرب الى القشور منها الى اللباب وجاء فى المادة الثانية من قانونها النظامى « انها تشكل من أعضاء قانونيين وهم النظار وأعضاء منتخبين وعددهم ستة وستون عضوا ينتخب أحدهم وكيلا بمعرفة الجمعية ، وأعضاء معينين وعددهم سبعة أعضاء

---

(٨٠) نفس المصدر السابق •
(٨١) من ص ١٥٩ الى ص ١٦٠ من الكتاب •

أحدهم رئيس وآخر وكيل والآخرون الخمسة عشر عضوا يراعى أن تشملهم الأقليات والمصالح التى لم تنل نصيبا فى الانتخابات ٠

سعد وبداية كفاحه الدستورى :

استوعب سعد هذا القانون التشريعى الجديد ولاحت لسعد زغلول المحامى والوزير بالمعاس فرصة لا تعوض لابراز شخصيته المناضلة وصمم على اقتحام هذا المجال وأجمع النية والتصميم على ترشيح نفسه لهذه الهيئة الجديدة كائنا ما كان نصيبها القانونى من الرقابة الدستورية لانه كان لا يجهل ما يستطاع عمله بالتزام النقد الصحيح والمحاسبة الدقيقة الموضوعية العادلة حتى ولو لم يكن من حقه القول الفصل فى أمر من الأمور ولما سأله الشيخ المنفلوطى « عما يستفيده سعد من اجهاد نفسه فى شئون قلما تنال فيها الأغلبية فى الجمعية ؟ أجاب سعد جواب الرجل الذى يعرف مكانه بالضبط من عمله ويعرف السلاح الذى يشحذه فى نضاله أجاب « سواء لدى نجحت أم لم أنجح فانى لا أخطب فى الجمعية التشريعية وحدها بل فى الأمة جميعها ٠ ولا أخاطب الحاضر وحده بل أخاطب المستقبل أيضا ٠

وكان من المفروض على أساس أن سعدا يتقدم لترشيح نفسه عن طريق أى حزب من الأحزاب أن تكون المعركة الانتخابية له عنيفة ، ولكن العكس هو الذى حدث ان الأحزاب السياسية التى فى الساحة كانت أحزابا برامجها مشبوهة بالتقرب والتعاون بشكل أو بآخر من أعداء البلاد ما عدا الحزب الوطنى وكان أيضا مشبوها ومتهما بتورطه فى علاقات مع الخديوى المكروه شعبيا ومع تركيا التى لا يعتمد عليها ومع فرنسا التى انحازت لجانب بريطانيا فجأة بعد اتفاق سنة ١٩٠٤ بالاضافة الى أن هذه الأحزاب كانت أحزابا سياسية وليست برلمانية ولا تصلح له حول معارك انتخابية سليمة وكانت كلها بمثابة أندية سياسية يجتمع فيها الأصدقاء والزملاء المتعارفون ولا يتعدى حدود القاهرة والعواصم الكبرى بالاضافة الى أن هذه الأحزاب كانت قد ضعفت فى هذا الوقت فالحزب الوطنى كان قد تفرق بعد وفاة مصطفى كامل وسجن خليفته محمد بك فريد ثم اضطر للهجرة من اضطهاد السلطات له ، وحزب الأمة ضعف بعد رحيل كرومر الذى كان يسانده ، وحزب الاصلاح لم يكن شيئا مذكورا من بداية تكوينه وخاصة بعد وفاة رئيسه الشيخ على يوسف صاحب المؤيد فلم يتقدم أى مرشح من هذه الأحزاب بأى برنامج سياسى واضح ٠ ورغم أن سعد زغلول لم يكن ينتمى لأى حزب فقد تقدم ببرنامج شخصى واضح المعالم يعتبر فى مقام برنامج حزبى عريق وكان هذا البرنامج

يشتمل على تبنى قضايا حيوية تهم الجماهير بالمقام الأول بعد طول معاناة من المخطط الاستعمارى للاحتلال البريطانى الذى طال بقاؤه فعمل على تجميد تقدم البلاد فكان برنامج سعد كالآتى :

(أ) وعود بتعديل واصلاح قوانين المحاكم بما يكفل العدالة وسرعة البت فى القضايا وضمان حقوق المتقاضين ·

(ب) وعود باصلاح أحوال التعليم والمدارس والتوسع فيها حتى يعم جميع طبقات الأمة وحتى يتيسر لأبناء الفقراء أن ينبغوا كأبناء الأغنياء·

(جـ) اصلاح حال الخدمات التى تمس حياة الجماهير من اصلاح الطرق والكنس والرش والانارة · ·

(د) وعود باصلاح حال الفلاحين وتوفير احتياجاتهم من وسائل الانتاج الزراعى ومن السكك الحديدية والطرق الزراعية ودراسة أسعار القطن بما يعود على الفلاحين بالخير ·

ولذلك فقد نجح سعد فى الانتخابات بشكل غير منتظر وتفوق على جميع المرشحين الحزبيين وذلك فى دائرتين من دوائر العاصمة وليس عن دائرة واحدة أى ممثلا لنصف مدينة القاهرة مركز الثقل الواعى بمصر وكان نجاحا فاق كل تقدير ·

وعندما تقدم سعد للترشيح لمركز الوكيل المنتخب من أعضاء الجمعية ظهر أن لسعد أغلبية من المؤيدين حتى من أعضاء الأحزاب التقليدية نفسها وهى مجموعة استمرت فى مساندة وتأييد سعد فى كل معاركه البرلمانية وكانت معظمها من العناصر الشابة المستنيرة والمثقفة بدرجة عالية وهذه المجموعة هى التى اعتمد عليها سعد فى كفاحه الطويل فاعتبرت أساسا متينا للمؤسسة الوطنية المصرية المطابقة لهذا الوقت وهذا الظرف وهذا الزمن ·

وظهر جليا بعد نجاحه كوكيل منتخب أنه لم يدخل الجمعية التشريعية (٨٢) ليتفوق فيها على أعضاء الوزارة وأحزابهم لعدد الأصوات ومناورات الكثرة والقلة ولكن الوزارة برمتها لم تكن لها النفوذ المؤثر فى سياسة البلاد بمقدار ما كان لسعد النائب فى الجمعية التشريعية وبغير كثرة عددية ·

---

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٠١ ·

واستمرت شخصية سعد طول مدة انعقاد الجمعية التشريعية هى الشخصية المرموقة والمميزة وطنيا وسياسيا بفضل مناقشاته وتصدياته الموضـوعية بالحق والمنطق خلال الجلسات ـ وكان دائما رأيه ومواقفه تتطابق مع الرأى الراجح فى جميع المسائـل مع رأى الطـائفة المتعلمة والمستنيرة من أعضاء الجمعية التشريعية • وتزعم سعد من وقتها حملة المعارضة فى أخطر القضايا والمواضيع التى تهم الرأى العـام وقتها وفى مقدمتها موضوع اصراره وتمسكه بوجوب عـرض ميزانية الأوقاف على الجمعيـة التشريعيـة والتى كانت من اختصـاص الخـديوى فقط وتمكن أثناء مناقشاتها بالحق والمنطق أن يستقطب أغلبية النواب وحصل من رئيس الوزراء حسين رشدى باشا على وعد صريح بأن يكون السير فى نظرها مطابقا للسير فى بحث ميزانية الحكومة ـ والرأى العام اعتبر هذا النجاح بمثابة رقابة شعبية طارئة كان الخديوى عباس يرفضها •

أما الموضوع الثانى والذى تصدى (٨٣) له سعد زغلول زعيم المعارضة فهو مطالبته بحماية الشركات التعاونية من استبداد الحكومة واقترح سـعد أن يحال النظر فى حلها الى القضـاء وليس برأى مجلس الوزراء لتحقيق الضمانات اللازمة لحماية هذه الشركات التى تعبر عن مصـالح الشعب وأمواله • ونجح سـعد بفضل منطقه الموافع عن الحق بالحصـول على التأييد من أغلبية أعضـاء الجمعية التشريعيـة وانتهت المناقشة باضافة قيد الى حق الحل وكان فى صالح التعاون نفسه وهو قيد على الحل فى الأمور السياسية التى من شأنها الاخلال بالأمن العام فقط •

كما نجح سعد أيضا فى تجميع النواب الشباب حول موقف سعد فى تجريح « قانون الخمسة أفدنة » والذى كان يعتبر القانون الذى خلقه اللورد كتشنر بحجة للغالبية من شعب مصر الفـلاحين لاسترضـائهم • وجعله بفضل هذه الحملة من أبغض القوانين للفلاحين •

ومن أخطر المعارك التى خاضها سعد أيضا وانتصر فيها هو موضوع وكيل الجمعية التشريعية المنتخب وحقه فى رئاسة الجلسات عند غياب الرئيس وليس للوكيل المعين على أساس أن صلاحيـات الوكيل المنتخب مستمدة من تمثيله للشعب وليس من تعيين الحكومة •

---

(٨٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٦ الى ص ١٧٧ •

كل هذه المعارك البرلمانية الناجحة والتى مارسها مع مجموعة لا يستهان بها من نواب الجمعية التشريعية على غير سابق تنظيمى معهم فى حزب أو خلافه جعلت لسعد داخل الجمعية التشريعية مجموعة مؤيدين من رجالات مصر سواء داخل الجمعية أو خارجها وما لهم من أتباع ومؤيدين من مصر فكان سعد وكيل الجمعية التشريعية والغير منضم لأى حزب بهذه المجموعة من أحرار شباب الأحزاب التقليدية ومؤيديهم بمثابة مؤسسة وطنية جديدة تعود أعضاؤها من النواب ان يتخذوا قول سعد زغلول فى مواطن الخلاف مثلا يحتذى للسداد والنزاهة عن الهوى فاجتمع له من الوجهة الرسمية نفوذا أدبيا لا تقل عن نفوذه من الوجهة القومية فتجمعت له امكانيات وصفات الزعامة من قبول وملاحه وقوة حجة وبيان وثقة بالاضافة الى شخصيته المحبوبة الآسرة وجاذبيته الشعبية ٠

ومن أقواله المأثورة فى مجال الرد على أحد النواب المعادين والذى اتهمه بحب الزعامة « أنك ان شئت أن تعرف حقيقتى فاعلم اننى رجل قد وضعت تحت تصرف أمتى عقلى واختيارى وبيانى ، فان استفادت الأمة من عملى فذاك ما يجعلنى سعيدا والا فهو واجب قد أخذته على نفسى فأنا أقوم به لأريح ضميرى — أما الذى يسرنى ويشرفنى فهو أن أكون خادما لكم لا زعيما » ٠

وانعقدت الجمعية التشريعية لأول ولآخر مرة فى الدورة من٢٢ يناير سنة ١٩١٤ وانفضت فى ١٧ يونيو سنة ١٩١٤ على أن تعود الى الانعقاد فى أول نوفمبر حسب القانون النظامى ولكنها لم تنعقد بعد ذلك لنشوب الحرب العالمية الأولى فى ١٤/٧/١٩١٤ وصدرت مراسيم سلطانية ثم أمر عال فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٤ بتأجيل اجتماعات الجمعية التشريعية واستمرت البلاد محرومة من أية هيئة نيابية لمدة عشر سنوات كاملة حتى اعلن دستور سنة ١٩٢٣ ٠

تحرك المؤسسة الوطنية

فى آخر عام ١٩١٨ كان الجميع فى مصر وبخاصة أعضاء المؤسسة الوطنية بزعامة سعد الروحية فى انتظار اعلان الهدنة المطالبة دولة الاحتلال والحلفاء بتنفيذ وعودهم باعطاء مصر حق تقرير المصير طبقا لاعلان ويلسون الرئيس الأمريكى (٨٥) بمبادئه الأربعة عشر وبخاصة أن

---

(٨٤) من ص ١١٤ الى ص ١١٩ من الكتاب ٠

(٨٥) ص ٥٣ ، ٥٤ من الكتاب ٠

المعونات البشرية والمادية والعسكرية التى قدمتها مصر لبريطانيا والحلفاء أثناء الحرب (٨٦) كانت من أهم أسباب انتصار الحلفاء على الأتراك فى الحرب – ولما كان أعضاء الجمعية التشريعية الموقوف اجتماعها هم القادة الشعبيون الممثلون للشعب المصرى بالانتخاب فكانوا بزعيمهم سعد بمثابة قطاع لا يستهان به من المؤسسة الوطنية فكانوا أصلح من يمثل شعب مصر للمطالبة بالاستقلال سواء فى المحافل الدولية أو من دولة الاحتلال نفسها . وبعد اعلان الهدنة رسميا بين ألمانيا والحلفاء فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ وباعلانها انتهت الحرب العالمية ودولة الاحتلال فى مصر وكون المصريون وفدا للمطالبة باشتراك هذا الوفد فى مؤتمر الصلح الذى كان سيعقد فى باريس ولذلك فكر سعد زغلول وأصحابه قبل اعلان الهدنة (٨٧) بمدة ودعا أصحابه من أعضاء الجمعية التشريعية للاجتماع فى استراحته فى مسجد وصيف فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٨ للتحدث فيما ينبغى عمله عندما تسنح الفرصة للبحث فى المسألة المصرية بعد أن تعلن الهدنة فأجاب الدعوة كل من محمد محمود باشا ، وأحمد لطفى السيد بك ، واعتذر عبد العزيز فهمى لمرضه .

وفى هذا الاجتماع اتفقوا على شكل المطالبة بالاستقلال وعلى كيفية تشكيل وفد المفاوضات .

وفى نفس الوقت تقريبا كانت هناك محاولة أخرى من أحد أجنحة الحزب الوطنى والموجود زعيمه فى الخارج منذ مدة طويلة هربا من اضطهاد سلطات الاحتلال له – اجتمع هذا الجناح مع محمد سعيد باشا صديق الأمير عمر طوسون ومعهم اسماعيل صدقى وبحثوا فى تأليف وفد آخر للسفر الى أوروبا ورشحوا الأمير عمر طوسون لرئاسة هذا الوفد لاحراج سعد وقطع خط الرجعة عليه ومن المعروف ان كل ذلك كان بتدبير الرجل الخبيث محمد سعيد والمعروف بعلاقته الغير حميمة بسعد منذ كان زميلا له بالقضاء وكان دائم الغيرة منه وكان سعيد باشا مشهورا بتدبير الدسائس وباستخدام الأساليب الملتوية فى الوصول الى أغراضه .

واتصل الأمير عمر طوسون بسعد زغلول لاحراجه بقبول رئاسة الأمير عمر طوسون . وسارع زملاء سعد بالتصرف السريع اللازم لقطع خط الرجعة على الأمير عمر طوسون ومستشاره الخبيث محمد سعيد باشا فقاموا باعلان اختيار سعد لرئاسة وفد أعضاء الجمعية التشريعية وبخاصة

---

(٨٦) من ٤٠ الى ٤٨ من الكتاب .

(٨٧) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ، ص ٢٠٠ .

لانه كان فى منزلة رئيس الجمعية حيث كان الوكيل المنتخب والرئيس كان بالتعيين - وفى وسط هذه الدوامة من مؤامرات محمد سعيد باشا تسربت الأخبار الى اسماع السلطان فؤاد والذى كان يحذر من نشاط الأمراء السياسى فأصدر أمره لتبليغ الأمير طوسون بالكف عن نشـاطه السياسى وعدم التدخل فى شئون الدولة ٠

- ثم أعلنت الهدنة يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ ، وبادر سعد باشا (٨٨) وأصحابه الى طلب المقابلة مع السير ريجنالد وينجت المعتمد البريطانى ، وذهب لهذه المقابلة سعد باشا وصاحباه على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك والثلاثة من أعضاء الجمعية التشريعية وفيهم الكفاية لتمثيل مصر وكانت المقابلة قبل ظهر يوم١٣ نوفمبر ١٩١٨ - بعد اعلان الهدنة بيومين، وكان محضر جلسة هذه المقابلة - التاريخية - يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ والذى سطره عبد العزيز فهمى بك بصفته من ذوى الأعمال الفكرية ٠٠ على النحو التـالى :

- بدأ سيروينجت الحديث بقوله (٨٩) :

« ان الصلح اقترب موعده وان العالم بدأ يفيق من غمرات الحرب التى شغلته زمنا ، وأن مصر سينالها غير كثير وان الله مع الصابرين وان المصريين هم أقل الأمم تألما من أضرار الحرب ، وأنهم مع ذلك استفادوا منها أموالا طائلة ، وان عليهم أن يشكروا دولة بريطانيا العظمى التى كانت سببا فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم » ٠

فأجاب سعد :

« ما يكون انجلترا فعلته خيرا لمصر فان المصريين بالبداهة يذكرونه لها بالشكر ، وان الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق الا تنظيف آثاره وأنه يظن أنه لا محل لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات وان الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة كى ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذى تولاهم أكثر من أربع سنوات » ٠

---

(٨٨) نفس المصدر السابق - ص ٢٠٥ ٠

(٨٩) « ذكريات اجتماعية وسياسية » - للاستاذ محمد على علوية - اصدار المركز العربى للبحث والنشر والثقافة سنة ١٩٨٢ - من ص ٨٢ حتى ص ٨٩ ٠

— **فقال سير وينجت :**

« حقا انه مبال لازالة المراقبة المذكورة ، وانه تخابر فعلا مع القائد العام للجيوش البريطانية فى هذا الصدد ، ولما كانت هذه المسألة عسكرية فانه يعد بعد تمام المخابرة والاتفاق مع القائد سيكتب للحكومة البريطانية ويأمل الوصول الى ما يرضى شعب مصر ... » ، **ثم قال :** « ... يجب على المصريين أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه متى فرغت من مؤتمر الصلح ، فانها ستلتفت الى مصر وما يلزمها ، ولن يكون الأمر الا خيرا » .

— **فقال سعد زغلول :**

« ان الهدنة قد أعلنت والمصريون لهم الحق أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ، ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذى تريده انجلترا لهم » .

— **فقال وينجت :**

« يجب ألا تتعجلوا ، وأن تكونوا متبصرين فى سلوككم ، فان المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة » .

— **فقال سعد باشا :**

« ان هذه العبارة مبهمة المعنى ولا أفهم المراد منها » .

— **فقال وينجت :**

« أريد أن قول ان المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر » .

— **فقال سعد :**

« لا أستطيع الموافقة على ذلك ، فانى ان وافقت أنكرت صفتى ، فانى منتخب فى الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك » .

— **فقال وينجت :**

« انه قبل الحرب كثيرا ما كان يحصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى ، وكان ذلك بلا تعقل ولا روية فأضر ذلك مصر ولم ينفعها ، فما هى أغراض المصريين » .

— **فقال على شعراوى :**

« اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر » .

— **فقال سير وينجت :**

« اذن أنتم تطلبون الاستقلال » .

— **قال سعد :**

« ونحن أهل له ، وماذا ينقصنا ليكون لنـا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة » .

— **فقال وينجت :**

« ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم » .

— **فقال عبد العزيز فهمى :**

نحن نطلب الاستقلال التام ، وقد ذكرتم جنابكم أن الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد ، فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وغاية الأمـر أن طريقة الطلب التى سار عليهـا الحزب الوطنى ربما كان فيها ما يؤخذ وذلك راجـع الى طبيعة الشـبان فى كل جهة ، فلأجـل ازالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب فى تنفيذ مبدئه الأساسى — وهو مبدأ كل الأمم أى الاستقلال التام ، فقد قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الاجراءات وأسسـوا حزب الأمة وأنشـأوا صـحيفة « الجريدة » وكان مقصدهم هم أيضا الاستقلال التام ، وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى وذلك معروف من الجميع والغرض منه هو خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ، ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه ، فان أمتنـا أرقى من البلغـار والصرب والجبل الأسود وغيرها من الأمم التى نالت الاستقلال قديما وحديثا » .

— **فقال وينجت :**

« ولكن نسبة الأميين فى مصر كبيرة لا كما فى البلاد التى ذكرتهـا الا الجبل الأسود والألبان على ما أظن » .

— — فقال عبد العزيز فهمى :

« ان هذه الجنسية مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم ، فان لمصر تاريخا قديما وسوابق فى الاستقلال التام · وهى قائمة بذاتها ، وسكانها عنصر واحد ذو أمة واحدة وهم كثيرو العدد وبلادهم غنية ، وبالجملة فشروط الاستقلال التام متوفرة فى مصر ومن جهة نسبة الأميين المتعلمين فهذه مسألة لا دخل لها فى الاستقلال كما قدمت لأن الذين يقودون الأمم فى كل البلاد أفراد قلائل ، فانى أعرف ان لانجلترا وهى بلاد العظمة والحرية عند أهلها ثقة كبرى بحكومتها ، فأرباب الحكومة وهم أفراد قلائل هم الذين يقودونها وهى تتبعهم بلا مناقشة فى كثير من الأحوال لشدة ثقتها بهم وتسليمها لهم ، ولذلك فمجلس نوابها ليس كل أفراده العاملين ودائما العامل منهم فئة قليلة ، فبلاد مصر يكفى أن يكون فيها ألف متعلم ليقوموا بادارتها كما ينبغى وهى مستقلة استقلالا تاما ، ونحن عندنا كثير من المتعلمين بدليل أن أولى الحل والعقد تسمع منهم فى كثير من الأحيان أن التعليم زاد فى البلد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين العاطلين ، وأما من جهة تشبيهنا بالطفل يتخم اذا غذى بأزيد من اللازم ، فاسمحوا لى أن أقول ان حالتنا ليست مما ينطبق عليها هذا الشبه ، بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الأطباء استحال عليهم أن يعرفوا من أنفسهم موقع دائه بل هو نفسه الذى يحس بألم ويرشد اليه فالمصرى وحده هو الذى يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيده من الأشغال العمومية فى القضاء وغير ذلك، فالاستقلال التام ضرورى لرقينا» ·

— فقال سير وينجت :

« أتظنون أن بلاد الصرب وقد أخذت الاستقلال ستعرف كيف تسير نفسها » ·

— فقال عبد العزيز فهمى :

« ان معرفة ذلك راجعة للمستقبل ، ومع ذلك فذا كانت بلاد الصرب وهى دون مصر بمراحل وقد أخذت استقلالها فمصر أجدر بذلك » ·

— فقال وينجت :

« قد كانت مصر عبدا لتركيا ، أفتكون أحط منها لو كانت عبدا لانجلترا » ·

— فقال شعراوى باشا :

« قد أكون عبدا لرجل من الجعليين ، وقد أكون عبدا للسير وينجت الذى لا مقارنة بينه وبين الرجل الجعلى ومع ذلك لا تسرنى كتا الحالتين لان العبودية لا أرضاها ولا تحب نفسى أن تبقى تحت ذلها ، ونحن كما قدمت نريد ان نكون أصدقاء لانجلترا صداقة الاحرار لا صداقة العبيد .

— قال وينجت :

« ولكن مركز مصر حربيا وجغرافيا يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير انجلترا » .

— فقال سعد :

« متى ساعدتنا انجلترا على الاستقلال التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استغلالنا والمساس بمصلحة انجلترا ، فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » .

— ثم قال على شعراوى :

« يبقى أمر آخر عند هذا الحد وهو حقوق أرباب الديون من الأجانب فيمكن بقاء المستشار الانجليزى بحيث تكون سلطته هى سلطة صندوق الدين » .

— وقال سعد :

« نحن نعرف الآن أن انجلترا أقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية وانا نعترف بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر فنطلب باسم هذه المبادىء أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحرر للحر واننا نتكلم بهذه المطالب بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء نسافر لنتكلم فى شأنها مع ولاة الأمور فى انجلترا ولا نلتجىء لسواك ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ، ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلعا على أحوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب » .

— فقال وينجت :

« قد سمعت أقوالكم وانى أعتبر محادثتنا محادثة غير رسمية بل بصفة حبية ، فانى لا أعرف شيئا عن أفكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد ، وعلى كل فانى شاكر زيارتكم وأحب لكم الخير » .

فشكره الثلاثة عن حسن مقابلته ثم انصرفوا حيث كانت الساعة الثالثة عشرة ·

ورجع الثلاثة سعد وشعراوى وعبد العزيز واجتمعوا مع باقى الزملاء أعضاء الوفد المنتظرين نتيجة المقابلة وكلفوا جميعا عبد العزيز فهمى بك بكتابة تقرير على شكل محضر لما دار فى هذه الجلسة ·



تكوين وفد المفاوضات

وبعد تحرير محضر المقابلة مع سير وينجت (٩٠) وبحضور أعضاء الوفد المقترح أجمع الجميع على رئاسة سعد للوفد وتم الاتفاق على تكوين وفد المفاوضات وتم وضع قانون للسير عليه ·

قانون الوفد

المادة الأولى :

تأليف وفد باسم الوفد المصرى من حضرات : سعد زغلول باشا – رئيسا – وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز بك فهمى ومحمد على علوبة (٩١) وعبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود وأحمد لطفى السيد واسماعيل صدقى وسنيوت حنا وحمد الباسل وجورج خياط ومحمد أبو النصر ومصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى ·

والمادة الثانية :

ان مهمة هذا الوفد هى السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما ·

---

(٩٠) ذكريات اجتماعية وسياسية للأستاذ محمد على علوبة – المركز العربى للبحث والنشر – القاهرة سنة ١٩٨٢ – ص ٧٩ حتى ٨٢ ·

(٩١) لم يكن سعد زغلول ينتمى لأى حزب أما شعراوى ومحمد محمود ولطفى السيد فكانوا ينتمون لحزب الأمة ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتى من الحزب الوطنى وعبد العزيز فهمى كان صديقا حميما لأعضاء حزب الأمة وكانوا جميعا أعضاء فى الجمعية التشريعية عدا محمد محمود وأحمد لطفى السيد وكان فقط رئيس تحرير « الجريدة » الصحفية الناطقة بلسان حزب الأمة ·

والمادة الثالثة :

ان الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأسا أو بواسطته أو من بينهم بالهيئات النيابية ٠

وفى المادة الرابعة :

لا يسوغ للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها فليس للوفد أو لأحد من أعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى استقلال مصر استقلالا تاما ٠

وفى المادة الأخيرة :

يعين الوفد لجنة تسمى باللجنة المركزية لجمع التبرعات ومراسلة الوفد بما يهم من شئونه ٠

فكرة التوكيل :

كان هناك اتفاق بين أعضاء الوفد ورئيس الوزراء (٩٢) حسين رشدى باشا على مقابلة المعتمد البريطانى ، وذهب الثلاثة : سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى لمقابلة حسين رشدى فى وزارة الداخلية ـ وكان قد بلغهم أنه سيؤيد مسعاهم وأن الوزارة ستشد من أزرهم وتقف فى صفهم وأبلغوه بما تم فى مقابلتهم لسير « وينجت » المعتمد البريطانى ـ وفى نفس الوقت أبلغهم حسين رشدى باشا أنه رفع خطابا الى السلطان فؤاد لاستئذانه بالسفر مع عدلى باشا يكن الى لندن للتفاوض مع الحكومة البريطانية وأنه قابل بعد ذلك سير وينجت وكاشفه بفكرة سفره الى لندن مع عدلى باشا للتفاوض ـ وقال فى آخر اللقاء ـ عرضا ـ أن سير وينجت أبلغه أثناء عرض فكرة السفر عليه « أنه مندهش لأن ثلاثة رجال : سعد وشعراوى وعبد العزيز فهمى حضروا اليه يتحدثون عن أمر أمة بأسرها دون أن يكون لديهم ما يخولهم صفة التحدث باسم الأمة » ، وقال رشدى باشا انه أجاب على استفساره قائلا : « بأن لهم هذه الصفة ـ اذ أن سعدا هو الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية وكذلك فان عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى فهما عضوان أيضا فى الجمعية التشريعية وهى الهيئة التى كانت تمثل الأمة من الوجهة التشريعية والنظامية ٠

---

(٩٢) « ثورة ١٩١٩ ـ تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ حتى ١٩٢١ » ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى (جزء أول) ، ص ٧١ ٠

وأوصى ما جاء بهذا الحديث بفكرة أهمية الحصول على توكيل من الأمة حتى يقطعوا خط الرجعة على ألاعيب سلطات الاحتلال والحكومة البريطانية حال احتجاجها شرعيا عليهم كممثلين للأمة .

صيغة التوكيــــل :

وضع الوفد صيغة أولى للتوكيـل ، ولم ترض (٩٣) هذه الصيغة بعض أعضاء الحزب الوطنى لخلوها من النص على الاستقلال التام وخلوه أيضا من الاشارة الى السودان ، فذهب أربعة من أعضاء الحزب الوطنى الى منزل سعد زغلول وراجعوه فى شأن الصياغة الأولية القاصرة وبأسلوب فيه شئ من الحدة وهم الأساتذة عبد المقصود متولى ومصطفى الشوربجى ومحمد زكى ومحمد عبد المجيد العبد ، وغضب سعد زغلول من أسلوبهم وقال لهم : « كيف تسمحون لأنفسكم بهذه الحدة معى وتهينوننى فى منزلى ؟ » ، فأجابه الأستاذ محمد زكى على الفور بأنهم يعتبرون أنفسهم فى بيت الأمة لا فى بيت سعد باشا الخاص ، وسر سعد لهذه الترضية كما أعجب بهذه التسمية وابتسم لمحدثه راضيا وقال لهم منبسطا « لقد تنازلت عن ملاحظتى » ، ومنذ ذلك الحين أطلق على بيت سعد لقب « بيت الأمة » ، واتفق الجميع بعد هذه المقابلة على صيغة التوكيـل النهائية والتى جاء نصها :

« نحن الموقعين على هذا ، قد أنبنا عنا حضرات : (أسماء أعضاء الوفد) فى أن يسعوا بالطرق » « السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا لاستقلال مصر استقلالا تاما » .

وطبعت هذه الصيغة للتوكيل ووزعت على مدى واسع (٩٤) بين أعضاء الهيئات النيابية والجماعات المصرية على اختلاف طبقاتها للتوقيع عليها فأقبل الناس عن طيب خاطر وحماسة يوقعون عليها وانتشرت فى العاصمة والأقاليم بنفس الحماسة ، وأظهرت وزارة حسين رشدى تأييدها للوفد ولفكرة التوكيلات فأصدرت تعليماتها الى مديرى الأقاليم بعدم التعرض لحركة التوقيعات على التوكيل .

وانهالت على الوفد التوكيلات وكانت أيام التوقيع أياما مشهودة(٩٥) رفعت من معنويات الشعب وكانت مظاهرات وحركة دائمة أيقظت الروح

---

(٩٣) نفس المرجع السابق ص ٧٣ .

(٩٤) نفس المرجع السابق ص ٧٣ .

(٩٥) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ــ للأستاذ محمد على علوبة ــ ص ٩٤ .

الوطنية الكامنـة بعد طول انتـظار ، وتطوع الكثيرون للذهـاب لجمع التوقعات ٠

وفجأة تدخلت سلطات وزارة الداخلية ومنعت تداول التوكيل بحجة المحافظة على الأمن ومنع حدوث شغب فى البلاد ، ومما أثار العجب أن رشدى باشا الذى يؤيد فكرة التوكيلات كان هو وزير الداخلية بالاضافة الى كونه رئيس الوزراء ولأجل احراج سلطة الاحتلال والتى كانت وراء هذا الاجراء عن طريق مستشار وزارة الداخلية الانجليزى ــ فقد بادر الوفد وأرسل خطابا موقعا عليه من سعد زغلول بصفته الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ورئيس الوفد المصرى الى وزير الداخلية يشكو له اجراء المسئولين فى وزارة الداخلية بمنع التوكيلات مسجلا هذه المخالفة ، وجاء لسعد زغلول بصفته السابقة الرد من رئيس الوزراء ووزير الداخلية حسين رشدى باشا مسجلا فيه تدخل المستشار البريطانى لوزارة الداخلية « أن منع التوكيلات وجمع ما تم توقيعه تم بأوامر من المستشار الانجليزى بالداخليـة على أسـاس أن القطر المصرى لا يزال تحت سـلطة الأحـكام العرفية » ٠

التجمع الشعبى حول المؤسسة الوطنية :

استمر الشعب رغم تدخلات مستشار (٩٦) الداخلية الانجليزى فى التوقيع على التوكيلات من الموظفين ومن مختلف طبقـات الشـعب وكان الجميع يوقعون توكيلاتهم سرا وترسل الى مقر الوفد واشتد ضغط سيل التوكيلات ومن ضمنها هيئة القضاة حيث أرسلوا توكيلاتهم بخطابات الى السلطان فؤاد مباشرة ٠

مراسلات سعد زغلول المستمرة :

فى ٢٩ نوفمبر ١٩١٨ ، أرسـل سعد زغلول خطابـا الى المعتمد البريطانى سير وينجت يعلنه تأليف الوفد برئاسته بقصـد السفر الى انجلترا للمفاوضة مع أولى الحل والعقد البريطانيين بشأن مستقبل مصر وأنه أرسل لرئاسة الجيش الانجليزى بمصر بتاريخ ٢٠ نوفمبر يلتمس اعطاءه وزملاءه جوازات السفر وأن طلبهم تأجل النظر فيه ، وحيث أنهم يستعجلون السفر قبل الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر ، وطلب من المعتمد البريطانى العمل على الاسراع فى تنفيذ طلبهم بمساعيه الشخصية ــ وكان هذا الخطاب بمثابة تسجيل للخطوات السلمية التى يتبعها الوفد مع سلطات الاحتلال ٠

---

(٩٦) نفس المصدر السابق ، ص ٩٥ حتى ص ١٠٠ ٠

وجاء لسعد باشا رد من الحماية البريطانية فى أول ديسمبر ١٩١٨ من « ج. س. سيمون » ـ السكرتير الخصوصى للمندوب السامى (لاثبات التعالى على رئيس الوفد ورجاله) ـ وأبلغ سعد بأن المندوب السامى البريطانى لا يمكنه التوسط فيما يريدونه مع الحكومة البريطانيه الا بشرط ألا يخرج عن خطاب سير « ميلين شيشهام » (٩٧) الذى أرسله بناء على أمر الحكومة البريطانية الى السلطان الراحل حسين كامل الى رئيس النظار حسين رشدى رئيس النظار عقب تولى السلطان حسين كامل عرش مصر والى السلطان حسين كامل نفسه فى ديسمبر سنة ١٩١٤ .

وكان هذا الخطاب لا يحوى سوى التأكيد على الحماية البريطانية والعمل على رفاهية مصر بألفاظ براقة لا يحقق مطالب الأمة المصرية فى الاستقلال والحرية .. لذلك :

ـ أرسل سعد زغلول بنفس الصفة كوكيل للجمعية التشريعية المنتخب ورئاسته للوفد فى تاريخ ٣ ديسمبر ١٩١٨ خطابا الى المندوب السامى البريطانى نفسه ـ وليس لسكرتيره الخاص ـ أفاده بأنه موكل من الشعب المصرى للمطالبة بالاستقلال ولا يمكنه الالتزام بخطاب السير ميلين شيشهام سنة ١٩١٤ للسلطان حسين لأن فى ذلك خروجا على حدود التوكيلات الشعبية التى تؤكد على الاستقلال التام ، وسجل سعد زغلول فى نفس الخطاب تدخلات سلطات الاحتلال متمثلة فى تدخلات المستشار الانجليزى لوزارة الداخلية المصرية ، كذلك سجل تمسك الوفد المصرى بضرورة عرض قضيته فى انجلترا باتصاله بالرأى العام البريطانى نفسه وليس عن طريق كتابة تقرير فى شكل مطالب تعلق به من تابع لمتبوع حيث أنه والوفد وكلاء عن الشعب المصرى بأكمله .

---

(٩٧) « من المعروف أن خطاب سير ميلين شيشهام ـ القائم بأعمال المعتمد البريطانى على مصر واعلان مصر منفصلة عن السلطة التركية وأن الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديوى السابق على البلاد المصرية سقطت منذ هذا التاريخ وآلت الى جلالة ملك بريطانيا ، وبزوال السيادة العثمانية على مصر وزوال جميع القيود التى كانت سارية بمقتضى الفرامانات العثمانية بالنسبة لعدد الجيش المصرى ، كذلك نص هذا الخطاب على انتقال اختصاصات العلاقات الخارجية للحكومة المصرية الى يد المعتمد البريطانى وتكون الاتصالات لوكلاء الدول الأجنبية بواسطة المعتمد البريطانى ، ويؤكد الخطاب على حق بريطانيا فى الاشراف على الوزارة المصرية فى جميع الشئون وهو خطاب يرسم بوضوح لا لبس فيه ضرورة خضوع حكومة مصر بالكامل للارادة البريطانية » .

(ثورة ١٩١٩) ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، جزء أول من سنة ١٩١٤ ـ ١٩٢١ ، ص ١٩ الى ص ٢١ .

– وفى ٤ ديسمبر أرسل الوفد باسم رئيسه سعد برقية الى مستر لويدجورج رئيس الوزراء البريطانى مسجلا الاحتجاج لمنعه والوفد من السفر وعلى منع تداول التوكيلات وذلك لقطع خط الرجعة على دار المندوب السامى بالقاهرة من التصرفات الغاشمة فى غفلة من الحكومة البريطانية ٠

– وفى ٦ ديسمبر ١٩١٨ ، وبنفس المعنى وبنفس الصفة – أرسل سعد رئيس الوفد خطابات الى جميع معتمدى الدول الأجنبية فى مصر ٠

– وفى ١١ يناير ١٩١٩ ، وبنفس المعنى أرسل سعد – وبنفس الصفة – الى كل من جورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا – وهو من أهم شخصيات مؤتمر الصلح – وكذلك الى السنيور أورلنــدو رئيس وزراء ايطاليا وذلك فى ١٣ يناير ١٩١٩ والى رئيس مجلس العموم البريطانى فى ١٤ يناير ١٩١٩ ٠

– ثم استمر سعد والوفد فى ارسال البرقيات والنداءات سواء فى مصر أو الى أوربا ، كما توالت الخطب والاجتماعات التى عقدت بالقاهرة وغيرها وحضرها جمهور كبير من جميع الطبقات والنواب والأعيان والشباب فازدادت حماسة الجماهير فى نفس الوقت الذى تجمد فيه موقف المندوب السامى ٠

استدعاء السير وينجت ورحيله عن مصر (٢ يناير ١٩١٩) (٩٨) ،(٩٩)

هذا النشاط المصرى الوطنى والذى كان على غير توقع من الحكومة البريطانية ، جاء مفاجأة ومخالفــا لرأى وتوقيعات دار المندوب السامى بالقــاهرة والتى كانت تســتهين بهذا النشــاط الذى وصل لدرجة هياج الخواطر والذى كان نتيجة مباشرة لتصرف المندوب السامى بمنع الوفد من السفر وحتى لدرجة عدم الموافقة لرئيس الوزراء المصرى بتشكيل وفد رسمى للتفاوض مع الحكومة البريطانية مما نتج عنه استقالة رئيس الوزراء حسين رشدى باشا كنوع من الاحتجاج على هذا التصرف الاستفزازى ، كل هذه الملابسات والنشاط المصرى الاحتجاجى المبشر بمزيد من الاثارة جعل الحكومة البريطانية – امتصاصــا لهذا الغضب الوطنى – تستدعى السير وينجت المندوب السامى الى لندن بحجة الوقوف منه على الحالة تفصيلا للنظر فى معالجة الموقف وناب عنه فى غيابه السير ميلين شيتهام صاحب الخطاب المشهور سنة ١٩١٤ والذى كان يؤكد الحماية البريطانية على مصر ٠

---

(٩٨) « ثورة ١٩١٩ » – تاريخ مصر القومى – للأستاذ عبد الرحمن الرافعى – جزء أول قسم ثان – ص ١٠٣ ٠

(٩٩) نفس المصدر السابق ٠

استفزاز الانجليز للحركة الوطنية (١٠٠) ..

ـ فى يوم ٢٧ يناير ١٩١٩ ، أرسل قائد القوات البريطانية فى مصر ، الخطاب الاستفزازى التالى الى سعد زغلول :

« ياصاحب السعادة »

« علمت أن سعادتكم تعدون اجتماعا فى منزلكم بمصر فى ٣١الجارى يحضره نحو ستمائة شخص »

« وانى أرى أن مثل هذا الاجتماع قد يحدث منه اقلاق للأمن ، فبناء على الاعلان الصادر تحت الأحكام العرفية بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٤ ، أرجو أن تتكرموا بالعدول عن اقامة هذا الاجتماع » .

« وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

(قائد القوات البريطانية فى مصر)

(توقيع : الجنرال هـ . و . وطسن)

ـ ثم أرسل فى ٢٨ يناير ١٩١٩ خطابا آخر الى سعد زغلول أشار فيه الى اعلان صادر فى جريدة « **الاجبشيان جازيت** » بتاريخ٢٨/١/١٩١٩ بمناسبة دعوة وجهها سعد باشا لحفل شاى يقام يوم ٣١/١/١٩١٩ . يكلفه بأنه بامكان سعد أن ينشر اعلانا آخر يصرح فيه بأن دعوته قد منعت .

تحدى سعد للتعنت البريطانى :

بينما كانت القيادة العسكرية البريطانية (١٠١) تتتبع خطوات سعد السياسية وتمنع أى اجتماع وطنى لسعد أراد مستر برسيفال ـ المستشار البريطانى بمحكمة الاستئناف الأهلية ـ أن يلقى سلسلة محاضرات عن مشروع قانون العقوبات يلقيها بجمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع ليمهد الأذهان لابدال القوانين المصرية والتأكيد على الحماية البريطانية على مصر وضمنا للتشهير بالجمعية التشريعية وعدم صلاحيتها للتشريع أو لبحث القوانين ، وفى ٧ فبراير ١٩١٩ هو موعد محاضرته الثانية ، انتهزها سعد (١٠٢) فرصة وفى اجتماع عدد كبير منهم نخبة

---

(١٠٠) ثورة ١٩١٩ ـ جزء أول ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ١٠٤ .

(١٠١) ذكريات اجتماعية وسياسية ـ للأستاذ محمد على علوبة ـ ص ١٠٨ .

(١٠٢) المجلد الثانى عشر ـ « تراجم وسير » ـ للأستاذ العقاد ـ ص ٢١٨ .

من عليـة القوم المصريين والأجانب وجمع غفـير من المهتمين بالسـياسة والتشريع فذهب الى مكان المحاضرة وكان ضمن الحاضرين عدد كبير من أصدقاء سعد وخاصة من أعضاء الوفد ، وبعد أن انتهى المحاضر مستر برسيفال من محاضرته ، قام سعد زغلول رئيس الوفد ورد عليه مفندا آراء المحاضر بالقانون والمنطق التشريعى العلمى ، ومن أهم ما قاله سعد « ان امتنا المصرية ليست من قبيل الأقوام الهمج الذين ليست لهم شرائع مقررة ، وأن بلدا كبلدنا له حياة عريضة فى القوانين والشرائع ، فمن الخطر أن يعمد الى تغيير كل فى شرعه دون أن تدعو الضرورة لذلك أو تهدى اليه الحرية والاختيار » ، الى أن قال سعد : « فقد تكلم حضرة المحاضر عن الباب الثـانى من الكتاب فى المشروع وفى هذا البـاب ما يتعلق بحالة سياسية لا وجود لها الآن » .. الى أن قال : « أعلنت انجلترا حمايتها من تلقاء نفسها دون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونـا بل هى ضرورة الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة » .

وفوجىء الحاضرون بهذا التعـليق الذى أنـكر الحمايـة بعد أن استمعوا لخطبـة المستشار البريطانى لأجـل التأكيد على الحماية ـ وكان التصفيق حادا لهذا التعليق ، وهنأ جميع الحضور سعدا (١٠٣) على هذه الكلمة وعندما تناول الشعب والعامة هذا التعليق على هذه المحاضرة ازدادت أواصر الود والثقة بين أعضاء الوفد وبين الأمة .



.. أحداث أدت الى العمل الايجابى ..

١ ـ لما لم تقبل السلطة البريطانية رئيس الوزراء حسين رشدى باشا بالسفر مع عدلى يكن الى لندن للتفاوض مع الحكومة البريطانية كوفد رسمى (١٠٤) للمطالبة بالاسـتقلال ولم تصرح لهم السـلطة البريطـانية بالسفر فقدم حسين رشدى اسـتقالته وكذا عدلى يكن للسلطان وقبلت الاستقالة فى أول مارس ١٩١٩ بعد الحاح السلطان فؤاد لهما بالبقاء ، وكان حسين رشدى يبغى أن يسـافر سعد والوفد الى مؤتمر الصـلح ليسجلوا حق مصر فى تقرير المصير وفى نفس الوقت يسافد وفد رسمى برئاسته الى انجلترا للتفاوض فى استقلال مصر ، وبذلك يشـد ممثلو الشعب أزر الوفد الرسـمى للحـكومة لاتاحة الفرصـة لهم بالتشدد فى الطلبـات .

---

(١٠٣) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ـ للأستاذ محمد على علوبة ، ص ١٠٨ .

(١٠٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

٢ ـ توجه سعد وأصحابه يوم ٣ مارس بخطاب على شكل رجاء للسلطان فؤاد أهم ما جاء به : « أن عبارة استقالة رشدى باشا لا تسمح لرجل فى مصر ذى كرامة وطنيــة أن يخلفه فى مركزه بتـأليف وزارة جديدة ٠٠٠ ، وأن أى وزارة تؤلف على برنامج لا يحقق مشيئة الشعب بالاستقلال التام مقضى عليها بالفشل » ، وناشد السلطان فؤاد أن يغضب لغضبة شعبه ويقف فى صفهم لتنال بذلك غرضها من الحرية والاستقلال ٠

٣ ـ فى نفس الوقت أبلغ سعد معتمدى الدول الأجنبية بالقاهرة احتجاجه على الحالة كلها والقاء التبعة على الانجليز المسئولين عن أسبابها، ولم يجرؤ أى انسان على قبول تأليف وزارة جديدة وبقيت البلاد بدون وزارة بعد قبول استقالة رشدى باشا فى ٣ مارس ١٩١٩ ٠

٤ ـ الانذار البريطانى (٦ مارس ١٩١٩) ٠٠

كل ما حدث من تبادل الخطابات أو التصرفات بين سعد ودار الحماية البريطـانية وبين رئيس الوزراء وبين دار المعتمد البريطانى أو بين سعد والسلطان فؤاد ، كل ذلك يبلغ بشكل أو بآخر الى الشعب اما عن طريق الصحافة أو الشائعـات وساعد ذلك على زيادة حالـة القلق والأمل فى التغيير مما شجع على قيام المظاهرات العديدة المؤيدة لرجال مصر فى أغلب أنحاء البلاد ٠

وفى ٦ مارس ١٩١٩ ، دعا القائد العام للقوات البريطانية فى مصر أعضاء الوفد السبعة لمقابلته فى مركزه فى الساعة الثالثة بعد الظهر وهم : سعد زغلول ـ على شعراوى ـ محمد محمود ـ عبد العزيز فهمى ـ أحمد لطفى السيد ـ عبد اللطيف المكباتى ـ محمد على علوبة ، ودخل أعضاء الوفد السبعة الى حجرة صغيرة قليلة الضوء وليس بها أحد وجلسوا نحو عشر دقائق ثم فتح باب جانبى ظهر منه القائد العام الجنرال واطسون ومعه ضابطان بملابسهم العسكرية فوقف أعضاء الوفد منتظرين منه التحية ولكنه تعمد التعـالى والتـكبر ولم يبدأ التحية وألقى مبـاشرة ـ وبلهجة عســكرية متعالية ـ البـلاغ باللغـة الانجليزية ثم أعيـد تلاوته باللغـة الفرنسية ، ثم قال بأسلوب آمر متعجرف « لا مناقشة » !! ، وكان نص الانذار :

« علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضوع المناقشة ، »

« وأنكم تقيمـون العقبـات فى طريق الحـكومة المصرية تحت »

« الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ، وبما أن البلاد »

« لاتزال تحت الأحكام العسكرية ، لذلك ينحتم على أن أنذركم »
« بأن أى عمل منكم يرمى الى عرقلة الادارة ، يجعلكم عرضة »
« للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » .

— وقد طلب سعد نسخة من الانذار فسلمت له نسخة باللغة الانجليزية وانصرف أعضاء الوفد .

— وبعد خروج أعضاء الوفد من مقر القيادة (١٠٥) وفى سرعة فائقة انتقلت الاخبار وصيغة الانذار وشاعت بين الشعب ووصلت لعلم كل شخص من الشعب المصرى ، فهاجت الخواطر مستعيدة جميع التصرفات الظالمة والمستبدة لهذا الاحتلال منذ سنة ١٨٨٢ ، وكان الشعب فى انتظار أحداث وطنية جليلة وفى انتظار ما يمليه الضمير الوطنى لأعضاء الوفد رمز المؤسسة الوطنية .

٥ — لم يضيع سعد الوقت سدى بل بادر بعد ساعات قلائل وهى المدة الكافية لكتابة الرد وترجمته وأرسل برقية الى رئيس وزراء بريطانيا يبلغه فيها أن الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى أن الحماية غير مشروعة ويلقى تبعة بقاء البلاد بلا وزارة على سلطات الاحتلال فى مصر والتى عملت على وضع من هم أهل للوزارة فى وضع حرج أمام ضمائرهم وأمام مواطنيهم .

٦ — القارعة :

وكان سعد بلماحته (١٠٦) متأكدا — بعد هذه الأفعال وردود الأفعال منه ومن سلطات الاحتلال — أن أحداثا جساما سوف تحدث وسوف تكون هذه الأحداث هى شرارة الثورة ، ففى نفس الأيام التى مرت بين الانذار يوم ٦ مارس وبين يوم الاعتقال مساء يوم ٨ مارس ١٩١٩ كان سعد يردد كلمة « القارعة » وهو ما كان ينتظره سعد كرد فعل لاعلان بداية الثورة نتيجة تصرفات غاشمة من سلطات الاحتلال توقعها سعد وأعد نفسه لمواجهتها ، وهذا التعبير المستمد من السورة القرآنية الكريمة لم يكن نابعا الا من العقل الباطن لهذا الفلاح المصرى الأزهرى سعد زغلول دون ما تخطيط أو تدبير ولكنه كان تعبيرا صادقا لشعوره الحساس لمدى أبعاد التعبئة الثورية فى نفسية الشعب المصرى ومدى تجاوب هذا الشعور الشعبى مع أى محرك للمطالبة بالاستقلال بعد طول الصبر والمعاناة .

(١٠٥) نفس المصدر السابق - ص ١١٠ .
(١٠٦) المجلد الثامن عشر — للعقاد — ص ٢٢٨ .

رابعا : مرحلة العمل الايجابى .. « الثورة »

« شرارة الثورة – الاعتقال »

– فى مساء يوم ٨ مارس ١٩١٩ ، تم اعتقال سعد زغلول هو وصدقى باشا من بيت الأمة (منزل سعد) ، ثم سلم حمد الباسل نفسه للسلطات البريطانية ، أما محمد محمود فقد اعتقلوه وهو فى طريقه الى بيت الأمة ، وأمضوا الليلة فى ثكنات قصر النيل وفى اليوم الثالث خرجوا بهم بسيارات مسرعة الى محطة العاصمة تحت حراسة عسكرية مشددة وأقلوهم القطار الى بورسعيد وهناك نقلوهم الى ظهر باخرة بريطانية تقل جنودا بريطانيين ، وعلم المعتقلون فى هذا الوقت فقط أنهم متوجهون الى جزيرة « مالطة » حيث المنفى اذ كانت القيادة العسكرية تعتقل المصريين والأتراك والألمان ووصلوا الى جزيرة مالطة بعد ثلاثة أيام (١٠٧) .

– حظرت السلطات البريطانية على الصحف المصرية النشر عن هذا الاعتقال أو التلميح اليه ولكن سرعان ما علم به فى نفس اللحظة اعضاء الوفد وأصدقاؤهم فانتقل الخبر سريعا الى الشعب .

– وفى صباح ٩ مارس ١٩١٩ ، اجتمع أعضاء الوفد برئاسة على باشا شعراوى بصفته وكيل الوفد وأرسلوا خطابا الى السلطان فؤاد يعترضون فيه على تصرف السلطات البريطانية الجائرة باعتقال سعد باشا وأصحابه ويحتجون على السياسة البريطانية ويطالبونه بأن يقف الى جانب الشعب فى هذه الأزمة .

– ثم أرسلوا برقية الى رئيس وزراء بريطانيا يحتجون على اعتقال سعد وأصحابه وصارحوه بأنهم سيواصلون الكفاح بكل الطرق المشروعة، كما أرسلوا برقيات بنفس المعنى الى جميع معتمدى الدول الأجنبية بالقاهرة .

– كما أنه فى صباح ذات اليوم ١٩١٩/٣/٩ ، علم طلبة المدارس (١٠٨) العليا بأمر الاعتقال لأن كثيرا منهم كانوا ينتمون الى معظم أعضاء الوفد وأصدقائهم بصلة القرابة أو الصداقة أو المعرفة وتسامعت بالخبر جميع أحياء القاهرة كما تسامعت به كافة أقاليم مصر .

---

(١٠٧) « ثورة ١٩١٩ » – للاستاذ الرافعى – جزء أول (٢) – ص ١١٧ .

(١٠٨) « المجلد الثامن عشر » (تراجم وسير) – للاستاذ / العقاد – ص ٢٣٤ حتى ص ٢٣٨ .

- وفى صباح يوم ١٠ مارس ١٩١٩ ، أضرب طلاب المدارس العليا وخرجوا الى الشوارع والميادين فى مظاهرات طافت بدور المعتمدين السياسيين الأجانب احتجاجا على اعتقال زعماء البلاد ، كما أضرب عمال مرفق الترام عن العمل بعد ظهر نفس اليوم .

- وفى يوم ١٩١٩/٣/١١ ، أضرب الحوذية وأغلقت الدكاكين أبوابها فى معظم أحياء القاهرة عدا دكاكين الأوربيين ، وتجددت مظاهرات طلاب المدارس العليا وانضم اليهم طلاب الأزهر والمدارس الثانوية وطوائف شتى وبأعداد كبيرة من الجماهير ، وقابلهم الجنود الانجليز باطلاق النيران من مدافعهم الرشاشة وحدثت كثير من الاصابات ، واستفحل أمر المظاهرات وتصاعدت القسوة والعنف فى مواجهتها وقمعها وتزايدت أعداد القتلى والجرحى ، وقد ساعد ذلك فى تصاعد أعداد المتظاهرين وتنوع قطاعاتهم ، واشتعلت الثورة - ولم تخمد ، وكأن المزيد من حوادث الاصابات والقتل كانت تحدث وتواجه بمزيد من العنف واتساع لهيب ثورة المتظاهرين من أفراد الشعب المصرى .

- وفى يوم الجمعة ١٩١٩/٣/١٤ ، استمرت الثورة فى اشتعالها وتصاعدها وطاش صواب الجنود البريطانيين ، فعند خروج المصلين من الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ظن الجنود البريطانيون أنها حشود من المتظاهرين فأطلقوا عليهم نيران سياراتهم المدرعة فقتلت منهم بضع عشرات وجرحت منهم الكثير ، وانتقلت أخبار القتل والعنف الى جميع مدن مصر فقامت المظاهرات الصاخبة فى جميع أنحاء البلاد وانفجر بركان السخط فتصدت لهم الجنود البريطانيون أيضا وأحدثت بهم الكثير من القتلى والجرحى ، وانفجرت الثورة فى كل مكان على أرض مصر اذ كانت أخبار المظاهرات وأسماء القتلى تنتقل من مكان الى مكان بسرعة ، شاعت أخبار القتلى (١٠٩) والمعتقلين من الطلاب والشبان العزل المسالمين وعم السخط والغضب ، وكان رد الفعل فى جميع أنحاء البلاد يكاد يكون موحدا ، فانتشرت عمليات قطع قضبان السكك الحديدية وقطع أسلاك خطوط التلغرافات والتليفونات .

- هذا الانتشار السريع للثورة فى جميع أنحاء مصر - حتى مستوى القرية - تم كرد فعل لاعتقال سعد زغلول وأصحابه ودون أى تنظيم من باقى أعضاء الوفد ، بالعكس فان معظم الشيوخ من أعضاء

(١٠٩) نفس المصدر السابق .

الوفد كانوا يدعون (١١٠) المتظاهرين بالهدوء والسكينة حتى يمكنهم العمل فى هذا الهدوء ، ولكن الفضل لتصاعد الأعمال الثورية كان راجعا الى تنظيم سرى وطنى صاعد من مجموعة من الشبان الوطنيين ومن طلاب المدارس العليا يقودهم أحد المناضلين المحنكين من أتباع سعد هو عبد الرحمن فهمى ٠

ـ كل هذا الغضب والسخط كان تنفيسا عن معاناة الشعب ٠

ـ وبالغت السلطة العسكرية الانجليزية فى قمع المظاهرات فزادت تلك المظاهرات حتى أصدرت السلطات العسكرية البريطانية انذارا لكل من يقطع المواصلات بالاعدام رميا بالرصاص بمقتضى الأحكام العرفية ، فكان الجواب هو اضراب عمال السكك الحديدية ، ثم اندفع الناس يواصلون قطع القضبان وأسلاك التلغراف والتليفونات ، فقامت السلطات العسكرية الانجليزية بتهديد القرى بالحرق اذا ما ارتكب أى حادث مجاور لها ضد وسائل المواصلات ، وقد هاجم الثوار فى بعض الأقاليم مراكز الشرطة واستولوا على ما فيها من أسلحة وذخائر ، وأخذت الثورة الطابع الوطنى وقام علماء الأزهر ورجال الدين المسيحى بالتزامل فى تشييع جنازات الشهداء من المسيحيين والمسلمين فى مواكب جنائزية موحدة ورفع الجميع أعلاما رسم عليها رمزى الهلال والصليب (١١١) وقام القسس بالقاء خطبهم فى جموع المسلمين بالمساجد كما قامت السيدات بمظاهرات وأيضا كان الضباط يشاركون فى المظاهرات بملابسهم الرسمية الى جانب القضاة والمحامين وطلاب المدارس العليا والثانوية وطلاب المدرسة الحربية ٠

ـ وطوال هذه الثورة وعلى مدى أيامها لم تحدث حادثة واحدة تشوه قداسة هذا الجهاد ٠



---

(١١٠) من مذكرات ابراهيم عبد الهادى ـ روز اليوسف عدد ١٨١٤ فى ١٧ مايو ١٩٨٢ ـ ص ٣٦ ، ٤١ ٠

(١١١) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) ـ للاستاذ العقاد ـ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ٠

المحاكم العسكرية ..

منذ اليوم الأول للثورة (١١٢) ، أقامت السلطات العسكرية البريطانية محكمة عسكرية فى الحال واستمر انعقادها فى قسم الأزبكية لمحاكمة المقبوض عليهم من المتظاهرين أولا بأول ، وكانت أحكامها تصدر يوميا بالحبس أو الجلد أو بهما معا أو بالغرامة ، ولما كثرت قضايا المظاهرات أنشأت السلطات البريطانية العسكرية محاكم عسكرية أخرى فى قسم الخليفة ثم محكمة أخرى فى بنها وأخرى فى القناطر الخيرية وغيرها حتى عممت هذه المحاكم فى جميع المحافظات .



— فى المنفى ..

أما سعد زغلول ورفاقه فى المنفى – اسماعيل صدقى وحمد الباسل ومحمد محمود – فلم يسمعوا بأى أخبار عن هذه الثورة التى اندلعت فى مصر وعمت جميع أنحاء البلاد الا عندما زارهم حاكم جزيرة مالطة اللورد « منوين » – حيث قال لهم عرضا : « أشعلتم النار فى مصر وجئتم هنا !! » – ثم نسربت الى سعد ورفاقه أخبار الثورة تباعا عن طريق الطباخ الألمانى حيث كان يدس لهم بعض قصاصات صحيفة « التيمس » وبها تفاصيل الأحداث عن الثورة فى مصر .



أحداث الثورة فى أقاليم مصر (١١٣)

١ – **ففى الأسكندرية** .. قامت المظاهرات بدءا من يوم ١٢ مارس وتصاعد حجمها وزادت كثافتها فى يوم ١٧ مارس ، وتعرضت لها القوات الانجليزية المسلحة فى هذا اليوم فسقط أربعة عشر شهيدا وأربعة وعشرون جريحا ، وتصاعدت بعد ذلك المظاهرات والخسائر وخاصة فى شهر ابريل ١٩١٩ .

٢ – **وفى بورسعيد** .. كانت أضخمها مظاهرات يوم ٢١ مارس حيث بلغ شهداؤها سبعة والجرحى سبعة عشر .

---

(١١٢) « ثورة ١٩١٩ » – للأستاذ الرافعى ، ص ١١٧ الى ص ١٤٣ .

(١١٣) نفس المصدر السابق – من ص ١٤٤ حتى ص ١٥٨ .

٣ ـ **وفى البحيرة** ٠٠ كانت أضخم مظاهراتها يوم ١٧ مارس ـ فى دمنهور ـ وتصدى لها مدير البحيرة ابراهيم حليم باشا برجال البوليس وأهانوا المتظاهرين فانقض الأهالى عليهم بالنعال فرد البوليس باطلاق النار لتفريق المتظاهرين فاستشهد منهم اثنا عشر ، وحوكم كثير ممن قبض عليهم أمام المحاكم العسكرية والانجليزية حيث صدرت ضدهم أحكام بالسجن والجلد والغرامات ، كما صدر أمر عسكرى بحظر التجول من الساعة السابعة مساء حتى الرابعة صباحا كما منع السفر من والى دمنهور ٠

ـ وهجم البدو على **مركز كوم حمادة** وأرسلت للمركز نجدة من القوات البريطانية المسلحة ٠

ـ **وفى رشيد** ٠٠ تظاهر المواطنون فى ١٧ مارس ، وتصدى لهم مأمور المركز وأطلق رجال البوليس النار على المتظاهرين فاستشهد أحد الشباب فثار المتظاهرون واعتدوا على المركز وأضرموا فيه النيران وخربوا محطة السكة الحديد وأتلفوا قضبانها كما أتلفوا خطوط التليفون والتلغراف وحضرت فرقة هندية مسلحة تابعة للجيش الانجليزى وألقت القبض على حوالى تسعين شخصا من الأهالى ٠

٤ ـ **فى الغربية ٠٠ فى طنطا** : كان بعض الجنود الانجليز المسلحين بمحطة السكة الحديد ، ولما اقترب المتظاهرون ـ العزل من السلاح ـ من المحطة ، انهال عليهم الجنود الانجليز رميا بالرصاص حيث سقط ستة عشر شهيدا وأربعون جريحا ثم تلا ذلك حوادث فردية وراح ضحيتها بعض الأهالى شهداء بالقرب من ميدان المحطة ٠

ـ **وفى بركة السبع** ٠٠ حدثت كثير من المظاهرات الصاخبة حيث دمر المتظاهرون كوبرى بركة السبع وخلعوا قضبان السكة الحديد وخربوا محطتها ٠

وفى سمنود ٠٠ استشهد ثلاثة من الأهالى المتظاهرين ٠

ـ **وفى زفتى** ٠٠ تظاهر طلبة المدرسة الثانوية وانضم اليهم الأهالى ، وتألفت لجنة ثورية برئاسة الأستاذ أحمد الجندى أعلنت استقلال زفتى وتعاون المأمور الوطنى اسماعيل بك حمد مع اللجنة الثورية ٠

٥ ـ **فى مديرية الفؤادية (كفر الشيخ)** ٠٠ قامت المظاهرات بدءا من يوم ١٦ مارس وتعرضت لها السلطة العسكرية البريطانية فى صباح يوم ٢٦ مارس ، وقام المأمور الوطنى عبد القادر أفندى مختار

بمناصرة الثوار فأبعدته القوات العسكرية واعتدى الثوار على المركز ونزعوا خطوط السكة الحديد والتلغراف والتليفون واستشهد أحد الأهالى ونهب الجنود الانجليز الدكاكين كما مارسوا أقسى أنواع الاهانة والتعذيب مع الأهالى حيث قاموا بجلد ٧٥ من الأهالى فى كفر الشيخ و ٢٥ من أهالى سخا و ٣٠ من أهالى ميت علوان ، وتصاعدت المقاومة حيث تبادل الأهالى اطلاق النيران مع الانجليز وقبض على الشيخ يوسف عاشور عمدة العمدان وحوكم حيث حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما وأفرج عنه سنة ١٩٢٤ ٠

ـ **وفى قلين ودسوق** ٠٠ دمر الأهالى محطة السكة الحديد ونزعوا القضبان فى كل منهما ٠

٥ ـ **وفى المحلة الكبرى** وشبين الكوم قام المتظاهرون بأعمال العنف والتخريب **وفى المنصورة** حيث راح ضحية التعرض الانجليزى المسلح تسعة عشر شهيدا ٠

٦ ـ وكذلك فى **دمياط** ٠٠ قامت المظاهرات وتصدت لها قوات البوليس واستشهد عدد من الأهالى وقبض على الكثيرين حيث حكم عليهم بالسجن وشيعت المظاهرات جنازات الشهداء ٠

٧ ـ **وفى مركز ميت غمر** ٠٠ حدثت مذبحة فى ميت القرش يوم ٢٣ مارس ١٩١٩ حيث مر قطار كان يقل أكثر من مائة جندى بريطانى وتحرش هؤلاء الجنود بالمتظاهرين وقتلوا عمدا أحد الشباب لأنه لم يرشدهم عن مكان المتظاهرين وعندما حاول المتظاهرون الهروب سلط الجنود البريطانيون عليهم مدافعهم الرشاشة عشوائيا فحصدوا عددا كبيرا من الأهالى حيث بلغ شهداء هذه المذبحة أكثر من مائة شهيد وعددا كبيرا من الجرحى ٠٠

وفى نفس اليوم ، حدثت مظاهرات فى **كفر الوزير** وقتل الجنود البريطانيون عددا من الأهالى ٠٠

وفى ٢٧ مارس ، نزل الجنود البريطانيون ببلدة **تفهنا الأشراف** واعتدوا على الأهالى حيث قتلوا عددا كبيرا منهم عند ارغامهم بالسخرة فى اصلاح السكة الحديد ٠٠

وفى ٢٨ مارس ، هاجم الجنود الانجليز بلدة **دنديط** وأخذوا يضربون الأهالى ويسلبون البيوت وقتلوا اثنين من أهالى البلدة وجرح الكثير عند تصديهم لهذا العدوان ٠٠

٨ ـ أما فى **القليوبية والشرقيـة** ‧‧ فقد قام الأهالى بالتظـاهر ودمروا خطوط السكة الحديد وأتلفوا خطوط التليفون والتلغراف وخربوا الطريق الزراعى بحفر الخنادق العميقة فهاجمتهم الطائرات البريطانية حيث استشهد سبعة من الأهالى فى الشرقيـة وخمسـة آخرون فى بلدتى طوخ وقها ‧

فى الوجه القبلى ‧‧

كانت الثورة والمظاهرات أشد منها فى الوجه البحرى ، فانقطعت طـرق المواصـلات تمـاما بين الوجهين البحـرى والقبلى ‧‧‧ (٩) ـ

« فى الجيزة » :

ـ ففى ١٥ مارس ، فاجأت سيارة محملة بالجنـود البريطانيين تجمعا من أهالى قرية **كفر الشوام بمركز امبابة** فى حفل عرس وباغت الجنود الانجليز الأهالى باطلاق النـار عليهم فاستشهد سـتة وأصيب ثمانية (١١٤) ‧

ـ وفى ١٦ مارس ، قتل جندى بريطـانى أحد أهالى بندر الجيزة أمام دار البريـد ، فتجمهر الأهـالى واعتدوا على الجندى الانجليزى وعلى دار البريد ‧‧

ـ وفى ١٨ مارس ، حلقت الطائرات البريطانية فوق **قرية المتانية** بمركز العياط وألقت بعض القنابل فأصيب عدد من الأهالى ‧‧

ـ وفى ٢٢ مارس ، نزل بعض الجنود الانجليز الى **بلدة بشتيل** ، وأخذوا يضربون الأهالى بالسياط ورد عليهم الأهالى بالمثل وتدخل عمدة القرية فى الوقت المناسب واستشهد أحد الأهالى ‧‧

ـ كمـا دمر الأهالى محطـات السكة الحـديد ، **فى بولاق الدكرور والبدرشين والحوامدية** ‧‧

ـ « **وفى بنى سـويف** » ‧‧ قام الأهالى بتدمير كوبرى قشيشة الموصـل بين **مركز الواسطى** وبنى سويف ‧‧

---

(١١٤) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الاول (٣) ـ من ص ١٤٤ حتى ص ١٧٧ ‧

٩ _ « **وفى الفيوم** » ٠٠ حيث قامت المظاهرات واستشهد عدد كبير من الأهالى بلغ عددهم حوالى ٤٠٠ ، وقد قام البدو بدور بارز فى مقاومة البريطانيين وحدث تصادم بين جنود المركز والبدو ٠٠

١٠ ـ وفى « المنيـا » ٠٠

استمرت المظاهرات عدة أيام حتى يوم ٣٠ مارس حيث تمكن الأهالى من الاستيلاء على السلطة فى المديرية ، فجاءت قوة عسكرية بريطانية وقام قائدها باعتقال الأهالى ومحاكمتهم واستشهد ثمانية من الأهالى ٠٠

ـ وفى ١٨ مارس ـ فى « **مركز ديرمواس** » هاجم الثوار المتظاهرون قطارا كان متجها من الأقصر الى القاهرة يقل عددا من الجنود والضباط الانجليز فقتلوهم عن آخرهم ، فألقت السلطات القبض على مئات من الأهالى وحكمت بالاعدام وبالسجن على الكثيرين منهم ٠

١١ ـ وفى « أسـيوط » ٠٠

تفاقمت الحالة بعد أن اتخذت القوات العسكرية البريطانية موقعا دفاعيا ، فهاجم الثوار المتظاهرون هذا الموقع الدفاعى ـ **فى صباح ٢٣ مارس** ـ وأخذوا يطلقون النار على الجنود الانجليز ، الا أن الأهالى تكبدوا خسائر جسيمة بلغت عدة مئات من الشهداء والمصابين ٠

ـ وفى يوم ٢٤ مارس ، حلقت طائرتان حربيتان حيث ألقت القنابل على الثوار فأصابت الكثير من الأهالى واستشهد الكثير منهم ، ثم توالت النجدات العسكرية الانجليزية من القاهرة عن طريق النيل حيث قوبلت بمقاومات عنيفة من جانب الثوار المتظاهرين بين ديروط وأسيوط عند بلدة « **شلش** » ، وحاول الأهالى الاستيلاء على الباخرة ولكن المدافع الرشاشة الانجليزية حصدت المئات من الأهالى ، ثم هاجم الثوار المتظاهرون البواخر المسلحة الانجليزية ـ فى الجهات القبلية من المكان الأول ـ حيث أصيب فى هذه المعركة القائد البريطانى « **هيزل** » ولقى مصرعه وكان مفتشا بوزارة الداخلية ، أما الهجوم الثالث فقد وقع قبلى محطة « **نزالى جنوب** » ولم يتمكن الأهالى من الاستيلاء على البواخر البريطانية المسلحة لغزارة وقوة نيران المدافع الرشاشة التى حصدت الكثير من الأهالى ٠٠

١٢ ـ وفى « **سوهاج** » ٠٠ ففى **مركز جرجا** ٠٠

١٣ ـ وفى مديريتى « **قنا وأسـوان** » ، فقد كانت المظاهرات سلمية ٠

★★★

ـ تعيين الجنرال « اللنبى » مندوبا ساميا .. « ٢١ مارس ١٩١٩ » :

فاجأت أحداث وحوادث الثـورة الشعبية المصرية الوطنية الحكومة البريطانية والشعب البريطانى ، فلم يكونوا يتوقعون أن يثور الشعب المصرى الذى كان فى غاية الرضا عن الحكم البريطانى وفجأة تبين أن الشعب المصرى خاصة فى الوقت الذى خرجت فيه انجلترا منتصرة فى الحرب العظمى، وحضر نخبة من السياسيين والصحفيين والكتاب الانجليز لدراسة هذه الظاهرة الثورية عن كثب ـ بعد أن كان قد تأكد لهم خطـأ أن الشعب المصرى فى غاية الرضا عن الحكم البريطانى وفجأة تبين أن الشعب المصرى عن بكرة أبيه أجمع الرأى على التخلص من الحكم البريطانى ـ ولذلك :

ـ استدعت الحكومة الانجليزية السير « وينجت » الى حيث غادر مصر فى ٢١ يناير ١٩١٩ واستبدلت به مندوبا آخر أقوى بأسا وأقدر على مواجهـة الثورة وقمعها بالشـدة ولذلك صـار تعيين الجنرال « اللنبى » (١١٥) محله مندوبا ساميا فوق العادة فى مصر والسودان ، وأذيع النبأ فى لندن يوم ٢١ مارس فى بيان رسمى ، وقد وكل الى المندوب الجـديد فى هذا البيـان أن يقوم بالسلطة العليـا فى جميع المسـائل العسكرية والمدنية واتخاذ جميع الوسائل التى يرى ضروريتها ومناسبتها حتى يعيد القانون والنظام فى مصر وحتى يدير جميع الشئون اذا لزم الأمر وضرورة تأمين وحماية حياة السلطان (١١٦) على القطر المصرى على قاعدة ثابتة ووصل الى مصر يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ .

---

(١١٥) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ جزء أول قسم (٢) ـ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١١٦) « الموسوعة الميسرة » ـ محمد شفيق غربال ، ص ٢١١ .

« اللنبى » ـ أدموند هنرى (١٨٦١ ـ ١٩٣٦) ـ قائد بريطانى اشترك فى حرب البوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) ، وفى فرنسا فى أوائل الحرب العالمية الأولى قاد الحملة البريطانية بمصر (١٩١٧ ـ ١٩١٩) فغزا فلسطين واستولى على بيت المقدس واكتسح بجيشه سوريا واستولى عليها بدون قتال ـ على دمشق وحلب ـ بعد أن هزم الجيش التركى فى موقعة مجدو الفاصلة (١٨ ـ ٣١ أكتوبر ١٩١٨) وقضى على مقـاومة الأتراك وعلى أثر ذلك طلبت تركيا عقد هدنة مع الحلفاء ، وكوفىء اللنبى على هذه الانتصارات بترقيته الى رتبة فيلد مارشال وفيه لقب فيكونت . وعند اندلاع الثورة فى مارس وأبريل ١٩١٩ عين مندوبا ساميا لبريطانيا فى القـاهرة بدلا من سير ريجنالد وينجت الذى أحيل الى المعاش وبذل مجهودا كبيرا فى تهدئة الحال وتوسط شخصيا سنة ١٩٢٢ لاعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من الحكومة البريطانية ، وعلى الأثر اعلنت مصر أنها مملكة ذات سيادة (١٥ مارس سنة ١٩٢٢) غير أن جهوده كادت تذهب هباء حينما اغتيل سير لى ستاك الحاكم العـام للسودان وقائد الجيش المصرى (سرداد) فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ واستقال من منصبه فى ربيع عام ١٩٢٥ .

— ميول المندوب السامى الجديد الى تهدئة الحال — رغم البلاغ العسكرى ..

فى يوم وصول المندوب السامى البريطانى الجديد الجنرال « اللنبى » الى مصر ، أعلنت السلطات العسكرية البريطانية بلاغا عسكريا رسميا فيه تلميح باستخدام الشدة فى مواجهة الثوار المتظاهرين وقمعهم ، ولكن الجنرال « اللنبى » أصدر بنفسه تصريحا فى يوم ٢٦ مارس — اليوم التالى لوصوله — أوضح فيه الرغبة فى تفهم الأمور للوقوف على الأسباب الحقيقية للثورة واستعداده لازالة هذه الأسباب .. ومع ذلك : —

— واستمرت الثورة ..

رغم التهديد تارة والتهدئة تارة أخرى من جانب البريطانيين ، لم تؤثر هذه التصريحات فى نفوس عامة الشعب المصرى ولم تصرفهم عن متابعة الثورة واستمرارها ، كما لم يؤثر أيضا فيهم النداء الذى أصدره أعضاء الوفد وبعض الوزراء والعلماء والكبراء يوم ٢٤ مارس بالدعوة الى الهدوء والسكينة .

— خطبة لورد كيرزون الاستفزازية (١١٧) .. (٢٤ مارس ١٩١٩)

فى يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ ، ألقى رئيس المجلس الخاص ورئيس مجلس اللوردات — لورد كيرزون — خطبة فى اجتماع مجلس اللوردات الانجليزى باسم الحكومة البريطانية عن الحالة فى مصر وذكر فيها أن الحالة فى مصر أقل خطورة عما قبل ، وتحامل على الثورة فى مصر وزعم أنها أقرب الى السلب والنهب منها الى السياسة ، وأثنى على موظفى الحكومة ورجال الجيش والبوليس لميلهم الى التعقل مثلهم مثل الأعيان ، ثم قال — فى شبه اعتذار — ان الحكومة البريطانية لم ترفض حضور الوزيرين المصريين رشدى وعدلى ، ولكن ظروف انشغال بريطانيا فى مؤتمر الصلح هو الذى جعل حكومة الملك فقط أجلت حضورهما ، واعترف لهما بحسن التدبير والمعاونة مع السلطات البريطانية فى مصر خاصة فى زمن الحروب ، ثم أكد أن بريطانيا ليس لديها مانع — فى الوقت المناسب — للتفاهم — مع المصريين على الشكل الذى ستكون عليه الحماية البريطانية فى مصر فى مستقبل الأيام ، ثم هاجم سعد زغلول وأعضاء الوفد بأنهم هم السبب فى الهياج وهم الذين دبروا هذه الاضطرابات

---

(١١٧) « ثورة ١٩١٩ » — للأستاذ الرافعى — الجزء الأول (٣) — ص ١٧٠ ، ١٧١ .

وأنهم قوم غير مسئولين واختاروا وقت انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس موعدا للقيام بهذه الحركة الثورية لاحراج بريطانيا ، وأكد أنه لاسبيل للمناقشة معهم خاصة فى انجلترا حتى لا يؤول ذلك على أن انجلترا تنوى التخلى عن تبعاتها نحو هذه البلاد .

ـــ الاستياء العام من الخطبة ..

واشتعلت المظاهرات وبصفة رئيسية من الموظفين ، خاصة وأن « كيرزون » كان قد لقبهم بالمسالمين ، فتضامنوا مع بقية أفراد الشعب وشملت الاضرابات والمظاهرات جميع قطاعات المجتمع المصرى من محامين وقضاة وأطباء وأعيان (١١٨) ووقعوا على العرائض التى رفعت الى السلطان احتجاجا على استمرار اعتقال سعد زغلول ورفاقه ، فخلت المصالح الحكومية كلها من موظفيها وعمالها على مدى ثلاثة أيام ، وبعد أن اجتمع المتظاهرون فى جامع « أحمد بن طولون » ـ بحى السيدة زينب ـ قرروا الاضراب التام عن العمل الى أن يتم الافراج عن سعد زغلول ورفاقه .

واستمر الحال مضطربا فى المصالح والدواوين الحكومية وبالتالى أغلقت المحال التجارية فى الأحياء الوطنية أبوابها ـ عدا المخابز ـ تضامنا مع موظفى الحكومة وعمالها فى اضرابهم واحتجاجهم .

ومن يوم ٣ أبريل أخذت الجماهير تتدفق الى الشوارع فى مظاهرات متتالية حيث تلاقت الجموع فى ميدان عابدين ، وعلى أثر سماع صوت طلق نارى أصاب أحد الانجليز زاد الصخب فانطلق الرصاص على المتظاهرين من أحد المنازل الذى يقطنه أحد الأجانب فأصاب كثيرا من المتظاهرين ، كما قامت الدوريات العسكرية البريطانية باطلاق النار على المتظاهرين أيضا فاستشهد تسعة من الأهالى وجرح ٥٦ ، مما أدى الى اشتداد اندلاع الثورة فى جميع أحياء القاهرة وشوارعها .

وكان قد سبق ذلك ـ فى يوم ٣١ مارس ١٩١٩ ـ وفى أثناء الاضراب العام من جانب موظفى الحكومة وعمالها أعلن القائد العام الانجليزى صدور ميزانية الحكومة المصرية عن عام ١٩١٩/١٩٢٠ بقرار من الجنرال اللنبى ، فكان تحديا صارخا للشعور العام واستهانة بالثورة فقوبل هذا الاعلان بالسخط العام والاستمرار على الثورة .

---

(١١٨) المصدر السابق ـ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

وأيضا فى يوم ٢ أبريل ، اجتمعت الجمعية العمومية للمحامين فى دار محكمة الاستئناف وعند مغادرة المحامين دار المحكمة قام الجنود الانجليز بالاعتداء عليهم ٠٠

وفى نفس اليوم حاولت السلطات الانجليزية اغلاق الجامع الأزهر ورفض شيخ الأزهر ذلك فوضعت حول الجامع كردونا من الجنود واستمر حصاره عدة أيام ٠٠

وفى يوم ٥ أبريل ، كانت النية متجهة لعقد اجتماع شعبى موسع فى الجامع الأزهر ، الا أنه لما كان الجامع الأزهر محاصرا بالجنود الانجليز ، فقد تم عقد الاجتماع الشعبى فى جامع « أحمد بن طولون » ولم تتمكن القوات البريطانية من فضه ، فما كان من الجنود الانجليز الا أن قاموا باحتلال الشوارع المؤدية الى جامع ابن طولون فى اليوم التالى ٦ أبريل ٠

***

ـ فظائع الجنود الانجليز فى العزيزية والبدرشين (١١٩) ٠٠ (٢٥ مارس ١٩١٩)

على أثر ما قام به أهالى القرى القريبة من محطات السكك الحديدية من تدمير المحطات واقتلاع القضبان واتلاف خطوط التلغراف والتليفون ، قامت السلطات البريطانية بتوجيه الانذارات اليهم وقامت بارسال قوات عسكرية لقمع الاضطرابات ولاصلاح ما دمره وأتلفه الأهالى ، فقام الجنود الانجليز فى قريتى العزيزية والبدرشين ـ من قرى مركز الجيزة ، يوم ٢٥ مارس ١٩١٩ ـ بالكثير من الحوادث المؤلمة والاعتداءات على الأنفس والأعراض والأموال وحرمة المنازل بأساليب وحشية لاانسانية ٠٠

فمن واقع سجلات الجمعية التشريعية ومجلس مديرية الجيزة ، مثبت بها ما قام به الجنود الانجليز بعمدة العزيزية ـ ابراهيم دسوقى رشدان وعمدة البدرشين ـ محمد منصور الدالى ـ حيث قام جنود السلطة البريطانية فى فجر يوم ٢٥ مارس باقتحام منزل كل عمدة منهما ـ وتحت تهديد السلاح ـ بالاستيلاء على أمواله وأسلحته الخصوصية والأميرية وأرغموا كلا منهما على خلع ملابسه وهجموا على الحريم والأطفال وفتشوهم وانتزعوا حلى النساء والفتيات واعتدوا عليهن على مرآى ومسمع

---

(١١٩) مذكرات « عبد الرحمن فهمى » ـ ص ١٧٠ الى ١٧٨ ٠

من كل عمدة ، ولم يرحموا الأطفال فأخذوا يضربونهم ، ولم يكتفوا بهذا الحد بل اصطحبوا كل عمدة بعد تجريدهما من ملابسهما يسيرون بهما شبه عرايا فى شوارع القرى ليرشدوهم عن منازل مشايخ البلد الذين فعلوا بهم وبنسائهم وبأطفالهم مثل ما فعلوه مع كل عمدة منهما ، وأرغموا العمدتين والمشايخ أن يذيعوا فى كل بلدة أن منازلهم ستحرق وأن على كل صاحب منزل وأهله أن يغادروا منازلهم بأسرع ما يمكن قبـــل الحريق ، وقام الجنود الانجليز بحرق معظم منازل القريتين فى الوقت الذى لم يتمكن الأهالى من انقاذ ما يمكن انقاذه من متـــاع ·· وســـجل العمدتان بعض الحوادث ـ منها :

- قتل ابراهيم عطوة الدالى ـ ابن عم العمدة ـ فى منزله بعد سلب أمواله ·
- قتل عبد الجواد معروف فى منزله بالرصاص وبعد قتله فصلوا رأسه عن جسده وأخذوا يعبثون بها ·
- قتل سيد رفاعى رميا بالرصاص ·
- حاول جندى بريطـــانى أن ينال بغيته من « غاليـــة » ـ زوجـة الشيخ حسنين الجزار **الكفيف البصر** ـ ولما دافعت عن عرضـــها وقاومت مقاومة عنيفة ، أخذ الجندى المعتدى يضربها بكعب البندقية فى رأسها ولم يتركها الا جثة هامدة ثم جردها وزملاؤه من حليها ·
- اطلاق الرصاص على محمـــد أبو العلا وتهشيم ذراعه حيث اضطر الطبيب عند عرضه عليه الى بتر الذراع المهشم فى اليوم التالى ·
- اطلاق الرصاص على الخفير النظـــامى ـ على الســـيد ـ واخترق الرصاص أماكن كثيرة من جسده ·
- اعتدوا بالضرب المبرح على ـ احمد أحمد حماد ـ بكعوب البنادق فى رأسه وكانت اصـــاباته خطـــيرة وقد قاومهـــم باستماتة ثم سرقوا ما بجيوبه وبيته ·
- اعتدوا على ـ السيد محمد ـ طعنا بالسـونكى فى صدره فأصيب بجرح نافذ خطير ·
- قام الجنود الانجليز ـ اضافة الى كل ذلك ـ بسلب ونهب المنازل والأهالى بهاتين القريتين ·

— وفظائع فى الشيانات (١٢٠) ٠٠

وفى ذات يوم ٢٥ مارس — وعلى أثر الانذار البريطانى بمعاقبة القرى المحيطة بمناطق محطات السكك الحديدية التى خربها الثوار — أحرق الجنود البريطانيون قرية الشيانات بمديرية الشرقية بعد نهبها وبذات أساليب الفظائع التى ارتكبوها فى قريتى العزيزية والبدرشين ٠

وبسبب اختفاء عسكرى هندى تابع للقوات البريطانية المكلفة بحراسة محطة السكة الحديد قام الجنود الانجليز بالاعتداء على أهالى القرية حيث قاموا بتحطيم أبواب المنازل وسلب ونهب كل ما بها ثم أحرقوا المنازل على مرآى من أصحابها واستمرت النيران مشتعلة على مدى يومين. مما أدى الى أن يبيت حوالى أربعة آلاف من الرجال والنساء والأطفال فى العراء بدون مأوى ٠

— وفظائع أخرى بقرية نزلة الشوبك (١٢١) ٠٠

فى ٣٠ مارس وقعت كارثة أليمة بقرية نزلة الشوبك — من أعمال مديرية الجيزة — حيث كان جنود انجليز قد حضروا بقطار — مسلح — بالقرب من القرية لاصلاح خط السكة الحديد ، وكان العمدة موجودا بالمحطة مع نفر من الأهالى للمساعدة فى اصلاح الخط مع الانجليز ، الا أن الجنود الانجليز تركوا العمل واقتحموا القرية وأخذوا يستولون على كل ما تقع عليه أنظارهم من أغنام وحمام وطيور ، وأثناء ذلك وقع نظرهم على امرأة تدعى **عزيزة خضير — زوجة عبد التواب عبد المقصود** — فأخذوا يمسكونها من كل موضع من جسدها ثم حاولوا اغتصابها فاستغاثت بزوجها الذى هرع اليها ليدافع عن زوجته — عرضه — فضرب أحد الجنود المعتدين بالعصا على رأسه ، فقام الجنود بقتل الزوج بالرصاص فى الحال ، وثار الأهالى العزل من السلاح فقام الجنود الانجليز باطلاق الرصاص عليهم وطعنوا البعض بالسونكى حيث قتل عدد كبير من الأهالى ، ثم استأنف الجنود بعد ذلك الاعتداء على المنازل وعلى من فيها وسلب ونهب ما فيها ، فبدأوا بالاعتداء على منزل العمدة فقتلوا الكثير من الأهالى منهم شيخ البلدة — **عبد الغنى ابراهيم طلبه** وأخوه عبد الرحيم ، كما اعتدوا على سيدة تدعى — رانده الجابرى — ولما تصدى لهم زوجها عبد المولى حسن قتلوه رميا بالرصاص ثم حاولوا اغتصاب المرأة ومعها طفلها الذى يبلغ

---

(١٢٠) مذكرات عبد الرحمن فهمى — ص ١٨٧ حتى ص ١٨٠ ٠

(١٢١) مذكرات عبد الرحمن فهمى — ص ١٩٤ حتى ص ٢٠٠ ٠

سنة ونصفا من العمر فلما قاومتهم أطلقوا الرصاص على طفلها أمام عينيها ، ثم أخذوا يشعلون النيران فى جميع المنازل بعد نهبها والاعتداء على النساء بها ، وأثبت ابن العمدة ـ عبد اللطيف أبو المجد ـ تاريخيا ـ هذه الفظائع فى خطاب أرسله الى سلطان البلاد ٠

***

الافراج عن سعد زغلول وصحبه ٠٠ (٧ أبريل ١٩١٩)

وصل الجنرال اللنبى الى القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩ ، كان جادا فى الوقوف على أسباب تذمر الشعب المصرى وثورته التى اشتعلت فى اللحظة التى تم فيها اعتقال سعد وصحبه ونفيهم الى خارج البلاد لمطالبتهم بالوسائل السلمية باستقلال بلادهم ، فلم يمض أكثر من أسبوعين حتى كان لدى الجنرال اللنبى الصلاحيات من حكومته باعلان قرار الافراج عن سعد وصحبه من المنفى وذلك يوم ٧ أبريل ١٩١٩ وكان نص البيان :

« بالاتفاق مع عظمة السلطان ، أعلن أنه لم يبق حجر على السفر لأى مصرى »

« وقد قررت كذلك أن كلا من سعد زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا ومحمد محود باشا وحمد الباسل باشا ، يطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر » ٠

٧ أبريل ١٩١٩

(نائب الملك الخاص)

« أ ٠ هـ ٠ هـ ٠ اللنبى »

ـــ وعمت مظاهرات الفرح والابتهاج أنحاء البلاد ٠٠

فخرجت المظاهرات الشعبية الصاخبة رجالا ونساء وحرفيين بالآلاف يجوبون الشوارع والميادين ابتهاجا بهذا الاعلان بالافراج عن سعد ورفاقه وبالسماح بسفر باقى أفراد الوفد واعتبر الجميع أن هذا بمثابة قمة النجاح لثورة الشعب على الطريق الى تحقيق آماله فى الحرية والاستقلال بالاصرار والتصميم وقوة العزيمة ٠

ـــ تكوين لجنة الوفد المركزية (١٢٢) ..

تشكلت اللجنة المركزية للوفد في أوائل ابريل ١٩١٩ ، فانتخبت اللجنة العامة اللجنة المركزية للوفد على النحو التالى :

« محمود سليمان باشا (رئيسا) وابراهيم سعيد باشا »
« (وكيلا وأمينا للصندوق) ومحمود أبو حسين باشا (وكيلا) »
« وعبد الرحمن فهمى (سكرتيرا عاما) وأمين الرافعى (مساعدا للسكرتير)»
« ومحمد السيد أبو على وابراهيم بك الهلباوى ومرقص بك حنا »
« وتوفيق دوس ومحمد محمود خليل والشيخ محمد عز العرب »
« وعبد الرحمن الرافعى والدكتور حسن بك كامل والدكتور محمود عبد الرازق والسيد بك محمود (أعضاء) » .

ثم ضمت اللجنة الى أعضائها ــ على توالى الأيام وتدريجيا ــ بعض المستقلين وبعض أعضاء من الحزب الوطنى حيث كان تشكيلها الأول معظمه من الأعيان وغالبيتهم من أعضاء حزب الأمة ، والذين انضموا للجنة هم :

« عبد الخالق مدكور ومحمد كامل جلال ومحمد محفوظ »
« وكامل بطرس والدكتور أحمد بك السيد والدكتور محجوب ثابت »
« ودكتور حبيب خياط وحسين عبد الغفار وعلوى الجزار »
« وراغب بك عطية وعلى المنزلاوى والسيد حسين القصبى وأحمد بك الشيخ»
« وفهمى ويصا وحسن بك الشريعى ومحمد زكى عبد الرازق »
« وعلى اسماعيل وصاروقيم عبيد وفؤاد بك سلطان وعبد الواحد الوكيل »
« ومحمود بك عبد النبى وعثمان سليط وسالم السيد وعبد الحليم العلايلى »
« وعبد الرحمن محمود ومحمد كمال أبو جازية ، وبسيونى الخطيب »
« وحسن هلال وعبد الستار الباسل ودكتور حافظ عفيفى »
« ومصطفى النحاس » .

ـــ سفر الوفد من القاهرة .. (٢١ أبريل ١٩١٩)

أسرع أعضاء الوفد المسافرون (١٢٣) بتجهيز أنفسهم وسافروا من محطة القاهرة مودعين بالمظاهرات فى ميدان المحطة وفى فنائها وعلى

(١٢٢) « وثائق ثورة ١٩١٩ » (المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى) ــ للدكتور محمد أنيس ــ هامش ص ١١ ، ١٢ .

(١٢٣) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ــ للأستاذ محمد على علوبة ــ من ص ١٣٤ الى ص ١٣٨ .

طول الطريق حتى بورسعيد ، ومنها استقلوا احدى بواخـــر السلطـة العسكرية البريطانية حيث أبحرت بهم فى ١١ أبريل ١٩١٩ وســـط الهتافات والمظاهرات الشعبية ـ الى مالطة وهنـــاك التقوا بسعد وزملائه حيث واصلوا السفر جميعا الى مرسيليا فوصلوها فى ١٩ أبريل ١٩١٩ ـ وكان أعضاء الوفد المسافرون :

« سعد زغلول ـ على شعراوى ـ اسماعيل صدقى ـ حمد الباسل »
« محمد محمود ـ عبد العزيز فهمى ـ أحمد لطفى السيد ـ محمد على علوبة»
« عبد اللطيف المكباتى ـ سينوت حنا ـ جورج خياط ـ مصطفى النحاس »
« حافظ عفيفى ـ حسن واصف ـ محمود أبو النصر ـ عبد الخالق مدكور ـ »
« ثم انضم اليهم ويصا واصف فى باريس » ٠

وقبل السفر ظهرت مشكلة تمويل نفقات ســـفر الوفد ، فدفـــع على شعراوى ـ وكيل الوفد ـ ثلاثة آلاف جنيه وعبد الرحيم الدمرداش ألف جنيه ودفع كل عضو من باقى الأعضاء مائة جنيه ٠

ـ المفاجـــأة ٠٠

بمجرد وصـــول السفينة المقلة للوفد الى مرسيليـــا يـــوم ١٩/٤/١٩١٩ (١٢٤) ، بلغهـــم أن الدكتـــور ديدرو ويلســـون ـ رئيس الولايات المتحـدة ، يعلـن حـق تقـرير المصـير لكل الشـعوب ـ قد أذاع اعلانا رسميا باعتراف حكومته بالحماية البريطانية على مصر ، وكان لهذا النبأ أسوأ الأثر على أعضاء الوفد اذ أثـر ذلك فى عزمهـم ، ولكنهم وجدوا أنفسهم بين شعب ثائر فى مصر وكلهم عنه لاتخاذ جميع السبل لأجل استقلال مصر وبين مؤتمر دولى للصـلح فى باريس يفتتح أعماله بالظلم وينظر للشرق نظرة كلها حقد ، ويرى أن الحرية وحق تقرير المصير ليسا من حقوق الشرقيين حتى ولو كانوا ساهموا فى المجهود الحربى بما لا يقل عن مساهمة الدول المتحاربة نفسها ٠

ولم يكن لسعد زغلول والوفد الا أن يواصـــلوا السفر الى باريس ليكونوا على مقربة من هذا المؤتمر ليقوموا بالجهاد قدر استطاعتهم ويتخذوا أسلوب الدفاع عن قضية بلادهم بكل ما يمكنهـــم من قوة اقناع بجميع الوسائل الممكنـــة ، وهم ـ فى نفس الوقت ـ فى شـــك من عدم الثقة ولا الرجاء فى هذا المؤتمر ٠

---

(١٢٤) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٨١ ، ٨٢ ٠

ولما علم المصريون المقيمون فى باريس بقـدوم الوفد اليها - وقبل وصول الوفد - ألفوا من بينهم جمعية أطلقوا عليهم اسم «الجمعية المصرية»، قامت بتغذية الجرائد الفرنسية بشرح تفصيلات القضية المصرية ونشر ذلك عقب وصول الوفد الى باريس ، ولم تمض بضعة أيام على وصـول الوفد الى باريس حتى كان معظم أعضـاء مؤتمر الصلح قد اعترفوا هم الآخرون بالحماية الانجليزية على مصر .

- وضوح المخطط البريطانى رغم غرابة تصرفهم ..

وبعـد هذه الصدمة المفاجئة ، كان هناك تساؤل (١٢٥) مصرى عن السبب الذى من أجـله أفرجت انجلترا وبشـكل مفاجىء عن المعتقلين الأربعة وصرحت لهم ولباقى أعضاء الوفد بالسفر الى مؤتمر السلام بعد أن عارضت سلطات الاحتلال بشدة فى هذا السفر ، والحقيقة التى لم تخف على أى مصرى أن انجلترا بعد أن تأكدت من موقف أمريكا باعلان رئيسها ويدرو ويلسون عن موافقته على اقرار الحماية البريطانية على مصر وتلافيا لتصاعد الغضب الشعبى المصرى وامتصاصا لهذا الغضب - وجدت أنه من حسن السياسة محاولة ارضاء الأمة المصرية بالافراج عن سعد زغلول (١٢٦) وصحبه والسماح له ولأعضاء الوفد بالسفر - بعـد أن اطمأنت الى قرار الحماية من أمريكا وهى أكبر الأمم فى مؤتمر السلام - وفى نفس الوقت فان تهدئة الشعب المصرى بتظاهر السياسة (١٢٧) البريطانية باحترام عواطفـه وفى ذات الوقت تدخـل فى روع الشعب المصرى أن ثورته لن تجديه نفعا لأن مصيره تقرر من جانب من يقررون مصير العالم وبذلك يتولد اليأس (١٢٨) فى نفسية الشعب المصرى بمرور الوقت الذى توهم الشعب أنها استجابت لجانب من طلباته ازاء الطريق المسدود دوليا فسوف يقبل الأمر الواقع فيرضى بالقليل ، أما اذا ركب الشعب المصرى رأسـه وصمم على المقاومة فان لدى دولة بريطانيـا العظمى من الوسائل العنيفة وغيرها ما يجعل هذا الشعب يكل ويمل من طول الكفاح فيستكين راضيا أو كارها لما تريده انجلترا (١٢٩) .

---

(١٢٥) « مذكرات عبد الرحمن فهمى » - ص ٢٨٤ .

(١٢٦) « ذكريات اجتماعية وسياسية » - للأستاذ محمد على علوبة - ص ١٣٦ .

(١٢٧) « مذكرات د. محمد حسين هيكل » - ص ٨١ - ٨٢ .

(١٢٨) « وثائق ثورة ١٩١٩ » - (مراسلات سعد) للدكتور محمد أنيس - خطاب محمود أبو النصر لسعد زغلول فى ١٩١٩/٦/٣٠ - من ص ٢٨٢ حتى ص ٢٨٩ .

(١٢٩) مذكرات عبد الرحمن فهمى ، ص ٢٨٢ .

وهذا هو المخطط البريطانى الذى اتبعته الى آخر المدى السياسة البريطانية ٠

★★★

ـ حول مؤتمر الصلح (٤) ٠٠

عقد مؤتمر الصلح فى باريس ابتداء من شهر يناير ١٩١٩ ، وقد مثل فيه عدد كبير من شعوب العالم ، فاشتركت فيه الدول المتحالفة وهى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان ومثلت فيه أيضا الدول التى أعلنت الحرب على ألمانيا ـ وحتى مرحلتها الأخيرة ـ كالصين وسيام ومعظم دول أمريكا الجنوبية والوسطى كما مثلت فيه شعوب الدول التى كانت خاضعة لألمانيا والنمسا وتركيا ثم ؟ على هذه الدول ، فاعتبرها المؤتمر شعوبا محاربة مع الحلفاء مثل بولندة وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وليتوانيا واستونيا والحجاز والعراق والصهيونيين ، والذين وقعوا معاهدات الصلح هم فقط مندوبو الدول الثلاث الكبرى : **بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية** ، ولم تمثل فيه الدول المنهزمة الا حينما دعيت لتسمع الحكم عليها ولم يسمح للدول المحايدة بحضوره ، ووقفت « روسيا » ـ وهى منشغلة بثورتها البلشفية ـ تنظر الى ما يجرى بمؤتمر الصلح من بعيد دون مشاركة فيه ، وفى غيبة من الدول المنهزمة وروسيا والدول المحايدة ، فان جميع أحكام وقرارات مؤتمر الصلح هذا جاءت فى صالح الدول الثلاث الكبرى المتحكمة فى هذا المؤتمر بل وفى العالم كله ـ بعد انتصارها فى الحرب العالمية الأولى ـ فأصبح أداة عقاب وانتقام ورسم لسياسة العالم فى مستقبل الأيام لصالح هذه الدول الثلاث الكبرى وأطماعها ، والتى عانى وقاسى منها العالم كله حتى قيام واندلاع الحرب العالمية الثانية ٠

وبذلك أصبحت الكلمة العليا فى العالم ـ لثلاثة رجال :

ـ فكان أولهم هو الشيخ المسن « جورج كليمنصو » (١٣٠) ـ رئيس وزراء فرنسا المشهور ب (النمر) ، وكانت له رئاسة المؤتمر ـ على غير ما كان يشتهى رئيس أمريكا دكتور ويدرو ويلسون ـ وكان «كليمنصو» يمثل العقلية السياسية العتيقة بأجلى معانيها ، وكان قد جاوز السبعين من عمره ، وكان كل همه تأديب ألمانيا حتى لا تعود الى تهديد فرنسا ٠٠

---

(١٣٠) مذكرات عبد الرحمن فهمى ـ ص ٢٨٢ ٠

ـ أما ثانيهم فكان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « ويدرو ويلسون » ـ وهو أستاذ سابق فى التاريخ ـ وكان مستغرقا فى أوهامه الأكاديمية النظرية ، وكان قبل حضوره المؤتمر قد أسمع العالم خطبته التى ضمنها المعانى السامية نحو ضرورة انشاء نظام عالمى جديد تتحكم فيه الديمقراطية ليبتعد العالم عن ويلات الحرب والنزاعات العسكرية وانخدعت ألمانيا بكلماته وألقت سلاحها وبنفس القدر انخدعت شعوب الدول المغلوبة على أمرها والتى وعدها بالحرية على أساس حق تقرير المصير لتحكم كل أمة نفسها بنفسها ، وايجاد تعاون منظم بين الأمم الحرة لتسوية المنازعات ومنع الحروب أولا بأول ٠

ـ وكان ثالث الثلاثة هو المستر ـ دافيد لويد جورج (١٣١) رئيس وزراء بريطانيا والذى استمر معتليا أخطر المناصب طوال مدة الحرب وقبلها بثمانى سنوات وكان رجلا انجليزيا بمعنى الكلمة عمليا واقعيا بين الاثنين ، واستطاع كليمنصو ولويد جورج أن يؤثرا على أستاذ التاريخ ويدرو ويلسون ومبادئه الانسانية الدولية وبذلك قضى على الأمل الانسانى الوحيد فى هذا المعترك الدولى القادر على امكانية تغيير الأوضاع الدولية الى صالح الانسانية اذا أراد ذلك ٠

فكانت هذه هى الروح التى أملت على المؤتمر الشروط التأديبية التى فرضت على ألمانيا وحلفائها ، وهى التى جعلت مؤتمر الصلح **يوافق على استمرار الحماية على مصر حقا لبريطانيا** ، والتى جعلت صاحب **شعار الحرية ـ نفسه ـ الرئيس الأمريكى ـ هو أول من المعلنين** عن موافقته على هذا الحق الظالم صارخ الاجحاف لكل حق انسانى على المستوى الدولى ولم يقف المؤتمر عند هذا الحد ، بل وافق أيضا على اخضاع كثير من الشعوب للنفوذ الاستعمارية لدولتى الاستعمار بريطانيا وفرنسا ٠

خيبة أمل الشعب المصرى :

ازاء كل ما سبق وبعد أن بلغت أخبار (١٣٢) المؤتمر وموقفه من ناحية تأكيده على اعلان الحماية البريطانية على مصر ، وقع هذا الاعلان على الملايين من الشعب المصرى وقع الصاعقة ، لأن ويدرو ويلسون هذا كان الأمل ـ وكان هو الرجل صاحب المبادىء الأربعة عشر ومنها حق تقرير

---

(١٣١) المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ٠

(١٣٢) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٨١ ٠

المصـــير ـ وهو الذى انقلب ينكر على الشعب المصرى حقــه فى تقرير مصيره (١٣٣) ، وقبل أن يسمع من الوفد المصرى أية كلمة فقد تجلى الغدر فى أوضح صوره وهو تتكر هذا الرئيس الأمريكى للمبادىء ، وبطبيعة الحال كان واضحا وجليا لأعضاء الوفد المصرى وللشعب فى مصر مدى قدرة السياسة البريطانية الخادعة على التأثير بشكل أو بآخر على صاحب القرار الأمريكى (١٣٤) ، وان هذا الاعلان الأمريكى كانت نبغى به انجلترا أن يفت فى عضد ويفل من عزيمة الشعب المصرى الثائر واعطـاء هذا الشعب درسا بأن تدخل فى روعه أن ثورته لن تجديه نفعا لآن مصيره قد تقرر مسبقا من جانب من بيدهم تقرير مصائر شعوب العالم ، وهذا الشعور باليأس والاحباط هو ما كانت تبغيه وتهدف اليه وتخطط له السياسة البريطانية ..

ولكن خاب أمل السياسة البريطانية لأن الشعب المصرى بمجرد علمه بهذا الغدر الدولى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية المنفذ للتكتيك السياسى البريطانى الخبيث الخادع ، استأنف كفاحه الثورى بشـــكل أعنف ضد السلطات البريطانية العســكرية وضد الموظفين المدنيين الانجليز وضد السياسة البريطانية بشكل عام على امتداد الأرض المصرية .

تعارض المصالح ..

خرجت انجلترا وفرنسا من الحرب العالمية الأولى منتصرتين بفضل المعونات الأمريكية المادية الهائلة وبفضل دخول الولايات المتحدة الأمريكية

(١٣٣) « ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ » ـ الجزء الثانى (ثورة مصر) للأستاذ محمد على الغتيت ـ ص ٨٥ : « وقد اهتمت الحكومة البريطانية بنشر اعترافات ويلسون بالحماية على مصر فعملت على أن تقوم دار الوكالة الأمريكية بالقـاهرة فأذاعت دار المندوب البريطانى ما جاءها من « همسون جارى » وكيل الولايات المتحدة يقول فيه · (أتشرف بأن أقول ان حكومتى أمرتنى أن أبلغكم أن رئيس الجمهورية يعترف بالحماية البريطانيـة على القطر المصرى وهذه الحماية التى بسطتهـا حـكومة جـلالة الملك فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، هذا وأن الرئيس باعترافه هذا يحفظ بالضرورة لنفســه حق البحث فيما بعد فى تفاصيل هذا الاعتراف ، مع مسألة تعديل حقوق الولايات المتحـدة التعديل الذى يقتضيه هذا الأمر ، وأن الرئيس والشعب الامريكى يعطفان كل العطف على أمانى الشعب المصرى المشروعة للحصول على قسط آخر من الحكم الذاتى ، ولكنهما ينظران بعين الأسف الى كل مسعى لتحقيق هذه الأمانى بالالتجاء الى العنف) ـ « يقصد ثورة الشعب المصرى ومتجاهلا فظائع السلطات العســكرية الانجـليزية ضد الابرياء المصريين » .

(١٣٤) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ الرسائل المتبادلة بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ، راجع خطاب محمود أبو النصر فى ٣٠ يونية ١٩١٩ ـ ص ٣٨٢ حتى ص ٢٨٦ ، راجع خطاب اسماعيل صلاح فى ٣٠ يونية ١٩١٩ ـ ص ٢٨٦ حتى ٢٨٩ .

الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ، وكان كل الفضل يرجع الى شخصية الرئيس الأمريكي « ويدرو ويلسون » فتدخلت في الحرب (١٣٥) وأدت ضريبة الدم حيث بلغ عدد الجنود الأمريكيين في آخر عام ١٩١٨ ما يقرب من أربعة ملايين وثمانمائه ألف منهم مليونان وستة وثمانون ألف جندي يقاتلون داخل الأراضي الفرنسية وحدها وبلغت تكاليف هذه الحملة مليونا وثلاثمائة وسبعين ألفا تحملتها الميزانية الأمريكية في الفترة التي خاضتها في خطوط القتال ، وبلغ عدد القتلى من الجنود الأمريكيين خمسين ألفا وجرح وشوه ما يزيد على مائتين وستة آلاف جندي وبلغت تكاليف هذه الحرب التي تحملتها الميزانية الأمريكية في الفترة التي خاضتها اثنين وعشرين مليارا من الدولارات - علاوة على القروض التي أمدت بها فرنسا وانجلترا والدول الحليفة والتي بلغ مقدارها عشرة مليارات دولارا بالاضافة الى ملايين الأطنان من المواد الغذئية وبما يبلغ زنته خمسة ملايين طنا من المعدات الحربية وما زنته مليونا ونصف طن من الصلب .

وبرغم كل هذه التضحيات الأمريكية التي كانت توجب على كل من انجلترا وفرنسا أن تفسح للرئيس الأمريكي مكان الصدارة فيجلس في مقعد رئاسة المؤتمر كاعتراف بالجميل ، فقد تنكر له كل من النمر الفرنسي « كليمنصو » والداهية الانجليزى (١٣٦) « جورج لويد » ولم يسمحا للرئيس « ويدرو ويلسون » برئاسة المؤتمر حتى لا يملك الوسائل لتحقيق تنفيذ مبادئه الأربعة عشر والتي قد تحقق الحرية والاستقلال لشعوب الدول المغلوبة على أمرها وكلها كانت مستعمرات فرنسية وبريطانية تدر الخير لكل من الامبراطوريتين الاستعماريتين وبالتالي تحقق لهما الرفاهية والقوة والسيطرة وبذلك تخرجهما أمريكا مما تنعمان به من خير ، فتمكنت كل من انجلترا وفرنسا من التأثير في بادىء الأمر على الرئيس الأمريكي بالمغالطات باقناعه بأن الشعب المصري يبالغ في مطالبته بالاستقلال مستعينا بأسلوب العنف والفوضى مما أدى بالرئيس الأمريكي الى الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر وكان ينتظر مقابل ذلك مكانا مرموقا برئاسته لمؤتمر الصلح ولكن انجلترا وفرنسا تنكرتا له فكان ذلك جزاءه منهما الذى ناله فسجل بذلك على نفسه وعلى بلاده وقومه قمة الجهود والتنكر للمبادىء والقيم الانسانية والأخلاقية التي سبق وأن تبناها وأعلنها ولوح بها للشعوب الصغيرة المقهورة والمغلوبة على أمرها وعشمهم بالأمل في الحرية وحق تقرير المصير بالاستقلال ، ولكن سرعان

---

(١٣٥) « ثورات العرب في سنة ١٩١٩ - للأستاذ محمد على الغتيت - الجزء الأول - ص ٩٤ .

(١٣٦) « ثورات العرب في سنة ١٩١٩ » - للأستاذ محمد على الغتيت - جزء أول) ص ٨٧ حتى ص ١٠٠ .

ما بدد هذا الأمل بهذه المواقف المخزية والمفجعة تنكرا لمبادئه التى سبق وأعلنها هو ولم تصدر عن أحد سواه ، وكانت النتيجة أن خصصوا له - للرئيس الأمريكى - مقعدا عاديا فى المؤتمر كأحد أفراد الفريق المنتصر وليس كرئيس وبذلك لم يكن له أى دور ولم تكن له أية رسالة أو مثل عليا ، فقد دوره كزعيم للعالم الحر بعد انتهاء الحرب ، وتبع ذلك أن قامت الدول الغربية المنتصرة فى الحرب باحداث فراغ حول الولايات المتحدة الأمريكية وخبا كل شعاع لآمال الشعوب الصغيرة فى أمريكا ورئيسها وبذلك تحقق لدولتى الاستعمار بريطانيا وفرنسا عزل أمريكا فلم يعد لها الكلمة فى حق تقرير المصير الذى كانت تترقبه وتتوق اليه الشعوب المستعمرة ٠٠

وامعانا فى التنكر للمبادىء والوعود ، فقد قاطعت انجلترا وفرنسا اللجنة الدولية (١٣٩) التى شكلها مؤتمر الصلح للبحث والتعرف على رغبات الأمة العربية فى فلسطين وفى سوريا والأردن وكانت أطماعهم فى السيطرة على البترول العربى هى المسيطرة على تفكير قادة السياسة فى انجلترا وفرنسا ، وكانت مساومة هاتين الدولتين للرئيس الأمريكى « ويلسون » على أساس أمرين : أولهما : اما أن يتمسك بمبادئه - الأربعة عشر التى سبق وأعلنها - وبذلك قد يخسر مشروعه الأساسى فى تكوين وانشاء الهيئة المقترحة (عصبة الأمم) التى كرس لها كل نشاطاته فى أخريات أيامه ٠٠ وثانيهما : واما أن يجارى رغبات كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى المؤتمر فى سبيل تحقيق هذا الحلم الكبير الذى كان يراوده ويسعى الى تحقيقه ٠٠ وكانت تلك هى اللعبة السياسية الكبرى الخبيثة لبريطانيا فى هذه الفترة حيث جعلت الرئيس الأمريكى - كداعية للسلام لتحقيق آمال الشعوب المقهورة فى التحرر - يعلن بنفسه عكس مبادئه ويتحرر منها ويتنكر لها خاسرا بذلك مكانته كرئيس لدولة كبرى فى العالم ، فيعترف ويقرر - على غير ما كان يأمله ونادى به فعلا - بضرورة فرض الحماية البريطانية على مصر ، ولو أنه فى بيانه تحفظ بعض الشىء ليقنع نفسه - على الأقل - بالتمسك ببعض من جوانب هذه المبادىء ٠

حيث جاء فى هذا البيان (١٣٨) - الذى أذيع فى القاهرة - : « ان الرئيس باعترافه هذا يحفظ لنفسه حق البحث - فيما بعد - فى تفاصيل هذا الاعتراف واجراء التعديل الذى يقتضيه الأمر ، وان الرئيس والشعب

---

(١٣٧) المصدر السابق - ص ٩٦ ، ٩٧ ٠

(١٣٨) « ثورات العرب فى ثورة ١٩١٩ » - للأستاذ محمد على الغيتيت - جزء أول - ص ٩٤ ٠

الأمريكي يعطفـان كل العطف على أماني الشعب المصرى ـ المشروعـة ـ للحصول على قسط آخر من الحكم الذاتى (١٣٩) (وليس الاستقلال) ، ولكنهما ينظران بعين الأسف الى كل مسعى لتحقيق هذه الأماني بالالتجاء الى العنف •• (اعتبر ثورة الشعب المصرى على الاستعمار البريطانى أنها عنف ، فى حين أن أمريكا فى ثورتها ضد الاستعمار البريطانى استخدمت أقصى أنواع العنف) •• !!

وعلى أثر هذا الاعلان الشاذ ذى البيان المؤسف الصادر عن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ناصب الحزب الجمهورى الأمريكي العداء للرئيس الأمريكي ويلسون فخذله الكونجرس (البرلمان الأمريكي) بعدم الموافقة على معاهدة الصلح أو التصديق عليها ، وتعرضت مبادىء الرئيس للتجريح والنقد وناصبوا دعوته العداء وندوا بما كان قد ألقاه من الخطب•

وهكذا تحقق النجاح لسياسات بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى تحطيم كل ما كان ينشده ويلسون من آمال للشعوب الصغيرة المقهورة المغلوبة على أمرهـا ، وبذلك خسر ويلسون احترام تلك الشعـوب كما خسر برلمانه الأمريكي ، وقد قيل انه كان لهذا الخسران صدمة عنيفة منى بها الرئيس الأمريكي حيث كان لها آثار سيئة بارزة فى نفسه ظلت تلازمه حتى فارق الحيـاة (١٤٠) •••

وعادت الولايات المتحدة الأمريكية الى سياسة العزلـة عن المجتمع الدولى من جديد ، وهيمنت كل من بريطانيا وفرنسا بفرض ارادتهما على العالم وعلى الشعوب المغلوبة على أمرها ، وازاء ذلك لم يكن أمام هـذه الشعوب ـ ومنها مصر ـ الا الاعتماد على ذاتها بشق طريق الثورة على هذا الظلم الدولى الذى تتزعمه دولتا الاستعمار اللتان اقتسمتا دول العـالم الصغيرة فيما بينهما ، فكان على شعوب هذه الدول أن تتشبث بالثورة وتزيد اشتعالها على المحتلين فى بلادها •



---

(١٣٩) « ثورات العرب فى سنة ١٩١٩ ـ للأستاذ محمد على الغتيت ـ جزء ثان (ثورة مصر) ـ ص ٨٥ •

(١٤٠) المصدر السابق •

الوفد المصرى فى فرنسا ...

قام سعد باشا زغلول وأعضاء الوفد ـ فور وصولهم الى باريس ـ بتنظيم أنفسهم وأسلوب عملهم ، فألفوا من بينهم ثلاثة لجان تشكلت على النحو التـالى :

(أ) **اللجنة المالية** : تألفت من : سعد زغلول رئيسا وشعراوى باشا أمينا للصندوق وعبد اللطيف المكباتى .

(ب) **لجنة الحفلات** : وتألفت من : اسماعيل صدقى وحسين واصف وجورج خياط .

(جـ) **لجنة النشر** : تألفت من : اسماعيل صدقى وعبد العزيز فهمى ودكتور حافظ عفيفى وويصا واصف .

ـ وبادر سعد باشا بزيارة رؤساء وفود الدول العظمى ، الا أن أحدا منهم لم يشـأ أن يرد هذه الزيـارة باستثناء رئيس الوفـد الايطالى (١٤١) .

ـ ففى ٢٢ ابريل ١٩١٩ ، كتب سعد بصفته رئيس الوفـد الى الدكتور ويلسون يرجو منه تحديد موعد للمقـابلة فرد عليه سكرتيره الخاص بأنه سيعرض رسـالته على الرئيس الأمريكى وتضمنت الرسالة صيغة احتجاج مصر على موقف المؤتمر ..

ـ وفى ٢٩ ابريل ١٩١٩ ، أرسل سعد باشا خطابا بنفس صيغة الخطاب السابق الى رئيس مؤتمر الصلح « كليمنصو » ، الا أنه لم يتلق ثمة رد ..

ـ وعندما أراد الوفد أن يوفد بعض من أعضائه الى مختلف الدول الأوربية لنشر دعوته فلم يتمكنوا من الحصول على تصاريح السفر ..

ـ وفى ٣ مايو ١٩١٩ ، أقام الوفد حفلا لرجال الصحافة الأمريكية والبريطانية والفرنسية المتواجدين بفرنسـا ـ لتغطية أعمال المؤتمر ـ وخطب فيهم سعد زغلول ومحمد محمود حيث شرحا فى خطابهما أبعاد القضية المصرية ..

ـ وفى ٦ مايو ١٩١٩ ، سلمت شروط الصلح للوفد الألمانى (١٤٢) وفيها اعتراف ألمانيا بحماية بريطانيا على مصر ..

---

(١٤١) مذكرات عبد الرحمن فهمى ـ ص ٣٨٥ .
(١٤٢) المصدر السابق .

ـ وفى ١٢ مايو ، أرسل الوفـد الى رئيس المؤتمر « كليمنصو » احتجاجا على قرار المؤتمر ..

ـ وفى ١٦ مايو ، أرسل الوفد من باريس برقية مطولة الى رئيس مجلس الشيوخ في واشنطون شارحة بالتفصيل أبعاد القضـية المصرية والمذابح البريطانية المحمومة ضد الشعب المصرى الثائر مطالبـا بحريته واستقلاله ..

ـ أعاد سعد زغلول المحاولة، فأرسل خطابا آخر الى الرئيس الأمريكى ويلسون يشرح فيه قضية بلاده مكررا طلب المقابلة لشرح القضية تفصيلا، فباءت تلك المحاولة أيضا بالفشل .



الاعتماد على النفس ..

ـ بعد فترة من محاولات الاتصالات والاحتجاجات التى باءت جميعها بالفشل ، انصرف تفـكير سعد زغلول وأعضـاء الوفد الى اعادة ترتيب أوراقهم بالدعاية لمصر وقضيتها ، فبادر سعد بالعمل بعقليته المرتبة حيث صمم على ضرورة الاتصال بالثوار فى مصر ، فنظم عمليات الاتصالات السرية والعلنية بلجنة الوفد المركزية وركزها عن طريق سكرتيرها عبد الرحمن فهمى ـ قائد المقاومة العلنية والسرية ـ وبذلك ضمن سعد ادارته للثورة فى مصر عن طريق حصوله على المعلومات أولا بأول واستغلالها دعائيا فى باريس وأوروبا عامة شارحا وموضحا فظائع الانجليز التى يرتكبونها ضد الثوار الأبرياء العزل فى مصر ، وفى نفس الوقت توجيهه المستمر للثورة ويؤكد ذلك ما قاله « لـويد جـورج » فى كتـابه (١٤٣) عن (مصر منذ كرومر) قوله : « لم تنفع صدمة اعلان اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر ، الا فى اقناع زغلول أن العراك يجب أن يأخذ مجراه فى الأراضى المصرية ، فوجه همه على الفور الى تلك الجوقة وطفق يدير المعركة من مقامه بباريس ويبعث الى أتباعه بالآراء والأخبار والتوجيهات ، واقتنع الشعب فى مصر بمداومة الجهاد » .

ـ وفى ١٣ مايو ١٩١٩ ، أرسل سعد باشا من باريس تلغرافـا الى (١٤٤) محمود سليمان باشا ـ رئيس اللجنة المركزية فى مصر ـ يقول فيه : « منذ وصولنا وجدنا جميع الأبواب موصدة فى وجوهنـا ، كل

---

(١٤٣) « تراجم وسير » للأستاذ العقـاد ـ المجلد الثامن عشر ـ ص ٣٨١ .

(١٤٤) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ للدكتور محمد أنيس ـ (الرسائل المتبادلة بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى) ـ ص ١١ .

الجهود والمساعى لم تؤد الى نتيجة واعترف الألمان بالحماية » ، وكادت تتسرب وتصل هذه المعلومات ـ المخيبة للآمال ـ الى الشعب المصرى الثائر ، وخوفا من رد الفعل والاحباط الذى قد يتسرب الى نفوس أفراد الشعب فيتسبب فى اخماد الروح الثورية ، تمكن سكرتير اللجنة عبد الرحمن فهمى من تدارك الموقف فأجل الاعلان عن ذلك ومنذ ذلك الوقت دعت الضرورة الى حتمية اعادة تنظيم عمليات الاتصالات بين اللجنة المركزية والثوار فى مصر وبين سعد زغلول وأعضاء الوفد فى باريس بأن تتم هذه الاتصالات بأسلوب سرى حتى لا تقع أية معلومات فى أيدى السلطات البريطانية ٠

وكانت هذه هى بداية العمل السرى المنظم ، خاصة وأن اللجنة المركزية المنتخبة فى مصر كان من أبرز اختصاصاتها ـ طبقا للمادة (٢٦) من قانون الوفد ـ أن يكون عملها الرئيسى جمع التبرعات لتغطية نفقات واحتياجات الوفد فى باريس وجمع المعلومات عن الموقف فى مصر وارسالها الى الوفد فى باريس لاستخدامها فى الدعاية للقضية المصرية فى دوائر المؤتمر والأوساط العالمية السياسية والصحفية ٠

ظل مؤتمر الصلح منعقدا ستة شهور ومكث وفد مصر حوالى ثلاثة شهور منها محاولا الاتصال بأى من الوفود المشاركة فى المؤتمر دون جدوى سواء داخل أروقة مقر اجتماع المؤتمر أو خارجه ، مما دعا وفد مصر الى تنظيم صفوفه وأسلوب عمله بتوسيع دائرة نشاطه خارج مصر سواء فى انجلترا أو ايطاليا وبالذات فى أمريكا ٠٫٠ وانتظم العمل اليومى للوفد المصرى على الوجه التالى (١٤٥) :

ـ ففى الصباح وابتداء من الساعة التاسعة ، تبدأ سكرتارية الرئيس سعد زغلول فى مطالعة صفحات الجرائد اليومية الانجليزية والأمريكية وتنتزع منها القصاصات التى تحمل أخبار خاصة عن مصر وتقوم بترجمتها الى اللغة العربية ، وينتهى هذا العمل فى وقت تناول الغداء ظهرا ٠

ـ تستأنف السكرتارية العمل بعد الظهر حتى الساعة الرابعة والنصف مع سعد زغلول لكتابة الرسائل الخصوصية والتقارير الواردة من مصر والردود عليها وغير ذلك من اجراءات ٠٫٠

---

(١٤٥) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ للدكتور محمد انيس ـ (من نص رسالة من كامل سليم الى عبد الرحمن فهمى) ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ٠

وفى الساعة الخامسة يجتمع أعضاء الوفد جميعا ، وتتـلى عليهم ما تم ترجمته وملخصات التقـارير ثم يصير تفسير كل منها ، ثم يقوم أعضاء الوفد بالانتقال الى حجرة مخصصة للكتابة لكتابة الردود اللازمة كل عضو فيما يخصه أو يخصصه له رئيس الوفد ، ثم تسلم هذه الردود الى السكرتارية لترجمتها الى اللغات الأجنبية حسب لغة كل وفد من الوفود المشاركة فى مؤتمر الصلح وترسل هذه الردود لدور الصحف الأجنبية أو المصرية فى مصر، وكذلك يتم ترجمة التقارير الواردة من مصر واتخاذها عادة فى وسائل للدعاية للقضية المصرية فى الصحافة الأوروبية والأمريكية ..

ـ عندما تضخمت أعباء العمل على أعضاء الوفد المصرى فى باريس ، قام الوفد بافتتاح مكتبين له فى كل من ايطاليا وانجلترا لتحقيق أكبر قدر من وسائل الدعاية الاعلامية لتكون على مسمع من شعوب الدول الأوربية جمعاء ..

ـ وعندما ترامت الأنباء لسكرتارية الوفد فى باريس بأن الكونجرس الأمريكى يعارض الرئيس ويلسون لموقفه فى مؤتمر الصلح وأن هناك احتمالا شبه أكيد بأن الكونجرس سوف يرفض معاهدة الصلح وأن فى هذا الرفض مصلحة كبيرة لمصر ، اذ بذلك يزول تلقائيا اعتراف أمريكا بتأكيد الحماية البريطانية على مصر ..

ـ فقد بادر الوفد المصرى بأن أوفد محمد محمود باشا من باريس الى أمريكا للدعوة للقضية المصرية هناك وليقوم بمهمة الاتصال بالنواب والشيوخ أعضاء مجلسى الكونجرس الأمريكى لاقناعهم بضرورة مقاومة هذه المعاهدة الصلحية الظالمة لحقوق الشعوب الصغيرة المهضومة الحقوق ..

ـ وسافر محمد محمود باشا ونجح فى اتصالاته الواسعة النطاق والدعوة للقضية المصرية حتى جعل الكثير من أعضاء الكونجرس يتحدثون عن مصر وحقها فى الحرية والاستقلال ..

ـ الا انه لما كانت التوجهات السياسية فى أمريكا فى ذاك الوقت قد نحت نحو المطالبة بالعزلة ، فقد انتهت وتوقفت السياسة الأمريكية عند حد تفضيل سياسة العزلة ، مما حدا بالكونجرس الى عدم الموافقة على معاهدة الصلح ولا على ميثاق عصبة الأمم ولم تشترك فى عضويتها .

***

لم يكن فى ذهن سعد زغلول باشا ولم يدر بخلده ــ اطلاقا ، والى ما قبل يوم اعتقاله ــ أية نوايا للتخطيط للثورة ، رغم شعوره الداخلى بأن أحداثا جساما سوف تحدث اذا ما استمر وطنى فى معاندة السلطات البريطانية فى الحق فنطق لسانه الفصيح بما يشعر به معبرا عما سوف يجب أن يحدث بتعبير « القارعة » (١٤٦) ، أى الناقوس الذى سينبه لشىء واجب اتخاذه شعبيا وتلقائيا ، وكان بداية قرع الناقوس هو قيام سلطات الاحتلال البريطانى باعتقال سعد ورفاقه ، وقد شب لديه هذا التفكير بعد مقاومته للانذار البريطانى ...

ــ ففى صباح يوم ٩ مارس ١٩١٩ ــ أى يوم الاعتقال (١٤٧) ــ لم يتعد العمل الايجابى لأعضاء المؤسسة الوطنية متمثلا فى الوفد المصرى المعلن عن تكوينه ، لم يتعد عملهم الايجابى سوى الاحتجاج أثناء اجتماعهم برئاسة على شعراوى باشا وكيل الوفد ، فأرسلوا خطابا الى السلطان « أحمد فؤاد » يحتجون فيه على اعتقال سعد وأصحابه وأذاعوا محتوى هذا الخطاب الاحتجاجى على الشعب .

ــ وعندما حضر الى « بيت الأمة » وفد من طلبة المدارس العليا وكان منهم طالب الحقوق « ابراهيم عبد الهادى » مع زميليه « عبد الحليم عابدين » و « حافظ عمار » بغرض الحصول على التعليمات نحو دور الطلبة فى العمل الايجابى لتسجيل الاحتجاج ، فنصحهم عضو الوفد عبد العزيز فهمى بالهدوء والالتفات الى دروسهم حيث قال لهم جملته الشهيرة : « دعونا نعمل فى هدوء » ، وقد أصبحت هذه الجملة تتردد على ألسنة الشباب على سبيل التهكم والسخرية ، الا أن هذه المجموعة القليلة العدد من الشباب زعماء الطلبة صمموا على عدم الاعتماد على السياسيين التقليديين (١٤٨) والاعتماد على أنفسهم فعادوا الى مدارسهم ففوجئوا باندلاع المظاهرات دون انصياع لنصائح السياسيين التقليديين أو انتظار أوامر أو توجيهات من أحد والتأم شمل الطلبة المتظاهرين بزملائهم الزعماء ، وأثناء طواف المظاهرات بالأحياء والشوارع والميادين تبين لهم أن بقية فئات الشعب قد خرجوا فى مظاهرات صاخبة دون أية

---

(١٤٦) « تراجم وسير » ــ للأستاذ العقاد ــ المجلد الثامن عشر ــ ص ٢٩٩ .

(١٤٧) من مذكرات « ابراهيم عبد الهادى » ــ مجلة روز اليوسف عدد ٢٨١٤ فى ١٩٨٢/٥/١٨ (الحلقة الثالثة) .

(١٤٨) المصدر السابق .

توجيهات أو قيادة والتحمت المظاهرات ببعضها البعض وبذلك تحولت هذه المظاهرات الصاخبة التي جمعت بين طلاب المدارس العليا والثانوية وبين مختلف فئات الشعب الأخرى ـ تحولت فى لمح البصر الى ثورة عارمة ..

وفى هذه الأثناء بدأت تتكون خلية بسيطة من هؤلاء الطلبة وأخذت تتجمع حولها عناصر طلابية أخرى أكثر ايجابية ازدادت أعدادهم فحتمت عليهم الظروف تنظيم أنفسهم بتكوين خلايا كل منها مسئولة عن واجب تكلف به .. فكانت :

(أ) **خلية** مسئولة عن **تحرير المنشورات** وطبعها بالبالوظة وتوزيعها بالقاهرة .

(ب) **خلية** مسئولة عن **الاعلام** للسفر الى **الأقاليم والقرى والثغور والنجوع** لتوزيع المنشورات التى تحوى أخبار ممارسات السلطات العسكرية البريطانية العنيفة ضد المتظاهرين وعمليات القمع بالقتل والتشريد .

(ج) **خلية** مسئولة عن **جمع المعلومات** من مناطق الثورة فى العاصمة والأقاليم للاستفادة بها فى تحرير المنشورات .

وقد اعتمدت هذه الخلايا الثورية الشبابية على المنشورات بصفة رئيسية لتحريك الشارع المصرى والفلاحين الثائرين فى القرى وتحريضهم على استمرار الثورة ، لأن الرقابة التى كانت تفرضها سلطات الاحتلال البريطانى على الصحف كانت تمنع توصيل أخبار الثورة الى الأرياف ..

وتدريجيا تطورت هذه الخلايا واتسعت دوائرها وتعددت واجباتها ومهامها بما يتناسب واتساع مجال الثورة وتفاقم أحداثها ، فتشكلت على هيئة تنظيمات للمقاومة الشعبية (١٤٩) ، سرعان ما انضم اليها واندمجت فيها خلايا وطنية ثورية أخرى لديها الخبرة حيث سبق لها الاشتراك فى عمليات الاغتيالات السياسية منذ أحداث محاولة الاعتداء على السلطان حسين كامل ثم عملية اغتيال بطرس باشا غالى وغيرها من أحداث ايجابية وكان من أبرز عناصر هذه الخلايا الوطنية الثورية « عبد الرحمن فهمى » وكان يمثل القيادة للمقاومة السرية ومنهم أيضا « شفيق منصور » ، وقد قام بتنظيم مقاومة سرية مسلحة ومنظمة بدأت عملها بالرد أولا بأول على عمليات القتل التى يرتكبها جنود الاحتلال ضد المتظاهرين ..

---

(١٤٩) المصدر السابق .

وقد أطلق على أعضاء هذا التنظيم السرى وعلى قائده « عبد الرحمن فهمى » تعبير « ديدبان » (١٥٠) مصر ، حيث كان مسيطرا على جهاز آخر لجمع المعلومات عن تصرفات طبقة السياسيين المحترفين الضالعين فى التعاون مع السلطات البريطانية وكذلك جمع المعلومات عن نقاط الضعف فى معسكرات وتشكيلات وتحركات السلطة العسكرية البريطانية وخاصة المكلفين بمقاومة الثوار والقضاء عليهم ، كل ذلك سهل على أعضاء تنظيم المقاومة السرية برئاسة عبد الرحمن فهمى، احداث الكثير من الخسائر فى صفوف قوات السلطة العسكرية البريطانية والعناصر المدنية منهم العاملون بدواوين الحكومة المصرية وفى صفوف عناصر الخونة من المصريين.

وفى هذه المرحلة المتقدمة ـ الأولى (١٥١) ـ من الثورة ، كانت تتميز بطابع العنف من الطرفين سواء من جانب الثوار أو من جانب السلطات العسكرية البريطانية ، فكانت هذه المرحلة ـ منذ اعتقال سعد زغلول ونفيه فى ٩ مارس ١٩١٩ حتى يوم اعلان الافراج عنه فى ٧ ابريل ١٩١٩ ـ اشترك فيها الشعب بجميع طوائفه وطبقاته ـ خاصة الفلاحين ـ اشتراكا جادا وفعليا ، ففى هذه المرحلة الابتدائية الثورية ظهرت وتشكلت الحكومات الوطنية المستقلة عن القاهرة فى زفتى والمنيا ، كما تشكلت المجالس الوطنية المستقلة فى كثير من المراكز والمديريات ..

لقد كانت ثورة شعبية تعبر عن ردود فعل الشعب المصرى فى مواجهة عنف الردع من جانب السلطات العسكرية البريطانية ، وكان ذلك بفضل هذا التنظيم الذى أشعل شرارة الثورة فاندلعت وانتشرت فى جميع أنحاء مصر .

.. المقاومة .. فى المرحلة الثورية الثانية ... (أبريل ١٩١٩) :

هذه المرحلة بدأت مع تجاوب الشعب المصرى مع خيبة أمل وفد مصر (١٥٢) فى موقف عصبة الأمم التى خذلت مصر باعلان اعتراف الدول العظمى بالحماية البريطانية على مصر فى يوم وصول وفدها الى مرسيليا فى ١٩١٩/٤/١٩ فعمت الثورة منذ ذلك الوقت القاهرة وجميع مدن

---

(١٥٠) من مذكرات « ابراهيم عبد الهادى » ـ مجلة روز اليوسف ـ العدد ٢٨١٤ ـ (العدد ٢٨١٤ ـ (الحلقة الثالثة فى ١٩٨٢/٥/١٧ .

(١٥١) « وثائق ثورة ١٩١٩ » (المراسلات السرية من سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ـ للدكتور محمد أنيس ـ ص ١٠ ، ١١ .

(١٥٢) المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ، للدكتور محمد أنيس ، ص ١٣ .

ومراكز ومديريـات مصر ، ولعبت الجماهير المصرية من طلبـة وموظفين ومحامين وعمال الدور الرئيسى وقد برز دور التنظيم السرى بقيادة المناضل « عبد الرحمن فهمى » كرئيس لتنظيم المقاومة السرية بجميع خلاياها من تجميع معلومات وتوصيل أخبار للخلايا الثورية المحلية داخل مصر وتنظيم الاتصالات السرية مع الوفد المصرى برئاسة الزعيم سعد زغلول فى فرنسا وتلقى معـلومات من وفد المفاوضـات بأسلوب سرى لتوزيعه على وسائل النشر والصحافة المحلية والأجنبية بالاضافة الى تنظيم وقيـادة المقاومة المسلحة داخل البلاد ضد قوات الاحتلال والخونة المتعاونين معهم مع توفير كافة الامكانيات لكل ذلك ٠

٠٠ التنظيم السرى للثورة ٠٠

أملت الضرورة ـ منذ الاتصال المبكر بين سعد زغلول فى باريس وبين رئيس اللجنة المركزية محمود باشا سليمان فى مصر ، الى ايجـاد وسيلة للاتصـال السرى بين الوفـد فى باريس واللجنــة المركزية فى مصر تفاديا من رقابة السلطة العسكرية البريطـانية من ناحيــة أخرى ليطلع سعد زغلول على الموقف فى مصر بكل تفاصيله أولا بأول ولتكن لديه مادة اعلامية صادقة وواقعية يستغلها فى الدعاية للقضية المصرية يفضح بها العنف البريطانى ضد المصريين ، وفى نفس الوقت لتكون لدى اللجنة المركزية فى مصر ـ والتى تعمل بمثابة مؤسسة وطنية للثورة ـ توجيهات زعيمها سعد زغلول بالنسبة لهذا الموقف ، وفى نفس الوقت ـ أيضا ـ كان سعد يدرك أن المسألة المصرية ستحل سلما أو حربا على أرض مصر وحدها كما أن هذه المقاومة ستكون بمثابة مصدر قلق وازعاج للانجليز ، وبذلك ينكشف للرأى العـام الداخلى والخارجى مدى تحكم الانجليز فى مصير الشعب لمدة طويلة ، فقد كان الجانب الأكبر من القلق هو انزعاجهم من نجاح الوفد ولجنته المركزية فى تحقيق الوحدة الوطنية التى تلتف حول الوفد والتى كان سعد ورفاقه يتقنون أسلوب الابقاء عليها فى جميع المجالات خاصة فى تشكيلات المؤسسة الوطنية سواء فى مجال تشكيل الوفد المرافق لسعد أو فى تشكيل اللجنة المركزية أو حتى فى تكوين أجهزة الدعاية والاعلام من صحافة ونشرات وأيضـا داخل صفوف المقاومة السرية فكانت الأسماء القبطية للشخصيات البارزة وطنيا ظاهرة بشكل واضح فى كل هذه المؤسسات الى جانب الدور الوطنى للكنيسة القبطية البارز الذى تعمدت قيادات الثورة الحفاظ عليه منذ بدء الحركة الوطنية الثورية ٠٠

ولأجل تنظيم هذا الاتصال السرى بين سعد من الخارج واللجنة المركزية فى داخل مصر ، فقد تحايل عبد الرحمن فهمى على المظهر الاجتماعى وجعل من أحد معارف سعد زغلول المقربين منذ شغله وظيفة مدير للجامعة وحصل له على اجازة ثلاثة أشهر ونصف وذهب الى باريس ليعمل سكرتيرا خاصا لسعد زغلول واتفق معه على طريقة وأسلوب المراسلة السرية وكان هذا الشاب هو « محمد وجيه » ، وكانت الرسائل تتراسل ما بين الجامعة وباريس وبالعكس على شكل مجلات علمية أو أبحاث يكتب بين سطورها بالحبر السرى نظرا لأن المجلات والأبحاث العلمية بطبيعة الحال بعيدة عن الشبهات ..

وكان حلقة الاتصال بالجامعة هو الأستاذ/محمد صادق فهمى (١٥٣) ـ الذى يسلمها بدوره الى المناضل عبد الرحمن فهمى ، وبوسائل أخرى كثيرا ما كان عبد الرحمن فهمى يرسلها بنفسه اذا كانت وثائق أو مستندات أو صورا تعبر عن الفظائع التى يرتكبها الانجليز مع شخص مسافر ليسلمها الى سعد زغلول فى باريس ومن أمثلة ذلك فظائع الانجليز التى ارتكبوها ضد أهالى نزلة الشوبك والعزيزية بمديرية الجيزة ، والتى كانت مثار خلاف بين سعد والوفد من جانب وبين اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر من جانب آخر .

وبعد انتهاء مدة أجازة محمد وجيه ـ الثلاثة شهور ونصف ـ كلف عبد الرحمن فهمى الأستاذ محمد كامل سليم ـ الذى كان يتقن اللغة الانجليزية وكطلب سعد زغلول علاوة على أنه كان معروفا مسبقا لبقية أعضاء الوفد ، وقد ظلت مسألة الرسائل السرية غير معلومة لأعضاء الوفد أو لأعضاء اللجنة المركزية فى مصر ، وانحصر العلم بها ـ فقط ـ بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ، وأسند الى محمد كامل سليم الى جانب عمله كسكرتير خاص لسعد زغلول عمل آخر يتسم بالأهمية وهو مترجم رسمى للوفد .



(١٥٣) « مذكرات عبد الرحمن فهمى ـ جزء أول ـ من ص ٩ حتى ص ٢١ .

٠٠ عبد الرحمن فهمي ٠٠ (١٨٧٠ ــ ١٩٤٦) :

ــ كان « عبـــد الرحمن فهمي » ــ أصـــلا ــ من رجـــال الادارة المرموقين (١٥٤) قبل عـام ١٩١٣ ، فكان بمثابة الدينامو لحزب الوفد المصرى (١٩١٨ ــ ١٩٢٦) والداعي الى ضم ووحدة الصفوف (١٩٣٦ ــ ١٩٤٦) ، كما كان من الشـخصيات الهامة التى لعبت دورا حاسما فى التاريخ المصرى خاصة في فترة عمله الثانية بالوفد ٠٠

ــ كان أصـلا من الطبقة التركية ، فقـد نشأ عبد الرحمن فهمي وتربى فى بيت شقيقه الأكبر « محمد ماهر باشا » صديق الخديوى عباس حلمي ــ وكيل نظارة الحربية ، وكان اللورد كرومر يعتبر هذه الصداقة هي السبب الرئيسى فى تحريض الخديوى عباس ضد الاحتلال البريطانى، وقد تأثر عبر الرحمن فهمى باتجاهات أخيه محمد ماهر السياسية المعادية للانجليز (١٥٥) ٠٠ ومحمد ماهر هو والد على ماهر وأحمد ماهر ٠

ــ تخرج عبد الرحمن فهمي من المدرسة الحربية سـنة ١٨٨٨ ، وعاصر في شـبابه فترة التنكيل بالعسـكريين العرابيين فى مصر ، وبنهب المعدات العسكرية المصرية ، واشترك فى الحملة المصرية بقيادة « كتشنر » لاعادة فتح السودان فى عهد الثورة المهدية ، وبعد انتهاء الحملة اشتغل فى المعية الخديوية لعباس الثـانى ، وفي سنة ١٨٩٩ عين يـاورا لوزير الحربية مصطفى باشا فهمي (والد صفية زغلول زوجة سعد باشا زغلول ــ فيما بعد) وفى عـام ١٩٠١ نقـل للعمل ضابطـا بالبوليس (وزارة الداخلية) وتدرج فى مناصبها فعين مأمورا لمركز سمالوط ثم مركز بنى مزار بمديرية المنيا ثم مأمورا لمركز امبابة بمديرية الجيزة ٠٠

وفيما بين عامى ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ عين وكيلا لمديرية القليوبية ثم وكيلا لمديرية الدقهلية ، وفى عام ١٩٠٦ عين مديرا لمديرية بنى سويف وفى عام ١٩٠٨ مديرا للجيزة ٠٠ وأثناء عمله مديرا للجيزة ، بدأت متاعبه الحقيقية مع الانجليز ، فدخـل في سلسلة من الصدامات والأزمات مع الموظفـين الانجليز حيث كان متمسـكا ــ فى جميع أعماله ــ بالمبادىء الأخلاقية ، فكان يتصرف بما يوحى اليه ضميره مع مراعاة القوانين ولم يكن يرسترشـد بأى شخص ، فكان سلوكه يختلف عن سـلوك وأخلاق وتصرفات زملائه مديرى المديريات الأخرى الذين كانوا غالبا بل دائما

---

(١٥٤) من كتاب « وثائق ثورة ١٩١٩ » ــ د٠ محمد انيس ــ من ص ٧ حتى ص ٣٢ ٠

(١٥٥) ولذلك يكون عبد الرحمن فهمى هو عم على ماهر وأحمد ماهر ٠

ما يستأنسون بآراء المفتشين الانجليز فى كل أمور وشـئون مديرياتهم الهامة بل والتافهة .. وفى عام ١٩١١ عندما أصر مستشار نظارة الداخلية الانجليزى لمديريـة الجيزة على احالة عبد الرحمن فهمى للمعاش ، نقله الخديوى عباس الى وكالة الأوقاف التى كانت نظارتها تـابعة للسراى ، ولكن لتمسك عبد الرحمن فهمى بأخلاقيـاته نشبت الخلافـات واحتدم الصدام بينه وبين الخديوى عباس نفسه، وذلك عندما اعترض عبد الرحمن فهمى على تصرفات غير أمينة لرجال حاشية الخديوى بخصوص أطيـان زراعية بناحية المطاعنة استولوا عليها لحساب الخديوى ، فما كان من الخديوى عباس الا أن أصدر أوامره باحالة عبد الرحمن فهمى الى المعاش فى عام ١٩١٣» وكان عبد الرحمن فهمى أثناء خدمته فى المراكز والمديريات المتعددة على امتداد الوجهين القبـلى والبحرى قد اكتسب معرفة واسـعة بأحوال أهلها كما ترسخت صلاته وعلاقاته الوطيدة بالشخصيات والأسر المصرية من العمد والأعيان وتوسعت صلاته الطيبة بكافة الأطراف الوطنية حتى توطدت علاقاته الطيبة بسعد باشا زغلول وعدلى باشا يكن وبكافة دوائر الحزب الوطنى ..

بدأت الصـلة بين عبـد الرحمن فهمى وسعد زغلول قبل ـ حتى ـ تأليف حزب الوفد ، وكان هو ممن اقترحوا على سعد زغلول بأن يستكمل حزب الوفد تكوينه بانضمام ممثلين عن الحزب الوطنى اليه ورشح بالفعل كلا من مصطفى النحاس وحافظ عفيفى .

وسـاهم عبد الرحمن فهمى فى حركة التوكيلات وفى ثورة مارس ١٩١٩ وكان دوره المؤثر فى المرحلة الثانية من هذه الثورة أثناء وجود سعد والوفد فى باريس فشغل مهمة سكرتير عام اللجنة المركزية وفى نفس الوقت رئيس التنظيم السرى وقائدا للمقاومة الشعبية ..

اعتقل فى أول يوليو ١٩٢٠ ، وكانت السلطات البريطانية ترصد نشـاطه وأحس مبـكرا بنوايـا السلطات البريطانية فتخلص من كل المستندات والوثائق التى تدينه ، ورغم هذا حاكمته السلطات البريطانية مع عشرين آخرين فى قضية المؤامرة الكبرى والذين أسـمتهم بجمـاعة الانتقام ووجهت اليهم تهمة التـآمر على خلع السلطان أحمد فؤاد وقلب الحكومة والتحريض على العصيان والقتل ، وكانت هذه القضية فى غالب الأمر ملفقة فافتعلت انتقاما من عمليات اغتيال العناصر المصرية العميلة التى تشهد ضـد الثوار المصريين ، فكانت المحاكمة والحكم الذى صـدر بغرض تصفية المنظمات الثورية الموالية لحزب الوفـد ، وانتهت محاكمة

عبد الرحمن فهمى وزملائه بصدور الحكم - فى أكتوبر ١٩٢٠ - باعدامه ثم خفف الحكم الى السجن خمسةعشر عاما - تفاديا وامتصاصا للغضب الشعبى - ، ورغم هذا استمر عبد الرحمن فهمى فى مزاولة نشاطه الثورى (١٥٦) من داخل السجن ، فكان رغم سجنه يدير عمليات المقاومة بما فيها عمليات الاغتيالات ..

- وفى عام ١٩٢٤ عندما تشكلت وزارة سعد زغلول ، تم الافراج عن عبد الرحمن فهمى وغيره من المسجونين السياسيين بموجب قرار الاعفاءات السياسية التى صدرت فور تولى الوزارة مسئولية الحكم ، وخرج عبد الرحمن فهمى من السجن مريضا بعد نقله الى سجن الحضرة بالاسكندرية حيث أسيئت معاملته داخل السجن ..

- وفى ذات العام - ١٩٢٤ - دخل عبد الرحمن فهمى أول مجلس للنواب وفق دستور ١٩٢٣ عن دائرة عابدين ، وفى هذه الأثناء عمل فى مجال نقابات العمال وقام بتشكيل أول اتحاد عام لنقابات عمال وادى النيل الذى ضم ١٢٠ نقابة ينتمى اليها ١٥ ألفا من العمال واختير عبد الرحمن فهمى رئيسا لهذا الاتحاد حيث أطلق عليه لقب « زعيم العمال » ..

- وفيما بين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ بدأت علاقات عبد الرحمن فهمى تفتر مع سعد زغلول بسبب محاولاته المتكررة لانهاء الخلافات بين سعد زغلول وعدلى يكن والصلح بينهما وفشله فى محاولاته ..

- وفى نوفمبر ١٩٢٤ وعلى أثر مقتل السردار ، اعتقل عبد الرحمن فهمى مرة أخرى وظل معتقلا رهن التحقيق حتى ثبتت براءته فأطلق سراحه فى يناير ١٩٢٥ ، واستقال بعدها من رئاسة اتحاد العمال .

- وفى عام ١٩٢٦ عندما أجريت الانتخابات ، ولما لم يقم سعد زغلول بادراج اسم عبد الرحمن فهمى ضمن مرشحى حزب الوفد لهذه الانتخابات ، استاء عبد الرحمن فهمى غاية الاستياء وعبر عن ذلك فى مقابلة عاصفة له مع سعد زغلول ، وانتهى الأمر بأن زاد عزوف عبد الرحمن فهمى عن العمل السياسى الى أن توفى سعد زغلول .

---

(١٥٦) تقرير رفعه ت و. رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة الى الأمين العام - كتاب « وثائق ثورة ١٩١٩ » (المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى - ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

مسير

أحداث ثورة ١٩١٩ ... والوزارة ..

ـ فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، قابل سعد وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى (١٥٧) المعتمد البريطانى سير ريجنالد وينجت للمطالبة بالاستقلال والسماح لهم بالسفر الى لندن للمفاوضة ..

ـ قابل سعد وأصحابه حسين رشدى باشا فى نفس اليوم ونصحهم حسين رشدى بضرورة الحصول على توكيلات من الشعب ، لأنه فى مقابلته للمعتمد البريطانى فى نفس اليوم ـ ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ـ جاء فى حديثه أن سعد ورفاقه يطالبون بالاستقلال ولا يمثلون الأمة ..

ـ وفى نفس اليوم (١٣ نوفمبر ١٨) تألف الوفد برئاسة سعد زغلول ..

ـ وفى نفس اليوم (١٣ نوفمبر ١٨) تألف الوفد برئاسة سعد رشدى بخطاب من السلطان فؤاد يعرض عليه سفره هو وعدلى يكن الى لندن كوفد رسمى للتحدث باسم الحكومة المصرية فى شأن مستقبل مصر السياسى ، وأفضى حسين رشدى بهذه الفكرة الى المعتمد البريطانى فى مقابلته له ..

ـ بعد عدة أيام ، جاء (١٥٨) رد الحكومة البريطانية برفض طلب رئيس الوزراء حسين رشدى ..

ـ فى ٢ ديسمبر ١٩١٨ ، وعلى أثر رفض حكومة بريطانيا لطلب حسين رشدى بالسفر ، قدم استقالته الى السلطان ولم يقبلها السلطان ..

ـ جدد حسين رشدى طلب الاستقالة فى ٢٠ ديسمبر ١٩١٨ ولم تقبل مرة أخرى ..

ـ فى ٢١ يناير ١٩١٩ ، غادر المعتمد البريطانى سير وينجت القاهرة فى طريقه الى لندن ..

---

(١٥٧) « ثورة ١٩١٩ » ـ جزء أول ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ ص ٦٦
(١٥٨) « ثورة ١٩١٩ » ـ جزء أول ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ ص ١٠٧ ، ١٠٩ .

– فى ١٠ فبراير ١٩١٩ ، أعاد حسين رشدى تقديم طلب الاستقالة الى السلطان فقبلها فى أول مارس ١٩١٩ وبذلك انتهت فترة حكومة حسين رشدى الأولى ..

– قاطع جميع رجال الأحزاب المصرية والمستقلون تأليف أية وزارة، فبقيت البلاد بدون حكومة ابتداء من أول مارس – يوم قبول استقالة حكومة حسين رشدى – احتجاجا على تصرفات الحكومة البريطانية ..

– فى ٦ مارس ١٩١٩ ، قدم قائد القوات العسكرية البريطانية بمصر انذاره الى سعد زغلول وأصحابه لحضورهم الى مقر قيادته ، حيث طالبهم بالكف عن نشاطهم السياسى والا تعرضوا للمعاملة السيئة الشديدة بتطبيق الأحكام العرفية عليهم ..

– فى ٨ مارس ١٩١٩ ، تم اعتقال سعد زغلول ورفاقه حيث رحلتهم السلطات البريطانية الى المنفى فى جزيرة مالطة ، وكانت البلاد بلا وزارة تحكمها ..



انـــدلاع الثـورة

– **فى يوم ٩ مارس ١٩١٩** ، بدأت المظاهرات الشعبية والطلابية تجوب أنحاء القـاهرة ، احتجاجا على اعتقـال الزعماء الوطنيين المصريين ونفيهم لمطالبتهم باستقلال مصر ، واندلعت الثورة بعد ذلك حيث عمت جميع أنحاء البـــلاد ..

– فى ٢٥ مارس ١٩١٩ ، وصل الجنرال اللنبى الى القاهرة ليحل محل سير وينجت المعتمد البريطانى ، وعلى أثر وصوله اجتمع مع الوزراء السابقين المستقيلين ومع باقى أعضاء الوفد لتهدئة الحالة فى البلاد ..

– فى أول ابريل ١٩١٩ ، تصاعدت أعمال العنف الثورى من جانب الثورة والعنف المضـاد من جانب القوات البريطانية ، وكل ذلك ومصر بدون وزارة ..

– فى يوم ٧ ابريل ١٩١٩ ، أعلن الجنرال اللنبى قرار الافراج عن سعد زغلول ورفاقه واباحة السفر للمصريين ، فعم الابتهاج جميع أنحاء البـــلاد ..

ـ فى يوم ٩ ابريل ١٩١٩ ، عرض السلطان أحمد فؤاد على حسين رشدى تأليف الوزارة وقبلها حسين رشدى ..

ـ فى ١١ أبريل ١٩١٩ ، سافر باقى أعضاء الوفد من مصر الى باريس على ظهر باخرة بريطانية اتجهت أولا الى مالطة حيث لحق بهم سعد ورفاقه المفرج عنهم متجهين الى مؤتمر الصلح فى فرنسا ..

ـ واستمرت المظاهرات الشعبية ، رغم مظاهر التخفيف من المعتمد البريطانى ، ولكن فى نفس الوقت استمرت التصرفات العنيفة من جانب السلطات العسكرية البريطانية ضد المتظاهرين ..

ـ فى ١٩ ابريل ١٩١٩ ، وصل سعد زغلول والوفد المرافق له بطريق البحر الى فرنسا ، حيث عقد مؤتمر الصلح الذى أنكر على مصر أعز مطالبة وهو رفع الحماية البريطانية عليها ، حيث أعلن الرئيس الأمريكى ـ صاحب المبادىء الأربعة عشر ـ موافقته على تأكيد الحماية البريطانية على مصر ، فاستأنف الشعب المصرى مواصلة نشاطه الثورى وفى المقابل تشددت السلطات البريطانية فى عنفها ضد الثورة ..

ـ فى ٢١ ابريل ١٩١٩ ، قدم حسين رشدى باشا استقالة حكومته الثانية ـ ولم تمكث سوى اثنين وعشرين يوما فى الحكم ـ فعادت مصر تعيش بلا وزارة تحكمها والمظاهرات الشعبية تعمها ..

ـ أما فى باريس ـ وخارج أسوار جلسات مؤتمر الصلح ـ فشل سعد زغلول ورفاقه فى اسماع أصواتهم بمطالب مصر بالاستقلال والحريه الى داخل قاعات المؤتمر أو حتى مقابلة رؤساء الدول العظمى المشتركة فى المؤتمر ، واكتفى الوفد باتخاذ أسلوب الدعاية ضد التصرفات البريطانية العنيفة التى تمارسها السلطات العسكرية البريطانية ضد الشعب المصرى ـ من خارج أروقة مؤتمر الصلح ..

ـ فى ١٥ مايو ١٩١٩ ، أعلنت بريطانيا ـ فى خطبة ألقاها لورد كيرزون باسم الحكومة البريطانية ـ أنها فى سبيلها الى ايفاد لجنة تحقيق بريطانية الى مصر برئاسة لورد « ملنر » ، امتدادا وتمشيا مع سياسة التسويف فى محاولة التهدئة للموقف ، وجاء فى خطبة لورد كيرزون اشارة الى ما انتهى اليه مؤتمر الصلح ـ فى باريس ـ بالاعتراف باستمرار الحماية البريطانية على مصر ، كما أشار الى فداحة الأضرار التى أحدثها الثوار المصريون فى المرافق العامة بالبلاد ، وأكد على اصرار بريطانيا على الاستمرار فى حكم مصر بنفس القيود والأحكام العرفية ..

ـ واستمرت مصر بدون وزارة تحكمها ، حيث أحجم جميع المستوزرين عن قبول تشكيل أية وزارة خوفا من الخروج عن مسار وأهداف الثورة ، وتصاعدت أعمال العنف من جانب سلطات الاحتلال التى قوبلت من جانب الشعب المصرى الثائر بعنف مماثل ، واستمرت البلاد على هذه الحال على مدى شهر حتى ٢١ مايو ١٩١٩ ..

ـ فى ٢١ مايو ١٩١٩ ، فى نفس يوم اعلان بريطانيا عن نيتها فى ايفاد « لجنة ملنر » ، فوجىء الشعب المصرى والبلاد بتأليف وزارة محمد سعيد باشا وكان هذا دليلا على الاتفاق والتفاهم بين محمد سعيد باشا والمعتمد البريطانى والسلطان أحمد فؤاد ، فاعتبر الشعب هذا بمثابة تحد للرأى العام واستخفافا به ، فازداد تصاعد العمل الثورى السرى والعلنى ..

ـ رفعت عرائض الاحتجاج الى السلطان أحمد فؤاد من جميع طبقات وفئات الشعب حيث وجهت التهديدات الى الوزارة ، الى أن قام الطالب سيد على محمد بالاعتداء على رئيس الوزراء محمد سعيد باشا بالقرب من محطة جناكليس بالاسكندرية ـ يوم ٣ سبتمبر ١٩١٩ ـ ولكنه لم يصب ، وكان هذا بمثابة انذار له ولغيره من المستهينين بالشعب ..



.. من هو « محمد سعيد باشا » ؟ ..

نظرا لأن اسم « محمد سعيد باشا » سيطفو كثيرا على السطح فى مناسبات وظروف التحدى لثورة ١٩١٩ ، فقد لزم التنويه عن تاريخه والافصاح عن شخصيته ، فهو من الرجال المستوزرين المصريين الذين يتقنون امكانية تحقيق مصالحهم وأغراضهم بدهاء وبأية وسيلة مع القدرة الفائقة فى اضفاء ستار من التسامح (١٥٩) والحكمة على تصرفاته .

كانت العلاقة بينه وبين سعد باشا زغلول تتسم بالفتور والجفاء على اثر ما وقع بينهما من خلاف شديد فى الجمعية التشريعية حين كانت تجمعهما الوزارة ، ولهذا حاول محمد سعيد أن يشرع فى تشكيل حزب وفدى آخر لينازع سعد زغلول فى قيادة الأمة ، فاعتمد فى بادىء الأمر على الأمير عمر طوسون وعلى أفراد من بقايا الحزب الوطنى الا انه عندما

---

(١٥٩) المجلد الثانى عشر (تراجم وسير) ـ للأستاذ العقاد ـ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

أحس بفتور الأمة من هذا المسعى ، تراجع وظـل ـ بانتهازيته ـ يرقب الأحوال حتى عرضت عليه الوزارة فقبلها على الفور في ٢١ مايو ١٩١٩ ، وخروجا من المأزق ادعى أنها وزارة ادارية ـ كحيلـة من حيله ـ لتبرير تأليفه الوزارة ، وأشاع أنها ستبقى كذلك وزارة ادارية الى حين ابرام اتفاقية الصلح الدولية بين الدول المتحاربة والدولة العثمانية التركية وبذلك يتفادى التصادم مع آمال الأمة وفى ذات الوقت يؤجـل تأييده لدعوة الحزب الوطنى الى وقت الحاجة لأن الحزب الوطنى كان يعتمد فى دعوته على حقوق السيادة التركية ٠

ولكن خاب أمل الشعب المصرى فى الدولـة التركية بعد اعترافها ـ فى مؤتمر الصلح ـ بالحماية البريطانية على مصر وبذلك كان يمكنه ان ينفض يده من الحزب الوطنى وقت اللزوم بعد استفادته منه فى منافسة سعد زغلول ٠٠

كما أن محمد سـعيد كان يمثل المدرسة التركية المتخصـصة فى المؤامرات ، فقـد كان أثنـاء وجود سعد زغلول فى فرنسـا مع الوفد ، مستمرا فى التآمر والتحريض مع الجناح المناوىء للوفد من جانب الحزب الوطنى لاحداث عمليات ازعاج وبلبلة للوفد ، فقد قام ببذر بذور الخلاف والشقاق بين أعضـاء الوفد عندما أوفد شـخصا يدعى مصطفى طليمات المحامى (١٦٠) (من الاسكندرية) الى أوربا لمقابلة صدقى باشا لاستمالته العودة الى مصر بوعود ليست معروفة أو مفهومة القصد ولكن اتضح أن هذا المحامى (مصطفى طليمات) بعد أن عاد الى مصر ـ كان يتكلم كثيرا ضد الوفد ، ففى نفس الوقت ثبت من احدى رسائل (١٦١) سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى أن اسماعيل صدقى كان محمد سعيد يحرضه احداثا للشقاق بل كان أيضا على صلة بالمدعو (صباغ) أحـد مندوبى الانجليز الذى كان يعمل سابقا فى دوائر بعض أمراء مصر ، فاضطر سعد زغلول الى اخفاء الكثير من أعمال الوفد عن اسماعيل صدقى وزميليه محمود أبو النصر وحسين وصفى المتصلين بمحمد سعيد باشا لما استنتجه سعد زغلول من تحركات وتصرفات اسماعيل صدقى ومن معه حيث كان محمد سعيد يبغى من وراء كل ذلك استقطاب بعض أعضاء الوفد المرافقين لسعد للعمل ضد سعد زغلول وتحديدا بالعودة الى مصر للتعامل من لجنة « ملنر » المرفوضة من جانب سعد زغلول ومن الشعب المصرى ٠٠

---

(١٦٠) رسالة عبد الرحمن فهمى لسعد زغلول فى ١٩١٩/٨/١٠ ـ كتاب « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ د٠ محمد أنيس ـ ص ١٢٠ ـ ١٢٢ ٠

(١٦١) المصدر السابق ـ تقرير رقم ١٦ فى ١٩١٩/٨/٢٤ من سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى ـ ص ٧١ ٠

وبذلك كان محمد سعيد باشا يدافع عن لجنة « ملنر » بهذا المستوى الوضيع من الانتهازية والدهاء ليمكنه علاج المشكلات التى نجمت عن تأييد الحماية على مصر والثورة ضد ذلك لصالح وزارته ..

وتمشـــيا مع مخطط الانجليز فى مواجهة ثورة ١٩١٩ والذى كان متفقا مع دهاء وانتهازية رئيس الوزراء محمد سعيد باشا والذى يقضى بتهدئة الخواطر ، فقد أخذ محمد سعيد باشا فى استرضاء الشعب بالمبالغة فى احياء ليالى شهر رمضان ثم برفع رواتب الموظفين ثم بالافراج عن بعض المعتقلين السياسيين سواء الذين كانوا فى سجون مصر أو سجون المنفى فى مالطة وكان من أبرزهـم محمود فهمى النقراشى والشـيخ مصطفى الغاياتى والشيخ محمود أبو العيون والدكتور شفيق منصور وغيرهم ..

ـ الخلاف بين سعد زغلول واسماعيل صدقى ـ فى باريس ..

كان اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر يعارضان سـعدا وأعضاء الوفد فى باريس بشدة حول موضوع نشر فظائـع القوات العسـكرية البريطانية ضد الأبرياء العزل المصريين المتمثلة فى أحداث نزلة الشوبك والعزيزية والتى وصـلت وثـائقها كاملـة الى الوفـد من عبد الرحمن فهمى (١٦٢) مدعمة بالصـور والمستندات والتى قـرر الوفد فى أحـد الاجتماعات وبالاجماع بنشرها على العالم ، الا ان اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر رفضا الموافقة على ذلك وانسحبا من حضور الاجتماعات ..

ولذلك قرر الوفد برئاسة سعد زغلول ـ فى باريس فى ٢٤ يوليو ١٩١٩ (١٦٣) ـ اعتبار اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر منفصلين عن عضوية الوفد ، وكذلك فصل ـ أيضا ـ حسين واصف باشا فى نوفمبر ١٩١٩ لمخالفة ثلاثتهم لمبادىء الوفد وخططه ، ويعتبر هذا أول انشقاق يحدث فى صفوف الوفد بفضل تآمر محمد سعيد باشا وصلاته المريبة مع السلطات البريطانية ..

---

(١٦٢) خطاب محمد أبو النصر الى سعد زغلول (٣٠ يونية ١٩١٩) وخطاب اسماعيل صدقى للى سعد فى ذات التاريخ ـ كتاب « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ دكتور محمد أنيس ـ ص ٢٨٢ حتى ٢٨٦ .

(١٦٣) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ جزء ثان ، ص ٢٤ .

— لجنة التحقيق البريطانية (لجنة اللورد ملنر) ..

كانت الفكرة البريطانية الاستعمارية من ايفاد لجنة برئاسة « اللورد ألفريد ملنر » — وكما جاء بخطاب « كيرزون » فى ١٥ مايو ١٩١٩ — هى : « للتحقيق فى أسباب الاضطرابات فى مصر واقتراح القانون النظامى الذى يعود على مصر بالسلام واليسر والتقدم فى سبيل الحكم الذاتى وحماية المصالح الأجنبية فى ظل الحماية البريطانية » ، وبذلك تضمن بريطانيا تثبيت وتأكيد الحماية على مصر على أساس قواعد توجب رضا الدولة الحامية وسكان البلاد المصرية ، كما انه بذلك تحصل بريطانيا على نسبة من التأييد الشعبى المصرى بقبول الحماية حتى تكون مشروعة على المستوى النظرى الدولى ، لأن شرط الحماية هو قبول الطرفين لهذا النظام — الدولة الحامية والدولة المحمية — وهو ما لم تحصل عليه بريطانيا عند اعلان هذه الحماية عند بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ، فقد كانت تلك الحماية حتى قيام ثورة ١٩١٩ حماية غير شرعية اذ كانت معلنة من طرف واحد فقط هو بريطانيا ..

— أرسل عبد الرحمن فهمى سكرتير عام (١٦٤) لجنة الوفد المركزية — سريا — الى سعد زغلول فى باريس تقريرا حول موقف الشعب المصرى من لجنة ملنر وذلك بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩١٩ — جاء فيه : « ان فكرة الحكم الذاتى لم يروجها الا الخونة الأنذال المأجورون ، ولكنها على كل حال لم تلق قبولا لأن السواد الأعظم من الأمة لا يريد غير الاستقلال التام » ، وجاء أيضا فى هذه الرسالة معلومات عن تكوين لجنة مصرية فى داخل مصر — بمعرفة الوزارة — تطلب من المعتمد البريطانى للعمل مع لجنة ملنر عند وصولها لمصر .. « تألفت فى مصر لجنة من كبار الموظفين الانجليز تحت رئاسة « لورد رالمنى Relemoni — الموظف بدار الحماية وضمن أعضائها « السير آموس Sheldanamos — المستشار القضائى بوزارة الحقانية المصرية » ، وهذه اللجنة مكلفة بتجهيز المستندات وما يلزم للجنة ملنر المنتظر وصولها ..

— وازاء ذلك جهز عبد الرحمن فهمى واخوانه لجنة من المصريين الأكفاء لتحضير ما يلزم من مستندات ووثائق وأبحاث لمواجهة نشاط لجنة ملنر المعادى لمطالب البلاد ، وعلق عبد الرحمن فهمى برأيه فى هذه الرسالة بأنه : « يرى اسناد رئاسة هذه اللجنة المقترحة الى عدلى باشا يكن لما له من الاحترام ..

---

(١٦٤) المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى — د. محمد انيس — ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

– وفى ٢٥ يوليو ١٩١٩ كان الرد (١٦٥) من سعد زغلول – من باريس – على عبد الرحمن فهمى برسالة يقول فيها : « لقد استحسن الوفد رأيكم فيما يختص بلجنة (ملنر) ، وأوصى بعدم ابداء أى طلبات لها مطلقا والتمسك بالوفد » .

– وفى رسالة من سعد زغلول (١٦٦) حررها فى ٢٨ أغسطس ١٩١٩ الى عبد الرحمن فهمى جاء فيها : « ان اللجنة الانجليزية برئاسة اللورد ملنر والتى مهمتها البحث فى أسباب الاضطرابات والنظر فى نظام يكفل لمصر تحت ظل الحماية البريطانية التدرج فى الحكم الذاتى ... لا تنطبق مهمتها مع أمانى المصريين ولا تتفق مع مطلب استقلال مصر التام الذى كلفتنا الأمة بالسعى اليه ... لذلك استحسنا ونستحسن رأيكم فى اجتناب مخابرة هذه اللجنة بأى طريقة كانت ، لأن المفاوضة معها مادامت هذه هى مهمتها ، تضر من جهة المساعى المبذولة فى أمريكا ، ومن جهة أخرى لا ينتج عنها الا عكس مطالب الأمة ، فابذلوا ما فى وسعكم من الوسائل لمنع هذه المفاوضات » ..

– ومن باريس أيضا ، يرسل سعد زغلول فى تقرير (١٦٧) رقم ١٨ مؤرخ ٢٨ أغسطس ١٩١٩ ، الى محمود باشا سليمان رئيس اللجنة المركزية للوفد – يقول فيه : « لا يسعنا جميعا الا أن نبارك هذه الروح الحكيمة التى حملت رجال مصر وشبابها على أن يصمموا كل التصميم على البعد عن مفاوضة لجنة « لورد ملنر » ... الخ » .

– وفى يوم ٣١ أغسطس ١٩١٩ (١٦٨) ، جاء فى جريدة النظام الموالية للوفد كلمة للشاب المواطن (حسن سلامة) يقول فيها : « يا صاحب النظام ، أذكرك أننى قرأت كل كلمة لكم فى عدد يوم ٢٤ أغسطس ١٩١٩، انك تريد الرأى العام المصرى أن يذكر لك ملاحظاته على تلك اللجنة المزمع ارسالها الى مصر برئاسة ملنر ، وانى أرى أن الرأى العام قد أبدى كلمته الأخيرة من زمن بعيد ... ، ان الشعب المصرى قد أناب عنه وفدا للدفاع عن قضيته ومفاوضة أولى الأمر من الساسة فى كل ما يختص بالمسألة المصرية ، وعلى ذلك فما على اللجنة البريطانية الا أن تعرض آراءها على الوفد المصرى وتسأله ما تريد ... هذا هو رأى الأمة

---

(١٦٥) المصدر السابق – ص ٦٥ .

(١٦٦) المصدر السابق – ص ٧٢ .

(١٦٧) المصدر السابق – ص ٧٥ .

(١٦٨) المصدر السابق – ص ٤٠ .

المصرية » ، وعلى أثر ذلك صارت على لسان الشعب المصرى جملة واحدة تقليدية تتردد كلما وجهت لجنة ملنر سؤالا لأحد أن يرد عليه تلقائيا : « اسأل سعد باشا زغلول » ، ولم تجد لجنة ملنر غير هذه الاجابة التى اعتبرت مقاطعة شعبية لمهمتها فى غيبة الوفد المصرى عن البلاد ..

ـ ورسالتا سعد زغلول المرسلتان من باريس يوم ٢٨ أغسطس ١٩١٩ لم تنشر بأية جريدة مصرية بما فى ذلك جريدة النظام الموالية للوفد قبل أن تنشر كلمة حسن سلامة بها فى يوم ٣١ أغسطس ١٩١٩ والتى حملت معنى المقاطعة ، وبذلك تكون مقاطعة لجنة ملنر وسخط الشعب كان رأيا وشعورا تلقائيين سابقين على وصول لجنة ملنر الى مصر بل ومنذ اعلان لورد كيرزون عن تشكيلها فى ١٥ مايو ١٩١٩ ، مما يثبت بالدليل القاطع أن الشعب المصرى ممثلا فى رأى القارىء حسن سلامة واللجنة المركزية للوفد بمصر برئاستها وسكرتيرها العام عبد الرحمن فهمى وسعد زغلول وأصحابه فى باريس كانوا يعبرون عن رأيهم القاطع التلقائى فى ضرورة مقاطعة هذه اللجنة التى جاءت شروط تكوينها وصبغه اعلانها من جانب بريطانيا مخالفة تماما لمطالب الشعب المصرى بالاستقلال التام .. وبذلك سرت فكرة مقاطعة لجنة ملنر بسرعة مذهلة وعمت جميع أنحاء البلاد حتى شملت السودان (١٦٩) ، فقد كان الاجتماع من جميع طوائف الشعب المصرى والسودانى من هيئات ونقابات على هذه المقاطعة .

ـ وفى ١٣ سبتمبر ١٩١٩ ، أعلن رسميا تأليف اللجنة برئاسة اللورد ألفريد ملنر ـ وزير المستعمرات ـ وعضوية « سير رتل رود » ـ وكان فى وقت ما سكرتيرا بالوكالة البريطانية فى مصر ـ والجنرال سير « جون مكسويل » القائد السابق للقوات البريطانية فى مصر والجنرال سير « ادوين توماس » عضو البرلمان الانجليزى ومستر « شنيلدر » رئيس تحرير جريدة « وستمنستر جازيت » ومستر « هيرست » المستشار القانونى بالخارجية البريطانية ..

.. استقالة وزارة محمد سعيد باشا ـ (١٩ نوفمبر ١٩١٩) (١٧٠) ..

بعد اذاعة بلاغ دار الحماية عن مهمة لجنة ملنر(١٧١)ملنر ، تصاعدت واشتدت حدة المظاهرات احتجاجا على هذا الاعلان ولم تستطع الوزارة تهدئة الحالة مما اضطر محمد سعيد باشا الى تقديم استقالته حيث قبلت

---

(١٦٩) « كلمتى للتاريخ » ـ للرئيس محمد نجيب ـ ص ٤ .

(١٧٠) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ـ للأستاذ محمد على علوبة (عضو الوفد ـ ص ١٤٧ .

(١٧١) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ جزء ثان ـ ص ٦٨ .

يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٩ ـ وكان قد سبق أن تقدم باستقالته يوم ٥ نوفمبر ولكن السلطان فؤاد لم يقبلها الا يوم ١٩ نوفمبر بعد الاتفاق مع اللورد اللنبي على الوزارة الجديدة ـ وكان ما أعلنه محمد سعيد باشا فى خطاب استقالته بأسلوبه الشيطاني ودهائه ما يتضمن تأييده للحركة الوطنية واتجاهها فى تجاهلها للجنة ملنر ، اذ ادعى بأن رأيه كان لا يؤيد حضور اللجنة الى مصر ، وفى نفس الوقت الذى كان يدبر فيه احداث التفكك فى صفوف الوفد سواء داخل البلاد أو بين أعضاء وفد المفاوضات فى باريس وكل ذلك كان لحساب أطماعه ولحساب مخطط السياسة البريطانية المدبر بمهارة ولو بشكل ظاهرى فيه بعض التحدى لكل من السلطان فؤاد الذى تخلى عنه وللسياسة البريطانية التى حتمت عليها مصالحها التخلص منـه ٠

ـ تاليف وزارة يوسف وهبة باشا ـ (٢١ نوفمبر ١٩١٩) ٠٠

كانت استقالة وزارة محمد سعيد باشا وتأليف وزارة يوسف وهبة باشا معروفة لدى عامة الشعب وخاصته ، أنها حركة مدبرة بين السلطان أحمد فؤاد ودار الحماية البريطانية ، وكان فيها معنى التحدى للشعور الوطنى ، اذ كان مجرد اختيـار يوسف وهبة باشـا ـ القبطى ـ رئيسا للوزارة ، لم يكن الا امعانا من السلطان فؤاد واللورد اللنبى فى تحدى الشعور العام ، اذ كانت تعد سابقة فيها معنى التحدى لما جرى عليه العرف فى أن يكون رئيس الوزراء « مسلما » ، ولكن شعور ودعائم الوحدة الوطنية التى ترسخت فى أعمـاق وبين جنبـات الشعب المصرى بفضل أسـلوب وسياسة المؤسسة الوطنية المصرية التى حرصت على التأكيد عليها ضد أى مخطط معـاد للثورة الوطنية المصرية قد جعلت الكنيسـة والجالية القبطية المصرية الوطنية تبادران الى عقد اجتماع بين كبار رجال الأقباط فى الكنيسة المرقصية وبعثوا ببرقية احتجاج الى يوسف وهبة باشـا بمجرد علمهم بنوايا وسياسة السلطان وتدبير دار الحماية البريطانية لبث الفتنة تفتيتا للوحدة الوطنية ـ وذلك فى صباح يوم ٢١ نوفمبر ١٩١٩ ، وعقـد الاجتمـاع بالكنيسة برئاسـة القمص « باسيليوس » ـ وكيل البطريركية ـ ، وأعلنوا فى برقية احتجاجهم الى يوسف وهبة باشا أن مجرد قبوله لتاليف الوزارة فيه معنى الاعتراف بالحماية البريطانية والموافقة على ما انتهت اليه لجنة « ملنر » ـ المرفوضة من الرأى العام بالاجماع ـ ولكن السلطان أحمد فؤاد تجاهل هذا الاحتجاج ، اذ قام فى ذات اليوم ـ ٢١ نوفمبر ـ بتكليف يوسف وهبة باشا بتأليف الوزارة التى تشكلت من العناصر المصرية الانتهازية المحتكرة حب السلطة والمعروفين بمواقفهم الانتهازية من الحركة الوطنية المصرية ومشكوك فى وطنيتهم ، وكان هذا

التشكيل الوزارى على النحو التالى : « يوسف وهبة للرئاسة ووزيرا للمالية، اسماعيل سرى للأشغال والحربية ، أحمد ذو الفقار للحقانية ، محمد توفيق نسيم للداخلية ، أحمد زيور للمواصلات ، محمد شفيق للزراعة ، يحى ابراهيم للمعارف ، حسين درويش للأوقاف » ، وكانوا جميعهم ينشدون التعاون مع لجنة « ملنر » ضد الارادة الشعبية الثورية لطمعهم جميعا فى الوصول الى اعتلاء المناصب .

— واحتياطا لما قد يحدث شعبيا ضد لجنة « ملنر » — عند وصولها — تعاونت سلطات الاحتلال البريطانية مع وزارة يوسف وهبة بالمغالاة فى الاعتقالات مما أدى الى تزايد الاحتجاجات والمظاهرات ، فأصدر اللورد « اللنبى » — الحاكم العسكرى — التحذيرات المشددة مهددا بأشد العقوبات فى حالة التحريض على المظاهرات أو الاشتراك فيها ..

— وما أن علم الشعب المصرى بقرب وصول لجنة « ملنر » ، حتى دب النشاط الوطنى فى جميع قطاعاته ، فبادر المحامون بالاجتماع وقرروا الاضراب عن العمل لمدة أسبوع يبدأ من يوم وصول اللجنة احتجاجا على مجيئها وتحدى الارادة الشعبية المصرية ..

— الاعتقالات ..

قامت السلطات البريطانية باجراءات تعسفية (١٧٢) بحجة المحافظة على الأمن ولتأمين الجو عند وصول لجنة « ملنر » ، فقامت بتحديد اقامة واعتقال الزعماء — أعضاء اللجنة المركزية للوفد — ، فحددت اقامة محمود سليمان باشا وابراهيم سعيد باشا فى بلديهما واعتقلت على ماهر وتم ترحيله الى الأقصر وعدم مبارحتها ، ووضعت عبد الرحمن فهمى بك تحت المراقبة ، كما اعتقلت زعماء الأزهر ومنهم الشيخ مصطفى الغاياتى والشيخ محمود أبو العيون والشيخ عبد اللطيف دراز ووضعتهم فى معتقل رفح .

— خطبة لورد « كيرزون » .. (٢٥ نوفمبر ١٩١٩) (١٧٣) ..

بعد تشكيل وزارة يوسف وهبة باشا بعدة أيام ، ألقى لورد « كيرزون » بصفته وزيرا لخارجية بريطانيا — يوم ٢٥ نوفمبر — فى مجلس اللوردات خطبة أخرى شارحا فيها الحالة فى مصر ، كان أهم ما جاء بها أنه يؤكد على استمرار السيطرة البريطانية بجميع مظاهرها فى مصر،

---

(١٧٢) « ثورة ١٩١٩ » — للاستاذ الرافعى — جزء ثان — ص ٦٩ ، ٧٠ .

(١٧٣) المصدر السابق — ص ٧٠ الى ٧٣ .

ووصف وزارة يوسف وهبة باشا بطابع الولاء لسلطات الاحتلال البريطانية ، وأن بريطانيا رغم مظاهر الاحتجاج المصرية لا يسعها أن تسمح بالاستغلال القومي للمصريين ، وأضاف قائلا ان بريطانيا تؤكد على الحماية على مصر نظرا لأن مصر لا يمكنها حماية حدودها من الاغـارة الخارجية أو على اقامة حكومة قوية منصفة ـ متجاهلا تاريخ مصر العسكرى المشرف أيام حكم محمد على وكفاءة الرجال المصريين فى ادارة شئون الدولة وقتها وفى جميع المجالات الادارية ـ ثم أكد على عدم امكان بريطانيا الانسحاب بالكامل عن مصر التى تعتبر الطريق الى مستعمراتها (وكان حديثه بأسلوب التعالى والتعجرف) ، مؤكدا أنه لمصلحة العالم فانه يجب بقاء مصر تحت اشراف دولة عظيمة متمدنة ، وبأسلوب ملتو يحاول أن يعرف الحماية المفروضة على مصر بأنها ضرورة بريطانية (دون اعتبار للكرامة الوطنية للمصريين) . ثم استطرد مستنكرا مقاطعة الشعب المصرى بجميع قطاعاته للجنة « ملنر » موعزا ذلك الى تحريض بعض الرجال المصريين للشعب وتهييجه ، وأفصح أن وزارة يوسف وهبة باشا تشكلت بمباركة من السياسة البريطانية وهى وزارة تؤيد بريطانيا فى كل خطواتها ..

★★★

وصـول لجنـة « ملنر » الى مصر .. (٧ ديسمبر ١٩١٩ ـ ١٨ مارس ١٩٢٠) (١٧٤) :

ـ فى مستهل أيام وزارة يوسف وهبة باشا وصلت لجنة « ملنر » الى مصر بالباخرة حيث رست بميناء بورسعيد واستقبلت بمظاهرة مفتعلة ومقصودة نظمتها سلطات الاحتلال ثم استقلت اللجنة قطارا خاصا متجها الى القاهرة يتقدمه قطار كشاف للحراسة تظلله خمس طائرات حربية ، ووصل هذا الموكب الى محطة القاهرة وسط اجراءات أمنية مشددة داخل فناء وأرصفة المحطة وخارجها وعلى امتداد الشوارع والميادين من ميدان المحطة حتى دار المندوب السامى البريطانى « دار الحماية » بحى جاردن سيتى ..

وبمجرد وصـول اللجنة الى ميناء بورسعيد ، انـدلعت المظاهرات مجددة الثورة حيث أضرب المحامون من يوم ٧ ديسمبر واجتمعت السيدات المصريات المسلمات والقبطيات بالكاتدرائية المرقصـية حيث خرجن الى الشوارع والطرقات فى مظاهرة معلنات احتجاجهن يوم ١٦ يناير ١٩٢٠ ،

---

(١٧٤) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ للدكتور محمد حسـين هيـكل ـ ص ٧٣ .

كما تظاهر موظفو وعمال الحكومة يومى ١٥ و١٧ ديسمبر ١٩١٩ ، كما تظاهر طلاب المدارس والمعاهد العلمية العالية ..

ازاء تفاقم وازدياد حدة المظاهرات ، وجهت دار الحماية انذارا للصحف بعدم نشر أى أنباء عن المظاهرات وما يردده المتظاهرون من هتافات استنكار واحتجاج ..

وفى يوم ١١ ديسمبر ١٩١٩ (١٧٣) ، اقتحم الجنود الانجليز الجامع الأزهر بأحذيتهم ومدججون بالسلاح فأثار ذلك عاصفة عارمة من السخط والغضب فى نفوس الشعب المصرى ، وأصدرت مشيخة الأزهر بيانا عن الموقف السياسى نددت فيه بسلطات الاحتلال وتصرفاتها الغاشمة المستفزة .

ورغم كل ذلك بدأت لجنة «ملنر» تحاول العمل مستعينة بالوزارة المصرية لتى تشكلت برئاسة يوسف وهبة باشا بفضل تآمر السلطان وسلطات الاحتلال ، فبدأت بالاتصال ببعض المصريين ..

ـــ ولكن .. ايقاومة الشعبية بقيادة « عبد الرحمن فهمى » (١٧٤) ..

تنبهت لهذه المحاولات والاتصالات ، فعندما حاولت السلطات البريطانية تكوين حزب يكون أعضاؤه من المنبوذين من الشعب طلاب المنافع الذين لا أخلاق لهم وأسموه « حزب المستقبل الحر » لاعداده للالتقاء باللجنة للتغطية على المقاطعة الاجماعية ، لكن باءت محاولة الانجليز هذه بالفشل ولم يفلح الحزب ــ على الرغم مما بذله الانجليز من أساليب الاغراءات والغوايات المختلفة الى جانب المصروفات السرية كرشاو .

فعندما بلغت المعلومات الى قائد المقاومة الشعبية « عبد الرحمن فهمى » (١٧٥) التى تؤكد أن جهاز الجاسوسية البريطانية جاد فى تشكيل حزب « المستقبل الحر » ــ حيث حرض الانجليز طائفة من الأثرياء والأعيان لم يسبق أن عرف لهم أى موقف وطنى أو تضحيات سابقة ــ فقد توجه جمع من شباب المقاومة الى مقر هذا الحزب المشبوه « المستقبل الحر » فى حى عابدين ، فوجدوا رئيس هذا الحزب الجديد « عرفى باشا » الطاعن

---

(١٧٣) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ــ للأستاذ محمد على علوبة (عضو الوفد) ــ ص ١٤٩ .

(١٧٤) المجلد الثانى عشر ــ « تراجم وسير » ــ للأستاذ العقاد ــ ص ٢٩٦ .

(١٧٥) مذكرات ابراهيم عبد الهادى ــ روز اليوسف العدد ٢٨١٤ فى ١٩٨٢/٥/١٧ الحلقة الثالثة ــ ص ٣٨ .

فى السن والذى لا يكاد يقوى على حمل نفسه على قدميه ــ وكان ضمن أصهار الأسرة المالكة الذى يعتلى رأسه طربوشا بدون خوصة وغير سوى (مطبق) يغطى أذنيه ، وكان معه نفر من مؤيديه منهم محمد بك الشريعى وملوم بك السعدى والكاتب محمد ابراهيم هلال ــ وهو من الكتاب المعادين لسعد باشا فقد كان قد كتب مهاجما سعد باشا فى مجلة « الكشكول » ٠

فبادر شباب المقاومة بخداع أعضاء هذا الحزب المجتمعين فتظاهروا بتأييدهم وتأييد مساندة الحزب الجديد ، فسمحوا لهم بالدخول وكانوا أربعة من الشباب هم : عبد الحليم عابدين ــ حافظ عمار ــ كامل عبد الشهيد ــ ابراهيم عبد الهادى ، فوجه الشبان سؤالا لرجال الحزب عما اذا كان تأليف هذا الحزب الجديد حقيقة وواقعا فأجابهم محمد بك الشريعى بالايجاب ، ثم وجهوا اليه سؤالا آخر عن الغرض الذى من أجله تم تأليف هذا الحزب فأجاب الشريعى بأنه (المطالبة باستقلال مصر) ، فقال الشبان الأربعة : « ان الوفد هو الحزب الموكل بهذا المطلب بالاستقلال وهو ما يطابق ويعبر عن رأى الأمة كلها » ، ثم وجهوا سؤالا ثالثا لرئيس الحزب الجديد « عرفى باشا » لافصاحه عن سبب عدم انضمامهم لحزب الوفد برئاسة سعد باشا زغلول ما دام الهدف واحدا فلزموا الصمت ، وهنا انطلق « عبد الحليم عابدين » مخاطبا بعنف رئيس الحزب « عرفى باشا » ــ المتهالك ــ وقام يكبس طربوشه بيده حتى غطى عينيه واختفت أذناه ــ وأوضح له أن حزب الوفد والشعب المصرى كشفوا الهدف الحقيقى من وراء تكوين هذا الحزب الجديد المشبوه ٠

ولما شعر أعضاء هذا الحزب الجديد ورئيسه بالشر والغضب الشعبى متمثلين فى هؤلاء الشبان الأربعة ، تفككت أوصال هذا الحزب الجديد وتبخرت أحلام رئيسه وأعضائه ومن سعوا ــ تآمرا وخديعة ــ الى تكوينه وأصبح كأنه لم يكن حيث لم يسمع أحد بأى خبر عنه بعد ذلك ٠٠

ولم تقف محاولات لجنة « ملنر » عند هذا الحد ، فاستخدمت عملاء الجاسوسية للاتصال ببعض ضعاف النفوس من المصريين خاصة من لهم مكانة محدودة فى المجتمع المصرى لغرض اجتماعهم مع لجنة ملنر ، فهداهم تفكيرهم الى أحد الصالونات المشهورة تمتلكه وتديره سيدة لبنانية (١٧٥) يجتمع به كثير من قادة الرأى والأدب ، ومن خلال هذا الصالون حاولت

---

(١٧٥) « مذكرات فى السياسة المصرية » للدكتور محمد حسين هيكل ــ ص ٨٦ .
وكانت صاحبة هذا الصالون تنفق عن بذخ دون الوقوف على مصدر هذا الانفاق والبذخ ٠

هذه السيدة ـ الى جانب أعمالها الأخرى لحساب الجاسوسية البريطانية ـ الحصول على معلومات عن خطة المقاومة الشعبية المصرية وامكان ضربها ببعض الطوائف خاصة من طلبة الأزهر الفقراء المحتاجين ماديا ..

وكانت احدى الخطط التى رسمها قائد المقاومة الشعبية عبد الرحمن فهمى لاحكام عملية المقاطعة (١٧٦) لهذه اللجنة ، هى استخدام أعداد من شباب المقاومة فى تشكيل مجموعات من طلبة المدارس العليا قامت بمحاصرة مكان اقامة لجنة ملنر ليلا ونهارا لمراقبة المترددين من المصريين على هذا المكان، فكان كل من تردد على المكان والتقى باللجنة علم أمره بعد انصرافه مباشرة ، وكان ممن تولوا هذه المهمة الوطنية الدقيقة والبارعة من أعضاء الجهاز السرى هما : حامد السعيد والدكتور سيد محمد باشا ..

وهكذا تأكد للجنة ملنر وللسلطات وللمعتمد البريطانى وللعملاء ـ من الأجانب وضعاف النفوس من المصريين ـ أن الذى يملك ناصية الأمور فى مصر كلها فى هذا الوقت شخص واحد هو سعد زغلول باشا وأعضاء الوفد الذى يترأسه ..

فطوال مدة تواجد لجنة ملنر على أرض مصر ، كانت عند مقابلة أى مصرى لها ـ مهما صغر أو كبر شأنه وسواء كان فلاحا أو حرفيا أو موظفا ، كان الرد من الجميع عن أى سؤال توجهه اللجنة له هو الرد المصرى التقليدى : « روح اسأل سعد » .. وكان هذا الرد أصبح شعارا يحمل فى طياته لماحة فكر وفصاحة عقل واصرار على العناد من جانب الشعب المصرى وعلى مر العصور حتى انه اذا سأل أحد الأجانب ـ من غير لجنة ملنر ـ أى مصرى ، فكأن المصرى فى بادىء الأمر يتولاه الشك فيقول تلقائيا : « روح اسأل سعد » ، حتى ولو كان السؤال عن مكان أو زمان .

ـ الاعتداء على رئيس الوزراء يوسف وهبة باشا .. (١٩١٩/١٢/١٥)

فى يوم ١٩١٩/١٢/١٥ ، ألقى طالب بكلية الطب هو « عريان يوسف سعد » (١٧٧) قنبلتين على رئيس الوزراء يوسف وهبة باشا حينما كان مارا بسيارته بميدان سليمان باشا ، وكانت جماعة المقاومة الشعبية المصرية ـ بقيادة عبد الرحمن فهمى ـ هى المدبرة لهذه العملية ، وفى مرحلة

---

(١٧٦) المجلد الثانى عشر ـ « تراجم وسير » ـ للأستاذ العقاد ـ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(١٧٧) « ثورة ١٩١٩ » ـ جزء ثان قسم ٣ ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ٨٤ .

الاعداد لهذه العملية تم اختيار الشخص الذى سيقوم بتنفيذها ، تطوع طالب الطب ــ القبطى ــ عريان يوسف سعد وأصر على قيامه هو بتنفيذ هذه العملية بنفسه ، حتى اذا قبض عليه وتبين أنه « قبطى » ينتمى لديانة رئيس الوزراء ، كان ذلك كفيلا بأن يؤكد للسلطات البريطانية على مدى تماسك فئات الشعب المصرى متمثلا فى وحدته الوطنية ، وفى ذات الوقت لقطع خط الرجعة على هذه السلطات بادعاءاتها على الشعب المصرى بالتعصب الدينى بين الثوار المصريين المسلمين ..

وعندما فشلت المحاولة ونجا رئيس الوزراء وألقى القبض على « عريان سعد » ، اعترف أثناء التحقيق معه بأنه كان يريد اغتيال رئيس الوزراء لخروجه على اجماع الأمة بموافقته على تشكيل الحكومة ، وتقديرا من القضاة الذين حاكموه أصدروا حكمهم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات ــ اكتفاء بذلك لبطولته ووطنيته ــ وأفرج عنه فى عهد وزارة سعد زغلول باشا التى شكلت سنة ١٩٢٤ حيث أصدرت الوزارة قرارا بالعفو عنه ..

ــ توالى الاعتداءات على الخارجين على اجماع الأمة ..

لم تقف محاولات جماعة المقاومة الشعبية عند هذا الحد بل واصلت مسيرتها حيث تم الاعتداء على اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال يوم ٢٨ يناير ١٩٢٠ ولم تتمكن السلطات من القبض على الفاعل ..

وفى صباح يوم ٢٢ فبراير ١٩٢٠ ، اعتدى طالبان بالمدارس الثانوية هما : عبد القادر شحاتة وعباس حلمى (١٧٨) على محمد شفيق باشا وزير الزراعة وحكم عليهما بالاعدام من محكمة عسكرية ــ شكلت خصيصا ــ ثم عدل الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة .

ــ اعادة الرقابة على الصحف (١٧٩) ..

فى مارس ١٩٢٠ ، أعادت السلطات العسكرية البريطانية الرقابة على الصحف بعد أن جاهرت اللجنة المركزية لحزب الوفد بمقاطعتها لأعمال لجنة ملنر بل ودعت كافة المصريين الى مقاطعة هذه اللجنة وهددت أى مصرى تسول له نفسه التعاون معها ..

---

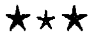
(١٧٨) المصدر السابق ــ ص ٨٤ .

(١٧٩) المصدر السابق ــ ص ٨٩ .

– وفى يـوم ٥ مارس ١٩٢٠ ، اجتمع مديرو الصـحف وقرروا احتجاب الصحف المصرية ثلاثة أيام اعتبارا من اليوم التالى (٦ مارس) احتجاجا على قرار فرض الرقابة عليهم ..

– اجتماع الجمعية التشريعية .. (٦ مارس ١٩٢٠) (١٨٠) ..

أراد أعضاء الجمعية التشريعية (البرلمان) اظهار فاعليتهم واثبات وجودهم – رغم تعطيلها بأمر السلطات البريطانية منذ أكتوبر ١٩١٤ – وتأكيدا لاظهار قوة الثورة الشعبية ، فقرر الأعضاء عقد اجتماع فى منزل سعد باشا زغلول – رمز الثورة المصرية – وتم الاجتماع فى « بيت الأمة » يوم ٩ مارس ١٩٢٠ برئاسة ابراهيم سعيد باشا حيث أصدرت القرارات احتجاجا على استمرار الاحتلال وفرض الحماية والتأييد الكامل لسـعد باشا والوفد وقامت بابلاغ هذه القرارات الى الوفد المصرى فى باريس والى رئاسة مجلس الوزراء المصرى والى قناصل الدول الأجنبية فى مصر ، وأصدرت السلطات البريطانية أمرا عسكريا يحمل الصيغة التهديدية بمنع تكرار هذه الاجتماعات ..



– ما قبل المفاوضة ..

استمرت اقـامة الوفد المصرى فى باريس لـمدة طويلة دون نتيجة ايجابية مؤثرة ، ولما وجد سعد زغلول تجاوبا فى مجلس الشيوخ الأمريكى للبيانات التى أرسلها حزب الوفد من مصر الى أمريكا ، أوفد محمد محمود باشا فى مهمة دعائية للقضية المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية – بعد أن ترامت الأنباء بأن الكونجرس (مجلس الشيوخ) الأمريكى لا يؤيد (١٨١) الرئيس « ويلسون » فى فكرته التى أنشأت عصبة الأمم – خاصة بعد أن عملت انجلترا وفرنسا على حرمان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من حقه فى رئاسة المؤتمر (مؤتمر الصلح) مقابل تضحيات أمريكا للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى ..

فوجد سعد زغلول الفرصة سانحة للاستفادة من هذا الموقف خاصة وأن ويلسون نفسه كان قد اعترف بالحماية البريطانية على مصر ، وقام محمد محمود باشا بدعاية واسعة النطاق للقضية المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، مما جعل كثيرا من أعضاء الكونجرس يؤيدون ما تصبو

---

(١٨٠) « ثورة ١٩١٩ » – جزء ثان قسم ٣ – للأستاذ الرافعى – ص ٩١ .
(١٨١) مذكرات د. محمد حسين هيكل – ص ٨٣ .

اليه مصر فى المطالبة بالاستقلال ، وأثمرت جهود محمد محمود باشا ودعايته للقضية المصرية وأتت بنهاية ايجابية ، حيث أصدرت لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى تصريحا أعلنت فيه (١٨٢) : « أن مصر تعد من الوجهة السياسية غير خاضعة لانجلترا ولا لتركيا وانما يجب أن تكون مستقلة وزمامها بيدها » ، الا انه نظرا لاعلان أمريكا عزل نفسها عن العالم فقد أصبحت كل محاولات مصر فى أمريكا غير ذات موضوع ولم تفد القضية المصرية فى شىء ..

.. وفشلت لجنة ملنر ..

ازاء تصاعد عمليات المقاومة الشعبية المصرية وتزايد حدة السخط والغضب من جانب الشعب المصرى الثائر وأحكام المقاطعة الشعبية الشاملة للجنة ملنر فى مهمتها التى جاءت من أجلها الى مصر ، لم تفلح جهود هذه اللجنة فى تحقيق مهمتها طوال مدة بقائها فى مصر بل باءت كل أساليب جهودها بالفشل .

فتور الثورة .. وبداية الخلافات ..

بمرور الوقت الطويل على تواجد الزعامة الشعبية المتمثلة فى سعد زغلول وأعضاء الوفد المرافقين له فى باريس بعيدين عن أرض الوطن حيث الثورة الشعبية المصرية ، كان لذلك الأثر الكبير فى أن يجعل الاحساس والشعور بالفتور يدب فى نفوس وأوصال المقاومة الشعبية الثورية ، اذ كان من أولى الواجبات أن تركز الزعامة الشعبية على بذل جهودها واستمرارية النشاط الثورى من داخل مصر نفسها وعلى أرضها خاصة بعد الاحباط واليأس من مؤتمر الصلح ...

— ففى مصر ، وفى غضون شهر أبريل ١٩٢٠ ، جاء فى رسالة سرية بعث بها عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول فى باريس يوم ٢٤ أبريل — جاء بها أن أحد أعضاء اللجنة المركزية أثناء اجتماعها يوم ٩ أبريل ١٩٢٠ — قال ما ملخصه : « اننى أشعر أن الحركة نامت والهمة فترت والشعور كاد أن يموت.... فيجب أن تفكر اللجنة المركزية فى عمل ما يلزم لايقاظ الشعور واعادة الحركة الى سيرتها الأولى .. » .

---

(١٨٢) « تراجم وسير » — المجلد الثانى عشر — للأستاذ العقاد — ص ١٨٤ .
٢٨٥ .

ـ وفى نفس هذا الوقت ، كانت الخلافات قد بدأت تطفو على السطح بين أعضاء وفد المفاوضات فى باريس ، وقد بانت بوادرها بخروج اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر على عن اجماع أعضاء الوفد فى باريس ، كما ظهر ـ بشكل أو بآخر ـ أن محمد باشا سعيد يستخدم أساليبه الملتوية الشيطانية بايفاد أحد معاونيه ممن لهم صلات بالدوائر البريطانية (١٨٣) (المحامى طليمات) الى اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر لتحريضهما على الاختلاف مع الوفد والانشقاق عنه بأسلوب جعل سعد زغلول يتمكن وباجماع آراء أعضاء الوفد من اصدار قرار بفصلهما من الوفد ثم لحق بهما كذلك حسين واصف ٠

ـ فى ذات الوقت أيضـــا عاد على باشا شعراوى (١٨٤) الى مصر تاركا الوفد وكان ذلك بسبب خلاف وقع بينه وبين سعد باشا زغلول اعتبره شعراوى باشا اهانة له وماسا بكرامته ، وثأر محمد محمود باشا من سعد زغلول انتصارا ووقوفا الى جانب على شعراوى ، مما ترك أثرا بالغا فى النفوس باشاعة الفرقة بين صفوف الوفد ٠٠

ـ كل ذلك كان يدخل فى نطاق وبفعل المخطط البريطانى الذى كان يهدف الى تجميد الثورة الشعبية فى مصر باستخدام أساليب شتى لاطالة الوقت ومرور الزمن بالتسويف والمماطلة وصولا للهدف الأول والأخير وهو اخماد الثورة الشعبية المصرية ، وكان من وسائل هذا التسويف وتلك المماطلة هو تشعيب الأطراف التى بيدها تصريف الأمور سواء لصـــالح السياسة البريطانية أو تلك التى بيدها شئون وقيادة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال ٠٠

ـ فقد كانت هناك اتصالات متعددة بخصوص لجنة ملنر تمثلت فى أطراف كل يعمل على شاكلته ٠

- فكان عدلى باشا يكن وزميلاه رشدى باشا وثروت باشا كطرف ٠
- والسلطان فؤاد بأطماعه ظاهرها وخفيها كطرف ثان ٠
- والسلطة البريطانية فى مصر ممثلة فى اللورد اللنبى وتحت قيادته كطرف ثالث ٠

---

(١٨٣) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ د٠ محمد أنيس ـ ص ٣٦ الى ص ٣٩ ٠

(١٨٤) « مذكرات محمد على علوبة » ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ٠

● والحكومة البريطانية فى لندن ممثلة فى مستشارها اللورد ملنر كطرف رابع ٠

● وأعضاء الوفد المصرى فى باريس بقيادة وزعامة سعد زغلول كطرف خامس ٠

● ثم أعضاء اللجنة المركزية لحزب الوفد فى مصر ـ التى بدأ سيطر عليها الفتور كطرف سادس ٠

ـ كان هذا التشتت والتشعب بتعدد الأطراف وتعدد الآراء والتخبط فى التخطيط والتناقص ، كان لكل ذلك آثاره السلبية السيئة ، حيث مهد للمخطط البريطانى الفرصة لتضييع الوقت لأطول مدة ممكنة حتى يدب اليأس والملل فى نفوس المصريين ٠

ـ وبنفس القدر لم يكن أمام سعد زغلول كزعيم للأمة المصرية وثورتها سوى الطريق الى باب الدخول فى مرحلة جديدة (١٨٥) من العمل السياسى التفاوضى وليس العمل الثورى المؤيد بلا حدود من الشعب المصرى بأسره ، فكان التفاوض بين ممثلى الشعب المصرى وحكومته المصرية فى أسوأ وقت تجتازه القضية المصرية ، وهى الخلافات وفتور الهمة الثورية ٠

ـ فعندما كان سعد زغلول أثناء اجتماعه مع سير وينجت (١٩١٨/١١/١٣) ، ظهر أنه كان معتنقا أسلوب التفاوض بدون ثورة تسانده ، كما أن معظم أعضاء الوفد المصرى فى باريس كانوا ـ بالاضافة الى معظم أعضاء اللجنة المركزية لحزب الوفد فى مصر ـ كانوا جميعهم على اقتناع بأسلوب التفاوض (١٨٦) ٠

ـ وكان مرجع ذلك الى انتماءاتهم الحزبية السابقة والطبقية ، التى كانت كلها تؤكد على مهانة الاحتلال البريطانى بعدم استخدام أسلوب العنف الثورى فى المطالبة بحقوق البلاد فى الاستقلال والحرية ٠

ـ خاصة حين صدمت المفاجأة ـ أعضاء الوفد المصرى فى باريس ـ بالموقف الذى اتخذه مؤتمر الصلح (١٨٧) والرئيس الأمريكى ويلسون

(١٨٥) « مذكرات عبد الرحمن فهمى » ـ من محضر جلسة ١٩١٨/١١/١٣ (الاجتماع مع سير وينجت) ـ ص ٥٠ ، ٥١ ٠

(١٨٦) « مذكرات د٠ محمد حسين هيكل » ـ جزء أول ـ ص ٧١ ٠

(١٨٧) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ جزء ثانى قسم ٣ ـ ص ٩٦ ٠

بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر ، فكان لتلك الصدمة آثار بالغة بدبيب اليأس فى نفوس أغلبية أعضاء الوفد المصرى مما جعلهم يفكرون فى مصارحة الأمة والشعب المصرى باخفاق الوفد فى مهمته التى فوض وأنيب من أجلها ، لولا ما كان يصلهم فى باريس من آنباء ثبات الأمة المصرية فى جهادها ٠

★★★

التدخل البريطانى فى وراثة عرش مصر (١٨٨) ٠٠

فى ١١ فبراير ١٩٢٠ رزق السلطان فؤاد بمولود ذكر أسماه « فاروق » ، فكان من المفروض ـ تشريعيا ـ أن ينصب وليا للعهد ، ولكن السلطان فؤاد كان يحمل فى طيات ذاكرته ظروف وملابسات عزل والده الخديوى اسماعيل بفرمان سلطانى تركى لم يكن الا ظاهريا فقد كان فى حقيقية الأمر عزل بأمر من الحكومتين البريطانية والفرنسية ، كما أن السلطان فؤاد لم يكن يغيب عن وعيه ظروف مساندة الانجليز لشقيقه الخديوى توفيق ضد الثورة العرابية الشعبية واحتلالهم للبلاد ، ثم تنصيب الانجليز للخديوى عباس ـ رغم ظاهرية الفرمان التركى ـ ثم بعد ذلك اطاحة الانجليز مباشرة بالخديوى عباس عن العرش (وهو ابن أخيه) ، وتنصيب الانجليز للسلطان حسين كامل بدون فرمان تركى ، ثم استدعاء الانجليز للأمير فؤاد لاعتلاء عرش السلطنة المصرية ـ كل هذا بكامل الارادة البريطانية وحدها ٠

لكل ما سبق مما كان فى وعى وذاكرة السلطان فؤاد ، فقد انتظر حتى يصدر القرار البريطانى ، فاجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة يوسف وهبة باشا ـ المحصن بالرضا البريطانى ـ وقام صوريا ـ بتبليغ المديريات المصرية بمولد « الأمير فاروق » ولم يجرؤ على المناداة به وليا للعهد ، وفى نفس الوقت ـ وامعانا فى الاستهانة بالوطنية المصرية ـ قام رئيس الوزراء المصرى بتبليغ المعتمد البريطانى اللورد اللنبى بنبأ المولود كما قام بتبليغ وزارة الخارجية البريطانية به ٠

وامعانا فى التنزيل من قدر السيادة المصرية ، قام المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى ـ وليس ملك بريطانيا ـ بالكتابة فى ١٩٢٠/٤/١٥ ، الى السلطان فؤاد (بفرمان) بقرار بريطانى بنظام وراثة

---

(١٨٨) المصدر السابق ـ ص ٨٥ ٠

العرش فى مصر بأمر من حكومة جلالة ملك بريطانيا ، وبموجبه صار تنصيب الأمير فاروق وليا للعهد ٠

ـ وتأكيدا على تمام الخضوع ، قام السلطان فؤاد بالرد الى ملك بريطانيا ـ مباشرة ـ بفائق تشكراته على هذا القرار البريطانى الذى أبلغه به وتسلمه من المندوب السامى البريطانى وليس من ملك بريطانيا الى سلطان مصر ، وبذلك أكدت بريطانيا على أهم مظهر من مظاهر سيادتها بتدخلها فى تقرير وراثة عرش مصر بهذا الاسلوب الاستعمارى المتعالى ٠

الاحتجاج المصرى (١٨٩) ٠٠

قام الحزب الوطنى باصدار احتجاج أبلغه الى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر ، ورفضت الصحافة المحلية المصرية نشره بأمر السلطات البريطانية ، وأكد الحزب الوطنى فى احتجاجه على أن موضوع وراثة العرش هو من صميم المسائل الخاصة بالأمة المصرية والسيادة المصرية ٠

واللجنة المركزية لحزب الوفد ٠٠

وفى نفس الوقت أصدرت هذه اللجنة ـ برئاسة محمود باشا سليمان ـ احتجاجا على هذا الاعلان البريطانى الذى يدل على الاعتداء البريطانى على سيادة مصر وعلى الحقوق الشرعية لها ، لأن الأمة المصرية ـ وحدها ـ هى صاحبة الحق فى تقرير نظام وراثة الحكم فى مصر ٠٠

وكانت هذه الاحتجاجات بمثابة تعبير عن رأى الأمة المصرية بالسخط العام والاستنكار الاجماعى ٠

استمرار الاعتداءات على الوزراء

فى ٨ مايو ألقيت قنبلة على وزير الأوقاف حسين درويش باشا وهو راكب سيارته ولم يصب ٠

---

(١٨٦) نفس المصدر السابق ، ص ٨٥ ٠

الدوامة البريطانية فى بحر المفاوضات

ـ منذ أعلنت الحكومة البريطانية قرارها بتشكيل لجنة « ملنر » للتحقيق وتقصى الأوضاع بموجب خطاب « لورد كيرزون » فى ١٥ مايو ١٩١٩ ، فقد كان التفكير الشعبى المصرى النابع أصلا بفعل المؤسسة الوطنية المصرية المتمركزة فى مصر والتى كانت على اتصال مستمر ب « سعد زغلول » فى باريس وبالذات بسكرتير اللجنة المركزية « عبد الرحمن فهمى » ، كان هذا التفكير الشعبى المصرى متجها الى (مقاطعة لجنة « ملنر ») ـ نظرا لما جاء فى خطاب « لورد كيرزون » من تأكيد على أن مهام هذه اللجنة تتركز أساسا فى استمرار الوجود العسكرى البريطانى تحت ستار حجة استمرار الحماية البريطانية (١٩٠) على مصر ـ ولو أن « عبد الرحمن فهمى » نفسه اقترح فى رسالة منه لسعد زغلول أن تشكل لجنة من كبار المسئولين المصريين فى مصر برئاسة « عدلى باشا يكن » للاتصال والتفاهم مع لجنة « ملنر » ، مع استمرار المقاطعة من جانب الشعب المصرى ممثلا فى شخصياته العامة لهذه اللجنة (١٩١) ـ الا أن « سعد زغلول » يرسل من باريس الى « عبد الرحمن فهمى » رسالة يؤكد فيها بالتصميم على ضرورة مقاطعة لجنة « ملنر » والتمسك بالوفد المصرى ، أى أنه لم يكن لدى « سعد زغلول » مانعا من تفاوض الوفد ولكن ـ فقط ـ مع لجنة مصغرة تمثل الشعب المصرى وبموجب التوكيل الصادر منه للوفد المصرى ٠

ثم يعود « سعد زغلول » ويؤكد على ضرورة استمرار المقاطعة ، فيبارك هو وأعضاء الوفد المصرى فى باريس موقف الشعب المصرى ممثلا فى رجال الوفد والشباب المصرى فى مقاطعة هذه اللجنة ٠

---

(١٩٠) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ د٠ محمد انيس ـ (رسالة فى ٢٢ يوليو سنه ١٩١٩) ـ ص ١١٧ ٠

(١٩١) نفس المصدر السابق ـ تقرير رقم ١١ من باريس فى ٢٥ يوليو ١٩١٩ ـ (ص ٦٥) ، تقرير رقم ١٧ فى ٢٨ اغسطس ١٩١٩ (ص ٧٢) ، تقرير رقم ١٨ فى ٢٨ اغسطس ١٩١٩ (ص ٧٥) ٠

– وفى ٢٩ ديسمبر ١٩١٩ ، يصدر « اللورد ملنر » بيانا (١٩٢) – بعد أن تأكد له اصرار وتصميم الشعب المصرى بكافة هيئاته وطوائفه على مقاطعة لجنته وبعد فشل الأسلوب السياسى السرى البريطانى – معلنا فى بيانه :

١ – أن مهمة اللجنة هى التوفيق بين أمانى المصريين ومصالح بريطانيا فى مصر ٠

٢ – حماية حقوق الأجانب المقيمين فى مصر ٠

٣ – أن اللجنة ترغب فى الوصول الى اتفاق ودى مع مصر يزيل أسباب الاحتكاك ٠

٤ – أن من مهام اللجنة النظر فى اقامة مؤسسة حكم ذاتى ٠٠

٥ – لا تتمسك اللجنة بتقييد حدود المناقشة ولا تعتبر مناقشة أى طرف مصرى تنازلا عن معتقداته حيث أن اللجنة تسعى – فقط – للوصول الى اتفاق ٠

– وحيث أن ما تضمنه هذا البيان كان يتسم ببعض الايجابيات ٠٠

فقد كان الرد من جانب « الوفد » فى مصر ممثلا فى «لجنته المركزية» ببيان لها أذيع يوم ٣٠ ديسمبر ١٩١٩ – جاء فيه :

١ – أنه رغم أن بيان « ملنر » قد أتاح فرص المفاوضة بدون قيد ، الا أنه لم يتضمن الاعتراف باستقلال مصر التام ٠

٢ – أن الأساليب السياسية لا تسمح بأن تجرى مفاوضة بين لجنة وبين أمة بأسرها ، وأكد الوفد أن المصريين – مسبقا – يرفضون الحماية الأجنبية رفضا باتا ٠

٣ – أن التوفيق بين استقلال مصر وبين ما لغيرها من المصالح ، لا يمكن المناقشة فيه الا مع « الوفد » ، وبشرط عدم المساس بالحقوق المقدسة للمصريين ٠

– وكان بيان « ملنر » ورد « الوفد » عليه – فى ظل وزارة « يوسف وهبة باشا » – التى تضمنه بيان « اللجنة المركزية للوفد » – والذى أرسلت صورة منه الى « سعد زغلول » – فيه معنى تزحزح الوفد بعض الشىء عن المقاطعة واعترافا بمبدأ التفاوض مع لجنة « ملنر » وبفروط مسبقة ٠

---

(١٩٢) « ثورة ١٩١٩ – الجزء الثانى » – للأستاذ الرافعى – ص ٨٩ ٠

ـ كما أنه كان يثبت أيضا أن « سعد زغلول » كان قد أرسل من باريس (١٩٣) الى « عدلى يكن » فى مصر متضمنا الاتفاق معه على موافقة « الوفد » على مبدأ التفاوض مع هذه اللجنة ، وفوض « سعد زغلول » كلا من « عدلى يكن » و « حسين رشدى » و « ثروت باشا » فى التفاهم مع لجنة « ملنر » على هذا الأساس ، وفى ذات الوقت أخذ « سعد زغلول » على « اللجنة المركزية » تسرعها فى اصدار بيانها فى هذا الشأن قبل أن يتسلم نتيجة ما انتهت اليه اتصالات « عدلى ، رشدى ، ثروت » بلجنة « ملنر » .

ـ ومن باريس كان « سعد زغلول » دائم الاتصال مع « عدلى يكن » حيث وافق على جميع خطواته بالاشتراك (١٩٤) مع « عبد الخالق ثروت باشا » و « حسين رشدى باشا » بالتمهيد للاتصال والتفاوض مع لجنة « ملنر » ، مؤكدا أن هؤلاء الوزراء الثلاثة قد سلكوا سبيل الحكمة والسداد فى هذه المفاوضات التى جرت بينهم وبين « ملنر » ، ولم يكتف « سعد زغلول » بذلك بل انه حذر فى احدى رسالاته من مداومة وتمادى الصحافة فى مصر من مهاجمة الوزراء الثلاثة وكان هذا التحذير فى غضون شهر يناير ١٩٢٠ ..

ـ وفى الخامس من فبراير ١٩٢٠ ، أرسل « سعد زغلول » تقريره رقم (٦) الى اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة يقول فيه : « ليس من الحكمة ولا من حسن السياسة أن انجلترا اذا دعتنا للمفاوضة مع لجنة « ملنر » بصفة كونها مأذونا لها فى هذا الشأن وبصفة كوننا ممثلين للأمة المصرية أن ترفض هذه المفاوضات ما دام الغرض منها هو الوصول الى اتفاق يضمن استقلال مصر التام ويحقق فى نفس الوقت مصالح انجلترا الخاصة » .. « ولذلك عرضنا فى الجرائد وغيرها أن الوفد المصرى مستعد لمفاوضة لجنة ملنر اذا أعلنت أنها مأذونة فى التفاوض بصفة كونها ممثلة للحكومة الانجليزية مع الوفد المصرى (١٩٥) بصفة كونه ممثلا للأمة المصرية » .

ـ كان « عدلى يكن » يتصل ب « ملنر » بعلم (١٩٦) « سعد زغلول » وبعلم ومتابعة « السلطان فؤاد » ، وكان السلطان بدوره قد تفاهم مع

---

(١٩٣) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ د. محمد أنيس ـ (التقرير الخامس من سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى فى ٢٧ يناير ١٩٢٠) ـ ص ٨٨ .
(١٩٤) ذات المصدر السابق .
(١٩٥) « وثائق ثورة ١٩١٩ » ـ د. محمد أنيس ـ (رسالة من عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول) ٢٥/٢/١٩٢٠ ـ ص ١٩٤ .
(١٩٦) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ٨٩ .

« اللورد ملنر » على أن يتم تشكيل هيئة التفاوض المصرى من بعض رجال الوفد والبعض من الوزراء والبعض الآخر من الوزراء السابقين ، وكان رأى « عدلى يكن » أن هذا الاتجاه لا يرضى « الوفد » ولا الأمة بابلاغ ذلك الى « سعد زغلول » ٠

***

عودة لجنة « ملنر » الى انجلترا ٠٠ (١٨ مارس ١٩٢٠)

وأخيرا عادت « لجنة ملنر » من حيث أتت ، فقد غادرت ميناء الاسكندرية بعد ثلاثة أشهر من وصولها وذلك فى يوم ١٨ مارس ١٩٢٠ ، ورغم انها لم تحقق الغرض الأساسى من حضورها الى مصر ـ وهو التفاوض مع المصريين فى غيبة « الوفد » ـ الا انه أمكنها جمع كثير من المعلومات (١٩٧) والحقائق بفضل أساليب السلطات البريطانية السرية فى مصر ، ولكن كانت أغلب هذه الاتصالات المريبة معلومة ومكشوفة للجهاز السرى للوفد المصرى بفضل رئيسه « عبد الرحمن فهمى » ، وكانت معظم هذه التحركات والاتصالات والتساؤلات السرية من جانب اللجنة الانجليزية ترسل تفصيلاتها أولا بأول الى « سعد زغلول » والوفد فى باريس ، كما أجرت هذه اللجنة محادثات مع « السلطان فؤاد » من جهة ومع « عدلى يكن » ـ باسم « سعد زغلول » ـ من جهة أخرى على أساس قبول انجلترا لمبدأ التفاوض مع « سعد زغلول » ، خاصة بعد أن صرح أحد أعضاء « لجنة ملنر » لأحد المصريين ، أن اللجنة أصبحت مقتنعة ـ فى هذا الوقت ـ بأن الوفد المصرى يعبر عن رأى الأمة كلها ، ولذلك ستسعى اللجنة الى مفاوضة « سعد زغلول » و « الوفد » الموجود فى أوربا ، ثم طلب « سعد » ـ من باريس ـ الى « عدلى يكن » أن يسافر اليه فى باريس فى مهمة (١٩٨) وطنية ، وقد أعلن عن ذلك فى الصحف ٠

حوكم أمام محكمة عسكرية بريطانية حيث حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فور صدوره ٠

ـ اتصال « لجنة ملنر » و « سعد زغلول » ٠٠

بعد أن عاد « لورد ملنر » الى لندن ، عهد الى « مستر هيرست » (١٩٩) بالتوجه الى باريس لدعوة الوفد المصرى للحضور الى لندن للتفاوض ، وتم

(١٩٧) المصدر السابق ـ ص ١٩٠ ٠
(١٩٨) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ الجزء الاول ـ ص ٨٩ ٠
(١٩٩) « ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ جزء ٢ قسم ٢ ـ ص ٩٦ ٠

اللقاء بين « هيرست » و « سعد زغلول » فى مايو ١٩٢٠ ، وأوفد « سعد زغلول » كلا من « محمد محمود وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر » للسفر الى لندن — قبل سفره — للوقوف على مدى جدية هذه الدعوة للتفاوض بدون أية قيود أو شروط اللهم الا ضمان المصالح البريطانية الخاصة ، وقام « سعد زغلول » بارسال برقية الى مصر للنشر فى الصحف وفيها بعض التفاؤل من فكرة التفاوض ، وتوجه « سعد »ومعه باقى الوفد المصرى الى لندن فى ٥ يونية ١٩٢٠ ..

— المفاوضات مع « لجنة ملنر » ..

وصل « سعد زغلول » والوفد المرافق له الى لندن للتفاوض مع « لجنة ملنر » — فى الخامس من يونية ١٩٢٠ ، وكان « سعد زغلول » — فى ذلك الوقت — يعتبر معبودا (٢٠٠) من أكثرية هيئات وطوائف الأمة المصرية وموضع ثقتها وكانت المناداة فى مصر فى المظاهرات والتجمعات الشعبية تردد الهتافات بحياة « سعد » ورفاقه — دون ذكر أسماء هؤلاء الرفاق — وأصبح اسم « سعد » رمزا لكل أمانى الأمة وأصبح رفاقه وزملاؤه جنودا مجهولين ، فكان هذا التمييز لاسم « سعد » وبالتالى لشخصه قد أعطى له مركزا متميزا بين رفاقه فى مواجهة المفاوض البريطانى الذى بدأ جلسات محادثاته وتفاوضاته بالنيل من مكانة « سعد » ، حيث أعلن « ملنر » أنه لا حدود للمناقشات بين الوفدين المصرى والبريطانى ما دامت فى اطار المفاوضات ، أما عند بداية التفاوض حول بنود المعاهدة فانه **يلزم أن يقوم وفد المفاوضات البريطانى بالتفاوض مع وفد مصرى حكومى معينا من السلطان فؤاد نفسه .. !! ..**

وكان « سعد زغلول » يعلم تماما عدم امكانية موافقة السلطان فؤاد على تعيينه — « سعد » رئيسا للحكومة ، **وبذلك يكون المخطط البريطانى/ السلطانى .**

— وجاء التقرير رقم (١٤) من « سعد زغلول » فى ٦ أبريل ١٩٢٠ من باريس جاء به : « **أنه قبل قيام « اللورد ملنر » من القاهرة كان يتكلم** مع « عدلى يكن » فى شأن المفاوضة فى لندن أنها ستكون — اللجنة المصرية — مؤلفة من « عدلى باشا » ومن بعض أصدقائه وبعض من أعضاء الوفد ... **وأن « عدلى » سيحضر الى باريس قريبا ويتفاهم مع سعد فى هذا الموضوع »** .

---

(٢٠٠) « ذكريات اجتماعية وسياسية » — للأستاذ علوبة — ص ١٥٨ .

ـ وبذلك تكون الفترة التى أمضتها لجنة ملنر فى مصر دون أن تصل الى نتيجة من وجهة النظر المصرية ، فانها بالقطع حققت الكثير للسياسة البريطانية ومخططها فى سبيل تهدئة ثورة ١٩١٩ وذلك بالا طالة والتسويف وفتح قنوات متعددة كمحاولات لامتصـــاص غضب الشعب المصرى حتى يفتر حماسه بمضى الوقت خاصة وأن الزعامة الثوريه كانت بعيدة عن البلاد ، وقد نجحت بريطانيا بالفعل فى اطالة فترة بقاء زعامة الثورة بعيدة عن قواعدها وذلك باستدراجها بحجة اجراء اتصالاتها مرة أخرى فى لندن بعد أنفشلت فى الوصول الىٰ أية نتيجة فى مؤتمر الصلح فى باريس وبذلك أصبح فى يد بريطانيا الوسيلة لاستهلاك المزيد من الوقت ٠

استقالة وزارة « يوسف وهبة » ٠٠ (١٩ مايو ١٩٢٠)

بعد أن شعر « يوسف وهبة » ـ رئيس الوزراء ـ بتواتر السخط الشعبى من وزارته خاصة بعد محاولة اغتياله واغتيال عدد من أعضاء وزارته ، وبعد أن شعر السلطان فؤاد بعجز هذه الوزارة فى مواجهــة الأحداث وطبقا للمخطط البريطانى ، فقد قام « يوسف وهبة » بتقديم استقالته التى قبلت فى ١٦ مايو ١٩٢٠ ٠٠

تأليف وزارة « نسيم باشا » ٠٠ (٢٢ مايو ١٩٢٠)

عهد الســـلطان فؤاد الى « محمد توفيق نسيم » ـ وزير الداخلية السابق فى وزارة « يوسف وهبة » ـ بتأليف الوزارة الجديدة يوم ٢٢ مايو ١٩٢٠ ، وكان أعضاء هذه الوزارة هم نفس أعضاء الوزارة السابقة حيث قوبل هذا التشكيل للورازة الجديدة بمزيد من السخط الشعبى ٠ وكان هذا التغيير الوزارى امتدادا للمخطط البريطانى لتضييع الوقت ٠

محاولة اغتيال « محمد نسيم باشا » ٠٠ (١٢ يونية ١٩٢٠)

فى صباح يوم ١٢ يونية ١٩٢٠ ، وقعت محاولة اعتداء على « توفيق نسيم باشا » بالقاء قنبلة عليه الا أنها لم تصبه ، وذلك حينما كان متوجها الى وزارة الداخلية ، وكان المعتدى هو الشاب ابراهيم حسن مســعود ـ الموظف بمصلحة الصحة ـ وقد نجح المخطط البريطانى فى ابعاد « سعد زغلول » عن أية مكانة جديدة كرئيس وزارة ورئيس وفد مفاوضات لتحقق مزيدا من التأييد الشعبى والدولى اذا ما تحقق ونجح فى توقيع معاهدة تتحقق بها بعض آمال الأمة المصرية التى كانت كلها فى ذاك الوقت مركزة كل أضوائها على « سعد زغلول » ـ وحده ٠٠

وبطبيعة الحال ، رفض « سعد زغلول » هذه الفكرة ـ الخبيثة ـ المهينة رفضا تاما متمسكا بحقه الكامل فيما كفله له التوكيل الصادر له

بالاجماع من كافة هيئات وطوائف الشعب المصرى كوكيل عن الأمة فى ابرام أى اتفاق معه شخصيا ــ دون غيره ــ ٠٠

ومن هنا بدأ الشقاق والخلاف مع « لجنة ملنر » ــ ومع « عدلى يكن » بالذات ــ وتفاقم (٢٠١) هذا الخلاف عندما أعلن « ملنر » أن غرض الحكومة البريطانية هو عقد اتفاق ودى بين الحكومتين البريطانية والمصرية بموجبه تعترف انجلترا باستقلال مصر ــ مع توفير الضمانات الضرورية لتحقيق المصالح الأجنبية وتأمينها وبصفة خاصة المصالح البريطانية ، الى جانب ضمانات الاستقرار بفرض (٢٠٢) السكينة والنظام ، وذلك باقامة « حامية عسكرية » فى كل مكان يقرره الخبراء الانجليز ، وكذلك بابداء الرأى الانجليزى فى التشريعات المصرية التى تمس الأجانب الذين عليهم أن يتنازلوا لبريطانيا عن حقوقهم فى امتيازاتهم التى تعوق استقلال مصر ــ لتنفرد بريطانيا وحدها بكافة الامتيازات ، ثم العمل على اقامة حكومة ملكية دستورية تنص عليها المعاهدة ٠٠

وانتهت المحادثات والمفاوضات ــ عند هذا الحد ــ فى آخر يوليو ١٩٢٠ ، الى أن يقدم كل من الوفدين مذكرة للوفد الآخر بالرأى فيما انتهت اليه هذه المفاوضات ، حيث اشتملت مذكرة « لجنة ملنر » على ما يلى :

١ ــ تتعهد بريطانيا بضمان سلامة (٢٠٣) مصر واستقلالها باعتبارها ملكية ذات نظام دستورى ٠

٢ ــ تتعهد مصر بأن لا تعقد أية معاهدات سياسية مع أية دولة أجنبية أخرى بغير موافقة الحكومة البريطانية ٠

٣ ــ تمنح مصر لبريطانيا حق ابقاء قوة عسكرية على أرض مصر واستخدام الموانىء البحرية والمطارات المصرية ، لضمان الدفاع عن مصر وحماية مواصلات بريطانيا العظمى وممتلكاتها ، وتعين فى المعاهدة المناطق التى تقام فيها المعسكرات للقوات البريطانية ٠

٤ ــ توافق مصر على تعيين مستشار مالى بريطانى بموافقة بريطانية يعهد اليه بجميع سلطات أعضاء صندوق الدين لحماية حقوق الأجانب حملة السندات ٠

---

(٢٠١) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ــ للأستاذ علوبة ــ ص ١٦٧ ٠
(٢٠٢) « تراجم وسير » ــ المجلد الثامن عشر ــ للأستاذ العقاد ــ ص ٣١٨ ٠
(٢٠٣) المصدر السابق ــ ص ٣١٩ ٠

٥ ــ تساعد بريطانيا مصر فى تخلصها من القيود التشريعية والادارية بسبب الامتيازات الأجنبية والعمل على تطبيق نظام يضمن تطبيق القانون المصرى على المصريين والأجانب على حد سواء ٠

٦ ــ تمنح مصر لبريطانيا حق تدخل المعتمد البريطانى فى مصر لايقاف قانون يتعارض مع حقوق الأجانب وتحتفظ مصر بحقها فى الاعتراض بالعرض على عصبة الأمم ٠

٧ ــ يبقى نظام المحاكم المختلطة بحيث يتناول القضايا الجنائية وجميع القضايا الأخرى التى تمس الأجانب فى مصر ٠

٨ ــ توافق مصر على تعيين موظف بريطانى فى وزارة الحقانية يكون له مركز سلطة تمكنه من تنفيذ القانون تنفيذا عادلا فيما يكون له مساس بالأجانب ٠

٩ ــ تقوم الحكومة البريطانية بتمثيل مصر لدى أية دولة ليس لمصر فيها معتمد ولا تعهد مصر لغير بريطانيا بهذا الواجب ٠

١٠ ــ تعترف مصر بالمركز المميز للمعتمد البريطانى فى مصر وتكون له كافة الأولويات على جميع المعتمدين الآخرين ٠

١١ ــ تسوى مراكز باقى الموظفين البريطانيين والأجانب بالحكومة المصرية باتفاق خاص يعقد بين الحكومتين البريطانية والمصرية ٠

***

ــ موقف « سعد زغلول » ٠٠ من هذه المذكرة ٠٠

رفض « سعد » والوفد المرافق له هذا المشروع ، لأنه جاء تأكيدا لاعلان فرض الحماية على مصر ومؤكدا على الاحتلال بالنص على ابقاء قوات عسكرية بريطانية فى بعض المناطق فى الأراضى المصرية ، كما أكد على تثبيت دور المستشارين البريطانيين فى مختلف الوزارات السيادية المصرية وتأكيدا للدور البارز للموظفين البريطانيين والأجانب فى الوظائف الحكومية المصرية ، بالاضافة الى التأكيد على خضوع التشريع المصرى للسيطرة البريطانية ، والابقاء على التميز للأجانب عامة وللبريطانيين خاصة فى مصر على المصريين أمام المحاكم وبصفة عامة التأكيد على تثبيت الامتيازات الأجنبية (٢٠٤) ٠٠

(٢٠٤) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ــ للأستاذ محمد على علوبة ــ ص ١٥٩ ٠

وبذلك جاء هذا المشروع « الملنرى » خلوا من أية دلائل على تحقيق الاستقلال لمصر ، الا بمجرد كلمة « الاستقلال » التى أصبحت لاغية بموجب النصوص الصريحة التى ـ فى ذات الوقت ـ تؤكد السيطرة البريطانية الكاملة على البلاد ٠

ولما كان « سعد زغلول » بموجب التوكيل الذى منحته له الأمة ويؤكده التأييد الشعبى الكامل له بغير حدود ، فقد تعمد التلويح والتأكيد على تمسكه بالتوكيل الذى منحه له شعب مصر ، وأنه لا يملك التفريط فى حق الشعب وتمسك بذلك الى آخر المدى ، فكانت بطاقته الشخصية التى كان يقدمها فى مؤتمر الصلح ـ للعامة والخاصة ـ كان بيانها يحمل الصفة بعبارة « سعد زغلول باشا ـ وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس وفد الأمة المصرية » ، فكان من الطبيعى أن يتشدد فى موقفه ـ لآخر المدى ـ فى مواجهة هذا المشروع الانجليزى الذى يؤكد على تبعية مصر تبعية كاملة لبريطانيا ، والذى يعتبر مخالفا لجوهر التوكيل الشعبى الذى منحه الشعب المصرى ل « سعد زغلول » ورفاقه لهدف رئيسى وهو تحقيق « الاستقلال التام » ٠٠

***

أما المشروع المصرى ـ والذى كان ل « سعد زغلول » الدور الأكبر فى صياغته ـ فكان متضمنا ما يلى :

المشروع المصرى :

١ ـ تعترف بريطانيا باستقلال (٢٠٥) مصر ، وتنتهى الحماية التى أعلنتها بريطانيا على مصر ـ ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ـ وكذلك ينتهى الاحتلال العسكرى البريطانى لمصر منذ ١٨٨٢ ، وبهذا تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية والخارجية وتقام دولة ملكية ذات نظام دستورى ٠

٢ ـ تقوم بريطانيا بسحب جنودها من الأراضى المصرية فى مدة (٠٠٠٠٠٠) ، أى ابتداء من وقت نفاذ المعاهدة الحالية ٠

٣ ـ تتعهد حكومة مصر بأنها عند استخدام حقها فى الاستغناء عن خدمات الموظفين الانجليز أن تعاملهم معاملة خاصة ـ بأن تمنح

(٢٠٥) « تراجم وسير » ـ للأستاذ العقاد ـ المجلد الثامن عشر ـ ص ٣٢٢٢ حتى ص ٣٢٥ ٠

الموظف الانجليزى الذى يقال من الخدمة تعويضا ماليا اضافيا يعادل مرتب شهر عن كل سنة من سنوات الخدمة ، وتسرى نفس المعاملة المتميزة على الموظفين الذين يتركون خدمة الحكومة المصرية من تلقاء أنفسهم فى خلال سنة من نفاذ هذه المعاهدة ٠

٤ــ تقبل مصر أن تستخدم بريطانيا باسم الدول الأجنبية الأخرى حقوق الامتيازات التى لهذه الدول ــ بالصيغة الآتية :

(أ) أن تكون الاضافات والتعديلات فى النظام القضائى المختلط معلقة على موافقة بريطانيا ٠

(ب) جميع القوانين الأخرى التى لا يمكن أن تسرى الآن على الأجانب ، لا يصير تعديلها الا بعد موافقة الدول التابعين لها أو مداولة الجمعية التشريعية للمحكمة المختلطة أو جمعيتها العمومية ، الا اذا عارضت الحكومة البريطانية فى ذلك ، على أن تبلغ هذه المعارضة لوزير الخارجية المصرية فى مدة (٠٠٠٠) من نشر القرار (٢٠٦) ، وفى حالة اختلاف الحكومتين يكون لمصر أن تعرض المسألة على عصبة الأمم للبت فيها ٠

٥ــ فى حالة الغاء محاكم القنصليات واحالة النظر فى الجرائم والجنح التى يرتكبها الأجانب الى المحاكم المختلطة توافق مصر على تعيين أحد رجال القضاء البريطانى فى مركز « النائب العام » لدى المحاكم المختلطة ٠

٦ــ للحكومتين المصرية والبريطانية بعد خمس عشرة سنة النظر فى مسألة ابطال تقييد السيادة المصرية الداخلية الناشىء من الامتيازات التى للأجانب ، وتحتفظ مصر لنفسها بالحق فى عرض هذه المسألة على عصبة الأمم عند الاقتضاء بعد مضى هذه المدة ٠

٧ــ فى حالة الغاء لجنة الدين العمومى تعين مصر موظفا ساميا لها تقترحه بريطانيا ٠

٨ــ فى حالة ما اذا لم تعين مصر سفيرا لها فى أى بلد من البلدان تعهد مصر لبريطانيا أن تتولى القيام بالمصالح المصرية فى هذا البلد بتعيين ممثل بريطانى على أن يتبع تعليمات وزير الخارجية المصرية ٠

---

(٢٠٦) المصدر السابق ٠

٩ ـ يقعد الطرفان محالفة دفاعية للغايات التالية :

(أ) تتعهد بريطانيا بالدفاع عن الأراضى المصرية ضد أى اعتداء تقوم به أية دولة أجنبية ٠

(ب) فى حالة وقوع اعتداء أوربى على بريطانيا تتعهد مصر ولو لم تكن سلامة أراضيها مهددة بأن تقدم الى بريطانيا فى أراضيها تسهيلات المواصلات والنقل الحربى ٠

١٠ ـ تتعهد مصر بألا تعقد أى معاهدة تحالف مع أى دولة أخرى دون اتفاق سابق مع بريطانيا ٠

١١ ـ مدة المحالفة هى ثلاثون عاما ويمكن بعد ذلك النظر فى أمر تحديدها ٠

١٢ ـ تكون مسألة السودان موضوع « اتفاق خاص » ٠

وهكذا كان المشروع المصرى يمثل الجدية فى طلب الوفاق وليس به تلاعب بالألفاظ ويحقق فى نفس الوقت التقريب بين حقوق الاستقلال لمصر ومصالح بريطانيا التى لا تفرضها على مصر وعلى العالم بحكم القوة ٠

ولكن هذا المشروع المصرى قوبل من الجانب البريطانى بالاستغراب حيث عبروا عنه بأنه «جرأة» ، وقالوا ان «سعد زغلول» ـ بهذا المشروع ـ يحسب له أنه هزم الدولة البريطانية ويملى عليها شروطه املاء الظافر فى ميدان القتال ٠٠

وازاء تعسف بريطانيا واصرارها على احتواء الثورة المصرية بمعول الألفاظ التى لا تقدم ولا تؤخر ، فقد توقفت المفاوضات بل قيل انها انقطعت لأن الوفد المصرى ـ فى نفس الوقت ـ رفض مذكرة مشروع لجنة ملنر على اطلاقها ٠



الوســـاطة (٢٠٧) :

١ ـ قام « عدلى يكن باشا » بالتوسط بين « سعد زغلول باشا » و « لجنة ملنر » ، ففى ١٥أغسطس ١٩٢٠ تسلم مذكرة مشروع « اللجنة

---

(٢٠٧) المصدر السابق ٠

الملنرية » الثانية حيث أجرى بها بعض التعديل من الجانب البريطانى مرة أخرى فى بعض العبارات ولكنها لم ترض « سعد باشا » بالذات ، لأنها كانت فى مجملها تؤكد على فرض الحماية البريطانية والاحتلال واستمرار الامتيازات الأجنبية وتجاهل موضوع السودان — رغم أنها كانت تحقق بعض الشيء على سبيل المظهر العام من الاستقلال والتمثيل الخارجي وبعضا من شكلية حرية التعبير والحكم الدستورى والتوازن بين السلطات وفى البعض الآخر مما كانت تنشده العامة منذ تصرفات « الخديوى اسماعيل باشا » و « الخديوى توفيق » فى شئون البلاد المالية والسياسية والسيادية ..

٢ — وأخيرا اتفق الوفد المصرى — فيما بين أعضائه — على عدم الموافقة على المشروع البريطانى — المعدل — الا بعد عرضه على الأمة ليبدى الشعب المصرى تحفظاته عليه ثم يعاد بحثه بين الوفد المصرى واللجنة الملنرية .

وقد قيل وقتها ان هذا الاقتراح كان منشأه فكرة مصرية لقطع خط الرجعة على بريطانيا بحجة أن « سعد زغلول » كان يسرف فى تشدده ..

٣ — وفى مصر حيث وصل المشروع مع مندوبين (٢٠٨) عن « سعد زغلول » فاستقبلهم الشعب المصرى استقبالا حافلا ، وعرض المشروع على المحامين وعلى أعضاء الجمعية التشريعية ورجال الدين ورجال القضاء وأعضاء مجالس الأقاليم والمجالس المحلية ، فأجمعت كل هذه الطوائف فى مجملها — ما عدا أنصار الوزراء الأصدقاء « عدلى يكن » و « حسين رشدى » و « عبد الخالق ثروت » — على وجوب التعديل والتنقيح فى بعض قواعد المشروع ، على أن يتضمن النص الصريح على الغاء الحماية وحذف ما جاء به عن امتيازات المندوب السامى البريطانى ، وطالبت الأكثرية بتقييد الحدود الهامة للمشروع ..

كما طالبوا بالتأكيد على المسألة السودانية ووجوب الاحتفاظ بدور مصر فيه .

٤ — عاد عضوا الوفد المصرى — حاملا المشروع — الى باريس فى السابع من أكتوبر ١٩٢٠ ، ثم سافر « سعد زغلول » وأعضاء الوفد الى لندن بناء على طلب « لورد ملنر » .

---

(٢٠٨) المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

وعندما اطلع « ملنر » على التعديلات الشعبية المطلوبة ، رفض ذلك رفضا باتا وتشبث بقبول المشروع كله أو رفضه كله ، وفى المقابل تشدد « سعد زغلول » ـ أيضا ـ فى طلب التأكيد على رغبات الأمة ..

واختلف أكثر أعضاء الوفد مع « سعد زغلول » ، حيث تلخصت حجج اختلافهم فى أن : ـ

(أ) تغير الظروف الدولية (٢٠٩) بعد وجود السند والنصير (٢١٠) بالخارج ، بعد أن تنكر مؤتمر الصلح ـ فى باريس ـ لمبادىء الرئيس الأمريكى « ويلسون » بحق الشعوب فى تقرير مصيرها .

(ب) انفراد بريطانيا بالقوة والسلطان وعدم استطاعة الأمة المصرية على استمرار ومواصلة الكفاح والمقاومة .

(جـ) أن المشروع البريطانى المعدل كان فى مجمله نافعا لمصر ويمكن به تحقيق المزيد فى المستقبل بفضل ما ستناله مصر من حريات .

(د) أن بعض التحفظات التى تبدو أنها غير محققة لكل الآمال ، فانها بالقطع ستكون مؤقتة اذا ما استمرت الأمة فى نهضتها .

٥ ـ ولكن « سعد زغلول » ـ بموجب حرفية التوكيل ـ فى موضوع تحقيق الاستقلال فقد تمسك بالرفض ..

وكانت أكثرية أعضاء الوفد فى جانب « عدلى يكن » بينما كانت الأقلية فى جانب « سعد زغلول » ، ومن هنا بدأ تفاقم الشقاق الذى كانت تتوقعه وتنتظره وتتوق اليه بريطانيا والذى ـ بالقطع ـ كان ضمن مخططها لوأد الثورة الشعبية المصرية من داخلها وتبريرا لايقاف التفاوض .

٦ ـ أبلغ « ملنر » الوفد المصرى أن مهمة لجنته ـ « لجنة ملنر » ـ ليست المفاوضة ، بل رفع تقرير للحكومة البريطانية عن مسألة معينة عهدت بها الحكومة البريطانية الى لجنته ، وكان هذا يعد ـ فى حقيقته ـ

---

(٢٠٩) « تراجم وسير » ـ للأستاذ العقاد ـ المجلد الثامن عشر ـ ص ٣٣٤ .
(٢١٠) « ذكريات اجتماعية وسياسية » ـ للأستاذ محمد على علوبة ـ ص ١٤٦ .

تراجعا يخالف ما سبق وأعلنته بريطانيا ، ولعل الحكومة البريطانية رأت ـ يومئذ ـ أن نتيجة الاستفتاء لم تسهل الوصول الى اتفاق سريع ، فرأت أن تكسب الوقت وأن تجعل البـاب مفتوحـا لامكان التفاوض مرة أخرى مع آخرين خلاف « سعد زغلول » ، وذلك تمشيا مع مخططها بتعمد اطالة مدة المفاوضات واقامة الوفد المصرى خارج بلاده حتى يفتر حماس الثورة وينال الوهن والضعف من قـواعد المقاومة الشعبية المصرية فى القاهرة • وبالتالى يتحقق عزل قيادة الثورة المقيمة خارج البلاد عن قواعدها الشعبية بداخل البلاد ويتحقق أيضا وفى ذات الوقت استغلال الشقاق الذى بدأ يتفاقم بين أعضاء الوفد فيما بينهم من جهة ومن جهة أخرى بين الوفد بصفة عامة وبين « عدلى يكن » وصاحبيه « عبد الخالق ثروت » و « حسين رشدى » ••

٧ ـ فى هذا الوقت العصيب ، قامت الصـحافة البريطانية باستخدام جرائدها بترديد الدعاية الواسعة المؤيدة لآراء المخالفين لرأى « سعد زغلول » وسياسته ، حيث وصفت الصحافة البريطانية هؤلاء المخالفين بالاعتدال ••• ومن هنا دخلت مصر فى دوامة •

أما فى مصر أثناء مفاوضات ملنر فى انجلترا

استمرت الثورة فى مصر(٢١١) فى مسارها وكانت متمثلة فى مقاومة أى تشكيل وزارى وتوالت المحاولات للاغتيالات السياسية لرؤساء الوزارات أو الوزراء المخالفين لاجماع الأمة بعدم قبول التشكيل الوزارى فقد كان الرأى العام فى مصر ينفر من قيام الوزارات المصرية فى ظل الحماية والأحكام العسكرية ويأبى التعاون على تثبيت هذا النوع من الحكم ويعتبره تمكينا للسيطرة البريطانية للمضى فى طريقها وتجاهل من هؤلاء الوزراء لمطالب الأمة • وفى هذه الحقبة وفى أيام وزارة محمد توفيق نسيم أراد الانجليز البطش بالثورة لمحاولة الاجهاز عليها وأجروا محاكمة طائفة من الشبان الوطنيين بتهمة اشتراكهم فى حوادث الاغتيالات السياسية وعلى رأسهم قائد المقاومة عبد الرحمن فهمى بك أمين لجنة الوفد المركزية بالقاهرة والحقيقة ان الثورة كانت مستمرة رغم بعض مظاهر الهدوء انتظارا لنتيجة التفاوض بين سعد ولجنة ملنر •

وتسربت أنبـاء الخـلاف بين أعضـاء الوفد (٢١٢) الى الرأى العام بالقاهرة سواء من أنصار عدلى أو أنصار سعد وانعكس ذلك على تفرق

(٢١١) المجلد الثامن عشر للأستاذ العقـاد ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ •
(٢١٢) مذكرات فى السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٩٣٠ •

شمل الثورة والأمة وقد أرسل سعد الى أحد أخصائه تقريرا وافيا عن الخلاف والشقاق وذيله بالجملة المعبرة « ولكنى مصمم كل التصميم على عدم النزول عن التحفظات المهمة التي أوصى بها الشعب لأن المشروع (٢١٣) بدونها لا يكون الا حماية في ثوب استقلال أو استقلال في معنى الحماية » .

وفى نفس الوقت نشرت بالقاهرة الترجمة الكاملة لتقرير لجنة ملنر المقدم الى الحكومة المصرية فقد أثار الهواجس فى مصر وأدى الى نشاط سياسى واسع النطاق تناولته الصحافة بالتعليق والنقد والتوضيح لكشف نوايا السياسة البريطانية المستقبلة في مصر . كل ذلك جاء بالأثر الفعال لزيادة صلابة الأمة وتمسكها بالثورة (٢١٤) ومبادئها . فلا خداع ولا يأس بل اصرار . وانعقدت المؤتمرات المتوالية وظهرت بوادر تجدد ثورة مصرية خرجت من قلب الشعب شعبيا ومن السلطان فؤاد بعد أن اعتبره الشعب ملاذه الأول والأخير حيث كانت مكانة السلطان فؤاد منذ وقتها تتأرجح بين بريق السلطة ومخططات السياسة البريطانية التى سبقت وأطاحت بعرش والده اسماعيل ومن بعده بالخديوى عباس عند اللزوم . أما عدلى يكن وجماعة المعتدلين ومن أيدوه في موقفه من أعضاء الوفد العائدين فقد جاء هذا الاعلان .

(والمرجح أن عدلى على الأقل كان على علم مسبق به) جاء لهم هذا الاعلان كمنقذ للانجليز من صلابة سعد وتشدده فى مطالب البلاد بموجب التوكيلات الشعبية واعتبروه مساعدا على توقف سعد عن تشنيعاته بهم على صفحات الجرائد المصرية .

ـ أما سعد زغلول وحزبه فقد تناولوا هذا التبليغ البريطانى بحذر ففسروه بذكاء مرغوب شعبيا وبخاصة عندما أفصحوا ان اشتراط بريطانيا على أن يكون وفد المفاوضات له الصفة الرسمية لتقوم به وزارة موالية للسلطان فؤاد حتى يكون مباركا ومؤيدا من الانجليز .

ـ أما أعضاء الوفد المنشقين على سعد فقد كان الاعلان يتفق وما فى نفسهم ضد سعد وكانوا يؤيدون أن يؤلف وفد المفاوضات برئاسة عدلى يكن كرئيس للوزراء .

ـ أما عدلى يكن والذى كان هو الآخر قد عاد الى مصر فور توقف مفاوضات ملنر فقد ألف الوزارة وسميت وزارة الثقة .

---

(٢١٣) المجلد الثاني عشر للأستاذ العقاد ، ص ٣١ .
(٢١٤) مذكرات فى السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٩٤ .

ـ وبدأت محاولات اصلاح الخلاف بين عدلى وسعد حتى لا يكون سعد عاملا مؤثرا ضد فكرة التفاوض الرسمى مع الانجليز ٠

الفرقة وعودة بعض أعضاء الوفد

نتيجـة الخلاف مع سعد فقد عاد الى مصر أعضاء الوفد المؤيد لموقف عدلى يكن وهم عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود وحمد الباسل ومحمد على علوبة ٠

استكمال المخطط البريطانى

فى الأسـبوع الأول من شهر فبراير سـنة ١٩٢١ (٢١٥) ورد الى السلطان فؤاد تبليغ من وزير الخارجية البريطانية يقول فيه « ان الحماية أصبحت علاقة غير مرضية بين مصر وانجلترا وان الحكومة البريطانية مستعدة لمفاوضة الحكومة المصرية (٢١٦) التى يؤلفها عظمة السلطان لهذا الغرض الذى يؤدى الى اقامة العلاقات بين مصر وانجلترا على أساس أقرب للرضا » ٠

ـ هذا التبليغ الخبيث قابلته الأطراف المختلفة فى مصر بمختلف المشاعر فكل جانب كان يفسره بالشكل الذى يناسب موقفه ٠ فالسلطان فؤاد بتواطئه مع الانجليز اعتبره متمشيا مع أطماعه وعدائه لسعد ولمخاوفه منه ومن حزبه الصاعد والذى خطف الأضواء ٠

عودة سعد الى مصر (٥ أبريل سنة ١٩٢١)

وفجأة جاءت الأنباء من باريس بأن سعد قرر العودة الى مصر وعلم فى مصر ان سعد تعجل حضوره ليكون قريبا من الأحداث التى كانت تحتوى (٢١٧) على الكثير من تآمر الانجليز ٠ ووصل سعد يوم ٥ أبريل سنة ١٩٢١ وكان استقباله فى القاهرة استقبالا شعبيا بكل المقاييس وخرج أهالى القاهرة وجاء اليها من أقصى الأقاليم وأريافها ألوف وعشرات الألوف للاشترك فى هذا الاستـقبال الذى فاق كل تقـدير واستمرت الاحتفالات عدة أيام بوصول سعد بعد غيابه عن بلاده سنتين كاملتين يجاهد فى سبيل قضية استقلال بلاده وسيادتها ٠ وكان سعد يقابل الوفود ويؤكد لهم أنه أحق الساسة بتولى المفاوضات وبمرور الأيام تتوالى خطب سعد ٠

---

(٢١٥) مذكرات فى السياسة المصرية للأستاذ محمد حسين هيكل ، ص ٩٦ ٠

(٢١٦) لقطع الطريق على سعد ووفده المفوضين بقوة التوكيل ٠

(٢١٧) مذكرات السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ٠

تفاقم الخلاف بين عدلى وسعد

وتعمد سعد فى خطبة المتوالية ان يتناول أبعـاد أسـباب فشـل المفاوضات مع لجنة ملنر وكانت تحمل فى معناها الكثير من النقد لموقف المنشقين عن الوفد وكذلك موقف عدلى يكن تلميحا الى ان جاء يوم ٢٨ أبريل وألقى سعد خطابا بشبرا (٢١٨) أعلن فيه الخلاف ووصف عدلى واخوانه انهم « برادع الانجليز » وبذلك وصل الخلاف الى أقصاه ٠

تجدد المظاهرات

على أثر خطاب سعد بادانة عدلى وأعضـاء الوفد المنشقين انطلقت المظاهرات وتصدت قوات الحكومة وتصـاعدت المظاهرات والمصادمات وحدثت وفيات وبعض تعديات على الأجانب فى الاسكندرية وعمت الفوضى فى الأقاليم ٠ وسقطت حجة الوسطاء فى الصلح وفى امكان قيام حكومة عدلى بالمفاوضات مع الانجليز ٠

المفاوضات بين عدلى وكيرزون

أخيرا وفى أول الصيف ألف عدلى باشا وفد المفاوضات مع الانجليز وسافروا الى انجلترا وتفاوض مع لورد كيرزون وزير الخارجية البريطانى وتمادت بريطانيا فى تشددها وكان هذا أمرا طبيعيا يتمشى مع مخططها بعد ان أحدثت تفرق الصف فى مصر وعلى أساس ان سعد الحاصل هو والوفد على توكيلات الأمة يعارض هو والأمة الثائرة هذا الوفد الرسمى برئاسة عدلى يكن ٠

توقف مفاوضات عدلى يكن (آخر نوفمبر ١٩٢١)

وازاء تشدد بريطانيا تتوقف المفاوضات لأن عدلى اعتبر انه لو قبل هذا التشدد البريطانى لوصفته بلاده بالخيانة ومع ذلك تمادت صحف المعارضة فى التهجم على عدلى رغم موقفه المحمود ٠

التبليغ البريطانى الى السلطان فؤاد (٢) (٣ ديسمبر ١٩٢١)

بعد رفض عدلى يكن (٢١٩،٢٢٠) مشروع المعاهدة وعاد الى مصر سلم اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى الى السلطان فؤاد تبليغا يتضمن

---

(٢١٨) مذكرات فى السياسة المصرية للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ١٠٣ ٠

(٢١٩) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ الجزء الأول للأستاذ الرافعى ، ص ٣٧ و ٣٩ ٠ الجزء الأول اصدار دار المعـارف ، سنة ١٩٨٧ ٠

(٢٢٠) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ٠

توضيحا لسياسة الحكومة البريطانية ازاء مصر وكان أهم ما به : —

١ — ستزيد الحكومة البريطانية عدد الموظفين المصريين فى الحكومة المصرية ·

٢ — ان بريطانيا على استعداد لمفاوضة الدول الأجنبية بمشاورة الحكومة المصرية لالغاء الامتيازات الأجنبية ·

٣ — ان الحكومة البريطانية ترغب فى أن تحل الحكومة المصرية محل القائد العام للقوات البريطانية سلطة الأحكام العسكرية ·

٤ — تمسك بريطانيا بالضمانات التى وردت فى مشروع المعاهدة وهى استبقاء الجنود البريطانية فى مصر (٢٢١) ·

٥ — تمسك بريطانيا بضرورة اشتراك المستشارين البريطانيين فى وزارتى المالية والحقانية ·

٦ — دعا الأمة المصرية الى عدم الاستسلام للأمانى الوطنية فيما يتعارض وهذه الحقائق توعد بمقاومة الحركة الوطنية التى تتجاهل هذه الحقائق ·

٧ — الاحتلال — والسيطرة على مالية البلاد والتشريع والقضاء وسماها خطة التهييج ·

٨ — ان بريطانيا ستستمر على مواصلة دورها كمرشدة لمصر وتصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لأجل مصالح مصر ومصالح بريطانيا الخاصة ·

٩ — تذكر بريطانيا مصر ان السبيل الوحيد لتقدم الشعب المصرى هو تآزره مع الامبراطورية البريطانية لا على تنافرها ·

١٠ — ان الحكومة البريطانية على استعداد للمفاوضة من جديد لتنفيذ المشروع البريطانى للمعاهدة فى جوهره ·

١١ — تجاهل التبليغ تماما وأغفل الاشارة الى السودان ·

أثناء مفاوضات عدلى يكن ولورد كيرزون بلندن

اشتدت أثناء المفاوضات الخصومة بين الحكومة وبين سعد والوفد فبعد (٢٢٢) رحيل عدلى ووفد المفاوضات الى لندن رتب سعد وأصحابه

---

(٢٢١) فى أعقاب الثورة المصرية ١٩١٩ للأستاذ الرافعى جزء أول ص ٤٣ ·

(٢٢٢) فى أعقاب الثورة المصرية ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، جزء أول ص ٣٧ وص ٣٨ ·

القيام برحلة نيلية فى الوجه القبلى للدعوة بين الجماهير للتمسك بالاستقلال التام وتوعية الجماهير بما يدبر لها فى الخفاء ووصلت الباخرة أسيوط يوم الجمعة ١٤ أكتوبر ١٩٢١ وقد وقع فيها شجار بين أنصار سعد وخصومه وكان مسلك رجال الحكومة متعسفا وأسفر الشجار عن قتيل وثلاثين جريحا وغرق ثلاثة فى النيل ومنعت قوات البوليس سعد من النزول من الباخرة الى أسيوط وحدث شجار آخر فى جرجا ثم أصدرت الوزارة قرارا بمنع زيارة سعد لعواصم ومدن الوجه القبلى فعاد الى العاصمة • وفى مظاهر الانقسام أيضا انه بمناسبة الاحتفال بذكرى ١٣ نوفمبر أقام سعد سرادقا كبيرا بحى المنيرة خطب فيه سعد خطبة كلها هجوم ضد عدلى ووزارته ووصف فيها تعسف الوزارة لرحلته النيلية وفى نفس الوقت أقام الأعضاء المنفصلون من الوفد حفل فى فندق الكونتنتال خطبوا فيه جميعا •

استقالة عدلى يكن (٨ ديسمبر ١٩٢١) واعتقال سعد يوم ٢٣/١٢/١٩٢١ •

عاد عدلى باشا من لندن فى ٥ ديسمبر ١٩٢١ وقدم فى اليوم التالى تقريرا الى السلطان عن المفاوضات وفى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ رفع استقالته لفشله بالنهوض بمهمة التفاوض التى وكلت اليه واستعجل قبول الاستقالة فلم تقبل الاستقالة الا فى يوم ٢٤ ديسمبر بعد اعتقال سعد للمرة الثانية فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ولعل هذه التوقيتات أثر لدهاء السياسة البريطانية وخبث السلطان •

تفاقم السخط الشعبى

عقب اذاعة الوثائق الثلاث ــ مشروع معاهدة كيرزون /عدلى ، ورد عدلى باشا على المشروع ، وتبليغ ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ وكان ذلك يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ فكان لها بالغ الأثر على النفوس فصارت هذه الوثائق حديث الناس (٢٢٣) وعم السخط البلاد وتوالت الاجتماعات والمظاهرات الصاخبة •

وفى يوم ٧ ديسمبر نشر سعد باشا نداء الى الأمة دعاها الى مواصلة الجهاد وحمل حملة عنيفة على التبليغ البريطانى وذيل نبرته بشعار « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » • ودعا الى اجتماع سياسى بنادى سيروس بشارع سليمان باشا حدد له يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر ١٩٢١

---

(٢٢٣) المجلد الثانى عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ •

الساعة ١٠ صباحا للنظر فى الأحوال الحاضرة وفى يوم ٢٢ ديسمبر أنذرت السلطة العسكرية سعدا بعدم القاء خطاب أو حضور اجتماعات أو الكتابة فى الصحف أو العمل السياسى وأمرته بمغادرة القاهرة والاقامة فى الريف • كما أنذرت أيضا كلا من فتح الله بركات وعاطف بركات ومصطفى النحاس وصادق حنين ومكرم عبيد وجعفر فخرى وسينوت حنا وأمين عز العرب • ورد سعد بخطابه المشهور الى البريجارير جنرال كليتون مستشار وزارة الداخلية « ان للقوة أن تفعل بنا ما تشاء » • وأجاب أصحابه بنفس الاسلوب متحديين الانذار البريطانى بشجاعة وازاء ذلك قامت السلطات العسكرية البريطانية باعتقال سعد وكذلك أصحابه عدا أمين عز العرب الذى قبل السفر الى عزبته • وكان ذلك يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ •

اعتقال سعد ونفيه ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

وتم اعتقال سعد من منزله (بيت الأمة) يوم الجمعة (٢٢٤) ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ وكذلك تم اعتقال أصحابه الذين لم يقبلوا الانذار •

ونظرا لتحامل اللورد اللنبى على سعد (٢٢٥) فقد أبرق الى وزير خارجية بريطانيا يقترح أن يصدر قرار نفى سعد وأصحابه الى سيلان وقال فيها « ان سيلان أوفق مكان لأنها مقرونة فى الأذهان المصرية باعتقال عرابى فمن شأن اسمها انه يحدث تأثيرا عظيما » •

ـ ثم قامت السلطات البريطانية بنفى سعد وأصحابه الى جزيرة ماهى Mahé وهى احدى جزر الأرخبيل فى المحيط الهندى بالشمال الشرقى لجزيرة مدغشقر وأبحروا من السويس مساء يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١ ووصلوا الى عدن مساء يوم ٤ يناير سنة ١٩٢٢ واستمروا بها حتى مارس سنة ١٩٢٢ •

محاولة الانجليز اغراء « سعد زغلول » •• بملك مصر •••

وأثناء وجود « سعد زغلول » ورفاقه بقلعة (٢٢٦) « عدن » ـ فى طريقهم الى المنفى ـ جاء اليهم رسول من مصر ـ كان موظفا سوريا كبيرا يعمل فى دار الحماية البريطانية ـ وطلب مقابلة « سعد » على انفراد فى

---

(٢٢٤) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، ص ٤٦ •
(٢٢٥) المجلد الثانى عشر للأستاذ العقاد (تراجم وسير) ص ٣٨٨ •
(٢٢٦) نفس المصدر السابق ، ص ٤١٤ •

عربة بحجة التريض ، وأثناء حديث عادى مفتعل فاجأ الرسول « سعدا » بقوله : « ستكون ملكا على مصر » ، فاندهش « سعد » من هذه المفاجأة حيث أجابه فى حدة واستغراب : « مالنا ولهذه ؟! وما شأنى أنا والملك فلست الا واحدا من الرعايا ‥ !! » ، وعاد الرجل يواصل حديثه مكررا حيث أضاف : « انك زعيم الأمة التى لا ترضى سواك ولو قبلت ما يعرضه الانجليز عليك وعلى الأمة لما خالفك أحد » ...

واختصر « سعد » المقابلة بقوله : « اننى أفضل أن أكون فردا فى أمة مستقلة على أن أكون ملكا على أمة مستعبدة فى ظل حماية أجنبية » ‥

لا شك أن هذا الشخص السورى ـ المريب ، بصفته موظفا كبيرا بدار الحماية البريطانية بالقاهرة ويحضر خصيصا الى « عدن » فى أقصى جنوب البحر الأحمر ويتمكن من الوصول الى لقاء المعتقلين المنفيين فى القلعة العسكرية البريطانية ويسمح له بالانفراد بزعيم الثورة المصرية الموضوع تحت التحفظ البريطانى لعدائه للانجليز ـ ... ، كانت كل هذه الملابسات تؤكد أنه موفد من الانجليز لهذه المهمة الخاصة لمحاولة استجداء واغراء زعيم الثورة ومساومته لحساب المخطط البريطانى لبيع هذه الثورة بهذا الثمن الرخيص ، وكانت مساومات هذا العميل البريطانى السرى ـ السورى الجنسية أصلا ـ لها أهداف بعيدة منها :

١ ـ أنه فى حالة موافقة « سعد زغلول » على هذا العرض ، فان سلطات الاحتلال فى مصر اذا ما أعلنت موافقة « سعد » للمقامرة على شعب مصر وخيانته ـ بأسلوب أو بآخر ـ تكون بذلك لديها السلاح ـ الأدبى والمعنوى ـ القاتل لزعامة « سعد » وثورته وامكان تصويره بعد ذلك بأنه زعيم مخادع يبيع بلاده بأرخص الثمن ‥

٢ ـ سقوط « سعد » فى نظر أمته المناضلة التى أعطته ثقتها ، وبذلك يمكن عزل « سعد » عن قاعدته الثورية والقضاء عليه وبالتالى على الثورة ‥

٣ ـ مجرد اعلان قبول « سعد » لهذا العرض الخبيث والمشين ـ سيحط من قدره فى نظر المجاهدين المصريين سواء زملائه فى المنفى أو أعضاء اللجنة المركزية الوفدية بمصر ·

٤ ـ قبول « سعد زغلول » لهذا العرض سيؤثر فى الحال فى اضعاف بل سيؤدى الى توقف المقاومة الشعبية المصرية بمسيرتيها السرية والعلنية التى سببت القلق المستمر لسلطات الاحتلال البريطانية ·

٥ ــ بمجرد علم السلطان « فؤاد » بقبول « سعد زغلول » لهذا العرض سيحقق العداء السافر بين السلطان أو « سعد زغلول » وللوفد ــ بعد أن كان السلطان « فؤاد » قد دأب على مسايرة ومهادنة الثورة حتى يظهر أمام الشعب المصرى فى صورة الغيور على تحقيق مطالب أمته ــ وكان ذلك رغم مظهريته يعتبر الى حد بعيد فى غير صالح الثورة الشعبية المصرية ..

ــ لكل ذلك ، أنهى « سعد زغلول » حديثه مع هذا العميل بقوله ــ قبل عودته الى المعتقل فى قلعة « عدن » ــ « اننى أحسب أننى لم أسمع شيئا مما قلته لى ولا أود أن أسمعه مرة أخرى » .

نقل سعد الى جزيرة سيلان

ثم نقل سعد وأصحابه بالباخرة الى جزيرة سيلان فى مارس سنة ١٩٢٢ بعد أن تغير المنفى فاستبدلت جزائر سيشل بجزيرة سيلان وأعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢ فى مصر وسعد وأصحابه (٢٢٧) مستعدون للانتقال الى منفاهم السحيق .

مظاهرة الاحتجاج (٢٢٨)

قامت فى القاهرة وبعض المدن المظاهرات احتجاجا على هذا الاعتقال كما أصدرت جميع الهيئات المختلفة احتجاجات واقترن احتجاجها بالدعوة الى مقاطعة التجارة البريطانية ومن هنا نبعت فكرة الثورة عن طريق المقاومة السلبية ليكون سلاحا تشهده الأمة العربية فى وجه السياسة البريطانية .

تجدد الثورة السلبية

أصدر الوفد قرارا فى يناير سنة ١٩٢٢ بتنظيم المقاومة وجعلها على نوعين :

١ ــ **عدم التعاون :** وتشمل علاقات الأفراد بقطع العلاقات الاجتماعية مع الانجليز فليس لعامل ان يخدم انجليزيا ولا لمصرى ان يستخدم انجليزيا وليس لمصرى أن يستشير طبيبا انجليزيا ولكن الاعلان سمح للطبيب المصرى بعلاج الانجليزى . أما عدم التعاون السياسى فمن أجلى مظاهرة امتناع السياسيين المصريين عن تشكيل الوزارة وبذلك يتحمل الانجليز وحدهم مسئولية السياسة المعتمدة على القوة .

---

(٢٢٧) المجلد الثانى عشر للعقاد (سير وتراجم) ، ص ٤١٧ .

(٢٢٨) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ص ٤٦ الى ص ٥٩ (جزء أول) .

٢ ـ **المقاطعة** : فقد دعا بيان المقاومة الى مقاطعة التجارة والبنوك والسفن والشركات الانجليزية ·

وتألفت لجنة لتنفيذ هذه المقاومة السلبية فى القاهرة والاسكندرية وفى عواصم المديريات · وصارت الدعوة الى هذه المقاومة باذاعتها فى الجوامع والكنائس وفى جميع النقابات والهيئات المنظمة وفى كل عائلة وفى كل قرية وفى جميع الجهات وكانت السيدات من أكبر العوامل التى حققت هذه الدعوة وكانت النتيجة لهذه الدعوة للمقاومة السلبية أن اعتقلت السلطات العسكرية البريطانية فى ٢٥ يناير ١٩٢٢ جميع أعضاء الوفد الموقعين على بيان المقاطعة وهم حمد الباسل ، ويصا واصف ، على ماهر ، جورج خياط ، مرقص حنا ، علوى الجزار ، مراد الشريعى ، واصف بطرس غالى · أما الأعضاء الذين كانوا منفصلين فلم يوقعوا وانفصلوا نهائيا من الوفد ·

هيئة وفد جديدة

وتألفت هيئة وفد جديدة بمجرد اعتقال الهيئة السابقة ·

حوادث الاغتيالات

وتعددت فى نفس الوقت فى هذه الفترة حوادث الاغتيال والاعتداء على البريطانيين ·

استقالة عدلى (٨ ديسمبر ١٩٢١ وقبولها يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٢١)

تحقيقا لأهداف المخطط البريطانى لاحداث مزيد من الخلاف والفرقة فى قمة التركيب السياسى للأمة المصرية · فانه عندما تقدم عدلى يكن عقب وصوله الى القاهرة بعد اضطراره لايقاف المفاوضات وذلك يوم ٨ ديسمبر ، تعمد السلطان فؤاد والسلطات البريطانية عدم قبول الاستقالة الى أن تم اعتقال سعد زغلول وأصحابه يوم ٢٣ وبعد كثير من اجراءات العنف والتعسف مع الشعب المصرى على يد البوليس المصرى حتى تعطى الصورة بأن وزارة عدلى هى المتسببة والمسئولة فى هذه الاجراءات العنيفة ضد الشعب وممثليه ولذلك فقد بادر عدلى باستعجال قبول استقالته عدة مرات ومع ذلك لم يقبل السلطان فؤاد الاستقالة الا يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢١ وفعلا كانت هذه المؤامرة السلطانية البريطانية قد أثرت بشكل أو بآخر فى غضبة الشعب من عدلى ومؤيديه رغم ان كل مواقفه الأخيرة كانت تحسب له وطنيا وليست عليه فقد كانت الأمور تدعو الى وجوب جمع الصفوف لا تفرقتها · ولكن هكذا أراد السلطان فؤاد واراد المخطط

البريطـــانى الخبيث وتحققت أهدافهما فعــلا بمزيد من الشقاق والخلاف والتفرق ٠

بعد استقالة عدلى يكن

باستقالة عدلى يكن يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٢١ ظلت الوزارة شاغرة أكثر من شهرين تمشيا مع قرار أجهزة الثورة بالمقاومة السلبية ٠

وأخيرا وفجأة وبعد حوالى شهرين فاتح السلطان فؤاد عبد الخالق ثروت فى مهمة تأليف الوزارة (٢٢٩) بعد موافقة الانجليز لأنها جاءت من السلطان بعد مفاوضات بين ثروت واللنبى وكان المفروض ان السلطان فؤاد قد اختار عبد الخالق ثروت على كره منه لأن السلطان كان يعلم مدى تأييد ثروت باشا وجديته لاصدار الدستور وبه جميع الضمانات الشعبية ضد سلطات (٢٣٠) السلطان غير المحدودة وهذا لا يروق السلطان فؤاد علاوة على ما يعرفه جيدا السلطان فؤاد عن عبد الخالق ثروت بقوة شخصيته والتى لا تخضع فى كل الأمور لما يطلبه الحاكم ٠

وبادر ثروت باشا ازاء دقة الموقف الشعبى الصلب الى ربط قبوله تشكيل الوزارة بشروط أحاط بها السلطان فؤاد وأحاط بهـــا المعتمد البريطانى وقيادة الوفد والأحزاب وكانت مصــاغة ومحتوية على مواضيع هامة تســاعد على تهدئة الأحوال وفى نفس الوقت تعتبر نداء للحــكومة البريطانية للتنازل عن جانب من تسلطها وتشددها وتحكمها ٠

وكانت شروط ثروت باشا هى : (٢٣١)

١ ـ عدم الاعتراف المصرى بمشروع كيرزون ولا المذكرة التفسيرية وهى التبليغ البريطانى فى ٣ ديسمبر ١٩٢١ (مجال السخط الشعبى) ٠

٢ ـ ضرورة تصريح الحــكومة البريطانيــة بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر ٠

٣ ـ اعادة وزارة الخارجية المصرية للعمل ٠

٤ ـ انشاء برلمان تكون له السلطة العامة والرقابة على أعمال الحكومة ٠

٥ ـ اطلاق يد الحكومة المصرية بلا مشارك فى جميع أعمالها ٠

---

(٢٢٩) المجلد الثانى عشر للأستاذ العقــاد ، ص ٤٢٥ ٠

(٢٣٠) فى أعقاب الثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ص ٥٧ ، ٩٦ ، ٩٧ (جزء أول) ٠

(٢٣١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨ ٠

٦ ــ لا يكون للمستشارين البريطانيين والأجانب فى الوزارات الا رأى استشارى وتوقف ما للمستشار الحالى من حق فى حضور جلسات مجلس الوزراء ٠

٧ ــ حذف وظائف المستشارين ماعدا مستشارى المالية والحقانية ٠

٨ ــ استبدال الموظفين الأجانب بموظفين مصريين وتعيين وكلاء مصريين للوزارات (المالية والصحة والزراعة والأشغال والمواصلات والخارجية) ٠

٩ ــ رفع الأحكام العسكرية والعمل على مساعدة الوزارة فى القضاء على الآثار المترتبة عليها بما فى ذلك الافراج عن المعتقلين واعادة المبعدين ٠

١٠ ــ الدخول فى مفاوضات جديدة مع الحكومة البريطانية بعد تشكيل البرلمان وذلك بواسطة هيئة يعتمدها البرلمان لتحقيق الاستقلال لمصر بما لا يتعارض مع المصالح الانجليزية والأجانب ولحل مسألة السودان (التى أغفلها مشروع كيرزون) ٠

١١ ــ يكون قبول هذه الشروط بمقتضى وثائق مكتوبة من الحكومة البريطانية ٠

موقف الوفد (٢٣٢)

كان موقف الوفد هو المعارضة لأن بيان ثروت تعمد على الا يؤكد على جلاء القوات الانجليزية وكان بيان الوفد ليس عدائيا بصفة عامة حيث كانت شروط ثروت فى مجملها لا تخرج عما عرضه سعد على الجانب البريطانى فى اللقاء الأول مع سير وينجت ومع على شعراوى وعبد العزيز فهمى فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ باعترافه بكثير من المميزات للبريطانيين اذا أعلنوا استقلال البلاد ولذلك أصدر الوفد مع بيانه تلويحا يثبت به للانجليز ان الشعب المصرى لأجل تحقيق أهدافه لديه القوة التى تؤكد على ارادته فى تحقيق الاستقلال فهدد بسلاح المقاومة السلبية التى تزعج رجال الأعمال البريطانيين وقد جاء بالبيان نداء للشعب « ان لا تحيدوا عن المقاومة السلبية ولا تلقوا هذا السلاح من ايديكم فان المقاطعة وعدم التعاون هما الطريق الى الاعتراف بحقوقكم كاملة فلتحى مصر وليحى الاستقلال التام » ٠ وكان ذلك فى ٢ فبراير سنة ١٩٢٢ وسعد وصحبه مبعدان عن مصر بالمنفى فى جزيرة سيلان ٠

(٢٣٢) نفس المصدر السابق ،ص ٥٩ ٠

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

واستكمالا للمخطط البريطانى لامتصاص (٢٣٣) الثورة الشعبية أعلنت بريطانيا فجأة تصريحها المعروف بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ لمواجهة المقاومة والتهديد بمقاطعة التجارة البريطانية (والتى أزعجت أقطاب التجارة والصناعة والسياسة فى انجلترا) وكان يوم اعلانه (٢٣٤) هو يوم انتقال سعد وأصحابه المنفيين من عدن الى منفاهم السحيق فى سيلان ٠

وكان التصريح يحوى المبادىء الآتية :

١ ـ انهاء الحماية البريطانية على مصر وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة ٠

٢ ـ اعلان الغاء الأحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ بعد ان تنتهى مصر من اصدار مجموعة القوانين المصرية التى تحل محل قانون الأحكام العرفية (قانون التضمينات) ٠

٣ ـ تحتفظ الحكومة البريطانية بسلطاتها السابقة فى الأمور الآتية الى أن يحين الوقت لابرام اتفاقات بين مصر وبريطانيا فى هذه الأمور وهى :

(أ) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر ٠

(ب) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أجنبى ٠

(جـ) حماية المصالح الأجنبية والأقليات فى مصر ٠

(د) الانفراد بالسلطة فى السودان ٠

وجاء هذا التصريح من جانب واحد وهو الجانب البريطانى ورغم ان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فيه موافقة على بعض شروط عبد الخالق ثروت الا أن طريقة صياغته الملتوية جعلت ما يبدو أن ما تعطيه بريطانيا لمصر بيد تحصل عليه باليد الأخرى ولم يخرج عن كونه اعترافا لفظيا بالاستقلال والسيادة الظاهرية والتخلص من الحماية لفظا ولكنها فى عناصر البند الثالث تؤكد كاملا على السيادة البريطانية فى أمور بقاء جيوشها بحجة تأمين المواصلات الامبراطورية والحماية فى شكل الدفاع عن مصر من أى عدوان فهى احتلال وانتقاصا من السيادة المصرية بالتأكيد على

(٢٣٣) فى أعقاب الثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ٦٠ ، ٦١ ٠
(٢٣٤) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ٦٣ ٠

التدخل الداخلي بحجة حماية المصالح الأجنبية بل وحماية الأقليات المصرية نفسها كما انه كان تأكيدا لانتزاع سيادة مصر على السودان · ونظرا لأن هذا التصريح جاء في طياته وفي خطاب اللنبي الاعتراف لمصر بحقها في انشاء وزارة خارجية وأكد بذلك على مجرد الابقاء على مظهر السيادة المصرية خارجيا وداخليا بالسماح فقط بانشاء برلمان يكون له السلطة العليا ومسئولية الحكومة أمامه·وجاء هذا التصريح متمشيا مع المخطط البريطاني حيث جاء في وقت كانت قوة ونضال ومقاومة الشعب قد فترت بعض الشيء ووهنت نتيجة طول المدة ومن قسوة الأحكام العرفية الظالمة بالاعدام والحبس والاعتقال ونفي الزعماء بالاضافة الى ما أحدثته السياسة البريطانية الخبيثة في فرقة الصفوف وتفشي الخلافات بين أعضاء الوفد الأصليين علاوة على موقف السلطان فؤاد الذي كان يعمل في الخفاء على تحقيق الأهداف البريطانية عن طريق الحلول الوسط وأطماعه في انتزاع جزء من السلطة الكاملة التي كانت في يد السلطات البريطانية والتي كانت من المفروض أن تسلم للشعب المصري بسبب ثورته ولينتزعها السلطان لنفسه ولو بتعاونه مع الانجليز على حساب شعبه · كل هذه العناصر جعلت بريطانيا وكتوصية سابقة لبريطانيا من السياسي المحنك عدلي يكن (٢٣٥) (بعد تشدد سعد مع لورد ملنر في المفاوضات) « بأن تصدر بريطانيا هذا التصريح من جانب واحد » رغم عدم تحقيق تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ لأهم الأهداف الوطنية يجد هذا التصريح استجابة من السلطان فؤاد فرحا بمنصب الملك وأملا في مزيد من السلطات ويجد استجابة من السياسيين التقليديين الذي انشقوا عن الوفد ويطلقون على أنفسهم المعتدلين وأصحاب سياسة الكياسة ـ كما لاقي التصريح شيئا من السلبية المتشائمة من الشعب الذي أنهكته طول مدة الكفاح والنضال وفترت حماسته الثورية الايجابية واستجاب فقط للثورة اما بالمقاومة السلبية والمقاومة الايجابية السرية بالاغتيالات للعناصر البريطانية أو بالسخرية من هذا التصريح ومن ابلغ ما سجل وقتها عن هذه السخرية المعبرة ما جاء في كتاب (٢٣٦) « عشرون سنة بمصر للبارون » « فان دن بوش » المستشار البلجيكي في وصفه الاحتفال الذي حضره باعلان الاستقلال (بتصريح ٢٨ فبراير) في محافظة الاسكندرية · فقد روى كيف خطبوا وهللوا للاستقلال « فقام فجأة مصري من الشعب قصير القامة وعلى رأسه طربوشه المنحرف بشكل مبالغ فيه وفي مشية ابليسية (استعراضية تدعو الى الشك) رفع يده

---

(٢٣٥) من واقع محضر جلسات المفاوضات بين عدلي ولورد كيرزون ١٩٢١ حيث اشار عدلي على لورد كيرزون ازاء تشدد سعد زغلول اصدار بيان من جانب واحد ـ من كتاب اعقاب ثورة ١٩١٩ للرافعي ، ص ٦٥ و ٦٦ ·

(٢٣٦) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ، ص ٤١٨ ·

بتحية شبه عسكرية وفي وقار مصطنع وعيناه تلمعان ثم نادى « ليحي الاستقلال التام » بأسلوب تهكمي ـ فهبطت كلماته في وسط سكوت مكروب » . وقامت سلطة السلطان والحكام وكبار الموظفين بقدرة متميزة بالدعاية المزيفة لهذا التصريح والتى جعلت الشعب يكتفى بالسلبية المتشائمة . رغم اقتناع الحكام بأن التصريح يبدو مقبولا منهم ومن الشعب اعتقادا منهم بأن سلبية الشعب دليل على قبول الحلول الوسط وساعدهم فى هذا الاعتقاد ان حزب الوفد المعارض الأساسى والذى يملك القواعد الشعبية العريضة لم يصدر بيانا مضادا لهذا التصريح ووقف سلبيا وعبر عن موقفه الايجابى بتصعيد عمليات الاغتيالات السياسية للعناصر البريطانية .

رأى سعد فى تصريح ٢٨ فبراير (٢٣٧)

وبعد مدة وجيزة جاءت الأنباء برأى سعد وهو فى المنفى فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وقد عده « نكبة وطنية كبرى » ونادت الصحف الوفدية والموالية لسعد بنفخ النار للخلاف بين الوفد والمعارضين .

رأى الأحزاب

(أ) **أما حزب الأحرار** (٢٣٨) الذى تكون بعد فترة وجيزة من اعلان تصريح ٢٨ فبراير فقد لخص عدلى يكن رئيسه المنتخب رأيه فى التصريح بأنه « خطوة فى سبيل استكمال استقلال مصر » وجاءت فى خطاب افتتاحه لتشكيل الحزب .

(ب) **أما الحزب الوطنى** (٢٣٩) والذى لم يكن له قواعد شعبية تذكر وقتها فهو الوحيد الذى أصدر بيانا هاجم فيه تصريح ٢٨ فبراير وأعلن فيه « تعلن اللجنة الادارية للحزب الوطنى ان هذا التصريح لا يغير فى شىء فى الحالة التى كانت عليها المسألة المصرية قبل صدوره ولا يقصد به غير التغرير بالأمة المصرية واستمالة نفر من أبنائها المستوزرين للاستعانة بهم فى تنفيذ سياستها » .

تأليف وزارة عبد الخالق ثروت (أول مارس ١٩٢٢)

عقب اعلان تصريح ٢٨ فبراير بفترة وجيزة عهد السلطان فؤاد الى عبد الخالق ثروت باشا بتأليف الوزارة وصدر المرسوم فى أول مارس سنة ١٩٢٢ وهو ثروت باشا للرئاسة والداخلية والخارجية ، واسماعيل

---

(٢٣٧) مذكرات محمد حسين هيكل ، جزء أول ، ص ١٠٨ .

(٢٣٨) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٢٣٩) فى أعقاب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ٧٥ .

صدقي للمالية ، وابراهيم فتحي للحربية والبحرية ، وجعفر ولى للأوقاف ، ومصطفى ماهر للمعارف ، ومحمد شكرى للزراعة ، ومصطفى فتحى للحقانية ، وحسن واصف للأشغال ، وواصف سميكة للمواصلات ٠

اعلان الاستقلال والمناداة بالسلطان فؤاد ملكا لمصر (١٥ مارس ١٩٢٢)

فى يوم ١٥ مارس ١٩٢٢ أعلن السلطان فؤاد استقلال البلاد واتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر ٠

وضع الدستور

وبعد تشكيل الوزارة مباشرة شرع ثروت باشا فى تشكيل لجنة وضع الدستور وأطلق سعد باشا (٢٤٠) أيضا من منفاه على هذه اللجنة انها « لجنة الأشقياء » وكانت اللجنة برئاسة حسين رشدى باشا لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخابات وباشرت مهامها من يوم ٣ أبريل سنة ١٩٢٢ وقاطع الوفد الاشتراك فى هذه اللجنة لأن ثروت باشا كان قد اختار معظم أعضائها من حزب الأحرار الدستوريين ٠ وكان مشروع هذا الدستور فى مجموعة من المواد مأخوذة معظمها من أحدث المبادىء الدستورية العصرية وكان دستورا لا بأس به فى قواعده ونصوصه ويحقق الرقابة الشعبية على أعمال السلطة التنفيذية ويحد كثيرا من سلطات الملك والتى كانت قبل ذلك غير محددة ولكنها كانت فى قبضة السلطة البريطانية الحاكمة الفعلية ولم يتدخل ثروت باشا فى أعمال اللجنة رغم انه كان متتبعا لأعمالها وفقا للنصوص التى وضعتها ٠ وكذلك أنهت اللجنة مشروع قانون الانتخاب وقدمتها الى ثروت باشا يوم ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ٠

المقاومة السرية

وفى أوائل أيام (٢٤١) وزارة ثروت فى خلال شهر مارس ١٩٢٢ تعددت حوادث اغتيال الموظفين البريطانيين وأطلق مجهولان الرصاص على المستر تكنوش بك من كبار موظفى السكة الحديد وفى مايو أطلق مجهول الرصاص على البكباشى كيث مساعد حكمدار فرقة ب بالداخلية ومات واحتجت الحكومة البريطانية رسميا واعتبرت الحكومة المصرية مسئولة بحجة عدم كفاية تدابير الأمن وطالبت بتعويض ورثة المتوفى (والحكومة البريطانية هى التى تقدر قيمة التعويض) ٠ وفى ٣ يوليو اكتشفت مؤامرة

---

(٢٤٠) مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل جزء أول ، ص ١٣٧ ٠

(٢٤١) فى أعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى جزء أول من ص ٨٦ الى ص ٨٩ ٠

لاغتيال مستر برت المفتش بالسكة الحديد وفى ١٥ يوليو أطلق مجهولون الرصـــاص على الكولونيل بيجوت الموظف بالجيش البريطانى وأصيب باصابات بليغة وقدم اللورد اللنبى احتجاجا شديد اللهجة الى رئيس الوزراء يحمل فى طياته جانب من التهديد ٠

وفى أغسطس سنة ١٩٢٢ أطلق مجهولان الرصاص على مستر توماس وجرح هو ونجله وخادمته وتحرج موقف رئيس الوزراء ثروت باشا ازاء هذه الحوادث لعدم الوصول الى الفاعلين ٠

علاقة وزارة ثروت بالمعارضة ٢٤٢

اتسمت تصرفات ثروت باشا باتخاذ اجراءات عنيفة مع المعارضة الوفدية بالذات فصادرت الاجتماعات السياسية للوفد وأباحتها لمؤيديها وعطلت الجرائد بعضها نهائيا وبعضها لمدد طويلة أخرى ٠ وفى عهدها قامت السلطة العسكرية البريطانية باعتقال أعضاء الوفد يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٢ وحاكمتهم بموجب قانون العقوبات المصرى على طبع منشورات تحض على الكراهية والاحتقار لحكومة ملك مصر ومنشور آخر ضد نظام الحكومة المصرية وسجنوا بقشلاق قصر النيل ثم أقيمت عليهم الدعاوى أمام **محكمة عسكرية بريطانية** انعقدت بدار محكمة الاستئناف الوطنيـــة (المصرية) يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ وأدى ذلك الى سخط الشعب الذى رأى فى ذلك انتقاصا من الاستقلال الذى أعلنته بريطانيا فى ١٥ مارس لأن الأمر هو محاكمة مصريين بحجة النيل من الحـكومة المصرية بمعرفة محكمة سلطة عسكرية بريطانية داخل دار محكمة وطنية ٠ وكان مما أثار الرأى العام خارج قاعة المحكمة مقاطعة المتهمين عن النطق كلية احتجاجا على المحاكمة نفسها وبخاصة عندما وصلت كلمة من الباسل باشا وكيل الوفد الوحيد الذى تكلم أمام المحكمة وكانت « لو ان المحكمة تأخذ بتصريح حكومتها (فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢) أو تعتبره جديا وهو ان مصر دولة مستقلة ذات سيادة لكان حقا عليها أن تعلن من تلقاء نفسها عـــدم اختصاصها فى محاكمتنا ٠ لكم أن تحكموا علينا وليس لكم أن تحاكمونا نحن لا نعرف مهيمنا علينا غير ضمائرنا وتوكيل الأمة الذى شرفتنا وقوانين بلادنا ومحاكمنا ٠٠٠٠ فمهما تكن العقوبة التى يروقكم ان تشرفونا بها فاننا سنقابلها بالسرور والفخار لأنها خطوة الى الأمام فى طريق المجد التى تسير فيه مصر الى مصـــيرها الخالد » ٠ ثم قامت الســلطة العسكرية الانجليزية باعتقال عبد الرحمن فهمى والشيخ مصطفى الغاياتى ومحمود فهمى النقراشى ودكتور محجوب ثابت ودكتور نجيب اسكندر ومحمد نجيب

---

(٢٤٢) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ٠

الغرابلى وعبد الستار الباسل وحسن ياسين وغيرهم دون محاكمة ولم تتخذ الوزارة المصرية أى اجراء لدى السلطة البريطانية وكان ذلك بمثابة اقرار من الوزارة المصرية لتصرفات الانجليز التعسفية وحيث ان المعتقلين والمحكوم عليهم كانوا يمثلون الهيئة الوفدية فقد تألفت هيئة وفدية جديدة من (المصرى السعدى وحسين القصبى وأميرالاى محمود حلمى اسماعيل وراغب اسكندر وسلامة ميخائيل وعبد الحليم البيلى) ٠

تاسيس حزب الأحرار الدستوريين (أكتوبر ١٩٢٢)

وفى ظل وزارة ثروت باشا ألف الأعضاء المنفصلون من الوفد ومن معظم المعارضين لسعد ولسياسة الوفد حزبا أسموه الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى باشا يكن وكان مفروضا من تسمية الحزب ان يكون عونا ومتمسكا للدستور ولكنه منذ انشائه كان أداة عدوان على الدستور وعلى الحريات وكان حزبا حكوميا مدعما من الحكومة وليس لديه أى قواعد شعبية ٠ وفى تاريخ لاحق استقال عدلى باشا من رئاسته سنة ١٩٢٤ وكانت سياسة هذا الحزب التساهل مع السلطات البريطانية للوصول لحل القضية الوطنية بأى صورة فلم ترد كلمة الجلاء فى برنامجه ولذلك كان هذا الحزب موضع تأييد من السياسة البريطانية ٠
والأجانب ٠

أما منجزات وزارة ثروت باشا فكانت (٢٤٣)

١ ــ فرغت من وضع مشروع الدستور الذى كان مشتملا على ما ترجوه البلاد من مبادىء الحكم الدستورى الى حد بعيد ٠

٢ ــ وضعت الوزارة أساس ادارة البلاد بواسطة حكومتها الوطنية دون غيرها فألغت وظائف المستشارين الأجانب فى وزارات الحكومة ولم يستبق منهم الا مستشارا المالية والحقانية وقصر مهمتهما على ابداء الرأى والمشورة الا فيما يتعلق بالديون العمومية بالنسبة للمستشار المالى ولم يعد لهما حق حضور جلسات مجلس الوزراء ٠

٣ ــ منذ عهد وزارة ثروت أصبح الموظفون الأجانب تابعين لسلطة الوزير المصرى دون سواه ٠

٤ ــ أخذت الحكومة فى احلال المصريين محل من يخرج من الموظفين الأجانب ٠

---

(٢٤٣) ماخوذ من خطاب استقالة رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت ، ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ ٠ فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء أول ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ٠

٥ ـ أوفدت الحكومة بعثات مختلفة من الكفاءات المصرية الى أوروبا ليتسنى تعيينهم فى وظائف الدولة التى تقتضى كفاءة خاصة
٦ ـ اتخذت وزارة ثروت الاجراءات اللازمة لالغاء الأحكام العرفية ٠
٧ ـ سعت الوزارة الى طلب حضور مندوبى الحكومة المصرية مؤتمر لوزان الذى كان سينظر فى تعديل معاهدة سيفر للنظر فى ما يخص مصر من حقوق وأمور فى هذا المؤتمر ٠

التخلص من ثروت باشا

افتعل الملك فؤاد وأعوانه محمد سعيد باشا ومحمد توفيق نسيم بالاضافة الى أصابع السلطات البريطانية المسيطرة على اللعبة السياسية وبخاصة ضد كثير من العناصر البريطانية فظهرت وزارة ثروت باشا بمظهر عدم القدرة على السيطرة على الأمن فى البلاد كل ذلك أدى فى النهايه الى الضغط على ثروت باشا حتى قدم استقالته فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكانت فترة وزارة ثروت تسعة أشهر فقط (من أول مارس سنة ١٩٢٢ الى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢) فكانت فترة حافلة بالأحداث فى غيبة من زعيم ثورة مصر سعد زغلول الموجود بالمنفى ٠ وقتها صدر تصريح ٢٨ فبراير من جانب واحد (الانجليز) والذى كشف صدوره بهذا الاسلوب الحجاب عن الكثير مما كان يدور بين السلطان فؤاد والانجليز والساسة المصريين المعارضين لسعد زغلول (أصحاب سياسة الكياسة والحلول الوسط) كما صدر أيضا دستور البلاد الذى يؤكد على الرقابة الشعبية على تصرفات السلطة التنفيذية وهو ما كانت تتوق اليه البلاد منذ تصرفات اسماعيل باشا فى تخريب ميزانية البلاد دون رقيب أو حسيب ٠

مدرسة الانتهازية

فى هذه الفترة الحرجة وبالذات بعد استقالة وزارة ثروت باشا كانت معالم المدرسة الانتهازية المتطلعة للمناصب الوزارية قد استعادت الظهور ويبدأ التحضير لدور هذه المدرسة أو الجبهة (٢٤٤) (من محتكرى المناصب) عندما أحس المرشحون لرئاسة الوزارة أن رشدى وعدلى وثروت وأصحابهم كانوا قد احتكروا الميدان السياسى المصرى لمدة طويلة فتألبوا عليهم وكونوا جبهة لمقاومة هذا الفريق وأصبحوا جبهة واحدة تضم محمد سعيد وأحمد مظلوم وتوفيق نسيم ويوسف وهبة واخوانهم من هذا الطراز وأصبح فى مصر على هذا التقسيم فريق وزارى وهم المدرسة المتفرنجة وهم عدلى وأصحابه وفريق الانتهازيين ويسمى بالمدرسة التركية وهم

(٢٤٤) المجلد الخامس عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ، ص ٤٣١ ٠

نسيم ومحمد سعيد وأصحابه وهى تركية نسبة الى كثرة تزلفهم الى السراى والمستعمر لذلك اتجهت انظار الملك فؤاد الى هذا الفريق عندما أوشكت وزارة ثروت على الاستقالة ٠

تأليف وزارة محمد توفيق نسيم (٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢)

فى اليوم التالى لاستقالة وزارة ثروت باشا عهد الملك فؤاد الى محمد توفيق نسيم باشا بتأليف الوزارة وكان يشغل فيها منصب رئيس الديوان الملكى ٠ والمتتبع لشخصية نسيم باشا وأخلاقياته وتطلعاته يكاد يجزم بمستقبل تصرفات هذه الوزارة ٠ فقد بدأت بمخططه الانتهازى(٢٤٥) بتحسين سياسته مع الوفد وهو القوة المعارضة التى يعمل لها حساب أى الأكثرية بغرض تخدير الأمة فأخذ فى التقرب الى الوفد وكتب مذكرة يطلب فيها الاعتراف بالكثرة القومية فكان يستغل صلته الأسرية بسعد اذ كانت شقيقة نسيم باشا زوجة لأحمد فتحى زغلول شقيق سعد ٠ فى نفس الوقت انقاد نسيم تماما للارادة الملكية التى تخطط لتشويه الدستور بالاضافة الى خضوعه للمخطط البريطانى فى موضوع تعديل الدستور طبقا لطلبات الانجليز ورغم وعوده بالافراج عن المعتقلين السياسيين والافراج عن سعد والمنفيين فان ارادة الانجليز فى هذه المواضيع كانت فوق ارادته ولذلك سرعان ما انكشفت سياسته للتغرير بالوفد فسرعان ما أذاع الوفد المصرى بيانا فى ٢٠ يناير يكشف سلبية وزارة نسيم باشا فى موضوع التصديق على الدستور ومسألة المنفيين وسلبيتها فى عدم الاشتراك فى مؤتمر لوزان للتأكيد على حقوق مصر دوليا تمشيا مع سياسة ملاينة الانجليز ثم فضحته فى موضوع تواطؤه مع الانجليز بخصوص مواد الدستور الخاصة بالسودان ٠

واستؤنفت المقاومة السرية وتصاعدت عملياتها ضد الأفراد البريطانيين المدنيين والموظفين بالحكومة وازاء ذلك اعتقلت السلطات البريطانية كثيرا من أعضاء الوفد وبعض أعضاء الحزب الوطنى واستمر الرأى العام مضطربا قلقا على مصير البلاد ٠

ومصير الدستور المؤجل التصديق على مشروعه من الملك ٠ وكان هذا الدستور هو الأمل الوحيد الباقى للثورة ولشعب مصر الثائر فى الخلاص من القهر ، ويعتبر البديل عن الاستقلال الكامل وشرعت وزارة نسيم فى فسخ مشروع الدستور بادخال تعديلات تضر بالحياة البرلمانية ٠

---

(٢٤٥) المجلد الثامن عشر للأستاذ العقاد ، ص ٤٣٠ ، ٤٣٢ ٠

المقاومة السرية

وفى عهد وزارة نسيم فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ وقع اعتداء على المستر رديســـون البريطانى باطلاق النار عليـه من مجهولين وقتل أما الثورة بمعناها الفعلى فكانت قد فترت الى حد بعيد .

استقالة وزارة نسيم باشا (٥ فبراير سنة ١٩٢٣)

طالبت الحكومة البريطانية بمذكرات منهـا الى نسيم باشـا رئيس الوزراء بضرورة النص فى الدستور على أن يكون لقب الملك هو « ملك مصر » فقط بدل ملك مصر والسودان ولا يعيد تعديله الا بعد ان يتقرر بالتفاوض على نظام للحكم النهائى للسودان وعلى النص بأن « تجرى أحكام هذا الدستور على المملكة المصرية بدون ان يخل ذلك مطلقا بما لمصر من الحقوق فى السودان » . وبعد ان سلمت وزارة نسيم باشا للانجليز فى طلبـــاتهم استقالت وبعد ان جعلت أهداف الانجليز تتحقق بالأمر الواقع .

فى ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ بعد شهرين فقط وكان لزاما عليها أن تستقيل بحجة المطالب البريطانية التى كان من واجبها الا تنفذها فكانت وزارة غارقة الى أذنيها فى المخطط الانجليزى لتنفيذه .

اشتداد المقاومة وعودة الأحكام العسكرية البريطانية (٢٤٦)

وبعد استقالة نسيم باشا يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٣ استمرت مصر بدون وزارة حتى ١٥ مارس ــ لمدة شهر وعشرة أيام ــ مع استمرار المقاطعة السلبية وتزايدت المقاومة السرية بالاعتداءات على البريطانيين ففى ٧ فبراير سنة ١٩٢٣ وقع اعتداء على مستر اميلر موظف بريطانى بالسكة الحديد . وأصدر اللورد اللنبى أمرا عسكريا بتعيين حاكما عسكريا للقاهرة والجيزة وأصدر الحاكم العسكرى أمرا باعتبار بعض الأحياء والجهات منــاطق عسكرية مغلقة لا يسمح بالدخول اليها والخروج منها الا مرورا أمام مخفر البوليس فقط ما لم يكن حاملا لترخيص . ثم أصــدراللورد اللنبى يوم ٨ فبراير أمرا بفرض غرامة قدرهـــا ٦٠٠ جنيه على هذه المنطقة لوقوع الاعتداء فيها ويلزم هذا الأمر جميع ســكان الحى بدفع الغرامة وتحدد السلطة المختصة المبلغ الذى يدفعه كل مقيم بالحى والشخص الذى يمتنع عن دفع الغرامة أو يتأخر تقوم السلطة العسكرية ببيع منزلة .

---

(٢٤٦) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

وفى ١٢ فبراير القيت قنبلة من مجهول على المعسكر البريطانى بجزيرة بدران قتل يونانيا وجرح اثنين من الجنود البريطانيين ·

وأصدر اللورد اللنبى قرارا يوم ٢٠ فبراير بفرض غرامة ١٨٠ جنيها على سكان هذه المنطقة بنفس أسلوب التحصيل التعسفى ·

وفى ٢٠ فبراير فتشت السلطة العسكرية منزل سعد زغلول وصادرت بعض محتوياته وأقفلته بعد أن أخلته ممن يقيم به ووضعت الحرس عليه لمنع الدخول اليه - وانذار أعضاء الوفد بأنه اذا حدث عدوان آخر على أى بريطانى سيكون أعضاء الوفد مسئولين شخصيا عن ذلك واعتقلت السلطة العسكرية بعض أعضاء الوفد والحركة الوطنية · **ولم تنقطع حوادث الاعتداء :**

ففى ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٣ القى مجهول قنبلة على خمسة جنود انجليز فى شارع نوبار وجرح الخمسة ·

وفى ٤ مارس القيت قنبلتان فى حى الأزبكية على محل كان به ثلاثة جنود انجليز وجرح الثلاثة ·

وفى نفس اليوم القيت قنبلة فى المعسكر الانجليزى ولم تنفجر ·

اعتقالات أعضاء الوفد

وعلى أثر هذه الأحداث اعتقلت السلطة العسكرية فى ٥ و ٦ مارس أعضاء الوفد وهم (المصرى السعدى ، وحسين القصبى ، فخرى عبد النور ، اميرالاى محمود حلمى اسماعيل ، محمد نجيب الغرابلى ، وراغب اسكندر)·

وعطلت جريدة الحزب الوطنى (اللواء) واعتقل مديرها عبد المقصود متولى ورئيس تحريرها أحمد وفيق · وعطلت جريدة (البلاغ) من صحف الوفد ، واعتقل الأستاذ عبد القادر حمزة ، صادق حنين وتألفت هيئة وفدية جديدة أصدرت بيانا للأمة تحضها على الجهاد ولكن هيهات ان تعود للبلاد ثورتها القادرة على التغيير ·

كل ذلك بفضل المخطط البريطانى الطويل الأجل ·

---

(٢٤٧) المجلد الثامن عشر للأستاذ العقاد ، ص ٤٢٣ ·

تأليف وزارة يحيى ابراهيم (١٥ مارس سنة ١٩٢٣)

فوجئت البلاد يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ بتأليف وزارة برئاسة يحيى باشا ابراهيم وبها خمسة من وزارة نسيم باشا المستقيلة (٢٤٧) بعد تنفيذ طلبات الانجليز ويحيى باشا ابراهيم عرف بأنه كان قاضيا نزيها ولكنه ضعيف الشخصية وافتتح يحيى باشا ابراهيم عمله الوزارى بادلائه بحديث أذيع على العامة والخاصة قال فيه « انه معتمد فى أداء مهمته على مساعدة المندوب السامى البريطانى » فكانت بدعة تدل على منتهى الخنوع للسلطة البريطانية وتنكرا للثورة وللبلاد وهدما لكل أصول الحكم الوطنى وأخذت الوزارة تسلك أسلوبا انتهازيا وصوليا أسوأ من سلوك وزارة نسيم باشا وبخاصة تصرفها فى الاعتداء على نصوص مشروع الدستور رغم اعلانه عن تعهده بأن « يحقق الدستور رغبات الأمة كل التحقيق » .

وارتفعت الأصوات الوطنية بجميع الوسائل تهدد أى شخص أو مسئول اذا أقدم على بتر أو تشويه لمشروع الدستور وفضح الزعماء الوطنيون وعلى رأسهم عبد العزيز فهمى هذه الاعتداءات على مشروع الدستور فى الصحف على شكل خطابات مفتوحة جعلت الشعب يلم بأبعاد كل ما يدبر ضده على يد المستوزرين الذى لا يعنيهم غير المراكز الوزارية .

وفى عهد وزارة يحيى باشا ابراهيم وبايعاز من الانجليز اتخذت الوزارة خطوة هامة نحو تهدئة الجو .

تفاديا لتصاعد المقاومة الشعبية بمختلف أشكالها وتحرجا مما تنشره الصحف عما يدبر ضد الدستور وازاء صلابة الأمة واصرار المؤسسة الوطنية على النضال فكلما اعتقلت السلطات العسكرية أعضاء هيئة وفدية تتكون فى الحال هيئة أخرى أكثر تشددا فقد اضطرت الوزارة والقصر ـ وتفاهما مع المعتمد البريطانى ـ الى اصدار الأمر الملكى بالدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ .

---

(٢٤٨) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

اعلان دستور ١٩٢٣ ٠٠

وصدر الدستور فى اليوم التاسع من شهر أبريل سنة (٢٤٩) ١٩٢٣ ، رغم معارضة الملك « فؤاد » لكثير من نصوصه التى كانت تحد من سلطاته ، فجاء الدستور متضمنا بعض المواد التى تساعد على استقرار الأوضاع الدستورية وذلك بالتأكيد على الرقابة الشعبية على اعمال السلطة التنفيذية ، مما اعتبر تجديدا للأمل فى استئناف الكفاح المنظم فى سبيل تحقيق أهداف الأمة المصرية فى الحرية السياسية الى حد ما ، وكان حزب الوفد حتى هذا الوقت لا زال معارضا لهذا الدستور ٠٠

وقد كانت أهم القواعد التى تضمنها دستور ١٩٢٣ هى :

١ ــ تضمن النص فى أولى مواده على أن مصر دولة ذات سيادة وأنها حرة مستقلة وحكومتها ملكية وراثية نيابية ٠

٢ ــ تكون جميع السلطات مصدرها الأمة ٠

٣ ــ المساواة بين المصريين وهم سواء أمام القانون ٠

٤ ــ حق ولاية المناصب مقصور على المصريين (الا من يعينه القانون فى بعض الأحوال الاستثنائية) ٠

٥ ــ الحرية الشخصية وحرية العقيدة والرأى مكفولة ولا يجوز القبض على أى انسان ولا حبسه الا وفق أحكام القانون ٠

٦ ــ كفل الدستور حرية الصحافة وحظر الرقابة على الصحف ومنع انذارها أو تعطيلها أو الغائها بواسطة الادارة ٠

٧ ــ لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على قانون ٠

٨ ــ حظر نفى أى مصرى من الديار المصرية وحظر تسليم اللاجئين السياسيين ٠

---

(٢٤٩) « فى أعقاب الثورة المصرية » ــ ثورة ١٩١٩ ــ للأستاذ الرافعى ــ من ص ١٤٨ حتى ص ١٥٣ ٠

٩ ـ قرر الدستور حرمة المنازل ٠

١٠ ـ قرر حرية الملكية الخاصة فلا تنزع من أحد أملاكه الا للمنفعة العامة بشرط تعويضه عن ذلك ، كما حظر عقوبة المصادرة للأموال ٠

١١ ـ التعليم الأولى الزامى ومجانى للمصريين من بنين وبنات ٠

١٢ ـ قرر حق الاجتماع وتكوين الجمعيات ٠

١٣ ـ أكدت على استقلال القضاء فلا سلطان عليهم لغير القانون ٠

١٤ ـ قرر بمسئولية الوزارة أمام مجلس النواب ، فاذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة وجب عليها أن تستقيل ، واذا كان القرار خاصا بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة ٠

١٥ ـ للملك حق حل مجلس النواب ، واذا حل المجلس فى أمر فلا يجوز حل المجلس الجديد من أجل نفس الأمر ٠

١٦ ـ يتولى الملك سلطانه بواسطة وزرائه (يملك ولا يحكم) ٠

١٧ ـ لا يصدر أى قانون الا اذا قرره البرلمان بمجلسيه وصدق عليه الملك ، واذا رأى الملك عدم التصديق على مشروع القانون الذى أقره البرلمان ، يقوم الملك برده الى البرلمان لاعادة النظر فيه ، فاذا لم يرد الملك القانون فى مدى شهر يعد ذلك تصديقا من الملك عليه ويصدر القانون ، واذا رد الملك مشروع القانون فى الميعاد المتقدم وأقره البرلمان ثانية وبصفته ونصوصه الأصلية بأغلبية أعضاء البرلمان (الثلثين) لكل من المجلسين صار له حكم القانون ويصدر ، وان كانت الأغلبية أقل من ثلثى أعضاء كلا المجلسين امتنع على المجلس النظر فيه فى نفس دور انعقاد البرلمان ، فاذا عاد البرلمان فى دور انعقاد آخر الى اقرار مشروع القانون بأغلبية الآراء المطلقة صار له حكم القانون ويصدر ليصبح نافذا ٠

١٨ ـ يتكون البرلمان من مجلسين : مجلس الشيوخ ومجلس النواب ، ويؤلف مجلس الشيوخ من أعضاء : (ثلاثة أخماسهم) بالانتخاب وال (الخمسين) الباقين بالتعيين ، أما مجلس النواب فجميع أعضائه منتخبون ، ومدة عضوية مجلس الشيوخ عشر سنوات تتجدد عضوية نصف أعضائه كل خمس سنوات ، أما مدة عضوية النائب فى مجلس النواب فخمس سنوتا ٠

١٩ ـ لا يجوز بأى حال تعطيل حكم من أحكام الدستور الا فى حالة ما اذا كان ذلك لظروف وقتية مثل حالة الحرب أو فى حالة اعلان وقيام الأحكام العرفية ٠

٢٠ ـ يختص كل من مجلسى الشيوخ والنواب بالفصل فى مدى صحة عضوية كل عضو فيه ، ولا تعتبر العضوية باطلة الا بقرار يصدر بأغلبية ثلثى أعضاء المجلس ٠

٢١ ـ يقوم الملك بدعوة البرلمان سنويا الى الانعقاد فى جلسات عادية قبل يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ، فاذا لم يقم الملك بذلك يجتمع البرلمان بحكم القانون فى اليوم المذكور ٠

قانون الانتخابات (٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣)

وفى ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٣ صدر قانون الانتخابات وأسس على قواعد : ـ

١ ـ حق الانتخابات حق لكل مواطن مصرى يبلغ سنه ٢١ سنة ميلادية ٠

٢ ـ الانتخابات **لأعضاء مجلس النواب** على درجتين :

الأولى : هى أن يقوم كل ٣٠ ناخبا بانتخاب مندوبا عنهم ٠

الثانية : ومجموع هؤلاء المندوبين هم الذين يقومون بانتخاب أعضاء مجلس النواب فى دائرتهم ٠

أما انتخابات مجلس الشيوخ (٢٥٠)

فكانت تتم على ثلاث مراحل :

الأولى : هى أن يقوم ثلاثون ناخبا بانتخاب مندوب عنهم ٠

الثانية : يقوم كل خمسة من المندوبين بانتخاب مندوب عنهم ٠

الثالثة : مجموع مندوبين المندوبين هم الذين يقومون بانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ ٠

٣ ـ يشترط فى المرشحين للانتخاب فى مجلس النواب على ألايقل سنه عن ٣٠ سنة واسمه مدرج بجدول الانتخابات فى المديرية التى ينتخب فيها وأن يرشحه ثلاثون على الأقل من مندوبى دائرة انتخابية ٠ أما عضو الشيوخ فلا يقل سنه عن أربعين سنة وأن يرشحه عشرون على الأقل من مندوبى المندوبين فى دائرته الانتخابية ٠

---

(٢٥٠) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى جزء أول ص ١٥١ ٠

٤ ـ يحرم من حق الانتخاب المحكوم عليهم فى الجنايات أو بعقوبة من عقوبات الجنح أو بعض الجرائم التى يعددها القانون كما يحرم على المحجور عليهم والمصابين بأمراض عقلية والذين أشهر افلاسهم مدة خمس سنوات من تاريخ اشهار الافلاس ٠

٥ ـ حق الانتخاب موقوف بالنسبة للعسكريين من الجيش أو البوليس وخفر السواحل ٠

٦ ـ يعاقب بالحبس لمدة أقصاها سنة وغرامة أقصاها مائة جنيه أو بأحدهما كل من يستعمل القوة أو التهديد فى منع ناخب من استعمال حقه فى الانتخاب ٠

أما سعد وأصحابه فى المنفى (٢٥١)

فقد كانت السلطات البريطانية قد نقلتهم الى جزيرة سيشل بالبحر الأبيض فى مارس سنة ١٩٢٢ وظلوا منفيين بها الى أن نقل سعد وحده الى جبل طارق فى ١٨ أغسطس ١٩٢٢ بعد أن تدهورت صحته واستمر سعد فى المنفى الى أن أفرج عنه فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٣ وبعد أن هدأت المقاومة فى مصر طبقا للمخطط البريطانى ٠

الافراج عن سعد (٣٠ مارس سنة ١٩٢٣)

بعد أن هدأت المقاومة الشعبية وتحت ضغط المقاومة السرية وتصاعدها وتأثيرها على استقرار أوضاع الوجود البريطانى فى مصر بجانب حالة عدم الاستقرار الناجمة عن استمرار اعتقال سعد وأصحابه فى المنفى ولأسباب أخرى كثيرة منها اعتلال صحته ومنها ان سعدا كان قد أقام دعوى قضائية بواسطة وكيله فى انجلترا طالبا بطلان أمر اعتقاله لأنه سجن بدون محاكمة وخشت بريطانيا من صدور حكم فى صالح سعد فتكون سنة لأمثاله من الزعماء الوطنيين فى المستعمرات فقد تعمدت بالايعاز للمحكمة بتأجيل نظر القضية ثم أخيرا قررت الحكومة البريطانية الافراج عن سعد يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٢٣ وقبل صدور الدستور وكان قد انتقل من سيشل الى جبل طارق لاعتلال صحته ونفذ الافراج يوم ٣٠ مارس كما أفرجت أيضا عن المعتقلين السياسيين فى مصر والمحكوم عليهم من أعضاء الوفد وغيرهم وباقى المعتقلين فى المنفى فى سيشل ووصلوا الى مصر يوم ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣ ٠ واستقبلوا استقبالا حافلا وبادر الوفد بتنظيم صفوفه وأعلن تشكيل هيئته ٠ أما سعد فقد سافر بعد الافراج عنه الى فرنسا للاستشفاء ولم يعد الى مصر الا فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ٠

---

(٢٥١) المجلد الثامن عشر (تراجم وسير) للأستاذ العقاد ، ص ٣٨٨ ٠

الحكم فى قضية المؤامرة السياسية الثانية (٢٥٢)

هذه القضية كان قبض فيها على خمسة عشر شخصا بتهمة التآمر على ارتكاب حوادث قتل الانجليز وقتل الأشخاص الذين شهدوا ضد المواطنين أمام المحاكم العسكرية البريطانية وأعطوا معلومات فى هذه الحوادث فى المدة من أبريل سنة ١٩٢٠ الى سبتمبر سنة ١٩٢٢ ٠ ونظرت هذه القضية أمام محكمة عسكرية بريطانية فى ٥ أبريل سنة ١٩٢٢ وانتهت فى ٧ يوليو سنة ١٩٢٣ ٠ وأصدرت المحكمة حكمها فى ٢٢ يوليو بالاعدام على كل من ابراهيم خليل نظير ومحمد دسوقى مصطفى ، محمد شافعى البنا ، وعلى فهمى على ، ومحمد كامل عبد الخالق **بالأشغال الشاقة المؤبدة** على سيد محمد **وبالأشغال الشاقة ١٥ سنة** على حسن توفيق **وبالسجن عشر سنوات** على سليم بسيلى **وخمس سنوات** على حسن عز العرب **وثلاث** على حسن محمد أمين وخفف الحكم عن معظمهم وتأيد **حكم الاعدام** على ابراهيم خليل نظير ، محمد دسوقى مصطفى ، على فهمى على ٠

قانون الاجتماعات (٣٠ مايو سنة ١٩٢٣) (٢٥٣)

أصدرت وزارة يحى ابراهيم فى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٣ « قانون الاجتماعات العامة والمظاهرات » قيدت فيه حتى الاجتماعات بقيود استنكرها الرأى العام ٠

قانون الأحكام العرفية (٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣)

أصدرت وزارة يحيى باشا ابراهيم فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣ « قانون اعلان الأحكام العرفية » وكان من الواجب ألا يصدر هذا القانون الا بعد اجتماع البرلمان حتى يكفل فى هذا القانون الضمانات الكافية لصيانة حقوق الأفراد والجماعات وكذلك لتحديد الظروف القاهرة الوطنية التى تدعو الى اعلان الأحكام العرفية حتى لا تكون حسب أهواء أى سلطة

---

(٢٥٢) مصر وقضايا الاغتيالات السياسية للدكتور محمود متولى ، ص ٢٤٦ ٠
وحوكم المتهمون على : ١ ـ قتل البكباش كيف ٢ ـ قتل المستر براون ٣ ـ قضية عبد الواحد الجبلى ٤ ـ قتل محمد على حسين (شاهد ميجر لندرسون ٥ ـ محاولة قتل ماكنتوش بك ٦ ـ محاولة قتل بيجوت ٧ ـ قتل عسكريين بريطانيين ٨ ـ محاولة قتل نايت بيكر وتاونستد ٩ ـ محاولة قتل شهود قضية المؤامرة الأولى عبد الرحمن فهمى بوضع السم لهم فى الشاى ٠

(٢٥٣) فى أعقاب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ٠

وكان هذا القانون الصادر فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣ يقول « يجوز اعلان الأحكام العرفية كلما تعرض الأمن أو النظام العام فى الأراضى المصرية أو أى جهة منها للخطر سواء كان بسبب عـدوان مسلح أجنبى أو بسبب اضطرابات داخلية » ويكون بمرسوم ملكى فى حين أن الدستور كان ينص بوجوب عرض المرسوم على البرلمان ليقره كما كان القانون الصادر يعطى سلطات واسعة للحاكم العسكرى وأباح الى مجلس الوزراء أن يزيد من هـذه الاختصاصات حسب ما يشير به الحاكم العسكرى وبذلك كان هذا القانون يضع فى يد الحكومة سلطات لا حد لها تجعل الحريات التى تضمنها الدستور لا أثر لها وقوبل اصدار هذا القانون بالسخط الشعبى العـــام .

قانون التضمينات (٥ يوليو سنة ١٩٢٣) (٢٥٤)

وهو القانون المشار اليه فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وهو يقضى « باجازة كل الاجراءات والتصرفات الادارية والقضائية والتشريعية التى قامت بها السلطات العسكرية البريطانية فى مصر » .

منذ اعلان الأحكام العرفية فى نوفمبر سنة ١٩١٤ (أى نجعلهـــا قانونية وطنية وكأنها صادرة من أجهزة وطنية) وقد صدر هذا القانون فى ٥ يوليو سنة ١٩٢٣ وفى طياته تثبيت لأحكام عسكرية جائرة فى ظل الاحتلال البريطانى لمدة تسع سنوات حرمت المحكوم عليهم ولو ظلما من أى حقوق أو تعويضات وكذلك حرمت العفو على مرتكبى الجرائم السياسية أو حتى التعديل الا عن طريق لجنة معظمها من البريطانيين . كما نص على بقاء الأراضى التى استولت عليها السلطات العسكرية البريطانية أو احتلتها على حالتها . وكانت البلاد تطالب بارجاء صدور هذا القانون الى أن ينعقد البرلمان ليصدر به الضمانات الدستورية الكافية وقوبل أيضا هذا القانون بالسخط والاستنكار .

انهاء الأحكام العرفية (٢٥٥)

وفى يـوم صـدوره (٥ يوليو) أصـدر اللورد اللنبى أمرا بالغاء الأحكام العرفية بخطاب منه الى الملك فؤاد .

اعادة حرية المبعدين

---

(٢٥٤) نفس المصدر السابق .

(٢٥٥) نفس المصدر السابق .

في ٢٠ يوليــو ســنة ١٩٢٣ أذاع مجلس الوزراء بلاغا بالســماح للمنفيين المصريين المبعدين بأمر السلطة البريطانية بالعودة الى مصر ٠

قانون تعويضات الموظفين الأجانب

في ١٨ يوليو سنة ١٩٢٣ أصدرت الوزارة قانون تعويضات الموظفين الأجانب ويقضي بمنح الموظفين الأجانب مكافآت وهبات وتعويضات سخية وجسيمة تفوق ما يستحقونه قانونا عند تركهم الخدمة وبذلك حملت خزانة الدولة أعباء ثقيلة ٠

خضوع كامل لارادة الملك والمعتمد البريطاني

كانت جميع الأمور في عهد هذه الوزارة يرجع فيها الى السراى والى دار المعتمد البريطاني فانفردت السراى بتعيين الوزراء المفوضين والقناصل والوظفين بها دون الرجوع للوزارة ٠ كمــا فرض تعيين البريطاني اللواء سفنكس باشا مفتشا عاما للجيش المصري في ديسمبر سنة ١٩٢٣ وجعلت له القيادة العليا الفعلية للجيش المصري (سردارا) ٠

عودة سعد زغلول الى مصر (١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣)

عاد سعد زغلول الى مصر ووصل الاسكندرية يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ وأكدت احتفالات استقباله العظيمة على زعامته للأمة وتعلقهــا به والتفافها حوله وجاءت برهانا على أنه أصبح أقوى شخصية في البلاد وكان في سن الشيخوخة وأثرت سنوات الكفاح والمنفى في صحته وكانت معاندة الانجليز الطويلة ومؤامرات فؤاد سلطانا ثم ملكا ضده كل ذلك كان قد جعل سعد زغلول بعد عودته يراجع حساباته وحساب العمل الثوري وبخاصة لما وصله من معلومات وهو في منفاه عن مدى ما نال أعوانه ورجاله من عنف التصرفات والأحكام والاضطهادات البريطانيــة بالاضــــافة الى المؤامرات والحرب الخفية للمنشقين عنه ومدى قوتهم المستمدة من المعتمد البريطاني والملك فؤاد ٠ بالاضــــافة الى فتور همة الشعب المؤيد له من استئناف عنف الكفاح على مستوى الثورة كما كانت الأمور الدولية تفرض عليه الاعتراف بأن القوة أصبحت فوق الحق يعكس القاعدة الأصلية بأن تكون الحق فوق القوة خصــــوصا لما لاقاه من تنكر في مؤتمــر الصلح وما بعد ذلك ٠

لكل ذلك رغم تمكنه من القبض على زمام الأمور للشــارع المصري وتمتعه بتأييد الأمة له بلا حدود فقد انصرف كله للتطلع لتركيز كفاحه ونضاله لأجل تثبيت الحياة النيابية السليمة فقط فنجده يتفرغ كليــة

لتنظيم أتباعه وأعوانه وصحبه فى شكل حزب قوى وصلت جذوره فى القرى والنجوع المصرية ليخوض بها عملية الانتخابات ليصل الى السلطة التنفيذية القادرة على استئناف النضال فى معاندة الانجليز والملك نفسه فى ظل الدستور الذى أصبح يتمسك به سعد تمسكا غير محدود رغم أنه هو الذى سبق وقال عن اللجنة التى وصفته انها لجنة (الأشقياء) ثم نجده بذكاء الفلاح المصرى التلقائى يراجع تصريح ٢٨ فبراير ليحاول أن يخرج منه بمبادىء يجعل منها بداية يستأنف منهـا الجهاد ففى مناسبة لاحقة وفى أحد احتفالات الوفد يسأله أحد الحاضرين عن سبب تغاضيه عن معاداة تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بقبوله الاشتراك فى الانتخابات على مبادىء دستور سنة ١٩٢٣ وليد تصريح ٢٨ فبراير (٢٥٦) فيجيب سعد بلباقة وذكاء « ان هذا التصريح عبارة عن ناقة البدوى التى تباع بمائة درهم وتباع التميمة التى فى رقبتها بألف درهم ، ولكن الناقة لا تباع بغير التميمة فما أملحها من صفقة لولا الملعونة التى فى رقبتها » وكان هذا هو أبلغ تعريف بأبعاد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

(٢٥٦) المجلد الثامن عشر للأستاذ العقاد (سير) ، ص ٤٢٣ .

الانتخابات والبرلمان الأول (٢٥٧)

حضر سعد الى البلاد فى أثناء المعركة الانتخابية وظهر اهتمام الأمة بهذه الانتخابات وتألفت اللجان الشعبية فى مختلف المدن والقرى وكان معظمها من لجان الوفد وكانت الشواهد تدل أن الوفد سينال الأغلبية الا قليل من العناصر المرشحة من الحزب الوطنى والأحرار الدستوريين وبعض المستقلين وتمت الانتخابات يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ ٠ ونال الوفد ٩٠٪ تسعين فى المائة من مقاعد النواب وسقط رئيس الوزراء يحى ابراهيم باشا وفاز عليه مرشح الوفد وكان سقوطه شهادة تدل على نزاهة عملية الانتخابات ودليل على عدم تدخل الحكومة فى جميع المناطق ٠

وعهد الملك فؤاد الى سعد زغلول بتأليف الوزارة فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ وألف سعد وزارته (سعد زغلول رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية ومحمد سعيد باشا للمعارف (وهم غريم سعد زغلول التقليدى وصديق دار المندوب السامى والقصر الملكى) وحسن حسيب باشا لوزارة الحربية والبحرية ومحمد فتح الله بركات باشا لوزارة الزراعة ومرقص حنا بك لوزارة الأشغال ومصطفى النحاس لوزارة المواصلات وواصف بطرس غالى لوزارة الخارجية ومحمد نجيب الغرابلى أفندى لوزارة الحقانية ٠

وذيل سعد باشا خطابه الى الملك خاليا من لفظ العبودية التقليدى الذى كان مستخدما فى جميع خطابات رؤساء الوزارات الى السلطان أو الملك ولكنه اكتفى بجملة « وانى على الدوام شاكر نعمتكم وخادم سدتكم (٢٥٨) » وكان ذلك يوم ٢٨ يناير ١٩٢٤ ٠

نجاح المخطط البريطاني

بتأليف سعد غلول الوزارة بصفته زعيم الأغلبية البرلمانية وزعيم الأمه ورئيس الوفد فى ظل نظام ملكى ودستور ١٩٢٣ وموافقة ضمنية على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذى سبق وصم اللجنة التى وضعته بأنها « لجنة

---

(٢٥٧) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٧ ٠

(٢٥٨) أريكة الحكم ٠

الأشقياء » وبذلك يعتبر زعيم الثورة قد عمل هدنة مع سلطة الاحتلال البريطاني التى حققت مخططها بالكامل بالوصول بثورة ١٩١٩ لهذه الهدنة التى اذا طالت مدتها كان ذلك جديرا بأن يحقق المخطط البريطانى بالكامل بابقاء ظروف وسيادة وسيطرة الاحتلال البريطانى على مصر على حاله رغم ما نادت به من شعارات ومبادىء مظهرية أعطتها للحاكم فى شكل ملك بدلا من سلطان واستقلالا ظاهريا رغم الوجود العسكرى والمدنى البريطانى فى أرض مصر وفى جميع الوزارات والادارات المصرية ورغم التحكم الاقتصادى فى شئون مصر الاقتصادية ولكن أبرز ما حققته هذه الثورة حتى بداية هذه الهدنة هو تحقيق الحياة النيابية فى هذا الدستور الذى حقق توازن السلطات ويحقق الى حد بعيد جانبا كبيرا من الحرية للوزارة اذا أرادت وتمسكت بحقوقها الدستورية وللمحكومين بامكان فرض ارادتهم فى اختيار ممثليهم وحكومتهم ومحاسبتهم بجانب الضمانات التى تحقق للفرد المصرى التمسك بحقوقه فى الحياة الانسانية والكريمة وهذا الجانب الايجابى الذى حققه تصريح ٢٨ فبراير كان المقابل الذى دفع ثمنه الشعب المصرى بثورته سنة ١٩١٩ ولو انه كان مقابلا متواضعا بالنسبة للهدف الأساسى وهو الاستقلال التام ٠

وقد استخدم المخطط البريطاني اسلوب المماطلة والترهيب والترغيب والعنف فى بعض مراحل الثورة والملاينة فى بعض المراحل الأخرى لأجل تطويل مدة الجهاد للثوار وللمؤسسه الوطنية حتى حققت تبريد الثورة وأوصلتها لدرجة التجميد والملل وشبه اليأس ٠ أما ما وافق عليه الجانب البريطانى طبقا لمخططه اذا ما اعتبروا زعيم الثورة والمؤسسة الوطنية مرحلة من مراحل الهدف الوطنى نحو الاستقلال ، فقد كانت بريطانيا مرغمة على هذا التنازل المتواضع لاعطاء مصر جانبا من الحرية والاستقلال المظهرى وكان ذلك بحكم تطور الزمن وتطور شعوب العالم بعد الحرب العالمية الأولى وزيادة الوعى العالمى نحو تحرير الشعوب الصغيرة فكانت انجلترا بتفكيرها السياسى الواعى والخبيث تدرك تماما ان خروجها من المستعمرات ومن مصر سيتحقق ان آجلا أو عاجلا بحكم التطور العالمى وتغيير أسلوب الاستعمار القديم المباشر والتى تغيرت وسائله من استعمال السلاح بالاحتلال العسكرى المباشر الى استعمال لا يعتمد فى المقام الأول على الوجود العسكرى بقدر اعتماده على فرض السيطرة الاقتصادية على بلاد المستعمرات القديمة حتى تحتكر التصرف فى خامات هذه البلاد وشعوبها لمصلحتها دون الحاجة الملحة للوجود العسكرى والاحتلال ٠ ولذلك تركت الحبل مرخيا للمصريين وزعمائهم لامكان استئناف اللعبة البريطانية التقليدية للتسويف فى الجلاء لأطول مدة ممكنة عن طريق فتح باب المفاوضات المتتابعة والتى لا تحسم عملية الجلاء الا حسب ما تراه بريطانيا انه فى صالحها وبالشكل الذى

يحقق لها الاستقلال فى مصر • لذلك عندما قبل سعد التشكيل الوزارى كان أمله كبيرا فى استئناف هذه المفاوضات مع بريطانيا طمعا فى تحقيق الهدف الأساسى لثورة ١٩١٩ وهو الجلاء والاستقلال التام واعتبر سعد زغلول ان وجوده كرئيس للوزراء سيحقق له خطوات وحقوقا دستورية وقانونية له ولشعب مصر تكون العامل الأساسى فى تحقيق هذا الاستقلال وكان كل ذلك بمقاييس ذاك العصر ومقاييس حكام ووزراء مصر واعتبر سعد ذلك بمثابة عمل وطنى مثالى • ويمكن التعرف على فكرة سعد الوطنية فى هذه الفترة من مواقفه الدستورية والوطنية فى مواجهة سلطات الملك وسلطات المحتل البريطانى حتى تقديم استقالته بعد حادث مقتل السردار •

افتتاح البرلمان (١٥ مارس ١٩٢٤)

وتم افتتاح البرلمان يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ فكان بذلك ثانى مجلس نيابى كامل السلطة حققته مصر وكان الأول أيام عرابى وقد اجتمع سنة ١٨٨١ وجاء الاحتلال وألغاه سنة ١٨٨٣ وظلت البلاد بلا دستور مدة أربعين سنة • اجتمع أعضاء مجلس النواب والشيوخ على هيئة مؤتمر فى دار البرلمان وتكامل عددهم • وحضر الملك فؤاد الافتتاح وكان يرأس الجلسة أكبر أعضاء مجلس الشيوخ سنا وهو المصرى السعدى باشا وأقسم الملك فؤاد اليمين الدستورية « أحلف بالله العظيم أنى أحترم الدستور وقوانين الأمة المصرية وأحافظ على استقلال الوطن وسلامة اراضيه » وبعد تأدية اليمين قدم كبير الأمناء الى الملك خطاب العرش فأخذه وناوله الى سعد زغلول رئيس الوزراء فالقاه وكان أول خطاب عرش ألقى • طبقا لدستور سنة ١٩٢٣ وهو الخطاب الذى تضعه الوزارة فى مستهل الدورة البرلمانية واستهل سعد خطابه « وأحيى فيكم ممثلى شعبى الكريم » تعبير فنى فيه معنى الزعامة والتحدى للملك وعدم التواضع • ثم قال فى مكان آخر من الخطبة مخاطبا الأمة المصرية « أمتى الشريفة » ثم قال مشيرا الى استئناف المفاوضات مع بريطانيا « لذلك يحق لى أن أصرح علنا باسمى وباسمكم ان حكومتى مستعدة للدخول مع الحكومة البريطانية فى مفاوضات حرة من كل قيد لتحقيق الآمال القومية بالنسبة لمصر والسودان » •

وفى النهاية اجتمع مجلس النواب عقب انفضاض جلسة المؤتمر برئاسة أكبر النواب سنا وهو محمد سعيد بك وحلف الأعضاء اليمين الدستورية وبجلسة ١٦ مارس انتخب أحمد مظلوم باشا رئيسا للمجلس وأحمد محمد خشبة بك ومحمد الباسل باشا وكيلين •

الروح الجديدة فى أول برلمان

فى ظل الأغلبية الوفدية (٢٥٩)

بعد فوز الوفد فى البرلمان وتشكل حزب الأغلبية للوزارة برئاسة سعد زعيم المؤسسة الوطنيـة المصرية اكتسب سعد ومؤسساته الوطنيـة خبرات وطنيـة جعلته حريصـا على التمسك بهذا الدستور ليحقق لبلاده أهدافها الثورية فى ظل الحرية السياسية التى تحققت لشعب مصر فى هذا الوقت ويمكن اجمال هذه الممارسات كالآتى : ـ

١ ـ قرر البرلمان ان ثمن كل ما يبـاع من أملاك الدولة ان يخصص لاستهلاك الدين العـام (جلسة ٩ يونيو سنة ١٩٢٤) ويعـد هذا تحقيقا للارادة المصرية الشعبية فى سبيل التخلص من الدين العام ٠

٢ ـ قرر هذا البرلمان ضرورة اصدار أوراق النقد (البنكنوت) بنظام يجعل العملة المصرية مستقلة عن العملة البريطانية بعد ان كان النقد المصرى تابعا للعملة البريطانية وبذلك تحقق استقلال العملة المصريه (جلسة ٩ يونيو ١٩٢٤)

٣ ـ سـحب المبلغ المصرى المودع فى بنك انجترا من الاحتيـاطى (جلسة ١٦ يونيو ١٩٢٤) ٠

٤ ـ تشجيع الحركة التعاونية باعطاء السلف لشركات التعاون المصرية ٠

٥ ـ قرر البـرلمان فتح الاعتمادات من الاحتيـاطى للصرف على التعليم بانشـاء ١١٠ مدرسـة أولية وادارة مدارس المعلمين والمعلمات الأولية ـ وتأليف لجنة لوضع مشروع قانون التعليم الاجبـارى (جلسة ١٤ يونيو ١٩٢٤) وكذلك تخصيص مبالغ لتشجيع ونشر الفنون الجميلة ٠

٦ ـ بيع أكبر جزء ممـكن من أطيان الحكومة لصغار المزارعين وتشكيل لجنة لتحسين أوضاع مصلحة الأملاك الاميرية ٠

٧ ـ قرر المجلس ان تفضـل الحكومة فى مشترياتها منتجات الصـناعة والزراعة الأهلية ٠

٨ ـ انشاء هيئة لمراقبة مصروفات الحكومة (ديوان المحاسبة) ٠

---

(٢٥٩) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى جزء أول ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ٠

٩ ـ قرر البرلمان ضرورة اختيار مندوبين مصريين يمثلون الحكومة فى الشركات الأجنبية الموجودة بمصر وكانوا قبل ذلك من الأجانب ٠

١٠ـ ان تكون الاعانات الحكومية التى تمنح للجمعيات الخيرية شاملة أيضا الجمعيات الخيرية المصرية وكانت قبل ذلك مقصورة على الجمعيات الأجنبية ٠

١١ـ معافاة ذخائر ومهمات الجيش المصرى عند دخولها السودان ٠

١٢ـ التوقف عن دفع المخصص لبعثات جيش الاحتلال البريطانى فى مصر وحذف الاعتماد المخصص لذلك من الميزانية ٠

١٣ـ تقرير قانون الانتخاب المباشر بعد ان كان الانتخاب على درجتين ٠

التغيير الذى أحدثته ثورة ١٩١٩ فى سلوك الحاكم

بعد أن تبوأ سعد سلطة رئيس وزراء مصر بحق الأغلبية البرلمانية التى حصل عليها حزب سعد (الوفد) وليس بحق الرضاء الملكى ورضاء المندوب السامى) وبخاصة بعد ان أطلقت الأمة المصرية اسم « الوزارة الشعبية » على وزارة سعد زغلول فقد قامت الوزارة بصفتها السلطة التنفيذية للبلاد عقب ثوره ١٩١٩ بأعمال هامة تؤكد على خروج مصر بعض الشىء من التبعية الكاملة لارادة سلطة الاحتلال البريطانية :

١ ـ الافراج (١) عن معظم المسجونين السياسيين المصريين :

فقد بادر سعد رئيس الوزراء بالافراج عن المسجونين السياسيين المحكوم عليهم من المحاكم العسكرية البريطانية أيام الثورة وكان فى مقدمتهم عبد الرحمن فهمى وزملاؤه المتهمون فى قضية المؤامرة الكبرى وقد أفرج عنهم سعد مباشرة دون احالة أمرهم الى اللجنة التى كان ينص عليها قانون التضمينات بعد أن حصل على موافقة السلطات البريطانية على عدم تمسكها بهذا الشرط وبذلك اضطرت بريطانيا ازاء تشدد سعد بالتنازل عن حقها بعدم العفو عن المسجونين السياسيين الا بقرار من اللجنة والتى كانت تسيطر عليها السياسة البريطانية ٠ وفى ١١ فبراير ١٩٢٤ أفرج عن ٤٩ سجينا سياسيا آخرين وفى ١٤ فبراير ١٩٢٤ أطلق سراح ٩ آخرين ويتوالى هذا الافراج الى أن بلغ ١٤٧ ٠

٢ ـ استخدمت الوزارة حقها السيادى فى وقف عبث رؤساء بعثات الآثار المصرية الأجانب بالآثار الثمينة وكان على رأسها لمشكلة تمسك

العالم الأثرى كارتر على فتح تابوت توت عنخ آمون وتمسكت وزارة الأشغال بحقها فى عدم فتح التابوت حتى لايصير العبث بمحتوياته واتهمت الصحف الأجنبية المحلية والخارجية الحكومة المصرية بكراهية الأجانب ولم تحفل الحكومة بهذه التهم وقررت الغاء الترخيص الذى منحته الليدى كارنار فورن عالم الآثار البريطانى المتوفى الى كارتر ووضعت وزارة الأشغال المصرية يدها على مقبرة توت عنخ آمون ومحتوياتها وأقامت عليها حراسة فكان هذا الاجراء بمثابة عمل وطنى يؤكد على الارادة المصرية الجديدة .

٣ ـ كان سعد فى جميع تصرفاته السيادية يحرص على حقوق الوزارة وسلطتها الدستورية فلم يقبل أى تدخل من المندوب السامى البريطانى ولا السراى وبذلك قضى فى تصرفاته التنفيذية على أى اتصال مع المندوب السامى أو السراى فقد أصر على ان يؤكد دعائم الحكم الدستورى فكانت « الأمة مصدر السلطات » بحق وجاءت كل هذه التصرفات الدستورية على خلاف ما كانت تبغيه دار المندوب السامى والسراى . كما ان سعد زغلول رئيس الوزراء وضع الموظفين الأجانب وبخاصة الانجليز عند حدهم وتضاءلت سلطاتهم فى عهد هذه الوزارة وهذا كان أيضا من ضمن أهم التغييرات التى حققتها ثورة سنة ١٩١٩ .

٤ ـ رفض سعد تجديد عقد السير موريس شيلدون أيموس المستشار القضائى البريطانى لوزارة الحقانية بعد انتهاء مدته فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ وعندما طلب دار المندوب السامى من الوزارة تجديد عقده رفض سعد هذا التجديد .

٥ ـ رفضت وزارة سعد اشتراك الحكومة المصرية فى الاحتفال بالعيد الخمسينى للمحاكم المختلطة لما فيه من مهانة لمصر فعندما طلبت منه لجنة الاحتفال اشتراك الحكومة المصرية أجابها سعد « انه يرى ان مصر التى ترغب فى تثبيت استقلالها لا تستطيع أن تحتفل بالعيد الخمسينى لمحاكم فرضت اقامتها على البلاد لمدة ٥ سنوات فاستمرت رغم صفتها الوقتية الى ٥٠ عاما كاملة على حساب السيادة القضائية للأمة ولا يسع الحكومة ان تثبت باحتفالات رسمية فكرة عدم كفاية القضاء الوطنى » .

٦ ـ الشيوخ المعينون وحق تعيينهم

لما كان الدستور ينص على ان خمس أعضاء مجلس الشيوخ يعينون بصدور مرسوم ملكى فكان العدد هو ٤٨ عضوا وقام خلاف بين الملك فؤاد وسعد زغلول على من له الحق فى التعيين ويتمسك الملك بنص المادة ٧٤ من الدستور « ان الملك يعين خمس الأعضاء » أما سعد فقد تمسك بالرأى الدستورى والذى ينص فى المادة ٤٨ « ان الملك لا يباشر سلطته الا بواسطة الوزراء والنص « الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه » وان المادة ٥٧ تقضى « أن توقيعات الملك فى شئون الدولة يجب لنفاذها أن يوقع عليها رئيس مجلس الوزراء والوزراء المختصون » والمادة ٦٢ تنص « أوامر الملك شفهية أو كتابية لاتخلى الوزراء من المسئولية بحال » ٠ ولم يقتنع الملك فؤاد بحجة سعد وارتضى التحكيم فى هذه المسألة واتفق مع سعد ان يقوم بالتحكيم البارون فان رن بوش ، النائب العام لدى المحاكم المختلطة وقتها فاصدر حكمه « ان عدم مسئولية الملك يعتبر أساسا للنظام الدستورى فى مصر والذى يقضى بأن الملك لايتولى سلطة الا بواسطة وزارئه وهو مبدأ لايحتمل أى استثناء من الوجهة القانونية ، بل يمتد الى جميع أعمال الملك وأى استثناء فى ذلك يعيب النظام فى روحه وأساسه ولذلك نادى بأن تعيين أعضاء مجلس الشيوخ يجب ان يكون بناء على ما يعرضه مجلس الوزراء » ٠ وقد رضى الملك فؤاد حكم البارون (فان رن بوش) ٠

٧ ـ تمسك رئيس وزراء مصر بحقوق مصر فى السودان

ففى عام ١٩٢٤ أعلنت حكومة السودان الاشتراك فى معرض عام للمستعمرات البريطانية هى ويمبلى بانجلترا دون أن يأخذ حاكم السودان البريطانى رأى الحكومة المصرية وكان هذا التصرف تثبيت ان السودان مستعمرة بريطانية وفى نفس الوقت يعتبر هذا التصرف تجاهلا من حاكم السودان لوضعه الوظيفى معينا من الحكومة المصرية ٠ ويتمسك سعد بحق مصر كدولة مستقلة لها وضع سيادى خاص بالسودان وبأن السودان ليس مستعمرة بريطانية فبادر سعد بمخاطبة الحاكم العام للسودان بوصفه موظفا فى حكومة جلالة ملك مصر فى مخالفته بتخطيه لرئيس وزراء مصر فى هذا الموضوع ٠ ولما خاطب المندوب السامى البريطانى بمصر اللورد اللنبى سعد زغلول رئيس وزراء مصر بأن الحاكم العام للسودان من حقه ان يخاطب المندوب السامى البريطانى فقط وبعد تعمد الحاكم العام للسودان سير لى ستاك الرد على سعد زغلول بادر سعد بالرد

على الاثنين على المندوب السامى وعلى الحاكم العـــام للســودان بما معناه « انه بموجب اتفاقية السودان فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ فانه ورد فى مادتها الثالثة ان الحاكم العام للسودان موظف يعينه خديوى مصر (ملك مصر) ويستمد سلطته من هذا التعيين والمادة الرابعة تنص صراحة ان كل اعلان للقوانين والأوامر واللوائح يجب ان يبـلغ الحاكم العـام عنها وفورا الى المعتمد البريطانى فى القاهرة والى رئيس مجلس نظار سمو الخديوى » ٠ وقد سجل سعد بهذه الخطابات المتبادلة رفض مصر لهذا الاسلوب من تخطى الحاكم العام والمندوب السامى للحكومة المصرية كما سجل رسميا احتجاج الحكومة المصرية بأن كلف فى نفس الوقت وزير مصر المفوض فى لندن بالاحتجاج الرسمي وبشدة لدى الحكومة البريطانية لكونها أقدمت على دعوة السودان رأسا ورسميا للاشتراك فى معرض خاص بالمستعمرات البريطانية بدون علم الحكومة المصرية وعلى تصرف حاكم السودان العام فى أمور السودان دون اذن الحكومة المصرية واعتبار ذلك اعتداء صارخا على حقوق مصر ورفض ان يكون دار المندوب السامى البريطانى فى مصر واسطة للتخاطب بين الحكومة المصرية وحاكم السودان العام » ٠

٨ ـ احتجاج البرلمان المصرى والحكومة المصرية لمنع الحكومة السودانية وفدا سودانيا من زيارة مصر

فى يونيـــو ١٩٢٤ أوعزت السلطة الانجليزية فى الســودان الى صنائعها من السودانيين بعقد اجتماع تظاهروا فيه بالولاء للحكم الانجليزى وكتابة عرائض بالولاء لهذا الحكم وفى نفس الزمن والوقت منعت حكومة السودان وفدا سودانيا وطنيا من زيارة مصر لاظهـــار تضامنهم مع مصر وثورة مصر ويعلنون ارتباطهم بمصر ومقاومتهم للحركة الانفصالية التى ظهرت بوادرها فى ذاك الوقت ثم اعتقلت الحكومة السودانية بعض أعضاء هذا الوفد وقام مجلس النـــواب المصرى أغلبية ومعارضة فى جلســة ٢٣ يونيو ١٩٢٤ بالاحتجاج على حكومة السودان وعلى بريطانيا على هذين الموقفين وأعلن فى هذه الجلسة سعد زغلول رئيس الحكومة وزعيم الثورة فى تصريح له « احتجاجه على الاجراءات غير الشرعية القائمة فى السودان للسعى فى فصل السودان عن مصر » وانتهت المناقشات فى هذه الجلسة بتقديم قرارين باسم مجلس النواب المصرى أحد القرارين « يعلن فيه المجلس عطفه على السودانيين جميعا لتمسكهم بارتباطهـــم الوثيق بمصر ويعلن استنكاره للمناورات البريطانية المصطنعة التى يقوم بهـــا دعاة الاستعمار فى السودان ويعلن تمســك الأمة المصرية بمبدئهـــا وهو أن الســـودان جزء لايتجزأ من مصر » ٠ اما القرار الثانى فكان « يكرر المجلس ، ثقته التامة بالوزارة بعد سماع التصريحات التى أعلنها رئيس

الوزراء سعد زغلول احتجاجا على هذين التصرفين الغير شرعيين » · ثم أصدر مجلس الشيوخ المصرى احتجاجا بنفس المعنى بجلسة ٢٥ يونيو ·

٩ ـ موقف صلب لسعد زغلول

على أثر تصريحات سعد زغلول فى مجلس النواب وقرارات مجلس النواب فى جلسة ٢٣ يونيو ١٩٢٤ صرح اللورد نافور نائب الحكومة البرلمانية « ان الحكومة البريطانية لا تتنازل عن السودان بأى حال وان نظام السودان لايتغير الا بارادة بريطانيا » · ورد سعد زغلول فى الحال على هذه التصريحات فى مجلس النواب المصرى جلسة ٢٨ يونيو ١٩٢٤ « ان حقوق الأمم لاتضيع ولا تتأثر بمجرد ان يقول الغاصب انى أريد ان أتمتع بها دون صاحبها ··· فان كل حق يبقى حيا لايموت مادام وراءه مطالب » وأشار سعد الى ما جاء فى تصريح لورد نافور « بأن المفاوضات المرتقبة بين مصر وبريطانيا يجب ان تكون على أساس تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ » بالرد الحاسم على هذا التحدى البريطانى « بأنه سبق له استنكار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وهو خارج الحكومة ولازال يستنكره وهو رئيس وزراء مصر ·· فاذا لم أجد طريقة للمفاوضة على غير هذا الأساس فانى لا أدخل فى المفاوضات أصلا » ·

١٠ ـ تجاوب السودان مع الروح الوطنية المصرية الجديدة

على أثر التشدد البريطانى مع السودانيين الوطنيين وعلى أثر مواقف البرلمان المصرى وزعيم مصر وشعب مصر مع المشاعر والآلام لاخوانهم فى السودان تكونت الجمعيات الوطنية السودانية التى تنادى بوحدة مصر والسودان وقامت المظاهرات الشعبية العدائية للانجليز فى شهر يونيو ١٩٢٤ وفى صباح ٩ أغسطس خرج تلاميذ المدرسة الحربية بالخرطوم من المدرسة فى مظاهرة عسكرية منظمة حاملين البنادق والحراب والعلم المصرى واخترقوا مدينة الخرطوم هاتفين بحياة مصر والسودان واستقلال وادى النيل وفى نفس الوقت قامت أورطة السكة الحديد بالعطبرة بمظاهرة غير مسلحة تهتف بوحدة مصر والسودان وتعرضت لها قوة بريطانية مسلحة واشتبكت مع المظاهرة وقتل أربعة من الأورطة وأصيب أحد عشر باصابات خطيرة ·

وعلى أثر ذلك اجتمع مجلس الوزراء المصرى فى يوم ١١ أغسطس ١٩٢٤ وأصدر بيانا شرح فيه ملابسات الوقائع واتخذ الاجراءات الآتية ·

(أ) طلب البيانات التفصيلية عن هذه الحوادث من حاكم السودان العام وأسبابها والدافع اليها ·

(ب) كلفت الحكومة المصرية وزيرها المفوض بلندن بالاحتجاج لدى الحكومة البريطانية على هذه التصرفات وطالبت مصر بوجوب ايقاف المحاكمات والمبادرة بتشكيل لجنة مصرية سودانية لفحص الحالة وتحديد المسئوليات ٠

وأرسلت الحكومة البريطانية الى حكومة مصر مذكرة فيها معنى التحدى والاصرار على الانفراد بالتصرف فى شئون السودان والسودانيين :

(أ) تؤيد الحكومة البريطانية حكومة السودان فى تصرفاتها ٠

(ب) تفوض الحكومة البريطانية حكومة السودان فى ابعاد أورطة السكة الحديد المصرية وكل قوة ترى ان الظروف الحالية تستلزم ابعادها ٠

(ج) الحكومة البريطانية تعتبر البرلمان المصرى والصحافة المصرية مسئولين عن حوادث السودان ٠

وتمسكت الوزارة المصرية برئاسة سعد زغلول بحق مصر فى السودان وردت على الحكومة البريطانية بمذكرة أبانت فيها ان الحكومه المصرية لا تعترف بأن الحاكم العام للسودان له أن يتصرف فى الجيش المصرى بدون رأيها لأنه موظف مصرى كسردار للجيش المصرى ويجب عليه ان يرجع الى مصر فى كل ما هو داخل حدود هذه الوظيفة ورفضت حكومة مصر اتهام الحكومة البريطانية للبرلمان المصرى والصحافة المصرية ورفضت حكومة مصر ان تكون حكومة السودان مطلقة التصرف تؤيدها فى تصرفاتها الحكومة البريطانية ٠

وامعانا فى تجاوزاتها عزت الحكومة البريطانية الحامية البريطانية فى السودان وأيدت حكومة السودان فى تصرفاتها ٠

وأعيدت أورطة السكة الحديد المصرية الى مصر بعد ان قبض على أربعة وتسعين شخصا وأعيد الى مصر أيضا مائة وخمسة وعشرون مصريا الموظفون فى حكومة السودان بحجة ان فى وجودهم فى السودان خطورة على الأمن العام ٠

ولا شك ان كل هذه المواقف سواء من البرلمان المصرى المعبر عن رغبات الشعب المصرى أو من زعيم ثورة ١٩١٩ سعد زغلول وبصفته

رئيسا للحكومة المصرية الوطنية التي تشكلت بموجب المكاسب الثورية تدل على ما حققته ثورة ١٩١٩ من أهداف نحو تحقيق الحرية فى التعبير عن المعاناة من المستعمر المحتل للبلاد • كما انها تدل على عمق التعبير فى التركيب السياسى للدولة عن طريق التمسك بالدستور وصلابة الدفاع عن حقوق مصر فى مواجهة جميع التصرفات الخارجية والمتجاوزة عن السيادة المصرية ولو أن كل هذه المكاسب تحقق جانبا متواضعا من أهداف ثورة ١٩١٩ التى بدأت بنداء الاستقلال التام وجلاء القوات المحتلةعن البلاد ولكنه من متابعة تصرفات سعد كرئيس وزراء ثورى ومتابعة مواقف مجلس النواب نجد ان تغييرات خطيرة فى المجتمع المصرى قد حدثت سواء فى امكان احراج التصرفات المتعسفة لقوات الاحتلال وسلطات المندوب السامى البريطانى فى صميم أوضاع كبار الموظفين الانجليز والأجانب فى الحكومة المصرية أو فى الصحوة الكبرى فى كون مصر أصبحت للمصريين بالمقام الأول كل ذلك رغم قصر مدة رئاسة سعد زعيم الثورة للوزارة المصرية •

كما ان المؤسسة الوطنية للثورة حققت فى النهاية واحدة من أهم مراحل الثورات وهو تسليم السلطة الى الشعب متمثلا ذلك فى دستور سنة ١٩٢٣ واجراءات انتخابات أول برلمان مصرى بعد توقف الحياة البرلمانية منذ الاحتلال البريطانى •

مباحثات سعد ماكدونالد (سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٢٤)

أرسل مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزراء البريطانى (٢٦٠) وزعيم حزب العمال برقية تهنئة لسعد زغلول يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ يوم افتتاح البرلمان وأبدى فى هذه البرقية استعداد حكومته للتفاوض مع الحكومة المصرية ـ ثم جاءت حوادث مظاهرات السودان العدائية لبريطانيا فى غضون شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٢٤ وصدرت على أثرها التصريحات الرسمية البريطانية تؤكد على احتلال السودان ووادى النيل كله وتحدى سعد والبرلمان المصرى هذا التحدى البريطانى بمثله مما جعل الجو غير ممهد لاجراء هذه المحادثات ومع ذلك ذهب سعد الى لندن لاجراء هذه المحادثات فى أواخر سبتمبر ١٩٢٤ واجتمع مع مستر ماكدونالد يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٢٤ ثم ٢٩ سبتمبر ثم يوم ٣ أكتوبر وانقطعت المحادثات بعد ان قدم سعد مطالب مصر التى تحقق الاستقلال ورفضت بريطانيا رفضا قاطعا تلك المطالب المصرية فى وثيقة رسمية وهى « الكتاب الأبيض » صدرت عن الحكومة البريطانية فى ٧ أكتوبر ١٩٢٤

---

(٢٦٠) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ، جزء أول ، ص ١٧٦ ، ١٧٩ •

وبها رسالة المستر ماكدونالد الى المندوب السامى البريطانى فى مصر ضمنها مطالب مصر وأسباب رفضها وكانت المطالب المصرية :

أولا : سحب جميع القوات البريطانية من مصر ·

ثانيا : سحب المستشار المالى والمستشار القضائى البريطانيين ·

ثالثا : زوال سيطرة بريطانيا عن الحكومة المصرية ·

رابعا : تتوقف الحكومة البريطانية عن دعواها حماية الأجانب والأقليات فى مصر ·

خامسا : تنازل الحكومة البريطانية عن دعواها الاشتراك فى حماية قناة السويس ·

سادسا : تمسك مصر بالنسبة للسودان من ناحية (حق السيادة المصرية على السودان) بملكية مصر العامة للسودان وجاء فى « الكتاب الأبيض » البريطانى اتهام لسعد زغلول والى البرلمان المصرى بانهما سبب أحداث السودان لانهما أحدثا تأثيرا مهيجا للشعب السودانى وبخاصة ما فاه به سعد زغلول أمام البرلمان عندما قال « ان وجود قيادة الجيش المصرى العامة فى يد ضابط أجنبى وابقاء ضباط بريطانيين فى هذا الجيش لايتفق مع كرامة مصر المستقلة » ثم وصف الوجود الانجليزى فى السودان بانها حكومة « غاصبة » وان هذه المطالب أفصح عنها سعد زغلول « انها رأى الأمة المصرية كلها » ·

استقالة سعد زغلول

وعاد سعد الى مصر بعد توقف المباحثات (٢٦١) وقدم استقالته الى الملك ثم سحب هذه الاستقالة بعد تدخل أعضاء مجلس الشيوخ لدى الملك فؤاد وبعد ان خضع الملك لشروط سعد بالاعتراف بضرورة عدم تدخل الملك فى سلطات الوزارة ·

---

(٢٦١) السبب الظاهرى لتقديم الاستقالة هى توقف المحادثات أما الأسباب الحقيقية فكانت مؤامرات السراى باحداث اضطرابات الأزهر والهتاف بها « لا رئيس الا الملك » وتخطى الملك فؤاد لسلطات رئيس الوزراء أن عين نشأت باشا رئيسا للديوان والانعام عليه بوسام دون علم الوزارة كما أنعم على بعض الضباط الذين اشتركوا فى مظاهرات السودان دون علم الوزارة ·

الى هنا وبتوقف المحادثات بين سعد وماكدونالد نتيجة التشدد البريطانى المتعمد ، كان المخطط البريطانى قد حقق معظم أهدافه من أجل مستقبل استمرار الوجود البريطانى فى مصر لأكبر مدة وبحجة الشرعية المتمثلة فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ٢١٩٢ المعلن من جانب بريطانيا فقط والمشكوك شعبيا فى التصديق عليه ولو أن حزب الأغلبية وزعيمه سعد كانا قد وافقا ضمنا على آليات هذا التصريح من دستور ١٩٢٣ وانتخابات حاز فيها بالأغلبية الساحقة الى برلمان اتخذه سعد بالتشدد الدستورى وسيلة لتحقيق ما بقى من أهداف ثورة ١٩١٩ بعد أن تبوأ الثوار سلطة السيادة فى مصر ٠

ومن تأمل تصرفات سعد كرئيس وزارة وزعيم للأمة ظهر جليا انه راجع نفسه وامكانياته الشعبية وامكانيات أمته بعد طول كفاحها الذى كلف شعب مصر مالا طاقة له به من أرواح ودماء وخسائر ٠ فقد أخذ يتشدد دستوريا ووطنيا فى مواجهة الوجود البريطانى وسلطة الملك فؤاد وأثبت أنه كان مصمما على التمسك بأن الأمة هى مصدر السلطات ليحقق بذلك فى النهاية مهما طالت آمال أمته وأهداف ثورته كاملة ولكن جاءت أحداث ونتائج اغتيال سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان البريطانى الجنسية كانقلاب كامل على مكاسب ثورة سنة ١٩١٩ وما حققتها ٠

واقعة اغتيال سردار الجيش المصرى بالسودان ٠٠ (١٩ نوفمبر ١٩٢٤) :

فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم التاسع عشر (٢٦٢) من شهر نوفمبر ١٩٢٤ ، هاجمت جماعة مسلحة بالمسدسات والقنابل السيارة التى كان يستقلها السير « لى ستاك » ـ سردار الجيش المصرى وحاكم السودان ـ أثناء خروجه من شارع الطرقة عائدا من مكتبه الى منزله بالزمالك ، وكان ذلك وسط جمع حاشد من الموظفين حال انصرافهم من أعمالهم الى منازلهم بالاضافة الى الباعة والركاب على محطة الترام فى شارع قصر العينى فأصيب السردار باصابات خطيرة كما أصيب ياوره الخاص البكباشى « كامبل » وسائقه وجندى من حرس وزارة المعارف الذى حاول مطاردة الجماعة المهاجمة ٠٠

وتوفى السردار فى اليوم التالى العشرين من نوفمبر متأثرا باصاباته، فثارت ثائرة الحكومة البريطانية حيث أخذت صحفها تهاجم « سعد

---

(٢٦٢) « مصر وقضايا الاغتيالات السياسية » ـ للدكتور محمود متولى ـ من ص ١١٧ حتى ص ١٢٢ ٠

زغلول » – رئيس الوزراء وزعيم حزب الوفد – فاتهمته بتهييج الرأى العام المصرى ضد بريطانيا وحملته مسئولية الحادث ..

انتهزت بريطانيا الفرصة واستغلتها أفضل استغلال لصالح تدعيم واستمرار الاستعمار البريطانى فى مصر ولتنفيذ مخططها لاحكام قبضتها على البلاد وبالتالى القضاء على أية آثار ايجابية للثورة الشعبية المصرية بزعامة « سعد زغلول » سنة ١٩١٩ ..

وتمكن أفراد الجماعة المسلحة – الأبطال – من الهروب من مسرح الحادث حيث أقلتهم سيارة كانت تنتظرهم فى مكان قريب وابتلعت القاهرة هؤلاء الفدائيين فلم يتم القبض على أى منهم ..

وكان قد شهد الحادث بعض من الشهود أدلوا ببعض أوصاف الفدائيين كما استدل أحد الشهود على رقم السيارة التى استخدموها فى الهروب حيث كانت سيارة أجرة تحمل رقم (٦٨٨) وعثر البوليس على السيارة فى نفس اليوم وتبين أن سائقها شخص « نوبى » يدعى « محمود صالح » الذى تظاهر بالبلاهة ، فقرر فى التحقيقات التى أجريت معه أن أحد الأفندية حضر اليه بموقف سيارات الأجرة بميدان « لاظوغلى » وركب معه واتجه به الى شارع قصر العينى وهناك حضر عدة أشخاص آخرون ركبوا معه وأمروه بالسير فى شارع قصر العينى ثم أمروه بالدوران يسارا ونزلوا من السيارة عند ما توقفت عند مزلقان سكة حديد حلوان وبعد أن أعطوه الأجرة عاد من هناك الى موقف السيارات بميدان لاظوغلى مرة أخرى، ورغم استمرار التحقيق معه عدة أيام لم يتمكن المحققون معه من الوصول الى نتيجة ..

وعلى أثر ذلك الحادث ، بدأت الحكومة البريطانية فى اتخاذ الاجراءات العنيفة ضد مصر ، حيث بدأت تلك الاجراءات بتوجيه الانذار البريطانى للحكومة المصرية ..

الانـــذار البريطـــانى ..

صباح اليوم الثانى والعشرين من نوفمبر شيعت جنازة السردار « لى ستاك » ، وبعد الانتهاء من تشييع الجنازة توجه اللورد « اللنبى » – المندوب السامى البريطانى الى مقر مجلس الوزراء (٢٦٣) المصرى – فى

(٢٦٣) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » – للأستاذ الرافعى – الجزء الأول – من ص ١٨٤ حتى ١٨٧ .

شكل مظاهرة عسكرية ـ حيث كان يتقدم موكبه مائتان وخمسون جنديا بريطانيا من راكبى الدراجات البخارية وعربات الجيش ويتبعه عدد مماثل وكانوا جميعهم يحملون الرماح ..

وتقابل اللورد « اللنبى » مع « سعد زغلول » ـ رئيس الوزراء ـ فى مكتبه حيث قدم اليه انذارين باللغة الانجليزية بعد أن قرأ عليه نصيهما فى اقتضاب وجفاء وانصرف ..

وكان محتوى الانذارين مطالبات تتسم بالظلم والتعالى .. فقد جاء نصاهما :

١ ـ اعلان الحكومة المصرية اعتذارها عن الحادث .

٢ ـ تقوم الحكومة المصرية بالبحث عن الجناة ومعاقبتهم أشد العقاب .

٣ ـ تمنع من الآن وبشدة كل المظاهرات الشعبية .

٤ ـ تقوم الحكومة المصرية بدفع غرامة نصف مليون جنيه للحكومة البريطانية .

٥ ـ يتم سحب الجيش المصرى من السودان، وتحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية فقط تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها » التى يدير شئونها حاكم انجليزى الجنسية معينا صوريا (بمرسوم صادر من حكومة مصر) .

٦ ـ تقوم حكومة السودان (٢٦٤) بزيادة مساحة أطيان الجزيرة الى مقدار غير محدود (بعد أن كانت محددة بـ ٣٠٠٫٠٠٠ فدان فقط) .

٧ ـ أن تطلق يد الحكومة البريطانية ويد من يمثلها فى مصر لحماية مصالح الأجانب ، ويعاد النظر فى الامتيازات السابق معاملة الموظفين الانجليز والأجانب بها فى مصر الذين لا يزالون بالبلاد ، ويعاد منصبا المستشارين المالى والقضائى الأجنبيين والعمل على اعادة امتيازاتهما السابقة ، ويعاد نظام القسم البريطانى الذى كان يسيطر على وزارة الداخلية المصرية قبل اعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

٨ ـ اتهم الانذار الأول صراحة ـ قبل نهاية التحقيق وقبل أية محاكمة ـ أن العناصر التى اغتالت السردار على اتصال وثيق بحكومة مصر وأن

---

(٢٦٤) كانت « ادارة مياه النيل » فى السودان ـ قبل حادث اغتيال السردار ـ تحت اشراف وزارة الاشغال المصرية ، جميع أعمال الرى فى السودان .

حكومة مصر برئاسة سعد زغلول أصبحت عاجزة عن حماية أرواح الأجانب ٠

٩ – واحتوى الانذار الثانى على نظام تصفية السيادة المصرية على السودان واعادة السيطرة البريطانية الكاملة على الحكم فى داخل مصر ٠

١٠– هدد الانذاران بأنه فى حالة عدم تنفيذ ما هو مطلوب وفورا ، فان حكومة بريطانيا ستتخذ التدابير المناسبة لحماية مصالحها فى مصر والسودان ٠

رد الحكومة المصرية على الانذارين (٢٦٥) ٠٠ (٢٣ نوفمبر ١٩٢٤) :

وفى اليوم الثالث والعشرين من نوفمبر ١٩٢٤ ، ردت الحكومة المصرية على الانذارين حيث نفى « سعد زغلول » –فى هذا الرد– مسئولية الحكومة المصرية عن الحادث وأعلن قبول المطالب البريطانية الأربعة الأولى، وعبر فى الرد عن الاحتجاج على ما جاء بالانذار الثانى من ضرورة سحب الجيش المصرى من السودان ، كما سجل احتجاج حكومة مصر على ما جاء بهذا الانذار عن مياه نهر النيل والخاص بالسماح لحكومة السودان بزراعة مساحة من الأراضى السودانية كبيرة وبغير حدود حتى تستنزف هذه الأراضى أكبر كمية من مياه النيل مما يؤثر على الرى والزراعة فى الأراضى المصرية ، كما سجل « سعد زغلول » احتجاجه على اعادة السيطرة البريطانية على الوظائف الحيوية فى مصر وأعلن رفض الحكومة المصرية الموافقة على أن الحالة الأمنية فى مصر قد أصبحت مهددة ٠٠

التعسف البريطانى ٠٠

رد المندوب السامى البريطانى على رد الحكومة المصرية – فى ذات اليوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ – بعجرفة وتعسف حيث أورد فيه بأنه أرسل تعليماته الى حكومة السودان بالعمل على اخراج جميع وحدات الجيش المصرى من السودان ، وأنه أطلق الحكومة السودانية فى زيادة مساحة الأراضى الزراعية بغير حدود ٠٠

احتجاج مصر على الرد البريطانى ٠٠

قام « سعد زغلول » بالرد على هذا التعسف البريطانى معلنا الاحتجاج الصريح على ما اتخذته الحكومة البريطانية من قرارات باعتبارها متعارضة مع ما لمصر من حقوق معترف بها ٠٠

---

(٢٦٥) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » – للأستاذ الرافعى – الجزء الاول – من ص ١٨٧ حتى ص ١٩٠ ٠

رد بريطانى أشد تعسفا ..

وبهدف الرغبة والتعمد فى احراج « سعد زغلول » ، قام « اللورد اللنبى » – المندوب السامى البريطانى – بالرد على الاحتجاج المصرى الأخير بما يؤكد على فرض الأمر الواقع على مصر ، بذكره « أنه صدرت التعليمات الى جنود بريطانيا باحتلال جمارك الاسكندرية » ..

استقالة « سعد زغلول » (٢٦٦) .. (٢٣ نوفمبر ١٩٢٤) :

بعدأن أدى «سعد زغلول» دوره – كزعيم – برفض الاذلال البريطانى لبلاده ، قام برفع استقالته الى الملك متعللا بقوله : « نظرا للظروف الحالية التى تجعلنى عاجزا عن القيام بالمهام الخطيرة المفروضة على البلاد بعد احتلال الجنود البريطانيين للجمارك المصرية » ، معتبرا أن الاستقالة هى خير وسيلة لوقاية البلاد من الشرور المتوالية .

.. وفى اليوم التالى – الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٢٤ – قبل الملك استقالة « سعد زغلول » ووزارته ..

احتجاج البرلمان المصرى (٢٦٧) .. (٢٤ نوفمبر ١٩٢٤) :

وفى مساء نفس اليوم – ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ – اجتمع مجلس النواب والشيوخ حيث أصدروا احتجاجا صارخا على تصرفات الحكومة البريطانية المتعسفة باعتداءاتها التى وقعت منها على حقوق الأمة المصرية فى سيادتها وعلى دستورها ، وأعلن البرلمان المصرى تمسكه بالاستقلال التـام لمصر والسودان كوطن واحد لا تقبل تجزئته ، كما أعلن أن الحكومة البريطانية ارادت استغلال واقعة اغتيال السردار ذريعة لتحقيق المزيد من مطامعها الاستعمارية معتمدة على قواتها العسكرية للانتقام من أمة بريئة تعتمد على قوة حقها وعدالة قضيتها ..

وعبر الاحتجاج البرلمانى المصرى عن التعنت البريطانى المتمثل فى طلب سحب قواب الجيش المصرى من السودان ، وعلى عملية اطلاق حرية الحكومة السودانية – الخاضعة للسيادة البريطانية – فى الحصول على كميات كبيرة بلا حدود من مياه النيـل رغم الاتفاقيـات التى تنظم ذلك وتحددها ، كما احتج على عملية احتلال جمارك الاسكندرية ..

---

(٢٦٦) « فى أعقاب ثورة ١٩١١ » – للأستاذ عبد الرحمن الرافعى – الجزء الأول – ص ١٩١ .

(٢٦٧) المصدر السابق – من ص ١٩٤ حتى ١٩٦ .

وأعلن البرلمان المصرى هذا الاحتجاج على العالم الخارجى فى أوربا وأمريكا كما أشهد عصبة الأمم على هذه الاجراءات والتصرفات البريطانية التعسفية الظالمة الدالة على استمرار بل وتزايد المطامع البريطانية الاستعمارية ٠

تأليف وزارة « أحمد زيور باشا » ٠٠ (٢٤ نوفمبر ١٩٢٤) :

عهد الملك فؤاد الى « أحمد زيور باشا » بتأليف وزارة جديدة (٢٦٨) ــ وكان رئيسا لمجلس الشيوخ ــ واشترك معه فى تشكيلها وزيران وفديان هما : « أحمد محمد خشبة باشا » ــ وكيل مجلس النواب الوفدى ــ و « عثمان محرم بك » ــ وكيل وزارة الأشغال ــ ، وكان« زيور باشا » رجلا بدينا ضخم الجثة طولا وعرضا ، وكان من طبعه الاستهتار واللامبالاة اذ كان يأخذ الأمور ببساطة وبهوادة تتجاوز المألوف بطىء التفكير لدرجة البلادة ، ولكنه ــ فى نفس الوقت من جهة أخرى يملك ناصية الذكاء حاضر البديهة والنكتة ــ ، وكان مثقفا ثقافة فرنسية عالية فقد تعلم فى مدارس « الجيزويت » الفرنسية ثم درس القانون ، وارتقى فى مناصب النيابة العامة والقضاء حتى بلغ منصب المستشار بمحكمة الاستئناف ، واشتهر عنه النزاهة وحسن التقدير ، ولكنه كان يؤمن بسياسة ملاينة القوى وأن محاولة الضعيف استخلاص حقه باستخدام القوة مقضى عليها بالفشل ، ولم يكن له فى الحركة الوطنية أى نشاط معروف ولكنه كان أقرب الى موقف التأييد للوفد ــ رغم أنه لم يكن وفديا ــ وكان على يقين من سخرية الناس من مظهره البليد ٠٠

وبعد مرور خمسة أيام فقط من تأليفه الوزارة ، استقال منها الوزيران الوفديان « أحمد محمد خشبة » و « عثمان محرم » ، لأنهما وجدا فى تصرفات « زيور باشا » ــ السياسية ــ تسليما واستسلاما ــ بما لم يقبل به « سعد باشا » ــ استجابة لمطالب الانجليز ــ وبعد الحجة التى أعلنها « زيور باشا » كشعار يتمشى مع ما يؤمن به وهو « انقاذ ما يمكن انقاذه » ٠٠

وتوالت تصرفات وزارة « زيور باشا » بالخضوع الكامل لمطالب الانجليز ، وكان ذلك بمثابة انقلاب كامل ضد معظم مكاسب ثورة ١٩١٩ حيث كان من أخطرها هو انسحاب الجيش المصرى من السودان ثم تبعه طرد الموظفين المدنيين المصريين من هناك حتى رجعت الحالة فى البلاد الى

---

(٢٩٨) « مذكرات فى السياسة المصرية » ــ الدكتور محمد حسين هيكل ــ الجزء الأول ــ ص ١٧٦ ٠

أسوأ مما كانت عليه قبل ثورة ١٩١٩ لأن الانسحاب العسكرى المصرى والمدنى كانا بمثابة انفصال مصر عن السودان ، والذى كان – حتى هذا التاريخ وتحت ظروف القهر الاستعمارى البريطانى – يعتبر قطرا واحدا ليس فيه أى مظهر من مظاهر التابع أو المتبوع ، ولذلك سرعان ما تجاوب الشعور الوطنى (٢٦٩) والأخوى للشعبين المصرى والسودانى فى مواجهة هذا المخطط البريطانى الانفصالى والذى استفاد منه ونجح فيه الجانب البريطانى باستغلال ظروف حادث اغتيال السردار) وبصفة خاصة بعد فتور ثورة المصريين لطول المعاناة منذ اندلاع ثورة ١٩١٩ حتى وقوع حادث اغتيال السردار « لى ستاك » ..

انسحاب الجيش المصرى من السودان (٢٧٠) :

– فى ١٩٢٤/١١/٢٤ أصدرت السلطات البريطانية التعليمات الى وحدات الجيش المصرى بالجلاء عن السودان والانسحاب الى مصر بدون حمل الذخيرة ، وكان ذلك بأمر كتابى من نائب السردار بالسودان « هدلستون » ..

– رفض ضباط وجنود الجيش المصرى تنفيذ هذه التعليمات التى سلمت الى رؤساء وحدات الجيش المصرى ، وأعلنوا عدم مغادرة مواقعهم الا اذا تلقوا أمرا بذلك من الحكومة المصرية ، وكان على رأس حركة الرفض « القائد مقام أحمد رفعت بك » قائد المدفعية المصرية بالسودان .

– قام الجنود الانجليز بمحاصرة ثكنات الجيش المصرى وحاولوا اقتحامها فردتهم القوات المصرية على أعقابهم ..

– بالاتفاق بين رئيس الوزراء « زيور باشا » والملك « فؤاد » ، أرسل وزير الحربية المصرى مبعوثا خاصا برسالة الى ضباط وجنود الجيش المصرى بالسودان بوجوب الاذعان لأمر الانسحاب الصادر من السلطات البريطانية يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٢٤ ، وأفادهم المبعوث بأن الملك يأمرهم بهذا الانسحاب ، فأذعن الضباط والجنود المصريون آسفين محزونين ، وبدأ انسحاب الجيش المصرى من السودان ابتداء من يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٢٤ ..

---

(٢٦٩) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » – للأستاذ الرافعى – الجزء الأول – ص ٢٠٣ .
(٢٧٠) المصدر السابق .

ـ أما الضباط والجنود السودانيون بالقوات المصرية فى السودان، فقد تضامنوا ـ منذ اللحظة الأولى ـ مع اخوانهم المصريين فى هذه المحنة برفض الانسحاب ، حيث قامت قوات من الأورطة الحادية عشرة السودانية تحركوا من ثكناتهم فى اتجاه معسكرات الجيش المصرى ليحولوا دون اخراج الجنود المصريين من ثكناتهم وتصدت لهم القوات البريطانية بالقرب من مستشفى الجيش المصرى وأصدر « هدلسون باشا » ـ نائب السردار ـ أمره باطلاق النيران عليهم فرد عليهم الجنود السودانيون حيث قتل منهم عددا كبيرا وكذلك قتل ثلاثة ضباط انجليز ، وفى الصباح اعتصم الجنود السودانيون واستحكموا داخل مستشفى الجيش المصرى ، وعندما بدأت القوات الانجليزية اقتحام المستشفى بادر الجنود السودانيون باطلاق النيران عليها حيث كانت معركة استخدم فيها الانجليز المدافع فسلطوها على مبنى المستشفى فأحدثوا تدميرا شديدا بمبانى المستشفى ، واستشهد الضابط السودانى الشهيد الملازم الأول « عبد الفضيل الماس » وخمسة عشر جنديا سودانيا .

ـ وقام الانجليز بمحاكمة عسكرية عاجلة لأربعة ضباط سودانيين وصدر الحكم حيث نفذ فى ثلاثة منهم حكم الاعدام رميا بالرصاص يوم الخامس من ديسمبر ١٩٢٤ ، فكان يوم حداد عاما فى السودان وكانت آخر الكلمات التى نطق بها هؤلاء الشهداء الثلاثة : « لهذا الشرف عملت ، وفداء للوطن ولدت ، وللوحدة المصرية السودانية جاهدت » ..

كما صدرت أحكام بالسجن والجلد على كثير من الجنود السودانيين، وقد رفض كثير من الضباط السودانيين البقاء فى السودان فرحلوا مع القوات المصرية المنسحبة الى مصر حيث التحق عدد منهم بخدمة الجيش والتحق الآخرون بخدمة البوليس فى مصر .



تكوين قوة دفاعية سودانية منفصلة عن الجيش المصرى :

ـ كان واقع الحال ـ قبل انسحاب القوات المصرية من السودان ـ يؤكد على أن مصر والسودان قطر واحد ، فكانت وحدات الجيش المصرى بالسودان يخدم بها ضباط سودانيون مع اخوانهم المصريين كأبناء قطر واحد ..

ـ ولكن فى يناير ١٩٢٥ ، وبعد اعلان نائب الحاكم فى السودان بتشكيل قوة دفاع سودانية لتحل محل الجيش المصرى بعد انسحابه على

الا تدين هذه القوات بالولاء لملك مصر بل لحاكم السودان البريطانى والذى أصبح له وحده حق تعيين وعزل جميع الضباط بجانب حق منح البراءات الرسمية ، وبذلك أكد البريطانيون على فصل السودان عن مصر ، الا أن كثيرا من الضباط السودانيين رفضوا تأدية يمين الولاء للحاكم الانجليزى على السودان ورحلوا الى مصر للعمل بها ٠

حول حادث اغتيال السردار والتحقيقات :

بعد مقتل السردار استمر البحث عن الجناة والتحقيق لمدة خمسة شهور بلا انقطاع الى أن تكشفت أسرار هذا الحادث ٠٠

الاهتداء الى الفاعلين :

بعد أن أحكم الانجليز السيطرة على أجهزة (٢٧١) وزارتى الداخلية والحقانية فى ظل حكم وزارة « زيور باشا » أعلنت الحكومة عن استعدادها لدفع عشرة آلاف جنيه لمن يرشد عن الجناه ٠٠

وقامت الحكومة – من جانبها – بالقاء القبض على الكثيرين من أعضاء مجلس النواب وأعضاء جمعية « اللواء الأبيض » السودانية وبعض الطلبة السودانيين والمصريين (٢٧٢) وقامت أجهزة التحقيق المصرية ممثلة فى أقسام البوليس والنيابة باجراءات التحقيق مع المقبوض عليهم ، وفى نفس الوقت تمكن البوليس المصرى من استخدام أحد المعروفين لدى دوائره ولدى دوائر السلطات البريطانية بانتمائه الى أطقم(٢٧٣) الفدائيين المصريين المشهورين بعمليات الاغتيالات خاصة لسابقة اشتراكه فى عملية القاء قنبلة على السلطان حسين كامل سنة ١٩١٥ وهو « محمد أفندى نجيب الهلباوى » الذى سبق الحكم عليه بالاعدام ثم خفف ليكون الأشغال الشاقة المؤبدة وكان قد اتهم معه فى هذه العملية أحد زعماء العمل الفدائى المصرى وهو « شفيق منصور » الذى أفرج عنه سنة ١٩١٥ لعدم ثبوت الأدلة ضده رغم ان الانجليز كانوا على يقين من مسئوليته عن عمليات الاغتيالات وخاصة فى خضم أحداث ثورة ١٩١٩ وكانوا أيضا على علم بأفرادها من الفدائيين ، وشكت أجهزة التحقيق البريطانية فى أن يكون له دور فى حادث اغتيال السردار وبالتالى لجماعته ٠٠

---

(٢٧١) « فى أعقاب ثورة » – للاستاذ الرافعى – جزء أول – ص ٢٠٣ ٠

(٢٧٢) « مذكرات فى السياسة المصرية » – للدكتور محمد حسين هيكل – ص ١٨٦ ٠

(٢٧٣) « مصر وقضايا الاغتيالات السياسية » – للدكتور محمد متولى – من ص ١١٤ حتى ص ١٣١ ٠

وتوسمت أجهزة البحث والتحقيق فى « محمد نجيب الهلباوى » أنه يمكنه الاختـلاط بجماعة « شفيق منصور » وعن طريقهم يمكنه معرفـة شخصيات مرتكبى الحادث لعلاقته الوثيقة بهم ، خاصة وأن المحققين كانوا يعلمون أنه حاقد عليهم لأنه كان الوحيد من بينهم الذى أمضى مدة طويلة فى السـجن وعند خروجه منه لم يكن له أى مورد رزق ، بالاضـافة الى اغرائه بالجائزة ذات العشرة آلاف جنيه التى كانت تمثل بالنسبة له ثروة طائلة تستحق خيانته لزملائه السابقين ..

وتحقق ما توسمته أجهزة البحث والتحقيق من امكانية « محمد نجيب الهلباوى » خيانته لزملائه ، فجندوه واستخدموه للقيام بهذا الدور الوضيع حيث تمكن فعلا من الايقاع بهم جميعا ، وبالتالى تمكنت أجهزة السلطات المصرية والبريطانية من القبض عليهم بعد أن تمكن الخائن « محمد نجيب الهلباوى » من جمع الأدلة التى تدينهم ، وتم ذلك رغم أن هذه الجماعة الفدائية تعددت وانتشرت عملياتها الفدائية الجريئة على مدى أيام ثورة ١٩١٩ فانه لم يسبق أن انكشف أمرها لدقة وبراعة تخطيطها وتدبيرهـا وتنفيذها لعمليات اغتيال كثير من الشخصيات البريطانية والمصريين(٢٧٤) المتعاونين معهم ، كما كانت هذه الجماعة تقوم بطبع وتوزيع المنشورات الوطنية حيث كان منهـا المنشور الذى وزع على أعضـاء مجلس النواب يدعوهم الى الاجتماع التاريخى فى ١٥ مارس ١٩٢٤ وكان يحمل فى سطوره ومضمونه تهديدا (٢٧٥) صريحا لهم ولأى مسئول اذا ما فكر وتهاون فى حقوق البلاد ..

وكانت أعمال هذه الجمعية محل ثقة وتقدير من عامة الشعب المصرى الثائر ، بدليل أنه عندما تم القـاء القبض عليهم امتنع المصريون الذين شاهدوهم أثنـاء ارتكاب الحادث عن الادلاء بشهادتهم بما يثبت التحقق منهم فلم يشهدوا ضدهم وتعمدوا انكار التعرف عليهم ، الا انه لولا خيانة زمليهم السابق « محمد نجيب الهلباوى » ، لما أمكن التوصل اليهم والقبض عليهم ومحاكمتهم ..

وتمت محاكمة بعض من ألقى القبض عليهم أمام محكمة الجنايـات التى كان يرأسها « أحمد عرفـان باشـا » وبعضويـة مستر « كرشو »

---

(٢٧٤) المصدر السابق .

(٢٧٥) ان اعمال مثل هذ الجماعات الوطنية السرية تعتبر فى العرف الدولى من أعمال حروب التحرر والمقاومات الوطنية وتعتبر مثل هذه الأعمال مشروعة حيث يكون القتل والاغتيال للأعداء والخونة من الأعمال المشروعة .

و « مظلوم باشا » ومثل النيابة « محمد طاهر نور باشا » الذى كان مثالا سيئا حيث كان ممن يبيعون ذمتهم الوطنية من أجل المنصب فقد كان هو « النائب العام » ، وقد تمادى فى وصف الفدائيين بأوصاف الخيانة والخسة والجبن وأخذ يكرر فى نطق هذه العبارات ونشط فى تسهيل وضع حبل المشنقة حول رقابهم متماديا فى نفاق الانجليز المستعمرين للبلاد ٠٠

واستمرت المحاكمة ستة أيام فقط ـ بناء على رغبة الانجليز ـ وتم اعتقال « محمود فهمى النقراشى » و « أحمد ماهر » ـ وهما من أخلص رجال الوفد ـ على أساس أنهما شريكان فى الجريمة وذلك كمحاولة للايقاع بـ « سعد زغلول » واثبات صلته بالحادث ٠٠

صدور الحكم فى قضية مقتل السردار (٢٧٦) ٠٠ (٧ يونية ١٩٢٥) :

بعد أن استغرقت التحقيقات والمحاكمات قسطا كبيرا من الوقت والجهد ، قدم المتهمون للمحاكمة وهم :

١ ـ عبد الفتاح عنايت	الطالب بمدرسة الحقوق ٠
٢ ـ عبد الحميد عنايت	الطالب بمدرسة المعلمين العليا ٠
٣ ـ ابراهيم موسى	الخراط بالعنابر ٠
٤ ـ محمود راشد	المهندس بالتنظيم ٠
٥ ـ على ابراهيم محمد	البراد بالعنابر ٠
٦ ـ راغب حسن	النجار بمصلحة التلغراف ٠
٧ ـ شفيق منصور	المحامى ٠
٨ ـ محمود أحمد اسماعيل	الموظف بالأوقاف ٠
٩ ـ محمود صالح	سائق سيارة أجرة ٠

وفى اليوم السابع من يونية ١٩٢٥ ، أصدرت المحكمة حكمها على الثمانية الأول بالاعدام شنقا ، كما أصدرت أحكاما أخرى على الباقين ، وقد تم تنفيذ أحكام الاعدام يوم الأحد ٢٣ أغسطس ١٩٢٥ كالآتى :

١ ـ كان أول من سيق الى حبل المشنقة هو « عبد الحميد عنايت » ، الذى قال : « أنا لا يهمنى شئ ، لقد قمت بما هو واجب على خير قيام ولا يهمنى الاعدام وأنا سبق وقتلت ٣٥ من الأعداء الانجليز » ، وكان رابط

(٢٧٦) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ طبعة ١٩٨٧ ـ ص ٢٨١ ٠

الجأش حيث ختم كلامه قائلا : « انا لله وانا اليه راجعون » ، يارب ادخلنى جنة النعيم » ...

وهكذا كان الشهيد « عبد الحميد عنايت » هو الشهيد الأول ..

٢ـ ثم جئ بالأستاذ/شفيق منصور المحامى وعضو مجلس النواب عن دائرة باب الشعرية وكان ممن اتهموا باغتيال « بطرس غالى » سنة ١٩١٠ ولكن أفرج عنه واكتفى وقتها بفصله من مدرسة الحقوق حيث سافر الى أوربا لاتمام دراسته وكان عضوا فى جمعية « الاتحاد الاسلامى » ، وبعد عودته من أوربا أتهم بتحريض الأهالى على الثورة فقد كان محل اشتباه البوليس السياسى فى ٣٦ حادثة ، وكان على صلة وثيقة بـ « الوردانى » الذى قام باغتيال « بطرس غالى » .

ورغم انه كان يعتبر فى منزلة رئيس هذه الجمعية الفدائية السرية ، الا أنه عند تنفيذ حكم الاعدام فيه ، أصيب الشهيد « شفيق منصور » بالانهيار وخذلته قواه ..

٣ ـ كان ثالث المحكوم عليهم هو « ابراهيم موسى » ـ من عمال العنابر ـ وكان قد بدأ الانضمام للعمل الفدائى ضد الانجليز منذ بداية ثورة ١٩١٩ حيث كانت له سمعة أسطورية بين العمال فقد كان زعيمهم منذ سنة ١٩١٤ مشهورا بشجاعته وجرأته . وكان أمينا لصندوق نقابة العمال ..

وعند تنفيذ حكم الاعدام فيه ظهر قويا متماسكا حيث اختتم كلامه قائلا : « أنا قلبى مطمئن بالاسلام » ..

٤ ـ ثم جئ بالفدائى « على ابراهيم محمد » ـ وهو (براد) بالعنابر من أتباع « ابراهيم موسى » ـ وكان أحد أعضاء « الجمعية الفدائية المصرية » ، وكان عند تنفيذ حكم الاعدام فيه ثابتا وشجاعا ، ولم ينطق الا بالشهادتين وظل يحرك شفتيه بتلاوة القرآن الكريم ..

٥ ـ وكان خامسهم هو « راغب حسن » ، الذى أصابه الانهيار بعض الشئ خاصة عندما تذكر ابنه الذى كان عاملا بورشة التليفونات وشقيق « أحمد حسن » ..

٦ ـ ثم جئ بالشهيد « محمود راشد » الذى كان صديقا لـ «عبد الخالق عنايت» شقيق الأخوين « عبد الفتاح وعبد الحميد عنايت» .

وكان « محمود راشد » من دعاة الجامعة الاسلامية ومن المناضلين القدامى أحد خريجي مدرسة الصنايع وكان « رساما » بمصلحة التنظيم ، بدأ حياته السياسية منذ سنة ١٩٢٠ عندما انضم الى (جمعية الفدائيين المصريين) وضبطت وقتها فى منزله قنابل ومسدسات ـ تحمل شقيقه الأصغر مسئوليتها حيث سجن بدلا منه سنة ١٩٢٠ ، وكان « محمود راشد » ماهرا فى تصنيع الأسلحة والقنابل وكان يقوم باصلاح وصيانة أسلحة الفدائيين ، كما كان متخصصا فى أساليب توصيل المعدات والأسلحة وتهريبها فى عربات يخترق بها شوارع القاهرة وكان غالبا ما ينجح فى القيام بتهريب هذه الأسلحة وأفراد الجمعية حتى مسرح العمليات الفدائية ..

وعند توجهه الى حبل المشنقة ، كان الشهيد « محمود راشد » فى غاية الهدوء والثبات والابتسامة على شفتيه حيث عندما تلى عليه حكم الاعدام ، قال مبتسما : « أنا لم أتفق على قتل أحد ولم أقصد الا ابتغاء وجه الله الكريم » ، ثم نطق بالشهادتين وقال : « الحمد لله رب العالمين ، انا لله وانا اليه راجعون » ..

٧ ـ ثم سيق « محمود اسماعيل » الى حبل المشنقة ـ الذى كان يعمل « كاتبا » بوزارة الأوقاف ـ حصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩١٤ حيث فشل فى الحصول على وظيفة بهذه الشهادة فالتحق بمدرسة البحرية التابعة لمصلحة خفر السواحل وبعد تخرجه منها عين بها حيث تعلم الفنون البحرية واجتاز فيها امتحان ضرب النار بامتياز حيث كان أول الناجحين فعين على الباخرة « الطوافة عبد المنعم » التى كانت بقيادة ضابط انجليزى ، وتشاجر « محمود اسماعيل » مع « قومندان » الباخرة عدة مرات ، وكان هذا القومندان مستبدا فأوقف « محمود اسماعيل » عن العمل عدة مرات ، وانتقل « محمود اسماعيل » بعد ذلك للعمل فى الأسطول البريطانى سنة ١٩١٤ ـ أثناء الحرب العالمية الأولى فكان يعمل متحمسا للدولة العثمانية ومتحيزا لتركيا أملا فى الانتصار على الحلفاء ، فعندما رفض العمل فى خدمة البحرية البريطانية عوقب بالجلد ثلاثة أيام متتالية فتأصلت فى نفسه الكراهية للانجليز وتم طرده من هذا العمل فى ١٨ مارس ١٩١٥ ، ثم عين بوظيفة « مخزنجى » بوزارة الأوقاف فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٦ ونقل الى مديرية البحيرة « كاتب ظهورات » ثم عين أخيرا كاتبا بسكرتارية مجلس الوزراء بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٢٠ ..

تم التعارف بين « محمود اسماعيل » و « شفيق منصور » الذى كان رئيسا لجمعية الفدائيين المصريين ، وصار « محمود اسماعيل » نائبا

لرئيس الجمعية » حيث كان هو المختص برسم الخطط كما كان يقوم بتدريب أعضاء الجمعية على استخدام الأسلحة والقنابل وكان قوى الشخصية وله الفضل فى انضمام « عبد الحميد عنايت » للحركة الوطنية ممثلة فى جمعية الفدائيين فكان هو « دينامو » الجمعية ٠٠

واتجه « محمود اسماعيل » الى حبل المشنقة ثابتا رابط الجأش وقال : « أنا مش عاوز حاجة وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وأشهد أنى مصرى وطنى وبرىء » ٠٠

وكان آخر من تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم ٠

وفى هذا اليوم المشئوم٠٠يوم تنفيذ أحكام الاعدام فى شهداء الوطنية المصرية ، اعتكف « سعد زغلول » فى منزله ولم يغادر غرفة نومه ولم يستقبل أحدا من ضيوفه ، فقد كان فى غاية الاستياء من « شفيق منصور » لأنه اعترف على أعضاء التنظيم السرى للوفد أثناء ادلائه بأقواله فى التحقيقات وفى المحاكمة ٠٠

فقد جاء فى مذكرات « سعد زغلول » التى دونها عن يوم تنفيذ أحكام الاعدام فى هؤلاء الشهداء ٠٠ حيث قال :

« فى يوم ٢٣ الجارى ــ أى أغسطس ١٩٢٥ ــ فى الساعة السابعة »
« صباحا ، نفذ حكم الاعدام فى المحكوم عليهم فى قضية السردار ، »
« الا « عبد الفتاح عنايت » حيث استبدلت عقوبة الاعدام بالأشغال »
« الشاقة المؤبدة لاعترافه من تلقاء نفسه على زملائه ، ولقد أبدى »
« المنفذ فيهم الحكم ثباتا عظيما الا شفيق منصور ، أما « ابراهيم »
« موسى » فقد قال : (انه حكم على لأننى « سعدى » ولكننى سعدى »
« الى الممات ثم هتف (يحيا سعد) » ٠٠٠

« وأعجب الناس بشجاعة « محمود اسماعيل » وثباته واستخفافه »
« بالموت حتى اللحظة الأخيرة ومثله « محمود راشد » ثم الباقين » ٠
« وأثناء التحقيق والتعذيب اعترف « عبد الفتاح عنايت » على نفسه »
« وعلى أخيه وعلى « شفيق منصور » والآخرين وجاء فى أقواله فى »
« التحقيق : (كان لنا أمل كبير فى نجاح المفاوضات ولما فشلت »
« يئسنا فاجتمعنا بمكتب الأستاذ شفيق منصور وتناقشنا فى »

« الموضوع وقال أحدنا : انه مفيش طريقة بقى غير القتل السياسى »
« بما ان المسألة أصبحت معقدة خصوصا من جهة السودان حيث »
« أخرجوا فعلا جزءا من الجيش المصرى ، واتجهت الفكرة الى اغتيال »
« السردار فارتاحت النفوس لهذه الفكرة وتم الاتفاق عليها ثم »
« أرجأنا الكلام فى التفصيلات الى اجتماع آخر) » ..

تأجيل انعقاد البرلمان شهرا :

فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، استصدرت وزارة « زيور باشا » مرسوما ملكيا بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا ..

تعيين « اسماعيل صدقى باشا » وزيرا للداخلية :

فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، عين « اسماعيل صدقى باشا » وزيرا للداخلية ، وكان من أقطاب حزب الوفد « سابقا » ولكنه انشق عن الحزب وأصبح من أعداء « سعد زغلول » حيث شارك المنشقين عن الوفد فى سياسة « زيور باشا » بالتسليم الكامل لمطالب الانجليز وكان من أخطر هذه المطالب هو حل مجلس النواب وسياسة فصل السودان عن مصر ..

حل مجلس النواب :

قبل أن تنتهى مهلة الشهر بتأجيل انعقاد مجلس النواب، استصدرت وزارة « زيور باشا » — فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ — مرسوما ملكيا بحل مجلس النواب وتحديد يوم ٦ مارس ١٩٢٥ لانعقاد المجلس الجديد ، فكان هذا التصرف من جانب الوزارة يعتبر استهانة بالدستور وانتهاكا له ، حيث استصدرت الوزارة مرسوما ملكيا آخر باجراء الانتخابات لتشكيل مجلس نواب جديد وفقا لنصوص قانون الانتخابات القديم — الملغى دستوريا — وبذلك جهزت الحكومة نفسها لاستخدام أساليب الضغط والتدخل فى حرية الانتخابات التى تقرر اجراؤها ..

تأسيس « حزب الاتحاد » .... (يناير ١٩٢٥) :

فى شهر يناير ١٩٢٥ ، فوجئت الأمة المصرية بظهور حزب جديد — وليد الارادة الملكية — تكون من مجموعة من المنشقين الذين انفصلوا عن حزب الوفد ، وكان رئيسه — بالانابة — « حسن نشأت باشا » (وكيل

الديوان الملكى) حيث كانت وسيلة دعايته أنه حزب يدين بالولاء للعرش الملكى ، وصار اختيار « يحيى ابراهيم باشا » رئيسا لهذا الحزب ..

كان معظم أعضاء هذا الحزب الجديد يتصفون بالوصولية والانتهازية حيث أعلنوا استقالاتهم من عضوياتهم بالهيئة العليا لحزب الوفد تقربا للسراى الملكية ، فكان منهم اللواء « موسى فؤاد باشا » و « خيرت راضى بك » ـ المحامى الشرعى ـ و « عبد الحليم البيلى » المحامى الوفدى ، وقد كان أبرزهم انتهازية هو « محمد سعيد باشا » ـ الذى كان وزيرا فى وزارة « سعد زغلول » ..

وأعلن هؤلاء المنشقون الانتهازيون أنهم استقالوا من حزب الوفد لعدم ولاء « سعد زغلول » للعرش الملكى ، وقد أتبعوا تكوين حزبهم الجديد بتأسيس جريدة له سميت باسمه « الاتحاد » حيث أسندت رئاسة تحريرها الى « عبد الحليم البيلى » المحامى ..

انتخابات البرلمان الجديد (٢٧٨) .. (١٩٢٥) :

استخدم « اسماعيل صدقى » ـ الذى عين وزيرا للداخلية ـ كل ذكائه وحيلته لتزوير نتائج هذه الانتخابات من تعديل فى معظم الدوائر الانتخابية ، بتسخير الحكومة لموظفيها ـ خاصة وزارة الداخلية ـ من رجال البوليس العسكريين والمدنيين ، لمطاردة خصوم الحكومة ومناصرة مرشحيها فى الانتخابات ..

واشتركت فى هذه الانتخابات أحزاب : « الوفد » و «الأحرار الدستوريين » الى جانب الحزب الجديد « الاتحاد » ، وأجريت الانتخابات فى اليوم الثانى عشر من مارس ١٩٢٥ ، وتعجلت الحكومة ـ متعمدة ـ باعلان نتيجة هذه الانتخابات فى اليوم التالى لاجرائها ـ ١٣ مارس ١٩٢٥ ـ بأن : « الأحزاب المعارضة لم تنل الأغلبية لأى منها التى تؤهله لتولى الحكم ، وبناء عليه فقد قررت الوزارة الاستمرار فى الحكم مع اجراء تعديل فى تشكيلها » ..

---

(٢٧٧) يرجع السبب الحقيقى لاستقالة « محمد سعيد باشا » من حزب الوفد ، لخوفه على علاقته بالقصر الملكى حيث كان قيما على الأمير « أحمد سيف الدين » ، واشتهر عنه تبديده لأموال الأمير وكان القصر الملكى هو المرجع الاعلى لمحاسبته على هذه الأموال ..

« فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ الأستاذ الرافعى ١٩٧٨ ـ ص ٣٦٩ .

(٢٧٨) المرجع السابق ـ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

ولكن كانت الحقيقة تنطق بغير ذلك ، اذ أن نتيجة الانتخابات كانت في حقيقتها لصالح الأغلبية الوفدية المتمثلة في « حزب الوفد » حيث حصل على ١١٦ مقعدا في مقابل ٨٧ مقعدا لغير الوفديين من الأحزاب الثلاثة الأخرى ..

استقالة وزارة « زيور باشا » وتأليفه الوزارة الجديدة ... (١٣ مارس ١٩٢٥) :

رفع « زيور باشا » استقالته للملك يوم ١٣ مارس ١٩٢٥ ، فعهد اليه الملك بتأليف الوزارة الجديدة ــ استنادا الى الاعلان الخاطيء لنتيجة الانتخابات المزورة ــ وضم التشكيل الوزارى الجديد ــ كل من : « زيور باشا » (مستقل) لرئاسة الوزارة ووزيرا للخارجية ، « يحيى ابراهيم » (اتحادى) للمالية ، « اسماعيل صدقى » (أحرار) للداخلية اللواء « موسى فؤاد » (اتحادى) للحربية والبحرية ، « عبد العزيز فهمى » (أحرار) للحقانية ، « توفيق دوس » (أحرار) للزراعة ، « اسماعيل سرى » (مستقل) للأشغال ، « يوسف قطاوى » (اتحادى) للمعارف ، « محمد على علوبة » (أحرار) للاوقاف ..

حل مجلس النواب .. الجديد (٢٧٩) ... (٢٣ مارس ١٩٢٥) :

بعد افتتاح البرلمان يوم ٢٣ مارس ١٩٢٥ ــ وبعد تلاوة خطاب العرش ــ اجتمع المجلس لاجراء انتخاب رئيس له حيث جرى ذلك بطريقة التصويت السرى ــ وكان محصورا بين « سعد زغلول باشا » (زعيم الأغلبية فى حقيقة الأمر)و « عبد الخالق ثروت باشا » (مرشح الوزارة)، وفاز « سعد زغلول » حيث نال ١٢٣ صوتا ونال « ثروت باشا » ٨٥ صوتا فقط ..

واسقط فى يد الحكومة ، وقبل انصراف أعضاء مجلس النواب ، حضر « زيور باشا » ــ رئيس الوزراء ــ وأعلن على المجتمعين أن جلالة الملك أصدر مرسوما ملكيا يقضى بحل المجلس ويدعوه لاجراء انتخابات جديدة يوم ١٣ مايو ١٩٢٥ وأن مجلس النواب الجديد سيجتمع فى يوم أول يونيه ١٩٢٥ ..

ورغم ذلك ، لم يستمر هذا المجلس ــ الجديد ــ سوى تسع ساعات فقط . !!

---

(٢٧٩) « فى اعقاب ثورة ١٩١٩ » ــ للاستاذ الرافعى ــ طبعة ١٩٨٧ .

وبذلك استمرت البـلاد تحـكم حكما غير دستورى فى ظل وزارة « زيور باشا » ٠

استقالة اللورد « اللنبى » وتعيين « جـورج لويد » مندوبا ساميا مايو ١٩٢٥ (٢٨٠) :

فى شهر مايو ١٩٢٥ ، استقال اللورد « اللنبى » من منصب المندوب السامى البريطانى حيث عين بدلا منه اللورد « جورج لويد » ، وأعلنت الحكومة البريطانية أن هذا التغيير لا يعنى أى تبديل فى سياساتها خاصه فى علاقاتها بمصر والسودان ٠٠

التعـــديل الوزارى (٢٨١) :

فى نفس الشهر – مايو ١٩٢٥ – استقال « يوسف قطاوى » (وزير المواصلات) ، وفى حقيقة الأمر أنها كانت « اقالة » وليست استقالة ، حيث قام بتهنئة « سعد زغلول باشا » بمناسبة العيد ، فأشير عليه بتقديم استقالته وعين بدلا منه « حلمى عيسى باشا » يوم ٦ مايو ١٩٢٥ – وقد كان ذلك بايعاز وتوجيه من السراى التى تخلصت أيضا من « عبد العزيز فهمى » لتصـــديه ومعــارضته لعزل الأستاذ / على عبد الرازق من هيئة كبار العلماء – لتأليفه كتاب « الاسلام وأصل الحكم » لمعــارضته لفكرة الخلافة الاسلامية والتى كان يطمع فيها « الملك فؤاد » ٠٠

وتبع ذلك أن قام الوزيران « الدستوريان » – « محمد على علوبة » و « توفيق دوس » – بالاستقالة من منصبيهما ، وعين بدلا من الثـلاثة الوزراء المستقيلين كل من : « أحمد ذو الفقار » (للحقانية) و « توفيق رفعت » (للمواصلات) و « نخلة المطيعى » (للزراعة) ، وعلى أثر ذلك قدم « اسماعيل صدقى باشا » استقالته من منصبه كوزير للداخلية ، وانضم هؤلاء الوزراء الجدد الى « حزب الاتحاد » الموالى للسراى ٠٠

وهكذا تمادت وزارة « أحمد زيور باشا » فى تصرفاتها المخالفة للدستور مدعمة بالتدخلات الملكية ٠٠

تعيين مستشار قضائى – بريطانى – للحقانية :

أمعنت السلطات البريطانية فى سياستها بالتـدخل فى الشئون الداخلية لمصر ، عودة الى سياساتها التى كانت تمارسها قبل ثورة ١٩١٩ ،

---

(٢٨٠) المصدر السابق – ص ٢٨١ ٠

(٢٨١) المصدر السابق – ص ٢٨٣ ٠

حيث أرغمت « زيور باشا » على تعيين « مستر برسيفال » ـ البريطانى ـ مستشارا قضائيا لوزارة الحقانية فى مايو ١٩٢٥ ، رغم سابقة رفض « سعد زغلول باشا » ـ فى عهد وزارته ـ تجديد عقد المستشارين القضائى والمالى ـ البريطانيين ٠٠

وصول المندوب السامى البريطانى الجديد الى مصر والمبالغة فى استقباله (٢٨٢) :

وصل اللورد « جورج لويد » ـ المندوب السامى البريطانى الجديد ـ الى مصر فى أكتوبر ١٩٢٥ ، فقامت السلطات المصرية بالمبالغة فى استقباله بمستوى الاستقبالات الملكية حيث فتح له الباب الملكى بمحطة مصر التى فرشت أرصفتها وساحتها بالأبسطة الحمراء الفاخرة كما افترشت أرض الشوارع التى سار بها الموكب بالرمال ٠٠

وامعانا من جانب السلطات البريطانية فى تحديها وامتهانها للسيادة المصرية ، تعمد هذا المندوب السامى البريطانى الجديد اهانة المصريين بعدم تقديم أوراق اعتماده الى ملك مصر طبقا لما استقر عليه العرف الدولى مما يعد عودة بالبلاد الى حالة التبعية كما كان الحال قبل اعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ ٠

رغم كل ذلك ، فقد أقيم لهذا المندوب السامى البريطانى حفل تكريم يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥ فى فندق « كونتيننتال » ـ بميدان « ابراهيم باشا ـ الأوبرا) ، حضره لفيف من كبار المصريين رغم علمهم بتحديه السافر لسيادة البلاد بتعمده عدم تقديم أوراق اعتماده الى ملك مصر ٠

قانون الجمعيات والهيئات السياسية :

فى ٢٧ أكتوبر ١٩٢٥ ـ فى غيبة من الدستور ـ استصدرت وزارة « أحمد زيور باشا مرسوما ملكيا بقانون، سمى بقانون الجمعيات والهيئات السياسية حيث جعل هذا القانون تلك الجمعيات والهيئات تحت السيطرة الكاملة للحكومة وتحت رحمتها اذ خول هذا القانون للحكومة الحق فى حلها وقتما أرادت ، فقد كان منه هو الغاء نشاط ودور الأحزاب السياسية فى البلاد خاصة وعلى رأسها حزب الأغلبية (الوفد) ٠٠

---

(٢٨٢) المصدر السابق ـ من ص ٢٨٥ حتى ص ٢٨٩ ٠

السخط الشعبى فى آخر عام ١٩٢٥ :

منذ أن صدر المرسوم الملكى بحل البرلمان فى ديسمبر ١٩٢٤ ، قامت الصحافة المصرية بدورها الوطنى كاملا بتبصير الشعب وتحذيره من سياسة الحكومة المتمادية فى ارضاء السلطات البريطانية على حساب المكاسب الشعبية وعلى رأسها الحياة النيابية الدستورية ، وفى غيبة من البرلمان استمرت الحكومة فى تماديها فى التنكيل بخصومها وقامت باصدار القوانين المخالفة للدستور ..

واشتدت الحملة الصحفية خاصة عندما حل ميعاد اجراء الانتخابات لانعقاد مجلس النواب الجديد ــ الذى وعد به ونص عليه المرسوم الملكى ــ فى ٦ مارس ١٩٢٥ ..

ففى ٨ نوفمبر ١٩٢٥ ، ظهر مقال فى جريدة « الأخبار » (٢٨٣) تحت عنوان :

« الدستور يحتم اجتماع البرلمان فى يوم السبت الثالث من شهر »
« نوفمبر على أساس بطلان مرسوم حل مجلس النواب وأن هذا »
« المجلس المنحل موجود قانونا ودستوريا ويجب اجتماعه » ..

وأيضا فى اليوم التالى ــ ٩ نوفمبر ١٩٢٥ ــ ظهر مقال آخر جاء به :

« ان رئيسى مجلس الشيوخ والنواب مطالبان بدعوة أعضاء البرلمان »
« للاجتماع فى يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ تنفيذا للمادة ٩٦ من »
« الدستور » ..

وكذلك فى ١٠ نوفمبر ١٩٢٥ ، ظهر مقال آخر تحت عنوان :

« ليس الدستور قصاصة ورق ، ومرسوم حل مجلس النواب »
« باطل لأن الوزارة امتنعت عن تنفيذ أحكامه الأساسية وخالفت »
« نصوص الدستور » ..

وفى ١٢ نوفمبر ١٩٢٥ ، سطر مقال آخر جاء به :

« اذا لم ندافع عن الدستور سوف تستمر الوزارة فى الاعتداء عليه » ، وكرر المقال الدعوة الى وجوب انعقاد البرلمان من تلقاء نفسه يوم ٢١ نوفمبر .

---

(٢٨٣) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ــ « للاستاذ الرافعى ــ طبعة ١٩٨٧ ــ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

استجابة الأحزاب لدعوة انعقاد البرلمان ـ من تلقاء نفسه ـ :

على اثر هذه الحملة الصحفية ، سرعان ما استجابت الأحزاب للدعوة المتوالية المنادية بضرورة وحتمية اجتماع البرلمان ـ من تلقاء نفسه ـ يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، حيث اجتمع أعضاء البرلمان بمجلسيه فى الساعة العاشرة صباح ذلك اليوم ، وكانت قد انهالت رسائل التأييد الشعبى مؤيدة لنداءات الصحافة والاستجابة لها ٠٠

تصرفات وزارة « أحمد زيور باشا » ازاء هذه الدعوة :

فى مواجهة هذا التأييد الشعبى الجارف ـ لنداءات الصحافة واستجابة البرلمان ـ كان أن أصدرت وزارة « أحمد زيور باشا » **ثلاثة بلاغات رسمية هى :**

١ ـ **البلاغ الأول :** بأن الوزارة قررت منع اجتماع البرلمان ـ من تلقاء نفسه ـ داخل مبنى البرلمان أو فى أى مكان آخر لأن هذا الاجتماع غير مشروع ، محذرة بأن المنع سيكون باستخدام القوة اذا لزم الأمر ٠

٢ ـ **البلاغ الثانى :** بأن وزارة الداخلية تعلن جماهير الشعب بأنها اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة لتنفيذ عدم اجتماع البرلمان ، وبأن الحكومة أصدرت أوامرها الى الجيش بالمحافظة على مبنى دار البرلمان، كما هددت باطلاق النار فى حالة التهجم من جانب أفراد الشعب على الجنود والقاء القبض على المشاغبين ٠

٣ ـ **البلاغ الثالث :** بأن وزارة المعارف تحذر الطلبة فى الجامعات والمعاهد والمدارس من التظاهر حيث توعدت بتوقيع العقاب الشديد ضد المضربين أو المتظاهرين ٠

تحدى الحكومة للشعور الوطنى (٢٨٤) :

فى مساء ٢٠ نوفمبر ١٩٢٥ ، أصدرت حكومة « زيور باشا » أوامرها بتوزيع قوات الجيش المصرى فى الشوارع المؤدية الى مبنى البرلمان وكذلك حول المبنى نفسه بل وبداخل مبنى البرلمان شاهرة أسلحتها حيث

---

(٢٨٤) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ طبعة ١٩٨٧ ـ ص ٢٩٩ ٠

أحاطت بجميع الشوارع المحيطة بالبرلمان حتى صار مبنى البرلمان شبيها بالقلعة الحصينة لا يمكن الدخول اليه أو مجرد الاقتراب منه الا بالالتحام مع هذه القوات ..

ولما رأى أعضاء البرلمان من النواب والشيوخ ذلك واستحالة اجتماعهم فى دار البرلمان ، أجمعوا آراءهم فى مساء يوم الجمعة ٢٠ نوفمبر ١٩٢٥ على أن يعقدوا اجتماعهم بفندق الكونتيننتال يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ .

اجتماع أعضاء البرلمان (٢٨٥) .. (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) :

سارع أعضاء البرلمان بمجلسيه ـ الشيوخ والنواب ـ بالتوجه الى فندق الكونتيننتال منذ الساعة التاسعة صباحا يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، وتجمعوا حيث امتلأت بهم الردهة الكبرى بالفندق ، وفى نفس الوقت سارعت جموع الشعب بالتجمع محتشدين أمام الفندق يحيون الشيوخ والنواب معلنين تأييدهم لهم ..

وكان « أحمد زيور باشا » ـ رئيس الوزراء ـ مقيما كعادته فى نفس الفندق ، فنزل من غرفته ليغادر الفندق متجها الى مقر رئاسة مجلس الوزراء ، وكانت ردهة الفندق تعج بأعضاء البرلمان ـ الشيوخ والنواب ـ حيث مر زيور باشا من وسطهم بجثته البدينة الضخمة ونظراته الشاردة وفى سذاجة بالغة قام بتحية ممثلى الأمة ـ أعضاء البرلمان ـ التحية العادية ، وكأنه لا يلقى بالا الى هذا الاجتماع وغادر الفندق وسط هتافات الجموع المحتشدة حول الفندق ـ المؤيدة لأعضاء البرلمان ـ حيث كانوا يرددون فى هتافاتهم : « نريد الدستور » ، « احترموا الدستور » ، « استقيلوا » ، ولم يلق « زيور باشا » بالا لهذه الهتافات وتابع سيره الى مقر مجلس الوزراء وكأن كل شىء هادىء حوله .

قرارات اجتماع البرلمان ..

عقد البرلمان بمجلسيه برئاسة « سعد زغلول » ـ زعيم الأغلبية البرلمانية ـ وأصدر بالاجماع القرارات التالية :

---

(٢٨٥) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للاستاذ الرافعى ـ طبعة ١٩٨٧ ـ من ص ٢٩٥ حتى ص ٣٠٥ .

أولا : الاحتجاج على تصرفات وزارة « أحمد زيور باشا » المخالفة للدستور، وعلى منع أعضاء البرلمان من الاجتماع فى دار البرلمان بقوة السلاح .

ثانيا : قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة طبقا للمادة (٦٥) (٢٨٦) من الدستور .

ثالثا : اعتبار دور الانعقاد للبرلمان بمجلسيه قانونيا واستمرار الاجتماع فى المواعيد والأماكن التى يتفق عليها الأعضاء .

رابعا : نشر هذه القرارات فى جميع الصحف .

ووقع جميع أعضاء البرلمان - بمجلسيه - على هذه القرارات ، حيث كان أول الموقعين عليها « سعد باشا » - نائب السيدة زينب - وتلاه فى التوقيع النائب « محمد بك شوقى الخطيب » - عضو مجلس النواب عن دائرة (السنطة) بمديرية الغربية - وتبعهما فى التوقيع باقى الأعضاء .

وبعد أن انتهى التوقيع من الجميع على هذه القرارات ، انسحب الأعضاء الشيوخ الى قاعة جانبية بالفندق ، وبقى الأعضاء النواب بالقاعدة الرئيسية حيث عقدوا جلسة برئاسة « سعد زغلول » ، وأعلن الرئيس افتتاح جلسة مجلس النواب وتم انتخاب المجلس - بالاجماع - لكل من :

- « سعد زغلول » ، رئيسا لمجلس النواب .

- « محمد محمود باشا ، الدكتور / عبد الحميد سعيد » - وكيلين - الأول ممثلا لحزب (الأحرار الدستوريين) والثانى ممثلا «للحزب الوطنى » .

- « الأستاذ / ويصا واصف » و « الأستاذ / على الشمسى » و « الأستاذ / عبد الجليل أبو سمرة » و « الأستاذ / أحمد عبد الغفار » - لسكرتارية المجلس .

- « الأستاذ / على حسين » و « الأستاذ / محمد شوقى الخطيب » و « الأستاذ / عبد الحميد رضوان » - مراقبين .

تأييد « أمراء » العائلة المالكة .. لمطالب الشعب .. (٢٣ نوفمبر ١٩٢٥) :

فى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٥ ، اجتمع بعض أمراء العائلة المالكة وبعد تشاورهم فيما بينهم حرروا التماسا رفعوه الى « الملك فؤاد » يعلنون فيه

---

(٢٨٦) نصت المادة (٦٥) من الدستور على : « اذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة وجب عليها أن تستقيل » .

تأييدهم لمطالب « المؤسسة الوطنية » المتمثلة فى نواب الشعب الذين اجتمعوا فى فندق الكونتننتال يوم ٢١ نوفمبر ، وطلب الأمراء فى التماسهم اعادة الحياة النيابية الى البلاد طبقا لنصوص الدستور ..

وفى نفس الوقت انهالت الشكاوى من كافة أفراد الشعب بمختلف طبقاته وطوائفه على القصر الملكى يعلنون استنكارهم من تدخل السراى فى شئون الحكم وتعطيل الحياة الدستورية النيابية ..

الا أنه – ورغم كل ذلك – تمادت وزارة « أحمد زيور باشا » فى تصرفاتها الاستفزازية الغير دستورية ..



استمرار الوزارة فى تحديها للشعور الوطنى وللرأى العام :

أرادت وزارة « أحمد زيور باشا » ايهام الرأى العام بأنها باقية فى الحكم فقامت – فى مجال تحديها للرأى العام وللشعور الوطنى – فاستصدرت مرسوما ملكيا فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٥ ، أجريت بموجبه بعض التعديلات فى المناصب الوزارية حيث تضمنت نقل « حلمى عيسى باشا » الى وزارة المواصلات و « محمد توفيق رفعت باشا » الى وزارة الأوقاف ، وتولى « أحمد زيور باشا » وزارتى الخارجية والداخلية الى جانب رئاسته لمجلس الوزراء ..

وعقب انتهاء اجراءات هذا التعديل الوزارى ، قام « زيور باشا » بالادلاء بتصريح فى حديث له للصحافة أعلن فيه : « أن الوزارة باقية وأن قرارات الأحزاب لا قيمة لها من الوجهة الدستورية » ..

ولم تقف وزارة « زيور باشا »عند هذا الحد من التحدى والاستفزاز للشعور الوطنى وللرأى العام ، حيث أصدرت الوزارة – فى ٨ ديسمبر ١٩٢٥ – مرسوما بتعديل قانون الانتخابات بتضييق الخناق وتقييد حق الترشيح فى الانتخابات بأن جعلته مرة أخرى على درجتين واشترطت فيه شروطا مالية للمندوبين عن المرشحين فى الانتخابات ، هادفة بذلك الى ايهام الرأى العام الشعبى بأن الوزارة تمهد لاجراء انتخابات جديدة .

الاستسلام للانجليز .. بالتوقيع على اتفاقية « جغبوب » .. (٦ ديسمبر ١٩٢٥) :

أمعنت الوزارة فى تصرفاتها المخالفة للدستور بخضوعها لطلب الانجليز بالتوقيع على اتفاقية سلمت بموجبها « واحة جغبوب » المصرية الى الحكومة الايطالية ، وتم ذلك فى غيبة البرلمان ودون تصديق منه على هذه الاتفاقية ..

احتجاج الأحزاب على الاتفاقية :

قامت الأحزاب – منفردة – باعلان احتجاجها على توقيع هذه الاتفاقية فى غيبة البرلمان وتسلم « واحة جغبوب » للحكومة الايطالية ، وقام الشعب فى المدن والعمد فى الأقاليم بالاضراب عن تنفيذ قانون الانتخابات الجديد ، فقامت الحكومة بواسطة سلطاتها الادارية بالقبض على كثير منهم وقدموا للمحاكمة .

التحالف الثلاثى – بين :

« الملك فؤاد » ، « طبقة المستوزرين » ، « السلطات البريطانية » « ضد الرأى العام والشعور الوطنى » :

منذ أن وقع الاختيار على « أحمد زيور باشا » ليتولى منصب رئيس الوزراء – والذى كان اختيارا متمشيا ومنفذا للسياسة البريطانية ومخططاتها الاستعمارية بالسيطرة والتحكم فى حياة الشعب المصرى ومقدراته – حيث بدأت هذه الوزارة نشاطها بالعمل على التخلص من الحياة الدستورية المتمثلة فى حكم البلاد حكما نيابيا بتأجيل اجتماع البرلمان – بمجلسيه النواب والشيوخ – ثم استصدار المرسوم الملكى بحل هذا البرلمان وقعه « الملك فؤاد » ، وذلك لما تسببت فيه الحياة الدستورية من انزعاج للسلطات البريطانية ..

ففى غيبة الحياة الدستورية متمثلة فى غيبة البرلمان ، تظاهرت السلطات البريطانية بالغفلة عن تصرفات « الملك فؤاد » – المعادية للدستور – حيث أصبح التعدى على الدستور يعتبر صادرا من الملك والوزارة ، حيث لعبت شخصية « زيور باشا » – المتسمة بالذكاء والمتظاهرة بالبلاهة والبلادة – دورها ببراعة لصالح السياسة البريطانية ومشجعة للملك فؤاد فى هذا المجال وذلك تحت ستار ما اتخذه « زيور باشا » من شعار اشتهر به – فى هذه الفترة – وهو : « انقاذ ما يمكن انقاذه » ..

واستمرت السلطات البريطانية فى تظاهرها بتغافلها – المؤقت – عن ممارسات الملك فؤاد بتدخله فى شئون الحكم متصورا انفراده بحكم البلاد ومعاداته للمؤسسة الوطنية بأحزابها وعلى رأسها « حزب الوفد » – حزب الأغلبية – وزعيمه « سعد زغلول » ، وكذلك تمادى وزارة « أحمد زيور » فى تنكيلها وانتقامها من حزب الوفد وأحزاب المعارضة والمناصرين للأحزاب جميعها من موظفين ورجال ادارة وعمد ومشايخ ..

وعندما شعرت (٢٨٧) بريطانيا بتفاقم السخط الشعبي وتبرمه من رمز السلطة البريطانية المتمثل في « المندوب السامي البريطاني » ، قامت الحكومة البريطانية بانهاء مهمة مندوبها السامي « اللورد اللنبي » واستبدلته بمندوب سام جديد هو « اللورد جورج لويد » وذلك كمحاولة لتهدئة هذا السخط الشعبي ..

استطاعت بذلك الحكومة البريطانية تحويل السخط الشعبي ضدها بتوجيه هذا السخط ضد الملك فؤاد ووزارة « أحمد زيور باشا » ، خاصة حين واتت الفرصة للحكومة البريطانية ــ استمرارا لألاعيبها السياسية ــ بالتدخل والتوسط للملك فؤاد واملائها عليه باقالة « حسن نشأت باشا » ــ رئيس الديوان الملكي ــ لاستفحال نفوذه بتدخلاته في شئون الحكم والدولة مما أدى الى تعدد الاحتجاجات من كافة الأحزاب وطبقات الشعب المصري وطوائفه ، فأوعزت الحكومة البريطانية الى مندوبها السامي « اللورد جورج لويد » بالتدخل ــ كمحاولة للتودد للأمة ــ وذلك بأن يملي على الملك فؤاد باقالة « حسين نشأت باشا » من منصبه بالقصر كرئيس للديوان الملكي ونقله الى السلك السياسي وفي نفس الوقت كان ذلك تصرفا لاشعار الملك فؤاد وزيور باشا بحجمهما الحقيقي في تعاملهما مع السلطة البريطانية ..

فكانت هذه الاقالة بمثابة سقوط « حزب الاتحاد » وبالتالي سقوط وزارة « أحمد زيور باشا » ، حيث كان « نشأت باشا » أهم شخصية في تشكيل هذا الحزب ، وقد قوبل هذا الاقصاء لـ « نشأت باشا » بالابتهاج والارتياح من جانب الرأى العام ..

وقد ساعدت ظروف البلاد ، وما مهد له «المندوب السامي البريطاني» الجديد باتباع سياسة التظاهر أحيانا بالوقوف الى جانب الرأى العام ــ بعد التحديات المتكررة من وزارة « زيور باشا» ــ وبعد نجاح المؤسسة الوطنية في مواجهة هذه التحديات بالتحدى الأقوى وذلك بصدور القرارات من الاجتماع البرلماني بمجلسيه الذى انعقد من تلقاء نفسه اعمالا لنصوص الدستور واستجابة لنداءات الصحافة التى أيدتها طوائف الشعب ..

كان لكل ذلك أبلغ الأثر في تشجيع الأحزاب المعارضة للتآلف مع حزب الوفد صاحب الأغلبية ..

---

(٢٨٧) « في أعقاب ثورة ١٩١٩ » ــ للأستاذ الرافعي ــ طبعة ١٩٨٧ ــ من ص ٣١٠ حتى ص ٣١٦ .

تشكيل .. « لجنة الأحزاب المؤتلفة » (٢٨٨) .. (يناير ١٩٢٦) :

في يناير ١٩٢٦ تشكلت « لجنة الأحزاب المؤتلفة » المكونة من الأحزاب المعارضة وحزب الأغلبية (الوفد) ومنها تكونت « لجنة تنفيذية » مهمتها تنظيم الجهود وتدعيم الائتلاف بهدف الوقوف في مواجهة وزارة « زيور باشا » والالتفاف حولها ، وعقدت اللجنة مؤتمرا وطنيا للتصدي لدعوة الوزارة الى اجراء انتخابات جديدة ـ طبقا لمخططاتها ـ لتزييف وتزوير هذه الانتخابات ، حيث قررت الأحزاب بالاجماع مقاطعة هذه الانتخابات التي كانت ستجرى طبقا للقانون الجديد الذي فصلته الوزارة ..

تراجع الحكومة واصدارها مرسوما باجراء الانتخابات :

وازاء تصميم « لجنة الأحزاب المؤتلفة » على مقاطعة الانتخابات على أساس القانون الجديد الذي أصدرته حكومة « زيور باشا » مفصلا لخدمة سياستها وأهدافها ، قامت الحكومة باصدار قرار مجلس الوزراء في ١٨ فبراير ١٩٢٦ بايقاف العمل بقانون الانتخابات الجديد واجراء الانتخابات بمقتضى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ وهو قانون الانتخاب القديم المستمد من نصوص الدستور .

وعلى أثر ذلك عقد المؤتمر الوطني مكونا من الأحزاب المؤتلفة في يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٢٦ ، حيث رأس هذا المؤتمر «سعد زغلول باشا» وجلس على جانبية « عدلي يكن باشا » و « عبد الخالق ثروت باشا » ، وأصدر المؤتمر قراراته متضمنة انهاء مقاطعة الانتخابات في حالة سريان القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ .

واضطرت الحكومة الى الاذعان لقرارات المؤتمر الوطني فاستصدرت مرسوما يوم ٢٢ فبراير ١٩٢٦ باجراء الانتخابات كما استصدرت مرسوما آخر يوم أول أبريل ١٩٢٦ بتحديد يوم ٢٢ مايو ١٩٢٦ موعدا لاجراء الانتخابات لمجلس النواب ، واتفقت « لجنة الأحزاب المؤتلفة » على توزيع الدوائر فيما بينها تلافيا للخلاف مستقبلا .

---

(٢٨٨) « في أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعي ـ طبعة ١٩٨٧ ـ ص ٣١٣ .

نتيجة الانتخابات (٢٨٩) :

وتم اجراء الانتخابات ، حيث أسفرت نتيجتها عن الفوز الساحق ل «حزب الوفد» الذى فاز ب ١٦٥ مقعدا وفاز «حزب الأحرار الدستوريين» ب ٢٩ مقعدا وفاز « الحزب الوطنى ب ٥ خمسة مقاعد وفاز « حزب الاستقلال » ب ١٠ عشرة مقاعد وفاز « حزب الاتحاد » ب ٥ خمسة مقاعد.

وتم تعيين « حسين رشدى باشا » رئيسا لمجلس الشيوخ حيث استقال « عبد العزيز فهمى باشا » من رئاسة « حزب الأحرار الدستوريين » .

★★★

براءة رجال الوفد المقدمين للمحاكمة

وأعقب فوز الوفد فى الانتخابات فوز آخر وهو صدور حكم براءة أهم رجال الوفد المتهمين فى قضية مقتل السردار وهم الدكتور أحمد ماهر والأستاذ محمود فهمى النقراشى والأستاذ حسن كامل الشيشينى وعبد الحليم البيلى ومحمود عثمان مصطفى والحاج أحمد جاد الله وصدر حكم الاعدام على الباقين ..

استقالة زيور باشا وتأليف وزارة عدلى يكن (٧ يونيو ١٩٢٦)

فى ٧ يونيو ١٩٢٦ قدم زيور باشا استقالته من الوزارة وقبلها الملك فى نفس اليوم وألف عدلى باشا يكن الوزارة فى نفس اليوم وتنحى سعد زغلول زعيم الأغلبية عن تأليف الوزارة خشية معارضة الانجليز وتلافيا للمشاكل وكانت وزارة ائتلافية من حزبى الوفد والأحرار الدستوريين ولم يشمل التشكيل أيا من وزراء زيور باشا المشتركين معه سابقا . واعتذر الحزب الوطنى للاشتراك فى الوزارة طبقا لمبادئه واجتمع البرلمان يوم ١٠ يونيو ١٩٢٩ وانتخب سعد رئيسا لمجلس النواب ومصطفى النحاس وويصا واصف وكيلين ونوه سعد فى خطبته الى وجوب وضع حد للاعتداء على الدستور فى المستقبل قائلا « والأمر الذى ألفت اليه أنظاركم هو ان تفكروا من الآن فى وضع تدابير تشريعية لنتقى بها العبث بتلك الحياة الدستورية الغالية التى يشعر فيها كل فرد من الأمة انه ليس خاضعا الا لأمر واحد هو الدستور والقانون » وبعد عودة الحياة الدستورية بفضل صلابة المؤسسة الوطنية ومساندة الشعب المصرى لها تجدد الأمل للسير فى طريق العمل الوطنى استئنافا لمسيرة ثورة سنة ١٩١٩ وبخاصة

---

(٢٨٩) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ــ للأستاذ الرافعى ــ طبعة ١٩٨٧ ــ ص ــ

بعد ان عاد سعد زغلول لنشاطه النضالى بعد اعتكافه وليشغل أرفع المراكز الشعبية وهى رئاسته لمجلس النواب ٠

وزارة عدلى يكن ٧ يونيو ١٩٢٦ :

ألف عدلى باشا يكن وزارة ائتلافية من حزب الوفد والأحرار الدستوريين وامتنع الحزب الوطنى من الاشتراك فيها بحجة تمسكه بمبادئه (٢٩٠) التى تقضى بالا يتولى أحد من الحزب مناصب الحكم مع وجود المحتلين فى البلاد وتألفت الوزارة كالآتى : عدلى يكن للرئاسة وعبد الخالق ثروت (مستقل) للخارجية وفتح الله بركات للزراعة ومحمد نجيب الغرابلى للأوقاف وأحمد محمد خشبة للحربية ومحمد محمود للمواصلات وأحمد زكى أبو السعود للحقانية ومرقص حنا للمالية وعلى الشمسى للمعارف وعثمان محرم للأشغال ٠

وفى ظل الائتلاف تم تصفيه الجو السياسى المصرى الى حد بعيد من المهاترات وسارت الوزارة فى شئون الحكم سيرا معتدلا بعيدا عن التعصب الحزبى وفى عهدها خرج آخر مستشار بريطانى من محكمة الاستئناف ٠

واخذ على هذه الوزارة

١ ـ لم تبذل أى مجهود لايقاف الاعتداءات البريطانية المتكررة فى السودان ولا اعادة الجيش المصرى للسودان ٠

٢ ـ أهملت السياسة العامة وبخاصة نحو انضمام مصر الى عصبة الأمم حسب ما وعدت به فى خطبة العرش ٠

٣ ـ لم تبذل أى مجهود نحو الغاء الامتيازات الأجنبية :

٤ ـ سكتت عن تصرف اللورد لويد بعدم تقديم أوراق اعتماده عندما شغل منصبه كمندوب سام لبلاده فى حكومة ملك مصر ٠

٥ ـ لم تقم بأية مشاريع اصلاحية أو انشائية ٠

أما النشاط البرلمانى فى دورته الأولى تحت رئاسة الزعيم سعد زغلول فقد أدى خدمات وطنية ٠

١ ـ الغاء القوانين المعيبة التى صدرت فى غيبة البرلمان وأهمها قانون الانتخابات الصادر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ فى عهد وزارة زيور باشا المخالفة للدستور وأعيد العمل بقانون سنة ١٩٢٤ ٠

---

(٢٩٠) حوليات مصر السياسية ـ الحولية الرابعة ، ص ١١٠ من كتاب فى أعقاب ثورة ١٩١٩ جزء أول للأستاذ الرافعى ، ص ٣٢٥ ٠

٣ ــ العمل على ايداع أموال المجالس البلدية والمحلية فى بنك مصر بدلا من ايداعها فى البنك الأهلى (الانجليزى فعلا) ٠

٣ ــ اقرار قانون العفو عن الجرائم السياسية منذ ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ تاريخ حل مجلس النواب الأول الى ٣ ابريل سنة ١٩٢٦ ٠

٤ ــ اقرار قانون منع خلط القطن ومراقبة بذرة القطن ٠

٥ ــ استنكار تصرف وزارة زيور باشا فى شراء دار المفوضية المصرية بلندن للمبالغة فى ثمنها وحيث تمت الصفقة دون موافقة البرلمان ودون أن تتخذ الاجراءات القانونية ٠

٦ ــ العمل على تعديل مشروع قانون محاكمة الوزراء بالنص فيه على معاقبة كل وزير يقدم على تكليف الخزانة بأعمال لم تكن فى الميزانية اعتمادات بشأنها أو لم يصدر عنها اعتماد من البرلمان ٠

٧ ــ الغاء وظائف القناصل فى جميع المدن الأجنبية التى بها مفوضيات مصرية لتكليف الوزير المصرى بأعمال القنصل العام وذلك توفيرا للمصاريف المظهرية ٠

وقد فضت الدورة الأولى للبرلمان فى ٢ سبتمبر ١٩٢٦ ٠

اجتماع البرلمان للدورة الثانية ١٨ نوفمبر ١٩٢٦

تم اجتماع البرلمان للدورة الثانية فى ١٨ نوفمبر ١٩٢٦ وأعيد انتخاب سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب ومصطفى النحاس وويصا واصف وكيلين وأقر البرلمان فى هذه الدورة المرسوم الصادر فى ١١ مايو ١٩١٨ بتسخير الأهالى للعمل فى تقوية جسور النيل ٠

أما وزارة عدلى فقد وضعت مشروع انشاء محكمة النقض والابرام ووضعت مشروع التعاون بعد ادخال تعديلات جوهرية عليه ٠

استقالة وزارة عدلى يكن فى ١٩ ابريل ١٩٢٧

قدم عدلى يكن استقالته فجأة عقب مناقشة عادية فى البرلمان اعتبر ان أحد النواب وجه لوزارته وله شخصيا نقدا لاتقبله كرامته ولم يستمع لوساطة سعد زغلول ورجائه له بالعدول عن هذه الاستقالة حتى بعد اعتذار النواب له ، أقنع سعد باشا عبد الخالق ثروت بقبول تشكيل الوزارة ٠

وزارة ثروت باشا ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٧ ·

تم تشكيل الوزارة فى ٢٦ ابريل ١٩٢٧ كالآتى :

عبد الخالق باشا ثروت للرئاسة والداخلية وجعفر والى للحربية والبحرية وأحمد زكى أبو السعود للحقانية وفتح الله بركات للزراعة ومرقص حنا للخارجية ومحمد نجيب الغرابلى للأوقاف وعلى الشمسى للمعارف وخشبة باشا للمواصلات وعثمان محرم للاشغال ومحمد محمود للمالية · وكان حافظ عفيفى مرشحا من الأحرار الدستوريين للاشتراك فى الوزارة ولكن الملك فؤاد رفض ذلك لسابق جهوده فى سبيل اعلان الدستور ·

الانجليز يثيرون المشاكل

أزمة الجيش مايو - يونيو ١٩٢٧

كانت ميزانية الدولة معروضة على مجلس النواب فى شهر مايو سنة ١٩٢٧ واحيلت الى اللجنة المالية والتى أحالتها بدورها الى لجنه الحربية لابداء ملاحظاتها وأيدت هذه اللجنة مقترحات خاصة باصلاح الجيش المصرى وتقويته ومن هذه المقترحات :

١ - الغاء منصب السردار (وكان شاغرا بعد مقتل السير لى ستاك) ·

٢ - تسليح الجيش بأسلحة ومهمات أفضل ·

٣ - ترقية التعليم فى المدرسة الحربية ·

٤ - تعديل قانون مجلس الجيش بحيث لايكون مفتش عام الجيش ستبكس باشا عضوا فيه ·

٥ - انهاء الأحكام العرفية عن بعض مناطق مصلحة الحدود ومصلحة خفر السواحل فى محافظتى الصحراء والواحات وكانت كلها خاضعة للحكم العرفى تحت اشراف رؤساء هذه المصالح البريطانيين ·

وقبل ان تبت لجنة الحربية فى موضوع رفعها الى اللجنة المالية بالبرلمان وصل نبأ هذه المقترحات الى دار المندوب السامى والى الصحف البريطانية وانبرت انجلترا بجميع أجهزتها.تهدد وتتوعد منذرة بأزمة حادة·

مذكرة تهديد بريطانية :

قدمت حكومة بريطانيا مذكرة الى الحكومة المصرية بواسطة دار المندوب السامى فى ٢٩ مايو سنة ١٩٢٧ ·

وكانت هذه المذكرة بصيغة تهديدية بغرض املاء الشروط والطلبات الآتيـــة :

١ ـ استمرار مفتش عام الجيش اللواء ستبكس باشا فى منصبه على أن تمنحه الحكومة المصرية رتبة الفريق بمرتب عال مميز وبعقد لمدة ثلاث سنوات على الأقل ·

٢ ـ على وزير الحربية المصرى ان يرفع الى ملك مصر توصيات بكل التعينات والترقيات المطلوبة لكبار الضباط البريطانيين فى الجيش المصرى ·

٣ ـ تعيين ضابط بريطانى برتبة كبيرة وهى رتبة اللواء ليكون مساعدا للمفتش العام ينوب عنه فى غيابه ·

٤ ـ ان تكون مصلحة الحدود ومصلحة خفر الســـواحل تحت اشراف المفتش العام البريطانى أو نائبه فى غيابه أو أن يكون المدير العام لهـذه المصالح ضابطا بريطانيا كمـا كان الحال منذ أبريل ١٩٢٥ وان تبقى المراكز المشــغولة فى هاتين المصلحتين بالضـــباط البريطـانيين ولا تمس اختصاصاتهم بأى حال ويبقى الاختصـاص القضائى فى الجهات الداخلة فى اختصاص هاتين المصلحتين أى بقاء النظام العرفى فيها ·

وكانت المذكرة تهدف الى استبقاء الاشراف البريطانى كاملا كما كان فى عهـد الاحتـلال السافر والحمـاية · وفى نفس الوقت تنشيطا لذاكرة السلطات المصرية والزعامات الوطنية بأنه لارجعة فيما فرضـته بريطانيـا على مصر من شروط مجحفة انتقاما لمقتل السردار وتحذيرا للقادة الوطنيين من محاولة اقحام الجيش المصرى فى السياسة ·

رد رئيس الوزراء ثروت باشـــا على المذكرة البريطانية ٣ يونيو ١٩٢٧

وقدم رئيس الوزراء عبد الخالق باشا ثروت للمندوب الســـامى البريطانى مذكـرة سـلم فيها بمهانة بكل المطالب البريطانية المتعجرفة ومبرئا بالمغالطة لجان البرلمان من هذه المقترحات ولم ينشر هذا الرد الذليل فى حينه خشية ان يثير الرأى العام على الوزارة ·

التهديد البريطانى السافر :

وبينما كانت المذكرات تتداول أذاعت لندن برقيا ان ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسفر الى المياه المصرية وألقى وزير خارجيـــة بريطانيا

أوستنى تشيمبرلين بيـــانا فى مجلس العموم البريطانى قال فيه « ان حكومة بريطانيا انما تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقا من الساسة المصريين من ذوى الكلمة النافذة أراد استعمال الجيش كأداة مقاومة لانجلترا » ... « وان الحكومة البريطانية مستعدة لفتح باب المفاوضات ولكن بعد توفير أسباب الأمن فى مصر وان الحكومة البريطانية أرسلت البوارج لأن التقارير التى وصلتها بأن فى مصر سعيا يبذل للتحريض والهيـاج » .

وهكذا انتهت الأزمة بأن سلمت مصر بكل مطالب المذكرة البريطانية المهينة وظهر جليا ان بريطانيا لا تريد أن يكون لمصر جيش قوى تعتمد عليه فى الدفاع عنها كما أرادت الضغط على الحكومة المصرية المستضعفة للدخول فى مفاوضات تؤدى الى ربط مصر بانجلترا والا سيستمر تدخل بريطانيا باستمرار فى شئون مصر الداخلية .

وفاة سعد زغلول ٢٣ أغسطس ١٩٢٧

بعد انتهاء أزمة البرلمان مع السلطة البريطانيـــة وتخاذل رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت وتسليمه بمطالب بريطـانيا ومعاصرة رئيس مجلس النواب الزعيم سعد زغلول لهذه اللعبة البريطانية المستبدة كانت صحة الزعيم آخذة فى التدهور وكان قد لزم داره وأخذ المرض يشتد عليه حتى وافاه الأجل فى مساء ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ مختتما خدمة بلاده بشغله لأسمى وأشرف المراكز الوطنية وهى رئاسته للمجلس التشريعى عاجزا عن مواجهة التعسف البريطانى اضعف صحته .

ما بعد وفاة الزعيم سعد زغلول

رحل سعد زغلول وترك بالساحة السياسية المصرية حكومة خاضعة ومستسلمة بالكامل لارادة السلطة البريطانية وترك أيضا مؤسسة وطنية متمثلة فى حزب الوفد بزعامة مصطفى النحاس باشا وقادرة على استئناف الكفاح لأجل تحقيق اســـتقلال البلاد رغم الظروف الصعبة ولكن الأمل كان قد تجدد لامكان تحقيق الاســتقلال عن طريق التمسك بالحيـــاة الدستورية وبخاصة بعد أن قام الزعيم سعد زغلول برئاســـة مجلس النواب ، وقامت هذه المؤسسة الوطنية التى تركها سعد زغلول بدور بالغ الصعوبة فى الصراع بين هذه المؤسسة الوطنية من جانب وبين تحالف السلطات البريطانية مع القصر الملكى ومعهما أحزاب الأقلية وحكوماتها الانتهـازية من جـانب آخر ودارت معارك عنيفة ومتتالية ولفترات طويلة

عطلت المسيرة نحو تحقيق جلاء القوات البريطانية المحتلة ، وكان السبب الرئيسى لهذا القصور الكفاحى هو أن هذه المؤسسة الوطنية بزعامة النحاس باشا اكتفت فى كفاحها وجهادها بمحاولة الحصول على الاستقلال المنشود عن طريق الاستمرار فى استجداء وطلب المفاوضات مع الانجليز دون أن تدعم مطلب الجلاء بأى نوع من أنواع الضغط باتباع أسلوب الأعمال الايجابية (الثورية) ولا حتى السلبية كالمقاطعة مثلا أو العصيان ٠

ارهاصات (٢٩١) المؤسسة الوطنية :

يمكن ان نطلق على فترة الكفاح من بعد وفاة سعد زغلول على يد المؤسسة الوطنية بزعامة مصطفى النحاس وحتى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بأنها فترة « الارهاصات » أو « الرواهص » فكانت الارهاصة الأولى هى التى انتهت بأبرام معاهدة ١٩٣٦ والتى حققت بعض النجاحات الوطنية ٠

أما الارهاصة الثانية ، فقد لعبت فيها المؤسسة الوطنية دورها السلبى الى أن قام زعيم هذه المؤسسة مصطفى النحاس فى النهاية بآخر أعماله الوطنية باعلانه الغاء معاهدة ١٩٣٦ بعد أن حققت أسباب وجودها للجانبين المصرى والبريطانى بصفة خاصة ، وبعد أن أصبحت بالنسبة لمصر غير ذات موضوع عندما تخطتها مطالب الشعب المصرى الوطنية ، وكان هذا العمل من جانب مصطفى النحاس باشا ختاما وطنيا لثورة ١٩١٩ ولكافة أعمالها وخاصة ما تبع هذا الاعلان من حرب تحرير على شكل كفاح مسلح فى منطقة القناة ضد جيش الاحتلال البريطانى برغم ما تبع ذلك الاعلان من قمع للعمل الوطنى انتهى بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ٠

ولكن هذا الختام لثورة ١٩١٩ كان رغم سلبياته التى طغت على ايجابياته هو الشرارة التى أشعلت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث بلغت حد الاندلاع فى هذا اليوم ٠

ولم يكن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أبدا نهاية لثورة الشعب المصرى فى سنة ١٩١٩ بل استكمالا واتماما لمنجزاتها ٠

---

(٢٩١) المعجم الوجيز اصدار مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر طبعة سنة ١٩٩١ ، ص ٢٧٩ عمود (٣) حيث جاء به « الارهاصات هى الظواهر المؤدية بعمل ما وهو الأمر الخارق للعادة للأنبياء قبل بعثتهم فهو ارهاص وجمعه « أراهص » كما انه يطلق على ظاهرة الانذار بالأمطار » وهو فى مؤلفنا هذا بمعنى مقدمات لعمل ثورى » ٠

— مراحل الارهاصات ••

ان العمل الوطنى فى هاتين الارهاصتين كان عملا سياسيا بحتاً متمثلا فى محاولة التفاوض مع بريطانيا بالأسلوب السلمى بما يسبقه أو يدعمه من أعمال ايجابية متواضعة لم تصل أبدا حتى لمستوى الانتفاضة الا فى فترات معدودة مثل ما حدث قبيل توقيع معاهدة ١٩٣٦ وفى فترة ما بعد الغاء هذه المعاهدة فى ١٩٥١ •

وحيث أن هذه الأعمال الايجابية كانت تسير طبقا لتطور العمل الثورى ومراحله بدءا من استغلال الأقلية للأغلبية ثم وعى الأغلبية واحساسها بهذا الاستغلال بما يدعو الى اعادة تكوين المؤسسة الوطنية المصرية والى الاستعداد للقيام بالعمل الايجابى لحساب الأغلبية الذى قد يحقق الأهداف الوطنية ولو على مراحل ••

وحيث أن هذا العمل الايجابى لم يصل لمستوى العمل الثورى ، ولذلك أطلقنا على هذه المراحل من العمل الوطنى تعبير « ارهاصات » •

أولا : الارهاصة الأولى

(من أغسطس ١٩٢٧ الى ١٩٣٦)

— القوى السياسية فى الساحة المصرية••عقب وفاة الزعيم سعد زغلول (٢٣ أغسطس ١٩٢٧)

عند وفاة سعد زغلول ، كانت القوى السياسية فى مصر عبارة عن :

الأقلية المستغلة ••

وكانت عبارة عن التحالف بين الملك فؤاد وأحزاب الأقلية والمندوب السامى البريطانى ممثلا للسلطة البريطانية :

(أ) الملك احمد فؤاد (*) :

ومعه مجموعة من الأعوان من المشبوهين سياسيا ووطنيا المتعاونين مع المندوب السامى البريطانى الذى أحسن استخدام الملك طبقا لأهواء

(★) يمكن الرجوع الى تحليل شخصيته وتاريخه ، ص ٣٧ ، ٣٨ من الكتاب •

السياسة البريطانية ، فأحيانا كانت تترك له الحبل على الغارب فى الانفراد بالتصرف فى شئون البلاد ـ عندما كانت الحركة الوطنية تتشدد فى مطالبها ـ وأحيانا أخرى تترك أيضا الحبل على الغارب للحركات الوطنية أيا كان عملها فى اتجاه معارضة انفراد الملك بالسلطة وتماديه فى التدخل فى شئون البلاد أو فى اتجاه مساسه بالمصالح البريطانية فى البلاد ، متوهمة أن الشعب ومؤسسته الوطنية تؤيدها لأنها غالبا ما كانت تسارع بالتلويح للشعب بالدستور وبالحكم النيابى وامكان التفاوض ، وكثيرا ما كان الشعب ـ عن طريق مؤسسته الوطنية ـ يبادر بالتلميح بامكان انتزاع جانب كبير من سلطات الملك الغير محددة فى الدستور ، كل ذلك كانت السلطة البريطانية تحسن استخدامه بأسلوب مخطط بدقة لتحقيق دوام تحكمها فى سياسة ومقدرات البلاد •

وكان سعد زغلول هو الشخصية الوطنية القادرة على التعامل ـ لصالح الشعب المصرى ـ مع كل من الملك والمندوب السامى البريطانى وايقاف كل منهما عند حده خاصة اذا ما حاول أحدهما الاعتداء على مكاسب الشعب وعلى كرامته وعلى دستوره ، وكان هذا هو دور المؤسسة الوطنية المصرية حتى وفاة سعد زغلول •

(ب) أحزاب الأقليـة :

وكانت كل هذه الأحزاب قد نشأت وتكونت من المنشقين عن حزب الوفد ومعظم شخصياتها كانوا ممن شاركوا فى العمل الوطنى مع سعد زغلول منذ بدء ثورة ١٩١٩ ، ولكن كانوا ينشدون التفاهم مع الانجليز بقبول أنصاف الحلول وناصبوا الزعيم سعد زغلول العداء فانشقوا عن الوفد فكانوا من أسباب تعثر ثورة ١٩١٩ بتطلعهم الدائم للوصول الى كراسى المناصب الوزارية على حساب العمل الوطنى السليم ، فكانوا ينافقون الملك تارة والانجليز تارة أخرى ويستسلمون لكليهما ولأهوائهما ، وكثيرا ما كانوا يعتدون على الدستور عندما تحين لهم فرصة الوصول الى كراسى الوزارة والحكم ، بحجة أن الشعب المصرى كان وقتها لايستحق كل هذه الحريات وصارت هذه حجتهم التقليدية بعد أن رفع شعارها الانجليز فى مصر •• وكانت **هذه الأحزاب هى :**

١ ـ حزب الأحرار الدستوريين •• (سنة ١٩٢٢) ••

تكون هذا الحزب على أشلاء حزب الأمة القديم والذى يمثل الساسة المعتدلين أو أصحاب سياسة الوسط والحلول السلمية مع الانجليز وتحقيق

الاستقلال عن طريق التفاهم والتفاوض مع الانجليز دون اللجوء الى الثورات وكان معظم أتباعه من الأعيان والأثرياء وأصحاب البيوتات (٢٩٢) والذين أضيروا من سلطات الاحتلال البريطانى التى قلصت نفوذهم الاقتصادى خصوصا فى المجال التجارى لحساب التجار والملاك الأجانب الذين كانوا متمتعين بالامتيازات الأجنبية ، ولذلك فقد كان حزب الأحرار يتمتع بقدر لا بأس به من الرغبة فى مقاومة الاحتلال البريطانى ، والاسلوب السياسى لهذا الحزب لم يكن يلقى تجاوبا فى نفوس وقلوب الشعب المصرى وكان يعتمد فى معاركه الانتخابية على العصبيات والعائلات والأعيان وليس على الشعب بطوائفه المختلفة ومباشرة ، ولذلك لم يصل الى تحقيق أية أغلبية برلمانية وبدلا من أن ينضم الى جانب المؤسسة الوطنية المتمثلة فى حزب الوفد ، أمعن منذ تكوينه فى معارضة سعد زغلول واضعاف العمل الوطنى بتفرقة الصفوف ٠

٢ ـ حزب الاتحاد ٠٠ (يناير ١٩٢٥) ٠٠

وهو حزب يمثل الملك ورجـــال الملك ـ سواء طبقا لأطماعه نحـو الانفراد بالسلطة بدوام الاعتداء على الدستور والبرلمان أو بالانحيـــاز الى سياسة وأطماع الانجليز ـ ولم يكن لهذا الحزب أى وزن شعبى وكان رئيسه يحيى ابراهيم وكان حسن نشأت نائبا للرئيس ، وكانت وسيلة دعايته أنه حزب الولاء للعرش وكان معظـــم أعضـــائه من الشخصيات الوصولية الانتهازية الذين استقالوا من الهيئة الوفدية ليستفيدوا بتقربهم من السراى ، فكان منهم اللواء موسى فؤاد وعبد الحليم البيلى ومن أبرزهم انتهازية محمد سعيد باشا وهم من المستقيلين من الوفد بل أن أخيرهم كان وزيرا فى وزارة سعد زغلول الأخيرة ٠

(ج) السلطات البريطانية :

١ ـ **جيش الاحتلال البريطانى** ٠٠ وكان وقتها يحتل أجزاء متعددة من أرض مصر ويحتل السودان بأكمله دون أى وجود مصرى اللهم الا العلم المصرى المرفوع بجانب العلم البريطانى فى جميع أنحاء السودان تضليلا للعالم وللوطنيين السودانيين المتطلعين للوحدة مع مصر بل ولبعض المصريين وقد نجحت بريطانيا فى استكمال حلقات فصل السودان عن مصر بعد مقتل السردار ، وقد كان وجود الجيش البريطانى فى مصر والسودان يمثل تهديدا مستمرا لأى مكاســب وطنيــة وسيفا مسلطا على الحكومة المصرية

---

(٢٩٣) فجر اليقظة القومية للأستاذ محمد عمارة من ص ٢٦٢ الى ص ٢٧٣ ٠ ٢٧٤ ٠

وأحزابها الوطنية وشعبها اذا ما فكروا فى ممارسة أية مقاومة أو انتفاضة شعبية ويحقق هذا الجيش فرض القوة واستمرارية احتلال انجلترا لمصر والسودان بفضل استغراق ملك مصر والساسة المتعاونين معه فى التلذذ برفع الشعارات الزائفة والمظهريات الكاذبة بالاستقلال الزائف بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ٠

٢ ـ **المندوب السامي البريطاني** ٠٠ وكان هذا المندوب يعاونه عدد كبير من الخبراء السياسيين ورجال المخابرات والجواسيس ذوى القدرة على التعامل مع قادة أحزاب الأقلية المعارضة لحزب الوفد ومع رجال السراى ورسم السياسة معهم بما يتمشى مع مصالح الامبراطورية البريطانية الاستعمارية ، وبمرور الوقت برعت دار المندوب السامى البريطانى فى مصر فى تنفيذ سياستها الرئيسية « فرق تسد » بأسلوب كله التسلط والتعالى على الشعب المصرى وأحزابه وحكامه ٠

(د) الجاليات الأجنبية فى مصر (٢٩٣) :

وكانت هذه الجاليات على اختلاف جنسياتها تتمتع بكافة الامتيازات الأجنبية فى مصر ، فقد انفردت باحتكار كل خيرات أرض مصر وكل مقدرات الشعب المصرى دون حسيب أو رقيب بل وفى ظل حماية القانون المصرى لهم وتحيز قوات الاحتلال البريطانى لجانبهم ، وقد ظلت هذه الامتيازات جاثمة على أرض مصر بفضل تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أكد على حماية هذه الامتيازات حيث نص صراحة على أن تقوم بريطانيا بحماية المصالح الأجنبية والأقليات فى مصر ، رغم ادعاء هذا التصريح ـ كذبا وزيفا ـ بانهاء الحماية على مصر واعلان أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة ٠

وهذه الجاليات الأجنبيه ـ التى حققت لنفسها احتكارات الامتيازات ـ والحصول عن طريق هذه الامتيازات على كل خيرات البلاد كانت قد وفدت الى مصر بالتبعية كاحدى الولايات العثمانية ، فقد كانت الامتيازات الأجنبية احدى مظاهر التدهور الاقتصادى والاجتماعى الذى وصل اليه العالم العربى فى ظل الحكم العثمانى التركى ، حيث جلب السلاطين الأتراك النفوذ الأجنبى بمختلف جنسياته على البلاد التى كانوا يحكمونها ويطلقون عليها اسم « ولايات » تابعة لبلادهم ، واستمر الحال فى مصر على نفس النمط العثمانى وخاصة عندما ضعف شأن الحكومة

---

(٢٩٣) فجر اليقظة القومية للأستاذ محمد عمارة من ص ٢٦٢ الى ص ٢٧٣ ٠

المصرية بداية من عهد « سعيد باشا » ، فطغت سلطة الأجانب على سيادة الحكومة المصرية بل وأخذت تزداد بصفة خاصة في عهد « الخديوى اسماعيل » ، فقد نال الأجانب في عهده أخطر المزايا حيث أصبح في مصر ١٧ (سبع عشرة) محكمة قنصلية تحكم كل منها في المنازعات بين رعاياها المقيمين في مصر وبين المتقاضين المصريين أو الحكومة المصرية ــ كل محكمة تحكم طبقا لقوانين الدولة التى تمثلها ، أما استئناف هذه الأحكام التى تصدرها المحاكم القنصلية فكان ينظر في الدولة التابعة لها القنصلية في الخارج !! وعلى المتخاصم المصرى أن يتكبد الذهاب الى دولة خصمه ويواجه محكمة تنطق وتحكم بغير لغته الأصلية ٠

ثم أنشأ الخديوى اسماعيل المحاكم المختلطة للفصل في القضايا التى يكون الأجانب طرفا فيها ، وكان قضاتها من الأجانب الذين وصل بهم الاحتكار حتى بلغ القضاء ــ فخولت المحاكم المختلطة للدول الأجنبية حق التدخل (٢٩٤) في أى تشريع يمس رعاياها بأى درجة وبأية صورة بل ولهم حق الغاء أى تشريع لا يتفق مع مصالحهم ٠

فكانت كل هذه الاحتكارات والامتيازات الأجنبية تملأ نفوس المصريين بالألم وتشعرهم بالذل والهوان حيث كان الأجنبى المقيم بمصر يتمتع بشتى الحصانات والامتيازات التى تجعل المواطن المصرى مواطنا من الدرجة الثالثة أو أدنى ، فقد كان الأجنبى يمتلىء غطرسة وزهوا لشعوره بأنه أعلى رأسا من المصرى وأوفر منه كرامة وان كان هذا الأجنبى أصلا من أحط البيئات في بلاده ومسقط رأسه ، ولكنه بحسبه أنه أجنبى تحميه الامتيازات الأجنبية بحصانتها من البوليس المصرى والقانون المصرى ومن المحاكم المصرية الوطنية ، وقد كان المحامى المصرى يترافع أمام القضاء المختلط بلغة غير لغته الوطنية وأمام قضاة أجانب ، كل ذلك جعل المصرى دائم الشعور بالظلم والذل والقلق والتمرد حتى في فترة ما بعد رحيل سعد غلول ٠

(هـ) المؤسسة الوطنية ٠٠ مقابل كل ما سبق :

وقد كانت متمثلة ــ بشكل بارز ــ في حزب الوفد الحائز على أغلبية ساحقة من أصوات الشعب المصرى وبالتالى الأغلبية البرلمانية ، وبذلك كان هو الحائز على التفويض الشرعى عن الأمة المصرية منذ اندلاع ثورة ١٩١٩ التى كانت شبه مستأنفة بعد توقف قصير بفضل أسلوب الزعيم الراحل سعد زغلول بالتمسك الى أقصى مدى بما يحققه تصريح

(٢٩٤) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧١ ٠

٢٨ فبراير ١٩٢٢ من ناحيــة الاستقلال الخارجي أو الاستقلال الداخلي المنقوصين ورغم استمرار وجود قوات الاحتلال البريطانية على أرض مصر ، وبفضل تمسك الوطنية « حزب الوفد » بحقوق مصر الكاملة من مكاسب هذا التصريح وامكان تحقيق الاستقلال الكامل خطوة بعد خطوة ٠

وكان الى جانب حزب الوفد ٠٠ « الحزب الوطني » وممثليــه في البرلمان والمحتفظين الى مدى بعيد بالطهارة الوطنية المصرية رغم عدم تمتعهم بأي نوع من أنواع الأغلبية البرلمانية الناتجة عن التأييد الشعبي ٠

وقد أثبت سعد غلول في الفترة القصيرة التي شغل فيها منصب رئيس الوزراء – ممثــلا لحزب الأغلبيــة – أنه قادر على تحقيق أهداف ثورة ١٩١٩ بمواقفه وتمسكه كسلطة تنفيذية بحقوق بلاده وكرامة أمته في مواجهة تجاوزات السلطة البريطانية وتجاوزات سلطة الملك المتذبذب ما بين التظاهر بالانحياز للوطنيين وبين الواقع المعادي لدستور البلاد وبين الموقف الحيــادي الضــار بمصالح بلاده حيثما يكون الأمر والنهي في يد المندوب السامي البريطاني كما أثبت سعد زغلول أيضا امكانية تحقيق أهداف ثورة سنة ١٩١٩ سلميا عن طريق الحيــاة الدستورية السليمة والتمسك بالدستور وذلك في الفترة القصيرة التي انتخب فيهــا رئيسا لمجلس النــواب (من ١٠ يونيــو ســنة ١٩٢٦ حتى تاريخ وفاته في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧) ٠

استمرار الائتلاف وانتخاب مصطفى النحاس رئيسا للوفد (٢٢ سبتمبر ســنة ١٩٢٧) :

استمر الائتــلاف الوزاري في وزارة ثــروت حتى بعــد وفاة سعد زغلول وكان ثروت باشا لازال في أوربا لاجراء المفاوضات وفي هذه الأثناء تم اجتماع أعضاء حزب الوفد وقرروا اختيــار مصطفى النحاس رئيسا للحزب خليفة لسعد زغلول وكان من بين المرشحين فتح الله بركات ابن شقيق ســعد ولكن أعضــاء الحزب فضلوا اختيار النحاس لالمامه باللغات الأجنبية بعكس فتح الله بــركات ولأن رئيس حزب الوفد كان يجب أن يكون مؤهلا للتفاوض مع الانجليز ٠

افتتاح الدورة البرلمانية (*) :

وصار افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وألقى فيها رئيس الوزراء ثروت باشا خطاب العرش وتم انتخاب النحاس

(★) في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعي ، جزء ثان ص ١٧ ٠

باشا رئيسا لمجلس النواب ، وتضمن خطاب العرش نبذة غامضه عن مشروع المعاهدة مشيرا الى روح الود بين بريطانيا ومصر برغم ان المشروع فى جملته احتوى على جميع أنواع السلبية ازاء تجاوزات السفارة البريطانية والذى قد يعود بالبلاد الى أسوأ مما كانت عليه قبل حادث اغتيال السردار ٠

التعسف البريطانى يؤدى للدخول فى المحادثات :

فى ظل وزارة عبد الخالق ثروت وفى أوائل شهر يونيو سنة ١٩٢٧ (٢٩٥) عرضت ميزانية الدولة عن عام ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ على مجلس النواب وأحيلت الى اللجنة المالية وأحيل الجزء الخاص بالجيش الى لجنة الحربية وبدورها أحالتها الى لجنة فرعية لفحصها وتقديم مقترحاتها وتقدمت بمقترحاتها الى اللجنة الحربية وكان من مقترحاتها ٠٠ اجراءات خاصة باصلاح الجيش المصرى وترقيته واقتراح آخر كان من الواجب البت فيه (وبخاصة بعد انسحاب الجيش المصرى من السودان بفعل التدخل البريطانى) (وتشكيل قوة الدفاع السودانية) وهو الغاء منصب سردار الجيش المصرى ٠ وكذلك اقتراح خاص بتعديل قانون مجلس الجيش بحيث لا يكون المفتش العام للجيش (وهو بريطانى) عضوا فى المجلس اسوة بما هو متبع فى انجلترا ٠

وقبل أن تفحص هذه المقترحات فى لجنة الحربية وقبل البت فيها بأى رأى وصلت أخبار هذه المقترحات الى المندوب السامى البريطانى والى الصحف البريطانية وقامت عندهم وأخذت الحكومة البريطانية تهدد وتتوعد بعد ان أحضرت ثلاث بوارج بريطانية الى المياه المصرية وقدمت دار المندوب السامى مذكرة الى الحكومة المصرية فى ٢٩ مايو سنة ١٩٢٧ وأشارت المذكرة « الى ظهور اتجاه مقلق فى مصر بادخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى بالدعوة الى تقليص اختصاص المفتش العام للجيش والضباط الانجليز العاملين بوزارة الحربية المصرية وان الحكومة البريطانية ترى ان الموافقة على هذه المقترحات تؤدى الى صرف النظر عن التسوية الودية مع مصر » وتدعو المذكرة «الى اعادة النظر فى تجنب هذه المقترحات» وهكذا كانت هذه المطالب هى فرض شروط على مصر : ـ

١ ـ تمكين المفتش العام للجيش المصرى (اللواء سبنكس باشا) من أن يؤدى اختصاصاته السابقة فى حرية تامة وترقيته لرتبة فريق والتعاقد معه لمدة ثلاث سنوات مع رفع راتبه ٠

---

(٢٩٥) فى أعقاب الثورة المصرية جزء أول للأستاذ الرافعى ، ص ٢٧٠ الى ٢٧٦ ٠

٢ ـ تعيين ضابط بريطانى كبير برتبة لواء كنائب للمفتش العام ٠

٣ ـ أن تكونا مصلحتا الحدود والسواحل بعد دمجهما تحت اشراف المفتش العام أو نائبه ٠

٤ ـ ان تستمر المراكز التى يشغلها البريطانيون فى وزارة الحربية المصرية فى أيدى البريطانيين ولا تمس اختصاصاتهم ٠

٥ـ تبقى الاختصاصات القضـــائية فى مناطق مصلحتى الحدود والسواحل تحت اشراف النظام العرفى والمفتش العام (وهو بريطانى) ٠

الرد الاستسلامى :

فى ٣ يونيو سنة ١٩٢٧ رد رئيس وزراء مصر ثروت باشا على المذكرة البريطانية وسلم فى رده بجميع المطالب البريطانيـة المتصلبة وانتهت الأزمة بأن قررت الحكومة الانجليزية مد مدة خدمة سبنكس باشا المفتش العام ومنحته رتبة الفريق وقبلت تعيين نائب له وتعيين ضباط انجليز آخرين ٠

وظهر جليا بعد الأزمة ان الحكومة البريطانية كانت تهدف من هذا التدخل المتعنت الضغط على الحكومة المصرية واكراهها على الدخـول فى مفاوضات لعقد معاهدة تربط مصر بانجلترا استعماريا بشكل شرعى ٠

وفى نفس الوقت فان انذار مصر بأنها ما لم تقبل المعاهدة فستظل انجلترا على سياستها فى احراج مصر واثارة الأزمات فى وجهها وكان ذلك يعنى استمرار التدخل فى شئونها الداخلية ٠

(ح) محادثات « ثروت باشا » ٠٠ (رئيس الوزراء) (٢٩٦) :

كان عبد الخالق ثروت باشا رئيسا للوزراء بعد استقالة عدلى يكن فى حياة سعد زغلول وكان قبل الوفاة قد سافر ثروت باشا الى لندن وتبادل المذكرات مع وزير خارجية انجلترا « السير أوستن تشمبرلن » تمهيدا للمحادثات ، وكان سعد يطلع منه أولا بأول على جميع خطوات هذه المحادثات ، وعاد ثروت باشا الى مصر لحضور ذكرى الأربعين لوفاة سعد زغلول واشترك فى تأبينه ، ثم سافر ثروت باشا مرة أخرى الى

---

(٢٩٦) مذكرات فى السياسة المصرية ـ جزء أول ـ د٠ محمد حسـين هيكل ـ ص ٢٣٦ ٠

لندن ليستكمل محادثاته وكان يرأس وزارة ائتلافية من حزبى الوفد والأحرار الدستوريين ٠

خلاصة مشروع محادثات ثروت - تشمبرلين (٢٩٧) :

احتوى هذا المشروع كل قواعد الاحتلال والحماية فى ديباجة بارعة الصياغة لوضع الاحتلال والحماية فى قالب محكم من ألفاظ وعبارات الصداقة واحتفظت الديباجة على نص صريح بوجوب الاحتفاظ بكل ما جاء فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وتحديد دقيق للعلاقات التى كانت شائعة ومعلقة بحيث تحقق السيطرة البريطانية والتزام مصر بها لضمان عدم وقوع حوادث الاحتكاك والصدام وتحت حجة التزام الجانب البريطانى فى نظير ذلك بعدم التدخل فى شئون مصر الداخلية وكانت القواعد كالآتى : —

أولا : تعقد بين الطرفين محالفة تؤكد على قيام الصداقة والاتفاق الودى وحسن العلاقات بينهما ٠

ثانيا : لا تتخذ الحكومة المصرية فى البلاد الأجنبية أى موقف يتنافى مع المحالفة وألا تسلك مسلك المعارضة للسياسة التى تتبعها الحكومة البريطانية وألا تعقد اتفاقا مع البلاد الأجنبية يكون مضرا بالمصالح البريطانية ٠

ثالثا : فى حالة قيام مصر بحالة حرب للدفاع عن أراضيها تقوم بريطانيا بانجادها بصفة محارب واذا حدثت مشاكل بين مصر واحدى الدول الأجنبية تؤدى الى تهديد حياة الأجانب وأموالهم فى مصر يجب التشاور بين حكومة بريطانيا ومصر فى سبيل حل هذه المشاكل ٠

رابعا : تلتزم حكومة مصر بأن يكون تدريب الجيش المصرى حسب الأساليب البريطانية واذا دعت الضرورة لاستخدام ضباط أو مدربيين أجانب فتختارهم من الرعايا البريطانيين ٠

خامسا : اذا كانت بريطانيا فى حالة حرب أو تهديد بوقوع حرب لا تمس حقوق مصر فعلى مصر ان تبذل لانجلترا فى أراضى مصر كل المساعدات والتسهيلات اللازمة من موانىء ومطارات وطرق ومواصلات ٠

---

(٢٩٧) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء ثان للأستاذ الرافعى ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ٠

سادسا : توافق مصر على ابقاء قوات عسكرية (احتلال) في أى مكان ولزمن غير محدود الى أن يحين الوقت لعقد اتفاق تعهد فيه بريطانيا لمصر مهمة حماية مواصلات الامبراطورية البريطانية وبعد انقضاء عشر سنوات من تاريخ العمل بهذه المعاهدة يعاد النظر بين الطرفين في مسألة المكان الذى تستقر فيه القوات البريطانيـــة وفى حالة الخلاف تعرض المسألة على مجلس جمعية الأمم واذا لم يكن قرار جمعية الأمم موافقا لمصر يجوز بناء على طلب مصر وبنفس الشروط اعادة النظر فى المسألة فى آخر كل خمس سنوات بدءا من تاريخ صدور القرار المذكور ٠

وتحتفظ القوات البريطانية فى مصر بما تتمتع به الآن سنة ١٩٢٧ من مزايا وامتيازات وتضع الحكومة المصرية مجانا وتحت تصرف بريطانيا الأراضى والمبانى التى تشغلها الى أن يغير المكان الذى تستقر فيه على ان يعاد هذه المبانى والأماكن الى حوزة الحكومة المصرية على أثر هذا التغيير على أن تخصص مصر للقوات البريطانية بديلا عنها من الأراضى والمبانى فى الجهات التى تنتقل اليها بالمجان أيضا ٠

وتحظـر الحـكومة المصرية الطيران فوق شريط من الأراضى عرضه عشرون كيلو مترا على كلا جانبى قناة السويس ولا يسرى هذا الحظر على قوات الطرفين المتعاقدين وعلى ما هو قائم الآن (١٩٢٧) ٠

سابعا : تخول الحـكومة المصرية للرعايا البريطانيين الأفضلية فى حالة استخدام مصر لأجانب كموظفين ٠

ثامنا : تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة بريطانيا مستشارا ماليا له اختصاصات صندوق الدين ويحاط علمـا بكل مشروع تشريعى مما يقتضى مصادقة الدول ذوات الامتيازات ليكون نافذا على الأجانب وللحكومة المصرية استشارته مما يتراءى لها من مسائل ٠

تاسعا : تعين الحكومة المصرية مستشارا قضائيا بالاتفاق مع بريطانيـا يحاط علما بكل ما يمس أداء القضاء المتعلق بالأجانب ٠

عاشرا : الى أن يجرى العمل باصلاح نظام الامتيازات الأجنبية بعد الاتفاق مع الدول صاحبة الامتيازات لا تقوم الحكومة المصرية بأى تغيير فى عدد واختصاصات الموظفين البريطانيين العاملين الآن سنة (١٩٢٧) بمصر الا بعد الاتفاق مع حكومة بريطانيا ٠

حادى عشر : تبذل بريطانيا نفوذها لدى الدول صاحبة الامتيازات فى مصر للحصول على تعديل نظام الامتيازات وجعله أكثر ملائمة لروح العصر وتبذل انجلترا وساطتها لقبول مصر فى جمعية الأمم ·

ثانى عشر : تمثل بريطانيا فى مصر بسفير يخول حق التقدم على أى ممثل آخر ·

ثالث عشر : لا تخل أحكام هذه المعاهدة بالحقوق والتعهدات التى تنجم لكل من الطرفين المتعاقدين عن ميثاق جمعية الأمم ·

رابع عشر : عند ظهور أى خلاف ناتج عن التطبيق أو تفسير لأى حكم من المعاهدة لا يتيسر حله بالمفاوضات مباشرة يكون الفصل فيه طبقا لأحكام ميثاق جمعية الأمم ·

أبعاد مشروع ثروت ـ تشمبرلين (٢٩٨)

بالتأمل فى مواد هذا المشروع وعلى ضوء الدعوة البريطانية للتفاوض على أساس « اقامة استقلال مصر على قواعد وطيدة وحل المسائل المعلقة منعا للتداخل فى شئون مصر الداخلية » فقد جاء هذا المشروع متناقضا مع هذه الدعوة وعلى رأس المتناقضات هو النص على ابقاء الوجود العسكرى البريطانى على أرض مصر فى أى مكان ولأى مدة غير محدودة وكذلك النص على تقييد سياسة مصر الخارجية بحيث أصبحت تحت السيطرة والاشراف البريطانى · وكذلك اعترف المشروع وأكد على مشروعية الحماية البريطانية للأجانب المقيمين بمصر رغم ما أشار اليه المشروع الى الوعد من انجلترا ببذل المساعى فى عصبة الأمم على الحد من الامتيازات الأجنبية فى مصر وبذلك أصبح هذا المشروع صكا يعطى الحق لبريطانيا فى استمرار سيطرتها على مصر وقد عبر ثروت باشا أثناء المحادثات بوضوح عن هذا الهدف البريطانى « ان تلك الأمور المعلقة بين مصر وانجلترا على ما هى عليه خير من الاتفاق على عمل يزيد من أسباب سوء التفاهم » ·

وبذلك جاء مشروع المعاهدة هذه محققا لكل المصـــالح البريطانية واهدارا لاستقلال مصر والسودان بأسلوب محدد وبصورة لا تجعل بارقة أمل لقبوله شعبيا فى مصر رغم احتوائه على بعض الامتيازات المظهرية ·

---

(٢٩٨) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ٣١ · أحمد المليجى ، ص ١٩٣ الى ص ٢٠٢ ·

وكذلك جاء غفلا عن عمد من ذكر أى شيء عن السودان رغم ان الجانبين المصرى والانجليزى قام كل منهما أثناء المحادثات بتقديم مذكرات منفصلة عن السودان وصار الاكتفاء بالاتفاق شفويا فيما بينهما دون اعلان على أمل التوصل الى تسوية مسألة السودان الى مفاوضات تجرى فيما بعد « وان أوفى ضمان لصيانة مصالح الطرفين ولا سيما مصالح مصر فى مجارى النيل العليـــا هو استمرار سيادة الدولتين (مصر وانجلترا) المشتركة على السودان وتحدد فى هذا الاتفاق الشفوى تأكيد على حقوق مصر فى مياه النيل بموجب تقرير لجنة النيل فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٦ وفى الاتفاق الذى عقد فى أول مايو سنة ١٩٢٦ » ..

رفض المشروع (٢٩٩)

عند عرض مشروع المفاوضات على هيئة الوزارة الائتلافية يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٨ رفض أعضاء الوزارة الوفديون هذا المشروع لأنه لا يحقق مطالب البلاد ويجعل الاحتلال حقيقة واقعة وكذلك رفضه أعضاء الوزارة الدستوريون وأبلغ هذا الرفض رسميا للمندوب السامى الانجليزى فى نفس اليوم وبادرت الحكومة البريطانية باستخدام سياسة التهديد واشتد هجوم الساسة البريطانيين والصحافة الانجليزية على مصطفى النحاس بصفته زعيم الأغلبية البرلمانية التى تولت مهاجمة هذا المشروع ، وقام المندوب السامى باخطار ثروت باشا ان حكومة بريطانيـــا تعتبر ان اقرار بعض الشئون التشريعية المنظورة أمام البرلمان المصرى دون علم حكومة بريطانيا بمثابة مخالفة لتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ كما اعتبرت ان منشورات الطلبة المعادية لانجلترا مبررا لجعل حكومة بريطانيا تقوم بتنفيذ تهديدها بحمـــاية رعاياها بصفة خاصـــة ورعايا الأجانب بمصر بصـفة عامة (تهديد واضح وصريح وصارخ) .

استقالة وزارة ثروت باشا (٤ مارس سنة ١٩٢٨) .

ونتيجة لكل الأحداث السابقة وفى نفس يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٨ رفع ثروت باشا استقالة وزارته وقبلها الملك يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٨

ـ تاليف وزارة مصطفى النحاس باشا (٣٠٠) .. (١٧ مارس سنة ١٩٢٨)

● وفى اليوم التالى لقبول استقالة وزارة ثروت باشا ، عهد الملك أحمد فؤاد الى مصطفى النحاس باشا بتشكيل الوزارة ـ بوصفه زعيم الأغلبية البرلمانية ، وتالفت وزارة ائتلافية على النحو التالى :

---

(٢٩٩) مذكرات فى السياسة المصرية جزء أول ، حسين هيكل ، ص ٢٧٦ .

(٣٠٠) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ٣١ .

مصطفى النحاس رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية ، جعفر والى للحربية ، واصف بطرس غالى للخارجية ، محمد نجيب الغرابلى للأوقاف ، على الشمسى للمعارف ، أحمد محمد خشبة للحقانية ، محمد محمود للمالية ، محمد صفوت للزراعة ، ابراهيم فهمى كريم للأشغال ، مكرم عبيد للمواصلات ٠

« العمل الوطنى على ضوء المراحل الثورية »

(بعد ٠٠ سعد زغلول)

(أ) مرحلة استغلال الأقلية للأغلبية ــ المحكومة ــ واستهانتها بها ٠٠
(ب) مرحلة الوعى الشعبى ونموه ٠٠
(ج) مرحلة وجود المؤسسة الوطنية ٠٠

بعد وفاة سعد زغلول مباشرة ، لم تجىء هذه المراحل متتابعة ولكنها كانت مندمجة ومتداخلة ببعضها ومتواجدة على الساحة السياسية المصرية كميراث طبيعى وواقعى لثورة ١٩١٩ وتعثرها ٠٠ فقد كان هناك : ــ

(أ) الاستغلال والاستبداد والاستهانة بالأغلبية ٠٠

متمثلة فى التحالف بين الملك أحمد فؤاد وبعض رجال أحزاب الأقلية والسلطة البريطانية الممثلة فى قوات الاحتلال ودار المندوب السامى البريطانى ٠

(ب) أما الوعى الشعبى ٠٠

فكان متواجدا وبشكل بارز وعميق نتيجة مراحل التنوير والاستنارة ، وخاصة فى مجالى العمل السياسى والأدب السياسى ، بجانب شتى فروع الاستنارة التى كان من ضمن أعلامها ــ حتى من قبل الثورة العرابية وأثناءها وبعدها ــ على سبيل المثال « **رفاعة رافع الطهطاوى** » وتلاميذه وكتاباته التى كانت بمثابة ناقوس للتنوير يدق للتعريف بالديمقراطية وحرية الفكر والرأى وحرية المرأة ، وما نقله(٣٠١) عن التقدم الفكرى والسياسى والاجتماعى الغربى ٠٠

---

(٣٠١) عن دراسة « قرن من التنوير » ٠٠ ماذا فعل بمصر ــ للأستاذ يوسف القعيد ــ عدد رقم ٣٣٩٩ من مجلة « المصور » ، أول ديسمبر ١٩٨٩ ــ ص ٢٠ حتى ٢٥ ٠

كذلك ، كان هناك دور « **الشيخ محمد عبده** » ومؤلفاته بكتاباته المتداولة التى كانت بالغة الدلالة على ندائه بالحرية عندما تكلم عن حرية الرجل وارتباطها بحرية المرأة معللا بأن الرجل الذى يستعبد المرأة فانه يعانى هو الآخر من عبودية ما ، عبودية سلطة خارجية أو عبودية يضعها لنفسه ..

وكان هناك ـ أيضا ـ تاريخ « **عبد الله النديم** » بخطبه وكتاباته وتعبيراته المتداولة شعرا أو زجلا عن معاناته ونظرته الثورية مطالبا بالحرية ..

كذلك ما كان يترنم به شعراء العصر الوطنيون مثال : «**أحمد شوقى**» و « **حافظ ابراهيم** » و « **عباس العقاد** » و « **قاسم أمين** » و « **بيرم التونسى** » و « **الدكتور محمد حسين هيكل** » و « **توفيق الحكيم** » ـ وغيرهم كثيرون ، خاصة فى مجال الكتابة الصحفية التى انتشرت فى عصر ثورة ١٩١٩ وتأصلت وكافحت ، وكان لها ـ رغم معاناتها من الاضطهاد والغلق والمصادرة ـ تراث لا يستهان به فى معركة التنوير والوعى الشعبى الكامل، وبجانب كل ذلك كانت الصحافة الحزبية السياسية منتشرة حيث كانت أجهزة لنقل وتنمية الوعى والتعبير عن المعاناة .

(جـ) أما مرحلة ميلاد المؤسسة الوطنية وتكوينها ..

فقد كانت هذه المؤسسة موجودة فعلا متمثلة فى « حزب الوفد » ـ حزب الأغلبية ـ وكان لهذا الحزب بفضل النضال الثورى المعبر عن نبض الجماهير تنظيم شعبى دقيق وصل الى جذور المجتمع المصرى وتغلغل فى جميع المحافظات بل فى كافة القرى والأحياء الشعبية وفى دور العلم والنقابات ، بجانب أجهزة الحزب السياسية المتعددة من صحافة ونشرات دعائية وحتى المقاومة الشعبية العلنية والسرية بالاضافة الى أجهزة أحزاب الأقليـــة ..

ـ مسيرة أحداث العمل الوطنى ..

ـ موقف وطنى ـ لرئيس الوزراء **مصطفى النحاس** ـ **يؤدى الى اقالة وزارته (٣٠٢) .. (٢٥ يونية ١٩٢٨) ..**

بعد أسابيع قليلة من تشكيل وزارة مصطفى النحاس باشا ـ الأولى ـ أراد أن يعيد النظر فى قانون تنظيم الاجتماعات العامة والمظاهرات ـ الذى

(٣٠٢) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ للأستاذ د. محمد حسين هيكل ـ الجزء الأول ـ ص ٢٣٨ .

سبق أن أصدره رئيس الوزراء الأسبق يحيى باشا ابراهيم فى ٣٠ مايو ١٩٢٣ وقبل أن يصدر الدستور طبقا لتدخل السلطات البريطانية وموافقة الملك ـ لأنه كان يحتوى على قيود قد فرضت على أحقية عقد الاجتماعات والتظاهر السلمى ، واستنكر الشعب هذه القيود التى فرضت عليه وقتها ، وكان سعد زغلول قد طعن فى هذه القيود قبل توليه أول وزارة دستورية ورأى فى هذه القيود حدا من حرية الشعب فى التعبير عن شعوره واظهارها بطريقة سلمية ، وكان هذا القانون من القوانين الواجب عرضها على البرلمان ، ولكن لسبب أو لآخر لم يعرض على البرلمان الأول ولما تم انتخاب سعد زغلول باشا رئيسا لمجلس النواب فى ١٠ يونية ١٩٢٦ ، أبقى هذا القانون ولم يناد به أو يحركه أحد ، ولكن لجنة الشيوخ المختصة بدأت النظر فى هذا القانون تمهيدا لعرضه على المجلس ـ وكان التيار يميل لالغائه (٣٠٣) ـ وهنا تدخل الانجليز بحجة حماية الأجانب واحتجوا على الغاء القانون ، وأبلغ الانجليز رأيهم الى رئيس الوزراء النحاس باشا ولكنه رأى تجاهل تصريح ٢٨ فبراير وتمسك بحق مصر فى اصدار مزيد من التشريعات طبقا للدستور ، وتدخل محمد محمود باشا برأيه فى الموضوع ـ وكان وزيرا ائتلافيا (حزب الأحرار الدستوريين) ، وكانت وجهة نظره أن يتراجع النحاس باشا عن موقفه المتشدد وأشار عليه بامكانية اعادة مشروع القانون الى مجلس الشيوخ ثانية دون أى اجراء ـ كما فعل سعد زغلول ـ وتمسك النحاس برأيه واحتدم الخلاف ، فامتنع محمد محمود عن الذهاب الى الوزارة وتضامن معه باقى وزراء حزبه ـ الأحرار الدستوريين ـ ونشط التحالف بين المندوب السامى البريطانى والقصر الملكى المصرى وأعوانهما السياسيين الانتهازيين ونجحوا فى تمهيد جو من الخلاف داخل الوزارة ـ ترسيخا لقاعدة ومبدأ السياسة الانجليزية « فرق تسد » ، وازاء تجاهل النحاس باشا لكل ذلك متمسكا باعمال حق مصر الدستورى ـ ولم يبادر بالاستقالة من جانبه ـ فقد قام الملك فؤاد باقالة وزارة النحاس باشا فى ٢٥ يونية ١٩٢٨ ، وكان هذا يعتبر تجاوزا من الملك ويعبر عن الاستهانة بدستور البلاد والاهانة لرئيس الوزراء صاحب الأغلبية البرلمانية ـ الذى كان هدفه الدفاع عن الدستور وعن كرامة الأمة ، ولا شك أن الشعب صاحب الحق الشرعى والطبيعى ـ أمرا ونهيا كمصدر للسلطات وهو الذى يؤيد النحاس رئيس حزب الوفد والذى انتخب برلمان الأمة باسم حزب الوفد ـ فان هذه الاقالة المستهينة بالدستور وبأقدار الرجال الوطنيين ـ أعضاء المؤسسة الوطنية ، جعلت جماهير الشعب تستاء استياء شديدا من هذه التصرفات الملكية وتصرفات رجال حزب الأحرار الدستوريين ومن دار المندوب السامى البريطانى الذى كان

---

(٣٠٣) نفس المصدر السابق .

وراء كل هذه المؤامرات يرسم ويخطط لها كرد للاهانة المتمثلة فى رفض البرلمان لمشروع المعاهدة ، وكانت دار المندوب السامى البريطانى ـ بطبيعة الحال وواقعه ـ على علم بأن هذا الرفض لمشروع المعاهدة ـ كان يتزعمه وزراء حزب الوفد فى الوزارة الائتلافية ٠

وتعتبر اقالة الملك لوزارة تتمتع بثقـــة البرلمان أمرا يخالف روح الدستور ـ طبقا لنص المادة (٦٥) منه ـ كما أن اقالة الوزارة وهى متمتعة بثقـــة المجلس النيابى بل بثقـــة الأمة ، يعد اخلالا واهتراء بنظام الحكم وتجاوزا من الملك ـ المتحالف مع أحزاب الأقلية ومع المندوب الســـامى البريطانى ـ لسلطاته التى حددها ورسمها الدستور ، مما كان يعتبر واضحا وجليا أن اقالة الوزارة الدستورية بمثابة تخلص من أحكام الدستور ، لأنه تلا ذلك وقت العمل بالدستور ثم تبع ذلك تزييف الانتخابات البرلمانية مما أدى الى اقامة الحكم المطلق فى البلاد ٠

« مرحلة استهانة الأقلية الحاكمة بالأغلبية المحكومة »

« فرض الحكم المطلق فى البلاد » (٣٠٤)

ـ تأليف الوزارة برئاسة « محمد محمود باشا » ٠٠ (٢٧ يونية ١٩٢٨)

فى نفس يوم اقالة وزارة مصطفى النحاس باشا ـ ٢٥ يونية ١٩٢٨ ـ عهد الملك فؤاد الى محمد محمود باشا ـ وكيل حزب الأحرار الدستوريين ـ بتشكيل الوزارة الجديدة ، وتم تشكيلها يوم ٢٧ يونية على النحو التالى : ـ « محمد محمود رئيســا للوزارة ووزيرا للداخليـــة وجعفر والى للحربية والبحرية وعبد الحميد سليمان للأوقاف وأحمـــد خشبة للحقانية ونخلة المطيعى للزراعة وعلى ماهر للمالية وابراهيم فهمى كريم للأشغال ، حافظ عفيفى للخارجية وأحمد لطفى السيد للمعارف العمومية » ، وهى وزارة ائتلافية مؤلفة من حزبى الأحرار الدستوريين والاتحاد ـ ويمثلهم فى البرلمان ٥٠ نائبا فقط من ٢١٤ نائبا ، فكانت تمثل وزارة أقلية تتحكم فى شئون الأغلبية وكان هذا أول تجاوز من الملك وحزبى الأحرار الدستوريين والاتحاد المؤلفة منهما الوزارة ، وفى هذا التشكيل المؤلف بالمرسوم الملكى تآمر على الدستور تآمرا صريحا وجليا ٠

---

(٣٠٤) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ٥٠ ٠

ورغم أن رئيس الوزراء ـ محمد محمود باشا ـ ذكر فى خطاب تشكيل الوزارة أن « رائده هو أن يظل الدستور فى حمى جلالة الملك » ، فقد كان أول اجراء له هو تأجيل انعقاد جلسات البرلمان شهرا بكامله ثم أعقب التأجيل صدور مرسوم ملكى بحل البرلمان بمجلسيه وايقاف الحياة الدستورية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، مما يعتبر معه هذا الاجراء تجاوزا من الملك الذى أصدر هذه المراسيم المخالفة للدستور بالمخالفة لأحكام ونصوص المواد ٨٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ من الدستور وبفضل تضامن الوزارة مع الملك ·

ولم تكتف وزارة محمد محمود بذلك ولم تقف عند هذا الحد ، بل قامت بارتكاب كثير من التجاوزات بالعدوان على الحريات التى بدأت بمخالفة الفقرة الخاصة بحرية الصحافة من المادة (١٥) من الدستور ، فبدأت بانذار الصحف ثم وقفها عن الصدور بل والغائها بالطرق الادارية ، وقوبلت هذه التصرفات والتجاوزات الملكية والوزارية المخالفة بالسخط والاستنكار الشديدين من الأمة حيث كان الدستور هو المطلب الأساسى للشعب والذى كان الشعب يعتبره المكسب الوحيد الذى حصل عليه من ثورة ١٩١٩ والذى لم يمض على اصداره عدة سنوات قلائل حتى أصبح هدفا للعدوان الملكى بالتضامن مع أحزاب الأقلية المتعاونين مع الانجليز المستعمرين للبلاد ·

وقام حزب الوفد ـ صاحب الأغلبية الشعبية ـ باصدار نداء دعا فيه الأمة الى النضال فى سبيل عودة الدستور بروحه ونصوصه وعودة الحرية للشعب ليمارس حقوقه التى كفلها له الدستور ·

ففى ٢٢ يوليو ١٩٢٨ ، دعت الهيئة الوفدية الى اجتماع البرلمان بعد مهلة الشهر ومنعت الحكومة هذا الاجتماع بالقوة المسلحة ، لكن تم الاجتماع بصفة استثنائية بدعوة أعضاء المؤسسة الوطنية المصرية واجتمعوا بدار « مراد الشريعى » فى ٢٨ يوليو ١٩٢٨ ، وأصدروا قرارات وطنية حيث أعلن المجتمعون عدم الثقة بالوزارة ووجوب تخليها عن الحكم كما قرر المجتمعون بطلان جميع التشريعات التى أصدرتها وتصدرها الوزارة فى غيبة البرلمان ، وقد أقسم كل عضو من الشيوخ والنواب اليمين بالمحافظة على الدستور وحمايته والدفاع عنه حتى آخر رمق فى حياتهم ·

ـ تجاوزات وزارة محمد محمود ··

توالت تجاوزات وزارة محمد محمود الصارخة للدستور بدعم ومباركة من الملك لهذه التجاوزات أو بايعاز منه ، وكان ذلك بمثابة استغلال من

الأقلية الحاكمة للأغلبية المحكومة ، فلجأت الى سياسة القمع والاضطهاد واهدار الحريات فمنعت اجتماعات المعارضة بل واعتدت على المعارضين بالضرب والحبس (٣٠٥) وأسرفت في اضطهاد الصحافة فأصدرت القرارات **بالغاء التراخيص لنحو مائة صحيفة** كما أنذرت وعطلت صدور عدة صحف للمعارضة ، فعطلت صدور جريدة « البلاغ » ومجلة « روزاليوسف » لمدة أربعة شهور وجريدة « وادى النيل » تعطلت نهائيا وأنذرت جريدة « الأهرام » وجريدة « لاباري » وجريدة « كوكب الشرق » التى تم تعطيلها نهائيا وكذلك جريدتى « الوطن » و « الأفكا » ، كما منع البوليس - بالقوة - فريقا من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ من الدخول الى ساحة عابدين لتوصيل شكواهم الى الملك فؤاد واعتدى البوليس عليهم بالضرب ، كما صدرت القوانين الاستثنائية - فى غيبة البرلمان - والتى بمقتضاها منعت الموظفين من حضور الاجتماعات السياسية أو حتى مجرد ابداء آراء أو نزعات وطنية وهددتهم بالفصل وجعلت منهم آلات صماء ودمى تحركها يد كل وزارة تتولى الحكم ، كما حظرت اشتغال طلبة الجامعات ومعاهد التعليم بالسياسة أو ممارسة حق الاضراب أو المظاهرات أو حتى الاجتماعات ، فى نفس الوقت الذى كانت تقوم الوزارة بمحاباة الموظفين البريطانيين بتقليدهم أهم المناصب وأرقى الدرجات فى دواوين الوزارات ومصالحها ، وجددت عقود العمل لكثير منهم بعد انتهاء مدة خدمتهم بل وعينت انجليزيا فى وظيفة « نائب عام » فى المحاكم المختلطة .

وكان من **أخطر التجاوزات لهذه الوزارة** .. هو توقيع اتفاقية مياه النيل بين مصر وانجلترا فى ٧ مايو ١٩٢٩ ، وبمقتضاها تأكد انفصال مصر عن السودان تقريبا فجاءت اقرارا لفصل أعمال الرى فى السودان عن وزارة الأشغال المصرية وجعلت ادارة خزان (سنار) فى يد حكومة السودان الانجليزية فعلا ، وأصبح لمفتش الرى المصرى فى السودان أن يتعاون مع مهندس الرى الانجليزى فقط الذى يقيم فى منطقة خزان سنار لقياس التصريفات والأرصاد لمجرد تحقق الحكومة المصرية من مراجعة حصة مصر من المياه حسبما تم الاتفاق عليه ، وقد جعلت الاتفاقية جميع أعمال الرى التى تقيمها مصر فى السودان متوقفة على موافقة حكومة السودان للمحافظة على مصالح السودان - الخاضعة للحكم البريطانى المطلق - وبذلك أصبحت ادارة مياه النيل بالسودان فى قبضة الانجليز كما فقدت مصر حقها الثابت فى السيطرة على مياه النيل وادارتها حيث كانت الاتفاقية فى مجملها تنفيذا لوجهة النظر البريطانية فى الفصل بين مصر والسودان حتى من الوجهة المائية والاقتصادية .

---

(٣٠٥) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » - للأستاذ الرافعى - الجزء الثانى - ص ٧٠ .

وبسبب كل هذه التجاوزات أخذت الوفود من مختلف طبقات الشعب المصرى وطوائفه تكتب العرائض الى الملك مطالبة باعادة الحياة الدستورية الى البلاد وقامت بعض هذه الوفود بالتوجه الى القصر الملكى للاحتجاج وتقديم هذه العرائض وكانت قوات البوليس تمنعهم من الوصول الى القصر بالقوة وكان ذلك بمثابة تأكيد على بداية المرحلة التالية من مراحل التذمر والاحتجاج للشعور بظلم واستغلال الأقلية للأغلبية ·

وبلغت تجاوزات وزارة محمد محمود تجاوزا صارخا عندما أقالت ثلاثة عشر مستشارا بمحكمة الاستئناف بحجة ــ زائفة ــ هى تخفيض سن المعاش للمستشارين ببلوغهم سن الستين بدلا من ٦٥ سنة لأسباب غير معلومة وبطريقة مفاجئة ، وكان هذا الاجراء من أعنف الاجراءات ضد السلطة القضائية وخاصة مع رجال المحكمة العليا ، اذ كان من الاسلم دستوريا أن يترك مثل هذا الأمر للمستشارين أنفسهم فى حالة من يرون احالته الى المعاش من زملائهم ــ احتراما لكرامة القضاء وقدسيته ــ أفضل من اصدار مرسوم ملكى بذلك دون الرجوع لسلطات القضاء ·

ــ مفاوضات محمد محمود وهندرسون (٣٠٦) ··

فى أثناء وجود محمد محمود باشا بانجلترا فى شهر يونية ١٩٢٩ ــ لحضور حفل منحه درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة اكسفورد السابق اتمام دراسته الجامعية بها ــ صار هناك اتصال بينه وبين وزارة الخارجية البريطانية لاجراء محادثات بخصوص المسألة المصرية وكان الاتصال بينهما شبه سرى ــ بين محمد محمود ومستر هندرسون وزير الخارجية البريطانية فى وزارة حزب العمال ــ وأسفرت المحادثات عن مشروع معاهدة فى ٣ أغسطس ١٩٢٩ ، وتمت الاتصالات النهائية بعد ابلاغ الملك فؤاد بذلك أثناء وجوده فى أوروبا لقضاء فصل الصيف فى باريس فسافر اليه محمد محمود وأحاطه علما بمشروع المعاهدة ، وكان محمد محمود أثناء المحادثات على اتصال برجلين من الانجليز كانا يعملان بمصر أحدهما مستر جيرالد دلانى ــ مراسل وكالة رويتر للأنباء بالقاهرة وثانيهما الرايت أونرايل سيسيل كامبل ، وفى غالب الأمر أنهما كانا وسيطين بين محمد محمود والانجليز فى المفاوضات بشكل أو بآخر ·

وكان الجانب البريطانى ينهج نفس مخططه السابق لاطالة فترة الاحتلال بمزيد من فتح وقف التفاوض حينما يراه ما دام فى النهاية سوف

---

(٣٠٦) « مذكرات فى السياسة المصرية » ــ للاستاذ د· محمد حسين هيكل ــ الجزء الاول ــ ص ٢٤٩ ·

لا يتفق على أى شيء حاسم فى القضية لأن الجانت البريطانى كان على علم تام بأن رئيس الوزراء ـ محمـد محمـود فى مأزق اذ أنه لا يستند فى نفاوضه الى أى نوع من أنواع التمثيل الشعبى حيث أن وزارته لا تحظى بالأغلبية البرلمـانية ، فقد تعمد الجـانب البريطـانى فى رسائله المتبادله الى تذكيره بأن تفاصيل المشروع يجب أن نعرض على البرلمـان المصرى ـ رغم علم الجـانب البريطـانى بأن البرلمـان المصرى موقوف بمرسوم ملكى بالاتفـاق بين الملك والوزارة ودار المنـدوب السامى البريطانى ـ فأشـار محمـد محمود فى أحـد ردوده على هـذا الأمـر للجانب البريطـانى بأنه مسـتعد من جهتـه لعـرض مشروع المعـاهدة على الشعب المصرى عن طريق البرلمان ، ولذلك فى الفترة فيما قبل نهاية المحادثات فكر محمد محمود فى تعديل الدسـتور (٣٠٧) بغرض اجراء انتخابات جديدة قد يحصل فيها بشكل أو بآخر على الأغلبية البرلمانية بأية وسيلة وتمكنه بذلك من التصديق على مشروع المعاهدة ، ولذلك ـ وفجأة ـ بعد أن كان الجانب البريطانى يطلق على الاتفاق الذى توصل اليه مع محمد محمود بأنه مشروع معاهدة ولكن صدر النص البريطانى والمتفق عليه مع الجانب المصرى وقد صيغ على أنه مقترحات لا على أنه (مشروع معاهدة) ، فقد ألغيت ديبـاجته (٣٠٨) التى تذكر المفاوضين عن الدولتين وألغيت فقراته الختامية ولم يبق فيه ما يدل على أنه مشروع معاهدة يراد توقيعها والتصديق عليها ، مما يعد معه هذا الوضع تلاعبا خسيسا من الجانب البريطانى وتجاوزا من المفاوض المصرى محمد محمود باشا ، وبصفة عامة انتهت المقترحات لتؤكد أيضا على بقاء القوات البريطانية فى مصر ولو أنها تضمنت انتقالها الى منطقة القناة فقط ، كما أكدت هذه المقترحات على بقاء السودان منفصلا (٣٠٩) عن مصر مع بقاء مظهرية اقرار الحكم الثنائى فى السودان .

ولو أن هذه المقترحات كانت تتضمن بعض الجوانب الايجابية ، حيث نص الاقتراح السادس منها على اعتراف بريطانيا بأن الحكومة المصرية هى المسئولة عن حماية أرواح الأجانب وأموالهم وكذلك بحق مصر فى طلب التخلص من نظام الامتيازات الأجنبية وتعهدت بريطانيا ببذل قصارى جهدها ونفوذها لدى الدول الأجنبية الأخرى ذات الامتيازات وصولا الى نقل اختصاص المحاكم القنصلية إلى المحكمة المختلطة .

---

(٣٠٧) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ د. محمد حسين هيكل ـ الجزء الأول ـ ص ٢٥١ .

(٣٠٨) المصدر السابق ـ ص ٢٥٣ .

(٣٠٩) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ٨٥ الى ٨٨ .

الا أن هذه المقترحات تضمنت أيضا الجوانب السلبية ، فكان من أبرزها النص فى الاقتراح الثالث عشر منها أن يكون مركز السودان هو المركز الناشىء عن اتفاقية سنة ١٨٩٩ وبنـاء عليه يظل الحاكم العـام الانجليزى يباشر ـ بالنيابة عن الطرفين المتعاقدين (بريطانيا ومصر) ـ السلطات المطلقة التى خولها له اتفاق ١٨٩٩ ·

ـ المأزق الحرج للوزارة (٣١٠) ··

عندما أعلنت نصـوص المقترحات ـ التى هى فى حقيقتها مشروع المعاهدة ـ أعلن حزب الوفد تعليقا عليها بالمطالبة بضرورة عودة الحيـاة الدستورية لكى تقول الأمة كلمتها فيها ممثلة للبرلمان ·

وعند وصول المندوب السامى البريطانى الجديد « سير برسى لورين » فى أول سبتمبر ١٩٢٩ ـ وكان مخولا بالتصرف فى شئون مصر طبقا لما تقتضيه المصالح البريطانية التى تقضى بدوام بقاء مندوبها فى مصر دون أى قيود أو شروط مصرية ـ عند وصوله كان الرأى العام المصرى مطابقا ومؤازرا لرأى حزب الوفد بالتمسك بعدم النظر فى المشروع أو المقترحات الا بعد عودة الحياة الدستورية ، وفى ذات الوقت كانت وزارة محمـد محمود ترغب فى البت فى الموضوع حال قيامها بمهام الحكم ـ واذا لزم الأمر أن تقوم هذه الوزارة باجراء الانتخابات بأية وسيلة ولو بالتزييف ـ وأصر الوفد على المطالبة بضرورة استقالة الوزارة حتى لا تعبث بحرية الانتخابات وطالب بتشكيل وزارة محايدة لاجراء الانتخابات ، وقام المندوب السامى البريطانى الجديد بدوره بالتدخل ـ تجاوزا ـ وأبلغ الملك فؤاد والوزارة بأن الحكومة البريطانية تقبل شروط حزب الوفد وكان مفاد ذلك هو اسقاط وزارة محمد محمود وتشكيل وزارة جديدة محايدة تتولى عملية اجراء الانتخابات وكانت هذه الخطوة بارادة بريطانيا وليست بارادة ملك مصر مما كان يعتبر استضعافا من الملك وتقاعسا منه عن مزاولة سلطاته خضوعا لارادة المندوب السامى البريطانى وارادة حكومته ·

ـ استقالة وزارة محمد محمود ·· (٢ أكتوبر ١٩٢٩)

ـ وتاليـف وزارة عدلى يكن ·· (٤ أكتوبر ١٩٢٩)

وقدم محمد محمود باشا استقالة وزارته يوم ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وقبلها الملك فى نفس اليوم وعهد فى اليوم التالى ٣ أكتوبر الى عدلى يكن باشا بتأليف الوزارة ، وصدر المرسوم الملكى بتشكيلها يوم ٤ أكتوبر كالآتى : ـ « عدلى يكن رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية ، أحمد مدحت يكن للخارجية ،

---

(٣١٠) المصدر السابق ـ ص ٩٤ ، ٩٥ ·

عبد الرحيم صبرى للمواصلات ، حسين درويش للحقانية ، مصطفى ماهر للمالية ، حسين واصف للأشغال ، واصف سميكة للزراعة ، أحمد على للأوقاف ، حافظ حسن للمعارف ومحمد أفلاطون للحربية » ، تم صدر مرسوم ملكى فى ٣١ أكتوبر ١٩٢٩ باستئناف العمل بأحكام الدستور وباجراء انتخابات لمجلس النواب ، وآجريت الانتخابات يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٢٩ حيث فاز حزب الوفد بالأغلبية الساحقة حيث نال ٢١٢ مقعدا من ٢٣٥ مقعدا ونال الحزب الوطنى خمسة مقاعد ونال حزب الاتحاد ثلاثة مقاعد ونال المستقلون باقى مقاعد البرلمان وقد قاطع حزب الأحرار الدستوريين الانتخابات ·

ـ استقالة وزارة عدلى يكن ··

ـ وتأليف وزارة النحاس باشا ـ الثانية ·· (أول يناير ١٩٣٠)

فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٩ قدم عدلى يكن استقالة وزارته ـ الانتخابية ـ وعهد الملك فؤاد الى مصطفى النحاس يوم أول يناير ١٩٣٠ بتأليف الوزارة حيث تشكلت فى نفس اليوم كالآتى : ـ

« مصطفى النحاس رئيسا للوزارة ووزيرا للداخلية ، حسن حسيب للحربية والبحرية ، واصف بطرس غالى للخارجية ، محمد نجيب الغرابلى للحقانية ، عثمان محرم للأشغال ، محمد صفوت للزراعة ، مكرم عبيد للمالية ، محمود فهمى النقراشى للمواصلات ، بهى الدين بركات للمعارف العمومية ، محمود بسيونى للأوقاف » ، وكان أهم ما جاء بخطاب تأليف الوزارة هو « أن من الأغراض الأولى للوزارة العمل على تثبيت قواعد الدستور وصون نصوصه وأحكامه ··· والسعى الى تحقيق استقلال البلاد استقلالا صحيحا والوصول الى اتفاق مشرف بين مصر وبريطانيا ·· الخ ، وتم تعيين عدلى يكن باشا رئيسا لمجلس الشيوخ كما تم انتخاب ويصا واصف باشا رئيسا لمجلس النواب ·

ـ مفاوضات : النحاس ـ هندرسون :

فى ٦ فبراير ١٩٣٠ أصدر البرلمان المصرى الجديد تفويضا لوزارة مصطفى النحاس باشا بالتفاوض مع الحكومة البريطانية فى مقترحاتها السابقة مع وزارة محمد محمود للوصول الى اتفاق مشرف لمصر ، وتألف الوفد الرسمى المصرى للمفاوضة وسافر الى لندن وجرت المفاوضات بين الوفد المصرى ومستر هندرسون وزملائه بدءا من يوم ٣١ مارس ١٩٣٠ حتى يوم ٨ مايو ١٩٣٠ حيث توقفت المفاوضات لعدم امكان التوصل الى

اتفاق بين الجانبين بشأن المادة الخاصـــــة بشئون السودان ، وكانت المفاوضات فى مجملها ـ بما فيها المادة الخاصة بالسودان ـ هى ذات المقترحات التى سبق تناولها مع رئيس الوزراء السابق محمد محمود ، وطلب الوفد المصرى تعديل هذه المادة ـ الخاصة بالسودان ـ ليضـاف الى نصها السابق عبارة : « أن لا يكون فى ادارة الحاكم العام للسودان مساس بحقوق مصر ومصالحها المادية » ، وكذلك يضاف الى النص المطلوب تعديله عبارة : « على أن يدخل الطرفان المتعاقدان ـ اذا طلب أحدهما ـ فى مباحثات ودية بشأن تطبيق الاتفاقيتين فى خلال اثنى عشر شهرا من تنفيذ المعاهدة (المقترحة) » ، أما النص الأول ـ السابق ـ فلم يحدد موعدا لهذا التعديل ولا يلزم انجلترا باجابة مصر الى طلبها التعديل ٠٠ ؟؟ ، ولم يقبل الجانب البريطانى بادخال هذه التعديلات وتمسكت الحـكومة البريطانية بالنص الأول ـ السابق ـ وفى المقابل لم يقبل الوفد المصرى ذلك وظهر واضحا وجليا أن بريطانيا تريد أن تغتصب من مصر ما لا يقبله أى مفاوض ، مما أدى الى التوقف وقطع المفاوضات ٠

ـ تآمر التحالف المعادى للشعب ٠٠

وما أن قطعت المفاوضات ، حتى تحرك التحالف التقليدى بين السراى والمندوب الســـــامى البريطانى وطلاب المناصب للتخلص من وزارة حزب الأغلبية ـ الوفد ـ ، وبدأ حزب الأحرار الدستوريين تدبيراتهم فرفعوا العرائض الى الملك فؤاد فى ٢٧ مايو ١٩٣٠ والتى حملت فى طيات سطورها الكثير من المطاعن فى الوزارة وتضرعوا الى الملك أن يتلافى الأمر بحكمته (أى اقالة الوزارة كما سبق) وكان غرضهم وغرض التحالف لم يكن الا هدم الدستور ، خاصة وأن وزارة النحاس باشا كانت قد أعدت مشروع قانون محاكمة الوزراء لتقديمه للبرلمان وبه نصوص تقضى بمعاقبة الوزراء الذين يعتدون على الدستور أو مخالفة حكم من أحكامه وكل وزير يبدد أموال الدولة وذلك لصيانة النظام الدستورى وحمايته من التلاعب والاعتداءات ، ورفض الملك فؤاء التوقيع على هذا المرسوم بهذا القانون لعرضه على البرلمان لأن السراى ـ فى أوقات كثيرة ـ كانت فى حاجة الى الاستعانة بأمثال هؤلاء الوزراء الذين قد يقعون تحت طائلة هذا القانون ويحاكمون بموجبه ، ثم انتهزت السراى الفرصة واختلقت خلافا بينها وبين الوزارة على أسماء المرشحين لتعيينهم أعضاء بمجلس الشيوخ بدلا من الذين سقطت عضويتهم ووضعت أسماء مرشحين آخرين خلاف من رشحتهم الوزارة ٠

ـ استقالة وزارة النحاس باشا (٣١١) ·· (١٧ يونية ١٩٣٠)

وانتهى الأمر باستقالة وزارة النحاس باشا حيث تقدم هو بالاستقالة قبل أن يبادر الملك باتباع عادته التقليدية المهينة ـ مع حزب الوفد ـ باقالة الوزارة ، وقبل الملك استقالته يوم ١٩ يونية ـ رغم تمتع هذه الوزارة بثقة الشعب والبرلمان ولم تستمر في الحكم الا ستة شهور فقط ·

وتعد جميع مؤامرات حزب الأحرار الدستوريين والقصر ـ والمعارك المفتعلة لاقالة الوزارة الوفدية ـ بمثابة تجاوز من الملك فؤاد ومن أعضاء حزب الأحرار الدستوريين وعدوان صارخ على الدستور ، فى نفس الوقت الذى وقف فيه الانجليز ـ خلف ستار ـ يعلنون كعادتهم عدم تدخلهم فى هذه الأزمة الداخلية ، وقد سجل النحاس باشا هذه التجاوزات فى آخر جلسة له فى إجتماع مجلس النواب بعد تقديم استقالته ·

***

صورة أخرى من ·· معاناة الأغلبية المحكومة من الأقلية الحاكمة

ـ تأليف وزارة اسماعيل صدقى باشا ·· (٢٠ يونية ١٩٣٠)

فى ٢٠ يونية ١٩٣٠ ، صدر المرسوم الملكى بتأليف وزارة صدقى باشا ـ ورفض حزب الأحرار الدستوريين الاشتراك فيها ـ وقد تشكلت هذه الوزارة على النحو التالى : « اسماعيل صدقى رئيسا للوزارة ووزيرا للداخليـة والمالية ، محمد توفيق رفعت للحربية والبحرية ، على ماهر للمعارف العمومية ، توفيق دوس للمواصلات ، محمد حلمى عيسى للأوقاف ، حافـظ عفيـفى للخارجيـة (الوزير الوحيـد من حـزب الأحـرار الدستوريين) » (٣١٢) ·

وكان اختيار الملك لصدقى باشا بالذات ، دليلا على رغبته وتحالفه التقليدى بالاعتداء على الدستور وعلى الحياة النيابية ـ ولو أن المندوب السامى الجديد « السير برسى لورين » آثر أن يعلن بل يتظاهر بالتزامه الحياد فى المشاكل التى تدب بين الملك فؤاد ووزرائه والأحزاب والذى بقى متمسكا بهذا التظاهر عن عمد حتى غادر مصر عام ١٩٣٣ ، لأن السياسة البريطانية وقتها كان من مصلحتها أن تترك الحبل مرتخيا للملك.

---

(٣١١) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١٨٠ ·

(٣١٢) « عشت حياتى بين هؤلاء » ـ للأستاذ محمد أحمد فرغلى ـ ص ٥٤ ·

فؤاد يمارس هوايته فى الاستئثار بجانب من سلطة الحكم المطلقة وضرب أحزاب الأقلية ببعضها البعض مع تشكيل الوزارات الاستبدادية منهم والتنكيل بصفة خاصة بحزب الأغلبية ـ حزب الوفد ـ الذى يمثل المؤسسة الوطنية وترك الحبل على الغارب لوزارات الأقلية للاعتداء على الدستور وعلى الحياة البرلمانية ومسايرتها بما يتمشى مع السياسة البريطانية التى ترغب وتعمل على الهاء الشعب المصرى ومؤسسته الوطنية عن المطالبة بالاستقلال الكامل عن طريق المفاوضات التى أخذت تتشدد فى مطالبها كما حدث مع محمد محمود والنحاس وكان توقف هذه المحادثات من مبررات تخلص الملك والمندوب السامى من المتفاوضين المصريين المتشددين خشية سخط الرأى العام ، وأكبر دليل على هذا المخطط الانجليزى هو تتبع التجاوزات التى قامت بها وزارة اسماعيل صدقى وتشجيع الملك لها فى التنكيل بخصومه وخاصة حزب الوفد وتعطيل الحياة البرلمانية ٠

ـ استهانة صدقى باشا رئيس الوزراء بالأغلبية ـ المحكومة ـ (١) ٠٠

وقد سجل صدقى باشا فى خطابه الى الملك بقبول تأليف الوزارة فقال : « وستنهج الوزارة فى سبيل الوصول الى تحقيق الطمأنينة بالوسائل الطبيعية ٠٠٠٠ وهى قوية الرجاء بألا تلجئها الظروف على كره منها الى الأخذ بغير تلك الوسائل والأسباب » ٠ !! ، وفى اليوم التالى ـ ٢١ يونية ـ لتأليف الوزارة بدأت مهامها باستصدار مرسوم ملكى بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا ـ ابتداء من ٢١ يونية ـ رغم أن التقاليد الدستورية كانت تقضى باجتماع مجلسى الشيوخ والنواب لتلاوة المرسوم الملكى الصادر بتأجيل اجتماع البرلمان ـ وكان محددا لذلك جلسة يوم ٢٣ يونية ـ ، ولما صمم رئيس مجلس النواب ويصا واصف باشا ورئيس مجلس الشيوخ عدلى يكن باشا على اجتماع المجلسين فى موعده ، تجاوزت الوزارة فمنعت هذا الاجتماع باستخدام تدخل قوات الجيش من الخارج والداخل ـ بعد أن أغلقت أبواب البرلمان وربطت بابه الحديدى الخارجى بسلاسل حديدية ، وكان هذا تجاوزا واعتداء صارخا من الحكومة على الدستور ، لأن المادة ١١٧ من الدستور كانت تنص على أن « لكل من مجلسى النواب والشيوخ المحافظة على النظام فى داخله ويقوم بها الرئيس ، ولا يجوز لأية قوة مسلحة الدخول الى المجلس ولا الاستقرار على مقربة من أبوابه الا بطلب من رئيس المجلس » ٠

ـ مرحلة الوعى ودور المؤسسة الوطنية ٠٠

عندما حضر الشيوخ والنواب فى الموعد المحدد لانعقاد جلستهم ـ ٢٣ يونية ١٩٣٠ ـ قام ويصا واصف رئيس النواب بتكليف البوليس

المخصص لحراسة البرلمان بتحطيم السلاسل الحديدية المغلق بها الباب ودخل النواب والشيوخ كل فريق الى قاعته حيث تلى مرســـوم تأجيل الاجتماعات ثم أقسم كل من أعضاء المجلسين اليمين بالمحافظة على الدستور وأرسل كل من رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الشـــيوخ خطابى احتجاج على هذه التصرفات الاستبدادية الاستفزازية والمخالفة لأحـــكام الدستور الى رئيس الوزراء اسماعيل صدقى ، كما أصدر الأعضـــاء من النواب والشيوخ مذكرات احتجاج واستنكار لما ارتكبته الحـــكومة من مخالفات دستورية ٠

وعقب ذلك تم اجتماع مؤتمر من الشيوخ والنواب من أعضاء مجالس المديريات فى (٣١٣) نادى الحزب السعدى يـوم ٢٦ يونيـة ١٩٣٠ ،

وسجلوا على الحكومة تجاوزاتها بالآتى : ـ

(أ) بأن الوزارة عمدت الى حكم البلاد حكما مطلقا بعد تشكيلها ولم تتقدم الى نواب الأمة لتنال ثقتهم والتى بدونها لا يتحقق حكم البلاد حكما دستوريا ٠

(ب) أن الحكومة أجلت انعقاد البرلمان لمدة شهر بمرسوم ملكى وتدخلت فى صميم الاجراءات والقواعد الدستورية لمنع تلاوة هذا المرســوم داخل قاعات البرلمان على نواب الأمة وشيوخها ٠

(جـ) أوصدت الحكومة أبواب البرلمان بالقوة المسلحة فى وجه ممثلى الأمة شيوخا ونوابا لتمنعهم من القيام بأداء واجبهم الدستورى ٠

● **وقـــرر المؤتمـــر :**

أولا : الدفاع عن الدستور ٠

ثانيا : عدم التعاون مع الحكومة والدعوة لتنظيم هذا الموقف وخاصة اذا تعمدت الحكومة ايقاف العمل بالدستور واغلاق البرلمان ٠

ثالثا : القسم على ما سبق وابلاغ هذه القرارات الى الأمة بكافة طوائفها ٠

---

(٣١٣) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ جزء ثان للاستاذ الرافعى ، ص ١٨٢ ٠

ـ مرحلة العمل الايجابى ••

على اثر ذلك ، عم السخط جميع أنحاء البلاد وتوالت الاجتماعات الشعبية للاحتجاج ، واشتبكت قوات البوليس بجموع الشعب فى الزقازيق وفى بلبيس قتل ثلاثة من الأهالى ، وفى المنصورة استخدمت الوزارة ثلاثة آلاف من جنود الجيش حيث قتل أربعة من الأهالى وفى بورسعيد استشهد أحد المتظاهرين وفى طنطا ألقى القبض على ٧٤ شخصا من المتظاهرين وفى بور سعيد قامت مظاهرت صاخبة يوم ١٥ يوليو ـ احتجاجا على حوادث القتل فى الاسماعيلية والسويس وقبض على عدد كبير من المتظاهرين وفى الاسكندرية وبلبيس والمنصورة ـ حيث بلغ عدد القتلى عشرون قتيلا وكثير من الجرحى ، أما فى القاهرة فقد قامت المظاهرات يوم ٢١ يوليو ـ عقب منع القوات المسلحة من الجيش والبوليس النواب والشيوخ من الاجتماع بالبرلمان بعد انتهاء فترة التأجيل ـ حيث بلغ عدد القتلى أربعة من الأهالى.

ـ موقف بريطانيا من الأحداث ••

وفى بريطانيا كشف التصريح الذى أعلنه رئيس الوزراء البريطانى « رامز ماكدونالد » فى مجلس العموم يوم ١٦ يوليو ١٩٣٠ ـ بعد تفاقم الأحداث فى مصر ـ حيث أطلق على هذه الأحداث « الأزمة الدستورية الحالية فى مصر » ، الى أن قال : « أرسلت حكومة صاحب الجلالة تعليماتها الى المندوب السامى أن يراعى خط الحياد الدقيق التام » ، وكان هذا يتمشى مع المخطط البريطانى فى هذه المرحلة لتحقيق المصالح البريطانية كما سبق أن أسلفنا .

كما أرسلت الحكومة البريطانية للمندوب السامى لابلاغ صدقى باشا أنه مسئول عن حماية أرواح الأجانب المقيمين بمصر ، كما أبلغ النحاس باشا بذلك ـ بصفته زعيم الأغلبية والقادر على تحريك الشعب ـ « أنه يجب أن تحل مشاكل مصر الداخلية دون أن تتعرض أرواح الأجانب ومصالحهم للخطر » ، وخشية من تفاقم الحالة وتدهور الموقف ـ بعد احداث الاسكندرية العنيفة والتى أعادت الى الأذهان حالة الاضطراب أيام ذروة أحداث الثورة العرابية ـ أصدرت حكومة بريطانيا أوامرها الى بارجتين حربيتين بالسفر الى مياه الاسكندرية ، وكان لوصول هاتين البارجتين وقعا أليما فى نفوس أفراد الشعب لعودة بريطانيا لاستخدام أساليبها الاستبدادية الاستعمارية البغيضة .

وكان الرد من النحاس باشا على هذا التبليغ البريطانى مسجلا أن أسباب تفاقم الأحداث يرجع الى قيام الحكومات ـ المعادية للشعب ـ بالاعتداء

على الدستور بممارسة الحكم المطلق ، وأن حزب الوفد حريص كل الحرص على الدفاع عن الدستور فى حدود حقوق وأهداف حزب الأغلبية ٠

ـ عودة الى تجاوزات صدقى باشا ووزارته ٠٠ (استغلال الأقلية للأغلبية) :

فى يوم ١٢ يوليو ١٩٣٠ ، استصدرت وزارة صدقى باشا مرسوما ملكيا بفض الدورة البرلمانية قبل أن يقر البرلمان ميزانية الدولة ـ ويعد هذا تجاوزا ومخالفا للمادة ١٤٠ من الدستور والتى تقضى بعدم جواز فض الدورة البرلمانية قبل الفراغ من تقرير الميزانية ـ كما جاء نقضا وتجاوزا للمادة ٩٦ من الدستور والتى تقضى باستمرار دور الانعقاد العادى لمدة ستة شهور على الأقل ، فاحتج أعضاء البرلمان على هذا المرسوم ، واحتلت الحكومة بقواتها المسلحة دار البرلمان فى يوم ٢١ يوليو ١٩٣٠ ، فاحتج رئيس مجلس الشيوخ عدلى يكن على احتلال الحكومة بقواتها المسلحة دار البرلمان بعد أن هددت الحرس الخاص به ، واجتمع أعضاء البرلمان بالنادى السعدى يوم ٢٦ يوليو وقرروا سحب الثقة بالوزارة ٠

ـ انتهازية أحزاب الأقلية :

ظهرت انتهازية حزب الأحرار الدستوريين جلية فى ملابسات تشكيل وزارة صدقى باشا ، فقد تعمد صدقى باشا عند تشكيله الوزارة أن يشرك معه فيها بعض أعضاء (٣١٤) حزب الأحرار الدستوريين مقابل تأييدهم له والتوقف عن معارضتهم له والسكوت عن تجاوزاته الصارخة فى مقاومته تيار حزب الوفد (٣١٥) الجارف وللتفرغ لمقاومة المعارضة الوفدية ، وفى نفس الوقت انتهز أعضاء حزب الأحرار الدستوريين فرصة احتياج صدقى باشا لهم وقبلوا المشاركة فى الحكم وفرض شروطهم على صدقى باشا ـ على أساس أن مشاركتهم فى الوزارة حماية لأنصارهم (٣١٦) من يطش وزارة اسماعيل صدقى ـ ولو أن محمد محمود نفسه نقم على اسماعيل صدقى لتأليفه الوزارة بدونه خضوعا لرأى الملك فؤاد وامعانا من الملك فى العبث بهؤلاء الوصوليين المنتسبين للأحزاب ، حيث كانوا ـ فى سبيل الوصول الى المناصب ـ يتهاونون فى أبسط القواعد الأخلاقية السياسية ، فكانوا من العوامل الأساسية لفساد الحياة العامة ، وبذلك يغتنم الملك والسلطة البريطانية الفرصة للتلاعب بهم وبالتالى التلاعب بمصالح بلادهم مصر ٠

---

(٣١٤) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١١٢ ٠

(٣١٥) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ د٠ محمد حسين هيكل ـ الجزء الأول ـ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ٠

(٣١٦) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١١٢ ٠

الغـــاء دستور ١٩٢٣ ..

.. واعـــلان دستور آخر ١٩٣٠ .. (٢٢ أكتوبر)

ظهر واضحا ما كان يبيته الملك فؤاد من تآمر على دستور البلاد ، ومدى توافق خطواته مع السياسة البريطانية التى تتظاهر وتدعى الموقف الحيادى فى الأزمة الدستورية وغيرها من شئون مصر الداخلية والخلافات بين أحزابها ، وظهر أيضا مدى استغلاله لضعف نفوس المتطلعين للمناصب الوزارية من أعضاء أحزاب الأقلية واستعدادهم لممارســـة أية تجاوزات ماداموا سيحتلون المناصب الوزارية ، وتمشيا مع كل ذلك ـ وفجأة ـ صدر الأمر الملكى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ بالغاء دستور ١٩٢٣ وبحـل مجلسى النواب والشيوخ واعلان دستور جديد ـ يضمن به الملك تثبيت سلطانه وانفراده بالحكم فى غفلة من أى رقابة شعبية أو برلمانية ـ ، ونفذ رئيس الوزراء اسماعيل صـــدقى هذا الانقلاب الدستورى ليضمن بقاءه فى الحكم والانفراد بالسلطة مع الملك تحت ظل دستور جديد جاء فى جميع بنوده خلوا من مساءلة البرلمان ـ الجدية ـ للوزارة وما شمله من قانون انتخاب يغطى على أى تزييف أو تلاعب فى الانتخابات ، بما يضمن حصول حزب رئيس الوزراء ـ صدقى باشا (حزب الشعب) ـ على الأغلبية الزائفة ، وكان من وراء كل هذه المخططات دور المندوب السامى البريطانى « السير برسى لورين » الذى أتقن القيام بدوره فى التظاهر باتخاذ الموقف الحيادى بين السلطات فى مصر وعدم التدخل فى شئونهـا وأزماتهـا الداخلية ـ ما دامت لا تمس المصالح البريطانية والوجود البريطانى بل تضمن الاستقرار له ، وكان مما يؤكد هذه الأدوار المتبادلة بين الملك فؤاد واسـماعيل صـــدقى والمندوب الســامى البريطانى ما نشرته جريدة « الديلى ميل » الانجليزية بقولها ـ قبل صدور المرســوم بالدســتور الجديد ـ : « تدبر أزمة جديدة فى سراى عابدين ... فقد اتصل بى من أصدق الموارد أن الملك فؤاد بمعاونة صدقى باشا قد وضعا دستورا جديدا تماما ، وأن هذا الدستور ـ بمقتضى الخطط الموضوعة ـ سيعرضه صدقى باشا على الملك رسميا يوم الأربعاء أو حوالى هذا اليوم ،وسيوقع الملك مرسوما باصدار الدستور الجديد الذى ينفذ فى الحال والذى يقضى بحل البرلمان الحالى ... ومعنى هذا أن الحكومة تكون حكومة السراى ... وسيكون من نتيجة هذا التغيير المنتظر نقل السيطرة البرلمانية من الوفديين المتطرفين المعادين للبريطانيين الى الملك الذى يرغب فى حكم البلاد حكما مطلقا » ، ومن أغرب مظاهر هذا الانقلاب هو الموقف الذى تقفه الحكومة البريطانية التى وقفت متفرجة متغافلة عن هذه التجاوزات بحجة أنهـا ليست من شئونها ، أما العالمون ببواطن الأمور فى مصر ، فيقولون انه

من المستحيل ـ عمليا ـ أن تتبع بريطانيا سياسة عدم التدخل فى شئون مصر ، فما دامت بريطانيا تحتل بجنودها أراضى مصر ويتمركز أسطولها على مقربة من الاسكندرية ، فان عدم تدخلها يعتبر ـ على الأقل ـ على سبيل التأييد السلبى .

وقد اعترفت ـ أيضا ـ جريدة « التيمس » البريطانية ـ فى فبراير ١٩٣٢ بأن : « مصير أية حكومة مصرية فى الأحوال الحاضرة يتوقف على الانجليز مهما شددت الحكومة البريطانية فى التمسك بالحياد » .

ـ التجاوزات الصارخة فى دستور ١٩٣٠ .. (٣١٦م)

أهدر دستور ١٩٣٠ سلطات الأمة وحقوقها فى مواضع كثيرة ـ منها :

١ ـ ألغى دستور ١٩٢٣ بأمر ملكى ـ وهو نفس الدستور الذى أقسم الملك فؤاد على احترامه ـ ولذلك تعمد الملك فؤاد ألا يقسم يمين الولاء للدستور الجديد ، وكل هذه سوابق خطيرة فى تاريخ الحياة النيابية فى أى بلد لأن الملك لا يملك فسخ الدستور لأنه عبارة عن تعاقد بين طرفين هما الملك والشعب ، فبذلك يكون قد فسخ هذا التعاقد من طرف واحد .

٢ ـ نص الدستور الجديد ـ ١٩٣٠ ـ أنه غير قابل لأى تعديل لمدى عشر سنوات .

٣ ـ شوه هذا الدستور الجديد ـ بأسلوب صارخ ـ حق مجلس النواب فى طرح الثقة أو عدم الثقة بالوزراء أو بالوزارة ، رغم انه نص عليها ولكن بتحفظات تجعل من المستحيل ممارسة هذا الحق .

٤ ـ المادة الخاصة بحق الملك فى حل مجلس النواب ، مادة مطلقة تعطى للملك الحق فى حل المجلس دون أية حقوق للمجلس ودون تحديد مواعيد ثابتة لممارسة البرلمان حق اعادة النظر فى القوانين التى يرفض الملك التصديق عليها ، وقد صيغت هذه المادة ممسوخة وخالية من أية ضمانات للشعب أو للبرلمان لفرض ارادة أى منهما ضد رغبات وأهواء الملك أو السلطة التنفيذية وضد استبدادهما . بل أعطى للسلطة التنفيذية فرصا واسعة فى حق التشريع وبضمانات تحقق لها فرض ما ترغبه من قوانين حتى ولو كانت ضد مصالح البلاد .

(٣١٦ مكرر) نفس المصدر السابق ، ص ١٢٣ الى ص ١٢٧ .

٥ ــ جعل هذا الدستور الحق المطلق فى اقتراح القوانين المالية للملك فقط وحرصها على مجلسى النواب والشيوخ ، كما أعطى الحق للسلطة التنفيذية فى تقرير الاعتمادات المالية ــ فى غيبة البرلمان ٠

٦ ــ جعل للسلطة التنفيذية ــ أيضا ــ الحق فى نقل الاعتمادات المالية من باب أو بند الى آخر ــ فى الميزانية ــ بدون تصديق عليها من البرلمان ٠

٧ ــ لم يوجب حق البرلمان فى تقرير ميزانية الدولة أو التصديق عليها قبل فض الدورة البرلمانية ٠

٨ ــ كما أجاز للسلطة التنفيذية ــ فيما بين أدوار الانعقاد وفى فترات حل مجلس النواب ــ حق تقرير أية مصروفات غير واردة بأبواب أو بنود الميزانية بفتح اعتمادات مالية جديدة ٠

٩ ــ جعل هذا الدستور الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ هم الأغلبية حيث نص على أن يكونوا $\frac{3}{5}$ ثلاثة أخماس أعضاء المجلس ٠

١٠ ــ اعادة هذا الدستور للملك الحق فى الاشراف الكامل والتعيين لرجال الدين وشيخ الأزهر ، بعد أن كان دستور ١٩٢٣ يحتم أن يمارس الملك السلطة فيما يختص بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية بواسطة رئيس مجلس الوزراء وبناء على ما يعرضه رئيس مجلس الوزارة فى اختيار شيخ الأزهر ، وكان الدستور الجديد ــ ينص على غير ذلك حيث جعل فى يد الملك والسلطة التنفيذية امكان تقليب الأزهر ضد أى سلطة فى البلاد حتى ضد الأحزاب أو البرلمان أو ــ المؤسسات الوطنية ــ عند اللزوم ٠

١١ ــ قضى الدستور الجديد على المقصود بالمادة الخاصة بالزام الملك بدعوة البرلمان للانعقاد غير العادى الاستثنائى اذا طلب أغلبية أعضاء المجلس ذلك ــ عند الضرورة ــ فجعل هذه الضرورة غير ملزمة الملك بل أصبحت تقديرية وجوازية له ٠

١٢ ــ كما جاء قانون الانتخابات الجديد متضمنا نصوصا تسهل عملية تزييف هذه الانتخابات ٠

ــ تأليف حزب الشعب ٠٠ (١٧ نوفمبر ١٩٣٠) (٣١٦م)

بعد أن قطع صدقى باشا شوطا طويلا فى ممارسة العدوان على الدستور والتنكيل بالمعارضين لسياسته الاستبدادية ، وجد نفسه فى فراغ

(٣١٦ مكرر) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٢ ٠

سياسى داخلى وخاصة بعد أن وقفت جميع الأحزاب السياسية ضده ـ حتى التى كانت تؤيده فى بدء التشكيل الوزارى لتبادل المنفعة والمصالح وليس بغرض خدمة مصالح البلاد ـ فقد فكر فى تأليف حزب جديد يعتمد عليه فى الحياة السياسية ـ الصورية ـ التى رتبها لنفسه ولحساب الملك والسلطات البريطانية ، فأسس حزبا أسماه (حزب الشعب) وتولى هو رئاسة هذا الحزب وأصدر له جريدة يومية أسماها (الشعب) واستخدام الادارة فى مســـاعدته فى تكوين هذا الحزب وكان الانفاق على الحزب وجريدته من أموال وميزانية الدولة ، وقد أطلقت عليه صحافة المعارضة وأحزابها لقب « حزب الحكومة » ، وكان الهدف الأساسى لصدقى باشا أن يرتكن على هذا الحزب فى دخول الانتخابات وعلى مبادىء دستوره الجديد ـ دستور ١٩٣٠ ـ والذى كان متأكدا أن هذا الدستور سيوصل حزبه ـ بغير ارادة الأمة ـ الى قمة السلطة التنفيذية .

ـ السـخط العـام ..

اذا وضعنا فى الاعتبار أن حزب الوفد كان يمثل المؤسسة الوطنية ـ حزب الأغلبية ـ فقد دعا الى مقاطعة الانتخابات والاحتجاج على اصدار دستور ١٩٣٠ والأساليب والوسائل التى تم اصدار هذا الدستور بها والأهداف المنشودة من وراء اصداره ، وقام الحزب الوطنى وحزب الأحرار الدستوريين ـ أيضـــا ـ بالاحتجاج حيث اتفق حزبا الوفد والأحـرار الدستوريين على مقاطعة الانتخابات ، فعقدا المؤتمرات والاجتماعات حيث توالت الخطب والبيانات لتوعية الشعب وتبصيره بما يدبر له فى الخفاء ، لمكاسبه بالاعتداء عليها وعلى حريته ـ كما أصدر حزبا الوفد والأحرار قرارات بعدم الاعتراف بالدستور ولا بقانون الانتخابات الجديدين .

ـ مرحلة وعى شعبى ..

على أثر ذلك ، **تجاوب كثير من العمد والمشايخ فى شتى أنحاء البلاد مع نداءات حزبى الوفد والأحرار الدستوريين ، فقدم كثير منهم استقالاتهم فقامت وزارة الداخلية بمطاردتهم واستخدام أساليب التعسف والعنف معهم ، ورغم ذلك استمرت وتزايدت الاستقالات فاعتبرتهم الوزارة مخلين بواجبـــات وظائفهم واحالتهم للمؤاخذة وللمحاكمة أمام لجان الشياخات ومجالس التاديب وأصدرت ضدهم الأحكام الجائرة القاسية بالغرامـات الفادحة لتعجيزهم** ، حيث صدر أحكام ـ فى يوم واحد ـ على ٢٤ عمدة وشيخ بلد من مديرية الدقهلية وحدهـــا ، ورغم كل ذلك بلغت عدد الاستقالات أربعمائة استقالة تحديا لكل أساليب التهديد .

وتضامن حزبا الوفد والأحرار الدستوريين وتعاهدا على النضال لاعادة الحيـــاة الدســـتورية ، **فعقدا ميثاقا قوميـا** ــ فى ٣١ مارس ١٩٣١ ــ **قررا فيه :**

١ ــ مقاطعة أى من الانتخابات فى ظل دستور ١٩٣٠ ٠

٢ ــ تأليف جبهـة وطنية موحدة لاعـادة الحياة الدســتورية والنظام الدستورى طبقا لدستور ١٩٢٣ ٠

٣ ــ تنظيم زيارات مشتركة للأقاليم للدعوة ضد وزارة صدقى ونظامه وضد الانتخابات ٠

٤ ــ النضال حتى يعود الحكم النيابى بكل تقاليده الصحيحة والسليمة ، فتتولى الأغلبية النيابية مقاليد شئون الحكم ٠

وقد قامت وزارة اسماعيل صدقى بمنع هذه الاجتماعات والمؤتمرات بالقوة حيث اســـتعملت العنف حتى مع رئيسى حزبى الوفد والأحرار الدســـتوريين ومع كبار رجال الحزبين ، ووقعت حـوداث الشغب فى بنى سويف حيث قتل هناك سبعة من الأهالى ، كما منعت حكومة صدقى عقد المؤتمر الوطنى يوم ٨ مارس ١٩٣١ بالقوة ، فقام أعضاؤه برفع عرائض بقراراتهم واحتجاجهم ضد تصرفات الحكومة التعسفية والعنيفة الى الملك وأحاطوا بها علما ممثلى الدول الأجنبية ٠

ــ اجراء الانتخابات ٠٠ (٣١٦م)

وأجريت الانتخابات فى مايو ويونية ١٩٣١ ، وانفرد حزب الشعب ــ حزب حكومة اسماعيل صدقى ــ فى الميدان ــ حيث قاطع حزبا الوفد والأحرار الدستوريين هذه الانتخابات ــ الا انه وللأسف اشترك الحزب الوطنى فى الانتخابات وكان الأجدر به أن يكون فى مقدمة صفوف المقاطعة ، وأجريت الانتخابات فى جو كله سخط شعبى ومظاهرات مضادة للحكومة حيث تساقط عدد كبير من القتلى والجرحى ، وحسب بيانات الحكومة ــ وهى غير صحيحة وأقل من الحقيقة بكثير ــ أنه قد قتل ثلاثة عشر فى القاهرة وسبعة عشر فى مديرية الدقهلية كما قتل مساعد حكمدارها ، وقتل ستة من الأهالى فى ميت غمر وعشرة من أهالى مركز المنصورة وواحد فى شبين القناطر وواحد فى حلوان وغلام فى زفتى ، وقد اعتقلت الحكومة كثيرا من النواب السابقين ومئات من مختلف الطبقات والفئات ٠

(٣١٦ مكرر) نفس المصدر السابق ، ص ١٥٠ الى ص ١٥٢ ٠

ـ واجتمع البرلمان .. (٢٠ يونية ١٩٣١)

كان من أسوأ ما اتخذه هذا البرلمان من قرارات ـ ضــد مصلحة البلاد ـ هو اقرار اتفاقية « واحة جغبوب » فى يونية ١٩٣٢ ، تلك الاتفاقية التى سبق ووقعها زيوار باشــا فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ والتى بموجبهــا تنازلت الحكومة المصرية عن هذه الواحة للحكومة الايطالية ـ بمباركة انجلترا ـ حيث كانت ليبيا خاضعة للاستعمار الايطالى ، رغم أن البرلمانات المتتابعة على مدى سنوات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٩٣٠ كانت قد امتنعت عن اقرار هذه الاتفاقية المجحفة لحق مصر باغتصاب قطعة من أرضها ، وفجأة يقر برلمان وحكومة اسماعيل صدقى هذه الاتفاقية ، كما يقر كثيرا من القوانين المقيدة للحريات وخاصة فى مجال الصحافة والنشر .

وتمادت حكومة اسماعيل صــــدقى فى التنكيل بالأحزاب والعمد والمشايخ المعارضين وبالشعب الساخط ، وكانت نتيجة ذلك أن تصاعدت حركات (٣١٧) المقــاومة الشــعبية كمظهر من مظاهر نقمة الشــعب على اسماعيل صدقى وحـــكومته ، ففى شهر يوليو ١٩٣١ أطلق مجهولان الرصاص على رئيس مجلس النواب محمد توفيق رفعت وألقيت قنبلة فى فناء وزارة الحقانية وانفجرت قنبلة أخرى فى دار علام باشا وكيل مجلس النواب ، كما عثر على قنبلة مشتعلة فى دار اسماعيل صدقى فى فبراير ١٩٣٢ ، وفى مايو ١٩٣٢ وضعت قنبلة بين قضبان السكة الحديد عند بلدة « طما » بمديرية سوهاج بغرض نسف القطار الذى كان يستقله اسماعيل صدقى ، وفى ديسمبر ١٩٣٢ عثر على قنبلة وضعت على سور مدرسة النهضة فى صباح اليوم الذى زار الملك فؤاد فيه المدرسة ، وفى نفس الشهر انفجرت قنبلة على مقربة من دار المندوب السامى البريطانى ، وفى ينــاير ١٩٣٣ عثر على قنبلة أمــام مركز القيادة العــامة للجيش البريطانى ، وفى مارس ١٩٣٣ انفجرت قنبلة على سور ثكنة قصر النيل وقنبلة أخرى على سور مدرسة انجليزية بمنيل الروضة ، وفى ابريل انفجرت قنبلة بجوار المحكمة المختلطة ، وفى مايو حاول محمد على الفلاح الاعتداء على حياة اسماعيل صـــدقى باطلاق الرصـــاص عليه من مسدس بمحطة العاصمة ، وفى يونية ١٩٣٣ انفجرت قنبلة فى شارع غمرة وأخرى على مقربة من سور وزارة الحربية .

---

(٣١٧) « فى أعقاب ثورة ١١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

ـ الأزمة الاقتصادية .. (٣١٧) ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٤ ..

كان عهد اسماعيل صدقي ـ حزبه وحكومته وبرلمانه ـ يتصف بسوء الطالع والنحس على الأمة المصرية ، فقد ألمت بالبلاد أزمة اقتصـــــادية طاحنه على مدى الفترة متد أواخر عام ١٩٣٠ حتى أواخر عام ١٩٣٣(*) ، اذ هبطت اسعار محصـــول القطن هبوطا حادا وتبع ذلك هبوط أسعار المحاصيل الزراعية عامة ، فاشتد الضيق بالمزارعين وملاك العقارات الزراعية والفلاحين والمستأجرين ، وبالرغم من اشتداد الضائقة أمعنت الحكومة فى التعسف واستعمال القسوة فى تحصيل الضرائب مما اضطر الفلاحين الى بيع ممتلكاتهم من ماشية وزراعات وأثاث بيوتهم بأبخس الأثمان سدادا لمطالبات الحـكومة لهم بما فرضـــته عليهم من ضرائب جزافية تعســفية وتفاقمت الأزمة الاقتصادية فى البلاد بصفة عامة .

ـ معاناة الشعب من فساد الحكم ..

وكان اسلوب صدقي باشا في عدوانه على دستور ١٩٢٣ وتعطيله وابتداعه دستورا جديدا ١٩٣٠ واجراء انتخابات مزيفة انفرد فيها بحزبه ـ « الشعب » ـ سببا فى اندلاع المقاومة الشعبية لكل هذه التجاوزات والتصرفات الاستثنائية والتى واجهتها وزارة صدقي باشا بالامعان فى التنكيل والارهاب ، فتركت الحبل على الغارب للجهات الادارية فأعطتهم الحريه الكاملة وخولتهم حق التصرف فى مقدرات الرجال سواء كبار أعيان أو أعضاء برلمان أو سياسيين سابقين أو عمد أو مشايخ أو صحافة ، وأمعن رجال الادارة فى التمادى فى تجاوزاتهم ـ خاصة بعد أن انهالت عليهم الانعامات والمكافآت والترقيات نظير ارتكابهم أساليب العنف ، كما تمادى كبار المحاسيب فى الوزارات فى لفســاد والافســاد . فانتشر التلفيق والتزوير فى الأوراق الرسمية فاعتاد الموظفون على التزوير وفساد الضمائر واعتاد رجال البوليس والجيش أساليب التنكيل بكل معارض للحكومة وأبيح لهم القتل وسفك الدماء ، كما طغت سلطة رجال الادارة على سلطة النيابة العمومية ـ حتى أن وكيل نيابة المنيا أثناء قيامه بالتحقيق مساء ٢٧ مايو ١٩٣١ فى شكوى مقدمة من بعض الأهالى ضد رجال الادارة ، منعه مأمور المركز من الاستمرار فى التحقيق وأداء واجب وظيفته ، وكان لهذا التدخل ضجة كبيرة عمت أخبارها جميع أنحاء البلاد فازداد السخط الشعبى .

(٣١٧ مكرر) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(*) اشتهرت (بازمة سنة ٣٠) .

واخنصت الوزارة أنصارها ومؤيديها المنفذين لسياستها الارهابية بالمزايا فمنحتهم صفقات من أملاك الحكومة مقابل ما كان يسمى — باستبدالهم لجزء من معاشاتهم — بما يعد مخالفة للوائح والقوانين المالية ، وظهرت فضائح هذه الصفقات فى عهد الوزارة التالية حيث ألغت بعضها وفصلت من الخدمة بعض الموظفين الذين رفضوا التنازل عن هذه الصفقات ٠

وكان من أبرز حوادث الفساد فى عهد صدقى باشا ، ما عرف بفظائع البدارى — أحد مراكز مديرية أسيوط — فقد قتل مأمور مركز البدارى فى مارس ١٩٣٢ نتيجة ارتكابه حوادث تعذيب بعض الأفراد ، مما جعل اثنين منهم يقتلونه انتقاما وحوكما أمام محكمة جنايات أسيوط حيث صدر الحكم على أحدهما بالاعدام وعلى الثانى بالأشغال الشاقة المؤبدة ،وعند نظر الطعن فى الحكم أمام محكمة النقض — برئاسة عبد العزيز فهمى باشا — أثبت فى حيثيات حكمة « أن رجال البوليس هم الذين ارتكبوا الجريمة فى هذا الحادث أساسا ، اذ أن من وقائعها ما هو جناية « هتك عرض » يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة حيث أنها من أشد المخازى اثارة للنفس الذى يؤدى الى الانتقام وبخاصة فى الصعيد، وأوصى باستخدام الرأفة مع المتهمين وناشد فى حكمه ولاة الأمور الى وجوب تدارك هذا الخطأ القضائى ٠

واضطرت وزارة الحقانية الى وقف تنفيذ حكم الاعدام وكذلك الحكم الآخر واستبدلت هذين الحكمين بآخرين أخف ، وكان نتيجة لذلك أن استقال على ماهر باشا وعبد الفتاح يحيى باشا من الوزارة ٠

واستمرت سياسة التعسف والتنكيل والفساد الادارى ، حيث كان من الأمثلة على ذلك حادث الرحمانية وما اتخذته السلطات الادارية فى مركز السنبلاوين من التعسف مع الشيخ طلبة صقر — بعد أن حاصر رجال البوليس البلدة وقبضوا على كثير من أهلها ، وفى النهاية أصدر القضاء حكمه ببرائة الشيخ طلبة صقر مما نسب اليه من مخالفات ظلما ادعتها عليه جهة الادارة افتراء وبهتانا ٠

— استغلال الأقلية للأغلبية ٠٠ ولأى مدى كانت السياسة البريطانية هى المسيطرة ٠٠٠

نظرا لعدم احترام الملك والساسة وبعض أعضاء الأحزاب المصريين لأنفسهم ، فقد أخذت دار المندوب السامى البريطانى تتمادى فى سيطرتها على الأمور السياسية فى البلاد وتتدخل بأسلوب جديد تحت ستار خداع المصريين بحجة الحياد ، وبعد أن تعود الملك والساسة والأحزاب الخضوع

والخنوع فقد قامت دار المندوب السامي البريطاني عن طريق عملائها من السياسيين ـ بعد أن تمادى صدقي باشا في تعسفه الذى ولد سخطا عاما قد ينتشر بشكل قد يضر الوجود البريطاني ـ فروجت بريطانيا من باب التشنيع فكرة أن صدقي باشا لم يفلح في ضم الأمة الى صفه ، وفي نفس الوقت كان السير برسى لورين يؤمن أن الوفد لا يجب أن ينفرد بالحكم اذا أجريت انتخابات حرة ، فلوحت السلطات البريطانية من باب اقلاق صدقي باشا بفكرة تشكيل وزارة ائتلافية من حزب الوفد والأحرار الدستوريين ـ خصوصا بعد تحالفهما ضد اسماعيل صدقي ـ ووعد السير/برسى أن يتدخل ويشير على الملك فؤاد ـ حلا للأزمة ـ بتأليف وزارة ائتلافية ، والانجليز طبقا لمخططهم كانوا يميلون الى هذا النوع من الوزارات في مصر ليضمنوا عدم استقرار الحكم الدستورى في مصر عن طريق عدم استمرارية أية وزارة في الحكم ·

وبادر أعضاء حزب الأحرار الدستوريين للترويج للفكرة ـ الانجليزية الخادعة ـ واستطاعوا بعد الاتصال بحزب الوفد ـ الحليف ـ أن يستقطبوا بل يستدرجوا بعض أعضائه من الشخصيات المتطلعة الى المناصب الوزارية واختصوهم بالاشتراك في تنفيذ هذا المخطط ، ويا ليتها كانت فكرة مصرية وطنية ولكنها كانت في حقيقة الأمر مخططا بريطانيا ، ولذلك وقف النحاس باشا ـ رئيس حزب الوفد ـ ضد الفكرة بصلابة وانضم اليه سكرتيره العام مكرم عبيد وأحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي متمسكين بالميثاق الذى أعلنه حزبا الوفد والأحرار الدستوريين في ٣١ مارس ١٩٣١ ، بأن تأليف الوزارة يجب أن يكون بعد اجراء انتخابات نزيهة سليمة من التزييف وعلى أساس دستور ١٩٢٣ وعلى أن يؤلفها حزب الأغلبية (وليس وزارة ائتلافية) ·

وحدث انشقاق داخل المؤسسة الوطنية الأصلية ـ حزب الوفد ـ نتيجة لهذا الخلاف ، فأصدر النحاس باشا في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٢ بيانا اعتبر فيه مسلك الأعضاء السبعة خروجا على مبادىء حزب الوفد وانفصالا عنه وكانوا : « حمد الباسل ، مراد الشريعي ، علوى الجزار ، فخرى عبد النور ، عطا عفيفي ، راغب اسكندر وسلامة ميخائيل ـ وكان الثامن على الشمسى » ، وأطلق عليهم النحاس باشا اسم « حزب السبعة ونصف » ـ لأن على الشمسى كان قصير القامة فاعتبره نصف عضو ، ورودجت هذه السخرية بين صفوف الشعب المصرى ـ الذى كان يعى كل كبيرة وصغيرة من تصرفات هؤلاء الساسة ـ ، وبذلك يظهر بوضوح مدى مقدرة المندوب السامي البريطاني السير برسى لورين على التدخل في صميم السياسة المصرية بعد أن هانت الأمور على الملك والساسة والأحزاب ، وفي هذه

الواقعة تسجيل صادق لمدى ما كان ــ يعانيه الشعب المصرى من هؤلاء الحكام ٠

ــ نقل سير برسى لورين ٠٠ (أغسطس ١٩٣٣)

بعد أن استنفدت الحكومة البريطانية أغراضهـا من سياسة السير برسى لورين ــ التى جعلته المتصرف القوى فى شئون مصر متخطيا الملك والوزارة ومن خلف ستار بحجة اعلانه الحياد ــ قامت بنقله تمهيدا لتغيير أسلوب السياسـة البريطانيـة بعد تعيين آخر يكلف باستكمال المخطط البريطانى حسب المرحلة الجديدة ٠

ــ محادثات صدقى وسيمون ٠٠ (٢١ سبتمبر ١٩٣٢) (*)

فى فترة شعر صدقى باشا بأن مركزه لدى وزارة الخارجية البريطانية غير واضح وأراد أن يستوثق من رضاء الحكومة البريطانية عن النظام فى مصر ، ونظرا لأنه كان واثقـا من أن أى رئيس وزارة مصرية اذا أجرى مفاوضات مع الانجليز ستنتهى بالتشدد البريطانى الذى لا يرضى عنه الشعب المصرى ومؤسساته الوطنيـة ، فمآله الى الاستقالة أو الاقالة ، ولحرصه الشديد على البقاء فى الحكم لأطول مدة ممكنة ، فقد اضطر الى استخدام لعبة الاتصال للتفاوض فقط لغرض فى نفسه ، وفعلا طلب صدقى باشا من حافظ عفيفى وزير مصر المفوض فى لندن أن يهيىء له مقابلة مع السير جون سيمون ــ وزير خارجية انجلترا ــ للتحدث معه فى امكان استئناف المفاوضـات ، وتمت المقابلة فى « جنيف » يـوم ٢١ سبتمبر ١٩٣٢ على مأدبة عشاء أقامها صـدقى باشا للسير جون سيمون ، ولم يكن الاجتماع ــ حتى من الناحية الشكلية ــ فيه أية دلالة على الجدية فى التفاوض ، لأن وزير الخارجية البريطانية كان يدرك تماما أن صدقى باشا لا يهمه من هذا اللقاء الا الاطمئنان على استقرار وزارته ، فأعرب له عن سروره للتعرف به وامتدح صفاته كرجل ادارى أمكنه اعادة النظام فى بلده مما كان وصله كمعلومات من المندوب السامى البريطانى فى مصر السير برسى لورين ، وكان وزير الخارجية البريطانية صريحا معه حيث قال له : « لقد تحدثوا فعلا فى لندن عن عدم صلاحية النظام القائم فى مصر الآن للتفاوض معنا » ، ثم ذكر له تحفظات بريطانيا اذا سمحت الظروف بالتفاوض وهى نفس التحفظات السابق التأكيد عليها فى جميع المفاوضات السابقة وهى ضرورة الوجود العسكرى البريطانى فى الأراضى المصرية وأن السودان سيبقى كما هو تحت الحكم البريطانى الكامل دون أى وجود مصرى أو أى حق لمصر فيه ، وطلب صدقى باشا من سير جون

(★) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٣ ٠

سيمون أن تصدر الحكومة البريطانية بيانا رسميا تقبل فيه مبدأ استئناف المفاوضات مع حكومة صدقى باشا ، ووعده سير جون بأن يتباحث فى هذا الأمر مع رئيس الوزراء البريطانى ولكنه لم ينفذ ذلك ، وحرر صدقى باشا محضرا بالمقابلة وانتهت هذه المقابلة وما بعدها عند هذا الحد حيث لم يصدر التبليغ أو البيان الذى كان ينشده صدقى باشا من انجلترا ٠

وهكذا وصلت حالة العمل الوطنى الى الحضيض وأصبح رجال السياسة المصريون يستجدون التفاوض من انجلترا وليس العكس كما تعودوا كرؤساء وزارات يستجدون أيضا مجرد رضاء المندوب السامى البريطانى وينشدون تأييد حكومة انجلترا لهم فى معاملتهم القاسية والمتعسفة ضد شعب بلادهم ٠

ـ استقالة صدقى باشا ٠٠ (سبتمبر ١٩٣٣)

قدم صدقى باشا استقالته الى الملك فؤاد فى يوم ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ ـ على أمل أن يكلفه بتشكيل الوزارة الجديدة أو على الأقل تشكيل وزارة من حزب الشعب ـ حزبه ذو الأغلبية البرلمانية المزيفة والخاضع تماما لارادته ـ كما كان يتخيل ٠

ولكن الملك فؤاد قبل استقالته يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ، وبذلك أسدل الستار على مسرحية السياسة المصرية الغاشمة ، وكان محرك خيوط اللعبة المسرحية هو الملك فؤاد ، وبشكل أو بآخر السلطة البريطانية ٠

ـ تأليف وزارة عبد الفتاح يحيى (٢٧ سبتمبر ١٩٣٣)

تألفت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا فى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ـ والذى خلف اسماعيل صدقى أيضا فى رئاسة حزب الشعب ـ وهو اسكندرى الأصل(٣١٨) حيث ولد بمدينة الاسكندرية ـ درس القانون ومارس وظيفة القضاء وأخيرا دخل مجال العمل السياسى عن طريق اختياره وزيرا فى وزارة اسماعيل صدقى وكان قد استقال من الوزارة مع على ماهر باشا احتجاجا على تصرفات الوزارة فى حادث البدارى ، وهو رجل ارستقراطى الخلق شديد الولاء للملك ، وتألفت الوزارة بمرسوم ملكى برئاسته حال سفره خارج البلاد ، وقام الملك فؤاد بتشكيل واختيار الوزراء له ، وبلغ من شدة ولائه للملك أن جعل الوزراء يحلفون اليمين بالولاء والطاعة للملك وليس للبلاد ولا للدستور ، وكان اختيار الملك فؤاد (٣١٩) لعبد الفتاح

---

(٣١٨) « عشت حياتى بين هؤلاء » ـ للأستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ٥٥ ٠
(٣١٩) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١٨١ ٠

يحيى عقب استقالته من وزارة اسماعيل صدقي يعنى أن اسماعيل صدقي أصبح غير مرغوب فيه من جانب السراى ، وتشكلت الوزارة على أساس دستور ١٩٣٠ ـ دستور اسماعيل صدقي ـ وكان بها وزيران من حزب الشعب هما ابراهيم فهمي كريم وعلى المنزلاوى ، وتعتبر هـذه النسبة متواضـعة جدا حيث كان حزب الشعب حائزا على الأغلبية السـاحقة ـ الزائفة ـ وهذا ما جعل اسماعيل صدقى مقرا هذا من الملك الذى اختار بنفسه الوزراء فى التشكيل الوزارى الجديد ، وهذا أيضا دليل على امعان الملك وتعمده فى اذلال حتى رؤساء الوزارات ـ مهما كانت سابق خدماتهم له وتظاهرهم بالولاء الكامل له ـ وهكذا شهدت البلاد مرحلة جديدة من مراحل مهزلة الحياة السياسية تلاعبا بمبادىء ـ أى دستور ـ والمستهينة كلية بالكرامة البعيدة كل البعد عن الاستقامة والنزاهة ، وبطبيعة الحال انعكست كل هذه السلبيات وكان لها أبلغ الأثر على الشعب المصرى ، فازداد سخطه وقامت الصحافة الوطنية بدورها النشيط كاملا فى توعية الشعب بأبعاد هذا التدهور الأخلاقى وبما ابتلى به هذا الشعب من وزراء طالما تعودوا على ابتلاع واستساغة الاهانات ـ سواء من السلطة البريطانية أو من الملك فؤاد ـ الذى أصبح لا يهمه حتى الحفاظ حتى على كرامته أمام الانجليز ما دام يحقق لنفسه مزيدا من السلطة والتسلط .

ـ المندوب السامى البريطانى .. « الجديد » ..

رحل المندوب السامى البريطانى « السير برسى لورين » عن مصر فى أواخر عام ١٩٣٣ ، وأعلنت الحكومة البريطانية عن تعيين « السير مايلز لامبسون » (٣٢٠) بدلا منه ـ وكان المندوب السامى يشغل ذات المنصب قبل ذلك مباشرة فى الصين ، حيث نجح هناك فى عقد معاهدة بين الصين وانجلترا أنهت الخلافات التى كانت قائمة بينهما ، وجاء تعيينه بمثابة اتجاه جديد لسياسة الحكومة البريطانية فى مصر ـ وتمهيدا لعقد معاهدة بين انجلترا ومصر بأى ثمن وبأية صورة ، وتزوج بعد وصوله الى مصر مباشرة (يناير ١٩٣٤) من فتاة ايطالية جميلة تصغره بأكثر من ٢٥ عاما ، وسافر ليقضى أجازة قبل أن يعود الى مصر ليلعب دورا من أخطر الأدوار فى حياة مصر كلها بل وفى حياة الملك فؤاد ورجال السياسة وفى صنع الأحداث الجديدة .

ـ أزمة بين المندوب السامى البريطانى الجديد ورئيس الوزراء المصرى ..

عندما حضر المندوب السامى البريطانى الجديد «السير مايلز لامبسون» الى مصر ، حيث وصل اليها بطريق البحر واستقل قطارا خاصا من مدينة

---

(٣٢٠) « عشت حياتى مع هؤلاء » ـ للاستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ٥٤ ، ٥٥ .

« بورسعيد » (٣٢١) الى محطة مصر ، وكان فى استقباله بالمحطة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء ـ بصفته وزيرا للخارجية ـ وكان البروتوكول المعمول به يقضى بأنه بعد وصول المندوب السامى الى مقره أن يقوم بزيارة لرئيس الوزراء فى مكتبه ، ثم يقوم رئيس الوزراء برد هذه الزيارة ، ولكن السير مايلز لامبسون اظهارا منه للعجرفة والغطرسة البريطانية الاستعمارية ـ تعمد ممارسة هذا النوع من العجرفة على رئيس الوزراء المصرى ويقوم بزيارته بمكتبه بل طلب بأن يبادر رئيس الوزراء المصرى ويقوم بزيارته فى مقره بدار المندوب السامى البريطانى ، ولكن عبد الفتاح يحيى باشا رفض تنفيذ هذا الوضع ـ المخالف للبروتوكول ـ وحدثت أزمة أدت الى تدخل الملك فؤاد شخصيا لحلها ، وعند زيارة المندوب السامى للملك فى قصره ، طلب منه الملك أن يؤجل هذا التمسك البريطانى لحين عودة الملك من لندن فى سفره القريب ويقوم رئيس الوزراء عبد الفتاح يحيى باشا بزيارة المندوب السامى « سير لامبسون » أولا بعد وصوله ـ بصفته وزيرا للخارجية ـ ، وكانت هذه الحلول للأزمة المهينة لكل الأطراف المصرية مجالا جديدا للسخط الشعبى الذى اعتبر أن كرامة الملك والوزراء من كرامة الأمة ، وأن المندوب السامى يمارس هذا الاسلوب تلذذا بالنيل من كرامة مصر وشعبها ، وكان السخط الشعبى على الملك أعظم لأن الشعب اعتبر قيام الملك بهذه الوساطة ـ المهينة ـ مذلة له ولرئيس وزرائه وللبلاد عامة ، وكل هذه التصرفات كان الشعب المصرى يعيها تماما ويسجلها فى ذاكرة التاريخ كشجب لها ودفعا له للتذمر والثورة ـ على هذه الأوضاع المخزية ـ وقت اللزوم ، ولم يكن تسجيلها على سبيل الطرائف والذكريات لبعاد سردها للتسلية والترفيه ٠

ـ مرض الملك أحمد فؤاد ٠٠

كان الملك فؤاد خلال شهر أكتوبر ١٩٣٣ ، وقد بدأ يفقد حيويته وبدأت حالته الصحية فى التدهور ، فاتجهت الأنظار الى ولى عهده « فاروق » ـ وكان وقتها صبيا عمره أربعة عشر عاما ، فاشار المندوب السامى البريطانى (٣٢٢) السير لامبسون على الملك فؤاد بضرورة سفر ولى عهده « فاروق » الى لندن لاستكمال تعليمه ، ولغرض دفين فى نفس لامبسون ـ ليتشرب الأمير « فاروق » بالتقاليد البريطانية ، ويسافر الأمير فاروق الى لندن وبصحبته أمينه « أحمد محمد حسنين باشا » ومدرسه العسكرى « عزيز المصرى » ٠

---

(٣٢١) المصدر السابق ٠

(٣٢٢) « عشت حياتى مع هؤلاء » ـ للأستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ٥٦ ٠

قام المندوب السامى البريطانى بتوجيه الدعوة الى رؤساء وزارات مصر السابقين وقادة الأحزاب السياسية وكبار ساستها الى حفل للتعارف وذهب الجميع لحضور الحفل دون أن يتخلف منهم أحد ٠

وبعد أيام قليلة من تشكيل الوزارة الجديدة ، نثار أزمة أخرى وكانت تتعلق بنزاهة وزير الأشغال عبد العظيم راشد باشا ، وكانت محل اهتمام الرأى العام لأن الوزير كان قد عهد ببعض المقاولات الى أحمد عبود باشا لتنفيذها بالمخالفة لبعض القوانين ، وتسربت الى الصحف هذه الأنباء عن هذا الموضوع بتفاصيله ، وأحيل الموضوع الى النيابة العمومية والى القضاء وعلقت الشبهات بوزارة الأشغال وبالتالى بالوزارة كلها متضامنة ، وبدأ أول تدخل مباشر من المندوب السامى لدى الملك فؤاد الذى ضغط بدوره هو الآخر على رئيس الوزراء فقدم استقالته مسجلا فيها أنه « استقال تحقيقا لرغبة الحكومة البريطانية ودون تفريط فى حقوق البلاد » ٠

ـ استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى ٠٠ وتأليف وزارة نسيم باشا (٣٢٣) ٠٠

قدم عبد الفتاح يحيى باشا استقالته فى ٦ نوفمبر ١٩٣٤ ـ بخطاب سجل فيه على نفسه وعلى ملكه وعلى بلده المهانة التى لحقتهم من تدخل المندوب السامى البريطانى ـ وقبل الملك الاستقالة فى ١٤ نوفمبر ، وعهد فى ذات اليوم الى محمد توفيق نسيم باشا بتأليف الوزارة الجديدة ، فألفها يوم ١٥ نوفمبر واحتفظ لنفسه بوزارة الداخلية الى جانب رئاسته للوزارة ، وكانت وزارة محايدة ٠

وكان محمد توفيق نسيم من فريق مدرسة (٣٢٤) الانتهـــازية الوصولية فى مصر ، حيث أحسن الملك فؤاد استخدام هذا الفريق عند اللزوم ، وهم بالاضافة الى محمد توفيق نسيم كان كل من أحمد مظلوم ويوسف وهبة ومحمد سعيد وغيرهم وكانوا من محتكرى المناصب ، وكانت أنظار الملك فؤاد تقع عليهم دائما عند الحاجة ، وكان نسيم باشا يستغل صلة النسب مع سعد زغلول باشا حيث كانت شقيقة نسيم باشا زوجة لفتحى زغلول شقيق الزعيم سعد زغلول ، وكان أول عمل له كسب ثقة حزب الوفد ـ والذى درج منذ أيام سعد زغلول على التمسح بحزب الوفد ـ وكذلك متوهما لأجل كسب احترام الرأى العام ، فقد قام محمد توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء باعلان الغاء دستور ١٩٣٠ وذلك فى ٣٠ نوفمبر

---

(٣٢٣) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ ص ١٩٠ ٠

(٣٢٤) المجلد الثانى عشر للأستاذ العقاد ، من ص ٤٣٠ الى ص ٤٣٢ ٠

١٩٣٤ ، واستصدر بذلك أمرا ملكيا (٣٢٥) وأيضا بحل مجلسى الشيوخ والنواب القائمين على أساسه ولكنه لم يضمن هذا الأمر الملكى اعادة العمل بدستور ١٩٢٣ ـ لأن ذلك كان يقتضى منه ومن الملك أخذ موافقة المندوب السامى البريطانى ـ ، وأخذت وزارة نسيم فى معالجة الجراح التى أحدثتها وزارة صدقى باشا ، وكانت صحة (٣٢٦) الملك فؤاد فى هذه الفترة آخذة فى التدهور ، وتدخل المندوب السامى البريطانى وفرض تعيين أحمد زيوار باشا فى منصب رئيس الديوان الملكى الذى كان شاغرا ، وبمرور الوقت تزايد الالحاح الشعبى على طلب اعادة دستور ١٩٢٣ على صفحات صحف حزب الوفد وصحيفة حزب الأحرار الدستوريين ، ولم يستجب نسيم باشا لذلك مما أطلق العنان لرواج أخبار بأن وزارة نسيم باشا تفكر فى وضع دستور جديد يكون وسطا بين دستور ١٩٢٣ ودستور ١٩٣٠ ، وفى أواخر عام ١٩٣٥ نشرت الصحف الأجنبية والمصرية تصريحا اوزير خارجية بريطانيا « السير صموئيل هور » قال فيه : « ان بريطانيا لا تمانع فى عودة الحياة الدستورية الى مصر وأن الممارسة أثبتت أن دستور ٢٣ ودستور ١٩٣٠ غير صالحين » ، وأحدث هذا التصريح هياجا فى النفوس فغير حزب الوفد موقفه من مؤازرة نسيم باشا وأخذت صحفه تلمح بوجوب تخلى الوزارة عن الحكم وكذلك فعلت صحيفة السياسة التى اتهمت (٣٢٧) الوزارة بأنها تنفذ السياسة التى يمليها المندوب الســامى البريطانى ، وعمت المظاهرات وامتدت المطالبة باستقالة الوزارة الى الجماهير فانطلقت المظاهرات وانتشرت فى أنحاء كثيرة من البلاد هاتفة ضد نسيم باشا وأطلقت عليه تهكما « يا نسيم يا أبو عقل تخين » واشتبكت قوات الأمن مع الشعب وكان نتيجة ذلك وفاة أحد طلبة الجامعة على كوبرى عباس بعد أن حاصرته قوات الأمن وأطلقت عليه الرصاص وفى هذه الظروف الوطنيـة تكون تنظيم وطنى من الطلبة والعمال وأخذ يمارس ضغطا على الأحزاب لنبــذ الخــلافات ٠

---

(٣٢٥) « عشت حياتى بين هؤلاء » ـ للاستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ٥٦ ، ٥٧ ٠

(٣٢٦) المصدر السابق ـ ص ٦٢ ٠

(٣٢٧) « عشــت حيــاتى بين هؤلاء » ـ للاستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ٦٢ ، ٦٣ ٠

مرحلة صحوة المؤسسة الوطنية
والعمل الايجابى

ـ تشكيل جبهة وطنية (٣٢٨) ..

فى هذه الفترة الحرجة وبضغط من تنظيم الطلبة والعمال تشكلت جبهه وطنية من حزب الوفد والحزب الوطنى وحزب الأحرار الدستوريين وحزب الشعب وحزب الاتحاد بالاضافة الى بعض رؤساء الوزارات السابقين والمستقلين ، وقد قوبل تشكيل هذه الجبهة الوطنية بابتهاج شعبى لا حدود له ، واختيرت لجنة لوضع صيغة الخطاب ـ الذى اتفقت اللجنة على رفعه الى الملك فؤاد وتكونت من : « مكرم عبيد عن الوفد ، عبد الرحمن الرافعى عن الحزب الوطنى ، محمد حسين هيكل عن حزب الأحرار الدستوريين ، أحمد كامل عن حزب الشعب ، وحلمى عيسى عن حزب الاتحاد » ، وطالبوا فى هذا الخطاب بعودة دستور ١٩٢٣ ، ثم تم تحرير خطاب آخر الى المندوب السامى البريطانى طالبوا فيه باستئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا لتحقيق الاستقلال الكامل والعمل على الغاء الامتيازات الموجودة داخل مصر بجانب ادارة الأمن العام والعمل على اقامة قوة دفاع مصرية صالحة للذود عن البلاد والسماح لمصر بالاشتراك فى الحلبة الدولية ردخولها عصبة الأمم ، ولمحت الجبهة فى خطابها الى احتمال نشوب الحرب وخاصة بعد النزاع بين الحبشة وايطاليا مما يدعو الى وجوب المسارعة الى عقد المعاهدة استعدادا لأى احتمالات بنشوب حرب دولية ، ووقع على هذا الخطاب كل من : « مصطفى النحاس ، محمد محمود ، اسماعيل صدقى ، حمد الباسل ، يحيى ابراهيم ، عبد الفتاح يحيى ، حافظ عفيفى » .

ـ عودة دستور ١٩٢٣ .. (١٢ ديسمبر ١٩٣٥)

وأخيرا ، صدر مرسوم ملكى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بعودة العمل بدستور ١٩٢٣ ، وقوبل هذا المرسوم الملكى بالفرح والبهجة وتجدد الأمل خاصة بعد تكوين الجبهة الوطنية ، وكان صدور المرسوم الملكى فى نفس اليوم الذى تسلم فيه على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى خطاب الجبهة الوطنية .

---

(٣٢٨) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثانى ـ من ص ٢٠٣ الى ص ٢٠٥ .

- من المآخذ على وزارة توفيق نسيم باشا (٣٢٩)

١ - أنشئت وزارة التجارة والصناعة فى عهد وزارة نسيم باشا ، واقترن ذلك بتعيين خبير فنى بريطانى بعقد لمدة ثلاث سنوات بمرتب كبير جدا ، وكان له بموجب العقد حق الاتصال المباشر بالوزير ، فأعاد ذلك الى الأذهان عصر السيطرة البريطانية على الوزارات المصرية ، وقد قوبل هذا الموقف على هذا النحو بالسخط والاستنكار ٠

٢ - قامت وزارة نسيم باشا بتجديد عقود العمل لكثير من الموظفين البريطانيين بل وتعيين طائفة جديدة منهم فى الوظائف الحكومية ٠

٣ - قامت وزارة نسيم باشا - وبتوجيه من المندوب السامى البريطانى - بوضع قيود ورسوم جمركية باهظة على السلع اليابانية التى كانت تنافس منبلتها من السلع البريطانية ، وذلك ضمانا لمصلحة التجارة البريطانية ورواج سلعها التى كانت أسعارها تتفوق ارتفاعا عن أسعار السلع اليابانية بمراحل ٠

- استقالة وزارة نسيم ٠٠ (٢٢ يناير ١٩٣٦) :

بعد أن صدر المرسوم الملكى باعادة العمل بدستور ١٩٢٣ ، أخذت وزارة نسيم باشا فى الاعداد لاجراء الانتخابات العامة طبقا للقانون القديم الصادر فى عام ١٩٢٤ بالانتخاب المباشر وليس على مرحلتين وأصدرت الوزارة فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٥ قانونا للانتخاب على هذا الأساس وانتهزت الأحزاب المؤتلفة الفرصة خصوصا بعد أن وصل لمصر ما يفيد موافقة الحكومة البريطانية على التفاوض لعقد معاهدة ونادت هذه الأحزاب بضرورة تنحية وزارة نسيم بحجة أنها لا تضمن حيادها فى اجراء الانتخابات ، وازاء كل ذلك بالاضافة الى الرغبة الملكية فقد اضطر نسيم باشا الى تقديم استقالته فى ٢٢ يناير ١٩٣٦ وقبلها الملك يوم ٣٠ يناير ٠

- تأليف وزارة على ماهر باشا ٠٠ (٣٠ يناير ١٩٣٦) :

بذل الملك فؤاد محاولات منذ قدم نسيم باشا استقالته لأجل تأليف وزارة ائتلافية وتحمس لهذا الرأى طلاب المناصب من أحزاب الأحرار والشعب والاتحاد ولكن عارض ذلك بشدة حزب الوفد وبالذات مصطفى النحاس وتمسك بما اتفق عليه فى الميثاق الوطنى بضرورة أن يؤلف الحزب - الذى يحوز الأغلبية فى الانتخابات - الوزارة ورفض أن تكون

(٣٢٩) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » - للأستاذ الرافعى - الجاء الثانى - ص ١٩٤ ، ١٩٥ ٠

الوزارة التى تعقب وزارة نسيم وزارة ائتلافية ، وازاء كل ذلك عهد الملك فؤاد الى على ماهر — وكان رئيسا للديوان الملكى — بأن يؤلف الوزارة فألفها فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ ، وهى وزارة محايدة ليس فيها أى من أعضاء الأحزاب وكانت مهمتها اجراء انتخابات حرة دون أى تدخل من الحكومة •

— تأليف وفد المفاوضات :

وعقب ذلك وطبقا لما طالبت به الجبهة الوطنية ما عدا الحزب الوطنى بمفاوضة الحكومة البريطانية لعقد معاهدة معها على أساس مشروع مفاوضات هندرش / النحاس سنة ١٩٣٠ ، فقد صدر المرسوم الملكى فى ١٣ فبراير ١٩٣٦ بتعيين وفد المفاوضات مشكلا من : « مصطفى النحاس (رئيسا) — محمد محمود — اسماعيل صدقى — عبد الفتاح يحيى — واصف بطرس غالى — أحمد ماهر — على الشمسى — محمود فهمى النقراشى — أحمد حمدى سيف النصر » ••• سبعة منهم أعضاء من حزب الوفد وعضو من كل من الأحرار الدستوريين والشعب والاتحاد وثلاثة أعضاء من المستقلين •

— وفاة الملك فؤاد ••• (٢٨ ابريل ١٩٣٦) :

كان الملك بالاسكندرية — بعد أن تحسنت صحته بعض الشىء — وفجأة اشتد عليه المرض حيث توفى يوم ٢٨ ابريل ١٩٣٦ — فى قصر القبة — وفى بيان نعى مجلس الوزراء له ، نادى ب « فاروق » ملكا لمصر — وأصدر مجلس الوزراء بيانا آخر تولى بموجبه مجلس الوزراء سلطات الملك الدستورية باسم « الأمة المصرية » — حتى يحين الوقت الذى يجب عليه أن يسلم مقاليد السلطة الى مجلس وصاية ، وكان فاروق فى السابعة عشرة من عمره وكان لم يزل فى انجلترا يتلقى العلم ، فعاد الى مصر حيث وصل الى ميناء الاسكندرية يوم ٦ مايو ١٩٣٦ وقد كانت الأمة تأمل منه الخير فقابلته بالبشر والحفاوة •

« مرحلة تسليم المكاسب للشعب »

— الانتخابات البرلمانية :

جرت الانتخابات حرة ابتداء من ٢ مايو ١٩٣٦ وتمت بسرعة بهدف تنفيذ المادة (٥٢) من الدستور التى توجب اجتماع البرلمان بمجلسيه أثر وفاة الملك فى مدى عشرة أيام من تاريخ اعلان الوفاة ، وكان حزب الوفد قد حاز على الأغلبية البرلمانية الانتخابات •

ـــ اجتماع البرلمان ... (٨ مايو ١٩٣٦) :

وتم اجتماع البرلمان بمجلسيه فى هيئة مؤتمر ـ يوم ٨ مايو ١٩٣٦ ـ أعلن فى نفس اليوم المناداة ب « فاروق » ملكا على مصر ـ ورفعت الجلسة، ثم أعيدت وفتح المظروف المحتوى على وثيقة الوصاية على العرش التى حررها الملك فؤاد قبل وفاته بفترة طويلة (فى ١ ٢يونية ١٩٢٢) ، وكانت تتضمن اختياره : محمد توفيق نسيم ـ عدلى يكن ـ محمود فخرى أوصياء على العرش ، وكان أحدهم ـ عدلى يكن ـ قد توفى ، ولم يأخذ البرلمان بهذا التشكيل وقرر بالاجماع تأليف مجلس وصاية على العرش من كل من : الأمير محمد على وعبد العزيز عزت ومحمد شريف صبرى ، وكان هذا التشكيل وفقا لما اتفقت عليه الأحزاب .

ـــ تأليف وزارة النحاس الثالثة .. (١٠ مايو ١٩٣٦) :

على أثر انتهاء جلسة مؤتمر البرلمان وبعد اعلان مجلس الوصاية وحيث أسفرت الانتخابات عن الأغلبية لحزب الوفد ، فقد عهد الأوصياء على العرش فى ٩ مايو ١٩٣٦ الى مصطفى النحاس بتأليف الوزارة الجديدة، فألفها يوم ١٠ مايو ١٩٣٦ ـ وكانت وزارته الثالثة ـ حيث تشكلت من : « مصطفى النحاس لرئاسة الوزارة ووزيرا للداخلية وللصحة ـ واصف بطرس غالى للخارجية ـ عثمان محرم للأشغال ـ محمد صفوت للأوقاف ـ مكرم عبيد للمالية ـ محمود فهمى النقراشى للمواصلات ـ أحمد حمدى سيف النصر للزراعة ـ محمود غالب للحقانية ـ على فهمى للحربية ـ عبد السلام فهمى جمعه للتجارة والصناعة ـ على زكى العرابى للمعارف » ـ وجميعهم كانوا من حزب الوفد ـ وجاء فى خطاب النحاس باشا الى مجلس الوصاية بتأليف الوزارة ـ أن برنامج وزارته الذى سيقدمه للبرلمان هو : « تحقيق الاستقلال بابرام معاهدة مودة وتحالف مع الدولة البريطانية الصديقة والعمل على صيانة الدستور » .

ـــ افتتاح البرلمان :

وتم افتتاح البرلمان يوم ٢٢ مايو ١٩٣٦ وحضر الأوصياء على العرش جلسة الافتتاح وألقى النحاس باشا خطبته وانتخب أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب وعين محمد توفيق نسيم لمجلس الشيوخ ـ الا أنه اعتذر حيث كان مستاء من تخطى البرلمان له فى تعيين مجلس الوصاية على العرش بدونه ـ بالرغم من أن الملك فؤاد كان قد اختاره فى وثيقة الوصاية، ولذلك فقد صار تعيين محمود بسيونى رئيسا لمجلس الشيوخ .

— تولية الملك فاروق سلطاته الدستورية .. (٢٩ يوليو ١٩٣٧) :

أتم الملك فاروق سن الثمانى عشرة عاما هجرية يوم الخميس ٢٩ يوليو ١٩٣٧ ، فانتهت مدة ومهمة مجلس الوصاية وتولى الملك فاروق سلطاته الدستورية منذ ذلك اليوم وأقسم اليمين الدستورى أمام البرلمان فى ذات اليوم ــ ونصه : « أحلف بالله العظيم أنى أحترم الدستور وقوانين الأمة المصرية وأحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه » .

— مفاوضات النحاس باشا ومايلزلامبسون :

بدأت المفاوضات بين الجانب المصرى برئاسة النحاس باشا وبين الجانب البريطانى برئاسة (٣٣٠) سير مايلزلامبسون المندوب السامى منذ أواخر أيام الملك فؤاد وبدأت فى القاهرة يوم ٢ مارس ١٩٣٦ ثم انتقلت الى الاسكندرية فى قصر أنطونيادس فى أواخر يوليو ١٩٣٦ .

وبعد عودة الحياة البرلمانية تحسنت الظروف السياسية وكان رئيس الجانب المصرى فى (٣٣١) المفاوضات هو نفس رئيس الحكومة المصرية وهى حكومة حائزة على الأغلبية البرلمانية وبالتالى مؤيدة من الشعب المصرى تأييدا أكسبها الشرعية أما وفد المفاوضات نفسه فكان مشكلا من باقى الأحزاب ومن كفاءات مصرية فكان ممثلا تمثيلا كاملا لا مجال لأى مطعن عليه من حكومة بريطانيا بالاضافة الى اختفاء الملك فؤاد من الميدان السياسى المصرى بوفاته وهو الذى كان من أخطر المناوئين لحزب الوفد ــ صاحب الأغلبية البرلمانية ــ ، وكان هناك مجلس وصاية على العرش مكان الملك وهو مجلس صورى مهمته مؤقتة لحين تسلم الملك الجديد ــ فاروق ــ سلطاته ، ولكل ذلك فقد كان الجو مهيأ لأحراز تقدم فى المفاوضات وخاصة وأن الظروف الدولية كانت تملى على بريطانيا ذلك ، ورغم كل ذلك أيضا فقد كانت تواجه المفاوضات مساومات عديدة من الجانب البريطانى ، فكانت أهم المشكلات فى المفاوضات هى :

١ ــ وضع القوات البريطانية باحتلالها للأراضى المصرية .
٢ ــ العلاقات بين مصر وبريطانيا فى حالتى السلم والحرب .
٣ ــ وضع الجيش المصرى المتطلع للتطور كما وكيفا من ناحية قوة تسليحه وحجم قواته .
٤ ــ الوضع فى السودان .
٥ ــ الامتيازات والاحتكارات الأجنبية داخل مصر .

---

(٣٣٠) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ــ للأستاذ الرافعى ــ ج ٣ ــ ص ١٨ .
(٣٣١) « عشت حياتى بين هؤلاء » ــ للأستاذ محمد فرغلى (باشا) ــ ص ٦٥ .

ــ مشروع المعاهدة والتوقيع عليه .. (٢٦ أغسطس ١٩٣٦) :

وانتهت المفاوضات بوضع مشروع للمعاهدة وتم التوقيع عليه فى لنـدن (٣٣٢) يوم ٢٦ أغسطس (١) ١٩٣٦ ، وكان المشروع قد عرض على (٢) البرلمان وأبدى بعض أعضائه اعتراضاتهم على بعض نصوصه وفى

---

(٣٣٢) الكتاب الأخضر عن السودان (من ١٣ فبراير ١٨٤١ حتى ١٢ فبراير ١٩٥٢) من ص ٥ حتى ص ٩ ــ أخطر ما جاء باتفاقيــة السودان (١٩ يناير ١٨٩٩) ــ والتى تمسك بها الجانب البريطانى فى معاهدة ١٩٣٦ ، فقد جـاء بالمقـدمة ــ اقتراء ــ

المادة الأولى . « وحيث أنه من المقتضى التصدى بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبـة على ما لها من حق الفتح وذلك بان تشترك فى وضع نظام ادارى وقانونى ... الخ » .

المادة الثانية : يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معا فى البر والبحـر بجميع أنحاء السودان ماعدا مدينة « سواكن » فلا يستعمل فيها الا العلم المصرى فقط ــ حيث أن « سواكن » لم تخضع اطلاقا لقوات ثورة المهدى واستمرت أرضا مصرية الى أن استعادت القوات المصرية والانجليزية السودان كاملا وبذلك لا يحق رفع العلم البريطانى على « سواكن » .

المادة الثالثة : تفوض السيادة العليا العسـكرية والمدنية فى السودان الى موظف واحد يلقب « حاكم عموم السودان » ويكون تعيينه بأمر خديوى عال بنـاء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل من وظيفته الا بأمر عال خديوى يصدر بناء على رضاء الحكومة البريطانيـة .

المادة الرابعـة : سن القوانين لتحسين ادارة حكومة السودان والخاصة بالملكية بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها تكون بمنشور من الحاكم العـام وتسرى هذه القوانين والأوامر واللوائح على جميع أنحاء السودان وتبلغ فور صدورها للعلم الى المعتمد البريطانى فى القاهرة والى رئيس النظار المصرى .

المادة الخامسة : لا يسرى على السودان أو على جزء منه أى من القوانين أو الأوامر العـالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر الا ما يصدر منها بمنشور من الحاكم العام .

المادة الثامنة : فيما عدا مدينة « سواكن » لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان .

المادة التاسعة : يعتبر السودان بأجمعه ماعدا مدينة « سواكن » تحت الأحـكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام .

وتحرر هذا الوفاق بالقاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ــ ووقع عليه كل من : لورد كرومر وبطرس غالى (رئيس الوزراء) .

.. ما وفاق أو (اتفاقية) ١٠ يوليو ١٨٩٩ .. فكانت من مادة واحدة تقول :

« تلغى النصوص الواردة فى وفاقنا الرقيم ١٩ يناير ١٨٩٩ التى كانت بموجبهـا مدينة « سواكن » مستثناة من أحكام النظام الذى تقرر فى ذلك الوفاق وتوكل لادارة السودان فى المستقبل » .

وتحرر هذا الوفاق فى ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ ــ ووقع عليه : كرومر (المندوب السامى البريطانى بمصر) وبطرس غالى (رئيس وزراء مصر) .

(١) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، جزء ٣ للأستاذ الرافعى ، ص ١٨ .

(٢) نفس المصدرالسابق ، ص ٣٣ .

المرحلة النهائية وافق البرلمان المصرى على المشروع بأغلبية كبيرة ، وجاء المشروع أقرب ما يكون الى مشروعى معاهدة سنة ١٩٣٠ (مشروع مفاوضات محمد محمود ـ هندرسون) و (مشروع مفاوضات النحاس ـ هندرسون) واللتين سبق رفضهما من الجانب المصرى ٠٠

وقد كان أهم بنود معاهدة ١٩٣٦ هى :

١ ـ الشروط العسكرية ـ وجاء فيها : « تنتقل القوات العسكرية البريطانية من الأماكن التي تحتلها سنة ١٩٣٦ الى مواقع تشتمل على مناطق تدريب الجنود بمنطقة قناة السويس كلها وشبه جزيرة سيناء كلها والجزء الجنوبى الشرقى من مديرية الشرقية حتى تصل الى حدود القاهرة ثم الى حدود مديرية الجيزة (فقرة ٢ من ملحق مادة ٨) ٠

٢ ـ لا يزيد عدد القوات البريطانية بمصر فى المناطق الجديدة عن عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة طيار مع الموظفين اللازمين لأعمالهم الادارية والفنية ـ وذلك فى وقت السلم ـ أما فى حالة الحرب أو خطر الحرب فلانجلترا أن تزيد قواتها الى ما تشاء (مادة ٧ فقرة (١) من ملحق ٨ ، وبند (١) من المحضر) ٠

٣ ـ لا تنتقل عدد القوات البريطانية بمصر فى المناطق الجديدة عن عشرة ببناء الثكنات والمنشئات الصالحة مع المستلزمات الفنية بما فيها توصيل المياه وغرس الأشجار والحدائق وبناء الملاعب ومساكن للمتزوجين ومعسكر استشفاء على شاطىء البحر فى العريش ـ كل ذلك على نفقة مصر ـ بالاضافة الى تعبيد وانشاء ورصف أربعة طرق توصل بين هذه المناطق ـ كالآتى :

١ ـ طريق من الاسماعيلية حتى الاسكندرية ٠

٢ ـ طريق من الاسماعيلية حتى القاهرة ٠

٣ ـ طريق يصل الاسماعيلية ببورسعيد شمالا والسويس جنوبا ٠

٤ ـ طريق من جنوب البحيرات المرة يتصل بطريق السويس ٠

٤ ـ تبقى القوات البريطانية فى منطقة الاسكندرية وضواحيها ثمانى سنوات من تاريخ البدء فى تنفيذ المعاهدة ٠٠ مع تعديل واصلاح ثلاث طرق أخرى ـ وجعلها طرقا حربية ـ وهى :

(أ) طريق القاهرة / السويس ٠ (ب) طريق القاهرة / الاسكندرية الصحراوى (جـ) طريق الاسكندرية / مرسى مطروح ٠

بالاضافة الى تحسين الخطوط الحديدية بين الاسماعيلية والاسكندرية ومرسى مطروح ، وكذلك انشاء وتعبيد ورصف ثلاث طرق حربية أخرى :

١ــ من القاهرة الى قنا ثم قوص ٢ ــ من قوص الى القصير
٣ ــ من قنا الى الغردقة ٠

٥ ــ انشاء وتجديد مناطق اقامة ومعسكرات ومطارات القوات الجوية في منطقة القناة وشرقها بالاضافة الى السماح للقوات الجوية الانجليزية ــ عند اللزوم ــ باستخدام المطارات الجوية المصرية القائمة في أى مكان بمصر (فقرة ١٣ ، ١٤) ٠

٦ ــ تقدم مصر ــ عند اللزوم ــ جميع التسهيلات والمساعدات التى في وسعها الى القوات البريطانية ويكون للقوات البريطانية حق استخدام موانى مصر البحرية ومطاراتها الجوية وطرق مواصلاتها الحديدية والبرية ، على أن تقوم مصر بإعلان الأحكام العرفية عند قيام الحرب ووضع رقابة على الأنباء وكذلك على كافة التراسلات الاخبارية السلكية واللاسلكية ٠

٧ ــ يبحث الطرفان بعد مضى عشرين سنة ــ من وقت تنفيذ المعاهدة ــ ما اذا كان هناك لزوم لوجود القوات البريطانية اذا ما أصبح الجيش المصرى قادرا على أن يكفل وحدة حرية الملاحة في قناة السويس وسلامتها التامة ٠

٠٠ أما ما جاء بالمعاهدة عن السودان (*) :

فالمادة (١١) :

تنص على أنه : « مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير ، ١٠ يوليو ١٨٩٩ ــ قد اتفق الطرفان على أن ادارة شئون السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين » ٠

وتقول الفقرة الثالثة من المادة (١١) :

« يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين » ٠

(★) من وثيقة المعاهدة وملحقاتها (الكتاب الأخضر ، اصدار مجلس الوزراء المصرى سنة ١٩٥٣) من ص ٨٦ الى ص ٨٩ ٠

وتقول الفقرة الرابعة فى ملحق المادة (١١) :

« ان الحاكم العـام سـيبادر بالنظر فى أمر عدد الجنود المصريين اللازمين للخدمة فى السودان والأماكن التى يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم وأن الحكومة المصرية سترسل فورا وبمجرد نفاذ المعاهدة ضابطا مصريا عظيما يستطيع الحاكم العام استشارته فى هذه الأمور .

ـ وتعليقا على ما جاء بمعاهدة ١٩٣٦ عن السودان : فان الجـانب الذى يخص السودان فى هذه المعـاهدة كان تاكيدا على سريـان اتفاقيتى ١٨٩٩ ـ وهما الاتفاقيتان اللتان ألغت بهما انجلترا أى حقوق لمصر فى السودان حتى فى « سواكن » والتى لم يكن ينطبـق عليها حق الضـم لحكومة بريطانيا والذى استندت اليه بريطانيا تبريرا لسيطرتها الكاملة على السودان وازاحة الوجود المصرى منه ـ واستبقت فقط مهزلة الاكتفاء برفع العلم المصرى بجانب العلم البريطانى على ربوع السودان بما فيها سواكن ومصر لم تدع فى أى وقت من الأوقات أن وجودها فى السودان كان بحق الفتح (كمـا يدعى بعض السودانيين المتـأثرين بالانجليز) بل كانت مصر دائما تعتبر السودان جزءا لا يتجزأ من أرض مصر ، وحينما افتتح برلمان ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ فى مصر قبل الاحتلال البريطانى ، أعدت الحكومة المصرية فى قاعته مقاعد لنواب السودان ، كما ان دستور ١٨٨٢ وقانون انتخاب ١٨٨٢ جعلا السودان جزءا من مصر وجعل السودانيين مواطنين يتمتعون بكافة الحقوق المخولة لسائر المصريين .

وانجلترا لم تساهم فى استعادة السودان بعد سيطرة قوات المهدى عليه الا بجانب ضئيل ، فكانت القوات المصرية فى هذه الحملة تبلغ خمسة وعشرين ألف جندى أما القوات الانجليزية فكانت ثمانمائة جندى فقط(*)، وبلغ ضحايا الجيش المصرى فى السودان ثمانية آلاف قتيل مصرى مقابل ١٤٠٠ قتيل انجليزى ، كما قامت مصر بالمساهمة بثلثى تكاليف الحملة ولم تدفع بريطانيا سوى الثلث وكانت الحملة كلها ـ أساسا ـ بغير ارادة مصر كما تكفلت مصر بكل المشاريع العمرانية فى السودان من انشـاء سكك حديدية وطرق ومنشـئات عمرانية بالاضـافة الى نفقـات القوة العسكرية (أربعون مليون جنيه) ، وبذلك تكون اتفاقيتا ١٨٩٩ والتى استندت اليها معاهدة ١٩٣٦ ليس لها أى سند من الحق ولا من القانون وقد أقرت معاهدة ١٩٣٦ هاتين الاتفاقيتين مما يعتبر نقطة ضعف فى هذه المعـاهدة ، وفقط ـ أقرت هذه المعاهدة بعض الوجود المصرى الظـاهرى بالسودان وجعلته خاضـعا لسيطرة الحاكم العـام البريطـانى ، كمـا لم يكن فى مقـدور المفاوض المصرى الذى يمثل المؤسسـة الوطنية ولا فى

(*) فى أعقاب سنة ١٩١٩ ، جزء ٣ للأستاذ الرافعى ، ص ٢٦ .

مقدور المؤسسة الوطنية السودانية أن تحصلا على أكثر من ذلك لأنه لم يكن فى استطاعة أو فى يد أى منهما أية وسيلة للضغط ، وكان أهم ما جاء بمعاهدة ١٩٣٦ هى المواد التى كانت تؤكد على السيادة المصرية ــ فقد جاء فى :

المادة (١٢) من المعاهدة :

اعتراف بريطانيـــا بأن أرواح الأجـــانب وأموالهم فى مصر هى من خصائص الحكومة المصرية دون سواها ٠

والمادة (١٣) منها :

والتى اعترفت فيها بريطانيا بأن « نظام الامتيازات(*) الأجنبية القائم فى مصر لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة وأن الطرفين اتفقا على الوصول على وجه السرعة على الغاء الامتيازات فى مصر وعلى أن تتصل الحكومة المصرية فى أقرب وقت مستطاع بالدول ذات الامتيازات بقصد الغاء كل قيد يقيد التشريع المصرى على الأجانب وستعاون حكومة انجلترا مصر فى تحقيق هذه التدابير باستخدام نفوذها لدى الدول ذات الامتيازات فى مصر ٠

ــ التصديق البرلمانى على معاهدة ١٩٣٦ ٠٠ (١٨ نوفمبر ١٩٣٦) :

صدق مجلس النواب على مشروع القـــانون بالموافقة على المعـــاهدة بجلسته التى عقدها يوم ١٨ نوفمبر ١٩٣٦ بأغلبية ١٠٩ أصوات ومعارضة سبعة أصوات ٠

الغـــاء الامتيـــازات الأجنبيـــة

كانت الامتيـــازات الأجنبيـــة أغلالا حول عنق مصر تهدد سيادتها وسلطاتها فى التشريـــع والقضـــاء والمالية والادارة والأمن العام ، وأراد الخديوى اسماعيل اصلاح هذا الفساد فأنشأ باتفاقه مع الدول الأجنبية المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٥ ، ولكن سرعان ما استفحل خطرها فأصبحت شبه محاكم أجنبية خولت حق الفصل فى جميع المنازعات التى تمس أى مصالح أجنبية ، فكان قضاتها كلهم من الأجانب بل وصلت الى الحد الذى شاركت (*) فيه المحاكم المختلطة فى سلطة التشريع ولم يكن من سلطة الحكومة المصرية أن تصـــدر قانونـــا الا بعد التصـــديق عليه من الجمعية العمومية لهذه المحاكم ، وبـــقى هذا النظـــام البغيض معمولا به حتى سنة

(★) رجـــاء الرجوع الى الجزء الخاص بتاريخ الامتيـــازات الأجنبيـــة فى مصر ـ ص ٢٤٨ــ٢٤٩) من الكتاب ٠

١٩٣٧ ، ففى هذه السنة دعت الحكومة المصرية الدول صاحبة الامتيازات اثنتى عشرة دولة) (٣٣٣) الى الاشتراك فى مؤتمر يعقد فى مدينة « مونتريه » بسويسرا يوم ١٢ ابريل ١٩٣٧ للمفاوضة فى موضوع الغاء هذه الامتيازات وانتهت هذه المفاوضات يوم ٨ مايو ١٩٣٧ بالتوقيع على الاتفاقية وأعلن بموجبها الغاء الامتيازات الأجنبية فى القطر المصرى الغاء تاما وخضوع الأجانب المقيمين فى مصر للتشريع المصرى على أن تبقى المحاكم المختلطة لغاية ٢٤ أكتوبر ١٩٤٩ (اثنتا عشرة سنة) وبانتهائها تلغى هذه المحاكم ، وأقر البرلمان وصدق على هذه الاتفاقية فى يوليو ١٩٣٧ ٠٠ وتعد هذه الاتفاقية من المكاسب الهامة الناتجة عن معاهدة ١٩٣٦ فقد حققت لمصر رسميا سيادتها على الأجانب المقيمين على أرضها ٠



نهاية مرحلة وبداية مرحلة

انتهت الارهاصة الأولى التى غطت الفترة الزمنية بين وفاة الزعيم سعد زغلول فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ وبين وقت التصديق على معاهدة ١٩٣٦ (فى ٨ نوفمبر ٣٦) ثم بتوقيع اتفاقية « مونتريه » بالغاء آخر مظاهر الامتيازات الأجنبية فى مصر (فى ٨ مايو ٣٧) وبموجب هاتين الاتفاقيتين تحقق جانب من الاستقلال رغم الكثير من الثغرات فى معاهدة ١٩٣٦ وكان من أهم هذه الثغرات هو اعتراف الجانب المصرى فى المعاهدة بالوجود العسكرى البريطانى فى مناطق لا يستهان بها من الأرض المصريه من الناحية الاستراتيجية العسكرية والذى استمر يشكل تهديدا مستمرا بقدرة بريطانيا على فرض سيطرتها وسياستها كلما لزم الأمر ولأن هذا الوجود العسكرى الأجنبى ـ مهما كانت حجته أو مكانه على الأراضى المصرية ـ فهو احتلال واستعمار بشكل أو بآخر ، خاصة وأن الانجليز ـ بعد فترة هدوء من التصديق على معاهدة ١٩٣٦ ـ سرعان ما عادوا الى عنادهم بعد عودة أحزاب الأقلية وبعد الانشقاق الذى حدث فى صفوف حزب الأغلبية (حزب الوفد) بالاضافة الى فساد الحاشية المحيطة بالملك الجديد « فاروق » واستئنافه هو شخصيا لهواية نهج والده الملك السابق فؤاد فى حب الاستئثار بالسلطة ، مما نتج عن كل هذا تعرض البلاد الى ارهاصة ثانية نتيجة التجاوزات التى عادت الى ممارستها السراى والحاشية الملكية والأحزاب المصرية المتناحرة بما فيهم حزب الأغلبية (حزب الوفد) بالاضافة الى تجاوزات السلطة التنفيذية عندما كانت ترتكن على أحزابها

---

(٣٣٣) الاثنتا عشرة دولة هى (أمريكا ـ بلجيكا ـ بريطانيا ـ ايرلندا ـ الدانمارك ـ اسبانيا ـ فرنسا ـ اليونان ـ ايطاليا ـ النرويج ـ هولندا ـ البرتغال ـ السويد) ٠

٠٠

الحائزة على الأغلبية البرلمانية بل وامتدت هذه التجاوزات الى البرلمانات نفسها ، وكان كل ذلك يمثل استغلالا جديدا من الأقلية المتحكمة فى الأغلبية المحكومة وكان كل ذلك بمثابة مرحلة جديدة لارهاصة ثانية انتهت الى الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى النصف الثانى من عام ١٩٥١ واستئنافا لمرحلة جديدة من مراحل ثورة جديدة وكاملة ‥ كما سيتبين للقارىء فى الكتاب التالى عن « ثورة يوليو ١٩٥٢ » ٠



الارهاصة الثانية ‥ على الطريق الى ثورة

ـ ما بين معاهدة (١٨ نوفمبر ١٩٣٦) ‥ الى اعلان الغائها (٨ أكتوبر ١٩٥١) :

من خلال أحداث هذه الفترة حدثت من الشعب المصرى عدة مقاومات لمواجهة تجاوزات وتصرفات القوى المسيطرة على السلطة ، مما تمخض عنها جميعا المقاومة التى قامت على شكل حرب تحرير وكانت قمتها ممثلة فى معركة مدينة الاسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ثم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ الذى أجهض الأمل فى استئناف الكفاح المسلح ضد الاحتلال الانجليزى ، وهذه الأحداث مجتمعة هى موضوع الارهاصة الثانيه والتى جرت بعد معاهدة ١٩٣٦ والتى أطلق عليها رئيس المؤسسة الوطنية المصرية (النحاس باشا) فى جلسة مجلس الوزراء يوم ٢٧ ديسمبر ٣٦ أنها : « وثيقة الشرف والاستقلال » واعتبار يوم ٢٦ أغسطس من كل عام « عيد الاستقلال » ، بل وبالغ حزب الوفد فى الاحتفاء بهذه المعاهدة ، وبعد أن حاز النحاس باشا على شعبية كبيرة ـ بالغ الشعب هو الآخر فى مظاهرات الحفاوة والتأييد للنحاس باشا مما جعل معالم الغرور تستفحل فى نفسيته خاصة بعد أن أصبحت قوة وسيطرة القصر الملكى مستكينة ومهادنة بعد أن كانت دائبة المعاداة والمعاندة لحزب الوفد على يدى الملك فؤاد الذى توفى فى هذه الفترة وانتقلت السلطة الى ملك صغير السن تحت وصاية مجلس لا حول له ولا قوة ، وساعد على تعاظم غرور النحاس باشا ولعه منذ بداية رئاسته لحزب الوفد ـ بعد سعد زغلول ـ بمظاهر الزعامة ، ونفس النحاس باشا هو الذى قام وهو رئيس وزراء مصر وبعد فشله فى تحقيق أى تقدم فى مفاوضاته مع بريطانيا باعلان الغاء نفس المعاهدة ـ ١٩٣٦ ـ وعلى اثر ذلك اندلعت المقاومة الشعبية ، وكان هذا العمل من جانب النحاس باشا يعتبر أخر عمل وطنى ايجابى ختم به كفاحه ٠٠

— وزارة النحاس باشا الرابعة (٣٣٤) ٠٠ (أول أغسطس ١٩٣٧) :

على أثر تولى الملك فاروق سلطته الدستورية فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ ، قدم النحاس باشا استقالة وزارته فى ٣١ يوليو ١٩٣٧ — طبقا للعرف الدستورى — وكلفه الملك فاروق بتأليف وزارة جديدة فألفها يوم أول أغسطس وأخرج منها أربعة أعضاء كانوا ضمن وزارته السابقة وهم : محمود فهمى النقراشى ومحمد صفوت ومحمود غالب وعلى فهمى ، وعين بدلا منهم : محمود بسيونى ومحمد محمود خليل ومحمد صبرى أبو علم وعبد الفتاح الطويل ٠

— اقالة وزارة النحاس باشا الرابعة ٠٠ (٣٠ ديسمبر ١٩٧٣) :

كان اخراج النحاس باشا للأربعة وزراء من وزارته نتيجة لمعارضتهم له باعتراضهم على سلوك وزير الأشغال عثمان محرم فى تعاقده على مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان بأسلوب فيه مخالفة للقانون ، وتعاظمت مظاهر الغرور(٣٣٥) فى تصرفات رئيس حزب الوفد بعد أن تخول السلطات الغير محدودة التى أصبحت فى يده فى ظل أغلبية برلمانية ساحقة ، وفى آخر ديسمبر ١٩٣٧ قامت مظاهرات صاخبة أمام قصر عابدين من الطلبة المعارضين للوزارة وهتفوا « النحاس أو الثورة » — وكانت العلاقات متوترة بين الملك والوزارة نتيجة المحاولات المتكررة من جانب الملك بالتعدى على الدستور ، وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ أقال الملك وزارة النحاس باشا ٠

— تأليف وزارة محمد محمود الثانية ٠٠ (ديسمبر ٣٧ — أغسطس ٣٩) :

فى نفس اليوم الذى أقيلت فيه وزارة النحاس باشا ، أسند الملك الوزارة الجديدة الى محمد محمود باشا — رئيس حزب الأحرار الدستوريين — حيث تشكلت الوزارة على النحو التالى : « محمد محمود لرئاسة الوزراة ووزيرا للداخلية — اسماعيل صدقى للمالية — عبد الفتاح يحيى للخارجية — أحمد محمد خشبة للحقانية — عبد العزيز فهمى وزير دولة — محمد حلمى عيسى للأوقاف — أحمد لطفى السيد وزير دولة — بهى الدين بركات للمعارف — حسن صبرى للمواصلات — حسين رفقى للحربية — حسين سرى للأشغال — مراد وهبة للزراعة — أحمد كامل

---

(٣٣٤) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » — الجزء الثالث — ص ٤٣ ، ٤٤ ٠

(٣٣٥) « مذكرات فى السياسة المصرية » — الجزء الأول — ص ٢٨١ — للأستاذ محمد حسين هيكل — (من رأى عدلى باشا يكن فى غرور النحاس باشا بعظمة زعامته لمصر ٠

للتجارة والصناعة ـ محمد حافظ رمضان (حزب وطنى) وزير دولة ـ محمد كامل البندارى للصحة » ، وكانت الوزارة لا تحظى بثقة البرلمان وفى عهدها :

١ ـ تم فصل الدكتور أحمد ماهر من حزب الوفد ٠

٢ ـ كما تم فى عهدها زواج الملك « فاروق الأول » من الملكة فريدة ـ كريمة يوسف ذو الفقار باشا ـ يوم ١٩ يناير ١٩٣٨ ٠

٣ ـ وفى ٢ فبراير ١٩٣٨ صدر مرسوم ملكى بحل مجلس النواب وتحدد يوم ١٢ ابريل ١٩٣٨ موعدا لاجتماع المجلس الجديد ٠

٤ ـ كما تدخلت الحكومة فى الانتخابات لصالح مرشحيها حيث أسفرت نتيجة هذه الانتخابات عن١٩٣صوتا لصالح الدستوريين والسعديين، و ٥٥ للمستقلين الموالين للحكومة ، ١٢ للوفديين ، ٤ للحزب الوطنى ، أما السعديون فقد حصلوا على ٨٠ مقعدا ٠

٥ ـ كما تم أيضا تأليف الهيئة السعدية من أنصار أحمد ماهروالنقراشى ودخلت الانتخابات حيث فازت بالثمانين مقعدا ٠

٦ ـ سلم محمد محمود مقاليد الشئون العليا فى وزارته الى السراى ، فكان مصير وزارته نفسها رهنا بارادة القصر ورجاله حيث كانت ميول الانفراد بالسلطة قد سيطرت على نفسية الملك فاروق ٠

٧ ـ افتتح البرلمان الجديد يوم ١٢ ابريل ١٩٣٨ ٠

٨ ـ فى ٢٤ يونيه حدث تعديل وزارى تم فيه اشتراك الهيئة السعدية فى الوزارة ودخلها أحمد ماهر وزيرا للمالية والنقراشى للداخلية ومحمود غالب للمواصلات وحامد محمود للصحة وسابا حبشى للتجارة والصناعة ٠

٩ ـ استصدرت هذه الوزارة فى عهدها مرسوما ملكيا بالعفو الشامل عن بعض الجرائم التى وقعت فى عهد وزارة النحاس ٠

١٠ ـ كما استصدرت ـ أيضا ـ مرسوما بحل الجمعيات والجماعات ذات الصفة العسكرية « جماعة القمصان الزرق » و « جماعة القمصان الخضراء » التى أنشأها أحمد حسين (مصر الفتاة) ٠

١١ ـ ألغت الوزارة احتفالات « عيد الاستقلال » ـ الذى كانت البلاد تحتفل به كل عام يوم ٢٦ أغسطس ـ يوم توقيع معاهدة ٣٦ ـ ولم تفلح فى الغاء عيد الاستقلال الذى كان الملك فؤاد قد أقره يوم ١٥ مارس ـ يوم صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ٠

١٢ ـ وفى عهد هذه الوزارة تقرر انشاء جامعة « فاروق الأول » بالاسكندرية ٠

١٣ ـ وتم ازاحة الستار عن تمثال سعد زغلول ٠

١٤ ـ كما تقرر اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل ٠

١٥ ـ وتم تعديل اتفاقية اقامة الثكنات البريطانية فى منطقة قناة السويس على امتدادها من بورسعيد شمالا الى السويس جنوبا على أن تتحمل الحكومة البريطانية بنصف التكاليف بدلا من ال ¼ (الربع) فقط حسبما كانت تنص عليه معاهدة ١٩٣٦ ٠

ـــ استقالة وزارة محمد محمود (٣٣٦) ٠٠ (١٢ أغسطس ١٩٣٩) :

قدم محمد محمود استقالته كطلب الملك فاروق صراحة بواسطة كبير أمناء القصر الملكى وكان هذا الطلب مفاجئا لمحمد محمود نفسه حيث كان حتى هذا الوقت مؤيدا من أغلبية مجلس النواب ٠

ـــ تأليف وزارة على ماهر باشا (٣٣٧) ٠٠ (أغسطس ٢٩ ـ يونيه ١٩٤٠) :

٠٠ « واندلاع الحرب العالمية الثانية » ٠٠

عهد الملك فاروق الى على ماهر باشا ـ رئيس الديوان الملكى ـ بتأليف الوزارة وواجهت هذه الوزارة مشكلة فى أغلبها من السعديين والمستقلين ولم يشترك فيها الأحرار الدستوريون ـ احتجاجا على تنحية رئيسهم محمد محمود بأسلوب هو أقرب الى الاقالة منه للاستقالة ـ وتشكلت الوزارة على النحو التالى : « على ماهر لرئاسة الوزارة ووزيرا للداخلية والخارجية ـ محمد على علوبة وزير دولة (أحرار دستوريين) ـ محمود فهمى النقراشى للمعارف ـ محمود غالب للمواصلات ـ حسين سرى للمالية ـ دكتور حامد محمود للصحة ـ سابا حبشى للتجارة والصناعة ـ عبد الرحمن عزام للأوقاف ـ ابراهيم عبد الهادى وزير دولة ـ مصطفى الشوربجى للعدل (حزب وطنى) ـ عبد السلام الشاذلى للشئون الاجتماعية (لأول مرة) ـ عبد القوى أحمد للأشغال ـ محمد صالح حرب للدفاع ـ محمد توفيق حفناوى للزراعة » ، ومن المعروف أن على ماهر كان المستشار الأول (٣٣٨) للملك فاروق وهو صاحب الانقلابات المشهورة فى

---

(٣٣٦) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ الجزء الثالث ـ ص ٦٩ ٠

(٣٣٧) « في أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للأستاذ الرافعى ـ ج ٣ ـ ص ٧٠ـ٧٣ ٠

(٣٣٨) « ٤ فبراير ١٩٤٢ » ـ د٠ محمد أنيس ـ ص ٥٦ ٠

عهد الملك فؤاد حتى سنة ١٩٣٧ ، وبادر بعد تقلده منصب رئيس الديوان الملكي - في عهد الملك فاروق - الى اقالة وزارة الوفد وبأسلوب مهين ، وكان لعلى ماهر مجموعة يميلون جميعا نحو دولتى المحور - ألمانيا وايطاليا - وكان حسنين باشا صديقا للانجليز فكان الصراع بينهم على أشده في محيط (٣٣٩) القصر وكان على ماهر قد ورث الولاء للقصر وعداءه للانجليز من أسرته ، خاصة وأن والده محمد ماهر كان شديد الولاء للخديوى عباس الثانى ، حيث كان الانجليز قد اضطهدوا محمد ماهر بعد حادثة الحدود عام ١٨٩٤ ، كما أن عبد الرحمن فهمى - الذى كان يعتبر رئيس المقاومة الشعبية والسرية أثناء ثورة ١٩١٩ والعدو التقليدى للاحتلال البريطانى ومن أشد أنصار سعد زغلول - كان عبد الرحمن فهمى هو عم على ماهر باشا ، ثم قام على ماهر في أغسطس ٣٩ بتعيين عزيز المصرى باشا في منصب رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، وقوبل تعيينه بفتور شديد من جانب البريطانيين لميوله نحو الألمان منذ الحرب العالمية الأولى حيث كان تعليمه العسكرى في المعاهد العسكرية التركية على النمط الألمانى .

***

الحرب العالمية الثانية

بعد شهر تقريبا من تأليف وزارة على ماهر ، قامت الحرب العالمية الثانية - على أثر غزو ألمانيا لبولندا فى أول سبتمبر ١٩٣٩ - وكان البرلمان المصرى فى عطلته الصيفية ، وأعلن على ماهر الأحكام العرفية وأسرع بقطع العلاقات مع ألمانيا وقام بوضع الموانى وطرق المواصلات المصرية تحت تصرف القيادة البريطانية - طبقا للمعاهدة - وبطبيعة الأمور كانت كل هذه التصرفات بناء على طلب السفير البريطانى خدمة للحكومة البريطانية ، ودعا على ماهر البرلمان بمجلسيه الى اجتماع غير عادى يوم ٢ أكتوبر ٣٩ حيث أقر المجلسان مرسوما باعلان الأحكام العرفية بعد مناقشات امتدت عدة أيام ، وقامت الحكومة المصرية بقطع العلاقات الاقتصادية مع ألمانيا ومنع التعامل التجارى مع الرعايا الألمان ، ولم يوافق البرلمان المصرى بمجلسيه على اعلان الحرب على ألمانيا من جانب مصر .

- تحقق مكاسب ثورة ١٩١٩ (٣٤٠) :

ظهر جليا الفرق الشاسع بين حالة القهر التى تسبب عنها اعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ - عنها فى اعلان ونشوب الحرب العالمية

---

(٣٣٩) المصدر السابق - ص ٥٨ .

(٣٤٠) « ٤ فبراير ١٩٤٢ » - د. محمد انيس - ص ٧٤ .

الثانية سنة ١٩٣٩ ، فقد أصبح فى مصر حكم وطنى الى حد بعيد هو الذى أعلن الأحكام العرفية وليس القائد العام لجيش الاحتلال البريطانى ـ كما كان عليه الحال سنة ١٩١٤ ، كما أصبح فى مصر برلمان ـ لم يجرؤ رئيس الوزراء المصرى التصرف فى شئون بلاده قبل أن يدعو البرلمان الى اجتماع غير عادى لأخذ موافقته على اعلان الأحكام العرفية ـ بعد أن كانت الأحكام العرفية ينفرد باعلانها القائد العام للجيش البريطانى فى مصر وكانت تتولاها السلطة العسكرية البريطانية ـ أما هذه المرة ـ فقد تولى رئيس الوزراء المصرى مهام الحاكم العسكرى وكذلك الرقابة على الصحف ووسائل المواصلات ـ فكانت كلها تحت اشراف مصرى ـ كما ظلت الحياة النيابية قائمة ومستمرة فى أداء مهامها الدستورية فى هذه المرة ، حيث كانت الجمعية التشريعية (البرلمان) قد تعطلت أو عطلت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ثم أن البرلمان المصرى والوزارة المصرية قاما بمناقشة موضوع اعلان الحرب ـ من عدمه ـ داخل البرلمان المصرى هذه المرة فى اجتماع غير عادى بأسلوب ديمقراطى ، وقررا اتخاذ ما هو لصالح (٣٤١) مصر من قرارات ـ وهو الاكتفاء بقطع العلاقات مع ألمانيا وليس باعلان الحرب عليها ـ كما كانت ترغب الحليفة بريطانيا فى ذلك وهى ما زالت تحتل أجزاء من الأراضى المصرية ـ فقد تريثت الوزارة ولم تعلن الحرب بناء على ما أبداه أعضاء البرلمان من آراء ـ لأنه تبين من المناقشة الحرة أنه لم يكن فى المعاهدة المصرية / الانجليزية ما يلزم مصر باعلان الحرب ، حيث جاء بالمعاهدة (١٩٣٦) أنه تلتزم مصر بمعاونة بريطانيا فى حالة الحرب بأن تقدم مصر لانجلترا ـ داخل الحدود المصرية ـ جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعها بما فى ذلك استخدام موانيها ومطاراتها .

ـــ اجتماع البرلمان فى دورته العادية (٣٤٢) .. (١٨ نوفمبر ١٩٣٩) :

واجتمع البرلمان فى دورته العادية بعد ذلك وانتخب الدكتور أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب بأغلبية ضد بهى الدين بركات ـ رئيس المجلس السابق ـ واجتمعوا مع الملك فى القصر حيث اقترح أن يتساوى عدد المرشحين لمجلس النواب من كل حزب من الأحزاب الأربعة ـ ويعتبر هذا تدخلا معيبا دستوريا من الملك ـ مما استاء له رئيس النواب دكتور أحمد ماهر بعد خروجه من الاجتماع واستأنف رؤساء الأحزاب الاجتماع فى

---

(٣٤١) « مذكرات فى السياسة المصرية » ـ د. محمد حسين هيكل ـ الجزء الثانى ـ ص ١٤٦ .

(٣٤٢) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ـ للاستاذ الرافعى ـ الجزء الثالث ـ ص ٧٦ .

مكتب رئيس الديوان بالقصر ـ بعد اجتماعهم مع الملك ـ واقتنع دكتور ماهر بأن مسألة الترشيحات متروكة للأحزاب تبت فيها بما ترى فيه المصلحة للبلاد ـ وكان هذا موقفا دستوريا شجاعا من الدكتور أحمد ماهر ٠

وتمت الانتخابات التى قاطعها حزب الوفد ، وأسفرت النتيجة(٣٤٣) عن فوز : ١٢٥ للسعديين ـ ٧٤ للدستوريين ـ ٢٩ من الكتلة الوفدية ـ ٧ من الحزب الوطنى ـ ٢٩ من المستقلين (وكام لبعضهم ميول وفدية) ٠

ولما تمت عملية الانتخابات ، أجرى تعديل فى الوزارة حيث عين د٠ محمد حسين هيكل رئيسا لمجلس الشيوخ وعبد الرزاق السنهورى وزيرا للمعارف وحفنى محمود للتجارة والصناعة وحنا راغب وزير دولة وعبد المجيد بدر للشئون الاجتماعية ٠

انشاء الجيش المرابط :

تحايل على ماهر لأجل تقوية الجيش المصرى دون أن يدخل فى مشاكل فكون قوة لها الصفة العسكرية أسماها الجيش المرابط وذلك فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وكان من المجندين الذين يزيدون عن حاجة الجيش العامل ومن ينضم اليهم من المتطوعين ومهمته فى زمن الحرب القيام بحراسة المرافق العامة وأداء الخدمات العسكرية المختلفة خلف ميدان القتال ومدة الخدمة به ستة شهور ويجوز استدعاؤهم مرة أخرى ٠ وكان على ماهر يهدف الى اعتباره قوة احتياطية للجيش ممكن أن تنقلب بسهولة وبسرعة الى قوات مقاتلة وكان من المفروض أن يتطور هذا الجيش مع الزمن ولكن تخلفه بقصد أو بدون قصد على يد الوزارات المصرية المتعاقبة وكان ذلك ضمن سياسة اضعاف قوات مصر وهذا ما يستهوى السياسة البريطانية ووصل هذا الجيش الى ٥٨ ألف مقاتل ووضع هذا الجيش تحت قيادة عبد الرحمن عزام وهو فى الحقيقة صاحب فكرة انشاء قوات بنفقة بسيطة تتحملها مصر ، ولم يرتح الانجليز لهذه القوات ووضعها تحت قيادة عزام ٠

زيارة السودان :

قام على ماهر بهذه الزيارة فى يناير سنة ١٩٤٠ بصحبة (٣٤٤) وزير الحربية محمد صالح حرب الذى لا يرتاح له البريطانيون ووزير

---

(٣٤٣) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ج ٢ ، ص ٧١ ٠

(٣٤٤) نفس المصدر ، ص ٧٦ ٠

الأشغال عبد القوى أحمد وكانت الزيارة بدعوة من الحاكم العام الانجليزى وكانت زيارة ناجحة أكدت على الوحدة المصرية السودانية وقام هو ووزير الحربية باجراء أحاديث وخطب وطنية اعتبرتها السلطات البريطانية مثيرة للرأى العام رغم أن السفير البريطانى قبل سفره قال له محذرا « اذا سافرت تكون كسائح » ٠

أزمة البعثة العسكرية البريطانية وعزيز المصرى :

كانت بريطانيا منذ اعلان الحرب (٣٤٥) تحاول جعل القيادة المصرية بشكل أو بآخر تخضع للقيادة البريطانية فى مصر لكن كان لعزيز المصرى وجهة نظر مصرية يدافع عنها بحماس وهى أنه طالما أن مصر لم تعلن الحرب فلا يجب أن تتغير قيادة الجيش المصرى ولذلك قرر أن يكون الاتصال بين القوات البريطانية فى مصر وبين القوات المصرية عن طريق البعثة العسكرية وكانت السلطات البريطانية تعلم تماما مدى حب الضباط المصريين الأصاغر واحترامهم وتقديرهم لعزيز المصرى وكانت تحركاته وسط هؤلاء الضباط تضايق السلطات البريطانية٠ ولذلك تقدمت السلطات البريطانية بطلب الى رئيس الوزراء على ماهر بتنحية عزيز المصرى ٠ فاكتفى على ماهر بمنحه اجازة مرضية (اجبارية) فى أول عام ١٩٤٠ ولكن لم يكن ذلك خافيا على الرأى العام المصرى وعلى ضباط الجيش المصرى ٠

ازمة سياسية (يونيو سنة ١٩٤٠) :

بعد أن دخلت ايطاليا الحرب (١٠ يونيو سنة ١٩٤٠) واجتمع مجلس الشيوخ والنواب لسماع بيان رئيس الوزراء لتجنيب مصر ويلات الحرب تقرر قطع العلاقات السياسية مع ايطاليا واعتقال معظم رعاياها مع التأكيد على تقديم أكبر معونة من الحكومة المصرية الى الحليفة بريطانيا ٠ وكانت انجلترا تأمل (٣٤٦) أن تعلن مصر الحرب ليكون لهذا الاعلان أثره المعنوى فى البلاد العربية وفى بلاد الشرق الأوسط خصوصا وأن رئيس الوزراء على ماهر كان قد وعد الانجليز عندما اكتفت حكومته بعد مشورة البرلمان بقطع العلاقات مع ألمانيا بأن يكون هذا الاعلان محل تقدير الوزارة ونظرها اذا دخلت ايطاليا الحرب وأصبحت الحرب على مقربة من ميادينها ٠

---

(٣٤٥) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨ ، ٤ فبراير ١٩٤٢ ، د٠ محمد أنيس ٠

(٣٤٦) مذكرات فى السياسة المصرية ، د٠ هيكل ج ٢ ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ٠

أعلنت ايطاليا بلسان موسولينى أنها مضطرة لدخول الأراضى المصرية لاخراج الانجليز منها وبرغم ذلك فهى تحترم استقلال مصر ٠

وأعلن على ماهر فى البرلمان أن مصر ستقف موقف المدافع عن نفسها اذا اعتدى عليها ولكن الحكومة البريطانية لم تكن مطمئنة الى نوايا الحكومة المصرية ، وكان قد بلغ من عدم الثقة بعلى ماهر ووزارته مبلغا لا تطيق معه الصبر عليه وعليها ٠

رغم أن أحمد ماهر شقيقه ورئيس الهيئة السعدية ومعه الهيئة كانوا يرون ضرورة اعلان مصر الحرب على المحور وحجته فى ذلك أن سكوت مصر عن اعلان الحرب اقرارا منها بأن انجلترا هى التى تحميها وهذا رجوع بمصر الى عهد الحماية ولم يكن رأى أحمد ماهر وهيئته السعدية مطابقا للرأى العام الذى يكره الاحتلال الانجليزى ، بل كان الرأى العام متجاوبا مع على ماهر رئيس الوزراء ـ كما أنه كان من المعروف أن الملك فاروق يضم الى حاشيته كثيرا من الايطاليين ٠

ورغم ذلك نسبت السفارة البريطانية الى الحكومة (٣٤٧) والى السراى ميولا نحو ايطاليا والمحور ووجهت بريطانيا عن طريق سفارتها فى مصر الى الملك فاروق تبليغا بمثابة انذار بأن حكومته لاتقف موقف الصديق وانها فى ريب من نواياها وجمع الملك لفيفا من الكبراء وزعماء الأحزاب فى قصر عابدين لاستشارتهم فى الأمر وتركهم الملك يقررون ما يرونه ٠ وأصدروا القرار والذى أخذ به الملك بالموافقة على استقالة وزارة على ماهر ومعنى ذلك الاذعان للتبليغ البريطانى وبحث المجتمعون فى شكل الوزارة الجديدة فقال معظمهم أن تكون وزارة قومية ٠ ورفض النحاس باشا الائتلاف وطلب أن تؤلف وزارة محايدة تقوم باجراء انتخابات جديدة ٠

استقالة على ماهر (٢٣ يونيو سنة ١٩٤٠)

وقبلت استقالة على ماهر الذى قدمها بعد الاجتماع مباشرة فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٠ بعد أن بقيت فى الحكم عشرة شهور فقط ٠

تاليف وزارة حسن صبرى (٢٨ يونيو سنة ١٩٤٠)

وبعد أن حاول القصر مع النحاس باشا لقبول تشكيل وزارة قومية تمسك النحاس باشا برأيه بوجوب أن تكون الوزارة محايدة لاجراء

(٣٤٧) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، ص ٨٣ ، ج ٣ ٠

انتخابات صــــدر المرســـوم بتأليف وزارة حسن صبرى وهى وزارة ائتلافية الى حد بعيد حيث كان بهـا ســـتة عشر وزيرا يمثلون الأغلبية البرلمانيـة ، الهيئـــة السعدية والأحـــرار والحزب الوطنى والمستقلين ورئيسها مستقل .

وأعلن حسن صبرى عقب تشكيله الوزارة أن وزارته حريصـــة على استقلال مصر وسـلامتها كمـا أنها حريصـة على الوفاء بتعهداتها لحليفتها بريطانيا وفى عهد هذه الوزارة تم الغـــاء صندوق الدين فى ١٧ يوليـو سنة ١٩٤٠ باتفاقية بين حكومة مصر والحكومة البريطانيـــة والحكومة الفرنسية بعد أن ظل الصندوق شبه رقيب على ماليـــة مصر منذ ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بحجة تسديد ديون مصر التى تسبب فيها الخديوى اسماعيل وكان هذا الالغاء نتيجة مفاوضات تمت بين مصر وفرنسا وانجلترا وايطاليا بعد الغاء الامتيازات الأجنبية فى اتفاق مونترو سنة ١٩٣٧ .

مد امتياز البنك الاهلى أربعين عاما

فى عهد هذه الوزارة صدر (٣٤٨) قانون يقضى بمد امتياز البنك الأهلى (الانجليزى أصلا وتكوينا) أربعين سنة أخـــرى وكان ينتهى فى سنة ١٩٤٨ ولم يكن هناك أى داع لهذا المد وخاصة أن ميعاد الانتهاء كان باقيا عليه مدة ثمانى سنوات.وهذا الامتياز يخول لهذا البنك حق اصدار أوراق النقد المصرية ويجعل اقتصاد البلاد رهنا بما يصدره من هذه الأوراق بالبنكنوت باعتباره بنك الدولة وللأسف أنه كان بنكا أجنبيا .

وكان ذلك لصالح بريطانيـــا وخاصـــة زمن الحرب حيث أصبح بذلك ، البنــك يصــدر بلا حـدود وكمـا يتراءى لمصلحة بريطانيا وبذلك حمل مصر مئات من ملايين الجنيهات من الأرصدة الاسترلينية التى كانت تنفقها بريطانيا فى زمن الحرب على شكل أوراق نقد مصرية أصدرها هذا البنك ولقد اغتبطت الدوائر البريطانية لهذا القانون وعدته فوزا لسيطرتها المالية على مصر ، ولا غرو أن يجىء هذا القانون على يد صـــديق بريطانيا رئيس الوزراء حسن صبرى وبالطبع أثار هذا التصرف سخط العـــامة والخاصة المصريين .

فى عهد هذه الوزارة تم تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان .

---

(٣٤٨) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ عبد الرحمن الرافعى ، ج ٣ ، ص ٩٠ .

تعيين محمد أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى (يوليو سنة ١٩٤٠)

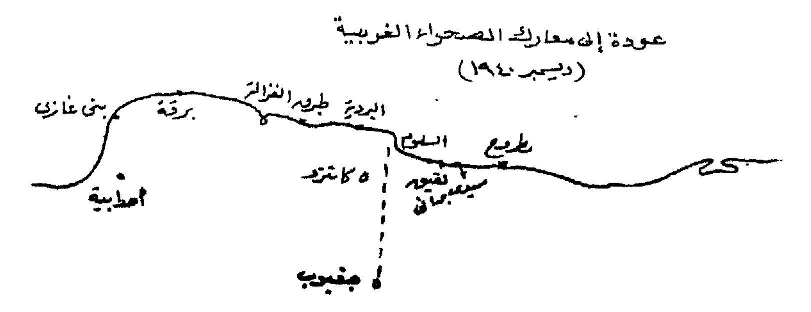
فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٠ وقع اختيار (٣٤٩) الملك على أحمد حسنين الأمين الأول للملك لشغل هذا المنصب الذى ظل شاغرا منذ أن اعتزله على ماهر باشا بعد تأليف وزارته وبعد استقالة وزارة على ماهر عدو حسنين باشا تم هذا الاختيار والتعيين فى عهد وزارة حسن صبرى صديق الانجليز **لأن الاختيار كان من حق الملك ولكن التعيين كان من حق الوزارة وكان لايمكن أن يتم هذا فى وزارة على ماهر** • وأحمد حسنين كان سكرتيرا (٣٥٠) للجنرال مكسويل فى الحرب العالمية الأولى ثم مفتشا فى وزارة الداخلية حتى انتقل الى السلك الديبلوماسى واختاره الملك فؤاد ليرافق الأمير فاروق أثناء دراسته فى لندن مع عزيز المصرى وسرعان ما عمل حسنين على طرد عزيز المصرى واستدعائه الى مصر بحجة أنه كان يتشدد فى معاملة الأمير وحسنين لم يحصل على أى شهادة من جامعة اكسفورد حيث أنه لم يستكمل دراسته بها ولو أن بلانكين المؤرخ الانجليزى جورج كيرك ويطلق عليه اسم وصفه بأنه انتاج أوكسفوردى واشتهر عنه فى الأوساط البريطانية السياسية أنه بريطانى الميول وفى شبابه كان يحاول تقليد الشباب البريطانى المغامر من لبس البدو الى ارتياد الصحراء ونظرا لبراعته الرياضية فقد وجد ترحيبا كبيرا فى الدوائر البريطانية والرأى العام البريطانى ورشحه هذا لأن يكون ضابط الاتصال بين السلطات البريطانية والقصر • وكانت صلات أحمد حسنين بالأسر الارستقراطيه البريطانية واسعة جدا ويعتبر تعيينه رئيسا للديوان فى وزارة حسن صبرى من العلامات الدالة على سياسة وزارة حسن صبرى فى التعاون المطلق مع بريطانيا •

ايطاليا تهاجم الحدود المصرية

فى سبتمبر سنة ١٩٤٠ رجعت القوات الايطالية بقيادة المارشال جرازيانى على الأراضى المصرية واحتلت (السلوم) ثم (بقبق) وفى ١٦ سبتمبر احتلت قوات ايطاليا سيدى برانى وتحصنوا بها •

---

(٣٤٩) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ص ٩١ •
(٣٥٠) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د• محمد انيس ص ٥٥ ـ ٥٦ •



وفى سبتمبر سنة ١٩٤٠ وبعد أن توغلت قوات ايطاليا والمحور داخل الحدود المصرية فى الصحراء الغربية طالب الوزراء السعديون بضرورة اعلان الحرب على ايطاليا والمحور ــ وقد خالفهم باقى الوزراء وعلى رأسهم رئيس الوزراء حسن باشا صبرى وبنى رأيه فى عدم (٣٥١) الضرورة لاعلان مصر الحرب يرجع الى أنه بحديثه مع السياسيين والعسكريين البريطانيين علم منهم أن بقاء مصر دولة غير محاربة أجدى لهم من اعلانها الحرب ولذلك فقد انسحب الوزراء السعديون من الوزارة (٣٥٢) بتقديم استقالاتهم فى سبتمبر سنة ١٩٤٠ وهم (النقراشى ومحمود غالب وابراهيم عبد الهادى وعلى أيوب) ·

وفاة رئيس الوزراء (١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠)

وتوفى فجأة رئيس الوزراء حسن باشا صبرى أثناء القائه خطاب العرش بالبرلمان فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ ·

تأليف حسين سرى الوزارة (نوفمبر سنة ١٩٤٠ ــ فبراير سنة ١٩٤٢)

وفى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ تألفت وزارة حسين سرى باشا من الأحرار الدستوريين والمستقلين واجتمع مجلس النواب يوم ١٨ نوفمبر وأعاد انتخاب أحمد ماهر رئيسا لمجلس النواب وأعلن حسين سرى أن سياسة وزارته هى سياسة الوزارة السابقة · واشتدت الغارات الجويه فى وزارته على الاسكندرية والقاهرة ولجأ الألوف من أهاليها الى الريف ومن المعروف (٣٥٣) أن حسين سرى كان صديقا للانجليز يستجيب لكافة مطالبهم ·

---

(٣٥١) مذكرات السياسة المصرية ، د· هيكل ج ٢ ، ص ١٦١ ·

(٣٥٢) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، جزء ٣ ص ·

(٣٥٣) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د· محمد انيس ، ص ٧ ·

في ديسمبر سنة ١٩٤٠ هجم الجيش البريطاني بقيادة ويفل على القوات الايطالية واستولى على سيدى براني وأسر آلاف الأسرى من الايطاليين وواصل زحفه غربا حتى احتل بنى غازى فى فبراير سنة ١٩٤١ ثم جغبوب فى مارس سنة ١٩٤١ وعلى أثر هذه الهزائم أقيل الجنرال جرازياني من منصبه كقائد عام للقوات الايطالية فى شمال افريقيا وتولى الجنرال روميل الألماني قيادة قوات المحور · فاسترد بنى غازى ووصل الى مشارف طبرق فى ابريل سنة ١٩٤١ ولكنه لم يستول عليها ·

محاولة هروب عزيز المصرى

فى منتصف سنة ١٩٤١ تأكد للانجليز أن جانبا كبيرا من صغار ضباط الجيش المصرى كانت عناصر وطنية من أبناء الشعب وأبناء الطبقة المتوسطة تتطلع لتحرير بلدهم بحماس شديد · وهى عناصر كارهة للاحتلال البريطاني وكانت معظمها متأثرة الى حد كبير بمعلمها الكبير عزيز المصرى الذى تولى رئاسة أركان الحرب أيام وزارة على ماهر (سنة ١٩٣٩ ـ سنة ١٩٤٠) والمعروف بميوله نحو الألمان وكراهيته(٣٤٥) للاحتلال البريطاني ولقد حاول عزيز المصرى الهروب من مصر مرتين بعد تنحيته من منصبه · أما المرة الثالثة فكانت فى نهاية مايو سنة ١٩٤١ حين استطاع مع الضابطين الطيارين حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف أن يهربوا بطائرة عسكرية ليلا لكن الطائرة اصطدمت بأسلاك التيلفون عند قليوب وهبطت الى الأرض وتركها راكبوها واختفوا · وكان عزيز المصرى ومرافقوه يريدون الانضمام الى الألمان ـ واجتمع مجلس الوزراء على الفور خشية أن يكون لهذا الحادث نتائج وخيمة وخاصة لموقف الانجليز المتشكك فى عزيز المصرى على طول الخط ولأن عزيز المصرى(٣٥٥) كان مراقبا مراقبة دقيقة ورغم ذلك تمكن من الهرب بهذا الأسلوب المغامر الذى يستهوى العامة الساخطين على الانجليز وعلى الحكام المصريين المنحازين اليهم على حساب الشعب المصرى وبعد مدة طويلة من هروب عزيز المصرى أمكن تعقبهم واستطاع البوليس المصرى أن يتأكد أنهم موجودون بمنزل بامبابة ، واستطاع أن يحيط بالمنازل وأن يقبض عليهم وكانت عملية تعقب عزيز المصرى والضابطين فى منتهى الصعوبة لأن الجمهور كان يحبط عزيز المصرى بالعطف المتزايد الذى يتطابق مع آلامه · ولذلك تعذر على سلطات البوليس الاستعانة بمعلومات ومعاونة هذا الجمهور لاقتفاء آثارهم ومعرفة المكان الذى اختفوا فيه بعد هذا الحادث وحتى يستطيع البحث عن الفارين ليعيد الطمأنينة ·

---

(٣٥٤) مذكرات فى السياسة المصرية ، د· هيكل ج ٢ ، ص ١٨٣ ·

(٣٥٥) ٤ فبراير سنة ١٩٤٠ ، د· محمد انيس ص ٤٥ ، ٤٦ ·

تعديل وزارى (آخر يوليو سنة ١٩٤١)

وأخيرا اقتنع سرى باشا رئيس الوزراء بضرورة تدعيم وزارته فأخذ يفكر فى السعديين .

فى آخر يوليو سنة ١٩٤١ أجرى حسين سرى بالتفاهم مع السعديين تعديلا وزاريا دخل بمقتضاه خمسة وزراء سعديون الوزارة وهم (محمود غالب ، دكتور حامد محمود ، حامد جودة ، ابراهيم عبد الهادى ، محمد راغب عطية) وأصبحت الوزارة مشكلة من الدستوريين والسعديين والمستقلين .

أزمات أمام الوزارة

كان حسين سرى صديقا للانجليز يستجيب لكل (٣٥٦) مطالبها . وبدأت وزارته تعانى من أزمات متلاحقة حدثت أغلبها فى أول عام ١٩٤٢ وكان أشدها هى أزمة التموين وفى الخبز بالذات فى الأسبوع الأخير من شهر يناير وهاجم الأهالى المخابز للحصول على الخبز - ومن المعروف أن هذه الوزارة كانت تعتمد فى تأييدها على رضاء حزبى الأحرار الدستوريين والسعديين المشكلين للأغلبية البرلمانية على أثر انتخابات مشكوك فى سلامتها جرت فى عام ١٩٣٨ وكان الوفد دائم مهاجمة الوزارة وبخاصة لأجل أزمة التموين - كما أن الوزارة لم تكن تحظى بثقة الملك فاروق وبخاصة بسبب أزمة حكومة فيشى الفرنسية الموالية للمحور والتى قامت على أثر انهيار الجمهورية الفرنسية الثالثة وتقسيم فرنسا الى شطر احتله الألمان ومنه باريس وشطر كان يخضع لحكومة بيتان وعاصمته فيشى أما ديجول فكان قد فر الى انجلترا ليقود حركة « فرنسا الحرة » .

- وفى مصر كان بها عدد من الفرنسيين الموالين لحكومة فيشى من بينهم رجال المفوضية الفرنسية بالقاهرة وكان الوزير الفرنسى المفوض من قبل حكومة فيشى مسيو (لبوتشى) وكان يمثل فرنسا فى مصر قبل ذلك وكان له صلات واسعة بالساسة المصريين وصلات اجتماعية كبيرة وكان مقربا جدا من الملك فاروق - وكان بعض رجال المفوضية الفرنسية فى مصر محل شك من الانجليز وطلبت بريطانيا من حسين سرى قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشى .

---

(٣٥٦) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، دكتور محمد أنيس ، ص ٨ .

ـ وفى اجتماع مجلس الوزراء يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٢ يعرض رئيس الوزراء حسين سرى وبشكل مفاجىء موضوعا لم يكن فى جدول أعمال الجلسة وطلب من الوزراء الموافقة على قطع مصر العلاقات مع حكومة فيش وكان الملك موجودا خارج القاهرة فى رحلة وكان يجب أخذ رأيه قبل عرض الموضوع أو البت فيه ولكن رئيس الوزراء كان متعجلا اتخاذ القرار علما بأن هذا الموضوع كان عرض عدة مرات قبل ذلك وتأجل البت فيه لأن مصر كانت لاتزال لها اتصالات مع هذه الحكومة لأن أبناء مصر الطلاب كانوا ما زالوا فى فرنسا يدرسون وعددهم بالمئات وقطع العلاقات لا شك يضرهم ضررا بليغا وقد تعامل حكومة فيش هؤلاء الطلاب أسوأ معاملة • ورغم اعتراض وزيرين على قرار قطع العلاقات فقد وافقت الأغلبية وبلغ الخبر محمد حسنين باشا (٣٥٧) رئيس الديوان الملكى والذى دأب على التدخل فى أعمال السلطة التنفيذية وتمكن بالاتفاق مع رئيس الوزراء حسين سرى بجعل القرار وقف العلاقات مع حكومة فيش بدلا من قطعها وكان هذا رأى دكتور محمد حسين هيكل الذى أشار به على حسنين باشا وكان من المعترضين على قرار قطع العلاقات فى اجتماع مجلس الوزراء •

ولما عاد فاروق من رحلته (٣٥٨) وعلم بما حدث فى مجلس الوزراء ألقى اللوم على وزير الخارجية صليب سامى لأنه كان يجب أن يعترض على اقتراح رئيس الوزراء وفى نفس الوقت حنق من رئيس الوزراء ولم يجرؤ على مؤاخذته حيث أنه كان ينتظر عودة الملك ولكن الملك كان على ثقة من مساندة الانجليز لرئيس الوزراء • ولم يجد الملك أمامه الا صليب سامى ويبلغ رئيس الديوان وزير الخارجية أن يلزم داره ويقوم حسين سرى بمحاولة حل الأزمة مع فاروق ويتخيل أنه نجح فى ذلك فيطلب من وزير الخارجية استئناف العمل ولكن رئيس الديوان يعود ويطلب من صليب سامى الاعتكاف بمنزله مرة أخرى ويعلم الانجليز بموقف الملك واعتبروا موقفه عملا غير ودى وتمسك الانجليز بعودة وزير الخارجية وهكذا نشبت أزمة بين الوزارة والقصر وبين القصر والسفارة البريطانية (٣٥٩) •

واضطر الملك بقبول الأمر الواقع ولكنه لم يأخذ بهذه النصيحة • وكذلك لم يساهم رئيس الديوان حسين باشا بنصيحة الملك وتعمد تصاعد الموقف •

---

(٣٥٧) مذكرات فى السياسة المصرية ، د• محمد حسين هيكل ، ص ١٨٧ ، ج ٢ •

(٣٥٨) نفس المصدر السابق •

(٣٥٩) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ، د• محمد أنيس ، ص ٩ •

وفى نفس هذه الظروف كانت أزمة التموين قد استفحلت وعم الغلاء ونتيجة لذلك عم السخط وقامت مظاهرات صاخبة لم يعلم من كان يحركها نادى فبهـــا المتظـاهرون بسقوط بريطانيا وهتفوا « تقدم يا رومل الى الأمـــام يا رومل » وكان فعـــلا القـائد الألمانى رومل أصبح على بعـد ٣٠٠ كيلومترا بالقرب من الاسكندرية،واضطربت أعصاب الانجليز أمام هذه المظاهرات والهتافات وطلب الانجليز من سرى باشا وضع حد لهذه (٣٦٠) المظاهرات ولما لم يتمكن من ذلك أدرك أن الزمام قد أفلت من يده واضطر ازاء ذلك الى تقديم الاستقالة ٠

استقالة حسين سرى (٢ فبراير سنة ١٩٤٢)

قدم حسين سرى استقالة وزارته يوم ٢ فبراير ســـنة ١٩٤٢ وقبلها الملك وفى يوم ٣ فبراير قابل السفير البريطانى الملك فلمح له أن حسين سرى كان يحارب من بعض الجهات (٣٦١) (يقصد الملك) وأن دعاية المحور لم تتوقف وأن العناصر المواليـــة للمحور تتحرك فى حرية والطلبـة يقومون بمظاهرات لصالح ألمانيا ومعـادية لانجلترا وأن قوات المحور فى طبرق بالقرب من الحدود المصرية والموقف العسكرى مشحون بأخطر الاحتمالات على مصر قاعدة القوات البريطـانية (٣٦٢) فى الشرق الأوسط ، لذلك فان السفير البريطانى يصر على أن يعمل الملك على تشكيل وزارة يرضى عنها غالبية الشعب المصرى ولذلك يطلب من الملك دعـــوة مصطفى النحاس لتشكيل هذه الوزارة لأن حزب الوفـد يحظى بتأييـد غالبية الرأى العام المصرى ٠

ومن المعروف أن الانجليز كانوا يلحون منذ استقالة وزارة على ماهر فى صيف سنة ١٩٤٠ لاشراك الوفد فى الحـكم وهو أمر يعرفه الوفد ويعرفه خصوم الوفد أحزابا وساســة وتعـرفه السراى فليس فى هذا الطلب المقدم من السفير البريطانى للملك فاروق أى جديد فى هذا الوقت العصيب بالنسبة للقوات البريطانية المحاربة الموجودة بمصر والمحاطة بالرأى العام المصرى الذى يهتف مؤيدا الغزو الألمانى ومعاديا الوجـــود البريطانى والسخط الشعبى العـام من أزمة التموين ولاشك أن الملك والحاشية الملكيـــة حـوله وقادة الأحزاب يقـدرون كل هـذه الظروف فاذا ما قدرنا أن الملك فاروق فى هذا الوقت كان صـغير السن لم يكمل

---

(٣٦٠) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ عبد الرحمن الرافعى ، ج ٣ ، ص ١٠٠ ٠
(٣٦١) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د٠ محمد أنيس ، ص ١١ ٠
(٣٦٢) نفس المصدر السابق ٠

٢٤ عاما فكان الواجب على المحيطين به أن يشيروا عليه بالتعجيل بصدور مرسوم بدعوة النحاس باشا لتأليف الوزارة وبأسرع ما يمكن تلافيا لأى صراع مع الجانب البريطانى المحبوس فى قفص الظروف الصعبة والذى ليس أمامه الا الافتراس بوحشية ٠

ومع ذلك استهان الملك والمحيطون به بالأمر وفى الغالب عن عمد ولكل منهم كما أسلفنا ميول وأوضـــاع وارتباطات نفســية وشخصية وتاريخية يجعله ميالا للصيد فى المياه العكرة كأحمد حسنين ٠

ونجــد الملك بعــد مقابلة السفير البريطانى (٣٦٣) يـوم ٣ فبراير يستدعى رؤساء الأحزاب السياسة ـ مصطفى النحاس رئيس الوفد ، وأحمد ماهر رئيس الهيئة السعدية وحلمى عيسى رئيس حزب الشعب ، وحافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ود٠ محمد حسين هيكل (عن الأحرار الدستوريين) وقابل كلا منهم على حدة وعلم الدكتور حسين كامل من الملك أن الملك عنــدما عرض على النحاس باشا رئيس الوفد تشــكيل وزارة قومية رفض النحاس ـ أما باقى رؤساء الأحزاب فقد وافقوا جميعا على فكرة تشكيل وزارة ائتلافية يرأسها النحاس باشا وقام الدكتور هيكل بالنصيحة الخالصة من كل هدف للملك « بأن يسرع فى تأليف الوزارة قبل مساء يوم ٣ فبراير لأن الموقف يقتضى الاسراع فى تأليفها لأجل ألا تبقى البلاد فى هذا الظرف الدقيق بغير وزارة » وكان الأولى أن تكون هذه النصيحة على الأقل من رئيس ديوانه حسنين باشا الذى يقدر جيدا مستوى العقلية البريطانية السياسية ويقدر الخطورة التى بين سطور التبليغات البريطانية ٠

ويعلم د ٠ محمد حســين هيكل من الملك فى المقابلة أنه لم يوافق على رأى النحاس بوجوب أن تكون الوزارة التى يقبــل تأليفهـــا وفدية التشكيل حتى لا تتكرر التجربة الفاشلة مع باقى الأحزاب ٠ وأبلغه الملك بأنه أرجأ البت فى تشكيل الوزارة الى مقابلة أخـــرى قد يجريها مع النحاس باشا فى اليوم التالى ٤ فبراير **وفى نفس مساء يوم ٣ فبراير** فى الساعة السابعة مساء وبعد مقابلات رؤساء الأحزاب للملك دعا السفير البريطانى رئيس الديوان وأبلغه أنه قد وصلته تفاصيل (٣٦٤) ما دار فى اجتماع الملك مع رؤساء الأحزاب وأن النحاس باشا لم يقبل تأليف وزارة ائتلافية كما عرضها عليـــه الملك وأن انجلترا تـرغب أن يؤلف

---

(٣٦٣) مذكرات فى السياسة المصرية للأستاذ محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ٠

(٣٦٤) ٤ فبراير د٠ محمد أنيس ، ص ١٢ ٠

النحاس باشا وزارة وفدية وبذلك تكون الأمور قد وضحت لرئيس الديوان بأنه لا مفر للملك الا الخضوع لشروط انجلترا كما أوضحها السفير وأن يتفاهم مع النحاس على تأليف وزارة وفدية تحاشـيا لمزيد من التهديد من بريطانيا ولكنه لم ينصح الملك النصيحة الواجبة قبل فوات الفرصة • كما أن باقى رؤساء الأحزاب لم يشأ أى منهم فى اجتماعهم مع الملك أن يقدر الظروف الدقيقة والخطيرة المحيطة بالعرش وبالبلاد ويتنـازل عن أنانيته فى وجوب أن تكون الوزارة قومية ليكون لحزبه مكان فى الوزارة ، وينصح الملك أن يحاول تمرير العاصفة ويوافق على أن يكلف النحاس باشا بتأليف وزارة وفدية لتجنيب جميع الأطراف مواجهة التصرفات البريطانية التى قد تتحول وبسرعة الى العنف •

حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢

وفى صباح يوم ٤ فبراير سـنة ١٩٤٢ يطلب السفير البريطـانى مقابلة رئيس الديوان ويسلمه انذارا نصـه « اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء اليوم أن النحاس باشا قد دعى لتأليف الوزارة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » **ولكن رئيس الديـوان اسـتهان** بخطورة الانذار وكذلك الملك ولم يتصرف التصرف الواجب والذى يحفظ كرامته وعرشه وقد كان لتاريخ التصرفات البريطانية مع كل من أسلافه الخديوى عباس والخديوى اسماعيل عند خلعهما من العرش بمثـل هذا الاسـلوب •

ويضيع الملك الفرصة ولا يتصرف بالحكمة اللازمة ويأمر بعقد (٣٦٥) اجتمـاع مع أصـحاب الرأى فى مصـر وبينهم رؤسـاء الأحـزاب ورؤساء الوزارات السابقين فى الساعة الرابعة ويتم الاجتماع فى قصر عابدين ودخل فاروق ومعه رئيس الديوان الذى ألقى بيـانا حول تطور الموقف وقرأ صيغة الانذار وغادر الملك القاعة ليترك للمجتمعين الفرصه للمناقشة واصدار القرار الواجب – وبعد صمت قصير تكلم النحاس وأكد بأنه لم يكن يعلم بما حدث ويعترض على اقحام اسمه فى الانذار البريطانى •• (٣٦٦) ولكنه انقاذا للموقف يقبل تأليف الوزارة اذا طلب الملك منه ذلك – ثم تكلم دكتور أحمد ماهر وناشد النحاس باشا أن يرفض تأليف الوزارة • ثم تكلم النحاس وحذر المجتمعين بأنه يشم رائحة الخطر من صيغة الانذار • أما زيور باشا فقد نصح بقبول الانذار ونصح المجتمعين أن يشيروا على الملك بذلك لأنه ليس من المعقول أن توجـه الحـكومة البريطانية مثل هذا

(٣٦٥) نفس المصدر السابق ، ص ١٤ •

(٣٦٦) مذكرات فى السياسة المصرية ، د• حسين هيـكل ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ •

الانذار وبهذه الصيغة التهديدية والا ترتب على رفضه نتائج معينة قدرتها وأعدت لها ، والنحاس باشا يعلم هذا كما نعلمه جميعا (وكان المعروف أن زيور باشا هو صاحب سياسة انقاذ ما يمكن انقاذه منذ مقتل السردار) ٠
واقترح الدكتور محمد حسين هيكل تأليف وزارة قومية برئاسة النحاس فرفض النحاس اقتراحه ــ **ثم اقترح شريف صبرى** أن تتألف وزارة ادارية تحل مجلس النواب وتجرى انتخابات جديدة فاذا فاز فيها الوفد بالأغلبية يؤلف النحاس وزارته الحزبية ــ **ثم اقترح آخر** أن يؤلف النحاس وزارة يشترك فيها كل حزب ولو بوزير واحد ، وتجرى هذه الوزارة الانتخابات ومتى أسفرت الانتخابات أغلبية وفدية يعدل النحاس باشا وزارته ويجعلها حزبية صرفة ، ويرفض النحاس باشا كل هذه الاقتراحات ٠حيث كان واثقا من مساندة السفارة البريطانية لرأيه وكانت السفارة البريطانية(٣٦٧) متأكدة من ميول بعض المحيطين بالملك نحو المحور من الحاشية الملكية ٠

وتصلب النحاس باشا فى رأيه بضرورة تأليف وزارة من حزب الوفد فقط ٠

الهدف المقصود من هذا الانذار

واستمرت المناقشة فى هذا الاجتماع (٣٦٨) مدة طويلة دون الوصول الى حل ايجابى واتفق المجتمعون على اصدار قرار يرسل الى السفير البريطانى بأن الانذار يتنافى مع استقلال مصر وسيادتها ٠ وعرض القرار على النحاس باشا فوقعه فى الحال ثم قال « اننى أبدى رأيى كوطنى ومجرب وخبير بأعمال الانجليز أنه يجب أن نبحث ان كان هذا الانذار تهديديا أو تنفيذيا وانى أراه تنفيذيا (جديا) وليس تهديديا وحذر الحاضرين من النتائج التى قد تترتب على هذا القرار الذى يرفض الانذار وقال أيضا « وأنى أريد أن أصارحكم بحاجة وهى أن هذا الاجتماع كويس ولكن يودى بالبلد وبالعرش ، ويمكن أن يكون نكبة على العرش وعلى شخص جلالة الملك ٠

وفى نفس الوقت علم القصر ومعظم الحاضرين (٣٦٩) أن ولى العهد الأمير محمد على وهو المنافس للملك على عرش مصر كان قد دعاه الملك لحضور هذا الاجتماع بالقصر وقيل انه ليس بقصره ولم يعرف أحد مكانه ٠

---

(٣٦٧) كتاب ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د محمد انيس ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧
(٣٦٨) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د٠ محمد أنيس ، ص ٥٥ ، ص ٢٦ ٠
(٣٦٩) مذكرات فى السياسة المصرية ، د٠ محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ٠

ويتساءل د . هيكل وكان وزيرا فى وزارة حسين سرى باشا المستقيلة وحضر الاجتماع بصفته رئيس حزب الأحرار فهل لغياب (سموه) **فى هذه المناسبة الدقيقة معنى معين ، ثم يقول الدكتور حسين هيكل أيضا تعليقا على الاحتجاج المرسل من المجتمعين الى السفير البريطانى « اذا صح ان كان لغيابه ما قد يتبادر الى الذهن من المعانى ، فما عسى أن تكون الاحتمالات المتوقعة لاحتجاجنا على الأنذار البريطانى وعدم قبولنا اياه » .**

وحمل رئيس الديوان الملكى أحمد محمد حسنين هذا القرار باحتجاج ساسة البلد على الانذار البريطانى وذهب الى السفارة البريطانية وطلب من المجتمعين انتظار عودته ـ وعاد بعد الساعة السابعة وقال « انه سلم القرار الى السفير البريطانى وأن السفير قال له » : سأوافيكم برأيى فى الساعة التاسعة وقد أبلغكم أننى لا أحضر وقد أبلغكم بنبأ آخر » .

وحاول المجتمعون أن يستشفوا من حسنين باشا ما يكون قد فهمه من اتجاه السفير ، لكن حسنين باشا أفصح لهم أنه لم يستطع رغم المحاولات وأنه حاول فقط أن يصرف السفير عن المضى فى اجراء قد يفسد علاقات الدولتين .

وأشار رئيس الديوان حسنين باشا (٣٧٠) للمجتمعين بالانصراف الى منازلهم على أن ينتظروا أى استدعاء من القصر وبالتليفون انتظارا لما تتمخض عنه الأحداث .

الحادث

وقبل أن يحين موعد نهاية الانذار النهائى (٣٧١) (الساعة التاسعة) **فقد قامت الدبابات الانجليزية وحاصرت قصر عابدين من كل جوانبه ووقفت قوات بريطانية ضخمة فى الطرق المؤدية الى ثكنات الجيش المصرى بالماظة وقبل التاسعة بقليل حضر السفير ومعه جنرال ستون قائد القوات**

---

(٣٧٠) وكان من الواجب عليه وعلى الملك العمل على استبقاء جميع المجتمعين بمكتب الملك ليكونوا بجانبه لمواجهة أى احتمالات منتظرة .

(٣٧١) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د. محمد أنيس ، ص ٣٨ عن كتاب الصحفى البريطانى جورج بلانكين المحرر السياسى لجريدة الديلى ميل Cairo To Riyadh Diary .

البريطانية فى مصر وفى صحبتهما عدد من الدبابات والعربات المصفحة وهدمت الدبابات بوابة القصر الحديدية الخارجية وقبلهـــا كان عدد من الجنود المدربين البريطانيين قد اعتلوا بسرعة السور الحديدى وتمكنوا من اعتقال ضباط الحرس قبـــل أن يتمكنوا من المقاومة وكذلك قامت قوة أخرى بمحاصرة مبنى الحرس الملكى الموجـود خارج أسوار قصر عابدين وهجمت قوة بريطانية على ثكنات الحرس الملكى وقبضت على الموجودين • وتوجه السفير (٣٧٢) وســـتون ومعهما عدد من الضـباط البريطانيين المسلحين الى مكتب فاروق واجتمعا به وكان معه أحمد حسنين • وجلس الجميع على المائدة السفير وستون فى مواجهة الملك وحسنين • وقرأ السفير صياغة معدة حول الموقف ثم قال « أنه فى رأى الحكومة البريطانيـــة لابد أن يســـتدعى الملك النحاس لتأليف الوزارة المقبلة ، وأن وزارة ائتلافية غير ممكنة ولابد أن يؤلف النحاس وزارة بنفسه » • وأوضـــح السفير « أن هذا أمر وأننا لسناعلى استعداد لرفضه » •

وتصرف الملك بكبرياء غير عادى وفكر للحظـات ثم ناقش المسألة مع حسنين وبعدها أعلن الملك « لقد قبلت » (٣٧٣) •

وتنفس السفير الصعداء • والتفت الى ستون قائلا « حسنا لقد كان هذا هو ما نريده » •

وسرعان ما غادر السفير البريطـانى والقائد البريطانى القصر وفك الحصار البريطانى عن قصر عابدين ومبنى الحرس الملكى •

ـ وصار اتصال تليفونى بين القصر والزعماء للاجتماع بالقصر مع الملك بعد انســحاب القوات البريطانيـــة وكان آخـر الحاضرين هو النحاس باشا فلما اكتمل العدد دخل الملك وجلس فى صدر المكان وجلس المجتمعون ثم وجه الملك الكلام الى النحاس باشـــا قائلا « اننى أكلفك يا نحاس باشا بتأليف الوزارة • وأطلب اليك ان يكون حكمك قوميـــا لا حزبيا كما أطلب اليك حين انصرافك من هنا أن تمر بالسفارة البريطانية فتبلغ السفير بأننى عهـــدت اليك بتاليف الوزارة » ••• وقال النحاس « اننى أتلقى الأمـر من جلالتكم بتاليف الوزارة ولا أرى ضرورة لابـلاغ

---

(٣٧٢) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ • د• محمد أنيس ص ١٦ ، ص ٣٩ •

(٣٧٣) مذكرات فى السياسة المصرية ، د• محمد حسنين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ •

السفير هذا الأمر » فكرر الملك « لكننى أرى ضرورة فى أن تمر بالسفارة وتبليغ السفير ما طلبت اليك أن تبلغه اياه » عند ذلك قال الدكتور ماهر موجها الكلام الى النحاس « انك يا نحاس باشا تؤلف الوزارة على أسنة الرماح البريطانية فقد رأيت الدبابات بعين رأسك » واعترض الملك قائلا : « بل أنا الذى أكلفه بتأليف الوزارة » • وبعد ذلك انصرف الجميع •

ولا شك أن جميع رؤساء الأحزاب خرجوا من القصر وفى ذمتهم للتاريخ مآخذ على مواقفهم حيث كان يمكنهم من أول اجتماع بعد الانذار أن ينقذوا الموقف بقطع خط الرجعة على عناد النحاس بموقفه المتصلب أن يؤلف الوزارة الحزبية المتمسك بها وكان الملك تحت الحاحهم وضغطهم من السهل أن يوافق على ذلك مادامت هذه هى رغبتهم • ورغم انهم خرجوا من الاجتماع ويعتقد أغلبهم أن فى يده سلاحا يحاربون به الوفد والنحاس باشا لأنه على حد تعبير أحمد ماهر قد ألف وزارته على أسنة الحراب البريطانية ـ أما النحاس باشا والوفد مما لاشك فيه أنهم شعروا بأن رصيدهم الشعبى يهتز وسوف يحتاجون الى مجهودات دعائية حزبية كبيرة لأجل اعادة الثقة فيهم ولكنها على أى حال ستكون على حساب علاقتهم بالانجليز الذين كان لهم الفضل فى اعادتهم الى الحكم سواء بعلمهم أو بغير علمهم وليس أدل على دقة موقف الوفد بهذا الحرج وضعف مركزه نتيجة هذا التصلب من النحاس باشا الا ما نشرته جريدة الحزب « الوفد المصرى » فى يوم ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ عقب الحادث بيومين جاء فيه « ان بريطانيا (٣٧٤) العظمى بوصفها حليفة مصر قد حاربت أكثر من عامين الدول المعادية للديمقراطية والتى حاولت أن تفرض بالقوة معالم الديكتاتورية الفاشية على الأمم الحرة والمقهورة • وكانت الحليفة بريطانيا تدافع عن شعوب هذه الدول التى قهرتها الديكتاتورية •• فكيف يمكن لأى مصرى عاقل أن يعتبر بأن مصيره سيكون مختلفا عن مصير تلك الشعوب التى قهرتها دولتا المحور اذا أصبحت مصر تحت الاحتلال الألمانى أو الايطالى » •

« وقد كانت حليفتنا بريطانيا منصرفة الى بذل أقصى ما تستطيع لانقاذ الشعب المصرى من الفناء والحرب ولتمكن مصر فى المستقبل من ترقية حياتها الوطنية طبقا لمبادىء الحكم الديمقراطى ذلك الحكم •• وأنه لايمكن ضمان مستقبل الحرية والاستقلال الحقيقى لجميع البلاد الا بانتصار بريطانيا وحلفائها » •

---

(٣٧٤) ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، د• محمد أنيس ، ص ٩٠ •

وقبل أن تقوم جريدة الوفد بنشر (٣٧٥) هذا التحليل المملوء تزلفا الى الانجليز وديمقراطيتهم التى لم تنل منها مصر طول الاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ حتى وقت نشر هذا المقال الوفدى يوم ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ الا القهر والاستهانة بالكرامة .

فقد قام النحاس باشا تمهيدا لهذا التبرير فى صحيفتهم « الوفد المصرى » وذرا للرماد واستهانة بعقلية الشعب المصرى .. فقد قام النحاس باشا بالاتفاق مع السفير البريطانى على أن يتبادلا (٣٧٦) خطابا شكليا يحجب عن الرأى من خلاله ما وقع فعلا من التدخل البريطانى السافر وذلك يوم ٥ فبراير سنة ١٩٤٢ وقبل تأليفه الوزارة بيوم وجاء فى خطاب النحاس باشا للسفير البريطانى « ليكن مفهوما بأن الأساس الذى قبلت عليه مهمة تشكيل الوزارة هو أنه لا المعاهدات البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها » .

ورد عليه السفير البريطانى بما يؤيد وجهة نظر النحاس باشا المكشوفة للعامة والخاصة فقال : « وانى أؤيد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا تأليف الحكومات أو تغييرها » .

تأليف وزارة النحاس (٦ فبراير سنة ١٩٤٢)

فى يوم الجمعة ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ صدر المرسوم الملكى بتأليف وزارة النحاس الخامسة وكانت كلها من الوفديين وفى ٣١ مارس سنة ١٩٤٢ عين فؤاد سراج الدين وزيرا للزراعة وفى يونيو سنة ١٩٤٣ عين فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية مع قيامه بأعمال وزارة الشئون وعين أمين عثمان (صديق الانجليز) وزيرا للمالية .

وعقب تأليف النحاس باشا لوزارته حضرت الوفود المؤيدة للنحاس للتهنئة وكلهم من أنصار الوفد كما حضر فى نفس الوقت السفير البريطانى سير مايلزلامبسون وهتف أنصار النحاس بحياة الانجليز فى فناء مجلس الوزراء بعد أن حملوه على الأكتاف بالأمس القريب يهتفون ضد الانجليز

(٣٧٥) فى اعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ص ١٠٥ .

(٣٧٦) مذكرات فى السياسة المصرية ، د. محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

ويؤيدون ألمانيا ويستعجلون قائدهم رومل لهزيمة جيش السفير مايلز لامبسون (٣٧٧) ٠

الانعام بلقب لورد لمايلز لامبسون

وفى مقابل الحركة البارعة التى نفذها ممثل حكومة انجلترا فى ٤ فبراير فى مصر وعلى حساب كرامة الشعب المصرى وعرشها الذى يمثل رمز الأمة أنعمت حكومة بريطانيا بلقب لورد للسفير مايلزلامبسون ليصبح (لورد كيلرن) وأقام له النحاس باشا حفل تكريم كبيرا لهذه المناسبة فى مساء ١٢ يناير سنة ١٩٤٣ بسراى الزعفران وبخاصة أن مناسبة هذا الانعام لا يشرف مصر وشعب مصر - وبخاصة أن كلمات الترحيب وخطاب النحاس الى السفير لورد كيلرن ورد السفير عليه اشتملتا على شتى المعانى المنافية لكرامة البلاد وعزتها وحقوقها ٠

انتخابات مارس سنة ١٩٤٢

تمت الانتخابات فى شهر مارس وقاطعها الدستوريون والسعديون وطالبوا كشرط لدخولهم رفع الأحكام العرفية ورفع الرقابة على الصحف لضمان حريتها ولم يقبل النحاس وأسفرت عن أغلبية وفدية كبيرة وافتتح البرلمان يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٤٢ وانتخب مجلس النواب عبد السلام جمعة رئيسا له وفى مايو سنة ١٩٤٢ عين على زكى العرابى رئيسا لمجلس الشيوخ بعد أن أبطلت الوزارة عضوية أعضاء الشيوخ الذين عينوا فى عهد وزارة حسين سرى وعين بدلا منهم شيوخ معظمهم من الوفديين وتحقق بذلك مصدر القوة لينفرد الوفد والنحاس باشا بمقاليد الحكم دون معارضة ٠

ما تنفقه الدولة كشف كثيرا من التصرفات غير القويمة

كما تمادت الوزارة فى المحسوبية والاستثناءات لأتباعها والتعنت مع خصوم الوفد كما تغاضت عن استغلال السلطات البريطانية لتحكمها فى اصدار النقد المصرى مما تسبب عنه التضخم واستفحال حالة الغلاء ٠

وسيأتى هذا تفصيلا فى باب التجاوزات ٠

(٣٧٧) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ص ١١٣ ، ١١٤ ٠

عودة الى ميدان الحرب فى الصحراء الغربية

عقب مطاردة روميل للقوات البريطانية حتى طبرق ومحاصرتها فى ابريل سنة ١٩٤١ بدأ الهجوم البريطانى فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤١ بقيادة أوكنلوك على قوات المحور فى برقة وتقدم البريطانيون فى زحفهم حتى احتلوا بنى غازى فى ديسمبر سنة ١٩٤١ وقام روميل بالهجوم على البريطانيين حتى أجلوا عن بنى غازى فى يناير سنة ١٩٤٢ وتراجعوا الى طبرق التى كانت رغم حصار الألمان لها تتلقى المدد والمؤن من البحر والجو. وفى ٢٦ مايو تلقى روميل الامدادات وقام بالزحف شرقا واستأنف المعارك مع الجيش البريطانى بقيادة ريتشى وانتهت باستيلاء الألمان على بئر حكيم وجسر الفرسان والغزالة ثم جغبوب حتى سقطت طبرق فى ٢١ يونيو سنة ١٩٤٢ ومنحت ألمانيا رتبة فيلد مارشال الى روميل . أما الجيش البريطانى فقد تولى قيادته العامة أوكنلوك .

وفى هذا الوقت اضطربت الأفكار فى مصر لأنها هى التى كانت تتحمل الدمار بين القوتين المتحاربتين .

ـ ومنذ أواخر يونيو سنة ١٩٤٢ دارت عدة معارك بين الجيشين وانسحبت فى النهاية القوات البريطانية الى موقع حصين عند العلمين ودارت هناك عدة معارك أنهكت الطرفين . وفى أغسطس حدث تعديل فى القيادة البريطانية تولى فيها الجنرال مونتجمرى قيادة الجيش الثانى وسير هارولد ألكسندر القيادة العامة للقوات البريطانية .

معركة العلمين ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢

ودارت عند العلمين الموقع الحصين للبريطانيين معركة حاسمة وكان التفوق العددى وفى التسلح للجيش البريطانى أمام العجز الشامل فى امدادات قوات المحور واستمرت المعركة عدة أيام وتداعت خطوط المحور وانتهت بهزيمته فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٢ وأسر منهم عشرات الألوف وكان منهم الجنرال توما قائد الفيلق الافريقى الألمانى وتقهقرت قوات المحور غربا وكانت هزيمة ساحقة ومنح الجنرال مونتجمرى كفيلدمارشال أوف علمين . وكانت المعركة الفاصلة وانسحب روميل على أثرها الى تونس . وبدأ التحضير بعدها لغزو ايطاليا من الجنوب وقامت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال أيزنهاور الأمريكى بالنزول فى جزيرة صقلية فى يوليو سنة ١٩٤٣ ثم نزلت الى ايطاليا واستسلمت فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ .

استبعاد مكرم عبيد من الوزارة ومن الوفد ومن البرلمان (٣٧٨)

فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٤٢ أعاد النحاس باشا تأليف وزارته بعد أن استبعد منها مكرم عبيد بعد أن كان محور وزارته ونقطة ارتكازها وبصفته أيضا سكرتير حزب الوفد العام - وفى يوليو سنة ١٩٤٢ قرر الوفد فصل مكرم عبيد وراغب حنا من الوفد وفى جلسة ١٢ يوليو سنة ١٩٤٣ قرر مجلس النواب بأغلبية ٢٠٨ ضد ١٧ صوتا فصل نائب قنا مكرم عبيد باشا من مجلس النواب وكان قبل ذلك أكثر زعماء الوفد شعبية وحظوة لدى الجماهير ولدى النحاس باشا نفسه ٠

وكان من أهم أسباب هذا الغضب من مكرم عبيد هو أنه وهو وزير المالية والتموين وقف متصديا لمطالب محاسيب النحاس وحرمه الاستثنائية والصارخة فى التأثير على نزاهة الحكم ٠ وبعد أن حاول مكرم عبيد نفسه اصلاح ما بينه وبين المحاسيب والأنسباء استمع النحاس للوشايات وما أضيف اليها من الحاسدين على مكرم ممن تسلقوا الى المراكز الحساسة فى الوفد وفى الوزارة وتغلبت غريزة الغرور الزعامى على النحاس بعد تجميع جميع مصادر القوة فى يده وبدلا من أن يعيد أمور الحكم لتسير فى مسارها العادل بدأ فى عملية انتقام من مكرم عبيد أخذت تتصاعد الى أن تخلص منه ومن وجوده فى الساحة السياسية المصرية كعضو برلمان ٠

الكتاب الأسود :

ولم يتمهل مكرم عبيد ولو حفاظا على تاريخ العلاقة الحميمة التى كانت بينه وبين النحاس بل تآمر مع القصر عن طريق رئيس الديوان أحمد حسنين الذى عرض على صديق مكرم جلال الحمامصى والذى خرج مع مكرم عبيد مفصولا من الوفد ٠٠ عرض عليه تسجيل فضائح الوفد وفضائح حكم النحاس باشا وأنسبائه ووزراء الوفد ونوابه وتجاوزات فى المحسوبية والرشوة والاتجار فى السوق السوداء وأذونات التصدير والاستيراد على شكل وثيقة أو عريضة يقدمها مكرم عبيد الى الملك وتطورت الفكرة عندما عرضت على مكرم عبيد وتوالت المعلومات الغزيرة عن هذه المخالفات والتصرفات الى عمل كتاب أطلق عليه الكتاب الأسود وقد تم طبع

---

(٣٧٨) تطور الحركة الوطنية فى مصر للأستاذ عبد العظيم رمضان ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ٠

هذا الكتاب بأسلوب سرى وتم توزيعه قبل أن يقع فى يد حكومة الوفد أما مكرم عبيد والمعارضة فكانا يأملان أن تبادر الوزارة بتبليغ النيابة للتحقيق فيما احتواه الكتاب الأسود من اتهامات لرفع دعوى القذف على مكرم عبيد ولكن النحاس باشا رئيس الوزراء ورئيس الوفد رفض اتباع هذا التصرف وتمسك بضرورة تخويل مجلس النواب بالتحقيق فى وقائع الكتاب الأسود (٣٧٩) • مستندا دستوريا على المادة ٦٦ من الدستور المصرى والتى تنص على :

« أن لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع من جرائم فى تأدية وظائفهم » وبذلك فوت الفرصة على المعارضة وعلى مكرم عبيد وعلى السراى لامكان نشر فضائح محتويات الكتاب عن طريق النيابة و كذلك حتى لايجد نفسه ووزارته فجأة مضطرين للاستقالة من قبل أن يتم تحقيق النيابة العامة ولكل ذلك أعلنت الحكومة ترحيبها بكل سؤال أو استجواب عن وقائع هذا الكتاب يقدم فى البرلمان لهذا الغرض سواء من المعارضين أو المؤيدين ولم يتقدم مكرم عبيد بصفته عضو البرلمان بالاستجواب (٣٨٠) •

فأوحت الحكومة لأنصارها بتقديم الاستجواب عن هذه الوقائع وأخذ الوزراء يجيبون باسهاب عن الاستجوابات وبصورة جعلت الحقيقة تتوه بين كلماتهم نظرا لضخامة الوقائع التافهة بجانب قليل من الوقائع المؤكدة والتى أمكن لنواب الوفد التلاعب بالألفاظ والكلمات والحجج فى تفنيدها ودمغها وخرج الوفد سليما من هذه المعركة السياسية المدبرة •

وكان حظ مكرم عبيد الطرد من البرلمان جزاء دفاعه بالحق والباطل السابق أيام كان سكرتيرا للوفد عن ضرورة حصول الوفد على الأغلبية التى تتيح لرئيس حزب هذه الأغلبية الحق فى فصل أى عضو برلمان دستوريا يتجرأ على معارضة رئيس الحزب المتبوىء مركز رئيس الدولة ، كل هذه الأمور جعلت الشعب وعلى رأسه الشباب المتعلم والمثقف يكفر بالقيم والأحزاب ويفقد الثقة فى الوزراء وفى القصر وفى البرلمان نفسه •

---

(٣٧٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ •

(٣٨٠) نفس المصدر السابق ص ٢٨٠ ، ٢٨١ •

انشاء المجلس الاستشارى

لشمال السودان (سبتمبر سنة ١٩٤٣)

بمقتضى اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ عن السودان صار الحاكم العام (البريطانى) هو الحاكم المطلق يجمع فى يده جميع السلطات وفى سنة ١٩١٠ أنشىء مجلس الحاكم العام من كبار موظفى حكومة السودان وكلهم من الانجليز ليعاون الحاكم العام فى مباشرة سلطاته وهذا استكمالا للمخطط البريطانى لجعل السودان مستعمرة انجليزية ٠

ـ وفى سبتمبر سنة ١٩٤٣ فى عهد وزارة النحاس أنشأ الحاكم العام (**المجلس الاستشارى لشمال السودان**) بحجة تمكين الحاكم العام من ادارة شمال السودان باستشارة أشخاص لهم صفة تمثيلية والهدف الأساسى البعيد هو مواصلة سياسة الفصل بين مصر والسودان والفصل بين شمال السودان وجنوبه ٠

وأبلغ هذا القانون الى الحكومة المصرية وعقد أول اجتماع لهذا المجلس فى مايو سنة ١٩٤٤ دون أن تعترض الحكومة المصرية التى كان يرأسها النحاس باشا وهذا يعتبر خنوعا وخضوعا من النحاس للاعتداءات البريطانية على حقوق مصر فى السودان ٠

الملك يكلف أعضاء المعارضة

أصيب الملك فى حادث تصادم سيارته مع سيارة عسكرية بريطانية على طريق الاسماعيلية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ وبقى باحدى المستشفيات العسكرية البريطانية فى القصاصين للعلاج وأثناء علاجه حضر الى مصر رؤساء الدول العظمى المتحاربة ٠ روزفلت رئيس أمريكا ومستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وشان كاى شيك زعيم الصين الوطنية كمؤتمر دولى لتنسيق الأعمال العسكرية ضد اليابان للتعجيل بالنصر وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ ٠ **وفى ٢٩ نوفمبر** استدعى الملك فاروق رؤساء أحزاب المعارضة فى القصاصين وتشاور معهم فى عمل مذكرة بمطالب مصر الوطنية تقدم الى الكبار المجتمعين فى مصر وتخطى بذلك وزارته برئاسة النحاس باشا والتى تعتبر هى الحكومة المستضيفة لهذا المؤتمر وهى الأجدر على الاتصال بهؤلاء الرؤساء وهذا من الناحية الدستورية والشكلية ـ وهذا التصرف من الملك فيه تجاوز وتحد للوزارة التى فرض رئيسها ارادته على الملك فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

أعمال وزارة النحاس باشا

رغم كثير من التجاوزات لوزارة النحاس بحكم انفراده بالحكم وعدائه الفطرى للمعارضة فقد قامت وزارته بأعمال نحسب له يعد منها انشاؤه لديوان المحاسبة بغرض الاشراف على تحصيل الايرادات ومراقبة الانفاق . وقدم هذا الديوان أجل الخدمات ناحية الرقابة على ما تنفقه الدولة كما كشف كثيرا من التصرفات غير القويمة .

— وضعت الوزارة قانون نظام هيئات البوليس .

— وجعلت التعليم الابتدائى بالمجان .

— وأصدرت قانون استعمال اللغة العربية فى مكاتبات الشركات ودفاترها .

— وأصدرت قانون تحويل الدين العام وأقبل المواطنون على الاكتتاب فى سندات الدين .

— كما أصدرت قانون استقلال القضاء وكفل للقاضى عدم جواز العزل .

— كما أصدرت قانون تخفيض الضرائب عن صغار الملاك الزراعيين .

— وأصدرت قانون عقد العمل الفردى .

— وأصدرت قانون نقابات العمال .

— ووضعت قانون البلديات .

— ووضعت قانونا جديدا للتعاونيات .

— وأكملت انشاء جامعة فاروق بالاسكندرية .

— وأنشأت مدرسة ثانوية بالخرطوم .

— وأنشأت مشروع المجموعات الصحية وقانون تحسين الصحة القروية

أما المآخذ على وزارة النحاس فقد كان أبرزها أن وزارة النحاس باشا سايرت الانجليز وعاونتهم بشكل مبالغ فيه كما استغلت قانون الأحكام

العرفية لأقصى حد واستخدمته فى غير موضعه باعتقال خصـوم الوفد والاساءة اليهم كما تمادت فى المحسوبية والاستثناءات لأتباعها والتعنت مع خصـوم الوفد • كما تغاضت عن استغلال السلطات البريطانية بتحكمها فى اصدار النقد المصرى مما تسبب عنه التضخم واستفحال حالة الغلاء •

اقالة وزارة النحاس (٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤)

فى عام ١٩٤٤ كان الأمريكان والانجليز قد نزلوا فرنســا وبدءوا يضغطون على الألمان لاجلائهم منها وكان الروس (٣٨١) قد قاوموا الألمان فى ستالينجراد مقاومة اضطرتهم الى التراجع واستعد الروس للتقدم صوب الأراضى الألمانية • وظهرت بوادر نصر الحلفاء • ورأى الانجليز فى مصر ألا ضرورة لاستمرار قبضتهم الحديدية التى جعلت النحاس باشا وسيلتهم فى ذلك • وكان الملك فاروق يتحين الفرص للاطاحـة بالنحاس انتقاما منه لحادث ٤ فبراير كمـا كان ناقما على السفير البريطـانى لمساندته الغير محدودة للنحاس • وكان مما لجأت اليه الوزارة خلال السنتين والنصف التى مكثها فى الحكم ومتسلحة بالأغلبية ، من ممارسة أوسع أصناف المحاباة واباحة استغلال النفوذ قد جعل بقاء الوزارة فى أضعف مركز • كما كان الناس فى مصر يشعرون بوطأة الأحكام العرفية وشدتها لما ترتب عليها من اعتقالات ورقابة على الصحف واستيلاء على الأرزاق والأقوات بالاضافة الى تفاقم الغلاء نتيجة التضخم الناتج عن تهاون الحكومة فى مسألة الأرصدة الاسترلينية وطبع الكميات الهائلة من البنكنوت بمعـرفة البنـك الأهلى المسيطرة عليه بريطانيا — وسافر السفير البريطانى لورد كيلرن ليمضى اجازته وبعد قليل من سفره بدأ الناس يتهامسون بتبرمهم من الحكومة وتنتشر الأخبار بأن الملك على وشك التخلص من الوزارة •

وفى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ أرسل الملك خطاب اقالة الى النحاس باشا وكانت هذه هى ثالث اقالة لوزارة النحاس باشا ، الأولى سنة ١٩٢٨ فى عهد الملك فؤاد والثانية سنة ١٩٣٧ والثالثـة فى سنة ١٩٤٤ فى عهد الملك فاروق •

---

(٣٨١) مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ •

تأليف وزارة أحمد ماهر

(أكتوبر سنة ١٩٤٤ ـ فبراير سنة ١٩٤٥)

تسلم النحاس باشا خطاب اقالة وهو فى الاسكندرية يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وفى نفس اليوم واللحظة تسلم أحمد ماهر كتاب تكليفه بتأليف الوزارة وعلى أثر ذلك اجتمع مع المرشحين للوزارة وكلهم من أحزاب المعارضة ورؤسائها وكان من ضمنهم مكرم عبيد حيث كان لايزال بالمعتقل وأفرج عنه منذ ساعات من حضوره ٠

ناقش الدكتور أحمد ماهر تشكيل الوزارة معهم واختلف على التشكيل مكرم عبيد مطالبا لحزبه حزب الكتلة بنسبة مساوية لباقى الأحزاب متمسكا بالأنانية الحزبية التى تعود عليها ومارسها أثناء سكرتاريته لحزب الوفد وتم التشكيل الوزارى وظهر جليا تدخل الملك فى موضوع حرية رئيس الوزراء فى اجراء الاختيار والتشكيل ولكن سرعان ما اتفقت جميع الأطراف وتشكلت الوزارة من الأحزاب غير الوفدية وهى الهيئة السعدية والأحرار الدستوريين والكتلة الوفدية والحزب الوطنى وليس بها مستقلون (أحمد ماهر للرئاسة والداخلية ، مكرم عبيد للمالية ـ محمود فهمى النقراشى للخارجية ٠ محمود غالب للأشغال ٠ حافظ رمضان للعدل ٠ محمد حسين هيكل للمعارف والشئون الاجتماعية ٠ مصطفى عبد الرازق للأوقاف ٠ ابراهيم عبد الهادى للصحة ٠ أحمد عبد الغفار للزراعة ٠ ابراهيم دسوقى أباظة للمواصلات ٠ طه السباعى للتموين ٠ راغب حنا للتجارة والصناعة ٠ السيد سليم للدفاع) ٠

أعمال الوزارة

كان أول عمل لهذه الوزارة هو الافراج عن المعتقلين(٣٨٢) السياسيين الذين اعتقلتهم وزارة النحاس فى ظل الأحكام العرفية وكان بعضهم قد قضى عامين فى الاعتقال ومنهم كان على ماهر ومكرم عبيد والقائمقام فؤاد صادق ونجيب ميخائيل بشارة وبعض الشبان المعارضين للوفد ٠

والعمال الذين طبعوا الكتاب الأسود لمكرم عبيد ٠

وصرح أحمد ماهر بأن سياسة وزارته هى سياسة التفاهم مع الانجليز وتنفيذ معاهدة سنة ١٩٣٦ وأن يوفى بكل التزامات الدولة ٠

---

(٣٨٢) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ص ١٤٧ ٠

ـ استصدر فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٤ مرسوما بحل مجلس النواب ودعوة المجلس الجديد للاجتماع فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٥ ٠

ـ ألغت جميع الاستثناءات التى حدثت فى وزارة الوفد السابقه ٠

ـ ألغت الوزارة مرسوم النحاس باشـــا بخصوص تعيين الشيوخ وأعادت المرســوم الذى صـــدر فى عهد وزارة حسين سرى وذلك ضمانا لاستقرار الأمور واستبعد جميع الشيوخ الذين جاء بهم مرسوم النحاس وعاد الباقوم على قيد الحياة من شيوخ مرسوم حسين سرى ٠

دعا الملك فاروق رؤساء الأحزاب الذين تتألف منهم الوزارة ٠ دكتور ماهر (الهيئة السعدية) وحافظ رمضان (الحزب الوطنى) مكرم عبيد (حزب الكتلة الوفدية) د٠ محمد حسين هيكل (حزب دستورى) (٣٨٢م)٠

واقترح الملك على المجتمعين أن يتساوى عدد المرشحين لمجلس النواب من كل حزب من الأحزاب الأربعـــة وأحـرج الملك رؤساء الأحزاب لأنه دستورى لم يكن من المفروض أن يناقش معهم مثل هـذه الأمور لأنها من صميم شئون الأحزاب وبعد الاجتماع كان رئيس الوزراء أحمـــد ماهر مصمما على الاستقالة لهذا التدخل الملكى والذى يؤدى الى مســاواة حزب الكتلة والحزب الوطنى بحزب السعديين والدستوريين لأن حزب الكتلة والوطنى لم يكن لديهما امكانات النجـاح فى الانتخـــابات الا بأعـداد متواضـــعة ٠

ـ وبعد ذلك تألفت لجنة للانتخابات من الأحزاب الأربعة للتنسيق ٠

ـ وتمت الانتخابات وكانت الأغلبية للحزب السعدى ثم الأحـرار الدستوريين ولم يحصل الوفد على نجاح يذكر ٠

تشكيل وزارة دكتور أحمد ماهر (١٨ يناير سنة ١٩٤٥) (٣٨٣)

واستقالت الوزارة وأعاد دكتور أحمد ماهر تشكيل الوزارة الجديدة وجاء بها حفنى محمــود وزيرا للتجارة والصـــناعة والسنهورى للمعارف وعبد المجيد بدر للشئون الاجتماعية أما الدكتـــور محمـــد حسين هيكل فقد أسندت اليه رئاسة مجلس الشيوخ ٠

(٣٨٢ م) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠
(٣٨٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ٠

اجتماع روزفلت بالملك (فبراير ١٩٤٥) :

عقب مؤتمر القرم الذى انعقد فى يالتا بين أقطاب الحلفاء فى أول فبراير سنة ١٩٤٥ حضر روزفلت وتشرشل الى مصر واجتمعا مع الملك فاروق على ظهر طراد أمريكى فى البحيرات المرة وأبلغا الملك فاروق قرار مؤتمر القرم الذى يقضى بالا يشترك فى مؤتمر سان فرنسيسكو الذى تحدد لانعقاده يوم ٢٥ ابريل ١٩٤٥ سوى الدول التى تكون قد أعلنت الحرب على المحور قبل أول مارس ١٩٤٥ واقتنع الملك بمصلحة مصر فى اعلان الحرب وبخاصة ان المعارك القتالية كانت فى حكم المنتهية بالنصر للحلفاء والاشتراك فى مؤتمر سان فرنسيسكو يعطى لمصر الحق فى أن تكون عضوا فى هيئة الأمم ٠

انشاء منظمة دولية جديدة :

قبل مارس ١٩٤٥ وصل الى مصر مكاتبة تسلمتها حكومتها تعبر عن قرار الخمسة الكبار بانهم سيعقدون مؤتمرا بسان فرنسيسكو فى ٢٥ ابريل ١٩٤٥ لانشاء منظمة دولية جديدة محل عصبة الأمم بعد وضع مشروعها فى بلده (دومبارتون اوكس) وان الدول التى تشترك فى هذه المنظمة يجب أن تعلن الحرب على خصوم الحلفاء قبل يوم أول مارس سنة ١٩٤٥ ٠

وعرض رئيس الوزراء هذا الأمر على لجنة سياسية من أهل الرأى على اختلاف ميولهم ورفض الوفد الاشتراك فيها وأجمعت اللجنة على الموافقة على مبدأ اعلان الحرب وبخاصة ان الحرب فى أوروبا كانت قد انتهت وان مصر فعلا كانت قد تجنبت ويلات الحرب فاذا هى أعلنت الحرب على اليابان لم يكن فى ذلك أى خطر عليها أو تهديد لها ٠ ونقل الدكتور أحمد ماهر آراء اللجنة السياسية الى مجلس الوزراء فوافق عليها وتقرر بعد ذلك عرض الأمر على البرلمان فى جلسة سرية يقعدها مجلس النواب ثم يعقدها مجلس الشيوخ يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ويتكلم فيها رئيس الوزراء ليدلى بالحجج التى تسوغ اعلان هذه الحرب ٠

مقتل أحمد ماهر ٢٤ فبراير ١٩٤٥ :

بعد أن ألقى الدكتور أحمد ماهر بيان الحكومة حول اعلان الحرب على خصوم الحلفاء فى مجلس النواب وأثناء انتقاله الى مجلس الشيوخ عبر البهو الفرعونى لكى يدلى ببيانه أطلق عليه شاب يدعى محمود العيسوى الرصاص فأصابه فى مقتل وعلل سبب فعلته بأن أحمد ماهر تسبب فى اعلان مصر الحرب على ألمانيا واليابان ٠

تأليف وزارة النقراشى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ :

على أثر مقتل أحمد ماهر كانت نية الملك بأن يأمر بتعيين النقراشى باشا وزيرا للداخلية بالنيابة وبذلك تبقى الوزارة بدون رئيس ثم يعين رئيسا للوزارة وراجعه محمد حسين هيكل باشا بصفته رئيسا لمجلس الشيوخ بأنه من الأصوب أن يعهد الملك الى النقراشى بصفته نائب رئيس الهيئة السعدية بمهمة تأليف الوزارة على أن تبقى كما هى وعدل الملك قراره مصمما على التدخل باسلوب التعيين وقال انه سيأمر ببقاء الوزارة كما هى ثم يعين النقراشى رئيسا لها متذرعا باستشارة القانونيين بالقصر. وتداول النقراشى الموضوع مع باقى الوزراء وتمسكوا بضرورة اتباع الأصول الدستورية واعتبار وزارة المرحوم أحمد ماهر قد سقطت بوفاته وعلى الملك دستوريا أن يصدر مرسوما الى النقراشى بتأليف وزارته وبذلك قضى الوزراء على بدعة جديدة كان ينوى الملك أن يتبعها . وفى ساعة متأخرة من ليلة ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ تم تأليف وزارة النقراشى دون أى تبديل سوى ان النقراشى أصبح رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية حسب الدستور .

اعلان الحرب على ألمانيا واليابان ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ :

أقر المجلسان بجلسة ٢٦ فبراير ١٩٤٥ سياسة الحكومة فى اعلان الحرب الدفاعية على ألمانيا واليابان . وفى نفس الوقت صدر مرسوم باعتبار المملكة المصرية فى حالة حرب مع الريخ الألمانى وامبراطورية اليابان . وفى ٧ مارس عين الدكتور عبد الحميد بدوى وزيرا للخارجية وتولى بهذه الصفة رئاسة وفد مصر فى مؤتمر سان فرنسيسكو الذى أبرم فيه ميثاق الأمم المتحدة .

انتهاء الحرب العالمية الثانية :

فى ٧ مايو ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا بلا قيد ولا شرط للحلفاء وبذلك انتهت الحرب فى أوروبا .

وفى أغسطس ١٩٤٥ استسلمت اليابان بلا قيد ولا شرط للحلفاء ووقعت وثيقة الاستسلام فى أول سبتمبر ١٩٤٥ وبذلك تكون الحرب العالمية الثانية قد انتهت .

اجراءات قرار رفع الأحكام العرفية :

قــرر مجلس الوزراء فى ٩ يونيو ١٩٤٥ انهاء الرقابة على الصحف والنشرات الدورية والمطبوعــات واباحة الاجتماعات العادية العــامة ومنع اعتقال أى فرد بواسطة السلطة القائمة على الأحكام العرفية ٠

وفى ٧ أكتوبر ١٩٤٥ تم رفع الأحكام العرفية وذلك بعد انتهاء الحرب مع اليابان والغى المرسوم بتعيين حاكم عسكرى عام وبذلك تكون البلاد قد تخلصت من كابوس تقييد الحريات وآن لها أن تتنفس للمطالبة بحقها فى الحرية والاستقلال الكامل ٠

توقيع ميثاق جامعة الدول العربية ٢٢ مارس ١٩٤٥ :

تم توقيــع مصــر على ميثــاق جامعة الدول العربية مع باقى الدول المجتمعة فى قصر الزعفران يوم ٢٢ مارس ٠

توقيــع ميثــاق الأمم المتحــدة ٢٦ يونيو ١٩٤٥ :

عقــد الاجتماع ولمصر وفــد ضمن وفود الدول المدعوة فى ســان فرنسيسكو فى ٢٦ يونيو ١٩٤٥ وأصبحت مصر عضوا فى هيئة الأمـم المتحدة ومن الأعضــاء المؤسسين ٠ واذا كانت جامعة الدول العربية قد تأسست فى هذا الوقت فقد اتصلت وفود الدول العربية المشتركة فى مؤتمر ســـان فرنسيســكو ببعضها واتصــل هذا التكتل مع دول أمريكا اللاتينية وجعلت من الدول الصغرى قوة تصويت لا بأس بها ولكن الدول الكبرى بحكم قوتها وانتصارها فى الحرب كانت لها الكلمة العليا ٠ وعموما فبنود الميثاق الجديد كان فيها كثير من الأبواب المفتوحة لتسمع مصر صوتها من خلال هيئة الأمم المتحدة للنضال من أجل حريتها واستقلالها الكاملين ، خصوصا فى باكورة اجتماعها ٠

الحكومة المصرية تطالب بريطانيا بالتفاوض ــ ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ :

وحيث كانت الظروف الدولية ملائمة للدخــول فى المفاوضات مع بريطانيا لاستكمال استقلال البلاد ولوضع حد للنظام القائم فى السودان مع بريطانيــا ٠ ففى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ سلم سفير مصر فى لنــدن باسم الحكومة المصرية مذكرة للحكومة البريطانية طلبت فيها مصر الدخول فى مفاوضــات بين الدولتين لاعادة النظر فى معــاهدة ١٩٣٦ وبخاصة بعد المعاونات المتعددة التى قدمتها مصر لبريطانيا والحلفاء أثناء الحرب ٠

أعبـاء مصر المالية :

تسببت حالة الحرب فى أحداث حالة شبه حصار بحرى فرض على مصر بأن تقتصر فى تجارتها على التعامل مع بريطانيا فقط فى تصريف انتاجها وتحكم الانجليز فى أسعار القطن والمحاصيل الزراعية الأخرى ففى سنة ١٩٤٠ اشترت انجلترا القطن المصرى بسعر عشرين ريالا للقنطار بينما كان يباع فى الأسواق الأجنبية بخمسة وثلاثين ريالا وكان معظم تموين جيوش الحلفاء التى تدفقت على مصر بأعداد كبيرة يعتمد على منتجات مصر وأدى هذا الى غلاء الأسعار وعانى الشعب المصرى من هذا الغلاء ونقص المواد ٠ ولم تدفع بريطانيا عن تموين جيشها نقدا بل كانت تحكم سيطرتها على مالية البلاد بامتلاك البنك الأهلى فكان هذا البنك يصدر أوراق بنكنوت العملة الورقية) بالكميات التى تطلبها بريطانيا دون حدود ودون أن تدفع بريطانيا مقابلا بالذهب الذى تقضى به اتفاقية ٣٠ أكتوبر ١٩١٦ منذ الحرب العالمية الأول وكان ذلك يعنى بأن بريطانيا تمكنت من ابقاء كمية من الذهب فى خزانة البنك الأهلى تعادل على الأقل نصف قيمة أوراق النقد التى يصدرها وتمادت بريطانيا فى جعل البنك الأهلى يصدر كميات هائلة من أوراق البنكنوت والذى ليس له أى رصيد من الذهب محفوظا فى البنك واستخدمت هـذه الأوراق فى شراء جميع مستلزماتها وتموين قواتها من مصر وبذلك كانت الخزانة المصرية هى التى تدفع وتصرف على المجهود الحربى للحلفاء فى مصر حتى تناقصت الأرصدة الاسترلينية وحدث التضخم النقدى ٠ واشتد هذا التضخم فى عهد وزارة الوفد ولم نفكر فى أن تضع حدا لاصدار البنك الأهلى لأوراق النقد بهذه الكثرة التى فرضتها الحكومة البريطانية فأصبح على بريطانيا دينا لمصر وهو دين افتراضى لانه دين لدولة فقيرة على دولة غنية وبلغ هذا الدين ٤٥٠ مليون دولار وكان فى ذلك الوقت يمثل مبلغا رهيبا كان يمكن مصر من اسعاد شعبها وتنمية البلاد تنمية لائقة بين الأمم المتقدمة والعكس حدث حيث رفضت بريطانيا حل هذه المشكلة وتسبب ذلك فى التضخم ومن ثم فى الغلاء الفاحش للمواد وافقار الشعب المصرى ومعاناته ٠

ما تحملته مصر من اعباء فى الحرب (٣٨٤) :

شاركت مصر فى الحرب العالمية الثـانية بنصيب كبير منذ أواخر عام ١٩٣٩ وقبل أن تعلن الحرب فى عام ١٩٤٥ ٠ فقد ساعدت القوات المصرية فى الدفـاع ضد الغـارات الجوية فى الاسـكندرية وبورسعيد والسويس والقاهرة ٠ وأنشأت فى منطقة القناة خط دفاع جوى ونقطا

(٣٨٤) فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ـ جزء ٣ للاستاذ الرافعى ، ص ١٣٠ الى ص ١٣٤ ٠

لمراقبة الطائرات المعادية التى تلقى الألغام فى القناة وقامت بحراسة الأهداف المدنية والعسكرية • وقامت بدوريات حراسة واستكشاف ومراقبة جوية على طول الحدود الغربية لمصر •

قامت بعض أسراب الطائرات المصرية بالتعاون مع سلاح الطيران البريطانى فى الدفاع الجوى عن مصر كقاعدة عسكرية • تسلمت القوات المصرية سلاح البالونات للدفاع عن منطقة القناة والاسكندرية وفى عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٤ قام سرب مقاتلات مصرية بمهمة حراسة القوافل • قام عدد من الطيارين المصريين بقيادة طائرات حربية جديدة بريطانية لتسليمها الى جبهة القتال فى أى مكان فى العالم • تكبدت القوات المصرية البرية والجوية خسائر كبيرة ويقدر عدد القوات المصرية التى ساهمت فى المجهود الحربى البريطانى بنحو من فرقتين الى ثلاث فرق (الفرقة حوالى ٣٥ ألف جندى) وبجانب هذه المساهمات ذات الصبغة الحربية فقد قامت مصر بتموين جيوش الحلفاء بكل ما تطلبه من المواد الغذائية والصناعية وبذلت فى سبيل ذلك تضحيات كبيرة وكانت جميع هذه الأحداث دون مقابل من ذهب أو من سلع بل كانت بطريق السلف على شكل أوراق بنكنوت مصرية دون مقابل من الرصيد الاسترلينى مما أنشأ مشكلة النقص الحاد للارصدة الاسترلينية – حراسة المرافق والمنشئات العامة لحساب حالة الحرب وحراسة الموانىء المصرية والتى كانت كلها متفرغة للمجهود الحربى البريطانى • وجعلت مصر سككها الحديدية وسائر وسائل النقل فى خدمة قوات الحلفاء كما قامت باعداد الأماكن والمساكن والمخازن وتقديم الأراضى الفضاء لايواء جيوش الحلفاء بمبالغ لم تسددها بريطانيا •

رد الحكومة البريطانية بخصوص التفاوض :

وردت الحكومة البريطانية باستعدادها لاعادة النظر مع الحكومة المصرية فى أحكام معاهدة ١٩٣٦ وانها سترسل لسفيرها فى مصر التعليمات لاجراء المحادثات التمهيدية لذلك •

سوء تفاهم بين مكرم عبيد والنقراشى :

بعد تأليف النقراشى الوزارة على أثر اغتيال أحمد ماهر تمكنت الغيرة من وزير المالية مكرم عبيد لأنه كان يعتبر نفسه أقدم من النقراشى منذ عضويتهم لحزب الوفد وأنه أولى برئاسة الوزارة من النقراشى وتفاقم هذا الخلاف وكثيرا ما هدد بالاستقالة رغم دقة الموقف حيث كانت الوزارة فى سبيل التحضير لمفاوضة انجلترا فى تعديل المعاهدة • وقد تدخل

الملك فى اصلاح ما بينهما وذاع خبر هذا الخلاف وان التعاون بين النقراشى ومكرم عبيد أصبح مستحيلا وتناثرت أنباء هذه الخلاف الى المعارضة وشجع ذلك المعارضة على استخدام اسلوب الاثارة الحربية التقليدية فى وسط الطلبة فقامت المعارضة بتشكيل المظاهرات واشعال الأحزاب فى الجامعة والمدارس وقام الطلبة بالاحتكاك بالبوليس ووقعت مناوشات بين الفريقين ٠

تصاعد المظاهرات :

وبدأ طلبة جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) يضربون ويتظاهرون وفجأة فى يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ وهم بالآلاف وبعد أن تجمعوا فى فناء الجامعة خرجوا قاصدين قصر عابدين يهتفون بالجلاء متذرعين بأن رد الحكومة البريطانية على الموافقة على مبدأ التفاوض كان سلبيا على أساس اتخاذ معاهدة ١٩٣٦ قاعدة للتفاوض ٠ وما أن وصلت المظاهرات الى كوبرى عباس وكان مفتوحا لمرور المراكب ونزل بعض الطلبة فى قوارب أسفل الكوبرى وأغلقوا الكوبرى ليكون صالحا للمرور من فوقه واصطدموا بعد عبورهم الى البر الشرقى بقوات البوليس واعتدى البوليس عليهم بالضرب وبالعصى بقسوة متناهية وأصيب كثير من الطلبة اصابات بالغة ونقلوا الى المستشفى (القصر العينى) فى حالة مؤثرة وبالغ الوفد وصحافته واشاعاته فى نتيجة هذا التصادم على أساس أن بعض الطلبة قتل وغرق الكثير منهم فى النيل ٠ وتجددت هذه المظاهرات على أثر هذه الاثارة فى الاسكندرية والزقازيق والمنصورة وأسيوط ونصدت لها قوات البوليس وقتل ثلاثة فى الاسكندرية وثلاثة فى الزقازيق وواحد فى المنصورة واشتد سخط الرأى العام على مسلك الوزارة تجاه المظاهرات عامة وخاصة أن جميع المظاهرات كانت تطالب بنفس النداء الوطنى الذى تعمل الوزارة جادة لأجله وهو المطالبة بالجلاء وألقى على الحكومة عبئا جسيما من المسئولية وتزلزل مركز الوزارة ٠

وفى ١١ فبراير ١٩٤٦ بمناسبة عيد ميلاد الملك تحدد حفل ليضع حجر الأساس للمدينة الجامعية لاسكان الطلبة فى جامعة فؤاد الأول وبايعاز من المعارضة الوفدية قرر الطلبة مقاطعة هذا الحفل وعلم أن الطلبة سوف يهتفون ضد الملك وبالغت الحكومة فى اجراءات الأمن وحضر الملك وحضر عدد قليل من الطلبة وتمت اجراءات الحفل تحت اجراءات أمن مبالغ فيها أوحت الى الرأى العام والمدعوين بتوتر الموقف العام ٠

استقالة وزارة النقراشي (١٥ فبراير ١٩٤٦) :

على أثر هذه الحوادث رفع النقراشي استقالته فى ١٥ فبراير ١٩٤٦ ومكث فى الحكم اثنى عشر شهرا فقط ولم يسعفه الوقت للتمهيد لاجراء المباحثات ٠

تأليف وزارة اسماعيل باشا صدقي (الثانية) (١٧ فبراير ١٩٤٦) :

صدر المرسوم الى صدقى باشا لتأليف الوزارة وألفها يوم ١٧ فبراير ١٩٤٦ ولم يشترك فيها أى وزير من السعديين ولكن أيد السعديون وزارة صدقى باشا فى البرلمان واشترك أربعة من الأحرار الدستوريين فى الوزارة وحازت الوزارة على تأييد البرلمان لتستمر فى الحكم دون أن تلجأ الى حل البرلمان ٠ وبدأت وزارة صدقى بمعاملة المتظاهرين باللين فسمحت بالتظاهر مع الانضباط لحفظ النظام وصيانة الأرواح وبخاصة الأجانب ولكن الروح الوطنية كانت فى حالة غليان بعد طول احتمال لمظاهر الاحتلال البريطانى رغم معاهدة ١٩٣٦ التى نصت على الاستقلال (المزيف) — ونظرا لمعاناة الشعب من الغلاء بسبب الحرب التى انتصرت فيها بريطانيا بفضل معونات ومساهمات مصر ولذلك سرعان ما نشطت الحركة الوطنية المصرية رافعة شعار الجلاء ووحدة وادى النيل ٠

رئيس الوزراء والقصر :

كدأب اسماعيل صدقى فقد تمادى فى مجاراة القصر (٣٨٥) فى رغباته ومتغاضيا عن تجاوزاته وتدخلاته فى أعمال السلطات الأخرى وكان فى هذه الفترة يعتبر القصر هو سنده فى الوصول الى رئاسة الوزارة ٠ وابتدع القصر منصبا جديدا هو منصب المستشار الصحفى لديوان الملك عين فيه متخطيا الوزارة الأستاذ كريم ثابت رغم تبليغ القصر وعلمه بأن كريم ثابت كان يصرف من المصاريف السرية وصرف له الملك مبلغا مضاعفا من المصاريف السرية كل ذلك دون اعتراض من الوزارة ٠ كما تعمد الملك تخطى الوزارة التى له الفضل فى تشكيلها فدعا ملوك ورؤساء الدول العربية واستقبلهم فى مزرعته الخاصة بانشاص وتحدث واياهم فى سياسة مصر ضمن الدول العربية المستقبلة بعد نهاية الحرب ، وصدرت عن هذا الاجتماع قرارات أذيعت عالميا ٠ ولم يحضر هذا الاجتماع وزير خارجية مصر لطفى السيد وحضر فقط الأمين العام لجامعة الدول العربية ٠ ويعتبر كل ذلك تجاوزا من الملك وتخطيا للسلطة التنفيذية ٠

---

(٣٨٥) مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٧ ٠

تجاوب السودانيين مع مصر :

نداءات المظاهرات المصرية بالجلاء ووحدة مصر والسودان سريعا ما تجاوبت معها العناصر الوطنية الوحدوية السودانية • وبعد أن علموا أن مصر على أبواب التفاوض مع الانجليز ومن أبرز المواضيع التى ستثار هو وضع السودان بالنسبة لمصر فقد سارع وفد من مؤتمر الخريجين باسم أغلبية الشعب السودانى الذى ينادى بالوحدة مع مصر بالحضور الى مصر منذ مارس ١٩٤٦ الى ابريل ١٩٤٦ وقوبل الوفد فى مصر بكل مظاهر الحماسة والترحيب •

تطلع شعوب المستعمرات للتحرر (*) :

فى الفترة ما بين انهاء الحرب العالمية الثانية وبين أوائل عام١٩٤٦ أخذت شعوب المستعمرات والتى ساهمت فى المجهود الحربى للحلفاء تطالب بحقها فى الحرية والاستقلال وقامت الثورة فى أذربيجان فى مواجهة الاحتلال السوفييتى والذى أبدى استعداده للجلاء عن ايران فى مقابل جلاء فرنسا عن لبنان وسوريا وجلاء بريطانيا عن مصر ، وفعلا تم جلاء الفرنسيين عن سوريا ولبنان وكان أمام مصر فرصة لا تعوض ولكنها تأخرت وخاصة ان العناصر الوطنية المصرية فى هذا الوقت فى أول عام ١٩٤٦ قامت بمطالبة الأحزاب والحكومة بالعمل على تحقيق هذا الجلاء وكان على الحكومة المصرية أن تقدم قضية مصر أمام مجلس الأمن فى أولى دوراته ، ولكن الظروف الداخلية فى مصر جعلت الحكومة تتأخر فى هذا الطلب عن الموعد المناسب وقامت المظاهرات الحماسية لذلك فى ٤ مارس سنة ١٩٤٦ • وتصاعدت هذه المظاهرات فى الجامعة والمدارس وحدث تصادم مع البوليس وانتشرت المظاهرات فى كل الأقاليم مما جعل جميع الأحزاب المعارضة تقف فى وجه وزارة النقراشى باشا ، مما أعطى للملك فرصة للتخلص من وزارة النقراشى ، فاضطر النقراشى لتقديم استقالة وزارته • وكل هذه الأحداث جعلت مصر تتأخر فى عرض قضية التحرر والجلاء لمجلس الأمن فى الوقت المناسب •

تحول المظاهرات الى العنف :

وعندما وصلت بعض هذه المظاهرات الى ميدان الاسماعيلية (التحرير الآن) تصدت لها سيارات عسكرية بريطانية واقتحمت جموع المتظاهرين وأزهقت أرواحا كثيرة وأصابت الكثير بجراح بالغة وبلغ عدد القتلى من الأهالى ٢٣ قتيلا والجرحى ١٢١ جريحا •

(*) طارق البشرى (الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ •

وعم البلاد الحزن وقامت فى نفس الوقت المظاهرات فى الاسكندرية وفى معظم عواصم المديريات وقتل طالب فى مظاهرات المنصورة ·

وفى جلستى النواب والشيوخ يوم ٢٥ فبراير ١٩٤٦ وقف الجميع حدادا على هؤلاء الضحايا الشهداء ·

يوم الشهداء (٤ مارس ١٩٤٦) :

ووافقت جميع طوائف الشعب مع لجنة الطلبة والعمال على جعل يوم ٤ مارس ١٩٤٦ يوم حداد على شهداء ٢١ فبراير وأعلنت الأمة الحداد فى هذا اليوم وأقفلت المدارس والمتاجر والمحلات العامة حتى الصحافة ومر اليوم بسلام فى العاصمة وسائر المدن أما فى الاسكندرية فأراد المتظاهرون تمزيق العلم البريطانى الذى كان مرفوعا على فندق اطلانتيك ويشغله رجال البحرية البريطانية ومنعهم البوليس ولكنهم أنزلوا العلم ومزقوه وأطلق البوليس الأعيرة النارية وتفرق المتظاهرون ثم هاجموا أحد المنازل على أثر اطلاق الرصاص عليهم منه وكان به بعض الجنود الانجليز ثم هاجم المتظاهرون كشك بوليس حربى بريطانى وأطلق جنود الانجليز النار عليهم وأصيب كثيرون وكان عدد القتلى ٢٨ والجرحى ٣٤٢ واثنين من الجنود الانجليز وسمى هذا اليوم بيوم الشهداء وكذلك سمى الشارع بهذا الاسم (شارع الشهداء) وكان اسمه قبل ذلك (شارع افيروف) وسعى الشباب بعد هذه الأحداث الدامية للتقريب بين الأحزاب لجمع الصفوف وتوحيد وتقوية روح الجهاد ورفض الوفد التآلف مع الأحزاب الأخرى رغم انه كان هو الحزب الوحيد الذى يمكنه جمع الشمل نظرا لسابق حصوله على الأغلبية وكذلك لحسن تنظيمه حتى هذا الوقت ·

نواة الحركة فى الجيش (كأحد أجنحة المؤسسة الوطنية) :

فى الوقت الذى تحرك فيه الشباب المصرى (٣٨٦) من الطلبة والعمال للتوسط بين الأحزاب لتحقيق وحدة الصف بعد مظاهرات ٩ و١٠ فبراير ١٩٤٦ وبعد حادث كوبرى عباس والأحداث الدامية فى المدن الأخرى وخاصة بالاسكندرية وذلك كان فى أواخر أيام النقراشى وأول أيام وزارة صدقى لما فشل الشباب الوطنى المصرى فى وساطته بين الأحزاب بدأ يفقد الثقة فى كل الأحزاب بما فيها حزب الوفد · فى نفس هذا الوقت بالذات تزامن مع موجة عمليات العنف والاغتيالات وتكون فى هذا الجو القلق أول تنظيم وطنى من شباب ضباط الجيش أسوة بما كان يقوم به شباب الأمة وبدأت اجتماعاتهم فى سرية فى منزل احدهم (٣٨٧)

---

(٣٨٦) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ للأستاذ الرافعى ج ٣ ص ١٨٠ و ١٨١ ، ١٨٧ ·

(٣٨٧) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، ص ٣٨ ·

وكانوا يتناولون فى هذه الاجتماعات ما يدور على ألسنة الشعب من مآخذ على تصرفات الملك وانحداره الأخلاقى وحاشيته الفاسدة وكفرهم بالأحزاب جميعا والتى فشلت محاولات توحيد صفوفها لتقف فى مواجهة الاحتلال البريطانى ووعوده الكاذبة وتناول وتسجيل تجاوزات السلطات المختلفة وبخاصة دور البرلمان السلبى فى مواجهة تجاوزات باقى السلطات. كان ذلك فى أوائل عام ١٩٤٦ وكان لحادث ٤ فبراير أثر كبير فى تفكير شباب الضباط فى تكوين تنظيمات سرية متفرقة من مختلف أسلحة القوات المسلحة (٣٨٨) وانتشرت هذه التنظيمات بدءا من عام ١٩٤٥ فكانت هناك مجموعة فى سلاح الطيران وأخرى فى سلاح الفرسان وفى سلاح المدفعية وسلاح الحدود وسلاح الاشارة وسلاح خدمة الجيش وسلاح المهمات وغير ذلك ولم يكن لهذه المجموعة رئاسة مركزية سابقة على هذه التكوينات لتنشىء لنفسها فروعا فى هذه الأسلحة . ولكن نشأ كل منها منفصلا عن الآخر وكان معظم ضباط هذه التنظيمات من الضباط الشباب الذين تفتح ادراكهم السياسى على حركتى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة كما انضم بعضهم للحركة الشيوعية المصرية . وقد عبر هذا التشكيل المتفرق وباتصاله بالتكوينات السياسية الجديدة الخارجة عن الأحزاب التقليدية أول معالم لتكوين المؤسسة الوطنية التى تخطت التكوينات السياسية التقليدية المعبرة عن آليات دستور ١٩٢٣ من أحزاب وبرلمان ووزارات وقصر وحاشية ملكية مدنية وعسكرية ووجود بريطانى مؤثر يتستر خلف معاهدة استقلال غير كامل ودستور يضمن استمرار الوجود البريطانى .

نقل لورد كيلرن السفير البريطانى وتعيين رونالد كامبل بدلا منه ـ فبراير ١٩٤٦ :

كان هذا التغيير يتبع أسلوب الحكومة البريطانية التقليدى مع مصر بصفة خاصة عندما تتأزم الأحوال ضد الوجود البريطانى وكانت الأحداث الدامية خلال المدة السابقة من آخر أيام وزارة النقراشى سببا فى هذا التغيير لتوحى بريطانيا للشعب المصرى بامكان تغيير السياسة البريطانية المتشددة فى سبيل تحقيق آمال الشعب المصرى من الحرية وكان سير رونالدكامبل يعمل فى دار السفارة البريطانية أيام وزارة اسماعيل صدقى الأولى سنة ١٩٣١ .

تشكيل وفد المفاوضات (٧ مارس ١٩٤٦) :

فى ٧ مارس ١٩٤٦ صدر المرسوم الملكى بتكوين الوفد المصرى الرسمى للمفاوضات لأجل تعديل معاهدة ١٩٣٦ من اسماعيل صدقى

---

(٣٨٨) الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو للأستاذ طارق البشرى ، ص ٥٢ .

رئيس مجلس الوزراء رئيسا ومحمد شريف صبرى ومحمود فهمى النقراشى وعلى ماهر ومحمد حسين هيكل وعبد الفتاح يحيى وحسن سرى وأحمد لطفى السيد وعلى الشمسى ومكرم عبيد وحافظ عفيفى وابراهيم عبد الهادى. وكان التشكيل من جميع الأحزاب عدا الحزب الوطنى والوفد الذين رفضا الاشتراك الأول لمبدئه بعدم المفاوضة الا بعد الجلاء والوفد على سبيل المعاندة والمزايدة لانه اشترط أن تكون له الأغلبية فى وفد المفاوضات .

الانجليز يخططون لعزل السودان كاملا عن مصر :

مؤتمر السودان الادارى :

فى ابريل ١٩٤٦ وحتى تضع الحكومة البريطانية مصر والمفاوض المصرى فى أى وقت أمام الأمر الواقع فى موضوع السودان فقد دعا حاكم السودان سير هدلستون الى عقد مؤتمر السودان الادارى لدراسة النظام الجديد للسودان وكان يضم كبار الموظفين البريطانيين وبعض السودانيين المعروفين بالولاء لبريطانيا ودعوتهم للانفصال عن مصر واعلن المؤتمر مقترحات النظام الجديد لمستقبل الحكم فى السودان وينص على اقامة جمعية تشريعية ومجلس تنفيذى فكان اعلان ظاهره السودنة وحكم السودان بالسودانيين وحقيقته بسط الحكم الانجليزى بصفة مستديمة على السودان ومغلفا بظاهرة صورية من الحكم الذاتى وحدث هذا فى الفترة فيما قبل مفاوضات ومحادثات صدقى باشا رئيس وزراء مصر مع بريطانيا مباشرة .. (مستر بيفن) .

بريطانيا تعمل على تفويت الفرصة على مصر (*) :

فى هذه الفترة من أوائل عام ١٩٤٦ كان من الواجب على مصر المبادرة بتقديم قضيتها على مجلس الأمن الذى كان يعقد أولى دوراته وكان من المرجح أن ينصر المجلس مصر باقرار جلاء القوات البريطانية مراعاة لموقف الدولى وقتها وذلك أسوة بما حققته كل من سوريا ولبنان بجلاء القوات الفرنسية عنهما وأذربيجان بانسحاب القوى السوفييتية منهما ووجهت بريطانيا كل جهدها باستدراج مصر بعيدا عن مجلس الأمن واغرائها باللجوء لأسلوب التفاوض وأرسلت مذكرتها بذلك الى حكومة اسماعيل صدقى لتضييع الفرصة على مصر وفى نفس الوقت عملت بريطانيا

(★) طارق البشرى « الحركة السياسية فى مصر » ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

دى مجلس الأمن على تدعيم هذا الموقف ضد حركات التحرر فى الشرق وفى البلاد العربية وللأسف ساهم (*) مندوب مصر فى الأمم المتحدة ممدوح رياض فى هـذا التدعيم حيث نقـل عنه هنـاك قوله « ان وجود القوات البريطانية فى أندونسيا لا ينطوى على أى تهديد للأمن الدولى » ٠

كما نقل عن وزير خارجية مصر عبد الحميد بدوى الذى رأس وفد مصر فى الهيئة الدولية وقتهـا تصريحاته التى تحدث فيهـا عن أواصر الصداقة بين مصر وبريطانيا والتى تمت خلال الحرب الأخيرة ثم صرح فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٦ بأنه ليس لمجلس الأمن حق النظر فى أية مسألة تتصل بمصر أو بالعالم العربى لان مشاكلهم ليست مما تمخضت عنه الحرب ثم تحدث عن استعداد مصر لارسال قواتها الى أى جزء فى العـالم يهدد بالعـدوان » ٠

وهـذه التصريحـات أثارت استياء وسـخطا عاما فى الرأى العام والصـحافة المصرية وقامت المظـاهرات تهتف ضد وزير الخارجية وضد الحكومة وهاجمت الصحف المصرية عبد الحميـد بدوى واستعرضت هذه الصحف تاريخ عبد الحميد بدوى (**) السياسى المريب اذ كان هو من أعد مذكرة وقف الحياة النيابية سنة ١٩٢٨ فى وزارة محمد محمود ذات اليد الحديدية ، وهو من وضع أسس دستور سنة ١٩٣٠ الاستبدادى اصدقى باشا ، وهو من أطلق عليه «مفتى القرية» تهكما فى فترة رئاسته قضايا الحكومة كناية عن تحليله الباطل ولعمله فى العديد من الشركات الكبيرة لخدمة مصالحها ٠ كما أطلقوا عليه أيضا « العربى الكبير » سخرية من سعيه الدائم باسـم السياسـة العربية لتوريط الشعوب العربية فيما يورط فيه مصر وذلك تمشيا مع سياسـة اسماعيل صدقى رئيس الوزراء الذى رحب بمذكرة الحكومة الانجليزية التى اقترحت فتح باب المفاوضات مع حكومة مصر حتى بعـد أن أعلنت جهلها بتصريحات وزير الخارجية عبد الحميد بدوى التى أثارت الرأى العام وشرعت فى الاعلان عن نيتها فى الشروع فى التفاوض مع الجانب البريطانى الذى نجح فى تفويت فرصة التقدم بقضية التحرير والاستقلال عن طريق مجلس الأمن ٠

ويلاحظ أنه لم يمض وقت طويل حتى تسلم د٠ عبد الحميد بدوى الثمن بأن رشحته الدول الغربية لشغل منصب دولى كبير وليكون قاضيا فى محكمة العدل الدولية ٠

(★) المصدر السابق عن جريدة المصرى ، ١٣ فبراير سنة ١٩٤٨ وعن جريدة الوفد المصرى فى ١٩ يناير سنة ١٩٤٦ ٠

(★★) نفس المصدر السابق عن الوفد المصرى فى ١٨ ، ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ ، ٢ فبراير سنة ١٩٤٦ وعن آخر ساعة ٢١ يناير سنة ١٩٤٦ ، وعن جريدة المصرى ، ٢٦ يناير سنة ١٩٤٦ ٠

المفاوضـات مع بريطانيـا :

بدأت المحادثات التمهيدية فى مصر فى منتصف ابريل ١٩٤٦ بين صدقى باشا من جهة ولورد ستانجيت والسفير رونالد كامبل من جهـة أخرى وفى ٧ مايو ١٩٤٦ أصدرت السفارة البريطانية بالقـاهرة بيانا « بعد المقدمة ... » عرضت بريطـانيا أن تسحب جميع قواتهـا البحرية والبرية والجوية من الأراضى المصرية وأن تجرى المفاوضات لتحديد مراحل جلائها والموعد الذى يتم فيه والتدابير التى تتخذها الحكومة المصرية لتحقيق التعاون بين البلدين فى حالة الحرب أو خطر الحرب الوشـيكة الوقوع طبقا للمحالفة » .

وفى يوم ٩ مايو ١٩٤٦ بدأت المفاوضات بوزارة الخارجية المصرية وأصدر الجانبان البريطانى والمصرى بيانا مشتركا يوم ٢٢ مايو ١٩٤٦ « ان تبادل الآراء بين الجانبين أظهرت ان هناك بعض المسائل رأى الجانب البريطانى ضرورة الرجوع فيها الى وزير خارجيـة بريطانيا مستر بيفن ويتطلب هذا بعض الوقت » . واستؤنفت المحادثات فى الاسكندرية فى يوليو ١٩٤٦ وتعذر الاتفاق وأوقفت فى آخر سبتمبر١٩٤٦ . وقرر بعدها صدقى باشا أن تجرى المحادثات مع وزير خارجية بريطانيا مباشرة فى لنـــدن .

وكأسلوب بريطانى تقليـدى لأجـل تهدئة الجو الثـائر فى مصر وامتصاصـا لجزء من مرارة الشعب المتشوق لاستئناف الكفاح ثم جـلاء القوات البريطانية عن القلعة يوم ٤ يوليو ١٩٤٦ . واقيم احتفال شعبى حضره الملك بالقلعة يوم ٩ أغسطس احتفـل به بانزال العـلم البريطانى ورفع الملك العلم المصرى على القلعة مكانه .

سفر صدقى باشا الى لندن ومشروع معاهدة صدقى ـ بيفن :

سافر صدقى باشا بصحبة ابراهيم عبد الهادى وزير الخارجية يوم ١٧ أكتوبر الى لندن ليفاوض بنفسه مع وزير الخارجية البريطانية ووقع الطرفـان المصرى والبريطـانى على مشروع المعـاهدة بالاحرف الأولى من الأسماء يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ .

مشروع معاهدة صدقى ـ بيفن (*)

أهم ما جاء بهذا المشروع وبه نقط جدال بين صـدقى وبين باقى أعضاء الوفد والمعارضين للاتفاق : ـ

(*) الكتاب الاخضر اصدار مجلة وزراء مصر سنة ١٩٥١ من ص ٩٨ الى ص ١٢٣ .

مادة ١ : ينتهى العمل بمعاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا والموقعة فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ٠

مادة ٢ : فى حالة ان تصبح مصر محل اعتداء مسلح أو اذا اشتبكت بريطانيا فى حرب بسبب اعتداء مسلح على البلاد المجاورة لمصر يتخذ الطرفان مصر وبريطانيا بالتشاور على الاجراءات الواجب اتخاذها للضرورة (عودة الانجليز لاقامة قواعد عسكرية فى مصر) ريثما يتخذ مجلس الأمن اجراءاته ٠

مادة ٣ : بدءا من تنفيذ المعاهدة « تتكون لجنة دفاع مشترك فى السلطات العسكرية فى الحكومتين لتقديم اقتراحاتهما عند الضرورة لتقرير حالة التهديد بخطر الحرب أو تنفيذ ما توصى به » (المقصود اعادة القوات العسكرية البريطانية لاحتلال قواعد عسكرية فى الأراضى المصرية) ٠

مادة ٧ : بعد تبادل وثائق التصديق فى القاهرة فى أقرب فرصة تبقى المعاهدة نافذة المفعول لمدة عشرين عاما قابلة للتجديد بشروط ٠

بروتوكول السودان :

يتعهد الطرفان المصرى والبريطانى باتباع السياسة فى السودان فى نطاق الوحدة بين مصر والسودان تحت تاج مشترك هو تاج مصر وهدف هذه السياسة الأساسى هو تحقيق رفاهية السودانيين وتهيئتهم للحكم واعطائهم **حق اختيار نظام الحكم فى السودان مستقبلا** الى أن يتم الاتفاق بين مصر وانجلترا على السودان وبعد استشارة السودانيين **لتحقيق هدف تقرير المصير** يصير العمل طبقا لما جاء فى اتفاقية ١٨٩٩ ولكل ما جاء عن ذلك فى معاهدة ١٩٣٦ وتبقى نافذة المفعول (أى أن يبقى الحال فى السودان كما هو وأضيف الى ما جاء بمعاهدة ١٩٣٦ الاعتراف بحق تقرير المصير للسودانيين أى اختيار الوحدة أو الانفصال ٠ (ولكن هذا الرأى يحدث تحت سيطرة الحاكم العام البريطانى الجنسية) ٠

بروتوكول الجلاء :

« يجب ان يتم الجلاء التام عن جميع الأراضى المصرية فى أول سبتمبر ١٩٤٩ ويجرى فى القاهرة والاسكندرية والدلتا قبل ٣١ مارس ١٩٤٧ » « ويستمر العمل بنصوص ١٩٣٦ الخاصة باعفاءات ومزايا القوات البريطانية أثناء انسحابها من مصر » ٠

الخلاف التقليدى بين السياسيين فى مصر :

عاد صدقي باشا ووزير خارجيته ابراهيم عبد الهادى وبمجرد عرض مشروع المفاوضة على وفد المفاوضات المشكل قابلة سبعة أعضاء بالرفض أى الأغلبية وهم « شريف صبرى وعلى ماهر ومكرم عبيد وعبد الفتاح يحيى وحسين سرى وعلى الشمسى وأحمد لطفى السيد » وأيده جميع الأعضاء من الدستوريين والسعديين وهما أصحاب الأغلبية البرلمانية . وفجأة تكهرب الجو السياسى المصرى وبخاصة بعد ان أصدر أعضاء وفد المفاوضات الذين رفضوا المعاهدة بيانا عددوا فيه أسباب الرفض والتي كان من الممكن التفاهم فيها لصالح البلاد ولكنهم زايدوا فى تفنيدها وجاء فى آخر بيانهم « لهذه الأسباب رفضنا المشروع فى وضعه الجديد ورأينا اصدار هذا البيان الموجز توضيحا للموقف الذى أثرناه قياما بواجبنا وتأدية للأمانة الموكولة الينا » . وبعده مباشرة تعجل صدقى باشا واستصدر مرسوما بحل الوفد الرسمى للمفاوضات ولم يكن هناك أى لزوم لاستصدار هذا المرسوم وبصورة شبه انتقامية مهينة للمعارضين. وتناولت الصحافة عامة والمعارضه خاصة من الوفد والحزب الوطنى بالتجريح لمشروع هذه الاتفاقية ويزداد الجو السياسى فى مصر والسودان سوءا عندما تعجل صدقى باشا أيضا وبدون أى داع عندما أدلى بتصريح لمندوب رويتر فى ٢٦ أكتوبر قال فيه « اليوم أقرر اننى نجحت فى مهمتى ذلك ان الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى قد تقررت بصفة نهائية » . وعلى أثر ذلك هاج الانفصاليون فى السودان (وكلهم كانوا مدعمين بكل الامكانيات من الحكومة البريطانية) لتصريح صدقى واحتجوا عليه وأعلنوا انهم لا يقبلون الوحدة بين مصر والسودان . وقامت المظاهرات العنيفة فى الخرطوم ضد الوحدة بعد ما سلحتهم حكومة السودان المشايعة للانجليز فاعتدوا على دور وتنظيمات الوحدويين وقامت فى مواجهتهم مظاهرة كبيرة من أنصار الوحدة فى السودان كما اضطر رئيس الوزراء البريطانى على أثر عاصفة من الاحتجاجات فى الدوائر الاستعمارية البريطانية « قام مستر أتلى فى مجلس العموم فأدلى بتصريح مضاد أحرج فيه صدقى باشا جاء فيه « أن الحكومة البريطانية لا تفكر فى ادخال أى تغيير على وضع السودان ..... لأنه قد جاء فى الأنباء ان صدقى باشا رئيس الوزراء المصرى ذكر انه تقرر بصورة نهائية تحقيق الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى .... فان الذى جرى لا يعدو ان يكون محادثات تمهيدية بحتة ولم نتفاوض على شيء بصفة نهائية » .

وقد جاءت كل هذه الأحداث المتتابعة وكأنه كان هناك مخطط بريطانى مكمل للمخطط البريطانى لتصفية ثورة ١٩١٩ وقد حققت هذه الأحداث لتضييع الفرصة على مصر بامكان اللجوء لمجلس الأمن فى الوقت المناسب .

وكان هذا المخطط لاعطاء المبرر لتتنصل بريطانيا من ابرام أى اتفاق أو معاهدة مع مصر تنهى جميع مظاهر الاحتلال العسكرى البريطانى لمصر كما انها عملت على زيادة هوة الخلاف بين الأحزاب المصرية وزيادة حدة الصراع كما حققت اظهار السودان كأنه منقسم على بعضه وان التيار الذى يدعو الى الانفصال عن مصر هو الأقوى ، وفى هذا تأكيد على انفراد بريطـانيا بالسيطرة على السودان كما عملت على ايجاد حالة من القلق فى المجتمع المصرى السياسى مما عجل بامكان التخلص من صدقى باشا بحجة عدم سيطرته على الموقف واستمرارا لتلقين الوزارات المصرية المتتابعة درسـا بأن استمرار أى وزارة مصرية فى الحكم مرتبط بمدى ما يحققه للمخطط البريطانى سواء الظاهر منه أو الخفى ، وبالقطع فان بريطـانيا استفادت من تفاوض صدقى لقطع خط الرجعة عن مصر لتلجأ الى مجلس الأمن فى الوقت المناسب ، وقت عقد جلسات مجلس الأمن ، ولذلك تركت صدقى ووزارته لمصيرهما المحتوم بالانسحاب من الساحة بعد أن حققت بريطانيا مخططها بهما ٠

حالة الاضطراب :

لجأت وزارة صدقى فى نهاية الأمر الى مجلس النواب وعرضت عليه مشروع معاهدة (صدقى ــ بيفن) فأقره وأيده نواب الأحرار الدستوريين والسعديين والواقع ان مشروع هذه المعاهدة كان من وجهة نظر أغلبية البرلمان انه مشروع فيـه خطوة ايجـابية للأمام لامكان تحقيق الجـلاء وحل قضية السودان اذا خلصت النيات من جميع الأحزاب ٠ وأدت كل هذه الأحـداث مجتمعة الى تبلبل الأفكار وشيوع القلق وأضرب طـلاب الجامعة وتعدى الأمر الى أعمال العنف فكانت القنابل تلقى فى الليل فى الشوارع فى الأحياء التجارية وتحدث الرعب والفزع وأمام منازل ماهوله فازداد الناس رعبا وتعددت هذه الحوادث وجعلت الناس فى العاصمة وفى الأقاليم يشعرون أن الوزارة عاجزة عن حفظ الأمن وانها يجب أن تستقيل ٠

استقالة وزارة اسماعيل صدقى (٨ ديسمبر ١٩٤٦)

قدم صدقى باشا استقالته فى ٨ ديسمبر ١٩٤٦ وثبت له وللانجليز وللملك ولعامة الشعب المصرى انه عجز أن يقنع البلاد بمشروع المعاهدة التى أجراها مع مستر بيفن ٠ وقبلت الاستقالة فى اليوم التالى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ ٠

تأليف وزارة النقراشي الثانية (٩ ديسمبر ١٩٤٦)

وفى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك استقالة صدقى باشا عهد الى محمود فهمى النقراشى تأليف الوزارة الجديدة وكانت مؤلفة من ستة وزراء سعديين وستة أحرار دستوريين ٠ وفى عهد هذه الوزارة استمرت الروح الوطنية فى مسارها ونظم الشعب احتجاجات على اصرار بريطانيا على تماديها فى فصل السودان عن مصر ، وقامت مظاهرات عبر فيها الشعب عن تمسك شعب مصر والسودان بالوحدة واعتبروا يوم ١٩ يناير يوم حداد احتجاجا على اتفاقية ١٨٩٩ التى عملت على سلخ السودان عن مصر ونظم الشعب بجميع طوائفه وبجميع أحزابه الحداد على شكل توقف كامل عن العمل وصدرت جميع الصحف مجللة بالسواد ٠

انسحاب الانجليز من القاهرة والاسكندرية :

ومنعا لتصاعد العمل الوطنى وتهدئة للخواطر عملت السلطات البريطانية على نهو المظاهر البريطانية الاستفزازية للشعب فى شكل الجنود والمعسكرات البريطانية المنتشرة فى أرض مصر وعلى مرأى يومى عن الشعب المتحفز فقد بدأ جلاء القوات البريطانية من القاهرة والاسكندرية وضواحيها بدءا من فبراير ١٩٤٧ وكان آخرها جلاء ثكنات قصر النيل فى ٢٩ مارس ١٩٤٧ ٠

وكان أحمد باشا حسنين رئيس الديوان قد توفى على أثر حادث تصادم مع عربة عسكرية بريطانية فى فبراير ١٩٤٦ وصار تعيين ابراهيم عبد الهادى وزير المالية فى منصب رئيس الديوان الملكى فى فبراير ١٩٤٧ ٠

وقامت الحكومة البريطانية بترشيح حاكم عام جديد للسودان هو سير روبرت هاو ليحل محل الحاكم القديم وصدر المرسوم الملكى المصرى بذلك فى ١٧ مارس ١٩٤٧ وكان هذا من المظاهر الكاذبة التى ابتدعها الانجليز لأن هذا المرسوم كان من المعروف انه لا يلزم الحاكم العام للسودان بأى شكل من أشكال الولاء لمصر أو عرشها أو حكومتها ٠

عرض القضية المصرية فى مجلس الأمن :

بمجرد تولى النقراشى باشا رئاسة الوزارة استأنف المفاوضة مع السفير البريطانى رونالد كامبل وقوبل بنفس التشدد البريطانى وبخاصة فى قضية وادى النيل مما اضطره فى ٢٧ يناير ١٩٤٧ الى اعلان قطع هذه المحادثات وعرض القضية المصرية على مجلس الأمن فى بيان القاه فى مجلس الشيوخ والنواب ويتألف الوفد المصرى لعرض القضية المصرية فى مجلس الأمن برئاسة النقراشى باشا ومعه نخبة من المستشارين (أغسطس ـ

سبتمبر ١٩٤٧) ورغم قوة الحجج والأسانيد التى تقدم بها وفد مصر فى مجلس الأمن وهو الملجأ الطبيعى لرفع الظلم عن الدول المقهورة تبعا للغرض من تكوينه وتكوين هيئة الأمم وميثاقها الذى استشهد بهما النقراشى فى عرضه لقضية مصر الواضحة فقد كان قرار مجلس الأمن مخيبا للآمال فلم يصدر قرارا ايجابيا فى القضية المصرية وتركها معلقة ورفض ان يؤدى واجبه فى ان يقرر اجلاء القوات البريطانية من على أرض وادى النيل تطبيقا لمبادىء الحق والعدل • وصرح النقراشى باشا فى نيويورك وقبل عودته « ان مصر لن ترضى استئناف المفاوضات مع انجلترا الا بعد جلاء قواتها عن البلاد » وبعد عودته الى القاهرة أعلن موضحا سياسته ازاء قضية بلاده « وخطتى الآن ••• تتلخص فى تجاهل انجلترا تجاهلا تاما ••• فنحن فى خصومة سافرة معها ••• وسنتصل بمن نشاء من الدول ••• وسنستعين بخبراء من كل جنس وسنولى وجهنا شطر الجيش المصرى بتقويته وزيادة عدده وسنجلب مدده من الدول الأخرى وخبراء ومستشارين وسندعم الاصلاح الداخلى بكل ما فى وسعنا لكى لا نترك لأمثال انجلترا فرصة للتقول علينا بما لا يليق » •

توسيع التنظيم السرى للضباط الوطنيين :

منذ منتصف عام ١٩٤٧ وكانت أخبار تمادى الملك ورجال حاشيته فى القصر من تدخلاتهم وتجاوزاتهم والتحكم فى المقدرات بالفساد قد انتشرت مما عمل على توسع تنظيم الضباط وبدأ التنظيم يحصى ويسجل التجاوزات (٣٨٩) وبدأت مجموعة صغيرة من هذا التنظيم تطبع وتوزع منشورات على مختلف فئات الشعب بصفة عامة وعلى زملائهم الضباط بصفة خاصة وكذلك نبعت فكرة جمع اشتراكات وكان أول عمل استخدمت فيه أموال هذه الاشتراكات هو ارسال تلغراف باسم ضباط الجيش لتأييد النقراشى باشا قبل عرض قضية مصر على مجلس الأمن وقبل سفره • وفى عام ١٩٤٦ كون الضابط مصطفى كمال صدقى مجموعة جديدة انضم لها بعض الصولات واجتمعت مع مجموعة الضباط الوطنيين وبعد ان جمع أحد الصولات واسمه جمال جلال بعض المعلومات عن الضباط أبلغ وزارة الداخلية بأن لفيفا من ضباط الجيش يتآمرون لاغتيال الملك أثناء موكبه الى البرلمان ولما لم يستجب وزير الداخلية لهذا البلاغ أبلغ الفريق ابراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش وتم اعتقال الضباط والتحقيق معهم فى ميس المشاة وكان التحقيق بمعرفة النائب العام وأخيرا أفرج عنهم لعدم ثبوت الأدلة وكان على رأسهم رشاد مهنا • وكان من نتائج كشف وجودهم وحركتهم أن أحيل ابراهيم عطا الله رئيس الأركان الى المعاش واتجه جانب

---

(٣٨٩) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، ص ٤٠ و ص ٤٣ و ص ٤٤ •

من هؤلاء الضباط المفرج عنهم الى الانتظام فى تشكيل تابع للقصر برئاسة يوسف رشاد طبيب الملك الخاص وسمى تنظيم الحرس الحديدى . وكان أثر هذا الاعتقال ان انصرف جانب كبير من الضباط الوطنيين عن الارتباط بالأحزاب وقصروا نشاطهم السياسى داخل المؤسسة العسكرية .

مؤامرات الانجليز فى السودان :

لم يكد ينتهى مجلس الأمن من نظر قضية مصر ويصدر توصيته السلبية والتى خيبت آمال مصر فى المنظمات الدولية حتى أصدر حاكم السودان العام الانجليزى الجنسية يوم ١٣ سبتمبر ١٩٤٧ اعلانا قال فيه « ان الحكومة السودانية مصممة على أن تعجل بمشروعاتها الخاصة بالجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى لتنفيذ توصيات مؤتمر السودان الادارى بدقة ولن تسمح بأى تدخل فى سياستها الخاصة بالسودان ... وستتخذ اجراءات شديدة ضد من يريد ان يخل بالأمن وضد من يروجون لأغراضهم بوسائل غير مشروعة (يقصد نداء الوحدة) وليكن هذا معلوما للجميع سواء استؤنفت المباحثات أو المفاوضات بين انجلترا ومصر فى تاريخ قريب أم لم تستأنف » . وعقب ذلك قامت حكومة السودان بمنع زيارة المصريين للسودان أو دخولهم السودان على أى شكل أو صورة كما ألغت منصب قاضى قضاه السودان المصرى على أثر انتهاء خدمة الشيخ حسن مأمون وعينت الشيخ أحمد الطاهر مكانه وهو سودانى فى أكتوبر ١٩٤٧ .

المجلس التنفيذى :

فى ١٩ يونيو ١٩٤٨ أذاع الحاكم العام قانونا بانشاء (المجلس التنفيذى) ليحل محل المجلس الاستشارى . ولم توافق الحكومة المصرية على هذا القانون واعترضت عليه قبل صدوره ولم تكترث لهذا الرفض حكومة السودان ومضت فى تنفيذه لاتمام انفصال مصر عن السودان بشكل يبدو شرعيا .

وخلاصة اختصاصات المجلس التنفيذى الذى يتألف من وزراء ووكلاء وزارات لا يقل عددهم عن ١٢ عضوا ولا يزيد عن ١٨ عضوا ويتولى كل وزير ادارة مصلحة من مصالح السودان ويقوم الوكيل بأعمال الوزير فى المصلحة التى ليس لها وزير وأغلبهم أعضاء فى هذا المجلس بحكم وظائفهم وبخاصة الوظائف الهامة وهى السكرتير المالى والسكرتير الادارى والسكرتير القضائى وقائد قوة الدفاع السودانية والوزراء مسئولون أمام الحاكم العام ويجب أن يكونوا سودانيين الا الوزراء بحكم وظائفهم (بالطبع يكونون (انجليزا) ويرأس الحاكم العام هذا المجلس .

الجمعية التشريعية :

وهي هيئة استشارية عضويتها من أفراد بحكم وظائفهم وأعضاء منتخبين وأعضاء معينين ويجب أن يكون العضو سودانيا ومدة الجمعية ثلاث سنوات وللحاكم العام حق حلها ويسترد سلطاتها ولا يحق للجمعية أن تعدل في العلاقات بين حكومة السودان والحكومتين المصرية والانجليزية أو ان تعدل في قانون انشائها أو النظر في تحديد الجنسية السودانية (حتى لا يتسرب اليها أحد المصريين) وبعض أعضاء الجمعية التشريعية يعينهم الحاكم العام أما المنتخبون فكانوا شبه معينين حيث ان الأعضاء الذين كانوا يمثلون جنوب السودان فيعينهم حكام الأقاليم (الانجليز) كما يجوز انتخاب موظفي الحكومة أعضاء مع بقائهم في وظائفهم ٠ وليس لهذه الجمعية أي سلطة مؤثرة في أي أمر ولكن كل السلطة في يد الحاكم ومعاونيه الأربعة والذين هم بحكم وظائفهم أعضاء في المجلس التنفيذي وهم السكرتير الادارى والسكرتير المالى والسكرتير القضائى وقائد قوة الدفاع السودانية وكلهم انجليز ٠ وبذلك يكون الحاكم العام رئيسا فعليا للمجلس التنفيذى والتشريعى وما هم الا صور وعليه فهو نظام صورى والحاكم العام يقبض بيده على جميع السلطات أما الأعضاء السودانيين فلم يكن بيدهم من سلطة الحكم ومظاهره أى شىء رغم ادعاء الانجليز بمبدأ السودنة ٠

المقاومة فى السودان :

قام المجاهدون السودانيون بمعارضة هذا النظام وقامت فى السودان حركة نشيطة تقاوم هذا النظام وتألفت المظاهرات وقابلت حكومة السودان هذه الحركة بالقسوة والقمع والارهاب مما أدى الى قتل عشرات الأبرياء واعتقلت الكثيرين من زعماء الحركة وقدمتهم للمحاكمة ووصلت الى الذروة فى شهر نوفمبر ١٩٤٨ ومنعت حكومة السودان بعثة المحاميين المصريين للدفاع عن المعتقلين من دخول السودان واعادتهم الى مصر بعد وصولهم الى وادى حلفا (نوفمبر ١٩٤٨) ٠

التعديل الوزارى (نوفمبر ١٩٤٧) :

كان هذا التعديل نزولا على الرغبة الملكية فى اسناد وزارة الدفاع (الحربية) الى حيدر باشا وكان ذلك على أثر استقالة اللواء أحمد عطية وزير الحربية والمهندس عبد المجيد بدر (٣٩٠) وزير التجارة والصناعة

(٣٩٠) مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ ٠

عندما اعتبر الملك ان استمرار تواجدهما بملهى الحلمية بالاس بعد ان رأيا الملك يدخل الكازينو تحديا للملك لأنه كان يجب ان يغادرا الكازينو بمجرد أن شاهدا الملك يدخل وأرغما على تقديم استقالتهما (٣٩١) . وفى هذا التعديل (٣٩٢) جاء أحمد مرسى بدر وزيرا للعدل وأحمد محمد حسين وزيرا للخارجية ومحمود حسن وزيرا للدولة وجلال فهيم للشئون الاجتماعية وتولى النقراشى وزارة المالية مع بقائه وزيرا للداخلية . وكان حيدر باشا فى الأصل مديرا لمصلحة السجون ثم عين وزيرا للحربية وكانت مصلحة السجون تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية وكان وقتها يأمر المساجين بالعمل فى مزارع الملك ثم فى ١٩٤٥ أصبح وكيل وزارة للسجون ومن ثم نقلت مصلحة السجون الى وزارة الحربية لتكون معه دائما وعين حيدر باشا ياورا خاصا للملك وجمع بين هذا المنصب الشرفى ومنصب الوزير .

مشكلة فلسطين :

عقد تيودور هيرتزل أول مؤتمر صهيونى (٣٩٣) فى مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧ وصدرت قرارات من ٢٠٠ مندوب يمثلون يهود العالم لتعريف الصهيونية بأنها حركة ترمى (٣٩٣م) الى انشاء وطن للشعب اليهودى شرعى معترف به فى أرض فلسطين بالاستيطان فيها بواسطة عمال زراعيين وصناعيين من اليهود واتحاد الخطوات للحصول على السند القانونى والضرورى من الدول الاستعمارية العظمى وعلى رأسهم إنجلترا . وفى نفس الوقت كانت الاستعمارات الكبرى قد انتهت من أبحاث لجنة استعمارية من كل من انجلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وايطاليا عرفت بلجنة كامبل بنرمان وكان وقتها رئيسا لوزراء بريطانيا وأصدرت اللجنة قرارات لمواجهة الخطر الذى يصفى الوجود الاستعمارى لان هذا الخطر يكمن فى منطقة البحر المتوسط لانها مهد الحضارات والديانات ويسكنها شعب له مقومات الوحدة . فاذا تجمعت هذه المقومات مع نزعة هذا الشعب الى التحرر فسيكون ذلك الضربة القاضية على الاستعمار لذلك فان الدول ذات المصالح المشتركة عليها أن :

---

(٣٩١) فى أعقاب ثورة ١٩ للأستاذ عبد الرحمن فهمى ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٣٩٢) مذكرات محمد حسين هيكل ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

(٣٩٣) الصهيونية كلمة معناها مشتق من كلمة صهيون وهو جبل يشرف على مدينة القدس ، قدسه اليهود بعد أن بنى الملك سليمان هيكله هناك ، كتاب المؤلف ، أبعاد المعركة مع اسرائيل ، ص ٦ .

(٣٩٣م) كتاب المؤلف ، أبعاد المعركة مع اسرائيل ، اصدار وزارة الأوقاف ، ص ٣ ، ص ٤ ، ص ٥ ، ص ٦ .

١ ـ تسيطر على البحر المتوسط باعتباره الشريان الحيوى الذى يربط بين الشرق والغرب ٠

٢ ـ استمرار وضع هذه المنطقة مجزأة وبقاء شعبها على ما هو عليه من التفكك ٠ ومحاربة اتحاد هذا الشعب ومحاربة أى ارتباط له عن طريق أى نوع من أنواع الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى ٠

٣ ـ فصــل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى باقامة حاجز بشرى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربــط آسـيا بأفريقيا بحيث يشكل فى هذه المنطقة (فلسطين) وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة ونتيجة لهذا المخطط الاستعمارى كان من الطبيعى أن يحدث اللقاء بين الحركة الصهيونية وبين الاستعمار ٠

وجاءت الفرصة عقب ما قامت به الحركة الصهيونية لمساندة الحلفاء فى تمويل الحرب والضغط على الولايات المتحدة لدخولها الحرب بجانب انجلترا نتيجة ما قام به اليهودى لويس أنديز رئيس المحكمة العليا الأمريكية باقناع الرئيس الأمريكى ويدرو ويلسون بدخولها الحرب الى جانب الحلفاء وكان فى هذا المقابل وعد بلفور الذى صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ والذى أعطت به بريطانيا أرض فلسطين التى لا تملكها لمن لا يستحقها وهم الصهاينة ٠ ومنذ هذا التصريح أخذت بريطانيا تركز كل اهتمامها فى أن تضع وعد بلفور موضع التنفيذ وبدلا من أن تنهى بريطانيا انتدابها على فلســطين بعد الحرب العالمية الثـانية اتخذت خطوات ايجابية للتمهيد لقيام هذا الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ٠ ففى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (٣٩٤) بموافقة ٣٣ دولة ومعارضة ١٣ دولة وامتنع عن الاقتراع ١٠ دول وكان هــذا القرار هو تقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة عربية وكان هذا القرار بمثابة الموافقة على انشاء دولة صهيونية فى فلسطين وكانت أمريكا والاتحاد السوفييتى من الدول الموافقة على التقسيم أما انجلترا وهى المحركة الأساسية لهذه المؤامرة فقد امتنعت عن التصويت مع الـ ١٣ دولة المتبقية ٠ وبذلك نشأت دولة أجنبية داخل الكيان العربى ليهدد استقلال الدول العربية وكيانها ويعطل نهضتها وهذا القرار زلزل الآمال وكان له وقع أليم فى نفوس العرب جميعا وكان وصمة عار فى جبين هيئة الأمم المتحدة وزلزل الآمال التى كان الناس يعقدونها على ميثاق سان فرنسيسكو ٠

---

(٣٩٤) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ للأستاذ عبد الحميد جودة السحار ٠

حرب فلسطين (١٥ مايو ١٩٤٨ ــ ٢٤ فبراير ١٩٤٩) :

على أثر صدور قرار هيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين أعلنت بريطانيا انها ستنهى انتدابها على تلك البلاد وحددت لانتهائه يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ . وعندما أعلنت بريطانيا عن تاريخ انتهاء انتدابها عن فلسطين (٣٩٥) كان الملك فاروق وقتها يستأثر بجميع السلطات فى يده وكان دائب التدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى اختصاصات جميع السلطات متحديا الدستور فكان لتدخله السبب الرئيسى فى دخول مصر بجيشها الى فلسطين دون الاستعداد اللازم وبنفس هذا الأسلوب المريب زج زعماء الدول العربية الأخرى بجيوشهم فى حرب لم يتخيروا توقيتها وهم على غير استعداد . وحتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨ كان رئيس الوزراء النقراشى لا يزال يرفض اشتراك الجيش المصرى فى الحرب بدعوى ان وجود القوات البريطانية فى قاعدة القناة سيكشف مؤخرة الجيش المصرى وقد يهدد سلامته وخطوط مواصلاته فى الأوقات الحرجة بسبب تعاطف وتعاون انجلترا مع اسرائيل بدون حدود . وفجأة فى يوم ١٢ مايو طلب النقراشى اجتماع البرلمان وبصفة عاجلة وفى جلسة سرية أقنع فيها الأعضاء بالتصديق على دخول الجيش المصرى الى فلسطين . والحقيقة ان حيدر باشا وزير الدفاع المصرى وياور الملك فاروق فى نفس الوقت كان قد تخطى رئيس الوزراء والبرلمان وأصدر الأوامر الى الجيش باجتياز الحدود الى فلسطين دون أن ينتظر عرض الموضوع على مجلس الوزراء ولا على البرلمان كما يقضى دستور البلاد . وكان تبريره لذلك انه ينفذ أوامر الملك بصفته القائد الأعلى للجيش . أما ضباط الجيش كوطنيين شبان فلم يغب عن وعيهم هذه المهزلة من التجاوزات سواء من الملك أو من رئيس الوزراء أو من البرلمان . وكان النقراشى باشا قبل أن يورطه الملك بدخول الجيش المصرى الحرب كان من أنصار تكوين تشكيلات وتنظيمات من المتطوعين والفدائيين العرب والمصريين ويسمح لكثير من الضباط المصريين أن يتركوا وحداتهم وينضموا لهذه التشكيلات الفدائية بحيث يتم تسليح وتدريب هذه القوات من المتطوعين ثم يتدفقون بعد ذلك الى داخل الحدود الفلسطينية يحاربون باسلوب حرب العصابات .

وفى صباح يوم ١٥ مايو اندفعت وحدات الجيش المصرى النظامى تعبر حدود مصر وفلسطين من رفح تحت قيادة اللواء المواوى باشا والذى كان مقتنعا وحاول اقناع مساعديه وضباطه انه فى سبيل مطاردة بوليسية لعصابات صهيونية فى مستوى العصابات الاجرامية المسلحة فى صعيد

---

(٣٩٥) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل كمقاتل فى حملة فلسطين المصرية ــ من ص ٤٥ الى ص ٥٣ .

مصر وفى طريق تقدم طابور الجيش المصرى الى الخطوط المحددة(*) فى غزة اشتركت بعض وحداته فى معركة مع أول مستعمرة صهيونية بالقرب من رفح وظهر جليا لجميع الضباط الشباب سواء الذين اشتركوا فى القتال أو فى الطابور المنتظر نهاية المعركة التى اعتقد قائد القوات انها ستنتهى سريعا انهم قد اصطدموا بحقيقة مرة وقاسية بأن ما تصوره هذا القائد العـام اللاهى بالجهل العسـكرى ان المقاتلين الاسرائيليين المدافعين عن المستعمرة التى يهاجمها المصريون ما هى الا حصن عسكرى وخط دفاع قوى من جميع الجهات وعلى أحدث نظـم الدفـاع فى الحروب الحديثـة وبسرعة أثنـاء تبادل نيران المدفعيـة والأسلحة الصغيرة كانت خسـائر المصريين فى الأرواح قد تزايدت بشكل ملحوظ وبخاصـة فى الضـباط أما الجرحى فكان عددهم لا يحصى نتيجة هجومهم الخاطىء باسلوب الجيش النظامى على خطوط دفاعية لمستعمرة مجهزة بأقوى وأحدث تجهيز فكانت النتيجـة الحتمية أن انسحبت القوات المهاجمـة لفشل الهجوم والا كان سيفنى معظم رجالها • ورغم ان القـائد المواوى كان محاطـا بنخبة من المساعدين الشبان من خريجى كلية أركان حرب الأكفاء الا انه كقائد فرض قيـادته العسكرية الساذجة على هؤلاء الشبان الأكفاء وهم من ناحيتهم استجابوا لهذا الجهل العسكرى دون مناقشة دأبهم فى ذلك دأب الساسة والسياسيين فى أعلى المستويات فى الدولة •

وكان فى مقدور القوات المصرية المكلفة بالقتال فى فلسطين وقتها أن تحـقق النصر وتحـقق الهدف المطلوب منها بطرد الصهيونيـة منها لو أحسن ادارة العمليات الحربية لانه حتى تلك اللحظة كان التفوق فى جميع النواحى العسكرية محسوبا للقوات المصرية • ولقد عاشرت وعاصرت تلك الحملة كمقاتل ضابط فى القوات المشتركة وفى لحظة اشتباك احدى الوحدات المصرية مع احدى المستعمرات الصهيونية على الحدود أخذت أقارن بين قواتنـا العسكرية وقوات العدو فقد كان التسليح الاسرائيلى حسب المعلومات والمشاهدة على الطبيعة فى أول معركة هو أسلحة مشاة فى يـد المدافعين عن المستعمرة ولكنه تسـليح جيد وحديث تسـاعده مدفعية من أبسط أنواع المدفعية وهى الهاونات ولكن استخدامهم لها كان ممتازا وعلى أعلى المستويات فكانت جميع اصاباته دقيقة ومؤثرة حتى على باقى القوات المصرية المنتظرة على طريـق التقدم وكانت اسرائيل فعـلا تفتقر فى هذا الوقت الى مدفعية الميدان الثقيلة والتى لم يظهر لها أى دور على الاطـلاق فى هذه المراحل الأولى (وحتى الهدنة الأولى) أما الطيران الاسرائيلى فكان ضعيفا للغاية حيث ان أول غارة قام بها على قواتنا المتحركة أسرع بالفرار بعد اصابة أول طائرة منه من قوات الدفاع المصرى • وكان

(*) نفس المصدر السابق •

لدى اسرائيل أيضا مصفحات مصنوعة محليا من مخلفات العربات العسكرية البريطانية ومن عربات نصف لورى حيث قاموا بتعديلها باضافة ألواح من الصلب كدروع وكانوا يستخدمونها بكثرة فى مهاجمة الأهالى الفلسطينيين العزل فى قراهم وكان لها أخطر الأثر فى أحداث الذعر لأهالى القرى من عصابات الارهاب الصهيونية التى تستخدم هذه العربات بكفاءة ضد القرى الفلسطينية الخالية من أى سلاح للمقاومة . كما كان لديهم قوات احتياطية على نفس المستوى فى التسليح ولكنها عالية التدريب وهى عبارة عن الفيلق اليهودى المدرب على الحرب فى صفوف البريطانيين ومعد للاستخدام فى المراحل الحاسمة من القتال .

أما القوات المصرية فكانت تتكون من نسع كتائب(*) مشاة كاملة التسليح وعالية التدريب وثلاث كتائب مشاة أخرى ضمن لواء حديث تحت التكوين بالاضافة الى كتيبتين كاملتين من مدافع الماكينة الثقيلة (فيكرز) وجيدة التسلح وموزعة على كتائب المشاة التسع كسلاح مساعد ذى قوة نيران عالية جدا ومؤثرة وكانت كتائب المشاة مسلحة بمدافع مضادة للدبابات تصلح فى تدمير أقوى الدشم المحيطة بدفاعات المستعمرات كما ان القوات المصرية لديها وحدات مدفعية ثقيلة وثقيلة مضادة للدبابات ومدفعية خفيفة ومتوسطة وثقيلة مضادة للطائرات على أعلى مستوى من التدريب وشاركت فى الدفاع عن مصر بشكل ايجابى متميز ضد غارات قوات المحور على مصر أثناء الحرب العالمية الثانية . كما كان الطيران المصرى متفوقا جدا على طيران اسرئيل وكل هذا التسليح سواء للمدفعية المصرية أو الطيران مما تفتقر اليه اسرائيل .

واستمر القائد المصرى اللواء المواوى يضع الخطط للقوات المصرية بالاسلوب الخاطىء بممارسة الحرب النظامية التى لا تصلح مع طبيعة أرض العمليات وتنظيم العدو وبالرغم ان قواتنا حققت النجاح فى مهاجمة مستعمرة دير سنيد ومستعمرة نيتساليم الا أن هذا الاسلوب الخاطىء كبد كثيرا من الخسائر الفادحة فى الأنفس وذلك بارتفاع نسبة استشهاد الضباط الشبان بالنسبة للجنود لان الاسرائيليين من داخل مستعمراتهم كانوا يركزون على قتل الضباط بأسلحة القناصة الدقيقة .

وكان من الأجدى لمصر وللأمة العربية بصفة عامة والجيش المصرى بصفة خاصة فى فترة الاستعداد لمحاربة دولة اسرائيل أن يتم شراء أسلحة ومعدات وذخائر من التبرعات العربية ليتم تسليح شعب فلسطين العربى فى القرى والمدن العربية لتكون متساوية فى القوة مع المستعمرات

(*) الكتيبة حوالى ٨٠٠ ضابط وجندى واللواء حوالى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف ضابط وجندى .

الاسرائيلية وتقوم هيئة عربية بالتخطيط للتسليح والتدريب ووضع خطط الدفاع والقتال بمعرفة ضباط محترفين متطوعين لهذه القرى والمدن العربية ولتكن قادرة على صد أى هجمات من العصابات الصهيونية الارهابية المسلحة والتى أرعبت الشعب الفلسطينى وجعلته يجلى عن قراه ويفر لاجئا للدول العربية الأخرى وأربك ذلك العمليات الحربية والتنقلات للجيوش العربية النظامية وبهذا الأسلوب يمكن للشعب الفلسطينى أن يصمد فى مكانه · كما كان من الأصوب بالنسبة لقوات الجيش النظامى أن يتم تسريح الجيوش العربية ضباطا وجنودا لتحول كلها أو جزء منها الى تشكيلات فدائية لممارسة التعامل مع الاسرائيليين باسلوب حرب العصابات ضد المستعمرات الاسرائيلية أما الجزء الباقى من الجيوش النظامية فتبقى بكامل تسليحها وتنظيمها على شكل قوة ضاربة احتياطية يتم استخدامها فى المعارك الفاصلة عندما يحين الوقت المناسب بعد انهاك القوات الاسرائيلية على مختلف أشكالها وبذلك يكون تدخل الجيوش النظامية العربية للاجهاز على الجيش الاسرائيلى ، كل هذه الأفكار كانت تدور فى ذهن صغار الضباط كنقد لأسلوب القيادات العسكرية العربية التقليدية وعلى اسلوبها الخاطىء فى ادارة العمليات · واستمرت القوات المصرية رغم كل النقائص فى القيادة تحرز النصر ولما شعرت الاستعماريات الكبرى بأن الجيوش العربية قد تفكر بهذا الأسلوب فى مستقبل الأيام مما يشكل خطرا دائما على اسرائيل وكذلك لاجل اعادة تسليح وتنظيم الجيش الاسرائيلى ومده بالمعونات من الرجال والمواد العسكرية لاحداث التوازن مع تسليح الجيوش العربية وعلى راسها مصر ·

ولم تكد تمضى ثلاثة اسابيع (٣٩٦) على بداية الحرب حتى تدخل مجلس الأمن بتدبير من الدول العظمى المتآمرة مع اسرائيل وطلب الى الفريقين المتحاربين عقد هدنة بينهما وسرعان ما استجابت الدول العربية بشكل مريب وكذلك استجابت اسرائيل لصالحها وعقدت هدنة لمدة أربعة أسابيع يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ وخرق اليهود شروط الهدنة عدة مرات ولم تحرك الدول العربية ساكنا واكتفت بالاحتجاجات التى لا تجدى · وأثناء فترة الهدنة تلقى الاسرائيليون الامدادات المختلفة من أمريكا وأوربا ومن الكتلة الشرقية وتحسن مستواهم العسكرى بشكل ملحوظ وندبت هيئة الأمم المتحدة الكونت برنادوت للتوفيق بين العرب واسرائيل ولكنه أخفق واستؤنف القتال يوم ٩ يوليو ١٩٤٨ ثم وقف مرة ثانية فى ١٨ يوليو ١٩٤٨ استجابة لطلب مجلس الأمن وللمرة الثانية تزايدت معونات الدول الكبرى لاسرائيل لتحقيق مزيد من القوة لاسرائيل بحيث يمكنها القضاء على الجيوش العربية · ولما كان الكونت برنادوت جادا فى ايجاد حل

---

(٣٩٦) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ·

للنزاع وظهر لاسرائيـل انه منحاز الى جانب الحق أى الى العرب أطلق الاسرائيليون عليه النار من مدفع رشاش فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٨ ومات فى الحال وتنصلت اسرائيل من مسئولية قتله وأغمضت الدول العظمى أعينها مساندة لاسرائيل ٠

ورغم قيام الهدنة هاجم الاسرائيليون القوات المصرية غدرا فى شهر أكتوبر ١٩٤٨ وظهـر للضـباط المصريين فى هذا الهجـوم ان اسرائيل قد صارت أشد قوة وقـادرة على احداث أفدح الخسائر بالقوات المصرية ٠ وتغيرت القيـادة العسـكرية المصرية واستبدل اللواء أحمد فؤاد صادق باللواء المواوى والذى أنقذ الموقف فى المرحلة الأخيرة من الحرب ٠ وبعد الهدنة هاجم الاسرائيليون مواقع الجيش المصرى فى المجدل فى نوفمبر ١٩٤٨ وثبت الجيش المصرى وكبد الاسرائيلين خسائر كبيرة ٠

حصـار الفـــالوجا :

تمكن اليهود من حصار القوات المصرية فى قرية الفالوجا على بعد ٤٠ كيلومترا من غزة و٧٥ كيلومترا من القدس وكان يرابط بها لواء كامل وبدأ الحصار فى ١٦ أكتوبر وقاومت قوات الفالوجا مقاومة الأبطال ولم يتمكن الاسرائيليون من الاستيلاء عليها ٠ (كان الرئيس عبد النـاصر ضمن قوات الفالوجا ، أركان حرب احدى الكتائب بها) ٠ وتم توقيع الهدنة الدائمة فى جزيرة رودس وتحت شروط هذه الهدنة بارحت القوات المصرية الفالوجة بكامل أسلحتها ومعداتها يوم ٢٦ فبراير ١٩٤٩ وبذلك انتهت العمليـات الحربية بين مصر واسرائيـل لكن بعد أن تم تنفيـذ المخطط الاستعمارى الصهيونى باقامة هذه الدولة العدوانية تحت املاء الارادة الإستعمارية عن طريق منظمات هيئة الأمم على كافة الدول العربية ٠

المرارة :

من واقـع سير أحداث هذا النزاع الذى بدأ سـياسيا ثم صـار عسكريا ثم انتهى بشبه تسـليم من الدول العربية للارادة الاسـتعمارية والصهيونية نتيجة تصرفات وتجاوزات واستهانة القادة العرب بصـفة خاصة والقيادتين المدنية والعسكرية المصرية ومع الوعى الكامل للشعب المصرى بصفة عامة وضباط الجيش المصرى الشبان بصفة خاصة زادت هذه الحرب من مرارته من تجاوزات الملك وخضوع السلطة التنفيذية الى ارادته ومن الأحـزاب المتفسخة بدأت القوى الوطنيـة بما فيهم الضباط الشبان تخطط للتحرك الايجابى والخلاص من الوضع القائم ٠

« استمرار المخطط البريطانى »

« لعزل السودان ـ تماما ـ عن مصر »

ـــ افتتاح الجمعية التشريعية .. (٢٢ ديسمبر ١٩٤٨) :

وأثناء انشغال مصر حكومة وجيشا فى حملة فلسطين وفى غفلة من الزمن والشعب أخذت حكومة السودان ـ البريطانية الصبغة ـ تنفذ نظام السودنة الزائف ، فافتتحت الجمعية التشريعية (١) فى ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ وألقى خطبة الافتتاح ـ الحاكم العام ـ سير روبرت هاو ، وأعقبه رئيس الجمعية محمد صالح الشنقيطى وأعرب فيها عن أمله فى الحكم الذاتى وأمل الأعضاء فى حكم ديمقراطى صحيح ـ يريد بذلك الدعوة الى انفصال السودان عن مصر وفى نفس الوقت قام المجاهدون والوطنيون السودانيون بعقد اجتماعات كبيرة فى الخرطوم وأم درمان احتجاجا على هذا النظام مطالبين بتحرير السودان من الاستعمار البريطانى وقامت المظاهرات وهتفت بسقوط الجمعية التشريعية والاستعمار وفرق البوليس هذه المظاهرات بقوة وعنف .

مرحلة تكوين المؤسسة الوطنية (٣٩٧)

ـــ تجدد النشاط الوطنى بالجيش :

بعد حملة فلسطين كان الشعب المصرى يعانى أشد المعاناة من تجاوزات القصر وحاشية الملك وتسلطهم على أمور البلاد وخضوع القصر والوزراء للسفارة البريطانية وسلبية البرلمان ـ الذى من المفروض أن يعبر عن آلام الشعب ـ وظهر جليا ـ من خلال الصحف والمجلات والمنشورات والاشاعات ـ أبعاد الفشل الذى منى وعاد به الجيش المصرى من حملة فلسطين نتيجة جهل القيادة العسكرية وفساد القيادات السياسية وفضائح صفقات الأسلحة الفاسدة والعمولات التى حصل عليها رجال الملك عنها ، فكان نتيجة كل ذلك أن عاد النشاط الوطنى ـ على آخر مدى ـ الى مختلف تنظيمات الجيش ، فقد قام أقدم التنظيمات الوطنية السرية فى الجيش والتى تكونت منذ سنة ١٩٤٠ ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ وكان معظمها من ضباط سلاح المدفعية ، وقاموا بعقد الاجتماعات بمنزل احدهم فى شارع جسر السويس وطبعوا ووزعوا المنشورات التى تنتقد سياسة كبار رجال الدولة المدنيين والعسكريين ، كما عاد تجمع المجموعة الوطنية التى كانت قد تكونت فى سنة ١٩٤٦ واتسع تكوينها بشكل كبير يفتقد الى كثير من مقتضيات الأمن ، وفى هذا الوقت بالذات كان هناك تنظيم

---

(٣٩٧) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ـ ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

الضباط الأحرار يأخذ طريقه الى التكوين والانتشار وانضم اليه بعض الأعضاء الوطنيين من تنظيم سنة ١٩٤٦ ، كما انشق عن هذا التنظيم بعد ذلك بعض الضباط الذين كونوا تنظيم الحرس الحديدى وقد عارضهم أغلبية ضباط التنظيم الأصلى ، لأن وسيلة تنظيم الحرس الحديدى كانت التعاون مع الملك ورجال القصر والاستفادة بامكانياتهم رغم انهم كانوا من أخطر عناصر الفساد التى حددها التنظيم الأصلى ، لذلك صار استبعاد أفراد تنظيم الحرس الحديدى (٣٩٨) من تنظيم سنة ١٩٤٦ وكان منهم : سيد جاد عبد الله ـ حسن تهامى ـ مصطفى كمال صدقى ـ خالد فوزى وغيرهم ، وبدأت فى هذه الفترة تتوالى المنشورات وتوزع على مختلف القطاعات فى مصر ومن مختلف التنظيمات السرية ، وقد ساعدت فى نشر الوعى وايجاد جو من الشعور العام بأن هناك تغييرا قارب على الظهور وخاصة بين شباب ضباط الجيش .

ـ تنظيم الضباط الأحرار .. (المؤسسة الوطنية) :

قبل حرب فلسطين ، جمعت الظروف بين جمال عبد الناصر (٣٩٩) والطيار عبد المنعم عبد الرؤوف (السابق محاولة هروبه مع عزيز المصرى) وكمال الدين حسين وخالد محيى الدين وحسن ابراهيم ، وكانت تتم بينهم لقاءات لتبادل الآراء والمعلومات عن أحوال مصر وتدهور الكفاح الوطنى فى مواجهة الاستعمار البريطانى وتجاوزات الملك وحاشيته وفساد الحياة الحزبية ، وبعد حملة فلسطين وما آلت اليه وتحرك الضباط الوطنيين وتذمرهم ، فقد انضم الى هذه المجموعة عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وأصبحوا ثمانية ، وبعد التطور السريع فى الأحداث والتجاوزات وخاصة أسباب الهزيمة العسكرية لحملة فلسطين ـ والتى لم تكن الا انعكاسا للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة فى مصر ، فكانت لا تزال تعانى من الاحتلال البريطانى وكان على رأس السلطة ملك لا يهتم الا بملذاته وسيطرته على كل الأمور والسلطات ويتناوب الحكم فى مصر أحزاب متنافرة تتطاحن فيما بينها من أجل الوصول الى كراسى الحكم لتحقيق المصالح الشخصية سعيا الى الثراء الفاحش على حساب مصلحة البلاد العليا ، وكان أغلب أعضاء وسياسى هذه الأحزاب يتنافسون ويسعون حثيثا للتقرب من دار السفارة البريطانية لتكون سندا لهم وطريقا موصلا الى كراسى الحكم ، ولم يكن يهم الكثير منهم أمور تلك الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين حيث كان اقتصاد مصر يسيطر عليه فئة من المتمصرين والأجانب لا هم لهم

---

(٣٩٨) مذكرات محمد عبد الفتاح أبو الفضل ـ ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .
(٣٩٩) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ جزء أول ـ ص ٣٢ .

الا استغلال موارد البلاد ومقدراتها فى حين كان الشعب العامل لا حقوق له اذا كان أغلبية الشعب يعانون من الفقر المدقع وكان كبار رجال الأحزاب مسيطرين على اقتصاد وبنوك البلاد وعلى الاقطاعيات الزراعية لحسابهم ولحساب البيوت الأجنبية - والشعب مغلوب على أمره وفاقد القدرة فى الدفاع عن نفسه أو المطالبة بحقوقه أو تصحيح هذه الأوضاع ٠

كانت هذه هى الأفكار التى يتحاور ويتناقش فيها مجموعات الضباط الوطنيين وقتها ، وهى ذاتها محور أحاديث نواة مجموعة الضباط الأحرار الثمانية وبدأت المناقشات الايجابية المتحمسة تتجه نحو التفكير فى المخرج وما هى القوة القادرة المستعدة للقيام بتغيير الأوضاع فى مصر الذى كان أملا مستقبليا فأصبح ضرورة ملحة ، فلم تجد مجموعة الضباط الأحرار أمامهم الا الجيش ، فلم يكن فى البلاد تنظيم مدنى ينظر الى شئون البلاد هذه النظرة سوى جماعة الاخوان المسلمين (٤٠٠) وحزب مصر الفتاة والجناح اليسارى من حزب الوفد والمنظمات الشيوعية المختلفة والمتصارعة مع بعضها ، وكل هذه القوى كانت لا تملك القوة أو القدرة على القيام بهذا التغيير المنشود دون أن يساندها الجيش ٠

وفى نهاية أكتوبر ١٩٤٩ كان أول اجتماع لهذه المجموعة والتى أصبح عددها ثمانية وتم فى هذا الاجتماع اختيار جمال عبد الناصر لرئاسة المجموعة وتم عمل لائحة تنظيمية داخلية لهذه المجموعة التى أصبحت تمثل القيادة العليا لهذا التنظيم السرى وقراراتها تتخذ بالتصويت بالأغلبية المطلقة وعلى الأقلية أن تلتزم بقرار الأغلبية ، واتفق أيضا فى هذا الاجتماع على نشر أفكار هذه المجموعة - التى أطلق عليها لقب « اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار » - بين الضباط والمدنيين وكانت الوسيلة هى طبع وتوزيع المنشورات السرية من حين لآخر حاملة اسم «الضباط الأحرار » وترسل بالبريد الى المنازل ، وتم تنفيذ هذه القرارات وأصبحت المنشورات توزع وتهاجم الاستعمار والاقطاع والفساد وتفكك العالم العربى وأسباب هزيمة العرب فى فلسطين وتوسع توزيعها لتشمل ضباط الجيش والبوليس وكبار المدنيين ودور الصحف ٠

وأخذت هذه اللجنة تنشط فى تجنيد ضباط وطنيين وضمهم لهذا التنظيم السرى على شكل خلايا لا يعرف أعضاء كل خلية أعضاء الخلية الأخرى ، وبمرور الزمن وتفاقم مفاسد الأحزاب والقصر وتجاوزات البرلمانات المتعاقبة ، أثمرت المنشورات التى كانت توزع على الضباط والمدنيين فتولد الرأى العام المتجاوب مع أفكار الضباط الأحرار ، وكذلك

---

(٤٠٠) مذكرات عبد اللطيف البغدادى - الجزء الأول - ص ٣١ ٠

سهل الرأى العام بين الضباط عملية التوسع فى التجنيد وضم أكبر عدد ممكن من الضباط من مختلف الأسلحة والوحدات بحيث تكون قادرة على السيطرة على الجيش وعلى السلطة وقت اللزوم ، وانضم الى هذه المجموعة قبل نهاية سنة ١٩٥١ الطيار جمال سالم وأنور السادات ثم صار اسقاط العضوية عن عبد المنعم عبد الرؤوف بقرار من اللجنة التأسيسية لنشاطه الاخوانى ومحاولته ادماج اللجنة فى جماعة الاخوان المسلمين التى كانت اللجنة ترفض الاندماج فيها وفقط تقتصر العلاقة مع الاخوان على التعاون دون الاندماج ٠

ـــ المؤسسة المصرية الوطنية الجديدة (٤٠١) :

وجاء هذا التنظيم السرى للضباط الأحرار مطابقا فى أفكاره ودعوته الى أفكار القوة السياسية الجديدة المتكونة خارج الصراع الحزبى والبرلمانى وهى الاخوان ومصر الفتاة والشيوعيين والحزب الوطنى الجديد ، ويمكن اعتبارها منذ هذا التشكيل انها المؤسسة الوطنية الجديدة ـ ولو أن من تجربة هؤلاء الضباط مع جماعة الاخوان المسلمين عندما حاولوا الاتصال بهم وحاول حسن البنــا من بدء الاتصــال بهم احتواءهــم داخل الجناح العسكرى للاخوان ليكونوا قادة لشباب الاخوان ومدربين لهم يتمكن بهم الاخوان من الســيطرة على السلطة ، فما لبثت جميع تنظيمات الضباط الوطنيين أن انصرفوا عن الارتباط بأى من التنظيمات والأحزاب السياسية والزمت نفسها بالعمل فى نطاق المؤسسة العسكرية والابتعاد التنظيمى عن الحركة الحزبية فى المجتمع فكانت حركة وطنية سياسية عسكرية ٠

ـــ السخط من حرب فلسطين ساعد على انتشار المؤسسة الوطنية :

وكان مما ساعد على انتشار حركة الضباط الوطنيين الأحرار (٤٠٢) وتقوية المؤسسة الوطنية ، هو ما أشاعته حرب فلسطين من سخط شباب الضباط من سياسات الحكومة والملك وجهل القيادة العسكرية ، كما كان لاشتراك شباب جماعة الاخوان المسلمين كمتطوعين تحت قيــادة ضباط شباب من الجيش ، دور كبير فى التقارب والتفاهم وطنيا وسياسيا بين الطرفين بعكس ما حدث بين شباب الضباط والتنظيمات الشيوعية المصرية التى كانت ـ بشكل واضح ـ ضد نزاع العرب مع اسرائيل بل تدعو الى وحدة (٤٠٣) العمال عربا وصهيونيين ٠

---

(٤٠١) « الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو » ـ للأستاذ طارق البشرى ـ ص ٥٣ ، ٥٤ ٠

(٤٠٢) مذكرات عبد الفتاح أبو الفضل ـ ص ٦٨ ٠

(٤٠٣) « الماركسية والغزو الفكرى » ـ للأستاذ جلال كشك ـ ص ١٦٢ ـ « لا مصلحة فى الحرب للكادحين العرب واليهود ، بل للبرجوازية العربية العفنة » ـ العدد ١١ من جريدة القاعدة ـ لسان حال الحزب الشيوعى العراقى » ٠

وقد ساهم انتشار حركة الضباط الأحرار داخل أسلحة ووحدات وفصائل الجيش فى توحيد الصفوف الى تبادل الثقة والانضمام الى الحركة ، فضلا عن أن عددا من ضباط الحركة كانوا يشغلون مواقع ومناصب ذات أهمية فى مراكز الجيش الهامة ، مما ساعد على سهولة التجنيد والانتشار ، وقد قام جمال عبد الناصر بدور بارز (٤٠٤) ومتفرع فى عملية التحرك والربط بين المجموعات والخلايا المختلفة فقد بدأ الاتصال بمجموعات الضباط الوطنيين قبل نهاية سنة ١٩٤٩ ليلم شملهم فى تنظيم واحد .

— موجة الاغتيالات والانفجارات :

بعد عودة الجيش المصرى والمتطوعين من الاخوان المسلمين وغيرهم من فلسطين عقب اعلان الهدنة ، تصاعدت عمليات الاغتيالات ذات الطابع السياسى ، فقد قام شابان من الاخوان المسلمين باغتيال وكيل محكمة استئناف مصر — أحمد الخازندار — صباح يوم ٢٢ مارس ١٩٤٨ أمام داره أثناء توجهه الى محطة حلوان ليستقل القطار الى القاهرة ، واعترف القاتلان باغتياله انتقاما منه لحكم كان قد أصدره على متهمين من الاخوان المسلمين — فى حوادث القنابل — حين كان رئيسا لمحكمة جنايات الاسكندرية .

— وفى ليلة ٢٥ ابريل ٤٨ شرع جماعة مسلحة فى نسف دار النحاس باشا فى جاردن سيتى بتفجير سيارة ملغومة بالديناميت وضعوها بجوار الدار ، ونجا النحاس باشا من هذه المحاولة ولم يعرف أو يستدل على من قاموا بهذه المحاولة .

— وفى يوليو ١٩٤٨ شرع مجهولون بنسف دار وكالة حكومة السودان وضبطت المتفجرات قبل استعمالها .

— وفى نفس الشهر ألقيت كمية من الديناميت بين محلى «شكوريل» و « أريكو » بشارع فؤاد وأحدثت المتفجرات خسائر كبيرة ، كما انفجرت قنبلة فى محل « داود عدس » بشارع عماد الدين .

— وفى أغسطس ٤٨ حدث انفجار شديد أمام محل « بنزايون » بميدان مصطفى كامل ومحل « جاتينيو » وانفجار آخر فى ضاحية المعادى أمام مبنى شركة أراضى المعادى .

— وفى سبتمبر ٤٨ حدث انفجار فى حارة اليهود قتل فيه عشرون وجرح ٩١ وكما أدى الانفجار الى انهيار أربعة منازل وتصدع ستة منازل أخرى ، وكانت كل هذه المحلات التجارية مملوكة لليهود .

---

(٤٠٤) مذكرات عبد اللطيف البغدادى — الجزء الاول ، ص ٣٣ .

– وفى نوفمبر ٤٨ هاجمت سيارة مسلحة دار النحاس باشا ليلا حين عودته ودخوله الدار وقضى على حياة اثنين من أفراد الحراسة بينما نجا النحاس باشا ٠

– وفى نوفمبر أيضا حدث انفجار شديد فى مبنى شركة الاعلانات الشرقية أدى الى تخريب مبنى الشركة واتلاف المطابع عن آخرها ٠

– وفى ١٥ نوفمبر ٤٨ ضبطت بحى الوايلى بالقاهرة سيارة جيب مملوءة بالمواد الناسفة والأسلحة والمسدسات والذخيرة ، وتم ضبط ركاب السيارة وآخرين حيث قدموا للمحاكمة فى سنة ١٩٥١ ٠

– وفى ٤ ديسمبر ٤٨ ألقيت قنبلة على اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة – من سطح كلية طب قصر العينى – حينما كان على رأس قوة من البوليس ترابط أمام باب الكلية ٠

وقد استعمل الطلبة المصريون المدرسة الخديوية مقرا لصنع القنابل اليدويـة ٠

— حل جماعة الاخوان المسلمين (٨ ديسمبر ١٩٤٨) :

كانت أغلب الشبهات لأحداث الاغتيـالات والانفجارات التى حدثت تشير بأصبع الاتهام الى جماعة الاخوان المسلمين خاصة بعد عودة متطوعيهم فى حملة فلسطين وكان مستوى تدريبهم القتالى مرتفعا علاوة على تمكينهم من العودة للحياة المدنية وقد عادوا من ميدان القتال بكميات من الأسلحة والذخائر ومواد النسف والمتفجرات ، وبنـاء على مذكرة قدمت لرئيس الوزراء « النقراشى باشا » من وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام – وكلها كانت مجرد شبهات حامت حول جماعة الاخوان المسلمين ، وازاء عجز وزارة الداخلية عن تتبع الجناة وفشلها فى اتخاذ احتياطات الأمن العام ، ولكثرة وتنوع الأحداث وتعدد أماكن وقوعها ، فقد أصدر النقراشى باشا – رئيس الوزراء ووزير الداخلية – بصفة الحاكم العسكرى – أصدر أمرا عسكريا فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين بجميع شعبها وأغلق الأماكن المخصصـة لمزاولة نشاطها وضـبط كافة الأوراق والوثائـق والسجلات والمطبوعات والأموال وكافة أماكن النشـاطات من معـاهد علم ومستوصفـات ومعامل وشركات تجارية وانتاجية علاوة على حركة اعتقالات لأعضاء الجماعة على أوسع نطاق ٠

ــ انجازات وزارة النقراشي باشا :

ــ انشاء الكلية البحرية .

ــ انهاء أعمال البعثة العسكرية البريطانية (ديسمبر ١٩٤٧) .

ــ بداية تنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان (١٩ مارس ١٩٤٨) .

ــ اصدار قانون الشركات ــ بأن يكون للمصريين من نصف أسهم أى شركة ونسبة معينة من الموظفين المصريين .

ــ انشاء قناطر ادفينا .

ــ تأميم شركة النور ــ الكهرباء ــ بالقاهرة .

ــ تخفيف الضرائب عن صغار الملاك الزراعيين .

ــ وضع قانون الضرائب التصاعدية واصداره (ضريبة الايراد العام) .

ــ توصيل المياه الصالحة للشرب لكثير من القرى .

ــ منع اصدار تراخيص لبيع الخمور فى الأحياء الوطنية (الشعبية) .

ــ اصدار القانون المدنى الجديد .

ــ اغتيال النقراشي باشا .. (٢٨ ديسمبر ١٩٤٨) :

قام طالب بكلية الطب البيطرى يدعى عبد المجيد أحمد حسن ــ وهو متخف فى زى ضابط بوليس ــ بالتسلل الى داخل مبنى وزارة الداخلية ــ وعند دخول النقراشي باشا الى المصعد قام هذا الطالب بتصويب مسدس كان معه الى ظهره وأطلق عليه ثلاث رصاصات ، وقبض على القاتل حيث اعترف أثناء التحقيق الذى أجرى معه بأنه ارتكب هذا الفعل انتقاما من النقراشي ــ وزير الداخلية ورئيس الوزراء فى ذات الوقت والحاكم العسكرى ــ لتصرفاته ضد جماعة الاخوان المسلمين ، كما ضمن اعترافه بأنه عضو فيها .

ــ تأليف وزارة ابراهيم عبد الهادى باشا .. (ديسمبر ١٩٤٨ ــ يوليو ١٩٤٩) :

على أثر اغتيال النقراشي ، أصدر الملك فاروق مرسوما ملكيا بتكليف ابراهيم عبد الهادى ــ وكان رئيسا للديوان الملكي ــ بتأليف الوزارة يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، حيث تشكلت هذه الوزارة من السعديين والأحرار الدستوريين والمستقلين ، وفى فبراير ١٩٤٩ ضم الى الوزارة عضوين من الحزب الوطنى .

ـــ استمرار موجة العنف :

عثر حراس مبنى محكمة الاستئناف فى ميدان باب الخلق على حقيبة مملوءة بمواد ناسفة داخل المحكمة فأسرعوا بنقلها الى خارج مبنى المحكمة ، الا انها انفجرت وأحدثت تلفا كبيرا فى مبنى المحكمة حيث أصيب خمسة عشر شخصا وكان المقصود من ذلك هو نسف مكتب النائب العام وما فيه من وثائق وأوراق تدين بعض أعضاء جماعة الاخوان المسلمين ، وقد اعترف الجانى بذلك بعد القبض عليه ٠

وفى ٥ مايو ١٩٤٩ حاول عدة أفراد اغتيال رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى باشا ٠

ممارسات وزارة ابراهيم عبد الهادى العنيفة (٤٠٥) :

قام رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى بعد اغتيال النقراشى بعمليات اعتقال واسعة للاخوان ووجد لديهم كثيرا من الأسلحة والذخائر التى احتفظوا بها بعد حملة فلسطين ومارس البوليس السياسى أساليب التعذيب العنيفة مع المعتقلين الذين بلغ عددهم أربعة آلاف من أعضاء الجماعة وفصل ١٥٠ موظفا من الاخوان المسلمين وشرد من القاهرة وحدها الى الوجه القبلى ٥٠٠ موظف وتم فصل أكثر من ألف طالب من الجامعات والمدارس الثانوية وكان رئيس الوزراء ابراهيم عبد الهادى يحضر عمليات التحقيق والتعذيب بنفسه ٠

التهديد بقتل الأستاذ حسن البنا (٤٠٦) :

أثناء تشييع جنازة النقراشى باشا يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ هتف المشيعون واغلبهم من أنصار الحكومة والحزب السعدى « الموت لحسن البنا » ٠

اغتيال حسن البنا (٤٠٧) ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ :

وبعد حوالى شهر وعدة أيام بعد جنازة النقراشى فى مساء يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ أطلق مجهول الرصاص على الأستاذ حسن البنا وذلك عند مغادرته دار جمعية الشبان المسلمين وفارق الحياة ولم يعثر على الجانى

---

(٤٠٥) عبد الله امام « عبد الناصر والاخوان المسلمين » ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ٠

(٤٠٦) عبد الله امام « عبد الناصر والاخوان المسلمين » ، ص ٢٠ ٠

(٤٠٧) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ جزء ٣ للأستاذ الرافعى ، ص ٢٧٩ ٠

وترددت الشائعات أن الحكومة والحزب السعدى وراء هذا الاغتيال انتقاما لقتل النقراشى الذى تم اغتياله على يد أحد أفراد جماعة الاخوان .

نشـأة الاخوان ونشـاطها (٤٠٨) :

نشـأت جماعة الاخوان المسلمين بمدينة الاسماعيلية عـام ١٩٢٧ كجمعية دينيـة تحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر وأعلنت عن نشاطها أنه فى مجال الوعظ الدينى للتعريف بالدين الاسلامى وكان يرأس هذه الجمعية الأستاذ حسن البنـا وكان يعمل وقتها مدرسـا ثم أخذت الدعوة تنتشر خارج مدينة الاسماعيلية عن طريق عقد حلقات فى الضواحى بحجة اصلاح المجتمع الاسلامى والتبصير بالمفاسد والشرور نتيجة اهمال أحكام الاسلام وان الدعوة لأصول الدين فريضة واجبة على كل مسلم . وفى عام ١٩٣٢ انتقل حسن البنا للعمل مدرسا بمدرسة عباس بالسبتية بالقاهرة وتعددت نواحى نشاطه ونشاط الجمعية حتى وصلت الى معظم المحافظات عن طريق فتـح مقرات والقاء المحاضرات والدروس واصـدار الرسائل والنشرات واحياء المنـاسبات الدينية وأصدرت الجماعة مجلة أسبوعية باسمها وفى هذه الفترة ظهرت معالم نشاطها السياسى عن طريق المقـالات التى كانت تتناولها جريدتهم وأخـذت فى التعليق والتحليل للأحداث السياسية وركزت الجمعية نشاطها فى محيط الجامعة والمدارس والأزهر وتدرجت فى نشاطها الظاهر بتشكيل فرق كشافة وثم تدريبها فى الخفاء عسكريا وعلى استخدام الأسلحة وبدأت الجمعية بعد ذلك فى اتخاذ مواقف ايجابية من الحكومة والأحزاب وكان طابع خطها السياسى هو معاداة حزب الوفد ومهادنة وتأييد أحزاب الأقليات وتأييد الملك .

وفى مايو سنة ١٩٣٨ أصـدرت الجماعة مجلة النـذير سياسـية أسـبوعية وأخـذ أسـلوبها السياسى يكون سـافرا . ثم استمر توسع الجماعة فى تكوين فرق الكشافة المدربة عسكريا .

وكانت الجماعة تلقى تشجيعا من أحزاب الأقليات المعارضـة للوفد الى أن جاءت حـرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وتكونت من جمـاعات الكشافة المـدربة عسـكريا فرق عسكرية محاربة كان يقودها ضباط من الجيش تطوعا لمحاربة التشكيلات العسكرية اليهودية فى فلسطين بموافقة الحكومة المصرية وبتشجيعها وكان على رأس الحكومة وقتها النقراشى باشا وأبلى المتطوعون الاخـوان بلاء حسـنا فى حرب فلسطين واكتسبوا خبرة فى

---

(٤٠٨) الأستاذ البشرى « الحركة السياسية فى مصر من سنة ١٩٤٥ حتى سنة ١٩٥٢ — . ص ٤٣ .

القتال واتقان استعمال الأسلحة وبعد انتهاء حرب فلسطين توسعت الأجهزة السرية فى جماعة الاخوان فى جمع الأسلحة والذخائر سرا لاستخدامها وقت اللزوم فى الجهاد وكانت هذه التشكيلات العسكرية السرية تحت اشراف المرشد العام الأستاذ حسن البنا شخصيا وأوكل شئون تنظيمها وتدريبها الى لفيف من ضباط الجيش المنتمين لجمعية الاخوان المسلمين سرا ٠

وبعد حرب فلسطين ظهر نشاط هذه الفرق السرية فى ممارسه عمليات ارهابية غير شرعية كما سبق ذكره واختلط النشاط الدينى والسياسى والارهابى لهذه الجماعة وكان أخطرها هو اغتيال رئيس الوزراء النقراشى باشا والذى فى عهده كان قد سمح لشباب الاخوان فى تشكيل فرق عسكرية منها لمحاربة اليهود فى فلسطين وتشكيلاتهم العسكرية والتى كانت تكون قوات الدفاع الاسرائيلية ٠

استقالة وزارة ابراهيم عبد الهادى (٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩) :

تبرم الشعب من تمادى وزارة ابراهيم عبد الهادى فى الانتقام من الاخوان والذى شمل كثيرا من المشتبه فيهم الأبرياء ، فتجددت المساعى بين الأحزاب وحزب الوفد للمطالبة بضرورة تأليف وزارة ائتلافية على رأسها رئيس محايد وتضم وزراء من الأحزاب المؤتلفة ، وأخيرا فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩ قدم ابراهيم عبد الهادى استقالة وزارته لاعطاء الفرصة لهذا الائتلاف ٠

ـ تأليف وزرة حسين سرى ٠٠ (٢٦ يوليو ١٩٤٩) :

وتم تشكيل وزارة ائتلافية رأسها حسين سرى وبها أربعة وزراء وفديين وأربعة وزراء سعديين وأربعة من حزب الأحرار الدستوريين واثنان من الحزب الوطنى وأربعة مستقلون ٠

ـ انجازات وزارة حسين سرى (٤٠٩) :

ـ أفرجت عن معظم المعتقلين السياسيين وشرعت فى الغاء الأحكام العرفيــة ٠

ـ أخذت فى الاعداد لاجراء الانتخابات البرلمانية وكونت لجنة تمثل الأحزاب المؤتلفة لتقسيم الدوائر طبقا لآخر احصاء ٠

---

(٤٠٩) فى اعقاب ثورة ١٩١٩ . جزء ٢ ، ص ٢٨٤ ٠

ـ احترمت حرية الصحافة ، وتوقفت المحسوبيات والاستثناءات ٠

ـ في عهدها انتهى أجل المحاكم المختلطة وأصبحت المحاكم الوطنية هى المسئولة عن كافة أشكال القضاء فى مصر ٠

المآخذ على هذه الوزارة :

ـ لم يستمر التعاون بين الوزراء المؤتلفين تبعـا للخلافات الحزبية ، وهذا فى حد ذاته يعتبر تجاوزا من جميع الأحزاب بما فيهم حزب الوفد لأن هذا التنافر المقصود هو سبب البلاء فى مصر منذ خلاف سعد زغلول وعدلى يكن ، وكان السبب الرئيسى للخلاف هو تقسيم الدوائر الانتخابية ـ طمعا من كل حزب فىَ الحصول على أقصى عدد منْ عضوية البرلمان ٠

وقد حدث خلاف بشكل أو بآخر بين حسين سرى وحزب الوفد ، وعلى أثر هذا الخلاف قدم حسين سرىَ استقالته وسرعان ما قبلها الملك وفى ذات الوقت كلفه بتشكيل وزارة جديدة لينهى الخلاف بين الأحزاب ٠

ـــ وزارة حســين سرى ٠٠ المحايدة ٠٠ (٣ نوفمبر ١٩٤٩ ـ ١٢ يناير ١٩٥٠) :

قدم حسين سرى استقالته الى الملك فى ٣ نوفمبر ١٩٤٩ ، معـللا اياها لفشله فى تحقيق التعاون بين الأحزاب الممثلة فى وزارته لتسلط روح الحزبية عليهم ، وعهد اليه الملك بتاليف وزارة جديدة فألفها فى نفس اليوم وكان جميع أعضاؤها محايدين غير حزبيين ٠

وكان أهــم ما قــامت به هذه الوزارة من أعمال هو اصدار قــانون محاكمة الوزراء وقانون الكسب غير المشروع (من أين لك هذا ؟) ٠

ـــ الانتخابات النيابية ٠٠ (٣ يناير ١٩٥٠) :

أجريت الانتخابات لمجلس النواب فى ٣ يناير ١٩٥٠ ، وأثناء هذه الانتخابات برزت فى الميدان السياسى الداخلى اتجاهـات مريبة ، فكان هناك شــبه تحالف بين الاخوان المسلمين والشيوعيين لمحاربة السعديين لما حدث لهم من اضطهاد على أيديهم ٠

وراجت الشائعات التى أوعزت بها تيارات مشبوهة بأن بريطانيا ترحب بعودة حزب الوفد الى الحكم ، كما روجت صحف الوفد بعض المآخذ على وزير التموين الذى تسبب فى تفاقم الغلاء ٠

كما نال حزب الوفد مساعدات خفية ولكنها مؤثرة من رجال البوليس والادارة فى الدوائر الانتخابية لانهم كانوا حاقدين على السعديين لعدم الاستجابة لمطالبهم ابان وزارتهم ، وتركوا الوفديين يجمعون حول لجان الانتخابات من يهدد الناخبين من الأحزاب المضادة للوفد وخاصة السعديين ٠

وكان نتيجة لكل ذلك أن نال حزب الوفد الأغلبية فقد حصل على ٢٠٦ مقاعد وحصل السعديون على ٣٠ مقعدا والأحرار الدستوريون ٢٦ مقعدا والحزب الوطنى ٦ مقاعد والاشتراكيون مقعدا واحدا والمستقلون ٢٢ مقعدا ٠

وللأسف فقد كان الذين أعطوا أصواتهم من الناخبين بلغ عددهم ٢ر٨٥٩ر٧٤١ صوتا فقط من مجموع عدد الناخبين المقيدة أسماؤهم بجداول الانتخابات وعددهم ٤ر١٥ر١٨٢ ، أى أن هذه الانتخابات كانت لا تمثل الرأى العام الى حد ما ٠

ـ استقالة وزارة حسين سرى ـ المحايدة ٠٠ (١٢ يناير ١٩٥٠) :

على أثر ظهور نتائج الانتخابات ، قدم حسين سرى استقالة وزارته يوم ١٢ يناير ١٩٥٠ ٠

ـ تشكيل وزارة النحاس ٠٠ (١٢ يناير ١٩٥٠) ،

وعهد الملك الى النحاس باشا بتأليف الوزارة الجديدة فى نفس اليوم ـ ١٢ يناير ١٩٥٠ ـ وكان ضمن وزرائها أحمد حسين وزيرا للشئون الاجتماعية والدكتور طه حسين وزيرا للمعارف ٠

ـ تعيين حسين سرى رئيسا للديوان الملكى ٠٠

وفى ذات اليوم ـ١٢ يناير ١٩٥٠ ـ عين حسين سرى رئيسا للديوان الملكى ، وكان من المعروف أن علاقاته كانت على ما يرام مع السفارة البريطانية ٠

وفى أغسطس ١٩٥١ ـ استقال أحمد حسين معترضا على أوضاع تتنافى مع استقامة الحكم ونزاهته وعين بدلا منه عبد الفتاح حسن وزيرا للشئون الاجتماعية ٠

ــ **انحدار الوفد ٠٠ وتصاعد غرور الملك (٤١٠) ٠٠**

وفى أول مقابلة للنحاس باشا مع الملك فاروق ـ بعد تأليفه الوزارة وتعيين حسين سرى رئيسا للديوان الملكى فى نفس اليوم ـ وكان حسين سرى باشا حاضرا هذه المقابلة ، فاذا النحاس باشا ـ فجأة وفى نهاية المقابلة ـ يرجو من الملك تحقيق مطلب له يطمع فيه من الملك ، ألا وهو تقبيل يد الملك ، وقبلها ـ على مرأى من رئيس الديوان واندهاشا من الملك ، حدث هذا فى الوقت الذى كان يعلم من يطلق عليهم كبار رجال مصر ومن ضمنهم النحاس أن الملك فاروق منذ أن خفت قبضة الانجليز عليه بعد انتهاء الحرب (٤١١) ـ لم يحفل برجال دولته بل كان يزدريهم ويقول لخاصته أنه يكفيه أن يشير الى أى منهم باصبعه فيلبى الاشارة طائعا شاكرا ٠

فقد كان تقبيل النحاس ليد الملك ـ وهو رئيس حزب الوفد المناوىء التاريخى والتقليدى لسلطات القصر ، فقد كان لهذا الموقف من رئيس حزب الوفد (٤١٢) ـ الذى كان دائم الوقوف شامخا فى وجه تجاوزات الملك ـ هو بداية انحدار حزب الوفد وبداية لانهيار سمعته وفقد شعبيته، للتنازل والسكوت عن تدخلات الملك وأطماعه وتطلعاته للاستحواذ على كل السلطات فى يده على حساب آمال وآلام ومعاناة الشعب الحائر بين الهيمنة الانجليزية واستهتار الملك وحاشيته واستغلالهما للشعب فى ظل تناحر وتطاحن الأحزاب جريا وراء السلطة والخضوع الكامل للقصر سعيا للوصول الى كراسى الحكم ، بل وحتى البرلمان أصبح لعبة فى يد السلطة الأقوى حتى ولو كانت قوتها مستمدة من الاعتداء على الدستور نفسه وهو روح وحياة البرلمان بل والوطن كله ٠

وليس هذا الموقف بمستغرب من حزب يفصح سكرتيره العام عن مدى ما أصبحت الوزارة والحكم بالنسبة لرجال حزب الوفد ، ليقول فؤاد سراج الدين لمحدثه د ٠ محمد حسين هيكل ـ تبريرا لوقوف الوفد الى جانب المفسدين من حاشية الملك : « لقد بقى الوفد(٤١٣) فى الشارع

---

(٤١٠) مذكرات دكتور محمد حسنين هيكل ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٩٦ ٠

(٤١١) المصدر السابق ص ٢٧٩ ٠

(٤١٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٣ ٠

(٤١٣) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٩٩ ٠

عشر سنوات كاد يقضى عليه فيها ، وننا من ذلك كل العذر عن الاتفاق مع القصر وسياسته » !!! ، وبذلك يمكن بقليل من التأمل فى ظاهرة تقبيل النحاس باشا ليد الملك فاروق بأن سياسة الوفد أصبحت هى البقاء فى الحكم لأكبر مدة ممكنة ، وليس الجهاد باسم الأمة التى طويلا ما وكلته عنها مختارة ٠

ـ ممارسات وزارة النحاس باشا ٠٠

ـ أعلن النحـاس باشـا فى خطاب العرش (٤١٤) ـ ١٦ ينـاير ١٩٥٠ ـ أنه سيفاوض الانجليز ليتم الجـلاء العاجل عن وادى النيـل بشطريه ، وفعلا بدأت المفاوضات التى أخذت الطابع التقليدى والشكل الظهرى وطالت دون جدوى ٠

ـ وعدت الوزارة بمكافحة الغلاء ولكنه استفحل ٠

ـ عادت الوزارة الى سياسة الاستثناءات الصارخة فى التعيينـات والترقيات لأنصارها ومحاسيبها بشكل سافر ـ حيث كانت الاستثناءات قد ألغتها وزارة أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ ـ بل ان وزارة النحاس زادت عليها ـ امعانا فى التحدى ـ بأن منحت الموظفين الذين أعيدوا استثنائيا فروق المرتبات عن المدة التى انقضت من يوم الغائها سنة ١٩٤٥ حتى اعادتها فى سنة ١٩٥٠ ، وقد بلغت هذه الفروق المالية مبالغ طائلة تحملتها خزانة حكومة مصر دون وجه حق ٠

ـ أمعنت الوزارة فى الاعتـداء على حرية الصحافة وصادرت كثيرا من الصحف وخاصة صحف المعارضة التى تعمد حزب الوفد أن لا يكون لها أى دور فى الساحة بحكم الأغلبية الوفدية ، ولما أرادت المعارضة أن تعبر عن رأيها المعارض فى الصحافة تمادت الحكومة فى المصادرة ٠

ـ جعلت الوزارة الوفديين فى جميع المواقع والمناصـب حتى فى الأقاليم هم المميزون ، مما أثر فى نفسـية أفـراد الشعب المتعاملين معهم والشعور بالتفرقة ٠

ـ تمادى أعضاء حزب الوفد من أقطاب أو أتباع فى استغلال نفوذهم فى الحكومة للاثراء غير المشروع وظهر الثراء الفاحش عليهـم فجأة ، بل وتفشت وساطات النواب والشيوخ لدى الحكومة ـ بحق وبغير حق ـ

---

(٤١٤) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ـ للاستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ الجزء الثالث ـ ص ٢٩٥ ٠

واستشرى هذا الاستغلال الى مجال المعـاملات التجارية الكبرى ، فحدث تلاعب كبير فى سـوق القطن - اشترك فيـه كثير من المتصلين برئيس الوزراء والوزراء - كما تورط كثير من كبـار رجـال الحزب فى صفقات التموين والمعاملات والتوزيدات والمشتريات والاسـتيراد والتصـدير والاستئجار والتأجير والبيع والشراء لممتلكات الدولة واغتصـاب أملاك الدولة .

- وكان واضحا من كل هذه التصرفات وما تبعها أن تغييرا قد طرأ على بنيان الحزب الشعبى العريق والتقت بعض مصالح القيادات الجديدة فى الوفد مع استعداد لممارسة هذا التغير من قيادته ورئاساته .

- فقد سكتت الوزارة - والنحاس باشا بالذات - عندما استبدل القصر حسين سرى باشا (٤١٥) - رئيس الديوان الملكى - بحسن يوسف بصفة مؤقته ، دون أخذ رأى الوزارة فى ذلك - وكان هذا مخالفا للدستور سبق لسعد باشا زغلول الحسم فيه (٤١٦) مع الملك فؤاد عنـدما عين الملك حسن نشأت باشا وكيلا للديوان دون اعتماد هذا التعيين من رئيس الوزراء سعد زغلول طبقا للمادة ٤٨ من الدستور ، وتراجع الملك فؤاد ازاء تمسك سعد زغلول بتنفيذ الدستور .

- اعترض رئيس ديوان المحاسـبات - محمـود محمد محمود - على صرف مبلغ خمسة آلاف جنيه من خزينة مستشفى المواساة وهى من حصيلة التبرعات والاعانات (٤١٧) ، الى كريم ثابت المستشار الصحفى للديوان الملكى مقابل دعاية ونشر أوراق يانصيب لصالح المستشفى .

- كذلك راجع الحكومة فى مخالفات مالية ارتكبت فى اجراء بعض اصلاحات البحرية الملكية .

- كما اعترض على عدم قانونية صفقات الأسلحة والذخائر لحملة فلسطين وتورط بعض رجال الحاشية فى عمولات بخصوص شرائها من الخـارج .

ازاء ذلك كله ، حدثت ضغوط على رئيس ديوان المحاسبة تزايدت بأشكال متعددة مما اضطره الى تقديم استقالته .

---

(٤١٥) « عشت حياتى بين هؤلاء » - للأستاذ محمد أحمد فرغلى (باشا) - ص ١٢٨ .

(٤١٦) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » - الجزء الأول - ص ٢٢٩ .

(٤١٧) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩) - الجزء الثالث - ص ٣١٨ .

عندئذ قام الأستاذ / مصطفى مرعى ـ عضو مجلس الشيوخ ـ بالتصدى لهذا الموضوع فقدم استجوابا بالمجلس عن أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة مفندا هذه التجاوزات وأسهب فى شرحها موضحا مدى مخالفتها للدستور وللقوانين وعدم جواز قيام شخصيات لها مراكزها بالتعامل المالى مع الدولة ٠

وجاء فؤاد باشا سراج الدين (٤١٨) ـ سكرتير عام حزب الوفد وأحد وزراء الحكومة الوفدية ـ للرد على الاستجواب وفسرت الصحف رده هذا انه دفاع عن كريم ثابت المتهم بحصوله على أموال من جمعية مستشفى المواساة رغم أنه يعتبر من كبار موظفى القصر الملكى أى موظف عام ، ويجيء دفاع فؤاد سراج الدين عن رجل مشبوه فى تصرفاته ، أما عن الموضوعين الأخيرين فقد نفى مسئولية الوزارة عنهما حيث نما فى عهد وزارة أخرى ، وأقر بوجود هذه المخالفات وكان هذا محاولة للتملص من المسئولية فى غير محلها ، لأن المخالفين كانوا حتى هذا الوقت من كبار موظفى الحكومة المتصلين بالملك وكان يجب مؤاخذتهم ، أما كريم ثابت نفسه وفى حركة تمثيلية خبيثة ـ فقد رفع استقالته الى الملك الذى رفضها ، ثقة منه فى مستشاره الصحفى ومنظم سهراته ٠

ونظرا لأن هذا الاستجواب كان قد أغضب الملك ، وأرادت الحكومة حسب سياستها الجديدة أن تسترضى الملك ، فارتكبت أخطر مخالفة دستورية اذ قررت فى شهر يونية ١٩٥٠ اسقاط العضوية عن تسعة عشر عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ ، وتحدث الناس ولمحت الصحف الى تفكير السلطة التنفيذية فى أمر رئيس مجلس الشيوخ د ٠ محمد حسين هيكل ، وفى ١٧ يونية ١٩٥٠ صدرت المراسيم (٤١٩) بتنحية د ٠ محمد حسين هيكل لسماحه بالاستجواب والمناقشات ـ واسقاط العضوية عن التسعة عشر عضوا من بينهم : ابراهيم عبد الهادى وأحمد لطفى السيد ومصطفى مرعى ـ مقدم الاستجواب ٠

أحدثت هذه المراسيم تأثيرا سيئا فى جميع أنحاء البلاد ، فقد كانت مؤامرة ضد الدستور من أجل شخص ـ لبنانى الأصل ـ مشبوه فى جميع تصرفاته منذ مناصرته للسياسة البريطانية الاستعمارية على صفحات جريدة « المقطم » منذ انشائها ، كما كانت هذه المراسيم حماية لمن تلاعبوا فى صفقات الأسلحة والذخائر ، مما تمخض عن كل ذلك شعور بالاستياء وجو من القلق استحوذ على النفوس توقعا لأحداث أسوأ من ذلك ٠

---

(٤١٨) « عشت حياتى بين هؤلاء » ـ للأستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ١٢٩ ٠

(٤١٩) مذكرات ، د٠ محمد حسنين هيكل ـ ص ٣٠٠ ٠

ـ تدهور سمعة القصر ..

أثناء اقامة الملكة نازلى ـ الأم ـ فى أمريكا (٤٢٠) مع كريمتيها الأميرتين فائقة وفتحية ، وكان فى صحبتهن السكرتيران فؤاد صادق ورياض غالى ، وطالت اقامتهم لمدة أربع سنوات ، وفجأة أملى المستشار الصحفى للديوان الملكى نبأ للمصحف بأن الملكة الأم تعتزم تزويج ابنتيها القاصرتين من السكرتيرين ، واستنكر الناس هذا النبأ لعدم التكافؤ الاجتماعى بين الأميرتين والشابين خاصة وأن أحد الشابين وهو رياض غالى مسيحى الديانة ولا يجوز طبقا للشريعة الاسلامية أن تتزوج مسلمة من مسيحى ، وطلب الملك عودتهم الى مصر ورفضت الأم ، فطلب الملك من مجلس البلاط برئاسة الأمير محمد على أن ينظر فى الأمر ، واجتمع مجلس البلاط وطلب من وزير العدل ـ عبد الفتاح الطويل ـ اجراء التحفظ على أموال الملكة الأم وبنتيها وتوقيع الحجر عليهن ، وفعلا تقرر تعيين ناظر الخاصة الملكية حارسا على أموال السيدات الثلاث كاجراء تحفظى ، وتحدت الملكة نازلى ابنها الملك فاروق فتزوج فؤاد صادق الأميرة فائقة وتزوج رياض غالى الأميرة فتحية ، واستفاضت الصحف فى تناول هذا الموضوع واعتبره الشعب المصرى قمة المأساة والتدهور للأسرة المالكة .

ـ الطلاق والزواج الملكى ..

عندما زاد استهتار الملك فى حياته الخاصة ، أثر ذلك على حياته الزوجية وتحدثت الدوائر الخاصة والعامة عن علاقة الملك باحدى الأميرات وعن مختلف صلاته الغرامية وانتشرت هذه الأخبار بين جماهير الشعب وبلغ التوتر أشده بين الملك والملكة ـ بعد أن انتشرت أخبار ارتياده الملاهى الليلية (٤٢١) وأندية القمار دون أى اعتبار لمنصبه أو مكانته محاطا بحاشيته ـ الفاسدة المفسدة ـ التى تخطط لسهراته ونزواته مثل : أنطون بوللى وكريم ثابت ، وفجأة أعلن القصر أن الملك طلق الملكة فريدة وأعاد لها اسمها الأول الحقيقى (صافيناز) وأن شاه ايران طلق الأميرة فوزية ـ أخت الملك فاروق .

حدث كل هذا ورئيس الوزراء ـ مصطفى النحاس ـ لا يتدخل فى أى أمر من هذه الأمور بل ولا يصل الى علمه ثمة خبر قبل اعلانه ، وتداولت الألسنة هذه الأوضاع بشعور كله المرارة والتقزز .

---

(٤٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

(٤٢١) « عشت حياتى بين هؤلاء » ـ للأستاذ محمد فرغلى باشا ـ ص ١٢٤ .

وبعد أن طلق الملك فاروق الملكة فريدة وأراد أن يتزوج ، أعجبته « ناريمان صادق » ـ عندما دعاه محل الجواهرجى « نجيب باشا » ليراها أثناء شرائها شبكة لها بمناسبة خطوبتها (٤٢٢) للأستاذ زكى هاشم الموظف بوزارة الخارجية ـ ودخل الملك فى مناقشة مع خطيبها ، وازاء ضغوط الملك السوقية واللاأخلاقية انسحب الخطيب ، وتم عقد قران الملك عليها ـ بهذا الأسلوب الغريب على الملوك ـ وذلك يوم ٦ مايو سنة ١٩٥١ ٠

ـ قمة الاستهتار الملكى ٠٠

فى صيف ١٩٥٠ سافر الملك فاروق الى أوربا متنكرا باسم « فؤاد باشا المصرى » ، وجعل مفره الرئيسى فى مدينة « دوفيل » بفرنسا ، وكان أكبر نوادى هذه المدينة مكان سمره ولعبه القمار ، وما لبثت غانيات باريس أن هرعن الى هناك ، كما دعيت الراقصة « سامية جمال » ـ المصرية ـ الى دوفيل لتمتع برقصاتها هذا المجتمع المصرى الفرنسى ، وأوفدت صحف العالم مراسليها الى هناك لموافاة قرائها بأنباء الملك الشرقى ومغامراته ، وأخذت الصحف فى أرجاء العالم تنشر الأخبار عن الملايين من الجنيهات المصرية والفرنكات الفرنسية التى تبدد هناك والتى يلعب بها الملك المصرى على موائد القمار بين الغوانى وفنيات الليل ، وأفاضت الصحف والمجلات الأوروبية عن مغامرات الملك النسائية للتشهير به وبمصر كما أسهبت فى الوصف الدقيق عن مغامراته النسائية فى مصر وعن خلافاته مع الملكة السابقة(٤٢٣) «فريدة» وعن أحداث محاولاته للزواج للمرة الثانية من « ناريمان » ، وركزت هذه الصحف والمجلات العالمية على أن الملك ـ بينما يبعثر الاموال على الغانيات وموائد القمار فى الخارج ـ فان أغلبية الشعب المصرى يطحنه الفقر والجهل والمرض ، وكانت تلك الأخبار التى تتداولها الصحافة العالمية عن الملك تصل الى مصر والى علم الشعب المصرى ، فيصاب الشعب بشعور المرارة والاشمئزاز والألم والخجل من هذا الملك الذى وضعته الأقدار ليكون ملكا ممثلا (٤٢٤) ورمزا للأمة المصرية ، وأثمرت هذه الدعاية الأجنبية ثمراتها حتى أن المصريين المصطافين والمقيمين فى أوروبا كانوا يخجلون من ذكر جنسيتهم المصرية لمن يسألهم عنها ، بل وقامت بعض مسارح باريس بتأليف وعرض تمثيليات فكاهية ـ تعريضا بالملك فاروق ومغامراته ـ يندى لها الجبين ٠

---

(٤٢٢) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٣٠١ ٠

(٤٢٣) مذكرات فرغلى باشا ـ ص ١٣٠ ٠

(٤٢٤) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ٠

الى جانب هذه الأخبـــار عن الملك ومغامراته وملذاته - واستكمالا لفضح سوء الأحوال الاجتماعية فى المجتمع المصرى - فقـــد تناولت هذه الصحافة العالمية كثيرا من التحقيقات التى كانت تجرى فى مصر عن الأسلحة والذخائر الفاسدة بصفقاتها وعمولاتها التى حصلت عليهـــا الحاشـية الملكية وكبار رجال الدولة ، وكان ذلك ترديدا ونقـــلا لما تناولته مجلة « روز اليوسف » - المصرية - من نشر وثائق هـذه الفضـائح وما أخذت تنشره عن النائب العام محمد محمود عزمى عن حقائق جوانب التحقيق الذى أجراه مع مجلة « روز اليوسف » ، بل ونشر أيضا بأنه يشتم منه أن للقصر الملكى علاقة بهذا الموضوع ٠

وبين عشية وضحاها ، أصبحت مصر كلها لا حديث بين أفراد شعبها على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم سوى عما تنشره صحف العالم عن ملك مصر وفساد الحكم فيها - وذلك رغم قيام الوزارة بمنع دخول هذه الصحف الى مصر بسبب سوء تصرفه ويطالبونه أن يتخذ خطوات تنقذ البلاد من الخطر - الحكومة للملك وضعفها المطلق أمامه وأمام حاشيته ٠

- عريضة أحزاب المعارضة الى الملك فاروق(٤٢٥)٠٠(أكتوبر ١٩٥٠)

قام زعماء أحزاب المعارضة فى مصر بارسال خطاب الى الملك - فور وصوله الى مصر عائدا من أوروبا فى أكتوبر ١٩٥٠ - ذكروا فيه خطورة الأوضاع وما تنحدر اليه الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر بسبب سوء تصرفه ويطالبونه أن يتخذ خطوات تنقذ البلاد من الخطر - ونصـــه (٤٢٦) :

يا صاحب الجلالة ٠٠

« ان البلاد لتذكر لكم أياما ســـعيدة كنتم فيهـــا الراعى الصالح والرشيد ، وكانت تحف بكم أمة تلاقت عند عرشكم آمالها ، والتفت حول شخصكم قلوبها ، فما واتتها فرصـــة الا دلت فيهـــا على عميق الولاء والوفاء ، وما العهد ببعيد - بحادث القصاصين وقد أنقذكم الله من المخاطر وهو أرحم الراحمين ٠ واليوم تجتاز البلاد مرحلة قد تكون من أدق مراحل تاريخها الحديث ، ومن أسف أنها كلما اتجهت الى العرش فى محنتها حيل بينه وبينها ، لا لسبب الا لأن الأقدار قد أفسحت مكانا فى الحاشـــية الملكية لأشخاص لايستحقون هذا الشرف ، فأساءوا النصح وأســـاءوا التصرف ، بل ان منهم من حامت حول تصرفاتهم ظلال كثيفة من الشكوك والشبهات هى الآن مدار التحقيق الجنائى الخاص بأسلحة جيشنا الباسل ،

(٤٢٥) « فى أعقاب ثورة ١٩١٩ » ، الجزء الثالث - ص ٣٢٥ ٠

(٤٢٦) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل - ص ٣٠٢ ٠

حتى ساد الاعتقاد بين الناس أن يد العدالة ستقصر حتما عن تناولهم بحكم مراكزهم ، كما ساد الاعتقاد من قبل أن الحكم لم يعد للدستور وأن النظام النيابى قد أضحى حبرا على ورق ، منذ أن عصفت العواصف بمجلس الشيوخ فصدرت مراسيم يونية ١٩٥٠ التى قضت على حرية الرأى فيه وزيفت تكوين مجلسنا الأعلى كما زيفت الانتخابات الأخيرة من قبل تكوين مجلس نوابنا ·ومن المحزن أنه قد ترددت على الألسن والأقلام داخل البلاد وخارجها أنباء هذه المساوىء وغيرها من الشائعات التى لاتتفق مع كرامة البلاد حتى أصبحت سمعة الحكم المصرى مضغة فى الأفواه ، وأمست صحافة العالم تصورنا فى صورة شعب مهين ، يسام الضيم فيسكت عليه بل ولا يتنبه اليه ، ويساق كما تساق الأنعام ، والله يعلم أن الصدور منطوية على غضب نغلى مراجله ، وما تمسكها الا بقية أمل يعتصم به الصابرون ·

·· يا صاحب الجلالة ··

لقد كان حقا على حكومتكم أن تصارحكم بهذه الحقائق ، ولكنها درجت فى أكثر من مناسبة على التملص من مسئوليتها الوزارية ، بدعوى التوجيهات الملكية ، وهو ما يخالف روح الدستور وصدق الشعور ، ولو أنها فطنت لأدركت أن الملك الدستورى يملك ولا يحكم ، كما انها توهمت أن فى رضاء الحاشية ضمانا لبقائها فى الحكم وسترا لما افتضح من تصرفاتها وما انغمست فيه من سيئاتها — وهى هى لاتزال أشد حرصا على البقاء فى الحكم وعلى مغانمها منه على نزاهته · ولهذا ، لم نر بدا من أن ننهض بهذا الواجب فنصارحكم بتلك الحقائق ابتغاء وجه الله والوطن ، لا ابتغاء حكم ولا سلطان ، وبرا بالقسم الذى أديناه أن نكون مخلصين للوطن والملك والدستور وقوانين البلاد ، وما الاخلاص لهذه الشعائر السامية الا اخلاص الأحرار الذى يوجب علينا التقدم بالنصيحة كلما اقتضاها الحال ·

·· يا صاحب الجلالة ··

ان احتمال الشعب مهما يطل فهو لابد منته الى حد ، واننا لنخشى أن تقوم فى البلاد فتنة لا تصيبن الذين ظلموا وحدهم ، بل تتعرض فيها البلاد الى افلاس مالى وسياسى وخلقى ، فتنتشر فيها المذاهب الهدامة ، بعد أن مهدت لها آفة استغلال الحكم أسوأ تمهيد · لهذا كله ، نرجو مخلصين أن تصحح الأوضاع الدستورية تصحيحا شاملا وعاجلا فترد الأمور الى نصابها ، وتعالج المساوىء التى نعانيها مصر على أساس وطيد من احترام الدستور ، وطهارة الحكم وسيادة القانون ، بعد استبعاد من

أساءوا الى البلاد وسمعتها ، ومن غضـــوا من قدر مصر وهيبتها ، وأشلوا فتيلا سحيقا في استكمال حريتها ووحدتها ونهضتها ، حتى بلغ بهم الفشل أن زلزلوا قواعد حكمها وأمنها ، وأهدروا فوق اهدار اقتصادها القومى فاستفحل الغلاء الى حد لم يسبق له مثيل وحرموا الفقير قوته اليومى . ولا ريب أنه ما من سبيل الى اطمئنان أمة لحاضرها ومستقبلها ، الا اذا اطمأنت لاستقامة حكمها ، فيسير الحاكمون جميعا في طريق الأمانة على اختلاف صورها ، متقين الوطن فى سرهم وعلنهم .

والله جلت قدرته هو الكفيل بأن يكلأ الوطن برعايتـــه ، فيســير شعب الوادى قدما الى غايته » .

توقيعات : « ابراهيم عبد الهادى ـ محمد حسين هيكل ـ مكرم عبيد ـ حافظ رمضان ـ عبد السلام الشاذلى ـ طه السباعى ـ مصطفى مرعى ـ عبد الرحمن الرافعى ـ دسوقى أباظة ـ أحمد عبد الغفار ـ على عبد الرازق ـ رشوان محفوظ ـ حامد محمود ـ نجيب اسكندر ـ زكى ميخائيل بشارة ـ السيد سليم » .

ومنعت وزارة النحاس نشر هذا الخطاب بل وصادرت الصحف التى نشرته ، واتهم النحـاس باشـا الموقعين على هذا الخطاب بأنهم مجرمون وهددهم بأنه لن يسكت عن هذا الاجرام السافر ، كما منعت الوزارة تداول النسخ التى كانت تطبع منه بل وأمرت بالقبض على موزعيها .

وأثار هذا الخطاب غضب الملك ، وتجنب الملك والحكومة اتخاذ أى اجراء ضد موقعى الخطاب حتى لا تنتشر المعلومات واقتصر الأمر على تهديد الحكومة لهم واعلان غضب الملك ، لأنه اذا قامت الحكومة بتقديم الموقعين على الخطاب للمحاكمة وبرأتهم المحكمة كانت المصيبة أكبر لأن تبرئة القضاء لهم تعتبر لطمة للحكم القائم كله بما فيه الملك .

ـــ حول العريضـــة ..

من المؤكد أنه دار فى رأس الملك ـ فور قراءته لهذه العريضـه ـ انها بالمقام الأول تناولته بأسلوب ملتو وتناولت تجاوزاته كما أنه قطعا سأل نفسه : « أين كان معظم هؤلاء الموقعين عليها ؟ عندما كانوا فى الحكم أو أعضاء فى البرلمان نوابا أو شيوخا أو رجال ديوان الملك نفسه أو زعماء مخالفات دستورية وسلوكيـة أثناء ممارستهم عملهم العام ؟ .. لماذا أحزاب كانت متكالبة على الولاء للوصول الى الحكم .. أين كانوا ازاء ما ذكروه من أغمضوا عيونهم وسدوا آذانهم عن تدخلات السفارة البريطانية وتجاوزاتها ؟ » .

فقد كانت هذه العريضة بمثابة وثيقة ادانة لمعظمهـــم لاشتراكهم بشكل أو بآخر فى شكل من أشكال السلطة والتى عاصرت هذا الفســاد والتجاوز ما عدا قلة قليلة من هذه الشخصيات لها جـلالها واحترامها لمواقفهم الوطنية الممتازة وترفعهم عن السعى وراء المراكز أو المناصب ٠

ـــ الساحة السياسية المصرية فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ ٠٠

قبيل اعلان النحاس رئيس الوزراء الغـــاء معاهدة ١٩٣٦ ، كانت الساحة المصرية منذ تأليف وزارته فى ١٢ يناير ١٩٥٠ ـ وبالتحديد منذ مارس ١٩٥٠ ـ خالية من أى اشارة أو تنويه حول المفاوضات التى وعد النحاس باشا منذ خطاب العرش أنه سيجريها مع الجانب البريطـــانى لتحقيق الجلاء الكامل ، أما **الأحزاب المعارضــة** فكانت متكتلة ومتنمرة لوزارة النحاس ولحزب الوفد ومتفـرجة على تصرفات الوزارة ومنتفـدة لحـكمها المطلق المتسـلح بسـكوت القصر والذى اعتبرته الوزارة علامة الرضــــاء ٠

فى نفس الوقت كان **القصر** ـ منذ آخر سبتمبر ١٩٥١ ـ يعد العدة لاقالة الوزارة تنفيسا (٤٢٧) عن عدائه الدفين للنحاس وحزب الوفد منذ حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ومنتهزا فرصة توقف المفاوضـــات بين النحاس والانجليز ومتخـذا كذلك من الاستياء الشعبى العـام من سـوء الأحوال المعيشية نتيجة تلاعب المسئولين فى أقواته مما تسبب عنـه الغلاء ، وفى نفس الوقت وجد القصر أن الوقت ملائم لاجماع جميع الأحزاب السياسية المعارضة على التحفز للانقضـــاض على الوفد والوزارة بدليل حملتها على الوزارة فى العريضة التى قدمتها منذ فترة قريبة الى الملك ـ رغم ما فيها من تنويه وتلميح لمساوىء الملك نفسه ـ ، أما **الشعب المصرى** فقد كان مضطرا الى اتخاذ موقف المتفرج الذى لايخلو من السخط والتأييد فى نفس الوقت لحزب الوفد على اعتباره أحسن السيئين وليس فى الساحة غيره ـ ولو أنه بدأ يكفر بالجميع وبالقصر وحتى البرلمان الذى أصبح لا يعبر الا عن مصالح الطبقة الجديدة التى سيطرت على حزب الوفد وزعامتـــه وأصبح السند الرئيسى للوفد وزعامته ووزرائه فى سبيل الحكم المطلق المكروه من الشعب منذ ما قبل ثورة عرابى ٠

أما **الانجليز** ، فكانت خبرتهـــم توحى اليهم أن الأمور كانت فى صالحهم ، والنحاس بالأغلبية البرلمانية وميوله الديكتاتورية أصبح متحكما فى أمور مصر محققا هدوء الساحة وفى نفس الوقت كان غير قادر على معاندة

---

(٤٢٧) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٣٠٤ ٠

الانجليز لانه لم يتمكن من تحقيق أى مكاسب للشعب من المفاوضات ومتكالبا على الحكم والوزارة وأنه اذا أبدى أى معاندة للانجليز فسيكون ذلك سببا لابعاده عن الحكم واقالة حكومته مادام لم يحقق للشعب أى مكاسب يمكنه بها تحريك هذا الشعب ضد الانجليز بالاضافة الى اقتناع الانجليز بأن المصالح المشتركة بين النحاس والقصر تؤكد للانجليز أن القصر والنحاس ـ بحزبه وبرلمانه ـ كلهم ليسوا محل تهديد لاستقرار الأحوال للوجود الانجليزى بمصر فى جميع أشكاله ، ولكن خاب ظن الانجليز وأسقط فى يد الملك الذى كان ينوى ويخطط لاقالة وزارة النحاس والتخلص منه بأن جاء النحاس ـ وفجأة وبعد تقديره للموقف ـ وتصرف بعقلية المحاصر فى ركن واحد ليس أمامه للخروج منه الا الخربشة ونهش وعض سجانه ٠

أما المؤسسة الوطنية ٠٠ المتمثلة فى التنظيم السرى للضباط الأحرار (الوطنيين) والمتجاوبة مع الحكومات الوطنية والقوى السياسية الجديدة خارج الساحة البرلمانية والحزبية ، فقد كانت مجمعة على الادانة الكاملة لجميع الأحزاب والاعداد للانقضاض على النظام السياسى والادارى والاجتماعى المصرى بأكمله ٠

ـ فشل المفاوضات مع الانجليز ٠٠

كان الوفد متلهفا على انهاء المفاوضات مع الانجليز (٤٢٨) بأى شكل وكانت المفاوضات قد استطالت قرابة تسعة عشر شهرا ، ورغم أن المفاوض الوفدى كان قد انزلق ـ فى مجال هذه اللهفة على نجاح المفاوضات ـ الى التساهل فى مسائل جوهرية لايصح التسليم فيها وهى :

(أ) قبول التحالف العسكرى بين مصر وبريطانيا ٠

(ب) قبول الدفاع المشترك فى وقت الحرب ٠

(جـ) عودة القوات البريطانية فى وقت الحرب الى منطقة القنال والى أى جهة من أرض مصر ٠

وكل هذه التساهلات لم تكن بهذه الصورة السيئة فى اتفاقية « صدقى ـ بيفين » ـ التى سبق أن عارضها الوفد ، وظهر أن الجانب البريطانى أصبح أكثر تشددا وأنه تراجع عما كان قد قبله فى مشروع معاهدة « صدقى ـ بيفين » ، وفى النهاية لم يجد المفاوض الوفدى مفرا من

(٤٢٨) « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » للأستاذ الرافعى ـ ص ٢٨ ٠

رفض التشدد البريطانى بأن يقطع على المفاوض الانجليزى خط الرجعة وينقذ سمعته الشعبية ووعوده فى خطاب العرش بالحصول على الاستقلال بالتفاوض ، ولم يجد الوفد وسيلة تنقذه من هذا الموقف الحرج والصعب الا باعلان الغاء معاهدة ١٩٣٦ (٤٢٩) ٠

ـ الغاء معاهدة ١٩٣٦ ٠٠ ومذكرة الدول الأربع ٠٠

فى خطاب ألقاه مصطفى النحاس بمجلس النواب يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، أعلن الغاء معاهدة ١٩٣٦ (من جانب واحد) وقدم على أثر ذلك التشريعات التى اقتضاها الالغاء ومنها تعديل الدستور بجعل لقب الملك « ملك مصر والسودان » بدلا من « ملك مصر » فقط ، وأحال المجلس التشريعات الى لجانه المختصة وأجل نظرها أسبوعا واحدا وقبل نهاية الأسبوع قدمت الدول الأربع انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وتركيا مذكرة الى الحكومة المصرية بانشاء قيادة الشرق الأوسط ـ وفى مضمون هذه المذكرة أن انشاء هذه القيادة هو البديل عن معاهدة ١٩٣٦ ـ ، ورفضت الحكومة المصرية هذه المذكرة ، كما تجاهلت الحكومة المصرية ما أعلنته انجلترا من تمسكها بمعاهدة ٣٦ ـ بحجة أن الغاء هذه المعاهدة لايجوز دوليا أن يكون من جانب واحد وأن انجلترا ستقابل القوة بالقوة اذا اقتضى الأمر لبقاء قواتها فى منطقة قناة السويس ٠٠

وقد أقر البرلمان المصرى الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليو ١٨٩٩ بشأن ادارة السودان ٠

ـ تأييد المعارضة ٠٠ وخلو الساحة المصرية من أى معالم للاستعداد ٠٠

أعلن النحاس باشا ـ بعد خطبة اعلانه الغاء المعاهدة ـ فى خطبة تالية فى جماهير الشعب المؤيدة لقرار الالغاء كاستئناف للجهاد اللازم ـ أن : « الحكومة المصرية قد أعدت لكل الاحتمالات ونظمت خطواتها لجعل الغاء المعاهدة فعليا وأنها ستعلن عن كل خطوة تخطوها فى حينها القريب » ، وأيدت الأحزاب المعارضة كلها هذا الالغاء ـ واحتفظت برأيها فى الاجراءات التى تتخذها الحكومة لجعله فعالا حتى تقف عليها ٠

واكتفت الحكومة بأن أمرت عشرات الألوف من العمال الذين يعملون فى المعسكرات البريطانية أن يتركوا أعمالهم والى التجار والمقاولين ومن اليهم ممن يتعاملون مع الجيش البريطانى بمنطقة القناة ـ (وكانت كل

(٤٢٩) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ـ ص ٣٠٨

هذه القطاعات الشعبية قد بادرت من تلقاء نفسها وبما يمليه عليها الواجب الوطنى بمقاطعة التعامل مع الجيش البريطانى بمنطقة القنال فور اعلان الغاء معاهدة ٣٦) ثم شرعت الحكومة فى فرض عقوبات ضد الذين يخالفون ما أمرت به ، وغادرت الألوف من العمال المصريين منطقة القناة بحثا عن جهات عمل أخرى تكون الحكومة قد أعدتها لهم من قبل ، ولكنهم فوجئوا بعدم وجود أى ترتيب أو تنظيم ادارى يمتص هذا الطوفان من العمالة التى أصبحت عاطلة ، مما سبب ارباكا للحكومة ولعائلات هؤلاء العمال والموظفين، ولم تتخذ الحكومة أى اجراء الا تحت ضغط هذا الطوفان فأصدرت الأوامر الادارية التى اتسمت بالعشوائية بتشغيل عمال القنال فى الوزارات والمصالح دون أى نظام مما زاد فى ارباك الحكومة بحشد هؤلاء العمال فى أماكن لاتستوعبهم وتفجرت أزمة عمال القنال بعمالة زائدة لا عمل لها بل تواجدت مشكلة بطالة مزعجة ، هذا الى جانب أن الحكومة لم تكن قد أعدت عدتها لتنظيم عملية الجهاد والكفاح المسلح فى القنال بل تركت الشعب فى حيرة من أمره ، ولكن سرعان ما اتخذت بعض التنظيمات الدينية كالاخوان المسلمين والتنظيمات الشيوعية المبادرة بتنظيم صفوفها والتى التف حولها كثير من المواطنين الوطنيين متطوعين - وسرب الى صفوفهم كثير من المشبوهين والجواسيس وعملاء الانجليز - ، ولكن بعض عناصر الشباب من ضباط الجيش المصرى قاموا وعلى عاتقهم ومسئوليتهم ودون أى تنظيم أو توجيه من الدولة بقيادة معظم هذه التشكيلات الشعبية على علاتها - مما جعل لهذا الكفاح بعض الأثر - وتلفت كل هؤلاء حولهم يتلمسون وعود النحاس باشا الذى ادعى أنه أعد لكل شىء عدته ، فلم يجدوا فى الساحة لا اعدادا ولا عدة ولكن كان الفراغ وكانت الفوضى فكان الثمن الغالى من دماء الشهداء مقابل الاستهتار والمزايدات الحزبية ومهاتراتها البغيضة والرخيصة والتى كانت علامة سياسية مميزة لهذه الفترة من الزمن ٠

- المقاومة فى القنال ٠٠

وبموجب خطاب أرسله وزير خارجية مصر الى السفير البريطانى يعلنه فيه بالتشريعات البرلمانية الخاصة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ والتى تقضى بتوقف جميع أشكال المعونات وأوجه التعاون المصرى ٠٠

وبادر الشعب المصرى باتخاذ الاجراءات العشوائية للكفاح سلبيا وايجابيا :

- المقاومة السلبية ٠٠

- امتنع عمال ومستخدمو السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم وكذلك عمال الشحن والتفريغ ٠

فلما بادرت بريطانيا بتعزيز قواتها فى منطقة القنال بثلاث حاملات جنود وصلت الى ميناء بورسعيد تحمل أكثر من ثلاثة آلاف جندى بمعداتهم ومهماتهم ، توقف جميع عمال السكك الحديدية عن نقلهم وعن تشغيل القطارات حتى لايتم توزيعهم على المعسكرات التى كانت ممتدة على طول منطقة القنال ، كما توقف عمال الشحن والتفريغ بميناء بور سعيد عن العمل مما اضطر الانجليز الى استخدام آلاف العربات للقيام بمهمة نقل الجنود والمعدات والمهمات واضطربت أوضاعهم وتحمل الجانب البريطانى فى خلال أسبوع أكثر من مليونى جنيه ·

ـ أضرب العمال المصريون فى المعسكرات البريطانية وكذلك العمال المصريون الذين كانوا يعملون لدى المتعهدين والمقاولين ، فانسحبوا من أعمالهم مما أدى الى توقف العمل بالورش والمصانع والادارات المختلفة ، فكان لذلك صدى بعيد الأثر ـ فى داخل مصر وخارجها ـ وأثبت بالبرهان أن قاعدة القنال لم تعد صالحة لتأدية أعمالها وخدمة مصالح قوات الاحتلال بل وأصبحت قاعدة محفوفة بالمخاطر بين جماهير شعب لديها الاستعداد للكفاح والتضحية وممارسة المقاومة السلبية والايجابية ·

ـ أضرب المتعهدون والموردون والمقاولون عن تأدية أية أعمال أو خدمات للقوات الانجليزية فأصبحت هذه القوات فى حاجة الى الاستعانة بأضعاف أضعاف عددها ـ اما من بلادها أو من بلاد أخرى ـ لتأدية الأعمال الضرورية بعد أن توقف المصريون من المتعهدين والموردين والمقاولين والتجار والزراع وأصحاب الحرف وأرباب المهن تماما عن التعامل مع القوات البريطانية والرعايا البريطانيين فى كافة أنحاء القطر المصرى ·

ـ المقاومة الايجابية ··

ـ اعتمدت الحكومة المصرية مبلغا متواضعا وهو مائة ألف جنيه لتدريب الشبان ـ الذين تقدموا كمتطوعين ـ تدريبا عسكريا لتكون منهم كتائب فدائيين ، ولكن اتضح أن الحكومة لم تكن جادة واكتفت بتأليف لجنة لتنظيم هذه الكتائب ثم اكتفت هذه اللجنة أيضا بالطواف بعدة أماكن لتختار منها ما يصلح للتدريب ، ولم تقدم الحكومة أية معاونة جدية للكتائب الفدائية ولم تقم بتنظيم قيادات لهذه الكتائب كما لم تقم بالتخطيط أو تحديد المهام لها بل تركتهم وشأنهم مما ترتب عليه التخبط والعشوائية والارتجال فى أدائهم وبين صفوفهم ·

ـ كذلك وبدون أى تنظيم أو ترتيب من الحكومة ، قام كثير من القادة والضباط القدماء وبعض الضباط العاملين بخدمة الجيش بالتطوع

لتدريب كتائب التحرير التى انضم اليها كثير من الشباب متطوعين للكفاح ضد الانجليز فى منطقة القنال والذين قاموا بتشكيلها ذاتيا ، فتكونت هذه الكتائب فى القاهرة وفى المدن والقرى الواقعة فى منطقة القنال أو القريبة منها كما أنشئت مراكز أخرى للتدريب العسكرى فى بعض عواصـــم المديريات ٠

ــ وقد اشترك شباب الجامعات فى تشكيل كتائب منهم ونظموا صفوفهم تحت اشراف بعض ضباط الجيش وأســاتذة الجامعات وأقاموا الخيــام فى حــرم الجامعة كمعسكرات للتدريبات العسكرية على حرب العصابات ، وبعد اتمام تدريبهم كانوا يرحلون كجماعات الى منطقة القنال للمشاركة فى الجهاد ، وكان لكل هذه الكتائب والجماعات آثارها الايجابية فى تنظيم الكفــاح وبث روح التعـــاون والمشـــاركة فى نفوس جماهير المواطنين وقامت جماعة الاخوان المسلمين بنشاط فائق مما جعل المقاومة تكون مؤثرة بعض الشىء ٠

ــ ودب الذعـــر والفزع فى قلوب القوات الانجليزية المنتشرة على امتداد منطقة القنال من أعمال كتائب الفدائيين ، فأخذ الانجليز يبحثون عن أماكن تمركز الفدائيين ومعسكرات تدريبهم ، فقاموا بحملات تفتيشية بحثا عنهم وعن أسلحتهم مستخدمين العملاء والجواسيس والخونة ٠

ــ وأخذ المواطنون فى القاهرة وكافة أقاليم مصر يتبرعون ويجمعون الأموال لتزويد الكتائب بالأســلحة وامدادها بالمؤن والنفقــات ورعــاية شئون أسر المتطوعين ٠

ــ الا انه كان من نتيجة سلبيه الحكومة من عدم الاشراف على هذه الأعمال الوطنيـــة الجليلة ، أن حدثت بعض السلبيات داخل تنظيمات كتائب التحرير ، وبمضى الوقت أخذت هذه السلبيات فى التصاعد وتؤثر على كفاءة المقاومة ٠

ــ وهنا فقط ، استيقظت الحـــكومة من غفلة سلبياتهـــا ، ففى ٢٥ نوفمبر ١٩٥١ ــ أصدرت الحكومة بيانا أعلنت فيه توليها تدريب هذه الكـــــائب بمعرفتها وتحت اشرافها ، مع عـــدم السماح لأية هيئة أو فرد بجمع التبرعات ــ الا أنه ورغم هذا البيـــان لم تقم الحكومة بثمة تنظيم أو تشكيل بتكوين هيئة مسئولة ٠

ــ ومع كل ذلك ، ورغم سلبيات الحكومة المتعددة والتى تصل لدرجة السلبية ، فقد كان للفدائيين أعمال نشطة ايجابية واسعة المدى وبعيدة

الأثر فى القتال ضد الانجليز ، فعلى أيديهم تم الاستيلاء على كثير من أسلحة الجنود البريطانيين من داخل مخازنها كما قتل عدد كبير من الجنود الانجليز ونسفت كثير من المنشئات ومستودعات الذخيرة والبنزين والخطوط الحديدية وبعض القطارات والسيارات المحملة بالذخيرة والمهمات والأسلحة البريطانية كما قطعت وسائل الاتصال التلغرافية والتليفونية ونسفت — أيضا — مستودعات وخزانات مياه الشرب النقية كما هاجمت قوافل البريطانيين أثناء تحركاتهم وأطلقت عليهم النيران حيث سقط منهم قتلى كثيرون .

— مساهمة التنظيم السرى للضباط الأحرار (٤٣٠) ..

وقد ساهمت جماعات من التنظيم السرى للضباط الأحرار فى شن غارات — الى جانب غارات كتائب الفدائيين — على معسكرات ومخازن القاعدة البريطانية فى منطقة القنال من حين لآخر — بغرض اثبات عدم جدوى وفاعلية هذه القاعدة دون رضاء أو تعاون أهل البلاد الجاثمة على أرضها ، فقد قام بعض الشبان بقيادة جماعات فدائية للقيام بغارات — على شكل حرب عصابات — ضد المعسكريات البريطانية وعلى مخازنها بمختلف احتواءاتها وعلى أماكن تجمعهم الترفيهية فى النوادى والملاهى الليلية ، كما قام بعض هؤلاء الضباط الشبان — المنتمين للتنظيم السرى — بتدريب كثير من الشبان المتطوعين على العمل الفدائى وأمدوهم بالأسلحة وأعدوا لهم الخطط لشن الغارات ، كما زودوا كتائب الفدائيين — وخاصة من المنتمين لجماعة الاخوان المسلمين — بكميات هائلة من الأسلحة والذخائر لاستخدامها فى عملياتهم ، وكانت هذه الأسلحة والذخائر قد أمكن تهريبها من مخازن الجيش المصرى .

كما أعدت رئاسة التنظيم السرى للضباط الأحرار لغما ضخما أطلق عليه اسم « التيتل » ، لاستخدامه فى اغراق أية سفينة فى مجرى القناة لتعطيل الملاحة وقت اللزوم عند تفجيره — وكان قد قام باعداد هذا اللغم الضابط الكيميائى « صلاح هدايت » — ونقل هذا اللغم سرا الى مطار العريش على طائرتين من طائرات النقل الحربى المسماة « كوماندو » بعد انتهاء العمل اليومى للقوات الجوية المصرية ، أما شحنة المواد الناسفة للغم فقد نقلت عن طريق السكة الحديد لخطورة نقلها بالطائرة ، وساعد فى هذا النقل « فؤاد سراج الدين » — وزير الداخلية — بعد أن تم الاتصال به ،

---

(٤٣٠) مذكرات عبد اللطيف البغدادى — ص ٤٠ .

واحتفظ بهذا اللغم جاهزا لدى احدى خلايا التنظيم السرى للضباط الأحرار بوحدات سيناء ٠

كما تم تدريب كتائب الفدائيين ـ على يد الضباط الأحرار ـ على استخدام بعض الذخائر باعادة تصنيعها على شكل قنابل ، وأمدوهم بالآلات اللازمة التى تستعمل فى تحويل الذخيرة الى قنابل (٤٣١) ، وقد عثر الانجليز على بعض من هذه الذخائر والمعدات فى أحد أوكار كتائب الفدائيين فى منطقة القنال بالاسماعيلية ٠

ـ معارك الفدائيين :

١ ـ معركة الاسماعيلية الأولى ٠٠ (١٦ أكتوبر ١٩٥١)

فى هذا اليوم ، قامت مظاهرات سلمية فى مدينة الاسماعيلية ، فواجهتها القوات البريطانية بالعنف حيث قام الجنود الانجليز باطلاق النيران من سياراتهم المصفحة التى يستقلونها على المتظاهرين ، فوقع التصادم واستشهد سبعة وجرح ما يقرب من أربعين من المواطنين المصريين، وعلى أثر ذلك احتلت القوات البريطانية مدينة الاسماعيلية واستباحت لنفسها واقتحام مساكن المواطنين بدعوى التفتيش عن الفدائيين وأسلحتهم٠

٢ ـ معركة بورسعيد ٠٠ (١٦ أكتوبر ١٩٥١)

فى نفس اليوم ، قامت مظاهرات سلمية ـ أيضا ـ فى مدينة بورسعيد ، واعترضتها القوات البريطانية باطلاق النيران من مصفحاتها ، فقابل المواطنون هذا العدوان بمهاجمة مخازن البحرية البريطانية حيث أضرموا فيها النار محدثة انفجارات هائلة ، وتصدى لهم الانجليز باطلاق النيران ونتج عن ذلك سقوط خمسة قتلى وأصيب كثيرون من أهالى بورسعيد ٠

٣ ـ استمرار الأعمال الاستفزازية البريطانية ٠٠

وفى يوم ١٧ أكتوبر ١٩٥١ قامت قوة بريطانية بهجوم مفاجىء على موقع كوبرى الفردان ـ الذى كان فى حراسة قوة صغيرة من الجيش المصرى ـ وقتل جنديان مصريان وجرح خمسة ، واحتل البريطانيون موقع الكوبرى كما قاموا بالاستيلاء على جميع المعابر والمعديات على القناة واحتلالها لقطع المواصلات عن القوات المصرية فى سيناء ٠

---

(٤٣١) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ٩٦ ٠

٤ ـ معركة الاسماعيلية الثانية ⋅⋅ (١٧ نوفمبر ١٩٥١)

فى هذا اليوم ، قام الجنود البريطانيون ـ المحتلون لمدينة الاسماعيلية ـ باطلاق النيران على جنود بلوكات النظام المصريين وهم داخل ثكناتهم فأصيب اثنان بجراح خطيرة ، فقام زملاؤهما بالرد على الانجليز باطلاق النيران عليهم ، وعلى أثر ذلك وصل جانب كبير من القوات البريطانية بمصفحاتهم وحلقت طائراتهم فى سماء المدينة ـ للثأر ـ وأخذوا فى اطلاق النيران على ثكنة جنود البوليس المصريين وعلى الأهالى فى المدينة حيث سقط قتلى وجرحى كثيرون من المصريين ٠

وفى اليوم التالى ـ ١٨ نوفمبر ١٩٥١ ـ بدأ الانجليز باستفزاز الأهالى المدنيين ورجال البوليس بمدينة الاسماعيلية ، فتحصن الأهالى ورجال البوليس وراء سواتر حصينة من أكياس الرمل ، وعند الظهر قامت قوة بريطانية كبيرة باطلاق الرصاص على مواقع الأهالى ورجال البوليس الذين قاوموا هذا الهجوم حتى بلغ عدد الشهداء من المصريين ثلاثة عشر منهم ثمانية من رجال البوليس وخمسة من الأهالى المدنيين وكثير من الجرحى ، وتمكن الانجليز من السيطرة على الموقف واحتلوا مبنى « الاسعاف » القريب من ثكنة بلوكات نظام البوليس المصرى ـ لعدم التكافؤ عددا وعتادا ـ وشيعت مدينة الاسماعيلية جنازة الشهداء المصريين فى احتفال كبير ومهيب ٠

أزمة مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ⋅⋅

ـ **نادى ضباط الجيش** ـ بحى الزمالك ـ **له تاريخ** (٤٣٢) ، فقد كان منذ زمن بعيد سكنا خاصا منذ سنة ١٩٢٤ « للسير لى ستاك » ـ سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام ـ ، وكان « سفنكس باشا » هو آخر سردار شغله من القادة الانجليز ، حيث أخلى هذا السكن بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ وظل شاغرا لسنوات حتى أصدر الملك فاروق ـ بوصفه قائدا أعلى للجيش المصرى ـ أمرا ملكيا بجعل هذا المقر ناديا لضباط الجيش المصرى وذلك فى عام ١٩٣٨ ٠

---

(٤٣٢) مذكرات صلاح نصر ـ الجزء الاول ـ ص ٨١ ٠

وكان لهذا النادي ـ الذى كان الملك يهتم (٤٣٣) به غاية الاهتمام ـ مجلس ادارة ورئيس له ينتخبهم الضباط من بينهم ـ ولكنها كانت انتخابات شكلية ومظهرية فقط ـ لأن الأوامر كانت تصدر من القصر الملكى بأسماء الرئيس وأعضاء مجلس الادارة محددة ، فلا يناقشها أو يخالفها أحد عند اجراء الانتخابات لأنها أوامر القائد الأعلى للجيش التى لا يجوز مخالفتها أو مجرد مناقشتها ، فكانت هذه الانتخابات فى حقيقتها صورية اذ كان مجلس الادارة وأعضاؤه يتم تعيينهم وكانوا يسخرون امكانيات النادى لغير صالح القاعدة الكبيرة من الضباط الذين يتحملون ميزانيته من مجموع اشتراكاتهم التى تخصم من مرتباتهم الشهرية ، وكان مجلس الادارة ـ بطبيعة الحال ـ يخضع تماما لأوامر الملك ، وتقام الحفلات الساهرة فى المناسبات الملكية بالانفاق من ميزانية النادى .

ـ بداية الأزمة .. (١٩ أكتوبر ١٩٥١)

فى ١٩ أكتوبر ١٩٥١ ، قام البكباشى محمد رشاد مهنا (٤٣٤) ـ من سلاح المدفعية ـ برئاسة اجتماع لمجموعة من الضباط تمثل الأسلحة المختلفة للجيش فى ناديهم بالزمالك ، حيث فجر الأزمة التى تمر بها البلاد والأحداث الجسام التى تجرى فى منطقة القنال ، ليثبت وسط ضباط الجيش خاصة الشبان منهم وللرأى العام المصرى مدى سخط الجيش على تصرفات الملك وتبرم البلاد منه بأسلوب فيه كل معانى التحدى لسلطات القصر ومن معه من الحاشية العسكرية ـ ولكنه أسلوب قانونى وشرعى وليس عليه أى مأخذ .

كما تطرق الاجتماع للنظر فى الأوضاع الغير سليمة المتعلقة بالنادى ومحاولة اصلاحها والنظر فى تعديل اللائحة الداخلية للنادى ليكون رئيس وأعضاء مجلس الادارة كلهم بالانتخاب الفعلى .

ولما كانت الجمعية العمومية ـ بموجب اللائحة الداخلية ـ هى السلطة المختصة لاجراء أى تعديل فى اللائحة ، ويمكن الدعوة الى اجتماع الجمعية العمومية بشرط أن يتقدم عشرون عضوا على الأقل بطلب الى ادارة النادى موضحا أسباب الانعقاد ، فقام الحاضرون وكانوا أكثر من عشرين عضوا بالتوقيع على طلب الدعوة ـ كما أشار عليهم رشاد مهنا ـ ، ووصل

---

(٤٣٣) مذكرات د. محمد حسين هيكل ـ ص ٣١٥ .

(٤٣٤) مذكرات صلاح نصر ـ الجزء الأول ـ ص ٨٢ .

خبر ذلك الى الفريق /محمد حيدر باشا ـ وزير الحربية ـ الذى كان وقتها فى موقف حرج حيث تناولت اسمه تحقيقات أسلحة حرب فلسطين ، فقدم استقالته ولكن الملك لم يشأ أن يتخلى عنه وأعاده الى منصبه فى أواخر عام ١٩٥١ ٠

وأراد حيدر باشا أن ينشد الود والتأييد من ضباط الجيش ولا يتحدى مشاعرهم وبذلك يمتص غضبهم ليكتسب منهم شعبية تعيد اليه ثقة الملك به ، ولذلك فقد وافق على طلب دعوة الجمعية العمومية العادية بأن أصدر (٤٣٥) كتاب ادارة الجيش بدعوة الجمعية العمومية لنادى ضباط الجيش للاجتماع فى الساعة الخامسة من مساء يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥١ بقاعة السينما الصيفى بقشلاق العباسية ٠

ـ عودة الى الأعمال الاستفزازية البريطانية فى منطقة القنال ٠٠٠

فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ ، احتلت القوات البريطانية جمرك السويس وأقاموا نقطا قوية للتحكم فى الدخول والخروج من والى منطقة القنال ، وبذلك تم عزلها عن باقى القطر وفرض التفتيش على جميع المصريين الداخلين والخارجين من والى منطقة القنال واستباح الانجليز لأنفسهم تفتيش القرى والعزب والمساكن بأسلوب استفزازى بحثا عن الفدائيين والأسلحة وشمل التفتيش رجال القضاء ، ثم منع الانجليز تسيير القطارات فى منطقة القنال وتعطلت الاجراءات الصحية مما أدى الى تفشى الأمراض ، كما منعوا جنود خفر السواحل وجنود سلاح الحدود من أداء مهامهم فى حراسة الشواطىء ، كما نهبوا ما استطاعوا نهبه من مواد التموين الخاصة بالأهالى ، كما تمادى الانجليز فى التعسف فهددوا بمنع وصول المواد البترولية من السويس الى بقية مدن القطر المصرى ٠

وفى ١٩ نوفمبر ١٩٥١ ، تم اتفاق بين « أرسكين » (٤٣٦) ـ القائد العام البريطانى فى منطقة القنال ـ وبين محافظ القنال « غزالى » ، بأن يتولى الانجليز المحافظة على الأمن فى مدينة الاسماعيلية وبصفة خاصة فى الحى الأفرنجى الى أن يتم اجلاء العائلات البريطانية من المدينة وبعد ذلك يتولى البوليس المصرى المحافظة على الأمن فيها ، وبالفعل أخذت أفواج العائلات البريطانية تجلو عن مدينة الاسماعيلية ومدن القناة عائدة الى بريطانيا حيث بلغ عددها زهاء ألف أسرة ٠

---

(٤٣٥) مذكرات « محمد عبد الفتاح أبو الفضل » ـ ص ٨٨ ٠

(٤٣٦) الاستاذ طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ، ص ٤٩٧ ٠

وفى ٣ ديسمبر ١٩٥١ وقع صـدام كبير بين عـدد من جنـود بلوكات النظام (البوليس) المصريين ـ تعطلت سيارتهم عند مدخل مدينة السـويس ـ فأطلق الجنود البريطانيون عليهم النار من معسكر مقابل بالقرب من ورش السكة الحديد فرد عليهم رجال البوليس بالمثل ، ثم قامت قوات كبيرة من الانجليز واتجهت الى مدينة السويس وأطلقت النار عشوائيا على الأهالى ، فقابلهم رجال البوليس بالمدينة وكتائب الفدائيين بالرد عليهم وصد العدوان حيث استشهد فى هذا الصدام ٢٨ من المصريين منهم ٧ من رجال البوليس وبلـغ عدد الجرحى ٧٠ منهم ٣٢ من رجال البوليس ٠

وفى اليوم التالى ـ ٤ ديسمبر ١٩٥١ ـ تجدد القتال فى السويس أثنـاء تشييع جنازة شـهداء اليوم السابق ، حيث نشب قتال عنيف بين الجانب المصرى وكان معهم رجال البوليس وأسفرت هذه المعركة عن سقوط ١٥ شهيدا مصريا بينهم سيدة واثنان من رجال البوليس بينما جرح ٢٩ منهم ٦ من رجال البوليس ٠

وفى يـوم ١٧ ديسمبر ١٩٥١ ، قامت سيارة بريطـانية مصفحة باطلاق نيران مدافعها على مبنى محافظة الاسماعيلية فتهدم جزء من سور مبنى المحافظة ، فقامت قوات البوليس المصرى بالرد عليها بالنيران من بنادقها وكانت نتيجة هذا الاشتباك استشهاد جنديين مصريين ، كما كان هذا الهجوم المفاجىء نقضا لاتفاق « أرسكين/غزالى » ٠

ـ بداية التحرك الشعبى ٠٠

فى يوم ٥ ديسمبر ١٩٥١ ـ كان عدد الشهداء قد وصل الى ١١٧ شهيدا وبلغ عدد الجرحى ٤٢٨ ـ فى منطقة القنال ـ وازاء تقاعس حكومة الوفد عن أى اعداد أو امداد للكفاح المسلح أو حتى للمقاومة السلبية ، فقد ثارت خـواطر جمـاهير الشعب فاندلعت المظـاهرات تطوف شوارع وميادين القاهرة والاسكندرية وبعض المدن الكبرى تهتف منادية بسقوط الاستعمار وتخلل ذلك هتافات عدائية لوزارة الوفد لتهاونها فى الاعداد للكفاح واندفع المتظاهرون بالقيام ببعض أعمال التخريب ، وازاء ذلك قررت الوزارة منع المظاهرات وعطلت الدراسة فى جميع الجامعات والمعاهد والمدارس فى القاهرة والاسكندرية والجيزة بدءا من اليوم التالى ٦ ديسمبر ١٩٥١ ٠

- مأساة قرية « كفر أحمد عبده » •• (٨ ديسمبر ١٩٥١) (٤٣٧)

كانت قرية « كفر أحمد عبده » - احدى ضواحى مدينة السويس - تقع فى المسافة بين معسكرات الجيش الانجليزى ووابور المياه الذى يزود هذه المعسكرات بالمياه ، واعتبر الانجليز أن هذا الوابور مجال تهديد من الفدائيين المصريين الذين يتمركزون فى الكفر الذى يتألف من ١٥٦ منزلا يقطنها نحو ألفى نسمة من الفلاحين الذين يعيشون على الزراعة •

وفى يوم ٥ ديسمبر طلب القائد البريطانى العام من محافظ السويس اخلاء كفر أحمد عبده من السكان تمهيدا لهدمه بالكامل فى يوم - ٧ ديسمبر - لتأمين وابور المياه ولمد طريق ممهد بينه وبين المعسكرات ، ورفضت وزارة الداخلية طلب القيادة البريطانية بل وأصدرت الوزارة أوامرها لقوات البوليس المصرى بحماية مساكن الكفر وفلاحيه ودفع أى اعتداء من جانب القوات البريطانية عنه ، ثم أعلنت القيادة البريطانية تصميمها على تنفيذ الهدم صباح السبت - ٨ ديسمبر - وأسرعت القوات البريطانية فحشدت ستة آلاف جندى تصحبهم ٢٥٠ دبابة و ٥٠٠ مصفحة وعدد من الطائرات الحربية وقامت هذه القوات بمحاصرة مدينة السويس ليلا ، واجتمع المحافظ المصرى بأصحاب الرأى فى المدينة ومعهم النائب الوفدى واتصلوا بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين لابلاغه بحجم القوات البريطانية وخطورة تصادم قوات البوليس المصرى بهم - لعدم التكافؤ عددا وعتادا - مما سيعرض الأهالى لمذبحة شنيعة ، وأصر وزير الداخلية على قراره وأمر بأن تقوم قوات البوليس بالتصدى ومنع اقتحام الجيش الانجليزى للكفر بالقوة ، ولكن أعيان المدينة لم ينفذوا أوامر وزير الداخلية وأمروا أهالى كفر أحمد عبده باخلاء منازلهم ليلا حتى لا تبيدهم نيران المدافع والدبابات بعد انتهاء ميعاد الانذار ، وفعلا هاجرت حوالى ثلاثمائة أسرة على استعجال حاملين ما استطاعوا حمله من أمتعتهم الشخصية تاركين معظم مقتنياتهم وأثاث بيوتهم لما أصابهم من فزع واضطراب •

وفى الساعة العاشرة مساء تقدمت القوات الانجليزية وحاصرت كفر أحمد عبده وقامت بقطع وسائل الاتصالات التليفونية والتلغرافية بين السويس وباقى القطر وأغلقت جميع طرق المواصلات فعزلت المدينة عزلا تامـا •

---

(٤٣٧) نفس المصدر السابق ، ص ٤٩٨ •

وفى صباح يوم السبت ٨ ديسمبر ، زحفت القوات الانجليزية (ستة آلاف جندى) على الكفر وأطبقوا عليه بدباباتهم ومدافعهم ومصفحاتهم وعززت هذه القوات بأربعة آلاف جندى آخرين واحتلت قوات المظلات أسطح المنازل واستخدمت الطائرات ، وزحفت قوات الهدم البريطانية ونسفت كفر أحمد عبده ودكته دكا وأشعلوا النيران فيما تبقى من أثاث وأمتعة وأنقاض حتى أزالوا الكفر من الوجود بهذه الوسيلة اللاانسانية فصار خرائب وأطلالا ٠

وفى هذه الأثناء وفى بداية زحف القوات البريطانية على الكفر ـ وقبل أن يتم قطع وسائل الاتصالات ـ اتصل المحافظ بالوزارة يبلغها استحالة تصدى قوات البوليس المصرى الهزيلة والتى لا يزيد عددها عن أربعمائة جندى بضباطهم لكل هذه القوات الانجليزية المتفوقة عددا واستعدادا وعتادا ، ولكن وزير الداخلية ـ فؤاد سراج الدين ـ يأمر بأن تقوم قوات البوليس المصرى بتنفيذ قرار الوزارة بمقابلة القوة بالقوة والمقاومة حتى النهاية ، ولكن المحافظ والأهالى لم يذعنوا لأمر وزير الداخلية ولم ينفذوه حتى لا تحدث مذبحة بشرية ٠

ـ استمرار المقاومة فى مدن القنال ...

ـ فى ٣١ ديسمبر ١٩٥١ ، فى الاسماعيلية بالقرب من كوبرى نفيشة ، ألقى بعض الفدائيين ثلاث قنابل يدوية على عربة البريجادير جنرال « اكسهام » قائد القوات البريطانية فى منطقة الاسماعيلية ولكن لم يصب القائد وأصيب سائقه ٠

ـ فى ٣ و ٤ ينـاير ١٩٥٢ ، وقعت اشتباكات فى السويس بين البريطانيين والمصريين من البوليس والفدائيين وأسفرت هذه الاشتباكات عن سقوط ستة شهداء من المصريين ٠

ـ فى ٤ ينـاير ١٩٥٢ ، حدثت اشتباكات بين الفدائيين المصريين والانجليز فى أبى صوير واستشهد فيها ثلاثة فدائيين ٠

ـ فى ٩ يناير ١٩٥٢ ، حدث اشتباك بين المحسمة وأبى صوير قتل فيه ضابط انجليزى (٤٣٨) ٠

---

(٤٣٨) نفس المصدر السابق ، ص ٤٩٩ ٠

ـ فى ١٢ يناير ١٩٥٢ ، هاجم الانجليز بلدة التل الكبير بحجة أن بها عـــدد من الفدائيين وقاوم رجال البوليس والفدائيون حيث أسفرت الاشتباكات عن مصرع عدد من الانجليز واستشهاد سبعة من المصريين ٠

ـ فى ١٣ يناير ١٩٥٢ ، عاود الانجليز الهجوم على التل الكبير وكفر حمادة وأبو حماد وقتلوا من وجدوهم من الرجال والنســـاء والأطفـال ـ واستشهد سبعة من المصريين ـ وفى نفس اليوم حدث اشـــتباك فى السويس قتل فيه ثلاثة من الانجليز ٠

ـ فى ١٦ يناير ١٩٥٢ ، احتل الانجليز بلدة التل الكبير ـ بعد أن هجرها أهلها ـ وقاموا بأسر حوالى ٣٠٠ جندى بوليس وضباطهم فى قسم البوليس ، ثم احتل الانجليز معظم القرى حول التل الكبير ٠

ـ فى نفس اليـوم ـ ١٦ يناير ، فى الاسماعيلية احتلت القوات البريطانية المنازل الواقعة على النواصى المتحكمة فى الشوارع الرئيسية للمدينة ، وقامت السلطات البريطانية باعتقال نحو ٦٠ من شباب المدينة ، كما قامت قوة انجليزية باحتلال مخفر بوليس محمد على كما حاصروا دار المحكمة والنيابة ٠

ـ وفى يومى ٢١ و ٢٢ يناير ١٩٥٢ ، قام الانجليز باعتقال المئات من الأهالى وحاصروا منطقة المقابر بحثاً عن الفدائيين ومخازن أسلحتهم وذخيرتهم ٠

ـ تجدد المظاهرات الشعبية ٠٠

فى خضم هذه الحوادث والأحداث ، كان يوم ١٦ يناير ١٩٥٢ يوما مشهودا ، اذ اندلعت المظاهرات الصاخبة التى عمت القاهرة والاسكندرية ومعظم مديريات مصر ، حيث تعالت الهتافات صـــارخة تندد بالاستعمار البريطانى كما تخللتها هتافات عدائية للملك فاروق والحكومة ، وتطورت الأمور الى حد أن حدثت اضطرابات حيث قام المتظاهرون بالاعتداء بالحجارة على بعض مركبات الترام والسيارات فى الشوارع والميادين واشعال النيران فيهـــا ٠

ـ الأحداث الدامية فى مدينة الاسماعيلية ٠٠ (٢٥ يناير ١٩٥٢) (٤٣٩)

فى ليلة ٢٥ يناير ١٩٥٢ ، قامت قوات بريطانية ضخمة قوامها سبعة آلاف جندى مسلحون بالدبابات والمصفحات والمدافع بمحاصرة مبنى محافظة

(٤٣٩) نفس المصدر السابق ، ص ٥٣٠ ٠

الاسماعيلية وثكنات بلوكات نظام البوليس المصرى والذى كان لا يتجاوز عددهم ٨٨٠ جنديا بضباطهم فقط ٠

وفى صباح يوم ٢٥ يناير ، قدم الانجليز الى المحافظ انذارا يطالبونه فيه بتسليم أسلحة جميع قوات البوليس الموجودين بالاسماعيلية وجلاء هذه القوات عن مبنى المحافظة وعن الثكنات مجردة من أسلحتها قبل الساعة السادسة والربع صباحا ، وأبلغ المحافظ هذا الانذار الى وزير الداخلية فؤاد سراج الدين الذى طلب منهم عدم التسليم ومقاومة أى اعتداء بريطانى والصمود فى الدفاع حتى آخر طلقة رصاص ، وعلى أثر ابلاغ القائد البريطانى برد وزير الداخلية اذا بالقائد البريطانى ينذر المصريين بأن قواته ستهدم مبنى المحافظة والثكنات على من فيها ٠

وعلى أثر ذلك ، أخذ البريطانيون يضربون مبنى المحافظة والثكنات بنيران المدافع والدبابات وطلقات الرصـــاص فرد عليهم جنود البوليس المصرى بنيران أسلحتهم الصغيرة التى لا تتعدى طلقات الرصاص فقط من بنادقهم ، واستمات جنود البوليس المصرى فى الدفاع عن مبنى المحافظة وثكناتهم ودفاعا عن شرفهم وشرف بلادهم ، واستمرت المعركة الرهيبة زهاء ساعتين وانتهت ــ بطبيعة الأحوال ــ بمذبحة بشرية بعد أن اقتحمت الدبابات والمصفحات البريطانية الثكنات وتهدم جزء كبير من مبنى المحافظة وفرغت الذخيرة من الجنود المصريين ، فاقتحم الانجليز مبنى المحافظة ، وسقط فى هذه المعركة ــ الغير متكافئة عددا واستعدادا وعتادا ــ ما يزيد على الخمسين شهيدا من رجال البوليس المصرى وقام الانجليز بأسر من بقى منهم على قيد الحياة وتم تدمير مبنى محافظة الاسماعيلية وثكنات بلوكات نظام البوليس المصرى بالكامل ٠



حريق القاهرة ٠٠ (٢٦ يناير ١٩٥٢)

فى مساء يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ ، استمع الشعب المصرى ــ عن طريق الاذاعة ــ الى تفاصيل المجزرة الوحشية التى ارتكبتها القوات البريطانية ضد مدينة الاسماعيلية ــ ، فعم السخط الشعبى جميع أنحاء مصر ، وكان الشعب المصرى يتوقع ردا من الحكومة المصرية على هذا العدوان الغاشم ، ولكن الحكومة اكتفت باذاعة المأساة دون أن تقدم حلا أو اجراء أو رد فعل يهدىء من نار السخط الشعبى ــ رغم أن هذه المأساة كانت نتيجة وبسبب اهمال الحكومة وتهاونها ــ ، وبات شعب مصر وشبابهـا وزملاء شهداء

البوليس فى القاهرة يجترون أحزانهم وآلامهم فى انتظار الثأر ولم يكن فى امكانهم سوى التجمع فى مظاهرات يعبرون وينفسون بها عن مدى سخطهم من العملية برمتها وبخاصة من الأوامر العشوائية بالصمود دون توفير أى عوامل لهذا الصمود ٠

ورغم أن جميع الشواهد كانت تنبىء بأن أحداثا جساما سوف تحدث فى القاهرة ـ العاصمة ـ بالذات فى اليوم التالى لمذبحة الاسماعيلية ، الا أن الحكومة كانت وكأنها تغط فى نوم عميق فلم تتخذ أية احتياطات للحفاظ على الأمن ، وليس أدل على ذلك من أنه فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ـ صبيحة السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ ـ هبطت أرض المطار أربع طائرات تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية وعلى متنها عدد كبير من الركاب معظمهم من الأجانب ، فتجمهر حولها عدد كبير من عمال وموظفى وجنود حراسة المطار وكلهم مصريون كانت تتملكهم روح السخط والاحتجاج من أحداث الاسماعيلية ، وتوقفوا عن تزويد هذه الطائرات بالوقود أو خدمتها بل حاول بعض هؤلاء العمال والموظفين والجنود اضرام النار فى هذه الطائرات ، وأبلغت وزارة الداخلية فحضر ضابط كبير أقنع المتذمرين بالتراجع عن محاولتهم ٠

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، تمرد جنود بلوكات نظام بوليس الأقاليم فى ثكناتهم بالدراسة وخرجوا بأسلحتهم (بنادق) فى مظاهرة شبه عسكرية ـ احتجاجا على ما أصاب زملاءهم فى مدينة الاسماعيلية ـ وتوجهوا الى الأزهر ثم الى ميدان العتبة الخضراء ومنها الى ميدان الاسماعيلية (التحرير) ثم الى الجيزة حيث وصلوا الى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) ، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحا فانضم اليهم طلبة الجامعة وسار الجميع فى مظاهرة صاخبة متجهين الى العاصمة ـ القاهرة ـ يطوفون بشوارعها الرئيسية صائحين بهتافات السخط والتذمر حتى تلاقت هذه المظاهرة فى ميدان عابدين بالعديد من المظاهرات الشعبية الأخرى العارمة الساخطة ، وفوجىء المتظاهرون بميدان عابدين محاصرا بعربات الجيش التى سدت جميع المنافذ المؤدية الى قصر عابدين حيث كان جميع ضباط الجيش مدعوين الى وليمة بالقصر احتفالا بميلاد ولى العهد (الأمير أحمد فؤاد الثانى) ، فعادت هذه المظاهرات الضخمة واتجهت نحو رئاسة مجلس الوزراء حيث كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف ظهرا حيث تجمعت أمام مقر رئاسة مجلس الوزراء ولما زادت وتعالت الهتافات ، أطل عليهم من شرفة الرئاسة عبد الفتاح حسن باشا ـ وزير الشئون الاجتماعية ـ وألقى فيهم خطبة حماسية لم تشف غليلهم بل زادتهم غليانا ـ كل ذلك ولم يظهر لقوات البوليس أى أثر اذ اتضح أنهم اندمجوا وسط المظاهرات ـ واتجهت جموع المتظاهرين

الى قلب القاهرة تهتف منادية بحمل السلاح والسفر الى منطقة القنال لمحاربة الانجليز ، وعند وصول حشود المتظاهرين الى ميدان ابراهيم باشا (الأوبرا) ـ بدأوا فى أعمال العنف بالهجوم على ملهى (كازينو الأوبرا) وأشعلوا فيه النيران وعندما حضر رجال المطافىء لاخماد الحريق منعهم المتظاهرون والأهالى وأتلفوا خراطيم المياه وتعددت الحرائق التى امتدت الى مختلف المحال التجارية فى هذا الميدان وفى الشوارع الرئيسية المتفرعة منة وفى جوانب أخرى متعددة من المدينة وسرت عدوى اشعال الحرائق بين جموع المتظاهرين فأخذوا يستخدمون البترول والبنزين من محطات وقود وخدمة السيارات فى اشعال الحرائق فى كل ما يقابلهم من محلات تجارية وبنوك وشركات وتخللت هذه الهوجة موجة سلب ونهب شملت معظم المحلات التجارية والبنوك المحترقة ٠

واستمرت الأحوال على هذا المنوال ، والوزارة (٤٤٠) لم تحرك ساكنا ولم تأبه لما يجرى أو تعره أى اهتمام ، فقد كان وزير الداخلية ـ فؤاد سراج الدين الذى يصدر أوامر القتال الغير متكافىء ـ مشغولا أثناء ذلك بشراء عمارة (٤٤١) ضخمة من شخص يدعى (عريضة) ويعمل على تسجيلها، فلم يكن هناك مسئول يصدر الأوامر للتصدى لهذه الأحداث التى شملت الحريق والتخريب والاتلاف والنهب والسلب ، ولما أسقط فى يده ـ كوزير داخلية ـ ذهب الى الملك يطلب معاونة الجيش حيث كان الفريق حيدر باشا مجتمعا مع الملك عقب انتهاء وليمة ضباط الجيش بقصر عابدين ، وقد أشار حيدر على الملك بعدم محاولة استخدام الجيش لايقاف هذه الأحداث العنيفة خاصة وأن جنود البوليس اندمجوا ضمن المتظاهرين ومشاركين فى هذه الأحداث وخوفا من انضمام قوات الجيش الى البوليس ومن جهة أخرى لعدم ضمان ولاء ضباط الجيش ٠

الا أنه لما توالت أحداث (٤٤١) الحرائق والنهب ، صدرت الأوامر الى الجيش فى ساعة متأخرة عند الغروب بالتحرك ، وسرعان ما أعاد الجيش الأمن والنظام الى القاهرة وضرب الفوضى بيد قوية ـ فبمجرد أن أحست العناصر المخربة بنزول الجيش الى الشوارع تفرقت هذه العناصر ولم تحاول الاصطدام بالجيش ، ولمس الضباط الشبان ـ المشحونين بالمرارة ـ مدى ما جره انحدار الحكم وفساده على البلاد من كوارث وويلات ، حيث دمر واحترق ما يزيد على سبعمائة محل تجارى وبنوك مملوك معظمها للأجانب الى جانب أن بلغ عدد القتلى ٢٦ من المصريين و ١٣ من الأجانب وأصيب ٥٥٢ فردا ٠

---

(٤٤٠) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ـ الجزء الأول ـ ص ٤٢ ـ ٤٣ ٠

(٤٤١) مذكرات د٠ محمد حسين هيكل ، ص ٣١٢ ٠

اعـــلان الأحكام العرفية

فى الساعة السابعة مساء يوم ٢٦ يناير (٤٤٢) ١٩٥٢ ، اجتمع مجلس الوزراء فى منزل النحاس باشا فى جاردن سيتى حيث تقرر اعلان الأحكام العرفية وصدر المرسوم الملكى بذلك ويقضى بوقف الدراســـة بالجامعات والمعاهد والمدارس من مساء ٢٦ يناير وتعيين مصطفى النحاس حاكما عسكريا ، وكان أول قرار يصدره النحاس هو تعيين عبد الفتاح حسن ـ وزير الشئون الاجتماعية ـ رقيبا عاما وتعيين مديرى المديريات حكاما عسكريين لمديرياتهم ومنع التجول فى القاهرة وضـواحيها وبندر الجيزة فيما بين الساعة السادسة مساء والسادسة صباح اليوم التالى ابتداء من مساء ٢٧ يناير ، وكان هذا هو آخر أعمال وزارة النحاس حيث أقالها الملك فى يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ ٠

ـ المسئولية ٠٠

بعد اقالة وزارة النحـــاس ، قام رجال البوليس باعتقـــال بعض المشتركين فى حوادث الحريق والتخريب وكانوا كلهم من الغوغاء والعناصر الرديئة من حثالة المجتمع وضبط لديهم كثير من الأشياء المنهوبة (٤٤٣) ، ولم يكن من بينهم أى شخص له ماض سياسى أو ميــول سياسية اللهم الا المقبوض عليهم على سبيل الاشتباه فقط ـ والحقيقة التى ظهرت لمن تابعوا هذه الحوادث من الكتاب والصحفيين والمؤرخين وشهود العيـان ، كلها أجمعت على أن « كان الغوغاء يشعلون النار جزافا فى المحال التجارية دون مبالاة أو اكتراث وكان اللهب يتصاعد الى عنان السماء دون أن يلاحظ أى مجهود ولو يسير من رجال البوليس وضباطه لمنع الحرائق ، وكانت الجماهير المحتشدة على الأرصفة متفرجة على النيران المشتعلة مبتهجة ومغتبطة وتنظر بعين الحقد والغضب الى رجال المطافىء وهم متوجهون بسياراتهم لاطفاء الحرائق ولم ينج رجال المطافىء من الغضب الشعبى الا ايماءات منهم بأنهم لن يعملوا على اخماد النيران وكانت هذه الايماءات تقابل من الجمهور بالهتاف والتصفيق وكان بعض المتظاهرين يقطعون خراطيم المياه ليمنعوا رجال المطافىء من أداء واجبهم ويدل كل ذلك على أن الحرائق انبعثت من النفوس المشــحونة بالمرارة ـ ومن ضـــمنهم رجال البوليس والمطافى من جميع المسئولين بالدولة ٠

ورغم عدم الوصول الى أدلة أو قرائن مؤكدة ضد أى فاعل أو مفتعل لهذه الحوادث ، فان من المؤكد بل وبالقطع فان الذى استفاد الفائدة الكبيرة

(٤٤٢ ، ٤٤٣) « مقدمات ثورة يوليو ١٩٥٢ » ـ للأستاذ الرافعى ـ ص ١٣٦ ـ ١٢٩ ٠

من هذا التخريب هو الجانب البريطانى ، لأنه عقب أحداث الحريق توقفت المقاومة الشعبية الوطنية تماما وتوقف الاعتداء على المنشئات العسكرية البريطانية وعلى البريطانيين فى منطقة القنال ، وقد ذكر أحد العملاء المزدوجين ـ الذى كان يعمل لدى الانجليز وفى نفس الوقت كان يعمل مع الروس ـ المدعو « أرسلان همبراتشى » (٤٤٦) ، أن مستشار السفارة الروسية بالقاهرة المدعو « كيكنييف » ـ وكان هو فى هذا الوقت يعمل معه فى الجهاز السرى الروسى« M.V.D. » أن « كيكتييف » هذا هو من أخطر المخربين وهو الذى قام باعداد الخطة للمخربين المصريين الذين قاموا بالأعمال التخريبية التى تمت يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ بمدينة القاهرة والتى انتهت بحريقها ، وقال (٤٤٧) ان حريق القاهرة لم يتم بتدبير من الشيوعيين وحدهم ٠

وجاء فى تحقيقات النيابة التى أجريت بعد حريق القاهرة ـ فى ظل وزارة على ماهر ـ أن أحد ضباط القسم المخصـــوص ـ وكان يعرف « أرسلان همبراتشى » معرفة جيدة شاهده يندس ويتجول داخل صفوف المتظاهرين والمخربين أثناء حريق القاهرة ، وكان وقتها موجودا بمصر تحت ستار مراسل صحفى ٠



ـ نهاية ثورة ١٩١٩ ٠٠

وبحريق القاهرة ، وما تمخض عنها من قمع للشعور الوطنى وتوقف للكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى ، تكون ثورة ١٩١٩ قد ختمت أعمالها الوطنية ، ولكنها تركت شعبا مهيأ لاستئناف الكفاح على الطريق الى ثورة جديدة ٠٠ بجهد وكفاح ونضال مؤسسة وطنية جديدة ٠٠ فكانت خاتمة أعمالها الوطنية ، هى الشرارة التى أشعلت ٠٠٠٠

« ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ »

وهو موضوع كتاب المؤلف (تأملات فى ثورات مصر) ثورة ٢٣ يوليو جزء أول سنة ١٩٥٤ وجزء ثان سنة ١٩٥٥ ٠



---

(٤٤٦) كتاب « اتهامات الشرق الأوسط » Middle East Indictment للمؤلف « ارسلان همبراتشى » ـ جزء أول ـ ص ٥٥ ٠

(٤٤٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٦ ٠

هـــذا الـــكاتب :

ولد بحلوان الحمامات بالقرب من القـــاهرة فى ٢٨ أبريل ســـنة
١٩ ٠

تخرج ضابطا بالجيش المصرى عام ١٩٤٢ ثم درس القـــانون فى
ب التخرج ٠

شارك فى الدفاع عن مصر خلال الحرب العالمية الثانية ٠

اشترك فى حرب فلسطين ونال ترقية استثنائية لرتبة اليوزباشى ٠
أسهم فى العمليـــات والتنظيمات السرية للضباط الوطنيين منذ
عينات ٠

انتقل للعمل فى جهاز المخابرات المصرية وشارك أثنائها فى تنظيم
رة المقاومة ضد قوات الاحتلال بالقنال ونال عقبها على وسام النجمة
كرية ٠

وترقى فى المخابرات المصرية الى أن أصبح فى عام ١٩٦٦ نائبـا
س المخابرات العامة ٠

كلف بادارة الصراع السرى ضد حلف بغداد والحلف المركزى وكذلك
ة العمليات السرية ضد اسرائيل منذ منتصف عام ١٩٥٧ ٠

عمل أمينا عاما لأمانة الصحافة والنشر ومشرفا على شئون الأعضـاء
حاد الاشتراكى العربى ٠ ثم عين مستشارا فى رئاسة الجمهورية ٠

ومن مؤلفـــاته :

١ ـ الاستعمار الجديد والدول النامية ٠
٢ ـ أبعاد المعركة مع اسرائيل ٠
٣ ـ كنت نائبا لرئيس المخابرات ٠
٤ ـ تأملات فى ثورات مصر فى مواجهة الحملة الفرنسية ٠
٥ ـ ثورة ٢٣ يوليو جزء أول ، جزء ثان ٠
٦ ـ مصر والسودان بين الوئام والخصام ٠

وتحت الطبـــع :

٧ ـ تأملات فى ثورات مصر (الثورة العرابية) ٠

٨ ـ تأملات فى ثورات مصر (ثورة ١٩١٩) ٠

٩ ـ تأملات فى ثورات مصر ارهاصات ما بين ثورة ١٩١٩ وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

١٠ ـ تأملات فى ثورات مصر ثورة ٢٣ يوليو حتى آخـر العدوان الثلاثى ٠

١١ ـ تأملات فى ثورات مصر ، ثورة ٢٣ يوليو من بعد العدوان الثـلاثى حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وحتى نصر أكتوبر سنة ١٩٧٣ ٠

فهـــــرس الكتـــــاب

الوقـــائع	رقم الصفحة
ـول لجنة « ملنر » الى مصر	١٤٤
ل البريطـانى فى وراثة عرش مصر	١٥٣
« ملنـر » ·· بين المقـاطعة والمفاوضة	١٥٥
ة لجنـــة « ملنـــر »	١٥٨
لة « يوسف وهبة باشا » ووزارته	١٦٠
وزارة « نسيم باشا »	١٦٠
ـروع المصـــرى	١٦٣
ـاطة « عدلى يكن باشا »	١٦٥
ناق والفرقة فى صفوف « الوفد » ·· وعـــودة بعض الأعضـــاء	١٧٠
الخلاف بين « عدلى يكن » و « سعد زغلول »	١٧١
ضات بين « عدلى يكن » و « اللورد كيرزون »	١٧١
مفاوضات « عدلى » / « كبرزون »	١٧١
لة « عـدلى يكن باشا »	١٧٣
قم السخط الشـــعبى	١٧٣
. « عبد الخالق ثروت باشا » لقبوله تأليف الوزارة .	١٨٢
ح ٢٨ فبـراير ١٩٢٢	١٨٠
سعد زغلول » فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢	١٨٢
الاستقلال ·· والمناداة بـ « فؤاد » ملكا	١٨٣
اومة الســرية	١٨٣
ى حزب « الأحرار الدستوريين »	١٨٥
ص من « عبد الخالق ثروت »	١٨٦
لة وزارة « محمد نسيم باشا »	١٨٨
وزارة « يحيى ابراهيم باشا »	١٩٠
دور الدســتور	١٩١
د زغلول » ورفاقه فى المنفى	١٩٤
ج عن « سعد زغلول » ورفاقه	١٩٤
« ســعد زغلول » الى مصر	١٩٧

الوقـــائع	رقم الصفحة

الوقائع	رقم الصفحة
تنظيم الضباط الأحرار	٣٥٩
حل جمعية الاخوان المسلمين	٣٦٣
اغتيال النقراشى باشا	٣٦٤
التهديد بقتل حسن البنا	٣٦٥
اغتيال حسن البنا واستقالة ابراهيم عبد الهادى	٣٦٧
تأليف وزارة حسين سرى	٣٦٧
وزارة حسن سرى المحايدة	
استقالة وزارة حسن سرى	٣٦٩
تشكيل وزارة النحاس	٣٦٩
الطلاق والزواج الملكى وتدهور سمعة القصر	٣٧٤
عريضة أحزاب المعارضة للملك	٣٧٦
فشل المفاوضات مع الانجليز	٣٨٠
الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦	٣٨١
المقاومة فى القنال ومعارك الفدائيين	٣٨٢
استمرار الأعمال الاستفزازية البريطانية	٣٨٦
أزمة نادى الضباط	٣٨٧
مأساة قرية (كفر أحمد عبده)	٣٩١
حريق القاهرة	٣٩٤
اعلان الأحكام العرفية	٣٩٧
نهاية ثورة ١٩١٩	٣٩٨

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٥٣٠١

ISBN — 977 — 01 — 4772 — 9

التصويبات

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥	٢٣	يمائلة	يمائلة (يناصره)
١٢	٢٦	العالمية	والعالمية
٤٤	٢	الحرب	الحزب
٤٦	١٨	( )	مؤسسة وطنية
٥٥	١٧	الملفاة	الملغاة
٥٦	٢٣	١٩٧٤	١٨٧٤
٦٠	١٣	النسائية	السينة
٦٩	٢٦	وجاء	وجه
٧١	١١	انجليزية ـ المنصورة مصرية	انجليزية -المنصوقة ـ مصريا
٧٢	٩	الغربية	الجريئة
٧٩	١٧	المواقع	المرافع
٦٢	١٩	ونوقيعات	وتوقعات
٩٤	٢١	( )	سغر
٩٥	١٤	( )	كان
٩٥	١٦	( )	وفير
٩٦	٢٥	( )	القارعة
١٠٥	٤	( )	يبدو لهم أنه
١١٣	١٦	الدكتور ديدرر	الدكنور ويدرو
١١٨	٢٩	الجهود	الجحود
١٣٠	٢٨	بيرستونه	بترشن
١٣٣	١٢	( )	الرسمى
١٥٢	٢٢	مهانة	مهادنة
١٦٧	٧	بف	بعدم
١٧٦	١٣	مستعدون	يستعدون
٢٠٥	٦	أم	أن
٢٠٩	٣	التعبير	التغير
٢٥٤	٢٤	مما	فيما
٢٦٣	١٢	حالة	احالة
٢٨٠	٢	يسمى	يسمح

«لابد لنا من قارعة» صرخة أطلقها الزعيم سعد زغلول بحسه الأزهرى تحديا للتعسف البريطاني فاندلعت على أثرها ثورة ١٩١٩ عقب اعتقاله وصحبه ونفيهم فى ٨ مارس ١٩١٩. وفاجأت الثورة الاحتلال، وتقلبت بين المطالبة بالحرية والاستقلال فى عصبة الأمم ومقاطعة «لجنة ملنر» البريطانية والتى حاولت الحصول على مباركة الشعب المصرى للحماية وبين المقاومة الشعبية ثم اعتقال سعد وأصحابه للمرة الثانية فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢١، ثم إعلان بيان ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من جانب واحد «بريطانيا» مؤكداً على الاستقلال المنقوص ومباركة الملك وأحزاب الأقلية لهذا البيان ثم الإفراج عن سعد وعودته للبلاد واقحامه لحزب الوفد الانتخابات فى ظل دستور ١٩٢٣ ثم رئاسته للوزارة ثم ظروف اغتيال سردار الجيش وحاكم عام السودان الإنجليزى واستقالة سعد زغلول ثم فوز حزبه فى الانتخابات ورئاسته للبرلمان ثم وفاته فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ وخلافة النحاس له ثم مسلسل التفاوض حتى تكونت جبهة وطنية حققت معاهدة ١٩٣٦ ولكن الاحتلال استمر، ثم ظروف الحرب العالمية الثانية وانتهت بمرحلة إعلان رئيس حزب الوفد ورئيس الوزارة النحاس باشا إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فكان ذلك هو آخر إنجازات ثورة ١٩١٩.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب